٤٠

جلد اول من تفسير ابى السعود

اوراقه
٥٤٧

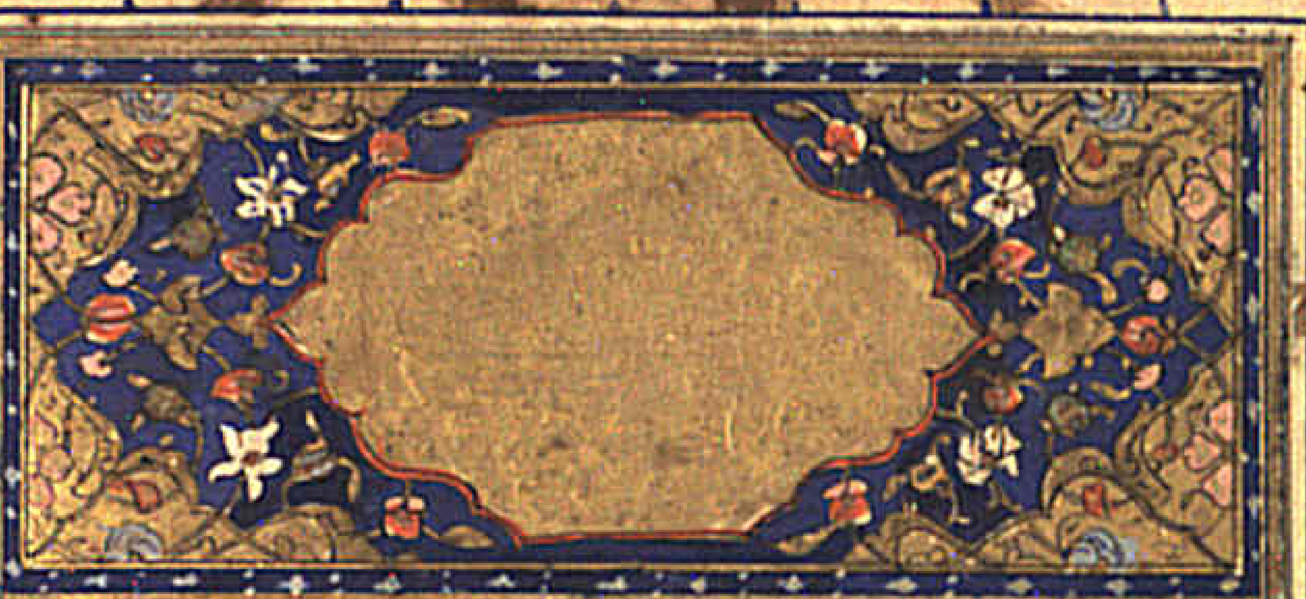


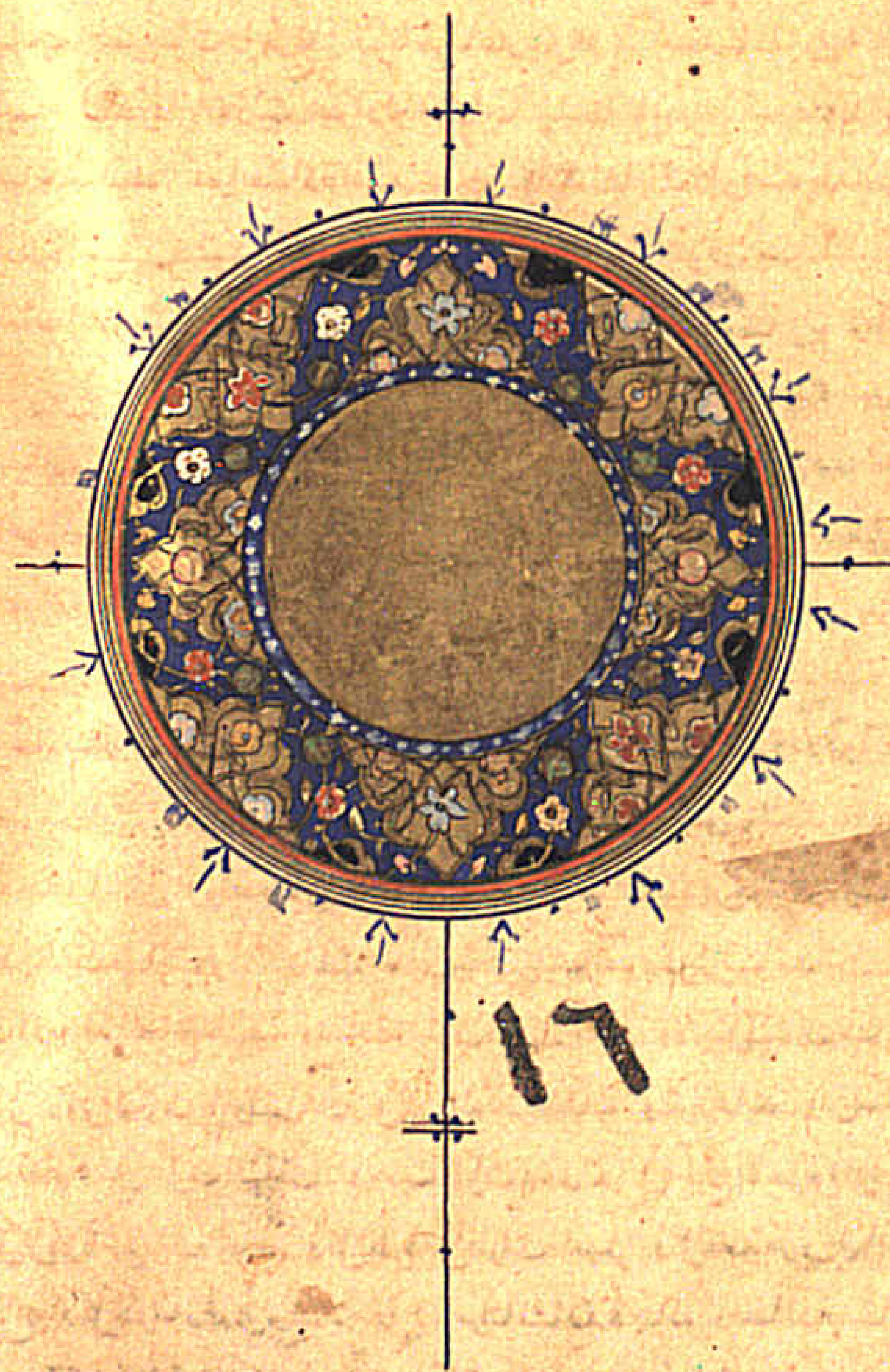
الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاجي بشير آغاء دار السعادة
الشريفة لسنة ثلاث وخمسين
ومائة وألف

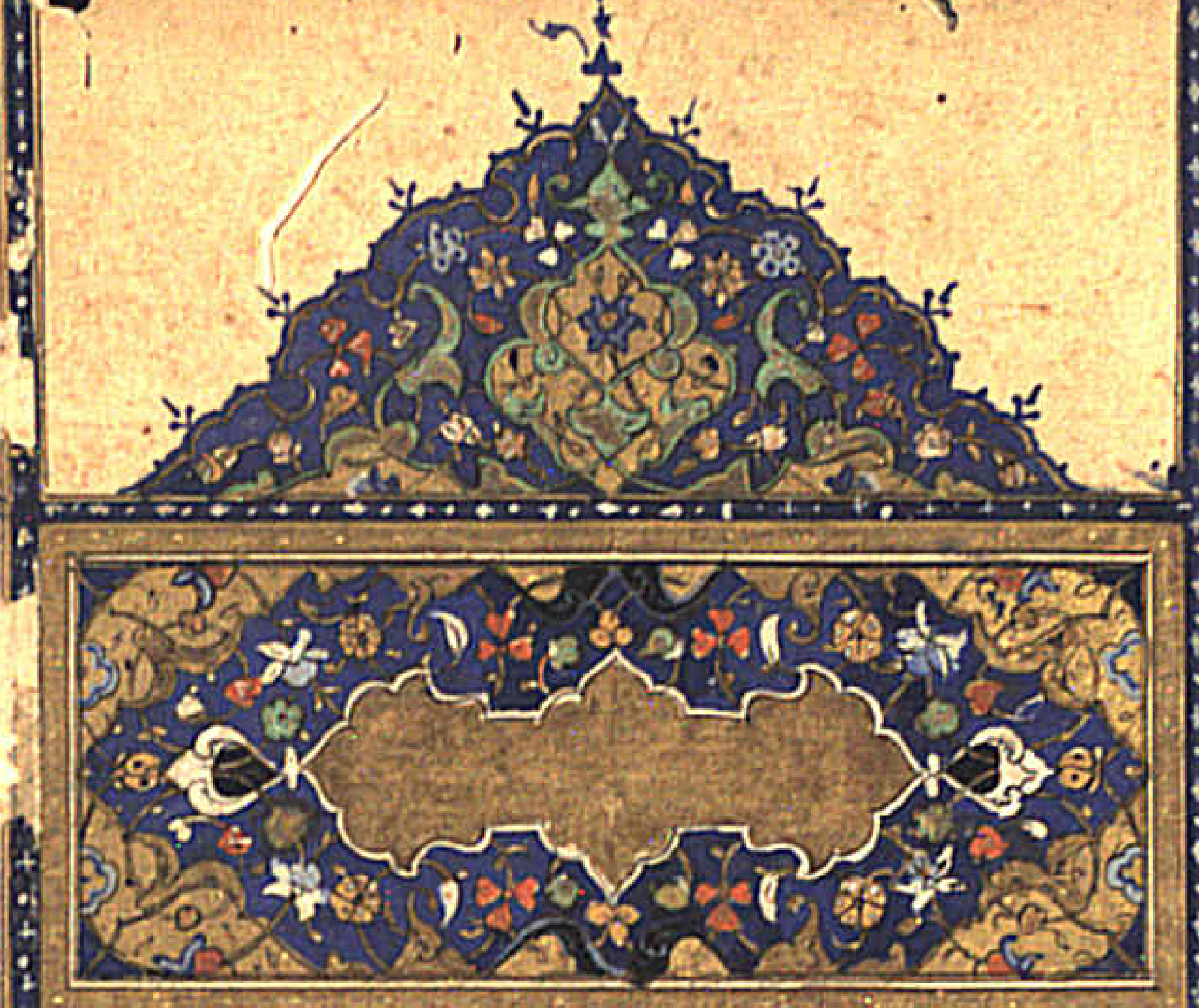


هذه النسخة الجليلة والمجلة الجميلة من وقف حضرت مولانا صاحب الخيرات الحسان
ساحب ذيل الجود والاحسان منور مصابيح المقاصد بأنوار العنايه
مفتح مغالق المراصد بمفتاح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل
حائز مجامع البر الاكمل الآ وهو آغاء دار السعادة الحاج بشير وفقه الله للخير المزيد
والبر الكثير من هو على كل شيء قدير حرره الفقير اليه سبحانه وتعالى
محمد امين المفتش باوقاف الحرمين المحترمين
عفي عنه









سبحان من أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ويبين له من شعاير الشرايع كل ما جل ودق
أنزل عليه اظهر بينات وابهر حجج قرانا عربيا غير ذي عوج مصدقا لما بين يديه من
الكتاب ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب ناطقا بكل امر رشيد هاديا الى
صراط العزيز الحميد امرا بعبادة الصمد المعبود كتابا متشابها مثاني تقشعر منه الجلود
تكاد الرواسي لهيبته تمور ويذوب منه الحديد ويميع صم الصخور حقيقا بان تسير
به الجبال وييسر به كل صعب محال معجزا اخرس كل مصقع من مهرة قحطان وبكت
كل مفلق من سحرة البيان بحيث لو اجتمعت الانس والجن على معارضته ومباراته لعجزوا
عن الاتيان بمثل آية من اياته نزله عليه على فترة من الرسل ليرشد الامة الى اقوم السبل
فهداهم الى الحق وهم في ضلال مبين فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين فمن اتبع
هداه فقد فاز بمناه واما من عانده وعصاه واتخذ الهه هواه فقد هام في بوادي
الردى وتردى في مهاوي الرود ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور صلى الله عليه
وعلى آله الاخيار وصحبه الابرار ما تناوبت الانوار وتعاقبت الظلم والاضواء وعلى
من تبعهم باحسان مدى الدهور والازمان فيقول العبد الفقير الى
رحمة ربه الهادي ابو السعود بن محمد العمادي ان الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم
وما كان يخرف منها مسطورا والحكمة التي في تخمير طينة آدم ولم يكن شيئا مذكورا
ليست الا معرفة الصانع المجيد وعبادة الباري المبدي المعيد ولا سبيل الى ذلك المطلب
الجليل سوى الوقوف على مواقف التنزيل فانه عز سلطانه وبهر برهانه وان سطر
ايات قدرته في صحايف الاكوان ونصب رايات وحدته في صفايح الاعراض والاعيان
وجعل كل ذرة من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات العيلم وكل نقطة جرى عليها قلم
الابداع وكل حرف رقم في لوح الاختراع مراة لمشاهدة جماله ومطالعة صفات
كماله حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون برهانا جليا لا ريب فيه
ومنهاجا سويا لا يضل من ينتحيه بل ناطقا يتلو ايات ربه فهل من سامع وداع ومجيبا
صادقا فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم تارة
باوضح عبارة وتلويح اخرى بالطف اشارة لكن الاستدلال بتلك الايات والدلايل

والاستشهاد



والاستشهاد بتلك الامارات والمخايل والتنبه لتلك الاشارات السرية والتفطن
بمعاني تلك العبارات العبقرية وما في تضاعيفها من رموز اسرار القضاء والقدر وكنوز
آثار التعاجيب والعبر مما لا يطيق به عقول البشر الا بتوفيق خلاق القوى والقدر فاذا
مدار المراد الا كلام رب العباد اذ هو المظهر لتفاصيل الشعاير الدينيه والمفسر لمشكلات
الايات التكوينية والكاشف عن خفايا حظاير القدس والمطلع على خبايا
سراير الانس وبه تكتسب الملكات الفاخرة وبه يتوصل الى سعادة الدنيا والاخرة
خلا انه ايضا من علو الشان وسمو المكان ونهاية الغموض والاعضال وصعوبة
الماخذ وعزة المنال في غاية الغايات القاصيه ونهاية النهايات النائيه
اعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لا يتسنى العروج الى معارجه الرفيعه
ولا يتاتى الرقي الى مدارجه المنيعة كيف لا وانه مع كونه متضمنا لدقايق العلوم النظريه
والعمليه ومنطويا على رقايق الفنون الخفية والجليه حاويا لتفاصيل الاحكام الشرعيه
ومحيطا بمناط الدلايل الاصلية والفرعية منبيا عن اسرار الحقايق والنعوت مخبرا باطوار الملك
والملكوت منه يرد تلك الاوامر والنواهي واليه يستند معرفة الاشيا كما هي قد نسج
على اغرب منوال وابدع واحتجبت طلعته بسبحات الاعجاز طويت حقايقه الابية
عن العقول وزويت دقايقه الخفية عن اذهان الفحول يرد عيون العقول سبحانه
ويخطف ابصار البصاير بريقه ولمعانه ولقد تصدى لتفسير غوامض مشكلاته اساطين ايمة
التفسير في كل عصر من الاعصار وتولى لتيسير عويصات معضلاته سلاطين اسرة التحرير (التقرير)
في كل قطر من الاقطار فغاصوا في لججه وخاضوا في ثبجه فنظموا فرايده في سلك التحرير وابرزوا
فوايده في معرض التقرير وصنفوا كتبا جليلة الاقدار والفوا زبرا جليلة الاثار اما المتقدمون
المحققون فاقتصروا على تمهيد المعاني وتشييد المباني وتبيين المرام وترتيب الاحكام
حسبما بلغهم من سيد الانام عليه اشرف التحية والسلام واما المتاخرون المدققون
فراموا مع ذلك اظهار مزاياه الرايقه وابدا خباياه الفايقه ليعاين الناس دلايل اعجازه
ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن ساير الكتب الكريمة الربانيه والزبر العظيمة السبحانية
فدونوا اسفارا بارعة جامعة لفنون المحاسن الرايعه يتضمن كل منها فوايد شريفه تقر بها
عيون الاعيان وعوايد لطيفه تتشنف بها اذان الاذهان لا سيما الكشاف وانوار
التنزيل المتفرد بالشان الجليل والنعت الجميل فان كلا منهما قد احرز قصب السبق اي احراز
كانه مراة لاجتلا وجه الاعجاز صحايفهما مرايا المزايا الحسان وسطورهما عقود الجمان
وقلايد العقيان ولقد كان في سوابق الايام وسوالف الدهور والاعوام اوان اشتغالي بمطالعتهما
وممارستهما وزمان انتصابي لمعارضتهما ومدارستهما يدور في خلدي على استمرار الايام
آناء الليل واطراف النهار ان انظم درر فوايدهما في سمط دقيق وارتب غرر فرايدهما على
ترتيب انيق واضيف اليهما ما الفيته في تضاعيف الكتب الفاخره من جواهر الحقايق

وصادفته في اصداف العبارات الزاخره من زواهر الحقايق واسلك خلالها بطريق الترصيع
على نسق انيق واسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شان التنزيل ويستدعيه جزالة
نظمه الجليل ما سنح للفكر العليل بالعناية الربانيه وسمح به النظر الكليل بالهداية السبحانيه
من عوارف عوارف يمتد اليها اعناق الهمم من كل ماهر لبيب وعرايس رغايب نزلوا اليها
احداق الامم من كل نحرير اديب وتحقيقات رحيبة تعيل اعراف الهمم في مداحض الاقدام
وتدقيقات متينه تزيل خطرات الاوهام من خواطر الانام في معارك افكار يشيب فيها النواصي
ومدارك انظار يختلط فيها الظنون وابرزت من استار الكمون من دقايق السر المخزون في
خزاين الكتاب المكنون ما تطمين اليه النفوس وتقربه العيون من خبايا الرموز وخبايا الكنوز
واهديتها الى الخزانة العامرة الغامرة للبحار الزاخرة لجناب من خصه الله تعالى بخلافة الارض
واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض الا وهو السلطان الاسعد الاعظم والخاقان الامجد
الافخم مالك الامة العظمى والسلطان الباهر وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر رافع
رايات الدين الازهر موضح ايات الشرع الانور مرغم انوف الفراعنة والجبابره معفر جباه
القياصرة والاكاسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله العزيز وجنده الغالب الهمام
الذي شرق عزمه المنير فانتهى الى المشرق الاقصى وغرب حتى بلغ مغرب الشمس او ادنا بخميس
عرمرم متزاحم الافواج وعسكر لخضم متلاطم الامواج فاصبح ما بين افقي الطلوع والغروب
وما بين نقطتي الشمال والجنوب منتظما في سلك ولايته الواسعه ومندرجا تحت ظلال رايته
الرايعه فاصبحت منابر الربع المسكون مشرقة بتذكار اسمه المكنون فيا له من ملك استوعب
ملكه البر البسيط واستغرق ملكه وجه البحر المحيط فكانه نقطة ضربت فيه خيامه ونصبت
عليه الويته واعلامه مالك ممالك العالم ظل الله الظليل على كافة الامم قاصم القياصرة وقاهر
القروم سلطان العرب والعجم والروم سلطان المشرقين وخاقان الخافقين الامام المقتدر
بالقدرة الربانيه والخليفة المعتز بالعزة السبحانيه المفتخر بخدمة الحرمين الجليلين المعظمين
وحماية المقامين الجليلين المفخمين ناشر القوانين السلطانيه عاشر الخواقين العثمانية السلطان
ابن السلطان السلطان سليمان خان ابن السلطان المظفر المنصور والخاقان الموقر المشهور
صاحب المغازي المشهوره في اقطار الامصار والفتوحات المذكورة في صحايف الاسفار
السلطان سليم خان ابن السلطان السعيد والخاقان المجيد السلطان بايزيد خان
لا زالت سلسلة سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان وارواح اسلافه العظام منعمة
في روضة الرضوان وكنت اتردد في ذلك بين اقدام واحجام لقصور شاني وعزة المرام
اين الحضيض من الذرى شتان ما بين الثريا والثرى وهيهات اصطياد العنقا بالشباك
واقتياد الجوزاء من بروج الافلاك فمضت عليه الدهور والسنون وتغيرت الاطوار وتبدلت
الشؤن فابتليت بتدبير مصالح العباد برهة في قضاء العساكر والاجناد فحال بيني وبينها
كما حال تراكم المهمات وتزاحم الاشغال وهموم العوارض والعوايق وهجوم الصوارف

والعوايق والتردد الى المغازي والاسفار والتنقل من دار الى دار وكنت في تضاعيف
هذه الاطوار اقدر في نفسي ان انتهز نهزة من الدهور ويتيسر لي القرار وتطمين الدار
وانظر حينئذ بوقت خال ابتهل فيه الى جناب ذي العظمة والجلال واوجه اليه وجهتي
واسلم اليه سري وعلانيتي وانظر الى كل شيء بعين الشهود واتعرف سر الحق في كل موجود
تلافيا لما فرطت واستعدادا لما هو آت واتصدى لتحصيل ما عزمت عليه واتولى
لتكميل ما توجهت اليه برفاهة واطمينان وحضور قلب وفراغ جنان فبينما انا في هذا
الخيال اذ بدا لي ما لم يخطر بالبال تحولت الاحوال والدهر حول فوقعت في اسر اشق من الاول
امرت بحل مشكلات الانام فيما شجر بينهم من النزاع والخصام فلقيت معضلة طويلة الذيول
وصرت كالهارب من المطر الى الميزاب مبلغ السيل الزبى وعزني اي عز عوارب ماجرى من زيد
وعمر فاصبحت في ضيق المجال وسعة الاشغال اشهر من يضرب بها الامثال فجعلت اتمثل
بقول من قال . لقد كنت اشكو الحوادث برهة واستمرض الايام وهي صحايح
الى ان تغشتني وقيت حوادث تحقق ان السالفات منايح
فلما انصرمت عرى الامال عن الفوز بفراغ البال ورايت ان الفرصة على جناح الفوات
وشمل الاسباب في شرف الشتات عزمت على انشاء ما كنت انويه وتوجهت الى املاء
ما ظللت ابغيه ناويا ان اسميه عند تمامه بتوفيق الله تعالى وانعامه ارشاد العقل السليم
الى مزايا الكتاب الكريم فشرعت فيه مع تفاقم المكاره على وتزاحم المشاغل بين يدي
متضرعا الى رب العظمة والجبروت خلاق عالم الملك والملكوت في ان يعصمني من الزيغ والزلل
ويقيني مصارع السوء في القول والعمل ويوفقني لتحصيل ما ارومه وارجوه ويهديني لتكميله
على احسن الوجوه ويجعله خير عدة وعتاد اتمتع به يوم المعاد فيا من توجهت وجوه الذل
والابتهال نحو بابه المنيع ورفعت ايدي الضراعة والسؤال الى جنابه الرفيع افض علينا
شوارق انوار التوفيق واطلعنا على دقايق اسرار التحقيق وثبت اقدامنا على مناهج
هداك وانطقنا بما فيه امرك ورضاك ولا تكلنا الى انفسنا طرفة ولا آن وخذ
بناصيتنا الى الخير حيث كان جئناك على جباه الاستكانه ضارعين ولابواب فضلك
قارعين انت الملاذ في كل امر مهم وانت المعاذ في كل خطب ملم لا رب غيرك
ولا خير الا خيرك بيدك مقاليد الامور لك الخلق والامر واليك النشور
الفاتحة في الاصل اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة
في فتح الكل ثم اطلقت على اول كل شيء فيه تدرج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصولا
والسطور والاوراق التدريجية قراءة وعدا والتا للنقل من الوصفية الى الاسمية او هي
مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس
الفتح فان تعلقه بالذات وبالباقي بواسطته لكن لا على معنى انه بواسطة في تعلقه بالباقي ثانيا
حتى يرد انه لا يقتضي الخاتمة لما ان ختم الشيء عبارة عن بلوغ اخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع

الملابسة عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه
فتح للمجموع بواسطته لكونه جزءا منه وكذا الكلام في الخاتمة فان بلوغ اخر الشيء بعرض للاخر اولا
وبالذات وللكل بواسطته على الوجه الذي حققته والمراد الاول بما يعم الاضافي فلا حاجة الى
الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزوها الاول والمراد بالكتاب
هو المجموع الشخصي لا القدر المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير
في اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم في اوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية
من جهة الله عز اسمه ومن جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكفي فيها تحصله باعتبار تحققه
في علمه عز وجل او في اللوح او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام
على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة
بمعنى اللام كما في جزء الشيء لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه
لا جزئي له ومدار التسمية كونها مبدأ للكتاب على الترتيب المعهود لا في القراءة في الصلاة ولا في التعليم
ولا في النزول كما قيل اما الاول فبين اذ ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرأ
في الصلاة حتى يعتبر في التسمية مبدئيتها له واما الاخيران فلان اعتبار المبدئية من حيث التعليم
او من حيث النزول يستدعي مراعات الترتيب في بقية الاجزاء اي الكتاب من تينك الحيثيتين
ولا ريب في ان الترتيب التعليمي والترتيب النزولي ليسا على نسق الترتيب المعهود وتسمى ام القرآن
لكونها اصلا ومنشأ له اما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وجل والتعبد بامره ونهيه
وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك
الصراط المستقيم والاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقرآن هو المراد
بالكتاب وتسمى ام الكتاب ايضا كما تسمى بها اللوح المحفوظ لكونها اصلا لكل الكائنات والآيات
الواضحة الدالة على معانيها لكونها مبينة تحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في ام القرآن لا ما
اورده الامام البخاري في صحيحه من انه يبدأ بقراءتها في الصلوة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما
اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله عليه السلام انها نزلت من كنز تحت العرش او لما ذكر في ام القرآن
كما انه الوجه في تسميتها الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسألة
لاشتمالها عليها وسورة الصلاة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه الصلاة
والسلام شفاء لكل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات تثنى في الصلاة او لتكرر نزولها على ما روي انها
نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة اخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله
تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص

اما لمبدئيتها له

اختلف الائمة في شأن التسمية في اوائل السور الكريمة فقيل انها ليست من القرآن اصلا وهو قول
ابن مسعود رضي الله عنه ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة
والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وهو
الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس رضي

الله

الله عنهما وقد نسب الى ابن عمر رضي الله عنهما ايضا وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي في زاد
المسير حيث قال روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انها نزلت مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن
جبير والزهري وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وهو القول الجديد
للشافعي ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من الشافعي لم يسبقه
اليه احد وقيل انها آية من الفاتحة مع كونها قرآنا في سائر السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها
او لا لكونها آية تامة وهو احد قولي الشافعي على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس
وابي هريرة رضي الله عنه وقيل انها آية تامة في الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض آية في
الفاتحة وآية تامة في البواقي وقيل انها بعض آية في الكل وقيل انها آيات من القرآن متعددة
بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها وهذا القول غير معزي في الكتب الى احد وثمة
قول آخر ذكره بعض المتأخرين ولم ينسبه الى احد وهو انها آية تامة في الفاتحة وليست بقرآن
في سائر السور ولولا اعتبار كونها آية تامة لكان ذلك احد محلي تردد الشافعي رضي الله عنه فانه
قد نقل عنه انها بعض آية في الفاتحة واما في غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين ان تكون قرآنا او لا
وقيل بين ان تكون آية تامة او لا قال الامام الغزالي والصحيح من الشافعي هو التردد الثاني وعن
احمد بن حنبل رضي الله عنه في كونها آية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما ابن الجوزي
ونقل انه مع مالك وغيره ممن يقول انها ليست من القرآن هذا والمشهور من هذه الاقاويل هي الثلاثة
الاول والاتفاق على اثباتها في المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله عز وجل يقضي بنفي
القول الاول وثبوت القدر المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فان كونها
جزءا من القرآن لا يستدعي كونها جزءا من كل سورة منه كما لا يستدعي كونها آية منفردة منه واما ما روي
عن ابن عباس رضي الله عنه من ان من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى وما روي
عن ابي هريرة من انه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم
وما روي عن ام سلمة رضي الله عنها من انه عليه السلام قرأ سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين آية فانما يدل كل واحد منها على نفي القول الثاني فليس شيء منها نصا في اثبات
القول الثالث اما الاول فلانه لا يدل الا على كونها آيات من الكتاب العزيز متعددة بعدد
السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها آية تامة من كل واحدة منها الا ان يلتجئ الى ان يقال
ان كونها آيات متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون جزءا منها قول لم يقل به احد واما
الثاني فساكت عن التعرض لحالها في بقية السور واما الثالث فناطق بخلافه مع مشاركته للثاني في
الثاني المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر ينبئ عنه الفعل المصدر بها كما انها كذلك في تسمية
المسافر عند الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة او الملابسة
تبركا اي بسم الله اقرأ او اتلو وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما في اياك نعبد وتقدير
ابدأ لاقتضائه اقتصار التبرك على البداية مخل بما هو المقصود اعني شمول البركة للكل وادعاء ان فيه
امتثالا بالحديث الشريف من جهة اللفظ والمعنى ينافي تقديره مؤخرا من جهة المعنى فقط ليس بشيء فانه

فان مدار الامتثال هو البدءة بالتسمية لا تقدير فعله فقط اذ لم يقل في الحديث الكريم كل امر
ذي بال لم يقل فيه او لم يضمر فيه ابدا وهذا الي اخر السورة الكريمة مقول لقول العباد
تلقينا لهم وارشادا الي كيفية التبرك باسمه تعالي وهداية الي منهاج الحمد وسؤال
الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسالة وانما كسرت ومن حق الحروف
المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة
علي المظهر للفصل بينها وبين لام الابتدا والاسم عند البصريين من الاسما المحذوفة الاعجاز
المبنية الاوايل علي السكون فداخلت عليها عند الابتدا همزة لان من دابهم البدا بالمتحرك
والوقف علي الساكن ويشهد لهم تصريفهم في اسماء وسمي وسميت وسمي كهدي لغة فيه قال
والله اسماك سمي مباركا   آثرك الله به ايثاركا   والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو
لانه رفع المسمي وتنويه له وعند الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت الواو وعوضت
عنها همزة الوصل ليقل اعلالها ورد عليه بان الهمزة لم تعهد داخلة علي ما حذف صدره في
كلامهم ومن لغاتهم سم وسُم قال بسم الذي في كل سورة سمه وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين
والتيمن او لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة هاهنا فانها تكون تارة بذاته تعالي وحقيقتها
طلب المعونة علي ايقاع الفعل واحداثه اي افاضة القدرة المفسرة عند الاصوليين من اصحابنا
بما يتمكن به العبد من ادا ما لزمه المنقسمة الي ممكنة وميسرة وهي المطلوبة بإياك نستعين وتارة اخري
باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة في كون الفعل معتدا به شرعا فانه ما لم يصدر باسمه تعالي
يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد وبذا الاسم
والا فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق لاسيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هي الاستعانة
الاولي فان قيل فليحمل الباء علي التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا يكون الا به قلنا
ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهل التشاجر الا فيه فلابد من ذكر الاسم لينقطع احتمال ارادة
المسمي ويتعين حمل الباء علي الاستعانة الاسمية او التبرك وانما لم تكتب الالف الا لكثرة الاستعمال
قالوا وطولت الباء عوضا عنها والله اصله الاله فحذفت همزته علي غير قياس كما ينبي عنه وجوب
الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماه وجردا عن معني التعريف ولذلك قيل يا الله
بالقطع فان المحذوف القياسي في حكم الثابت فلا يحتاج الي التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض
وقيل علي قياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه
امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله في الاصل اسم جنس يقع علي كل معبود
حق او باطل اي مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما لا بعينه ثم غلب علي
المعبود بالحق كالنجم والصعق واما الله بحذف الهمزة فهو مختص بالمعبود والحق لم يطلق علي غيره اصلا
واشتقاقه من الالاهة والالوهة والالوهية بمعني العبادة حسبما نص عليه الجوهري في انه اسم منها بمعني
المالوه كالكتاب بمعني المكتوب لا علي انه وصف منها بدليل انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال
اله واحد ولا يقال شي اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شي كتاب والفرق بينهما ان الموضوع له

في الصفة

في الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعني معين وقيامه بها فمدلولها مركب من ذات مبهمة
لم يلاحظ معها خصوصية اصلا ومن معني معين قايم بها علي ان ملاك الامر تلك الخصوصية فبناي ذات
يقوم ذلك المعني يصح اطلاق الصفة عليها كما في الافعال ولذلك تعمل عليها كاسمي الفاعل والمفعول
والموضوع له في الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعني الخاص فمدلوله مركب من   المعنيين
من غير رجحان للمعني علي الذات كما في الصحة ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من اله بمعني
تحير لانه سبحانه يحار في شانه العقول والافهام واما اله كعبد وزنا ومعني فمشتق من الاله
المشتق من اله بالكسر وكذا تاله واستاله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل
من اله الي فلان اي سكن اليه لاطمينان القلوب بذكره تعالي وسكون الارواح الي معرفته وقيل
من اله اذا فزع من امر نزل به والهه غيره اذا اجاره اذ العايذ تعالي يفزع اليه وهو يجيره حقيقة
او في زعمه وقيل اصله لاه علي انه مصدر من لاه يليه بمعني احتجب وارتفع اطلق علي الفاعل مبالغة
وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار امر التوحيد في قولنا لا اله الا الله ولا يخفي ان
اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه علي غيره اصلا كاف في ذلك ولا يقدح فيه
كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس في الاصل وقيل هو وصف في الاصل لكنه لما غلب
عليه بحيث لا يطلق علي غيره اصلا صار كالعلم ويرده امتناع الوصف به واعلم ان المراد بالمنكر في
كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل
اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانية وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه
اذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به
صريح اليمين وقد جا لضرورة الشعر في قوله   الا لا بارك الله في سهيل   اذا ما الله بارك في الرجال
والرحمن والرحيم صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز بنقله الي رحم بالضم
كما هو المشهور وقد قيل ان الرحيم ليس بصيغة مشبهة بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه في قولهم
هو رحيم فلانا والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها علي ما فيها
والمراد هاهنا التفضل والاحسان او ارادتهما بطريق اطلاق اسم المسبب بالنسبة الينا علي
سببه البعيد او القريب فان اسما الله تعالي توخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي
التي هي انفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق علي غيره تعالي وانما امتنع صرفه الحاقا
له بالاغلب في بابه من غير نظر الي الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود فعلي حظر وجود فعلانة فاعتباره
يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الي اصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بان تقاس الي نظايرها
من باب فعل يفعل فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلي فيها علم ان هذه الكلمة ايضا
في اصلها مما تحقق فيها وجود فعلي فتمنع من الصرف وفيه من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قيل
رحمن الدنيا ورحيم الاخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون القياس تاخيره رعاية لاسلوب الترقي
الي الاعلي كما في قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لانه باختصاصه عز وجل
صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالي ولان ما يدل علي جلايل النعم وعظايمها

واصولها أحق بالتقديم بما يدل على دقايقها وفروعها وافراد الوصفين الشريفين بالذكر لتبرك
سلسلة الرحمة   الحمد هو النعت بالجميل على الجميل اختيارا كان او مبدا له على وجه يشعر
بتوجهه الى المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فانه خال عنها يرشدك الى ذلك ما ترى
بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثاني
بمفعوله على منهاج تعلق عامة الافعال بمفعولاتها واما الاول فتعلقه بمفعوله مبني
عن معنى الانتهاء كما في قولك كلمته فانه عما يفيد لام التبليغ في قولك قلت له ونظيره شكرته
وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها مبني عن معنى الانهاء كما في قولك كلمته فانه عما يفيد لام
التبليغ في قولك قلت له فان تعلق كل منها مبني عن المعنى المذكور وتحقيقه مفعول كل فعل في الحقيقة
هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور في كيفية تعلق الفعل به اي فعل كان اختلاف اصلا
واما المفعول به الذي هو محله وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على انحاء مختلفة
حسبما يقتضيه خصوصيات الافعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضي ان يلابسه
ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها يستدعي ان يلابسه ادنى ملابسة اما بالانهاء اليه
كالاعانة مثلا او بالابتداء منه كالاستعانة مثلا اعتبر في كل نحو من انحاء تعلقه به كيفية لائقة
بذلك مغايرة لما اعتبر في النحوين الاخرين فنظم القسم الاول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول
الحقيقي مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الاخرين من قبيل التعلق بواسطة
الجار المناسب له فان قولك اعنته مشعر بانتهاء الاعانة اليه وقولك استعنته بابتدائها
منه وقد يكون للفعل الواحد مفعولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالاخر على الثانية
والثالثة كما في قولك حدثني الحديث وسألني المال فان التحديث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بك
على الكيفية الثانية وبالحديث على الاولى وكذا السؤال فانه فعل واحد وقد تعلق بك على
الكيفية الثالثة وبالمال على الاولى ولا ريب في ان اختلاف هذه الكيفيات الثلث وتباينها
واختصاص كل من المفاعيل المذكورة بما نسب اليه منها مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وان كلا
لا يتضح حق الايضاح الا عند الترجمة والتفسير وان مدار ذلك الاختلاف ليس الا اختلاف
الفعل واختلاف المفعول اذ الاختلاف في مفعول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في كيفية
التعلق لاختلافهما في المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت
زيدا على حسنه ورشاقة قده واياما كان فليس بينهما ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف في
كيفية التعلق بالمفعول وانما مرادف النصر الاعانة ومرادف التأييد التقوية فتدبر
ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللايق بالارادة في مقام التعظيم واما ما ذكر
في كتب اللغة من معنى الرضى مطلقا كما في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اي في قوم
لهذا الامر غاية حميدة وفي قول الاطباء بحران محمود مما لا يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فبمعزل
من استحقاق الارادة ههنا استقلالا واستتباعا لحمل الحمد على ما يعم المعنيين اذ ليس في اثباته
له عز وجل فايدة يعتد بها واما الشكر فهو مقابلة النعمة بالثناء وآداب الجوارح وعقد

القلب

القلب على وصف المنعم بنعت الكمال كما قال من قال   افادتكم النعماء مني ثلاثة   يدي ولساني
والضمير المحجبا   فاذا هو اعم منهما من جهة واخص من اخرى ويقتضيه الكفران ولما كان الحمد
من بين شعب الشكر ادخل في اشاعة النعمة والاعتداد بشانها وادل على مكانها لما في عمل
القلب من الخفاء وفي اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد راس الشكر وملاك الامر في قوله صلى
الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف
واصله النصب كما هو شان المصادر المنصوبة بافعالها المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها
نحو شكرا وعجبا كانه قيل نحمد الله حمدا ايثر في الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى اياك نعبد
واياك نستعين لاتحاد الفاعل في الكل واما ما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى كانه قيل
كيف تحمدون فقيل اياك نعبد فمع انه لا حاجة اليه مما لا صحة له في نفسه فان السؤال
المقدر لابد ان يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وينساق اليه الاذهان والافهام ولا ريب
في ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر بباله احد عن سال
عن كيفية على ان ما قدر من السؤال غير مطابق للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة
حتى يتوهم كونه بيانا لحمدهم والاعتذار بان المعنى نخصك بالعبادة وبه تعين كيفية الحمد
تعكيس للامر وتمحل لتوفيق المنزل المعجز بالموهوم المقدر بعد اللتيا والتي ان فرض السؤال من جهته
عز وجل فات نكتة الالتفات التي اجمع عليها السلف والخلف وان فرض من جهة الغير يختل النظام
لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا يتضح فساد ما قيل انه استئناف جوابا لسؤال يقتضيه
اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما شانكم معه وكيف توجهكم اليه فاجيب
بحصر العبادة والاستعانة فيه فان تناسي جانب السائل بالكلية وبناء الجواب على خطابه عز وعلا
مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله والحق الذي لا محيد عنه انه استئناف صدر عن الحامد
بمحض ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للاقبال الكلي عليه من غير
ان يتوسط هناك شيء آخر كما ستحيط به خبرا وايثار الرفع على النصب الذي هو الاصل للايذان
بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك امر دائم مستمر لا حادث متجدد كما
يفيده قراءة النصب وهو السر في كون تحية الملائكة عليهم التحية والسلام احسن من تحيته له
في قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام وتعريفه للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة
في ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي لتخصيص جميع افرادها به سبحانه
على الطريق البرهاني لكن لا بناء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فيكون الافراد الواقعة
بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها
في المقام الخطابي منزلة العدم كيفا وكما وقد قيل للاستغراق والحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث
تحققها في ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام وبضم
اللام اتباعا لها بالدال تنزيلا للكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ويجوز
بالجر على انه صفة لله فان اضافته حقيقية مفيدة للتعريف على كل حال الجيل

تعين ارادة الاستمرار وقرئ منصوبا على المدح وبما دلت عليه الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب
العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد لله لعلة اعمال المصدر المحلى باللام وللزوم الفصل بين العامل
والمعمول بالخبر والرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيا فشيا ثم وصف
به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله
لازما بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق
على غيره تعالى الا مقيدا كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقي ربه خمرا وقوله
تعالى ارجع الى ربك وما في الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم
ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي فقد قيل ان النهي فيه للتنزيه
واما الارباب فحيث لم يكن اطلاقه على الله تعالى في اطلاقه الاطلاق والتبيين كما في
قوله تعالى أأرباب متفرقون خير الاية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب
فيما يعلم به الخالق والقالب الصانع تعالى من المصنوعات اي في القدر المشترك بين اصنافها
وبين مجموعها فانه كما يطلق على جنس جنس منها في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم
النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزائه محدث
وقيل هو اسم لاولي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق التبع وقيل اريد به الناس
فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض
يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حياله ولذلك امر بالنظر في الانفس كالنظر في الافاق
فقيل وفي انفسكم افلا تبصرون والاول هو الاحق الاظهر وايثار صيغة الجمع لبيان شمول
ربوبيته تعالى لجميع الاجناس والتعريف لاستغراق افراد كل منها باسرها اذ لو افرد لربما
توهم ان المقصود بالتعريف هو الحقيقة من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد على الوجه المذكور
اشير اليه في تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة التعريف نزل العالم وان لم ينطلق على
احاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع المعرف يستغرق احاد
مفرده وان لم يصدق عليها كما في مثل قوله والله يحب المحسنين اي كل محسن كذلك العالم يشمل
افراد الجنس المسمى وان لم ينطلق عليها كانها احاد مفرده التقديري ومن قضيته هذا التنزيل
تنزل جمعه منزلة جمع الجمع فكما ان الاقاويل يتناول كل واحد من احاد الاقوال يتناول
العالمين كل واحد من احاد الاجناس التي لا تكاد تحصى روي عن وهب بن منبه انه قال لله تعالى
ثمانية عشر الف عالم والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات
العقلاء وما في حكمها من الاعلام لدلالته على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم
واعلم ان عدم انطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك الاحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح
واما باعتبار الاصل فلا ريب في صحة الاطلاق قطعا لتحقق المصداق حتما فانه كما يستدل
على الله سبحانه وتعالى بمجموع ما سواه وبكل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء
من اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب

لذاته

لذاته في الكل فان كل ما ظهر في المظاهر مما عز وهان وحضر في هذه المظاهر الحاضر كائنا ما كان
دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد واما شمول ربوبيته عز وجل للكل
فمما لا حاجة الى بيانه اذ لا شيء مما احدق به نطاق الامكان والوجود من العلويات والسفليات
والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع
اثار التربية عنه انا واحدا لما استقر له القرار ولا اطمأنت به الدار الا في مطمورة العدم
ومهاوي البوار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس في كل زمان يمضي
وكل ان يمر وينقضي من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وصفاته وكمالاته
ما لا يحيط به فلك التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة انه كما لا يستحق شيء من الممكنات
بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدأ الاول عز وعلا وكما لا يتصور
وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلي لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه
بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطاري لما ان الدوام من خصائص الوجود الواجبي
وظاهر ان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التي هي علله وشرائطه وان كانت متناهية
لوجوب تناهي ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التي لها دخل في وجوده وهي المعبر
عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة في ان يكون لشيء واحد موانع غير متناهية يتوقف
وجوده او بقاؤه على ارتفاعها اي بقائها على العدم مع امكان وجودها وانسدادها بابقاء تلك
الموانع التي لا تنتهي على العدم تربية لذلك الشيء من وجوه غير متناهية فسبحانه سبحانه ما اعظم
سلطانه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تطالعه العقول بافكارها شانه لا يضاهي
واحسانه لا يتناهى ونحن في معرفته حائرون ونحن في اقامة مراسم شكره قاصرون نسالك
اللهم الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لحقوق نعمتك لا نحصي ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك
واتوب اليك صفتان لله فان اريد بما فيهما من الرحمة ما يختص بالعقلاء من
العالمين او ما يفيض على الكل بعد الخروج الى طور الوجود من النعم فوجه تاخيرهما عن وصف الربوبية
ظاهر وان اريد ما يعم الكل في الاطوار كلها حسبما في قوله تعالى ورحمتي وسعت كل شيء فوجه الترتيب
انه لا تقتضي المفارقة للرحمة ايرادهما في عقبها للايذان بانه تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمته
السابقة من غير وجوب عليه وبانها واقعة على احسن ما يكون والاقتصار على نعته تعالى
بهما في التسمية لما انه الانسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والاوفق لمقاصده
صفة رابعة لله تعالى وتاخيرها عن الصفات الاول مما لا حاجة الى بيان
وجهه وقرا اهل الحرمين المحترمين ملك من الملك الذي هو عبارة عن السلطان القاهر
والاستيلاء الباهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلي في الامور العامة بالامر
والنهي وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدين كما في قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الماضي ومالك بالنصب على المدح والحال وبالرفع
منونا ومضافا على انه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم في العرف عبارة

عما بين طلوع الشمس وغروبها من الزمان وفي الشرع عما بين طلوع الفجر الثاني وغروب الشمس والمراد
ههنا مطلق الوقت والدين الجزاء خيرا كان او شرا ومنه الثاني في المثل السائر كما تدين تدان والاول
في بيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا واما الاول في الاول والثاني في الثاني
فليس بجزاء حقيقة وانما سمي به مشاكلة او تسمية الشي باسم مسببه كما سميت ارادة القيام والقراءة
باسمهما في قوله عز اسمه اذا قمتم الي الصلاة وقوله تعالى اذا قرأت القرآن فاستعذ بالله
ولعله هو السر في بناء المفاعلة من الافعال التي تقوم اسبابها بمفعولاتها نحو عاقبت اللص ونظائره
بان قيام السرقة التي هي سبب للعقوبة باللص نزل منزلة قيام المسبب به وهي العقوبة فصار
كانهما قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة الدال على المشاركة بين الاثنين
واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة سائر الظروف الزمانية الى ما وقع فيها من الحوادث
كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين سائر ما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه ادخل
في الترغيب والترهيب فان ما ذكر من القيامة وغيرها من مبادي الجزاء ومقدماته واضافة مالك
الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع المبني على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء
المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اي مالك امور العالمين كلها في يوم الدين وخلو
اضافته عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال والاستقبال
واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللائق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة حقيقية كاضافة
الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة
الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجري مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا الاعتبار
كما يشهد به القراءة في صيغة الماضي وما ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول انما هو من حيث المعنى
لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا ترى انك تقول في مالك عبد امس انه مضاف
الى المفعول به على معنى انه لذلك معنى لا انه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة اما لتعظيمه وتهويله
او لبيان تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازية بين الملاك والاملاك حينئذ
بالكلية واجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه وتعالى تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به
تعالى المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة
عليه فان كل واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحد منها له تعالى وامتناع ثبوتها
لما سواه اما الاول والرابعة فظاهر لانهما مفصحتان صراحة لكونه تعالى ربا مالكا وما سواه مربوبا
مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اتصافه تعالى بهما ليس الا بالنسبة الى ما سواه من
العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك الصفات كما
دلت على وجوب الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو
المعنى بالاختصاص   التفات من الغيبة الى الخطاب وتلوين للنظم
من باب الى باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضي المقام
لما ان التنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب النفوس لا سيما واستمالة القلوب يقع الى

واحد

واحد من التكلم والخطاب والغيبة الى كل واحد من الاخرين كما في قوله تعالى الله الذي ارسل
الرياح فتثير سحابا الاية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفات
الواردة في التنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ومما استأثر به هذا المقام الجليل من النكتة
الرائقة الدلالة على ان العبادة والاستعانة به تعالى لما اجري عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت
له تعالى اكمل تميزه واتم ظهوره بحيث تبدل خفاء الغيبة بجلاء الحضور فاستدعي استعمال صيغة
الخطاب والايذان بان حق التالي بعدما تأمل فيما سلف من تفرده تعالى بذاته الاقدس المستوجب
للعبودية وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلائل الصفات واحكام الربوبية
المميزة عن جميع الافراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي
مرت اليه الاشارة ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى عالم الشهود
ويلاحظ نفسه في حظائر القدس حاضرا في محاضر الانس كانه واقف لدى معلاه مائل بين يديه
وهو يدعوا بالخضوع والاخبات ويقرع بالضراعة باب المناجاة قائلا يا من هذه شؤون ذاته وصفاته
نخصك بالعبادة والاستعانة فان كل ما سواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلا عن
استحقاق ان يعبد او يستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في
كل ركعة من الصلاة التي هي مناجاة العبد لمولاه ومبنية للتبتل اليه بالكلية وايا ضمير منفصل
منصوب وما يلحقه من الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها
من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك واما ادعاء من الاضافة محتجا عليه بما حكاه عن بعض
العرب واذا بلغ الرجل الستين فاياه واياه الشواب فمما لا يعول عليه وقيل هي الضمائر واياد عامة لها
لتقيرها مستقلة وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك
بقلب الهمزة هاء والعبادة اقصى غاية التذلل والخضوع ومنه طريق معبد اي مذلل والعبودية
ادنى منها وقيل العبادة فعل ما يرضي الله والعبودية الرضى بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة
على الوجه الذي يجيء بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى واياي
فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به وتقديم المفعول فيهما قال ابن عباس رضي الله عنهما
معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحدة من العبادة
والاستعانة والابراز الاستلذاذ بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما انهما مقتضيان ترتيب على
الاسم الجليل وان ساعدته الصفات المجراة عليه ايضا واما الاستعانة فمن الاحكام المبنية على
الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من حقوق المستعين لان العبادة
واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه وقيل لان تقديم الوسيلة
على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير اطلاق الاستعانة عن المفعول فيه ليتناول
كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل انه لما ان المسؤول هو المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة
مراسمها على ما ينبغي وهو اللائق بشأن التنزيل والمناسب لحال الحامد فان استعانته مسبوقة
بملاحظته فعل من افعاله ليستعينه تعالى في ايقاعه ومن البين انه عند استغراقه في ملاحظة

شؤونه تعالى واشتغاله باداء ما يوجبه تلك الملاحظة من الحمد والثناء ولا يكاد يخطر بباله من
افعاله واحواله الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام اليه ولقد فصل ذلك بتخصيص العبادة به
تعالى اولا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه اخرا فكيف يتصور ان يشتغل فيما بينهما بما لا
يعنيه من امور دنياه او بما يعمهما وغيرهما كانه قيل واياك نستعين في ذلك فانا غير قادرين على
اداء حقوقه من غير اعانة منك ووجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته
تعالى وعزة منالها وبكونها عند العابد اشرف المباغي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى
لا من اعمال نفسه ومن الملايمة لما يعقبه من الدعاء ما لا يخفى وقيل الواو للحال اي اياك
نعبد مستعينين بك وايثار صيغة المتكلم مع الغير في الفعلين للايذان بقصور نفسه وعدم
لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا او عرض العبادة واستدعاء المعونة والهداية
مستقلا وان ذلك انما يتصور من عصابة هو من جملتهم وجماعة من زمرتهم كما هو ديدن الملوك
او للاشعار باشتراك ساير الموحدين له في الحالة العارضة له بناء على تعاضد الادلة الملجئة الى
ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم افراد لمعظم المعونة المسؤلة
بالذكر وتعيين لما هو الاهم او بيان لها كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة بلطف
الى ما يوصل الى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على
نهج التهكم والاصل تعديتها بالى واللام كما في قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق
قل الله يهدي للحق فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى
لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع تنوعها الى انواع لا تكاد تحصر منحصرة في اجناس مترتبة
منها انفسية كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي بها يصدر عن العبد افاعيله الطبيعية
والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن من اقامة مصالحه المعاشية
والمعادية ومنها افاقية فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة المودعة في
كل فرد من افراد العالم حسبما لوح به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية
والعملية بلسان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها
الارشاد الى مسلك الاستدلال بتلك الادلة التكوينية الافاقية والانفسية والتنبيه على مكانها
كما اشير اليه مجملا في قوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله تعالى
ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون ومنها الهداية
الخاصة وهي كشف الاسرار على قلب المهدي بالوحي او الالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب
ينتحيها وطالب يستدعيها والمطلوب اما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى
واما الثبات عليها كما روي عن علي وابي رضي الله تعالى عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه
الاخير مجاز ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقراين كان حقيقة لان الهداية الزايدة
هداية كما ان العبادة الزايدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ ارشدنا
الصراط اصله السين قلبت صادا لمكان الطاء كمصيطر في مسيطر من سرط الشيء اذا ابتلعه سميت

به

به لانها تسترط السابلة اذا سلكوها كما سميت لقما لانها تلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاء تحريا
للقرب من المبدل منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة
في الامام وجمعه سرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتانيث
المستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الافراط والتفريط
بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه
المقصود بالنسبة وفائدته التاكيد والتنصيص على ان طريق الذين انعم عليهم وهم المسلمون
هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم
الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها
فقد حازها بحذافيرها وقيل المراد بهم الانبياء صلوات الله تعالى عليهم اجمعين ولعل
الاظهر انهم المذكورون في قوله عز قائلا فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم
اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال
النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذه
النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها ينحصر اصولها في دنيوي واخروي
والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل
وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة في انفسها وجسماني
كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيات البدنية وتزيين البدن بالهيات المطبوعة والحلي
المرضية وحصول الجاه والمال والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في اعلا عليين
مع المقربين والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك
بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة صفة للموصول على انه عبارة
عن احدى الطوايف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسلك ومن ضرورة هذه
الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين اعني
مطلق المغضوب عليهم ولا الضالين فاكتسبت بذلك تعرفا مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك
عليك بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكملة لما قبله وايذانا بان السلامة مما ابتلي به اولئك نعمة
جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل
المراد بالموصول طايفة من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذي اللام اذا اريد به الجنس
في ضمن بعض الافراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني وبالمغضوب عليهم ولا الضالين اليهود
والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي فيبقى لفظ غير على ابهامه نكرة مثل موصوفه وانت خبير
جعل الموصول عبارة عما ذكر من طايفة غير معينة مخل ببدلية ما اضيف اليه مما قبله فان مدارها
كون صراط المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف
ومن البين ان ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى كلهم لا الى بعض مبهم منهم وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل

العارضة له من الرحمة ودلالة الاعتنا
واكتب على النسخ من الزوال
الاطلاق السنة والكلات
بهية

غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان شان البدل ان يفيد متبوعه مزيد تاكيد
وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان النصارى اسر ما نحن فيه ان نكتفي بما اضيف اليه
نوع يعرف صح لوقوعه صفة للموصول واما استحقاق ان يكون معضودا بالنسبة مفيدا
لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل انعمت او على المدح او على الاستثناء
ان فسر النعمة بما يعم القبيلين والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله
سبحانه يراد به غايته بطريق اسم السبب بالنسبة الينا على سببه القريب ان اريد به ارادة
الانتقام وعلى سببه البعيد ان اريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بان يشبه
الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال
الملك اذا غضب على الذين عصوه واراد ان ينتقم منهم وعليهم مرتفع بالمغضوب
قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالى كالاتهام جرى على منهاج الآداب
التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني
فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري
اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ولا مزيد لتاكيد ما افاده غير من معنى النفي كانه
قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب جواز انا زيدا لا
ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير
الضالين وقرئ ولا الضالين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم فعل
هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى آمين
فقال افعل ... عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة
الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القران وفاقا لكن يسن ختم السورة الكريمة بها
والمشهور عن ابي حنيفة رحمه الله تعالى ان المصلي ياتي بها مخافتة وعنه لا ياتي بها الامام لانه
الداعي وعن الحسن رحمه الله مثله وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس بن مالك رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي رحمه الله يجهر بها لما روى وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا قرا ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه
قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقران مثلها قلت بلى يا رسول
الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم
في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

بسم الله الرحمن الرحيم   الالفاظ التي يعبر بها عن حروف المعجم التي من جملتها المقطعات
المرقومة في فواتح السور الكريمة اسماء لها لاندراجها تحت حد الاسم ويشهد به ما يعتريها
من التعريف والتنكير والجمع والتصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك اساطين الائمة

المعربة

العربية وما وقع في عبارات المتقدمين من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة واما ما روي
عن ابن مسعود رضي الله عنه من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا حرفا من كتاب الله تعالى فله
حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وفي
رواية الترمذي والدارمي لا اقول الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن الالف حرف واللام
حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فان اطلاق
الحرف على ما يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه ائمة الصناعة وانما الحرف عند الاوائل
ما يتركب منه الكلم من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا فاريد بالحديث
الشريف دفع توهم التجوز وزيادة تعيين ارادة المعنى الحقيقي ليتبين بذلك ان الحسنة الموعودة
ليست بعدد الكلمات القرآنية بل بعدد حروفها المكتوبة في المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب
الله دون كلام الله والقرآن ليس هذا من تسمية الشيء باسم مدلوله في شيء كما قيل كيف لا والحكوم
عليه بالحرفية واستتباع الحسنة انما هي المسميات البسيطة الواقعة في كتاب الله عز وجل سواء اعبر
عنها باسمائها او بانفسها كما في قولك السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق
المحمول الا على ذات الموضوع لا اسمائها او بانفسها كما في قولك اذا قلت الالف مؤلف من ثلاثة احرف
فكما ان الحسنات في قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروفه البسيطة موافقة لعددها كذلك
في قراءة قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلثة المكتوبة وموافقة لعددها لا بمقابلة اسمائها
الملفوظة والالفات الموافقة في العدد اذ الحكم بان كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بانه
مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة في ذلك بالمعبر عنه دون المعبر به ولعل السر فيه ان استتباع
الحسنة منوط بافادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية فكما ان سائر الكلمات الشريفة لا تفيد
معانيها الا بتلفظ حروفها بانفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعاني المقصودة بها الا
بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول من غير فرق بينهما الا يرى الى
ما في الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف حرف كيف عبر عن طرفي ذلك
باسميهما مع كونهما ملفوظين بانفسهما ولقد روعيت في هذه التسمية نكتة رائعة حيث
جعل كل مسمى لكونه من قبيل الالفاظ صدرا لاسمه ليكون هو اول ما يقرع السمع خلا ان
الالف حيث تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهي معربة اذ لا مناسبة بينها
وبين مبنى الاصل لكنها لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها
حين خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة
اين وكيف وهؤلاء وان وليها عامل مسها الاعراب وقصر ما آخره الف عند التهجي لا لتفاء الخفة
لا لانه وزانه ومن ان لا تقصر تارة فتكون حرفا وتمد اخرى فتكون اسما لها كما في قول حسان
رضي الله عنه ما قال لا قط الا في تشهده   لولا التشهد لم تسمع له لاء   وقد تكلموا في شان
هذه الفواتح الكريمة وما اريد به فقيل انها من العلوم المستورة والاسرار المحجوبة وروي
عن الصديق رضي الله عنه انه قال في كل كتاب سر وسر القران اوائل السور وعن علي رضي الله

عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبي عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه وقيل
كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه تعالى او صفة من صفاته تعالى وقيل انها صفات
الافعال الالف الاؤه واللام لطفه والميم ملكه قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انها من قبيل
الحساب وقيل الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي انزل الله الكتاب بواسطة
جبريل على محمد وقيل هي اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول
اللغات ومبادي كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة وقيل اشارة الى انتهاء كلام وابتداء
كلام وقيل ولكن الذي عليه التعويل اما كونها اسماء للسور المصدرة بها وعليه اجماع الاكثر
واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها ايذانا بانها كلمات عربية معروفة التركيب
من مسميات هذه الالفاظ فيكون فيه ايماء الى الاعجاز والتحدي على سبيل الايقاظ فلولا انه
وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن معارضته ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة من
انها اسماء للقرآن والتسمية بثلاثة اسماء فصاعدا انما تستنكر في لغة العرب اذا ركبت
وجعلت اسما واحدا كما في حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيه والمسمى هو
المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور
فيه كما لا محذور في عكسه حسبما حققته وانما كتبت في المصاحف صور المسميات دون
صور الاسامي لكيفية التلفظ بها وهي ان يكون على نهج التهجي دون التركيب ولان فيه
عن التطويل لا سيما في الفواتح الخماسية على ان خط المصحف مما لا يناقش بمخالفة القياس واما
كونها مسرودة على نمط التعديد واليه جنح اهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون ايقاظا
لمن تحدى بالقرآن وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن
طوق البشر نازل من عند خلاق القوى والقدر لما تضاءلت قوتهم ولا تساقطت قدرتهم وهم
فرسان حلبة الحوار وامراء الكلام في نادي الفخار دون الاتيان بما يدانيه فضلا
عن المعارضة بما يساويه مع تظاهرهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعاداة
او ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما في الباقي من فنون الاعجاز
فان النطق بانفس الحروف في تضاعيف الكلام وان كان على طرف الثمام يتناوله الخواص
والعوام من الاعراب والاعجام لكن التلفظ باسمائها انما يتاتى ممن درس وخط واما ممن
لم يحم حول ذلك قط فاعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لا سيما اذا كان على
نمط عجيب واسلوب غريب منبئ عن سر سري مبني على نهج عبقري بحيث تحار في
فهمه ارباب العقول ويعجز عن ادراكه الباب الفحول كيف لا وقد وردت تلك الفواتح
في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على انصافها تقريبا بحيث ينطوي على انصاف
اصنافها تحقيقا او تقريبا كما يتضح عند الفحص والتنقير حسبما فصله بعض ائمة التفسير
فسبحان من دقت حكمته من ان تطالعها الانظار وجلت قدرته عن ان تنالها ايدي

الافكار

ايدي الافكار وايراد بعضها فرادى وبعضها مثناة الى الخماسية جريا على عادة الافتنان
مع مراعاة ابنية الكلم وتفريقها على السور دون ايرادها كلها مرة كذلك ولما في التكرير
والاعادة من زيادة (افادة) وتخصيص كل منها بسورتها مما لا سبيل الى المطالبة بوجهه وعد
بعضها آية دون بعض مبني على التوقيف البحت اما الم فاية حيثما وقعت وقيل
في آل عمران ليست باية والمص آية والمر لم تعد آية والر ليست باية في شيء من سورها
الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست باية وحم آية في سورها كلها
وكهيعص آية وحم عسق آيتان وص وق ون لم تعد واحدة منها آية وهذا على رأي
الكوفيين وقد قيل ان جميع الفواتح آيات عندهم في السور كلها بلا فرق بينها واما من
عداهم فلم يعدوا شيئا منها آية ثم انها على تقدير كونها اسماء للسور او للقرآن كان لها
حظ منه اما الرفع على الابتداء او على الخبرية واما النصب بفعل مقدر كاذكر وبتقدير فعل
القسم على طريقة الله لافعلن واما الجر بتقدير حرفه حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه
النظام ولا وقف فيما عدا الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة
الاعجاز الا ان ما كانت منها مفردة مثل ص وق ون يتاتى فيها الاعراب اللفظي ايضا
وقد قرئت بالنصب على اضمار فعل اي اذكروا او اقرا صاد وقاف ونون وانما لم تنون لامتناع
الصرف وكذا ما كانت منها موازنة لمفرد نحو حم ويس وطس الموازنة لقابيل وهابيل حيث
اجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال في باب اسماء السور من كتابه وقد قرا بعضهم ياسين
والقرآن وقاف والقرآن فكانه جعله اسما اعجميا ثم قال اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافي
ايضا عن بعضهم قراءة يس ويجوز ان يكون ذلك في الكل تحريكا لالتقاء الساكنين ولا مساغ
للنصب باضمار فعل القسم لان ما بعدها من القرآن والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع
بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضاء الاول وهو السر في جعل ما عدا الواو الاولى
في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى عاطفة ولا مجال
للعطف منها للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاول مجرورا
باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك
لالتقاء الساكنين ويجوز في طسم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه
في كتابه واما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجيء تفاصيل احكام كل منها
مشروحة في مواقعها باذن الله عز سلطانه اما مدة الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة
او للقرآن فمحلها الرفع اما على انه خبر لمبتدا محذوف والتقدير هذا الم اي مسمى به وانما صحت
الاشارة الى القرآن بعضا او كلا مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم
الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان واما على انه مبتدا اي المسمى به والاول هو الا
ولى لان ما يجعل عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب
واذ لا علم بالتسمية قبل تحقق الاخبار بها او ادعاء شهرتها يا باه التردد في ان المسمى هي السورة

او كل القرآن ذلك ذا اسم اشارة واللام عماد جيء به للدلالة على بعد المشار اليه والكاف للخطاب
والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة المشاهد بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وكونه في الغاية القاصية من الفضل والشرف اثر
تنويهه بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار التقضي او باعتبار الوصول من المرسل الى المرسل اليه
في حكم المتباعد وان كان مصححا لايراده لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع للاشارة
الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هو السورة لان المشار اليه هو المسمى بالاسم المذكور من
حيث هو مسمى به لا من حيث المسمى السورة وليراد في اعتبار الحيثية الثانية في الاولى ناظر الى
ان التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فذلك لتذكير ما بعده وهو على الوجه الاول
مبتدأ في حدة وعلى الوجه الثاني مبتدأ ثان وقوله تعالى الكتاب اما خبر له
او صفة اما اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاول مستأنفة مؤكدة لما افاده الجملة
الاولى من نباهة شان المسمى لا محل لها من الاعراب وعلى الوجه الثاني في محل الرفع على انها
خبر للمبتدأ الاول واسم الاشارة مغني عن الضمير الرابط والكتاب اما مصدر سمي به المفعول
مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال بني للمفعول كاللباس من الكتب
الذي هو ضم الحروف بعضها الى بعض واصله الجمع والضم في الامور البادية لحس البصر
ومنه الكتيبة للعسكر كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشياء الخافية عليه واطلاق
الكتاب على المنظوم عبارة لما انه بالآلة الكاتبة والمراد على تقدير كون المسمى هو السورة جميع
القرآن الكريم وان لم يتم تنزيله عند نزول السورة اما باعتبار تحققه في علم الله عز وجل
او باعتبار نزوله جملة الى السماء الدنيا حسبما ذكر في فاتحة الكتاب واللام للعهد
والمعنى ان هذه السورة هو الكتاب اي العمدة القصوى منه كانه في احراز الفضل كل
الكتاب المعهود الغني عن الوصف بالكمال لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة قوله
عليه السلام الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمى كل القرآن فالمراد بالكتاب الجنس واللام
للحقيقة والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيقي بان يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على
بقية الافراد في حيازة كمالات الجنس كان ما عداه من الكتب السماوية خارج منه بالنسبة
اليه كما يقال هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضي
الخصال وعليه قول من قال هم القوم كل القوم يا ام خالد فالمدح كما ترى من جهة
حصر كمال الجنس في فرد من افراده وفي الصورة الاولى من جهة حصر كمال الكل في الجزء
ولا مساغ هناك لحمل الكتاب على الجنس لما ان فرد المعهود وهو مجموع القرآن المقابل لسائر افراد
من الكتب السماوية لا بعضه الذي ينطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزءا للجنس على حياله
ولان حصر الكمال في السورة مشعر بنقصان سائر السور وان لم يكن الحصر بالنسبة اليها لتحقق
المغايرة بينهما وهذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك الكتاب
على تقدير كون الم خبر مبتدأ محذوف اما خبر ثان او بدل من الخبر الاول او مبتدأ مستقل

خبره ما بعده

خبره ما بعده وعلى تقدير كونه مبتدأ اما خبر له او مبتدأ ثان خبره ما بعده والجملة
خبر للمبتدأ الاول والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى سواء كان هو السورة او القرآن
ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شانه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشان البالغ اقصى
مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود فمعنى البعد ظاهر خلا انه ان كان
المسمى هو السورة ينبغي ان يراد بالوعد ما في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما قيل
وان كان هو القرآن فهو ما في التوراة والانجيل هذا على تقدير الم اسما للسورة او للقرآن واما على
تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فذلك مبتدأ والكتاب اما خبره او صفته والخبر ما بعده
على نحو ما سلف او يقدر مبتدأ اي المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل
الكتاب وقوله تعالى لا ريب فيه اما في محل النصب على انه خبر لذلك الكتاب على الصور
الثلاث المذكورة او على انه خبر ثان لالم او كذلك على تقدير كون الكتاب خبره او للمبتدأ الموخر
اخر ابطرا اي من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى واما في
محل النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة مستأنفة لا محل
لها من الاعراب مؤكدة لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان لحملها
عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها واسمها مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا
ولا شبيها به واما ما ذكره الزجاج من انه معرب وانما حذف التنوين للتخفيف فمما لا تعويل عليه
وسبب بنائه تضمنه لمعنى من الاستغراقية لا انه مركب معها تركب خمسة عشر كما توهم وخبرها
محذوف اي لا ريب موجود ونحوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة
لاسمها ومعناه نفي الكون المطلق وسلبه على الريب المفروض في الكتاب والخبر هو الظرف ومعناه
سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور خبرا لما
بعده وقرئ لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق
وهذا مجوز له والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق
النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى الشك مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل
الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب انه في علو الشان
وسطوع البرهان بحيث ليس فيه مظنة ان يرتاب في حقيته وكونه وحيا منزلا من عند الله
تعالى لانه لا يرتاب فيه احد اصلا الا ترى كيف جوز ذلك في قوله تعالى وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا الخ فانه في قوة ان يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا او وان
ارتبتم فيما نزلنا الخ الا انه خولف في الاسلوب حيث فرض كونهم في الريب لا كونه لا ريب
فيه لزيادة تنزيه ساحة التنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته العالية
ولم يقصد هاهنا ذلك الاشعار كما لم يقصد الاشعار بثبوت الريب في سائر الكتب
ليقتضي المقام تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول هدى مصدر من هداه او
كالسرى والبكى وهو الدلالة بلطف على ما يوصل الى البغية اي ما من شانه ذلك وقيل

هي الدلالة الموصلة اليها بدليل وقوع الضلالة في مقابلته في قوله تعالى اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين
ولا شك في ان عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلالة فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله
ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم الهدى المتعدي اذ لا فرق بينهما الا من
حيث التأثير والتأثر ومحصله ان الهدى المتعدي هو التوجيه الموصل لان اللازم هو
التوجه الموصل بدليل ان مقابله الذي هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى
مبني على امرين اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم اللازم واعتبار وجود اللازم وجوبا
في مفهوم المتعدي وكلا الامرين بمعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار التقابل بين الهدى
والضلال ليس هو الوصول وعدمه على الاطلاق بل هما معتبران في مفهوميهما على وجه
مخصوص به يتحقق التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدى لا بد فيه من اعتبار توجه عن علم
الى ما من شانه الايصال الى البغية كما ان الضلال لا بد فيه من اعتبار الجور عن القصد
الى ما ليس من شانه الايصال قطعا وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة بين الفريقين ومحققة
للتقابل بينهما وانما النزاع في ان امكان الوصول الى البغية هل هو كاف في تحصل مفهوم
الهدى او لا بد فيه من خروج الوصول من القوة الى الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل معتبر
في مفهوم الضلال قطعا اذا تقرر هذا فنقول ان اريد باعتبار الوصول بالفعل في
مفهوم الهدى اعتباره مقارنا له في الوجود زمانا حسب اعتبار عدمه في مفهوم مقابله
فذلك بين البطلان لان الوصول غاية للتوجه المذكور فينتهي به قطعا لاستحالة التوجه
الى تحصيل الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو اما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى زيادته
ولان التوجه الى المقصد تدريجي والوصول اليه دفعي فيستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة
واما عدم الوصول فحيث كان امرا مستمرا مثل ما يقتضيه من الضلال وجب مقارنته
له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه في آن من آنات تلك الازمنة لقارنه في ذلك الآن
مقابله الذي هو الوصول فما فرضناه ضلالا لا يكون ضلالا وان اريد اعتباره من حيث
انه غاية له واجبة الترتيب عليه لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد في السلوك
الى ما من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجي كاخترام المنية مثلا من غير تقصير ولا
جور من قبل المتوجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه
عن القصد اصلا فبطل اعتبار وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعا فتبين منه عدم
اعتباره في مفهوم المتعدي حتما واما اعتبار وجود اللازم فيه وجوبا وهو الامر الثاني فبيانه
مبني على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذي يصدر عنه ويتم ما قبله لكن لما لم
يكن له في تحققه في نفسه بد من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول اسمه قطعا ثم لما كان
له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك آثار شتى مترتبة
عليه متمايزة في انفسها مستقلة باحكام مقتضية لافرادها باسماء خاصة وعرض له بالقياس

الى كل اثر من تلك الآثار اضافة خاصة ممتازة عما عداها من الاضافات العارضة له بالقياس
الى سائرها الآثار وكانت تلك الآثار تابعة له في التحقق غير منفكة عنه اصلا اذ لا موثر لها سوى
فاعله عدت من تتماته واعتبرت الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاعتماد
المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انكسار ذلك الجسم الذي هو
اثر خاص لذلك الاعتماد اسم الكسر وباعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذي هو اثر
آخر له اسم القطع الى غير ذلك من الاضافات العارضة له بالقياس الى آثاره اللازمة له وهذا
امر مطرد في آثاره اللازمة له الطبيعية واما الآثار التي له مدخل في وجودها في الجملة من غير
ايجاب لها تترتب عليه تارة وتفارقه اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار
الاختيارية الصادرة عن مؤثرها بواسطة كونه داعيا اليها بحيث كانت تلك الآثار مستقلة
في انفسها مسندة الى مؤثرها غير لازمة له لزوم الآثار الطبيعية التابعة له لم تعد من تتماته
ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب
امتثال المأمور والاضافة العارضة للدعوة بحسب اجابة المدعو فان الامتثال والاجابة
وان عدا من آثار الامر والدعوة باعتبار ترتبهما عليهما غالبا لكنهما حيث كانا بفعلين اختيار
بين للمأمور والمدعو مستقلين في انفسهما غير لازمين للامر والدعوة لم يعدا من تتماتهما ولم
يعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلول اسمهما بل جعلا عبارة عن نفس الطلب
المتعلق بالمأمور والمدعو سواء وجد الامتثال والاجابة اولا اذا تمهد هذا فنقول كما ان
الامتثال والاجابة فعلان مستقلان في انفسهما صادران عن المأمور والمدعو باختيارهما
غير لازمين للامر والدعوة لزوم الآثار الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها وان كانا
مترتبين عليهما في الجملة كذلك هدى المهدي اي توجهه الى ما ذكر من المسلك فعل مستقل
له صادر عنه باختياره غير لازم للهداية اعني التوجيه اليه لزوم ما ذكر من الآثار الطبيعية
وان كان مترتبا عليها في الجملة فلما لم يعدا من تتمات الامر والدعوة ولم يعتبر الاضافة
العارضة لهما بحسبهما داخلة في مدلولهما علم انه لم يعد الهدى من تتمات الهداية ولم
يعتبر الاضافة العارضة لها بحسبه داخلة في مدلولها ان **قيل** ليس الهدى بالنسبة الى
الهداية كالامتثال والاجابة الى اصليتهما فان تعلق الامر والدعوة بالمأمور والمدعو لا يقتضي
الا اتصافهما بكونهما مأمورا ومدعوا وليس من ضرورية اتصافهما بالامتثال والاجابة
اذ لا تلازم بينهما وبين الاولين اصلا بخلاف الهدى بالنسبة الى الهداية فان تعلقها بالمهدي
يقتضي اتصافه لان تعلق الفعل المتعدي المبني للفاعل بمفعوله يدل على اتصافه بمصدره
الموجود من المبني للمفعول قطعا وهو مستلزم لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا اعتبار
وجود اللازم في مدلول المتعدي حتما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة بالمأمور والمدعو
لا يستدعي الا اتصافهما بما ذكر من غير تعرض للامتثال والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية
التي هي عبارة عن الدلالة المذكورة بالمهدي لا يستدعي الا اتصافه بالمدلولية التي هي عبارة

اي الامتثال والاجابة

الكل

عن المصدر المأخوذ من المبني للمفعول من غير تعرض لقبوله لتلك الدلالة كما هو معنى الهدى
اللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة الى طريق الحق والاهتدا عين الاجابة فكيف
يؤخذ في مدلولها واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول للاتصاف
بمصدر الفعل المتعدي المبني للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقا انما هو في الافعال
الطبيعية كالمكسورية والانكسار والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية
فليست كذلك كما تحققته فيما سلف ان قيل التعلم من قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر
في مدلول التعليم قطعا فليكن الهدى مع الهداية كذلك قلنا ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا
على الاطلاق ولا يكون التعليم عبارة عن تحصيل العلم للمتعلم قيل فان المعلم ليس بمستقل في ذلك في
اسناده اليه ضرب تجوز بل لان كلا منهما معتبر في تحققه وتحصيله الى الاخر فان التعليم عبارة عن
القاء المبادي العلمية على المتعلم وسوقها الى ذهنه شيا فشيا على ترتيب يقتضيه الحال بحيث
لا يساق اليه بعض منها الا بعد تلقيه لبعض آخر فكل منهما متمم للآخر معتبر في مدلوله واما الهدى
الذي هو عبارة عن التوجه المذكور ففعل اختياري مستقل به فاعله لا دخل للهداية فيه
سوى كونها داعية الى ايجاده باختياره فلم يكن من تمامها ولا معتبرا في مدلولها ان قيل
التعليم نوع من انواع الهداية والتعلم نوع من انواع الاهتدا فيكون اعتباره في مدلول التعليم
اعتبارا للهدى في مدلول الهداية قلنا اطلاق الهداية على التعليم انما هو عند وضوح
المسلك واستبداد المتعلم بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعيا اليه وقد عرفت
جلية الامر على ذلك التقدير ان قيل الى تخلف الهدى عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم
فحيث لم يكن ذلك تعليما في الحقيقة فليكن الهداية ايضا كذلك وليحمل التسمية بالا يستتبع الهدى
بها على التجوز قلنا شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلف
الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك واما تخلف الهدى عن الهداية فليس لشائبة قصور من جهتها
بل انما هو لفقد سببه الموجب له من جهة المهدي بعد تكامل ما يتم من قبيل الهادي وبهذا
التحرير اتضح طريق الهداية وتبين انها عبارة عن مطلق الدلالة على ما من شانه الايصال الى
البغية بتعريف معالمه وتبيين مسالكه من غير ان يشترط في مدلولها الوصول والقبول
وان الدلالة المقارنة بينهما او لاحدهما والمفارقة عنه كل ذلك مع قطع النظر عن قيد المقارنة
وعدمها افراد حقيقته لها واما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت وقوله تعالى ولو شا
لهديكم ونحو ذلك مما اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز وانكشف ان الدلالات التكوينية
المنصوبة في الانفس والآفاق والبينات التشريعية الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق
بالنسبة الى كافة البرية برها وفاجرها هدايات حقيقية فايضة من عند الله سبحانه وتعالى
والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله للمتقين اي المتصفين
بالتقوى حالا وما لا وتخصيص الهدى بهم لما انهم المقتبسون من انواره المنتفعون بآثاره
وان كان ذلك شاملا لكل ناظر من مؤمن وكافر وبذلك الاعتبار قال تعالى هدى للناس

والمتقي اسم فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع
عبارة عن كمال التوقي عما يضره في الآخرة قال عليه السلام جماع التقوى في قوله تعالى
ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله وادى
ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقي من ترك ما لا باس به حذرا من الوقوع فيما فيه باس
وعن ابي ذر رضي ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف انه مجانبة
كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل المتقي من تبرا عن حوله وقوته وقيل التقوى ان لا
يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل
تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجاير وعن ابي تراب
بين يدي التقوى خمس عقبات لا ينال من لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة وايثار
الضعف على القوة وايثار الذل على العزة وايثار الجهد على الراحة وايثار الموت على
الحياة وعن بعض الحكما انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى الا ان يكون بحيث لو جعل ما في قلبه
في طبق فطيف به في السوق لم يستحي من نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما
تزين علانيتك للخلق والتحقيق ان للتقوى ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب
المخلد بالتبري عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل
ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغاير عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني
بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن
الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقي المامور في قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض يتفاوت فيه طبقات اصحابها
حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفايضة عليهم بموجب المشيئة الالهية
المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلاة والسلام حيث
جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج
الى عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق لكمال
استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية وهداية الكتاب المبين شاملة
لارباب هذه المراتب اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم الى
تحصيل المرتبة الاولى ونيلها فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل
الحاصل وايثاره على العبارة المعربة عن ذلك للايجاز وتصديرا للسورة الكريمة بذكر
اوليائه تعالى وتعظيم شانهم وان اريد به ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخريين
فان عني بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان عني بهم اصحاب احدى
الطبقتين الاخريين تعين المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بهداية المترقبة وكذا الحال
فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فانه ان اريد بالهدى الارشاد الى تحصيل المرتبة الثالثة
فان عني بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعينت الحقيقة وان عني بهم اصحاب المرتبة الثالثة

تعيين المجاز لفظ الهداية حقيقة في جميع الصورة واما ان اريد بكونه هدى تثبيتهم على
ما هم عليه او ارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهومها داخلا في المعنى المستعمل فيه فهو مجاز
لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او
حالا منه ومحل هدى الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك
الكتاب او مبتدأ خبره الظرف المقدم كما أشير اليه او النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب
والعامل معنى الاشارة او من الضمير فيه والعامل ما في الجار والمجرور من معنى الفعل المنفي كأنه قيل
لا يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال
كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب اما للمبالغة كأنه نفس الهدى او لجعل المصدر بمعنى
الفاعل هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شأن هذه الجمل ان تكون متناسقة تقرر
اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها عاطف فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتدأ محذوف
مضمر او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما
يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي لما دلت عليه من كونه منعوتا
بالكمال الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفي الريب فيه اذ لا فضل اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين
بما يقدر له من المبتدأ جملة مؤكدة لكونه حقا لا يحوم حوله شائبة شك ما ودالة على تكميله بعد كماله
او يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول فانه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به
من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال
وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب اذ لا انقص مما يعتريه الشك
وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرائقة والمزايا الفائقة
ما لا يخفى جلالة شأنه حسبما حققته الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين محله الجر على انه
صفة مقيدة له ان فسر التقوى بترك المعاصي مترتبة فقط عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة ان فسر بما
هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانه حينئذ يكون
تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو عماد الاعمال واساس
الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية
والمالية المستتبعة لسائر القرب الداعية الى التجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان
الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلاة والسلام الصلاة عماد الدين والزكوة
قنطرة الاسلام او مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعات وترك السيئات
وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلاث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على سائر ما انطوى تحت
اسم التقوى من الحسنات او النصب على المدح بتقدير اعني والرفع عليه بتقدير هم واما مفصول
عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سيأتي بيانه فالوقف على المتقين
حينئذ وقف تام لانه وقف على مستقل واما على الوجه الاول فحسن لاستقلال الموصوف عليه
غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما على تقدير الجر على الوصفية فظاهر واما على تقدير

الجر

الجر على الوصفية فظاهر واما على تقدير النصب او الرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب
والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب وبذلك سميا
قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا ترى كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ في النصب والرفع
روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما قال
ابو علي اذا ذكرت صفات المدح وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان اي للتفنن
الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد في الاصغاء فان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه
عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشأنه من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب
ان قيل لا ريب في ان حال الموصول عند كونه خبرا لمبتدأ محذوف كحاله عند كونه مبتدأ
خبره اولئك على هدى في انه ينسبك به جملة اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة
مذكورة ان كلامه الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وان كلا من اتيانهم الايمان
وفروعه واحرازهم الهدى والفلاح من النعوت الجليلة فما السر في انه جعل ذلك في الصورة
الاولى من توابع المتقين وعد الوقف غير تام وفي الثانية مقتطعا عنه وعد الوقف تاما قلنا
السر في ذلك ان المبتدأ في الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الاولى كان تفصيلا لما
تضمنه المبتدأ اجمالا حسبما حققته معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة
التفصيل والتوضيح نظم ذلك في سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وان سمي قطعا مراعاة
لجانب اللفظ كيف لا وقد اشتهر في الفن ان الخبر اذا كان معلوم الانتساب الى المخبر عنه حقه ان
يكون وصفا له كما ان الوصف قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات واما الخبر في
الثانية فحيث لم يكن كذلك بل كان مشتملا على ما لا ينبئ عنه المبتدأ من المعاني اللائقة
كما يحيط به خبرا فيفيد المخاطب فوائد رائقة جعل ذلك مقتطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى
جميعا والايمان افعال من الامن المتعدي الى واحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى اثنين يقال
امنته غيري ثم استعمل في التصديق لان المصدق يؤمن اي يجعله امينا من التكذيب والمخالفة
واستعماله بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمانينة
ومنه ما حكي عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما صرت ذا امن وسكون وهو في الشرع لا يتحقق
بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة
والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف في ذلك او لا بد من انضمام الاقرار اليه للمتمكن منه
والاول راي الشيخ الاشعري ومن تابعه فان الاقرار عنده منشأ لاجراء الاحكام والثاني
مذهب ابي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلا ان الاقرار ركن محتمل
للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه
عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل
بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن
الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يومنون بغير همزة والغيب اما مصدر وصف

به الغاية مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل في
قيّل وهين في هيّن وميت في ميّت لكن لم يستعمل الاصل كما استعمل في نظائره واياما كان
فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة
وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها
الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الاحكام
والشرائع واليوم الآخر واحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا
فالباء صلة للايمان اما بتضمينه معنى الاعتراف او بجعله مجازا عن الوثوق وهو واقع موقع
المفعول به واما مصدر في حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل كما
في قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يؤمنون
متلبسين بالغيبة اما عن المؤمن به اي غائبين عن النبي صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من
شواهد النبوة لما روي ان اصحاب ابن مسعود رضي الله عنه ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وايمانهم فقال رضي الله عنه ان امر محمد عليه السلام كان بيّنا لمن رآه والذي لا اله غيره ما
آمن مؤمن افضل من الايمان بغيب ثم تلا هذه الآية واما عن الناس اي غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين
الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب
القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء
للآلة وترك ذكر المؤمن به على التقادير الثلاثة اما للقصد الى احداث نفس الفعل كما في قولهم
فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان واما للاكتفاء بما يجيء فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل
ما يجب الايمان به ويقيمون الصلاة اقامتها عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في
شيء من فرائضها وسننها وآدابها من اقام العود اذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة
عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ
عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه وقيل عن التشمر لادائها من غير فتور ولا توان
من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد وقيل عن ادائها عبر عنه بالاقامة لاشتماله
على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام والركوع والسجود والتسبيح والاول هو الاظهر
لانه اشهر والى الحقيقة اقرب والصلاة فعلة من صلى اذا دعا كالزكاة من زكى وانما كتبت
بالواو مراعاة للفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتمالها على الدعاء وقيل اصل صلى حرك
الصلوين وهما العظمان الناتئان في اعلا الفخذين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده
واشتهار اللفظ في المعنى الثاني دون الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا
تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة العطاء ويطلق
على الحظ المعطى نحو ذبح ورعي للمذبوح والمرعي وقيل هو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفي العرف
ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله تعالى من الحرام لانه منع من الانتفاع به
وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا يرى انه تعالى اسند الرزق الى ذاته

ايذانا

ايذانا بانهم ينفقون من الحلال الطلق فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح وذم المشركين
على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا
واصحابنا جعلوا الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم
واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بما روي عنه في حديث
عمرو بن قرة حين اتاه فقال يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا اراني ارزق الا من دفي
بكفي فاذن لي في الغناء من غير فاحشة من انه قال صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة
ولا نعمة كذبت اي عدو الله والله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك
من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغذي به طول
عمره مرزوقا وقد قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق والانفاد
اخوان خلا ان في الثاني معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف
الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكاة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه
بها لاقترانه بما هو شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلة وتقديم المفعول للاهتمام
والمحافظة على رؤوس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير هذا وقد يجوز ان
يراد به الانفاق من جميع المعادن التي منحهم الله تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده
قوله عليه السلام ان علما لا ينال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم من
انوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك معطوف على الموصول
الاول على تقدير وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معه في زمرة المتقين من حيث
الصورة والمعنى معا او من حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام اذ المراد بالاولين
الذين آمنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب وبالآخرين
الذين آمنوا بالقرآن بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام واضرابه او على المتقين
على ان يراد بهم الاولون خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقاء للايذان بتنزههم عن حالهم الاولى
بالكلية لما فيها من كمال القباحة والمباينة للشرائع التي لا تكاد كلها الموجبة للاتقاء عنها
بخلاف الآخرين فانهم غير ذكي لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون باصول الشرائع التي لا تكاد
تختلف باختلاف الاعصار ويجوز ان يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا تحت المتقين
ولا يكون توسيط العاطف بينهما باختلاف الذوات بل لاختلاف الصفات كما في قوله الى
الملك القرم وابن الهمام ۝ وليث الكتيبة في المزدحم ۝ وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآيب للايذان بان كل واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغائبة والايمان
بما يشهد بثبوته من الكتب السماوية نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمة
حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل احدهما تتمة للآخر وقد شفع الاول باداء
الصلاة والصدقة والثاني بما من جملة الشرائع المندرجة تحت تلك الامور والمؤمن بها
تكملة له فان كمال العلم بالعمل وقرن الثاني بالايقان بالآخرة مع كونه منطويا تحت الاول

تنبيها على كمال صحته وتعريضا بما في اعتقاد اهل الكتاب من الخلل كما سيأتي هذا على تقدير تعلق الباء بالايمان وقد علمت الحال عند تعلقها بالمحذوف فان كلا من الايمان الغيبي المشفوع بما يصدقه من العبادات مع قطع النظر عن المؤمن به والايمان بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الامور الدينية بعد الايمان بها معروفا بما قرن به فضيلة باهرة مستدعية لما ذكر والله تعالى اعلم وقد حمل ذلك على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول للتنبيه على تغاير القبيلين وتباين السبيلين فليتأمل وان اريد بالموصول الثاني فبعد اندراج الكل في الاول من خاص منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب بل خصوا بالذكر كتخصيص جبريل وميكال به اثر جريان ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيما لشأنهم وترغيبا لامثالهم واقرانهم في تحصيل ما لهم من الكمالات والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعاني انما هو بتوسط تعلقه بالاعيان المستتبعة لها ونزول ما عدا القرآن من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله تعالى اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه عز وجل تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم السلام والمراد بما انزل اليك هو القرآن باسره والشريعة عن آخرها والتعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه مترقبا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر او لتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مع ان الجن ما كانوا سمعوا الكتاب جميعا ولا كان الجميع اذ ذاك نازلا وبما انزل من قبلك التورية والانجيل وسائر الكتب السالفة وعدم التعرض لذكر من انزل اليه من الانبياء عليهم السلام لقصد الايجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل علينا ابراهيم واسمعيل واسحق الآية والايمان بالكل جملة فرض وبالقرآن تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض كفاية فان في وجوبه عينا حرجا بينا واخلالا بامر المعاش وبناء انزل للمفعول للايذان بتعين الفاعل والجري على سنن الكبرياء وقد قرئ على البناء للفاعل وبالآخرة هم يوقنون الايقان اتقان العلم بالشيء بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا اي يعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التي من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واختلافهم في ان نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا او لا وهل هو دائم او لا وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير تعريض لمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امور الآخرة بمعزل من الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين والآخرة تأنيث الآخر كما ان الدنيا تأنيث الادنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى الاسماء وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة اجراء لضمة ما قبلها مجرى ضمتها في وجوه ونظيره ما في قوله لحب المؤقدان الي مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود ○ وقوله تعالى اولئك اشارة الى الذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك

الامور

الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل مبتدأ وقوله عز وجل على هدى خبره وما فيه من معنى البعد الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كأنه قيل على اي هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من يعتلي الشيء ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيفما يريد او على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه او على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للايذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة له مبينة لفخامته الاضافية اثر فخامته الذاتية مؤكدة لها اي على هدى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته تعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يقتضيه ويستدعيه وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة والجملة على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين مستقلة لا محل لها من الاعراب مقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تأكيد له وتحقيق كيف لا وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون ما يحويه واستقروا عليه من الهدى حسبما حققته لاستتباع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل واقعة موقع الجواب عن سؤال ربما ينشأ مما سبق كأنه قيل ما بال المنعوتين بما ذكر من النعوت اختصوا بهداية ذلك الكتاب العظيم الشأن او ما بالهم اختصوا بتلك الاثرة فاجيب بانهم بسبب اتصافهم بذلك مالكون لزمام اهل الهدى الجامع لفنون المستتبع للفوز والفلاح فاي ريب في استحقاقهم لما هو فرع من فروعه ولقد حاد عن سنن الصواب من قال في تقرير الجواب ○ ان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واما على تقدير كونهما مفصولين عنه فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتدأ الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل مبادي استحقاقهم لذلك كأنه قيل ما بال المتقين مخصوصين به فاجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة اي الذين هذه شؤونهم احقاء بما هو اعظم من ذلك كقولك احب الانصار الذين قارعوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجتهم في سبيل الله اولئك سواد عيني وسويداء قلبي واعلم ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك ولا ريب في ان هذا ابلغ من الاول لما فيه من بيان الموجب للحكم وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من الاشعار بكمال تميزه بها واستحقاقه بسبب دخوله في سلك الامور المشاهدة والايماء الى بعد منزلته كما مر هذا وقد جوز ان يكون الموصول الاول مجرى على المتقين حسبما فصل والثاني مبتدأ واولئك الخ

ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضاً بغير المؤمنين من أهل الكتاب حيث كانوا يزعمون
أنهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح أولئك هم المفلحون كرر اسم الإشارة لإظهار مزيد
العناية بشأن المشار إليهم وللتنبيه على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل واحدة
من تينك الأثرتين وأن كلاً منهما كاف في تميزهم بها عمن عداهم ويؤيده توسيط العاطف
بين الجملتين بخلاف ما في قوله تعالى أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلاً أولئك هم الغافلون
فإن التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة عما يفيده تشبيههم بالبهائم فيكون الجملة الثانية
مقررة للأولى وأما الفلاح الذي هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغايراً للهدى
نتيجة له وكان كل منهما في نفسه أعز مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير
فصل يفصل ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ خبره المفلحون
والجملة خبر لأولئك وتعريف المفلحين للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم
المفلحون في الآخرة أو إشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا
وفي بيان اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات الرائقة
حسبما أشير إليه في تضاعيف تفسير الآية الكريمة من الترغيب في اقتفاء أثرهم والإرشاد
إلى اقتداء سيرهم لا يخفى مكانه والله ولي الهداية والتوفيق إن الذين كفروا كلام
مستأنف سيق لشرح أحوال الكفرة الغواة المردة العتاة إثر بيان أحوال أضدادهم
المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل وإنما ترك العاطف
بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم لما
بينهما من التنافي في الأسلوب والتباين في الغرض فإن الأولى مسوقة لبيان رفعة
شأن الكتاب في باب الهداية والإرشاد وأما التعرض لأحوال المهتدين فإنما هو بطريق
الاستطراد سواء جعل الموصول موصولاً بما قبله أو مفصولاً عنه بما قبله أو مفصولاً عنه
فإن الاستئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة وأما
الثانية فمسوقة لبيان أحوال الكفرة أصالة وترامي أمرهم في الغواية والضلال
لا يجديهم الإنذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تيه الغي
والعناد عن منهاج العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول
وإنما أوثرت هذه الطريقة ولم يؤسس الكلام على بيان أن الكتاب هاد للأولين
وغير مجد للآخرين لأن العنوان الأخير ليس مما يورثه كمالاً حتى يتعرض له في أثناء تعداد
كمالاته وإن من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الأسماء
ودخول نون الوقاية عليها كإنني ولعلني ونظائرهما وإعطاء معانيه والمتعدي خاصة
في الدخول على اسمين ولذلك أعملت عمله الفرعي وهو نصب الأول ورفع الثاني إيذاناً
بكونه فرعاً في العمل دخيلاً فيه وعند الكوفيين لا عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله الأول
وأجيب بأن ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل وإلا لما انتصب خبر كان وقد زال

بدخولها

بدخولها فتعين إعمال الحروف وأثرها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم
ويصدر بها الأجوبة ويؤتى بها في مواقع الشك والإنكار لدفعه ورده قال المبرد
قولك عبد الله قائم إخبار عن قيامه وإن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شاك
فيه وإن عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول إما للعهد والمراد به
ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأحبار اليهود أو للجنس وقد
خص منه غير المصرين بما أسند إليه من قوله تعالى سواء عليهم الخ والكفر في اللغة ستر
النعمة وأصله الكفر بالفتح أي الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر قال تعالى
كمثل غيث أعجب الكفار نباته وعليه قول لبيد ❊ في ليلة كفر النجوم غمامها ❊
ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطى السلاح بدنه وفي الشريعة إنكار ما علم
بالضرورة مجيء الرسول عليه السلام به وإنما عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار
أو نظائرهما كفراً لدلالته على التكذيب فإن من صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد
يجترئ على أمثال ذلك إذ لا داعي إليه كالزنى وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث
القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الإخبار فإنه يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة
وأجيب بأنه من مقتضيات التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما أن حدوث
تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم سواء هو اسم بمعنى الاستواء نعت به
كما ينعت بالمصادر مبالغة قال تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله تعالى
عليهم متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على أنه خبر لأن وقوله تعالى أأنذرتهم
أم لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية لأن الهمزة وأم مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق
الاستواء بين مدخوليهما كما جرد الأمر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله عز وجل استغفر
لهم أو لا تستغفر لهم وحرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة عن معنى
الطلب لمجرد التخصيص كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه كقولك
إن زيداً مختصم أخوه وابن عمه أو مبتدأ وسواء عليهم خبر قدم عليه اعتناء بشأنه
والجملة خبر لأن والفعل إنما يمتنع الإخبار عنه عند بقائه على حقيقته أما لو أريد به
اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمناً على طريقة الاتساع فهو كالاسم في الإضافة
والإسناد إليه كما في قوله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله تعالى وإذا قيل
لهم لا تفسدوا وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه كأنه قيل إنذارك وعدمه
سيان عليهم والعدول إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدد والتوسل إلى إدخال الهمزة
ومعادلها عليه لإفادة تقرير معنى الاستواء وتأكيده كما أشير إليه وقيل سواء مبتدأ
وما بعده خبر وليس بذاك لأن مقتضى المقام بيان كون الإنذار وعدمه سواء لا بيان
كون المستوي الإنذار وعدمه والإنذار إعلام المخوف للاحتراز عنه إفعال من نذر بالشيء
إذا علمه فحذره والمراد هاهنا التخويف من عذاب الله تعالى وعقابه على المعاصي والاقتصار

عليه لما انهم ليسوا باهل للبشارة اصلا ولان الانذار اوقع في القلوب واشد تاثيرا
في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع فحيث لم يتاثروا به فلان لا يرفعوا
للبشارة رأسا اولى وقرئ بتوسيط الف بين الهمزتين مع تحقيقهما وبتوسيطها
والثانية بين بين وبتخفيف الثانية بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه
والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب
ذلك الى اللحن **لا يؤمنون** جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه من اجمال
ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة له او بدل منه او خبر لان
وما قبلها اعتراض بما هو علة للحكم او خبر ثان على رأي من يجوزه عند كونه
جملة مستقلة والآية الكريمة مما استدل به على جواز التكليف بما لا يطاق فانه تعالى
قد اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو
عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم مأمورين بالايمان باقين على التكليف
ولأن من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم المستمر والحق ان التكليف بالممتنع لذاته
وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي اغراضا لا سيما الامتثال لكنه غير واقع
للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او بعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما
يفعله هو او العبد باختياره وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى
يستلزم ان يكلفوا الايمان بعدم ايمانهم المستمر بل هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله
عليه وسلم اجمالا على ان كون الموصول عبارة عنهم ليس معلوما لهم وفائدة الانذار بعد
العلم بانه لا يفيد الزام الحجة واحراز الرسول عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك قيل
سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وفي الآية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من
المعجزات الباهرة **ختم الله على قلوبهم** استئناف تعليلي لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه
او بيان وتأكيد له والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والختم على الشيء
الاستيثاق منه بضرب الخاتم عليه صيانة له او لما فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ
والكيس المملوء والاول هو الانسب بالمقام اذ ليس المراد صيانة ما في قلوبهم بل احداث
حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن منهاج النظر
الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اصلا اما على طريقة الاستعارة التبعية
بان تشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو ابواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول
بمحسوس بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه وحقه ان يقبله ويستعد له
الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي واما على طريقة التمثيل بان تشبه الهيئة المنتزعة من
قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة من ان يصل اليها ما خلقت هي
لاجله من الامور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال معدة

لحلول

لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين
ما اعدت لاجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبه بها فيكون كل من طرفي
التشبيه مركبا من امور عدة وقد اختصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الامر في تصور
تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقي منوي مراد قصدا بالفاظ متخيلة بها يتحقق
التركيب وتلك الالفاظ وان كان لها مدخل في تحقيق وجه الشبه الذي هو امر
عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما اعد له بسبب مانع قوي لكن ليس في شيء منها
على الانفراد تجوز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا
او كناية وانما التجوز في المجموع وحيث كان معنى المجموع مجموع معاني تلك الالفاظ التي
لا يتصور فيها التجوز المعهود ولم تكن الهيئة المنتزعة منها من معانيها المدلولة وضعا لها
ليكون ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعماله في الهيئة المشبهة مستعملا في غير ما وضع
له فيندرج تحت الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو عبارة عن الكلمة المستعملة
في غير ما وضع له ذهب قدماء المحققين كالشيخ عبد القاهر وامثاله الى جعل التمثيل قسما
برأسه ومن رام تعليل الانتظام عد تلك الهيئة المشبه بها من قبيل المدلولات الوضعية
وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما يشبهه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور
اخرى من قبيل الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة في
قلوبهم الى الله عز وجل لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى
وورود الآية الكريمة ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث
الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه وتعالى ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على
ما اقترفوه من القبائح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم ونحو ذلك واما المعتزلة
فقد سلكوا مسلك التأويل وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم لما
اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي
المجبول عليه ومنها ان المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية
عن الفطن او بقلوب قد ختم الله عليها كما في قولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء
اذا طالت به الغيبة ومنها ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر واسناده اليه سبحانه باعتبار
كونه باقداره تعالى وتمكينه ومنها ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث لم يبق
الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف
عبر عن ذلك بالختم لانه سد لطريق ايمانهم بالكلية وفيه اشعار بترامي امرهم في الغي والعناد
وتناهي انهماكهم في الشر والفساد ومنها ان ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم
قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها
ان ذلك في الآخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة

فيعضونهم وينفرون عنهم وعلى سمعهم عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل
وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم ولاشتراكهما في الادراك
من جميع الجوانب واعادة الجار للتأكيد والاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم للايذان
بانها الاصل في عدم الايمان وللاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء على انه طريق
اليها فالختم عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو
باق على حاله حسبما ينطق عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا
وهم معرضون والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها
وهو المراد ههنا اذ هو المختوم عليه اصالة وتقديم حاله على حال ابصارهم للاشتراك
بينه وبين قلوبهم في تلك الحال او لان جنايتهم من حيث السمع الذي يتلقى الاحكام الشرعية
وبه يتحقق الانذار اعظم منها من حيث البصر الذي به يشاهد الاحوال الدالة على التوحيد
فبيانها احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حيث
ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله رسولا اصم
ولان السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها وتوحيده للأمن
عن اللبس واعتبار الاصل او لتقدير المضاف اي على حواس سمعهم والكلام في ايقاع
الختم على ذلك كما مر من قبل وعلى ابصارهم غشاوة الابصار جمع بصر والكلام فيه كما
سمعته في السمع والغشاوة فعالة من التغشية اي التغطية بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة
والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على رأي سيبويه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة
معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان بدوام مضمونها فان ما يدرك بالقوة الباصرة
من الآيات المنصوبة في الآفاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم عن ذلك ايضا كذلك
واما الآيات التي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليها حينا فحينا اوثر في بيان
الختم عليها وعلى ما هي احدى طرفي معرفته اعني القلب الجملة الفعلية وعلى رأي الاخفش
مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب اي وجعل
على ابصارهم غشاوة وقيل على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم على
ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر
مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع ولهم عذاب
عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه في الآخرة والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول
اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك
سمي نقاخا فانه ينقخ العطش ويكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ويكسره ثم اتسع فيه
فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن عقابا يراد به ردع الجاني عن المعاودة وقيل
اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض
الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون العظيم فوق

الكبير

الكبير ويستعملان في الجثث والاحداث تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او قدر
ه ووصف العذاب به لتأكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة
في ذلك والمعنى ان على ابصارهم ضربا من الغشاوة وخارجا مما يتعارفه الناس وهو
غشاوة التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك
غايته اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم الراحمين ومن الناس شروع
في بيان ان بعض من حكيت احوالهم السالفة ليسوا المقصرين على ما ذكر من محض
الاصرار على الكفر والعناد بل يضمون اليه فنونا اخر من الشر والعناد وتقرير لحالهم
الشنيعة المستتبعة لأحوال حالية عاجلة وآجلة واصل ناس اناس كما يشهد له انسان
واناسي وانس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وعوض عنها حرف التعريف
ولذلك لا يكاد يجمع بينهما واما في قوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا فشاذ
سموا بذلك لظهورهم وتعلق الايناس بهم كما سمي الجن جنا لاجتنانهم وذهب بعضهم الى ان
اصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وذهب بعضهم
الى انه مأخوذ من نسي نقلت لامه الى موضع العين فصار نيسا ثم قلبت الفا سموا بذلك
لنسيانهم ويروى عن ابن عباس انه قال سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي واللام
فيه اما للعهد او للجنس المقصور على المصرين حسبما ذكر في الموصول كانه قيل ومنهم او ومن
اولئك والعدول الى الناس للايذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع
على انه مبتدأ باعتبار مضمونه ونعت لمقدر هو المبتدأ كما في قوله عز وجل وما دون
ذلك اي وجمع منا الخ ومن في قوله تعالى من يقول موصولة او موصوفة ومحلها الرفع
على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي يقول كقوله تعالى ومنهم
من يقول يؤذون النبي او فريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال الخ على ان
يكون مناط الافادة والمقصود بالاصالة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة وما يتعلق
به من الصفات جميعا لا كونهم اي كون بعض الناس او كون بعض من الناس [illegible]
لا كونهم ذوات اولئك المذكورين واما جعل الظرف خبرا كما هو الشائع في موارد الاستعمال
فيأباه جزالة المعنى لا لان كونهم من الناس ظاهر فالاخبار به عار عن الفائدة كما قيل
فان مبناه توهم كون المراد بالناس الجنس مطلقا وكذا مدار الجواب عنه بان الفائدة هو
التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي الانسانية فحق من يتصف بها ان لا يعلم كونه من الناس
فيجزيه ويتعجب منه وانت خبير بان الناس عبارة عن المعهودين او عن الجنس المقصور على
المصرين واياما كان فالفائدة ظاهرة بل لان الخبرية الظرف تستدعي ان يكون اتصاف
هؤلاء بتلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلث عشرة آية عنوانا للموضوع مفروغا عنه
غير مقصود بالذات ويكون مناط الافادة كونهم من اولئك المذكورين ولا يذهب لاحد فيه انه
يجب حمل النظم الجليل على اجزل المعاني واكملها وتوحيد الضمير في يقول باعتبار لفظه

من وجهه في قوله تعالى **آمنا بالله وباليوم الآخر** وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار اذ لا حد وراءه وتخصيصهم للايمان بهما بالذكر مع تكرير الباء لادعاء انهم قد حازوا الايمان من قطريه واحاطوا به من طرفيه وانهم قد آمنوا بكل منهما على الاصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقايد الفاسدة حيث لم يكن ايمانهم بواحد منهما ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين لليوم الآخر بقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم وعوارتهم فان ما قالوا لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولونه تمويها على المسلمين واستهزاء بهم **وما هم بمؤمنين** رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه وما حجازية فان جواز دخول الباء في خبرها للتاكيد النفي اتفاقا خلاف التميمية وايثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بافادة انتفاء الايمان عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما يفيده الفعلية ولا يتوهم ان الجملة الاسمية تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها تفيد الدلالة على نفي الدوام فانها بمعونة المقام تدل على دوام النفي قطعا كما ان المضارع الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود وعند دخول حرف الامتناع عليه يدل على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما في قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضا الاجل لاستمرار عدم التعجيل واطلاق الايمان عما قيدوه به للايذان بانهم ليسوا من جنس الايمان في شيء اصلا فضلا عن الايمان بما ذكروا وقد يجوز ان يكون المراد بذلك ويكون الاطلاق للظهور ومدلول الآية الكريمة ان من اظهر الايمان واعتقاده بخلافه لا يكون مؤمنا فلا حجة فيها على الكرامية القائلين بان من تفوه بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه وينافيه مؤمن **يخادعون الله والذين آمنوا** بيان لقول وتوضيح لما هو غرضهم مما يقولون او استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل ما لهم يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ أي يخدعون وقد قري كذلك وايثار صيغة المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكمية كما في الممارسة والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع والخداع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريده من المكروه ليوقعه فيه من حيث لا يحتسب او يوهمه المساعدة على ما يريد هو به ليغتر بذلك فينجو منه بسهولة من قولهم ضب خادع وخدع وهو الذي اذا امر الحارش يده على باب حجرة يوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى المنابذين وان يدفعوا عن انفسهم ما يصيب سائر الكفرة واياما كان فنسبته الى الله سبحانه اما على طريقة الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم

اي يعاملون معاملة المخادعين واما على طريقة المجاز العقلي بان ينسب اليه تعالى ما حقه ان ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم ابانة لمكانته عنده تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله مع افادة كمال الشناعة كما مر واما لمجرد التوطية والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين آمنوا والايذان بقوة اختصاصهم به تعالى كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله وابقا صيغة المخادعة على معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كانه قيل يزعمون انهم يخادعون الله والله يخدعهم او على جعلها استعارة تبعية او تمثيلا لما ان صورة صنيعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنعه تعالى معهم باجرا احكام الاسلام عليهم وهم عنده اخبث الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول عليه السلام والمؤمنين بامر الله تعالى في ذلك مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السليم اما الاول فلان المنافقين لو اعتقدوا ان الله تعالى يخدعهم بمقابلة خدعهم له لم يتصور منهم التصدي للخدع واما الثاني فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة وبيان ان غائلتها آيلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز قائلا **وما يخدعون الا انفسهم** فالتعرض لحال الجانب الآخر مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون اي يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يغرونها بالاكاذيب فيلقونها في مهاوي الردى وقري وما يخادعون والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل قال وما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها لا يحيق الا بهم او ما يخادعون حقيقة الا انفسهم حيث يمنونها الاباطيل وهي ايضا تغرهم وتمنيهم الاماني الفارغة وقري وما يخدعون من التخديع وما يخدعون اي يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته وقد يقال للروح لان نفس الحي به وللقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لان قوامها به وللماء ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد ههنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى **وما يشعرون** حال من ضمير ما يخدعون اي يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي ما يحسون بذلك لتماديهم في الغواية وحذف المفعول اما لظهوره او لعمومه اي ما يشعرون بشيء اصلا لا بحلول ووبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس يختل المشاعر **في قلوبهم مرض** المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به

ويوجب الخلل في افاعيله ويؤدي الى الموت استعير ههنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيده
وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من فنون الكفر المؤدي الى الهلاك الروحاني
والتنكير للدلالة على كونه نوعا مبهما غير ما يتعارفه الناس من الامراض والجملة مقررة لما يفيده
قوله تعالى وما هم بمؤمنين من استمرار عدم ايمانهم او تعليل له كانه قيل ما لهم لا يؤمنون
فقيل في قلوبهم مرض يمنعه فزادهم الله مرضا بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر
فيها التذكير والانذار والجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة على ترتب مضمونها عليه
وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم مع زيادة بيان السبب وقيل زادهم كفرا بزيادة
التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما ازداد التكاليف بنزول الوحي يزدادون كفرا ويجوز
ان يكون المرض مستعارا لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور عند مشاهدتهم لعزة
المسلمين فزيادته تعالى اياهم مرضا ما حل بهم من القاء الروع وقذف الرعب في قلوبهم
عند اعزاز الدين بامداد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة وتأييده بفنون النصر
والتمكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض الخ استئناف تعليلي لقوله تعالى يخادعون الله كانه
قيل ما لهم يخادعون ويداهنون ولم لا يجاهرون بما في قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم
ضعف مضاعف هذه حالهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم أي مؤلم يقال ألم فهو
أليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كما في قوله تعالى تحية بينهم ضرب
وجيع على طريقة جد جده فان الالم والوجع حقيقة للمؤلم والمضروب كما ان الجد للجاد وقيل
هو بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما يجيء في قوله تعالى بديع السموات
والارض بما كانوا يكذبون الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون
وكلمة كانوا يكذبون مقحمة لافادة دوام كونهم وتجدده اي بسبب كذبهم او بمقابلة كذبهم المتجدد
المستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم الاخر غير مؤمنين فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما
مضى لا انشاء للايمان ولو سلم فهو متضمن للاخبار بصدوره عنهم وليس كذلك لعدم التصديق
القلبي بمعنى الاذعان والقبول قطعا ويجوز ان يكون نحوا لا على الظاهر بناء على رأي من يجوز
أن يكون لمكان الناقصة مصدر كما صرح به في قول الشاعر • ببذل وحلم ساد في قومه الفتى
وكونك اياه عليك يسير • اي لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب
العذاب عليه من بين سائر موجباته القوية اما لان المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين
بناء على ظهور شركتهم للمجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم حسب اشتراكهم فيما يوجبه من
الاصرار على الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن الناس الخ واما للايذان بان لهم بمقابلة سائر
جناياتهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف واما للرمز الى كمال سماجة الكذب نظرا الى ظاهر
العبارة المخيلة لانفراده بالسببية مع احاطة علم السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى
وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق رضي الله عنه وروي
مرفوعا ايضا الى النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والكذب فانه مجانب الايمان وما روي ان ابراهيم

عليه السلام

عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمي به لشبهه به صورة وقيل
ما موصولة والعائد محذوف اي بالذي يكذبونه على ان العائد والمفعول محذوف وهو اما
النبي صلى الله عليه وسلم او القران وما مصدرية اي بسبب تكذيبهم اياه عليه السلام او القران
او موصولة اي بالذي يكذبونه على ان العائد محذوف ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة
كما في بين في بان وقلص في قلص او للتكثير كما في موتت البهائم وبركت الابل وان يكون من قولهم
كذب الوحشي اي جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه فان المنافق متوقف في امره متردد في رأيه
ولذلك قيل له مذبذب واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض شروع في تعديد بعض من
قبائحهم المتفرعة على ما حكي عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف زمان مستقبل يلزمه معنى الشرط
غالبا ولا يدخل الا في الامر المحقق او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل ومعناها الانهاء والتبليغ
والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور •
والفساد خروج الشيء عن الحالة اللائقة به والصلاح مقابله والفساد في الارض هيج
الحروب والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش والمراد
بما نهوا عنه ما يؤدي الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليهم وغير ذلك
من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار اذا اقدم على
ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محل له من الاعراب
ولا بأس بتخلل البيان او الاستئناف وما يتعلق بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس بتوسيط
بالاجنبي وان جعلت موصوفة فمحله الرفع والمعنى ومن الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين
عما هم عليه من الفساد في الارض قالوا اراءة للناهين ان ذلك غير صادر عنهم مع ان مقصودهم
الاصلي انكار كون ذلك افسادا وادعاء كونه اصلاحا محضا كما سيأتي توضيحه انما نحن
مصلحون اي مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة الافساد والفساد
مشيرين بكلمة انما الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه من اما الكلام •
مستانف سيق لتقرير شنايعهم واما عطفه على يكذبون بمعنى ولهم عذاب اليم بكذبهم
وبقولهم حين نهوا عن الفساد انما نحن مصلحون كما قيل فيأباه ان هذا النحو من التعليل حقه
ان يكون باوصاف ظاهرة العلية مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف
بها عند السامع او لسبق ذكره صريحا كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة
عما حكي عنهم من قولهم آمنا بالله وباليوم الاخر او لذكر ما يستلزمه استلزاما ظاهرا كما
في قوله تعالى ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فان
ما ذكر من الضلال عن سبيل الله مما يوجب حتما نسيان جانب الاخرة التي من جملتها يوم الحساب
وما لم يكن كذلك فحقه ان يخبر بعليته قصدا كما في قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا
النار الاية وقوله تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الاية الى غير ذلك ولا ريب في
ان هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين المعطوفتين عليها ليس مضمون شيء منها معلوم

الانتساب اليهم عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة حتى يستحق الانتظام في سلك التعليل
المذكور فاذا حقها ان تكون مسوقة على سبيل تعديد قبائحهم على احد الوجهين مفيدة لاتصافهم
بكل واحد من تلك الاوصاف قصدا واستقلالا كيف لا وقوله عز وجل الا انهم هم المفسدون
ينادي بذلك نداء جليا فانه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ رد وادله على سخط عظيم
حيث سلك فيه مسلك الاستئناف المؤدي الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة
بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان الهمزة الانكارية الداخلة على النفي تفيد تحقيق
الاثبات قطعا كما في قوله تعالى اليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد يقع ما بعدها من
الجملة الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها التي هي اما من طلائع القسم وقيل هما حرفان
بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح وان المقررة للنسبة وعرف الخبر ووسط ضمير
الفصل لرد ما في قصر انفسهم على الاصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى
ولكن لا يشعرون للايذان بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى
يدركوه وهذا الكلام في الشرطيتين الآتيتين وما بعدهما من رد مضمونهما ولولا ان المراد
تفصيل جناياتهم وتعديد خباياهم وهناتهم ثم اظهار فسادها وابانة بطلانها لما فتح
هذا الباب والله اعلم بالصواب واذا قيل لهم من قبل المؤمنين بطريق الامر بالمعروف اثر
نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد آمنوا حذف المؤمن به لظهوره او اريد
افعلوا الايمان كما آمن الناس الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف
اي آمنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية او كافة كما في ربما فانها تكف الحرف عن العمل وتصحح
دخولها على الجملة ويكون للتشبيه بين مضموني الجملتين اي حققوا ايمانكم كما تحققوا ايمانهم واللام
للجنس والمراد بالناس الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل
في مسماه يستعمل فيما يكون جامعا للمعاني الخاصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك
فيقال هو ليس بانسان وقد جمعهما من قال اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد
به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه والمعنى
آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم قالوا مقابلين للامر
بالمعروف بالانكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد اوصافهم الحسان كما آمن
السفهاء مشيرين باللام الى من اشير اليهم في الناس من الكاملين او المعهودين او الى الجنس
باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة راي يورثهما قصور
العقل ويقابله الحلم والاناة وانما نسبوهم اليه مع انهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة
والوقار لكمال انهماكهم في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين لهم سوء
عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمي الهدى لا محالة ضلالا او لتحقير شانهم فان كثيرا
من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم
على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله واياما كان فالذي يقتضيه جزالة التنزيل

ويستدعيه

ويستدعيه فخامة شانه الجليل ان يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر من المؤمنين الناصحين
لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه اولئك المشاهير الاعلام والقدح في
ايمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق والسياق
وعن هذا قالوا ينبغي ان يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المؤمنين قال الامام الواحدي
انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله تعالى نبيه
والمؤمنين بذلك عنهم وانت خبير بان ابراز ما صدر عن احد المتحاورين في الخلاء
في معرض ما جرى بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد به في الكلام فضلا عما هو في منصب
الاعجاز فالحق الذي لا محيد عنه ان قولهم هذا وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي
كونهم مجاهرين فانه ضرب من الكفر انيق وفن في النفاق عريق مصنوع على شاكلة قولهم
اسمع غير مسمع فكما انه كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع
كلاما ترضاه ونحوه وللخير بان يحمل على معنى اسمع غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به رسول
الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم
المعنى الاول مطمئنون به ولذلك نهي عنه كذلك هذا الكلام محتمل للشر كما ذكر في تفسيره
وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق على معنى
انؤمن كما آمن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو آمنوا ولا نؤمن كايمان الناس
حتى تامرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرائين لارادة المعنى الاخير وهم
معولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز قائلا الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون
ردا ابلغ رد وجهلوا اشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي التاكيد حسبما اشير اليه فيما
سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغة الى حيث لا يدرون انهم سفهاء وعن هذا
اتضح لك سر ما مر في قوله تعالى انما نحن مصلحون فان حمله على المعنى الاخير كما هو راي
الجمهور مناف لحالهم ضرورة ان مشافهتهم للناصحين بادعاء كون ما نهوا عنه من الافساد
اصلاحا كما مر اظهار منهم للشقاق وبروز بتحاصيهم من نفق النفاق واعتذار بان المراد
بما نهوا عنه مداراتهم للمشركين كما ذكر في بعض التفاسير وبالاصلاح الذي يدعونه
اصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وان معنى قوله تعالى الا انهم هم المفسدون انهم في تلك
الحالة والمعاملة مفسدون لمصالح المؤمنين لاشعارها باعطاء الدنية وانبائها عن ضعفهم
الملجئ الى توسيط من يتصدى لاصلاح ذات البين فضلا عن كونهم مصلحين مما لا سبيل اليه
قطعا فان قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وانه يقتضي ان يكون
المنافقون في تلك الدعوى صادقين قاصدين للاصلاح ويأتيهم الافساد من حيث لا يشعرون
ولا ريب في انهم فيها كاذبون لا عاثرون وبهم الاضرار للدين وخيانة للمؤمنين فاذا طريق حل
الاشكال ليس الا ما اشير اليه فان قولهم انما نحن مصلحون محتمل للحمل على الكذب وانكار
صدور الافساد المنسوب اليهم عنهم على معنى انما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما تنهوننا عنه

من الإفساد وقد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم وإراءة لإرادة هذا المعنى وهم مفرحون على
المعنى الأول فرد عليهم بقوله تعالى ألا إنهم هم المفسدون الآية والله سبحانه وتعالى أعلم
بما أودعه في تضاعيف كتابه المكنون من السر المخزون نسأله العصمة والتوفيق والهداية
إلى سواء الطريق وتفصيل هذه الآية الكريمة بلا يعلمون لما أنه أكثر طباقا لذكر السفه
الذي هو فن من فنون الجهل ولأن الوقوف على أن المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل
منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى إلا بالنظر والاستدلال وأما النفاق
وما فيه من الفتنة والإفساد وما يترتب عليه من كون من يتصف به مفسدا فأمر بديهي
يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الآية الكريمة السابقة بلا يشعرون وإذا لقوا
الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لتباين أحوالهم وتناقض أقوالهم في أثناء المعاملة والمخاطبة
حسب تباين المخاطبين وسياق ما صدرت به قصتهم لتحرير مذهبهم والترجمة عن
نفاقهم ولذلك لم يتعرض هاهنا لمتعلق الإيمان فليس فيه شائبة التكرير روي أن عبد الله
بن أبي وأصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فقال
ابن أبي انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم أخذ بيد أبي بكر رضي الله تعالى عنه
فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الإسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل
نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا
بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد
بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل قال له علي رضي الله عنه يا عبد الله
اتق الله ولا تنافق فإن المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له مهلا يا أبا الحسن ألي تقول هذا
والله إيماننا كإيمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن أبي لأصحابه كيف رأيتموني
فعلت فإذا رأيتموهم فافعلوا مثل ما فعلت فأثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت
فينا فرجع المسلمون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك فنزلت واللقاء المصادفة
يقال لقيته ولاقيته أي صادفته واستقبلته وقرئ إذا لاقوا وإذا خلوا من خلوت بفلان
أي انفردت معه وقد يستعمل بالباء أو من خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخالية وقولهم خلاك
ذم جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه من خلوت به إذا سخرت منه على أن تعديته بإلى في
قوله تعالى إلى شياطينهم لتضمنه معنى الإنهاء أي وإذا أنهوا إليهم السخرية الخ والتخيير بأن
تقييد توهم الحكي بذلك الإنهاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم المماثلون منهم للشيطان
في التمرد والعناد المظهرون لكفرهم وإضافتهم إليهم للمشاركة في الكفر أو كبار المنافقين والقائلون
صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان تارة أصلية فوزنه فيعال على أنه من شطن إذا بعد
فإنه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن وأخرى زائدة فوزنه فعلان على أنه من
شاط أي هلك أو بطل ومن أسمائه الباطل وقيل معناه هاج واحترق قالوا إنا معكم أي في الدين

والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الأحوال وإنما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لأن مدعاهم
عندهم تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتأكيد للإنباء عن صدق رغبتهم ووفور
نشاطهم لا لإنكار الشياطين بخلاف معاملتهم مع المؤمنين فإنهم إنما يدعون عندهم
إحداث الإيمان لجزمهم بعدم رواج ادعاء الكمال فيه والثبات عليه إنما نحن في إظهار
الإيمان مستهزئون بهم من غير أن يخطر ببالنا الإيمان حقيقة وهو استئناف مبني على سؤال
ناشئ من ادعاء المعية كأنه قيل لهم عند قولهم إنا معكم فما بالكم توافقون المؤمنين في الإتيان
بكلمة الإيمان فقالوا إنما نحن مستهزئون بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد ضمنوا
جوابهم أنهم يهينون المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم أو تأكيد لما قبله فإن المستهزئ
بالشيء والمصر على خلافه أو بدل منه لأن من حقر الإسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشيء السخرية
منه يقال هزأت واستهزأت بمعنى وأصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على
مكانه وتهزأ به ناقته أي تسرع به وتخف الله يستهزئ بهم أي يجازيهم على استهزائهم سمي
جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة إما للمشاكلة في اللفظ أو للمقاربة في الوجود أو
يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم أو ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو
لازم الاستهزاء أو يعاملهم معاملة المستهزئ بهم أما في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم
واستدراجهم بالإمهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان وأما في الآخرة فبما
يروى أنه يفتح لهم باب الجنة فيسرعون نحوه فإذا صاروا إليه سد عليهم الباب وذلك
قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وإنما استؤنف للإيذان بأنهم قد بلغوا
في المبالغة في استهزاء المؤمنين إلى غاية ظهرت شناعته عند السامعين وتعاظم ذلك عليهم
حتى اضطرهم إلى أن يقولوا ما مصير هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه أنه تعالى هو الذي يتولى
أمرهم ولا يحوجهم إلى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذي ليس استهزاؤهم
حيث ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف وإيثار صيغة الاستقبال للدلالة
على التجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله تعالى عز قائلا أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة
أو مرتين وما كانوا خالين في أكثر الأوقات من تهتك أستار وتكشف أسرار ونزول في شأنهم
واستشعار حذر من ذلك كما أنبأ عنه قوله عز وجل يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة
تنبئهم بما في قلوبهم الآية ويمدهم أي يزيدهم ويقويهم من مد الجيش وأمده إذا زاده وقواه ومنه
مددت الدواة والسراج إذا أصلحتهما بالحبر والزيت وإسناده على زيدهم للذم إلى [illegible]
بنوا اختيارهم لما أنه يحقق عند الاستمداد وما يجري مجراه من الحاجة الداعية إليه كما في الآية
المذكورة وقرئ يمدهم من الإمداد وهو صريح في أن القراءة المشهورة ليست من المد في العمر فإنه
يستعمل باللام كالإملاء قال تعالى ونمد له من العذاب مدا وحذف الجار وإيصال الفعل إلى الضمير
خلاف الأصل لا يصار إليه إلا بدليل في طغيانهم متعلق بيمدهم والطغيان مجاوزة الحد
في كل أمر والمراد إفراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وقرئ بكسر الطاء وهي لغة كلقيان لغة

في الطغيان وفي اضافته اليهم ايذان باختصاصهم وتأييد لما اشير اليه من ترتيب المد على سوء
اختيارهم **يعمهون** حال من الضمير المنصوب او المجرور لكن المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه
في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري اين يتوجه واسناد هذا المد
الى الله تعالى مع اسناده في قوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي محقق لقاعدة اهل الحق من
ان جميع الاشياء مستندة من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى وان كانت افعال العباد من حيث
الكسب مستندة اليهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء النظم الكريم على مسلكهم نكبوا الى شعاب
التاويل فاجابوا اولا بانهم لما اصروا على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم الطافه فتزايد الرين
في قلوبهم فسمي ذلك مددا في ... فاسند ايلاؤه اليه تعالى ففي المسند مجاز لغوي وفي الاسناد
عقلي لانه اسناد للفعل الى المسبب له وفاعله الحقيقي هم الكفرة وثانيا بانه اريد بالمد في الطغيان
ترك القسر والالجاء الى الايمان كما في قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون فالمجاز في المسند
فقط وثالثا بان المراد به معناه الحقيقي وهو فعل الشيطان لكنه اسند اليه سبحانه مجازا لا
بتمكينه تعالى واقداره **اولئك** اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات
الشنيعة المميزة لهم عن عداهم اكمل تمييز بحيث صاروا كانهم حضار مشاهدون على ما هم عليه
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال ومحله الرفع على الابتداء خبره
قوله تعالى **الذين اشتروا الضلالة بالهدى** والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان كمال
جنايتهم فيما حكي عنهم من الاقوال والافعال باظهار غاية سماجتها وتصويرها بصورة
ما لا يكاد يتعاطاه من له ادنى تمييز فضلا عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد والهدى
التوجه اليه وقد استعير الاول للعدول عن الصواب في الدين والثاني للاستقامة عليه
والاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذها به لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما
له فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب الذي هو المعتبر في عقد
البيع ثم استعير لاخذ شيء باعطاء ما في يده عينا كان كل منهما او معنى لا للاعراض عما في يده
محصلا به غيره كما قيل وان استلزمه لما مر سره ومنه قوله • اخذت بالجمة رأسا ازعرا •
وبالثنايا الواضحات الدردرا • وبالطويل العمر عمرا حيدرا • كما اشترى المسلم اذ تنصرا •
فاشتراء الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض
عنه لما اقتضى ذلك ان يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد وما يجري
مجرى المبيع غير حاصل لهم اذ ذاك حسبما هو في البيت ولا ريب انهم بمعزل من الهدى مستمرون
على الضلالة استدعى الحال تحقيق ما جرى مجرى الوصفين فنقول وبالله التوفيق ليس
المراد بما تعلق به الاشتراء ههنا جنس الضلالة الشاملة لجميع اصناف الكفرة حتى تكون
حاصلة لهم من قبل بل هو فردها الكامل الخاص بهؤلاء على ان اللام للعهد وهو عمههم المقرون
بالمد في الطغيان المترتب على ما حكي عنهم من القبائح وذلك انما يحصل لهم عند اليأس عن
اهتدائهم والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد بما في حيز الثمن نفس الهدى بل هو التمكن التام منه

بتعاضد

بتعاضد الاسباب وتاخذ المقدمات المستتبعة له بطريق الاستعارة كانه نفس الهدى
بجامع المشاركة في استتباع الجدوى ولا مرية في ان هذه المرتبة من التمكن كانت حاصلة لهم
بما شاهدوه من الآيات الباهرة • والمعجزات القاهرة • من جهة الرسول صلى الله عليه
وسلم وبما سمعوه من نصائح المؤمنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الفساد في الارض والامر
بالايمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم واخذوا بدلها الضلالة الهائلة التي هي العمه
في تيه الطغيان وحمل الهدى على الفطرة الاصلية الحاصلة لكل احد يأباه ان اضاعتها
مختصة بهؤلاء ولئن حملت على الاضاعة التامة الواصلة الى حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس
في اضاعتها فقط من الشناعة ما في اضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على
ان ذلك يفضي الى كون ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة الى هنا ضائعا وابعد منه حمل
اشتراء الضلالة بالهدى على مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه يستعمل
اتساعا في ايثار احد الشيئين الكائنين في شرف الوقوع في الاخذ فانه مع خلوه عن المزايا
المذكورة بالمرة مخل برونق الترشيح الآتي هذا على تقدير جعل الاشتراء المذكور عبارة عن
معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بتجاوب اطراف النظم الكريم واما اذا جعل ترجمة
عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة صحة نبوة النبي صلى الله
عليه وسلم وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه في التورية من نعوته عليه السلام وقد كانوا على
يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر
الزمان نجد نعته في التورية ويقولون لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا •
فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سيأتي ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا
يظهرونه عند لقاء المؤمنين فانها ضلالة مضاعفة **فما ربحت تجارتهم** عطف على الصلة •
داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة صناعة التجار وهو التصدي
للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على رأس المال يقال ربح فلان في تجارته اي استشف
فيها واصاب الربح واسناد عدمه الذي هو عبارة عن الخسران اليها وهو لاربابها بناء على
التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة في تخسيرهم لما فيه من الاشعار
بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته الى ما يلابسهم وايرادهما اثر الاشتراء المستعار للاستبدال
المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى بصورة خسار التجارة الذي
يتحاشى عنه كل احد للاشباع في التخسير والتحسير ولا ينافي ذلك ان التجارة في نفسها استعارة
لانهماكهم فيما هم عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون ذلك صناعة
راسخة اذ ليس من ضرورات الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد
به الا تقويتها كما في قولك رأيت اسدا وافي البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير للشجاع
وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ البراثن معنى آخر بل قد يكون مستعارا من ملائم المستعار
منه لملائم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قوله

فلما رأيت النسر عز ابن داية • وعشش في وكريه جاش له صدري

فان لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطاير للتفريخ بالرأس في اللحية او للعوذين اعني جانبي الرأس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية للشعر الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول المستمرين ترشيح لتلك الاستعارتين باعتبار المذكور وفي تجاراتهم وتعددها لتعدد المضاف اليهم **وما كانوا مهتدين** اي الى طرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا فهؤلاء الذين كانوا رأس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا كلتا الطلبتين فبقوا خائبين خاسرين نائين عن طريق التجارة بالف منزل فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة له في الترتب على الاشتراء المذكور والاولى على اشتروا الخ **مثلهم** الخ زيادة كشف لحالهم وتصوير لها غب تصويرها بصورة ما يؤدي الى الخسار بحسب المآل بصورة ما يفضي الى الخسار من حيث النفس تهويلا لها وابانة لفظاعتها فان التمثيل الطف ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجامح الابي كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وابراز لها في معرض المحسوسات الجلية وابداء للمنكر في صورة المعروف واظهار للوحشي في هيئة المألوف والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم اطلق على القول المألوف السائر الذي يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك الا قولا بديعا فيه غرابة صيرته جديرا بالتسيير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال او صفة او قصة لها شان عجيب وخطير غريب من غير ان يلاحظ بينها وبين شيء آخر تشبيه ومنه قوله عز وجل ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي قصتها العجيبة الشان **كمثل الذي** اي الذي كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا خلا انه وحد الضمير في قوله تعالى **استوقد نارا** نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القايم مقام القائمين لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه بل انما هو وصلة لوصف المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل هو كجزئه فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شان اخواته وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة او قصد به جنس المستوقد والنار جوهر لطيف مضي حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا واستيقادها طلب وقودها اي سطوعها وارتفاع لهبها وتنكيرها للتفخيم **فلما اضاءت ما حوله** الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وتجي متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها على

الاستيقاد اي فلما اضاءت النار ما حول المستوقد او فلما اضاء ما حوله والتانيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت النار نفسها فيما حوله على ان ذلك ظرف لاشراق النار المنزل منزلة لازمها لا لنفسها او ما مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور **ذهب الله بنورهم** النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير للذي والجمع باعتبار المعنى اي اطفأ الله نورهم التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار لانه المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم يقل فلما شب ضرامها ونحو ذلك وهو جواب لما او استيناف اجيب به عن سؤال سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم حال مستوقد انطفأت ناره او بدل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز والامن من الالباس كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين متحيرين خائبين بعد الكدح في احيائها واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلقه تعالى او لان الانطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر واما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله عز وجل فامسكه فلا مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** فان الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا بعد ان لا يبقى من النور عين ولا اثر واما لان المراد بالنار ما لا يرضى به الله تعالى من النار المجازية التي هي نار الفتنة والفساد كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله ووصفها باضاءة ما حول المستوقد من باب الترشيح او النار الحقيقية التي يوقدها الغواة ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث والفساد فاطفأها الله تعالى وخيب آمالهم وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى التصيير فجرى مجرى افعال القلوب قال فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنعه من الروية وقرئ في ظلمات بسكون اللام وفي ظلمة بالتوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كان الفعل غير متعد والمعنى ان حالهم العجيبة التي هي اشتراؤهم الضلالة التي هي عبارة عن ظلمتي الكفر والنفاق المستتبعين لظلمة سخط الله تعالى وظلمة يوم القيامة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السرمدي بالهدى الذي هو النور الفطري المؤيد بما شاهدوه من دلائل الحق او الهدى الذي كانوا حصلوه من التورية حسبما ذكر كحال من استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفأها الله تعالى وتركه في ظلمات هائلة لا يتسنى فيها الابصار **صم بكم عمي** اخبار لمبتدأ محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتاويل المشهور كما في قولهم

هذا حلو حامض والصمم آفة مانعة من السماع وأصله الصلابة واكتناز الأجزاء ومنه الحجر الأصم
والقناة الصماء وصمام القارورة سدادها سمي به فقدان حاسة السمع لما أن سببه اكتناز باطن
الصماخ واشتداده بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس والعمى
عدم البصر عما من شأنه أن يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما أنهم حيث
سدوا أسماعهم عن الإصاخة لما يتلى عليهم من الآيات والذكر الحكيم وأبوا أن يتلقوها بالقبول
وينطقوا بها ألسنتهم ولم يجتلوا ما شاهدوا من المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولم ينظروا إلى آيات التوحيد المنصوبة في الآفاق والأنفس بعين التدبر والاعتبار
على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه صاروا كفاقدي تلك المشاعر بالكلية وهذا
عند مفلقي سحرة البيان من باب التمثيل البليغ المؤسس على تناسي التشبيه كما في قول من قال
ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة في السماء لما أن المقدر في النظم في حكم الملفوظ لا من
قبيل الاستعارة التي يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية حتى لو لم يكن هناك قرينة لحمل على المعنى
الحقيقي كما في قول زهير لدى أسد شاكي السلاح مقذف له لبد أظفاره لم تقلم
فهم لا يرجعون الفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها أي هم بسبب اتصافهم
بالصفات المذكورة لا يعودون إلى الهدى الذي تركوه وضيعوه أو عن الضلالة التي أخذوها
والآية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فإن قصارى أمر التمثيل بقاؤهم في ظلمات
هائلة من غير تعرض لمشعري السمع والنطق والإخلال بمشعر الإبصار وقيل الضمير المقدر بعد ما
للموصول باعتبار المعنى كالضمائر المتقدمة فالآية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميل له بأن ما أصابهم
ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم في ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت
مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه أو الحقيقة فبقوا جامدين في مكانهم
لا يرجعون ولا يدرون أيتقدمون أم يتأخرون وكيف يرجعون إلى ما ابتدأوا منه والعدول
إلى الجملة الاسمية للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرئ صما بكما عميا إما على الذم كما في قوله
تعالى حمالة الحطب والمخصوص بالذم هم المنافقون أو المستوقدون وإما على الحالية من الضمير
المنصوب في تركهم والمرفوع في لا يبصرون وإما على المفعولية لتركهم فالضمير أن للمستوقدين
أو كصيب تمثيل لحالهم إثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفى حقها من التفظيع والتهويل
فإن تفننهم في فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال إلى حال حقيق بأن يضرب في شأنه الأمثال
ويرخى في حلبته أعنة المقال ويمد لشرحه أطناب الإطناب ويعقد لأجله فصول وأبواب
لما أن كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة لا بد أن يوفى فيه حق كل من مقامي الإطناب
والإيجاز فما ظنك بما في ذروة الإعجاز من التنزيل الجليل ولقد نعى عليهم في هذا التمثيل تفاصيل
جناياتهم وهو عطف على الأول على حذف المضاف لما سيأتي من الضمائر المستدعية لذلك أي كمثل ذوي
صيب وكلمة أو للإيذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل
واحدة منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذي له وقع وتأثير يطلق على المطر

وعلى السحاب قال الشماخ: عفا آية نسج الجنوب مع الصبا * وأسحم دان صادق الرعد صيب ولعل
الأول هو المراد ههنا لاستلزامه الثاني وتنكيره لما أنه أريد به نوع منه شديد هائل كالنار
في التمثيل الأول وأمد به ما فيه من المبالغات من جهة مادته الأولى التي هي الصاد المستعلية
والياء المشددة والباء الشديدة ومادته الثانية أعني الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب
ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرئ أو كصائب **من السماء** متعلق بصيب أو بمحذوف
وقع صفة له والمراد بالسماء هذه المظلة وهي في الأصل كل ما علاك من سقف ونحوه وعن
الحسن أنها موج مكفوف أي ممنوع بقدرة الله تعالى من السيلان وتعريفها للإيذان
بأن انبعاث الصيب ليس من أفق واحد فإن كل أفق من آفاقها أي كل ما يحيط به كل أفق منها
سماء على حدة قال: ومن بعد أرض بيننا وسماء * كما أن كل طبقة من طبقاتها سماء قال تعالى
وأوحى في كل سماء أمرها والمعنى أنه صيب عام نازل من غمام مطبق آخذ بالآفاق وقيل
المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف الماهية **فيه ظلمات** أي أنواع منها وهي ظلمة تكاثفه
وانتساجه بتتابع القطر وظلمة أظلال ما يلزمه من الغمام الأسحم المطبق الآخذ بالآفاق
مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع أن بعضها لغيره كظلمتي الغمام والليل لما أنهما جعلتا
من توابع ظلمته مبالغة في شدته وتهويلا لأمره وإيذانا بأنه من الشدة والهول
بحيث تعد ظلمته ظلمات الليل والغمام وهو السر في عدم جعل الظلمات هو الأصل
المستتبع للبواقي مع ظهور ظرفيتها للكل إذ لو قيل أو كظلمات فيها صيب الخ لما أفاد أن
للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبة على غيرها **ورعد** وهو صوت يسمع من السحاب
والمشهور أنه يحدث من اصطكاك أجرام السحاب بعضها ببعض أو من انقلاع بعضها عن بعض
عند اضطرابها بسوق الرياح إياه سوقا عنيفا **وبرق** وهو ما يلمع من السحاب بعضها ببعض
من برق الشيء بريقا أي لمع وكلاهما في الأصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما في الصيب
باعتبار كونهما في أعلاه ومصبه ووصول أثرهما إليه وكونهما في الظلمات الكائنة فيه
والتنوين في الكل للتفخيم والتهويل كأنه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف
وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط العمل بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة
إما صفة لصيب أو حال منه لتخصصه بالصفة أو بالعمل فيما بعده من الجار أو من المستكن في الظرف
الأول على تقدير كونه صفة لصيب والضمائر في قوله عز وجل **يجعلون أصابعهم في آذانهم**
للمضاف الذي أقيم مقامه المضاف إليه فإن معناه باق وإن حذف لفظه تعويلا على الدليل
كما في قوله تعالى وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون فإن الضمير للأهل المدلول
عليه بما قام مقامه من القرية قال حسان: يسقون من ورد البريص عليهم *
بردى يصفق بالرحيق السلسل * فإن تذكير الضمير المستكن في يصفق لرجوعه إلى الماء المضاف
إلى بردى وإيثار الجعل المنبئ عن دوام الملابسة واستمرار الاستقرار على الإدخال
المفيد لمجرد الانتقال من الخارج إلى الداخل للمبالغة في بيان سد المسامع باعتبار الزمان كما أن

اراد الاصابع بدل الانامل للاشباع في بيان سدها باعتبار الذات كانهم سدوها بجملتها
لا بانا ملها فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون هذا ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم
الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على الوجه المعتاد وكذا الحال في عدم تعيين الانملة
المعتادة اعني السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب والجملة استيناف لا محل لها من الاعراب
مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل عند بيان احوالهم الهائلة فماذا يصنعون في تضاعيف
تلك الشدة فقيل يجعلون الخ وقوله عز وجل من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل
الصواعق المقارنة للرعد من قولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل تنقض معها
شقة نار لا تمر بشي الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان يكون
صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الرواية او مصدر كالعافية
وقد تطلق على كل هائل مسموع او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق
او بشدة الصوت وسد الاذان انما يفيد على التقدير الثاني في دون الاول وقرئ من
الصواقع وليس ذلك بقلب من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك
وخطيب مصقع اي مجهر بخطبته حذر الموت منصوب بيجعلون على العلة وان كان
معرفة بالاضافة كقوله • واغفر عوراء الكريم ادخاره • واصفح عن شتم اللئيم تكرما •
ولا ضير في تعدد المفعول له فان الفعل يعلل بعلل شتى وقيل هو نصب على المصدر ربه
اي يحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف وقرئ حذار الموت
والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضاده لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان
الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين اي لا يفوتونه كما لا يفوت
المحاط به المحيط شبه شمول قدرته تعالى لهم وانطواء ملكوته عليهم باحاطة المحيط بما
احاط به في استحالة الفوت او شبه الهيئة المنتزعة من شؤونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة
من احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية في الصفة
متفرعة على ما في مصدرها من الاستعارة والمبنية على الثاني تمثيلية قد اقتصر من طرف المشبه
به على ما هو العمدة في انتزاع الهيئة بها اعني الاحاطة والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها
يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر تحريره في قوله عز وجل ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية
منبهة على ان ما صنعوا من سد الاذان بالاصابع لا يغني عنهم شيئا فان القدر لا يدافعه الحذر
والحيل لا ترد بأس الله عز وجل وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب
الايذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها
صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشي من السخط اشد وقيل
هذا الاعتراض من جملة الاحوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقين وقد دل به على انه لا مدفع
لهم من عذاب الله تعالى في الدنيا والاخرة وانما وسط بين احوال المشبه به مع ان القياس تقديمه
او تاخيره لاظهار كمال العناية وفرط الاهتمام بشان المشبه يكاد البرق استيناف آخر وقع

جوابا

جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل وكيف حالهم مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك يخطف ابصارهم
اي يختلسها ويستلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتاخذ
اسبابه وتعاضد مباديه لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها الا
مضارعا عاريا عن كلمة ان وشذ مجيئه اسما صريحا كما في قوله فابت الى فهم وما كدت آيبا •
وكذا مجيئه مع ان حملا لها على عسى كما في مثل قوله • رؤبة قد كاد من طول البلى ان يمصحا
كما تحمل هي عليه بالحذف لما بينهما من المقارنة في اصل المقارنة وليس فيها شائبة الانشائية
كما في عسى وقرئ يخطف بكسر الطاء ويختطف ويخطف بفتح الياء والخاء بنقل فتحة التاء الى الخاء
وادغامها في الطاء ويخطف بكسرها على اتباع الياء الخاء ويخطف من صيغة التفعيل ويتخطف
من قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم كلما ظرف وما مصدرية والزمان
محذوف اي كل وقت اضاءة لهم والعامل فيه كلما جوابها وهو استيناف ثالث كانه قيل
ما يفعلون في اثناء ذلك الهول يفعلون بابصارهم ما فعلوا باذانهم ام لا فقيل كلما نور البرق
لهم مشى وسلكا على ان اضاء متعد والمفعول محذوف او كلما لمع لهم على انه لازم ويؤيده قراءة
كلما ضاء مشوا فيه اي في ذلك المسلك او في مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف
ان يخطف ابصارهم وايثار المشي على ما فوقه من السعي والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم
لها واذا اظلم عليهم اي خفي البرق واستتر والمظلم وان كان غيره لكن لما كان الاظلام
وارنا على استتاره اسند اليه مجازا تحقيقا لما اريد من المبالغات في موجبات تخبطهم وقد
جوزان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ومنه ما جا في قول ابي تمام هما اظلما حالي ثمت اجليا
ظلاميهما عن وجه امرد اشيب ويعضده قراءة اظلم على البناء للمفعول قاموا اي وقفوا في
اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين لخفقة اخرى عسى يتسنى لهم الوصول
الى المقصد او الالتجاء الى ملجا يعصمهم وايراد كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام للايذان بانهم
حراص على المشي مترقبون لما يصححه فكلما وجدوا فرصة انتهزوها ولا كذلك الوقوف وفيه من
الدلالة على كمال التحير وتطاير اللب ما لا يوصف ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم كلمة لو
لتعليق حصول امر ماض هو الجزاء بحصول امر مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة
او ادعاء ومن قضية مفروضية الشرط دلالتها على انتفائه قطعا والمنازع فيه مكابر واما دلالتها
على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل والحق الذي لا محيد عنه انه ان كان ما بينهما من الدوران
كليا او جزئيا قد بني الحكم على اعتباره فهي دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعي لا محالة ضرورة
استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول اما في مادة الدوران الكلي كما في قوله تعالى ولو شاء
لهديكم اجمعين وقولك لو جئتني لاكرمتك فظاهر لان وجود المشية علة لوجود الهداية
حقيقة ووجود المجي علة لوجود الاكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم المفروضية فانتفى معلولهما
حتما ثم انه قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما في المثالين المذكورين
وهو استعمال شائع لكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع الثاني لامتناع الاول وقد يساق

رسم
تماما
وكم شلة خارقتها وهي تصفر

للاستدلال بانتفاء الثاني لكونه ظاهراً او مسلماً على انتفاء الاول لكونه خفياً او متنازعاً
فيه كما في قوله سبحانه وتعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي قوله تعالى لو كان
خيراً ما سبقونا اليه فان فسادهما لازم لتعدد الالهة حقيقة وعدم سبق المؤمنين
الى الايمان لخيريته في زعم الكفرة ولا ريب في انتفاء الازم لانتفاء الملزوم من حقيقة في
الاول وادعاء باطلا في الثاني ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق
السببية الخارجية كما في المثالين الاولين بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى
سببية العلم بانتفاء الثاني واما في مادة الدوران الجزئي كما في قولك لو طلعت الشمس
لوجد الضوء فلان الجزاء المنوط بالشرط الذي هو طلوعها ليس وجوداً اي ضوء كان كضوء
القمر الجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود الضوء الناشي من الطلوع ولا ريب
في انتفائه بانتفاء الطلوع هذا اذا بني الحكم على اعتبار الدوران واما اذا بني
على عدمه فاما ان يعتبر هناك تحقق مدار آخر له او لا فان اعتبر فالدلالة تابعة
لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين انتفاء الاول منافاة تعين الدلالة كما اذا
قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه في
الحقيقة معلق بسبب آخر له ضرورة ان عدم الطلوع مرة حيث هو هو ليس مدار الوجود
الضوء في الحقيقة وانما وضع موضع المدار لكونه كاشفاً عن تحقق مدار آخر وكانه قيل
لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء بسبب آخر كالقمر مثلا ولا شبهة في ان هذا الجزاء منتف
عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس وان لم يكن بينهما منافاة
تعين عدم الدلالة كما في قوله صلى الله عليه وسلم في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي
في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة فان المدار المعتبر في ضمن الشرط اعني
كونها ابنة اخيه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة غير مناف لانتفائه الذي هو كونها ربيبته
عليه السلام بل مجامع له ومن ضرورته مجامعة اثريهما اعني الحرمة الناشئة من كونها
ربيبته عليه السلام والحرمة الناشئة من كونها اخيه من الرضاعه وان لم يعتبر هناك
تحقق مدار آخر بل بني الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك اصلا كيف لا وسياق
الكلام لبيان ثبوت الجزاء على كل حال بتعليقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه
بالطريق الاولى كما في قوله عز وجل قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذاً لامسكتم وقوله
عليه السلام لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من فارس ويستدعي نقيضها بدا انا بالها
في نفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء اسبابها او تحقق اسباب انتفائها فكيف اذا لم
يكن كذلك على طريقة لو الوصلية في مثل قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار ولها تفاصيل وتفاريع جردناها في تفسير قوله تعالى او لو كان آباؤهم وقول عمر رضي
الله عنه نعم العبد صهيب ولو لم يخف الله لم يعصه ان حمل على تعلق عدم العصيان في ضمن
عدم الخوف بمدار آخر نحو الحياء والاجلال وغيرهما مما يجامع الخوف كان من قبيل حرمة

اسم

ابنة ابي سلمة وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة كان من هذا القبيل والاية الكريمة
واردة على استعمال الشايع مفيدة لكمال فظاعة حالهم وغاية هول ما دهمهم من الشاق
وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشيئة الله تعالى بازالة مشاعرهم لزالت
لتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كل كلمة لو فيه لربط جزائها بشرطها مجردة عن
الدلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الاخر بمنزلة كلمة ان ومفعول المشيئة محذوف
جرياً على القاعدة المستمرة فانها اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء فلا
يكاد يذكر الا ان يكون شيئاً مستغرباً كما في قوله ❁ فلو شئت ان ابكي دماً لبكيته عليه ولكن ساحة
الصبر اوسع ❁ اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لفعل ولكن لم يشأ لما تقتضيه
من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب باسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تعالى ولا ❁
تلقوا بايديكم الى التهلكة الاية والافراد في المشهور لان السمع مصدر في الاصل والجملة
الشرطية معطوفة على ما قبلها من الجمل الاستينافية وقيل على كلما اضاء الخ وقوله
عز وجل ان الله على كل شيء قدير تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته
تعالى على ازالة مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل
ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائناً ما كان على انه في الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول
واكتفي في ذلك باعتبار تعلق المشيئة به من حيث العلم والاخبار عنه فقط وقد خص
ههنا بالممكن موجوداً كان او معدوماً بقضية اختصاص تعلق القدرة به لما انها عبارة
عن التمكن من الايجاد والاعدام الخاصين به وقيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقادر
هو الذي ان شاء فعل وان شاء لم يفعل والقدير هو الفعال لكل ما يشاء كما يشاء ولذلك
لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال
وجوده انه ان شاء ابقاؤه على الوجود ابقاه عليه فان علة الوجود هي علة البقاء
وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان شاء اعدامه اعدمه ومعنى
قدرته على المعدوم حال عدمه انه ان شاء ايجاده اوجده وان لم يشأ لم يوجده
وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة
عن نفي العجز واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل بقدر ما تقتضيه ارادته
او بقدر قوته وفيه دليل على ان مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لانه شيء وكل
شيء مقدور له تعالى واعلم ان كل واحد من التمثيلين وان احتمل ان يكون من قبيل التمثيل
المفرق كما في قوله ❁ كان قلوب الطير رطبا ويابسا ❁ لدى وكرها العناب والحشف البالي ❁
بان يشبه المنافقون في التمثيل الاول بالمستوقدين وهداهم الفطري بالنار وتاييدهم
اياه بما شاهدوه من الدلائل باستيقادها وتمكنهم التام من الانتفاع بانضمامها حولهم
وازالته باذهاب النور الناري واخذ الضلالة بمقابلته بملابستهم الظلمات ❁
الكثيفة وبقائهم فيها ويشبهوا في التمثيل الثاني بالسابلة والقرآن وما فيه من العلوم

والمعارف التي هي مدار الحيوة الابدية بالصيب الذي هو سبب الحيوة الابدية وما عرض
لهم في نزوله من الغموم والاحزان وانكساف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد
بالرعد والبرق وتصامهم عما يقرع اسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرعد
والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه منها ولا خلاص له منها واهتزازهم لما يلمع
لهم وتحيرهم في امرهم حين عن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل
المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات الواقعة في احد الجانبين بواحد
من المفردات الواقعة في الجانب الاخر على وجه التفصيل بل ينتزع فيه من المفردات
الواقعة في جانب المشبه هيئة فتشبه بهيئة اخرى منتزعة من المفردات الواقعة
في الجانب المشبه به بان ينتزع من المنافقين واحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين هيئة
على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين واصحاب الصيب واحوالهم المحكية هيئة
بحيالها فتشبه كل واحد من الاوليين بما يضاهيها من الاخريين هو الذي يقتضيه جزالة
التنزيل ويستدعيه فخامة شانه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالا مع امر زايد
عليه اي التشبيه الهيئة بالهيئة وايذانه بان اجتماع تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة
حقيقة بان يكون مثلا في الغرابة يا ايها الناس اعبدوا ربكم اثر ما ذكر الله تعالى
علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شانه الى ثلاث فرق مؤمنة محافظة على
ما فيه من الشرايع والاحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهورها بالمجاهرة والشقاق واخرى
مذبذبة بينهما بالمخادعة والنفاق ونعت كل فرقة منهما بما لها من النعوت والاحوال
وبين ما لهم من المصير والمآل قبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم الى الاصغاء
وتوجيها لقلوبهم نحو التلقي وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب على نهج
الصواب فامرهم كافة بعبادته ونهاهم عن الاشراك به ويا حرف وضع لنداء البعيد
وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما اجلالا كما في قول الداعي يا الله
يا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصارا لنفسه واستبعادا لها من محافل
الزلفى ومنازل المقربين واما تنبيها على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على
ان ما يعقبه امر خطير يعتني بشانه واي اسم مبهم جعل وصلة الى نداء المعرف باللام
لا على انه المنادى اصالة بل على انه صفة موضحة مزيلة لابهامه والتزم رفعه مع
انتصاب موصوفه محلا اشعارا بانه المقصود بالنداء واقحمت بينهما كلمة التنبيه تاكيدا
لمعنى النداء وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه ولما ترى من استقلال هذه الطريقة
بضروب من اسباب المبالغة والتاكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما ورد
في تضاعيفه على العباد من الاحكام والشرايع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان تقشعر
منها الجلود وتطمئن بها القلوب الابية ويتلقوها باذان واعية واكثرهم عنها غافلون
فاقتضى الحال المبالغة والتاكيد في الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين

الموجودين

الموجودين في ذلك العصر لما ان الجموع واسماءها المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء
منها والتاكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين بعمومها شايعا ذايعا واما من عداهم من سيوجد منهم فغير
داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله عليه
وسلم ضرورة وان مقتضى خطابه واحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد
منهم الى قيام الساعة ولا يقدح في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري من ان
كل ما نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى
اختصاص حكمه باهلها ولا من قضية اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل اهلها حينئذ
كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين ورود هذا الامر لما ان المامور به القدر المشترك
الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع انها متكررة حسب تكرر اسبابها
ولا في انتفاء شرطها في الاخرين منهم اعني الايمان لان الامر بها منتظم للامر بما لا يتم الا به
وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فان امر المحدث بالصلوة مستتبع للامر بما لا يتم
بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم افعال القلب ايضا لانها عبارة عن غاية
التذلل والخضوع وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان كل ما ورد في القرآن من
العبادة فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا في كون بعض من
الفريقين الاخيرين ممن لا يجدي فيهم الانذار بموجب النص القاطع لما ان الامر لقطع الاعذار
وليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم من الايمان بعدم ايمانهم اصلا اذ لا قطع لاحد منهم
بدخوله في حكم النص قطعا وورود النص بذلك لكونهم في انفسهم بسوء اختيارهم كذلك
لا ان كونهم كذلك لورود النص بذلك فلا جبر اصلا ثم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه
لطيف ستقف عليه عند قوله تعالى وانتم لا تعلمون وايراده تعالى بعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد موجب الامر بالاشعار بعليتها للعبادة الذي خلقكم
صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح
بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما هو اعم من الرب الحقيقي والالهة التي
يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اي قدرها
وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف والذين من قبلكم عطف
على الضمير المنصوب ومتمم لما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات
العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل
خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق واقيم الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الامم
السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه
بالمشركين يؤدي الى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج الجملة مخرج الصلة
التي حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية

الخلق وان اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله للايذان بان خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتأتى لاحد انكاره وقرئ وخلق
من قبلكم وقرئ والذين من قبلكم باقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته توكيدا كاقحام
اللام بين المضافين في لا اباك او بجعله موصوفا بالظرف خبرا لمبتدأ محذوف اي الذين هم
اناس كائنون قبلكم **لعلكم تتقون** المعنى الوضعي لكلمة لعل هو انشاء توقع امر متردد بين الوقوع
وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد
يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل الشائع في
الاستعمال لان معاني الانشاءات قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم
في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله سبحانه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر
او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مئنة
للتوقع متصف بحيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعي
في الاية الكريمة جهة المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب
عز وجل فيصار اما الى الاستعارة بان يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم
مئنة لها لتعاضد اسبابها برجاء الراجي من المرجو منه امرا متيقن الحصول في كون المتعلق
كل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فيستعار له كلمة لعل استعارة
تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب من الوقوع واما الى التمثيل بان لاحظ خلقه
تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لاسبابها
وينتزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئا سهل
المنال فيستعمل لمباديها في الهيئة الاولى ما حقه ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة
تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني كلمة الترجي والباقي
منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا واما حمل المشبه
ارادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فامر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة بجواز
تخلف المراد عن ارادته فالجملة حال اما من فاعل خلقكم اي طالبا منكم التقوى او من مفعوله
وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين لانهم المأمورون بالعبادة اي خلقكم
واياهم مطلوبا منكم التقوى او علة له فان خلقهم على تلك الحالة في معنى خلقهم لاجل التقوى
كانه قيل خلقكم لتتقوا او كي تتقوا اما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة
الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة
ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة
من غير ان تكون هي علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد
خلقهم بما ذكر من الحال او العلة لتكميل علية المأمور به وتأكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له
ادخل في الوجوب وايثار تتقون على تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت

الجن

الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة والتشديد في الزامها لما ان التقوى قصارى
امر العابد ومنتهى جهده فاذا لزمتهم كان ما هو ادنى منها الزم والاتيان به اهون وان روعي
جهة المخاطب فلعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم
راجين للانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها
الثالثة التي هي التبتل الى الله عز وجل بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن مراقبته وهي
اقصى غايات العبادة التي يتنافس فيها المتنافسون وبالانتظام القدر المشترك بين انشائه
والثبات عليه ليرتجيه ارباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي عن العذاب المخلد
والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل
بين وصفي المفعول لما في التقديم من فوات الاشعار بكون الوصف الاول معظم
احكام الربوبية وكونه عريقا في ايجاب العبادة وفي التأخير من زيادة طول
الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق التوقع بالفعل فاما ان اعتبر تحققه بالقوة فالجملة
حال من المفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة اي خلقكم واياهم
حال كونهم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما برأهم
مستعدين للتقوى جامعين لمباديها الافاقية والانفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم
كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجاء قطعا وثم
ان الاية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتم عبادته على
كافة الناس مرشدة لهم باشاراتها الى ان مطالعة الايات التكوينية المنصوبة في
الانفس والافاق مما يقضي بذلك قضاء متقنا وتدبر فيها اولا من تلك الايات ما يتعلق
بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة واظهر دلالة عقبت بما
يتعلق بمعاشهم فقيل **الذي جعل لكم الارض فراشا** وهو في محل النصب على انه صفة ثانية
لربكم موضحة او مادحة او على تقدير اخص او امدح او في محل الرفع على المدح والتعظيم
بتقدير المبتدأ قال ابن مالك التزم حذف الفعل في المنصوب على المدح اشعارا بانه
انشاء كما في المنادى وحذف المبتدأ في المرفوع اجراء للوجهين على سنن واحد واما كونه
مبتدأ خبره فلا تجعلوا لله اندادا كما قيل فيستدعي ان يكون مناط النهي ما في حيز الصلة
فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في ذلك مع كونه اعظم
شأنا وجعل بمعنى صير والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني
على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل
المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين والتشويق اليه لان النفس عند تأخير
ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند
وروده عليها فضل تمكن او لما في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول فلو قدم لفات تجاذب
اطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها

الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم
فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كرية شكلها
مع عظم جرمها مصححة لافتراشها وقرئ بساطا ومهادا والسماء بناء عطف على المفعولين
السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر اي
جعلها قبة مضروبة عليكم اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد او جمع سماوة او سماءة
والبناء في الاصل مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه قولهم بنى على امرأته
لانهم كانوا اذا تزوجوا امرأة ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء
عطف على جعل اي انزل من جهتها او منها الى السحاب ومن السحاب الى الارض كما روي
عنه عليه الصلاة والسلام او المراد بالسماء جهة العلو كما ينبئ عنه الاظهار وهو
على الاولين لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة بانزل او بمحذوف وقع
حالا من المفعول اي كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة واما تقديم الظرف على الوجه الاول
مع اللاحقة التاخير عن المفعول الصريح فاما لان السماء اصله ومبدؤه واما للمسارعة الى التشويق
اليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى فاخرج به اي بسبب الماء من الثمرات
رزقا لكم وذلك بان اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما
اختلاف الثمار او بان اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها المختلفة على المادة
الممتزجة وان كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى قادر على ان يوجد جميع الاشياء بلا
مباد ومواد كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكن له عز وجل في انشائها متقلبة في الاحوال
ومتبدلة في الاطوار من بدائع حكم باهرة تجدد لاولي الابصار عبرا او مزيد طمانينة الى
عظيم قدرته ولطيف حكمته ما ليس في ابداعها بغتة ومن للتبعيض لقوله تعالى فاخرجنا
به ثمرات ولوقوعها بين منكرين اعني ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء
فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء كل
الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا
مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له او حال منه كقولك انفقت من الدراهم
الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه
بمعنى رزق وانما ساغ ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد
بالثمرات جماعة الثمرة في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده القراءة على التوحيد
او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله
تعالى ثلثة قروء او لانها لمحلاة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف
وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اي رزقا كائنا لكم او دعامة لتقوية
عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانه قيل اذ رزقكم رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا
اما متعلق بالامر السابق مرتب عليه كانه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا شانه من التفرد

بهذه النعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا لله اندادا اما متعلق بالامر اي يجعلوا
له شريكا وانما قيل اندادا باعتبار الواقع لا لان مدار النهي هو الجمعية وقرئ ندا وايقاع اسم
الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية
التي عليها يدور امر الوحدانية واستحالة الشركة والايذان باستتباعها لسائر الصفات
واما معطوف عليه كما في قوله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء للاشعار
بعلية ما قبلها من الصفات الجارية عليه تعالى للنهي او للانتهاء او لان مآل النهي هو
الامر بتخصيص العبادة به تعالى المترتب على اصلها كانه قيل اعبدوا وخصوها به
والاظهار في موضع الاضمار لما مر آنفا وقيل هو نفي منصوب باضمار ان جوابا
للامر وياباه ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثاني ولا ريب في ان العبادة لا تكون
سببا للتوحيد الذي هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع
في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى اي خلقكم
لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه
لعل في بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة
المتمني البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذي جعل لكم على تقدير رفعه على المدح
اي هو الذي خلقكم بهذه الآيات العظام والدلائل النيرة فلا تتخذوا له شركا
وفيه ما مر من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل من مناط النهي مع ابتنائهما فيهما
وقيل هو خبر للموصول بتاويل مقول في حقه وقد عرفت ما فيه مع لزوم المصير الى راي
الاخفش في تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كما في قولك زيد قام ابو عبد الله اذا كان
ذلك كنيته والند المثل المناوي من ند ندودا اذا نفر وناددته خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات
كما خص المساوي بالمماثل في المقدار وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا والحال
انهم ما زعموا انها تماثله تعالى في صفاته ولا انها تخالفه في افعاله لما انهم لما تركوا
عبادته تعالى الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات
واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله عز وجل وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى
بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم ان جعلوا اندادا لمن يستحيل ان يكون له ند واحد وفي
ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل • اربا واحدا ام الف رب •
ادين اذا تقسمت الامور • تركت اللات والعزى جميعا • كذلك يفعل الرجل البصير •
وقوله تعالى وانتم تعلمون حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده النهي من
قبح المنهي عنه ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل
لا تجعلوا ذلك فانه قبيح واجب الاجتناب عنه والحال انكم من اهل العلم والمعرفة
بدقائق الامور واصابة الراي او مقدر حسبما يقتضيه المقام نحو وانتم تعلمون بطلان ذلك
وانتم تعلمون انه لا يماثله شيء او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او تعلمون انها لا تفعل مثل

افعاله في قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء او غير ذلك وحاصله تنشيط الكل وحثهم على الانتهاء عما هو عنه هذا هو الذي يستدعيه عموم الخطاب في النهي ويحمل المنهي عنه القدر المشترك المنتظم لنشأة الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة وللثبات عليه كما هو شان المومنين حسبما مر مثله في الامر واما صرف التقييد الى نفس النهي فيستدعي تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهي على حالة العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يتاتى بطريق المبالغة في التوبيخ والتقريع بناء على ان تعاطي القبائح من العالمين بقبحها اقبح وذلك انما يتصور في حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهي مع تعميم الخطاب للمومنين ايضا فقد نأى عن التحقيق ان قلت اليس في تخصيصه بالكفرة في الامر والنهي خلاص من امثال ما مر من التكلفات وحسن انتظام بين السباق والسياق اذ لا يجيء في اية التحدي من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من رباء محل المومنين ورفع شانهم عن حيز الانتظام في سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما مر في صدر السورة الكريمة مستغنون في ذلك عن الامر والنهي قلت بلى انه وجه سري ونهج سوي لا يضل من ذهب اليه ولا يذل من ثبت قدمه عليه فتامل وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا شروع في تحقيق ان الكتاب الكريم الذي من جملته ما تلي من الايتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ان ما ذكر فيهما من الايات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر فيه من الايات في مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التي من جملتها نزاهته عن ان يعتريهم ريب والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب في شانه واما الجزم المذكور فخارج من دائرة الاحتمال كما ان تنكيره وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا مشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا الخ لما اشير اليه فيما سلف من المبالغة في تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافي اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها على السببية ربما يوهم كونه محلا للريب في الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه وليس معنى كونهم في ريب

منه

منه ارتيابهم في استقامة معانيه وصحة احكامه بل في نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وجل وايثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الانزال لتذكير منشأ ارتيابهم وبناء التحدي عليه ارخاء للعنان وتوسيعا للميدان فانهم كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة الى انكاره فجعل ذلك من مبادي الاعتراف به كانه قيل ان ارتبتم في شان ما نزلناه على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم فرد من نجومه فانه ايسر عليكم من ان ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون من التبكيت وازاحة العلل وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ على عبادنا والمراد هو عليه الصلاة والسلام وامته او جميع الانبياء عليهم السلام ففيه ايذان بان الارتياب فيه ارتياب فيما انزل من قبله لكونه مصدقا له ومهيمنا عليه والامر في قوله تعالى فاتوا بسورة من باب التعجيز والقام الحجر كما في قوله تعالى فات بها من المغرب والفا للجواب وسببية الارتياب للامر او للاتيان بالماموربه لما اشير اليه من انه عبارة عن جزمهم المذكور فانه سبب للاول مطلقا وللثاني على تقدير الصدق كانه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر فاتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بني نوعكم والسورة الطائفة من القرآن العظيم المترجمة واقلها ثلاث آيات وواوها اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على فنون رائعة من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار فان سور القرآن مع كونها في انفسها رتبا من حيث الفضل والشرف او من حيث الطول والقصر فهي من حيث انتظامها مع اخواتها في المصحف مراتب يرتقي اليها القاري شيئا فشيئا وقيل واوها مبدلة من الهمزة فمعناها البقية من الشيء ولا يخفى ما فيه ومن في قوله تعالى من مثله بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا اي بسورة كائنة من مثله في علو المرتبة وسمو الطبقة والنظم الرائق والبيان البديع وحيازة سائر نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية يوهم ان له مثلا محققا قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه قيل فاتوا ببعض ما هو مثل له فلا يبهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدارا للعجز مع انه المراد وبناء الامر على المجاراة معهم بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على التهكم بهم بايهام ما سبق من تنزيله منزلة الريب فان تنبئ للتهكم على تسليم ذلك منهم وتسويغه ولو بغير جد وقيل هي زائدة على ما هو راي الاخفش بدليل قوله تعالى فاتوا بسورة مثله بعشر سور مثله وقيل هي ابتدائية فالضمير حينئذ للمنزل عليه حتما لما ان رجوعه الى المنزل عليه فان تحقق مثله عليه السلام في البشرية والعربية والامية تهون الخطب في الجملة فلا ان تخصيص التحدي بفرد

يشاركه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للإتيان بالمأثور لا يدل على عجز
من ليس كذلك من علمائهم بل ربما يتوهم قدرتهم على ذلك في الجملة فرادى أو مجتمعين مع أنه
يستدعي عجز المنزل عما فصل من النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله ما أنزل هذا من
تحدي وأمة جمة وأمرهم بأن يحتشدوا في حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم حسبما ينطق
به قوله تعالى **وادعوا شهداءكم من دون الله** ويتعاونوا على الإتيان بقدر يسير
مماثل في صفات الكمال لما أتى بجملته واحد من أبناء جنسهم والشهداء جمع شهيد بمعنى
الحاضر أو القائم بالشهادة أو الناصر ومعنى دون أدنى مكان من الشيء فقيل هذا دون
ذاك إذا كان أحط منه قليلا ثم استعير للتفاوت في الأحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو
أي في الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل للتفاوت في كل تجاوز حد إلى حد وتخطي حكم إلى حكم
من غير ملاحظة انحطاط أحدهما عن الآخر فجرى مجرى أداة الاستثناء وكلمة من متعلقة
بادعوا فتكون لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله للاستظهار
من حضركم كائنا من كان أو الحاضرين في مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم وأشرافكم الذين
تفزعون إليهم في الملمات وتعولون عليهم في المهمات أو القائمين بشهاداتكم الجارية
فيما بينكم من أمنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة أو القائمين
بنصركم حقيقة أو زعما من الإنس والجن ليعينوكم وإخراجه سبحانه وتعالى من حكم الدعاء
في الأول مع اندراجه في الحضور لتأكيد تناوله لجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى
بالقدرة على ما كلفوه فإن ذلك مما يوهم أنهم لو دعوه تعالى لأجابهم إليه وأما في سائر الوجوه
فللتصريح من أول الأمر ببراءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المحادة والمشاقة له تعالى
استظهارهم على ما سواه والالتفات لإدخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى
ادعوا من دون أولياء الله شهداءكم الذين هم وجوه الناس وفرسان المقاولة والمناقلة
ليشهدوا لكم أن ما أتيتم به مثله إيذانا بأنهم يأبون أن يرضوا لأنفسهم الشهادة بصحة
ما هو بين الفساد وجلي الاستحالة وفيه أنه يؤذن بعدم شمول التحدي لأولئك الرؤساء
وقيل المعنى ادعوا شهداءكم فيحجوا بهم دعاويكم ولا تستشهدوا بالله تعالى قائلين الله يشهد
أن ما ندعيه حق فإن ذلك ديدن المحجوج وفيه أنه إن أريد بما يدعونه حقية ما هم عليه
من الدين الباطل فلا مساس له بمقام التحدي وإن أريد مثلية ما أتوا به للمتحدى به فمع
عدم ملاءمته لابتداء التحدي يوهم أنهم قد تصدوا للمعارضة وأتوا بشيء يشتبه الحال
مترددين في المثلية وعدمها وأنهم ادعوها مستشهدين في ذلك بالله سبحانه إذ عند ذلك
تمس الحاجة إلى الأمر بالاستشهاد بالناس والنهي عن الاستشهاد به تعالى وأنى لهم ذلك وما
نبض لهم عرق ولا نبسوا ببنت شفة وأما متعلقة بشهداءكم والمراد بهم الأصنام ودون بمعنى
التجاوز على أنها ظرف مستقر وقع حالا من ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم أي
ادعوا أصنامكم الذين اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله تعالى في اتخاذها كذلك وكلمة من

ابتدائية

ابتدائية فإن الاتخاذ ابتداء من التجاوز والتعبير عن الأصنام بالشهداء لتعيين مدار التهكم
بهم بتذكير ما زعموا أنها بمكان من الله تعالى وأنها تنفعهم بشهادتها لهم أنهم على الحق
فإن ما هذا شأنه يجب أن يكون ملاذا لهم في كل أمر مهم وملجأ يأوون إليه في كل خطب
ملم كأنه قيل أولئك عدتكم فادعوهم لهذه الداهية التي دهمتكم ووجه الالتفات
الإيذان بكمال سخافة عقولهم حيث آثروا على عبادة من له الألوهية الجامعة لجميع
صفات الكمال عبادة ما لا أحقر منه وقيل لفظة دون مستعارة من معناها
الوضعي الذي هو أدنى مكان من الشيء لقدامه كما في قول الأعشى • تريك القذى من دونها
وهي دونه • أي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى فيكون ظرفا لغوا معمولا لشهداءكم
لكفاية رائحة الفعل فيه من غير حاجة إلى اعتماد ولا إلى تقدير يشهدون أي ادعوا شهداءكم
الذين يشهدون لكم بين يدي الله تعالى ليعينوكم في المعارضة وإيرادها بهذا العنوان لما
مر من الإشعار بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى
فإن ما يقوم بهذه الأمور في ذلك المقام الخطير حقه أن يستعان به في كل مرام وفيه أنهم
على الوجهين بأن يستظهروا في معارضة القرآن الذي أخرس كل منطيق بالجماد من البكم
البهم ما لا يوصف وكلمة من ههنا تبعيضية لما أنهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى في
لأنهما ظرفا فإن للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لأن الفعل إنما يقع في بعض تلك الجهتين كما تقول
جئته من الليل تريد بعض الليل وقد يقال كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى
في كما في سائر الظروف التي لا تتصرف وتكون منصوبة على الظرفية أبدا ولا تجر إلا بمن خاصة
وقيل المراد بالشهداء مدارة القوم ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف مستقر
ومن ابتدائية أي ادعوا الذين يشهدون لكم أن ما أوتيتم به مثله متجاوزين في ذلك أولياء
الله وحاصله شهداء مغايرين لهم إيذانا بأنهم أيضا لا يشهدون بذلك وإنما أضاف إلى
الله تعالى رعاية للمقابلة فإن أولياء الله تعالى يقابلون أولياء الأصنام كما أن ذكر الله تعالى
يقابل ذكر الأصنام والمقصود بهذا الأمر إرخاء العنان والاستدراج إلى غاية التبكيت
كأنه قيل تركنا إلزامكم بشهداء لا ميل لهم إلى أحد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهدائكم
المعروفين بالذب عنكم فإنهم أيضا لا يشهدون لكم حذارا من اللائمة وأنفة من الشهادة
البينة البطلان كيف لا وأمر الإعجاز قد بلغ من الظهور إلى حيث لم يبق إلى إنكاره سبيل
قطعا وفيه ما مر من عدم الملاءمة لابتداء التحدي وعدم تناوله لأولئك الشهداء
وإبهام أنهم تعرضوا للمعارضة وأتوا بشيء احتاجوا في إثبات مثليته للمتحدى به إلى الشهادة
وشتان بينهم وبين ذلك **إن كنتم صادقين** أي في زعمكم أنه من كلامه عليه السلام وشرط
حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه أي إن كنتم صادقين فأتوا بسورة من مثله إلخ والاستلزام
المقدم للتالي من حيث إن صدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية
مشاركتهم له عليه السلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والأشعار

وكثرة المزاولة لأسباب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقايع والأيام لا سيما عند المفاخرة والتعاون ولا ريب في أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به ودواعي الأمر به فإن لم تفعلوا أي ما أمرتم به من الإتيان بالمثل بعد ما بذلتم في السعي غاية المجهود وجاوزتم في الجد كل حد معهود متشبثين بالذيول راكبين متن كل صعب وذلول وإنما لم يصرح إيذانا بعدم الحاجة إليه بناء على كمال ظهوره لكنهم في ذلك وإنما أورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل المأمور به مفعولا له للإيجاز البديع المغني عن التطويل مع التكرير مع سر سري يستقل به المقام وهو الإيذان بأن المقصود بالتكليف هو إيقاع نفس الفعل المأمور به لإظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول أي المأتي به ضرورة استحالته وأن مناط الجواب في الشرطية أعني الأمر باتقاء النار هو عجزهم عن إيقاعه لا فوت حصول المفعول فإن مدلول لفظ الفعل هو نفس الأفعال الخاصة لازمة كانت أو متعدية من غير اعتبار تعلقها بمفعولاتها الخاصة فإذا علق بفعل خاص متعد فإنما يقصد به إيقاع نفس ذلك الفعل وإخراجه من القوة إلى الفعل وأما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وإنما يستفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك تراهم يتوسلون بذلك إلى تجريد الأفعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الأفعال اللازمة فيقولون مثلا معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الإعطاء والمنع يرشدك إلى هذا قوله تعالى فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله تعالى ائتوني بأخ لكم من أبيكم فإنه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالأمر ومرمى غرضه بالتكليف استحضاره بين لهم كيفية الشرطية الداعية لهم إلى الجد في الامتثال والسعي في تحقيق المأمور به بالإشارة الإجمالية إلى الفعل الذي يرد به الأمر بأن يقول فإن لم تفعلوا بل أعاده بعينه متعلقا بمفعوله تحقيقا لمطلبه وإعرابا عن مقصده هذا وقد قيل أطلق الفعل وأريد به الإتيان مع ما يتعلق به إما على طريقة التعبير عن الإتيان الظاهر بالضمير الراجع إليهما حذرا من التكرار أو على طريقة ذكر اللازم وإرادة الملزوم لما بينهما من التلازم المصحح للانتقال بمعونة قرائن الحال فتدبر وإيثار كلمة إن المفيدة للشك على إذا مع تحقق الجزم بعدم فعلهم مجاراة معهم حسب حسبانهم قبل التجربة أو تهكم بهم ولن تفعلوا كلمة لن لنفي المستقبل كلا إلا أن في لن زيادة تأكيد وتشديد وأصلها عند الخليل لا أن وعند الفراء لا أبدلت ألفها نونا وعند سيبويه حرف مقتضب لنفي المذكور وهي إحدى الروايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين جزئي الشرطية مقرر لمضمون مقدمها ومؤكد لإيجاب العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث أخبر بالغيب الخاص علمه عز وجل وقد وقع الأمر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشيء يدانيه في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف فاتقوا النار جواب للشرط على أن اتقاء النار كناية عن الاحتراز من العناد إذ بذلك يتحقق تسببه عنه وترتبه عليه كأنه قيل فإذا عجزتم عن الإتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من إنكار كونه منزلا من عند الله سبحانه وتعالى فإنه مستوجب للعقاب بالنار لكن أوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير العناد بصورة

النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة بها للمبالغة في تهويل شأنه وتفظيع أمره وإظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه وحثهم على الجد في تحقيق المكنى عنه وفيه من الإيجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الأصل فإن لم تفعلوا فقد صح صدقه عندكم وإذا صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم الإيمان به سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة صفة للنار مورثة لها زيادة هول وفظاعة أعاذنا الله من ذلك والوقود ما يوقد به النار وترفع من الحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى أنها من الشدة بحيث لا تمس شيئا من رطب أو يابس إلا أحرقته لا كنيران الدنيا تفتقر في الالتهاب إلى وقود من حطب أو حشيش وإنما جعل هذا الوصف صلة للموصول المقتضية لكون انتسابها إلى ما أسندت إليه معلوما للمخاطب بناء على أنهم سمعوه من أهل الكتاب قبل ذلك أو من الرسول صلى الله عليه وسلم أو سمعوه أولا وكون سورة التحريم مدنية لا يستلزم كون جميع آياتها كذلك كما هو المشهور وإنما أن الصفة أيضا يجب أن تكون معلومة الانتساب إلى الموصوف عند المخاطب فالخطب فيه هين لما أن المخاطب هناك المؤمنون والظاهر أنهم سمعوا ذلك من الرسول عليه السلام والمراد بالحجارة الأصنام وبالناس أنفسهم حسبما ورد في قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية أعدت للكافرين أي هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم والمراد إما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا أوليا وإما هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على أن النار مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف لا محل لها من الإعراب مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لإيجاب العمل به ومبينة لمن أريد بالناس دافعة لاحتمال العموم وقيل حال بإضمار قد من النار لا من ضميرها في وقودها لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة أو عطف على الصلة بترك العاطف وبشر الذين آمنوا أي بأنه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على أن المقصود عطف نفس الأمر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل على أنه عطف قصة المؤمنين بالقرآن ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية عقابهم جريا على السنة الإلهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد وكأن تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين حالي الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا على أعدت ويكون استئنافا وتعليق التبشير بالموصول للإشعار بأنه معلل بما في حيز الصلة من الإيمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فإنهما لا يكافئان النعم السابقة فضلا من أن يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته فعلا مفيدا للحدوث بعد إيراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالإتيان على إحداث الإيمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل من يتأتى منه التبشير كما في قوله عليه السلام بشر المشائين إلى المساجد في ظلم الليالي بالنور

الناس يوم القيمة فانه عليه السلام لم يأمر بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتأتى منه
ذلك وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة شأنه حقيق بان يتولى التبشير به كل من يقدر عليه
والبشارة الخبر السار الذي يظهر به اثر السرور في البشرة وتباشير الصبح اوائل ضوئه **وعملوا
الصالحات** الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل
النقل والعقل واللام للجنس والجمع لافادة ان المراد بها جملة من الاعمال الصالحة التي اشير
اليها في مطلع السورة الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين
في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق
البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء فيه
ان لهم جنات منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن
والجنة هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل لالتفاف اغصانه
قال زهير كان عيني في غربي مقتلة . من النواضح تسقي جنة سحقا . اي نخلا طوالا
كانها لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس السترة وعلى الارض ذات الشجر
قال الفراء الجنة ما فيه النخل والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر ان يكون ماخوذا من
الفعل المبني للمفعول وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور
لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع على ما ذكره ابن عباس رضي الله
عنهما جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام
وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الاعمال والعمال
تجري من تحتها الانهار في حيز النصب على انه صفة جنات فان اريد بها الاشجار فجريان الانهار
من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها
وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم
الجنة على الكل عن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في
قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب او عوض عن المضاف اليه كما في قوله تعالى
واشتعل الراس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله عز وعلا انهار من ماء غير آسن الاية
والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب
للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز اللغوي او على المجاري انفسها وقد اسند
اليها الجريان مجازا عقليا كما في سال الميزاب **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل**
صفة اخرى لجنات اخرت عن الاولى لان جريان الانهار باعتبار ذاتها وهذا وصف لها باعتبار
اهلها المتنعمين بها او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كانه حين وصف الجنان بما ذكر من الصفة
وقع في ذهن السامع ان ثمارها كثمار جنات الدنيا او لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا
مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال كانه قيل كل وقت رزقوا
مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة على ان الرزق مقيد بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه

منها مقيد بكونه مبتدأ من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية ضميره في
الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا تقدم على المبين كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى
ما رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك
وان اشرت الى ما تعاينه بحسب الظاهر لكنك انما تعني بذلك النوع المعلوم المستمر فالمعنى
هذا مثل الذي رزقنا من قبل اي من قبل هذا في الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته
ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع مائلة الى المألوف
متنفرة عن غير المألوف وليتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا غير معهود لظن
انه لا يكون الا كذلك او مثل الذي رزقناه من قبل في الجنة لان طعامها متشابه الصور
كما يحكى عن الحسن رضي الله عنه ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل
الاولى فيقول ذلك فيقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة
اليه فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها والاول انسب لمحافظة عموم كلما فانه يدل على
ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا فيما عدا المرة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب
لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كأنهم قالوا هذا
عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن
ابن عباس رضي الله عنهما من انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت
بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسماء
منوط بالاتحاد النوعي قطعا هذا وقد فسرت الاية الكريمة بان مستلذات اهل الجنة بمقابلة ما
رزقوه في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة الحال فيجوز ان يريدوا هذا ثواب الذي
رزقناه في الدنيا من الطاعات ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فان الجنة وما فيها من
فنون الكرامات من قبيل الثواب **واتوا به متشابها** اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على
الاول راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى ان يكن غنيا او
فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق ولهم فيها ازواج مطهرة
اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق
فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان
يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال . واذا العذارى بالدخان تقنعت . واستعجلت
نصب القدور فملت . فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد
الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن
وما هو الا الله سبحانه وتعالى واما المتطهر فيحتمل ان يكون من قبيل تطهرهن كما عند اغتسالهن والزوج
يطلق على الذكر والانثى وهو في الاصل اسم لما له قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد
الذي هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح اطلاقه على ازواج اهل الجنة لخلودهم فيها واستغنائهم عن

كما ان المراد به لبقاء الفرد ليستفاد بمعونة في مفهوم اسم الرزق حتى يخل ذلك باطلاقه على
ثمار الجنة **وهم فيها خالدون** اي دائمون والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم
يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار الخوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله خلد
ولو كان وضعه للدوام لما قيد بالتأبيد في قوله عز قائلا خالدين فيها ابدا ولما استعمل
حيث لا دوام فيه لكن المراد ههنا الدوام قطعا لما يقضي به من الآيات والسنن وما قيل
من ان الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال
والانفكاك مداره قياس ذلك العالم الكامل بما يشاهده في عالم الكون والفساد على انه يجوز
ان يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا يعتريها الانحلال قطعا بان اجزاءها
متفاوتة في الكيفيات متعادلة في القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند التفاعل على احالة الآخر
متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض وتبقى هذه النسبة محفوظة فيما بينها ابدا لا يعتريها
التغير بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم انها معظم اللذات الحسية لما كان مقصورا
على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضي به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل
نعمة وان جلت حيث كانت في شرف الزوال وعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية
من شوائب الالم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لمراضيك وثبتنا
على ما يؤدي اليها العلم والعمل **ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة** شروع في تنزيه ساحة التنزيل
عن تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق
اثر تنزيههما عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي والمقام المجز والافحام كافة البلغاء من
اهل المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان المنافقين طعنوا في ضرب
الامثال بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله اجل واعلى من ضرب الامثال
وروى عطاء عنه رضي الله عنه ان هذا الطعن كان من المشركين وروي عنه ايضا انه لما
نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الآية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا
من دون الله اولياء الآية قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله تعالى
بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة الى انكار كونه من عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد ممن له
تمييز انه ليس مما يتصور تغيره فيه التردد فضلا عن النكير بل هو من اوضح ادلة كونه خارجا عن طوق
البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان التمثيل كما مر ليس الا ابراز المعنى المقصود في معرض
الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير اوابد المعاني بهيئة المأنوس لاستمالة
الوهم واستنزاله عن معارضته للعقل واستعصائه عليه في ادراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق
الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما يرتضيه ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية
والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء ومن قضية وجوب التماثل بين
الممثل والممثل به في مناط التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة
ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في عبارات البلغاء اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع

فراد

فراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر والحياء تغير النفس وانقباضها عما
يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل وهو حي واشتقاقه من الحيوة اشتقاق شظي
ونسي وحشي من الشظا والنسا والحشا يقال شظي الفرس ونسي وحشي اذا اعتلت منه
تلك الاعضاء كأن من يعتريه الحياء يعتل قوته الحيوانية وتنتقص واستحيى بمعناه فلا انه يتعدى
بحرف الجر يقال استحييته واستحييت منه والاول يتعدى بحرف الجر وتد يخذ ومنه اجد
ابيات ومنه قوله لا يستحيي منا الملوك ويتقي محارمنا لا يبوء الدم بالدم وقوله
اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد وقوله عليه السلام
ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا اريد به
الترك الخاص على طريقة التمثيل حيث مثل في الحديثين الكريمين تركه تعذيب ذي
الشيبة وتخييب العبد من عطائه بترك من يترك كرمهما حياء كذلك اذا نفي عنه تعالى في
المواد الخاصة كما في هذه الآية الشريفة وفي قوله تعالى والله لا يستحيي من الحق يراد به
سلب ذلك الترك الخاص المضاهي لترك المستحيي عنه لا سلب وصف الحياء عنه تعالى راسا
كما في قولك ان الله لا يوصف بالحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب
من شأنه تعالى في الجملة فالمراد ههنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحيي من
ضربه وفيه رمز الى تعاضد الدواعي الى ضربه وتأخر البواعث اليه اذ الاستحياء انما
يتصور في الافعال المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده على طريقة
المشاكلة فانهم كانوا يقولون اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالاشياء الحقيرة كما في
قول من قال من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل وضرب المثل استعماله
في مضربه وتطبيقه به لا صنعه وانشاؤه في نفسه والا لكان انشاء الامثال السائرة في
مواردها ضربا لها دون استعمالها بعد ذلك في مضاربها لفقدان الانشاء هناك
والامثال الواردة في التنزيل وان كان استعمالها في مضاربها عين انشائها في انفسها
لكن التعبير عنه بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل الاعتبار الاول قطعا وهو مأخوذ
اما من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الامثال
في مضاربها تطبيقها بها كان المضارب قوالب تضرب الامثال على شاكلتها لكن
لا بمعنى انها تنشأ حسبها بعد ان لم يكن كذلك بل بمعنى انها تورد منطبقة عليها سواء
كان انشاؤها حاكمة الامثال السائرة فانها وان كانت مصنوعة من قبل الا ان
تطبيقها اي ايرادها منطبقة على مضاربها انما يحصل عند الضرب واما من ضرب الطين
على الجدار ليلتزق به بجامع الالصاق وكان من يستعملها يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة
لازب لا تنفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل يضرب على تقدير تعديته يستحيي
بنفسه النصب على المفعولية واما على تقدير تعديته بالجار فعند الخليل الخفض باضمار
من وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها ومثلا مفعول ليضرب واما

التنزيلية فان مضاربها قوالبها اول ما ذلك كسائر الامثال

ابهمية إبهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر إبهاما وشياعا كما في قولك أعطني كتابا
كانه قيل مثلا من الامثال اي مثل كان فهي صفة لما قبلها او حرفية مزيدة لتقوية النسبة
وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان
عند من يجوزه في النكرات او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة او هما
مفعولاه لتضمنه معنى الجعل والتصيير وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو
بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها حذف صدرها كما في قوله
تعالى تماما على الذي احسن على قراءة الرفع وعلى تقدير كونها استفهامية فهي جزؤها كانه
لما رد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة اي ما شأنها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى
ان يمثل بما هو اصغر منها واحقر كجناحها على ما وقع في قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت
الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول من البعض وهو
القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة هذيل بن الخش وهو الخدش
فما فوقها عطف على بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة او موصوفة
صلتها او صفتها الظرف واما على تقدير رفعها فهو عطف على ما الاولى على تقدير كونها
استفهامية فهو عطف على خبرها اعني بعوضة لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة فالذي
فوقها او فشيء فوقها حتى لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة او زائدة
وبعوضة خبر للضمير وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل مما هو بطريق التمثيل دون التعيين
والتخصيص فلا يخل بالشيوع بل يقرره ويؤكده بطريق الاولوية والمراد بالفوقية اما الزيادة
في المعنى الذي اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما الزيادة في الحجم والجثة لكن لا بالغا
بل في الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى التقدير الاول يجوز ان يكون ما الثانية خاصة
استفهامية انكارية والمعنى ان الله تعالى لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فاي شيء فوقها
في الصغر والحقارة فاذا له تعالى ان يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الامرين ما روي ان رجلا
بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها حين ذكر لها ذلك سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه
عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما جاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة بقوله عليه السلام ما اصاب
المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وما جاوزها في الالم كالشأن ما حكي من
الجزور فاما الذين آمنوا شروع في بيان ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقية
صدوره عنه تعالى والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كانه
قيل فيضربه فاما الذين الخ وتقديم بيان حال المؤمنين على ما حكي عن الكفرة مما لا يفتقر
الى بيان السبب وفي تصدير الجملتين باما من احماد المؤمنين وذم الكفرة ما لا يخفى وهو
حرف متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شيء بعد ولذلك يجاب بالفاء
وفائدته توكيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الاقسام تعدد جميعا وقد يتعين

على واحد منها كما في قوله عز من قائل فاما الذين في قلوبهم زيغ قال سيبويه اما زيد
فذاهب معناه مهما يكن من شيء فهو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكانه الاصل
دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوضوا
المبتدأ عن الشرط لفظا والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين كما ان المراد بالموصول
الآتي فريق الكفرة لا يؤمن بضرب المثل ومن يكفر به لاختلاف المعنى اي فاما المؤمنون
فيعلمون انه الحق من ربهم كسائر ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة
بحيث لا سبيل للعقل الى انكاره لا الثابت مطلقا واللام للدلالة على انه مشهود له بالحقية
وان له حكما ومصالح ومن لابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف وقع حالا من الضمير
المستكن في الحق او من الضمير العائد الى المثل او الى ضربه اي كائنا وصادرا من ربهم والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم وللايذان بان ضرب المثل تربية
لهم وارشاد الى ما يوصلهم الى كمالهم اللائق بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون
عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش اي فيعلمون حقيته
ثابتة ولعل الاكتفاء بحكاية علمهم المذكور عن حكاية اعترافهم بموجبه كما في قوله تعالى والراسخون
في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا للاشعار بقوة ما بينهما من التلازم وظهوره المغني عن
الذكر واما الذين كفروا من حيث اقوالهم واحوالهم فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا
او ثم يقولون على لا يعلمون حسبما يقتضيه ظاهر قرينة دلالة على كمال غلوهم في الكفر وتمادي
امرهم في الحمق فان مجرد عدم العلم بحقيته ليس بمثابة انكارها والاستهزاء به صريحا وتمهيد
لتعداد ما نعي عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من
شنائعهم المترتبة على قولهم المذكور على ان عدم العلم بحقيته لا يعم جميعهم فان منهم من يعلمها
وانما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وجملة في عدم الاذعان والقول الشامل للجهل
والعناد ويتسعه نظامهم هذا وقد قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق
قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل
الكناية ليكون كالبرهان عليه فتأمل وكن على الحق المبين وماذا اما مؤلفة من كلمة استفهام
وقعت مبتدأ خبره ذا بمعنى الذي وصلته ما بعده والعائد محذوف فالاحسن ان يجيء
جوابه مرفوعا واما منزل منزلة اسم واحد بمعنى اي شيء فالاحسن في جوابه النصب والارادة
نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها اليه او القوة هي مبدأه والاول مع الفعل والثاني
قبله وكلا المعنيين مما لا يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في ارادته عز وجل فقيل ارادته
تعالى لافعاله كونه غير ساه فيه ولا مكره ولا فعال غيره امره بها فلا يكون المعاصي
بارادته تعالى وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو
القادر الى تحصيله والحق انه عبارة عن ترجيح احد طرفي المقدور على الآخر وتخصيصه
بوجه دون وجه او معنى يوجبه وهي اعم من الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل في كلمة

هذا تحقير للمشار اليه واسترذال له ومثلا نصب على التمييز او على الحال كما في قوله
تعالى ناقة الله لكم آية وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام الحكمة في ضرب المثل ولا الشك
في اشتماله على الفائدة مع اعترافهم بصدوره عنه جل وعلا بل غرضهم التنبيه بادعاء انه
من الدناءة والحقارة بحيث لا يليق ان يتعلق به امر من الامور الداخلة تحت ارادته تعالى على
استحالة ان يكون ضرب المثل به من عنده سبحانه فقوله عز من قائل يضل به كثيرا ويهدي به
كثيرا جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان انه مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة
هي كونه ذريعة الى هداية المستعدين للهداية واضلال المنهمكين في الغواية ووضع الفعلان
موضع الفعل الواقع في الاستفهام مبالغة في الدلالة على تحققهما فان ارادتهما دون وقوعهما
بالفعل وتجافيا عن نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لايهامه تساويهما في تعلقها
وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكر والاهتداء كما ينبئ عنه قوله تعالى
وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ونظائره واما الاضلال فهو امر عارض
مترتب على سوء اختيارهم وايثار صيغة الاستقبال ايذانا بالتجدد والاستمرار وقيل وضع
الفعلان موضع مصدريهما كانه قيل ارادة اضلال كثير وهداية كثير وتقديم الاضلال على الهداية
مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب
امرا فظيعا يسوءهم ويفت في اعضادهم وهو السر في تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان
للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وان الجهل بوجه ايراده والانكار
لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل فريق انما هي بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فلا
يقدح في ذلك اقلية اهل العلم والهدى بالنسبة الى اهل الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل
من عبادي الشكور ويجوز ذلك اعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية لتحقيق فائدة ضرب
المثل وتكثيرها ويجوز ان يراد في الاولين الكثرة من حيث العدد وفي الآخرين من حيث الفضل والشرف
كما في قول من قال ❊ ان الكرام كثير في البلاد وان ❊ قلوا كما غيرهم قل وان كثروا ❊ واسناد
الاضلال اي خلق الضلال اليه سبحانه مبني على ان جميع الاشياء مخلوقة له تعالى وان كانت افعال
العباد من حيث الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه التصريح
بالسبب وقرئ يضل به كثير على البناء للمفعول وتكرير مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير البيان
وتاكيدها وما يضل به اي بالمثل او بضربه الا الفاسقين عطف على ما قبله وتكملة للجواب
والرد وزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له واشارة الى
ان ذلك ليس اضلالا ابتدائيا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه
وقرئ وما يضل به الا الفاسقون على البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت
الرطبة عن قشرها والفأر من جحرها اي خرجت قال رؤبة ❊ يهوين في نجد وغورا غائرا ❊
فواسقا عن قصدها جوائرا ❊ وفي الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التي
من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات ثلاث الاولى التغابي وهو ارتكابها احيانا مستقبحا

لها

لها والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة
من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن فاتصافه بالتصديق
الذي يدور عليه الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة
لما ذهبوا الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر عن
تكذيب الحق وجحوده لم يتسن لهم ادخال الفاسق في احدهما فجعلوه قسما بين قسمي
المؤمن والكافر لمشاركته في الاصل كل واحد منهما في بعض احكامه والمراد بالفاسقين
هاهنا العاتون المتمادون في الكفر الخارجون عن حدوده ممن حكي عنهم ما حكي من انكار
كلام الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق وما اجري
عليهم من القبائح للايذان بان ذلك هو الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال
فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه انظارهم عن التدبر
في حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه
وقالوا فيه ما قالوا الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير لما هم عليه من
الفسق والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله
في ابطال العهد من حيث ان استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط احد المتعاهدين
بالآخر فان شفع بالحبل واريد به العهد كان ترشيحا للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا
الى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه وان المذكور قد استعير له كما يقال شجاع يفترس
اقرانه وعالم يغترف منه الناس تنبيها على انه اسد في شجاعته وبحر في افاضته والعهد
الموثق يقال عهد اليه كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد هاهنا اما العهد المأخوذ
بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على وجوده تعالى ووحدته وصدق رسوله
عليه السلام وبه أول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى والمعنى
الظاهر منه او المأخوذ من جهة الرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق
بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة ولم يخالفوا حكمه
كما ينبئ عنه قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا
تكتمونه ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة الاول ما اخذ على جميع ذرية آدم
عليه السلام بان يقروا بربوبيته والثاني ما اخذ على الانبياء عليهم السلام بان
يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما اخذ على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتمونه
من بعد ميثاقه الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام واما مصدر بمعنى التوثقة
كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه
به من القبول والالتزام وان رجع الى لفظ الجلالة يراد به آياته وكتبه وانذار رسله
عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين اي من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثاني ان رجع
الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد ان وثقوه بالقبول والالتزام

او من بعد ان وثقه الله عز وجل بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا من المبني للمفعول
فالمعنى من بعد كونه موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثيقه تعالى اياه بانزال الكتب
وانذار الرسل **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه
كقطع الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك
الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد
من الوصلة التي هي المقصودة بالذات من كل وصل والامر هو القول الطالب للفعل مع العلو
وقيل الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر فانه مما
يؤمر به كما يقال له شان وهو القصد والطلب لما انه اثر للشان وكذا يقال له شيء
وهو مصدر شاء لما انه اثر للمشية ومحل ان يوصل اما النصب على انه بدل من الموصول
او من ضميره والثاني اولى لفظا ومعنى **ويفسدون في الارض** بالمنع عن الايمان والاستهزاء
بالحق وقطع الوصل التي عليها يدور نظام العالم وصلاحه **اولئك** اشارة الى الفاسقين
باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وفيه ايذان بانهم متميزون بها اكمل تميز
ومنتظمون بسبب ذلك في سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد
منزلتهم في الفساد **هم الخاسرون** الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم
الحياة الابدية والاستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والتامل في حقائقها
والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفا والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة
والعقاب بالثواب **كيف تكفرون بالله** التفات الى الخطاب المذكور مبني على ايراد ما عدد
من قبائحهم السابقة لتزايد السخط الموجب للمشافهة بالتوبيخ والتقريع والاستفهام للانكار
لا بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله
بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الانكار
الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال
قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني وقوله عز وجل
وكنتم امواتا الى اخر الاية حال من ضمير المخاطب في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد
بما عدد فيها من الشؤون العظيمة الداعية الى الايمان الداعية عن الكفر من حيث كونها
نعمة عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا وكيف منصوب
على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش اي في اي حال او على اي حال
تكفرون به تعالى والحال انكم كنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية ونطفا
ومضغا مخلقة وغير مخلقة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقها على تلك
الاجسام باعتبار عدم الحيوة مطلقا كما في قوله تعالى بلدة ميتا وقوله تعالى واية لهم
الارض الميتة **فاحياكم** بنفخ الارواح فيكم والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر
كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه

انفا

انفا **ثم يميتكم** اي عند انقضاء اجالكم وكون الاماتة من دليل القدرة ظاهر واما كونها من
النعم فلكونها وسيلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوان والنعمة والتراخي المستفاد من كلمة
ثم بالنسبة الى زمان الاحياء دون زمان الحيوة فان زمان الحيوة الاماتة غير متراخ عنه
ثم يحييكم بالنشور **ثم اليه ترجعون** بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير
وان شرا فشر او اليه تنشرون من قبوركم للحساب وهذه الافعال وان كان بعضها ماضيا
وبعضها مستقبلا لا يتسنى مقارنة شيء منها لما هو حال منه في الزمان لكن الحال في الحقيقة
هو العلم المتعلق بها كانه قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال المانعة
منه وماله التعجب عن وقوعه مع تحقق ما ينفيه وانما نظم ما ينكرونه من الاحياء الاخير
والرجع في سلك ما يعرفون به من الاحياء الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم
لما عاينوه من الدلائل القاطعة منزلة العلم بذلك بالفعل في ازاحة العلل والاعتذار
والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة
النامية لكونها من طلايعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث
انه كمالها وغايتها والموت بازائها يطلق على ما يقابل كل مرتبة من تلك المراتب قال تعالى
قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال تعالى
اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وعند وصفه تعالى به يراد
به صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قايم بذاته تعالى
مقتض لذلك وقرئ ترجعون بفتح التاء والاول هو الاليق بالمقام **هو الذي خلق لكم**
ما في الارض جميعا تقرير للانكار وتاكيد له من الحيثيتين المذكورتين غير سبكه ما قبله مع
اتحادهما في المقصود ابانة لما بينهما من التفاوت فان ما يتعلق بذواتهم من الاحياء
والاماتة والحشر ادخل في الحث على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم
وما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدا والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى
وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق
اليه كما سلف اي خلق لاجلكم جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في امور دنياكم
بالذات او بالواسطة وامور دينكم بالاستدلال بها على شؤون الصانع تعالى شانه
والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلايمه من لذات الاخرة وآلامها وما يعم جميع ما في
الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو نعم يعم كل جزء من اجزائها
فان من جملتها ما فيها ضرورة وجودها في الكل وجميعا حال من الموصول الثاني مؤكدة لما
فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما في الارض وكل جزء من اجزاء العالم له مدخل في
استمراره على ما هو عليه من النظام اللايق الذي عليه يدور انتظام مصالح الناس
اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلما انه ليس في العالم شيء مما يتعلق به النظر
وما لا يتعلق به الا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى

رب العالمين وانه لم يستدل به احد بالفعل ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته
قصداً سوياً بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه ارادة شي آخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك
مأخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل وتخصيصه بالذكر هنا اما بعد تحققه في خلق السفليات
لما روي من تخلل خلق السموات بين خلق الارض وجودها عن الحسن رضي الله عنه خلق الله الارض
في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان يلتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات
وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما واما لاظهار
كمال العناية بابداع العلويات وقيل استوى استولى وملك والاول هو الظاهر وكلمة ثم
للايذان بما فيه من المزية والفضل على خلق السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدمه
على خلق ما في الارض المتاخر عن وجودها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها
ولما روي عن الحسن رضي الله عنه والمراد بالسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة
لا يستدعي سابقة الوجود واما جهات العلو فسويهن اي تممهن وقومهن وخلقهن ابتداء مصونة
عن العوج والفطور لا انه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقارنة التسوية
والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغير فيهن بالنمو والذبول كما في السفليات
والضمير على الوجه الاول للسماء فانها في معنى الجنس وقيل هي جمع سماءة او سماوة وعلى
الوجه الثاني مبهم يفسره قوله تعالى سبع سموات كما في قولهم ربه رجلا وهو على الوجه
الاول بدل من الضمير وتاخير ذكر هذا الصنع البديع عن ذكر خلق ما في الارض مع كونه اقوى
منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق
مصالح الناس بذلك اظهر وان كان في ابداع العلويات ايضا من المنافع الدينية ما لا يحصى هذا لما
وسياتي في حم السجدة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله تعالى وهو بكل شي عليم اعتراض تذييلي مقرر
لما قبله من خلق السموات والارض وما فيها على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة
والمصالح اللائقة فان علمه عز وجل بجميع الاشيا ظاهرها وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكل
واحد منها يستدعي ان يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرائق وقرى وهو بسكون الهاء وتشبيها
له بعضد واذ قال ربك بيان لامر آخر من جنس الامور المتقدمة المؤكدة للانكار والاستبعاد
فان خلق آدم عليه الصلاة والسلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية من اجل النعم الداعية
لذريته الى الشكر والايمان الناهية عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله من قوله تعالى
خلق لكم ما في الارض جميعا وتوضيح لكيفية التصرف والانتفاع بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه
الى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة للايذان بان فحوى الكلام ليس مما يهتدي اليه بادلة العقل
كالامور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما طريقه الوحي الخاص به عليه السلام
وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
من الانباء عن تشريفه عليه السلام ما لا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع
فيه نسبة ماضية اخرى مثلها كما ان اذا موضوع لزمان نسبة مستقبلة تقع فيه اخرى مثلها ولذلك

يجب اضافتها الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا
فكثركم وقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت
دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب
ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر
كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا وقيل ليس انتصابه على المفعولية بل على تاويل
اذكر الحادث فيه بحذف المظروف واقامة الظرف مقامه واياما كان فهو معطوف على
مضمر آخر ينسحب عليه الكلام كانه قيل له عليه السلام غب ما اوحي اليه ما خوطب به الكفرة
من الوحي الناطق بتفاصيل الامور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر
لهم هذه النعمة ليتنبهوا بذلك لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه واما ما قيل من ان المعدود
هو اشكر النعمة في خلق السموات والارض او تدبر ذلك فغير سديد ضرورة ان مقتضى المقام
تذكير المخاطبين لموجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه واين ذلك من مقامه الجليل صلى الله
عليه وسلم وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا وتاباه انه يقتضي ان يكون هو المقصود بالذات
دون سائر القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين آمنوا ولا يخفى بعده وقيل
بمضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال الخ ولا ريب في انه لا فائدة
في تقييد بدء الخلق بذلك الوقت وقيل خلقكم او احياكم مضمرا وفيه ما فيه وقيل
اذ زائدة ويعزى ذلك الى ابي عبيدة ومعمر وقيل انه بمعنى قد واللام في قوله تعالى
للملائكة للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في المقول من الطول غالبا
مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر كما مر مرارا والملائكة جمع ملك باعتبار
اصله الذي هو ملاك على ان الهمزة مزيدة كالشمائل في جمع شمال والتاء لتاكيد تانيث الجماعة
واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على انه مقلوب من مالك من
الالوكة وهي الرسالة اي موضع الرسالة او مرسل على انه مصدر بمعنى المفعول فانهم وسائط
بين الله تعالى وبين الناس فهم رسله عز وجل او بمنزلة رسله واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد
اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام لطيفة
قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك عليه السلام
وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل قوة
واكثر علما تجري منها مجرى الشمس من الاضواء منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في
معرفة الحق والتنزه عن الاستعمال الغير كما نعتهم الله عز وجل بقوله يسبحون الليل والنهار
لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض حسبما جرى عليه
قلم القضاء وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية وقالت طائفة من النصارى
هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان ونقل في شرح كشف انه عليه السلام قال
اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي انه

عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم
عشر ملايكة الارض الموكلين وهؤلاء كلهم عشر ملايكة السماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملايكة السما
الثانية وهكذا الى السماء السابعة ثم كل اوليك في مقابلة ملايكة الكرسي نزر قليل ثم جميع هؤلاء
عشر ملايكة سرادق واحد من سرادقات العرش التي عددها ستماية الف طول كل سرادق وعرضه
وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما لا يكون لها عنده قدر يحسوس وما
مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او قايم لهم زجل التسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في
مقابلة الملايكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم ملايكة اللوح الذين هم
اشياع اسرافيل عليه السلام والملايكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لا يحصي اجناسهم
ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا البارئ وهو العليم الخبير على ما قال وما يعلم جنود
ربك الا هو وروي انه صلى الله عليه وسلم حين عرج به الى السماء راى ملايكة في موضع
بمنزلة شرف يمشي بعضهم تجاه بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام
الى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ادري
واحدا منهم قد رايته قبل ذلك ثم سالا واحدا منهم منذ كم خلقت فقال لا ادري غير
ان الله تعالى يخلق في كل اربع ماية الف سنة كوكبا وقد خلق منذ خلقني اربعماية الف كوكب
فسبحانه من اله ما اعظم قدره وما اوسع ملكوته واختلف في الملايكة الذين قال لهم ما قيل
فقيل هم ملايكة الارض وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم الحادون مع
ابليس حين بعثه الله عز وعلا لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا
الدما فقتلوهم الا قليلا قد اخرجوهم من الارض والحقوهم بجزاير البحار وقلل الجبال وسكنوا
الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة واعطى ابليس ملك الارض وملك السما الدنيا وخزانة
الجنة وكان يعبد الله تعالى تارة في الارض وتارة في السما واخرى في الجنة فاخذه العجب من اجل
ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين رضي الله عنهم انهم كل الملايكة لعموم اللفظ وعدم
المخصص وقوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة في حيز النصب على انه مقول قال وصيغة الفاعل
بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك
لا محالة وهي من الجعل بمعنى التصيير المتعدي الى المفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف
المقدم على ما هو مقتضى الصناعة فان مفعولي التصيير في الحقيقة اسم صار وخبره اولهما
الاول وثانيهما الثاني وهما مبتدا وخبر والاصل في الارض خليفة ثم قيل صار في الارض خليفة
ثم تصير في الارض فمعناه بعد التبديل والتحويل اني جاعل خليفة من الخلايف او خليفة بعينه
كاينا ما كان في الارض فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب
في ان ذلك ليس مما يقتضيه المقام اصلا وانما الذي يقتضيه المقام هو الاخبار بجعل ادم عليه
السلام خليفة فيها كما يعرب عنه جواب الملايكة فاذا قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف
متعلق بجاعل قدم على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده

لكونه

لكونه نكرة واما مفعوله الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الدالة عليه كما في قوله عز وجل
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما حذف منه المفعول الصريح الاول وهو ضمير الاموال
لدلالة الحال عليه وكذلك في قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم حيث
حذف منه المفعول الاول لدلالة يبخلون عليه اي لا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم ولا ريب
في تحقق القرينة ههنا اما ان حمل على الحذف عند وقوع المحكي فهي واضحة لوقوعه في اثنا ذكره
عليه السلام على ما ستفصله كانه قيل اني خالق بشرا من طين وجاعله في الارض خليفة
واما ان حمل على انه لم يحذف هناك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة في الارض لكنه حذف
عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملايكة عليهم السلام قال العلامة الزمخشري
في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملايكة اني خالق بشرا من طين ان قلت كيف صح ان يقول
لهم بشرا من طين وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني
خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى حيث جاز عند الحكاية
عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة تدل عليه فلان يجوز ترك ما عز فيه ومعه قرينة
ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد وهو خليفة وحكم
الظرف في التعلق والتقديم كما مر فحينيذ لا يكون ما سياتي من كلام الملايكة مترتبا عليه
بالذات بل بالواسطة فانه روي انه تعالى لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا
ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية ويفسدون في الارض ويتحاسدون
ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا والله تعالى اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه
فعيل بمعنى الفاعل والتا للمبالغة والمراد به اما ادم وبنوه واما اقتصر عليه استغنا بذكره
عن ذكرهم كما يستغني عن ذكر القبيلة بذكر ابيها كمضر وهاشم ومنه الخلافة في قريش واما
من يخلف او خلفا يخلف فيعمه عليه السلام وغيره من خلفا ذريته والمراد بالخلافة اما الخلافة
من جهته سبحانه في اجرا احكامه وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا لحاجة
به تعالى الى ذلك لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات
فيختص بالخواص من بنيه واما الخلافة ممن كان في الارض قبل ذلك فيعم حينيذ الجميع قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قالت الملايكة حينيذ فقيل قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها وهو ايضا من الجعل المتعدي الى اثنين فقيل فيهما ما قيل في الاولى والظاهر ان الاول
كلمة من والثاني محذوف ثقة بما ذكر في الكلام السابق كما حذف الاول ثم تعويلا على ما ذكر
هنا قال قايلهم لا تخلنا على غرايك انا طالما قد وشى بنا الاعدا بحذف المفعول
الثاني اي لا تخلنا جازعين على غرايك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف
الاول متعلق بتجعل وتقديمه لما مر مرارا والثاني بيفسد وفايدته تاكيد الاستبعاد لما
ان في استخلاف المفسد في محل افساده من البعد ما ليس في استخلافه في غيره هذا وقد جوز كون
من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو كلمة من وانت خبير بان مدار تعجبهم ليس

اشارة الى [illegible] ... دينار [illegible]

خلق من يفسد في الارض كيف لا وان ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى احقيتهم منه
تقضي ببطلانه حتما اذ لا صحة لدعوى الاحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره ان
يستخلف لعمارة الارض واصلاحها باجراء احكام الله تعالى واوامره او يستخلف مكان
المطبوعين على الطاعة من من شان بني آدم نوعه الافساد وسفك الدما وهو عليه السلام
وان كان منزها عن ذلك الا ان استخلافه مستتبع لاستخلاف ذريته التي لا يخلو عنه غالبا
وانما اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بذت على ملك المفاسد والغيها
واستخبارا عما يزيح شبهتهم ويرشدهم الى معرفة ما فيه عليه السلام من الفضايل التي
جعلته اهلا لذلك كسؤال المتعلم عما ينقدح في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله سبحانه
ولا شكا في اشتماله على الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام ولا في ذريته
على وجه الغيبة فان منصبهم اجل من ان يظن بهم امثال ذلك قال الله تعالى بل عباد مكرمون
لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ما قالوا اما باخبار من الله تعالى حسبما
نقل من قبل او بتلق من اللوح او باستنباط عما ارتكز في عقولهم من اختصاص العصمة بهم او بقياس
لاحد الثقلين على الآخر ويسفك الدما السفك والسفح والسكب انواع من الصب والاولان
مختصان بالدم بل لا يستعمل اولهما الا في الدم الحرام اي بقتل النفوس المحرمة بغير حق وانما عبر
عنه بسفك الدما لما انه اقبح انواع القتل وافظعه وقرئ يسفك الدما بضم الفاء ويسفك
ويسفك من اسفك وسفك وقرئ يسفك على البنا للمفعول وحذف الراجع الى الموصول
او موصوفه اي يسفك الدما فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك جملة حالية مقررة للتعجب السابق
ومؤكدة له على طريقة قول من يجد في خدمة مولاه وهو يامر بها غيره اتستخدم العصاة وانا
مجتهد فيها كانه قيل اتستخلف من من شانه ذريته الفساد مع وجود من ليس من شانه ذلك اصلا
والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة واستفسار عما رجحهم عليهم مع ما هو متوقع منهم من
الموانع لا العجب والتفاخر فكانهم شعروا بما فيهم من القوة الشهوية التي رذيلتها الافراطية
الفساد في الارض والقوة الغضبية التي رذيلتها الافراطية سفك الدما فقالوا ما قالوا
وذهلوا عما اذا سخرتهما القوة العقلية ومرنتهما على الخير يحصل بذلك من علو الدرجة ما يقصر
عن بلوغ رتبته القوة العقلية عند انفرادها في افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيات
واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما نيط به
امر الخلافة والتسبيح تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه
سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري
وكذلك تقديسه تعالى من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدسه اي طهره
فان مطهر الشيء مبعد عن الاقذار والباء في بحمدك متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير
اي ننزهك عن كل ما لا يليق بشانك ملتبسين بحمدك على ما انعمت به علينا من فنون النعم
التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات

الاكرام واللام في لك اما مزيدة والمعنى نقدسك واما صلة للفعل كما في سجدت لله واما
للبيان كما في سقيا لك فيكون متعلقة بمحذوف اي نقدس تقديسا لك اي نصفك بما يليق
بك من العلو والعزة وننزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك
كانهم قابلوا الفساد الذي اعظمه الاشراك بالتسبيح وسفك الدما الذي هو تلويث
النفس باقبح الجرائم بتطهير النفس عن الآثام لا تمدحا بذلك ولا اظهارا للمنة بل بيانا للواقع
قال اني اعلم ما لا تعلمون استيناف كما سبق ليس المراد بيان انه تعالى يعلم ما لا يعلمونه
من الاشيا كائنا ما كان فان ذلك مما يشبه لهم فيه حتى يفتقروا الى التنبيه عليه لا سيما
بطريق التوكيد بل بيان ان فيه عليه السلام معاني مستدعية لاستخلافه اذ هو الذي
خفي عليهم وبنوا عليه ما بنوا من التعجب والاستبعاد فما موصولة كانت او موصوفة
عبارة عن تلك المعاني والمعنى اني اعلم ما لا تعلمونه من دواعي الخلافة فيه وانما يقتصر
على بيان تحققها فيه عليه السلام بان قيل مثلا ان فيه ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته
تعالى به وغفلتهم عنه تفخيما لشانه وايذانا بابتنا امره تعالى على العلم الرصين والحكمة
المتقنة وصدوره عن الغفلة وقيل معناه اني اعلم من المصالح في استخلافه ما هو
خفي عليكم وان هذا ارشاد للملائكة الى العلم بان افعاله تعالى كلها حسنة وحكمة وان
خفي عليهم وجه الحسن والحكمة وانت خبير بانه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل
ويكون تعجبهم مبنيا على ترددهم في اشتمال هذا الفعل لحكمة ما وذلك مما لا يليق بشانهم
فانهم عالمون بان ذلك متضمن لحكمة ما ولكنهم مترددون في انها ماذا اهل هو امر راجع
الى محض حكم الله عز وجل او الى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى لهم اولا على
وجه الاجمال والابهام ان فيه فضايل غايبة عنهم ليستشرفوا اليها ثم ابرز لهم طرفا منها
ليعاينوه جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وتنزاح شبهتهم بالكلية وعلم آدم الاسما
كلها شروع في تفصيل ما جرى بعد الجواب الاجمالي تحقيقا لمضمونه وتفسيرا لابهامه وهو
عطف على قال والابتدا بحكاية التعليم يدل بظاهره على ان ما مر من المقاولة المحكية
انما جرت بعد خلقه عليه السلام بمحضر منه وهو الانسب بوقوف الملائكة على احواله عليه
السلام بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل اياه خليفة فقيل ما قيل كما اشير اليه وايراده
عليه السلام باسمه العلمي لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولان ذكره بعنوان الخلافة لا يلايم مقام
تمهيد مباديها وهو اسم اعجمي والاقرب ان وزنه فاعل كشالخ وعاذر وعابر وفالغ لا افعل
والتصدي لاشتقاقه من الادمة والادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض بنا على
ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق
منها آدم ولذلك اختلف الوان ذريته او من الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف
كاشتقاق يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق
ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله

عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان أو مركبا مخبرا عنه أو خبرا أو رابطة بينهما واصطلاحا
في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن بالزمان والمراد ههنا اما الأول او الثاني
وهو مستلزم للأول إذ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة على المعاني مسبوق بالعلم بها
والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد
إفاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه من جهته كما مر في تفسير
الهدى وهو السر في إيثاره على الإعلام والإنباء فانهما إنما يتوقفان على سماع الخبر الذي
يشترك فيه البشر والملك وبه يظهر احقيته بالخلافة منهم عليه السلام لما ان جبلتهم
غير مستعدة للإحاطة بتفاصيل أحوال الجزئيات الجسمانية خبرا فمعنى تعليمه تعالى
إياه ان يخلق فيه إذ ذاك بموجب استعداده علما ضروريا تفصيليا باسما جميع المسميات
وأحوالها وخواصها اللائقة بكل منها او يلقي في روعه تفصيلا ان هذا فرس وشانه كيت وكيت
وذاك بعير وحاله ذيت إلى غير ذلك من أحوال الموجودات فيتلقاها عليه السلام حسبما
يقتضيه استعداده ويستدعيه قابليته المتفرعة على فطرته المنطوية على طبايع متباينة
وقوى مختلفة وعناصر متغايرة قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة وقتادة ومجاهد
وابن جبير رضي الله عنهم علمه اسما جميع الاشيا حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب
وانحى منفعة كل شيء إلى جنسه وقيل اسما ما كان وما يكون إلى يوم القيمة وقيل معنى قوله تعالى
وعلم آدم الاسما خلقه من اجزا مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات
من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشيا واسمائها
وخواصها ومعارفها واصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيات استعمالها
فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام وقيل التعليم على ظاهره ولكن هناك جملا
مطوية عطف عليها المذكور اي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلم الخ **ثم عرضهم على الملائكة**
الضمير للمسميات المدلول عليها بالاسماء كما في قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والتذكير
لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهن وعرضها اي عرض مسمياتهن او مسمياتها في الحديث
انه تعالى عرضهم امثال الذر ولعله عز وجل عرض عليهم من كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا
يتعرف منه احوال البقية واحكامها **فقال انبئوني باسماء هؤلاء** تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم
عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة بغير وقوف
على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والانبا اخبار فيه اعلام ولذلك يجري
مجرى كل منهما والمراد ههنا ما خلا عنه وايثاره على الاخبار للايذان برفعة شان الاسما وعظم
خطرها فان النبأ انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم **ان كنتم صادقين** اي في زعمكم انكم
احقاء بالخلافة ممن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق إلى الكلام باعتبار
منطوقه قد يتطرق إليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار فان ادنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف
على اسما ما في الارض واما ما قيل ان المعنى في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدما

فليس

فليس مما يقتضيه المقام وان الاول بان يقال في زعمكم اني استخلف من غالب امره الافساد وسفك
الدما من غير ان يكون له مزية من جهة اخرى اذ لا تعلق له بامرهم بالانبا وجواب الشرط محذوف
لدلالة المذكور عليه **قالوا** استيناف واقع موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا هل خرجوا عن
عهدة ما كلفوه او لا فقيل قالوا **سبحانك** قيل هو علم للتسبيح ولا يكاد يستعمل الا مضافا وقد
جا غير مضاف على الشذوذ وغير منصرف للتعريف والالف والنون المزيدتين كما في قوله سبحانه
من علقمة الفاخر واما ما في قوله سبحانه ثم سبحانا نعوذ له فقيل صرفه للضرورة وقيل لانه مصدر
منكر كغفران لا انه مصدر ومعناه على الاول نسبحك عما لا يليق بشانك الاقدس من الامور التي
من جملتها خلو افعالك من الحكم والمصالح وعنوا بذلك تسبيحا ناشيا عن كمال طمأنينة النفس والا
يقان باشتمال استخلاف آدم عليه السلام على الحكم البالغة وعلى الثاني تنزهت عن ذلك
تنزها ناشيا عن ذلك وارادوا به انهم قالوه عن اذعان لما علموا اجمالا بانه عليه السلام
يكلف ما كلفوه وانه يقدر على ما قد عجزوا عنه مما يتوقف عليه الخلافة وقوله عز وعلا
لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف منهم بالعجز عما كلفوه اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتنا بحسب
قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتى
لو كنا مستعدين لذلك لافضته علينا وما في علمتنا موصولة حذف من صلتها عائدها او مصدرية
ولقد نفوا عنهم العلم بالاسما على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بان قالوا
مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة ما لا يعلمونه واشعروا بان كونه من تلك الجملة غني عن البيان
انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية وهذا اشارة الى تحقيقهم لقوله تعالى اني اعلم
ما لا تعلمون **الحكيم** اي المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة وهو
خبر بعد خبر او صفة للاول وانت ضمير الفصل ولا محل له من الاعراب او له محل مشارك
لما قبله كما قاله الفرا ولما بعده كما قاله الكسائي وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك
انت وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان وتلك الجملة تعليل لما سبق من قصر علمهم بما علمهم
الله تعالى وما يفهم من ذلك من علم آدم عليه السلام بما خفي عليهم فكانهم قالوا انت العالم
بكل المعلومات التي من جملتها استعداد آدم عليه السلام لما نحن بمعزل من استعداد
له من العلوم الخفية المتعلقة بما في الارض من انواع المخلوقات التي عليها يدور فلك الخلافة
الحكيم الذي لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم آدم عليه السلام بما هو قابل له
من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بالاحكام الواردة على ما في الارض وبنا امر
الخلافة عليها **قال** استيناف كما سلف **يا آدم انبئهم** اي اعلمهم اوثر على انبئني كما وقع في
امر الملائكة عليه السلام مع حصول المراد معه ايضا وهو ظهور فضل آدم ابانة لما بين الامرين
من التفاوت الجلي وايذانا بان علمه عليه السلام بها امر واضح غير محتاج الى ما يجري مجرى الامتحان
وانه عليه السلام حقيق بان يعلمها غيره وقرئ بقلب الهمزة يا وبحذفها ايضا والها مكسورة فيهما
باسمائهم التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها **فلما انباهم باسمائهم**

الفاء فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف تقتضيه المقام وتنسحب عليه الكلام للايذان
بتقرره وغناه عن الذكر وللاشعار بتحققه في اسرع ما يكون كما في قوله عز وعلا فلما رآه مستقرا
عنده بعد قوله سبحانه انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واظهار الاسماء في موقع الاضمار
لاظهار كمال العناية بشانها والايذان بانه عم انباءهم بها على وجه التفصيل دون الاجمال
والمعنى فانباهم باسمائهم مفصلة وبين لهم احوال كل منهم وخواصه واحكامه المتعلقة
بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك لما راوا انه عليه السلام لم   في شيء من التفاصيل التي ذكرها
مع مساعدة ما بين الاسماء والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة
لصدق مقالاته عليه السلام فلما انباهم بذلك قال عز وجل تقريرا لما مر من الجواب
الاجمالي واستحضارا له الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض لكن لا لتقرير نفسه كما في قوله تعالى
الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظائره بل لتقرير ما يفيده من تحقق دواعي الخلافة في آدم عليه
السلام بظهور مبدائه واراد بما لا يعلمون لعنوان الغيب مضافا الى السموات والارض
للمبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الايذان بان ما ظهر من عجزهم وعلم آدم
عليه السلام من الامور المتعلقة باهل السموات واهل الارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما
لا تعلمون فيما سبق ما اشير اليه هناك كانه قيل الم اقل لكم اني اعلم فيه من دواعي الخلافة
ما لا تعلمونه فيه هو هذا الذي عاينتموه وقوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون عطف
على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو غير داخل تحت القول وما في الموضعين موصولة حذف
عايدها اي اعلم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان باستمرار كتمهم قيل المراد
بما تبدون قولهم اتجعل الخ وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق
خلقا افضل منهم روي انه تعالى لما خلق آدم عليه السلام رات الملائكة فطرته العجيبة وقالوا
ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه وقيل هو ما اسره ابليس في نفسه من الكبر
وترك السجود فاسناد الكتمان ح الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد
من بينهم قالوا في الآية الكريمة دلالة على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة
وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم يصح اطلاقه على الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم
عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية اذ الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص
او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع
وما هو الا من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار وان علوم الملائكة
وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى
وما منا الا له مقام معلوم وان آدم عليه السلام افضل من هؤلاء الملائكة عليهم السلام لانه اعلم
منهم وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة عطف على الظرف الاول منصوب
بما نصبه من المضمر او بناصب مستقل معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة اي واذكر
وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام اي اطاعوا وقت قولنا لهم الخ وقد عرفت ما في

امثاله

امثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر ايراده على منهاج ما قبله من الاقوال
المحكية المتصلة به للايذان بان ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها
والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تاكيد الاستقلال وكذا اظهار
الملائكة في موقع الاضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرئ بضم تاء
الملائكة اتباعا بضم الجيم في قوله تعالى اسجدوا لآدم كما قرئ بكسر الدال في قوله تعالى الحمد لله
اتباعا لكسر اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع وضع الجبهة
على الارض على قصد العبادة فقيل امروا بالسجود له عليه السلام على وجه التحية والتكرمة
تعظيما له واعترافا بفضله واداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في شانه وقيل امروا
بالسجود له تعالى وانما كان آدم قبلة لسجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه فكانه تعالى لما
براه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما
على نمط بديع امرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان
اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او في قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك
الشمس والاول هو الاظهر وقوله عز وجل فسجدوا عطف على قلنا والفاء لافادة مسارعتهم
الى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك روي عن وهب ان اول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل
ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة عليهم السلام وقوله الا ابليس استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا
مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني واحدا منهم
او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو منهم
او لان الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود له لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم
اعجمي ولذلك لم ينصرف ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو اليأس قال انه شبه بالعجمة حيث
لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمي واعلم ان الذي يقتضيه هذه الآية الكريمة والتي في سورة
الاعراف من قوله تعالى ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية والتي في سورة بني اسرائيل
وسورة الكهف وسورة طه من قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الآية ان سجود
الملائكة انما ترتب على الامر التنجيزي الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما
يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون الوقوع الذي به ورد الامر التعليقي ولكن ما في سورة
الحجر من قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون وما في سورة ص من قوله
تعالى اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين الى آخر الآية يستدعيان بظاهرهما ترتبه على
ما فيهما من الامر التعليقي من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفاء الفصيحة من الخلق والتسوية
ونفخ الروح فيه وقد روي عن وهب انه كان السجود كما نفخ فيه الروح بلا تاخير وتاويل الآيات
السابقة بحمل ما فيها من الامر على حكاية الامر التعليقي بعد تحقق المعلق به اجمالا فانه يكون في حكم
التنجيز يابا ما في سورة الاعراف من كلمة ثم المنادية بتاخير ورود الامر عن التصوير المتاخر عن

هو قوله تعالى فقعوا له ساجدين

الخلق المتاخر عن الامر التعليقي والاعتذار بحمل التراخي على الرتبي والتراخي في الاخبار او بان
الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به لما كان في عدم ايجاب المامور به بمنزلة العدم جعل كانه
انما حدث بعد تحققه فحكي على صورة التنجيز يؤدي بعد التيا والتي الى ان ما جرى بينه تعالى وبينهم
عم في شان الخلافة وما قالوا فيه وما سمعوا انما جرى بعد السجود المسبوق بمعرفة جلالة
منزلته عليه السلام وخروج ابليس من البين باللعن المؤبد لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك
كله عيانا وهل هو الا خرق لقضية العقل والنقل والالتجاء في التفصي عنه الى تاويل نفخ الروح
بحمله على ما يعم افاضة ما به حيوة النفوس التي من جملتها الانباء تعسف ينبئ عن ضيق المجال الذي
يقتضيه التضييق • ويستدعيه النظر الانيق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون والفحص
عما فيه من السر المخزون • ان سجودهم له انما ترتب على الامر التنجيزي المتفرع على ظهوره عليه السلام
المبني على المحاورة المسبوقة بالاخبار بخلافته المنتظم جميع ذلك في سلك ما نيط به الامر التعليقي
من التسوية ونفخ الروح اذ ليس مرضيه وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه فان الفا الجزائية
ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشرط من غير تراخ للقطع بعدم وجوب السعي
عقيب النداء لقوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الاية وبعدم وجوب اقامة
الصلوة عقب الا   لقوله تعالى فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلوة بل انما الوجوب عند دخول
الوقت كيف لا والحكمة الداعية الى ورود ما نحن فيه من الامر التعليقي آذنت انما هي حمل الملائكة
عليهم على التامل في شانه عليه السلام ليتدبروا في احواله طرا • ويحيطوا بما لديه خبرا • واستفهموا ما عسى
يبهم عليهم في امره لابتنائه على حكم ابية • واسرار خفية • طويت عن علومهم وبقوا عرضة للحال فيكل
ورود الامر التنجيزي وتحتم الامتثال • وقد قالوا بحسب ذلك ما قالوا وعاينوا ما عاينوا وعدم
نظم الامر التنجيزي في السور عند الحكاية لا يستلزم عدم انتظامه فيه عند وقوع
المحكي كما ان عدم ذكر الامر التعليقي عند حكاية الامر التنجيزي في السور الكريمة لا يوجب عدم
مسبوقيته فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه
حسن الانتظام ليست بعزيزة في الكتاب العزيز وناهيك بما نقل في توجيه قوله تعالى اني خالق بشرا
مع عدم سبق معرفة الملائكة عم بذلك وحيث صير اليه مع انه لم يرد به نقل فما ظنك بما قد
وقع التصريح به في مواضع عديدة فلعله تعالى القى اليهم ابتداء جميع ما يتوقف عليه الامر التنجيزي
اجمالا بان قيل مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته ونفخت
فيه الروح فقالوا عند ذلك ما قالوا والقى اليهم حال الخلافة بعد تحقق الشرايط المعدودة
بان قيل اثر نفخ الروح فيه اني جاعل هذا خليفة في الارض فهناك ذكروا في حقه عليه السلام
ما ذكروا فايده الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر التنجيزي
اعتناء بشان المامور به وتعيينا لوقته وقد حكي بعض الامور في بعض المواطن وبعضها في بعضها
اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يحسم مادة الاشتباه ان ما في سورة ص
من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الخ بدل من قوله تعالى اذ يختصمون فيما قبله من قوله تعالى

ما كان

ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند اختصامهم والمراد بالملأ الاعلى الملائكة
وآدم عليه السلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور الائمة وباختصامهم ما جرى بينهم في شان
خلافة آدم عليه السلام من التقاول الذي من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء ع
بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور في تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا من الامر
التعليقي وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد
ابليس وما تبعه من لعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ
ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت من
انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة الانباء بالاسماء ح فهو اذن بعد نفخ
الروح وقبل السجود جمعا باحد الطرفين والله سبحانه اعلم بحقيقة الامر ابى واستكبر استئناف مبين
لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء وانه لم يكن للتردد والتامل والاباء الامتناع بالاختيار
والتكبر ان يرى نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع اي امتنع عما امر به واستكبر
من ان يتخذه وصلة في عبادة ربه وتقديم الاباء على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره
ووضوح اثره واقتصر في سورة ص على ذكر الاستكبار اكتفاء به وفي سورة الحجر على ذكر الاباء حيث
قيل ابى ان يكون من الساجدين وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى او كان اصله من كفرة الجن
فلذلك ارتكب ما ارتكبه على ما افصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فالجملة
اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار او وصار منهم باستقباح امره تعالى اياه بالسجود
لادم عليه السلام زعما منه انه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر بالخضوع للمفضول كما يفصح
عنه قوله انا خير منه حين قيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين
لا بترك وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الواو على الفاء • وقلنا شروع في حكاية
ما جرى بينه تعالى وبين آدم عليه السلام بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة وابليس
من الاقوال والافعال وقد تركت حكاية توبيخ ابليس وجوابه ولعنه واستنظاره وانظاره
اجتزاء بما فصل في سائر السور الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح في ذلك اختلاف
وقتيهما فان المراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان ممتد واسع للقولين وقيل هو
عطف على اذ قلنا باضمار اذ وهذا تذكير لنعمة اخرى موجبة للشكر مانعة من الكفر وتصدير
الكلام بالندا في قوله تعالى يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة للتنبيه على الاهتمام بالمامور به
وتخصيص اصل الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته في مباشرة المامور به واسكن من السكنى
وهو اللبث والاقامة والاستقرار دون السكون الذي هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن
ليصح العطف عليه واختلف في وقت خلق زوجه فذكر السدي عن ابن مسعود وابن عباس
وناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ان الله تعالى اخرج ابليس من الجنة واسكنها
ادم فبقي فيها وحده وما كان معه من يستانس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من جانبه
الايسر ووضع مكانه لحما وخلق حواء منه فلما استيقظ وجدها عند راسه قاعدة فسالها ما انت

قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن إليّ فقالت الملائكة تجربة لعلمه من هذه قال مرأة
قالوا لم سميت مرأة قال لأنها من المرء أخذت فقالوا ما اسمها قال حوا قال لم سميت حوا
قال لأنها خلقت من شيء حي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بعث الله جندا من الملائكة
فحملوا آدم وحوا على سرير من ذهب كما تحمل الملوك ولباسهما النور حتى أدخلوا الجنة وهذا كما
ترى يدل على خلقها قبل دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لأنها المعهودة وقيل هي جنة
بأرض فلسطين أو بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الإهباط على النقل
منها إلى أرض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا لما أن خلقه عليه السلام كان في الأرض
بلا خلاف ولم يذكر في هذه القصة رفعه إلى السماء ولو وقع ذلك لكان أولى بالذكر والتذكير
لما أنه من أعظم النعم ولأنها لو كانت دار الخلد لما دخلها إبليس وقيل إنها كانت في السماء
السابعة بدليل اهبطوا ثم إن الإهباط الأول كان منها إلى السماء الدنيا والثاني منها إلى الأرض
وقيل الكل ممكن والأدلة النقلية متعارضة فوجب التوقف وترك القطع وكلا منها أي من
ثمارها وإنما وجه الخطاب إليهما تعميما للتشريف والترفيه ومبالغة في إزالة العلل والأعذار
وإيذانا بتساويهما في مباشرة المأمور فإن حوا أسوة له في الأكل بخلاف السكنى فإنها تابعة له فيه
رغدا صفة للمصدر المؤكد أي أكلا واسعا رافها حيث شئتما أي أي مكان أردتما منها وهذا كما ترك
إطلاق كلي حيث أبيح لهما منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الأكل
ولا بعض المواضع الجامعة للمأكولات حتى لا يبقى لهما عذر في تناول ما منعا منه بقوله تعالى
ولا تقربا بفتح الراء من قربت الشيء بالكسر أقربه بالفتح إذا التبست به وقاله الجوهري
قرب بالضم يقرب قربا أي دنا وقربته بالكسر قربانا دنوت منه هذه الشجرة نصب على أنه بدل من اسم
الإشارة أو نعت له بتأويلها بمشتق أي هذه الحاضرة من الشجرة أي لا تأكلا منها وإنما علق النهي بالقربان
منها مبالغة في تحريم الأكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة والعنبة والتينة وقيل هي
شجرة من أكل منها أحدث والأولى عدم تعيينها من غير قاطع وقرئ هذي بالياء وبكسر شين الشجرة وقرئ
تقربا وقرئ الشيرة بكسر الشين وفتح الياء فتكونا من الظالمين مجزوم على أنه معطوف على تقربا أو منصوب
على أنه جواب للنهي وأيا ما كان فالقرب أي الأكل منها سبب لكونهما من الظالمين أي الذين ظلموا أنفسهم
بارتكاب المعصية أو نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم أو تعدوا حدود الله تعالى ٥
فأزلهما الشيطان عنها أي أصدر زلتهما أي زلقهما وحملهما على الزلة بسببها ونظير عن هذه ما في
قوله تعالى وما فعلته عن أمري أو أزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما وأبعدهما عنها يقال زل عني كذا إذا
ذهب عنك ويعضده قراءة أزالهما متقاربان في المعنى فإن الإزلال أي الإزلاق يقتضي زوال الزوال
عن موضعه البتة وإزالته قوله لهما هل أدلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن
هذه الشجرة الآية إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ومقاسمته لهما إني لكما لمن الناصحين وهذه الآيات
مشعرة بأنه عليه السلام لم يؤمر بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه التكرمة والتشريف لما قلد من
خلافة الأرض إلى حين البعث إليها واختلف في كيفية توصله إليهما بعدما قيل له اخرج منها فإنك رجيم

فقيل

فقيل إنه إنما منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة عليهم السلام ولم يمنع من الدخول
للوسوسة ابتلاء لآدم وحوا وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل
ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية فدخلت معها وقيل أرسل بعض أتباعه فأزلهما والعلم عند الله
سبحانه وتعالى فأخرجهما مما كانا فيه أي من الجنة إن كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك
للإيذان بفخامتها وجلالتها وملابستهما له أي من المكان العظيم الذي كانا مستقرين فيه أو من
الكرامة والنعيم إن كان الضمير للجنة وقلنا اهبطوا الخطاب لآدم وحوا بدليل قوله تعالى
قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لأنهما أصل الجنس فكأنهما الجنس كلهم وقيل لهما وللحية وإبليس
إنه أخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة أو يدخلها مسارقة أو أهبط من السماء وقرئ
بضم الباء بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها عن الواو بالضمير أي متعادين يبغي بعضكم على بعض
بتضليله أو استئناف لا محل له من الإعراب وإفراد العدو إما للنظر إلى لفظ البعض وإما لأن وزانه
وزان المصدر كالقبول ولكم في الأرض التي هي محل الإهباط والظرف متعلق بما يتعلق به الخبر أعني لكم
من الاستقرار مستقر أي استقرار أو موضع استقرار ومتاع أي تمتع بالعيش وانتفاع به إلى حين وهو
حين الموت على أن يتمتع كل فرد من المخاطبين أو القيامة على أنه تمتع الجنس في ضمن بعض الأفراد والجملة
كالتي قبلها في كونها حالا أي مستحقين للاستقرار والتمتع أو استئنافا فتلقى آدم من ربه كلمات أي استقبلها
بالأخذ والقبول والعمل بها حين علمها ولقنها وقرئ بنصب آدم ورفع كلمات دلالة على أنها
استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وعن
ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب ألم تنفخ في من روحك
قال بلى قال يا رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال
يا رب إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة قال نعم والفاء للدلالة على أن التوبة حصلت عقيب
الأمر بالهبوط قبل تحقق المأمور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليه عليه السلام
للتشريف والإيذان بعلية التلقي الكلمات المدلول عليه بتلقيها فتاب عليه أي رجع عليه بالرحمة
وقبول التوبة والفاء للدلالة على ترتبه على تلقي الكلمات المتضمنة لمعنى التوبة التي هي عبارة
عن الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود إليه واكتفي بذكر شأن آدم عليه السلام
لما أن حوا تبع له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في أكثر مواقع الكتاب والسنة إنه هو التواب أي
الرجاع على عباده بالمغفرة والذي يكثر إعانتهم على التوبة وأصل التوب الرجوع فإذا وصف
به العبد كان رجوعا عن المعصية وإذا وصف به الباري عز وعلا أريد به الرجوع عن العقاب
إلى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالإحسان مع العفو
والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب عليه قلنا استئناف مبني على سؤال ينسحب عليه الكلام
كأنه قيل فماذا وقع بعد قبول توبته فقيل قلنا اهبطوا منها جميعا كرر الأمر بالهبوط إيذانا بتحتم
مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع في أمنيته عليه السلام استتباع قبول التوبة للعفو

عن ذلك وإظهار لنوع إرادة به عليه السلام لما بين الأمرين من الفرق البين كيف لا والأول مشوب
بضرب سخط مذيل ببيان أن مهبطهم دار بلية وتعاد لا يخلدون فيها والثاني مقرون بوعد إيتاء الهدى
المؤدي إلى النجاة والنجاح وأما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا أوليا بل إنما
هو دائر على سوء اختيار المكلفين قيل وفيه تنبيه على أن الحازم يكفيه في الردع عن مخالفة حكم
الله تعالى مخافة الإهباط المقترن بأحد هذين الأمرين فكيف بالمقترن بهما فتأمل وقيل الأول
من الجنة إلى السماء الدنيا والثاني منها إلى الأرض ويأباه التعرض لاستقرارهم في الأرض في الأول
ورجوع الضمير إلى الجنة في الثاني وجميعا حال في اللفظ وتأكيد في المعنى كأنه قيل اهبطوا أنتم
أجمعون ولذلك لا يستدعي الاجتماع على الهبوط في زمان واحد كما في قولك جاؤوا جميعا بخلاف
قولك جاؤوا معا فإما يأتينكم مني هدى الفاء لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم من الأمر به وإما
مركبة من إن الشرطية وما المزيدة المؤكدة لمعناها والفعل في محل الجزم بالشرط لأنه مبني لاتصاله
بنون التأكيد وقيل معرب مطلقا وقيل مبني مطلقا والتصحيح التفصيل إن باشرته النون بني
وإلا أعرب نحو هل يقومان وتقديم الظرف على الفاعل لما مر غير مرة والمعنى إن يأتينكم مني هدى
برسول أبعثه إليكم وكتاب أنزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون كما في قولك إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك وإيراد كلمة الشك مع تحقق الإتيان
لا محالة للإيذان بأن الإيمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وإنزال الكتب بل يكفي في
وجوبه إفاضة العقل ونصب الأدلة الآفاقية والأنفسية والتمكين من النظر والاستدلال أو للجري
على سنن العظماء في إيراد عسى ولعل في مواضع القطع والجزم والمعنى أن من تبع هداي منكم فلا خوف
عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات المطلوب أي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم
ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا أنه لا يعتريهم نفس الخوف والحزن أصلا بل يستمرون على
السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته
واستقصار الجد والسعي في إقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص المقربين والمراد بيان دوام
انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يتوهم من كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في موضعه
أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام وإظهار الهدى مضافا
إلى ضمير الجلالة لتعظيمه وتأكيد وجوب اتباعه أو لأن المراد بالثاني ما هو أعم من الهدى بالشرع
وما ذكر من إفاضة العقل ونصب الأدلة الآفاقية والأنفسية كما قيل وقرئ هدي على لغة هذيل
ولا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا بآياتنا عطف على من تبع الخ قسيم له كأنه قيل ومن لم يتبعه وإنما
أوثر عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضلالة وإظهارا لكمال قبحها وإيراد الموصول بصيغة الجمع للإشعار
بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للإيذان بتنوع الهدى إلى ما ذكر من النوعين وإيراد نون العظمة
لتربية المهابة وإدخال الروعة وإضافة الآيات إليها لإظهار كمال قبح التكذيب بها أي والذين كفروا
برسلنا المرسلة إليهم وكذبوا بآياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا بآياته التي أنزلها
على الأنبياء وأظهرها بأيديهم من المعجزات وقيل كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا

الفعلين

الفعلين متوجها إلى الجنان واللسان والآية في الأصل العلامة الظاهرة قال النابغة
توهمت آيات لها فعرفتها ... لستة أعوام وذا العام سابع ... وتقال للمصنوعات من حيث دلالتها
على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل لأنها
علامة لانفصال ما قبلها عما بعدها وقيل لأنها تجمع كلمات منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان بآيتهم
أي بجماعتهم قال خرجنا من النقبين لا حي مثلنا ... بآيتنا نزجي اللقاح المطافلا ... واشتقاقها من أي
لأنها تبين أيا من أي أو من أوى إليه أي رجع وأصلها أية أو أوية فأبدلت عينهما ألفا على
غير قياس أو أيية أو أوية كرمكة فأعلت أو آيية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا أولئك
إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب وفيه إشعار
بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للإشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد
منزلتهم فيه وهو مبتدأ وقوله عز وجل أصحاب النار أي ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها
خبره والجملة خبر للموصول أو اسم الإشارة بدل من الموصول أو عطف بيان له وأصحاب النار
خبر له وقوله تعالى هم فيها خالدون في حيز النصب على الحالية لورود التصريح به في قوله تعالى
أصحاب النار خالدين فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الإضافة
أو اللام المقدرة أو في محل الرفع على أنه خبر آخر لأولئك على رأي من جوز وقوع الجملة خبرا
ثانيا وفيها متعلق بخالدون والخلود في الأصل المكث الطويل وقد انعقد الإجماع على أن المراد به
الدوام يا بني إسرائيل تلوين للخطاب وتوجيه له إلى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبي
عليه السلام لتذكيرهم بفنون النعم الفائضة عليهم بعد توجيهه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأمره بتذكير كلهم بالنعمة العامة لبني آدم قاطبة بقوله تعالى وإذ قال ربك الخ وإذ قلنا
للملائكة الخ لأن المعنى كما أشير إليه بلغهم كلامي واذكر لهم إذ جعلنا أباهم خليفة في الأرض
وسجود الملائكة عليهم السلام وشرفناه بتعليم الأسماء وقبلنا توبته والابن من البناء لأنه
مبني أبيه ولذلك ينسب المصنوع إلى صانعه فيقال أبو الحرب وبنت فكر وإسرائيل لقب يعقوب
عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ إسرائل بحذف الياء وإسرال
بحذفهما وإسرايل بقلب الهمزة ياء وإسرائل بهمزة مفتوحة وإسرئل بهمزة مكسورة بين الراء واللام
وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما أنهم أوفر الناس نعمة وأكثرهم كفرا بها اذكروا نعمتي التي
أنعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه إشعار بأنهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها
بالبال لا أنهم أهملوا شكرها فقط وإضافة النعمة إلى ضمير الجلالة لتشريفها وإيجاب تخصيص
شكرها به تعالى وتقييد النعمة فإذا نظر إلى ما فاض عليه من النعم حمله ذلك على الرضا والشكر
قيل أريد بها ما أنعم به على آبائهم من النعم التي سيجيء تفصيلها وعليهم من فنون النعم التي أجلها عصر النبي
صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا من الافتعال ونعمتي بإسكان الياء وإسقاطها في الدرج وهو
مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها وأوفوا بعهدي بالإيمان والطاعة أوف بعهدكم بحسن
الإثابة والعهد يضاف إلى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الأول مضاف إلى الفاعل ووعدلهم

بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتبه منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة
ومن الله تعالى حقن الدماء والاموال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث نغفل عن انفسنا
فضلا عن غيرنا ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم واما ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
اوفوا بعهدي في اتباع محمد عليه السلام اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره
اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق
المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى
المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من
حسن الاثابة وتفصيل العهدين في قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله
ولادخلنكم جنات الخ وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة والتاكيد واياي فارهبون فيما تاتون
وما تذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع
التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم
راهبين شيئا فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة
على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف الا الله تعالى وآمنوا بما انزلت
افرد الايمان بالقرآن بالامر به لما انه العمدة القصوى في شان الوفاء بالعهد مصدقا لما معكم
من التوراة والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم بتصديقه لها فان المعية مئنة لتكرار
المراجعة اليها والوقوف على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكونه مصدقا لها ومعنى
تصديقه للتوراة انه نازل حسبما نعت فيها او من حيث انه موافق لها في القصص والمواعيد
والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى
من مخالفته لها في بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة
في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره ومراعاة متضمن للحكمة التي
عليها يدور فلك التشريع وليس في التوراة دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى
يخالفها ما ينسخها وانما تدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل
نقول هي ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها فاذا انما
المخالفة في الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف العصر حتى لو تاخر نزول المتقدم لنزل على
وفق المتاخر ولو تقدم نزول المتاخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وتقييد المنزل بكونه مصدقا لما معهم لتاكيد وجوب
الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضي الايمان بما يصدقه قطعا ولا تكونوا اول
كافر به اي لا تسارعوا الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اول من آمن به لما انكم تعرفون
شانه وحقيته بطريق التلقي مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون
به وتبشرون بزمانه كما سيجيء فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره
عنكم من كونكم اول كافر به ووقوع اول كافر خبرا عن ضمير الجمع بتاويل اول فريق او فوج او بتاويل

لايكون

لا يكون كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة وتمييزهم عن التقدم في الكفر مع ان
مشركي العرب اقدم منهم لما ان المراد التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك
اما انا فلست بجاهل او لان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممن كفر
بما عنده فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه ومثل من كفر من مشركي مكة واول افعل
لا فعل له وقيل اصله اوءل من وال اليه اذا نجا وخلص فابدلت الهمزة واوا تخفيفا
غير قياسي او أول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا بآياتي اي لا تاخذوا لانفسكم
بدلا منها ثمنا قليلا هي الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما
فات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا
فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها على الايمان وانما عبر
عن المشتري الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصود فيها بالثمن الذي شانه ان يكون
وسيلة فيها ما هو المقصود الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا واياي فاتقون بالايمان واتباع
الحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في
الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى او لان الخطاب بهما لما عم العالم
والمقلد امرهما بالرهبة المتناولة للفريقين واما الخطاب بالثانية فحيث خص العلماء امرهما
بالتقوى الذي هو المنتهى ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه
بين المختلطين والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما
بالآخر او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب الباطل الذي تكتبونه في تضاعيفه وتذكرونه في تاويله
وتكتموا الحق مجزوم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال
بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء عن من لم يسمعه او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اي
لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود رضي الله عنه ع
وتكتمون اي وانتم تكتمون اي كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان
الحق وتكرير الحق اما لان المراد بالاخير ليس عين الاول بل هو نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي
كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة
تقبيح المنهي عنه اذ في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره وانتم تعلمون اي حال كونكم عالمين بانكم
لابسون كاتمون او وانتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس ايراد الحال لتقييد النهي
به كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر
واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة اي صلاة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلاة وزكاة
امرهم الله تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم
فان صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس في
المناجاة وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد
لما يلزمهم الشارع قال الاضبط بن قريع السعدي لا تهين الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه

اتأمرون الناس بالبر تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكل والهمزة فيها
للتقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع يتناول
جميع اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب
وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم اي تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع الرسول صلى الله
عليه وسلم ولا يتبعونه طمعا في الهدايا والصلات التي كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل
كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدي انهم كانوا يأمرون الناس بطاعة
الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركونها ومدار الانكار والتوبيخ هي الجملة المعطوفة
دون ما عطفت هي عليه وانتم تتلون الكتاب تبكيت لهم وتقريع كقوله وانتم تعلمون اي والحال
انكم تتلون التوراة الناطقة بنعته صلى الله عليه وسلم الآمرة بالايمان به او بالوعد بفعل
الخير والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون اي افلا تعقلونه
فلا تعقلون ما فيه او قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى عدم العقل بعد
تحقق ما يوجبه فالمبالغة من حيث الكيف او لا تتأملون فلا تعقلون فالانكار متوجه الى كلا
الامرين والمبالغة حينئذ من حيث الكم والعقل في الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذي
يشد به وظيف البعير الى ذراعه لحبسه الى الحراك سمي به النور الروحاني الذي به يدرك
النفس العلوم الضرورية والنظرية لانه يحبسه عن تعاطي ما يقبح ويعقله على ما يحسن والآية كما ترى
ناعية على كل من يعظ غيره ولا يتعظ سوء صنيعه وعدم تأثره وان فعله فعل الجاهل بالشرع والاحمق
الخالي عن العقل والمراد بها كما اشير اليه حثه على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق
فتقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ روي انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوي التصرف
في القلوب وكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد واثنان من شدة تأثير وعظه وكان في بلده
عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ
فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما
في الطريق فقالت

لتهدي الانام ولا تهتدي ** الا ان ذلك لا ينفع
فيا حجر الشحذ حتى متى ** تسن الحديد ولا تقطع

فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفي الى رحمة الله تعالى
واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كأنهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض عن
المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى او
بالصوم الذي هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة
والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر
العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح
واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين

وكف

وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روي انه عليه السلام كان
اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة بهما او الصلاة وتخصيصها
برد الضمير اليها لعظم شانها واشتمالها على ضروب من الصبر كما في قوله تعالى واذا رأوا تجارة
او لهوا انفضوا اليها وجملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين
ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين
والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب وانما لم تثقل عليهم لانهم يتوقعون
ما ادخر لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون في مناجاة ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم
من المشاق والمتاعب ولذلك قال عليه السلام وقرة عيني في الصلاة والجملة حالية او اعتراض
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاء الله تعالى ونيل ما عنده من المثوبات والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بفيضان احسانه اليهم او يتيقنون انهم يحشرون الى الله
للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة واما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجون الثواب
ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين فالتعرض
للعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود رضي
الله عنه يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال

فارسلته مستيقن الظن انه ** مخالط ما بين الشراسيف جائف

وجعل خبران في الموضعين اسما للدلالة على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرر التذكير للتأكيد ولربط ما بعده من الوعيد الشديد واني فضلتكم عطف
على نعمتي عطف الخاص على العام لكماله اي فضلت اباكم على العالمين اي عالمي زمانهم بما منحهم من
العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين وهم آباؤهم الذين كانوا في عصر موسى
عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا واتقوا يوما اي حساب يوم او عذاب يوم لا تجزي نفس
عن نفس شيئا اي لا تقضي عنها شيئا من الحقوق وانتصاب شيئا على المفعولية او شيئا من الجزاء فيكون
نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزئ اي لا تغني عنها فيتعين النصب على المصدرية وايراده منكرا مع
تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة يوما والعائد منها محذوف اي لا تجزي فيه ومن لم يجوز
الحذف قال اتسع فيه فحذف الجار واجري المجرور مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف في قول من قال

فما ادري اغيرهم تناء ** وطول العهد ام مال اصابوا

اي اصابوه
ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة
من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله
التسوية سمي به الفدية لانها ساوت المفدي وتجزي مجزاه ولا هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله
عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة
والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسي والنصرة ههنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر
وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه يحتمل فانه اما ان يكون قهرا او لا والاول

الشفاعة والثاني اما يكون باداء غير ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او باداء عوض وهو ان يعطي
عنه عدل وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية في نفي الشفاعة لاهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار
للآيات الواردة في الشفاعة والاحاديث المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم ولرد ما كانوا عليه
من اعتقاد ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تذكير لتفاصيل ما اجمل في قوله تعالى
نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الآلاء اي واذكروا وقت تنجيتنا اياكم اي اباءكم فان
تنجيتهم تنجية لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي
الاخطار كالانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس
وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد وكان
فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وقيل انه كان
عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس واضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام به فدخل
مصر فرأى في ظاهره حملا من البطيخ بدرهم وفي نفسه بطيخا بدرهم فقال في نفسه ان تيسر لي اداء
الديون فهذا طريقه فخرج الى السواد فاشترى حملا بدرهم فتوجه به الى السوق فكل من لقيه من
المكاسين اخذ منه بطيخا فدخل البلد وما معه الا بطيخة فباعها بدرهم ومضى لوجهه
ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع بها وباء عظيم فتوجه نحو المقابر
فرأى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطوني خمسة
دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر حتى جمع في مقدار ثلاثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض له احد
قط الى ان تعرض يوما لاولياء ميت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك
هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام فقال لم يقمني احد
وانما فعلت ما فعلت ليحضرني احد الى مجلسك فانبهك على اختلال حال قومك وقد جمعت
بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال ولني امورك ترني امينا
كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامت احوال الرعية
ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره في العدل والصلاح فلما مات فرعون اقاموه مقامه فكان
من امره ما كان وكان فرعون بن يوسف بن ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم
اي يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب اي افظعه
واقبحه بالنسبة الى سائره والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال
من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما يذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم
ما فعلوا لان فرعون رأى في المنام او اخبره الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم
من قدر الله تعالى قيل قتلوا بتلك الطريقة تسعين الف مولود او تسعين الفا وقد اعطى الله عز وجل
نفس موسى عليه السلام من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك
كانت معجزاته ظاهرة باهرة وفي ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والانجاء او الى الانجاء وجمع

الضمير

الضمير للمخاطبين فعلى الاول معنى قوله تعالى بلاء محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اي استبقائهن
على الحيوة محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال في الاعمال الشاقة وعلى
الثاني نعمة واصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك في حقه سبحانه محالا وكان ما يجري مجرى الاختبار
لعباده تارة بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق عليهما وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء
القدر المشترك الشامل لهما من ربكم من جهته تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه الصلوة والسلم
وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما معا عظيم صفة بلاء وتنكيرهما للتفخيم وفي الآية الكريمة تنبيه على ان
ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل الاختبار فعليه الشكر في المسار والصبر على المضار م
واذ فرقنا بكم البحر بيان لسبب التنجيه وتصوير لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد
بين في تضاعيف ذلك نعمة جليلة اخرى في الانجاء من الغرق اي واذكروا اذ فلقناه بسلوككم
او ملتبسا بكم كقوله تعالى تنبت بالدهن او بسبب انجائكم وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت
مسالك وقرئ بالتشديد للتكثير لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط فانجيناكم اي من الغرق
باخراجكم الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد التخليص من فرعون بصيغة
التفعيل وكذا قوله تعالى واغرقنا آل فرعون اريد فرعون وقومه وانما اقتصر على ذكرهم للعلم
بانه اولى به منهم وقيل شخصه كما روي عن الحسن رضي الله عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه
واستغني بذكره عن ذكر قومه وانتم تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر
عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روي انه تعالى امر
موسى عليه السلام ان يسري ببني اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر
فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها
فقالوا نخاف ان يغرق بعض اصحابنا فلا نعلم به ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا
البحر فلما وصل اليه فرعون فرآه منفلقا اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه الواقعة
كما انها لموسى معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة عظيمة لاوائل بني اسرائيل موجبة عليهم شكرها
كذلك اقتصاصها على ما هي عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة جليلة تطمئن بها القلوب
الابية وتنقاد لها النفوس الغبية موجبة لاعقابهم ان يتلقوها بالاذعان فلا تاثرت اوائلهم
بمشاهدها ورؤيتها ولا تذكرت اواخرهم بتذكيرها وروايتها فيا لها من غباوة ما اغباها
وطائفة ما اطغاها واذ وعدنا موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله ع
عليه السلام ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل وعد عليه
السلام بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان
ما ياتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر
ذي القعدة ثم زاد عشرا من ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة
بمعنى الثلاثي وقيل على اصلها تنزيلا لقبول موسى عليه السلام منزلة الوعد واربعين ليلة
مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اي تمام اربعين ليلة وقرئ وعدنا ثم اتخذتم العجل

بتسويل السامري الهاً ومعبوداً وثم للتراخي الرتبي من بعده اي من بعد مضيه الى الميقات على
حذف المضاف وانتم ظالمون باشراككم ووضعكم للشيء في غير موضعه وهو حال من ضمير
اتخذتم او اعتراض تذييلي اي وانتم قوم عادتكم الظلم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو
الجريمة من عفاه درسه وقد يجيء لازماً فاك • عرفت المنزل الخالي • عفا من بعد احوال •
عفاه كل حنان • كثير الوبل هطال • وقوله تعالى من بعد ذلك اي من بعد الاتخاذ الذي هو
متناه في القبح للايذان بكمال بعد العفو بعد تلك المرتبة من الظلم لعلكم تشكرون كي تشكروا
نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان اي التورية الجامع
بين كونها كتاباً وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق
والمبطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر
الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد يوم بدر لعلكم تهتدون لكي تهتدوا
بالتدبر فيه والعمل بما يحويه واذ قال موسى لقومه بيان لكيفية وقوع العفو المذكور يا قوم
انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اي معبوداً فتوبوا اي فاعزموا على التوبة الى بارئكم
اي الى من خلقكم برياً من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض بصور وهيئات
مختلفة واصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره اما بطريق التفصي كما في برئ المريض او بطريق الانشاء كما في
برئ الله آدم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن
الغباوة منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذي خلقهم بلطيف حكمته بريئاً من
التفاوت والتنافر الى عبادة البقر الذي هو مثل في الغباوة وان من لم يعرف حقوق منعمه
حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب فاقتلوا انفسكم تماماً لتوبتكم
بالبخع او بقطع الشهوات وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضاً وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل
من عبده يروى ان الرجل كان يرى قريبه فلا يقدر على المضي لامر الله تعالى فارسل ضبابة وسحابة
سوداء لا يتباصرون بها فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون عليهما
السلام فكشفت السحابة ونزلت التورية وكانت القتلى سبعين الفاً والفاء الاولى للتسبب
والثانية للتعقيب ذلكم اشارة لما ذكر من التوب والقتل خير لكم عند بارئكم لما انه طهرة عن
الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم عطف على محذوف على انه
خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه
وسياقه مبني الجميع في التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير بارئكم المنبئ
للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق والاحياء لقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن
القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل فتاب عليهم على ان الضمير
للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز ان يكون فتاب عليكم
متعلقاً بمحذوف في انه من كلام موسى عليه السلام لقومه تقديره ان فعلتم ما امرتم فقد تاب
عليكم ولا يخفى انه بمعزل من اللياقة بجلالة شان التنزيل كيف لا وهو حينئذ حكاية لوعد موسى

عليه السلام قومه بقبول التوبة منه تعالى لا اخبار بقبولها حتماً وقد عرفت ان الآية الكريمة
تفصيل لكيفية القبول المحكي فيما قبل وان المراد تذكير المخاطبين بتلك النعمة انه هو التواب الرحيم
تعليل لما قبله اي الذي يكثر توفيق المذنبين للتوبة ويبالغ في قبولها منهم وفي الانعام عليهم
واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة
التي هي اتخاذ العجل اي لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك او لن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله تعالى اياه
التورية او تكليمه اياه او انه نبي او انه تعالى جعل توبتهم بقتلهم انفسهم حتى نرى الله جهرة اي عياناً
وهي في الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد في الوضوح والانكشاف
الا ان الاول في المسموعات والثاني في المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال
من الفاعل او المفعول وقرئ بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل قطعاً
والقائلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل وروي انهم لما ندموا على ما فعلوا
وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله موسى عليه السلام ان يجمع سبعين رجلا
ويحضر معهم الطور يظهرون فيه تلك الصبوة فلما خرجوا الى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشاه
كلهم فكلم الله موسى عليه السلام يامره وينهاه وكان كلما كلمه تعالى اوقع على جبهته نوراً ساطعاً
لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا كلامه تعالى مع موسى عليه السلام افعل ولا تفعل
فعند ذلك طمعوا في الرؤية فقالوا ما قالوا كما سيأتي في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقيل
عشرة الاف من قومه فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا
سبحانه وتعالى مما يشبه الاجسام ويتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريقة المقابلة في الجهات
والاحياز ولا ريب في استحالته انما الممكن في شأنه تعالى من الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك
للمؤمنين في الآخرة وللافراد من الافراد من الانبياء الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث تراهم
كانهم وهم في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا
قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين
يوماً وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا بل لما رأوا تلك الهيبة الهائلة اخذتهم الرعدة
ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى
عليه السلام ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم
ولم تكن صعقة موسى عليه السلام موتاً بل غشية لقوله تعالى فلما افاق وانتم تنظرون اي ما
اصابكم بنفسه او باثاره ثم بعثناكم من بعد موتكم بتلك الصاعقة قيد البعث به لما انه قد يكون من
الاغماء وقد يكون من النوم كما في قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم لعلكم تشكرون اي نعمة البعث او ما
كفرتموه بما رأيتم من بأس الله تعالى وظللنا عليكم الغمام اي جعلناها بحيث تلقي عليكم ظلها وذلك
انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم بالتيه يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار
يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل
كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح

الرجل ما يكفيه كلوا على ارادة القول اي قائلين لهم او قيل لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم من
مستلذاته وما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا كلام عدل به
عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم
عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمر قد حذف للايجاز والاشعار بانه امر محقق
غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بالكفران اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي
السابق وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واصرارهم
على الكفر واذ قلنا تذكير لنعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت
قولنا لكم اثر ما انقذناكم من التيه ادخلوا هذه القرية منصوبة على الظرفية عند سيبويه وعلى
المفعولية عند الاخفش وهي بيت المقدس وقيل اريحا فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي واسعا
هنيئا ونصبه على المصدرية والحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان المامور به الدخول
على وجه الاقامة والسكنى فيؤول الى ما في سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية
وادخلوا الباب سجدا اي باب القرية على ما روي من انهم دخلوا اريحا في زمن موسى عليه السلام
كما يجيء في سورة المائدة او باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في
حيوة موسى عليه السلام سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه
وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى
حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط رحالنا
في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم لما تفعلون من السجود والدعاء وقرئ بالياء والتاء على البناء
للمفعول واصل خطايا خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد
الالف واجتمعت همزتان وابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء
وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال
توبة للمسئ وسببا لزيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن
بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا بما امروا به
من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه قولا اخر مما لا خير فيه روي انهم قالوا
مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله
عز وجل غير الذي قيل لهم نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا
لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فانزلنا اي عقيب ذلك على الذين ظلموا بما ذكر
من التبديل وانما وضع الموصول موضع الضمير العائد الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة
في الذم والتقريع وللتصريح بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى رجزا من
السماء اي عذابا مقدرا منها والتنوين للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر
حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله

بظلمهم

بظلمهم للايذان بان ذلك فسق وخروج عن الطاعة وغلو في الظلم وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا
من القبائح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه على ذلك بالفاء والرجز في الاصل ما يعاف عنه
وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات في ساعة
واحدة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك في
التيه حين استولى عليهم العطش الشديد وتغيير الترتيب لما اشير اليه مرارا من قصد ابراز
كل من الامور المعدودة في معرض امر مستقل واجب التذكير ولو روعي الترتيب الوقوعي لفهم
ان الكل امر واحد امر بذكره واللام متعلقة بالفعل اي استسقى لاجل قومه فقلنا اضرب بعصاك
الحجر روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلاثة اعين يسيل
كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثني عشر ميلا او كان حجرا اهبطه
الله تعالى مع آدم عليه السلام من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه موسى عليه السلام مع
العصا او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبراه الله تعالى به عما رموه به من الادرة
فاشار اليه جبريل عليه السلام ان يحمله او كان حجرا من الحجارة وهو الاظهر في الحجة قيل لم يؤمر عليه
السلام بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته
وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا
فاوحى الله تعالى اليه ان لا تقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام حجمه
ذراع في ذراع والعصا عشرة اذرع على طوله عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في
الظلمة فانفجرت عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام وقد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق
الانفجار كانه حصل عقيب الامر بالضرب اي فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا واما تعلق الفاء
بمحذوف اي فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شان النظم الكريم كما لا يخفى على احد وقرئ
عشرة بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم الخاصة بهم كلوا
واشربوا على ارادة القول من رزق الله هو ما رزقهم من المن والسلوى والماء وقيل هو الماء وحده لانه يؤكل
ما ينبت به من الزروع والثمار ويابى ان المامور به اكل النعمة العتيدة لا ما سيطلبونه واضافته اليه
تعالى مع استناد الكل اليه خلقا وملكا اما للتشريف واما لظهوره بغير سبب عادي وانما لم يقل
من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا الخ ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل
بواسطة موسى عليه السلام ولا تعثوا في الارض العثي اشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا في الفساد وحال
كونكم مفسدين وقيل انما قيد به لان العثي في الاصل مطلق التعدي وان غلب في الفساد وقد يكون ذلك
في غير الفساد كما في مقابلة الظالم المعتدي بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام
الغلام وخرقه السفينة ونظيره العيث خلا انه غالب فيما يدرك حسا واذ قلتم تذكير لجناية اخرى
لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل واخلادهم الى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة واسناد القول
المحكي الى اخلافهم وتوجيه التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد يا موسى لن نصبر على طعام واحد لعلهم لم يريدوا
بذلك جمع ما طلبوا مع ما كان لهم من النعمة ولا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها اذ يأباه التعرض للوحدة

بل ارادوا ان يكون هذا تارة وذاك اخرى روي انهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجمعوا ما كانوا
فيه من النعمة العتيدة لوحدتها النوعية واطرادها وتاقت انفسهم الى الشقاء فادع لنا ربك اي
سله لاجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد
مبادي الاجابة يخرج لنا اي يظهر لنا ويوجد والجزم لجواب الامر مما تنبت الارض اسناد مجازي
باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتي في قوله تعالى من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها
بيانية واقعة موقع الحال اي كائنا من بقلها الى اخره وقيل بدل باعادة الجار والبقل
ما انبتت الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها
والفوم الحنطة وقيل الثوم وقرئ قثائها بضم القاف وهو لغة فيه قال اي الله تعالى او
موسى عليه السلام انكارا عليهم وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال
لهم فقيل قال اتستبدلون اي تاخذون لانفسكم وتختارون الذي هو ادنى اي اقرب منزلة وادون
قدرا سهل المنال وهين الحصول لعدم كونه مرغوبا فيه وكونه تافها مرزولا قليل القيمة
واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل
وبعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة وقد حملت المشهورة على ان الفها مبدلة من الهمزة بالذي
هو خير اي بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الذاهب الزائل دون الاتي الحاصل كما في التبدل
في مثل قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط
وليس فيه ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق
الاستبدال فيما تردد من صورة المناوبة اهبطوا مصرا امروا به بيانا لدناءة مطلبهم واسعافا
لمرامهم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي وقرئ بضم الباء والمصر البلد العظيم
واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه او لتاويله بالبلد
دون المدينة ويؤيده انه في مصحف عثمان بن مسعود رضي الله عنه غير منون وقيل اصله مصرائيم
فعرب فان لكم ما سالتم تعليل للامر بالهبوط اي فان لكم فيه ما سالتموه ولعل التعبير عن الاشياء
المسؤولة بما للاستهجان بذكرها كانه قيل فان كثير فيه مبتذل يناله كل احد بغير مشقة وضربت
عليهم الذلة والمسكنة اي جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم وجعلتا
ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة
بالكناية واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة واما لخوف ان يضاعف جزيتهم وباؤا
اي رجعوا بغضب عظيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف موصفة لغضب مؤكدة لما افاده
التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن من الله تعالى او صاروا احقاء
به من قولهم باء فلان بفلان اي صار حقيقا بان يقتل بمقابلته ومنه قوله من كان بوء بشسع
نعل كليب واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب
العظيم بانهم بسبب انهم كانوا يكفرون على الاستمرار بايات الله الباهرة التي هي المعجزات الساطعة
الظاهرة على يدي موسى عليه السلام مما عد وما لم يعد ويقتلون النبيين بغير الحق كشعيا وزكريا

ويحيى

ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع ان قتل الانبياء عليهم السلام يستحيل ان يكون بحق الايذان
بان ذلك عندهم ايضا بغير الحق اذ لم يكن احد معتقدا لحقية قتل احد منهم عليهم وانما حملهم على ذلك
حب الدنيا واتباع الهوى والغلو في العصيان والاعتداء كما يفصح عنه قوله تعالى ذلك بما عصوا
وكانوا يعتدون اي جرهم والتمادي في العدوان الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام
فان صغار الذنوب اذا دووم عليها ادت الى كبارها كما ان مداومة صغار الطاعات مؤدية الى تحري
كبارها وقيل كررت الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما انه بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم
المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وجواز
الاشارة الى المتعدد بالمفرد بتاويل ما ذكر او تقدم كما في قول روبة بن العجاج
فيها خطوط من سواد وبلق ۔ كانه في الجلد توليع البهق
اي كان ما ذكر والذي حسن ذلك في المضمرات والمبهمات ان تثنيتها وجمعها ليسا على الحقيقة ولذلك
جاء الذي بمعنى الذين ان الذين امنوا اي بالسنتهم فقط وهم المنافقون لقرينة انتظامهم في
سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان عبر
عنها بالايمان لا تجديهم نفعا اصلا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا والذين هادوا اي
تهودوا امر هادا اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا
من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة واما معرب يهوذا كانهم سموا
باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل
نصران وامراة نصرانة والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا
المسيح عليه السلام او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران فسموا باسمها او نسبوا
اليها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى نصري كمهري ومهارى هم
قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة
وقيل هم عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبا اذا خرج من دين الى اخر وقرئ بالياء اما
بالتخفيف واما لانه من صبا اذا مال لما انهم مالوا من ساير الاديان الى ما هم فيه او من الحق
الى الباطل من امن بالله واليوم الاخر اي من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد
على الوجه اللائق وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر فلهم بمقابلة ذلك اجرهم
الموعود لهم عند ربهم اي مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق فمن اما في محل الرفع على الابتداء
خبره جملة فلهم اجرهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا
المؤمنين الاية وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في الصلة باعتبار لفظه
والجملة كما هي خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من امن منهم واما في محل النصب على البدلية من اسم
ان وما عطف عليه وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفي الاضافة
الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم متيقن الثبوت مامون عن الفوات
ولا خوف عليهم عطف على جملة فلهم اجرهم اي لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب

ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان
دوام انتفائهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر من ان النفي وان دخل
على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين امنوا المتدينون
بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فحينئذ لا بد من تفسير من آمن بمن اتصف منهم بالايمان
الخالص بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان
المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين وساير الطوائف وفائدة التعميم
للمخلصين مزيد ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تاخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة
لاولئك الاقدمين في استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدائم واما ما قيل تفسيره من كان
منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه
اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب في دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين اخر قبل انتساخه
فلا ملابسة له بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيقته في زمانه في الجملة
على ان المنافقين والصابئين لا يتسنى في حقهم ما ذكر اما المنافقون فان كانوا من اهل الشرك
فالامر بين وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النسخ ليسوا بمنافقين واما الصابئون
فليس لهم دين يجوز رعايته في وقت من الاوقات ولو سلم انه كان لهم دين سماوي ثم خرجوا
عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين فكيف يمكن ارجاع
الضمير الرابط بين اسم ان وخبرها اليهما او الى المنافقين وارتكاب ارجاعه الى المجموع من الطوائف
من حيث هو مجموع لا الى كل واحدة منها قصدا الى درج الفريق المذكور فيه ضرورة ان من كان
من اهل الكتاب عاملا بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى
وان لم يكن من المنافقين والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين
مع اندراجهم في حيز اسم ان ليس لهم في حيز خبرها عين ولا اثر فتامل وكن على الحق المبين واذ اخذنا
ميثاقكم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم بالمحافظة على ما في
التورية ورفعنا فوقكم الطور عطف على اخذنا او حال اي وقد رفعنا فوقكم الطور كانه ظلة
روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتورية فراوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم
فابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقطع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا على ارادة
القول ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه اي احفظوه ولا تنسوه او
تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او لتنجوا من الهلاك
او رجاء منكم ان تنتظموا في سلك المتقين او طلبا لذلك وقد مر تحقيقه ثم توليتم اي اعرضتم
عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك من بعد اخذ ذلك الميثاق المؤكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته
بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين
اي المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط في مهاوي الضلال عند الفترة وقيل لولا فضله تعالى
عليكم بالامهال وتاخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب بما بعده وكلمة لولا اما بسيطة او مركبة

من لولا

من لو الامتناعية وحرف النفي ومعناها امتناع الشيء لوجود غيره كما ان لو لامتناعه لامتناع غيره
والاسم الواقع بعدها عند سيبويه مبتدأ خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب
مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اي لولا ثبت فضل الله
تعالى عليكم ولقد علمتم اي عرفتم الذين اعتدوا منكم في السبت وذلك انهم امروا بان يمحضوا يوم
السبت للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه اناس منهم في زمن داود عليه السلام
فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا كان يوم السبت لم يبق في
البحر حوت الا برز واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت
الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى وبالله لقد علمتم حين فعلوا من
قبيل جناياتكم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤخر عقوبتهم بل عجلنا ما فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
اي جامعين بين صورة القردة والخسوء هو الطرد والصغار في ان خاسئين نعت لقردة وقيل
حال من اسم كونوا عند من يجوز عمل كان في الظروف والحال وقيل من الضمير المستكن في قردة لانه
في معنى ممسوخين وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في
قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التكون وانهم صاروا كذلك
كما اراده عز وجل وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همز فجعلناها اي المسخة
والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه وتردعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما
خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصصهم في الاخرين
او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية
وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر عنها وموعظة للمتقين من قومهم
او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه توبيخ اخر لاخلاف بني اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت
عن اسلافهم اي واذكروا وقت قول موسى عليه السلام لاجدادكم ان الله يامركم ان تذبحوا
بقرة وسببه انه كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو اعمامه طمعا في ميراثه فطرحوه على باب
المدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى ويخبرهم
بقاتله قالوا استيناف وقع جوابا عما ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا هل سارعوا
الى الامتثال او لا فقيل قالوا اتتخذنا هزوا بضم الزاء وقلب الهمزة واوا وقرئ بالهمزة مع
الضم والسكون اي اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه استبعادا لما
قاله واستخفافا به قال استيناف كما سبق اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في اثناء
تبليغ امر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عليه السلام ما توهموه من قبله على ابلغ وجه واكده باخراجه
مخرج ما لا مكروه وراءه بالاستعاذة منه استعظاما له واستعظاما لما اقدموا عليه من العظيمة التي
شافهوه عليه السلام بها قالوا استيناف كما مر كانه قيل فماذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا
نحو الامتثال وقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي مبتدأ وخبر والجملة في حيز
النصب بيبين اي يبين لنا جواب هذا السؤال وقد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم

حـ انه يجوز [illegible] فاعتبروا [illegible] النكال [illegible]

ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيي فان ما وان شاعت في طلب مفهوم
الاسم والحقيقة كما في ما الشارحة والحقيقية لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد
فيقال طبيب او عالم وقيل كان حقه ان يستفهم باي لكنهم لما رأوا امرا ما بها على حالة مغايرة لما عليه الجنس
اخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حياله قال اي موسى عليه السلام بعد ما دعا ربه عز وجل
بالبيان واتاه الوحي انه تعالى يقول انها اي البقرة المامور بذبحها بقرة لا فارض ولا بكر اي
لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا اي اسنت من الفرض بمعنى القطع كانها قطعت سنها
وبلغت اخرها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان اي نصف الاحم والاشرع
قال ۝ طوال مثل اعناق الهوادي ۝ نواعم بين ابكار وعون ۝
بين ذلك اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه بالاضافة
الى المتعدد فافعلوا امر من جهة موسى عليه السلام متفرع على ما قبله من بيان صفة المامور
به ما تؤمرون اي ما تؤمرون به كما في قوله ۝ امرتك الخير فافعل ما امرت به ۝ فان حذف الجار شائع
في هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين وهذا الامر منه عليه السلام لحثهم على الامتثال
وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله تعالى قالوا استئناف كأمر كانه قيل ماذا
صنعوا بعد هذا البيان الشافي والامر المكرر فقيل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى تتبين
لنا البقرة المامور بها قال اي موسى عليه السلام بعد المناجاة الى الله تعالى ومجيء البيان انه
تعالى يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اسناد البيان في كل مرة الى الله عز وجل لاظهار كمال
المساعدة في اجابة مسؤلهم بقولهم يبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة والفقوع
نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد به ويقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واحمر قانئ وفي
اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون لملابسته به ما لا يخفى من فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديد
الصفرة صفرتها كما في جد جده وعن الحسن رضي الله عنه سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى
جمالات صفر قيل ولعل التعبير عن السواد بالصفرة لما انها من مقدماته واما لان سواد الابل
يعلوه صفرة ويأباه وصفها بقوله تعالى تسر الناظرين كما يأباه وصفها بفقوع اللون
والسرور لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر عن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء
قل همه قالوا استئناف كنظائره ادع لنا ربك يبين لنا ما هي زيادة استكشاف عن حالها كانهم
سألوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها مما تشاركها في الاوصاف المذكورة والاحوال
المشروحة في اثناء البيان ولذلك عللوه بقولهم ان البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف المعدودة
يشترك فيها كثير من البقر ولا نهتدي بها الى تشخيص ما هو المامور بها ولذلك لم يقولوا ان البقر تشابه
ابدا بان النعوت المعدودة ليست بمخصصة للمامور بها بل صادقة على سائر افراد الجنس وقرئ ان الباقر
وهو اسم لجماعة البقر والاباقر ويتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء والادغام على التذكير
والتأنيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة
ومشتبه ومشتبهة وفيه دلالة على انهم ميزوها عن بعض ما عداها في الجملة وانما بقي اشتباه بين الافراد

كما ينبغي

كما ينبغي عند توقفهم وانا ان شاء الله لمهتدون مؤكدا بوجوه من التوكيد اي لمهتدون بما سألنا
من البيان الى المامور بذبحها وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد قال انه يقول
انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول
صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول
مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اي حيث
هو وقرئ تسقي من اسقى مسلمة اي سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لها لونها
من سلم له كذا اذا خلص له ويؤيده قوله تعالى لا شية فيها اي لا لون فيها يخالف لون جلدها
حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا عند
ما سمعوا هذه النعوت الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة بحيث ميزتها عن جميع ما عداها
ولم يبق لنا في شأنها اشتباه اصلا بخلاف المرتين الاوليين فان ما جئت به فيهما لم يكن في التعيين
بهذه المرتبة ولعلهم كانوا قبل ذلك قد رأوها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من الاوصاف المشروحة
في المرات الثلث من غير مشارك لها فيما عدّ في المرة الاخيرة والا فمن اين عرفوا اختصاص النعوت
الاخيرة بها دون غيرها وقرئ الآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على
اللام فذبحوها الفاء فصيحة كما في فانفجرت اي فحصلوا البقرة فذبحوها وما كادوا يفعلون كاد من افعال
المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا اي فذبحوها والحال انهم كانوا قبل
ذلك بمعزل منه واعتراض تذييلي وما له استثقال استقصائهم واستبطاء لهم وانهم لفرط تطويلهم
وكثرة مراجعاتهم ما كاد ينتهي خيط اسهابهم فيها قيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون
سنة وقيل ما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها روي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها
الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فتوفي الشيخ وشبت العجلة وكانت
من احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا لما كانت وحيدة بالصفات
المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير واعلم انه لا خلاف في ان مدلول ظاهر النظم الكريم
بقرة مطلقة مبهمة وان الامتثال في اخر الامر انما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها
ما خرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف في ان المراد المامور اولا هل هو المعينة وقد اخر البيان
عن وقت الخطاب او المبهمة ثم لحقها التغيير الى المعينة بسبب تثاقلهم في الامتثال وتماديهم
في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاول تمسكا بان الضمائر في الاجوبة اعني انها بقرة
الى اخره للمعينة قطعا ومن قضيته ان يكون في السؤال ايضا كذلك ولا ريب في ان السؤال انما هو
عن البقرة المامور بذبحها فيكون في المعينة وهو مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب بعضها
ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة عما عليه الجنس من الصفات والخواص فسألوا عنها فرجعت
الضمائر الى المعينة في زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من
اول الامر هي المعينة والحق انها كانت في اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت
لحصل الامتثال بدلالة ظاهر النظم الكريم وتكرير الامر قبل بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة

لح وقد قال صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم وروي مثله عن رئيس
المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ثم رجع الحكم الاول منسوخا بالثاني والثاني
بالثالث تشديدا عليهم لكن لا في وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله الى المعين
بل في طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت مراجعاتهم
المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادة فان الامتثال بالامر بدون الوقوف على المامور به
مما لا يكاد يتسنى فيكون سؤالهم من باب الاهتمام بالامتثال واذ قتلتم نفسا منصوب بمضمر
كما مرت نظايره والخطاب لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد القتل والتدارؤ
اليهم لما مر من نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف توبيخا وتقريعا وتخصيصهما بالاسناد دون
سائر منعياتهم لظهور قبح القتل واسناده الى الغير اي اذكروا وقت قتلكم نفسا محترمة ○
فادارأتم فيها اي تخاصمتم في شانها اذ كل واحد من الخصماء يدافع الاخر وتدافعتم بان طرح كل
واحد قتلها الى اخره واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال همزة الوصل والله مخرج
ما كنتم تكتمون اي مظهر لا محالة ما تكتمونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على
الاستمرار وانما اعمل مخرج لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على فادارأتم وما
اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير للنفس والتذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل
او بتاويل الشخص والقتيل ببعضها اي ببعض البقرة اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها
وقيل بفخذها اليمنى وقيل باذنها وقيل بعجبها وقيل بالعظم الذي يلي الغضروف وهو اول
القصة كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى البقرة كانه قيل واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا
بقرة فاضربوه ببعضها وانما غير الترتيب عند الحكاية بتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كل واحد
من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والافتيات على امره وترك المسارعة
الى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بان ينعى عليهم بحيالها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما
علم استقلال كل منها بما لا يخفى بهما من التوبيخ وانما حكي الامر بالذبح عن موسى عليه السلام مع انه من
الله عز وجل كالامر بالضرب لما ان جنايتهم بمراجعتهم اليه عليه السلام والافتيات على رايه كذلك
يحيي الله الموتى على ارادة قول معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فضربوه فحيي او قلنا كذلك
للحاضرين عند حيوة القتيل ويجوز ان يكون ذلك للحاضرين عند نزول الاية الكريمة فلا حاجة
الى تقدير القول بل تنتهي الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر بعده فالجملة معترضة اي مثل
ذلك الاحياء العجيب يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم اياته ودلايله الدالة على انه تعالى على كل شيء
قدير ويجوز ان يراد بالايات هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على امور بديعة من ترتب الحيوة
على عضو ميت واخباره بقاتله وما يلابسه من الامور الخارقة للعادات لعلكم تعقلون اي لكي تكمل عقولكم
وتعلموا ان من قدر على احياء الانفس كلها او تعملوا على قضية عقولكم ولعل الحكمة في اشتراط ما اشترط
في الاحياء مع ظهور كمال قدرته على احيائه ابتداء بلا واسطة اصلا اشتماله على التقرب الى الله تعالى
واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الاولاد ونفع

بر الوالدين من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي
عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى وانما الاسباب
امارات لا تاثير لها وان من رام ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتة الموت الحقيقي فطريقه ان
يذبح نفسه التي هي قوته الشهوية حين زال عنها شره الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة
رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من قبايحها بحيث يصل اثره
الى نفسه فيحيى بها حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم
من التدارؤ والجدال ○ ثم قست قلوبكم الخطاب لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم والقسوة عبارة
عن الغلظ والجفا والصلابة كما في الحجر استعيرت لنبو قلوبهم عن التاثر بالعظات والقوارع التي
تميع منها الجبال وتلين لها الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم
تزل قاسية لما ان المراد بيان بلوغهم الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة واما لان
الاستمرار على شيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد وصنيع حادث وثم لاستبعاد
القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها كقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون من بعد ذلك اشارة
الى ما ذكر من احياء القتيل او الى جميع ما عدد من الايات الموجبة للين القلوب وتوجيهها نحو الحق
اي من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته وعلو طبقته وتوحيد
حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين اما بتاويل الفريقين او لان المراد مجرد الخطاب لا تعيين
المخاطب كما هو المشهور فهي كالحجارة في القساوة او اشد منها قسوة اي هي في القسوة مثل الحجارة
او زايدة عليها فيها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية مع كون
ما سبق فعلية للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء اما للتفريع مشابهتها لها على ما ذكر من
القساوة وتفريع التشبيه في قولك احمر خده فهو كالورد واما للتعليل كما في قولك اعبد
ربك فالعبادة حق له وانما لم يقل واقسى منها لما في التصريح بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة
ظاهرة على اشتراك القسوتين في الشدة واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد
بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى
من الحجارة وترك ضمير المفضل عليه للامن من الالتباس وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
بيان لاشدية قلوبهم من الحجارة في القساوة وعدم التاثر واستحالة صدور الخير منها يعني
ان الحجارة ربما تتاثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة وان من الحجارة لما يشقق اي
يتشقق فيخرج منه الماء اي العيون وان منها لما يهبط من خشية الله اي يتردى من اعلى الى الاسفل
بقضية ما اودعه الله عز وجل فيها من الثقل الداعي الى المركز وهو مجاز عن الانقياد لامره تعالى
والمعنى ان الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد لامره عز وعلا ات بما خلق له من غير استعصاء
وقلوبهم ليست كذلك فتكون اشد منها قسوة لا محالة واللام في لما لام الابتداء دخلت على اسم
ان على انها مخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون

عن متعلقه بغافل وما موصوله والعايد محذوف او مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه
من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات قوله
تعالى افتطمعون تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود اثر ما عددت هناتهم ونعيت عليهم جناياتهم
الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والهمزة لانكار الواقع واستبعاده كما في قولك
أتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
ويستدعيه نظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار الى المعطوفين معا كما في افلا تبصرون
على تقدير المعطوف عليه منفيا اي الا تنظرون فلا تبصرون فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتب الثاني
على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه كما اذا قدر الاول مثبتا اي اتنظرون فلا تبصرون
فالمنكر ترتب الثاني على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه اي اتسمعون اخبارهم وتعلمون
احوالهم فتطمعون ومآل المعنى ابعد ان علمتم تفاصيل شؤونهم المؤيسة عنهم تطمعون ان يؤمنوا فانهم
متماد[و]ن في شدة الشكيمة والاخلاق الذميمة لا يتأتى من اسلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم
وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل في ان يؤمنوا وفي ما في حيزها في محل النصب او الجر على
الخلاف المعروف واللام في لكم لتضمين معنى الاستجابة كما في قوله عز وجل فآمن له لوط اي في
ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اي في ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان
محذوفة لظهور ان المراد به معناه الشرعي وستقف على ما فيه المزية باذن الله تعالى
وقد كان فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور في محل
الرفع اي فريق كائن منهم وقوله تعالى يسمعون كلام الله خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية
مؤكدة للانكار حاسمة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة الحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى
وهم لكم عدو بعد قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني اي والحال ان طائفة منهم
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلامه تعالى
حين كلم موسى عليه السلام بالطور وما امر به ونهى عنه ثم يحرفونه عن مواضعه الا انهم
لعجزهم عن الاحاطة بتفاصيله في ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما يقتضيه مقام
الكبرياء من بعد ما عقلوه اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم في مضمونه ولا في كونه
كلام رب العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وقولا قالوا
قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم
فلا تفعلوا فلا بأس ثم للتراخي زمانا او رتبة وقال القفال رحمه الله سمعوا كلام الله وعقلوا
مراده تعالى منه فاولوه تأويلا فاسدا وقيل هم رؤساء اسلافهم الذين تولوا تحريف التورية
بعد ما احاطوا بما فيها علما وقيل هم الذين غيروا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في عصره وبدلوا
وهو قول مجاهد وقتادة وعكرمة والسدي رحمهم الله
آية الرجم ويأباه الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل الدال على وقوع السماع والتحريف فيما سلف
الا ان يحمل ذلك على تقدمه في زمان نزول الآية الكريمة لا على تقدمه على عهده صلى الله عليه وسلم
وهو الانسب بالسماع والكلام اذ التورية وان كانت كلام الله تعالى لكنها باسم الكتاب اشهر واثر

التحريف

التحريف فيه اظهر ووصف اليهود بتلاوتها اكثر لا سيما وهم المباشرون للتحريف
فان وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان الانسب حينئذ ان يقال يتلون كتاب الله فالمعنى انطمعون
في ان يؤمن هؤلاء بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا
يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم يحرفونه من بعد ما علموه يقينا ولا يستجيبون له هيهات ومن
هيهنا ظهر ما في ايثار لكم على بالله من الفخامة والجزالة وقوله عز وجل وهم يعلمون جملة حالية
من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بناء على نسيان
ما عقلوه او على الخطاء في بعض مقدماته بل كان ذلك حال كونهم عالمين به مستحضرين له او وهم
يعلمون انهم كاذبون ومفترون وإذا لقوا جملة مستأنفة سيقت اثر بيان ما صدر عن اشباههم
لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنايع المؤيسة عن ايمانهم من نفاق بعض وعتاب آخرين عليهم
او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما ستقف على سره لا لمنافقيهم خاصة
كما قيل بناء على اتحاد الفاعل في فعلي الشرط والجزاء حقيقة الذين آمنوا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا اي اللاقون لكن لا بطريق تصدي الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين
كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا ادخل في تقبيح حال الساكتين اولا
الكاتمين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض آرائهم من اسناد القول
الى المباشرين خاصة بتقدير المضاف اي قال منافقوهم آمنا لم يقتصروا في ذلك بل عللوه
بانهم وجدوا نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم يصرح
به تعويلا على شهادة التوبيخ الآتي وإذا خلا بعضهم اي بعض المذكورين وهم الساكتون منهم اي اذا
فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين الى بعض آخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق
معهم غيرهم وهذا نص في اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين كما اشير اليه فربما انما الخلو
انما يكون بعد الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون عند المقاولة
لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولان فيه زيادة تشنيع لهم على ما اوتوا من السكوت ثم
العتاب قالوا اي الساكتون موبخين لمنافقيهم على ما صنعوا اتحدثونهم يعنون المؤمنين
بما فتح الله عليكم ما موصولة والعائد محذوف اي بينه لكم خاصة في التورية من نعت النبي صلى الله
عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح للايذان بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد وتجويز
كون هذا التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم اراءة للتصلب في دينهم كما ذهب اليه عصابة
مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل واللام في قوله عز وجل ليحاجوكم به متعلقة بالتحديث دون الفتح
والمراد تأكيد النكير وتشديد التوبيخ بان التحديث بذلك وان كان منكرا في نفسه لكن التحديث
به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل اي اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم
والمحدثون به وان لم يحوموا حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا
فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة آرائهم عند ربكم اي في حكمه
وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اي في كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيمة ورد عليه بان

وقد قرر ابو البقاء كون ما مصدرية والاول
... عند الاخفش
... البقاء ... ورجح
... احد ... العائد
... والنعم
... ليحاجوكم ...

الاخفا لا يدفعه اذ هم عالمون بانهم محجوجون يومئذ حدثوا او لا اعتداد بان الزام المؤمنين
اياهم وتبكيتهم بان يقولوا لهم الم تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا من حقية ديننا وصدق نبينا
الخ فيجوز ان يكون المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع الضمير في به الى التحديث دون المحدث
به ولا ريب في انه مدفوع بالاخفاء لا يساعده الآية الكريمة الآتية كما ستقف عليه باذن الله
عز وجل افلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام
اي الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطأ الفاحش او شيئا من الاشياء التي من جملتها هذا فالمنكر
عدم التعقل ابتداء او تعقلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون الى التنبيه عليه
فالمنكر عدم التعقل بعد التعقل هذا واما ما قيل من انه خطاب من جهة الله تعالى للمؤمنين
متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم فيأباه قوله
اولا يعلمون فانه الخ تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكي عنهم فيكون ارادة خطاب للمؤمنين في
اثنائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على ان في تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعسف وفي
تعميمه للنبي ايضا صلى الله عليه وسلم كما في افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار
والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اي ايلومونهم على
التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون اي يسرونه فيما بينهم من المؤمنين
او ما يضمرونه في قلوبهم فيثبت الحكم في ذلك بالطريق الاولى وما يعلنون اي يظهرونه للمؤمنين
او لاصحابهم حسبما سبق ح يظهر الله تعالى كما وقع في آية الرجم بعض المحرمات عليهم فاي فائدة
في اللوم والعتاب ومن ههنا تبين ان المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهي حاصلة
في الدارين حدثوا به او لا لا بالتحديث به حتى يندفع بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط او لهم
وللموبخين او لآبائهم المحرفين اي ايفعلون ما يفعلون ولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون
وما يعلنون ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره
وكتم امر الله واظهار ما اظهروه افتراء وانما قدم الاسرار على الاعلان للايذان بافتضاحهم ووقوع
ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه بما
يسرون اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما في الحقيقة على السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس
بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف
الحال بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما في انفسكم او تبدوه يعلمه
الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء لما ذكر من السر على عكس ما وقع في قوله تعالى وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فان الاصل في تعلق المحاسبة هو الامور البادية دون الخافية ويجوز
ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه
قبل ذلك مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه
بحالته الثانية ومنهم اميون وقرئ بتخفيف الياء جمع امي وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة واختلف
في نسبته فقيل الى الام بمعنى انه شبيه بها في الجهل بالكتابة والقراءة فانهما ليستا من شأن النساء بل

خلال

وحيث كان العطف ههنا بالواو الدالة على مطلق الجمع من غير دلالة على التعقيب كما في فلا تعقلون لم يلزم من تقدير المعطوف عليه جملة يلومونهم ما ذكر من تقدم الانكار على العلم بعد الانكار رحمه منه

خلال الرجال او بمعنى انه على الحالة التي ولدته امه في الخلو عن العلم والكتابة وقيل الى الامة بمعنى
انه باق على سذاجتها خال عن معرفة الاشياء كقولهم عامي اي على عادة العامة روي عن عكرمة
والضحاك ان المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها
فصاروا اميين وعن علي رضي الله عنه هم المجوس والحق الذي لا محيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة
مستأنفة مسوقة لبيان قبائحهم اثر بيان شنائع الطوائف السالفة وقيل هي معطوفة على الجملة
الحالية وما بعدها فان الجهل بالكتاب في منافاة الايمان ليس بمثابة تحريف كلام الله بعد
سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الاولين والنفاق والنهي عن اظهار ما في التورية كما وقع من
الفريقين الاخيرين اي ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة لا يعلمون الكتاب
على الكتابة يأباه سياق النظم وسباقه الا اماني بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها
امنوية افعولة من منى بمعنى قدر او بمعنى تلا كما في قوله تمنى كتاب الله اول ليله فاعلت
اعلال سيد وميت ومعناها على الاول ما يقدره الانسان في نفسه ويتمناه وعلى الثاني
ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتمنى وما يتلى من جنس علم الكتاب اي
لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اماني حسبما منتهم احبارهم من ان الله سبحانه وتعالى يعفو عنهم وان
آباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب على زعم رؤسائهم
او لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه واما
حمل الاماني على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق من غير ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده
النظم الكريم وان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى
رتبة العلم فاني يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء في تمسكهم بحبال
الاماني واتباع الظن عقب ببيان حال الذين اوقعوهم في تلك الورطة وكشف كيفية اضلالهم
لهم وتعيين مرجع الكل بالآخرة فقيل على وجه الدعاء عليهم فويل هو وامثاله من ويح وويس
وويب وويك وعول من المصادر المنصوبة بافعال من غير لفظها لا يجوز اظهارها البتة فان
اضيف نحو ويلك وويحك واذا فصل عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر قاله
الخليل وقال الاصمعي الويل التفجع والويح الترحم وقال سيبويه ويل لمن وقع في الهلكة وويح وما
بعده في الترحم عليه وقال ابن عباس رضي الله عنه الويل العذاب الاليم وعن سفيان الثوري انه
صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الويل
واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا وقال ابن بريدة جبل قيح ودم وقيل صهريج في جهنم
وحكى الزهراوي انه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ خبره قوله تعالى للذين
يكتبون الكتاب اي المحرف او ما كتبوه من التأويلات الزائغة بايديهم تأكيد لدفع توهم المجاز كقولك
كتبته بيميني ثم يقولون هذا اي جميعا في الاول وخصوصه في الثاني من عند الله روي
ان احبار اليهود خافوا ذهاب مآكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم فاحتالوا
في تعويق اسافل اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التورية وكانت

في فيها حسن الوجه حسن الشعر أكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال أزرق
سبط الشعر فإذا سألهم سفلتهم عن ذلك قرؤوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لما في صفته عليه
السلام فيكذبونه وثم للتراخي الرتبي فإن نسبة المحرف والتأويل الزائغ إلى الله سبحانه صريحا
أشد شناعة من نفس التحريف ليشتروا به أي يأخذوا لأنفسهم بمقابلته ثمنا هو ما أخذوه
من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل وإنما عبر عن المشتري الذي هو المقصود
بالذات في عقد المعاوضة بالثمن الذي هو وسيلة فيه إيذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود
بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا بالذات قليلا لا يعبأ به فإن ذلك وإن جل في نفسه
فهو أقل قليل عند ما استوجبوه من العذاب الخالد فويل لهم تكرير لما سبق للتأكيد وتصريح
بتعليله بما قدمت أيديهم بعد الإشعار به فيما سلف بإيراد بعضه في حيز الصلة وبعضه في حيز
العرض والفاء للإيذان بترتبه عليه ومن في قوله عز وجل مما كتبت أيديهم تعليلية متعلقة بويل
أو بالاستقرار في الخبر وما موصولة اسمية والعائد محذوف أي كتبته أو مصدرية والأول
أدخل في الزجر عن تعاطي المحرف والثاني في الزجر عن التحريف وويل لهم مما يكسبون الكلام
فيه كالذي فيما قبله والتكرير لما مر من التأكيد والتشديد والقصد إلى التعليل بكل من
الجنايتين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما أنه من مبادي ترويج ما كتبت أيديهم
فهو داخل في التعليل به وقالوا بيان لبعض آخر من خباياهم وفصله عما قبله والتكرير لما مر من التأكيد
والتشديد مشعر بكونه من الأكاذيب التي اختلقوها ولم يكتبوها في الكتاب لن تمسنا النار في الآخرة
إلا أياما معدودة قليلة محصورة عدد أيام عبادتهم العجل أربعين يوما مدة غيبة موسى عليه السلام
عنهم وحكى الأصم عن بعض اليهود أن عدد أيام عبادتهم العجل سبعة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ومجاهد رضي الله عنه أن اليهود قالوا عمر الدنيا سبعة آلاف سنة وإنما نعذب بكل ألف سنة يوما
واحدا وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه أن اليهود زعمت أنهم وجدوا في التوراة أن ما بين
طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم وأنهم يقطعون في كل سنة مسيرة سنة فيكملونها
قل تبكيتا لهم وتوبيخا أتخذتم بإسقاط الهمزة المجتلبة لوقوعها في الدرج وبإظهار الذال وقرئ بإدغامها
في التاء عند الله عهدا خبرا أو وعدا بما تزعمون فإن ما تدعون لا يكون إلا بناء على وعد قوي ولذلك
عبر عنه بالعهد فلن يخلف الله عهده الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف كما في قول من قال

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا ... ثم القفول فقد جئنا خراسانا

أي إن كان الأمر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية وإظهار الاسم الجليل للإشعار بعلة الحكم
فإن عدم الإخلاف من قضية الألوهية وإظهار العهد مضافا إلى ضميره عز وجل لما ذكر أولا أن المراد
به جميع عهوده لعمومه بالإضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولا أوليا وفيه تجاف عن التصريح
بتحقق مضمون كلامهم وإن كان معلقا بما لم يكد يشم رائحة الوجود قطعا أعني اتخاذ العهد
أم تقولون مفترين على الله ما لا تعلمون وقوعه إنما علق التوبيخ بإسنادهم إليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه
مع أنهم أسندوه إليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة في التوبيخ والنكير فإن التوبيخ

على الأدنى مستلزم للتوبيخ على الأعلى بالطريق الأولى وقولهم المحكي وإن لم يكن تصريحا بالافتراء
عليه سبحانه لكنه مستلزم له لأن ذلك الجزم لا يكون إلا بإسناد سببه إليه تعالى وأم إما متصلة
والاستفهام للتقرير المؤدي إلى التبكيت لتحقق العلم بالشق الأخير كأنه قيل أم لم تتخذوه بل تقولون
عليه تعالى وإما منقطعة والاستفهام لإنكار الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الإضراب والانتقال
من التوبيخ بالإنكار على اتخاذ العهد إلى ما تفيده همزتها من التوبيخ على التقول على الله سبحانه وتعالى
كما في قوله عز وجل قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون بلى إلى آخره جواب عما قالوا وإبطال
له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا في ضمن تشريع كلي شامل لهم ولسائر الكفرة بعد
إظهار كذبهم إجمالا وتفويض إلى النبي صلى الله عليه وسلم لما أن المحاجة والإلزام من وظائفه عليه
السلام مع ما فيه من الإشعار بأنه أمر لا يتوقف على التوقيف وبلى حرف إيجاب مختص
بجواب النفي خبرا أو استفهاما من كسب سيئة فاحشة بعذاب أليم وأحاطت به من جميع جوانبه
بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه إلا وقد اشتملت واستولت عليه خطيئته
التي كسبها وصارت خاصة كما ينبئ عنه الإضافة إليه وهذا إنما يتحقق في الكافر ولذلك فسرها
السلف بالكفر حسبما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم وابن جرير
عن أبي وائل ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل العكس
وقيل الفرق بينهما أن الأولى قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض لأنها
من الخطأ وقرئ خطيته وخطياته على القلب والإدغام فيهما وخطيئاته وخطاياه وفي ذلك
إيذان بكثرة فنون كفرهم فأولئك مبتدأ أصحاب النار خبره والجملة خبر للمبتدأ والفاء لتضمنه معنى
الشرط وإيراد اسم الإشارة المبني على استحضار المشار إليه بما له من الأوصاف للإشعار بعليتها لصاحبية
النار وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والخطايا وإنما أشير إليهم بعنوان الجمعية
مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الضمائر الثلاثة لما أن ذلك هو المناسب
لما أسند إليهم في تينك الحالتين فإن كسب السيئة وإحاطة خطيئته به في حالة الإفراد وصاحبية النار
في حالة الاجتماع أي أولئك الموصوفون بما ذكر من كسب السيئات وإحاطة خطاياهم بهم أصحاب النار
أي ملازموها في الآخرة حسب ملازمتهم في الدنيا لما يستوجبها من الأسباب التي من جملتها ما هم عليه وتكذيب
آيات الله تعالى وتحريف كلامه والافتراء عليه وغير ذلك وإنما لم يخص الجواب بحالهم بأن يقال مثلا
بلى إنهم أصحاب النار إلخ لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما مر من قصد الاستقلال
بالتعليل هم فيها خالدون دائما أبدا فأنى لهم التفصي عنها بعد سبعة أيام أو أربعين كما زعموا فلا حجة
في الآية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة إلى حمل الخلود على اللبث
الطويل على أن فيه تهوين الخطب في مقام التهويل والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون
جرت السنة الإلهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة في إرشاد العباد من الترغيب
تارة والترهيب أخرى والتبشير مرة والإنذار أخرى وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل شروع في تعداد بعض آخر
من قبائح أسلاف اليهود مما ينادي بعدم إيمان أخلافهم وكلمة إذ نصب بإضمار فعل خوطب به النبي صلى الله

عليه وسلم والمؤمنون ليؤديهم التأمل في أحوالهم إلى قطع الطمع عن إيمانهم واليهود الموجودون في
عهد النبوة من بقايا هؤلاء وبعد إسلامهم أي اذكروا إذ أخذنا ميثاقهم لا تعبدون إلا الله على إرادة
القول أي وقلنا أو قائلين لا تعبدون إلخ وهو إخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد
وكما تقول تذهب إلى فلان وتقول كيت وكيت وهو أبلغ من صريح النهي لما فيه من إيهام أن المنهي حقه أن
يسارع إلى الانتهاء عما نهي عنه فكأنما انتهى عنه فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف قوله عليه
وقيل تقديره أن لا تعبدوا إلخ فحذف الناصب ورفع الفعل كما في قوله ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى
وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي ويعضده قراءة أن لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق أو معمولا له
بحذف الجار وقيل إنه جواب قسم دل عليه المعنى كأنه قيل وحلفناهم لا تعبدون إلا الله وقرئ بالياء
لأنهم غيب وبالوالدين إحسانا متعلق بمضمر أي وتحسنون أو وأحسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين
واليتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر أسكنه عن الحراك وأثخنه
عن التقلب وقولوا للناس حسنا أي قولا حسنا سماه حسنا مبالغة وقرئ كذلك وحسنا بفتحتين
وفي لغة أهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد ما فيه تخلق وإرشاد وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
هما ما فرض عليهم في شريعتهم ثم توليتم إن جعل ناصب الظرف خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
فهذا التفات إلى بني إسرائيل جميعا بتغليب أخلافهم لجريان ذكرهم حينئذ في نهج الحكاية بالخطابات
السابقة لأسلافهم محكية داخلة في حيز القول المقدر قبل لا تعبدون كأنهم استحضروا عند ذكر
جناياتهم فنعيت هي عليهم وإن جعل خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الأسلاف منزلة الأخلاف كما أنه تعميم للتولي بتنزيل الأخلاف منزلة الأسلاف
للتشديد في التوبيخ أي أعرضتم عن المضي في مقتضى الميثاق ورفضتموه إلا قليلا منكم وهم من الأسلاف
من أقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الأخلاف من أسلم كعبد الله بن سلام وأضرابه وأنتم معرضون
جملة تذييلية أي وأنتم قوم عادتكم الإعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق وأصل الإعراض الذهاب
عن المواجهة والإقبال إلى جانب العرض وإذ أخذنا ميثاقكم منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود
قاطبة في ما ذكر من التغليب ونعي عليهم إخلالهم بمواجب الميثاق المأخوذ منهم في حقوق العباد في
طريقة النهي إثر بيان ما فعلوا بالميثاق المأخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وتعالى وما يجري مجراها
على سبيل الأمر فإن المقصود الأصلي من النهي عن عبادة غير الله تعالى هو الأمر بتخصيص العبادة به تعالى
أي واذكروا وقت أخذنا ميثاقكم في التوراة وقوله تعالى لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون
أنفسكم من دياركم كما قبله إخبار في معنى النهي عبر به عنه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به
النهي الشديد عن تعرض بعض بني إسرائيل لبعض بالقتل والإجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء أنفسهم
وإخراجها من ديارهم بناء على جريان كل واحد منهم مجرى أنفسهم لما بينهم من الاتصال القوي نسبا ودينا
لما أنه أبلغ في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير المنهي عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل
طبيعة فضمير أنفسكم للمخاطبين حتما إذ به يتحقق تنزيل المخرجين منزلتهم كما أن ضمير دياركم للمخرجين قطعا
إذ المحذور إنما هو إخراجهم من ديارهم باعتبار تنزيله ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناء على تنزيل أنفسهم

منزلتهم

منزلتهم لتأكيد المبالغة وتشديد التشنيع وأما ضمير دماءكم فيحتمل الوجهين مفاد الأول كون المقتولين
ودماؤهم ادعائية للمخاطبين حقيقة ومفاد الثاني كونه دماء حقيقة للمخاطبين ادعاء وهما متفاوتان
في إفادة المبالغة فتدبر وأما ما قيل من أن المعنى لا تباشروا ما يؤدي إلى قتل أنفسكم قصاصا
أو ما يبيح سفك دمائكم وإخراجكم من دياركم أو لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الأبدية
فإنه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تحرمون به عن الجنة التي هي داركم فإنه الجلاء الحقيقي فلا يساعده
سباق النظم الكريم بل هو نص فيما قلناه كما ستقف عليه ثم أقررتم أي بالميثاق وبوجوب المحافظة
عليه وأنتم تشهدون توكيد للإقرار كقولك أقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وأنتم أيها الحاضرون
تشهدون اليوم على إقرار أسلافكم بهذا الميثاق ثم أنتم هؤلاء خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ
شديد واستبعاد قوي لما ارتكبوه بعد ما كان من الميثاق والإقرار به والشهادة عليه فأنتم مبتدأ
وهؤلاء خبره ومناط الإفادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات والمعنى أنتم بعد ذلك
هؤلاء المشاهدون الناقضون والمتناقضون حسبما يعرب عنه الجمل الآتية فإن قوله تعالى ع
تقتلون أنفسكم إلخ بيان له وتفصيل لأحوالهم المنكرة المندرجة تحت الإشارة ضمنا كأنهم قالوا كيف نحن
فقيل تقتلون أنفسكم أي الجارين مجرى أنفسكم كما أشير إليه وقرئ تقتلون بالتشديد للتكثير
وتخرجون فريقا منكم الضمير إما للمخاطبين والمضاف محذوف أي من أنفسكم وإما للمقتولين والمخرجين
باعتبار أنهم جعلوا أنفس المخاطبين وإلا لا يتحقق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين في ذلك العنوان
الذي عليه يدور تلك المبالغة في تأكيد الميثاق حسبما نص عليه ولا يظهر كمال قباحة جناياتهم في نقضه
من ديارهم الضمير للفريق وإيثار الغيبة مع جواز الخطاب أيضا بناء على اعتبار العنوان المذكور
كما مر في الميثاق للاحتراز عن توهم كون المراد إخراجهم من ديار المخاطبين من حيث هي ديارهم لا من
حيث هي ديار المخرجين وقيل هؤلاء موصول والجملتان في حيز الصلة والمجموع هو الخبر لأنتم
تظاهرون عليهم بحذف إحدى التاءين وقرئ بإثباتهما وبالإدغام وتظهرون بطرح إحدى
التاءين من تتظهرون ومعنى الكل تتعاونون وهو حال من فاعل تخرجون أو من فاعل تخرجون
أو من مفعوله أو منهما جميعا مبينة لكيفية الإخراج دافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالإخراج بطريق
الأصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة بالإثم متعلق بتظاهرون حال من فاعله أي ملتبسين
بالإثم وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما ينفر عنه الطبع النفس ولا يطمئن إليه
القلب والعدوان وهو التجاوز في الظلم وإن يأتوكم أسارى جمع أسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل بمعنى مفعول
من الأسر أي الشد أو جمع أسرى وهو جمع أسير كجريح وجرحى وقد قرئ أسرى ومحله النصب في الحالية
تفادوهم أي تخرجوهم من الأسر بإعطاء الفداء وقرئ تفدوهم قال السدي إن الله تعالى أخذ على بني
إسرائيل في التوراة أن لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وأيما عبد أو أمة
وجدتموه من بني إسرائيل فاشتروه وأعتقوه وكانت قريظة حلفاء الأوس والنضير حلفاء الخزرج
حين كان بينهما ما كان من العداوة والشنآن فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه فإذا غلبوا خربوا
ديارهم وأخرجوهم منها ثم إذا أسر رجل من الفريقين جمعوا الدماء له فيفدونه فعيرتهم العرب وقالت

كيف يعاملونهم ثم تفدونهم فيقولون لهم امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكن نستحيي ان نذل
خلفاءنا فذمهم الله تعالى في المناقضة وهو محرم عليكم اخراجهم هو ضمير الشان وقع مبتدأ ومحرم
فيه ضمير قايم مقام الفاعل وقع خبرا من اخراجهم والجملة خبر لضمير الشان وقيل محرم خبر لضمير
الشان واخراجهم مرفوع على انه مفعول ما لم يسم فاعله وقيل الضمير مبهم يفسره اخراجهم او
راجع الى ما يدل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او بيان والجملة حال من الضمير في
تخرجون او من فريقا او منهما كما مر بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة وتخصيص بيان الحرمة
هنا بالاخراج مع كونه قرينا للقتل عند اخذ الميثاق لكونه مظنة للمساهلة في امره بسبب قلة
خطره بالنسبة الى القتل ولان مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض افعالهم
معا وذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلى بشيء من دية او قصاص
وهو السر في تخصيص التظاهر به فيما سبق واما تاخيره عن الشرطية المعترضة مع ان حقه
التقديم كما ذكره الواحدي فلان نظر الى اغلبهم المناقضة في نمط واحد من الذكر ادخل في اظهار
بطلانها افتؤمنون ببعض الكتاب اي التورية التي اخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة للانكار التوبيخي
والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اي تفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة
وتكفرون ببعض وهو حرمة القتال والاخراج مع ان من قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقي
لكون الكل من عند الله تعالى داخلا في الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض حسبما
يفيده ترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعي في المقام الخطابي اصالة المقدم وتقدمه
بوجه من الوجوه حتما اذ ليس ذلك هنا باعتبار الانكار والتوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعا
لا ايمانهم بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض
ولا لمجرد كفرهم بالبعض وايمانهم بالبعض كما يفيده ان يقال اتجمعون بين الايمان ببعض الكتاب
والكفر ببعض او بالعكس فما جزاء من يفعل ذلك ما نافية ومن ان جعلت موصولة فلا محل ليفعل من الاعراب
وان جعلت موصوفة فمحله الجر على انه صفتها وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض
او الى ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفاداة الاسارى منكم حال من فاعل يفعل الا خزي استثناء
مفرغ وقع خبرا للمبتدأ والخزي الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل بني قريظة
واجلاء بني النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل الجزية في الحيوة الدنيا في حيز الرفع على انه صفة
اخرى اي خزي كائن في الحياة الدنيا او في حيز النصب على انه ظرف لنفس الخزي ولعل بيان جزائهم
بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار انه لا اثر له
اصلا مع الكفر ببعض ويوم القيمة يردون وقرئ بالتاء او ترصيعة الجمع نظرا الى معنى من بعد ما اوكد
الافراد نظرا الى لفظها لما ان الرد انما يكون بالاجتماع الى اشد العذاب لما ان معصيتهم اشد المعاصي
وقيل اشد العذاب بالنسبة الى ما لهم في الدنيا من الخزي والصغار وانما غير سبك النظم الكريم
حيث لم يقل مثلا واشد العذاب يوم القيمة للايذان بكمال التنافي بين جزائي النشاتين وتقديم
يوم القيمة على ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من اول الامر وما الله بغافل عما تعملون

من

من القبائح التي من جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على بناء يردون وهو تاكيد للوعيد اولئك
الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين اشتروا اي آثروا الحيوة
الدنيا واستبدلوها بالاخرة واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر من الكفر ببعض احكام
الكتاب انما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدنيوية الدنيوية
فلا يخفف عنهم العذاب دنيويا كان او اخرويا ولا هم ينصرون بدفعه عنهم شفاعة او جبرا والجملة
معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية او ينصرون مفسر لمحذوف قبل الضمير فيكون من
عطف الفعلية على مثلها ولقد آتينا موسى الكتاب شروع في بيان بعض آخر من جناياتهم وتصديره
بالجملة القسمية لاظهار كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب التورية عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
التورية لما نزلت جملة واحدة امر الله تعالى موسى عليه السلام بحملها فلم يطق ذلك فبعث بكل
حرف منها ملكا فلم يطيقوا حملها فخففها الله تعالى لموسى عليه السلام فحملها وقفينا من بعده بالرسل
يقال قفاه به اذا اتبعه اياه اي ارسلنا هم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع
واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا
ويحيى وغيرهم عليهم الصلاة والسلام وآتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات من احياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه المبارك ومريم
بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة • قلت لزير لم تصله
مريمه • ضليل اهواء الصبا تندمه • ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه اي قويناه وقرئ آيدناه
بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة وهي روح عيسى عليه السلام كقولك
حاتم الجود ورجل صدق وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب
والارحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما قيل في القرآن روحا من امرنا وقيل
باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه
بما ذكر من ايتاء البينات والتاييد بروح القدس لما ان بعثهم كانت لتنفيذ احكام التورية وتقريرها
واما عيسى عليه السلام فقد نسخ بشرعه كثير من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل في
حقه عليه السلام ببيان حقيقته واظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام افكلما جاءكم رسول
من اولئك الرسل بما لا تهوى انفسكم من الحق الذي لا محيد عنه اي لا تحبه من هوي كفرح اذا احب
والتعبير عنه بذلك للايذان بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفة لاهواء انفسهم والموافقة
لها لا شيء آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من الافعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم
ذلك بهذا او للتعجيب من شانهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام اي الم تطيعوهم
فكلما جاءكم رسول منهم بما لا تهوى انفسكم استكبرتم عن الاتباع له والايمان بما جاء به من عند
الله تعالى ففريقا منهم كذبتم من غير ان تتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار والفاء للسببية او
التعقيب وفريقا آخر منهم تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام
وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة

الاستقبال في القتل لاستحضار صورته الهائلة أو للإيماء إلى أنهم بعد على تلك النية حيث
هموا بما لم ينالوه من جهته عليه السلام وسحروه وسموا له الشاة حتى قال صلى الله عليه وسلم
ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان قطعت أبهري وقالوا بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق
الالتفات إلى الغيبة إشعارا بإبعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للإعراض
عنهم وحكاية نظائرها لكل من له بطلانها وقبائحها من أهل الحق والقائلون هم الموجودون
في عصر النبي صلى الله عليه وسلم قلوبنا غلف جمع أغلف مستعار من الأغلف الذي لم يختن
أي هي مغشاة بأغشية جبلية لا يكاد يصل إليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه كقولهم قلوبنا
في أكنة مما تدعونا إليه وقيل هو تخفيف غلف جمع غلاف ويؤيده ما روي عن أبي عمرو من القراءة
بضمتين يعنون أن قلوبنا لا يصل إليها حديث إلا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته أيضا بل
لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوه وتكذيب لهم في ذلك والمعنى على الأول بل أبعدهم الله تعالى عن
رحمته بأن خذلهم وخلاهم وشأنهم بسبب كفرهم العارض وإبطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم
بالمرة وكونهم بحيث لا ينفعهم الألطاف أصلا بعد أن طبعهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى
الثاني بل أبعدهم من رحمته فأنى لهم ادعاء العلم الذي هو أجل آثارها وعلى آثارها وعلى الثالث
بل أبعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدي إليها فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة للمبالغة أي
فإيمانا قليلا يؤمنون وهو إيمانهم ببعض الكتاب وقيل فزمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا
آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما ليس بإيمان حقيقة
وقيل أريد بالقلة العدم والفاء سببية للعن لعدم الإيمان ولما جاءهم كتاب هو القرآن
وتنكيره للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل من عند الله أي كائن من عنده تعالى للتشريف مصدق
لما معهم من التورية عبر عنها بذلك لما أن المعية من موجبات الوقوف على ما في تضاعيفها
المؤدي إلى العلم بكونه مصدقا لها وقرئ مصدقا على أنه حال من كتاب لتخصصه بالوصف وكانوا
من قبل أي من قبل مجيئه يستفتحون على الذين كفروا أي وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون به
على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التورية
ويقولون لهم قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم قال ابن عباس
رضي الله عنه وقتادة والسدي نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج
برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بأن
نبيا يبعث منهم قد قرب أوانه والسين للمبالغة كما في استعجب أي يسألون من أنفسهم الفتح عليهم
أو يسأل بعضهم بعضا أن يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية مفيدة لكمال مكابرتهم وعنادهم
وقوله عز وعلا فلما جاءهم تكرير للأول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله تعالى ما عرفوا
عبارة عما سلف من الكتاب لأن معرفة من أنزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح به
وإيراد الموصول دون الاكتفاء بالإضمار لبيان كمال مكابرتهم فإن معرفة ما جاءهم من مبادي
الإيمان به ودواعيه لا محالة والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به من غير أن يتخلل

بينهما

بينهما مدة منسية له وقوله تعالى كفروا به جواب لما الأولى كما هو رأي المبرد أو جوابهما معا
كما قاله أبو البقاء وقيل جواب الأولى محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى وكانوا الخ
جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم
كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل
مجيئه يستفتحون بمن أنزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا به فلعنة الله
على الكافرين اللام للعهد أي عليهم وضع المظهر موضع المضمر للإشعار بأن حلول اللعنة عليهم
بسبب كفرهم كما أن الفاء للإيذان بترتبها عليه أو للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا أوليا إذ
الكلام فيهم وأياما كان فهو تحقيق لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم بئسما اشتروا به أنفسهم
ما نكرة بمعنى شيء منصوبة مفسرة لفاعل بئس واشتروا صفته أي بئس شيئا باعوا به أنفسهم وقيل
اشتروها به في زعمهم حيث يعتقدون أنهم بما فعلوا خلصوها من العقاب وأياما كان لا بد أن يكون
المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله تعالى أن يكفروا بما أنزل الله
أي الكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيته وتبديل الإنزال بالمجيء للإيذان بعلو شأنه المقتضي
للإيمان به بغيا حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لأن يكفروا دون اشتروا لما قيل من الفصل
بما هو أجنبي بالنسبة إليه وإن لم يكن أجنبيا بالنسبة إلى فعل الذم وفاعله ولأن البغي مما لا تعلق له ع
بعنوان البيع قطعا لا سيما وهو معلل بما سيأتي من تنزيل الله تعالى من فضله على من يشاؤه وإنما الذي
بينه وبينه علاقة هو كفرهم بما أنزل الله تعالى والمعنى بئس شيئا باعوا به أنفسهم كفرهم المعلل بالبغي
الكائن لأجل أن ينزل الله من فضله الذي هو الوحي على من يشاء أي يشاؤه ويصطفيه من عباده
المستأهلين لتحمل أعباء الرسالة وما له تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه وإيثار صيغة
التفعيل ههنا للإيذان بتجدد بغيهم حسب تجدد الإنزال وتكثره حسب تكثره فباءوا بغضب على غضب
أي رجعوا ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقين له حسب ما اقترفوا من كفر على كفر فإنهم كفروا بنبي الحق
وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى عليه السلام وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم
يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم وللكافرين أي لهم والإظهار في موضع الإضمار للإشعار بعلية
كفرهم لما حاق بهم عذاب مهين يراد به إهانتهم وإذلالهم لما أن كفرهم بما أنزل الله تعالى كان مبنيا
على الحسد للنبي في طمع النزول عليهم وادعاء الفضل على الناس والاستهانة بمن أنزل عليه عليه الصلوة
والسلام وإذا قيل من جانب المؤمنين لهم أي لليهود وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه لا سيما
في مقام التبليغ آمنوا بما أنزل الله من الكتب الإلهية جميعا والمراد به الأمر بالإيمان بالقرآن لكن
سلك مسلك التعميم إيذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما آمنوا فيما في حيز الصلة وموافقته
له في المضمون وتنبيها على أن الإيمان بما عداه من غير إيمان به ليس بما أنزل الله قالوا نؤمن أي
نستمر على الإيمان بما أنزل علينا يعنون به التورية وما أنزل على أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام
لتقرير حكمها ويدسون فيه أن ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلم إما أنفسهم
فمعنى الإنزال عليهم تكليفهم بما في المنزل من الأحكام وإما أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام وهو الظاهر

لاشتماله على مزية الايذان بان عدم ايمانهم بالفرقان لما مر من بغيهم وحسدهم على نزوله على من
ليس منهم ولان مرادهم بالموصول وان كان هو التورية وما في حكمها خاصة لكن ايرادها بعنوان
الانزال عليهم مبني على ادعاء ان ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد الانزال
عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة القرآن لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى
ويكفرون بما وراءه عدم كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا على واحد من بني اسرائيل
على الوجه الاخير وتجريد الموصول عند الاحتمال عما عرضوا به تعسف والوراء في الاصل مصدر
جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد ما يواريه
وهو امامه والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير مبتدأ اي قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما عداه
وليس المراد مجرد بيان ان ايمانهم بما انزل عليهم بالذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان
ما يدعون من الايمان ليس بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله عز اسمه وهو الحق اي المعروف
بالحقية الحقيق بان يخص به اسم الحق على الاطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى مصدقا حال مؤكدة
لمضمون الجملة صاحبها اما ضمير الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقاء واما ضمير
دل عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اي احقه مصدقا لما معهم من التورية والمعنى قالوا نؤمن بما
انزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال انه حق مصدق لما آمنوا به فيلزمهم الكفر بما آمنوا به
ومآله انهم ادعوا الايمان بالتورية والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها قل تبكيتا
لهم من جهة الله عز من قائل ببيان التناقض في اقوالهم فلم اصله لما حذف عنه الالف فرقا بين الاستفهام
والخبرية تقتلون انبياء الله من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود والماضين على طريق التغليب وحيث
كانوا شاركين في العقد والعمل كان الاعتراض على اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال
لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط حذف اي قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتورية كما تزعمون
فلاي شيء كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرئ انبياء الله مهموزا وقوله تعالى ان كنتم
مؤمنين تكرير للاعتراض لتاكيد الالزام وتشديد التهديد اي ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وقد
حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة بما اثبت في الاخرى وقيل لا حذف فيه بل
تقديم الجواب على الشرط وذلك لا يتأتى الا على رأي الكوفيين وابي زيد وقيل ان نافية اي ما
كنتم مؤمنين والا لما قتلتموهم ولقد جاءكم موسى بالبينات من تمام التبكيت والتوبيخ داخل
تحت الامر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد النعم التي من جملتها العفو عن عبادة العجل واللام
للقسم اي والله لقد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظاهرة التي هي العصا واليد والسنون
ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها
التورية وليس بواضح بان المجيء بها بعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده اي من بعد
مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه الى الطور فتكون التورية حينئذ من جملة البينات وثم للتراخي
في الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا وانتم ظالمون حال من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم العجل
ظالمين بعبادته واضعين لها في غير موضعها او باخلال بحقوق آيات الله تعالى او اعتراض

اي وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم تكرير توبيخ من جهة الله تعالى وتكذيب لهم في ادعائهم
الايمان بما انزل عليهم بتذكير جناياتهم الناطقة بكذبهم اي واذكروا حين اخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور قائلين خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي خذوا بما امرتم به في التورية واسمعوا ما فيها
سمع طاعة وقبول قالوا استيناف مبني على سؤال سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا سمعنا
قولك وعصينا امرك فاذا قابل اسلافهم مثل ذلك الخطاب المؤكد مع مشاهدتهم مثل ذلك المعجزة
الباهرة بمثل هذه العظيمة الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف التورية فكيف يتصور من اخلافهم الايمان
بما فيها واشربوا في قلوبهم العجل على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اي تداخلهم
حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب
اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كما في قوله تعالى انما يأكلون في بطونهم نارا والجملة
حال من ضمير قالوا بتقدير قد بكفرهم بسبب كفرهم السابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسمة او حلولية
ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري قل توبيخا لحاضري اليهود اثر ما بين
احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون في كل ما يأتون وما يذرون بئسما يأمركم به ايمانكم بما
انزل عليكم من التورية حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف اي ما ذكر من قولهم سمعنا وعصينا
وعبادتهم العجل وفي اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان اليهم للايذان بانه ليس بايمان
حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فانه قدح في دعواهم الايمان بما انزل عليهم من التورية
وابطال لها وتقريره ان كنتم مؤمنين بها عاملين فيما ذكر من القول والعمل بما فيها فبئسما يأمركم به
ايمانكم بها واذ لا يسوغ الايمان بها مثل تلك القبائح فلستم بمؤمنين بها قطعا وجواب الشرط كما ترى
محذوف لدلالة ما سبق عليه قل كرر الامر مع قرب العهد بالامر السابق لما انه امر بتبكيتهم واظهار
كذبهم في فن آخر من اباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفي بالاشارة اليه في تضاعيف
الكلام حيث قيل ان كانت لكم الدار الآخرة اي الجنة او نعيم الدار الآخرة عند الله خالصة اي سالمة لكم خاصة
بكم كما تدعون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحالية من الدار وعنده ظرف للاستقرار
في الخبر اعني لكم وقوله تعالى من دون الناس في محل النصب بخالصة يقال خلص لي كذا
من كذا واللام للجنس اي الناس كافة او للعهد اي المسلمين فتمنوا الموت فان من ايقن بدخول الجنة
اشتاق الى التخلص اليها من دار البوار وقرارة الاكدار لا سيما اذا كانت خالصة له كما قال علي
كرم الله وجهه لا ابالي اسقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بن ياسر بصفين الآن
الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر وقد كان يتمنى الموت قبل
حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني وقوله تعالى ان كنتم صادقين تكرير للكلام
لتشديد الالزام وللتنبيه على ان ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الامر فقط بل في اعتقادهم
ايضا وانهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين
فتمنوه وقوله تعالى ولن يتمنوه ابدا كلام مستأنف غير داخل تحت الامر سيق من جهته سبحانه
لبيان ما يكون منهم من الاحجام عما دعوا اليه الدال على كذبهم في دعواهم بما قدمت ايديهم بسبب

ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر بالنبي عليه السلام والقرآن وتحريف التورية
ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة صنايعه ومدار اكثر منافعه عبر بها
تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اي بهم وايثار الاظهار في الاضمار
لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في جميع الامور التي من جملتها ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم
والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصي
المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي اليه ذلك فوقع الامر كما
ذكر فلم يتمن منهم موته احد اذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا
الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض ولتجدنهم احرص الناس
من الوجدان العقلي وهو جار مجرى العلم خلا انه مختص بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الهم
واحرص والتنكير في قوله تعالى على حيوة للايذان بان مرادهم نوع خاص منها وهي الحيوة
المتطاولة وقرئ بالتعريف ومن الذين اشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل احرص
من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر مع دخولهم في الناس للايذان بامتيازهم من بينهم
بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان اشد من
حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم بمصيرهم الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف
ثقة بانباء المعطوف عليه عنه اي واحرص من الذين اشركوا فقوله تعالى يود احدهم بيان
لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف ويجوز ان يكون في حيز الرفع صفة لمبتدا محذوف خبره
الظرف المتقدم على ان يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله اي ومنهم طايفة يود
احدهم ايهم كان اي كل واحد منهم لو يعمر الف سنة وهو حكاية لودادتهم كانه قيل ليتني اعمر
وانما اجرى على الغيبة لقوله تعالى يود كما تقول حلف بالله ليفعلن ومحله النصب على انه مفعول
يود اجراء له مجرى القول لانه فعل قلبي وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازية والضمير العايد الى احدهم
اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زايدة ان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمن يزحزحه اي
يبعده وينجيه من العذاب تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر وان يعمر بدل منه وقيل
هو مبهم وان يعمر مفسره والجملة حال من احدهم والعامل يود لا يعمر على انها حال من ضميره لفساد
المعنى او اعتراض واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وسنية وقيل سنهة كجبهة لقولهم
سانهته وسنيهة وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والله بصير بما يعملون البصير في كلام
العرب العالم بكنه الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اي عليم بخفيات اعمالهم فهو
مجازيهم بها لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل من كان عدوا لجبريل
نزل في عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن نزل عليه
بالوحي فقال عليه السلام جبريل عليه السلام فقال هو عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا
وفي بعض الروايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الذي يأتيك لآمنا بك وقد عادانا مرارا
واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل

غلاما

غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل عليه السلام وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم
عليه والا فباي حق تقتلونه وقيل امره الله تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي
انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع
كلامهم فقالوا يا عمر قد حببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لشك في
ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى آثاره في كتابكم ثم سألهم
عن جبريل عليه السلام فقالوا ذاك هو عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف
وعذاب وميكائيل عليه السلام يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا
جبريل اقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما متعاديان فقال عمر رضي الله تعالى عنه
ان كان كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو للآخر
ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا لله سبحانه ثم رجع عمر رضي الله عنه فوجد جبريل عليه السلام
قد سبقه بالوحي فقال صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر رضي الله عنه لقد
رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبريل كسلسبيل وجبرئل كجحمرش وجبريل
وجبرال وجبرائيل كجبراعيل وجبرائل كجبراعل ومنع الصرف للتعريف والعجمة وقيل
معناه عبد الله فانه نزله تعليل لجواب الشرط قايم مقامه والبارز الاول لجبريل عليه السلام
والثاني للقرآن اضمر من غير ذكر ايذانا لفخامة شانه واستغنايه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته
لا سيما عند ذكر شيء من صفاته على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحي فانه القابل
الاول له ومدار الفهم والحفظ وايثار الخطاب على التكلم المبني على حكاية كلام الله تعالى بعينه
كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لما في النقل بالعبارة من زيادة تقرير لمضمون
المقالة باذن الله بامره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبريل عليه
السلام الى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه اي
من الكتب الالهية التي معظمها التورية حال من مفعوله وكذا قوله تعالى وهدى وبشرى للمؤمنين
والعامل في الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته
لانه نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم او فالسبب في عداوته تنزيله لكتاب مصدق لكتابهم موافق له وهم
له كارهون ولذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لان الاعتراف بها يوجب الايمان به وذلك
يستدعي انتكاس احوالهم وزوال رياستهم وقيل الجواب فقد خلع ربقة الانصاف او فقد كفر بما
معه من الكتاب او فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدو له من كان عدوا لله اريد بعداوته تع
مخالفة امره عنادا والخروج عن طاعته مكابرة او عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره
الجليل تفخيما لشأنهم وايذانا بان عداوتهم عداوته عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام
فقيل وملائكته ورسله وجبريل وميكال وانما افردا بالذكر مع انهما اول من يشمله عنوان الملائكة والرسل
لاظهار فضلهما كانهما عليهما السلام من جنس آخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير
في الجنس وللتنبيه على ان عداوة احدهما عداوة للآخر حسما لمادة اعتقادهم الباطل في حقهما حيث زعموا

انهما متعاديان وللاشارة الى ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع العداوة من جهة الله
سبحانه وتعالى وان من عادى احدهم فكانما عادى الجميع وقوله تعالى فان الله عدو للكافرين اي
لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب وايثار الاسمية للدلالة على التحقق
والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان بان عداوة المذكورين كفر وان ذلك بين لا يحتاج
الى الاخبار به وان مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة والعذاب هو كفرهم
المذكور وقرئ ميكائل كميكاعل وميكئيل كميكعيل ولقد انزلنا اليك آيات واضحات الدلالة على معانيها
وعلى كونها من عند الله تعالى وما يكفر بها الا الفاسقون المتمردون في الكفر الخارجون عن حدوده فان
من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن رضي الله عنه اذا
استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم افراد ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس رضي
الله عنهما انه قال قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك
من آية فنتبعك لها فنزلت واللام للعهد اي الفاسقون المعهودون وهم اهل الكتاب المحرفون لكتابهم
الخارجون عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو
للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اكفروا بها وهي في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا ومن جملة ذلك
ما اشير اليه في قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد اظل زمان
نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقرئ بسكون الواو على ان التقدير في النظم
الكريم وما يكفر بها الا الذين فسقوا ونقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا وقوله
تعالى عهدا اما مصدر مؤكد لعاهدوا من غير لفظه او مفعول له على انه بمعنى اعطوا العهد نبذه فريق منهم
اي رموا بالزمام ونقضوه وقرئ نقضه واسناد النقض الى فريق منهم لان منهم من لم ينبذه بل اكثرهم
لا يؤمنون اي بالتورية وهذا دفع لما يتوهم من ان النابذين هم الاقلون وان من لم ينبذ جهارا انهم يؤمنون
بها سرا ولما جاءهم رسول هو النبي صلى الله عليه وسلم والتنكير للتعظيم من عند الله متعلق بجاء او بمحذوف
وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيمه بتأكيد ما افاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة
الاضافية مصدق لما معهم من التورية من حيث انه صلى الله عليه وسلم قررها وحقق حقية نبوة
موسى عليه السلام بما انزل عليه او من حيث انه عليه السلام جاء على وفق ما نعت فيها نبذ فريق من الذين
اوتوا الكتاب اي التورية وهم اليهود الذين كانوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ممن كانوا يستفتحون
به قبل ذلك لا الذين كانوا في عهد سليمان عليه السلام كما قيل لان النبذ عند مجيء النبي صلى الله
عليه وسلم لا يتصور منهم وافراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل اوكلما عاهدوا
عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم جناياتهم ولانه تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلو الشياطين وايثارهم
له والمراد بايتائها اما ايتاء علمها بالمدارسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول عبارة عن علمائهم
واما مجرد انزالها عليهم فالكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير للايذان بكمال التنافي
بين ما اثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ كتاب الله اي الذي اوتوه قال السدي لما جاءهم
محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتورية فاتفقت التورية والقرآن فنبذوا التورية واخذوا بكتاب

اصف

آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فنبذ قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله تعالى
الخ وانما عبر عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا لما اجترءوا عليه من الكفر بها وقيل
كتاب الله القرآن نبذوه من بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول لا سيما بعد ما كانوا يستفتحون به من قبل فان
ذلك قبول له وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه نبذا له كأنه قيل كتاب الله الذي جاء به الرسول فعبر
عن مجيء الكتاب وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء
عنه وقلة التفات كأنهم لا يعلمون جملة حالية اي نبذوه وراء ظهورهم متشبهين بمن لا يعلمه فان اريد
بهم احبارهم فالمعنى كأنهم لا يعلمونه على وجه الايقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته صلى الله عليه
عليه وسلم ففيه ايذان بان علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون او كأنهم لا يعلمون انه كتاب الله او لا يعلمونه
اصلا كما اذا اريد بهم الكل وفي هذين الوجهين زيادة مبالغة في اعراضهم عما في التورية من دلائل
النبوة هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القرآن فالمراد بالعلم المنفي في قوله تعالى كأنهم لا يعلمون
هو العلم بانه كتاب الله ففيه مثل ما في الوجه الاول من الاشعار بانهم متيقنون في ذلك وانما يكفرون
به مكابرة وعنادا قيل ان جميع اليهود اربع فرق ففرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل
الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بقوله عز وجل بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود
وتعدي الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا
بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم
المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على جواب لما اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب
السحر التي كانت تقرؤها الشياطين وهم المتمردون من الجن وتتلوا حكاية حال ماضية والمراد
بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال عليه بالكلية والا فاصل الاتباع كان حاصلا قبل مجيء
الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يتسنى عطفه على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة
وقيل على اشربوا على ملك سليمان اي في عهد ملكه قيل كانت الشياطين يسترقون السمع ويضمون
الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمونها الناس وفشا ذلك
في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن يعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم
له ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والطير والريح التي تجري بامره وقيل ان سليمان عليه
السلام كان قد دفن كثيرا من العلوم التي خصه الله بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك
مدة توصل اليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون السحر تناسب تلك الاشياء
المدفونة من بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل
سليمان عليه السلام وانه ما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشياء وما كفر سليمان تنزيه لساحته
عليه السلام عن السحر وتكذيب لمن افترى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفرا للمبالغة
في اظهار نزاهته عليه السلام وكذب باهته بذلك ولكن الشياطين وقرئ بتخفيف لكن ورفع
الشياطين والواو عاطفة للجملة الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف
انما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفردا كفروا بالاستعمال فان فيه لكن من رائحة

السحر وقد وبينه يعلمون الناس السحر اغووا واضلالا والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير
كفروا او من الشياطين فان ما فيه لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال او في محل الرفع في انه خبر
ثان بلكن او بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة في استمرار التعليم وتجدده او جملة
مستانفة هذا على تقدير كون الضمير للشياطين واما في تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا فهي اما
حال منه واما استينافية فحسب واعلم ان السحر انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم
الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات
والشرور والسعادة والنحوسة ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى
الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم عليه السلام لابطال مقالتهم وهم ثلاث فرق
ففرقة منهم يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود لذواتها وهم الصابية وفرقة
يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكل ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان
وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلا مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها قوة عالية نافذة في
هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم يزعمون ان الانسان
تبلغ روحه بالتصفية في القوة والتاثير الى حيث يقدر على الايجاد والاعدام والاحيا والاماتة
وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمى بالعزائم وتسخير الجن
ومنها التخيلات الاخذة بالعيون وتسمى الشعوذة ولا خلاف بين الامة في ان من اعتقد الاول
فقد كفر وكذا من اعتقد الثاني وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية واما من اعتقد ان
الانسان يبلغ بالتصفية وقراة العزائم والرقى الى حيث يخلق الله سبحانه وتعالى عقيب ذلك
على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه بهذا الاعتقاد
معرفة صدق الانبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق ان ذلك الانسان ان كان خيرا
متشرعا في كل ما ياتي ويذر وكان من يستعين به من الارواح الخيرة وكانت عزايمه ورقاه
غير مخالفة للشريعة لاحكام الشريفة ولم يكن فيما ظهر في يده من الخوارق ضرر شرعي لاحد
فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شريرا غير متمسك بالشريعة الشريفة فظاهر ان من يستعين
به من الارواح الخبيثة الشريرة لا محالة ضرورة امتناع تحقق التضام والتعاون بينهما
من غير اشتراك في الخبث والشرارة فيكون كافرا قطعا واما الشعوذة وما يجري مجراها من
اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الالات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص
الادوية والاحجار فاطلاق السحر عليها بطريق التجوز او لما فيها من الدقة لانه في الاصل
عبارة عن كل ما لطف ماخذه وخفي سببه او من الصرف عن الجهة المعتادة لما انه في اصل
اللغة الصرف على ما حكاه الزهري عن الفرا ويونس وما انزل على الملكين عطف على
السحر ويعلمونهم ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او هو نوع
اقوى منه او على ما تتلوا وما بينهما اعتراض اي واتبعوا الى اخره وهما ملكان انزلا لتعليم
السحر ابتلاء من الله للناس كما ابتلى قوم لوط بالنهر او تمييزا بينه وبين المعجزة لئلا يغتر به الناس

اولان

اولان السحرة كثرت في ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون النبوة
فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اوليك الكذابين
واظهار امرهم في الناس واما ما يحكى من ان الملايكة عليهم السلام لما راوا ما يصعد من
ذنوب بني ادم عيروهم وقالوا الله سبحانه وتعالى هولاء الذين اخترتهم لخلافة الارض
يعصونك فيها فقال عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي
لنا ان نعصيك قال تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا
من اصلحهم واعبدهم فاهبطا الى الارض بعد ما ركب فيهما ما ركب في البشر من الشهوة
وغيرها من القوى ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السماء مسا وقد نهيا عن الاشراك والقتل
بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم
فصعدا الى السما فاختصمت اليهما ذات يوم امراة من اجمل النساء تسمى زهرة وكانت من لخم
وقيل كانت من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما رايآها افتتنا
فراوداها عن نفسها فابت فالحا عليها فقالت لا الا ان تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سالاها ما سالا
فقالت لا الا ان تقتلاه ففعلا ثم سالاها ما سالا فقالت لا الا ان تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلا
كلا من ذلك بعد التيا والتي ثم سالاها ما سالا فقالت لا الا ان تعلماني ما تصعدان به الى السما فعلماها
الاسم الاعظم فدعت به وصعدت الى السما فمسخها الله سبحانه كوكبا فهما بالعروج حسب عادتهما
فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما وكان في عهد ادريس عليه السلام فالتجا اليه ليشفع لهما
ففعل فخيرهما الله سبحانه وتعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا الاول لانقطاعه
عما قليل فهما معذبان ببابل قيل معلقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد
الى قيام الساعة فمما لا تعويل عليه لما ان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل
والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التي قصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب
والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما ويعضده قراة ملكين بالكسر ببابل
الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من الضمير في انزل وهي بابل
العراق وقال ابن مسعود رضي الله عنه بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصرف
للعجمة والعلمية او للتانيث والعلمية هاروت وماروت عطف بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما
للعجمة والعلمية ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا واما من قرا الملكين بكسر اللام او قال
كانا رجلين صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من الجن هما المراد من الملكين بالكسر
وقري بالرفع على اضمار هاروت وماروت وما يعلمان من احد من مزيدة في المفعول به لافادة
تاكيد الاستغراق الذي يفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق كما في قولك ما جاءني من رجل
وقري يعلمان من الاعلام حتى يقولا انما نحن فتنة الفتنة الاختبار والامتحان وافرادها
مع تعددهما لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطيا للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان
انه ليس لهما فيما يتعاطيانه شان سواها لينصرف الناس عن تعلمه اي وما يعلمان ما انزل عليهما

من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا له انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل
فمن عمل بما تعلم منا واعتقد حقيقته كفر ومن توقى عن العمل به او اتخذه ذريعة للاتقاء
عن الاغترار بمثله بقي على الايمان فلا تكفر باعتقاد حقيته وجواز العمل به والظاهر ان غاية
النفي ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون
الكلام في بيان اعتبار الملكين بشأن النصح والارشاد والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون
لا معطوفة عليه كما قيل اي ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس ما انزل على الملكين محمولا لهم في
العمل به اغواء واضلالا والحال انهما ما يعلمان احدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل
من ان ما في قوله تعالى وما انزل الخ نافية والجملة معطوفة في قوله وما كفر سليمان جيء بها لتكذيب
اليهود في القصة اي لم ينزل على الملكين اباحة السحر وان هاروت وماروت بدل من الشياطين
على انهما قبيلتان من الجن خصا بالذكر لاصالتهما وكون باقي الشياطين اتباعا لهما وان المعنى ما يعلمان
احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيكون مثلا نفيا باه ان مقام وصف الشياطين بالكفر واضلال
الناس مما لا يلائمه وصف رؤسائهم بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام
فان الابدال في حكم تنحية المبدل منه فيتعلمون منهما عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة
كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الخ والضمير لاحد حملا في المعنى كما في قوله تعالى وما منكم
من احد عنه حاجزين ما يفرقون به اي بسببه وباستعماله بين المرء وقرئ بضم الميم وكسرها مع الهمز
وبتشديد الراء بلا همزة وزوجه بان يحدث الله تعالى بينهما التباغض والفرك والنشوز عند
ما فعلوا من التحريض حسب جري العادة الالهية من خلق المسببات عقيب حصول الاسباب
العادية ابتلاء لان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيتعلمون منهما ما يعملون به فيزداد الناس
ويعتقدون انه حق فيكفرون فتبين ازواجهم وما هم بضارين به اي بما تعلموه واستعملوه من
السحر من احد اي احدا ومن مزيدة لما ذكر في قوله تعالى وما يعلمان من احد والهمزة وان كان زائدا
في معمول فعل منفي الا انه جعلت الاسمية في ذلك على الفعلية كانه قيل وما يضرون به من احد
الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب بمعزل من التاثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد
يحدث عند استعمالهم السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة
بمحذوف وقع حالا من ضمير ضارين او مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها في النفي او الضمير المجرور
في به اي وما يضرون به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقرئ بضاري على الاضافة بجعل الجار
جزءا من المجرور والفصل ما بين المتضايفين بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم
يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو
شر بحت وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار باكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة
او تخليص الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن غوائله خير كتعلم
الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ولقد علموا اي اليهود الذين حكيت جناياتهم لمن اشتراه

اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى جواب قسم محذوف والثانية
لام الابتداء علق به علموا عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها
وقوله تعالى ما له في الآخرة من خلاق اي من نصيب جملة من مبتدإ وخبر ومن مزيدة في المبتدإ
وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير ما له خلاق
في الآخرة وهذه الجملة في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين
او مفعوله الواحد ان جعل متعديا الى واحد بجملة ولقد علموا الخ مقسم عليها دون جملة لمن
اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة
موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة بالابتداء واشتراه خبرها وما له في الآخرة من خلاق جواب
القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب
سابقهما غالبا فحينئذ يكون الجملتان مقسما عليهما ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها واللام جواب
القسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف اي والله لبئس ما باعوا به انفسهم السحر او الكفر
وفيه ايذان بانهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها
بما لا يزيدهم الا تبارا ويجوز ان يكون الشري بمعنى الاشتراء مما لا سبيل اليه لان المشترى متعين وهو
ما تتلوا الشياطين ولان متعلق الذم هو الماخوذ لا المنبوذ كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى بئسما
اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل لو كانوا يعلمون اي يعملون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم
عملهم بموجب علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه
من العذاب على ان المثبت لهم اولا في التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح
الفعل او ترتب العقاب من غير تحقق وجواب لو محذوف اي لما فعلوا ما فعلوا ولو انهم آمنوا
اي بالرسول المومى اليه في قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله الخ او بما انزل اليه
من الآيات المذكورة في قوله تعالى ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون
او بالتوراة التي اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم
فان الكفر بالقرآن والرسول عليه السلام كفر بها واتقوا المعاصي الحكية عنهم لمثوبة من عند الله خير
جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير
السبك الى ما عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه
اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية
لمثوبة اي لشيء ما من المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف اي لاثيبوا
وما بعده جملة مستانفة فان وقوع الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود في كلام العرب وقيل
لو للتمني ومعناه انهم من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف ايمانهم تلهفا عليهم وقرئ
لمثوبة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير
نسبوا الى الجهل لعدم العمل بموجب العلم يا ايها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين فيه ارشاد لهم
الى الخير واشارة الى بعض آخر من جنايات اليهود لا تقولوا راعنا المراعاة المبالغة في الرعي

حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك امور مصالحه وكان المسلمون اذا القي عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم شيا من العلم يقولون راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتان علينا بتانيه
لنفهم كلامك ونحفظه وكانت لليهود كلمة عبرانية او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهي راعينا قيل
معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم
فجعلوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم يعنون به تلك المسبة او نسبته عليه الصلاة والسلام
الى الرعن وهو الحمق والهوج روي ان سعد بن عبادة رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا اعدا الله
عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لاضربن عنقك قالوا اولستم تقولونها فنزلت الاية ونهي فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لالسنة
اليهود عن التدليس وامروا بما في معناها ولا يقبل التلبيس فقيل وقولوا انظرنا اي انظر الينا
بالحذف والايصال او انتظرنا على انه من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من النظرة اي امهلنا حتى
نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير وراعنا على صيغة الفاعل اي قولا ذا رعن كدارع
ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب بالرعن اتصف به واسمعوا واحسنوا
سماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان
حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا ما كلفتموه من النهي والامر
بجد واعتناء حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او واسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يكون سماعكم
مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا وللكافرين اي اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور
الى كفرياتهم وجعلوه سببا للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا عذاب
اليم لما اجترؤا عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين
عما نهوا عنه ما يود الذين كفروا الود حب الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ونفيه
كناية عن الكراهة ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لعدم
ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان القول المنهي عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحي
المعبر عنه في هذه الاية بالخير فكانه اشير الى ان سبب تحريفهم له الى ما حكي عنهم لوقوعه في اثنا
حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون
انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم في ذلك من اهل الكتاب ولا المشركين للتبيين كما في قوله عز
وجل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لما ستعرفه ان ينزل عليكم في حيز
النصب على انه مفعول يود وبنا الفعل للمفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح الاية وقوله
تعالى من خير هو القائم مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق والنفي وان لم يباشره ظاهرا لكنه
منسحب عليه معنى والخير الوحي وحمله على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة كما قيل يا باه وصفه فيما
سياتي بالاختصاص وتقديم الظرف عليه مع ان حقه التاخر عنه لاظهار كمال العناية لانه المدار
لعدم ودهم ومن في قوله تعالى من ربكم ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعلية
لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين لتشريفهم وليست كراهتهم لتنزله على المخاطبين

من حيث تعبدهم بما فيه وتعريضهم بذلك لسعادة الدارين كيف وهم من تلك الحيثية من جملة
من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع ذلك التنزيل على النبي صلى الله عليه وسلم وصيغة الجمع للايذان
بان مدار كراهتهم ليس معنى خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بل وصف مشترك بين الكل وهو الخلو عن
الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم
فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شيء من الوحي اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابنا الانبيا
الناشئون في مهابط الوحي وانتم اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما
منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا
نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولما كانت اليهود بهذا الدا اشهر لا سيما في اثنا ذكر
ابتلائهم لم يلزم من نفي ودادتهم لما ذكر نفي ودادة المشركين له فزيدت كلمة لا لتاكيد النفي والله يختص
برحمته جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين له
والمراد برحمته الوحي كما في قوله سبحانه اهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين
بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى بالرحمة قال علي كرم الله وجهه بنبوته خص بها محمدا صلى الله عليه
وسلم فالفعل متعد وصيغة الافتعال للانبا عن الاصطفاء وايثاره على التنزيل المناسب للسياق
الموافق لقوله تعالى ان ينزل الله من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم
عما علقوا به اطماعهم الفارغة والبا داخلة على المقصور اي يؤتي رحمته من يشاء من عباده ويجعلها
مقصورة عليه لا لاستحقاقه الذاتي القائم عليه بحسب ارادته عز وجل تفضلا لا تتعداه الى غيره وقيل
الفعل لازم ومن يشاء فاعله والضمير العائد الى من محذوف على التقديرين وقوله تعالى والله ذو
الفضل العظيم تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه ايذان بان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله
تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيئته الجارية
على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل للايذان بفخامة مضمونهما وكون كل منهما مستقلة
بشأنها فان الاضمار في الثانية مبني على توقفها على الاولى ما ننسخ من آية او ننسها كلام مستانف مسوق
لبيان سر النسخ الذي هو فرد من افراد تنزيل الوحي وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق
حقيقة الوحي ورد كلام الكارهين له راسا قيل نزلت حين قال المشركون واليهود الا ترون الى
محمد عليه السلام يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامر بخلافه والنسخ في اللغة الازالة والنقل
يقال نسخت الريح الاثر اي ازالته ونسخت الكتاب اي نقلته ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها
او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة
على المفعولية وقرئ ننسخ من انسخ اي نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وننساها من النسا
اي نؤخرها وننسها بالتشديد وتنسها على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم مبنيا للفاعل وللمفعول
وقرئ ما ننسخ من آية او ننسكها وقرئ ما ننسك من آية او ننسخها والمعنى ان كل آية نذهب بها على ما
يقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل او الى غير بدل نات بخير منها
او نوع آخر هو خير للعباد بحسب الحال في النفع والثواب من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة الفا او مثلها

اي فيما ذكر من النسخ والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الآية التامة فما فوقها بل جار فيما دونها
ايضاً وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الآيات
التي عليها يدور فلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف
الاحوال ويتبدل حسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة في حال
تقتضي في حال اخرى نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام من النظام ألم تعلم الهمزة
للتقرير كما في قوله سبحانه وتعالى أليس الله بكاف عبده وقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور ومسد
مفعوله الاول والثاني محذوف عند الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر في قدرته
تعالى على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشياء المقهورة تحت
قدرته تعالى فمن علم شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء علم قدرته على ذلك قطعاً والالتفات بوضع الاسم
الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام
الالوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية
مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتدأ والجملة خبر لان
وايثاره على ان يقال ان الله له ملك السموات والارض للقصد الى تقوي الحكم بتكرار الاسناد وهو
اما تكرير للتقرير واعادة للاستشهاد على ما ذكر وانما لم يعطف مع ان ما في حيزها على ما سبق
من شأنها دوماً لزيادة التأكيد واشعاراً باستقلال العلم بكل منهما وكفايته في الوقوف على ما هو المقصود
واما تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الاشياء اي ألم تعلم ان الله له السلطان القاهر
والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما ايجاداً واعداماً وامراً
ونهياً حسبما تقتضيه مشيئته ولا معارض لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا شأنه كيف يخرج عن قدرته
شيء من الاشياء وقوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير معطوف على الجملة الواقعة خبراً لان داخل
تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول الخطابين السابقين للامة ايضاً وانما افراده عليه
السلام بهما لما ان علومهم مستندة الى علمه عليه السلام ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع الى اسم
ان لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد بما
تعلق به من العلم على تعلق ارادته تعالى بما ذكر من الاتيان بما هو خير من المنسوخ او بمثله فان مجرد
قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وانما الذي يستدعيه كونه تعالى مع ذلك ولياً
ونصيراً لهم فمن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعاً انه لا يفعل به الا ما هو خير
له فيعرض امره اليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة في امر النسخ وغيره اصلاً والفرق بين الولي والنصير
ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبياً من المنصور وما اما تميمية لا عمل لها
ولكم خبر مقدم ومن ولي مبتدأ مؤخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق واما حجازية ولكم خبرها
المنصوب عند من يجوز تقديمه واسمها من ولي ومن مزيدة لما ذكر ومن دون الله في حيز النصب
على الحالية من اسمها لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالاً ومعناه سوى الله والمعنى

وهو تقدير في جميع الآيات [illegible]

الضمير

ان قضية العلم بما ذكر من الامور الثلاثة هو الجزم والايقان بانه تعالى لا يفعل بهم في امر من امور
دينهم او دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير
اصغاء الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في امر النسخ وقوله تعالى أم تريدون
تجريد للخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص له بالمؤمنين وأم منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب
والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك
وامارات التأثر من اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة انكار وقوع الارادة منهم واستبعاده
لما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلاً عن صدوره نفسه والمعنى بل اتريدون ان تسألوا وانتم مؤمنون
رسولكم وهو في تلك الرتبة من علو الشأن وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين في اموركم
بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه سبحانه قيل انهم كانوا يطلبون منه عليه السلام
بيان تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ وقيل سأله عليه السلام قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات
انواط كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها المأكول والمشروب
وقوله تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية
اي سؤالاً مشبهاً بسؤال موسى حيث قيل له اجعل لنا الهاً وارنا الله جهرة وغير ذلك ومقتضى
الظاهر ان يقال كما سأل قوم موسى لان المشبه هو المصدر من المبني للفاعل اعني سائلية المخاطبين
لا من المبني للمفعول اعني مسؤولية الرسول عليه السلام حتى تشبه بمسؤولية موسى عليه السلام
فلعله اريد التشبيه بينهما معاً ولكنه اوجز النظم فذكر في جانب المشبه به المسؤولية واكتفى
بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الآخر كما ذكر في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف
له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقد جوز ان تكون ما موصولة على ان العائد محذوف اي
كالسؤال الذي سأله موسى وقوله تعالى من قبل متعلق بسئل جيء به للتأكيد وقرئ سيل بالياء وكسر
السين وبتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر اي يختره ويأخذه لنفسه بالايمان مقابلة
بدلاً منه وقرئ ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل ذلك اي السؤال المذكور
او ارادته وحاصله ومن يترك الثقة بالآيات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الآيات
الناسخة التي هي خير محض وحق بحت واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اي عدل وجار من حيث
لا يدري عن الطريق المستقيم الموصل الى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى في
مهاوي الردى وانما اوثر على ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد
وان كونه كذلك امر واضح غني في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل من باب اضافة الوصف
الى الموصوف لقصد المبالغة في بيان المبالغة الاتصاف كانه نفس السوي على منهاج حصول
الصورة في الصورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتاباً من السماء
وقيل للمشركين حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً الخ فاضافة الرسول
صلى الله عليه وسلم اليهم في القولين باعتبار انهم من امة الدعوة ومعنى تبدل الكفر بالايمان
وهم بمعزل من الايمان ترك صرف قدرتهم اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم الكفر عليه ود كثير

من اهل الكتاب هم رهط من احبار اليهود روي ان فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس
ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لم تروا ما اصابكم ولو
كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار
كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر بمحمد عليه السلام ما عشت فقالت
اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا
وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبراه
فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت لو يردونكم حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وصيغة
الغيبة كما في قوله حلف ليفعلن وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك
منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لود والتقدير ود واردكم وقيل هي على حقيقتها وجوابها
محذوف تقديره لو يردونكم كفارا لسروا بذلك من بعد ايمانكم متعلق بيردونكم وقوله
تع كفارا مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير اي يصيرونكم كفارا كما في قوله
رمى الحدثان نسوة آل سعد * بمقدار سمدن له سمودا * فرد شعورهن السود بيضا * وقيل
هو حال من مفعوله والاول ادخل لما فيه من الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر
وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر
بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوه وغاية بعده من
الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته واما لممانعة الايمان له كانه قيل من بعد
ايمانكم الواضح وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى حسدا علة لود او حال اريد به نعت الجمع
اي حاسدين لكم والحسد الاسف على من له خير بخيره من عند انفسهم متعلق بود اي ودوا ذلك
من اجل تشهيهم وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم او بحسدا اي حسدا
منبعثا من اصل نفوسهم بالغا اقصى مراتبه من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا
في التورية من الدلايل وعلموا انكم متمسكون به وهم منهمكون في الباطل فاعفوا واصفحوا العفو
ترك المواخذة والعقوبة والصفح ترك التثريب والتانيب حتى ياتي الله بامره الذي هو قتل بني
قريظة واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم او الاذن في القتال وعن ابن عباس رضي
الله عنه انه منسوخ باية السيف ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية لانها لا تعلم الا شرعا ولا يخرج
الوارد بذلك من ان يكون ناسخا كانه قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود الناسخ ان الله على كل شيء قدير
فينتقم منهم اذا حان حينه وآن اوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف
على فاعفوا امروا بالصبر والمدارة والجاء الى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وما تقدموا لانفسكم
من خير كصلاة او صدقة او غير ذلك اي اي شيء من الخيرات تقدموه لمصلحة انفسكم تجدوه عند
الله اي تجدوا ثوابه وقرى تقدموا من اقدم ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل فهو وعد
للمؤمنين وقرى بالياء فهو وعيد للكافرين وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتابين جميعا
لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا والنصارى لن يدخل

الجنة

الجنة الا من كان نصارى فلف بين الفريقين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قايله ونحوه وقالوا
كونوا هودا او نصارى تهتدوا وليس مرادهم باولئك من اقام اليهودية والنصرانية قبل النسخ
والتحريف على وجههما بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولونه لاضلال المؤمنين وردهم
الى الكفر واليهود جمع هايد كعود جمع عايد وبزل جمع بازل والافراد في كان باعتبار لفظ من والجمع
في خبره باعتبار معناه وقرى الا من كان يهوديا او نصرانيا تلك امانيهم الاماني جمع امنية
وهي ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة مبنية لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والى
ما قبله من ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا ويرده قوله تعالى
قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فانهما ليسا مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل الصدق والكذب
قيل هاتوا اصله آتوا قلبت الهمزة هاء اي احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم
صادقين في دعواكم هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظر الجليل والذي يستدعيه اعجاز
التنزيل ان يحمل الامر التبكيتي على طلب البرهان على اصل الدخول الذي يتضمنه دعوى الاختصاص
به فان قوله تعالى بلى الى اخره اثبات من جهته تعالى لما نفوه مستلزم لنفي ما اثبتوه واذ ليس الثابت
به مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون المنفي مجرد اختصاصهم به مع بقاء اصل الدخول وحصته
على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تع ظهر ان المنفي اصل دخولهم
ومن ضرورته ان يكون هو الذي كلفوا اقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات
والنفي وانما عدل عن ابطال ما ادعوه وسلك هذا المسلك ابانة لغاية حرمانهم مما علقوا به
اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن اثبات مدعاهم لان حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم
عن اقامة البرهان عليه لا يقتضيان حرمانهم من اصل الدخول وعجزهم عن اثباته واما نفس
الدخول بحيث ثبت حرمانهم منه وعجزهم عن اثباته فهم من الاختصاص به ابعد وعن اثباته
اعجز وانما القاين به من انتظمه قوله تعالى من اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه لا يشرك به شيا
عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضا ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخضوع الذي
هو من اخص خصايص الاخلاص او توجهه وقصده بحيث لا يلوي عزيمته في شيء غيره وهو محسن
حال من ضمير اسلم اي والحال انه محسن في جميع اعماله التي من جملتها الاسلام المذكور وحقيقة
الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللايق وهو حسنه الوصفي التابع لحسنه الذاتي وقد فسره
صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فله اجره الذي وعد
له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة عما يدخل فيه دخولا اوليا واياما كان فتصويره بعنوان
الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحالة نيله بدونه وقوله تع عند ربه حال من اجره والعامل
فيه معنى الاستقرار في الظرف والعندية للتشريف ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم
موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة اي فله اجره عند مالكه
ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء
لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز ان يكون من فاعلا لفعل مقدر اي بلى

يدخلها من اسلم وقوله تعالى فله اجره معطوف على ذلك المقدر واياما كان فيتعلق ثبوت الاجر
بما ذكر من الاسلام والاحسان المختصين باهل الايمان قاض بان وليك المدعين من دخول الجنة بمعزل
ومن الاختصاص به بالف منزل ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات
اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك الا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع في الضماير الثلثة
باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضماير الاول باعتبار اللفظ وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء بيان لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم نزلت
لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا فارتفعت
اصواتهم فقالوا لهم لستم على شيء اي امر يعتد به من الدين او على شيء ما منه اصلا مبالغة في ذلك
كما قالوا اقل من لا شيء ولعزوا بعيسى والانجيل وقالت النصارى ليست اليهود على شيء على الوجه المذكور وكفروا
بموسى والتورية الا انهم قالوا اذا الكتب ان الامر على منسوخية التورية وهم يتلون الكتاب
الواو للحال واللام للجنس اي قالوا ما قالوا والحال ان كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب
اي كان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان كتب الله تع متصادقة
كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به والكاف في محل النصب اما على انها نعت لمصدر محذوف قدم
على عامله لافادة القصر اي قولا مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له قال الذين لا يعلمون
من عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة اي قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء واما على انها
حال من المصدر المضمر المعرف الدال عليه اي قال القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك
القول الذي سمعت به مثل قولهم اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفي قبله اي
مثل ذلك القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث
نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم اصلا فالله يحكم بينهم اي بين اليهود والنصارى
فان مساق النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالهم ولان
الحاجة المحوجة الى الحكم انما وقعت بينهم يوم القيمة متعلق بيحكم وكذا ما قبله وما بعده
ولا ضير فيه لاختلاف المعنى فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل
حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار والظرف الاخير متعلق بيختلفون قدم عليه لمحافظة
على رؤس الاي لا بكانوا ومن اظلم ممن منع مساجد الله انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن
فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها
يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من
فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل
ذلك في اي مسجد مخصوص روي ان النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون
الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقد
نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان طيطوس الرومي ملك النصارى واصحابه غزوا بني اسرائيل
وقتلوا مقاتليهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التورية وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف

وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضي الله تعالى عنه وارضاه
وانما وقع المنع في المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى والتخريب
ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس مع كونه على حاله وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث انها مبطلة
لدعوى النصارى اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فتعلقها بما بعدها من جهة ان المشركين من جملة القايلين
لكل من عداهم ليسوا على شيء ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع كقوله تع وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله
تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار
مع ان وان يكون ذلك مفعولا له اي كراهة ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها بالهدم
او التعطيل بانقطاع الذكر اوليك المانعون الظالمون الساعون في خرابها ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها
او ما كان الحق ان يدخلوها الا على حال التهيب وارتعاد الفرايص من جهة المؤمنين ان يبطشوا
بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضايه الا
الا ذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد انجز الوعد ولله الحمد
روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهي
عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الايمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة رحمه الله مطلقا
ومنعه مالك مطلقا وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم اي لاوليك المذكورين
خزي في الدنيا فظيع لا يوصف بالقتل والسبي والاذلال بضرب الجزية عليهم ولهم في الاخرة عذاب عظيم
وهو عذاب النار لما مر من ان تاخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه فيتمكن فيها عند وروده
فضل تمكن كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك
ولله المشرق والمغرب اي له كل الارض التي هي عبارة عن ناحيتي المشرق والمغرب لا يختص به من حيث
الملك والتصرف ومن حيث الحلية لعبادته مكان منها دون مكان فان منعتم من اقامة العبادة في المسجد
الاقصى والمسجد الحرام فاينما تولوا اي ففي اي مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله
ثم اسم اشارة للمكان البعيد خاصة مبني على الفتح ولا يتصرف سوى الجر بمن وهو خبر مقدم ووجه
الله مبتدأ والجملة في محل الجزم على انها جواب الشرط اي هناك جهته التي امر بها فان امكان التولية غير
مختص بمسجد دون مسجد او مكان دون آخر وفثم ذاته بمعنى الحضور العلمي اي فهو عالم بما يفعل
فيه ومثيب لكم على ذلك وقري بفتح التاء واللام اي فاينما توجهوا القبلة ان الله واسع باحاطته
بالاشيا او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها والجملة تعليل
لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنه نزلت في صلاة المسافر على الراحلة اينما توجهوا
وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطأ
المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك وقيل هي توطية لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون في
جهة وقالوا اتخذ الله ولدا حكاية لطرف آخر من مقالاتهم الباطلة الحكية فيما سلف معطوفة

علي ما قبلها من قوله تعالي وقالت الخ لا في صلة من لها بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود
والنصاري ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقري بغير واو في الاستيناف نزلت
حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصاري المسيح ابن الله ومشركوا العرب الملايكة بنات الله
والاتخاذ اما بمعني الصنع والعمل فلا يتعدي الا الي واحد واما بمعني التصيير والمفعول الاول
محذوف اي صير بعض مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه وتبرية له تعالي عما قالوا وسبحان علم
للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه علي المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي اسبح سبحانه اي انزهه
تنزيها لا يليق به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو الذهاب والابعاد
في الارض ومن جهة النقل الي التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الي الاسم الموضوع له
خاصة لا سيما العلم المشير الي الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع
الفعل ما لا يخفي وقيل هو مصدر كغفران بمعني التنزه اي تنزه بذاته تنزها حقيقا به ففيه
مبالغة من حيث اسناد البراءة الي الذات المقدسة وان كان التنزه اعتقاد نزاهته تعالي
عما لا يليق به لا اثباتها له تعالي وقوله تعالي **بل له ما في السموات والارض** رد لما زعموا وتنبيه
علي بطلانه وكلمة بل للاضراب عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالي لشي من المخلوقات
ومن سرعة فنائه المحوجة الي اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب ذلك
الا يري ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها الاخرة مستتبعة بدوامها وطول بقائها لجري
الولد من الحيوان اي ليس الامر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التي من جملتها عزير والمسيح
والملايكة **كل** التنوين عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما كائنا ما كان من اولي العلم وغيرهم
له قانتون منقادون لا يستعصي شي منهم علي تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان هذا شانه
لم يتصور مجانسته لشي ومن حق الوالد ان يكون من جنس الوالد وانما جي بما المختصة بغير اولي
العلم تحقيرا لشانهم وايذانا بكمال بعدهم عما نسبوا الي بعض منهم وصيغة جمع العقلاء في قانتون
للتغليب او كل من جعلوه لله ولدا له قانتون اي مطيعون عابدون له معترفون بربوبيته
كقوله تعالي اوليك الذين يدعون يبتغون الي ربهم الوسيلة **بديع السموات والارض** اي
مبدعهما ومخترعهما بلا امثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق علي المبتدع نص
عليه اساطين اهل اللغة وقد جا بدعه كمنعه بمعني انشاه كابتدعه كما ذكر في القاموس وغيره
ونظيره السميع بمعني المسمع في قوله امن ريحانة الداعي السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة
الي فاعلها للتخفيف بعد نصبه علي تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور اي بديع سماواته من بدع
اذا كان علي شكل فايق وحسن رايق وهو حجة اخري لابطال مقالتهم الشنعا وتقريرها ان
الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشيا كلها علي الاطلاق
منزه عن الانفعال فلا يكون والدا ورفعه علي انه خبر لمبتدا محذوف اي هو بديع الخ وقري
بالنصب علي المدح والجر علي انه بدل من الضمير في له علي راي من يجوز الابدال من الضمير المجرور كما
في قوله علي جوده لضن بالما حاتم **واذا قضي امرا** اي اراد شيا كقوله تعالي انما امره اذا اراد شيا

صدره
علي حالة لو ان في القوم حاتما

واشمل

واشمل القضاء لاحكام اطلق علي الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشي لايجابها اياه البتة
وقيل الامر ومنه قوله وقضي ربك الخ **فانما يقول له كن فيكون** كلاهما من الكون التام اي احدث
فيحدث وليس المراد حقيقة الامر والامتثال وانما هو تمثيل لسهولة تاتي المقدورات بحسب تعلق
مشيته تعالي وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم الباب من طاعة المامور المطيع للامر القوي المطاع
وفيه تقرير لمعني الابداع وتلويح بحجة اخري لابطال ما زعموه بان اتخاذ الولد شان من يفتقر
في تحصيل مراده الي مبادي يستدعي ترتبها مرور زمان وتبدل اطوار وفعله تعالي متعال
عن ذلك **وقال الذين لا يعلمون** حكاية لنوع اخر من قبايحهم وهو قدحهم في امر النبوة بعد حكاية
قدحهم في شان التوحيد لنسبة الولد اليه سبحانه وتعالي واختلف في هولاء القايلين فقال
ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود وقال مجاهد هم النصاري ووصفهم لعدم علمهم بالتوحيد
والنبوة كما ينبغي او لعدم علمهم بموجب علمهم او لان ما يحكي عنهم لا يصدر عمن له شايبة
علم اصلا وقال قتادة واكثر اهل العلم التفسير هم مشركوا العرب لقوله تعالي فلياتنا باية
كما ارسل الاولون وقالوا لولا انزل علينا الملايكة او نري ربنا **لولا يكلمنا الله** اي هلا يكلمنا
بلا واسطة امرا ونهيا كما يكلم الملايكة او هلا يكلمنا تنصيصا علي نبوتك **او تاتينا اية** حجة نزلت
علي صدقك بلغوا من العتو والاستكبار الي حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط
الرسول والملك ومن العناد والمكابرة الي حيث لم يعدوا ما اتاهم من البينات الباهرة التي تخر
لها صم الجبال من قبيل الايات قاتلهم الله اني يوفكون **كذلك** مثل ذلك القول الشنيع الصادر عن
العناد والفساد **قال الذين من قبلهم** من الامم الماضية **مثل قولهم** هذا الباطل الشنيع فقالوا
ارنا الله جهرة وقالوا لن نصبر علي طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض الاية
وقالوا هل يستطيع ربك الخ وقالوا اجعل لنا الها الخ **تشابهت قلوبهم** اي قلوب هولاء واوليك في العمي والعناد
والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة **قد بينا الايات** اي نزلناها بينة بان جعلناها كذلك في انفسها
كما في قوله سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل الا بيناها بعد ان لم تكن بينة **لقوم يوقنون** اي
يطلبون اليقين ويوقنون بالحقايق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا رد لطلبهم الاية وفي تعريف
الايات وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الذي طلبوه ما لا يخفي من الجزالة
والمعني انهم اقترحوا اية فذة ونحن قد بينا الايات العظام لقوم يطلبون الحق واليقين وانما لم
يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان بحيث لا حاجة له الي الرد والجواب **انا
ارسلناك بالحق** اي ملتبسا بالقران كما في قوله تعالي بل كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق كما في قوله
تعالي احق هو وقوله تعالي **بشيرا ونذيرا** حال من المفعول باعتبار تقيده بالحال الاولي اي ارسلناك
ملتبسا بالقران حال كونه بشيرا لمن امن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او ارسلناك صادقا
حال كونك بشيرا لمن صدقك ونذيرا لمن كذبك بالعذاب لتختاروا لانفسهم ما احبوا الا قسرا لهم علي الايمان
فلا عليك ان اصروا وكابروا **ولا تسال عن اصحاب الجحيم** ما لهم لم يومنوا بعد ما بلغت ما ارسلت
به وقري لن تسال وما تسال وقري لا تسال علي صيغة النهي ايذانا بكمال شدة عقوبة الكفار

وتهويلا لها كأنها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه او لا يستطيع السامع ان يسمع
خبرها وحمله على نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم والجحيم
المتأجج من النار وفي التعبير عنهم بصاحبة الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد
لهم وايذان بانهم مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان قطعا وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود
ولا النصارى حتى تتبع ملتهم بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة اثر بيان ما يعمهما والمشركين
من الاصرار على ما هم عليه الى الموت وايراد لا النافية بين المعطوفين لتأكيد النفي لما مر من ان تصلب
اليهود في امثال هذه العظائم اشد من النصارى والاشعار بان رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى
اي لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم وشأنهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى
تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغة في اقناطه صلى الله عليه وسلم من اسلامهم
ما لا غاية وراءه فانهم حيث لم يرضوا عنه عليه السلام ولو خلاهم يفعلون ما يفعلون بل املوا منه
صلى الله عليه وسلم ما لا يكاد يدخل تحت الامكان من اتباعه عليه السلام لملتهم فكيف يتوهم اتباعهم
لملته عليه السلام وهذه حالهم في انفسهم ومقالهم فيما بينهم واما انهم اظهروا للنبي صلى الله
عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا لن نرضى عنك وان بالغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا
كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فان قوله عز وجل قل ان هدى الله هو الهدى
صريح في ان ما وقع هذا جوابا عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها او يلزمه من الدعوى
الى اليهودية والنصرانية وادعاء ان الاهتداء فيهما كقوله عز وجل حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى
تهتدوا اي قل ردا عليهم ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق الذي يحق ان يسمى
هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه
قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اي آراءهم الزائغة الصادرة عنهم بقضية شهوات انفسهم وهي التي
عبر عنها فيما قبل بملتهم اذ هي التي ينتمون اليها واما ما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة على لسان
الانبياء وهو المعنى الحقيقي للملة فقد غيروها تغييرا بعد الذي جاءك من العلم اي الوحي او الدين المعلوم
صحته ما لك من الله من جهة العزيزة من ولي يلي امرك عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم
يستلزم نفي الولي نفي النصير وسط بينهما حرف النفي للتأكيد وهذا من باب التهييج والالهاب
والا فانى يتوهم امكان اتباعه عليه السلام لملتهم وهو جواب للقسم الذي وطأه اللام واكتفى به
عن جواب الشرط الذين آتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه يتلونه حق تلاوته
بمراعاة لفظه عن التحريف وبالتدبر في معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او
وما بعده مقرر له اولئك اشارة الى الموصوفين بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم في الفضل يؤمنون به اي بكتابهم دون المحرفين فانهم بمعزل من الايمان به
فانه لا يجامع الكفر ببعض منه ومن يكفر به بالتحريف بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا
الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم ومن جملتها التورية وذكر النعمة انما يكون بشكرها
وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبي صلى الله عليه وسلم ومن ضرورة الايمان

بها الايمان به عليه السلام واني فضلتكم على العالمين افردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة
تحت النعمة السالفة لانافتها فيما بين فنون النعم واتقوا ان لم تؤمنوا يوما لا تجزي فيه في ذلك اليوم
نفس من النفوس عن نفس اخرى شيئا من الاشياء او شيئا من الجزاء ولا يقبل منها عدل اي فدية
ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون وتخصيصهم بتكرير التذكير واعادة التحذير للمبالغة في النصح وللايذان
بان ذلك فذلكة القضية والمقصود من القصة لما ان نعم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم بها اشد
واقبح واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات شروع في تحقيق ان هدى الله هو ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم
من التوحيد والاسلام الذي هو ملة ابراهيم عليه السلام وان ما عليه اهل الكتابين اهواء زائغة
وان ما يدعونه من انهم على ملته عليه السلام فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن ابراهيم وابنائه
الانبياء عليهم السلام من الاقوال والافعال من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقية التوحيد
والاسلام وبطلان الشرك وبصحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وبكونه ذلك النبي الذي استدعاه
ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية فاذ منصوب على
المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي واذكر لهم وقت ابتلائه
عليه السلام ليتذكروا بما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا
الحق ويتركوا ما هم فيه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع
انها المقصودة بالذات قد مر وجهه في اثناء تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في
الارض خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر اي واذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجيء من قوله تعالى قال
الخ والاول هو اللائق بجزالة التنزيل ولا يبعد ان ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا خوطب به بنو اسرائيل
ليتأملوا فيما يحكى عمن ينتمون الى ملته من ابراهيم وابنائه عليهم السلام من الافعال والاقوال فيقتدوا
بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء في الاصل الاختبار اي تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه
غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من العليم الخبير
فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مباديه
العادية كمن يختبر عبده ليتعرف حاله من الكياسة فيأمره بما يليق بحاله من مصالحه ابراهيم اسم اعجمي قال
السهيلي كثيرا ما يقع الاتفاق والتقارب بين السرياني والعربي الا يرى ان ابراهيم تفسيره اب
راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيامة
على ما روى البخاري في حديث الرؤيا ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى في الروضة ابراهيم عليه السلام
وحوله اولاد الناس وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية تشريف
له عليه السلام وايذان بان ذلك الابتلاء تربية له وترشيح لامر خطير والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر
حيث كلفه اوامر ونواهي ليظهر حسن قيامه بحقوقها وقدرته على الخروج عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرسالة
وهذه المعاملة وتذكيرها للناس لارشادهم الى طريق اتقان الامور ببنائها على التجربة وللايذان بان
بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ايضا مبنية على تلك القاعدة الرصينة واقعة بعد ظهور استحقاقه عليه السلام
للنبوة العامة كيف لا وهي التي اجيب بها دعوة ابراهيم عليه السلام كما سيأتي واختلف في الكلمات فقال

مجاهد هي المذكورة بعدها ورد بانه يأباه الفاء في فأتمهن ثم الاستيناف وقال طاوس عن ابن
عباس رضي الله عنهما هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهي سنة في شرعنا خمس في الرأس المضمضة
والاستنشاق وفرق الرأس وقص الشارب والسواك وخمس في البدن الختان وحلق العانة ونتف
الابط وتقليم الاظفار والاستنجاء بالماء وفي الخبر ان ابراهيم عليه السلام اول من قص الشارب واول
من اختتن واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه لم يبتل احد بهذا الدين
فاقامه كله الا ابراهيم ابتلاه الله تعالى بثلثين خصلة من خصال الاسلام عشر منها في سورة براءة
التائبون الخ وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الخ وعشر في المؤمنين وسأل سائل الى قوله
عز وجل والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله تعالى بسبعة اشياء بالشمس والقمر
والنجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفى بالكل وقيل هي مجاحته قومه
والصلوة والصوم والزكاة والضيافة والصبر عليها وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي
والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل هي قوله عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين
الآيات ثم قيل انما وقع هذا الابتلاء قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لانه يقتضي سابقة الوحي
واجيب بان مطلق الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق وقرئ برفع ابراهيم ونصب ربه اي دعاه
بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن اولا فاتمهن اي قام بهن حق القيام واداهن احسن
التأدية من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه
الله تعالى ما سأله من غير نقص ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم
ربه بقوله رب اجعل هذا بلدا آمنا الآيات وقوله عز وجل قال على تقدير انتصاب اذ بمضمر جملة مستانفة وقعت
جوابا عن سؤال نشأ من الكلام فان تمهيد الامر معظم وظهور فضيلة المبتلى من دواعي الاحسان اليه فبعد
حكايتهما تترقب النفس الى ما وقع بعدهما كانه قيل فماذا كان بعده فقيل قال اني جاعلك للناس
اماما او بيان لقوله تعالى ابتلى على رأي من جعل الكلمات عبارة عما ذكر اثره من الامامة وتطهير البيت
ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصاب اذ بقال يكون الجملة معطوفة على ما قبلها عطف
القصة على القصة والواو في المعنى داخلة على قال اي وقال اذ ابتلى الخ والجعل بمعنى التصيير
احد مفعوليه الضمير والثاني اماما واسم الفاعل بمعنى المضارع واوكد منه لدلالته على انه جاعل
له البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك اي لاجل الناس او بمحذوف
وقع حالا من اماما اذ لو تأخر عنه لكان صفة له والامام اسم لمن يؤتم به وكل نبي امام لامته وامامته
عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث نبي بعده الا كان من ذريته مامورا باتباع ملته قال استيناف
مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابراهيم عليه السلام عنده فقيل قال ومن ذريتي عطف على
الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اي وجاعل بعض ذريتي كما تقول وزيدا لمن يقول سأكرمك او بمحذوف
اي واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق
وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعولة من ذروت او ذريت والاصل ذرووة
او ذروية فاجتمع في الاولى واوان زائدة واصلية فقلبت الاصلية ياء فصارت كالثانية فاجتمعت

واو وياء وسبقت احداهما بالسكون فقلبت الواو ياء لما بين من اجتماعهما وسبق احداهما بالسكون فصارت
ذرية او فعيلة من الذرء بمعنى الخلق والاصل ذريئة فخففت الهمزة بابدالها ياء كهمزة خطيئة ثم ادغمت
الياء الزائدة في المبدلة او فعيلة من الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة قلبت الراء الاخيرة ياء لتوالي
الامثال كما في تسري وتقضي وتظني فادغمت الياء في الياء كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة
فقلبت الراء الاخيرة ياء فجاء الادغام وقرئ بكسر الذال وهي لغة فيها وقرأ ابو جعفر المدني بالفتح
وهي ايضا لغة فيها قال استيناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كما سبق لا ينال عهدي الظالمين
ليس هذا رداً لدعوته عليه السلام بل اجابة خفية لها وعدة اجمالية منه تعالى بتشريف بعض ذريته عليه
السلام بنيل عهد الامامة حسبما وقع في استدعائه عليه السلام من غير تعيين لهم بوصف يميزهم
عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان الظالمين منه بمعزل من ذلك التمييز اذ ليس
معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل ايثار هذه
الطريقة على تعيين الجامعين لمبادي الامامة من ذريته اجمالا وتفصيلا وارسال الباقين
لئلا ينتظم المقتدون بالائمة من الامة في سلك المحرومين وفي تفصيل كل فرقة من الاطناب ما لا
يخفى مع ما في هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماعهم الفارغة
من نيلها وانما اوثر النيل على الجعل ايماء الى ان امامة الانبياء من ذريته عليه السلام كاسمعيل
واسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا
ويحيى وعيسى وسيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا ليست بجعل مستقل بل هي حاصلة في
ضمن امامة ابراهيم عليه السلام تنال كلا منهم في وقت واحد قدره الله عز وجل وقرئ
الظالمون على ان عهدي مفعول مقدم على الفاعل اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على
عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر على الاطلاق وعدم صلاحية الظالم للامامة وقوله تعالى
واذ جعلنا البيت اي الكعبة المعظمة غلب عليها غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى على
ان العامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل معطوف على المضمر الاول والجعل اما بمعنى التصيير
فقوله عز وجل مثابة اي مرجعا يثوب اليه الزوار بعد ما تفرقوا عنه وامثالهم او موضع ثواب
يثابون بحجه واعتماره مفعوله الثاني واما بمعنى الابداع فهو حال من مفعوله واللام في قوله
تعالى للناس متعلقة بمحذوف وقع صفة لمثابة اي مثابة كائنة للناس او بجعلنا اي جعلناه
لاجل الناس وقرئ مثابات باعتبار تعدد التائبين وامنا اي آمنا كما في قوله تعالى حرما آمنا على
ايقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اي ذا امن او على الاسناد المجازي اي
آمنا من حجه من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من دخله من التعرض له بالعقوبة وان
كان جانيا حتى يخرج على ما هو رأي ابي حنيفة رضي الله عنه ويجوز ان يعتبر الامن بالقياس الى كل شيء
كائنا ما كان ويدخل فيه امن الناس دخولا اوليا وقد اعتيد فيه امن الصيد ان الكلب كان يهم بالصيد
خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى
على ارادة قول هو عطف على جعلنا او حال من فاعله اي وقلنا اي قائلين لهم اتخذوا الخ وقيل هو بتقدير

معطوف على الامر الذي يتضمنه قوله عز وجل مثابة للناس كانه قيل توبوا اليه واتخذوا الخ وقيل هو بنفسه معطوف على الامر على المضمر العامل في اذ وقيل في جملة مستانفة والخطاب على الوجوه الاخيرة له عليه السلام ولامته والاول هو الاليق بجزالة النظم الكريم والامر من تحا كان او هو من الحكاية للاستحباب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذي عليه اثر قدمه عليه السلام والموضع الذي كان عليه حين قام ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه اليوم والمراد بالمصلى اما موضع الصلاة او موضع الدعاء وروي انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر رضي الله عنه افلا نتخذه مصلى فقال عليه السلام لم او مر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر رضي الله عنه انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرئ واتخذوا على صيغة الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل اي امرناهما امرا مؤكدا ان طهرا بيتي بان طهراه على ان ان مصدرية حذف عنها الجار حذفا مطردا لجواز كون صلتها امرا ونهيا كما في قوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهي متحققة فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا يوصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك فلما كان الخبر والانشا في الدلالة على المصدرية سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال او اي طهراه على ان ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير ههنا اليهما عليهما السلام لا ينافيه ما في سورة الحج من تخصيصه بابراهيم فان ذلك واقع قبل بناء البيت كما يفصح عنه قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت وكان اسمعيل عليه السلام حينئذ بمعزل من مثابة الخطاب وظاهر ان هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهي وتمام البناء بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده اثر حكاية جعله مثابة للناس الخ والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك مما لا يليق به للطائفين حوله والعاكفين المجاورين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين في الصلاة كما في قوله عز وجل للطائفين والقائمين والركع السجود جمع راكع ساجد اي للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلي ولتقارب الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين موصوفيهما او اخلاصه لمولاه لئلا يختاره غيرهم وفيه ايماء الى ملابسة غيرهم به وان كانت مع مقارنة امر مباح من قبيل تلويثه وتدنيسه واذ قال ابراهيم عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا الخ اما بالذات او بعامله المضمر كما مر رب اجعل هذا بلدا امنا ذا امن كعيشة راضية او امنا اهله كليله نائم اي اجعل هذا الوادي من البلاد الامنة

وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كدا اقبل على الوادي فقال ربنا اني اسكنت الآية وتعريف البلد مع جعله صفة لهذا في سورة ابراهيم ان حمل على تعدد السؤال لما انه عليه السلام سأل اولا كلا الامرين البلدية والامن فاستجيب له في احدهما وتأخر الآخر الى وقته المقدر له بما يقتضيه من الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان المسؤول اولا البلدية ومجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب الى ذلك وثانيا الامن المعهود او كان هو المسؤول اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار على سؤاله مع جعل البلد صفة لهذا لانه المقصد الاصلي او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر اليه فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي ذلك ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل افئدة الناس تهوي اليه كما سيأتي تفصيله هناك باذن الله تعالى وارزق اهله من الثمرات من انواعها بان يجعل بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الطائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم عليه السلام من آمن منهم بالله واليوم الآخر بدل من اهله بدل البعض خصهم بالدعاء اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماما بشأن اهله ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه في الايمان وزجر عن الكفر كما ان في حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من اهل الكتاب قال استيناف مبني على السؤال كما مر مرارا وقوله تعالى ومن كفر عطف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من آمن ومن كفر وقوله تع فامتعه معطوف على ذلك الفعل او في محل رفع بالابتداء وقوله تعالى فامتعه خبره اي فانا امتعه وانما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من آمن عطف تلقين كانه قيل قل وارزق من كفر فانه ايضا احق كانه عليه السلام قاس الرزق على الامامة فنبهه تعالى على انه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة الخاصة بالخواص وقرئ فنمتعه قليلا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعه به من النعم وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فامتعه قليلا ثم اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما من دعاء ابراهيم عليه السلام وفي قال ضميره وانما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب النار واما رزق من آمن فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف

المضارعة واطرد بادغام الضاد في الطا وهي لغة مرذولة فان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير النار او عذابها واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت عطف على ما قبله من قوله عز وجل واذ قال ابراهيم على احد الطريقين المذكورين في اذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لانها تنتقل بها من هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان هو الذي بني عليها لكنهما لما التأما صارا شيئا واحدا فكانها نمت وارتفعت وقيل المراد بها ساقات البناء فان كل ساق قاعدة لما يبنى عليه ويوضع فوقها بناء بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت واظهار شرفه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها اولا ثم تبيينها تفخيم لشأنها ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت واستوطأ يعني جعل هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي ان الله عز وجل انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم عليه السلام اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام فامره سبحانه ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها ابراهيم عليه السلام حتى اتيا مكة المشرفة وقيل بعث الله سبحانه سحابة على قدر البيت وسار ابراهيم في ظلها الى ان وافت مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء وجاء جبريل عليه السلام بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق وقد خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وقال الفاسي في شفاء الغرام في تاريخ البلد الحرام والذي يتحصل من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة انها بنيت عشر مرات منها بناء الملائكة عليهم السلام ذكره النووي في تهذيب الاسماء واللغات والازرقي في تاريخه وذكر انه كان قبل خلق آدم عليه الصلوة والسلام ومنها بناء آدم عليه السلام وذكر البيهقي في دلائل النبوة وروى فيه عن عبد الله عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله عز وجل جبريل الى آدم عليهما السلام فقال له ولحواء ابنيا لي بيتا فخط جبريل وجعل آدم عليه السلام يحفر وحواء تنقل التراب حتى اذا اصاب الماء نودي من تحته حسبك يا آدم فلما بناه اوحي اليه ان يطوف به فقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت وهكذا ذكر الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه ومنها بناء بني آدم عندما رفعت الخيمة التي عزى الله تعالى بها آدم عليه السلام وكانت ضربت في موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتا من الطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم الى ان نسفه الغرق في عهد نوح عليه السلام وذكر الازرقي بسنده الى وهب بن منبه

ومنها

ومنها بناء الخليل عليه السلام وهو منصوص عليه في القرآن مشهور فيما بين قاص وداني ومنها بناء العمالقة ومنها بناء الجرهم ذكرهما الازرقي بسنده الى علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن بكار في كتاب النسب ومنها بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما ومنها بناء حجاج بن يوسف وما كان ذلك بناء لكلها بل لجدار من جدرانها وذكر الحافظ السهيلي ان بناءها لم يكن في الدهر الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث عليه السلام انتهى والله سبحانه اعلم واسمعيل عطف على ابراهيم ولعل تأخيره عن المفعول للايذان بان الاصل في الرفع هو ابراهيم واسمعيل تبع له قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه من طرفين ربنا تقبل منا على ارادة القول اي يقولان وقد قرئ به على انه حال منهما عليهما السلام وقيل ان عامل فيه انه هو العامل في اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير يقولان ربنا تقبل منا او يرفعان اي وقت رفعها وقيل اسمعيل هو الداعي والجملة في محل النصب على الحالية اي واذ يرفع ابراهيم القواعد والحال ان اسمعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرهما عليهما السلام لتحريك سلسلة الاجابة وترك مفعول تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا وتقبل دعاء ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هما بصدده من البناء كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية حالية انك انت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا العليم بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعاء التقبل من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائهما عليما بنياتهما مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما في اعمالهما مستدع له بموجب الوعد تفضلا وتأكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى لاظهار اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان ظاهر ان اول ما جرى من الامور المحكية هو الابتلاء وما يتبعه ثم دعاء البلدية والامن وما يتعلق به ثم رفع القواعد من البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في حكاية النظم الشؤون الصادرة عن جنابه تعالى في سلك مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام من الاقوال والافعال في سلك آخر واما قوله تعالى ومن كفر الخ فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة بابراهيم لاقتضاء المقام واستجلاب ما سبق من الكلام ذلك بحيث لم يكن بد منه اصلا كما ان وقوع قوله عليه السلام ومن ذريتي في خلال كلامه سبحانه لذلك ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد وايا ما كان فالمطلوب الزيادة والثبات على ما كانا عليه من الاخلاص والاذعان وقرئ مسلمين على صيغة الجمع بادخال هاجر معهما في الدعاء او لان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصا به بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان الحكمة الالهية لا تقتضي اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال الكلي على الله عز وجل بان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد جوز ان يكون من للتبيين قدمت على المبين وفصل بها بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى ومن

الارض متلهن والاصل وامة مسلمة لك من ذريتنا وارنا من الرؤية بمعنى الابصار او بمعنى التعريف
اي بصرنا او عرفنا مناسكنا اي متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع
في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرئ ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان
الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرئ بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما
وحكايتهما عنهما لترغيب الكفرة في التوبة والايمان او توبة لهما عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه
هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم وهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء
للاجابة قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته ربنا
وابعث فيهم اي في الامة المسلمة رسولا منهم اي من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم
ولم يبعث من ذريتهما غير النبي صلى الله عليه وسلم فهو الذي اجيب به دعوتهما عليهما السلام روي
انه قيل له قد استجيب لك وهو في آخر الزمان قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا
اي وتخصيص ابراهيم عليه السلام بالاجابة له لما انه الاصل في الدعاء واسمعيل تبع له عليهما السلام
يتلوا عليهم آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من البينات ويعلمهم بحسب قوتهم النظرية الكتاب
اي القرآن والحكمة وما يكمل به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف الحقة ويزكيهم بحسب قوتهم
العملية اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب
على ما يريد الحكيم الذي لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة من الامور التي من جملتها بعث الرسول ووصف
العزة مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة ومن يرغب عن ملة ابراهيم انكار واستبعاد لان يكون
في العقلاء من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح والدين الصحيح اي لا يرغب عن ملته الواضحة الغراء
الا من سفه نفسه اي اذلها واستمهنها واستخف بها وقيل خسر نفسه وقيل اوبق او اهلك او
جهل نفسه قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر
ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب
على التمييز نحو غبن رأيه وألم نفسه ونحو قوله ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام
وقوله وما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشعر الرقابا وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه
احد من العقلاء فقد بالغ في الاذلال لنفسه واذالتها الذل هو الهوان واهانتها حيث خالف بها كل نفس
عاقلة روي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تع
قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن
به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه بالنبوة
والحكمة من بين سائر الخلق واصله اتخاذ صفوة الشيء كما ان اصل الاختيار اتخاذ خيره واللام
لجواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة مقررة لمضمون ما قبلها اي والله لقد
اصطفيناه وقوله تعالى وانه في الآخرة لمن الصالحين اي من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة
والخير والصلاح معطوف عليها داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرره ولاما
الى الجملة اعتراضا اخر او حالا مقدرة فان من كان صفوة للعباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح

في الآخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل
والاعراض عن النظر والتامل وايثار الآخرة لما ان انتظامه في زمرة صالحي اهل الآخرة امر
مستمر في الدارين لا انه يحدث في الآخرة والتاكيد بان واللام لما ان الامور الاخروية
خفية عند المخاطبين فحاجتها الى التاكيد اشد من الامور التي تشاهد آثارها وكلمة في متعلقة
بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على
انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا
او بمحذوف من لفظه اي وانه لصالح في الآخرة لمن الصالحين او من غير لفظه اي اعني في الآخرة نحو
لك بعد رعيا وقيل هي متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما وتاخيرا تقديره ولقد
اصطفيناه في الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين اذ قال له ظرف لاصطفيناه لما ان المتوسط
ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفاءه في الدنيا انما هو للنبوة وما يتعلق بصلاح الآخرة او
تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق للامامة
والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على احسن
ما يكون حين قال له ربه اسلم اي لربك قال اسلمت لرب العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو
تمثيل والمعنى اخطر بباله دلائل التوحيد المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكوكب والقمر
والشمس وقيل اسلم اي اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص او استقم
وفوض امورك الى الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره
عليه السلام لاظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته واضافة الرب في جوابه عليه السلام الى
العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه حيث ايقن حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة
لا لنفسه وحده كما هو المامور به ووصى بها ابراهيم بنيه شروع في بيان تكميله عليه السلام لغيره
اثر بيان كماله في نفسه وفيه توكيد لوجوب الرغبة في ملته عليه السلام والتوصية التقدم الى
الغير بما فيه خير وصلاح للمتقين من فعل او قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه
اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت لرب العالمين بتاويل
الكلمة كما عبر بها عن قوله اني براء مما تعبدون الى قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه
وقرئ اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اي وصى بها هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب
عطفا على بنيه يا بني على اضمار القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه في معنى
القول كما في قوله رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا فهو عند الاولين بتقدير
القول وعند الاخيرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى القول وقرئ ان يا بني وبنوا ابراهيم
عليه السلام كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرين
وكان بنوا يعقوب اثني عشر روبيل وشمعون ولاوي ويهوذا ويشسوخور وزبولون ودون
ونفتونا وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف عليهم السلام ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام
الذي هو صفوة الاديان ولا دين غيره عنده تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي

عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى حين الموت اي فاثبتوا
عليه ولا تفارقوه ابدا كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم
لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه ان لا يحل بهم وانه يجب ان يحذروه غاية الحذر ونظيره
مت وانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب
اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة مقدرة
ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم عليه السلام وشهداء جمع شهيد
او شاهد بمعنى الحاضر واذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب عليه
عليه السلام للاهتمام به اذ المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما تبين ذلك اجمالا ومعنى
بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم في رغبتهم عن ملة ابراهيم عليه السلام الى توبيخهم على
افترائهم على يعقوب عليه السلام باليهودية حسبما حكي عنهم واما تعميم الافتراء ههنا لسائر الانبيا
عليهم السلام كما قيل فيأباه تخصيص يعقوب عليه السلام بالذكر وما سيأتي من قوله عز وجل
ام تقولون ان ابراهيم الخ ومعنى الهمزة انكار وقوع الشهود عنه احتضاره عليه السلام فكيف تكلمتم
وقوله تع اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر اي ما كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله
لبنيه ما تعبدون من بعدي اي اي شيء تعبدونه بعد موتي فمن ابى لكم ان تدعوا عليه السلام
ما تدعون رجما بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين ان الامر قد جرى حينئذ
على خلاف ما زعموا وانه عليه السلام اراد بسؤاله ذلك تقرير بنيه على التوحيد والاسلام واخذ
ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به يتم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يسال به كل
شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء من اذا سئل عن شيء بعينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد
فقيه ام طبيب فقوله تع قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن حكاية سؤال يعقوب
عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسمعيل
واسحاق حسبما كان مرادهم عليه السلام بالسؤال اي نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب
عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد لقوله عليه السلام الرجل صنو ابيه وقوله
عليه السلام في العباس هذا بقية ابائي وقرئ ابيك على انه جمع بالواو والنون كما في قوله فلما تبين
اصواتنا بكين وفديننا بالابينا وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابراهيم عطف بيان له واسمعيل
واسحاق معطوفان على ابيك الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله تع بالناصية ناصية كاذبة
وفائدة التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور او
نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله او منهما معا ويحتمل ان
يكون اعتراضا محققا لمضمون ما سبق تلك امة مبتدا وخبر والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما
الموحدين والامة هي الجماعة التي تؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها قد خلت
صفة للخبر اي مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصله صارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس
لها ما كسبت جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب اي لها ما كسبته من الاعمال الصالحة المحكية لا تخطاها

الي غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند عليه كما هو المشهور ولكم ما كسبتم عطف على نظيرتها
على الوجه الاول وجملة مبتدأة على الوجهين الاخيرين اذ لا رابط فيهما ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة
في الزمان ولا بد منها في الحال اي لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به
قصره على المسند اليه كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم ولي دين اي ولي ديني لا دينكم وحمل الجملة الاولى على
هذا القصر على معنى ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام اذ لا يتوهم متوهم
انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه وانما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبين
امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم ولبين لهؤلاء الا ما كسبوا فلا
ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم لهم في الاعمال كما قال عليه السلام يا بني هاشم لا ياتيني
الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم ولا تسالون عما كانوا يعملون ان اجري السؤال على ظاهره فالجملة
مقررة لمضمون ما مر من الجملتين تقريرا ظاهرا وان اريد به مسببه اعني الجزاء فهو تتميم لما سبق جار
مجرى النتيجة له وايا ما كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة عن الانتفاع بحسنات
الامة الخالية وانما اطلق العمل لاثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية هذا وقد
جعل السؤال عبارة عن المؤاخذة والموصول عن السيئات فقيل اي لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون
بحسناتهم ولا ريب في انه مما لا يليق بشأن التنزيل كيف لا وهم منزهون عن كسب السيئات فمن اين يتصور
تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيان انتفاعه وقالوا شروع في بيان فن اخر من فنون كفرهم وهو
اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات المؤذن
باستيجاب حالهم لابعادهم من مقام المخاطبة والاعراض عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم
اي قالوا للمؤمنين كونوا هودا او نصارى هذا القول مقول لكلهم او لاي طائفة كانت من الطائفتين
بل هو موزع عليهما على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء مغنيا عن التصريح به اي قالت اليهود كونوا
هودا او نصارى فعل بالنظم الكريم ما فعل بقوله تع وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى
اعتمادا على ظهور المرام تهتدوا جواب للامر اي ان تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم اي قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه بل ملة ابراهيم
اي لا نكون اهل ملته عليه وقيل بل نتبع ملته عليه السلام او كونوا اهل ملته وقرئ بالرفع اي بل
ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته اي اهل ملته حنيفا اي مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف
اليه كما في رايت وجه هند قائمة وفي قوله تع ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا الخ وما كان من
المشركين تعريض بهم وايذان ببطلان دعويهم اتباعه عليه السلام مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن
الله قولوا خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه السلام برد مقالتهم الشنعاء وفي الاجمال وارشاد
لهم الى طريق التوحيد والايمان في ضرب من التفصيل اي قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقا وارشادا
ضمنيا لهم اليه امنا بالله وما انزل الينا يعني القرآن قدم في سائر الكتب الالهية مع تأخره عنها
نزولا لاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط الصحف وان كانت نازلة الى ابراهيم عليه السلام لكن من بعده عليهم السلام حيث كانوا متعبدين

بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القران منزلا الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه او ابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى من التورية والانجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة بايديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل وايراد الايتاء لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى وما اوتي النبيون اي جملة المذكورين وغيرهم من ربهم من الايات البينات والمعجزات الباهرة لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى امنوا ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما اوتوه لاستلزام عدم التفريق بينهم بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما اوتوه وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومنه ما في قوله صلى الله عليه وسلم ما احلت الغنائم لاحد سود الرؤس غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وبين غيره كما في قول النابغة فما كان بين الخير لو جاء سالما ابو حجر الا ليال قلايل اي بين الخير وبيني وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد منهم وبين من عداه كائنا ما كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير في امنا وقوله عز وجل ونحن له مسلمون اي مخلصون له ومذعنون حال اخرى منه او عطف على امنا فان امنوا الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين على الوجه المحرر مظنة لايمان اهل الكتاب لما انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم بمثل ما امنتم به اي بما امنتم به على الوجه الذي فصل على ان المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويعضده قراءة ابن مسعود بما امنتم به وقراءة ابي بالذي امنتم به ويجوز ان يكون الباء للاستعانة على ان المؤمن به محذوف لظهوره بموروده انفا مفصلا وان تكونا للملابسة اي فان امنوا بما مر مفصلا او بان فعلوا الايمان بشهادة مثل شهادتكم وان يكون الاولى زائدة والثانية صلة لامنتم وما مصدرية اي فان امنوا ايمانا مثل ايمانكم بما ذكر مفصلا وان تكونا للملابسة اي فان امنوا ملتبسين بمثل ما انتم ملتبسين به او فان امنوا ايمانا ملتبسا بمثل ما امنتم ايمانا ملتبسا من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين الانبياء عليهم السلام فان ما وجد فيهم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل ما للمؤمنين لا عينه بخلاف المؤمن به فانه لا يتصور فيه التعدد فقد اهتدوا الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق فيأباه ان مقام تعيين طريق الحق وارشادهم اليه بعينه لا يلائم تجويز ان يكون له طريق اخر وراءه وان تولوا اي اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشيء من ذلك كان كانوا امنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو ديدنهم ودينهم فانما هم في شقاق الشقاق والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف والمعاداة والعداء من العدوة اي الجانب فان احد المخالفين يعرض عن الاخر صورة او معنى ويوليه خلفه

ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اي هم مستقرون في خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا الدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما امن به المؤمنون والجملة اما جواب الشرط كما هو الظاهر على ان المراد مشاقتهم الحادثة بعد توليهم عن الايمان كجواب الشرطية الاولى وانما اوثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم في ذلك واما بتأويل فاعلموا انما هم في شقاق هذا هو الذي يستدعيه فخامة شأن التنزيل الجليل وقد قيل قوله تعالى فان امنوا الخ من باب التعجيز والتبكيت على منهاج قوله تعالى فأتوا بسورة من مثله والمعنى فان تحصلوا دينا اخر مثل دينكم مماثلا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا واذ لا امكان له فلا امكان لاهتدائهم ولا ريب في انه مما لا يليق بجمل النظم الكريم عليه ولما دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدي الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التأييد والاعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل فسيكفيكهم الله اي سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز عز وعلا وعده الكريم بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وتلوين الخطاب بتجريده للخطاب صلى الله عليه وسلم مع ان ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة في ذلك وللايذان بان القيام بامور الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاساة الشدائد في مناهضة الاعداء من وظائف الرؤساء فنعمته تعالى في الكفاية والنصر في حقه عليه السلام اتم واكمل وهو السميع العليم تذييل لما سبق من الوعد وتأكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما في نيتك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون في قلوبهم مما لا خير فيه وهو معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تأكيد الوعد السابق فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين صبغة الله الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان بما ذكر على الوجه الذي فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من اوضار الكفر وحلية تزينهم بآثاره الجميلة ومتداخلا في قلوبهم كما ان شأن الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم وانما نسبت الى الله عز وجل مع استناده فيما سلف الى ضمير المتكلمين للتشريف والايذان بانها عطية منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها فهي اذا مصدر مؤكد لقوله تعالى امنا داخل معه في حيز قولوا منتصب عنه انتصاب وعد الله عما تقدمه لكونه بمثابة فعله كانه قيل صبغنا الله صبغة وقيل منصوب بفعل الاغراء اي الزموا صبغة وانما وسط بينهما الشرطيتان وما بعدهما اعتناء بانه الايمان الحق وبه الاهتداء ومسارعة الى تسليته عليه السلام ومن احسن من الله صبغة مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والنفي وقوله تعالى صبغة نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصبغتين لا بين فاعليهما اي لا صبغة احسن من صبغته على معنى انها احسن من كل صبغة على ما اشير اليه في قوله تعالى ومن اظلم ممن منع الخ وحيث كان مدار التفضيل على تعميم الحسن الحقيقي والعرفي المبني على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون في صبغة غيره تعالى حسن في الجملة

والجملة اعتراضية مقررة لما في صبغة من معنى التبجح والابتهاج ونحن له أي لله الذي اولانا تلك
النعمة الجليلة عابدون شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو
عطف على آمنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة او في فعل الاغراء
بتقدير القول اي الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تع ومن احسن من الله صبغة
حينئذ يجري مجرى التعليل للاغراء قل اتحاجوننا تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
عقيب الكلام الداخل تحت الامر الوارد للخطاب العام لما ان المامور به من الوظايف الخاصة
به عليه السلام وقرئ بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ اي اتجادلوننا في الله اي في
دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول الجنة والاهتداء
عليها وتقولون تارة لن يدخل الجنة والاهتداء عليها وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا وهو ربنا وربكم جملة حالية وكذلك ما عطف
عليها اي اتجادلوننا والحال انه لا وجه للمجادلة اصلا لانه تع ربنا اي مالك امرنا وامركم ولنا
اعمالنا الحسنة الموافقة لامره ولكم اعمالكم السيئة المخالفة لحكمه ونحن له مخلصون في تلك الاعمال
لا نبتغي بها الا وجهه فانى لكم المحاجة وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة
الناس اليه وكلمة ام في قوله تع ام تقولون اما معادلة للهمزة في قوله تع اتحاجوننا داخلة في حيز الامر
على معنى اي الامرين تاتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر ام
التشبث بذيل التقليد والافتراء على الانبياء وتقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
كانوا هودا او نصارى فنحن بهم مقتدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة
مقدرة ببل والهمزة دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافتراء على
الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهي منقطعة لا غير غير داخلة
تحت الامر واردة من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل هذا واما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا
في شان الله واصطفائه نبيا من العرب دونكم لما روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا
لكنت منا فنزلت ومعنى قوله تع وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له تع بقوم
دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كانه الزمهم
على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله تع على من يشاء من عباده
فالكل فيه سواء واما افاضة حق على المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان
لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اي لا انتم فمع ملاءمته
لسباق النظم الكريم وسياقه لا سيما على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما ان
المراد بالاعمال من الطرفين ما اشير اليه من الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب في ان اعمال الصلاح
والسوء ودخلها في موافقة الدين المبني على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الاعمال في استحقاق
النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب قل ءانتم اعلم ام الله اعادة الامر ليس لمجرد تاكيد
التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايذان بان ما بعده ليس متصلا بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين

وهو الزام الكفرة وتبكيتهم

تع توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته

مترتب على ما سبق مستتبع لما لحق قد ضرب عنه الذكر صفحا لظهوره وموقعه بحثهم بما وبخوا عليه
من الافتراء على الانبياء عليهم السلام كما في قوله عز وجل قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
قال فما خطبكم ايها المرسلون وقوله عز قائلا قال ءاسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك هذا الذي
كرمت علي فان تكرير قال في الموضعين وتوسيطه بين قولي قائل واحد للايذان بان بينهما كلاما
لصاحبه متعلقا بالاول والثاني بالتبعية والاستتباع كما حرر في محله اي اكذبهم في ذلك وبكتهم
قائلا ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وقد نفى عن ابرهيم عليه السلام كلا الامرين حيث قال ما كان
ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله تع وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده
وهولاء المعطوفون عليه عليهم السلام اتباعه في الدين وفاقا فكيف تقولون سبحان الله عما
يصفون ومن اظلم انكار لان يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله وهي
شهادته تع له عليه السلام بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلي آنفا فعنده منه
للشهادة وكذا من الله في ديهما للتعليل الانكار وتاكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من
جناب الله عز وجل من اقوى الدواعي الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول مع انه
متاخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الادنى الى الاعلى والمعنى انه لا احد اظلم من اهل الكتاب
حيث كتموا هذه الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان
للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة البيان او لا احد اظلم منا
لو كتمناها فالمراد بكتمها عدم اقامتها في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية اهل الكتاب على نحو
ما اشير اليه في اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم شهادة الله
عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم في التورية والانجيل وما الله بغافل عما تعملون من فنون
السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادته تع وافتراؤهم على الانبياء عليهم السلام دخولا اوليا
اي هو محيط بما تاتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب وقرئ عما يعملون على صيغة
الغيبة فالضمير اما لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تع ومن اظلم الى اخر الاية
مسوق من جهته تع لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تلك امة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار
بالاباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب السابق لهم وهذا لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل
المراد بالامة الاولى الانبياء عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود سيقول السفهاء اي الذين
خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه
اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول
والمراد بالسفهاء اليهود على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رضي الله عنه قالوه
انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يانسون بموافقته عليه السلام لهم في القبلة وقيل
هم المنافقون وهو الانسب بقوله عز وعلا الا انهم هم السفهاء وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن
لا لاعتقاد حقية القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون ولم

ولم يقولوه كراهة للتحويل إلى مكة بل طعنا في الدين فإنهم كانوا يقولون رغب عن قبلة آبائه ثم رجع إليها وليرجعن إلى دينهم أيضا ويدخل معهم القادحون في التحويل منهم جميعا فيكون قوله تعالى من الناس أي الكفرة لبيان أن ذلك القول المحكي لم يصدر عن كل فرد فرد من تلك الطوائف الثلاث بل عن أشقيائهم المعتادين للخوض في فنون الفساد وهو الأظهر إذ لو أريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لكونهم من الناس مزيد فائدة وتخصيصهم بالذكر لا يقتضي تسليم الباقين للتحويل وارتضائهم إياه بل عدم التفوه بالقدح مطلقا أو بالعبارة المحكية ما ولاهم أي أي شيء صرفهم والاستفهام للإنكار والنفي عن قبلتهم القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهي الحالة التي يقابل الشيء غيره عليها كالجلسة للحالة التي يقع عليها الجلوس ومنه يقال لا قبلة له ولا دبرة إذا لم يهتد لجهة أمره ثم غلبت على الجهة التي يستقبلها الإنسان في الصلاة والمراد بها هاهنا بيت المقدس وإضافتها إلى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى التي كانوا عليها أي ثابتين مستمرين على التوجه إليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها لتأكيد الإنكار فإن الإلف بالشيء والاستمرار عليه باعتقاد حقيته مما لا ينافي الانصراف عنه فإن أريد بالقائلين اليهود فمدار الإنكار كراهتهم للتحويل عنها وزعمهم أنه خطأ وإن أريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد إلى الطعن في الدين والقدح في أحكامه وإظهار أن كلا من التوجه إليها والانصراف واقع بغير داع إليه لا لكراهتهم الانصراف عنها والتوجه إلى مكة وتعليق الإنكار بما يوليهم عنها لا بما يوجههم إلى غيرها مع تلازمهما في الوجود لما أن ترك الدين القديم أبعد عند العقول وأكثر سببا أدخل للإيذان بأن المنكرين هم اليهود بناء على أن المنكر عندهم هو التحويل عن خصوصية بيت المقدس الذي هو القبلة الحقة عندهم لا التوجيه إلى خصوصية قبلة أخرى أو هم المشركون بناء على أن المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه الطعن والقدح لا التوجه إلى الكعبة لأنه الحق عندهم فإنه بمعزل من ذلك كيف لا والمنافقون من أحد الفريقين لا محالة والإخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما أخبر لتوطين النفوس وإعداد ما يبكتهم فإن مفاجأة المكروه على النفس أشق وأشد والجواب العتيد لشغب الخصم الألد أرد وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا أقول عند ذلك فقيل قل أي لله تعالى ناحيتا الأرض أي الجهات كلها ملكا وملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل إنما هو بأمر الله سبحانه ومشيئته يهدي من يشاء أي يهديه مشيئته تابعة للحكم الخفية التي لا يعلمها إلا هو إلى صراط مستقيم موصل إلى سعادة الدارين وقد هدانا لذلك حيث أمرنا بالتوجه إلى بيت المقدس تارة وإلى الكعبة أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المقارنة للحكم الباهرة والمصالح الخفية وكذلك جعلناكم توجيه للخطاب إلى المؤمنين بين الخطابين المختصين بالرسول صلى الله عليه وسلم لتأييد ما في مضمون الكلام من التشريف وذلك إشارة إلى مصدر جعلناكم لا إلى جعل آخر مفهوم مما سبق كما قيل وتوحيد الكاف مع القصد إلى المؤمنين لما أن المراد مجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد

أي تعليق الإنكار بما يوليهم مجرد عن ذلك أي عن الإتيان بالكلام هم اليهود والمشركون ... دون ...

للإيذان

للإيذان بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به وانتظامه بسببه في سلك الأمور المشاهدة والكاف لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحلها في الأصل النصب على أنه نعت لمصدر محذوف وأصل التقدير جعلناكم أمة وسطا لا جعلا آخر أدنى منه والوسط في الأصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب إليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والإعواز والأوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن أوس الطائي كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا فإن تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار في هذا المقام إذ لا ملابسة بينها وبين أهلية الشهادة التي جعلت غاية للجعل المذكور بل لكون تلك الخصال أوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الإفراط والتفريط كالعفة التي طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التي طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التي طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التي هي كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الأوساط المحفوفة بأطرافها ثم أطلق على المتصف بها مبالغة كأنه نفسها وسوي فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الأصل كدأب سائر الأسماء التي يوصف بها وقد روعيت هاهنا نكتة رائقة هي أن الجعل المشار إليه عبارة عما تقدم ذكره من هدايته تعالى إلى الإسلام الحق الذي عبر عنه بالصراط المستقيم الذي هو الطريق السوي الواقع في وسط الطرق الجائرة عن القصد إلى الجوانب فإنا إذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين فالخط المستقيم إنما هو الخط الواقع في وسط تلك الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين الطرق الجائرة كون الأمة المهدية إليه أمة وسطا بين الأمم السالكة إلى تلك الطرق الزائغة أي متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكين بالعلم والعمل لتكونوا شهداء على الناس بأن الله عز وجل قد أوضح السبل وأرسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا فهل من مدكر وهو غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فإن العدالة كما أشير إليه حيث كانت الكيفية المتشابهة المتألفة من العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التي هي فضيلة القوة العقلية الملكية المشار إلى رتبتها بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا كان المتصف بها واقفا على الحقائق المودعة في الكتاب المبين المنطوي على أحكام الدين وأحوال الأمم أجمعين حاويا بالشرائط روي أن الأمم يوم القيامة يجحدون تبليغ الأنبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو أعلم إقامة للحجة على المنكرين وزيادة لخزيهم بأن كذبهم من بعدهم من الأمم فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول الأمم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك بإخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله عز قائلا ويكون الرسول عليكم شهيدا وكلمة الاستعلاء لما في الشهيد من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة إلا من العدول الأخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عليه السلام بهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها تجريد للخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم رمزا إلى أن مضمون الكلام من الأسرار الحقيقية بأن يختص معرفته به عليه السلام والتي الموصول صفة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل لما قيل من أن الجعل تحويل الشيء من حالة إلى أخرى فالمتلبس

بالحالة الثابتة هو المفعول الثاني كما في قولك جعلت الطين خزفا فينبغي ان يكون المفعول
الاول هو الموصول والثاني هو القبلة فكلام مناعي عنا قاليه الذهن بحسب النظر الجليل ولكن
التامل اللايق يهدي الى العكس فان المقصود افادته ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما يفيده ما ذكر بل
هو جعل القبلة الحقيقة الوجود هذه الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هي الكعبة فانه عليه
السلام كان يصلي اليها اولا ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او هي الصخرة لما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان قبلته عليه السلام بمكة كانت بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة
بينه وبينه وفي هذه الرواية لا يمكن ان يراد بالقبلة الاولى الكعبة واما الصخرة فيتاتي ارادتها
على الروايتين والمعنى على الاول وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها اي ردينا الى الكعبة وعلى
الثاني وما جعلنا ها التي كنت عليها قبل هذا الوقت وهي الصخرة **الا لنعلم** استثنا مفرغ من اعم العلل
اي وما جعلنا ذلك لشيء من الاشيا الا لنمتحن الناس اي نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم **من يتبع الرسول**
في التوجه الى ما امر به من الدين والقبلة والالتفات الى الغيبة مع ايراده عليه السلام بعنوان
الرسالة للاشعار بعلة الاتباع **ممن ينقلب على عقبيه** يرتد عن دين الله الاسلام او لا يتوجه الى القبلة
الجديدة او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى
الاول ما رددناك الى ما كنت عليه الا لنعلم الثابت على الاسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف
ايمانه والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالي اي ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل
وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمومنين واسناده اليه سبحانه لما انهم خواصه او لتمييز
الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذي هو مسبب
عنه ويشهد له قراءة ليعلم على بناء المجهول من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق بما في
من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب الخ اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على
عقبيه **وان كانت لكبيرة** اي شاقة ثقيلة وان هي المخففة دخلت على ناسخ المبتدا والخبر واللام هي الفارقة
بينها وبين النافية كما في قوله تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وزعم الكوفيون انها نافية واللام بمعنى
الا اي ما كانت الا كبيرة والضمير الذي هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويلة او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان
مزيدة كما في قوله ٭ واخوان لنا كانوا كرام ٭ فكيف اذا مررت بدار قوم ٭ واصله وان هي
لكبيرة كقوله ان زيد لمنطلق **الا على الذين هدى الله** اي الى سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم
والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم الثابتون على الايمان واتباع الرسول
عليه السلام **وما كان الله ليضيع ايمانكم** اي ما صح وما استقام له ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر
سعيكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلوتكم اليها لما روي انه
عليه السلام لما توجه الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون الى بيت المقدس
واللام في ليضيع اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو راي البصرية وانتصاب الفعل بعده بان المقدرة
اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع الخ ففي توجيه النفي الى ارادة الفعل تاكيد ومبالغة لنفيه

في توجيه

في توجهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو راي الكوفية ولا يقدح
في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله تعالى **ان الله بالناس لرؤف رحيم**
تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فان اتصافه عز وجل بهما يقتضي لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه
صلاحهم والبا متعلقة برؤف وتقديمه على رحيم مع كونه ابلغ منه لما مر في وجه تقدم الرحمن على
الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرافة في الكمية والرافة اقوى منها في الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم
الصافية عن الالام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الالم كقطع العضو المتاكل وقرئ لرؤف
بغير مد **قد نرى تقلب وجهك في السما** اي تردده وتصرف نظرك في جهتها تطلعا للوحي
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقع في روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى
الكعبة لانها قبلة ابراهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة
اليهود فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام بالوحي بالتحويل **فلنولينك قبلة** الفا للدلالة على
سببية ما قبلها لما بعدها وهي في الحقيقة داخلة في قسم محذوف يدل عليه اللام اي فوالله لنولينك
اي لنعطينها ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اي صيرته واليا له او لنجعلنك تلي جهتها
او لنحولنك في ان تصب قبله بحذف الجار اي الى قبلة وقيل هو متعد الى مفعولين **ترضاها** تحبها
وتشتاق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيته تعالى وحكمته **فول وجهك** الفا لتفريع بالتولية
على الوعد الكريم وتخصيص التولية بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن
اي فاصرفه **شطر المسجد الحرام** اي نحوه وهو نصب على الظرفية من ول وعلى نزع الخافض او على انه
مفعول ثان له وقيل الشطر في الاصل اسم لما انفصل من الشيء ودار شطور اذا كانت منفصلة عن الدور
ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي يحرم فيه القتال او ممنوع من الظلمة ان
يتعرضوا له وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة الجهة لان في مراعاة العين
من البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب روي عن البراء بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم قدم
المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال
الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه
ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النسا والنسا
مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين **وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره** خص الرسول صلى الله
عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب للمومنين مع التعرض
لاختلاف اماكنهم تاكيدا للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة على المبالغة
وحيثما شرطية وكنتم في محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها وتكون هي منصوبة على الظرفية
بكنتم نحو قوله تعالى اياما تدعوا فله الاسما الحسنى **وان الذين اوتوا الكتاب** من فريقي اليهود والنصارى
ليعلمون انه اي التحويل والتوجه المفهوم من التولية **الحق** لا غير لعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى
جارية في تخصيص كل شريعة بقبلة ولما في كتبهم من انه عليه السلام يصلي الى
القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بايتاء الكتاب وان مع اسمها وخبرها سادّ

مسد مفعولي يعلمون او مسد مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة وقوله تع من ربهم
متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اي كائنا من ربهم او صفة له على رأي من يجوز حذف الموصول
مع بعض صلته اي الكائن من ربهم وما الله بغافل عما تعملون وعد ووعيد للفريقين والخطاب
للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل الكتاب ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب
وضع الموصول موضع المضمر للايذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما ينزعهم منه من
الكتاب الناطق بحقية ما كابروا فيه وقوله بكل آية اي حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام
موطئة للقسم وقوله تع ما تبعوا قبلتك جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى
انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه للامة لما ان المحاجة والاتيان بالآية من الوظائف الخاصة به
عليه السلام وقوله تع وما انت بتابع قبلتهم جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة
لقطع اطماعهم الفارغة حيث قالت اليهود لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره
تقريرا له عليه السلام وطمعا في رجوعه وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره
وافراد قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع
الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم
المخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقية ما انت عليه وهذه الشرطية الفرضية واردة
على منهاج التهييج والالهاب للثبات على الحق اي ولئن اتبعت اهواءهم فرضا انك اذا لمن الظالمين
وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم عن متابعة الهوى فان من ليس من شانه ذلك اذا نهي عنه ورتب على
فرض وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظن من ليس كذلك واذا حرف
جواب وجزاء توسطت بين ان وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة اذ كان حدها ان تتقدم او تتأخر فلم
تتقدم لئلا يتوهم انها لتقرير النسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لان المذكور جواب القسم ولم
تتأخر لرعاية الفواصل ولقد بولغ في التأكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه
وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب من الانبياء عليهم السلام الذين آتيناهم الكتاب
اي علماؤهم اذ هم العمدة في اتيانه ووضع الموصول موضع المضمر مع قرب العهد للاشعار بعلية
ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب في قوله تع يعرفونه للرسول صلى الله عليه وسلم والالتفات
الى الغيبة للايذان بان المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الزاهر بل من حيث كونه
مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها انه عليه السلام يصلي الى القبلتين كانه قيل الذين
آتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو اضمار قبل
الذكر للاشعار بفخامة شانه عليه وانه علم معلوم بغير اعلام فتأمل وقيل الضمير للعلم او لما الذي
هو الوحي او القرآن او التحويل ويؤيد الاول قوله عز وجل كما يعرفون ابناءهم اي يعرفونه عليه السلام
باوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم
البنات لكونهم اعرف عندهم منهن بسبب كونهم احب اليهم عن عمر رضي الله عنه انه سأل عبد الله بن سلام

رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني
لست اشك فيه انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه رضي الله تع عنهما وان فريقا
منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين آمنوا منهم
فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه واما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه
فما هم بصدد الاظهار ولا بصدد الكتم وانما امرهم في وجه التقليد الحق بالرفع على انه مبتدأ
وقوله تع من ربك خبره واللام للعهد والاشارة الى ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم او الى
الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تع كالذي انت عليه لا غيره كالذي عليه
اهل الكتاب او على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق وقوله تع من ربك اما حال او خبر بعد خبر
وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول ليعلمون وفي التعرض لوصف الربوبية مع
الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين
اي الشاكين في كتمانهم الحق عالمين به وقيل في انه من ربك وليس المراد به نهي الرسول صلى الله عليه
وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه عليه السلام وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر
وانه بحيث لا يشك فيه ناظر وامر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل
اي لكل امة من الامم على ان التنوين عوض عن المضاف اليه وجهة اي قبلة وقد قرئ كذلك او لكل
قوم من المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو موليها احد المفعولين محذوف اي موليها وجهه
او الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى ولكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة
للتأكيد وجبر ضعف العامل وقرئ مولاها اي مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات اي
فتسابقوا اليها بنزع الجار كما في قوله ثنائي عليكم آل حرب ومن يمل سواكم فاني مهتد غير مائل
وهو الابلغ من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على احراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها
من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة
اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا اي في اي موضع تكونوا من موافق او مخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يحشركم
الله تعالى الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من
الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم كانها صلاة الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على
الاماتة والاحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق ومن حيث خرجت تأكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت
الامر في حالتي السفر والحضر ومن متعلقة بقوله تع فول او بمحذوف عطف هو عليه اي من اي مكان خرجت
اليه للسفر فول وجهك عند صلاتك شطر المسجد الحرام او افعل ما امرت به من اي مكان خرجت اليه فول
الخ وانه لهذا الامر للحق من ربك اي الثابت الموافق للحكمة وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم بذلك احسن
جزاء فهو عدة للمؤمنين وقرئ يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين ومن حيث خرجت اليه
في اسفارك ومغازيك من المنازل القريبة والبعيدة فول وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما مر
آنفا وحيثما كنتم من اقطار الارض مقيمين او مسافرين حسبما يعرب عنه ايثار كنتم على خرجتم بان الخطاب
عام لكافة المؤمنين المنتشرين في الآفاق من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيثما خرجتم لما تناول

الخطاب المقيمين في الاماكن المختلفة من حيث اقامتهم فيها فولوا وجوهكم من محالكم شطره والتكرير لما ان القبلة لها شان خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحري ان يؤكد امرها مرة عقب اخرى مع انه قد ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة متعلق بقوله تعالى فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلك لئلا الخ والمعنى ان التولية عن الصخرة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية من اوصافه انه يحول الى الكعبة واحتجاج المشركين بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم الذين يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع انها افحش الاباطيل من قبيل ما في قوله تعالى حجتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجة وقيل الحجة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة رأسا كما الذي في قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ⁕ بهن فلول من قراع الكتائب ⁕ ضرورة ان لا حجة للظالم وقرئ الا الذين بحرف التنبيه على انه استئناف فلا تخشوهم فان مطاعنهم لا تضركم شيئا واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم اي وامرتكم بما امرتكم لاتمامي النعمة عليكم لما انه نعمة جليلة ولارادتي اهتداءكم لما انه صراط مستقيم وفي التعبير عنه بالسعادة الدارين كما اشير اليه في قوله عز وجل يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وفي التعبير عن الارادة بكلمة لعل الموضوعة للترجي على طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى او عطف على علة مقدرة اي واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم الى آخره او على قوله تعالى لئلا يكون الخ وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم الى آخره بينهما للمسارعة الى التسلية والتثبت وفي الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله تعالى عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله والظرف الاول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما في صفاته من الطول والظرف الثاني متعلق بمضمر وقع صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الآخرة اتماما كائنا كاتمامي لها بارسال رسول كائن منكم فان ارسال الرسول لا سيما المجانس لهم نعمة لا يكافئها نعمة قط وقيل متصل بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني الخ وايثار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنانا وجريا على سنن الكبرياء يتلوا عليكم آياتنا صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة ويزكيكم عطف على يتلوا اي يحملكم على ما تصيرون به ازكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة اخرى مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره في قصة البقرة وهو السر في التعبير عن القرآن تارة بالآيات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما في تضاعيف الاحاديث الشريفة من الشرائع كما في قوله تعالى ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون

ومع

صريح في ذلك فان الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعا قد عطف تعليمه على تعليمهما وما ذلك الا لتفصيل فنون النعم في مقام يقتضيه كما في قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ عقيب قوله تعالى نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم انه ليس من شأنهم ان يعلموه بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق في الوحي فاذكروني الفاء للدلالة على ترتب الامر على ما قبله من موجباته اي فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر مع الاشعار بما يوجبه واشكروا لي ما انعمت به عليكم من النعم ولا تكفرون بجحدها وعصيان ما امرتكم به يا ايها الذين آمنوا وصفهم بالايمان اثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما يعقبه من الامر استعينوا في كل ما تأتون وما تذرون بالصبر على الامور الشاقة على النفس التي من جملتها معاداة الكفرة ومقابلتهم المؤدية الى مقاتلتهم والصلاة التي هي ام العبادة ومعراج المؤمنين لرب العالمين ان الله مع الصابرين تعليل للامر بالاستعانة بالصبر خاصة لما انه المحتاج الى التعليل واما الصلاة فحيث كانت عند المؤمنين اجل المطالب كما ينبئ عنه قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة لم يفتقر الامر بالاستعانة بها الى التعليل ومعنى المعية الولاية الدائمة المستتبعة للنصرة واجابة الدعوة ودخول مع في الصابرين لما انهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متبوعون من تلك الحيثية ولا تقولوا عطف على استعينوا الخ مسوق لبيان ان لا غائلة للمأمور به وان الشهادة التي ربما يؤدي اليها الصبر صورة ابدية لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء اي بل هم احياء ولكن لا تشعرون بحياتهم وفيه رمز الى ان حياتهم ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحيوة الجسمانية وانما هي امر روحاني يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رضي الله عنه ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع قلت رأيت في المنام سنة تسع وثلاثين وتسعمائة اني ازور قبور شهداء احد رضي الله تعالى عنهم وانا اتلو هذه الآية وما في سورة آل عمران واردد هما متفكرا في امرهم وفي نفي ان حيوتهم روحانية لا جسمانية فبينما انا في ذلك اذ رأيت شابا منهم قاعدا في قبره تام الجسد كامل الخلقة في احسن ما يكون من الهيأة والمنظر ليس عليه شيء من اللباس قد بدا منه ما فوق السرة والباقي في القبر خلا اني اعلم يقينا ان ذلك ايضا كما يظهر وانما لا يظهر لكونه عورة فنظرت الى وجهه فرأيته ينظر الي متبسما كانه ينبهني على ان الامر بخلاف رأيي فسبحان من علت كلمته وجلت حكمته وقيل الآية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا تخصيص الشهداء بذلك لما يستدعي مقام التحريض على مباشرة مبادي الشهادة والاختصاصهم بمزيد القرب من الله عز وعلا ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالهم انصبرون على البلاء وتستسلمون على القضاء بشيء من الخوف والجوع اي بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بالف مرة وكذا ما يصيب به معانديهم وانما اخبر به قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما اخبر به وليعلموا انه شيء يسير له عاقبة حميدة ونقص

من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او على الخوف وعن الشافعي رضي الله عنه الخوف خوف
الله والجوع صوم رمضان ونقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات
موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تع للملائكة اقبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول عز وجل اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول عز وجل ماذا قال عبدي فيقولون
حمدك واسترجع فيقول الله عز وجل ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين
اذا اصابتهم مصيبة الموت قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
ولكل من تتأتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي
المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان بل بالقلب بتصور ما خلق له وانه راجع الى ربه
ويتذكر نعم الله تع عليه ويرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون ذلك على نفسه ويستسلم
والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده اولئك اشارة الى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت
ومعنى البعد فيه للايذان بعلو رتبتهم عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة من الله سبحانه
المغفرة والرافة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما في قوله
تع رافة ورحمة ورؤف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون
الرافة الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه واولئك اشارة
اليهم اما باعتبار السابق والتكرير لاظهار كمال العناية بهم واما باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصلوات
والرحمة المترتب على الاعتبار الاول فعلى الاول المراد بالاهتداء في قوله عز وجل هم المهتدون
هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا لا الاهتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصة لما انه مقدم
عليهما فلا بد لتاخيره عما هو نتيجة لهما من داع يوجبه وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرر لمضمون
ما قبله كانه قيل واولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا
لقضاء الله تع وعلى الثاني هو الاهتداء او الفوز بالمطالب والمعنى اولئك الفائزون بمباغيهم الدينية
والدنيوية فان من نال رافة الله تع ورحمته لم يفته مطلب ان الصفا والمروة علما جبلين بمكة
المعظمة كالصمان والمقطم من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فمن حج البيت
او اعتمر الحج في اللغة القصد والاعتمار الزيارة غلبا في الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين
المعروفين كالبيت والنجم في الاعيان وحيث اظهر البيت وجب تجريده عن المتعلق به فلا جناح عليه
ان يطوف بهما اي في ان يطوف بهما اصله يتطوف قلبت التاء طاء فادغمت الطاء في الطاء وفي ايراد صيغة
التفعل ايذان بان من حق الطايف ان يتكلف في الطواف ويبذل فيه جهده وهذا الطواف واجب
عندنا وعند مالك والشافعي رحمهما الله انه ركن وايراده بعدم الجناح المشعر بالتخيير لانه كان
في عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة اخر اسمه نايلة وكانوا اذا سعوا بينهما
تمسحوا بهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوع

ويعضده

ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان
او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف وخيرا نصب على انه صفة لمصدر محذوف
اي تطوعا خيرا او على حذف الجار وايصال الفعل اليه او على تضمين معنى فعل وقرئ يطوع واصله
يتطوع وقرئ ومن يتطوع بخير فان الله شاكر اي مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة في الاحسان
الى العباد عليم مبالغ في العلم بالاشيا فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم شيا
وهو علة لجواب الشرط قايم مقامه كانه قيل ومن تطوع خيرا جازاه الله واثابه فان الله شاكر
عليم ان الذين يكتمون قيل نزلت في احبار اليهود الذين كتموا ما في التورية من نعوت النبي صلى الله
عليه وسلم وغير ذلك من الاحكام وعن ابن عباس ومجاهد وقتاده والحسن والسدي والربيع والاصم
انها نزلت في اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقيل نزلت في كل من كتم شيا من احكام الدين لعموم الحكم
للكل والاقرب هو الاول فان عموم الحكم لا يابى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشيء قصدا
مع مساس الحاجة اليه وتحقق الداعي الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرد ستره واخفايه وقد يكون
بمجرد ستره واخفايه وقد يكون بازالته ووضع شيء اخر في موضعه وهو الذي فعله هؤلاء ما انزلنا
من البينات من الايات الواضحة الدالة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى اي والايات
الهادية الى كنه امره ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة
للاصل وهي المرادة بالبينات ايضا والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات
الخ وقيل المراد بالهدى الادلة العقلية وياباه الانزال والكتم من بعد ما بيناه للناس متعلق بيكتمون
والمراد بالناس الكل لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيناه وكذا الظرف في قوله تع في الكتاب
فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى لا ريب في جوازه او الاخير متعلق بمحذوف وقع
حالا من مفعوله اي كاينا في الكتاب وتبيينه لهم تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد منهم من غير ان
يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بينا في نفسه وهدى مؤكد لقبح الكتم او تفهيمه لهم
بواسطة موسى عليه السلام والاول انسب بقوله تع في الكتاب والمراد بكتمه ازالته ووضع
غيره في موضعه فانهم محوا نعته عليه الصلاة والسلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير
قوله تع فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم الخ اولئك اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار
بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي امرهم وبعد منزلتهم في الفساد يلعنهم
الله اي يطردهم ويبعدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة باظهار الذات الجامع للصفات لتربية المهابة
وادخال الروعة والاشعار بان مبدا صدور اللعن عنه سبحانه صفة الجلال المغايرة لما هو مبدا
الانزال والتبيين من وصف الجمال والرحمة ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن اي الدعاء
عليهم باللعن من الملايكة ومؤمني الثقلين والمراد بيان دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء
المتصل في قوله تع الا الذين تابوا اي عن الكتمان واصلحوا اي ما افسدوا بان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا
مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف وبينوا للناس معاينة فانه غير الاصلاح المذكور او بينوا لهم
ما وقع منهم اولا واخرا فانه ادخل في ارشاد الناس الى الحق وصرفهم عن طريق الضلال الذي كانوا

أو صومهم فيه أو بينوا توبتهم ليمحوا به سمة ما كانوا فيه ويقتدي بهم أضرابهم وحيث كانت هذه التوبة
المقرونة بالإصلاح والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالإيمان وقوله تعالى فأولئك
إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للإشعار بعليته للحكم والفاء لتأكيد ذلك أتوب
عليهم أي بالقبول وإفاضة المغفرة والرحمة وقوله وأنا التواب الرحيم أي المبالغ في قبول
التوب ونشر الرحمة اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله والالتفات إلى التكلم للافتنان في النظم
الكريم مع ما فيه من التلويح والرمز إلى ما مر من اختلاف المبدأ في فعليه تعالى السابق واللاحق إن
الذين كفروا جملة مستأنفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتأكيد دوامه واستمراره
على غير التائبين حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبة
والإصلاح والتبيين مبني على ما أشير إليه فكما أن وجود تلك الأمور الثلاثة مستلزم للإيمان
الموجب لعدم الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعا أي إن الذين استمروا على الكفر المستتبع
للكتمان وعدم التوبة وماتوا وهم كفار لا يرعوون عن حالتهم الأولى أولئك الكلام كما فيما قبله
أي مستقر عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين من يعتد بلعنهم وهذا بيان لدوامها الثبوتي
بعد بيان دوامها التجددي وقيل الأول لعنهم أحياء وهذا لعنهم أمواتا وقرئ والملائكة والناس
أجمعون عطفا على محل اسم الله لأنه فاعل في المعنى كقولك أعجبني ضرب زيد وعمرو تريد من أن
ضرب زيد وعمرو وكأنه قيل أولئك عليهم أن لعنهم الله والملائكة الخ وقيل هو فاعل لفعل مقدر أي
ويلعنهم الملائكة خالدين فيها أي في اللعنة أو في النار على أنها أضمرت من غير ذكر تفخيما لشأنها
وتهويلا لأمرها لا يخفف عنهم العذاب إما مستأنف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف إثر بيان
كثرته من حيث الكم أو حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل أو من الضمير في عليهم على طريقة
الترادف ولا هم ينظرون عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وإيثار الجملة الاسمية لإفادة دوام
النفي واستمراره أي لا يمهلون ولا يؤجلون أو لا ينتظرون ليعتذروا أو لا ينظر إليهم نظر رحمة
وإلهكم خطاب عام لكافة الناس أي المستحق منكم للعبادة إله واحد أي فرد في الإلهية لا صحة لتسمية
غيره إلها أصلا لا إله إلا هو خبر ثان للمبتدأ أو صفة أخرى للخبر أو اعتراض وأياما كان فهو مقرر
للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم أن في الوجود إلها لكن لا يستحق العبادة الرحمن الرحيم خبران آخران
للمبتدأ أو لمبتدأ محذوف وهو تقرير للتوحيد فإنه تعالى حيث كان موليا لجميع النعم أصولها وفروعها
جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا إليه في وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته تحققت
وحدانيته بلا ريب وانحصر استحقاق العبادة فيه تعالى قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة
ثلاثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الآية تعجبوا وقالوا إن كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك
فنزلت إن في خلق السموات والأرض أي في إبداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدائع
صنائع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور من أنها طبقات متخالفة الحقائق دون
الأرض واختلاف الليل والنهار أي في تعاقبهما وكون كل منهما خلفا للآخر كقوله تعالى وهو الذي جعل
الليل والنهار خلفة أو اختلاف كل منهما في أنفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره الله تعالى والفلك التي

تجري في البحر عطف على ما قبله وتأنيثه إما بتأويل السفينة أو بأنه جمع فإن ضمة الجمع مغايرة لضمة
الواحد في التقدير إذ الأولى كما في حمر والثانية كما في قفل وقرئ بضم اللام بما ينفع الناس أي
بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من أنواع المنافع أو بنفعهم وما أنزل الله من السماء من ماء عطف على الفلك
وتأخيره عن ذكرها مع كونه أعم منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل وقيل المقصود الاستدلال
بالبحر وأحواله وتخصيص الفلك بالذكر لأنه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدم
على ذكر المطر والسحاب لأن منشأهما البحر في غالب الأمر ومن الأولى ابتدائية والثانية بيانية
أو تبعيضية وأياما كان فتأخيرها لما مر مرارا من التشويق والمراد بالسماء الفلك أو السحاب
أو جهة العلو فأحيا به الأرض بأنواع النبات والأزهار وما عليها من الأشجار بعد موتها باستيلاء
اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها كما يؤذن به إيراد الموت في مقابلة الإحياء وبث فيها أي فرق
ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة على أنزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله
تعالى فأحيا الخ متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شيء واحد كأنه قيل وما أنزل في الأرض من ماء وبث
فيها الخ أو على أحيا بحذف الجار والمجرور العائد إلى الموصول وإن لم يتحقق الشرائط المعهودة كما في قوله
وإن لساني شهدة يشتفى بها * ولكن على من صبه الله علقم * أي علقم عليه وقوله لعل الذي أصعدتني أن يردني
إلى الأرض إن لم يقدر لي الخير قادره * على معنى فأحيا بالماء الأرض وبث فيها من كل دابة فإنهم ينمون بالخصب
ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح عطف على ما أنزل أي تقليبها من مهب إلى آخر ومن حال إلى أخرى
وقرئ على الإفراد والسحاب عطف على تصريف أو الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة سمي بذلك لانسحابه
في الجو المسخر بين السماء والأرض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما في قوله
تعالى سحابا ثقالا ومعنى تسخيره تقليبه في الجو بواسطة الرياح حسبما تقتضيه مشيئة الله تعالى ولعل تأخير
تصريف الرياح وتسخير السحاب في الذكر عن جريان الفلك وإنزال الماء مع انعكاس الترتيب الخارجي لما
مر في قصة البقرة من الإشعار باستقلال كل من الأمور المعدودة في كونها آية ولو روعي الترتيب الخارجي
لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض آية واحدة لآيات اسم إن دخلته اللام لتأخره عن خبرها
والتنكير للتفخيم كما وكيفا أي آيات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة
الواسعة المقتضية لاختصاص الألوهية به سبحانه لقوم يعقلون أي يتفكرون فيها وينظرون إليها
بعيون العقول وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم آية تصدقه في قوله
تعالى وإلهكم إله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول وإلا فمن تأمل في تلك الآيات وجد كلا منها ناطقة
بوجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى بها عن سائرها
فإن كل واحد من الأمور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة دون ما عداه مستتبعا
لآثار معينة وأحكام مخصوصة من غير أن تقتضي ذاته وجوده فضلا عن وجوده على نمط معين مستتبع
لحكم مستقل فإذا لا بد له حتما من موجود قادر حكيم يوجده حسبما تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيئته
متعال عن معارضة الغير إذ لو كان معه آخر يقدر على ما يقدر عليه لزم إما اجتماع المؤثرين على أثر واحد
أو التمانع المؤدي إلى فساد العالم ومن الناس من يتخذ من دون الله بيان لكمال ركاكة آراء المشركين إثر تقرير

وحدانيته سبحانه وتع وحرّر الآيات الباهرة الملجئة للعقلاء إلى الاعتراف بها القاضية باستحالة أن
يشاركه شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة في صفة الألوهية والكلام في
إعرابه كما فصل في قوله تع ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الخ ومن دون الله متعلق بيتخذ
أي من الناس من يتخذ من دون الله ذلك الإله الواحد الذي ذكرت شؤونه الجليلة وإيثار الاسم الجليل
لتعيينه تع بالذات غب تعيينه بالصفات أندادا أي أمثالا وهي رؤساؤهم الذين يتبعونهم فيما يأتون
وما يذرون لا سيما في الأوامر والنواهي كما يفصح عنه ما سيأتي من وصفهم بالتبرؤ من المتبعين وقيل
هي الأصنام وإرجاع ضمير العقلاء إليها في قوله تع يحبونهم مبني على آرائهم الباطلة في شأنها من
وصفهم بما لا يوصف به إلا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب
لأنه أصابها ورسخ فيها والفعل منهما حب على حد مد لكن الاستعمال المستفيض في أحب فهو محب
وذاك محبوب ومحب قليل وحاب أقل منه ومحبة العبد لله سبحانه إرادة طاعته في أوامره ونواهيه
والاعتناء بتحصيل مراضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حيز النصب إما صفة للأنداد
أو حال من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن إفراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر
تشبيهي أي نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق ومن قضيته كونه مبنيا للفاعل كونه أيضا كذلك
والظاهر اتحاد فاعلهما فإنهم كانوا يقرون به تع أيضا ويتقربون إليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا كحبهم
لله تع أي يسوون بينه تع وبينهم في الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب المذكور هم المؤمنون
فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين له تع فلا بد من اعتبار المشابهة بينهما في أصل الحب لا في وصفه كما
أو كيفا لما سيأتي من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبني للمفعول أي كما يحب الله تع ويعظم وإنما
استغني عن ذكر من يحبه لأنه غير ملتبس وأنت خبير بأنه لا مشابهة بين محبوبيتهم لأندادهم وبين محبوبيته
تع فالصحيح ما أسلفناه في تفسير قوله عز وجل كما سئل موسى من قبل وإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار
لتربية المهابة وتفخيم المضاف وإبانة كمال قبح ما ارتكبوه والذين آمنوا أشد حبا لله جملة مبتدأة جيء
بها توطئة لما يعقبها من بيان رثاثة حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف أي المؤمنون
أشد حبا لله تع منهم لأندادهم ومآله أن حب أولئك له تع أشد من حب هؤلاء لأندادهم وفيه من الدلالة
كون الحب مصدرا من المبني للفاعل ما لا يخفى وإنما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تع لما أن المقصود بيان انقطاع
أو انقلابه بغضا وذلك إنما يتصور في حبهم لأندادهم لكونه منوطا بمبادئ فاسدة ومبادئ موهومة
يزول بزوالها قيل ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد إلى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنما
أياما فإذا وجدوا آخر رفضوه إليه وقد أكلت باهلة إلهها عام المجاعة وكان من حيس وأنت خبير
بأن مدار ذلك اعتبار اختلال حبهم لها في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الآخرة عند ظهور
حقيقة الحال ومعاينة الأهوال كما سيأتي بل اعتباره مخل بما يقتضيه مقام المبالغة في بيان كمال
قبح ما ارتكبوه وغاية عظم ما اقترفوه وإيثار الإظهار في موضع الإضمار لتفخيم الحب والإشعار بعليته
ولو يرى الذين ظلموا أي باتخاذ الأنداد ووضعها موضع المعبود إذ يرون العذاب المعد لهم يوم القيامة أي
لو علموا إذ عاينوه وإنما أوثر صيغة المستقبل لجريانها مجرى الماضي في الدلالة على التحقق في أخبار علام الغيوب

إن القوة

أن القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وأن الله شديد العذاب عطف عليه وفائدته المبالغة
في تهويل الخطب وتفظيع الأمر فإن اختصاص القوة به تع لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع
القدرة عليه وجواب لو محذوف للإيذان بخروجه عن دائرة البيان إما لعدم الإحاطة بكنهه وإما
لضيق العبارة عنه وإما لإيجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر أو المستمع من الضجر والتفجع عليه أي
لو علموا إذ رأوا العذاب قد حل بهم ولم ينقذهم منه أحد من أندادهم أن القوة لله جميعا ولا دخل
لأحد في شيء أصلا لوقعوا من الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى بالتاء الفوقانية
على أن الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب فالجواب لرأيت أمرا
لا يوصف من الهول والفظاعة وقرئ إذ يرون على البناء للمفعول وإن الله شديد العذاب على الاستئناف
أو إضمار القول إذ تبرأ الذين اتبعوا بدل من إذ يرون أي إذ تبرأ الرؤساء من الذين اتبعوا من الأتباع
بيان لاعترافهم ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم إليه من فنون الكفر والضلال واعتزالهم
عن مخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول إبليس إني كفرت بما أشركتمون من قبل وقرئ بالعكس أي تبرأ
الأتباع من الرؤساء والواو في قوله عز وجل ورأوا العذاب حالية وقد مضمرة وقيل عاطفة على
تبرأ والضمير في رأوا للموصولين جميعا وتقطعت بهم الأسباب والوصل التي كانت بينهم من التبعية
والمتبوعية والاتفاق على الملة الزائغة والأغراض الداعية إلى ذلك وأصل السبب الحبل الذي يرتقى
به الشجر ونحوه والجملة معطوفة على تبرأ وتوسيط الحال بينهما للتنبيه على علة التبري وقد
جوز عطفها على الجملة الحالية وقال الذين اتبعوا حين عاينوا تبرؤ الرؤساء منهم وندموا على ما فعلوا
من اتباعهم لهم في الدنيا لو أن لنا كرة أي ليت لنا رجعة إلى الدنيا فنتبرأ منهم هنالك كما تبرؤوا منا اليوم
كذلك إشارة إلى مصدر الفعل الذي بعده لا إلى شيء آخر مفهوم مما سبق وما فيه من معنى البعد للإيذان
بعلو درجة المشار إليه وبعد منزلته مع كمال تميزه مما عداه وانتظامه في سلك الأمور المشاهدة
والكاف مقحمة لتأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة ومحله النصب على المصدرية أي ذلك
الإراء الفظيع يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم أي ندامات شديدة فإن الحسرة شدة الندم والكمد
وهي تألم القلب وانحساره عما يؤلمه واشتقاقها من قولهم بعير حسير أي منقطع القوة وهي ثالث
مفاعيل يرى إن كان من رؤية القلب وإلا فهي حال والمعنى أن أعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون
إلا الحسرات مكان أعمالهم وما هم بخارجين من النار كلام مستأنف لبيان حالهم بعد دخولهم النار
والأصل وما يخرجون والعدول إلى الاسمية لإفادة دوام نفي الخروج والضمير للدلالة على قوة
أمرهم فيما أسند إليهم كما في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة وأجرد سباق يبذ المغالبا
يا أيها الناس كلوا مما في الأرض أي بعض ما فيها من أصناف المأكولات التي من جملتها ما حرموه
افتراء على الله من الحرث والأنعام قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في قوم من ثقيف وبني عامر
بن صعصعة وخزاعة وبني مدلج حرموا على أنفسهم ما حرموا من الحرث والبحائر والسوائب
والوصائل والحام وقوله تع حلالا حال من الموصول أي كلوه حال كونه حلالا أو مفعول لكلوا
على أن من ابتدائية وقد جوز كونه صفة لمصدر مؤكد أي أكلا حلالا ويؤيد الأولين قوله تع طيبا

فانه صفة له ووصف الاكل به غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموا على انفسهم رفيع
الاطعمة والملابس وردّه قوله عز وجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا بها في اتباع الهوى
فانه صريح في ان الخطاب للكفرة كيف لا وتحريم الحلال على نفسه تزهدا ليس من باب اتباع خطوات
الشيطان فضلا عن كونه تقولا وافتراء على الله تع وانما الذي نزل فيهم ما في سورة المائدة من قوله
تع يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية وقرئ خطوات بسكون الطاء وهما
لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمته كانها على الواو
وبفتحتين على انها جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين تعليل للنهي اي ظاهر العداوة
عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الولاية لمن يغويه ولذلك سمي وليا في قوله تع اولياؤهم الطاغوت
انما يامركم بالسوء والفحشاء استيناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وافساده وانحصار
معاملته معهم في ذلك والسوء في الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا احزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت
من اعمال الجوارح وافعال القلوب لاشتراك كلها في انها تسوء صاحبها والفحشاء اقبح انواعها واعظمها
مساءة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون عطف على الفحشاء اي وبان تفتروا على الله تع بانه حرم هذا وذاك
ومعنى ما لا تعلمون ما لا تعلمون ان الله تع امر به وتعليق امره بتقولهم على الله تع ما لا يعلمون وقوعه
منه تع لا بتقولهم عليه ما يعلمون عدم وقوعه منه تع مع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر فان التحذير من
الاول مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني في المنع وجه واكده وللايذان بان
العاقل يجب عليه ان لا يقول على الله ما لا يعلم وقوعه منه تع مع الاحتمال فضلا عن ان يقول عليه
ما يعلم عدم وقوعه منه قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادى
اليه ظنه فمستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم لصرف الخطاب عنهم
وتوجيهه الى العقلاء وتفصيل مساوي احوالهم لهم على نهج المباثة اي اذا قيل لهم على وجه النصيحة والارشاد
اتبعوا كتاب الله الذي انزله قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اي وجدناهم عليه ابا على ان
الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من اباءنا والفينا متعد الى واحد واما على انه مفعول ثان له مقدم
على الاول نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبينات
الباهرة فجنحوا للتقليد والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو
ذلك واما باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا
واعلم فعلى هذا يعم ما انزل الله تع التورية لانها ايضا تدعوا الى الاسلام وقوله عز وجل اولو كان
اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون استيناف سيق من جهته تع ردا لمقالتهم الحمقاء وابطالا
لارائهم والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والتعجب منه لا لانكار الوقوع كالتي في قوله تع اولو كنا
كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه
فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق

بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال من الاحوال المقارنة له على الاجمال
بادخالها في ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه
من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك
لا يذكر معه شيء من ساير الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها
المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو
العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها
لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في
قولك فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك
ولا تهنه ولو اهانك لبقاية على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ من ورود الانكار عليه
لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد
بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في حيز لو
على ما هو عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه
المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وان
الجملة حال مما يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وان المقصود الاصلي انكار مدلوله
باعتبار مقارنته للحالة المذكورة واما انكار مقارنته لغيرها فللتوسيع الداير وان ما في حيز لو لا يقصد
استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر محقق الا انه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين
في معتقدهم لئلا ينبوا من التصريح بنسبة ابائهم الى كمال الجهالة والضلال لحد التمرد فيركبوا متن العناد
ومبالغة في الانكار من جهة ان اتباعهم لابائهم حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون ابائهم كما
ذكر احتمالا بعيدا فلان يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى والتقدير ايتبعون ذلك لو لم يكن اباؤهم على طريقة
قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كانه قيل ايتبعون دين ابائهم حال كونهم عاقلين وعاملين
ضالين انكارا لما افاده كلامهم من الاتباع في اي حالة كانت من الحالتين غير انه اكتفى بذكر الحالة
الثانية تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وتعويلا في مضابها للحالة الاولى امضاء بينا فان اتباعهم
الذي يتعلق به الانكار حين تحقق مع كون ابائهم جاهلين ضالين فلان يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين
اولى وان قلت الانكار المستفاد من الاستفهام الانكاري بمنزلة النفي ولا ريب في ان الاولوية
في صورة النفي معتبرة بالنسبة الى النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند
الحالة المسكوت عنها اعني عدم الغنى هو عدم الاعطا لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق
فيما ذكر من مثال النهي عند الحاجة المسكوت عنها اعني عدم الغنى هو عدم الاعطا وهي حالة كون ابائهم
عاقلين ومهتدين انكار الاتباع لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه ايتبعون الخ فلم اختلف الحال بينهما
قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطا
المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل المقدر اذ هو الذي
يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم بل نتبع الخ واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكار ما يفيده

٤ او استقباح ما يقتضيه لانه من تمامه كما في صورة النفي وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع
ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النفي كما سياتي تحقيقه في قوله تع اولو كانا كارهين وقيل الواو حالية
ولكن التحقيق ان المعنى يدور على معنى العطف في ساير اللغات ايضا ومثل الذين كفروا جملة ابتدائية
واردة لتقرير ما قبلها بطريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة ما قبله عليه ووضع الموصول
موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضماير السابقة لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعلة
ما اثبت لهم من الحكم والتقدير ومثل ذلك القايل وحاله العجيبة لغرابتها بان يتمثل وتسير في الافاق
فيما ذكر من دعوته اياهم الى اتباع الحق وعدم رغبتهم اليه راسا لانهماكهم في التقليد واخلادهم
الى ما هم عليه من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي الا الدعا من غير ان يلقوا اذهانهم الى
ما يلقي عليهم كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء من البهايم فانها لا تسمع الا صوت الراعي وهتفه
بها من غير فهم لكلامه اصلا وقيل انما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه فانها
عبارة عنه مشعرة مع ما في حيز الصلة بما هو مدار التمثيل اي مثل الذين كفروا فيما ذكر من اتباعهم ايام
فيه وعدم التدبر فيما التي اليهم من الايات كمثل بهايم الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه الا جرس النغمة
ودوي الصوت وقيل المراد تمثيلهم في دعايهم الاصنام بالناعق في نعقه وهي تصويته على البهايم
وهذا يغني عن الاضمار لكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام بمعزل من ذلك قد عرفت
ان حسن التمثيل فيما يشابه افراد الطرفين صم بكم عمي بالرفع على الذم اي هم صم الخ فهم لا يعقلون
شيئا لان طريق التعقل هو التدبر في مبادي الامور المعقولة والتامل في ترتيبها وذلك انما يحصل باستماع
ايات الله تع ومشاهدة حججه الواضحة والمفاوضة مع من يوخذ منه العلوم فاذا كانوا صما بكما عميا
فقد انسد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم اي
من مستلذاته واشكروا الله الذي رزقكموها والالتفات لتربية المهابة ان كنتم اياه تعبدون فان
عبادته تع لا تتم الا بالشكر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اني والانس والجن في نبا
عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر انما حرم عليكم الميتة اي اكلها او الانتفاع بها وهي التي ماتت
على غير ذكوة والسمك والجراد خارجان عنها بالعرف او باستثناء الشرع خروج الطحال من الدم والدم
ولحم الخنزير انما خص لحمه مع ان ساير اجزايه ايضا في حكمه لانه معظم ما يوكل من الحيوان وساير اجزايه
بمنزلة التابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله روية
الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان
كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر اخر ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي
ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد رحمهما الله
تع فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة ان قيل كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر
وكم من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار
كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشيا ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
المشتمل على فنون الاحكام التي من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكرنا انفا وعن ابن عباس

رضي الله

رضي الله عنهما نزلت في رؤسا اليهود حين كتموا نعت النبي صلى الله عليه وسلم ويشترون به اي ياخذون
بدله ثمنا قليلا عوضا حقيرا وقد مر سر التعبير عن ذلك بالثمن الذي هو وسيلة في عقود المعاوضة
وقوله تع اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الوصفين الشنيعين
المميزين لهم عمن عداهم اكمل تمييز الجاعلين اياهم بحيث كانهم حضار مشاهدون وفي ما هم عليه وما فيه
من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدا خبره قوله تع ما ياكلون في
بطونهم الا النار والجملة خبر لان او اسم الاشارة مبتدا ثان او بدل من الاول والخبر ما ياكلون الخ ومعنى
اكلهم النار انهم ياكلون النار في الحال ما يستتبع النار ويستلزمها فكانه عين النار واكله اكلها كقوله
اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر او ياكلون في يوم القيمة عين النار عقوبة
على اكلهم الرشي في الدنيا وفي بطونهم متعلق بياكلون وفايدته تاكيد الاكل والتعريض بمقرر الماكول
وقيل معناه ملا بطونهم كما في قولهم اكل في بطنه واكل في بعض بطنه ومنه كلوا في بعض بطنكم تعفوا فلا
بد من الالتجاء الى تعليقه بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقدمه على حرف الاستثناء الا ان تعليقه
بياكلون يودي الى قصر ما ياكلونه الى الشبع في النار والمقصود قصر ما ياكلونه مطلقا عليها ولا يكلمهم الله يوم
القيمة عبارة عن غضبه العظيم وتعريض بحرمانهم ما اتيح للمومنين من فنون الكرامات السنية والزلفى
ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم مع ما ذكر عذاب اليم مولم اولئك اشارة الى ما اشير اليه بنظيره بالاعتبار الذي
خاتمة الابع ما يتلوه من اخواتهم القطيعة اذ لا دخل لها في الحكم الذي يراد اثباته هاهنا فان العقول
تصوير ما باشروه من المعاملة بصورة قبيحة تنفر منها الطباع ولا يتعاطاها عاقل اصلا ببيان حقيقة
ما نبذوه واظهار كنه ما اخذوه وابدا نظاعة بتعاته وهو مبتدا خبره الموصول اي اولئك المشترون
بكتاب الله تع ثمنا قليلا ليسوا بمشترين للثمن وان قل بل هم الذين اشتروا بالنسبة الى الدنيا الضلالة
التي ليست مما يمكن ان يشترى قطعا بالهدى الذي ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شي وان جل والعذاب اي
اشتروا بالنظر الى الاخرة والعذاب الذي لا يتوهم كونه مما يشترى بالمغفرة التي يتنافس فيها المتنافسون
فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم الهايلة التي هي ملابستهم بما يوجب النار ايجابا قطعيا كانه عينها
وما عند سيبويه نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتدا وتخصصها كتخصص شر في شر اهر ذا ناب
خبر ما ما بعدها اي شي ما عظيم جعلهم صابرين في النار وعند الفرا استفهامية وما بعدها
خبرها اي اي شي اصبرهم في النار وقيل هي موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف
اي الذي اصبرهم في النار او شي اصبرهم على النار امر عجيب فظيع ذلك العذاب بان الله نزل
الكتاب اي جنس الكتاب بالحق اي ملتبسا به فلا جرم يكون من رفضه بالتكذيب والكتمان وركب متن
الجهل والغواية مبتلي بمثل هذا من افانين العذاب وان الذين اختلفوا في الكتاب اي في جنس الكتاب الالهي
بان امنوا ببعض كتب الله تع وكفروا ببعضها او في التورية بان امنوا ببعض اياتها وكفروا ببعض كالايات
المغيرة المشتملة على امر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الكريمة فمعنى الاختلاف التخلف عن طريق
الحق والاختلاف في تاويلها او في القرآن بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير
كما يحكى عن المفسرين لفي شقاق بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب ليس البر ان تولوا

وجوههم قبل المشرق والمغرب البر اسم جامع للمراضي الخصال والخطاب لأهل الكتابين فإنهم كانوا أكثروا
الخوض في أمر القبلة حين حولت إلى الكعبة وكان كل فريق يدعي خيرية التوجه إلى قبلته من القطرين المذكورين
وتقديم المشرق على المغرب مع تأخر زمان الملة النصرانية إما لرعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتيب
الشروق والغروب وإما لأن توجه اليهود إلى المغرب ليس لكونه مغربا بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة
واقعا في جانب الغرب فقيل لهم ليس البر ما ذكرتم من التوجه إلى تلك الجهتين على أن البر خبر ليس مقدم على
اسمها كما في قوله على أن جهلت الناس عني وعنهم فليس سواء عالم وجهول وقوله أليس عظيما أن تلم ملمة
وليس علينا في الخطوب معول وإنما اختير ذلك لما أن المصدر المؤول أعرف من المحلى باللام لأنه يشبه الضمير
من حيث أنه لا يوصف ولا يوصف به والأعرف أحق بالاسمية ولأن في الاسم طولا فلو روعي الترتيب المعهود
لفات تجاوب أطراف النظم الكريم وقرئ برفع البر على أنه اسمها وهو أقوى بحسب المعنى لأن كل فريق يدعي
أن البر هذا فيجب أن يكون الرد موافقا لدعواهم وما ذاك إلا بكون البر اسما كما يفصح عنه جعله مخبرا عنه في
الاستدراك بقوله عز وجل ولكن البر من آمن بالله وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لخصال
البر مما لا يختلف باختلاف الشرائع وما يختلف باختلافها أي ولكن البر المعهود الذي يحق أن يهتم بشأنه ويجد
في تحصيله بر من آمن بالله وحده إيمانا بريئا من شائبة الإشراك لا كإيمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم
عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله واليوم الآخر أي على ما هو عليه لا كما يزعمون من أن النار لا تمسهم إلا
أياما معدودة وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم ففيه تعريض بأن إيمان أهل الكتابين حيث لم يكن كما ذكر من
الوجه الصحيح لم يكن إيمانا وفي تعليق البر بهما من أول الأمر عقيب نفيه عن التوجه إلى المشرق والمغرب
من الجزالة ما لا يخفى كأنه قيل ولكن البر هو التوجه إلى المبدأ والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة
والملائكة أي وآمن بهم وبأنهم عباد مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين أنبيائه بإلقاء الوحي وإنزال الكتب
والكتاب أي بجنس الكتاب الذي من أفراده الفرقان الذي نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت
النبي صلى الله عليه وسلم واشترائهم بما أنزل الله تعالى ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفرقة بين أحد منهم كما فعل
أهل الكتاب بين حملة الوحي وبين النبيين وأخر وسيأتي في قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
وآتى المال على حبه حال من الضمير في آتى والضمير المجرور للمال أي آتاه كائنا على حب المال كما في قوله صلى الله
عليه وسلم حين سئل أي الصدقة أفضل أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح وقول ابن مسعود رضي الله عنه أن تؤتيه
وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل
الضمير لله تعالى أي آتاه كائنا على محبته تعالى لا على ضد الشر والفناء ففيه نوع تعريض لباذلي الرشى وآخذيها
لتغيير التوراة وقيل للمصدر أي كائنا على حب الإيتاء ذوي القربى مفعول أول لآتى قدم عليه مفعوله الثاني
أعني المال للاهتمام به أو لأن في الثاني مع ما عطف عليه طولا لو روعي الترتيب لفات تجاوب الأطراف في
الكلام وهو الذي اقتضى تقديم الحال أيضا وقيل هو المفعول الثاني واليتامى أي المحاويج منهم على ما يدل
عليه الحال وتقديم ذوي القربى عليهم لما أن إيتاءهم صدقة وصلة والمساكين جمع مسكين وهو الدائم السكون
لما أن الخلة أسكنته بحيث لا حراك به أو دائم السكون إلى الناس وابن السبيل أي المسافر سمي به لملازمته إياه
كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف والسائلين الذين ألجأتهم الحاجة والضرورة إلى السؤال قال عليه السلام

أعطوا السائل ولو جاء على فرس وفي الرقاب أي وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم
وقيل في فك الأسارى وقيل في ابتياع الرقاب وإعتاقها وأيا ما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح لكونهم
كالذين من قبلهم إما للإيذان بعدم قرار ملكهم فيما أوتوا كما في الوجهين الأولين أو بعدم ثبوته رأسا كما في
الوجه الأخير وإما للإشعار بعدم ثبوتهم في الاستحقاق والحاجة لما أن في الطريقة المنبئة عن تخليهم [illegible]
وأقام الصلاة أي المفروضة منها وآتى الزكاة أي المفروضة على أن المراد من إيتاء المال التنفل بالصدقات
قدم على الفريضة مبالغة في الحث عليه والمراد بهما المفروضة والأول لبيان المصارف والثاني لبيان
وجوب الأداء والموفون بعهدهم عطف على من آمن فإنه في قوة أن يقال ومن أوفوا بعهدهم وإيثار صيغة
الفاعل للدلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما من العهود الجارية
فيما بين الناس وقوله تعالى إذا عاهدوا للإيذان بعدم كونه من ضروريات الدين والصابرين نصب
على الاختصاص غير سبكه عما قبله تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته وهو في الحقيقة معطوف على ما قبله قال
أبو علي إذا ذكرت صفات للمدح أو الذم وخولف في بعضها الإعراب فقد خولف للافتنان ويسمى ذلك
قطعا لأن تغيير المألوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشأنه كما مر في صدر
السورة وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفين في البأساء أي في الفقر والشدة والضراء أي المرض
والزمانة وحين البأس أي وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب وزيادة الحين للإشعار بوقوعه
أحيانا وسرعة انقضائه أولئك إشارة إلى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجميلة المعدودة وما فيه
من معنى البعد لما مر مرارا من التنبيه على علو طبقتهم وسمو رتبتهم الذين صدقوا أي في الدين واتباع الحق
وتحري البر حيث لم تغيرهم الأحوال ولم تزلزلهم الأهوال وأولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل وتكرير
الإشارة لزيادة تنويه شأنهم وتوسيط الضمير للإشارة إلى انحصار التقوى فيهم والآية الكريمة كما ترى
حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا أو تلويحا لما أنها مع كثرة فنونها وتشعب شجونها منحصرة في
خلال ثلث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب النفس وقد أشير إلى الأولى بالإيمان بما
فصل وإلى الثانية بإيتاء المال وإلى الثالثة بإقامة الصلاة الخ ولذلك وصف الحائزون لها بالصدق نظرا
إلى إيمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا لمعاشرتهم مع الخلق وإليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه
الآية فقد استكمل الإيمان يا أيها الذين آمنوا شروع في بيان بعض الأحكام الشرعية على وجه التلافي لما فرط من المخلين
بما ذكر من أصول الدين وقواعده التي عليها بني أساس المعاش والمعاد كتب عليكم أي فرض وألزم عند مطالبة
صاحب الحق فلا يقدح فيه قدرة الولي على العفو فإن الوجوب إنما اعتبر بالنسبة إلى الحكام أو القاتلين
القصاص في القتلى أي بسبب قتلهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم أن امرأة دخلت النار في هرة ربطتها
أي بسبب ربطها الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى كان في الجاهلية بين حيين من أحياء العرب دماء وكان لأحدهما
طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى فلما جاء الإسلام تحاكموا إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فنزلت فأمرهم أن يتباوؤوا وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي أيضا
لأن اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رأيت الوجه
ههنا وإنما يتمسك في ذلك هو ومالك رحمه الله تعالى بما روي عن علي رضي الله عنه أن رجلا قتل عبده فجلده رسول

الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يعده وبما روي عنه رضي الله عنه أنه قال من السنة أن لا يقتل
مسلم بذي عهد ولا حر بعبد وبأن أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين أظهر الصحابة
من غير نكير وبالقياس على الأطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد لقوله تعالى أن النفس بالنفس فإن شريعة من قبلنا
إذا قصت علينا من غير دلالة على نسخها فالعمل بها واجب على أنها شريعة لنا ولأن القصاص يعتمد المساواة
في العصمة وهي بالدين أو بالدار وهما سيان فيهما وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القصاص فمن عفي له
من أخيه شيء من العفو لا عفا لازم وفائدته الإشعار بأن بعض العفو بمنزلة كله في إسقاط القصاص
وهو الواقع أيضا في العادة إذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الأولياء فهو شيء من العفو وقيل معنى عفي ترك
وشيء مفعول به وهو ضعيف إذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه أعفاه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال
ديار عفاها جور كل معاند وقوله عفاه كل حنان كثير الوبل هطال ليكون المعنى فمن محي له من أخيه شيء
صرف للعبارة المتداولة في الكتاب والسنة عن معناها المشهور المعهود إلى ما ليس بمعهود فيهما وفي
استعمال الناس فإنهم لا يستعملون العفو في باب الجنايات إلا فيما ذكر من قبل وعفا يعدى بعن إلى الجاني
والذنب قال تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فإذا عدي إلى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى
كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة أخيه يعني ولي الدم وإيراده بعنوان الأخوة الثابتة بينهما بحكم
كونهما من بني آدم عليه السلام لتحريك سلسلة الرقة والعطف عليه فاتباع بالمعروف فالأمر اتباع أو فليكن
اتباع والمراد وصية العافي بالمسامحة ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعنيف وقوله عز وجل وأداء
إليه بإحسان حث للمعفو عنه على أن يؤديها بإحسان من غير مماطلة وبخس ذلك أي ما ذكر من الحكم تخفيف من
ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية
وخيرت هذه الأمة بين الثلث تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل فمن اعتدى بعد ذلك
بأن قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم أو قتل القاتل بعد العفو وأخذ الدية فله باعتدائه عذاب أليم
إما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق وأما في الآخرة فبالنار ولكم في القصاص حياة بيان
لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا تنال غايته حيث جعل الشيء محلا لضده وعرف القصاص
ونكر الحياة ليدل على أن في هذا الجنس نوعا من الحياة عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لأن العلم به
يردع القاتل والجماعة بالواحد عن القتل فيتسبب لحياة نفسين ولأنهم كانوا يقتلون غير القاتل
والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فإذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحياتهم
وعلى الأول فيه إضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحياة هي الأخروية فإن القاتل إذا اقتص
منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة والظرفان إما خبران لحياة أو أحدهما خبر والآخر صلة له أو
حال من المستكن فيه وقرئ في القصص أي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة أو في القرآن حياة للقلوب
يا أولي الألباب أي ذوي العقول الخالصة عن شوب الأوهام خوطبوا بذلك بعد ما خوطبوا بعنوان
الإيمان تنشيطا لهم إلى التأمل في حكمة القصاص لعلكم تتقون أي تعرفون أنفسكم من المساهلة في أمره والإهمال
في المحافظة عليه والحكم به والإذعان له أو من القصاص فتكفوا عن القتل المؤدي إليه كتب عليكم بيان
لحكم آخر من الأحكام المذكورة إذا حضر أحدكم الموت أي حضر أسبابه وظهر أماراته أو دنا نفسه من حضوره

وتقديم

وتقديم المفعول لإفادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها إن ترك خيرا أي مالا
وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه أن مولى له أراد أن يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال
قال الله تعالى إن ترك خيرا وإن هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة رضي الله عنها أن رجلا أراد
الوصية وله عيال وأربعمائة دينار فقالت ما أرى فيه فضلا وأراد آخر أن يوصي فسألته كم مالك
فقال ثلاثة آلاف درهم قالت كم عيالك قال أربعة قالت إنما قال الله تعالى إن ترك خيرا وإن هذا الشيء
يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والأقربين مرفوع بكتب لخروجها بينهما لما مر مرارا ولإيثار تذكير
الفعل مع جواز تأنيثه أيضا للفصل أو على تأويل أن يوصي أو الإيصاء ولذلك ذكر الضمير في قوله تعالى فمن
بدله بعد ما سمعه وإذا ظرف محض والعامل فيه كتب لكن لا من حيث صدوره عنه تعالى بل
من حيث تعلقه بهم تعلقا فعليا مستتبعا لوجوب الأداء كما ينبئ عنه البناء للمفعول وكلمة الإيجاب
ولا مساغ لجعل العامل هو الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط
بإضمار الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بأنه إن صح فمن ضرورة الشعر ومعنى كتب فرض
وكان هذا الحكم في بدء الإسلام ثم نسخ عند نزول آية المواريث بقوله عليه السلام إن الله تعالى أعطى
كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث فإنه وإن كان من أخبار الآحاد لكن حيث تلقته الأمة بالقبول
انتظم في سلك المتواتر في صلاحيته للنسخ عند أئمتنا على أن التحقيق أن الناسخ حقيقة هي آية المواريث
وإنما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان أنه تعالى كان قد كتب عليكم أن تؤدوا إلى الوالدين والأقربين
حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبيين لمراتب استحقاقهم ولا تعيين لمقادير أنصبائهم بل فوض ذلك
إلى آرائكم حيث قال بالمعروف أي بالعدل فالآن تدرع ذلك الحكم عنكم وتولى تبيين طبقات استحقاق
كل أحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات وأعطى كل ذي حق منهم حقه الذي يستحقه بحكم القرابة
من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة شيئا فيه مدخل لرأيكم أصلا حسبما يعرب عنه الجملة المنفية بلا
النافية للجنس وتصديرها بكلمة التنبيه إذا تحققت هذا ظهر لك أن ما قيل من أن آية المواريث
لا تعارضه بل تحققه وتؤكده من حيث إنها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد
وتلقي الأمة إياها بالقبول لا يلحقه بالتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما أوصى به الله
عز وجل من توريث الوالدين والأقربين بقوله تعالى يوصيكم الله أو بإيصاء المحتضر لهم بتوفير ما
أوصى به الله تعالى عليهم بمعزل المواريث بيانا للأنصباء بلفظ الإيصاء فهم منها بتنبيه النبي صلى الله
عليه وسلم أن المراد منه الوصية التي كانت واجبة كأنه قيل إن الله تعالى أوصى بنفسه تلك الوصية
ولم يفوضها إليكم فقام الميراث مقام الوصية وكان هذا معنى النسخ لا أن فيها دلالة على رفع ذلك
الحكم فإن مدلول آية الوصية حيث كان تفويضا للأمر إلى آراء المكلفين على الإطلاق وتنحية الحرج
عن عهدة التكليف بأداء ما أدى إليه آراؤهم بالمعروف فيكون آية المواريث الناطقة بمراتب الاستحقاق
وتفاصيل مقادير الحقوق القاطعة بامتناع الزيادة والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة له قطعا
لحكمها مما لا اشتباه فيه لأحد وقوله تعالى حقا على المتقين مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا فمن بدله أي
غيره من الأوصياء والشهود بعد ما سمعه أي بعد ما وصل إليه وتحقق لديه فإنما إثمه أي إثم الإيصاء

الغير او اثم التبديل على الذين يبدلونه لانهم خانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع الموصول
موضع الضمير الراجع الى من لتاكيد الايذان بعلته بما في حيز الصلة الاولى وايثار الجمع للاشعار
بتعدد المبدلين انواعا او كثرتهم افرادا والايذان بشمول الاثم لجميع الافراد ان الله سميع عليم
وعيد شديد للمبدلين فمن خاف من موص اي توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقرئ
من موص جنفا اي ميلا بالخطاء في الوصية او اثما اي تعمدا للحيف فاصلح اي بين الموصى لهم باجرائهم
على منهاج الشريعة الشريفة فلا اثم عليه اي في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى الحق بخلاف
الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم
يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام بيان لحكم آخر من الاحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار مزيد
الاعتناء به والصيام والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله اني نذرت
للرحمن صوما الآية وقيل الامساك عن الشيء مطلقا ومنه صام الريح اي امسكت عن الهبوب
والفرس اي امسكت عن العدو وقال خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجما
وفي الشريعة هو الامساك نهارا مع النية عن المفطرات المعهودة التي هي معظم ما تشتهيه الانفس
كما كتب في حيز النصب على انه نعت للمصدر المؤكد اي كتابا كائنا كما كتب او على انه حال
من المصدر المعرفة اي كتب عليكم الصيام الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين مصدرية او على انه
نعت لمصدر من لفظ الصيام اي صوما مماثلا للصوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه
حال من الصيام اي حال كونه مماثلا لما كتب على الذين من قبلكم من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن
آدم عليه السلام وفيه تاكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين به فان الشاق اذا عم
سهل عمله والمراد بالمماثلة في اصل الوجوب واما في الوقت والمقدار كما روي ان صوم رمضان
كان مكتوبا على اليهود والنصارى اما اليهود فقد تركت وصامت يوما من السنة زعموا انه يوم
غرق فرعون وكذبوا في ذلك فانه كان يوم عاشوراء واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى
صادفوا حرا شديدا فاجتمعت آراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصيف والشتاء فجعلوه في
الربيع وزادوا عليه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض ملكهم او وقع فيهم موتان
فزادوا عشرة ايام فصار خمسين لعلكم تتقون اي المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها
كما قال عليه الصلاة والسلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او تتقون الاخلال باداءه لاصالته
او تصلون بذلك الى رتبة التقوى اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل
المال يعد عدا والكثير يهيل هيلا والمراد بها اما رمضان او ما وجب في بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم
عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر وانتصابه ليس بالصيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما باجنبي بل بمضمر
دل هو عليه اعني صوموا اما على الظرفية او المفعولية اتساعا بقوله تعالى كتب على احد الوجهين وقيل
ان الايام ليست محلا له بل للمكتوب فلا يتحقق الظرفية ولا المفعولية المتفرعة عليها اتساعا فمن كان
منكم مريضا اي مرضا يضره الصوم او يعسر معه او على سفر مستمرين عليه وفيه تلويح ورمز
الى ان من سافر في اثناء اليوم لم يفطر فعدة اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان

بحذف

بحذف الشرط والمضاف ثقة بالظهور وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل
الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي الله عنه وعلى
الذين يطيقونه اي وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية اي اعطاء فدية هي طعام مسكين
وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق ومد عند اهل الحجاز وكان ذلك في بدء
الاسلام لما انه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين له فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار
والفدية وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه ويتطوقونه ويطوقونه بادغام التاء في
الطاء ويطيقونه ويتطيقونه واصلها يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفعيل من الطوق
فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تديّر المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما
نحو معنى يطيقون والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز
وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه
اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو اي
التطوع والخير الذي تطوعه خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملوا على
انفسكم وتجهدوا طاقتكم او المرخصون في الافطار من المرضى والمسافرين خير لكم من
الفدية او من تطوع الخير او منهما او من التاخير الى ايام اخر والالتفات الى الخطاب للحث
والتنشيط ان كنتم تعلمون اي ما في صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة والجواب
محذوف ثقة بظهوره اي اخترتموه او سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل التدبر علمتم
ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر لمبتدأ محذوف اي ذلكم شهر رمضان
او بدل من الصيام على حذف المضاف اي صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا
او على انه مفعول تصوموا او بدل من ايام معدودات ورمضان مصدر رمض اي احترق
من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما او منع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل
ابن داية للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان الحديث وارد على حذف المضاف للامن
من الالتباس وانما سمي بذلك اما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش او لارتماض الذنوب بالصيام
فيه او لوقوعه في ايام رمض الحر عند نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذي انزل فيه القرآن
خبر المبتدأ على الوجه الاول وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى انزاله فيه انه ابتدئ
انزاله فيه وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض حسبما
يقتضيه المشيئة الربانية او نزل في شانه القرآن وهو قوله عز وجل كتب عليكم وعن النبي صلى الله
عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين منه والانجيل
لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان حالان من القرآن اي انزل
حال كونه هداية للناس بما فيه من الاعجاز وغيره وآيات واضحة مرشدة الى الحق فارقة بينه
وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر اي حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع
الظاهر موضع الضمير للتعظيم والمبالغة في البيان والفاء للتفريع والترتيب او لتضمن المبتدأ

معنى الشرط او زائدة في تقدير كون شهر رمضان مبتدأ والموصول صفة له وهذه الجملة خبر اله وقيل هي جزائيه كانه قيل لما كتب عليكم الصيام في ذلك الشهر فمن حضر فيه فليصمه اي فليصم فيه بخلاف الجار وايصال الفعل الى المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اي صلوتها فيكون ما بعده مخصصا له كانه قيل ومن كان مريضا وان كان حاضرا فيه مقيما او على سفر وان كان مقيما فعدة من ايام اخر اي فعليه صيام ايام اخر لما ان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بهذا الترخيص بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لغاية رأفته وسعة رحمته ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل الفعل محذوف يدل عليه ما سبق اي ولهذه الامور شرع ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله تع لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضا ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ويجوز ان تكون معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر اي يريد بكم لتكملوا الخ كقوله تع يريدون ليطفئوا الخ والمعنى بالتكبير تعظيمه تع بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدرية والموصولة اي على هدايتكم اياكم او على الذي هداكم اليه وقرئ ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادي عني في تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى من تشريفه ودفع محله فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للداعي بالاجابة فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وليؤمنوا بي امر بالثبات على ما هم عليه لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد اي الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها ولما امرهم الله تع بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الكريمة الدالة على انه تع خبير باحوالهم سميع باقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم شرع في بيان احكام الصيام فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخيرة او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء والانهاء وايثاره هنا لاستقباح ما ارتكبوه ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث وتقديم الظرف على القائم مقام الفاعل للاهتمام مرارا من التشوق بان ما حقه التقدم اذا اخر بقي النفس مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن

هن لباس لكم وانتم لباس لهن استيناف آخر مبين لسبب الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة الملابسة بهن وجعل كل من الرجل والمرأة لباسا للآخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما على الآخر بالليل قال اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم استيناف آخر مبين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب فتاب عليكم عطف على علم اي تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم اي محا اثره عنكم فالآن لما نسخ التحريم باشروهن المباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني بها عن الجماع الذي يستلزمها وفيه دليل على جواز نسخ الكتاب للسنة وابتغوا ما كتب الله لكم اي واطلبوا ما قدره في اللوح من الولد وفيه ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وقيل فيه نهي عن العزل وقيل عن غير المأتي والتقدير وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله تع من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي من انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود وطفقوا ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتأخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على جواز تأخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لآخر وقته ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد اي معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد غير مختص ببعض وان الوطء فيه حرام ومفسد له لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام المذكورة حدود وضعها الله تعالى لعباده فلا تقربوها فضلا عن تجاوزها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة في النهي عن تخطيها كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يوقع فيه ويجوز ان يراد بحدود الله تع محارمه ومناهيه كذلك اي مثل ذلك التبيين البليغ يبين الله آياته الدالة على الاحكام التي شرعها للناس لعلهم يتقون مخالفة اوامره ونواهيه ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل نهي عن اكل بعضهم اموال بعض على خلاف حكم الله عز وجل بعد النهي عن اكل اموال انفسهم في نهار رمضان اي يأكل بعضكم مال بعضكم بالوجه الذي لم يبحه الله تع وبين نصب على الظرفيه والحالية من اموالكم وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي عنه او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام عطف لتأكلوا بالتحاكم اليهم فريقا من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة او متلبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعاصي مع العلم

بما اتقى روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ولم يكن بينة فحكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ عليه عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله
وايمانهم ثمنا قليلا الاية فارتدع عن اليمين فسلم الارض الى عبدان فنزلت وروي انه اختصم اليه
خصمان فقال عليه السلام انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض
فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا
فقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا نوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه
يسألونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقال ما بال الهلال يبدو دقيقا
كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج كانوا قد سألوه
عليه السلام عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله العزيز الحكيم ان يجيبهم
بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس في عباداتهم لا سيما الحج فان الوقت يعرف
فيه اداء وقضاء وكذي في معاملاتهم على حسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت
والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبداها الى منتهاها
والزمان مدة مقسومة الى الماضي والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر
بان تاتوا البيوت من ظهورها كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما
يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءها ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر فقيل
ولكن البر من اتقى اي بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سئلوا عن
الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت للحج ذكر عقيبه ما هو من افعالهم في الحج استطرادا او انهم
لما سئلوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه السلام مبعوث لبيان الشرايع لا لبيان
حقايق الاشياء وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب ما سئلوا
عنه تنبيها على ان اللايق بهم ان يسئلوا عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او اريد به التنبيه على
تعكيسهم في السؤال وكونه من قبيل دخول البيت من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا
في مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجتري على مثله وأتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول
بر او باشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه او في جميع اموركم امر بذلك
صريحا بعد بيان ان البر من اتقى اظهارا للزيادة اعتناء بشان التقوى وتمهيدا لقوله تع
لعلكم تفلحون اي لكي تظفروا بالبر والهدى وقاتلوا في سبيل الله اي جاهدوا لاعزاز دينه واعلاء
كلمته وتقديم الظرف على المفعول الصريح لابراز كمال العناية بشان المقدم الذين يقاتلونكم
قيل كان ذلك قبل ما امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والحاجزين وقيل معناه الذين
يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء
والكفرة جميعا فان الكل بصدد قتال المسلمين ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله تع
ثلثة ايام فرجع لعمرة القضا فخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا

ذلك فنزلت وبعنده ايراده في اثناء بيان احكام الحج ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد
والمفاجاة به من غير دعوة او بالمثلة وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجري
مجراهم ان الله لا يحب المعتدين اي لا يريد بهم الخير وهو تعليل للنهي واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث
وجدتموهم من حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما او عملا وفيه معنى الغلبة
ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث
اخرجوكم اي من مكة وقد فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها والفتنة اشد من القتل
اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وبقاء الم
النفس بها وقيل شركهم في الحرم وصدهم لكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام اي لا تفاتحوهم بالقتل هناك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم
فاقتلوهم فيه ولا تبالوا بقتالهم ثمة لانهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا اشد العذاب وفي
العدول عن صيغة المفاعلة التي بها ورد النهي والشرط عدة بالنصر والغلبة وقري ولا
تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد
كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا بغيرهم فان انتهوا عن القتال والكفر بعد ما راوا
قتالكم فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله
خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا بعد مقاتلتكم عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين
فلا تعتدوا عليهم اذ لا يحسن الظلم الا من ظالم فلا تعتدوا عليهم فوضع العلة موضع الحكم وتسمية
الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه وانكم ان تعرضتم
للمنتهين صرتم ظالمين وتنعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام
بالشهر الحرام قاتلهم المشركين عام الحديبية في ذي القعدة ايضا وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر
الحرام بذاك الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص اي كل حرمة وهي ما يجب
المحافظة عليه يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا
عليهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال تع فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة
مقررة لما قبلها واتقوا الله في شان الانتصار واحذروا ان تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان
الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شؤونهم بالنصر والتمكين وانفقوا في سبيل الله امر بالجهاد بالمال بعد
الامر به بالنفس اي ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش
او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روي
عن ابي ايوب الانصاري رضي الله تع عنه انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا
واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك
سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وتعديته بالى لتضمنه معنى الانتهاء
والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة وهي والهلك والهلاك واحد
اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها

فان النفي لا يكون ... عنها
وقد يكون السابق على الاسمال
فيه الاعتداء ... على الاقامة

فحذف المفعول واحسنوا اي اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا في الفقراء ان الله يحب المحسنين اي يريد
بهم الخير وقوله تع واتموا الحج والعمرة بيانٌ لوجوب اتمام افعالها عند التصدي لادائهما وارشاد
للناس الى تدارك ما عسي يعتريهم من العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما
في انفسهما من الوجوب وعدمه كما في قوله تع ثم اتموا الصيام الى الليل فانه بيانٌ لوجوب
مد الصيام الى الليل من غير تعرض لوجوب اصله وانما هو بقوله تع كتب عليكم الصيام الاية
كما ان وجوب الحج بقوله تع ولله على الناس حج البيت الاية فان الامر باتمام فعل من الافعال
ليس امرا باصله ولا مستلزما له اصلاً فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعا وادعا ان الامر
باتمامها امر بانشائهما تامين كاملين حسبما يقتضيه قراة واقيموا الحج والعمرة وان الامر للوجوب
ما لم يدل على خلافه دليل مما لا سداد له ضرورة ان ليس البيان مقصورا على افعال الحج المفروض
حتى يتصور ذلك بل الحق ان تلك القراة ايضا محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب اقامة افعالها
كما ينبغي من غير تعرض لحالها في انفسهما فالمعنى اكملوا اركانهما وشرائطهما وساير افعالها المعروفة
شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم بشيء منها هذا وقد قيل اتمامها ان تحرم بهما من
دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله تع عنهم وقيل ان تفرد
لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل ان تجعل نفقتهما
حلالا وقيل ان تخلصوها للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من الاغراض الدنيوية واياما كان
فلا تعرض في الاية الكريمة لوجوب العمرة اصلا واما ما روي من ان ابن عباس رضي الله عنهما
ان العمرة لقرينة الحج وقول عمر رضي الله عنه هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت
الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما وفي رواية فاهللت بهما جميعا فبمعزل من افادة الوجوب
مع كونه معارضا بما روي عن جابر انه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان
تعتمر فهو خير لك وبقوله عليه الصلوة والسلام الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر فان احصرتم
اي منعتم من الحج يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه من المضي لوجهه مثل
صده واصده والمراد منع العدو عند مالك والشافعي رحمهما الله تع لقوله عز وجل
فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنهما لا حصر الا حصر العدو
وكل منع من عدو او مرض او عجز عند ابي حنيفة رحمه الله تع لما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي اي فعليكم او فالواجب
ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان المحرم اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي
تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر وعندنا يبعث به الى الحرم ويجعل
للمبعوث بيده يوم امار فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تع ولا تحلقوا رؤسكم حتى
يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان ينحر
فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصروا
في ذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل قلنا كان نحره

عليه السلام طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من
مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ من
الهدي جمع هدية كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا محوجا الى الحلق او به اذي من
راسه كجراحة او قمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية
واما قدرها فقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال
نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق
ثلثة اصع فاذا امنتم اي الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي فمن انتفع بالتقرب
الى الله تع بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة
محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي اي فعليه دم استيسر عليه بسبب التمتع
وهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه عند الشافعي وعندنا كالاضحية فمن لم يجد
اي الهدي فصيام ثلاثة ايام في الحج اي في اشهره بين الاحرامين وقال الشافعي في ايام الاشتغال
باعماله بعد الاحرام وقيل التحلل والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح
يوم النحر وايام التشريق وسبعة اذا رجعتم اي نفرتم وفرغتم من اعماله وفي احد قولي الشافعي
في ايام الاشتغال باعماله بعد الاحرام وقبل التحلل والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة اذا رجعتم
الى اهليكم وقرئ وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها
ان لا يتوهم ان الواو بمعنى كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا
فان اكثر العرب لا يعرف الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد او مبنية المخصوص دون الكثرة
كما يراد بها ذلك ايضا كاملة صفة موكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد او مبنية
لكمال العشرة فانها اول عدد كامل اذ به ينتهي الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدلها
من الهدي ذلك اشارة الى التمتع عندنا والى الحكم المذكور عند الشافعي لمن لم يكن اهله حاضري المسجد
الحرام ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا واهل الحل عند طاوس وغير اهل مكة عند مالك
واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه لا سيما في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي
يصدكم العلم به عن العصيان واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة
الحج اي وقته اشهر معلومات معروفات بين الناس هي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا
وتسعة بليلة النحر عند الشافعي وكله عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه
او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي
الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهران وبعض شهر اشهرا
اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر في غير العقلا يجيء بالالف
والتاء فمن فرض فيهن الحج اي اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن او بالتلبية او بسوق الهدي فلا رفث ولا فسوق
اي لا جماع او فلا فحش من الكلام ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات وقيل بالسباب والتنابز

وهو من كان من الحرم [illegible]

بالالقاب ولا جدال اي لا مراء مع الخدم والرفقة في الحج اي في ايامه والاظهار في مقام الاضمار
لاظهار كمال الاعتنا بشانه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة البيت المعظم والتقرب بها الى الله عز
وجل من موجبات ترك الامور المذكورة وايثار النفي للمبالغة في النهي والدلالة على انها حقيق
بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا في نفسه ففي تضاعيف الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب
بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ الاولان بالرفع على معنى
لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا
كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة
وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجزي به خير جزا وهو حث على فعل الخير اثر النهي عن الشر وتزودوا فان
خير الزاد التقوى اي تزودوا للمعاد كالتقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون
ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام
في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب استشعار خشية الله عز وجل
وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بذلك هو الله تع فيتبرءوا من كل شي سواه وهو مقتضى
العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص بهذا الخطاب اولوا الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا
اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه اي الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة
وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها ايام مواسم الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا
منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم منها بكثرة من افضت الما اذا صببته بكثرة واصله افضتم
انفسكم فحذف المفعول حذفه من دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون
وكسر وفيه علمية وتانيث لما ان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين ولذلك يجمع مع اللام
وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث
اما بالتا المذكورة وهي ليست تا التانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او
مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تابى تقديرها لانها كالبدل منها لاختصاصها
بالمؤنث كتا بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او
لان جبريل عليه السلام كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال عرفت او لان آدم وحوا التقيا
فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه
دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها لقوله تع ثم افيضوا او قد
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة ادرك الحج او مقدمة للذكر المامور
به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل
بصلوة العشائين عند المشعر الحرام هو جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي
محسر ويؤيد الاول ما روي جابر رضي الله عنه انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس
ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه
معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه فانه افضل والا

فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم اي كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم
هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله من قبل ما ذكر من هدايته
اياكم لمن الضالين غير العالمين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل هي نافية
واللام بمعنى الا كما في قوله عز وجل وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة
لا من المزدلفة والخطاب لقريش لما كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم
فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم
وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بكسر السين
اي الناسي يراد به آدم عليه السلام من قوله تع فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة اليها شرع
قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ان الله غفور رحيم يغفر ذنب
المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار او للامر به فاذا قضيتم مناسككم عباداتكم المتعلقة بالحج
وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم اي فاكثروا ذكره تع وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر ابائكم وفا خ كم
وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر ابائهم ومحاسن
ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعله ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا
كائنا مثل ذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد منكم
ذكرا او منصوب بالعطف على ابائكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اباءكم فمن الناس تفصيل للذاكرين
الى من لا يطلب بذكر الله تع الا الدنيا والى من يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والانتظام
في سلك الاخرين من يقول تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب بذكر الله تع الا الدنيا والى من لا يطلب
به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والانتظام في سلك الاخرين اي في ذكره ربنا اتنا
في الدنيا اي اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة وما له في الاخرة من خلاق اي من حظ ونصيب
لاقتصار همه على الدنيا فهو بيان لحاله في الاخرة او من طلب خلاق فهو بيان لحاله في الدنيا وتاكيد
لقصر دعائه على المطالب الدنيوية ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة هي الصحة والكفاف
والتوفيق للخير وفي الاخرة حسنة هي الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة
وروي عن علي كرم الله وجهه ان الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحورا وعذاب
النار امراة السو وعن الحسن ان الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار
معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار اولئك اشارة الى الفريق الثاني
باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشارة
الى علو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وقيل اليهما معا فالتنوين في قوله تع لهم نصيب
مما كسبوا على الاول للتعظيم وعلى الثاني للتنويع اي لكل منهم نوع نصيب من جنس ما كسبوا
او من اجله كقوله تع مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه وتسمية الدعا
كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة
فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا شانه قدرته او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس

فبادروا الي الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله اي كبروه في اعقاب الصلوات وعند
ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام معدودات هي ايام التشريق فمن تعجل اي استعجل في النفر
او النفر فان التفعل والاستفعال يجيآن لازمين ومتعدين يقال تعجل في الامر واستعجل
فيه وتعجله واستعجله والاول اوفق للتاخر كما في قوله تد يدرك المتاني بعض حاجته وقد يكون
من المستعجل الزلل في يومين اي في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم الروس والنفر اليوم
بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار فلا اثم عليه بتعجله ومن تاخر حتي رمي في اليوم الثالث قبل
الزوال او بعده وعند الشافعي بعده فقط فلا اثم عليه بما وضع من التاخر والمراد التخيير
بين التعجل والتاخر ولا يقدح فيه افضلية الثاني وانما ورد بنفي الاثم تصريحا بالرد علي اهل
الجاهلية حيث كانوا مختلفين فمن مؤثم للمتعجل ومؤثم للمتاخر لمن اتقي خبر لمبتدا محذوف اي
الذي ذكر من التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر او من الاحكام لمن اتقي لانه الحاج علي
الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتي لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم بفعل
الواجب وترك المحظورات ليعبابكم وتنتظموا في سلك المغتنمين بالاحكام المذكورة والرخص
واحذروا الاخلال بما ذكر من الاحكام وهو الانسب بقوله عز وجل واعلموا انكم اليه
تحشرون اي للجزاء علي اعمالكم بعد الاحياء والبعث واصل الحشر الجمع وضم المتفرق وهو
تاكيد للامر بالتقوي وموجب للامتثال فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من
اقوي الدواعي الي ملازمة التقوي ومن الناس من يعجبك قوله تجريد للخطاب وتوجيه
له عليه السلام وهو كلام مبتدا سيق لبيان تحزب الناس في شان التقوي الي حزبين وتعيين
مآل كل منهما ومن موصولة او موصوفة واعرابه كما بين في قوله تع ومن الناس من يقول
آمنا بالله وباليوم الاخر اي ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه في نفسك لما تشاهد
فيه من ملامة الفحوي ولطف الاداء والتعجب حيرة تعرض بسبب عدم الشعور بسبب التعجب
منه في الحيوة الدنيا ومعناها فانها الذي يريده بما يدعيه من الايمان ومحبة الرسول
صلي الله عليه وسلم وفيه اشارة الي انه نوع اخر لهذه الصفة او بيعجبك اي يعجبك قوله
في الدنيا بحلاوته وفصاحته لا في الاخرة لما انه يظهر هنالك لذابه وقبحه وقيل لما يرهقه
من الحبسة واللكنة وانت خبير بانه لا مبالغة في سورة حال الديان ما له بيان حسن كلامه
في الدنيا وقبحه في الاخرة وقيل معني في الحيوة الدنيا مدة الحيوة الدنيا اي لا يصدر منه
فيها الا القول الحسن ويشهد الله علي ما في قلبه اي بحسب ادعائه حيث يقول الله يعلم ان
قلبي موافق لما في لساني وهو عطف علي يعجبك وقري ويشهد الله فالمراد بما في قلبه ما فيه
حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنه والله يشهد علي ما في قلبه علي ان كلمة علي لكون
المشهود به مضرا له فالجملة اعتراضية وقري ويستشهد الله وهو الد الخصام اي شديد العداوة
والخصومة للمسلمين علي ان الخصام مصدر واضافة الالد اليه بمعني في كقولهم ثبت الغدر او اشد
الخصوم لهم خصومة علي انه جمع خصم كصعب وصعاب قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي

وكان

وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام والمحبة وقيل
في المنافقين والجملة حال من الضمير المجرور في قوله او من المستكن في يشهد وعطف علي ما قبلها
علي القراءتين المتوسطتين واذا تولي اي من مجلسك وقيل اذا صار واليا سعي في الارض ليفسد
فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف حيث بيتهم واحرق زروعهم واهلك
مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتي يمنع الله تعالي بشومه القطر
فيهلك الحرث والنسل وقري ويهلك الحرث والنسل علي اسناد الهلاك اليهما عطفا علي سعي
وقري بفتح اللام وهي لغة وقري علي البناء للمفعول من الاهلاك والله لا يحب الفساد اي يرتضيه
ويبغضه ويغضب علي من يتعاطاه وهو اعتراض تذييلي واذا قيل له علي نهج العظة والنصيحة
اتق الله واترك ما باشره من الفساد او النفاق واحذر سوء مغبته اخذته العزة بالاثم
اي حملته الانفة وحمية الجاهلية علي الاثم الذي نهي عنه لجاجا وعنادا من قولك
اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم مبتدا وخبر اي كافيه جهنم
فاعل لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر بمعني الفاعل وقوي لاعتماده علي الفاء الرابط
للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اي كفت جهنم ولبئس المهاد جواب قسم مقدر
والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعينه والمهاد الفراش وقيل موطا للجنب والجملة
اعتراض ومن الناس من يشري نفسه مبتدا وخبر كما مر اي يبيعها ببذلها في الجهاد وميثاق
الطاعات وتعريضها للمهالك في الحروب او يامر بالمعروف وينهي عن المنكر وان ترتب عليه
القتل ابتغاء مرضات الله اي طلبا لرضاه وهذا حال التقوي فاراده قسيما الاول من
حيث ان ذلك يانف من الامر بالتقوي وهذا يامر بذلك وان ادي الي الهلاك وقيل نزلت
في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير ان كنت معكم
لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه له فاتي المدينة
فيشري بمعني يشتري لجريان الحال علي صورة الشري والله رؤف بالعباد ولذلك يكلفهم
التقوي ويعرضهم للثواب والجملة اعتراض تذييلي يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم
اي الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام وقري بفتح السين وهي لغة فيه وبفتح السين
ايضا وقوله تع كافة حال من الضمير في ادخلوا او من السلم او منهما معا كما في قوله خرجت
بها تمشي نجر وراءنا علي اثرينا ذيل مرط مرحل وهي في الاصل اسم للجماعة تكف مخالفيهم
استعملت في معني جميعا والتاء ليست للتانيث حتي يحتاج الي جعل السلم مؤنثا مثل الحرب
كما في قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله السلم تاخذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من انفاسها جرع وانما هي للنقل كما في عامة وخاصة وقاطبة والمعني
استسلموا الله تع واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام
بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض احكام
دينهم القديم بعد اسلامهم او في شرايع الله تع كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب

لاهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان اما على طريقة التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام واحكامها كلها فلا يخلوا بشيء والخطاب للمسلمين وانما خوطب به اهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان اما على طريقة ما يعم التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا يخلوا بشيء والخطاب للمسلمين وانما خوطب به اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصح الا بما كفروه الآن ايذانا بان ما يدعونه لا يتم بدونه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق او بمخالفة ما امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة او مظهر لها وهو تعليل للنهي او الانتهاء فان زللتم اي عن الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهي لغة فيه من بعد ما جاءتكم الآيات البينات والحجج القطعية الدالة على حقية الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يترك ما يقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المستعصين على اوامره هل ينظرون استفهام انكاري في معنى النفي اي ما ينظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه الا ان يأتيهم الله في اي امره وبأسه او يأتيهم الله بامره وبأسه فحذف المأتي به لدلالة الحال عليه والالتفات الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف على طريقة المثالية وايرادا لانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها مترقبون لوقوعها في ظلل جمع ظلة كقلل جمع قلة وهي ما اظلك وقرئ في ظلال كقلال في جمع قلة من الغمام اي السحاب الابيض وانما تأتيهم العذاب فيه لما انه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع واقطع للمطامع فان اتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف باتيانه من حيث يرجى منه الخير والملائكة عطف على الاسم الجليل اي ويأتيهم الملائكة فانهم وسائط في اتيان امره تعالى بل هم الآتون ببأسه على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الآتي اولا من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه عادة واما الملائكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اي اتم امر اهلاكهم وقرئ قضي وهو عطف على يأتيهم داخل في حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضي دلالة على تحققه فكانه قد كان او جملة مستأنفة جيء بها انباء عن وقوع مضمونها وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله لا الى غيره ترجع الامور بالتأنيث على البناء للمفعول من الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتأنيث من الرجوع سل بني اسرائيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولكل احد من اهل الخطاب والمراد بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقرير لمجيء البينات كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة على ايدي الانبياء عليهم الصلوة والسلام وآية ناطقة بحقيقة الاسلام المأمور بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها ومن يبدل نعمة الله التي هي آياته الباهرة فانها سبب للهدى الذي هو اجل النعم

وتبديلها

وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس او تحريفها وتأويلها الزايغ من بعد ما جاءته وصلت اليه وتمكن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصور قبل المجيء للاشعار بانهم تبدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها كما في قوله عز وجل ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وانما حذف الايقان بعدم الحاجة الى التصريح به لظهوره فان الله شديد العقاب تعليل للجواب قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه اشد عقوبة فانه شديد العقاب واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروع زين للذين كفروا الحيوة الدنيا اي حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مسندا الى الله سبحانه كما يعرب عنه القراءة على البناء للفاعل اذ ما من شيء الا وهو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في الدنيا من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين عطف على زين وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على استمرار السخرية منهم وهم فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب كانوا يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا السخرية مبتدئة منهم والذين اتقوا هم الذين آمنوا بعينهم وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة عنه فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل سافلين او لانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض الذل والمهانة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للدلالة على دوام مضمونها والله يرزق من يشاء اي في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة والابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين آدم وادريس او نوح عليهم السلام او بعد الطوفان فبعث الله النبيين اي فاختلفوا فبعث الخ وهي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وقد حذف لدلالة ما يذكر عقيبه مبشرين ومنذرين عن كعب الذي علمته من عدد الانبياء عليهم السلام مائة الف واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن ثمانية وعشرون وقيل كان الناس امة واحدة متفقة على الكفر والضلال في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول انسب بالنظم الكريم وانزل معهم الكتاب اي جنس الكتاب او مع كل واحد منهم ممن له كتاب كتابه الخاص به لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير العائد اليه بمعونة المقام بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق او متعلق بانزل كقوله عز وعلا وبالحق انزلناه وبالحق نزل ليحكم اي الكتاب او الله سبحانه وتعالى او كل واحد من النبيين بين الناس اي المذكورين والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه اي في الحق او في الكتاب المنزل ملتبسا به والواو

حالية الا الذين أوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق والتعبير عن
الانزال بالايتاء للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما في تضاعيفه من
الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفائدة اي عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف
سببا لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات اي رسخت في عقولهم ومن متعلقة
بمحذوف يدل عليه الكلام اي فاختلفوا وما اختلف الخ وقيل بالملفوظ بناء على عدم منع الا عن ذلك
كما في قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلقت به من اي اختلفوا بغيا
وتهالكا على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا بالكتاب لما اختلفوا فيه اي للحق الذي اختلف فيه
من اختلف من الحق بيان لما وفي ابهامه اولا وتفسيره ثانيا ما لا يخفى من التفخيم باذنه بامره
ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم موصل الى الحق وهو اعتراض مقرر لمضمون ما سبق
ام حسبتم خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات على
المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء عليهم
الصلوة والسلام وتدبيرهم فيه مآل اختلافهم ومآل الانبياء ومن معهم من قبلهم من مكابدة
الشدائد ومقاساة الهموم وان عاقبة امرهم النصر وام منقطعة والهمزة فيها للانكار
والاستبعاد اي بل حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم من الانبياء ومن
معهم من المؤمنين اي والحال انه لم يأتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة
التي هي مثل في الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر مستهم استئناف وقع جوابا عما ينساق
اليه الذهن كأنه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم البأساء اي الشدة من الخوف والفاقة والضراء
اي الآلام والامراض وزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا شديدا بما دهمهم من الاهوال والافزاع
حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه اي انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر
الى ان يقول الرسول وهو اعلم الناس بشؤون الله تع واوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون
بآثاره المستضيئون بانواره متى نصر الله طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة والعناء
وقرئ يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية
النهايات النائية كيف لا مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا
المبلغ من العجز والضجر علم ان الامر بلغ الى غاية لا مطمح وراءها الا ان نصر الله قريب على تقدير
القول اي فقيل لهم حينئذ اسعافا لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزماني وفي ايثار الجملة الاسمية على
الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد من الدلالة على تحقق مضمونها
وتقرره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد بالنصر لما انها في حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون حكاية النفس النصر مع تحققه للايذان بعدم الحاجة
الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون هذا واردا من جهته تع عند الحكاية على نهج الاعتراض
لا واردا عند وقوع المحكي وفيه رمز الى ان الوصول الى الجناب القدسي لا يتأتى الا برفض اللذات
ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات

يسألونك

يسألونك ماذا ينفقون اي من اصناف اموالهم قل ما انفقتم من خير اما شرطية واما موصولة
حذف العائد اليها اي ما انفقتموه من خير اي خير كان ففيه تجويز الانفاق من جميع انواع الاموال
وبيان في السؤال الا انه جعل من جملة ما في حيز الشرط والصلة وابرز في معرض بيان المصرف
حيث قيل فللوالدين والاقربين للايذان بان الاهم بيان المصارف المعدودة لان الاعتداد
بالانفاق بحسب وقوعه في موقعه وعن ابن عباس رضي الله تع عنهما انه جاء عمرو بن الجموح وهو
شيخ هم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت واليتامى
اي المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفاء بما ذكر
في المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تع وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل
خير واقع في اي مصرف كان فان الله به عليم فيوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة
لينسخ به كما نقل عن السدي كتب عليكم القتال بني الفعل للمفعول ورفع القتال اي قتال
الكفرة وقرئ بنائه للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرئ كتب عليكم القتل اي
قتل الكفرة والواو في قوله تع وهو كره لكم حالية اي والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره
مصدر وصف به المفعول مبالغة او بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح
على انه بمعنى المضموم كالضعف والضعف او على انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه
لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوه من
الامور الشاقة التي من جملتها القتال فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية
دالة على ان في القتال خيرا لهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما كلفوه من الامور
المستلذة وهو معطوف على ما قبله لا محل لها من الاعراب والله يعلم ما هو خير لكم فلذلك امركم
به وانتم لا تعلمون اي لا تعلمونه ولذلك تكرهونه او والله يعلم ما هو خير وشر لكم وانتم لا تعلمونه
فلا تتبعوا في ذلك رايكم وامتثلوا بامره تع يسألونك عن الشهر الحرام روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر
بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا
اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه
من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر
فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير وعظم ذلك على اصحاب
السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى
وعن ابن عباس رضي الله تع عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى
يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام على ان قوله عز وجل قتال فيه بدل
الاشتمال من الشهر الحرام وتنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع في
الشهر الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك لم يقل يسألونك عن القتال في الشهر الحرام وقرئ
عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تع للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرئ قتل فيه قل

في جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب بقل وانما جاز وقوع قتال مبتدأ مع كونه نكرة لتخصيصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف وقع صفة له اي قتال كائن فيه واما بالعمل ان تعلق به وانما اوثر التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا بان المراد مطلق القتال الواقع فيه اي قتال كان عن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت والاكثر على انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية وصد عن سبيل الله مبتدأ قد تخصص بالعمل فيما بعده اي ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله عز وجل وكفر به عطف على صد داخل فيما بعده مثله اي وكفر بالله تعالى وحيث كان الصد عن سبيل الله تعالى فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور في حسن عطف قوله عز وجل والمسجد الحرام على سبيل الله تعالى لانه ليس اجنبيا محضا وقيل هو ايضا معطوف على صد بتقدير المضاف اي وصد المسجد الحرام واخراج اهله وهو النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون منه اي المسجد الحرام وهو عطف على وكفر به اكبر عند الله خبر للاشياء المعدودة اي كبائر السائلين اكبر عند الله تعالى مما عنوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وافعل يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء اكبر من القتل اي افظع من قتل الحضرمي ع ولا يزالون يقاتلونكم بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم على الفتنة في الدين حتى يردوكم عن دينكم الحق الى دينهم الباطل واضافة الدين اليهم لتذكير تأكد ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق ان استطاعوا اشارة الى تصلبهم في الدين وثبات قدمهم فيه كانه قيل واني لهم ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه تحذير من الارتداد اي من يفعل ذلك باضلالهم واغوائهم فيمت وهو كافر بان لم يرجع الى الاسلام وفيه ترغيب في الرجوع الى الاسلام بعد الارتداد فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والفساد والجمع للنظر الى المعنى اي اولئك المصرون على الارتداد الى حين الموت حبطت اعمالهم الحسنة التي كانوا عملوها في حالة الاسلام حبوطا لا تلافي له قطعا في الدنيا والآخرة بحيث لم يبق لها حكم من الاحكام م الدنيوية والاخروية واولئك الموصوفون بما ذكر سابقا ولاحقا من القبائح اصحاب النار اي ملابسوها وملازموها هم فيها خالدون كدأب سائر الكفرة ان الذين آمنوا نزلت في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول مع ان المراد بهما واحد لتفخيم شان الهجرة والجهاد فكانهما مستقلان في تحقيق الرجا اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة يرجون بما لهم من مبادي الفوز رحمت الله اي ثوابه اثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم عالمون بان العمل غير موجب للاجر وانما هو على طريق التفضل منه سبحانه

لا لان في عزيمتهم اشتباها والله غفور مبالغ في مغفرة ما فرط من عباده خطأ ع رحيم يجزل لهم الاجر والثواب والجملة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها يسألونك عن الخمر والميسر تواردت في شان الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون فطفق المسلمون يشربونها ثم ان عمر رضي الله تعالى عنه وامثاله ومعاذا رضي الله تعالى عنه ونفرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون فنزلت قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون الآية فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنهما في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء الانصاري فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله تعالى عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة منها في بئر فبنيت في مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف فنبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رضي الله عنه لو ادخلت اصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الايمان والتقى حقا رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخمر مصدر خمره اي ستره سمي به من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كانها نفس الستر كما سميت سكرا لانها تسكرهما اي تحجزهما والميسر مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار لانه سلب له وصفته انه كانت لهم عشرة اقداح هي الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلاثة هي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلثة غرم ثمن الجزور مع حرمانه وكانوا يدفعون تلك الانصبا الى الفقرا ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكمه جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم وهاتين الكعبتين المشومتين فانهما ميسر العجم وعن علي كرم الله وجهه

انا النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عن حكمهما وعما في تعاطيهما قل فيهما اثم كبير اي في تعاطيهما ذلك لما ان الاول مسلبة للعقول التي هي قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال ومنافع للناس من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ اثم كثير بالمثلثة وفي تقديم بيان اثمه ووصفه بالكبر وتاخير ذكر منافعه مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الاول ما لا يخفى على ما نطق به قوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرئ اقرب من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون عطف على يسألونك عن الخمر عطف القصة على القصة اي اي شيء ينفقونه قيل سأله عمرو بن الجموح ايضا سأل اولا عن اي جنس ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس سأل ثانيا من اي اصنافها ينفق امن خيارها ام من غيرها او سأل عن مقدار ما ينفقه فقيل قل العفو بالنصب اي ينفقون العفو او انفقوا العفو وقرئ بالرفع على انما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون اي الذي ينفقونه العفو قال الواحدي اصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل وتيسر مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة وعطا والسدي وكانت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يكسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه فكرر ذلك مرارا حتى قال عليه السلام مغضبا هاتها فاخذها فحذفها عليه حذفا لو اصابته لشجته ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنا كذلك اشارة الى مصدر الفعل الاتي وما فيه معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه في الفضل مع كمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او الفريق او بعدم القصد الى تعيين المخاطب كما مر ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي مثل ذلك البيان الواضح الذي هو عبارة عما مضى في اجوبة الاسئلة السابقة يبين الله لكم الايات الدالة على الاحكام الشرعية المذكورة لا بيانا ادنى منه وقد مر تمام تحقيقه في قوله تع وكذلك جعلناكم امة وسطا وتبيين الايات تنزيلها مبينة المعنى واضحة المدلول لا انه تع يبينها بعد ان كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون كي تتفكروا فيها وتقفوا على معانيها وتعملوا بما في تضاعيفها وقوله تعالى في الدنيا والاخرة متعلق اما بتبين اي يبين لكم فيما يتعلق بالدنيا والاخرة الايات واما بمحذوف وقع حالا من الايات اي يبينها لكم كائنة فيهما اي مبينة لاحوالكم المتعلقة بهما وانما قدم عليه التعليل لمزيد الاعتنا بشان التفكر واما بقوله

تعالى

تعالى تتفكرون اي تتفكرون في الامور المتعلقة بالدنيا والاخرة الواردة في اجوبة الاسئلة السابقة فتختارون منها ما يصلح لكم فيهما وتجتنبون عن غيره وهذا التخصيص هو المناسب بمقام تعداد الاحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الامور المتعلقة بالدنيا والاخرة فالذلك حينئذ اشارة الى ما مر من البيانات كلا وبعضا لا الى مصدر ما بعده فانه فعل مستقل ليس بعبارة عن تلك البيانات والمراد بالايات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان الوارد في الاجوبة المذكورة يبين الله لكم الايات والدلائل لعلكم تتفكرون في اموركم المتعلقة بالدنيا والاخرة وتاخذون بما يصلح لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم حسبما تقتضيه تلك الايات المبينة ويسألونك عن اليتامى عطف على ما قبله من نظيره روي انه لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية تحامى الناس عن مخالطة اليتامى وتعهد اموالهم فشق عليهم ذلك فذكروه للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي التعرض لاحوالهم واموالهم على طريق الاصلاح خير من مجانبتهم اتقاء وان تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين الذي هو اقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الاخوة ومواجبها المخالطة بالاصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح العلم بمعنى المعرفة المتعدية الى واحد ومن لتضمينه معنى التمييز اي يعلم من يفسد في امورهم عند المخالطة او من يقصد بمخالطته الخيانة والافساد مميزا له ممن يصلح فيها او يقصد الاصلاح فيجازي كلا منهما بعمله ففيه وعد ووعيد خلا ان في تقديم المفسد مزيد تهديد وتاكيدا للوعيد ولو شاء الله لاعنتكم اي لو شاء ان يعنتكم اي يكلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة لفعل ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب على امره لا يعتذر عليه امر من الامور التي من جملتها اعناتكم فهو تعليل لمضمون الشرطية وقوله عز وجل حكيم اي فاعل لافعاله حسبما تقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على اساس الطاقة دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها ولا تنكحوا المشركات اي لا تتزوجوهن وقرئ بضم التاء من الانكاح اي لا تزوجوهن من المسلمين حتى يؤمن والمراد بهن اما ما يعم الكتابيات ايضا حسبما يقتضيه عموم التعليلين الاتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون فالاية منسوخة بقوله تع والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات فهي ثابتة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين وكان يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاستامره فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة تعليل للنهي عن مواصلتهن وترغيب في مواصلة المؤمنات صدر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم في افادة التاكيد مبالغة في الحمل على الانزجار واصل امة امو حذف لامها على غير قياس

وعوض منه تا التانيث وذيل كون لامها واوا رجوعها في الجمع قال الكلابي اما الاما،
فلا يدعونني ولدا اذا تداعي بنوا الاموال بالعدد وظهورها في المصدر يقال هي
امة بينة الاموة واقرت له بالاموة وقد وقعت مبتدا لما فيها من لام الابتدا او الوصف
اي ولامة مومنة مع ما بها من خساسة الرق وقلة الخطر خير بحسب الدين والدنيا
من مشركة اي امراة مشركة مع ما لها من شرف الحرية ورفعة الشان ولو اعجبتكم قدر
ان كلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفا الشي في الماضي لانتفاء غيره فيه
فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه مع انصباب المعني علي تقديره
بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم علي كل حال مفروض من الاحوال المقارنة
له علي الاجمال بادخالها علي ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر ثبوته معه ثبوته
مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متي تحقق مع المنافي القوي فلان
تحقق مع غيره اولي ولذلك لا يذكر معه شي من ساير الاحوال ويكتفي عنه بذكر الواو
العاطفة للجملة علي نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معني
قولهم انها لاستقصا الاحوال علي وجه الاجمال كانه قيل لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة
في حيز النصب علي الحالية من مشركة اذ المال ولامة مومنة خير من امراة مشركة حال عدم
الاعجاب بها وحال الاعجاب بها اي اكثر بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادي الاعجاب
وموجبات الرغبة فيها اي علي كل حال وقد اقتصر علي ما ذكر ما هو اشد منافاة للخيرية
تنبيها علي انها حيث تحققت معه فلان تحقق مع غيره اولي وقيل الواو حالية وليس بواضح
وقيل اعتراضية وليس بسديد فالحق انها عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف
نعم يجوز ان تكون الجملة الاولي مع ما عطف عليها مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها فتدبر
ولا تنكحوا المشركين من الانكاح والمراد بهم الكفار علي الاطلاق لما مر اي لا تزوجوا منهم المومنات
سواكن حراير او اما حتي يومنوا ويتركوا ما هم فيه من الكفر ولعبد مومن مع ما به من ذل
المملوكية خير من مشرك مع ما له من عز المالكية ولو اعجبكم بما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة
الي ذاته وصفاته اوليك استيناف مقرر لمضمون التعليلين المارين اي اوليك المذكورون
من المشركات والمشركين يدعون من يقارنهم ويعاشرهم الي النار اي الي ما يودي اليها من الكفر
والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم والله يدعوا بواسطة عبادة المومنين
من يقارنهم الي الجنة والمغفرة اي الي اعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما وتقديم الجنة
علي المغفرة مع ان حق التخلية ان تقدم علي التحلية لرعاية مقابلة النار ابتدا باذنه متعلق بيدعوا
اي يدعوا ملتبسا بتوفيقه الذي من جملته ارشاد المومنين لمقارنتهم الي الخير ونصيحتهم اياهم
فهم احقا بالمواصلة ويبين اياته المشتملة علي الاحكام الفايقة والحكم الرايقة للناس لعلهم
يتذكرون اي لكي يتذكرون ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران هذا وقد
قيل معني والله يدعوا اولياء الله يدعون وهم المومنون علي حذف المضاف واقامة المضاف

اليه مقامه تشريفا لهم وانت خبير بان الضمير في المعطوف علي الخبر اعني قوله تعالي ويبين
اياته لله تع فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعوا باحكامه المذكورة الي الجنة والمغفرة فانها
موصلة لمن عمل بها اليهما وهذا وان كان مستدعيا لاتحاد مرجع الضمير من الكاينين في
الجملتين المتعاطفتين خبرا للمبتدا لكن يفوت حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالي اوليك يدعون
الي النار ولعل الطريق الاسلم ما اومينا اليه اولا وايراد التذكر ههنا للاشعار بانه واضح لا
يحتاج الي التفكر كما في الاحكام السابقة ويسلونك عن المحيض عطف علي ما تقدم من مثله
ولعل حكاية هذه الاسيلة الثلثة بالعطف لوقوع الكل من ذلك في وقت علي حده والمحيض
مصدر من حاضت المراة كالمجي والمبيت روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المراة
لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها علي فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس فاستمر علي ذلك الي ان سال عن ذلك ابو الدحداح
في نفر من الصحابة رضوان الله تع عليهم اجمعين فنزلت قل هو اذي اي شي يستقذر منه
ويوذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النسا في المحيض اي فاجتنبوا مجامعتهن
في حالة الحيض قيل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من
الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان اثرناهن هلك ساير اهل
البيت وان استاثرناها هلكت الحيض فقال صلي الله عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن
اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصاري كانوا يجامعونهن
ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال فامر المسلمون بالاقتصاد بين
الامرين ولا تقربوهن حتي يطهرن تاكيد لحكم الاعتزال وتنبيه علي ان المراد به عدم قربانهن
لا عدم القرب منهن وبيان لغايته وهو انقطاع الدم عند ابي حنيفة رحمه الله فان
كان ذلك في اكثر المدة حل القربان كما انقطع والا فلا بد من الاغتسال او من مضي وقت صلاة
وعند الشافعي رحمه الله ان يغتسل بعد الانقطاع كما يفصح عنه قراءة التشديد ويعضده
قوله عز وجل فاذا تطهرن فان التطهر هو الاغتسال فاتوهن من حيث امركم الله
من الماتي الذي حلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسي يبدر منهم من ارتكاب
بعض ما نهوا عنه ومن ساير الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار وفي
ذكر التوبة اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد
العناية بامر التطهر نساوكم حرث لكم اي مواضع حرثكم شبهن بها لما بين ما يلقي في ارحامهن
وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلا منهما مادة لما يحصل منه فاتوا حرثكم لما عبر
عن مجامعتهن بالاتيان وهو بيان لقوله تع فاتوهن من حيث امركم الله اني شيتم من اي جهة
شيتم روي ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتي امراته في قبلها من دبرها ياتي ولده احول
فذكر ذلك لرسول الله صلي الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم اي ما يدخر لكم الثواب قيل
هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند المباشرة واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه التي من
جملتها ما عد من الامور واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا بالتحصيل ما تنتفعون به حينيذ واجتنبوا

اقتران بما نفعهم فيه وبشر المؤمنين الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي
بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يبشر
به من الامور التي تسر بها القلوب وتقر بها العيون وفيه مع ما في تلوين الخطاب وجعل المبشر
رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة في تشريف المؤمنين ما لا يخفى ولا تجعلوا الله عرضة
لايمانكم قيل نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا يكلم ختنه بشر بن النعمان ولا يصلح بينه
وبين اخته وقيل في الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح لخوضه
في حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض دون الشيء
فيصير حاجزا عنه كما يقال فلان عرضة للخير وعلى المعرض للامر كما في قوله • ع
فلا تجعلوني عرضة للوائم • فالمعنى على الوجه الاول لا تجعلوا الله مانعا للامور الحسنة
التي تحلفون على تركها وعبر عنها بالايمان لملابستها بها كما في قوله عليه السلام لعبد الله
بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك
وقوله تع ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم او بدل منها لما عرفت
انها عبارة عن الامور المحلوف عليها واللام في ايمانكم متعلقة بالفعل او بعرضة لما فيها
من معنى الاعتراض اي لا تجعلوا الله لبركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس عرضة اي برزخا
حاجزا بان تحلفوا به تعالى على تركها او لا تجعلوه تع عرضة اي شيئا يعترض الامور التي
وتحجزها بما ذكر من الحلف به تعالى على تركها وقد يجوز ان تكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا
الى آخره بالفعل او بعرضة فيكون الايمان بمعناها وانت خبير بانه يؤدي الى الفصل بين العامل
ومعموله باجنبي وعلى الوجه الثاني لا تجعلوا الله معرضا لايمانكم بتبذلونه بكثرة الحلف
به ولذلك ذم من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها
وان تبروا وتتقوا حينئذ علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ
على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون برا متقيا ثقة بين الناس فيكون بمعزل من التوسط
في اصلاح ذات البين والله سميع يسمع ايمانكم عليم يعلم بنياتكم فحافظوا على ما كلفتموه ع
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به
في الايمان ما لا عقد معه ولا قصد كما ينبئ عنه قوله تع ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان
وهو المعني بقوله عز وجل ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعندنا
هو ان يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه فانه لا قصد فيه الى الكذب
وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من غير اخطار
الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم
ظانا انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين
وذلك في الغموس وعلى الثاني لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكموها
بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب اللسان فقط والله غفور حيث لا يؤاخذكم

باللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت وقلة المبالاة حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة والجملة
اعتراض مقرر لمضمون قوله تع لا يؤاخذكم الخ وفيه ايذان بان المراد بالمؤاخذة المعاقبة
لا الايجاب للكفارة اذ هي التي يتعلق بها المغفرة والحلم دونه للذين يؤلون من نسائهم
الايلاء الحلف وحقه ان يستعمل بعلى واستعماله بمن لتضمينه معنى البعد اي للذين يحلفون
متباعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد بهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك
كذا وقرئ آلوا من نسائهم وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المرأة ان يقول والله
لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون
فيما دون ذلك وحكمه انه ان فاء اليها في المدة بالوطء ان امكن او بالقول ان عجز عنه
صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت
الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف اتساعا اي لهم
ان ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفيء او طلاق فان فاءوا اي رجعوا عن اليمين بالحنث
والفاء للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا
لم البث الا ريثما اتحول فان الله غفور رحيم يغفر للمولي بفيئته التي هي كتوبته اثم حنثه
عند تكفيره او ما قصد بالايلاء من ضرار المرأة وان عزموا الطلاق واجمعوا عليه فان
الله سميع بما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق به من الدمدمة والمقاولة التي لا تخلو عنها
الحال عادة عليم بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا يخفى والمطلقات
اي ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان عدة
من لا تحيض لصغر او كبر او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرآن او شهران يتربصن
خبر في معنى الامر مفيد للتاكيد باشعاره بان المامور به مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان
به فكأنهن امتثلن بالامر بالتربص فهو يخبر به موجودا محققا وبناؤه على المبتدا مفيد لزيادة تاكيد
بانفسهن الباء للتعدية اي يقمعنها ويحملنها على ما لا تشتهيه بل يشق عليها من التربص وفيه
مزيد حث لهن على ذلك لما فيه من الاستنكاف عن الاتصاف بما يستنكفن منه من كون نفوسهن
طوامح الى الرجال فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن ثلاثة قروء نصب على الظرفية
او المفعولية بتقدير مضاف اي يتربصن مضي ثلاثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض
بدليل قوله عليه السلام دعي الصلاة ايام اقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة
تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله تع واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن
ثلاثة اشهر ولان المقصود الاصلي من العدة استبراء الرحم ومداره الحيض دون الطهر
ويقال اقرأت المرأة اذا حاضت وقوله تع فطلقوهن لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن
وهي الحيض الثلاث وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق الاتساع فان ايراد كل من
الجمعين مكان الآخر شائع ذائع وقرئ ثلاثة قرو بغير همز ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله
في ارحامهن من الحيض والولد استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على قول

قولهن في ذلك نفيا واثباتا إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر جواب الشرط محذوف يدل
عليه ما قبله دلالة واضحة اي فلا يجترئن على ذلك فإن قضية الإيمان بالله تعالى
واليوم الآخر الذي يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعا وبعولتهن البعولة
جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك والتاء لتأنيث الجمع كما في الحزونة والسهولة او
مصدر نعت به بتقدير مضاف اي اهل بعولتهن اي ازواجهن الذين طلقوهن طلاقا رجعيا
كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة فالضمير لبعض افراد المطلقات احق بردهن اي
ملكهن بالرجعة اليهن في ذلك في زمان التربص وصيغة التفضيل لإفادة ان الرجل
إذا اراد الرجعة والمرأة تاباها وجب ايثار قوله على قولها لا ان لها ايضا حقا في
الرجعة إن ارادوا اي الازواج بالرجعة إصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن
ولم يريدوا امضارتهن وليس المراد به شرطية قصد الإصلاح بصحة الرجعة بل هو الحث
عليه والزجر عن قصد الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذي لهم عليهن بالمعروف
من الحقوق التي يجب مراعاتها ويتحتم المحافظة عليها وللرجال عليهن درجة اي زيادة
في الحق لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن في المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او مزية
في الفضل لانهم قوامون عليهن حراس لهن ولما في ايديهن يشاركونهن فيما هو الغرض من الزواج
ويستبدون بفضيلة الرعاية والإنفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن يخالف
احكامه حكيم ينطوي شرائعه على الحكم والمصالح الطلاق هو بمعنى التطليق كالسلام بمعنى
التسليم والمراد به الرجعي لما ان السابق الاقرب حكمه ولما روي انه عليه السلام سئل
عن الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وهو مبتدأ بتقدير مضاف خبره ما بعده
اي عدد الطلاق الذي يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين آنفا مرتان اي اثنان
وايثار ما ورد به النظم الكريم عليه للإيذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة
وان كان حكم الرد ثابتا حينئذ ايضا فإمساك اي فالحكم بعدهن إمساك لهن بالرجعة بمعروف
اي بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح بإحسان بالطلقة الثالثة كما روي عنه صلى الله
عليه وسلم او بعدم الرجعة الى ان تنقضي العدة فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعي بالمرتين
مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما في قوله تع ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة والمعنى
ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين الطلقتين او الثلاث
فان ذلك بدعة عندنا فقوله تع فإمساك حكم مبتدأ وتخيير مستأنف والفاء فيه للترتيب
على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فالامر لكم احد الامرين ولا يحل لكم ان تأخذوا
منهن بمقابلة الطلاق مما آتيتموهن اي من الصدقات تخصيصها بالذكر وان شاركها
في الحكم سائر اموالهن اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان يأخذوا مما آتوهن
بمقابلة البضع عند خروجه عن ملكهم فلان لا يحل ان يأخذوا مما لا تعلق له بالبضع اولى
واحرى شيئا اي نزرا يسيرا فضلا عن الكثير وتقديم الظرف عليه لما مر مرارا والخطاب

مع الحكام

مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند المرافعة وقيل مع الازواج
وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة إلا أن يخافا الا يقيما حدود الله
وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن ألا يقيما حدود الله اي ان لا يراعيا مواجب
احكام الزوجية وقرئ يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل
الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فإن خفتم ايها الحكام ألا يقيما اي الزوجان
حدود الله بمشاهدة بعض الامارات والمخايل فلا جناح عليهما اي على الزوجين فيما
افتدت به لا على الزوج في اخذ ما افتدت به ولا عليها في اعطائه اياه روي ان جميلة
بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين
ولا خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل
في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت
بحديقة كان اصدقها اياها تلك اي الاحكام المذكورة حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة
والرفض ومن يتعد حدود الله فاولئك المتعدون والجمع باعتبار معنى الموصول هم
الظالمون اي لانفسهم تعريضا لسخط الله تع وعقابه ووضع الاسم الجليل في المواقع الثلاثة
الاخيرة موضع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة
في التهديد فإن طلقها اي بعد الطلقتين السابقتين فلا تحل له من بعد اي من بعد
هذا الطلاق حتى تنكح زوجا غيره اي حتى تتزوج غيره فان النكاح ايضا يسند الى كل منهما
وتعلق الامر بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روي ان
امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان
عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال صلى الله عليه وسلم اتريدين
ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا الا ان تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
ومثله يجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطء والعقد مستفاد من لفظ الزوج
والحكمة من هذا التشريع الزوع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة
فيها والنكاح بشرط التحليل مكروه عندنا وروي عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحا
به وفاسد عند الاكثرين لقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له فإن طلقها اي الزوج
الثاني فلا جناح عليهما اي على الزوج الاول والمرأة أن يتراجعا اي يرجع كل منهما الى
الآخر بالعقد إن ظنا أن يقيما حدود الله التي اوجب مراعاتها على الزوجين من الحقوق والاوجه
لتفسير الظن بالعلم لما ان العواقب غير معلومة ولان ان ناصبة للتوقع المنافي للعلم ولذلك
لا يكاد يقال علمت ان يقوم زيد وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة الى هنا حدود الله اي
الاحكام المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة يبينها بهذا البيان اللائق او
سيبينها فيما سنا بناء على ان بعضها يلحقه زيادة كيف وبيان الكتاب والسنة والجملة خبر

ثان عند من يجوّزه كونه جملة كما في قوله تع فاذا هي حية تسعى او حال من حدود الله والعامل
معنى الاشارة لقوم يعلمون اي يفهمون وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما
انهم المنتفعون بالبيان اولان ما سيلحق بعض النصوص من البيان لا يقف عليه الا الراسخون
في العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن فان الاجل كما ينطلق على المدة ينطلق
على منتهاها والبلوغ هو الوصول الى الشيء وقد يقال للدنو منه اتساعا وهو المراد ههنا
لقوله عز وجل فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد تحقق
بلوغ الاجل اي فراجعوهن بغير ضرار او خلوهن حتى ينقضي اجلهن باحسان من غير تطويل
وهذا كما ترى اعادة للحكم في بعض صوره اعتناء بشانه ومبالغة في ايجاب المحافظة عليه
ولا تمسكوهن ضرارا تاكيد للامر بالامساك بمعروف وتوضيح لمعناه وزجر صريح عما
كانوا يتعاطونه اي لا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا
شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا للرغبة فيها بل ليطول عليها العدة فنهي عنه بعد
ما امر بضده لما ذكر وضرارا نصب على العلية او الحالية اي لا تمسكوهن للمضارة او مضارين
واللام في قوله لتعتدوا متعلقة بضرارا اي لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك
اي ما ذكر من الامساك المؤدي الى الظلم وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلته
في الشر والفساد فقد ظلم نفسه في ضمن ظلمه لهن بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله
المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع آياته وهي داخلة فيها دخولا اوليا هزوا اي
مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا في المحافظة على ما في تضاعيفها من الاحكام والحدود
من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن الهزء بها واريد بما يستلزمه من
الامر بضده اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اخذتموها
هزوا ولعبا ويجوز ان يراد بها النهي عن الامساك ضرارا فان الرجعة بلا رغبة فيها عمل
بموجب آيات الله بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزء وقيل كان الرجل ينكح ويطلق
ويعتق ثم يقول انما كنت العب فنزلت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث جدهن
جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم حيث هداكم الى ما فيه
سعادتكم الدينية والدنيوية اي قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف
وقع حالا من نعمة الله اي كائنة عليكم او صفة لها على رأي من يجوز حذف الموصول مع بعض
صلته اي الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر
كنبات من انبت ولا يقدح في عمله تاء التانيث لانه مبني عليها كما في قوله * فلولا رجاء
النصر منك ورهبة * عقابك قد كانوا لنا كالموارد * وما انزل عليكم عطف على نعمة الله
وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن في قوله عز وجل من الكتاب والحكمة بيانية اي
من القرآن والسنة او القرآن الجامع للعنوانين على ان العطف لتغاير الوصفين كما في قوله
الى الملك القرم وابن الهمام * وفي ابهامه اولا ثم بيانه من التفخيم ما لا يخفى وفي افراده بالذكر

مع كونه اول ما دخل في النعمة المامور بذكرها ابانة لخطره ومبالغة في البعث على
مراعاة ما ذكر قبله من الاحكام يعظكم به اي بما انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما
معا واتقوا الله في شان المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة واعلموا ان الله بكل شيء عليم
فلا يخفى عليه شيء مما تاتون وما تذرون فيؤاخذكم بافانين العقاب واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة بعد بيان
حكم ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت
الدجاجة اذا نشب بيضها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب اما للاولياء لما روي
انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة ان ترجع الى زوجها الاول بالنكاح
وقيل نزلت في جابر بن عبد الله حين عضل ابنة عم له واسناد التطليق اليهم لتسببهم
فيه كما ينبئ عنه تصديهم للعضل ولعل التعرض لبلوغ الاجل مع جواز التزوج بالزوج
الاول قبله ايضا لوقوع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمراة ان
تزوج نفسها والا لما احتيج الى نهي الاولياء عن العضل لما ان النهي لدفع الضرر عنهن فانهن
وان قدرن على تزويج انفسهن لكنهن يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والفضيحة واما
للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية الجاهلية
واما للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع شائع مستفيض والمعنى اذا وجد
فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء او من جهة الازواج او من
غيرهم وفيه تهويل لامر العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم
ساكتون عنه بمنزلة صدوره عن الكل في استتباع اللائمة وسراية الغائلة ان ينكحن اي من
ان ينكحن فمحله النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل على الخلاف المشهور وقيل هو
بدل اشتمال من الضمير المنصوب في تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح بعبارتهن
ازواجهن ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والا
فبالاعتبار الاخير اذا تراضوا ظرف للا تعضلوا وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب على
النساء والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضي وقيل ظرف لان ينكحن وقوله تع
بينهم ظرف للتراضي مفيد لرسوخه واستحكامه بالمعروف بالجميل عند الشرع المستحسن عند
الناس والباء اما متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اي
تراضوا كائنا بالمعروف واما بتراضوا اي تراضيا بما يحسن في الدين والمروءة وفيه اشعار بان
المنع من التزوج بغير كفؤ او بما دون مهر المثل ليس من باب العضل ذلك اشارة الى ما فصل من
الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه امر لا يكاد والخطاب لجميع المكلفين كما فيما
بعده والتوحيد اما باعتبار كل واحد منهم واما بتاويل القبيل والفريق واما لان الكاف
لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه
وسلم كما في قوله تع يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد

يرفع كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فيبادر الى الامتثال باوامره ونواهيه
اجلالا له وخوفا من عقابه وقوله تع منكم اما متعلق بكان عند من يجوز عملها في الظروف
وشبهها واما بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن اي كائنا منكم ذلكم اي الاتعاظ به والعمل
بمقتضاه ازكى لكم اي انمى وانفع واطهر من ادناس الاثام والاوضار الذنوب والله يعلم ما فيه
من الزكا والطهر وانتم لا تعلمون ذلك او والله يعلم ما فيه صلاح اموركم من الاحكام والشرايع
التي من جملتها ما بينه هاهنا وانتم لا تعلمونها فدعوا رايكم وامتثلوا بامره تعالى ونهيه
في كل ما تاتون وما تذرون والوالدات يرضعن اولادهن شروع في بيان الاحكام المتعلقة
باولادهن خصوصا واشتراكا وهو امر اخرج مخرج الخبر مبالغة في الحمل على تحقيق مضمونه
ومعناه الندب او الوجوب ان خص بمادة عدم قبول الصبي ثدي الغير او فقدان الظئر م
او عجز الوالد عن الاستيجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لهز عطفهن نحو اولادهن والحكم عام
للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين التاكيد بصيغة الكمال
لبيان ان التقدير تحقيقي لا تقريبي مبني على المسامحة المعتادة لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن
يتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص وقيل
اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال
ارضعت فلانة لفلان ولده وعلى المولود له اي الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه
وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضي لوجوب الارضاع ومؤنة المرضعة عليه
رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام وهو غير جائز عندنا ما دامت
في النكاح او العدة جائز عند الشافعي بالمعروف حسبما يراه الحاكم ويفي به وسعه ع
لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن بالمعروف او تفسير للمعروف وهو نص على
انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك لا ينافي امكانه لا تضار والدة بولدها
ولا مولود له بولده تفصيل لما قبله وتقرير له اي لا يكلف كل واحد منهما الآخر ما لا يطيق
ولا يضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على القرائتين لا تضارر بالكسر
على البناء للفاعل وبالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والبا
من صلته اي لا يضر الوالدان الولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون
مع التشديد على نية الوقف به مع التخفيف على انه من ضاره يضيره وابانة الولد الى
كل منهما لاستعطافهما اليه وللتنبيه على انه جدير بان يتفقا على استصلاحه ولا ينبغي ان
يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله تعالى وعلى المولود له
رزقهن الخ وما بينهما تعليل او تفسير معترض والمراد به وارث الصبي ممن كان ذا رحم
محرم منه وقيل عصباته وقال الشافعي رحمه الله تع هو وارث الاب وهو الصبي اي
تمان المرضعة من ماله عند موت الاب ولا نزاع فيه وانما الكلام فيما اذا لم يكن للصبي
مال وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا وذلك اشارة الى

ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا اي الوالدان فصالا اي فطاما عن
الرضاع قبل تمام الحولين والتنكير للايذان بانه فصال غير معتاد عن تراض متعلق بمحذوف
ينساق اليه الذهن اي صادرا عن تراض منهما اي من الوالدين لا من احدهما فقط لاحتمال
اقدامه على ما يضر بالولد بان تمل المراة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة وتشاور
في شان الولد وتفحص عن احواله واجماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة
وهي استخراج الراي من شرت العسل اذا استخرجته وتنكيرهما للتفخيم فلا جناح عليهما في
ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار رايهما واجتهادهما على ان صلاح الولد في
الفطام وقلما يتفقان على الخطاء وان اردتم بيان لحكم عدم اتفاقهما على الفطام والالتفات
الى خطاب الآباء لهزهم الى الامتثال بما امروا به ان تسترضعوا اولادكم بحذف المفعول
الاول استغناء عنه اي ان تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المراة الصبي ع
واسترضعتها اياه وقيل انما يتعدى الى الثاني بحرف الجر ايضا كما في قوله تع واذا كالوهم
اي كالوا لهم فلا جناح عليكم اي في الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع الولد
ويمنع الام من الرضاع اذا سلمتم اي الى المراضع ما آتيتم اي ما اردتم ايتاءه كما في قوله تع
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ
ما اوتيتم اي من جهة الله عز وجل كما في قوله تع وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه
مزيد بعث لهم الى التسليم بالمعروف متعلق بسلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا
وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب
الى ما هو الاليق والاولى فان المراضع اذا اعطين ما قدر لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل
في استصلاح شؤون الاطفال واتقوا الله في شان مراعات الاحكام المذكورة واعلموا ان الله
بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وفيه
من الوعيد والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف المضاف وازواج الذين يتوفون منكم
اي يقبض ارواحهم بالموت فان التوفي هو القبض يقال توفيت مالي من فلان واستوفيته
منه اي اخذته وقبضته والخطاب لكافة الناس بطريق التلوين ويذرون ازواجا يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا او على حذف العائد الى المبتدا في الخبر اي يتربصن بعدهم
كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه وقرئ يتوفون بفتح البا اي يستوفون
آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون
يستعملون التذكير في مثله اصلا حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين في ذلك قوله
تع ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل الحكمة في هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا
يتحرك غالبا لثلاثة اشهر وان كان انثى يتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر
استظهارا اذ ربما يضعف الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية
والحرة والامة في هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف في الامة وقوله عز وجل واولات الاحمال

خص للحامل منه وعن علي وابن عباس رضي الله عنهم انها تعتد بابعد الاجلين احتياطا
فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الايمة الحكام والمسلمون جميعا فيما
فعلن في انفسهن من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة بالمعروف
بالوجه الذي لا ينكره الشرع وفيه اشارة الى انهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم
ان يكفوهن عن ذلك والا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فلا تعملوا خلاف ما امرتم
به ولا جناح عليكم خطاب للكل فيما عرضتم به التعريض والتلويح ايهام المقصود بما
لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك واصله امالة الكلام
عن نهجه الى عرض منه اي جانب والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه
كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف من خطبة النساء الخطبة بالكسر
كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف بالقول
والفعل فقيل هي ماخوذة من الخطب اي الشان الذي له خطر لما انها شان من الشؤون
ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب لانها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب
المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة والتعريض بخطبتهن ان يقول لها انك
لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها
حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح او اكننتم في انفسكم اي اضمرتم في
قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت
عنهن وعن اظهار الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت ولكن لا تواعدوهن سرا
استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن
نكاحا بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لان مسببه الذي هو الوطء
مما يسر به وايثاره على اسمه للايذان بانه مما ينبغي ان يسر به ويكتم وحمله على الوطء ربما
يوهم الرخصة في المحظور الذي هو التصريح بالنكاح وقيل انتصاب سرا على الظرفية اي
لا تواعدوهن في السر على ان المراد بذلك المواعدة بما يستهجن وفيه ما فيه الا ان تقولوا
قولا معروفا استثناء مفرغ مما يدل عليه النهي اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة غير
منكرة شرعا وهي ما يكون بطريق التعريض والتلويح او الا مواعدة بقول معروف او لا
تواعدوهن بشيء من الاشياء الا بان تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من سرا وهو
ضعيف لادائه الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم
الامر اذا قصده قصدا جازما وحقيقته القطع بدليل قوله عليه السلام لمن لم يعزم الصيام
من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقد
النكاح اي لا تعزموا عقد عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي العدة المكتوبة المفروضة منه
آخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح اي لا تبرموها ولا تلزموها ولا تقدموا عليها
فيكون نهيا عن نفس الفعل لا عن قصده واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من ذوات الصدور

التي

التي من جملتها العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه بالاجتناب عن العزم ابتداء واقلاعا
عنه بعد تحققه واعلموا ان الله غفور يغفر لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى حليم لا يعاجلكم
بالعقوبة فلا تستدلوا بتاخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة
واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لادخال الروعة لا جناح عليكم اي لا تبعة من مهر
وهو الاظهر وقيل من وزر اذ لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله
عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه جناحا فنفي ذلك ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن
اي ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء في جميع المواقع اي مدة عدم مسيسكم
اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل ابو البقاء انها شرطية بمعنى ان
فيكون من باب اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثاني قيدا للاول كما في قولك ان
تاتني ان تحسن الي اكرمك اي ان تاتني محسنا الي والمعنى ان طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا
المعنى اقعد من الاول لما ان ما الظرفية انما يحسن موقعها فيما اذا كان المظروف امرا
ممتدا منطبقا على ما اضيف اليها من المدة والزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت
السموات والارض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى ان التطليق
ليس كذلك وتعليق الظرف بنفي الجناح ربما يوهم امكان المسيس بعد الطلاق فالوجه
ان يقدر الحال مكان الزمان والمدة او تفرضوا لهن فريضة اي الا ان تفرضوا لهن
عند العقد مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية
الى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز ان تكون مصدرا صيغة واعرابا والمعنى انه
لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا في
حال تسمية المهر فان عليه حينئذ نصف المسمى وفي حال عدم تسميته عليه المتعة لا
نصف مهر المثل واما اذا كان بعد المساس فعليه في صورة التسمية تمام المسمى وفي صورة
عدمها تمام مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها على ما قبلها من الفعل المجزوم على
معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا فرض مهر ومتعوهن عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي
فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وهي درع وملحفة
وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اي ما يليق بحال
كل منهما وقرئ بسكون الدال وهي جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مبينة لمقدار
المتعة بالنظر الى حال المطلق ايسارا واقتارا او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط
اي على الموسع منكم الخ او على جعل الالف واللام عوضا من المضاف اليه عند من
يجوزه اي على موسعكم الخ وهذا اذا لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان اقل
فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم متاعا اي
تمتيعا بالمعروف اي بالوجه الذي تستحسنه الشريعة والمروءة حقا صفة لمتاعا
او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين اي الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة

اي الامتثال او الي المطلقات بالتمتيع بالمعروف وانما سموا محسنين اعتبارا للمشارفة
ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن قبل ذلك فريضة
اي وان طلقتموهن قبل المسيس حال كونكم سميتم فريضة فيما سبق اي غير النكاح مهرا
على ان الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الرابط بالنسبة
اليهما ونفس الغرض من المبني للفاعل او المفعول وان لم يقارن لذا التطليق لكن
اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب في مقارنته لها وكذي الحال في
الاتصاف المطلقة بكونها مفروضا لها فيما سبق فنصف ما فرضتم اي فلهن نصف
ما سميتم لهن من المهر او فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح في ان المنفي في الصورة
السابقة انما هو تبعة المهر وقرئ بالنصب اي فادوا نصف ما فرضتم ولعل
تاخير حكم التسمية مع انها الاصل في العقد والاكثر في الوقوع لما ان الاية الكريمة
نزلت في انصاري تزوج امراة من بني حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل الدخول
بها فتخاصما الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام عند اظهاره
ان لا شيء له متعها ولو بقلنسوتك الا ان يعفون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي فلهن
نصف المفروض معينا في كل حال الا حال عفوهن فانه يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه
وظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتانيث وانما الفرق في الاعتبار والتحقيق
فان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير
والفعل مبني ولذلك لم يؤثر فيه ان تاثيره فيما عطف على محله من قوله تعالى
او يعفو بالنصب وقرئ بسكون الواو الذي بيده عقدة النكاح ان يترك الزوج
المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها كاملا على ما هو المعتاد
تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة او سمي ذلك عفوا في صورة عدم السوق
مشاكلة او تغليبا لحال السوق على حال عدمه فمرجع الاستثناء حينئذ الي منع الزيادة
والمستثنى منه كما انه في الصورة الاولي الي منع النقصان فيه اي فلهن هذا القدر
بلا زيادة ولا نقصان في جميع الاحوال الا في حال عفوهن فانه حينئذ لا يكون لهن القدر
المذكور بل ينتفي ذلك او ينحط او في حال عفو الزوج فانه حينئذ يكون لهن الزيادة على
ذلك القدر المذكور وهذا على التفسير الاول واما على التفسير الثاني فلا بد من المصير الي جعل
الاستثناء منقطعا لان في صورة عفو الزوج لا يتسود الوجوب عليه هذا عند
وفي القول القديم للشافعي رضي الله عنه ان المراد عفو الولي الذي بيده عقدة النكاح
الصغيرة وهو ظاهر الماخذ ان الاول انسب بقوله تع وان تعفوا اقرب للتقوى الي اخره
فان اسقاط حق الصغيرة ليس في شيء من التقوى وعن جبير بن مطعم رضي الله تع عنه انه تزوج
امراة وطلقها قبل الدخول واكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وقرئ بالياء ولا
تنسوا الفضل بينكم اي لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشيء المنسي وقرئ بكسر الواو والخطاب

في النعلين

في النعلين للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب ان الله بما تعملون بصير فلا
يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان حافظوا على الصلوات اي داوموا عليها دايما
لاوقاتها من غير اخلال بشيء منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل
الامر بها في تضاعيف بيان احكام الازواج والاولاد قبل الاتمام للايذان بانها
حقيقة بكمال الاعتناء بشانها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشانهم بل بشان
انفسهم ايضا كما يفصح عنه الامر بها في حالة الخوف ولذلك امر بها في خلال بيان
ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتشابكة الاخذ بعضها بحجزة بعض والصلوة الوسطى
اي المتوسطة بينها او الفضلى منها وهي صلوة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب
شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها
الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وفضلها لكثرة اشتغال
الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع ملايكة الليل وملايكة النهار حينئذ
وقيل هي صلاة الظهر لانها في وسط النهار وكانت الصلاة عليهم لما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يصليها بالهاجرة فكانت افضلها لقوله صلى الله عليه وسلم افضل
العبادات احمزها وقيل هي صلوة الفجر لانها صلوتي الليل والنهار والواقعة في الحد
المشترك بينهما ولانها مشهودة كصلوة العصر وقيل صلاة المغرب لانها متوسطة بين
حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلاتي النهار والليل ووتر النهار ولا ينقص في السفر
وقيل هي صلاة العشا لانها بين الجهريتين الواقعتين في طرفي الليل وعن عايشة رضي الله
عنها وابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام يقرؤ والصلاة الوسطى وصلاة العصر
فتكون حينئذ احدي الاربع وقد خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ
وعلى الصلاة الوسطى وقرئ بالنصب على المدح وقرئ الوسطى وقوموا لله اي في
الصلاة قانتين ذاكرين له تع في القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة
واتمامها بغير اخلال بشيء من اركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب رضي الله عنه المراد
به القنوت في الصبح فان خفتم اي من عدو او غيره فرجالا جمع راجل كقيام وقايم او رجل
بمعني راجل وقرئ بضم الرا مع التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ فرجلا اي
راجلا او ركبانا جمع راكب اي فصلوا راجلين او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا
بها ما امكن الوقوف في الجملة وقد جوز الشافعي رحمه الله اداءها حال المسابقة ايضا
فاذا امنتم بزوال الخوف فاذكروا الله اي فصلوا صلوة الامن عبر عنها بالذكر لانه معظم
اركانها كما علمكم متعلق بمحذوف وقع وصفا لمصدر محذوف اي ذكرا كاينا كما علمكم اي
كتعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون من كيفية الصلوة والمراد بالتشبيه ان تكون الصلوة بالمؤداة
موافقة لما علمه الله تعالي واراده بذلك العنوان لتذكير النعمة او اشكروا الله تع شكرا
يوازي تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمونه من الشرايع والاحكام التي من جملتها كيفية اقامة

الصلاة حالتي الخوف والامن هذا وفي ايراد الشرطية الاولى بكلمة ان المفيدة
لمشكوكية وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق
وقوع الامن وكثرته مع الايجاز في جواب الاولى والاطناب في جواب الثانية المبني
على تنزيل مقام وقوع المأمور به وهو الصلاة فيهما منزلة مقام وقوع الامر تنزيلا م
ستدعيا لاجرا مقتضى المقام الاول في كل منهما مجرى مقتضى المقام الثاني من الجزالة ولطف
الاعتبار ما فيه عبرة لاولي الابصار **والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا** عود الى
بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سلف اثر بيان احكام وسطت بينها لما اشير اليه من
الحكمة الداعية الى ذلك **وصية لازواجهم** اي يوصون او ليوصوا او كتب الله عليهم وصية
ويؤيده قراءة من قرأ كتب عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في
المبتدأ او الخبر اي حكم الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم او
والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم او كتب عليهم وصية او عليهم وصية
وقرئ متاع لازواجهم وصية **متاعا الى الحول** منصوب بيوصون ان اضمرته والا
فبالوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة **غير اخراج** بدل منه او مصدر مؤكد كما في قولك
هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى يجب على
الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالنفقة
والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر وعشرا
فانه وان كان متقدما في التلاوة متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع
او الثمن وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعي هي باقية **فان خرجن** عن منزل الازواج
باختيارهن **فلا جناح عليكم** ايها الائمة **فيما فعلن في انفسهن من معروف** لا ينكره الشرع
كالتزين والتطيب وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المحظور اخراجها
عند ارادة القرار وملازمة مسكن الزوج والحداد من غير ان يجب عليها وانها كانت
مخيرة بين الملازمة مع اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها **والله عزيز** غالب على امره
يعاقب من خالفه **حكيم** يراعي في احكامه مصالح عباده **وللمطلقات** سواء كن مدخولا
بهن او لا **متاع** اي مطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة واوجبها سعيد بن جبير
وابو العالية والزهري للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد
والمراد غير المدخول بهن والتكرير للتأكيد بالمعروف شرعا وعادة **حقا على المتقين**
اي مما لا ينبغي **كذلك** اي مثل ذلك البيان الواضح **يبين الله لكم آياته** الدالة على احكامه
التي شرعها لعباده **لعلكم تعقلون** لكي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها **الم تر** تقرير لمن
سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب الاخبار وتعجيب من شأنهم البديع فان سماعهم
لها بمنزلة الرؤية النظرية او العلمية او لكل احد ممن له حظ من الخطاب ايذانا بان قصتهم
من الشهرة والشيوع بحيث يحق لكل واحد ان يحمل على الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم

ويعجب بها

ويعجب بها وان لم يكن ممن رآهم او سمع بقصتهم فان هذا الكلام قد جرى مجرى المثل في مقام
التعجب لما انه شبه حال غير الرائي لشيء عجيب بحال الرائي بناء على ادعاء ظهور امره
وجلائه بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجري الكلام معه كما يجري مع الرائي
قصدا الى المبالغة في شهرته وعراقته في التعجب وتعدية الرؤية بالى في قوله تعالى **الى
الذين خرجوا من ديارهم** على تقدير كونها بمعنى الابصار باعتبار معنى النظر وعلى تقدير
كونها ادراكا قلبيا لتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى الم ينته علمك اليهم **وهم
الوف** اي الوف كثيرة قيل عشرة آلاف وقيل ثلاثون وقيل سبعون الفا والجملة حال
من ضمير خرجوا وقوله عز وجل **حذر الموت** مفعول له روي ان اهل داوردان قرية
قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا
ويعلموا ان لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت
عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما رأى من امرهم فاوحي
اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فاذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك
لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من
الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وقوله عز وجل **فقال لهم الله موتوا**
اما عبارة عن تعلق ارادته تعالى بموتهم دفعة واما تمثيل لاماتته تعالى اياهم ميتة نفس
واحدة في اقرب وقت وادناه واسرع زمان واوحاه بامر آمر مطاع لمأمور مطيع كما
في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون **ثم احياهم** عطف اما على مقدر
يستدعيه المقام اي فماتوا ثم احياهم وانما حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة
تخلف مراده تعالى عن ارادته واما على قال لما انه عبارة عن الاماتة وفيه تشجيع للمسلمين
على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه المفر
فاولى ان يكون في سبيل الله **ان الله لذو فضل على الناس** قاطبة اما اولئك فقد
احياهم ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم
فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار **ولكن اكثر الناس لا يشكرون** اي لا يشكرون
فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار واظهار الناس في مقام
الاضمار لمزيد التشنيع **وقاتلوا في سبيل الله** عطف على مقدر يعينه ما قبله كانه قيل
فاشكروا فضله بالاعتبار بما قص عليكم وقاتلوا في سبيله لما علمتم ان الفرار لا ينجي من
الحمام وان المقدر لا مرد له فان كان قد حان الاجل فموت في سبيل الله عز وجل والا فنصر
عزيز وثواب **واعلموا ان الله سميع** يسمع مقالة السابقين والمتخلفين **عليم** بما يضمرونه
في انفسهم وهو من وراء الجزاء خيرا وشرا فسارعوا الى الامتثال واحذروا المخالفة
والمساهلة **من ذا الذي يقرض الله** من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول
صفة له او بدل منه واقراض الله مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب الآجل والمراد

واهنا اما الجهاد الذي هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله تعالى ابتغاء
لمرضاته واما مطلق العمل الصالح المنتظم له انتظاما اوليا قرضا حسنا اي اقراضا
مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا فيضاعفه له بالنصب على جواب
الاستفهام حملا على المعنى فانه ايقرضه وقرئ بالرفع اي يضاعف اجره وجزاءه جعل
ذلك مضاعفة بتنازع ما بينهما من المناسبة بالسببية والمسببية ظاهرا وصيغة المفاعلة
للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع وبالنصب اضعافا جمع ضعف ونصبه على انه
حال من الضمير المنصوب او مفعول بان يضمن المضاعفة معنى التصيير او مصدر
مؤكد على ان الضعف اسم للمصدر والجمع للتنويع كثيرة لا يعلم قدرها الا الله تعالى
وقيل الواحد بسبعمائة والله يقبض ويبسط اي يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر
تارة ويوسع اخرى حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه
بما وسع عليكم كيلا يبدل احوالكم ولعل تاخير البسط عن القبض في الذكر للايماء
الى انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء وقرئ يبصط بالصاد لمجاورة الطاء واليه
ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم من الاعمال خيرا او شرا الم تر تقرير وتعجيب كما سبق
قطع عنه للايذان باستقلاله في التعجب مع ان له مزيد ارتباط بما وسط بينهما
من الامر بالقتال الى الملأ من بني اسرائيل الملأ من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم
للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم سموا بذلك لانهم يملؤون العيون
مهابة والمجالس بهاء ولانهم مليئون بما يبتغى منهم ومن تبعيضية وما في قوله تعالى من
بعد موسى ابتدائية وعاملهما مقدر وقع حالا من الملأ اي كائنين من بني اسرائيل
من بعد وفاة موسى عليه الصلوة والسلام لا خير في اتحاد الحرفين لفظا عند اختلاف
معنى اذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه المقام اي الم تر الى قصة الملأ او حديثهم حين
قالوا لنبي لهم هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام وقيل شمعون بن
صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام وقيل اشمويل بن بال بن علقمة
وهو بالعبرانية اسمعيل قاله مقاتل وهو من نسل هرون عليه السلام وقال مجاهد اشمويل
بن هلقايا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اي انهض للقتال معنا اميرا نصدر في امر
الحرب عن رايه وقرئ نقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اي ابعثه لنا مقدرين القتال
او استيناف مبني على السؤال وقرئ يقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب للامر
والوصف لملكا قال استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا
قال لهم النبي حينئذ فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره
بالشرط للاعتناء به اي هل قاربتم الا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان المتوقع
كائن وانما لم يذكر في معرض الشرط ما اسنده بان قيل هل عسيتم ان بعثت لكم ملكا الخ
مع انه اظهر تعلقا بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم للمبالغة في بيان تخلفهم عنه

اذالم

اذا لم يقاتلوا عند فرضية القتال عليهم بايجاب الله فلان لا يقاتلوا عند عدم
فرضيته اولى ولان ارادة ما ذكروه ربما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث
لا نفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا استيناف كما سبق وما لنا
ان لا نقاتل اي اي سبب لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي
والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج عن الديار والاوطان
والاغتراب من الاهل والاوطان والاولاد وافراد الابناء بالذكر لمزيد تقوية اسباب
القتال وذلك ان جالوت رأس العمالقة وملكهم وهو جبار من اولاد عمليق بن عاد
كان هو ومن معه من العمالقة يكونون بساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا
على بني اسرائيل واخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة
واربعين نفسا وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم فلما كتب عليهم القتال بعد
سؤال النبي عليه السلام ذلك وبعث الملك تولوا اي اعرضوا وتخلفوا لكن لا في
ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجيء تفصيله وانما ذكر
ههنا مآل امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافي والتباين الا قليلا
منهم وهم الذين عبروا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلثمائة وثلاثة عشر بعدد
اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد
وتنافي اقوالهم وافعالهم والجملة اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل
ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاقوال والافعال اثر الاشارة الاجمالية الى مصير حالهم
اي قال لهم بعد ما اوحي اليه ما اوحي ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم
عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول يأباه منع صرفه وما كان منه روي انه
عليه السلام لما دعا ان يجعل لهم ملكا اتي بعصا يقاس بها من يملك فلم يساوها الا طالوت
قالوا استيناف كما مر انى يكون له الملك علينا اي من اين يكون او كيف يكون ذلك ونحن
احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى حالية والثانية عاطفة جامعة
للجملتين في الحكم اي كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق
منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النبوة كانت
مخصوصة بسبط معين من اسباط بني اسرائيل وسبط لاوي بن يعقوب عليه السلام وسبط
المملكة بسبط يهوذا ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احد هذين
السبطين بل من ولد بنيامين قيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل سقاء قال ان الله
اصطفاه عليكم لما استبعدوا تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك
الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة
فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب
ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما بحظ وافر وذلك

قوله عز وعلا زاده بسطة في العلم اي العلم المتعلق بالملك او به وبالديانات ايضا وقيل قد اوحي اليه ونبي والجسم قيل بطول القامة فانه كان اطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى ان الرجل القايم كان يمد يده فينال رأسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة والله يؤتي ملكه من يشاء لما انه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء من عباده والله واسع يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك ممن لا يليق واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وقال لهم نبيهم توسيط فيما بين قوليه المحكيين عنه عليه السلام للاشعار بعدم اتصال احدهما بالاخر وتخلل كلام من جهة المخاطبين متفرع على السابقين مستتبع للاحق كانهم طلبوا منه عليه السلام اية تدل على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم روي انهم قالوا ما اية ملكه فقال ان اية ملكه ان يأتيكم التابوت اي الصندوق وهو فعلوت من التوب الذي هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير التانيث كملكوت ورهبوت والمشهور ان يوقف على تائه من غير ان تقلب هاء ومنهم من يقلبها اياها والمراد به صندوق التورية وكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عليه السلام سخطا على بني اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما طلب القوم من نبيهم اية تدل على ملك طالوت قال لهم ان اية ملكه ان يأتيكم التابوت من السماء والملائكة يحفظونه فاتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقال ارباب الاخبار ان الله تع انزل على ادم عليه السلام تابوتا فيه تماثيل الانبياء عليهم السلام من اولاده وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وكان عند ادم عليه السلام الى ان توفي فتوارثه اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عليه السلام ثم بقي في ايدي بني اسرايل الى ان وصل الى موسى عليه السلام وكان عليه السلام يضع فيه التورية وكان اذا قاتل قدمه وكانت تسكن اليه نفوس بني اسرايل وكان عنده الى ان توفي ثم تداولته ايدي بني اسرايل وكانوا اذا اختلفوا في شيء تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من التابوت صيحة استيقنوا النصر فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغايط فلما اراد الله تع ان يملك طالوت سلط الله عليهم البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلي بالبواسير وهلكت من بلادهم خمس مداين فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران وقد وكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال لهم النبي ان اية ملكه انكم تجدون التابوت في داره فلما وجدوه عنده ايقنوا بملكه فيه سكينة من ربكم اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة كاينة من ربكم او في التابوت ما تسكنون

وهو التورية

وهو التورية المودعة فيه بناء على ما مر من ان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن اليه نفوس بني اسرايل وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد وياقوت لها رأس وذنب كرأس الهر وذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية مما ترك ال موسى وال هرون رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه وشيء من التورية وكان قد رفعه الله تع بعد وفاة موسى عليه السلام والالهما ابناؤهما او انفسهما والال مقحم لتفخيم شانهما وانبياء بني اسرايل تحمله الملائكة حال من التابوت اي ان اية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملائكة في الرواية الاخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شان التابوت فهو من تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم لقومه او الى نقل القصة وحكاية فهو ابتداء كلام من جهة الله تع جيء به قبل تمام القصة اظهارا لكمال العناية به وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين في التقديرين بتاويل الفريق او غيره كما سلف لاية عظيمة لكم دالة على ملك طالوت او على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بتمليكه عليكم او بشيء من الايات وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى اذ فلما فصل طالوت بالجنود اي انفصل بهم عن بيت المقدس والاصل فصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولا وقد جوز كونه اصلا براسه ممتازا من المتعدي بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وقفا وكصد صدودا وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من طالوت اي ملتبسا بهم ومصاحبا لهم روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسالوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا فبعد ما ظهر له ما تعلقت به مشيئته تع من جهة النبي عليه السلام او بطريق الوحي عند من يقول بنبوته قال ان الله مبتليكم بنهر بفتح الهاء وقرئ بسكونها فمن شرب منه اي ابتدا شربه من النهر بان كرع لانه الشرب منه حقيقة فليس مني اي من جملتي واشياعي المؤمنين وقيل ليس بمتصل ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لكمال اختلاطهما ومن لم يطعمه اي لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا كان او مشروبا او غيرهما قال وان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اي نوما فانه مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله تع فمن شرب منه فليس مني وانما اخر عن الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والغرفة بمعنى

وقرئ بفتح الغين على انها مصدر والبا متعلقة باغترف او بمحذوف وقع صفة لغرفة
اي غرفة كاينة بيده روي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه واداوته ودوابه
واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش فشربوا منه عطف على مقدر
يقتضيه المقام اي فابتلوا به فشربوا منه الا قليلا منهم وهم المشار اليهم فيما سلف
بالاستثناء من التولي وقرئ الا قليل منهم ميلا الى جانب المعنى واضرابا عن مراعاة اللفظ
جانبا فان قوله تعالى فشربوا منه في قوة ان يقال فلم يطيعوه نحو ان يرد والمستثنى
مرفوع كما في قول الفرزدق ٭ وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف ٭
فان قوله لم يدع في حكم لم يبق فلما جاوزه اي النهر هو اي طالوت والذين امنوا
معه عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز لا بامنوا او
الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع خبرا من الموصول كانه قيل فلما جاوزه
والحال ان الذين امنوا كاينون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة الى ان من عداهم
بمعزل من الايمان قالوا اي بعض من معه من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت
وجنوده اي بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا
منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة الف مقاتل شاكي السلاح قال استيناف
مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال مخاطبهم فقيل قال الذين يظنون انهم
ملاقوا الله قيل ان الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون
ثوابه وافرادهم بذلك الوصف لا ينافي ايمان الباقين فان درجات المؤمنين في
التيقن والتوقع متفاوتة او الذين يعلمون انهم يستشهدون عما قريب فيلقون
الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا للمتخلفين عنهم
كانهم قالوه اعتذارا عن التخلف والنهر بينهما كم من فئة اي فرقة وجماعة من الناس
من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى الثاني
فلة قليلة غلبت فئة كثيرة وكم خبرية كانت او استفهامية مفيدة للتكثير وهي في
حيز الرفع بالابتداء خبرها غلبت اي كثير من الفئة القليلة غلبت الفئات الكثيرة
باذن الله اي بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل من نصره
وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده وقد روعي في الجواب
نكتة بديعة حيث لم يقل اطاقت بفئة كثيرة حسبما وقع في كلام اصحابهم مبالغة
في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب ناشئ من كمال ثقتهم بنصر الله
وتوفيقه ولا دخل في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لا سيما بالاستشهاد فان العلم
به ربما يورث الياس من الغلبة ولا للتوقع ثوابه تعالى ولا ريب في ان ما ذكر في حيز
الصلة ينبغي ان يكون مدارا للحكم الوارد على الموصول لا اقل من ان يكون وصفا ملائما
له فلعل المراد بلقايه تعالى لقاء نصره وتاييده عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن اتيان

نصرته بمقارنته سبحانه حيث قيل والله مع الصابرين فان المراد به معية نصره وتوفيقه
حتما وحملها على المعية بالاثابة كما فعل بناء انهم انما قالوه تتميما لجوابهم وتاييدا
له بطريق الاعتراض التذييلي تشجيعا لاصحابهم وتثبيتا لهم في الصبر المؤدي الى الغلبة
ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالاثابة قطعا وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهة
الله تعالى جيء به تقريرا لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبي او من
جهة التابوت والسكينة انهم ملاقوا نصر الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة
باذن الله نحن ايضا نغلب جالوت وايراد خبر ان اسما مع ان اللقاء مستقبل للدلالة على
تقرره وتحققه ولما برزوا اي ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز من الارض
في موطن الحرب لجالوت وجنوده وشاهدوا ما هم عليه من العدد والعدد وايقنوا انهم
غير مطيقين بهم عادة قالوا اي جميعا عند تقوي قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق
الثاني متضرعين الى الله تعالى مستعينين به ربنا افرغ علينا صبرا في مقاساة الشدايد الحرب
واقتحام موارده الصعبة الضيقة وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى
الكمال وايثار الافراغ المعرب عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى
وثبت اقدامنا في مداحض القتال ومزال النزال وثبات القدم عبارة عن كمال القوة
والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرر في حيز واحد
وانصرنا على القوم الكافرين بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين في موضع الضمير العايد
الى جالوت وجنوده للاشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا في الدعاء ترتيبا بديعا حيث
قدموا سؤال افراغ الصبر الذي هو ملاك الامر ثم سؤال النصر الذي هو الغاية القصوى
فهزموهم اي كسروهم بلا مكث باذن الله بنصره وتاييده اجابة لدعائهم وايثار هذه الطريقة
على طريقة قوله عز وجل فاتاهم الله ثواب الخ للمحافظة على مضمون قولهم غلبت فئة
كثيرة باذن الله وقتل داود جالوت كان ايشي ابو داود في عسكر معه ستة من بنيه وكان
داود في عسكر معه ستة من بنيه وكان داود عليه السلام سابعهم وكان صغيرا يرعى
الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر
في طريقه بثلاثة احجار وقال له كل منها احملنا فانك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته
قيل لما ابطا على ابيه خبر اخوته في المصاف ارسل داود اليهم لياتيه بخبرهم فاتاهم
وهم في القراع وقد برز جالوت بنفسه الى البراز ولا يكاد يبارزه احد وكان ظله ميلا
فقال داود لاخوته اما منكم من يخرج الى هذا الاقلف فزجروه فجاء ناحية اخرى ليس
فيها اخوته وقد مر به طالوت وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون
بمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه بنتي واعطيه شطر مملكتي فبرز له داود
فرماه بما معه من الاحجار بالمقلاع فاصابه في صدره فنفذت الاحجار منه وقتلت
بعده ناسا كثيرا وقيل انما تكلمت الاحجار عند بروزه لجالوت في المعركة فانجز له طالوت

وهو يحرض الناس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن يقتل جالوت الخ وقيل انه
حسده واخرجه من مملكته ثم ندم على ما صنعه فذهب يطلبه الى ان قتل وملك داود
عليه السلام واعطي النبوة وذلك قوله عز وجل وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل في
مشارق الارض المقدسة ومغاربها والحكمة اي النبوة ولم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة
قبله الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر وما اجتمعا قبله على ملك قط وعلمه
مما يشاء اي مما يشاء الله تع تعليمه اياه لا مما يشاء داود عليه السلام كما قيل لان معظم ما علمه
تعالى اياه مما لا يكاد يخطر ببال احد ولا يقع في امنيته بشر ليتمكن من طلبه ومشيئته
كالسرد والانة الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الامور الخفية ولولا
دفع الله الناس بعضهم الذين يباشرون الشر والفساد ببعض آخر منهم يردهم عما هم عليه بما
قدره الله تع من القتل كما في القصة المحكية او غيره وقرئ دفاع الله على صيغة المفاعلة
للمبالغة لفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر
ما يعم الارض ويخلها وقيل لولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيثهم وقتلهم
المسلمين او لو لم يدفعهم بالمسلمين لعم الكفر ونزلت السخطة فاستأصل اهل الارض
ولكن الله ذو فضل عظيم لا يقادر قدره على العالمين كافة وهذا اشارة الى قياس استثنائي
مؤلف من وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالي خلا انه قد وضع موضعه ما يستتبعه
ويستوجبه اعني كونه تع ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تع متفضل في ذلك الدفع من غير
ان يجب عليه ذلك وان فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد الفضل العظيم كانه قيل
ولكنه تع يدفع فساد بعضهم ببعض فلا يفسد الارض وينتظم به مصالح العالم وينصلح
احوال الامم تلك اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وخبر طالوت في التفصيل
المرقوم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه آيات الله المنزلة من عنده
تعالى والجملة مستأنفة وقوله تع نتلوها عليك اي بواسطة جبريل عليه السلام اما
حال من الآيات والعامل معنى الاشارة واما جملة مستقلة لا محل لها من الاعراب بالحق
في حيز النصب على انه حال من مفعول نتلوها اي ملتبسة باليقين الذي لا يرتاب فيه
احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما في كتبهم او من فاعله
اي نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب او من الضمير المجرور اي ملتبسا بالحق والصدق
وانك لمن المرسلين اي من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء اوامرنا
واحكامنا عليهم فان هذه المعاملة لا تجري بيننا وبين غيرهم فهي شاهدة منه سبحانه
برسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يستوجبها والتأكيد من مقتضيات مقام الجحد
بها تلك الرسل استئناف فيه رمز الى انه صلى الله عليه وسلم من افاضل الرسل العظام
عليهم الصلوة والسلام اثر بيان كونه من جملتهم والاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم
النبي صلى الله عليه وسلم فاللام في المآل للاستغراق وما فيه من معنى البعد للايذان

بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل الى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل الى الذين
ثبت علمه عليه السلام بهم فضلنا بعضهم على بعض في مراتب الكمال بان خصصناه حسبما
يقتضيه مشيئتنا بمآثر جليلة خلا عنها غيره منهم من كلم الله تفصيل لذلك التفضيل المذكور اجمالا
اي فضله بان كلمه تع بغير سفير وهو موسى عليه السلام حيث كلمه ليلة الحيرة وفي الطور
وقرئ كلم الله بالنصب وقرئ كالم الله من المكالمة فانه كلم الله تع كما انه تع كلمه ويؤيده
كليم الله بمعنى مكالمه وايراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة والرمز
الى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلق التفضيل وما لحق من ايتاء البينات والتأييد
بروح القدس من التفاوت ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على غيره من
الرسل المتفاوتين في معارج الفضل بدرجات قاصية ومراتب نائية وتغيير الاسلوب
لتربية ما بينهم من اختلاف الحال في درجات الشرف والظاهر انه رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما ينبئ عنه الاخبار بكونه عليه السلام منهم فان ذلك في قوة بعضهم
فانه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجمة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة
بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شانه
وللاشعار بانه العلم الفرد الغني عن التعيين وقيل انه ابراهيم عليه السلام حيث خصه
تعالى بكرامة الخلة وقيل ادريس عليه السلام حيث رفعه مكانا عليا وقيل اولو العزم من
الرسل عليهم السلام وآتينا عيسى بن مريم البينات الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة
من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وايدناه اي
قويناه بروح القدس بضم الدال وقرئ بسكونها اي بالروح المقدسة كقولك رجل صدق
وهي روح عيسى وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب
ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما مر وافراده عليه السلام
بما ذكر لرد ما بين اهل الكتابين في شانه عليه السلام من التفريط والافراط والآية ناطقة
بان الانبياء عليهم السلام متفاوتة الاقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع ولو
شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم اي جاؤوا من بعد الرسل من الامم المختلفة اي لو شاء الله عدم
اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة الحق فمفعول المشيئة
محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة وقيل تقديره لو شاء هدى الناس جميعا
ما اقتتل الخ وليس بذاك من بعد ما جاءتهم من جهة اولئك الرسل البينات المعجزات الواضحة
والآيات الظاهرة الدالة على حقية الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سننهم
المؤدي الى الاقتتال من متعلقة باقتتل ولكن اختلفوا استدراك من الشرطية اشير به
الى قياس استثنائي مؤلف من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها الا انه قد وضع فيه
الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب عليه للايذان بان الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته
تع ابتداء كانه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا فمنهم من آمن اي بما

جاءت به أولئك الرسل من البينات وعملوا به ومنهم من كفر بذلك كفراً لا ارعواء له عنه
فاقتضى الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء أحوالهم ولو شاء
الله عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة أيضاً من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال
بحسب العادة ما اقتتلوا أو ما نقص منهم عرق التطاول والتعاون لما أن الكل
تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتأكيد كما ظن بل للتنبيه على أن اختلافهم ذلك ليس
موجباً لعدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه في الاستدراك
موضعه بل هو سبحانه مختار في ذلك حتى لو شاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا
كما يفصح عنه الاستدراك بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد أي من الأمور الوجودية
والعدمية التي من جملتها عدم مشيئته عدم اقتتالهم فإن الترك أيضاً من جملة الأفعال
أي يفعل ما يريد حسبما يريد من غير أن يوجبه عليه موجب أو يمنعه مانع وفيه دليل
بين على أن الحوادث تابعة لمشيئته سبحانه خيراً كان أو شراً إيماناً كان أو كفراً يا أيها
الذين آمنوا أنفقوا في سبيل الله مما رزقناكم أي شيئاً مما رزقناكموه على أن ما موصولة
حذف عائدها والتعرض لوصوله منه تعالى للحث على الإنفاق كما في قوله تعالى وأنفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الإنفاق الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد
من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة كلمة من متعلقة بما تعلقت به أختها
ولا ضير فيه لاختلاف معنييهما فإن الأولى تبعيضية وهذه لابتداء الغاية أي أنفقوا بعض
ما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا تقدرون على تلافي ما فرطتم فيه إذ لا تبايع فيه حتى تبتاعوا
ما تنفقونه أو تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به أخلاؤكم أو يعينوكم عليه
ولا شفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضي له قولاً حتى تتوسلوا بشفعاء يشفعون لكم
في حط ما في ذمتكم وإنما رفعت الثلاثة مع قصد التعميم لأنها في التقدير جواب هل
فيه بيع أو خلة أو شفاعة وقرئ بفتح الكل والكافرون أي التاركون للمذكورة وإيثاره
عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللإيذان بأن ترك
الزكاة من صفات الكفار قال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة هم الظالمون
أي الذين ظلموا أنفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال في غير موضعه وصرفوه إلى
غير وجهه الله لا إله إلا هو مبتدأ وخبر أي هو المستحق للعبودية لا غير في لعنها رجز لا
مثل في الوجود أو يصح أن يوجد خلاف للنحاة معروف الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت
والفناء وهو إما خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف أو بدل من الله أو صفة له ويعضده
القراءة بالنصب على المدح لاختصاصه بالنعت القيوم فيعول من قام بالأمر إذا حفظه
أي دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره لا تأخذه
سنة ولا نوم السنة ما يتقدم النوم من الفتور قال عدي بن الرقاع العاملي وسنان
أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء

اعصاب

أعصاب الدماغ من رطوبات الأبخرة المتصاعدة بحيث تقف المشاعر الظاهرة عن
الإحساس رأساً والمراد انتفاء اعترائهما له سبحانه لعدم كونهما من شأنه تعالى لا أنهما
قاصران بالنسبة إلى القوة الإلهية فإنه بمعزل من مقام التنزيه فلا سبيل إلى حمل النظم
الكريم على طريقة المبالغة والترقي بناء على أن القادر على دفع السنة قد لا يقدر على دفع
النوم القوي كما في قولك فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وإنما تأخير النوم للمحافظة
على ترتيب الوجود الخارجي وتوسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النفي لكل منهما كما في قوله
عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة الآية وأما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض
بعدم الأخذ فلمراعاة الواقع إذ عروض السنة والنوم لمعروضهما إنما يكون بطريق
الأخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة تأكيد لما قبلها من كونه تعالى حياً
قيوماً فإن من يعتريه أحدهما يكون موف الحياة قاصراً في الحفظ والتدبير وقيل
استئناف مؤكد لما سبق وقيل حال مؤكدة من الضمير المستكن في القيوم له ما في السموات
وما في الأرض تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده في الألوهية والمراد بما فيهما
ما هو أعم من أجزائهما الداخلة فيهما ومن الأمور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلاء
وغيرهم من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه بيان لكبرياء شأنه وأنه لا يدانيه أحد ليقدر
على تغيير ما يريده شفاعة وضراعة فضلاً من أن يدافعه عناداً ومناصبة يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم أي ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس أو ما يحسونه وما يعقلونه أو
ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والأرض بتغليب ما فيهما من
العقلاء على غيرهم أو لما دل عليه من ذا الذي من الملائكة والأنبياء عليهم السلام ولا يحيطون
بشيء من علمه أي من معلوماته إلا بما شاء أن يعلموا وعطفه على ما قبله لما أنهما جميعاً دليل على
تفرده تعالى بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والأرض الكرسي
ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكأنه منسوب إلى الكرسي الذي هو الملبد أي ليس
ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود وإنما هو تمثيل لعظمة شأنه عز وجل وسعة سلطانه وإحاطة
علمه بالأشياء قاطبة على طريقة قوله عز قائلاً وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً
قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وقيل كرسيه مجاز عن علمه أخذاً من كرسي
العالم وقيل عن ملكه أخذاً من كرسي الملك فإن الكرسي كلما كان أعظم يكون عظمة القاعد
أكثر وأوفر فعبر عن شمول علمه أو عن بسطة ملكه وسلطانه بسعة كرسيه وإحاطته
بالأقطار العلوية والسفلية وقيل هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات السبع
لقوله عليه الصلاة والسلام ما السموات السبع والأرضون السبع مع الكرسي إلا
كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله
الفلك الثامن وعن الحسن البصري رضي الله عنه أنه العرش ولا يؤوده أي لا يثقله ولا يشق
عليه حفظهما أي حفظ السموات والأرض وإنما لم يتعرض لذكر ما فيهما لما أن حفظهما مستتبع

لحفظه وهو العلي المتعالي بذاته عن الاشباه والانداد العظيم الذي يستحقر بالنسبة
اليه كل ما سواه ولما تري من انطواء هذه الاية الكريمة على امهات المسائل الالهية
المتعلقة بالذات العلية والصفات الجلية فانها ناطقة بانه تعالى موجود متفرد
بالالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره لما ان القيوم هو القائم
بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرء عن التغير والفتور لا مناسبة
بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والارواح مالك الملك والملكوت
ومبدع الاصول والفروع والبطش الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له فيه العالم
وحده بجميع الاشياء جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من
شانه ان يملك ويقدر عليه لا يشق عليه شان ولا يشغله شان متعال عما ينا له
الاوهام عظيم لا يحدق به الافهام تفرد بفضائل رايقة وخواص فايقة خلت
عنها اخواتها قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم اية في القرآن اية الكرسي من قراها
بعث الله تعالى ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك وقال عليه السلام
ما قريت هذه الاية في دار الا اهجرته الشياطين ثلثين يوما ولا يدخلها ساحر
ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم
منها وقال صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه
من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ
مضجعه امنه الله تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال عليه الصلاة
والسلام سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم
صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد
الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وتخصيص سيادته صلى
الله عليه وسلم للعرب بالذكر في اثناء تعداد السادات الخاصة لا يدل على نفي ما دلت
عليه الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته عليه السلام لجميع افراد
البشر لا اكراه في الدين جملة مستانفة جي بها اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشؤن
الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان يحتاج الى التكليف
والالزام بل يختار الدين الحق من غير تحقق تردد وتلعثم وقيل هو خبر في معنى النهي
اي لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم
وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني
سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما
ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت فخلاهما قد تبين الرشد من الغي استيناف تعليلي صدر بكلمة التحقيق لزيادة
تقرير مضمونه كما في قوله عز وجل قد بلغت من لدني عذرا اي قد تبين مما ذكر من نعوته

تعالى

تعالى التي يمتنع توهم اشتراك غيره في شيء منها ان الايمان الذي هو الرشد الغي المؤدي
الى الشقاوة السرمدية فمن يكفر بالطاغوت هو بناء مبالغة من الطغيان كالملكوت
والجبروت قلب مكان عينه ولامه فقيل هو في الاصل مصدر واليه ذهب الفارسي
وقيل اسم جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتانيث لارادة الالهية وهو راي سيبويه
وقيل هو جمع مذهب المبرد وقيل يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتانيث
اي فمن يكفر اثر ما تميز الحق من الباطل بموجب الحجج الواضحة والايات البينة وغير
بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى او صد عن عبادته تعالى لما تبين
له كونه من استحقاق العبادة ويؤمن بالله وحده لما شاهده من نعوته الجليلة المقتضية
لاختصاص الالوهية عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد وتقديم الكفر بالطاغوت
على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية متقدمة على التحلية فقد استمسك
بالعروة الوثقى اي بالغ في التمسك بها كانه وهو متلبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه
والثبات عليه لا انفصام لها الفصم الكسر بغير ابانة كما ان القصم هو الكسر بابانة ونفي
الاول يدل على انتفاء الثاني بالاولوية والجملة اما استيناف مقرر لما قبلها من
وثاقة العروة واما حال من العروة والعامل استمسك او من الضمير المستتر في الوثقى
ولها في حيز الخبر اي كاين لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة
من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية
بالهيئة الحسية المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المامون انقطاعه فلا استعارة في
المفردات ويجوز ان تكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد
لا للنظر الصحيح المؤدي اليه كما قيل فانه غير مذكور في حيز الشرط والاستمساك بها
مستعار لما ذكر من الملازمة او ترشيحا للاستعارة الاولى والله سميع بالاقوال عليم
بالعزايم والعقايد والجملة اعتراض تذييلي حامل على الايمان رادع من الكفر والنفاق
بما فيه من الوعد والوعيد الله ولي الذين امنوا اي معينهم او متولي امورهم والمراد بهم
الذين ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة مالا او حالا يخرجهم تفسير للولاية او خبر ثان
عند من يجوز كونه جملة او حال من الضمير في ولي من الظلمات التي هي اعم من ظلمات
الكفر والمعاصي وظلمات الشبه بل مما في بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف
وخفاء بالقياس الى مراتبها القوية الجلية بل مما في جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان
كما ستعرفه الى النور الذي يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اي يخرج
بهدايته وتوفيقه كل واحد منهم من الظلمة التي وقع فيها الى ما يقابلها من النور وافراد
النور لوحدة الحق كما ان جمع الظلمات لتعدد فنون الضلال والذين كفروا اي الذين ثبت في علمه
تعالى كفرهم اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين وساير المضلين عن طريق الحق فالموصول
مبتدا اولياؤهم الطاغوت خبره والجملة خبر للاول والجملة الى صلة معطوفة على

ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل
ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايمان الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من
جهة التعبير ايضا يخرجونهم بالوسواس وغيرها من طرق الاضلال والاغواء من النور
الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او من نور البينات التي يشاهدونها من جهة
النبي صلى الله عليه وسلم بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها الى الظلمات ظلمات
الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام والجملة تفسير لولاية
الطاغوت او خبر ثان كما مر واسناد الاخراج من حيث السببية الى الطاغوت لا يقدح
في اسناده من حيث الخلق الى قدرته سبحانه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه
بما في حيز الصلة وما يتبعه من القبائح اصحاب النار اي ملابسوها وملازموها بسبب
ما لهم من الجرائم هم فيها خالدون ماكثون ابدا الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه
استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله تع الم تر
انهم في كل واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير لها و
بدئ بهذا لرعاية الاقتران بينه وبين مدلوله ولاستقلاله بامر عجيب حقيق بان
يصدر به المقال وهو اجتراؤه على المحاجة في الله عز وجل وما اتى بها في اثنائها
من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولان فيما بعده تعددا وتفصيلا يورث
تقديمه انتشار النظم على انه قد اشير في تضاعيفه الى هداية الله تع ايضا بواسطة
ابراهيم عليه السلام فان ما يحكى عنه من الدعوة الى الحق وادحاض حجة الكافر
من آثار ولايته تع وهمزة الاستفهام لانكار النفي وتقرير المنفي اي الم تنظر او الم
ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من
النور الى الظلمات اي قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على ان امره من الظهور بحيث لا يكاد
يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وفي التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتاييده في
المحاجة ان آتاه الله الملك اي لان آتاه اياه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاجه
لاجله وضعا للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاداني
لان احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على مانع ايتاء الله الملك الكافر
اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه على الوجه الاخير ربي الذي يحيي ويميت
بفتح ياء ربي وقرئ بحذفها روي انه عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه ثم اخرجه
فقال من ربك الذي تدعوا اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الحيوة والموت
في الاجساد قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية
الحقة فقيل قال انا احيي واميت روي انه دعا برجلين فقتل احدهما واطلق الاخر فقال
ذلك قال استئناف كما سلف كانه قيل فما قال ابراهيم لمن في هذه المدينة من الحماقة

ربما انه قيل قال فان الله ياتي بالشمس من المشرق حسبما يقتضيه مشيئته فات بها من المغرب
ان كنت قادرا على مثل مقدوراته تعالى لم يلتفت عليه السلام الى ابطال مقالة اللعين
ايذانا بان بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطالها من
قبيل السعي في تحصيل الحاصل واتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه فبهت الذي كفر
اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول مفعول له اي فغلب ابراهيم الكافر
واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفرا
والله لا يهدي القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم
بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال
او الى سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية استشهاد على ما ذكر
من ولايته تع للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وايثار او الفارقة على
الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه من اول والكاف اما اسمية كما
اختاره قوم جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر في قولك الفعل
الماضي مثل نصر واما زائدة كما ارتضاه آخرون والمعنى او لم تر الى مثل الذي او الى الذي
مر على قرية كيف هداه الله تع واخرجه من ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود اي
قد رايت ذلك وشاهدته فاذن لا ريب في ان الله ولي الذين آمنوا الخ هذا واما جعل
الهمزة لمجرد التعجب على ان يكون المعنى في الاول الم تنظر الى الذي حاج الخ اي
انظر اليه وتعجب من امره وفي الثاني او رايت مثل الذي مر الخ ايذانا بان حاله
وما جرى عليه في الغرابة بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه راي الجمهور فغير خليق
بجزالة التنزيل وفخامة شانه الجليل فتدبر والمار هو عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع
وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة والضحاك والسدي وقيل هو ارميا بن حلقيا
من سبط هرون عليه السلام قاله وهب وعبيد الله بن عمير وقيل ارميا هو الخضر بعينه
وقال مجاهد كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية بيت المقدس قاله
وهب وعكرمة والربيع وقيل هي دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي هي دير سابر
آباد وقال السدي هي سلماباد والاول هو الاظهر والاشهر روي ان بني اسرائيل
لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد وجاوزوا في العتو والطغيان كل حد معتاد سلط
الله تع عليهم بخت نصر البابلي فسار اليهم في ستمائة الف راية حتى وطئ الشام وخرب
بيت المقدس وجعل بني اسرائيل اثلاثا ثلث منهم قتلهم وثلث منهم اقرهم وثلث منهم
سباهم وكانوا مائة الف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب
كل ملك منهم اربعة غلمة وكان عزير من جملتهم فلما نجاه الله تع منهم بعد حين مر بحماره
على بيت المقدس فراه في افظع مرأى واوحش منظر وذلك قوله عز وجل وهي خاوية على
عروشها اي ساقطة على سقوفها بان سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت اذا سقط

أو من خوى الأرض أي تهدمت والجملة حال من ضمير مر أو من قرية عند من يجوز الحال
من النكرة مطلقا قال أي تلهفا عليها وتشوقا إلى عمارتها مع استشعار اليأس عنها أنى يحيي
هذه الله وهو على ما يرى من الحالة العجيبة المباينة للحياة وتقديمها على الفاعل للاعتناء
بها من حيث إن الاستبعاد ناشئ من جهتها لا من جهة الفاعل وأنى نصب على الظرفية
إن كانت بمعنى متى وعلى الحالية من هذه إن كانت بمعنى كيف والعامل يحيي وأيا ما كان
فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان من بقايا أهلها تفرقوا أيدي سبا ومن غيرهم
وإنما عبر عنها بالإحياء الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة تهويلا للخطب وتأكيدا
للاستبعاد كما أنه لأجله عبر عن خرابها بالموت حيث قيل بعد موتها وحيث كان هذا
معربا عن استبعاد الإحياء بعد الموت على أبلغ وجه وآكده أراه الله عز وجل آثر ذي أثير
أبعد الأمرين في نفسه ثم في غيره ثم أراه ما استبعده صريحا مبالغة في إزاحة ما عسى
يختلج في خلده وأما حمل إحيائها على إحياء أهلها فيأباه التعرض لحال القرية دون
حال أهلها والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم ترابا وعظاما مع كونه أدخل في الاستبعاد
لشدة مباينته للحيوة وغاية بعده عن قبولها على أنه لم يتعلق إرادته تع بإحيائهم كما
تعلقت بعمارتها ومعاينته المار لها كما تحيط به خبرا فأماته الله وألبثه على الموت
مائة عام روي أنه لما دخل القرية وربط حماره فطاف بها ولم ير بها أحدا فقال
ما قال وكانت أشجارها قد أثمرت فتناول من التين والعنب وشرب من عصيره ونام
فأماته الله تع في منامه وهو شاب وأمات حماره وبقية تينه أو عنبه وعصيره عنده
ثم أعمى الله تعالى عنه عيون الناس من المخلوقات فلم يره أحد فلما مضى من موته سبعون
سنة وجه الله عز وعلا ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك إلى بيت المقدس
ليعمره ومعه ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل فجعلوا يعمرونه وأهلك
الله تع بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني إسرائيل وردهم إلى بيت
المقدس وتراجع إليه من تفرق منهم في الأكناف فعمروه ثلثين سنة وكثروا وكانوا أحسن
ما كانوا عليه فلما تمت المائة من موت عزير أحياه الله وذلك قوله تع ثم بعثه وإنما
على إحيائه للدلالة على سرعة تأتيه على الباري تع كأنه بعثه من النوم وللإيذان بأنه
أعاده كهيئته يوم موته عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال قال استيناف
مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قال بعد بعثه فقيل قال كم لبثت ليظهر له عجزه عن الإحاطة
بشؤونه تع وأن إحياءه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم أنه هين في الجملة بل بعد مدة
طويلة ويحسم به مادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على أمر آخر من بدائع
آثار قدرته تعالى وهو إبقاء الغذاء المتسارع إلى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا
طويلا من غير تغير ما وكم نصب على الظرفية مميزها محذوف أي كم وقتا لبثت بعد
الموت والقائل هو الله تع أو ملك مأمور بذلك من قبله تع قيل نودي من السماء يا عزير

كم لبثت بعد الموت قال لبثت يوما أو بعض يوم قاله بناء على التقريب والتخمين أو
استقصارا للمدة لبثه وأما ما يقال من أنه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب
فقال قبل النظر إلى الشمس يوما فالتفت إليها فرأى منها بقية فقال أو بعض يوم على
وجه الإضراب فبمعزل من التحقيق إذ لا وجه للجزم بتمام اليوم ولو بناء على حسبان الغروب
لتحقق النقصان من أوله قال استيناف كما سلف بل لبثت مائة عام عطف على مقدر
أي ما لبثت ذلك القدر بل هذا المقدار فانظر لتعاين أمرا آخر من دلائل قدرتنا إلى
طعامك وشرابك لم يتسنه أي لم يتغير في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه إلى الفساد
روي أنه وجد تينه أو عنبه كما جني وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغير
واو كقوله تع لم يمسسهم سوء أما من الطعام والشراب وإفراد الضمير لجريانهما مجرى
الواحد كالغذاء وأما الأخير اكتفاء بدلالة حاله على حال الأول ويؤيده قراءة من قرأ
وهذا شرابك لم يتسن والهاء أصلية أو هاء سكت واشتقاقه من السنة لما أن لامها هاء
أو واو وقيل أصله يتسنن من الحمإ المسنون فقلبت نونه حرف علة كما في تقضي البازي
وقد جوز أن يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التي مرت لا حقيقة بل تشبيها
أي هو على حاله كأنه لم يلبث مائة عام وقرئ لم يسنه بإدغام التاء في السين وانظر
إلى حمارك كيف نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت أوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر
من لبثك المديد وتطمئن به نفسك وقوله عز وجل ولنجعلك آية للناس عطف على مقدر
متعلق بفعل مقدر قبله بطريق الاستئناف مقرر لمضمون ما سبق أي فعلنا ما فعلنا من
الإحياء بعد ما ذكر لتعاين ما استبعدته من الإحياء بعد دهر طويل ولنجعلك آية للناس
الموجودين في هذا القرن بأن يشاهدوك وأنت من أهل القرون الخالية ويأخذوا
منك ما طوي عنهم منذ أحقاب من علم التورية كما سيأتي أو متعلق بفعل مقدر بعده
أي ولنجعلك آية لهم على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على التقدير دليل على ما ذكر
من اللبث المديد ولذلك قرن بينه وبين الأمر بالنظر إلى حماره وتكرير الأمر في قوله
تع وانظر إلى العظام مع أن المراد عظام الحمار أيضا لما أن المأمور به أولا هو النظر إليها
من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث المديد وثانيا هو النظر إليها من حيث تعتريها الحيوة
ومباديها أي وانظر إلى عظام الحمار لتشاهد كيفية الإحياء في غيرك بعد ما شاهدته
في نفسك كيف ننشزها بالزاي المعجمة أي نرفع بعضها إلى بعض ونردها إلى أماكنها
من الجسد فنركبها تركيبا لائقا بها وقال الكسائي نلينها ونعظمها ولعل من فسره بنحييها
أراد بالإحياء هذا المعنى وكذا من قرأ ننشرها بالراء من نشر الله تع الموتى أي أحياهم
لا معناه الحقيقي لقوله تع ثم نكسوها لحما أي نسترها به كما يستر الجسد باللباس وأما من
قرأ ننشرها بفتح النون وضم الشين فلعله أراد به ضد الطي كما قال الفراء فالمعنى
كيف نبسطها والجملة إما حال من العظام أي وانظر إليها مركبة مكسوة لحما أو بدل

اشتمال أي وانظر إلى العظام كيفية انشازها وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض
لكيفية نفخ الروح لما أنها مما لا يقتضي الحكمة بيانه روي أنه نودي أيتها العظام البالية
إن الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع كل جزء من أجزائها التي ذهب بها الطير والسباع وطارت
بها الرياح من كل سهل وجبل فانضم بعضها إلى بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع
بالضلع والذراع بمحلها والرأس بموضعه ثم الأعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم
ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح فإذا هو قائم ينطق فلما تبين له أي
ما دل عليه الأمر بالنظر إليه من كيفية الإحياء بمباديه والفاء للعطف على مقدر
يستدعيه الأمر المذكور وإنما حذف للإيذان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر
وللإشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله أنا
آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك كأنه قيل فأنشرها الله تعالى وكساها لحما فنظر إليها
فتبين كيفيته فلما تبين له ذلك أي اتضح اتضاحا تاما قال أعلم أن الله على كل شيء من الأشياء
من جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره من تعاجيب الآثار قدير لا يستعصي عليه أمر
من الأمور وإيثار صيغة المضارع للدلالة على أن علمه بذلك مستمر نظرا إلى أن أصله
لم يتغير ولم يتبدل بل إنما تبدل بالعيان وصفه فيه إشعار بأنه إنما قال ما قال
بناء على الاستبعاد العادي واستعظاما للأمر وقد قيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول
أعلم أي فلما تبين له أن الله على كل شيء قدير فتدبر وقرئ تبين له على صيغة المجهول
وقرئ قال اعلم وقيل أعلم على صيغة الأمر روي أنه ركب حماره وأتى محلته وأنكره
الناس وأنكر الناس وأنكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فإذا هو بعجوز
عمياء مقعدة قد أدركت زمن عزير فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت
نعم وأين ذكر عزير قد فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فإني عزير
قالت سبحان الله أنى يكون ذلك قال قد أماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت إن عزيرا
كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله لي يرد علي بصري حتى أراك فدعا ربه ومسح بيده
عينيها فصحتا فأخذ بيدها فقال لها قومي بإذن الله فقامت صحيحة كأنما نشطت من عقال
فنظرت إليه فقالت أشهد أنك عزير فانطلقت إلى محلة بني إسرائيل وهم في أنديتهم
وكان في المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا
عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انظروا فإني بدعائه رجعت إلى هذه الحالة فنهض
الناس فأقبلوا إليه فقال ابنه كان لأبي شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فإذا هو
كذلك وقد كان قتل بخت نصر ببيت المقدس من قراء التوراة أربعين ألف رجل ولم يكن
يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا أحد يعرف التوراة فقرأها عليهم عن ظهر قلبه من غير
أن يخرم منها حرفا فقال رجل من أولاد المسبيين ممن ورد بيت المقدس بعد هلاك بخت
نصر حدثني أبي عن جدي أنه دفن التوراة يوم سبينا في خابية في كرم فإن أريتموني كرم جدي
أخرجتها لكم فذهبوا إلى كرم جده ففتشوها فوجدوها فعارضوها بما أملى عليهم عزير

من ظهر القلب فلما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا وإذ قال إبراهيم دليل آخر على ولايته تعالى للمؤمنين وإخراجه لهم من الظلمات
إلى النور وإنما لم يسلك به مسلك الاستشهاد كما قبله بأن يقال أو كالذي قال رب
الخ لجريان ذكره عليه السلام في أثناء المحاجة ولأنه لا دخل لنفسه عليه السلام في
أصل الدليل كدأب عزير عليه السلام فإن ما جرى عليه من إحيائه بعد مائة عام
من جملة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته والظرف منتصب بمضمر صرح بمثله في نحو
قوله تعالى واذكروا إذ جعلكم خلفاء أي واذكر وقت قوله عليه السلام وما وقع حينئذ من
تعاجيب صنع الله عز وجل لتقف على ما مر من ولايته تعالى وهدايته وتوجيه الأمر
بالذكر في أمثال هذه المواقع إلى الوقت دون ما وقع فيه من الواقعات مع أنها المقصودة
بالتذكير لما ذكر غير مرة من المبالغة في إيجاب ذكرها لما أن إيجاب ذكر الوقت إيجاب
لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولأن الوقت مشتمل عليها مفصلة فإذا استحضر كانت
حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شيء مما ذكر عند الحكاية أو لم يذكر كأنها مشاهدة
عيانا رب كلمة استعطاف قدمت بين يدي الدعاء مبالغة في استدعاء الإجابة أرني
من الرؤية البصرية المتعدية إلى واحد وبدخول همزة النقل طلبت مفعولا آخر
هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها فإنها تعلق كما يعلق النظر البصري أي اجعلني مبصرا
كيف تحيي الموتى بأن تحييها وأنا أنظر إليه وكيف في محل النصب على التشبيه بالظرف عند
سيبويه وبالحال عند الأخفش والعامل فيها تحيي أي في أي حال أو على أي حال تحيي
قال القرطبي الاستفهام بكيف إنما هو سؤال عن حال شيء متقرر الوجود عند السائل والمسؤول
فالاستفهام ههنا عن هيئة الإحياء المتقرر عند السائل أي بصرني كيفية إحيائك للموتى
وإنما سأله عليه السلام ليتأيد إيقانه بالعيان ويزداد قلبه اطمئنانا على اطمئنان
وأما ما قيل من أن نمرود لما قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم عليه السلام إن إحياء
الله تعالى برد الأرواح إلى الأجساد فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر على أن يقول
نعم فانتقل إلى تقرير آخر ثم سأل ربه أن يريه ذلك فيأباه تعليل السؤال بالاطمئنان
قال استيناف كما مر غير مرة أولم تؤمن عطف على مقدر أي ألم تعلم ولم تؤمن بأني
قادر على الإحياء كيف شئت حتى تسألني إراءته قاله عز وجل وهو أعلم بأنه أثبت
الناس إيمانا وأقواهم يقينا ليجيب بما أجاب به فيكون ذلك لطفا للسامعين
قال بلى علمت وآمنت بأنك قادر على الإحياء على أي كيفية شئت ولكن سألت ما سألت
ليطمئن قلبي بمضامة العيان إلى الإيمان والإيقان وازداد بصيرة بمشاهدته على كيفية
معينة قال فخذ الفاء جواب شرط محذوف أي إن أردت ذلك فخذ أربعة من الطير
قيل هو اسم لجمع طائر كركب وسفر وقيل جمع له كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمي به الجنس
وقيل هو تخفيف طير بمعنى طائر كهين في هين ومن متعلقة بخذ أو بمحذوف وقع صفة

لاربع اي اربعة كاينة من الطير قيل هي طاوس وديك وغراب وحمامة وقيل بدل النسر
وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب الي الانسان واجمع لخواص الحيوان ولسهولة تاتي
ما يفعل به من التجربة والتفريق وغير ذلك فصرهن من صاره يصوره اي اماله وقري
بكسر الصاد من صاره يصيره اي املهن واضممهن وقري فصرهن بضم الصاد وكسرها
وتشديد الرا من صره يصره ويصره اذا جمعه وقري فصرهن من التصرية بمعني
الجمع اي اجمعهن اليك لتتاملها وتعرف شانها مفصلة حتي تعلم بعد الاحيا ان جزء
من اجزايها لم ينتقل من موضعه الاول اصلا روي انه امر بان يذبحها وينتف ريشها
ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤسها ثم امر بان
يجعل اجزاءها علي الجبال وذلك قوله تع ثم اجعل علي كل جبل منهن جزءا اي جزء من وفرق
اجزاءهن علي ما بحضرتك من الجبال قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة يجعل علي كل جبل ربعا
او سبعا من كل طاير وقري جزءا بضمتين وجزا بالتشديد بطرح همزته تحقيقا ثم تشديده
عند الوقف ثم اجرا الوصل مجري الوقف ثم ادعهن ياتينك في حيز الجزم علي انه جواب
الامر ولكنه بني لاتصاله بنون جمع المؤنث سعيا اي ساعيات مسرعات او ذوات سعي
طيرانا او مشيا وانما اقتصر علي حكاية اوامره عز وجل من غير تعرض لامتثاله عليه السلام
ولا لما ترتب عليه من عجايب آثار قدرته تع كما روي انه عليه السلام نادي فقال
تعالين باذن الله تعالي فجعل كل جزء منهن يطير الي صاحبه حتي صارت جثثا ثم اقبلن
الي رؤسهن فانضمت كل جثة الي راسها فعادت كل واحدة منهن الي ما كانت عليه
من الهيئة للايذان بان ترتب تلك الامور علي الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها
من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة له الي الذكر اصلا وناهيك بالقصة دليلا علي فضل
الخليل عليه السلام وعن الضراعة في الدعا وحسن الادب في السوال حيث اراه الله تع ما
في الحال علي ايسر ما يكون من الوجوه واري عزيرا ما اراه بعد ما اماته مائة عام
عليهما السلام واعلم ان الله عزيز غالب علي امره لا يعجزه شيء عما يريده حكيم ذو
حكمة بالغة في افاعيله فليس بناء افعاله علي الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها بطريق
خرق العادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل
الله اي في وجوه الخيرات من الواجب والنفل كمثل حبة لا بد من تقدير مضاف في احد
الجانبين اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة انبتت سبع سنابل اي اخرجت
ساقا تشعب منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة في كل سنبلة مائة حبة كما يشاهد
ذلك في الذرة والدخن في الاراضي المغلة بل اكثر من ذلك واسناد الانبات الي الحبة مجازي
كاسناده الي الارض والربيع وهذا التصوير للاضعاف كانها حاضرة بين يدي الناظر
والله يضاعف تلك المضاعفة او فوقها الي ما شاء الله تع لمن يشا اي يضاعف له بفضله علي
حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال في مقادير الثواب

والله

والله يضاعف تلك المضاعفة او فوقها الي ما شاء الله تعالي لمن يشا او يضاعف له بفضله
علي حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ولذلك تفاوتت مراتب الاعمال في مقادير
الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق ومقدار
انفاقه وكيفية تحصيل ما انفقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل جملة مبتداة جي بها لبيان
كيفية الانفاق الذي بين فضله بالتمثيل المذكور ثم لا يتبعون ما انفقوا اي ما انفقوه او
انفاقهم منا ولا اذي المن ان يعتد علي من احسن اليه باحسانه ويريه انه اوجب بذلك
عليه حقا والاذي ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه وانما قدم المن لكثرة وقوعه
وتوسيط كلمة لا للدلالة علي شمول النفي لاتباع كل واحد منهما وثم لاظهار علو رتبة
المعطوف قيل نزلت في عثمان رضي الله تعالي عنه وارضاه حين جهز جيش العسرة بالف
بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن رضي الله عنه حين اتي النبي صلى الله عليه وسلم
باربعة آلاف درهم صدقة ولم يكن بيالهما شيء من المن والاذي لهم اجرهم
اي حسبما وعد لهم في ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا عن الموصول
وفي تكرير الاسناد وتقييد الاجر بقوله عند ربهم من التاكيد والتشريف ما لا يخفي
وتخلية الخبر عن الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب الاجر
علي ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن والاذي امر بين لا يحتاج الي التصريح بالسببية
واما ايهام انهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا فيأباه مقام الترغيب
في الفعل والحث عليه ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه من المكاره ولا هم يحزنون
لفوات مطلوب من المطالب قل او جل اي لا يعتريهم ما يوجبه لا انه يعتريهم ذلك لكنهم
لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون علي النشاط
والسرور وكيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله تع وهيبته واستصغارا
للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خواص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام
انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما ان النفي
وان دخل علي نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام قول معروف اي كلام
جميل يقبله القلوب ولا تنكره يرد به السايل من غير اعطا شيء ومغفرة اي ستر لما وقع
من السايل من الالحاف في المسالة وغيره مما يثقل علي المسؤل وصفح عنه وانما صح الابتداء
بالنكرة في الاول لاختصاصها بالوصف وفي الثانية بالعطف او بالصفة المقدرة
اي ومغفرة كاينة من المسؤل خير اي للسايل من صدقة يتبعها اذي لكونها مشوبة بضرر ما
يتبعها وخلوص الاولين من الضرر والجملة مستانفة مقررة لاعتبار ترك اتباع المن
والاذي وتنكير المغفرة بنيل مغفرة من الله تع بسبب الرد الجميل او بعفو السايل بناء علي
اعتبار الخيرية بالنسبة الي المسؤل ويؤدي الي ان يكون في الصدقة الموصوفة بالنسبة
اليه خير في الجملة مع بطلانها بالمرة والله غني لا يحوج الفقرا الي تحمل مؤنة المن والاذي

ويريهم من جهة اخرى حليم لا يعاجل اصحاب المن والاذى بالعقوبة لا انهم لا يستحقو
بسببهما والجملة تذييل لما قبلها مشتمل على الوعد والوعيد مقرر لاعتبار الخيرية
بالنسبة الى السائل قطعا يا ايها الذين آمنوا اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان ما بين طريق
الغيبة مبالغة في ايجاب العمل بموجب النهي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اي لا تحبطوا اجرها
بواحد منهما كالذي في محل النصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تبطلوها
ابطالا كابطال الذي ينفق ماله رئاء الناس واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا
اي لا تبطلوا مشابهين الذي ينفق اي الذي يبطل انفاقه بالرياء وقيل من ضمير المصدر
المقدر على ما هو رأي سيبويه وانتصاب رئاء على انه علة لينفق اي لاجل رئائهم او على
انه حال من فاعله اي ينفق ماله مرائيا والمراد به المنافق لقوله تع ولا يؤمن بالله واليوم
الآخر حتى يرجو ثوابا او يخشى عقابا فمثله الفاء لربط ما بعدها بما قبلها اي فمثل المرائي
في الانفاق وحالته العجيبة كمثل صفوان اي حجر املس عليه تراب اي شيء يسير منه
فاصابه وابل اي مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس ليس عليه شيء من الغبار اصلا
لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله
تعالى فجعلناه هباء منثورا والجملة استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا يكون
حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورة كونهم مثلهم كما ذكر كون مثل من يشبههم وهم
اصحاب المن والاذى كذلك والضمير الاخير ان للموصول باعتبار المعنى كما في قوله
عز وجل وخضتم كالذي خاضوا لما ان المراد به الجنس او الجمع او الفريق كما ان الضمائر
الاربعة السابقة له باعتبار اللفظ والله لا يهدي القوم الكافرين اي الى الخير والرشاد والجملة
تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه تعريض بان كلا من الرياء والمن والاذى من خصائص
الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اي لطلب رضاه
وتثبيتا من انفسهم اي لتثبيت بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما في قولهم هز من
عطفيه وحرك من نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تع فقد
ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله لوجه الله فقد ثبتها كلها او وتصديقا للاسلام و
وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم فمن ابتدائية كما في قوله تع حسدا من عند انفسهم ويحتمل
ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه
ويعضده قراءة من قرأ وتبيينا من انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية
النفس عن البخل وحب المال الذي هو رأس كل خطيئة كمثل جنة بربوة الربوة بالحركات
الثلاث وقد قرئ بها المكان المرتفع اي مثل نفقتهم في الزكاء كمثل بستان كائن بمكان
مرتفع مأمون من ان يحطمه البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة له فان
اشجار الربى تكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضي المنخفضة فقلما تسلم ثمارها
من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبة اصابها وابل مطر عظيم القطر

فآتت اكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا ضعفين اي مثلي ما كانت تثمر في سائر
الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثال ونصبه
على الحال من اكلها اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي فطل يكفيها لجودتها وكرم
منبتها ولطافة هوائها وقيل فيصيبها طل وهو المطر الصغير القطرة وقيل فالذي يصيبها
طل والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار
ما صدر عنهم ما يقارنها من الاحوال ويجوز ان يعتبر التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم
من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما اصابها من المطر الكثير واليسير
فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جلت او قلت بعد ان يطلب
بها وجه الله تع زاكية زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عند الله تع والله بما تعملون بصير لا يخفى
عليه شيء منه وهو ترغيب في الاخلاص مع تحذير من الرياء ونحوه ايود احدكم الود حب
الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما والهمزة لانكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي
لا لانكار الواقع كما في قولك اتضرب اباك على ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلق به
الود بل انما هو اصابة الاعصار وما يتبعها من الاحتراق ان تكون له جنة وقرئ جنات
من نخيل واعناب اي كائنة منهما على ان يكون الاصل والركن فيها هذين الجنسين الشريفين
الجامعين لفنون المنافع والباقي في المستتبعات لا على ان لا يكون فيها غيرهما كما ستعرفه
والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير كأن عيني في غربي مقتلة
من النواضح تسقي جنة سحقا وعلى الارض المشتملة عليها والاول هو الانسب بقوله عز
وجل تجري من تحتها الانهار اذ على الثاني لا بد من تقدير مضاف اي من تحت اشجارها وكذا
لا بد من جعل اسناد الاحتراق اليها فيما سيأتي مجازيا والجملة في محل الرفع على انها صفة
جنة كما ان قوله تعالى من نخيل واعناب كذلك او في محل النصب على انها حال منها لانها
موصوفة له فيها من كل الثمرات الظرف الاول خبر والثاني حال والثالث مبتدأ
اي صفة للمبتدأ قائمة مقامه اي له رزق من كل الثمرات كما في قوله تع وما منا الا له مقام
معلوم اي وما منا احد الا له الخ وليس المراد بالثمرات العموم بل انما هو التكثير كما في قوله
تع واوتيت من كل شيء واصابه الكبر اي كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة الى ثمارها ومئنة
كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو حالية اي وقد اصابه الكبر وله ذرية
ضعفاء حال من الضمير في اصابه اي اصابه الكبر والحال ان له ذرية صغار لا يقدرون
على الكسب وترتيب مبادي المعاش وقرئ ضعاف فاصابها اعصار اي ريح عاصفة تستدير
في الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على هيئة العمود فيه نار شديدة فاحترقت
عطف على فاصابها وهذا كما ترى حال من يعمل اعمال البر والحسنات ويضم اليها ما يحبطها
من القوادح ثم يجدها يوم القيمة عند كمال حاجته الى ثوابها هباء منثورا في التحسر والتأسف
عليها كذلك توحيد الكاف مع كون المخاطب جمعا قد مر وجهه مرارا اي مثل ذلك البيان

الواضح الجاري في الظهور مجرى الامور المحسوسة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون كي تتفكروا
وتعتبروا بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم بيان
لحال ما ينفق منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيته اي انفقوا من حلال ما كسبتم وجياده
لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومما اخرجنا لكم من الارض اي طيبات
ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه ولا تيمموا
بفتح التاء اصله ولا تتيمموا وقرئ بضمها وقرئ ولا تاموا والكل بمعنى القصد اي لا
تقصدوا الخبيث الردي الخسيس وهو كالطيب من الصفات الغالبة لا تذكر موصوفها
منه تنفقون الجار متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة
حال من فاعل تيمموا اي لا تقصدوا الخبيث قاصدين الانفاق عليه او من الخبيث اي
مختصا به الانفاق وايا ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق
الخبيث خاصة لا للتوسيع انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا
يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا
من الخبيث والضمير للمال المدلول عليه بحسب المقام او للموصولين على طريقة
كان في الجلد توليع البهق او للثاني وتخصيصه بذلك لما ان التفاوت فيه اكثر وتنفقون
حال من الفاعل المذكور اي ولا تقصدوا الخبيث كائنا من المال او مما كسبتم ومما
اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى ولستم بآخذيه حال على كل حال او تنفقون اي
تنفقون والحال انكم لا تاخذونه في معاملاتكم في وقت من الاوقات او بوجه من
من الوجوه الا ان تغمضوا فيه الا وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم وهو عبارة عن
المسامحة بطريق الكناية والاستعارة يقال اغمض بصره اذا غضه وقرئ على البناء
للمفعول في معنى ان تحملوا على الاغماض وتدخلوا فيه او توجدوا مغمضين وقرئ
تغمضوا وتغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث
ثم استانف فقيل على طريقة التوبيخ والتقريع منه تنفقون والحال انكم لا تاخذونه
الا اذا اغمضتم فيه ومآله الاستفهام الانكاري فكانه قيل امنه تنفقون الخ واعلموا
ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لمنفعتكم وفي الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم
به توبيخ لهم بما يصنعون من اعطاء الخبيث وايذان بان ذلك من آثار الجهل بشانه تعالى
فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطي ان الاخذ محتاج الي ما يعطيه بل مضطر
اليه حميد مستحق للحمد على نعمه العظام حامد بقبول الجيد والاثابة عليه الشيطان يعدكم
الفقر الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على شيء من زمان او غيره يستعمل
في الشر استعماله في الخير قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا اي يعدكم في الانفاق
الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك بالوعد مع ان الشيطان لم
يضف مجيء الفقر الي جهته للايذان بمبالغته في الاخبار بتحققه بحيث كانه نزله في تقرر الوقوع

منزلة افعاله الواقعة بحسب ارادته او لوقوعه في مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة
وقرئ بضم الفاء والسكون وبضمتين وبفتحين ويامركم بالفحشاء اي بالخصلة الفحشاء اي
ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمامور على فعل المامور به والعرب تسمي
البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال
الفاحش المتشدد وقيل بالمعاصي والسيئات والله يعدكم اي في الانفاق مغفرة لذنوبكم
والجار في قوله تعالى منه متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لفخامتها التي افادها التنكير
اي مغفرة اي مغفرة مغفرة كائنة منه عز وجل وفضلا صفة محذوفة لدلالة المذكور
عليها كما في قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره اي فضلا كائنا منه تعالى
اي خلفا منه مما انفقتم زائدا عليه في الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا في الآخرة
والله واسع قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من المغفرة واخلاف ما تنفقون عليم
مبالغ في العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم او يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل
فلا احتمال للخلف في الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله يؤتي الحكمة قال
مجاهد الحكمة هي القرآن والعلم والفقه وروي عن ابن نجيح انها الاصابة في القول
والعمل وعن ابراهيم النخعي انها معرفة معاني الاشياء وفهمها وقيل هي معرفة حقائق
الاشياء وقيل هي الاقدام على الافعال الحسنة الصائبة وعن مقاتل انها تفسر في القرآن
باربعة اوجه فتارة بمواعظ القرآن واخرى بما فيه من عجائب الاسرار ومرة بالعلم
والفهم واخرى بالنبوة ولعل الانسب بالمقام ما ينتظم الاحكام المبينة في تضاعيف
الآيات الكريمة من احد الوجهين الاولين ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل
بها من يشاء من عباده ان يؤتيها اياه بموجب سعة فضله واحاطة علمه كما اتاكم ما بينته
في ضمن الآي من الحكم البالغة التي يدور عليها فلك منافعكم فاغتنموها وسارعوا الي العمل
بها والموصول مفعول اول ليؤتي قدم عليه الثاني للعناية به والجملة مستانفة
مقررة لمضمون ما قبلها ومن يؤت الحكمة على بناء المفعول وقرئ على البناء للفاعل اي
ومن يؤته الله الحكمة والاظهار في مقام الاضمار لاظهار الاعتناء بشانها وللاشعار
بعلة الحكم فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير فانه قد حيز له خير الدارين وما يذكر
اي وما يتعظ بما اوتي من الحكمة او وما يتفكر فيها الا اولوا الالباب اي العقول الخالصة
عن شوائب الوهم والركون الي متابعة الهوى وفيه من الترغيب في المحافظة على الاحكام
الواردة في شان الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حال او اعتراض تذييلي وما انفقتم من نفقة
بيان لحكم كلي شامل لجميع افراد النفقات وما في حكمها اثر بيان حكم ما كان منها في سبيل
الله وما اما شرطية او موصولة حذف عائدها من الصلة اي وما انفقتموه من نفقة
اي اي نفقة كانت في حق او باطل في سر او علانية قليلة او كثيرة او نذرتم من نذر النذر عقد
الضمير على شيء والزامه وفعله كضرب ونصر من نذر اي نذر كان في طاعة او معصية

بشرط او بغير شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلوة ونحوهما بان الله يعلمه الفاء على الاول داخلة على الجواب وعلى الثاني مزيدة في الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف بكلمة او كما في قولك زيد او عمرو اكرمته ولا يقال اكرمتهما ولهذا صير الى التاويل في قوله تع ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما بل يعاد الضمير تارة الى المقدم رعاية للاولية كما في قوله عز وعلا واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها واخرى الى المؤخر رعاية للقرب كما في الاية الكريمة وفي قوله تع ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وحمل النظم على تاويلهما بالمذكور ونظايره او على حذف الاول ثقة بدلالة الثاني عليه كما في قوله تع والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف ونحوهما مما عطف فيه بالواو والجامعة تعسف مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما في تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بان لتاكيد مضمونها افادة لتحقيق الجزاء فانه تع مجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وما للظالمين بالانفاق والنذر في المعاصي او بمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء والمن والاذى وغير ذلك مما ينتظم معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشيء في غير موضعه الذي يحق ان يوضع فيه من انصار اي اعوان ينصرونهم من باس الله وعقابه لا شفاعة ولا مدافعة وايراد صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اي وما لظالم من الظالمين من نصير من الانصار والجملة استيناف مقرر لما قبله من الوعيد مفيد لفظاعة حال من يفعل ما يفعل من الظالمين تحصيل الاعوان ورعاية الاخوان ان تبدوا الصدقات فنعما هي نوع تفصيل لبعض ما اجمل في الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما اي ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا ابداؤها بعد ان لم يكن رياء وسمعة وقرئ بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بكسر النون واخفاء حركة العين وهذا في النفقات المفروضة واما في صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهي التي اريد بقوله تعالى وان تخفوها اي تعطوها خفية وتعل التصريح بايتائها الفقراء ويقدم مع انه واجب في الابداء ايضا لما ان الاخفاء مظنة الالتباس والاشتباه فان المغني ربما يدعي الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس فهو خير لكم اي فالاخفاء خير لكم من الابداء وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال واما في الواجب فالامر بالعكس لدفع التهمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم اي والله يكفر او الاخفاء ومن تبعيضية اي شيئا وقرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدا محذوف اي ونحن نكفر او على انها جملة مبتدأة من فاعل

وفاعل وقرئ مجزوما عطفا على محل ما بعد الفاء ومما بعده لانه جواب الشرط والله بما تعملون من الاسرار والاعلان خبير فهو ترغيب في الاسرار ليس عليك هديهم اي لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبايح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهي عن الشر والردع عنه بما اوحي اليك من الايات والذكر الحكيم ولكن الله يهدي هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة جيء بها على طريقة تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات وتوجيهه الى الرسول في حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تدارك امرهم على النبي صلى الله عليه وسلم مؤذن بوجوبه عليهم حسبما ينطوي عليه ما بعده من الشرطية وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي يحملهم الحاجة على الدخول في الاسلام فنزلت اي ليس عليك هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم في الاسلام فلا التفات حينئذ في الكلام وضمير الغيبة للمعهودين من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى وما تنفقوا من خير على الاول التفات من الغيبة الى خطاب المكلفين لزيادة هزهم نحو الامتثال وعلى الثاني تلوين للخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبي صلى الله عليه وسلم وما شرطية جازمة لتنفقوا منصبة على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له اي اي شيء تنفقوا كائن من مال فلانفسكم اي فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنعوا به من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث او فنفعه الديني لكم لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث الدين من فقراء المشركين وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله استيناف من اعم العلل او اعم الاحوال اي ليست نفقتكم لشيء من الاشياء الا لابتغاء وجه الله تع او ليست في حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله تع وقيل هو نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي اجره وثوابه اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجملها فهو تاكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف اليكم ما يخلفه وهو من نتايج دعائه عليه السلام بقوله اللهم اجعل للمنفق خلفا وللممسك تلفا وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسالها وهي مشركة ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان كان ذميا وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب المضاعف

او من الحال للفقراء متعلق بمحذوف ينساق اليه الكلام كما في قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقون للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض اي ذهابا فيها للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله تع عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون من كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اي من اجل تعففهم عن المسئلة تعرفهم بسيماهم اي تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين منهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم لا يسألون الناس الحافا اي الحاحا وهو ان يلازم السائل المسئول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى لا يسألونهم شيئا وان سألوا لحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل هو نفي لكلا الامرين جميعا على طريقة قوله على لاحب لا يهتدى لمناره اي لا منار ولا اهتداء وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن الجزاء فهو ترغيب في التصدق لا سيما على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت في شان الصديق رضي الله عنه حيث تصدق باربعين الف دينار عشرة الاف منها بالليل وعشرة الاف بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية وقيل في علي رضي الله عنه حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق كل واحد منها على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار وقيل في رباط الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين الخ ولذلك جوز الوقف على علانية ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين ياكلون الربوا اي ياخذونه والتعبير عنه بالاكل لما انه معظم ما قصد به ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة في المقدار في الاجل حسبما فصل في كتب الفقه وانما كتب بالواو كالصلوة على لغة من يفخم في امثالها وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع لا يقومون اي من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله فلذلك يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنفي اي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكلهم الربوا او بيقوم او بيتخبطه فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم بل لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوا من الربوا فاثقلهم فصاروا مخبلين ينهضون ويسقطون تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم وتنا

انهم

اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بفظاعة المشار اليه بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وقالوا يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربوا اصلا في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين في الاول ضائع حتما وفي الثاني منجبر بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربوا انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه في مقابلة النص مع ما اشير اليه من عدم الاشتراك في المناط والجملة ابتداء لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اي فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربوا وقرئ جاءته من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة للاشعار بكون مجيء الموعظة للتربية فانتهى عطف على جاءه اي فاتعظ بلا تراخ وتبع النهي فله ما سلف اي ما تقدم اخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي سيبويه لعدم اعتماده الظرف على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد اي الى تحليل الربوا فاولئك اشارة الى من عاد والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الشر والعناد اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون ماكثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق الله الربوا اي يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيها ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما يربي احدكم مهره وفيه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب اي لا يرضى لان الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسوله وبما جاءهم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما في الصالحات لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكائيل عقيب الملائكة عليهم السلام لهم اجرهم جملة من مبتدأ وخبر واقعة خبرا لان اي اجرهم الموعود لهم وقوله تع عند ربهم حال من اجرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروه آت ولا هم يحزنون من محبوب فات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي قوا انفسكم عقابه وذروا ما بقي من الربوا اي واتركوا بقايا ما شرطتم منه على الناس تركا كليا ان كنتم مؤمنين على الحقيقة فان ذلك مستلزم لامتثال ما امرتم به البتة وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله اي ان كنتم مؤمنين فاتقوه وذروا الخ روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا اي ما امرتم به من الاتقاء وترك البقايا اما مع

واتوا الزكاة

انكار حرمته واما مع الاعتراف بها فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من
اذن بالشيء اذا علم به اما على الاول فحرب المؤمنين واما على الثاني فحرب
البغاة وقرئ فآذنوا اي فاعلموا غيركم قيل هو من الاذن وهو الاستماع فانه
من طرق العلم وقرئ فايقنوا وهو مؤيد لقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن
متعلقة بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة لفخامتها اي بنوع من الحرب عظيم لا يقادر
قدره كائن من عند الله تعالى ورسوله روي انه لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا
بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء مع الايمان بحرمتها بعد ما سمعتموه
من الوعيد فلكم رؤوس اموالكم تاخذونها كملا لا تظلمون غرماءكم باخذ الزيادة
والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او حال من الضمير في لكم والعامل
ما تضمنه الجار من الاستقرار ولا تظلمون عطف على ما قبله اي لا تظلمون انتم من قبلهم
بالمطل والنقص ومن ضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لان
عدمها ان كان مع انكار الحرمة فهم مرتدون وما لهم المكسوب في حال الردة
فيء للمسلمين عند ابي حنيفة رح وكذا سائر اموالهم عند الشافعي وعندنا هو لورثتهم
ولا شيء لهم على كل حال وان كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شوكة فهم على شرف
القتل لم تسلم لهم رؤوسهم فكيف برؤوس اموالهم والا فكذلك عند ابن عباس رضي الله عنهما
فانه يقول من عامل الربوا يستتاب والا ضرب عنقه واما عند غيره فهم محبوسون
الى ان يظهر توبتهم لا يمكنون من التصرفات اصلا فان لم يتوبوا لم يسلم لهم شيء من اموالهم
بل انما يسلم موتهم لورثتهم وان كان ذو عسرة اي ان وقع غريم من غرمائكم ذو
عسرة على ان كان تامة وقرئ ذا عسرة على انها ناقصة فنظرة اي فالحكم نظرة او
فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهي الانتظار والامهال وقرئ فناظرة اي فالمستحق ناظرة
اي منتظرة او صاحب نظرة على طريق النسب وقرئ فناظرة امر من المفاعلة اي فسامحه
بالنظرة الى ميسرة اي الى يسار وقرئ بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ
بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كما في قوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
وان تصدقوا بحذف احدى التائين وقرئ بتشديد الصاد اي وان تصدقوا على معسري
غرمائكم بالابراء خير لكم اي اكثر ثوابا من الانتظار او خير مما تاخذونه لمضاعفة
ثوابه ودوامه فهو مندوب الى ان يتصدقوا برؤوس اموالهم كلا او بعضا على غرمائهم المعسرين
كقوله تع وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام
لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون جوابه محذوف
اي ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه واتقوا يوما هو يوم القيمة وتنكيره للتفخيم
والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدائد والاهوال ترجعون
على البناء للمفعول من الرجع وقرئ على البناء للفاعل من الرجوع والاول ادخل في التهويل وقرئ

صح

بالياء على طريق الالتفات وقرئ تردون وكذا تصيرون الى الله لمحاسبة اعمالكم ثم توفى
كل نفس من النفوس والتعميم للمبالغة في تهويل اليوم اي تعطى كملا ما كسبت اي جزاء
ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون حال من كل نفس تفيد ان العاقبين وان كانت
عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين في ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير لانه انسب
بحال الجزاء كما ان الافراد انسب بحال الكسب عن ابن عباس رضي الله تع عنهما انها آخر
اية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة
وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين
وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين شروع في
بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف المعاوضات الجارية فيما بينهم ببيع السلع
بالنقود بعد بيان حال الربوا اي اذا داين بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا او
آخذا وفائدة ذكر الدين دفع توهم كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنوعه الى
الحال والمؤجل وانه الباعث على الكتبة وتعيين المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر
الى اجل متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة لدين مسمى بالايام او الاشهر
ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها فاكتبوه
اي الدين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على استحبابه وعن ابن عباس رضي
الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح فيه السلف وليكتب بينكم كاتب
بيان لكيفية الكتابة المامور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وحذف
المفعول اما للتعيين او للقصد الى ايقاع نفس الفعل اي فعل الكتابة وقوله تعالى
بينكم للايذان بان الكاتب ينبغي ان يتوسط بين المتداينين ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام
احدهما وقوله تع بالعدل متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب اي كاتب كائن بالعدل اي
وليكن المتصدي للكتابة من شانه ان يكتب بالسوية من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد
ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء كتابه موثوقا به معدلا
بالشرع ويجوز ان يكون حالا من الامة اي ملتبسا بالعدل وقيل متعلق بالفعل اي وليكتب بالحق
ولا ياب كاتب اي ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتاب الدين كما علمه الله على
طريقة ما علمه من كتبة الوثائق او كما بينه بقوله تع بالعدل او لا ياب ان ينفع الناس
بكتابته كما نفعه الله تع بتعليم الكتابة كقوله تع واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك
الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن ابائها تاكيدا اليها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر على
ان يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق الاملال
هو الاملاء اي وليكن المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر وليتق
الله ربه جمع بين الاسم الجليل والنعت الجميل للمبالغة في التحذير اي وليتق المملي دون الكاتب
كما قيل لقوله تع ولا يبخس منه اي من الحق الذي عليه على الكاتب شيئا فانه الذي يتوقع منه

البضع خاصة وأما الكاتب فيتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه النقص فلو أريد نهيه لنهي
عن كليهما وقد فعل ذلك حيث أمر بالعدل وإنما شدد في تكليف المملي حيث جمع فيه
بين الأمر بالاتقاء والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي إلى المنهي عنه فإن الإنسان مجبول
على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما في ذمته بما أمكن فإن كان الذي عليه الحق صرح بذلك
في موضع الإضمار لزيادة الكشف والبيان لا لأن الأمر والنهي لغيره سفيها ناقص العقل
مبذرا مجازفا أو ضعيفا صبيا أو شيخا مختلا أو لا يستطيع أن يمل هو أو غير مستطيع للإملاء
بنفسه لخرس أو عي أو جهل أو غير ذلك من العوارض فليملل وليه أي الذي يلي أمره
ويقوم مقامه من قيم أو وكيل أو مترجم بالعدل أي من غير نقص ولا زيادة بغير ما له
به من عليه الحق لأنه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس واستشهدوا شهيدين أي اطلبوا
ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكم من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة
الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية أو بمحذوف وقع صفة لشهيدين
ومن تبعيضية أي شهيدين كائنين من رجال المسلمين الأحرار إذ الكلام في معاملاتهم
فإن خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه وأما إذا كانت
المداينة بين الكفرة أو كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا فإن لم يكونا
أي الشهيدان جميعا على طريقة نفي الشمول لا شمول النفي رجلين إما لإعوازهما أو لسبب
آخر من الأسباب فرجل وامرأتان أي فيشهد رجل وامرأتان أو فرجل وامرأتان يكفون
وهذا فيما عدا الحدود والقصاص عنده وفي الأموال خاصة عند الشافعي رحمه الله ممن ترضون
متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان أي كائنون مرضيين عندكم وتخصيصهم
بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت
لشهيدين أي كائنين ممن ترضون ورد بأنه يلزم الفصل بينهما بالأجنبي وقيل بدل من
رجالكم بتكرير العامل ورد بما ذكر من الفصل وقيل متعلق بقوله تعالى فاستشهدوا فيلزم
الفصل بين شرط المرأتين وبين تعليله وقوله عز وجل من الشهداء متعلق بمحذوف
وقع حالا من الضمير المحذوف الراجع إلى الموصول أي ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء
لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم وإدراج النساء في الشهداء بطريق التغليب أن تضل إحداهما
فتذكر إحداهما الأخرى تعليل لاعتبار العدد في النساء والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن
الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما في قولك أعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه
كأنه قيل لأجل أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت الشهادة بأن نسيتها ولعل إيثار ما عليه
النظم الكريم على أن يقال أن تضل إحداهما فتذكرها الأخرى لتأكيد الإبهام والمبالغة
في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال بإحداهما بعينها والتذكير بالأخرى وقرئ فتذكر
من الإذكار وقرئ فتذاكر وقرئ إن تضل على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى ومن عاد فينتقم
الله منه ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ۝ لأداء الشهادة أو لتحملها وتسميتهم شهداء قبل

التحمل

الحوا الجمع الأعظم والخلق الكثير

التحمل لما مر من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مزيدة عن قتادة أنه كان الرجل يطوف
للاستشهاد في الحواء العظيم فلا يتبعه منهم أحد فنزلت ولا تسأموا أي لا تملوا من كثرة مداينتكم
أن تكتبوه أي الدين أو الحق أو الكتاب وقيل كني به عن الكسل الذي هو صفة المنافق كما
ورد في قوله تعالى وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقول
المؤمن كسلت صغيرا أو كبيرا حال من الضمير أي حال كونه صغيرا أو كبيرا أي قليلا أو كثيرا
أو مجملا أو مفصلا إلى أجله متعلق بمحذوف وقع حالا من الهاء في تكتبوه أي مستقرا في
الذمة إلى وقت حلوله الذي أقر به المديون ذلكم إشارة إلى ما أمر به من الكتب
والخطاب للمؤمنين أقسط أي أعدل عند الله أي في حكمه تعالى وأقوم للشهادة أي أثبت
لها وأعون على إقامتها وهما مبنيان من أقسط وأقام فإنه قياسي عند سيبويه أو من
قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وإنما صحت الواو في أقوم كما صحت في التعجب لجموده
وأدنى أن لا ترتابوا وأقرب إلى انتفاء ريبكم في جنس الدين وقدره وأجله وشهوده
ونحو ذلك إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء منقطع من الأمر
بالكتابة أي لكن وقت كون تداينكم أو تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها
بينكم بتعاطيهما يدا بيد فليس عليكم جناح أن لا تكتبوها أي فلا بأس بأن لا تكتبوها لبعده
عن التنازع والنسيان وقرئ برفع تجارة على أنها اسم كان وحاضرة صفتها وتديرونها
خبرها أو على أنها تامة وأشهدوا إذا تبايعتم أي هذا التبايع أو مطلقا لأنه أحوط والأوامر
الواردة في الآية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في إحكامها
ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد نهي عن المضارة محتمل للبنائين كما ينبئ عنه قراءة من قرأ
ولا يضارر بالكسر والفتح ونهيهما عن ترك الإجابة والتغيير والتحريف في الكتبة
والشهادة أو نهي الطالب عن الضرار بهما بأن يعجلهما عن مهمهما أو يكلفهما الخروج
عما حد لهما أو لا يعطي الكاتب جعله وقرئ بالرفع على أنه نفي في معنى النهي وإن تفعلوا
ما نهيتم عنه من الضرار فإنه أي فعلكم ذلك فسوق بكم أي خروج عن الطاعة ملتبس
بكم واتقوا الله في مخالفة أمره ونواهيه التي من جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله
أحكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم فلا يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك
كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلاث لإدخال الروعة وتربية المهابة وللتنبيه على استقلال
كل منها بمعنى على حياله فإن الأولى حث على التقوى والثانية وعد بالإنعام والثالثة تعظيم
لشأنه تعالى وإن كنتم على سفر أي مسافرين أو متوجهين إليه ولم تجدوا كاتبا في المداينة
وقرئ كتابا وكتبا وكتابا فرهان مقبوضة أي فالذي يستوثق به أو فعليكم أو فليؤخذ أو
فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا المتعلق للتعليق لاشتراط السفر في شرعية الارتهان
كما حسبه مجاهد والضحاك لأنه صلى الله عليه وسلم رهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين
صاعا من شعير وأخذه لأهله بل لإقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة في السفر

الذي هو مظنة اعوازها وانما لم يتعرض لحال الشاهد لما انه في حكم الكاتب توثقا
واعوازا والجمهور على وجوب القبض في تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف وكلا
جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء تخفيفا فان امن بعضكم بعضا اي هو المديون
الداينين بعض المديون لحسن ظنه واستغنى بامانته عن الارتهان وقرئ فان اومن
بعضكم اي امنه الناس ووصفوه بالامانة فيكون اصحاب بعضا حينئذ على نوع
للتضمين اي على متاع بعض فليؤد الذي اؤتمن وهو المديون وانما عبر عنه بذلك
العنوان لتعينه طريقا للاعلام وحمله على الاداء امانته اي دينه وانما سمي امانة لايتمانه
عليه بترك الارتهان به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء في التاء وهو
خطأ لان المنقلبة من الهمزة لا تدغم لانها في حكمها وليتق الله ربه في رعاية حقوق الامانة
وفي الجمع بين الالوهية وصفة الربوبية من التاكيد والتحذير ما لا يخفى ولا تكتموا الشهادة
ايها الشهود او المديونون اي شهادتكم على انفسكم عند المعاملة ومن يكتمها فانه آثم قلبه
آثم خبر ان وقلبه مرتفع به على الفاعلية كانه قيل يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم
خبر مقدم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مما اقترفه ونظيره نسبة
الزنا الى العين والاذن او للمبالغة لانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال كانه قيل
تمكن الاثم في نفسه وملك اشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة
وقرئ قلبه بالنصب كما في سفه نفسه وقرئ اثم قلبه اي جعله آثما والله بما تعملون عليم
فيجازيكم ان خيرا فخير وان شرا فشر لله ما في السموات وما في الارض من الامور الداخلة في
حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولي العلم وغيرهم اي كلها له تعالى خلقا
وملكا وتصرفا لا شركة لغيره في شيء منها بوجه من الوجوه وان تبدوا ما في انفسكم من السوء
والعزم عليه بان تظهروه للناس بالقول او بالفعل او تخفوه بان تكتموه منهم ولا تظهروه
باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس واحاديث النفس التي
لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو
حجة على منكري الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل
للاعتناء به واما تقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما في قوله عز وجل قل ان تخفوا ما في
صدوركم او تبدوه يعلمه الله فلما ان المعلق بما في انفسهم ههنا هو المحاسبة والاصل فيها
الاعمال البادية واما العلم فتعلقه بها كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه
بمعلوماته متعال عن ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه في اي
طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة
خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة الابداء اذ ما من شيء يبدى الا وهو مبادئه
قبل ذلك مضمر في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية

وقد

وقد مر في تفسير قوله او لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيغفر بالرفع
على الاستئناف اي فهو يغفر بفضله لمن يشاء اي يغفر له ويعذب بعدله من يشاء ان يعذبه
حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم
رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء
على انهما بدل من الجواب بدل بعض او اشتمال ونظيره الجزم في البدلية من
الشرط من قوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام
الراء في اللام لحن والله على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته
تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما فرع عليه
من المغفرة والتعذيب آمن الرسول لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة ان ما انزل
الى الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الشان هدى للمتقين ما فصل هنالك
من الصفات الفاضلة التي من جملتها الايمان به وبما انزل قبله من الكتب الالهية
وانهم حائزون الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقق اتصافهم
بها اذ ليس فيما ذكر في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من
المجاهرين والمنافقين ثم شرح في تضاعيفها من فنون الشرائع والاحكام والمواعظ
واخبار سوالف الامم وغير ذلك ما تقتضي الحكمة شرحه عين في خاتمتها المتصفون بها
وحكم باتصافهم بها على طريقة الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الايمان وحسن
الطاعة وذكر صلى الله عليه وسلم بطريق الغيبة مع ذكره هناك بطريق الخطاب لما ان
حق الشهادة الباقية على مر الدهور ان لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض ههنا
لبيان فوزهم بمطالبهم التي من جملتها ما حكي عنهم من الدعوات الآتية ايذانا بانه
امر محقق غني عن التصريح به لا سيما بعد ما نص عليه فيما سلف وايراده عليه السلام
بعنوان الرسالة المنبئة عن كونه عليه السلام صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد
لما يعقبه من قوله تعالى بما انزل اليه ومزيد توضيح لاندراجه في الرسل المؤمن بهم عليهم
السلام والمراد بما انزل اليه ما يعم كله وكل جزء من اجزائه ففيه تحقيق لكيفية ايمانه صلى
الله عليه وسلم وتعيين لعنوانه اي آمن عليه الصلاة والسلام بكل ما انزل اليه
من ربه ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرائع والاحكام والقصص
والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى واما
الايمان بحقية احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك فمن فروع الايمان به من الحيثية
انه منزل المذكورة في هذا الاجمال اجلالا لمحله عليه السلام واشعارا بان تعلق
ايمانه بتفاصيل ما انزل اليه واحاطته بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث
لا حاجة الى ذكره اصلا وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام تشريف له وتنبيه على ان انزاله اليه تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم

والمؤمنون اي الفريق المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لافضائها الى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدأ وقوله عز وجل كل مبتدأ ثان وقوله تعالى آمن خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والرابط بينهما الضمير الذي ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير في آمن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان كل فرد فرد منهم غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تع وكل اتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله لتاكيد الاشعار بما بين ايمانه عليه السلام المبني على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كانهما متخالفان من كل وجه حتى في هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لما في الحكم بايمان كل واحد منهم على الوجه الآتي من نوع خفاء محوج الى التقوية والتاكيد اي كل واحد منهم آمن بالله وحده من غير شريك له في الالوهية والمعبودية وملائكته اي من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من شأنهم التوسط بينه تع وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحي فان مدار الايمان بهم ليس خصوصيات ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم اليه تع من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب في النظم وكتبه ورسله اي من حيث مجيئها من عنده تعالى لارشاد الخلق الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد من تلك الكتب منزل منه تع الى رسول معين من اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تع قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي عيسى وما اوتي النبيون من ربهم الاية ولا على ارتباط الايمان خصوصية ذلك الكتاب او ذلك الرسول بل على ان الايمان بالكل مندرج في الايمان بالكتاب المنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ومستند اليه لما تلي من الاية الكريمة ولا على ان الاحكام الكتب السالفة وشرائعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب آخر ناسخ له وان ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرائع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى يوم القيمة وانما لم يذكر ههنا الايمان باليوم الاخر كما ذكر في قوله تع ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان بكتبه وقرئ بكتابه على ان المراد به القرآن او جنس الكتاب كما في قوله تع فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في افراد الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما اجمل في قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر عليه ايذانا بكفايته في الايمان الاجمالي المتحقق في كل فرد من افراد المؤمنين من غير نفي للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت ايمانهم

بالامور

بالامور المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال في المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية ايمانه عليه السلام من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلائل والدقائق ثم ان الامور المذكورة حيث كانت من الامور الغيبية التي لا يوقف عليها من جهة العليم الخبير كان الايمان بها مصدقا لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الايمان بالغيب واما الايمان بكتبه تع فاشارة الى ما في قوله تع يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هذا هو اللائق بشأن التنزيل والحقيق بمقداره الجليل وقد جوز ان يكون قوله تع والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين معا كانه قيل آمن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين آمن بالله الخ خلا انه قدم المؤمن به في المعطوف اعتناء بشأنه وايذانا باصالته عليه السلام في الايمان به ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول من كمال شأنه عليه السلام وتفخيم ايمانه مخل بجزالة النظم الكريم لانه ان حمل كل من الايمانين على ما يليق بشأنه صلى الله عليه وسلم من حيث التعلق بالتفاصيل استحال اسنادهما الى غيره عليه السلام وضاع التكرير وان حملا على ما يليق بشأن احاد الامة كان ذلك حطا لرتبته العلية عليه السلام واما حملهما على ما يليق بكل واحد ممن نسبا اليه من الاحاد ذاتا وتعلقا بان يحملا بالنسبة الى الرسول صلى الله عليه وسلم على الايمان العياني المتعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى احاد الامة على الايمان المكتسب من جهته عليه السلام اللائق بحالهم في الاجمال والتفصيل فاعتساف بين ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وقوله تع لا نفرق بين احد من رسله في حيز النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على انه حال من ضمير آمن او مرفوع على انه خبر آخر لكل اي يقولون لا نفرق بينهم بان نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم قيد به ايمانهم تحقيقا للحق وتخطئة لاهل الكتابين حيث اجمعوا على الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم واستقلت اليهود بالكفر بعيسى عليه السلام ايضا على ان مقصودهم الاول ابراز ايمانهم بما كفروا به من رسالته عليه السلام لا اظهار موافقتهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريح في ان القائلين احاد المؤمنين خاصة اذ لا يمكن ان يسند اليه عليه السلام ان يقول لا نفرق بين احد من رسله وهو يريد به اظهار ايمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وانما الرسل مع تحقق التلازم من الطرفين لما ان الاصل في تفريق المفرقين هو الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على اسناد الفعل الى كل وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى كما في قوله تعالى وكل اتوه داخرين فالجملة نفسها حال من الضمير المذكور وقيل

خبر ثان لكل كما قيل في القول المقدر فلابد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس
اذ المراد شمول النفي لا نفي الشمول والكلام في همزة احد وفي دخوله نفي عليه قد مر
تفصيله في قوله تع لا نفرق بين احد منهم وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق
بين كل فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس ان يقال لا نفرق بين رسله واثار
اظهار الرسل على الاضمار الواقع مثله في قوله تع وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق
بين احد منهم اما للاحتراز عن توهم اندراج الملائكة في الحكم او للاشعار بعلة عدم
التفريق او للايماء الي عنوانه لان المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر
الحيثيات الخاصة وقالوا عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية
لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية ايمانهم سمعنا اي فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته ﻫ
واطعنا ما فيه من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك
غفرانك ربنا اي اغفر لنا او نسالك غفرانك ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه
البشر من التقصير في مراعات حقوقك وتقديم ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران
لما ان تقديم الوسيلة على المسؤل ادعي الي الاجابة والقبول والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة اليهم للمبالغة في التضرع والجوار واليك المصير اي الرجوع
بالموت والبعث لا الي غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة الي المغفرة لما ان الرجوع
للحساب والجزاء وقوله تع لا يكلف الله نفسا الا وسعها جملة مستأنفة مستقلة جيء بها
اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تع بحسن الطاعة اظهارا لما له تعالى عليهم في ضمن التكليف
من محاسن اثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء هذا وقد روي انه لما
نزل قوله تع وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتد ذلك على
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا
من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والحج والجهاد وقد انزل اليك هذه الآية
ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين
من قبلكم سمعنا وعصينا بل قالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقرأها
القوم فانزل الله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه الي قوله تع غفرانك ربنا
واليك المصير فتوهم الغفران المعلق بمشيئته عز وجل في قوله عز وجل في قوله
تع فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تع لا يكلف الله نفسا الا وسعها تقوية للخطب عليهم مبينا
ان المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا يستطاع
الاحتراز عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة ومشقة والوسع ما يسع الانسان ولا
يضيق عليه اي سنته تع انه لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر
عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلا منه تع ورحمة لهذه الامة كقوله تع يريد
الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على عدم وقوع ﻫ

التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تع لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت للترغيب في المحافظة
على مواجب التكليف والتحذير عن الاخلال بها ببيان ان تكليف كل نفس مع مقارنته
لنعمة التخفيف والتيسير يتضمن مراعاته منفعة زائدة وانها تعود اليها لا الي غيرها
ويستتبع الاخلال به لنعمة التخفيف والتيسير يتضمن مراعاته منفعة زائدة فان
الاختصاص منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدواعي الي تحصيله واقتصار مضرته عليه
من اشد الزواجر عن مباشرته اي لها ثواب ما كسبت من الخير الذي كلفت فعله لا غيرها
استقلالا او اشتراكا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من اجزاء مكسوبها وعليها لا على غيرها
باحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر وسيئها في طلبه الذي كلفت تركه
وايراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من احتمال ناشئ من اعتناء النفس بتحصيل الشر وسعيها
في طلبه ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا شروع في حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر
التكليف اي لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور المؤدية الي النسيان او الخطاء من تفريط
وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت التكليف او بانفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر او مطلقا
اذ لا امتناع في المؤاخذة بهما عقلا فان المعاصي كالسموم فكما ان تناولها ولو سهوا او خطاء
مؤد الي الهلاك فتعاطي المعاصي ايضا لا يبعد ان يفضي الي العقاب وان لم يكن عن عزيمة
ووعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه بان ذلك من آثار فضله ورحمته كما
ينبئ عنه الرفع في قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطاء والنسيان وقد روي ان اليهود
كانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة فدعاؤهم بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة
والاعتداد بالنعمة في ذلك كما في قوله تع ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا ولا تحمل
علينا اصرا عطف على ما قبله وتوسيط النداء بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر والعبء
الثقيل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه مكانه والمراد به التكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب
الذي لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة
كما حملته على الذين من قبلنا في حيز النصب على انه صفة لمصدر محذوف اي حملا
مثل حملك اياه على من قبلنا وهو ما كلفه بنو اسرائيل من بخع النفس في التوبة وقطع
موضع النجاسة وخمسين صلاة في يوم وليلة وصرف ربع المال للزكوة وغير
ذلك من التشديدات فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة حرم عليهم من الطعام بعض
ما كان حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم وقد عصم الله تع بفضله ورحمته هذه الامة عن امثال ذلك وانزل في شانهم ويضع
عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة
وعن العقوبات التي عوقب بها الاولون من المسخ والخسف وغير ذلك قال عليه السلام رفع
عن امتي المسخ والغرق ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به عطف على ما قبله واستعفاء عن العقوبات
التي لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدي اليها التفريط فيه من التكاليف الشاقة التي كانت

من كلها يخلوا عن التفريط فيها كانه قيل لا يكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا في المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدي اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير للاصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا يفي به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلا على جوازه عقلا والا لما سيل التفاصي عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان **واعف عنا** اي آثار ذنوبنا **واغفر لنا** واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤس الاشهاد **وارحمنا** وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية **انت مولينا** سيدنا ونحن عبيدك وناصرنا او متولي امورنا **فانصرنا على القوم الكافرين** فان من حق المولى ان ينصر عبده ومن تولى امره على الاعداء والمراد به عامة الكفرة وفيه اشارة الى اعلاء كلمة الله والجهاد في سبيله تع حسبما امر في تضاعيف السورة الكريمة غاية مطالبهم روي انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت وعنه عليه السلام انزل الله تع آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي عام من قراهما بعد العشاء الاخيرة اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرا آيتين من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكره ان يقول سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عليه السلام السحرة ع

بسم الله الرحمن الرحيم **الم الله لا اله الا هو** ع

قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردا كصاد وقاف ونون ولا موازنا لمفرد كحاميم وطاسين وياسين الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد حسبما ذكره سيبويه في الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسما او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لانه مغتفر في باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما نقله ابو بكر رواية عن عاصم واما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فانما هي حركة همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج على التخفيف فهي مبقاة حركتها في حكم الثابت المبتدا به والميم بكون الحركة لغيرها في حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعترض بانه غير معهود في الكلام وقيل هي حركة لالتقاء السواكن التي هي الياء والميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها وانت خبير بان سقوطها مبني على وقوعها في الدرج وقد عرفت ان سكون الميم وقفي موجب لانقطاعها عما بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها الا كما في الحروف والاسماء المبنية على السكون فان حقها الاتصال بما بعدها وضعا واستعمالا فيسقط بها همزة الوصل في اعجازها لالتقاء الساكنين ثم ان جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسما للسورة فمحلها اما الرفع على انها خبر مبتداء محذوف واما النصب على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكر واقرأ ونحوهما واما الرفع بالابتداء او النصب بتقدير فعل القسم او الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشيء منها لما ان ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للاقسام عليه فان الاسم الجليل مبتداء وما بعده خبره والجملة مستانفة اي هو المستحق للعبودية لا غير وقوله عز وجل **الحي القيوم** خبر آخر له او لمبتدأ محذوف اي هو الحي القيوم لا غير وقيل هو صفة للمبتداء او بدل منه او من الخبر الاول او هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتداء والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل او حال منه واياما كان فهو كالدليل على اختصاص استحقاق العبودية به سبحانه وتعالى لما مر من ان معنى الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفناء ومعنى القيوم الدايم القيام بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تع اختصاص استحقاق المعبودية به تع لاستحقاق تحققه بدونهما وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم في ثلث سور في سورة البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم وروي ان بني اسرائيل سالوا موسى عليه السلام عن اسم الله الاعظم قال الحي القيوم وروي ان عيسى عليه السلام كان اذا اراد احياء الموتى يدعوا يا حي يا قيوم ويقال ان آصف بن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعا بذلك وقرئ الحي القيام وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روي ان وفد نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم ثلاثة منهم اكابر اليهم يؤل امرهم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب مدراسهم ابو حارثة بن علقمة احد بني بكر بن وائل وقد كان ملوك الروم شرفوه وموّلوه واكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده في دينهم وبنوا له الكنائس فلما خرجوا من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابي حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز تعسا للابعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز لم يا اخي قال انه والله النبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا قال لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنا به لاخذوا منا كلها فوقع ذلك في قلب كرز واضمره الى ان اسلم فكان يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية ع

فاخرة يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا مثلهم وقد
حانت صلوتهم فقاموا ليصلوا في المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق ثم تكلم
اولئك الثلاثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيي
الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير
وتارة اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلاثة لقوله تعالى
فعلنا وقلنا ولو كان واحدا لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك فقال عليه السلام كذبتم يمنعكم من الاسلام دعاؤكم
لله تعالى ولدا قالوا ان لم يكن ولد الله فمن ابوه فقال عليه السلام الستم تعلمون
انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي
لا يموت وان عيسى ياتي عليه الفنا قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا قيوم
على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئا
قالوا لا فقال عليه السلام الستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في
السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى من ذلك قالوا لا قال عليه السلام
فقال الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وان ربنا لا ياكل ولا يشرب ولا يحدث
قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المراة ووضعته كما
تضع المراة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث
الحدث قالوا بلى قال عليه السلام فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فابوا الا جحودا
فانزل الله عز وجل من اول السورة الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليه السلام
عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذي فيه يمترون **نزل عليك الكتاب** اي
القرآن عبر عنه باسم الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد في حيازة كمالات
الجنس كانه هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسم
التوراة والانجيل وصيغة التفعيل للدلالة على التفخيم وتقديم الظرف على المفعول
لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة اما مستانفة او خبر آخر من
الاسم الجليل او هي الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو اعتراض او حال وقوله عز وجل الحي
القيوم صفة او بدل كما مر وقرئ نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب فالظاهر
ح ان تكون مستانفة وقيل يجوز كونها خبرا بحذف العائد اي نزل الكتاب من عنده **بالحق**
حال من الفاعل او المفعول اي نزله محقا في تنزيله على ما هو عليه او ملتبسا بالعدل
في احكامه او بالصدق في اخباره التي من جملتها خبر التوحيد وما يليه وفي وعده ووعيده
او بما يحقق انه من عند الله تعالى من الحجج البينة **مصدقا** حال من الكتاب بالاتفاق وعلى تقدير
كون قوله تعالى بالحق حالا من فاعل نزل واما على تقدير حاليته من الكتاب فهو عند من يجوز
تعدد الحال لما عطف ولا بدلية حال منه بعد حال واما عند من يمنعه فقد قيل انه حا

من جعل الحال الاولى على البدلية وقيل من المستكن في الجار والمجرور لانه حينئذ يحمل
ضميرا لقيامه مقام فاعله المتحمل له فيكون حالا متداخلة وعلى كل حال فهي حال مؤكدة
وفائدة تقييد التنزيل بها حث اهل الكتابين على الايمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه
فان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه حتما **لما بين يديه** مفعول
لمصدقا واللام دعامة لتقوية العمل نحو فعال لما يريد اي مصدقا لما قبله من الكتب
السالفة وفيه ايماء الى حضورهما وكمال ظهور امرهما بين الناس وتصديقه اياهما
في الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله تعالى عز وجل عما لا يليق بشانه الجليل
والامر بالعدل والاحسان وكذا في انباء الانبيا والامم الخالية وكذا في نزوله على النعت
المذكور فيهما وفي الشرايع التي لا تختلف باختلاف الامم والاعصار ظاهر لا ريب فيه واما
في الشرايع المختلفة باختلافهما فمن حيث ان احكام كل واحد منها واردة حسبما يقتضيه
الحكمة التشريعية بالنسبة الى خصوصيات الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح اللايقة
بشانهم **وانزل التورية والانجيل** تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعة محله تاكيدا لما
قبله وتمهيدا لما بعده اذ بذلك يترقى شان ما يصدقه رفعة ونباهة ويزداد
في القلوب قبولا ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما في الشناعة واستتباع ما ذكر من
العذاب الشديد والانتقام اي انزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما السلام وانما لم يذكر
لان الكلام في الكتابين لا فيمن انزلا عليه وهما اسمان اعجميان الاول عبري والثاني
سرياني ويعضده القراءة بفتح همزة الانجيل فان افعيل ليس من ابنية العرب والتصدي
لاشتقاقهما من الوري والنجل تعسف **من قبل** متعلق بانزل اي انزلهما من قبل تنزيل الكتاب
والتصريح به مع ظهور الامر للمبالغة في البيان **هدى للناس** في حيز النصب على انه علة
للانزال اي انزلهما لهداية الناس وقيل على انه حال منهما اي انزلهما حال كونهما هادين
لهم والافراد لما انه مصدر جعل نفس الهدى مبالغة او حذف منه المضاف اي
ذوي هدى ثم ان اريد هدايتهما بجميع ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالناس الامم
الماضية من حين نزولهما الى زمان نسخهما وان اريد هدايتهما بجميع ما فيهما على
الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه لما ان هدايتهما بما عدا الشرايع المنسوخة
من الامور اللاتي يصدقهما القرآن فيها ومن جملتها البشارة بنزوله وبمبعث النبي صلى الله
عليه وسلم تعم الناس قاطبة **وانزل الفرقان** الفرقان في الاصل مصدر كالغفران اطلق
على الفاعل مبالغة والمراد به ههنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف شامل لما ذكر
منها وما لم يذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله
عز وجل فانبتنا فيها حبا وعنبا الى قوله تعالى وفاكهة واما نفس الكتب المذكورة اعيد
ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على طريق العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا
للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله سبحانه فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين

اي التفنن الناشي من الامر

امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ واما الزبور فانه مشتمل على
المواعظ الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى الخير والرشاد والزاجرة عن
الشر والفساد وتقديم الانجيل عليه مع تاخره عنه نزولا لقوة مناسبته للتوراة
في الاشتمال على الاحكام والشرايع وشيوع اقترانهما في الذكر واما القران نفسه
ذكر بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيما لشانه ورفعا لمكانه وتدين اولا
تنزيله التدريجي الى الارض وثانيا انزاله الدفعي الى السماء الدنيا او اريد بالا
نزال لقدر المشترك العادي عن قيد التدريج وعدمه واما المعجزات المقرونة
بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين المحق والمبطل ان الذين كفروا بايات الله ع
وضع موضع الضمير العايد الى ما فصل من الكتب المنزلة او منها ومن المعجزات الايات
مضافة الى الاسم الجليل تعيينا لحيثية وتهويلا لامرهم وتاكيدا لاستحقاقهم العذاب
الشديد وايذانا بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكل بل يكفي فيه الكفر ببعض
منها والمراد بالموصول اما اهل الكتابين وهو الانسب بمقام المحاجة معهم او جنس
الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوليا اي ان الذين كفروا بما ذكر من ايات الله الناطقة
بالحق لا سيما بتوحيده تعالى وتنزيهه عما لا يليق بشانه الجليل كلا او بعضا مع ما بها
من النعوت الموجبة للايمان بها بان كذبوا بالقرآن اصالة وبساير الكتب الالهية
تبعا لما ان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما يصدقه حتما واساله ايضا بان كذبوا
باياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه واياتها المبشرة بنزول القران ومبعث النبي
صلى الله عليه وسلم وغيروها لهم بسبب كفرهم عذاب مرتفع اما على الفاعلية من الجار
والمجرور او على الابتدا والجملة خبر ان والتنوين للتفخيم اي اي عذاب عذاب
شديد لا يقادر قدره وهو وعيد جي به اثر تقرير امر التوحيد الذاتي والوصفي
والاشارة الى ما ينطق بذلك من الكتب الالهية حملا على القبول والاذعان وزجرا
عن الكفر والعصيان والله عزيز لا يغالب يفعل ما يشا ويحكم ما يريد ذو انتقام
عظيم خارج عن افراد جنسه وهو افتعال من النقم وهي السطوة والتسلط يقال
انتقم منه اذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلي مقرر للوعيد ومؤكد له ان الله
لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء استيناف كلام سيق لبيان سعة علمه تع واحاطته
بجميع ما في العالم من الاشياء التي من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرا او جهرا
اثر بيان كمال قدرته وعزته تربية لما قبله من الوعيد وتنبيها على ان الوقوف
على بعض المغيبات كما كان في عيسى عليه السلام بمعزل من بلوغ رتبة الصفات الالهية
وانما عبر عن علمه عز وجل بما ذكر بعدم خفائه عليه كما في قوله سبحانه وما يخفى على
الله من شيء في الارض ولا في السماء ايذانا بان علمه تع بمعلوماته وان كانت في اقصى
الغايات الخفية ليس من شانه ان يكون على وجه يمكن ان يقارنه شائبة خفاء بوجه من

الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلاء والجملة المنفية خبر لان
وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء مؤكدة لعمومه
المستفاد من وقوعه في سياق النفي اي لا يخفى عليه شيء ما كاين في الارض ولا في السماء اعم
من ان يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما او الجزئية منهما وقيل متعلقة بيخفى وانما
عبر بهما عن كل العالم لانهما قطراه وتقديم الارض على السماء لاظهار الاعتناء بشان ع
احوال اهلها وتوسيط حرف النفي بينهما للدلالة على الترقي من الادنى الى الاعلى باعتبار
القرب والبعد منا المستدعين للتفاوت بالنسبة الى علومنا وقوله عز وجل هو الذي
يصوركم في الارحام كيف يشا جملة مستانفة ناطقة ببعض احكام قيوميته تع وجريان
احوال الخلق في اطوار الوجود حسب مشيته المبنية على الحكم البالغة مقررة لكمال
علمه مع زيادة بيان لتعلقه بالاشياء قبل تعلقها دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب
علمه تع بالصور المختلفة المترتبة على التصوير المترتب على المشية تحققها بمراتب وكلمة في
متعلقة بيصوركم او بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول اي يصوركم وانتم في الارحام
مضغ وكيف معمول ليشا والجملة في محل النصب على الحالية اما من فاعل يصوركم اي يصوركم
كاينا على مشيته تع اي مريدا او من مفعوله اي يصوركم كاينين على مشيته تع تابعين لها
في قبول الاحوال المتغايرة من كونكم نطفا ثم علقا ثم مضغا غير مخلقة ثم مخلقة وفي الاتصاف
بالصفات المختلفة من الذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصفات وفيه
من الدلالة على بطلان زعم من زعم ربوبية عيسى عليه السلام وهو من جملة ابنا النواسيت
المتقلبين في هذه الاطوار على مشية الباري عز وعلا وكمال ركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرئ
تصوركم على صيغة الماضي من التفعل اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يتصف
بشيء مما ذكر من الشؤون العظيمة الخاصة بالالوهية احد ليتوهم الوهيته العزيز الحكيم
المتناهي في القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النمط البديع هو الذي انزل
عليك الكتاب شروع في ابطال شبههم الناشية عما نطق به القران في نعت عيسى عليه
السلام بطريق الاستيناف اثر بيان اختصاص الربوبية ومناطها به سبحانه وتع تارة بعد
اخرى وكون كل من عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيته قيل ان وفد نجران قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تزعم يا محمد ان عيسى كلمة الله وروح منه قال
عليه السلام بلى قالوا فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبين ان الكتاب
مؤسس على اصول رصينة وفروع مبنية عليها ناطقة بالحق قاضية ببطلان ما هم
عليه من الضلال والمراد بالانزال القدر المشترك المجرد عن الدلالة على قيد التدريج
وعدمه واللام في الكتاب للعهد وتقديم الظرف عليه لما اشير اليه فيما قبل من الاعتناء ع
بشان بشارته عليه السلام بتشريف الانزال عليه ومن التشويق الى ما انزل فان
النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار برفعة شانه او بمنفعته تبقى

مترتبة له فتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن وليتصل به تقسيمه الى قسمين
منه آيات الظرف خبر وآيات مبتدأ او بالعكس بتأويل مر تحقيقه في قوله تعالى
ومن الناس من يقول الآية والاول اوفق بقواعد الصناعة والثاني ادخل في جزالة
المعنى اذ المقصود الاصلي انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لا كونهما من الكتاب
فتدبر والجملة مستأنفة او في حيز النصب على الحالية من الكتاب اي هو الذي انزل
الكتاب كائنا على هذه الحال اي منقسما الى محكم ومتشابه او الظرف هو الحال وحده
وآيات مرتفع على الفاعلية محكمات صفة آيات اي قطعية الدلالة على المعنى المراد
محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب اي اصل فيه وعمدة
يرد اليها غيرها فالمراد بالكتاب كله والاضافة بمعنى في كما في واحد العشرة لا بمعنى
اللام فان ذلك يؤدي الى كون الكتاب عبارة عما عدا المحكمات والجملة اما صفة
لما قبلها او مستأنفة وانما افرد الام مع تعدد الآيات لما ان المراد بيان اصلية
كل واحدة منها او بيان ان الكل بمنزلة آية واحدة كما في قوله تع وجعلناها وابنها
آية للعالمين وقيل اكتفى بالمفرد عن الجمع كما في قول الشاعر. بها جيف الحسرى فاما عظامها
فبيض واما جلدها فصليب. اي واما جلودها واخر نعت لمحذوف معطوف على
آيات اي وآيات اخر وهي جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول
من الآخر او من آخر من متشابهات صفة لاخر وفي الحقيقة صفة للمحذوف اي محتملات
لمعان متشابهة لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر
الدقيق والتأمل الانيق والتشابه في الحقيقة وصف لتلك المعاني وصف
به الآيات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول وقيل لما كان من شأن الامور
المتشابهة ان يعجز العقل عن التمييز بينها سمي كل ما لا يهتدي اليه العقل متشابها
وان لم يكن كذلك بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل ما دخل في اشكاله
وامثاله ولم يعلم بعينه ثم اطلق على كل غامض وان لم يكن غموضه من تلك الجهة
وانما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد في
تدبرها وتحصيل العلوم التي نيط بها استنباط ما اريد بها من الاحكام الحقة فينالوا
بها وباتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللائقة المدارج
العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمئنان الى المعارج
القاصية واما قوله عز وجل الر كتاب احكمت آياته فمعناه انها حفظت من اعتراء
الخلل او من النسخ او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيتها او جعلت حكيمة لانطوائها
على جلائل الحكم البالغة ودقائقها وقوله تع كتابا متشابها مثاني معناه متشابه
الاجزاء اي يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول فاما
الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق الى الاهواء الباطلة قال الراغب الزيغ الميل

عن الاستقامة الى احد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن
سنن الرشاد واصرارهم على الشر والفساد فيتبعون ما تشابه منه معرضين عن
المحكمات اي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب او بتأويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان
بكونه من عند الله تعالى بل ابتغاء الفتنة اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك
والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد وابتغاء تأويله اي وطلب
ان يأولوه حسبما يشتهونه من التأويلات الزائغة والحال انهم بمعزل من تلك
الرتبة وذلك قوله تع وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم فانه حال
من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اي يتبعون المتشابه لابتغاء تأويله والحال
انه مخصوص به تع وبمن وفقه به من العلم عبارة الراسخين في العلم اي الذين ثبتوا في
فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي تعليق الاتباع بابتغاء تأويله دون نفس تأويله
وتجريد التأويل عن الوصف بالصحة او الحقية ايذان بانهم ليسوا من التأويل في شيء وان
ما يبتغونه ليس بتأويل اصلا لا انه تأويل غير صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على الا الله
فسر المتشابه بما استأثر الله عز وجل بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة ونحو
الاعداد كعدد الزبانية وانما دل القاطع على عدم ارادة ظاهره ولم يدل على ما هو
المراد به يقولون آمنا به اي بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب
والجملة على الاول استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم وعلى الثاني خبر لقوله
تعالى والراسخون في العلم وقوله تع كل من عند ربنا من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد
له اي كل واحد منه ومن المحكم او كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل من عنده لا
مخالفة بينهما او آمنا به وبحقيته على مراده تعالى وما يذكر حق التذكر الا اولوا
الالباب اي العقول الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته
تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء
الى تأويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها
جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تع وكلمته القاها الى مريم وروح منه
على وجه الاجمال وسيجيء الجواب المفصل بقوله تع ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم
خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ربنا لا تزغ قلوبنا من تمام مقالة الراسخين اي
لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم
قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه
وقيل معناه لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا اي الى الحق والتأويل الصحيح
او الى الايمان بالقسمين وبعد نصب بلا تزغ على الظرف واذ في محل الجر باضافته اليه
خارج من الظرفية اي بعد وقت هدايتك ايانا وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك
كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف هو حال

من المفعول أي كائنة من لدنك أو من لابتداء الغاية المجازية ولدن في الأصل ظرف
بمعنى أول غاية زمان أو مكان أو غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست بمرادفة
لعند إذ قد يكون فضلة وكذا لدى وبعضهم يخصها بظرف المكان وتضاف إلى صريح
الزمان كما في قوله • تنتفض الرعدة في ظهيري • من لدن الظهر إلى العصيري •
ولا تقطع عن الإضافة بحال وأكثر ما يضاف إلى المفردات وقد تضاف إلى أن
وصلتها كما في قوله • ولم يقطع أطلا من لدن أن وليتنا • قرابة ذي رحم ولا حق مسلم •
أي من لدن ولايتك إيانا وقد تضاف إلى الجملة الاسمية كما في قوله • تذكر نعماه لدن
أنت يافع • وإلى الجملة الفعلية أيضا كما في قوله • لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم •
فلا يك منكم للخلاف جنوح • وقلما تخلو عن من كما في البيتين الأخيرين رحمة واسعة
تزلفنا إليك ونفوز بها عندك أو توفيقا للثبات على الحق وتأخير المفعول
الصريح عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فإن
ما حقه التقديم إذا أخر تبقى النفس مترقبة لوروده لا سيما عند الإشعار بكونه
من المنافع باللام فإذا أوردها يتمكن عندها فضل تمكن إنك أنت الوهاب تعليل
للسؤال أو لإعطاء المسؤول وأنت إما مبتدأ أو فصل أو تأكيد لاسم إن وإطلاق
الوهاب ليتناول كل موهوب وفيه دلالة على أن الهدى والضلال من قبله تعالى
وأنه متفضل بما ينعم به على عباده من غير أن يجب عليه شيء ربنا إنك جامع الناس
ليوم أي لحساب يوم أو لجزاء يوم حذف المضاف وأقيم مقامه المضاف إليه تهويلا
له وتفظيعا لما يقع فيه لا ريب فيه أي في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب
والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم إلى الرحمة وأنها المقصد الأسنى عندهم
والتأكيد لإظهار ما هم عليه من كمال الطمأنينة وقوة اليقين بأحوال الآخرة
إن الله لا يخلف الميعاد تعليل لمضمون الجملة المؤكدة أو لانتفاء الريب والتأكيد
لما مر وإظهار الاسم الجليل مع الالتفات لإبراز كمال التعظيم والإجلال الناشئ
من ذكر اليوم المهيب الهائل بخلاف ما في آخر السورة الكريمة فإنه مقام طلب الإنعام
كما سيأتي وللإشعار بعلة الحكم فإن الألوهية منافية للإخلاف وقد جوز أن
يكون الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات
واستدل به الوعيدية وأجيب بأن وعيد الفساق مشروط بعدم العفو
بدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا إن الذين كفروا إثر ما بين الدين
الحق والتوحيد وذكر أحوال الكتب الناطقة به وشرح شأن القرآن الكريم
العظيم وكيفية إيمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال من كفر به والمراد
بالموصول جنس الكفرة الشامل لجميع الأصناف وقيل وفد نجران أو اليهود من قريظة
والنضير أو مشركوا العرب لن تغني عنهم أي لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وبسكون الياء جدا

في استثقال الحركة على حروف اللين أموالهم التي يبذلونها في جلب المنافع ودفع
المضار ولا أولادهم الذين بهم يتناصرون في الأمور المهمة وعليهم يعولون
في الخطوب الملمة وتأخير الأولاد عن الأموال مع توسيط حرف النفي بينهما إما
لعراقة الأولاد في كشف الكروب ولأن الأموال أول عدة يفزع إليها
عند نزول الخطوب من الله من عذابه تعالى شيئا أي شيئا من الإغناء وقيل كلمة من بمعنى
البدل والمعنى بدل رحمة الله أو بدل طاعته كما في قوله تعالى إن الظن لا يغني من الحق
شيئا أي بدل الحق ومنه قوله تعالى ولا ينفع ذا الجد منك الجد أي لا ينفعه جده بدلك
أي بدل رحمتك كما في قوله تعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وأنت
خبير بأن احتمال سد أموالهم وأولادهم مسد رحمة الله أو طاعته مما لا يخطر
ببال أحد حتى يتصدى لنفيه والأول هو الأليق بتفظيع حال الكفرة وتهويل أمرهم
والأنسب لما بعده من قوله تعالى أولئك هم وقود النار ومن قوله تعالى فأخذهم الله أي
أولئك المتصفون بالكفر حطب وحصبها الذي تسعر به فإن أريد بيان أموالهم
حالهم عند التسعير فإيثار الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الأمر وتقرره وإلا فهو
للإيذان بأن حقيقة حالهم ذلك وأن أحوالهم الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال
كونهم في الدنيا وقود النار بأعيانهم وفيه من الدلالة على كمال ملابستهم بالنار ما لا
يخفى وهم يحتمل الابتداء وأن يكون ضمير الفصل والجملة إما مستأنفة مقررة لعدم الإغناء
أو معطوفة على خبر إن وأياما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين أن أموالهم وأولادهم
لا تغني عنهم منه شيئا وقرئ وقود النار بضم الواو وهو مصدر أي أهل وقودها ع
كدأب آل فرعون الدأب مصدر دأب في العمل إذا كدح فيه وتعب غلب استعماله
في معنى الشأن والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف
وقد جوز النصب بلن تغني أو بالوقود أي لن تغني عنهم كما لم تغن عن أولئك أو توقد بهم النار
كما توقد بهم وأنت خبير بأن المذكور في تفسير الدأب إنما هو التكذيب والأخذ من غير
تعرض لعدم الإغناء لا سيما على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو رأي المجوز ولا لإيقاد
النار فيحمل على التعليل وهو خلاف الظاهر على أنه يلزم الفصل بين العامل والمعمول
بالأجنبي على تقدير النصب بلن تغني وهو قوله تعالى وأولئك هم وقود النار إلا أن يجعل
استئنافا لا معطوفا على خبر إن فالوجه هو الرفع على الخبرية أي دأب هؤلاء في الكفر وعدم
النجاة من أخذ الله وعذابه كدأب آل فرعون والذين من قبلهم أي من قبل آل فرعون من الأمم
الكافرة فالموصول في محل الجر عطفا على ما قبله وقوله تعالى كذبوا بآياتنا بيان وتفسير
لدأبهم الذي فعلوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال كأنه قيل كيف كان دأبهم فقيل
كذبوا بآياتنا وقوله تعالى فأخذهم الله تفسير لدأبهم الذي فعل بهم أي فأخذهم الله وعاقبهم
ولم يجدوا من بأس الله محيصا فدأب هؤلاء الكفرة أيضا كدأبهم وقيل كذبوا إلخ حال من آل فرعون

والذين من قبلهم على اضمار قد اي داب هؤلاء كداب اوليك وقد كذبوا الي اخره واما كونه خبرا عن الموصول كما قيل فمما يذهب برونق النظم الكريم والالتفات الي التكلم اولا للجري على سنن الكبرياء والي الغيبة ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة بذنوبهم ان اريد بها تكذيبهم بالايات فالبا للسببية جي بها تاكيدا لما يفيده الفا من سببية ما قبلها لما بعدها وان اريد بها سائر ذنوبهم فالبا للملابسة جي بها للدلالة على ان لهم ذنوبا اخر اي فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب في الاصل التلو والتابع وسمي الجريمة ذنبا لانها تتلو اي يتبع عقابها فاعلها والله شديد العقاب تذييل مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وتكملة له قل للذين كفروا المراد بهم اليهود ولما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انه النبي الامي الذي بشر به موسى وفي التورية نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا الي وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الي مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الاشرف في ستين راكبا الي اهل مكة فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اصاب قريشا ببدر ورجع الي المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لين قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت اي قل لهم ستغلبون البتة عن قريب في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روي عن مقاتل من انها نزلت قبل بدر وان الموصول عبارة عن مشركي مكة ولذلك قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الي جهنم وبئس المهاد فيؤدي الي انقطاع الاية الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر وتحشرون اي في الاخرة الي جهنم وقرئ الفعلان بالياء على انه عليه السلام امر بان يحكي لهم ما اخبره الله تعالى به من وعيدهم بعبارته كانه قيل اد اليهم هذا القول وبئس المهاد اما من تمام القول المامور به او مما يقال لهم او استيناف لتهويل جهنم وتفظيع حال اهلها والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المامور به جي به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والظرف الجار والمجرور خبر كان على انها ناقصة وللتوسط بينها وبين اسمها ترك التانيث كما في قوله • ان امرا غره منكن واحدة • بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور • على ان التانيث ههنا غير حقيقي او هو متعلق بكان على انها تامة وانما قدم على فاعلها

لما

لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الي ما اخر اي والله قد كان لكم ايها المغترون بعددهم وعددهم اية عظيمة دالة على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين او جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلة بكثرتها معجبة بعزتها وقد لقيها ما لقيها فيصيبكم ما يصيبكم ومحل الظرف الرفع على انه صفة لاية وقيل النصب على خبرية كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من اية التقتا في حيز الجر على انه صفة فئتين اي تلاقتا بالقتال يوم بدر فئة بالرفع خبر مبتدا محذوف اي احديهما فئة كما في قوله • اذا مت كان الناس صنفين شامت • واخر مثن بالذي كنت اصنع • اي احدهما شامت واخر مثن وقوله حتى اذا ما استقل النجم في غلس • وغودر البقل ملوي ومحصود • والجملة مع ما عطف عليها مستانفة لتقرير ما في الفئتين من الاية وقوله تعالى تقاتل في سبيل الله في محل الرفع على انه صفة فئة كانه فئة مؤمنة ولكن ذكر مكانه من احكام الايمان ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المراد في تحقق الاية وهي رؤية القليل كثيرا وقرئ يقاتل على تاويل الفئة بالقوم والفريق واخرى نعت لمبتدا محذوف معطوف على ما حذف من الجملة الاولى اي وفئة اخرى وانما نكرت والقياس تعريفها لقرينتها لوضوح ان التفريق لنفس المثنى المقدم ذكره وعدم الحاجة الي التعريف وقوله تعالى كافرة خبر للمبتدا المحذوف وانما لم توصف هذه الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم من الرعب والهيبة وقيل من المتعاطفين بدل من الضمير في التقتا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير محذوف عايد الي المبدل منه مسوغ لوصف البدل بالجملة العارية عن ضميره اي فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة ويجوز ان يكون كل منهما مبتدا وما بعدهما خبرا اي فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة وقيل كل منهما مبتدا محذوف الخبر اي منهما فئة تقاتل الخ وقرئ فئة بالجر على البدلية من فئتين بدل بعض من كل وقد مر انه لا بد من ضمير عايد الي المبدل منه ويسمى بدلا تفصيليا كما في قول كثير عزة • وكنت لدي رجلين رجل صحيحة • ورجل رمى فيها الزمان فشلت • وقرئ فئة الخ بالنصب على المدح والذم والحالية من ضمير التقتا كانه قيل التقتا مؤمنة وكافرة فكون فئة اخرى توطية لما هو الحال حقيقة اذ المقصود بالذكر وصفاهما كما في قولك جاءني زيد رجلا صالحا يرونهم اي يرون الفئة الاخيرة الفئة الاولى وايثار صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل واحد واحد من احاد الفئة والجملة في محل الرفع على انها صفة للفئة الاخيرة او مستانفة مبينة لكيفية الاية مثليهم اي مثلي عدد الرائين قريبا من الفين اذ كانوا قريبا من الف كانوا تسعماية مقاتلا راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان وابو جهل وكان فيهم من الخيل والابل ماية فرس وسبعماية بعير ومن اصناف الاسلحة عددا لا يحصى عن محمد بن ابي الفرات عن سعيد بن اوس انه قال

وهو المبتدا المحذوف في الجملة الاولى

قال اي المشركون رجلا من المسلمين فسألوه كم كنتم قال ثلثماية وبضعة عشر قالوا
ما كانوا يراهم الا تضعفون علينا او مثلي عدد المرئيين اي ستماية ونيفا وعشرين حيث
كانوا ثلث ماية وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومايتان
وستة وثلاثون من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وكان صاحب راية
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وصاحب راية
الانصار سعد بن عبادة الخزرجي رضي الله عنه وكان في العسكر تسعون بعيرا وفرسان
احدهما للمقداد بن عمرو والاخر لمرثد بن ابي مرثد وست ادرع وثمانية سيوف
وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية
من الانصار رضوان الله عز وجل عليهم اجمعين اراهم الله عز وجل كذلك مع قلتهم
ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم مددا لهم منه سبحانه كما امدهم بالملائكة عليهم السلام وكان
ذلك عند التقاء الفئتين بعد ان قللهم في اعينهم عند تراءيهما ليجترءوا عليهم ولا يهربوا
من اول الامر حين يعينهم الهرب وقيل يري الفئة الاولى الفئة الاخرى مثلي انفسهم
مع كونهم ثلاثة امثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود في قوله تع ان يكن منكم ماية
صابرة يغلبوا مايتين والاول هو الاولى لان رؤية المثلين غير متعينة من جانب المؤمنين
بل قد وقعت رؤية المثل بل اقل منه ايضا فانه روي ان ابن مسعود رضي الله تع عنه
قال قد نظرنا الي المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رايناهم يزيدون
علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله ايضا في اعينهم حتى رايناهم عددا يسيرا اقل من انفسهم
قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الي جنبي اتراهم
سبعين قال اراهم ماية فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا فلو اريد رؤية المؤمنين
المشركين اقل من عددهم في نفس الامر كما في سورة الانفال لكانت رؤيتهم اياهم اقل من
انفسهم احق بالذكر في كونها اية من رؤيتهم مثليهم في ان ابانة اثار قدرته تع وحكمته
للكفرة بارائتهم القليل كثيرا والضعيف قويا والقاء الرعب في قلوبهم بسبب ذلك ادخل
في كونها اية لهم وحجة عليهم واقرب الي اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة
المشاهدين للحال وكذا تعلق الفعل بالفاعل اشد من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين
السابقين فاعلا له وابعدهما مفعولا سواء جعل الجملة صفة او مستانفة اولى من العكس هذا
ما يقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغي جعل الخطاب لمشركي مكة كما قيل لان جعل
الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما مر جوابه فظاهر لا ستره به واما ان جعل عبارة عن
هزيمة اخرى فلان الفئة التي شاهدت تلك الاية الهايلة هم المخاطبون حينئذ فالتعبير
عنهم بفئة مبهمة تارة وموصوفة اخرى ثم اسناد المشاهدة اليهم مع كون اسنادها الي
المخاطبين اوقع في الزام الحجة وادخل في التبكيت مما لا داعي اليه وبهذا يتبين حال جعل الخطاب
الثاني للمؤمنين واما قراءة ترونهم بتاء الخطاب فظاهر وان اقتضى توجيه الخطاب الثاني

الي المشركين لكنه ليس بنص في ذلك لانه وان اندفع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله
فلعل رؤية المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة
لا سيما بعد ما وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق فاسندت الرؤية
اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا لعروض مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد جميع الكفرة
ولا ريب في صحته وسداده وقرئ يرونهم ان كان الرؤية بصرية او مصدر تشبيهي
ان كانت قلبية اي رؤية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى رؤية العين والله يؤيد اي يقوي
بنصره من يشاء ان يؤيده من غير توسيط الاسباب العادية كما ايد الفئة المقاتلة في سبيله
بما ذكر من النصر وهو من تمام القول المامور به ان في ذلك اشارة الي ما ذكر من رؤية
القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل لعبرة العبرة فعلة من العبور
كالركبة في الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانه نوع من العبور
اي لعبرة عظيمة كائنة لاولي الابصار لذوي العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهو
اما بتمام الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل واما وارد من
جهته تع تصديقا لمقالته عليه السلام زين للناس كلام مستانف سيق لبيان حقارة
شان حظوظ الدنيوية باصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الي ما عنده
تع اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون بها والمراد بالناس الجنس حب
الشهوات الشهوة نزوع النفس الي ما تريده والمراد هاهنا المشتهيات عبر عنها بالشهوات
مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كانها نفس الشهوات وايذانا بانهمكهم في حبها
بحيث احبوا شهواتها كما في قوله تعالى اني احببت حب الخير او استرذالا لها لان الشهوة
مسترذلة مذمومة في صفات البهايم والمزين هو الباري تعالى اذ هو الخالق لجميع
الافعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة
لها لنبلوهم الاية فانها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها على نهج الشريعة
الشريفة ووسيلة الي بقاء النوع وايثار صيغة المبني للمفعول للجري على سنن الكبرياء
وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما ان مساق الاية الكريمة على ذمها
وفرق الجبائي بين المباحات فاسند تزيينها الي الله تع وبين المحرمات فنسب تزيينها الي
الشيطان من النساء والبنين في محل النصب على انه حال من الشهوات وهي مفسرة لها
في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النساء على البنين لعراقتهن في معنى الشهوة فانهن
حبايل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاضطراد في حبهن والقناطير المقنطرة
جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل ماية الف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل سبعون
الفا وقيل اربعون الف مثقال وقيل ثمانون الفا وقيل ماية رطل وقيل الف وماتا
مثقال وقيل الف دينار وقيل ماية من وماية رطل وماية مثقال وماية درهم

وقيل ديه النقر واختلف في ان وزنه فعلان او فعال ولفظ المقنطرة ماخوذ منه
للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل الكثيرة المنضدة بعضها
على بعض او المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة من الذهب والفضة بيان للقناطير او حال
والخيل عطف على القناطير قيل هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس
وقيل واحده خايل وهو مشتق من الخيلاء المسومة اي المعلمة من السومة وهي العلامة او
المرعية من اسام الدابة وسومها اذا ارسلها وسيبها للرعي والمطهمة التامة الخلق
والانعام اي الابل والبقر والغنم والحرث اي الزرع مصدر بمعنى المفعول ذلك
اي ما ذكر من الاشياء المعهودة متاع الحيوة الدنيا اي ما يتمتع به في الحيوة الدنيا اياما
قلايل فتفنى سريعا والله عنده حسن الماب حسن المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيما عدا
عاقبة حميدة وفي تكرير الاسناد بجعل الجلالة مبتدا واسناد الجملة الظرفية اليه زيادة
تاكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله تع من النعيم المقيم والتزهيد في
ملاذ الدنيا وطيباتها الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم اثر ما بين مزخرفات الدنيا وذكر
ما عنده تعالى من حسن الماب اجمالا امر النبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ذلك المجمل للناس
مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير اي اخبركم بما هو خير مما فصل من تلك
المزينة لكم وابهام الخير لتفخيم شانه والتشويق اليه وقوله تعالى للذين اتقوا عند
ربهم جنات استيناف مبين لذلك المبهم على ان جنات مبتدا والجار خبره او على ان جنات
مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما فصل في محله والمراد
بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الاتية وتعليق
حصول الجنات وما بعدها من فنون الخيرات به للترغيب في تحصيله والثبات عليه
وعند نصب على الحالية من جنات او متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال
علو رتبة الجنات وسمو طبقتها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المتقين
لاظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة بخير وكذا الظرف وجنات خبر لمبتدا محذوف
والجملة مبينة لخير ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار
والبيان بما هو خير لطايفة ربما يوهم ان هناك خيرا اخر لاخرين تجري في محل الرفع او الجر
صفة لجنات على حسب القراءتين من تحتها الانهار متعلق بتجري فان اريد بالجنات نفس الاشجار
كما هو الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فهو باعتبار جزئها
الظاهر كما مر تفصيله مرارا خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل ما فيه
من معنى الاستقرار وازواج مطهرة عطف على جنات اي مبراة مما يستقذر من النساء من الاحوال
البدنية والطبيعية ورضوان التنوين للتفخيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة
له مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة اي رضوان واي رضوان لا يقادر قدره كاين من الله
تعالى وترى بنعيم الزاد والله بصير بالعباد باعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها او بعبيده

باحوال

باحوال الذين اتقوا ولذلك اعد لهم ما ذكر وفيه اشعار بانهم المستحقون للتسمية باسم العبد
الذين يقولون ربنا اننا امنا في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف كانه قيل من اولئك
المتقون الفايزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الخ او النصب على المدح او
الجر على انه تابع للمتقين نعتا او بدلا او للعباد كذلك والاول اظهر وقوله تع والله بصير
بالعباد وح معترضة وتاكيد الجملة لاظهار ان ايمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال
النشاط وفي ترتيب الدعاء بقولهم فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار على مجرد الايمان دلالة
على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار الصابرين هو على تقدير كون الموصول
في محل الرفع منصوب على المدح باضمار اعني واما على تقدير كونه في محل النصب او الجر فهو نعت
له والمراد بالصبر هو الصبر على مشاق الطاعات وعلى البأساء والضراء وحين البأس والصادقين
في اقوالهم ونياتهم وقرآتهم والقانتين المداومين على الطاعات المواظبين على العبادات
والمنفقين اموالهم في سبيل والمستغفرين بالاسحار قال مجاهد وقتادة والكلبي اي المصلين
بالاسحار وعن زيد بن اسلم يصلون الصبح في جماعة وقال الحسن مدد الصلاة الى السحر
ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليلة ثم يقول يا نافع اسحرنا
فاقول لا فيعاود الصلاة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح وعن
الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار وتخصيص
الاسحار بالاستغفار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة اذ العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى
والروح اجمع لاسيما للمتهجدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة
على استقلال كل منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها شهد الله انه بفتح الهمزة
اي بانه او على انه لا اله الا هو اي بين وحدانيته بنصب الدلايل التكوينية في الافاق
والانفس وانزال الايات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه بالشهادة على طريقة
الاستعارة ايذانا بقوته في اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر وقرئ انه بكسر
الهمزة اما باجراء شهد مجرى قال واما بجعل الجملة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله
تعالى ان الدين على قراءة ان بفتح الهمزة كما سياتي وقرئ شهداء لله بالنصب على انه
حال من المذكورين او على انه المدح وبالرفع على انه خبر مبتدا محذوف ومآله الرفع
على المدح اي هم شهداء الله وهو اما جمع شهيد كظرفاء في جمع ظريف او جمع شاهد كشعراء
في جمع شاعر والملايكة عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل للاقرار
والايمان بطريق عموم المجاز اي اقروا بذلك واولو العلم اي امنوا به واحتجوا عليه بما ذكر
من الادلة التكوينية والتشريعية قيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام وقيل المهاجرون والانصار
وقيل علماء مومني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل جميع علماء المومنين الذين عرفوا
وحدانيته تعالى بالدلايل القاطعة وارتفاعهما على القراءتين الاخيرتين فقيل بالعطف على
الضمير في شهداء لوقوع الفصل بينهما وانت خبير بان ذلك على قراءة النصب على الحالية يؤدي الى

تقييد حال المذكورين بشهادة الملايكة واولي العلم وليس فيه كثير فايدة فالوجه رح
كون ارتفاعهما بالابتداء والخبر محذوف لدلالة الكلام عليه والملايكة واولوا العلم
شهداء بذلك ولك ان تحمل القراءتين على المدح نصبا ورفعا في حسن العطف على التتمة
على كل حال وقوله تعالى قايما بالقسط اي مقيما للعدل في جميع اموره بيان لكماله تع
في افعاله اثر بيان كماله في ذاته وانتصابه على الحالية من الله كما في قوله تع وهو الحق مصدقا
وانما جاز افراده مع عدم جواز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تع ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة ولعل تاخيره عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما
والمسارعة الى اقامة شهود التوحيد اعتناء بشانه ورفعا لمحله وهو السر في تقديمه على
المعطوفين مع ما فيه من الايذان باصالته تعالى في الشهادة به كما مر في قوله تعالى آمن
الرسول بما انزل اليه من ربه او من هو وهو الاوجه والعامل معنى الجملة اي تفرد او
احقه لانها حال مؤكدة او على المدح وقيل على انه صفة للمنفي اي لا اله الخ والفصل بينهما
من قبيل توسعاتهم وهو مندرج في المشهود به اذا جعل صفة او حالا من الضمير او نصبا
على المدح منه وقرئ القايم بالقسط على البدلية من هو فيلزم الفصل بينهما كما في
الصفة او على انه خبر لمبتداء محذوف وقرئ قيما بالقسط لا اله الا هو كرر للتاكيد
ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليجرى عليه قوله
تع العزيز الحكيم فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدم العلم بحكمته تعالى ورفعهما
على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد والخبرية لمبتدا مضمر وقد روي في فضلها
انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله تعالى ان لعبدي هذا عندي
عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين
وشرف اهله وروي عن سعيد بن جبير انه كان حول البيت ثلثماية وستون صنما
فلما نزلت هذه الاية الكريمة خررن سجدا وقيل نزلت في نصارى نجران وقال الكلبي
قدم على النبي صلى الله عليه وسلم حبران من احبار الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما
ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي عليه السلام الذي يخرج في اخر الزمان فلما
دخلا عليه عليه السلام عرفاه بالصفة فقالا له عليه الصلوة انت محمد قال عليه السلام
نعم قالا وانت احمد قال عليه السلام انا محمد واحمد قالا فانا نسالك عن شيء فان اخبرتنا
به آمنا بك وصدقناك قال عليه السلام سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب
الله عز وجل فانزل الله تعالى هذه الاية فاسلم الرجلان ان الدين عند الله الاسلام
جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضيا لله تع سوى الاسلام الذي هو التوحيد
والتدرع بالشريعة الشريفة وعن قتادة انه شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من
عند الله تع وقرئ ان الدين عند الله الاسلام جملة مستانفة وقرئ ان الدين الخ على
انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان

بالشريعة

بالشريعة او على انه شهيد واقع عليه على تقدير قراءة انه بالكسر كما اشير اليه وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذي جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم وانكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب صلة له
لزيادة تقبيح حالهم فان الاختلاف ممن اوتي ما يزيله ويقطع شافته في غاية القبح
والسماجة وقوله عز وجل الا من بعد ما جاءهم العلم استثناء مفرغ من جميع
الاحوال او اعم الاوقات اي وما اختلفوا في حال من الاحوال او في وقت
من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذي لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة
الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة والايات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامي
حالهم في الضلالة ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك المرتبة مما لا يصدر
عن العاقل بغيا بينهم اي حسدا كاينا بينهم وطلبا للرياسة لا بشبهة وخفاء
في الامر تشنيع اثر تشنيع ومن يكفر بايات الله اي باياته الناطقة بما ذكر من ان الدين
عند الله هو الاسلام ولم يعمل بمقتضاها او باية اية كانت من اياته تعالى على ان يدخل
فيها ما نحن فيه دخولا اوليا فان الله سريع الحساب قايم مقام جواب الشرط علة له
اي ومن يكفر باياته الناطقة بما ذكر تعالى فانه تع يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه
سريع الحساب اي ياتي حسابه عن قريب او يتم ذلك بسرعة واظهار الجلالة لتربية
المهابة وادخال الروعة وفي ترتيب العقاب على مطلق الكفر باياته تع من غير تعرض
لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه
وكون ذلك للبغي دلالة على كمال شدة عقابهم فان حاجوك اي في كون الدين عند
الله الاسلام او جادلوك فيه بعد ما اقيمت عليهم الحجج فقل اسلمت وجهي اي اخلصت
نفسي وقلبي وجملتي وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر
القوى والمشاعر ومجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه
الى كل شيء لله لا اشرك به فيها غيره وهو الدين القيم القويم الذي عليه الحجج ودعت
اليه الايات والرسل عليهم السلام ومن اتبعن عطف على المتصل في اسلمت وحسن ذلك
لمكان الفصل الجاري مجرى التاكيد بالمنفصل اي واسلم من اتبعن او مفعول معه وقل
للذين اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع الضمير لرعاية
التقابل بين وصفي المتعاطفين والاميين اي الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ء
اسلمتم متبعين لي كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة
فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها او انتم على كفركم بعد كما يقول من لخص لصاحبه المسئلة
ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكا الا سلكه فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى
فهل انتم منتهون اثر تفصيل الصوارف عن تعاطي الخمر والميسر وفيه من استقصارهم وتعييرهم
بالمعاندة وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى فان اسلموا

اي كما اسلمتم وانما لم يصرح به كما في قوله تع فان آمنوا بمثل ما آمنتم به تحاشيا من
اطلاق اسم الاسلام على شيء آخر بالكلية فقد اهتدوا اي فازوا بالحظ الاوفر ونجوا
عن مهاوي الضلال وان تولوا اي اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام فانما عليك
البلاغ قائم مقام الجواب اي لم يضروك شيئا اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلت
ابلغ وجه روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية على اهل الكتاب
قالوا اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله
فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل وان تولوا والله بصير بالعباد
عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد ان الذين يكفرون بآيات الله اي
كانت فيدخل فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقية الاسلام على الوجه الذي مر
تفصيله دخولا اوليا ويقتلون النبيين بغير حق هم اهل الكتاب قتل اولهم الانبياء
عليهم السلام وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حائمين
حول قتل النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان عصم الله ساحته المنيعة وقد اشير اليه
بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للايذان بانه كان
عندهم ايضا بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس اي العدل ولعل
تكرير الفعل للاشعار بما بين العلتين من التفاوت او باختلافهما في الوقت عن ابي
عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل
نبيا او رجلا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل
ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد
بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار وقرئ
ويقاتلون الذين فبشرهم بعذاب اليم خبر ان والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها
بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده تاكيدا وكذا الحال في النسخ بان المفتوحة كما في
قوله تع واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وكذا في النسخ بلكن كما في قوله ع

فوالله ما فارقتكم عن ملالة ... ولكن ما يقضى فسوف يكون

وانما تغير معنى الابتداء بليت ولعل وقد ذهب سيبويه والاخفش الى منع دخول الفاء
عند النسخ مطلقا فالخبر عندهما قوله تع اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة
كما في قولك الشيطان فاحذره عدو مبين وعلى الاولى هو استيناف واسم الاشارة مبتدأ
ما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامي امرهم في الضلال وبعد منزلتهم في فظاعة
الحال والموصول بما في حيزه صلته خبره اي اولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة
والمبتلون باسوأ الحال الذين بطلت اعمالهم التي عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها
اثر في الدارين بل بقي لهم اللعنة والخزي في الدنيا وعذاب اليم في الآخرة وما لهم من ناصرين
ينصرونهم من باس الله وعذابه في احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع في مقابله

تعدد

تعدد الانصار من كل واحد منهم كما في قوله تعالى وما للظالمين من انصار الم تر تعجيب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب وسوء
صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم في الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقية
اي الم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التورية على ان اللام للعهد وحمله
على جنس الكتب الالهية تطويل للمسافة اذ تمام التقريب حينئذ بكون التورية من
جملتها ما علموه لان مدار التشنيع والتعجيب انما هو اعراضهم عن المحاكمة الى ما دعوا
اليه وهم لم يدعوا الا الى التورية والمراد بما اوتوه منها ما بين فيها من العلوم والاحكام
التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه ع
بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والعمل
بموجبها وما فيه من التنكير للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة في تقبيح
حالهم يدعون الى كتاب الله الذي اوتوا نصيبا منه وهو التورية والاظهار في مقام الاضمار
لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم الجليل للتشريف وتاكيد وجوب المراجعة اليه
والجملة استيناف مبين لمحل التعجب مبني على سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل ماذا
يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تع وقيل حال من الموصول ليحكم بينهم
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم الى الايمان
فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت قال عليه السلام على ملة
ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال صلى الله عليه وسلم لهما ان بيننا وبينكم التورية
فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القرآن فانهم
قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وقرئ ليحكم على بناء المجهول فيكون الاختلاف بينهم
بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه فعاداهم الآخرون ثم يتولى فريق منهم استبعاد
لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم معرضون اما حال من فريق لتخصيصه
بالصفة اي يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اي وهم قوم ديدنهم الاعراض
عن الحق والاصرار على الباطل ذلك اشارة الى ما مر من التولي والاعراض وهو مبتدا
خبره قوله تع بانهم اي حاصل بسبب انهم قالوا لن تمسنا النار باقتراف الذنوب
وركوب المعاصي الا اياما معدودات وهي مقدار عبادتهم العجل ورسخ اعتقادهم
على ذلك وهونوا عليهم الخطوب وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما في
من قولهم ان آباءنا الانبياء يشفعون لنا او ان الله تع وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب
اولاده الا تحلة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح فكيف رد لقولهم المذكور
وابطال لما غرهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما يحيق بهم من الاهوال اي فكيف يكون
حالهم اذا جمعناهم ليوم اي لجزاء يوم لا ريب فيه اي في وقوعه ووقوع ما فيه روي ان
اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤوس

الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اي جزا ما كسبت من غير نقص اصلا
كما يزعمون وانما وضع المكسوب موضع جزائه للابذان بكمال الاتصال واللازم بينهما كانهما شي
واحد وفيه دلالة على ان العبادة لا تحبط وان المومن لا يخلد في النار لان توفية جزائه
وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذن هي بعد الخلاص منها وهم اي كل الناس
المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار
ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان هذا من خصائص الاسم
الجليل بدخوله عليه مع حرف التعريف وقطع الهمزة ودخول تا القسم عليه وقيل
اصله يا الله امنا بخير اي اقصدنا به فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل
وهمزته مالك الملك مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث يتصرف فيه
كيفما تشا ايجادا واعداما واحيا واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو
ندا ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية توتي الملك بيان لبعض وجوه
التصرف الذي هو تجرد يستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به تع حقيقة وكون
مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبي عنه ايثار الايتاء الذي هو مجرد الاعطاء على التمليك
المؤذن بثبوت المالكية حقيقة من تشا اي ايتا اياه وتنزع الملك ممن تشا اي نزعه
منه فالملك الاول حقيقي عام ومملوكية حقيقية والاخران مجازيان خاصان ونسبتهما
الى صاحبهما مجازية وقيل الملك الاول عام والاخران بعضان منه فتامل وقيل المراد
بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى اخرين وتعز من تشا اي تعزه في الدنيا او في الاخرة
او فيهما بالنصر والتوفيق وتذل من تشا ان تذله في احدهما او فيهما من غير ممانعة من
الغير ولا مدافعة بيدك الخير تعريف الخير للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اي بقدرتك
الخير كله لا يقدره احد من غيرك يتصرف فيه قبضا وبسطا حسبما يقتضيه مشيئتك
وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقضي بالذات واما الشر فيقضي بالعرض اذ ليس من شر جزئي الا
وهو متضمن لخير كلي او لان في حصول الشر دخلا لصاحبه في الجملة لانه من اجزية اعماله
واما الخير ففضل محض او لرعاية الادب او لان الكلام فيه فانه روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا
واخذوا يحفرونه خرج من بطن الخندق صخرة كالتل لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجا عليه السلام واخذ منه المعول فضربها ضربة
صدعتها وبرق منها برق اضا ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر
معه المسلمون وقال اضات لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثالثة
فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور
الحيرة ومداين كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا
فنزلت انك على كل شي قدير تعليل لما سبق وتحقيق له تولج الليل في النهار اي تدخله فيه بحيث

اياه او بنقص الاول وزيادة الثاني وتولج النهار في الليل على احد الوجهين وتخرج الحي من
الميت اي تنشي الحيوانات من موادها او من النطفة وقيل تخرج المومن من الكافر
وتخرج الميت من الحي اي تخرج النطفة من الحيوان وقيل تخرج الكافر من المومن وترزق
من تشا بغير حساب قال ابو العباس المقري ورد لفظ الحساب في القران على ثلاثة اوجه
بمعنى التعب قال تع وترزق من تشا بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك
بغير حساب والبا متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او مفعوله وفيه دلالة
على ان من قدر على انشا هاتيك الافاعيل العظام المحيرة للعقول والافهام فقدرته
على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم اهون من كل هين عن علي
رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب واية
الكرسي والايتين من ال عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله تع ان الدين عند الله الاسلام
وقل اللهم الى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله تعالى حجاب قلن يا رب
تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل اني حلفت انه لا يقرا كن احد دبر
كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان منه واسكنته في حظيرة القدس ونظرت
اليه بعيني كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل
عدو وحاسد ونصرته عليهم وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم
بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة
فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم ولكن وهو معنى قوله عليه السلام
كما تكونون يولى عليكم لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة
جاهلية ونحوهما من اسباب المصادقة والمعاشرة كما في قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا وقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا
حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله او عن الاستعانة بهم في الغزو وساير الامور الدينية
من دون المومنين في موضع الحال اي متجاوزين المومنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه
اشارة الى انهم الاحقا بالموالاة وان موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك
اي اتخاذهم اوليا والتعبير عنه بالفعل للاختصار او لايهام الاستهجان بذكره فليس
من الله اي اتخاذهم في شي ويصح ان يطلق عليه اسم الولاية فان موالاة المتعاديين مما
لا يكاد يدخل تحت الوقوع قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب
والجملة اعتراضية وقوله تع الا ان تتقوا على صيغة الخطاب بطريق الالتفات استثنا
مفرغ من اعم الاحوال والعامل فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم اوليا
ظاهرا وباطنا في حال مؤكدة من الاحوال الا حال اتقايكم منهم اي من جهتهم تقاة
اي اتقا او شيا يجب اتقاه على ان المصدر واقع موقع المفعول فانه يجوز اظهار الموالاة

ح مع اطمينان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قبل العصاة
واظهار ما في الضمير كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا واصل تقاة
وقية ثم ابدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلبت الياء الفا وقرئ تقية ويحذركم
الله نفسه اي ذاته المقدسة فان جواز اطلاق لفظ النفس مرادا به الذات عليه سبحانه
بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققي المتاخرين بعدم
الجواز وان اريد به الذات الا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر
النفس للايذان بان له عقابا هائلا لا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة والى الله
المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومحقق لوقوعه حتما قل ان تخفوا ما في صدوركم
من الضماير التي من جملتها ولاية الكفرة او تبدوه فيما بينكم يعلمه الله فيؤاخذ
بذلك عند مصيركم اليه وتقديم الاخفاء على الابداء قد مر سره في تفسير قوله
تع وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه وقوله تع يعلم ما يسرون وما يعلنون
ويعلم ما في السموات وما في الارض كلام مستانف غير معطوف على جواب الشرط
وهو من باب ايراد العام بعد الخاص تاكيدا له وتقريرا والله على كل شيء قدير فيقدر
على عقوبتكم بما لا مزيد عليه ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل
في موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وهو تذييل لما قبله مبين لقوله
تعالى ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة المتميزة عن ساير الذوات المتصفة
بما لا يتصف به شيء منها من العلم الذاتي المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة
الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج من ملكوته شيء قط يوم تجد
كل نفس اي من النفوس المكلفة ما عملت من خير محضرا عندها بامر الله تع وفيه من التهويل
ما ليس في حاضرا وما عملت من سوء عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا
الا انه خص بالذكر في الخير للاشعار بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من
مقتضيات الحكمة التشريعية تود عامل في الظرف والمعنى تود وتتمنى يوم تجد
صحايف اعمالها من الخير والشر واجزيتها محضرة لو ان بينها وبينه اي بين ذلك اليوم
امدا بعيدا لغاية هوله وفي اسناد الودادة الى كل نفس سواء كان لها عمل سيء او لا بل كانت
متمحضة في الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى
اللهم انا نعوذ بك من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب يوم على المفعولية باضمار
اذكروا وتود اما حال من كل نفس او استيناف مبني على السؤال اي اذكروا يوم
تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا وادة ان بينها وبينه امدا بعيدا او كان
سائلا قال حين امروا بذلك اليوم فماذا يكون اذ ذاك فقيل تود لو ان بينها وبينه
الخ او تجد مقصور على ما عملت من خير وتود خبر ما عملت من سوء ولا تكون ما شرطية
لارتفاع تود وقرئ ودت فح يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبرية اوقع معنى لا

حكاية

حكاية حال ماضية واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق واعادة
له لكن لا للتاكيد فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل والله رؤوف بالعباد من
ان تحذيره تع من رافته بهم ورحمته الواسعة وان رافته بهم ورحمته الواسعة
لا تمنع تحقيق ما حذرتموه من عقابه وان تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرافة
بل هو متحقق مع تحققها ايضا كما في قوله تع يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فاللام
على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه بحيث يحملها
على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه
كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته
والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة
لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله
اي يرضى عنكم ويغفر لكم ذنوبكم اي يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم
فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة
او المشاكلة والله غفور رحيم اي لمن يتحبب اليه بطاعته ويتقرب اليه باتباع نبيه
صلى الله عليه وسلم فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم
الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع وصف الالوهية للمغفرة والرحمة روي
انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا
انا نعبد المسيح حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون
الله تعالى فامروا ان يجعلوا لهم مصداقا من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام
وقد علقوا عليها بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فقالت
قريش انما نعبدها حبا لله تعالى ليقربونا الى الله زلفى فقال الله تع لنبيه صلى الله عليه
وسلم قل ان كنتم تحبون الله تع وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتبعوني اي اتبعوا
شريعتي وسنتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم قل اطيعوا الله والرسول
اي في جميع النواهي والاوامر وقد قيل في ذلك الطاعة في اتباعه عليه السلام
دخولا اوليا وايثار الاظهار على الاضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الاطاعة
والاشعار بعلتها فان الاطاعة المامور بها اطاعته عليه السلام من حيث انه
رسول الله لا من حيث ذاته ولا ريب في ان عنوان الرسالة من موجبات الاطاعة ودوا
فان تولوا اما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التاءين
اي تتولوا واما كلام متفرع عليه مسوق من جهته تع فهي صيغة الماضي الغايب وفي ترك

ذكر احتمال الاطاعة كما في قوله تعالى فان اسلموا فقد اهتدوا الخ اي انه غير محتمل منهم فان الله لا يحب الكافرين نفي المحبة كناية عن بغضه تع لهم وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وايثار الاظهار لتعميم الحكم لكل الكفرة والاشعار بعلته فان سخطه تع عليهم بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن الطاعة كفر وبان محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين لما بين الله عز وجل ان الدين المرضي عنده الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو للبغي والحسد فان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته شرع في تحقيق رسالته وكونه من اهل بيت النبوة القديمة فبدا ببيان جلالة اقدار الرسل عليهم الصلوة والسلام كافة واتبعه ذكر مبدا امر عيسى عليه السلام وامه وكيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحق وابطالا لما عليه اهل الكتابين في شانهما من الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في ابراهيم عليه السلام وادعائهم الانتماء الى ملته ونزه ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على ان جميع الرسل عليهم السلام دعاة الى عبادة الله تع وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم من الملائكة والنبيين وان اممهم قاطبة مامورون بالايمان بمن جاءهم من رسول مصدق لما معهم تحقيقا لوجوب الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه المصدق لما بين يديه من التورية والانجيل وتحتم الطاعة له حسبما سياتي تفصيله وتخصيص آدم عليه السلام بالذكر لانه ابو البشر ومنشا النبوة وكذا حال نوح عليه السلام فانه آدم الثاني واما ذكر آل ابراهيم فلترغيب المعترفين باصطفائهم في الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم مع ما مر من التنبيه على كونه عليه السلام عريقا في النبوة من جملة المصطفين الاخيار واما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل ابراهيم فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق امر عيسى عليه السلام لكمال رسوخ الخلاف في شانه فان نسبة الاصطفاء الى الاب الاقرب ادل على تحققه في الآل وهو الداعي الى اضافة الآل الى ابراهيم دون نوح وآدم عليهم السلام والاصطفاء اخذ ما صفا من الشيء كالاستصفاء مثل به اختياره تعالى اياهم بالنفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس المصطفى كما في كافة الرسل عليهم السلام او فيمن يلابسه وينشا منه كما في مريم وقيل اصطفى آدم عليه السلام بان خلقه بيده في احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد الملائكة اياه واسكان الجنة واصطفى نوحا عليه السلام بكونه اول من نسخ الشرائع اذ لم يكن قبل ذلك تزوج المحارم حراما وباطالة عمره وجعل ذريته هم الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء

بقوله [illegible] الاية منه

بقوله تع يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم الاية منه

بقوله تع ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب الى قوله الاية منه

والمراد

والمراد بآل ابراهيم اسمعيل واسحاق والانبياء من اولادهما الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واما اصطفاء نفسه عليه السلام فمفهوم من اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التصريح به للايذان بالغنى عنه لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم السلام وكون اصطفاء آله بدعوته بقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآية ولذلك قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم ع وبآل عمران عيسى وامه مريم ابنة عمران بن ماثان بن العاذار بن ابي يوذ بن زربابل بن سالتان بن يوحنا بن اوشا بن اموذ بن ميشك بن حازقا بن احاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجعيم بن سليمان بن داود عليهما السلام بن ايشا بن عوبد بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عميادب بن رام بن حضروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليه السلام وقيل موسى وهرون عليهما السلام ابنا عمران ع بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين الف وثمانماية سنة فيكون اصطفاء عيسى عليه السلام بالاندراج في آل ابراهيم عليه السلام والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم عليها السلام انتظاما واصطفاء عيسى وهرون عليهما السلام بالانتظام في سلك آل ابراهيم عليه السلام انتظاما ظاهرا والمراد بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه ذرية نصب على البدلية من الآلين او على الحالية منهما وقد مر بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي وقوله تع بعضها من بعض في محل النصب على انه صفة لذرية اي اصطفى الآلين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من البعض في النسب كما ينبي عنه التعرض لكونهم ذرية وقيل بعضها من بعض في الدين فالاستمالة على الوجه الاول نسبية وعلى الثاني برهانية والله سميع لاقوال العباد عليم باعمالهم البادية والخافية فيصطفي من بينهم لخدمته من يظهر استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تع الله يعلم حيث يجعل رسالته والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها اذ قالت امراة عمران في حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستيناف لتقرير اصطفاء آل عمران وبيان كيفيته اي اذكر لهم وقت قولها الخ وقد مر مرارا وجه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله اي سميع لقولها الحكي عليهم بضميرها المنوي وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور كانه قيل واصطفى آل عمران اذ قالت الخ فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفرد على المفردات ليلزم كون اصطفاء الكل في ذلك الوقت وامراة عمران هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون فظن ان المراد زوجته وليس بذلك فان قصة كفالة زكريا عليه السلام قاضية بانها زوجة عمران بن ماثان لانه عليه السلام كان معاصرا له وقد تزوج ايشاع اخت حنة

ام يحيي عليه السلام وأما قوله عليه السلام في شان عيسي ويحيي عليهما السلام هما
ابنا خالة فقيل تاويله ان الاخت كثيرا ما تطلق علي بنت الاخت وبهذا الاعتبار جعلا
عليهما السلام ابنا خالة وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم من الاب
علي ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت لها ايشاع ثم نكح حنة علي حل نكاح الربائب
في شريعتهم فولدت مريم من الاب فكانت ايشاع اخت مريم من الاب وخالتها
من الام لانها اخت حنة من الام وروي انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي ذات يوم
في ظل شجرة اذ رات طائرا يطعم فرخه فحنت الي الولد وتمنته وقالت اللهم لك علي
نذرا ان رزقتني ولدا ان تصدق به علي بيت المقدس فيكون من سدنته وكان هذا
النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل وحينئذ فقولها رب
اني نذرت لك ما في بطني لابد من حمله علي التكرير لتاكيد نذرها واخراجه عن صورة
التعليق الي هيئة التنجيز والتعرض لوصف الربوبية المنبية عن افاضة ما فيه صلاح
المربوب مع الاضافة الي ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة ولذلك قيل اذا اراد العبد
ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من اسمائه وصفاته وتاكيد الجملة لابراز
وفور الرغبة في مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء به وانما عبر عن الولد
بما لابهام امره وقصوره عن درجة العقلاء محررا اي معتقا لخدمة بيت المقدس
لا يشغله شان اخر ومخلصا للعبادة ونصبه علي الحالية من الموصول والعايد فيه ندرت
وقيل من ضميره في الصلة والعامل معني الاستقرار فانها في قوة ما استقر في بطني ولا يخفي
ان المراد تقييد فعلها بالتحرير ليحصل به التقرب اليه تع لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاقرار
في بطنها فتقبل مني اي ما نذرته والتقبل اخذ الشيء لعدم قبول الانثي انك انت السميع لجموع
المسموعات التي من جملتها تضرعي ودعائي العليم بكل المعلومات التي من زمرتها ما في ضميري
لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من حيث ان كونه تع سميعا لدعائها عليما بما في ضميرها
مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمه تع بصحة نيتها واخلاصها مستدعي لذلك تفضلا
واحسانا وتاكيد الجملة لعرض قوة يقينها بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى في
لعرض اختصاص دعائها به تع وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية مبالغة في الضراعة
والابتهال فلما وضعتها اي ما في بطنها وتانيث الضمير العايد اليه لما ان المقام يستدعي
ظهور انوثته واعتباره في حيز الشرط اذ عليه يترتب جواب لما اعني قوله تع قالت رب اني
وضعتها انثي لا علي وضع ولد ما كانه قيل فلما وضعت بنتا قالت الخ وقيل تانيثه لانه في نفس
كان انثي في علم الله عز وجل او لانه مؤول بالجبلة او النفس او النسمة وانت خبير بان اعتبار شيء
مما ذكر في حيز الشرط لا يكون مدارا لترتب الجواب عليه وقوله تع انثي حال موكدة من الضمير
او بدل منه وتانيثه للمسارعة الي عرضها ما دهمها من خيبة الرجاء او لما مر من التاويل
وبالجبلة او النسمة فالحال مبينة وانما قالته تحزنا وتحسرا علي خيبة رجائها وعكس تقديرها

لما كانت ترجوا ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والتاكيد للرد علي اعتقادها
الباطل والله اعلم بما وضعت تعظيم من جهته تع لموضوعها وتفخيم لشانه وتجهيل لها بقدره
اي والله اعلم بالشيء الذي وضعته وما علق به من عظايم الامور وجعله وابنه اية للعالمين
وهي غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ وضعت علي خطاب الله تع لها اي انك لا تعلمين
قدر هذا الموهوب وما اودع الله فيه من علو الشان وسمو المقدار وقرئ وضعت علي
صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب الي الغيبة اظهارا لغاية الاجلال فيكون ذلك اعتذارا
الي الله تع حيث اتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة او تسلية لنفسها علي معني لعل الله
تعالي فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثي خير من الذكر فوجه الالتفات ظاهر وقوله تعالي
وليس الذكر كالانثي اعتراض اخر مبين لما في الاول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام
في الذكر والانثي للعهد اي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه ان يكون
كواحد من السدنة كالانثي التي وهبت لها فان دايرة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها من
جلائل الامور هذا علي القراءتين الاوليين واما علي تفسير الاخر للقراءة الاخيرة فمعناه و
ليس الذكر كهذه الانثي في الفضيلة بل ادني منها واما علي التفسير الاول فمعناه تاكيد الاعتذار
ببيان ان الذكر ليس كالانثي في الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة المتعبدات فانهن
بمعزل عن ذلك فاللام للجنس وقوله واني سميتها مريم عطف علي اني وضعتها انثي وغرضها
من عرضها علي علام الغيوب التقرب اليه تعالي واستدعاء العصمة لها فان مريم في لغتهم
بمعني العابدة قال القرطبي معناه خادم الرب واظهار انها راجعة عن نيتها وان كان
ما وضعته انثي وانها ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه
واني اعيذها بك عطف علي اني سميتها وصيغة المضارع للدلالة علي الاستمرار اي اجيرها
بحفظك وقرئ بفتح يا المتكلم في المواضع التي بعدها همزة مضمومة الا في موضعين
بعهدي اوف واتوني افرغ وذريتها عطف علي الضمير وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز
كمال العناية به من الشيطان الرجيم اي المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة عن النبي
صلي الله عليه وسلم ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه
الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها
فان الله تعالي عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها اي اخذ مريم ورضي بها في النذر
مكان الذكر ربها مالكها ومبلغها الي كمالها اللايق وفيه من تشريفها ما لا يخفي بقبول
حسن قيل الباء زايدة والقبول مصدر موكد للفعل السابق بحذف الزوايد اي تقبلها
قبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر للايذان بمقارنة التقبل بكمال الرضي وموافقته
للعناية الذاتية فان صيغة التفعل مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف وكون الفعل علي
خلاف طبع الفاعل وان كان المراد بها في حقه تعالي ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل
وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه

تعالى اياها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان رؤوس بني اسرائيل وملوكهم وقيل لانهم وجدوا امرها وامر عيسى عليه السلام في الكتب الالهية فقال زكريا عليه السلام انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا عليه السلام ورسبت اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر اي فتقبلها بذي قبول اي بامر ذي قبول حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل كتقضى بمعنى استقضى وتعجل بمعنى استعجل اي استقبلها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها نباتا حسنا مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل للفعل مضمر موافق له تقديره فنبتت نباتا حسنا وكفلها زكريا اي جعله عليه السلام كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير امورها لا على طريقة الوحي بل على ما ذكر من التفصيل فان رغبته عليه السلام في كفالتها وطفو قلمه ورسوب اقلامهم وغير ذلك من الامور الجارية بينهم كلها من آثار قدرته تعالى وقرئ اكفلها وقرئ زكرياء بالنصب والمد وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكرياء ممدودا وقرئ وتقبلها ربها وانبتها وكفلها على صيغة الامر في الكل ونصب ربها على الدعاء اي فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلا لها فهو تعيين لجهة التربية قيل بنى عليه السلام لها محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب روي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب كلما دخل عليها زكريا المحراب تقديم الظرف على الفاعل لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلمة كلما ظرف على ان ما مصدرية والزمان محذوف او نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيها جوابها اي كل زمان دخوله عليها او كل وقت دخل عليها فيه وجد عندها رزقا اي نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام عند مشاهدة هذه الآية فقيل قال يا مريم انى لك هذا اي من اين لك هذا الذي لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء ومن انكرها جعل هذا ارهاصا وتاسيسا لرسالة عيسى عليه السلام واما جعله معجزة لزكريا عليه السلام فيأباه اشتباه الامر عليه وانما

خاطبها عليه السلام بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب لما علم بما شاهده انها مؤيدة من عند الله تعالى بالعلم والقدرة قالت استئناف كما قبله كانه قيل فماذا صنعت مريم وهي صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب فقيل قالت هو من عند الله فلا تعجب ولا تستبعد ان الله يرزق من يشاء ان يرزقه بغير حساب اي بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلا منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله اما من كلامها فيكون في محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستأنف روي ان فاطمة الزهراء رضي الله عنها اهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة بني اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجميع اهل بيته فاكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك كلام مستأنف وقصة مستقلة سيقت في تضاعيف حكاية مريم لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في ايرادها من تقرير ما سيقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران فان فضائل بعض الاقرباء ادلة على فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف للخطاب اي في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثمة وحيث للزمان دعا زكريا ربه لما رأى كرامة على الله تعالى ومنزلتها منه تعالى رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد حنة في النجابة والكرامة على الله تعالى وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت حنة كذلك قيل لما رأى الفواكه في غير اوانها تنبه لجواز ولادة العجوز العاقر من الشيخ الفاني فاقبل على الدعاء من غير تاخير كما ينبئ عنه تقديم الظرف على الفعل لا على معنى ان ذلك كان هو الموجب للاقبال على الدعاء فقط بل كان جزءا اخيرا من العلة التامة التي من جملتها كبر سنه عليه السلام وضعف قواه وخوف مواليه حسبما فصل في سورة مريم قال تفسير للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الاعراب رب هب لي من لدنك كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا اي اعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد ذرية طيبة كما وهبتها لحنة ويجوز ان يتعلق من بمحذوف وقع حالا من ذرية اي كائنة من لدنك والذرية النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد هنا ولد واحد فالتانيث في الصفة لتانيث لفظ الموصوف كما في قول من قال

ابوك خليفة ولدته اخرى … وانت خليفة ذاك الكمال

وهذا اذا لم يقصد به واحد معين اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو طلحة وحمزة فلا يجوز ان يقال جاءت طلحة وهمت حمزة انك سميع الدعاء اي مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة الاجابة فنادته الملائكة كان المنادي جبريل عليه السلام

كما يفصح عنه قراءة من قرأ فناداه جبريل والجمع كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس
الثياب وما له غير فرس وثوب قال الزجاج اي أتاه النداء من هذا الجنس الذين هم
الملائكة وقيل لما كان جبريل رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له وقيل الرئيس
لا بد له من اتباع فاسند النداء اليه مع كون صادرا عنه خاصة وقرئ فناداه
بالامالة وهو قائم جملة حالية من مفعول النداء مقررة لما افاده الفاء من حصول
البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى يصلي اما صفة لقائما او خبر ثان عند من يرى
تعدده عند كون الثاني جملة كما في قوله تع فاذا هي حية تسعى او حال اخرى منه
على القول بتعددها بلا عاطف ولا بدلية او حال من المستكن في قائم وقوله تع
في المحراب اي في المسجد او في غرفة مريم متعلق بيصلي او بقائم وعلى تقدير كون يصلي
حالا من ضمير قائم لان العامل فيه وفي الحال حينئذ شيء واحد فلا يلزم الفصل
بالاجنبي كما يلزم على التقادير الباقية ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرئ
بكسر الهمزة على تقدير القول او اجراء النداء مجراه لكونه نوعا منه وقرئ يبشرك
من البشارة ويبشرك من الثلاثي وايا ما كان ينبغي ان يكون هذا الكلام اي الخ حكاية
بعبارته من الله تعالى على منهاج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
لا تقنطوا من رحمة الله الاية كما يلوح به مراجعته عليه السلام في الجواب اليه تع
بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما وقع
في سورة مريم للجري على سنن الكبرياء كما في قول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك
كذا وللايذان بان ما حكي هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة
كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية منه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر
وبهذا يتضح اتحاد المعنى في السورتين الكريمتين فتامل ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا
فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انما سمي يحيى
لان الله تع احيى به عقر امه وقال قتادة لانه تع احيا قلبه بالايمان قال القرطبي
كان اسمه في الكتاب الاول حيا ولا بد من تقدير مضاف يعود اليه الحال اي بولادة
يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان مصدقا حال مقدرة من يحيى بكلمة من الله اي بعيسى
عليه السلام وانما سمي كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه البدعيات
التي هي عالم الامر ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة
اي بكلمة كائنة منه تع قيل هو اول من آمن به وصدق بانه كلمة الله وروح منه وقال
السدي لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت يا مريم اشعرت بحبلي فقالت مريم وانا ايضا
حبلى قالت فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا
بكلمة الخ وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام
بستة اشهر وقيل بثلاث سنين وقيل حملت عيسى بمدة يسيرة وعلى كل تقدير يكون

بين

١٤٥

بين ولادة يحيى وبين البشارة بها زمان مديد لان مريم ولدت وهي بنت ثلاث عشرة
سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من الله اي بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة
لقصيدته وسيدا عطف على مصدقا اي رئيسا يسود قومه ويفوقهم في الشرف وكان
فائقا للناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئته ولم يهم بمعصية فيا لها من سيادة ما اسناها
وحصورا عطف على ما قبله اي مبالغا في حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة
روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا عطف
على ما قبله مترتب على ما عدد من الخصال الحميدة من الصالحين اي ناشئا منهم لانه كان من
اصلاب الانبياء عليهم السلام او كائنا من جملة المشهودين بالصلاح كما في قوله تعالى وانه
في الاخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذي لا بد منه في منصب
النبوة البتة من اقاصي مراتبه عليه مبني دعاء سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا
عليه بطريق الحكاية عنه تع بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة في التضرع والمناجات
وجدا في التبتل اليه تع واحترازا عما عسى يوهم خطاب الملك من توهم ان علمه سبحانه
بما يصدر عنه يتوقف على توسطه كما يتوقف وقوف البشر على ما يصدر عنه سبحانه
على توسطه في عامة الاحوال وان لم يتوقف عليه في بعضها اني يكون لي غلام فيه
دلالة على انه قد اخبر بكونه غلاما عند التبشير كما في قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه
يحيى واني بمعنى كيف او من اين وكان تامة واني واللام متعلقتان بها وتقديم الجار
على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اي كيف او من اين يحدث
لي غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تاخر لكان صفة له او
ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما اني واللام متعلقة بمحذوف كما مر او هو الخبر واني
منصوب على الظرفية وقد بلغني الكبر حال من ياء المتكلم اي ادركني كبر السن واثر في كقوله
ادركته السن واخذته السن وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت
طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون وقيل
خمس وثمانون ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر اي ذات عقر وهو ايضا
حال من ياء لي عند من يجوز تعدد الحال او من ياء بلغني اي كيف يكون لي ذلك والحال
اني وامرأتي على حالة منافية له كل المنافاة وانما قاله عليه السلام مع سبق دعائه
بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تع عليه لا سيما بعد مشاهدته عليه السلام للشواهد
السالفة استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجبا منها واعتدادا بنعمتها عز وجل عليه
في ذلك استبعادا له وقيل لكان ذلك استفهاما للاستبعاد حيث كان بين ذلك الدعاء
والبشارة ستون سنة وكان قد نسي دعاءه وهو بعيد وقيل كان ذلك استفهاما عن كيفية
حدوثه قال استئناف كما سلف كذلك اشارة الى مصدر يفعل في قوله عز وجل الله يفعل

مَا يَشَاءُ اي ما يشاء ان يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدأ ويفعل
خبر والكاف في محل النصب على انها في الاصل نعت لمصدر محذوف اي الله يفعل ما يشاء
اي يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذي هو خلق الولد من شيخ فان
وعجوز عاقر فقدم على العامل لافادة القصر بالنسبة الى ما هو ادنى من المشار اليه واتم
الكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله
تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا او على انها حال من ضمير المصدر المقدر معرفة
اي يفعل الفعل كاينا مثل ذلك او في محل الرفع على انها خبر والجلالة مبتداء على نحو
هذا الشان البديع شان الله تعالى ويفعل ما يشاء بيان لذلك الشان المبهم او كذلك
خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي
آيَةً اي علامة تدل لي على تحقق المسؤل ووقوع الحبل وانما سالها لان العلوق امر
خفي لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة من حين
حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان تظهر ظهورا معتادا او لعل هذا السؤال وقع بعد
البشارة بزمان مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سني يحيى وعيسى
عليهما السلام بستة اشهر او بثلث سنين لان ظهور العلامة كان عقيب تعينها
لقوله تع في سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الآية اللهم الا
ان يكون المحاورة بين زكريا ومريم في حالة لبثها وقد عدت من جملة من تكلم في المهد
بموجب قولها المحكي والجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم لما مر مرارا من الاعتناء
بما قدم والتشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا من آية وقيل هو بمعنى التصيير
المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما لي والتقديم لانه لا مسوغ لكون آية مبتدأ
عند انحلال الجملة الى مبتدأ وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالها بعد دخول
الناسخ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ اي لا تقدر على تكليمهم ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ اي متوالية لقوله
تعالى في سورة مريم ثلاث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما
آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله تع وشكره قضاء لحق النعمة كانه قيل آية حصول
المطلوب ووصول النعمة ان تحتبس لسانك الا عن شكرها واحسن الجواب ما اشتق
من السؤال إِلَّا رَمْزًا اي اشارة بيد او راس او نحوهما واصله التحرك يقال ارتمز
اي تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع لان الاشارة ليست من
الكلام او متصل على ان المراد بالكلام ما يفهم منه المرام ولا ريب في ان الرمز
من ذلك القبيل وقرئ رمزا بفتحتين على انه جمع رامز كخدم وبضمتين على انه
جمع رموز كرسل على انه حال منه ومن الناس معا بمعنى مترامزين كقوله

متى ما تلقني فردين ترجف ... روانف اليتيك وتستطارا

وَاذْكُرْ رَبَّكَ اي في ايام الحبسة شكرا لحصول التفضل والانعام كما يؤذن به التعرض

لعنوان الربوبية كَثِيرًا اي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا وَسَبِّحْ اي سبحه تعالى وافعل
التسبيح بِالْعَشِيِّ اي من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى ذهاب صدر الليل وَالْإِبْكَارِ
من طلوع الفجر الى الضحى قيل المراد بالتسبيح الصلوة بدليل تقييده بالوقت كما في قوله
تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر اللساني كما ان المراد بالذكر
الذكر القلبي وقرئ الابكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر كسحر واسحار وَإِذْ قَالَتِ
الْمَلَائِكَةُ شروع في شرح بقية احكام اصطفاء آل عمران اثر الاشارة الى بعض من
فضائل بعض اقاربهم اعني زكريا ويحيى عليهما السلام لاستدعاء المقام اياها حسبما
اشير اليه وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام وقد مر ما فيه
من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر السابق عطف القصة على القصة
وقيل معطوف على الظرف السابق اعني قوله تع اذ قالت امرأة عمران منصوب
باضمار فتذكر اي واذكر ايضا من شواهد اصطفائهم وقت قول الملائكة عليهم السلام
يَا مَرْيَمُ وتكرير التذكير للاشعار بمزيد الاعتناء بما يحكي من احكام الاصطفاء والتنبيه
على استقلالها وانفرادها عن الاحكام السابقة فانها من احكام التربية الجسمانية اللائقة
بحال صغر مريم عليها السلام وهذه من باب التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية
المتعلقة بحال كبرها قيل كلموها شفاها كرامة لها او ارهاصا لنبوة سيدنا عيسى عليه
السلام لمكان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة وقيل الهموها إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ
اولا حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى ورباك في حجر زكريا
عليه السلام ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية وَطَهَّرَكِ اي مما
يستقذر من الاحوال والافعال ومما قرفك اليهود بانطاق الطفل وَاصْطَفَاكِ آخرا
عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ بان وهب لك عيسى عليه السلام من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء
وجعلكما آية للعالمين فعلى هذا ينبغي ان يكون تقديم حكاية هذه المقاولة على حكاية
بشارتها بعيسى عليه السلام لما مر مرارا من التنبيه على ان كلا منهما مستحق للاستقلال
بالتذكير ولو روعي الترتيب الخارجي لتبادر كون الكل شيئا واحدا وقيل المراد بالاصطفائين
واحد والتكرير للتاكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فحينئذ لا اشكال في ترتيب النظم
الكريم اذ يحمل الاصطفاء على ما ذكر اولا ويجعل هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى عليه
السلام ايذانا بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات والعبادات حسبما امرت
بها مجتهدة فيها متبتلة الى الله تعالى منسلخة عن احكام البشرية مستعدة
لفيضان الروح عليها يَا مَرْيَمُ تكرير النداء للايذان بان المقصود بالخطاب ما يرد بعده
وان ما قبله من تذكير النعم كان تمهيدا لذكره وترغيبا في العمل بموجبه اقْنُتِي لِرَبِّكِ
اي قومي في الصلوة او اطيلي القيام فيها له تع والتعرض لعنوان الربوبية لله تعالى
للاشعار بعلة وجوب الامتثال بالامر وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ امرت بالصلاة

بالجماعة بذكر اركانهما مبالغة في ايجاب رعايتها وايذانا بفضيلة كل منها واصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب في شريعتهم كذلك واما لكون السجود افضل اركان الصلوة واقصى مراتب الخضوع ولا يقتضي ذلك كون الترتيب الخارجي كذلك بل اللايق به الترقي من الادنى الى الاعلى واما ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من لا ركوع في صلاتهم ليسوا مصلين واياما كان فان الواو لا يوجب الترتيب غايته التصحيح لا للترجيح وتجريد الامر بالركنين الاخيرين عما قيد به الاول لما ان المراد تقييد الامر بالصلوة بذلك وقد فعل حيث قيد به الركن الاول منها وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعات كما في قوله تع امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة لما مر من انه افضل اركانها وبالركوع الخشوع والاخبات قيل لما امرت بذلك قامت في الصلوة حتى ورمت قدماه وسالت دما وقيحا **ذلك** اشارة الى ما سلف من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه على علو شان المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدا خبره قوله تع **من انباء الغيب** اي من الانباء المتعلقة بالغيب والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وقوله تع **نوحيه اليك** جملة مستقلة مبينة للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن انباء الغيب اما متعلق بنوحيه او حال من ضميره اي نوحيه من انباء الغيب او نوحيه حال كونه من جملة انباء الغيب وصيغة الاستقبال للايذان بان الوحي لم ينقطع بعد **وما كنت لديهم** اي عندهم الذين اختلفوا وتنازعوا في تربية مريم وهو تقرير وتحقيق لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما في قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي الاية وما كنت ثاويا في اهل مدين الاية فان طريق معرفة امثال هاتيك الحوادث والواقعات اما المشاهدة واما السماع وعدمه محقق عندهم بقي احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة فنفيت تهكما بهم **اذ يلقون اقلامهم** ظرف للاستقرار العامل في لديهم واقلامهم التي اقترعوا بها قيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا **ايهم يكفل مريم** متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ينظرون او ليعلموا ايهم يكفلها **وما كنت لديهم اذ يختصمون** اي في شانها تنافسا في كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون كما في قوله عز وجل نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى للدلالة على ان كل واحد من عدم حضوره عليه الصلوة والسلام عند القاء الاقلام وعدم حضوره عند الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عليه السلام لا سيما اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغيير الترتيب في الذكر مؤكد له **اذ قالت الملائكة** شروع في قصة عيسى عليه السلام وهو بدل من واذ قالت الملائكة منصوب بناصبه وما بينهما اعتراض جيء به تقريرا لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بان يعد على حياله من شواهد

البنوة

البنوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب والمخاطب وايذانا بتقارب الخطابين او تقاربهما في الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف على ناصبه وقيل بدل من اذ يختصمون كانه قيل وما كنت حاضرا في ذلك الزمان المديد الذي وقع في طرف منه الاختصام وفي طرف اخر هذا الخطاب اشعارا باحاطته عليه بتفاصيل احوال مريم عليها السلام من اولها الى اخرها والقايل جبريل عليه السلام واراد صيغة الجمع لما مر **يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه** من لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اي بكلمة كاينة منه عز وجل **اسمه** ذكر الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر وهو مبتدا خبره **المسيح** وقوله تعالى **عيسى** بدل منه او عطف بيان وقيل خبر وقيل خبر مبتدا محذوف وقيل منصوب باضمار اعني مدحا وقوله تعالى **ابن مريم** صفة لعيسى قيل المراد بالاسم ما يتميز به المسمى عمن سواه فالخبر حينئذ مجموع الثلاثة اذ هو المميز له عليه السلام تمييزا عن جميع من عداه والمسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب من ايشوع والتصدي لاشتقاقهما من المسح والعيس وتعليله بانه عليه السلام مسح بالبركة او بما يطهره من الذنوب او مسحه جبريل عليهما السلام او مسح الارض ولم يقم في موضع او كان عليه السلام يمسح ذا العاهة فيبرأ وبانه كان في لونه عيس اي بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء وانما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت على نساء العالمين **وجيها في الدنيا والاخرة** الوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فانها وان كانت نكرة لكنها صالحة لان ينتصب بها الحال وتذكيرها باعتبار المعنى والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الاخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة **ومن المقربين** اي من الله عز وجل قيل هو اشارة الى رفعه الى السماء وصحبة الملائكة وهو عطف على الحال الاولى وقد عطف قوله تع **ويكلم الناس في المهد وكهلا** اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به للصبي اي يسوى من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وفي ذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه بمعزل من الالوهية **ومن الصالحين** حال اخرى من كلمة معطوفة على الاحوال الثلاثة السابقة او من الضمير في يكلم **قالت** استيناف مبني على السؤال كانه قيل فما قالت مريم حين قالت لها الملائكة ما قالت فقيل قالت متضرعة الى ربها **رب انى يكون** اي كيف يكون او من اين يكون **لي ولد** على وجه الاستبعاد العادي والتعجب واستعظام قدرة الله تعالى وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بانه بالتزوج او بغيره ويكون اما تامة واني واللام متعلقان بها وتاخير الفاعل عن الجار لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا كما مر من ولد اذ لو تاخر لكان صفة له واما ناقصة

وإسمها ولد وخبرها أما أي وأنى واللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر أو خبر وأنى نصب في الظرفية وقوله تع ولم يمسسني بشر جملة حالية محققة للاستبعاد أي والحال أني في حالة منافية للولادة قال استئناف كما سلف والقائل هو الله تعالى أو جبريل عليه السلام كذلك الله يخلق ما يشاء الكلام في اعرابه كما مر في قصة زكريا بعينه خلا أن ايراد يخلق ههنا مكان يفعل هناك لما أن ولادة العذرا من غير أن يمسها بشر أبدع وأغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ فإن مكان الخلق المنبي عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفية فقيل إذا قضى أمرا من الامور أي أراد شيئا كما في قوله تعالى إنما أمره إذا أراد شيئا وأصل انقضا الاحكام اطلق على الإرادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة وقيل الأمر ومنه قوله تع وقضى ربك فإنما يقول له كن لا غير فيكون من غير ريث وهو كما ترى تمثيل لكمال قدرته وسهولة تاتي المقدورات حسبما يقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المامور المطيع للآمر القوي المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشياء مدرجا بالاسباب ومواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شيء من الاسباب والمراد ويعلمه الكتاب أي الكتابة أو جنس الكتب الالهية والحكمة أي العلوم وتهذيب الاخلاق ع والتورية والانجيل فرادهما بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وانافتهما على غيرهما والجملة عطف على يبشرك أو على وجيها أو على يخلق أو هو كلام مبتدأ سيق تطييبا لقلبها وإزاحة لما أهمها من خوف الائمة لما علمت انها تلد من غير زواج وقرئ ونعلمه بالنون ورسولا إلى بني إسرائيل منصوب بمضمر يعود اليه المعنى معطوف على يعلمه أي ويجعله رسولا إلى بني إسرائيل أي يكلمهم وقال بعضهم انه كان مبعوثا إلى قوم مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبي وقيل بعد البلوغ وكان أول انبيا بني إسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام وقيل أولهم موسى وآخرهم عيسى عليهما السلام وقوله تع أني قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق أي رسولا ناطقا بأني الخ وقيل منصوب بمضمر معمول القول مضمر معطوف على يعلمه أي ويقول أرسلت رسولا بأني قد جئتكم الخ وقيل معطوف على الأحوال السابقة ولا يقدح فيه كونها في حكم الغيبة مع كونه في حكم التكلم لما عرفت أن فيه معنى النطق كأنه قيل حال كونه وجيها ورسولا ناطقا بأني الخ وقرئ ورسول بالجر عطفا على كلمة والبا في قوله تع بآية متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل الفعل على أنها للملابسة والتنوين للتفخيم دون الواحدة لظهور تعدد ها وكثرتها وقرئ بآيات أو بجئتكم على انها للتعدية وقوله تع من ربكم لابتدا الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لآية أي قد جئتكم ملتبسا بآية عظيمة كائنة من ربكم أو أتيتكم آية عظيمة كائنة منه تع والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتأكيد ايجاب الامتثال بما سيأتي من الاوامر وقوله تع أني أخلق

لكم

لكم من الطين كهيئة الطير بدل من قوله تع أني قد جئتكم ومحله النصب على نزع الجار عند سيبويه والفرا والجر على رأي الخليل والكسائي أو بدل من آية وقيل منصوب بفعل مقدر أي أعني أني الخ وقيل مرفوع على أنه خبر مبتداء محذوف أي هي أني أخلق لكم وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف أي أقدر لكم أي لاجل تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اياي من الطين شيئا مثل صورة الطير فأنفخ فيه الضمير للكاف أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير وقرئ فأنفخ فيها على أن الضمير للهيئة المقدرة أي أخلق لكم من الطين هيئة كهيئة الطير فأنفخ فيها فيكون طيرا أي حيا طيارا كسائر الطيور بإذن الله بأمره تعالى أشار عليه السلام بذلك إلى أن احياءه من الله تعالى لا منه قيل لم يخلق غير الخفاش روي أنه عليه السلام لما ادعى النبوة وأظهر المعجزات طالبوه بخلق الخفاش فأخذ طينا وصوره ونفخ فيه فإذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله تع قيل انما طلبوه خلق الخفاش لانه أكمل الطير خلقا وأبلغ دلالة على القدرة لان له ثديا وأسنانا وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك الانسان ويطير بغير ريش ولا تبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وإنما ترى في ساعتين ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق أنواعا من الطير وأبرئ الأكمه أي الذي ولد أعمى أو الممسوح العين والأبرص المبتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه ويقال له الوضح أيضا وتخصيص هذين لذائين لانهما مما أعيا الاطبا وكانوا في غاية الحذاقة في زمنه عليه السلام فأراهم الله تع المعجزة من ذلك الجنس روي أنه ربما كان يجتمع عليه السلام الوف من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق أتاه عيسى عليه السلام وما يداويه الا بالدعاء وأحيي الموتى بإذن الله كرره مبالغة في دفع وهم من توهم فيه الألوهية قال الكلبي كان عليه السلام يحيي الموتى بيا حي يا قيوم أحيى عازر وكان صديقا له فعاش وولد له ومر على ابن عجوز ميت فدعا الله تع فنزل عن سريره حيا ورجع الى أهله ورجع إلى أهله وبقي وولد له وبنت العاشر أحياها وولدت بعد ذلك فقالوا انك تحيي من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا بل أصابتهم سكتة فأحي لنا سام بن نوح فقال دلوني على قبره فخرجوا فقام على قبره فدعا الله عز وجل فقام من قبره وقد شاب رأسه فقال عليه السلام كيف شبت ولم يكن في زمانكم شيب فقال يا روح الله لما دعوتني سمعت صوتا يقول أجب روح الله فظننت أن الساعة قد قامت فمن هول ذلك شبت فسأله عن النزع قال يا روح الله أن مرارته لم تذهب من حنجرتي وكان بينه وبين موته أكثر من أربعة آلاف سنة وقال للقوم صدقوه فإنه نبي فآمن به بعضهم وكذبه آخرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وذلك قوله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم أي المغيبات

من احوالكم التي لا تشكون فيها وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ان في ذلك اشارة
الى ما ذكر من الامور العظام لاية عظيمة وقرئ لايات لكم دالة على صحة رسالتي دلالة
واضحة ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى اليه او دلالة المذكور
عليه اي انتفعتم بها ان كنتم ممن يتاتى منهم الايمان دلتكم على صحة رسالتي والايمان
بها ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على المضمر الذي يتعلق به قوله تعالى باية اي
قد جئتكم ملتبسا باية الخ ومصدقا ناطقا باني اصدق الخ او بقول ارسلت رسولا
باني قد جئتكم الخ ومصدقا الخ او حال كونه مصدقا ناطقا باني اصدق الخ او منصوب
باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا الى آخره وقوله من التورية اما
حال من الموصول والعامل مصدقا واما من ضميره المستتر في الظرف الواقع صلة
والعامل الاستقرار المضمر في الظرف او نفس الظرف لقيامه مقام الفعل ولاحل
لكم معمول لمضمر دل عليه ما قبله اي وجئتكم لاحل الخ وقيل عطف على معنى مصدقا
كقولهم جئته معتذرا او لاجتلب رضاه كانه قيل جئتكم لاصدق ولاحل الخ وقيل عطف
على باية من ربكم ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام
من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت قيل احل لهم من السمك
والطير ما لا صيصية له واختلف في احلال السبت وقرئ حرم على تسمية الفاعل
وهو ما بين يدي او الله عز وجل وقرئ حرم بوزن كرم وهذا يدل على ان شريعته
كان ناسخا لبعض احكام التورية ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لما ان النسخ في الحقيقة
بيان تخصص في الازمان وتاخير المفعول من الجار والمجرور لما مر مرارا من المبادرة
الى ذكر ما يسر المخاطبين والتشويق الى ما اخر وجئتكم باية من ربكم شاهدة على
صحة رسالتي وقرئ بايات فاتقوا الله في عدم قبولها ومخالفة مدلولها واطيعون
فيما امركم به وانهاكم بامر الله تعالى وتلك الاية هي ان الله ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم فانه الحق الصريح الذي اجمع عليه الرسل قاطبة فيكون اية بينة
على انه عليه السلام من جملتهم وقرئ ان الله بالفتح بدلا من اية او قد جئتكم باية
على ان الله ربي وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير
لما سبق اي قد جئتكم باية بعد اية مما ذكرت لكم من خلق الطير وابراء الاكمه والاحيا
والانبا بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد ومن غير ذلك
والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله
تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والايات الظاهرة فاتقوا الله
في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم
فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف قريش الخ ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل
فقال ان الله ربي وربكم فاعبدون كقوله تعالى اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد

الحق

الحق الذي هو غاية التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة النظرية بالا
عتقاد الحق الذي غايته القوة العملية فانه يلازم الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر
والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة
ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر شروع في بيان
ما آل اليه احواله عليه السلام اثر ما اشير الى طرف منها بطريق النقل عن الملائكة والفاء
فصيحة تفصح عن تحقيق جميع ما قالت الملائكة عليهم السلام وخروجه من القوة
الى الفعل حسبما شرحه كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله تعالى انا آتيك به
قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت
وانما لم يذكر اكتفاء بحكاية الملائكة وايذانا بعدم الخلف وثقة بما فصل في المواضع
الاخر وانما عدم نظم بقية احواله عليه السلام في سلك النقل فاما للاعتناء بامرها
او لعدم مناسبتها المقام البشارة لما فيها من ذكر معاناته عليه السلام للشدائد ومعاناة
المكايد والمراد بالاحساس الادراك القوي الجاري مجرى المشاهدة وبالكفر اصرارهم
عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عليه السلام كما ينبئ عنه الاحساس فانه
انما يستعمل في امثال هذه المواضع عند كون متعلقه امرا محذورا مكروها كما في قوله
عز وجل فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة امرا محذورا مكروها
كما في قوله عز وجل فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة باحس والضمير
المجرور لبني اسرائيل اي ابتدا الاحساس من جهتهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
لما مر غير مرة من الاهتمام به والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من الكفر
قال اي لخلص اصحابه لا لجميع بني اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى عليه السلام للحواريين الا
وقوله تعالى فآمنت طائفة من بني اسرائيل لقوله تعالى وكفرت طائفة ليس نصا في توجيه الخطاب
الى الكل بل يكفي فيه بلوغ الدعوة اليهم من انصاري جمع نصير كاشراف جمع شريف الى
الله متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء اي من انصاري متوجها الى الله ملتجئا اليه او
بانصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله عز وجل
ينصرونني كما ينصرني وقيل الى بمعنى في اي في سبيل الله وقيل بمعنى اللام وقيل بمعنى
مع قال استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالوا في جوابه عليه
السلام فقيل قال الحواريون جمع حواري يقال فلان حواري فلان اي صفوته وخالصته
من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن ونقائهن سمي به
اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من آثار العبادة وانوارها
وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس
عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة لا يزال ياكل منها ولا تنقص فذكروا ذلك للملك
فاستدعاه عليه السلام فقال له من انت قال عيسى بن مريم فترك ملكه وتبعه مع اقاربه

فاولئك هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض
فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فمر بهم عيسى عليه السلام فقال لهم انتم تصيدون السمك
فان اتبعتموني صرتم بحيث تصيدون الناس بالحيوة الابدية قالوا من انت قال عيسى بن
مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجز وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما
اصطاد شيئا فامره عيسى عليه السلام بالقائها في الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع في
الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملأوا السفينتين
فعند ذلك آمنوا بعيسى عليه السلام وقيل كانوا اثني عشر رجلا اتبعوا عيسى عليه السلام
واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله فيضرب بيده الارض فيخرج منها
لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج
منها الماء فيشربون فقالوا من افضل منا قال عليه السلام افضل منكم من يعمل بيده ويأكل
من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة فسموا حواريين وقيل ان امه سلمته
الى صباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته فقال له عليه السلام هنا ثياب
مختلفة قد جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك الالوان فغاب فجعل
عليه السلام كلها في جب واحد وقال كوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ فسأله عما
بما صنع فقال افسدت علي الثياب قال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر
وثوبا اصفر الى ان اخرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون
وآمنوا به عليه السلام وهم الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء
الحواريين الاثني عشر من الملوك وبعضهم من صيادي السمك وبعضهم من القصارين
وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه السلام
واعوانه والمخلصين في طاعته ومحبته نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله
آمنا بالله استئناف جار مجرى العلة لما قبله فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب
عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون مخلصون في الايمان منقادون
لما تريد منا نصرتك طلبوا منه عليه السلام الشهادة بذلك يوم القيمة يوم تشهد
الرسل عليهم السلام لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمى غرضهم السعادة الاخروية ربنا
آمنا بما انزلت تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها على الرسول
عليه السلام في اظهار امرهم واتبعنا الرسول في كل ما ياتي ويذر من امور الدين فيد خل
الاتباع في النصرة دخولا اوليا فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الذين يشهدون بوحدانيتك
او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس
كافة وهو حال من مفعول اكتبنا ومكروا اي الذين علم عيسى عليه السلام كفرهم من اليهود
بان وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله بان رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد
اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يمكن اسناده

اليه

اليه بطريق المشاكلة روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ملك بني اسرائيل
لما قصد قتله عليه السلام امره جبريل عليه السلام ان يدخل بيتا فيه روزنة
فرفعه جبريل عليه السلام من تلك الروزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث
منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم
انه ليس في البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه عليه السلام جمع الحواريين ليلة
واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة
فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احدهم فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم
على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عز وجل عليه شبه
عيسى عليه السلام ورفعه الى السماء فاخذوا المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا
الى قوله وصلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان
كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى عليه السلام فوقع بينهم
قتال عظيم وقيل لما طلب المصلوب جاءت مريم عليها السلام ومعها امرأة
ابراها الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى عليه السلام وجعلتا تبكيان على المصلوب
فانزل الله تعالى عيسى عليه السلام فجاءهما فقال علام تبكيان قالتا عليك فقال
ان الله تعالى رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم قال محمد بن اسحق
ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عليه السلام ولقوا منهم الجهد فبلغ
ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل
ممن تحت امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى
الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسألهم عن عيسى عليه السلام فاخبروه فبايعهم
على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها ثم غزا بني اسرائيل وقتل
منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النصرانية في الروم ثم جاء بعده ملك آخر يقال
له طيطوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه السلام بنحو من اربعين سنة
فقتل وسبى ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة
والنضير الى الحجاز قال اهل التاريخ حملت مريم بعيسى عليه السلام وهي بنت
ثلث عشرة سنة وولدته ببيت لحم من ارض اورى شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر
على ارض بابل واوحى الله اليه على راس ثلاثين سنة ورفعه اليه من بيت المقدس ليلة القدر
من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلاثين وعاشت امه بعد رفعه ست سنين والله خير
الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب
واظهار الجلالة في موضع الاضمار لتربية المهابة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله
اذ قال الله ظرف لمكر الله او لمضمر نحو وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك

ومؤخرك الي اجل المسمى عاصما لك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي والتو
او متوفيك نايما اذ روي انه رفع وهو نايم وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من
السماء ورافعك الآن او مميتك من الشهوات العايقة من العروج الي عالم الملكوت
قال اماته الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه الي السماء واليه ذهب النصارى
قال القرطبي الصحيح ان الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن
وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما واصل
القصة ان اليهود لما عزموا على قتله عليه السلام اجتمع الحواريون وهم اثني
عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكوة الغرفة فاخبرهم ابليس جميع
اليهود فركب منهم اربعة الاف رجل فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين
ايكم يخرج ويقتل ويكون معي في الجنة فقال واحد منهم انا يا نبي الله فالقي عليه
مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازة والقي عليه شبه عيسى عليه
السلام فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه واما عيسى عليه السلام فكساه الله الريش
والنور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب وذلك قوله تع اني متوفيك فطار مع
الملايكة ثم ان اصحابه حين راوه ذلك تفرقوا ثلث فرق فقالت فرقة كان الله
فينا ثم صعد الي السماء وهم اليعقوبية وقالت فرقة اخرى كان فينا ابن الله
ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهم النسطورية وقالت فرقة اخرى منهم كان فينا
عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهولاء هم المسلمون فتظاهرت
عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام منطمسا الى ان بعث الله
تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ورافعك الي اي الي محل كرامتي ومقر ملايكتي ومطهرك
من الذين كفروا اي من سوء جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم وجاعل الذين
اتبعوك قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي هم اهل الاسلام الذين
صدقوا واتبعوا دينه من امة محمد صلى الله عليه وسلم دون الذين كذبوه وكذبوا
عليه من النصارى فوق الذين كفروا وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير
بسيرتهم من اليهود فان اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة ع
وقيل هم الحواريون فينبغي ان يحمل فوقيتهم على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد
في الاسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع
مجرد الادعاء والمحبة والا فاولئك الكفرة بمعزل من اتباعه عليه السلام الي يوم
القيمة غاية للجعل او للاستقرار المقدر في الظرف لا على معنى ان الجعل او الفوقية تنتهي
حينئذ ويتخلص الكفرة من الذلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الي تلك الغاية فاما بعدها
فيفعل الله تعالى بهم ما يريد ثم الي مرجعكم اي رجوعكم بالبعث وثم للتراخي وتقديم الجار
في المجرور للقصر المفيد لتاكيد الوعد والوعيد والضمير لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين

والكافرين به على تغليب المخاطب على الغايب في ضمن الالتفات فانه ابلغ في التبشير
والانذار فاحكم بينكم يوميذ اثر رجوعكم الي فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدين
وفيه متعلق بتختلفون وتقديمه عليه لرعاية الفواصل فاما الذين كفروا فاعذبهم
عذابا شديدا تفسير للحكم الواقع بين الفريقين وتفصيل لكيفيته والبداية ببيان
حال الكفرة لما ان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه من الكفر والعناد
وقوله تع في الدنيا والاخرة متعلق باعذبهم لا بمعنى ايقاع كل واحد من التعذيب
في الدنيا والاخرة والتعذيب في الاخرة واحد انهما يوم القيمة بل بمعنى اتمام مجموعهما
يوميذ وقيل ان المرجع اعم من الدنيوي والاخروي وقوله تع الي يوم القيمة
غاية للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل هو غير محدود لا عن الفوقية المحدودة
على نهج قولك ساغيرك سكنى هذا البيت شهرا ثم اخلع عليك بخلعة لزم تاخر الخلع
عن الاعادة لا عن الشهر وما لهم من ناصرين يخلصونهم من عذاب الله في الدارين ع
وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع اي ليس لواحد منهم ناصر واحد واما الذين امنوا
بما ارسلت به وعملوا الصالحات كما هو ديدن المومنين فيوفيهم اجورهم اي يعطيهم
اياها كاملة ولعل الالتفات الي الغيبة للايذان بما بين مصدري التعذيب والاثابة
من الاختلاف من حيث الجلال والجمال وقرئ فنوفيهم جريا على سنن العظمة ع
والكبرياء والله لا يحب الظالمين اي يبغضهم فان هذه الكناية فاشية في جميع اللغات
جارية مجرى الحقيقة وايراد الظلم للاشعار بانهم بكفرهم متعدون متجاوزون
عن الحدود وواضعون الكفر مكان الشكر والايمان والجملة تذييل لما قبله مقرر
لمضمونه ذلك اشارة الي ما سلف من نبإ عيسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد
للدلالة على عظم شان المشار اليه وبعد منزلته في الشرف وحكى كونه في ظهور الامر
ونباهة الشان بمنزلة المشاهد المعاين وهو مبتدا وقوله عز وعلا نتلوه خبره
وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوه وقوله تعالى من الايات حال من الضمير المنصوب
او خبر بعد خبر او هو الخبر وما بينهما حال من اسم الاشارة او ذلك خبر لمبتدا مضمر
اي الامر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال اما لاستحضار الصورة او على معنى
اذا التلاوة لم تتم بعد ذلك والذكر الحكيم اي المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق
الخلل اليه والمراد به القرآن فمن تبعيضية او بعض مخصوص منه فمن بيانية وقيل هو
اللوح المحفوظ فمن ابتدائية ان مثل عيسى اي شانه البديع المنتظم لغرابته في سلك الامثال
عند الله اي في تقديره وحكمه كمثل آدم اي كحاله العجيبة التي لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع
فيها منازع خلقه من تراب تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل
ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبه الخصوم فان انكار خلق عيسى عليه السلام بلا اب
وام مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب ثم قال له كن اي انشاه بشرا كما في قوله

تعالى ثم انشأناه خلقا آخر وقدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز كون ثم للتراخي
الاخبار لا للتراخي المخبر به يكون حكاية حال ماضية روي ان وفد نجران قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل
هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا
من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله فقال عليه السلام
ان آدم عليه السلام ما كان له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك كونه ابنا لله سبحانه وتعالى
فكذا حال عيسى عليه السلام الحق من ربك خبر مبتدا محذوف اي هو الحق اي ما قصصنا
عليك من نبا عيسى عليه السلام وامه والظرف اما حال اي كائنا من ربك او خبر ثان اي
كائن منه تع وقيل هما مبتدا وخبر اي الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطب بتشريفه عليه السلام والايذان بان تنزيل هذه
الايات الحقة الناطقة بكنه الامر تربية له صلى الله عليه وسلم ولطف به فلا تكن من
الممترين في ذلك والخطاب اما للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة
التثبيت والاشعار بان الامتراء في الحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يكاد يمكن
صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامتراء واما لكل من له صلاحية الخطاب فمن حاجك
اي من النصارى اذ هم المتصدون للمحاجة فيه اي في شان عيسى وامه زعما منهم
انه ليس على الشان المحكي من بعد ما جاءك من العلم اي ما يوجبه ايجابا قطعيا
من الايات البينات وسمعوا ذلك منك فلم يرعووا عما هم عليه من الغي والضلال فقل لهم
تعالوا اي هلموا بالراي والعزيمة ندع ابناءنا وابناءكم اكتفى بهم عن ذكر البنات
لظهور كونهم اعز منهن واما النساء فتعلقهن من جهة اخرى ونساءنا ونساءكم
وانفسنا وانفسكم اي ليدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة
ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس في اثناء المباهلة التي هي من باب المهالك ومظان
التلف مع ان الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان بكمال امنه صلى
الله عليه وسلم وتمام ثقته بامره وقوة يقينه بانه لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه
اصلا وهو السر في تقديم جانبه عليه السلام على جانب المخاطبين في كل من المقدم
والمؤخر مع رعاية الاصل في الصيغة فان غير المتكلم تبع له في الاسناد ثم نبتهل اي
نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك من قولهم
بهلت الناقة اي تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على نبتهل مبين لمعناه
قيل انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب
وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا
نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم
ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه

فوادعوا

فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا
الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم اجمعين وهو يقول
اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها
لو شاء الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه
الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم راينا ان لا نباهلك وان نقرك على
دينك ونثبت على ديننا فقال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم
ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فابوا فقال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب
طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك في
كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم
على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى
الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا ان هذا اي ما قص من نبا
عيسى وامه لهو القصص الحق دون ما عداه من اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته
اللام لكونه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل المبتدا وقيل هو مبتدا
والقصص خبره والجملة خبر ان والحق صفته او هو مبتدا والقصص خبره والجملة خبر ثان وما من اله
الا الله صرح فيه بمن الاستغراقية تاكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز
القادر على جميع المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه في القدرة والحكمة
ليشاركه في الالوهية فان تولوا عن التوحيد وقبول الحق الذي قص عليك بعد ما عاينوا
تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة فان الله عليم بالمفسدين اي بهم وانما وضع موضعه
ما وضع للايذان بان الاعراض عن التوحيد والحق الذي لا محيد عنه بعد ما قامت به
الحجج افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى قل يا اهل الكتاب امر بخطاب اهل
الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود المدينة تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وهي ان لا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة
ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا
لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله بان نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله
ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انه
لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا
نعبدهم يا رسول الله فقال عليه السلام اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون
بقولهم قال نعم قال عليه السلام هو ذاك فان تولوا عما دعوتهم اليه من التوحيد وترك
الاشراك فقولوا اي قل لهم انت والمؤمنون اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم الحجة فاعترفوا
بانا مسلمون دونكم واعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام

تنبيه انظروا الى ما روعي في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في
المحاجة حيث بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما تواردوا عليه من الاطوار المنافية ع
للالهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم دعوا الى المباهلة
بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعوا الى ما اتفق عليه عيسى
والانجيل وسائر الانبيا والكتب ثم لما ظهر عدم اجدائه ايضا امر بان يقال اشهدوا بانا مسلمون
يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تحاجون في ابراهيم اي في ملته وشريعته تنازعت
اليهود والنصارى في ابراهيم عليه السلام وزعم كل منهم انه عليه السلام منهم وترافعوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى لم تدعون انه عليه السلام كان منكم
وما انزلت التورية على موسى عليه السلام والانجيل على عيسى عليه السلام الا من بعده حيث
كان بينه وبين موسى عليهما السلام الف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام الفا سنة فكيف يمكن
ان يتفوه به عاقل افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم او تعقلون
ذلك فلا تعقلون بطلانه ها انتم هؤلاء جملة من مبتداء وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم
بينت بجملة مستانفة اشعارا بكمال غفلتهم اي انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى حيث حاججتم
فيما لكم به علم في الجملة حيث وجدتموه في التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به
علم اصلا اذ لا ذكر لدين ابراهيم في احد الكتابين قطعا وقيل هؤلاء بمعنى الذي وحاججتم
صلته وقيل ها انتم اصله أانتم على الاستفهام للتعجب قلبت الهمزة هاء والله يعلم
ما حاججتم فيه او كل شيء فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا وانتم لا تعلمون اي محل النزاع او شيئا
من الاشياء التي من جملتها ذلك ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بما نطق به
البرهان المقرر ولكن كان حنيفا اي مائلا عن العقائد الزائغة كلها مسلما اي منقادا ع
لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين
تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعائهم اي المشركين انهم على ملته
عليه السلام ان اولى الناس بابراهيم اي اقربهم اليه واخصهم به للذين اتبعوه اي في زمانه
وهذا النبي والذين آمنوا لموافقتهم في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب
عطفا على الضمير في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم
الحسنى بايمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم في النبي عليه السلام بدلالة النص
ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا
الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم جملة حالية جيء بها للدلالة على كمال
رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من الدين القويم اي وما يتخطاهم الاضلال
ولا يعود وباله الا اليهم لما انه يضاعف به عذابهم وقيل وما يضلون الا امثالهم
واباه وقوله وما يشعرون اي اختصاص وباله وضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون
بآيات الله اي بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

وانتم تشهدون اي والحال انكم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون
نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بتحريفكم
وابرازكم الباطل في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون
بفتح البا اي تلبسون الحق مع الباطل كما في قوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق
اي نبوة محمد عليه السلام ونعته وانتم تعلمون اي حقيته وقالت طائفة من اهل
الكتاب وهم رؤساؤهم ومتقدموهم لاعقابهم آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا اي
اظهروا الايمان بالقرآن المنزل عليهم وجه النهار اي اوله واكفروا اي اظهروا ما انتم
عليه من الكفر به آخره مرائين لهم انكم آمنتم به بادي الراي من غير تامل ثم تاملتم فيه فوقفتم
على خلل رايكم الاول فرجعتم عنه لعلهم اي المؤمنين يرجعون عما هم عليه من الايمان به
كما رجعتم بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة
آمنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة
آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل هم اثنا عشر رجلا من احبار
خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا
علماءنا فلم نجد محمدا صلى الله عليه وسلم بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون
فيه ولا تؤمنوا اي لا تقروا بتصديق قلبي الا لمن تبع دينكم اي لاهل دينكم ولا تظهروا ايمانكم
وجه النهار الا لمن كان في دينكم من قبل فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله
ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم
ذلك وقلتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا
يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد
لطائل او خبر ان على ان الهدى هدى الله بدل من الهدى وقرئ أان يؤتى على الاستفهام
التقريعي وهو مؤيد للوجه الاول اي الان يؤتى احد الخ دبرتم وقرئ ان على انها نافية
فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم
او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم
عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم رد لهم وابطال لما زعموا بالحجة الباهرة يختص
برحمته اي يجعل رحمته مقصورة على من يشاء والله ذو الفضل العظيم كلاهما تذييل لما قبله
مقرر لمضمونه ومن اهل الكتاب شروع في بيان خيانتهم في المال بعد خيانتهم في الدين
والجار والمجرور في محل الرفع على الابتداء حسبما مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس
من يقول الخ وقوله تعالى من ان تامنه بقنطار يؤده اليك على ان المقصود بيان اتصافهم بمضمون
الجملة الشرطية لا كونهم ذوات المذكورين كانه قيل بعض اهل الكتاب بحيث ان تامنه بقنطار

أي بمال كثير يؤده إليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي ألفا ومائتي أوقية ذهبا فأداه إليه ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك كفنحاص بن عازورا استودعه قرشي آخر فجحده وقيل المأمونون في الكثير النصارى إذ الغالب فيهم الأمانة والخائنون في القليل اليهود إذ الغالب فيهم الخيانة إلا ما دمت عليه قائما استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو الأوقات أي لا يؤده إليك في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا في حال دوام قيامك أو في وقت دوام قيامك على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي وإقامة البينة ذلك إشارة إلى ترك الأداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده وما فيه من معنى البعد للإيذان بكمال علوهم في الشر والفساد بأنهم أي بسبب قالوا ليس علينا في الأميين أي في شأن من ليس من أهل الكتاب سبيل أي عتاب ومؤاخذة ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون أنهم كاذبون مفترون على الله تعالى وذلك لأنهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل في التورية في حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا أنه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر بلى إثبات لما نفوه أي بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى من أوفى واتقى فإن الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن أو لله تعالى وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء إلى من ومشعر بأن التقوى ملاك الأمر عام للوفاء وغيره من أداء الواجبات والاجتناب عن المناهي إن الذين يشترون أي يستبدلون ويأخذون بعهد الله أي بدل ما عاهدوا عليه من الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالأمانات وأيمانهم وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا هو حطام الدنيا أولئك الموصوفون بتلك الصفات القبيحة لا خلاق لا نصيب لهم في الآخرة من نعيمها ولا يكلمهم الله أي بما يسرهم أو بشيء أصلا وإنما يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع في أثناء الحساب من الملائكة عليهم السلام أو لا ينتفعون بكلمات الله تعالى وآياته والظاهر أنه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله تعالى من ذلك لقوله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة فإنه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم متفرع على الكناية في حق من يجوز عليه النظر لأن من اعتد بالإنسان التفت إليه وأعاد نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والإحسان وإن لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الإحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيامة متعلق بالفعلين وهو تهويل للوعيد ولا يزكيهم أي لا يثني عليهم ولا يطهرهم من دنس الأوزار ولهم عذاب أليم على ما فعلوه من المعاصي قيل إنها نزلت في أبي رافع ولبابة بن أبي الحقيق وحيي بن أخطب حرفوا التورية وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت في الأشعث بن قيس حيث كان بينه وبين رجل نزاع في بئر فاختصما إلى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له شاهداك أو يمينه فقال الأشعث إذا يحلف ولا يبالي فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به وإن منهم أي من اليهود والمحرفين لفريقا ككعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وأضرابهما يلوون ألسنتهم بالكتاب أي يفتلونها بقراءته فيميلونها من المنزل إلى المحرف أو يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلوّون بالتشديد ويلون بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها وإلقاء حركتها على ما قبلها من الساكن لتحسبوه أي المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون إلى آخره وقرئ بالياء والضمير للمسلمين من الكتاب أي من جملته وقوله تعالى وما هو من الكتاب حال من الضمير المنصوب أي والحال أنه ليس منه في نفس الأمر وفي اعتقادهم أيضا ع ويقولون مع ما ذكر من اللي والتحريف على طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض هو أي المحرف من عند الله أي منزل من عند الله وما هو من عند الله حال من ضمير المبتدأ في الخبر أي والحال أنه ليس من عند الله تعالى واعتقادهم أيضا وفيه من المبالغة في تشنيعهم وتقبيح أمرهم وكمال جرأتهم ما لا يخفى وإظهار الاسم الجليل والكتاب في محل الإضمار لتهويل ما أقدموا عليه من القول ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون أنهم كاذبون ومفترون على الله تعالى وهو تأكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر بيان لافترائهم على الأنبياء عليهم السلام حيث قالت نصارى نجران إن عيسى عليه السلام أمرنا أن نتخذه ربا حاشاه عليه السلام وإبطال له إثر بيان افترائهم على الله تعالى وإبطاله أي ما صح وما استقام لأحد وإنما قيل لبشر إشعارا بعلة الحكم فإن البشرية منافية للأمر الذي أسنده الكفرة إليهم أن يؤتيه الله الكتاب الناطق بالحق الآمر بالتوحيد الناهي عن الإشراك والحكم الفهم والعلم والحكمة وهي السنة والنبوة ثم يقول ذلك البشر بعد ما شرفه الله عز وجل بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق وأطلعه على شؤونه العالية للناس كونوا عبادا إلى الجار متعلق بمحذوف هو صفة عبادا أي عبادا كائنين لي من دون الله متعلق بلفظ عبادا لما فيه من معنى الفعل أو صفة ثانية له ويحتمل الحالية لتخصص النكرة بالوصف أي متجاوزين الله تعالى سواء كان ذلك استقلالا أو اشتراكا فإن التجاوز يتحقق فيهما حتما قيل إن أبا رافع القرظي والسيد النجراني قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد أن نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله أن نعبد غير الله وأن نأمر بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني فنزلت وقيل قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك قال عليه السلام لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله تعالى ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله ولكن كونوا أي ولكن يقول كونوا ربانيين

الرباني منسوب الي الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم
والعمل الشديد التمسك بطاعة الله ودينه بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون
أي بسبب مثابرتكم علي تعليم الكتاب ودراسته اي قراءته فان جعل خبر كان مضارعا
لافادة الاستمرار التجددي وتكرير بما كنتم للايذان باستقلال كل من استمرار التعليم
واستمرار القراءة بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم علي الدراسة لزيادة شرفه
عليها أو لان الخطاب الاول لرؤسائهم والثاني لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعني
عالمين وتدرسون من التدريس وتدرسون من الادراس بمعني التدريس كاكرم بمعني كرم
ويجوز كون أن يكون القراءة المشهورة أيضا بهذا المعني علي تقدير بما تدرسونه علي الناس
ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا بالنصب عطف علي ثم يقول ولا مزيدة
لتاكيد معني النفي في قوله تع ما كان لبشر اي ما كان لبشر ان يستنبئه الله تع ثم يأمر الناس
بعبادة نفسه ويأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أربابا وتوسيط الاستدراك بين
المعطوفين للمسارعة الي تحقيق الحق ببيان ما يليق بشانه ويحق صدوره عنه اثر نفيه
عما لا يليق ويمتنع صدوره عنه وأما ما قيل من انها غير زائدة علي معني انه ليس له أن يأمر
بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه أربابا بل ينهي عنه وهو ادني من العبادة فيقتضي نفاده ما
من توسيط الاستدراك بين الجملتين المتعاطفتين ضرورة انهما حينئذ في حكم جملة
واحدة وكذا قوله تع ايامركم بالكفر فانه صريح في ان المراد بيان انتفاء كلا الامرين
فتكذا لاثباتهما انتفاء الاول لانتفاء الثاني ويعضده قراءة الرفع علي الاستيناف ويجوز
الحالية بتقدير المبتدا أي وهو لا يأمركم الي اخره بين الفساد لما عرفته انفا وقوله تعا
بعد اذ انتم مسلمون يدل علي ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون للسجود له عليه السلام
وإذ أخذ الله ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبي صلي الله عليه وسلم اي
اذكروا وقت اخذه تعالي ميثاقهم لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل هو علي ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم
بذلك اولي واحري وقيل معناه اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغني بذكرهم
اضافة الميثاق الي النبيين اضافة الي الفاعل والمعني واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه
الانبياء علي اممهم وقيل المراد اولاد النبيين علي حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم
نبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولي بالنبوة من محمد صلي الله عليه وسلم لانا اهل
الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعني الاستحلاف
وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبر وقيل لما بالكسر
علي ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم لمجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق
لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعني اخذه للذي اتيتموه وجاءكم رسول مصدق
له وقرئ لما بمعني حين اتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم علي ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدي

الميمات

الميمات الثلاث استثقالا قال اي الله تعالي بعد ما اخذ الميثاق أأقررتم بما ذكر واخذتم علي
ذلكم اصري أي عهدي سمي به لانه يؤصر اي يشد وقرئ بضم الهمزة وهي اما لغة فيه كعبر
وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا استيناف مبني علي السؤال كانه قيل فماذا قالوا عند
ذلك فقيل قالوا أقررنا وانما لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء بذلك قال تعالي اشهدوا اي
فليشهد بعضكم علي بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين
أي وانا ايضا علي اقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد وادخال مع علي المخاطبين لما انهم المباشرون
للشهادة حقيقة وفيه من التاكيد والتحذير ما لا يخفي فمن تولي اي اعرض عما ذكر بعد
ذلك الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة ومعني البعد في اسم الاشارة لتفخيم الميثاق
فاولئك اشارة الي من والجمع باعتبار المعني كما ان الافراد في تولي باعتبار اللفظ وما فيه
من معني البعد للدلالة علي ترامي امرهم في السوء وبعد منزلتهم في الشر والفساد اي فاولئك
المتولون المتصفون بالصفات القبيحة هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة
من الكفرة فان الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد أفغير دين الله يبغون عطف علي
مقدر اي أيتولون فيبغون غير دين الله وتقديم المفعول لانه المقصود انكاره وعلي الجملة
المقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار وقرئ بتاء الخطاب علي تقدير وقل لهم
وله أسلم من في السموات والارض جملة حالية مفيدة لوكادة الانكار طوعا وكرها
اي طائعة بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الي الاسلام كنتق الجبل
وادراك الغرق والاشراف علي الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة
فانهم لا يقدرون علي الامتناع عما قضي عليهم واليه يرجعون اي من فيهما والجمع باعتبار
المعني وقرئ بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة علي ما قبلها منصوبة علي الحالية واما
مستانفة سيقت للتهديد والوعيد قل آمنا بالله امر للرسول صلي الله عليه وسلم بان
يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالايمان بما ذكر وجمع الضمير في قوله تعالي
وما انزل علينا وهو القران لما انه منزل عليهم ايضا بتوسط تبليغه اليهم او لان
المنسوب الي واحد من الجماعة قد ينسب الي الكل او عن نفسه فقط وهو الانسب
لما بعده والجمع لاظهار جلالة قدره عليه السلام ورفعة محله بامره بان يتكلم عن نفسه علي
ديدن الملوك ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه صلي الله عليه وسلم والايذان بانه
عليه السلام اصل في ذلك كما في قوله تع يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وما انزل علي ابراهيم
واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط من الصحف والنزول كما يعدي بالي لانتهائه الي الرسل
يعدي بعلي لانه من فوق ومن رام الفرق بان علي لكون الخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم
والي لكون الخطاب للمؤمنين فقد تعسف الا تري الي قوله عليه السلام تعالي بما انزل
اليك الخ وقوله امنوا بالذي انزل علي الذين امنوا الخ وقوله وانما قدم المنزل علي
الرسول صلي الله عليه وسلم علي ما انزل علي سائر الرسل عليهم السلام مع تقدمه عليه نزولا

لانه المعترف له والعيار عليه والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم عليه السلام وما اوتي موسى وعيسى من التورية والانجيل وسائر المعجزات القاهرة بايديهما كما ينبئ عنه ايثار الايتاء على الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى والنبيون عطف على موسى وعيسى عليهما السلام اي وبما اوتي النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم من الكتب والمعجزات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم وبحقية ما انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض لنفي بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وغيره كما في قول النابغة ۰ فما كان بين الخير اذ جاء سالما ۰ ابو حجر الا ليال قلائل ۰ اي بين الخير وبيني ونحن له مسلمون اي منقادون او مخلصون له تعالى انفسنا لا نجعل له شريكا فيها وفيه تعريض بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل من ذلك ومن يبتغ غير الاسلام اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين دينا ينتحل اليه وهو نصب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام حال منه لما انه كان صفة له فلما قدمت عليه انتصبت حالا او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير الاسلام فلن يقبل منه ابدا بل يرد اشد رد واقبحه وقوله تعالى وهو في الآخرة من الخاسرين اما حال من الضمير المجرور او استئناف لا محل له من الاعراب اي من الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان حال من تدين بغير الاسلام واطمأن بذلك افظع واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره كيف يهدي الله الى الحق قوما كفروا بعد ايمانهم قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما آمنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما آمنوا به كانوا مؤمنين به قبل مبعثه وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا يقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف على ايمانهم باعتبار انحلاله الى جملة فعلية كما في قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا

الله الخ فانه في قوة ان يقال بعد ان آمنوا او حال من ضمير كفروا باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية او حالية اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا وهو مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم مبتدأ ثان وقوله تعالى ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خبره والجملة خبر لاولئك وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى آيسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها اي في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي يمهلون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا اي ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان الله غفور رحيم فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء وقيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس الآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا حيث كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا به عليه السلام بعد ما آمنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا به عليه السلام بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص به ريب المنون او نرجع اليه فننافقه باظهار الايمان لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شأنهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم كفرا ولذلك لم يدخل فيه الفاء واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية زيدت الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأ به وذهبا تمييز وقرئ بالرفع على انه بدل من ملء او خبر لمحذوف ولو افتدى محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تصدق ولو افتدى به من العذاب في الآخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك اشارة الى المذكورين

باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة لهم عذاب اليم مؤلم واسم الاشارة مبتدأ والظرف خبر ولاعتماده على المبتدا ارتفع به عذاب اليم على الفاعلية وما لهم من ناصرين في دفع العذاب عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعات الضمير اي ليس لواحد منهم ناصر واحد لن تنالوا البر حتى من نال نيلا اذا اصابه والخطاب للمؤمنين وهو كلام مستانف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شاوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار او لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته حتى تنفقوا اي في سبيل الله عز وجل رغبة فيما عنده ومن في قوله تعالى مما تحبون تبعيضية ويؤيده قراءة من قرا بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة او موصوفة اي مما تهوون ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم او مما يعم ذلك وغيره من الاعمال والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف رضي الله تعالى عنهم اجمعين اذا احبوا شيئا جعلوه لله عز وجل وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رايح فاني ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة رضي الله عنه بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة فقال اما ان الله تعالى قد قبلها منك وقيل وفيه دلالة على ان الانفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وكتب عمر رضي الله تعالى عنه الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مداين كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروي ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كانت لزوجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة زينتها وارسلتها اليه قد وهبتها يا امير المؤمنين فلتخدمك قال من اين ملكتها قالت جئت بها من بيت ابي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت من تركته ففتش عن حال العامل واحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى شديدا فقال انت حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرها كل شبهة قال لست اذا ممن نهى النفس عن الهوى وما تنفقوا من شيء ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف وهو صفة لاسم الشرط اي اي شيء تنفقوا كائن من الاشياء فان المفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور

والنصب على التمييز اي اي شيء تنفقوا طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فانه تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الردي ما لا يخفى كل الطعام اي كل افراد المطعوم او كل انواعه كان حلا لبني اسرائيل اي حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه استثناء متصل من اسم كان اي كان كل المطعومات حلالا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اي يعقوب عليه السلام على نفسه وهو لحوم الابل والبانها وقيل كان به وجع النسا فنذر لئن شفي لا ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد ولا بد ان يقول كان ذلك باذن من الله تعالى فيه فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير في توسيط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه ان تقييد تحريمه عليه السلام بقبلية تنزيل التورية ليس فيه مزيد فايدة اي كان ما عدا المستثنى حلالا لهم قبل ان تنزل التورية مشتملة على ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد على اليهود في دعواهم البراءة مما نعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وتبكيت لهم في منع النسخ والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقة لابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتورية فاتلوها امر عليه السلام بان يحاجهم بكتابهم الناطق بان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم والاظهار اسم التورية لكون الجملة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله وقوله تعالى ان كنتم صادقين اي في دعواكم انه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بالتورية فاتلوها فان صدقكم مما يدعوكم الى ذلك البتة انهم لم يجسروا على اخراج التورية فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة النيرة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ الذي يجحدونه ما لا يخفى والجملة مستانفة مقررة لما قبلها فمن افترى على الله الكذب اي اختلقه عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن تقدمهم من الامم من بعد ذلك من بعد ما ذكر من امرهم باحضار التورية وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت والالزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح اولئك اشارة الى الموصول

باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والجمع باعتبار معناه كما أن الافراد في الصلة باعتبار لفظه
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال والطغيان اي فاولئك
المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال
هم الظالمون المفرطون في الظلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة مستأنفة لا محل
لها من الاعراب مسوقة من جهته تع لبيان كمال عتوهم وقيل هي في محل النصب
داخل تحت القول عطفا على قوله تع فأتوا بالتورية قل صدق الله اي ظهر وثبت صدقه
تعالى فيما انزل في شأن التحريم وقيل في قوله تعالى فيما انزل ما كان ابراهيم يهوديا
الخ او صدق في كل شأن من الشؤون وهو داخل في شأن التحريم من الشؤون في ذلك
دخولا اوليا وفيه تعريض بكذبهم الصريح فاتبعوا ملة ابراهيم اي ملة الاسلام التي هي
في الاصل ملة ابراهيم عليه السلام فانكم ما كنتم متبعين لملته كما تزعمون او فاتبعوا
مثل ملته حتى تخلصوا عن اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة وتلفيق
الاكاذيب لتسوية الاغراض الدنيئة الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات محللة لابراهيم
عليه السلام ومن تبعه والفاء للدلالة على ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك
ما كانوا حنيفا اي مائلا عن الاديان الزائغة كلها وما كان من المشركين اي في امر من
امور دينهم اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بانه عليه السلام ليس
بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم
عليه السلام في الاصول لانه لا يدعو الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه
سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها ان اول بيت وضع للناس شروع في بيان كفرهم
ببعض آخر من شعائر ملته عليه السلام اثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلالا
عليه السلام روي انهم قالوا بيت المقدس اعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبياء وفي
الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة اعظم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزلت اي اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى
ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تع للذي ببكة خبر لان وانما اخبر بالمعرفة مع
كون اسمها نكرة لتخصصها بشيئين الاضافة والوصف بالجملة بعدها اي للبيت الذي
ببكة اي فيها وفي ترك الموصوف من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فان العرب تعاقب
بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم والنبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء
وقولهم امر راتب وراتم وسبد رأسه وسمدها واغبطت الحمى واغمطت وقيل هي علم
للبلد الحرام من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيه وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا
او لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله عز وجل وقيل
بكة اسم لبطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله وايد
هذا بان التباك وهو الازدحام انما يقع عند الطواف وقيل مكة اسم للمسجد والمطاف

وبكة

وبكة اسم للبلد لقوله تع للذي ببكة وقيل انه عليه السلام سئل عن اول بيت
وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة
وقيل اول من بناه ابراهيم عليه السلام وقيل آدم عليه السلام وقد استوفينا
ما فيه من الاقاويل في سورة البقرة وقيل اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا
كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب
وتكفير الذنوب وهو حال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل
فيه ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان
فيه آيات عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال آيات بينات
واضحات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضواري
السباع الصيود في الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تع لكل جبار قصده بسوء كاصحاب
الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابراهيم اي اثر قدميه عليه السلام
في الصخرة التي كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه
او عند غسل رأسه على ما روي انه عليه السلام جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت
له امرأة اسمعيل عليهما السلام انزل حتى اغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته
على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت
الشق الآخر فبقي اثر قدميه وهو اما مبتدأ حذف خبره اي منها مقام ابراهيم او بدل من
آيات بدل البعض من الكل او عطف بيان اما وحده باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة
لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابراهيم عليه السلام كقوله
تع ان ابراهيم كان امة قانتا او باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فان كل واحد من اثر
قدمه في صخرة صماء وغوصه فيها الى الكعبين والانة بعض الصخور دون بعض وابقائه
دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة الاعداء الوف سنة آية
مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد واما بما يفهم من قوله عز وجل ومن دخله كان
آمنا فانه وان كان جملة مستأنفة ابتدائية او شرطية لكنها في قوة ان يقال وامن
من دخله فيكون بحسب المعنى والمآل معطوفا على مقام ابراهيم ولا يخفى ان الاثنين نوع
من الجمع فيكفي ذلك او يحمل على انه ذكر من تلك الآيات اثنان وطوي ذكر ما عداهما دلالة
على كثرتها وبمعنى امن داخله امنه من التعرض له كما في قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا
حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا
البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله
عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال ابو حنيفة رحمه الله
من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنى فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى
ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي

صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يوخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن عباس رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثنية الحجون وليس بها يوميذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائة عام **ولله على الناس حج البيت** جملة من مبتداء هو حج البيت وخبر هو لله وقوله تع على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار او بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون على الناس هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر لا سبيل الى ان يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في على الناس لاستلزامه تقدم الحال على العامل المعنوي وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزه ابن مالك اذا كانت هي ظرفا او جر وعاملها كذلك بخلاف الظرف وحرف الجر فانهما يتقدمان على عاملهما المعنوي واللام في البيت للعهد وحجه قصده للزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم المصدر وقرئ بفتحها **من استطاع اليه سبيلا** في محل الجر على انه بدل البعض لعمومه فالضمير العايد الى المبدل منه محذوف اي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على ان المراد بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة الى الضمير وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتداء مضمر اي هم من استطاع الخ وقيل في حيز النصب بتقدير اعني وقيل كلمة شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العايد الى الناس اي من استطاع منهم سبيلا فلله عليه حج البيت وقد رجح هذا بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور في اليه راجع الى البيت او الى الحج والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما بشانه كما في قوله تع فهل الى خروج من سبيل وهل الى مرد من سبيل لما فيه من معنى الافضاء والايصال كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من مال وغيره فانه قد روي انس بن مالك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم وعليه اكثر العلماء خلا ان الشافعي رحمه الله اخذ بظاهره فاوجب الاستنابة على الزمن القادر على اجرة من ينوب عنه والظاهر ان عدم تعرضه عليه السلام لصحة البدن لظهور الامر كيف لا والمعتبر في الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المتطوع الى البيت وذا لا يتصور بدون الصحة وعن ابن الزبير انه على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك انه اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع **ومن كفر** وضع من كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت يهوديا او نصرانيا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام قال في خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اي حال شاء يهوديا

او نصرانيا

او نصرانيا او مجوسيا **فان الله غني عن العالمين** وعن عبادتهم وحيث من كفر من جملتهم داخلا فيها دخولا اوليا اكتفي بذلك عن الضمير الرابط والجزاء ولقد حازت الاية الكريمة من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه اوثرت صيغة الخبر الدالة على التحقيق وابرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد انه حق واجب لله سبحانه في ذمم الناس لا انفكاك عن ادائه والخروج عن عهدته وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين والاجمال ثم التفصيل لما في ذلك من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذي لا قبيح وراه وجعل جزاءه استغناءه تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم السخط الاعن تاركه فقط فانه قد ضرب عنه صفحا اسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره بل على جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب هذا وقال ابن عباس والحسن وعطا ومن كفر اي جحد فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزلت قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان فخطبهم فقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة وقيل حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما ما نوظروا **قل يا اهل الكتاب** هم اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بهما وقوله عز وجل **لم تكفرون بايات الله** توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحسير لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد باياته تع ما يعم الايات القرانية التي من جملتها ما تلي في شان الحج وغيره وما في التورية والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تع **والله شهيد على ما تعملون** حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتاكيد الانكار واظهار الجلالة في موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او في على عمومها وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون باياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع اعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في ان ذلك يسد جميع انحاء ما تاتونه ويقطع اسبابه بالكلية **قل يا اهل الكتاب** امر بتوبيخهم بالاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه السلام على تقريعهم وتوبيخهم وترك عطفه على الامر السابق للايذان باستقلالهما كما ان قطع قوله تع **لم تصدون** عن قوله تع لم تكفرون للايذان بان

كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع اللائمة والتقريع وتكرير
الخطاب بعنوان اهلية الكتاب لتاكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان كما
يستدعي الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي الايمان ترغيب الناس فيه وصدهم عنه في
اقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بالايات الدالة على
نبوته عليه السلام وقرئ تصدون من اصده عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل الى السعادة
الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام من امن مفعول لتصدون قدم عليه الجار والمجرور
للاهتمام به كانوا يفتنون المومنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول
فيه بجهدهم ويقولون ان صفته عليه السلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به
عندهم قيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من
العداوات والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه تبغونها في الاسقاط والجاد وايصال
الفعل الى الضمير كما في قوله فتولى غلامهم ثم نادي اظليما اصيدكم ام حمارا
بمعني اصيد لكم اي تطلبون لسبيل الله تعالي التي هي اقوم السبل عوجا اعوجاجا بان
تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله
عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله
وانتم شهدا حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الاولى او من فاعل تبغونها
اي والحال انكم شهدا تشهدون بها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد
عنها اضلال وعن ابن عباس رضي الله عنهما اي شهدا ان في التورية ان دين الله الذي
لا يقبل غيره هو الاسلام او وانتم عدول فيما بينكم تثقون باقوالكم وتستشهدونكم في
القضايا وعظايم الامور وما الله بغافل عما تعملون اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد
شديد وقيل لما كان صدهم للمومنين بطريق الخفية ختمت الاية الكريمة بما يحسم مادة
حيلتهم من احاطة علمه تعالي باعمالهم كما ان كفرهم بايات الله تعالي لما كان بطريق العلانية
ختمت الاية السابقة بشهادة الله تعالي كما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا
فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين تلوين للخطاب وتوجيه له الى المومنين
تحذيرا لهم عن طاعة اهل الكتاب والافتتان بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغوا والاضلال
ردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم وايجاب
الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة ان لا يطيعون فريقا الحكما ان تعميم التوبيخ فيما
قبله للمبالغة في الزجر او للمحافظة على سبب النزول فانه روي ان نفرا من الاوس والخزرج
كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين
فغاظه ما راي منهم من التالف واتحاد الكلمة واجتماع الراي بعد ما كان بينهم من العداوة
والشنان فامر شابا يهوديا كان معه بان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وكان ذلك يوما
عظيما اقتتلت فيه الحيان وكان الظفر فيه للاوس وينشدهم ما قيل فيه من الاشعار ففعل فتفاخر

القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين خلق عظيم فبلغ
ذلك فجاءهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم
بعد ان اكرمكم الله تعالي بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة
من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا
مع الرسول صلى الله عليه وسلم قال الامام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الاية
الى قوله تع لعلكم تهتدون فجا النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقراهن ورفع صوته
فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ القوا
السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تع كافرين اما مفعول ثان ليردوكم
على تضمين الرد معني التصيير كما في قوله رمي الحدثان نسوة ال سعد بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا او حال من مفعوله والاول
ادخل في تنزيه المومنين عن نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق
القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المومنين
واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار
كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن
مباشرته او لممانعة الايمان له كانه قيل بعد ايمانكم الراسخ فيه من تثبيت المومنين
ما لا يخفى وكيف تكفرون استفهام انكاري بمعني انكار الوقوع كما في قوله تعالي كيف
يكون للمشركين عهد الخ لا بمعني انكار الواقع كما في قوله تع كيف تكفرون بالله وكنتم
امواتا الخ وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه
الى نفسه بان يقال اتكفرون لان كل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال
فاذا انكر وانفي جميع احوال وجوده فقد انتفي وجوده بالكلية على الطريق البرهاني
وقوله عز وعلا وانتم تتلى عليكم ايات الله جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين في
تكفرون موكدة للانكار والاستبعاد بما فيها من الشوون الداعية الى الثبات على الايمان
الوازعة عن الكفر وقوله تع وفيكم رسوله معطوف عليها داخل في حكمها فان تلاوة ايات
الله تعالي عليهم وكون رسوله عليه السلام بين اظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم
بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم اسناد التلاوة الى الرسول
صلى الله عليه وسلم للايذان باستقلال كل منهما في الباب ومن يعتصم بالله اي ومن
يتمسك بدينه الحق الذي بينه باياته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو
الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل الله فقد هدي جواب للشرط وقد
لافادة معني التحقيق كان الهدي قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعني التوقع فيه
ظاهر فان المعتصم به تعالي متوقع للهدي كما ان قاصد الكريم متوقع للندي الى
صراط مستقيم موصل الى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد

على الذين يبغون له عوجا وهذا وان كان هو دينه الحق في الحقيقة والاهتداء اليه هو الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف الاعتبار وكان العنوان الاخير مما ينادي المنافقون ابرز في معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز يا ايها الذين امنوا تكرير الجواب بعنوان الايمان تشريف اثر تشريف اتقوا الله الاتقاء افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة حق تقاته اي حق تقواه وما يجب فيها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله تع فاتقوا الله ما استطعتم عن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر وقد روي مرفوعا اليه عليه السلام وقيل هو ان لا تاخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد اصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تهمة وتخمة وياؤها المفتوحة الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا كما في قوله تع ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تموتن على حال من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما ينبئ عنه الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين لم يفد فائدتها والعامل في الحال ما قبل الا بعد النقض وظاهر النظم الكريم وان كان نهيا عن الموت المقيد بقيد هو الكون على حال غير حال الاسلام لكن المقصود هو النهي عن ذلك القيد عند الموت المستلزم للامر بضده الذي هو الكون على حال الاسلام الى الموت حينئذ وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد ايجاب الثبات على الاسلام الى الموت وتوجيه النهي الى الموت للمبالغة في النهي عن قيده المذكور فان النهي عن المقيد في امثاله نهي عن القيد ورفع له من اصله بالكلية مفيد لما لا يفيده النهي عن نفس القيد فان قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد من المبالغة في ايجاب الخشوع في الصلاة ما لا يفيده قولك لا تترك الخشوع في الصلاة لما ان هذا نهي عن القيد وترك الخشوع فقط وذاك نهي عنه وعما يقارنه مفيد لكون الخشوع هو العمدة في الصلاة وان الصلاة بدونه حقها ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله عز وعلا واعتصموا بحبل الله اي بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القران حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم اما تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلي من مكان رفيع بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجاز في المفردات واما استعارة للحبل لما ذكر من الدين والكتاب والاعتصام

ترشيح

ترشيح لها او استعارة للوثوق به والاعتماد عليه جميعا حال من فاعل اعتصموا اي مجتمعين في الاعتصام ولا تفرقوا اي لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا تحدثوا امرا يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم عليها واذكروا نعمة الله مصدر مضاف الى الفاعل وقوله تع عليكم متعلق به او بمحذوف وقع حالا منه وقوله تع اذ كنتم ظرف له او للاستقرار في عليكم اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا انعامه مستقرا عليكم وقت كونكم اعداء في الجاهلية بينكم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة فالف بين قلوبكم بتوفيقكم للاسلام فاصبحتم اي فصرتم بنعمته التي هي ذلك التأليف اخوانا خبر اصبحتم اي اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فاصبحتم فدخلتم في الصباح فالباء حينئذ متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا اخوانا اي فاصبحتم ملتبسين بنعمته حال كونكم اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار شفا الحفرة وشفتها حرفها اي كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها فانقذكم بان هداكم للاسلام منها الضمير للحفرة او للنار او للشفا والتأنيث للمضاف اليه كما في قوله كما شرقت صدور القناة من الدم او لانه بمعنى الشفة فان شفا البير وشفتها جانبها كالجانب والجانبة واصله شفو قلبت الواو الفا في المذكور وحذفت في المؤنث كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه به عما عداه وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها النصب على انها صفة لمصدر محذوف اي مثل ذلك التبيين الواضح يبين الله لكم اياته اي دلائله لعلكم تهتدون طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير امرهم الله سبحانه بتكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من الاوامر والنواهي تثبيتا للكل على مراعاة ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم بمواجبها ويحافظ على حقوقها وحدودها ويذكر الناس كافة ويردعهم عن الاخلال بها والجمهور على اسكان لام الامر وقرئ بكسرها على الاصل ومن ان كانت تامة ومن تبعيضية متعلقة بالامر او بمحذوف وقع حالا من الفاعل وهو امة ويدعون صفتها اي لتوجد منكم داعية الى الخير والامة هي الجماعة التي يؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها وان الناقصة وامة اسمها ويدعون خبرها اي لتكن منكم امة داعين الى الخير وايا ما كان فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث

بعضهم في الكل اقامتها في ما ينبئ عنه قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا كافة الآية
وانهما من عظائم الامور وعزائمها التي لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب
وكيفية اقامتها فان من لا يعلمها يوشك ان يامر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام
اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار الا التمادي والاصرار وقيل
من بيانية كما في قوله تع وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم الآية والامر
من كان الناقصة والمعنى كونوا امة يدعون الآية ومثل قوله تع كنتم خير امة اخرجت
للناس ولا يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته
بالخطابات العامة والدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي
فعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه تعالى ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام لاظهار فضلهما وانافتهما على سائر الخيرات
كعطف جبرئيل وميكائيل عليهم السلام وحذف المفعول الصريح من الافعال الثلاثة
اما للايذان بظهوره اي يدعون الناس ويامرونهم وينهونهم واما للقصد الى ايجاد
نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الدعاء الى الخير والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر اولئك اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت
الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عمن عداهم وانتظامهم بسببه في سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والافراد في كاف
الخطاب اما لان المخاطب كل من يصلح للخطاب واما لان التعيين غير مقصود اي اولئك
الموصوفون بتلك الصفات الكاملة هم المفلحون اي هم الاخصاء بكمال الفلاح
وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند
بالمسند اليه او مبتداء خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون اما للعهد
او للاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه سئل عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم
اي للرحم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه
وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه السلام والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب
لكم وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين
وغضب لله غضب الله له والامر بالمعروف في الوجوب والندب تابع للمامور واما النهي
عن المنكر فواجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والعاصي يجب النهي عما ارتكبه اذ
عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب شيء منهما والتوبيخ في قوله تعالى أتأمرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسهم لا على امرهم بالبر وعن السلف مروا
بالخير وان لم تفعلوا ولا تكونوا كالذين تفرقوا هم اهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا

والنصارى فرقا واختلفوا باستخراج التاويلات الزائغة وكتم الآيات الناطقة وتحريف
ما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية من بعد ما جاءهم البينات اي الآيات الواضحة
المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهي متوجه الى المتصدين للدعوة
اصالة والى اعقابهم تبعا ويجوز تعميم الموصول للمختلفين من الامم السالفة المشار اليهم
بقوله عز وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات هم المبتدعة
من هذه الامة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهي عنه انما هو الاختلاف
في الاصول دون الفروع الا ان يكون مخالفا للنصوص البينة والاجماع لقوله عليه
السلام اختلاف امتي رحمة وقوله عليه السلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن
اخطا فله اجر واحد واولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما في حيز الصلة
وهو مبتداء وقوله تعالى لهم خبره وقوله تع عذاب عظيم مرتفع بالظرف على الفاعلية
لاعتماده على المبتدا او مبتداء والظرف خبره والجملة خبر للمبتدا الاول وفيه من التاكيد
والمبالغة في وعيد المتفرقين والتشديد في تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى يوم تبيض وجوه
اي وجوه كثيرة وقرئ تبياض وتسود وجوه كثيرة وقرئ تسواد وقال عطا تبيض وجوه
المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير ويوم منصوب على انه ظرف للاستقرار
في لهم اي لثبوت العذاب العظيم لهم او على انه مفعول لمضمر خوطب به المؤمنون تحذيرا
لهم عن عاقبة التفرق بعد مجيء البينات وترغيبا في الاتفاق على التمسك بالدين اي اذكروا
يوم تبيض الخ وبياض الوجوه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه
وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه
وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم تفصيل لاحوال الفريقين
بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان هؤلاء لما ان المقام مقام التحذير عن التشبه بهم
مع ما فيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء الى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين
كما بدئ بذلك عند الاجمال أكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم ذلك
والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم
برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمان اسلافهم او ايمان انفسهم به قبل مبعثه عليه
السلام او جميع الكفرة حيث كفروا بعد ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق او بعد ما تمكنوا من
الايمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والآيات البينة وقيل المرتدون وقيل
اهل البدع والاهواء والفاء في قوله عز وجل فذوقوا العذاب اي العذاب المعهود الموصوف
بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق العذاب على طريقة الاهانة مترتب على كفرهم
المذكورين كما ان قوله تع بما كنتم تكفرون صريح في ان نفس الذوق معلل بذلك والجمع
بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه في الدنيا واما الذين
ابيضت وجوههم ففي رحمة الله اي الجنة والنعيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها

علي ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالي وقرئ
ابياضت كما قرئ اسوادت هم فيها خالدون استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من السياق
كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون وتقديم
الظرف للمحافظة علي رؤس الاي تلك اشارة الي الايات المشتملة علي تنعيم الابرار
وتعذيب الكفار ومعني البعد للايذان بعلو شانها وسمو مكانها في الشرف وهو مبتدا
آيات الله تع خبره وقوله تع نتلوها جملة حالية من الايات والعامل فيها معني
الاشارة او هي الخبر وآيات الله بدل من اسم الاشارة والالتفات الي التكلم بنون
العظمة مع كون التلاوة علي لسان جبريل عليه السلام لابراز كمال العناية بالتلاوة
وقرئ يتلوها علي اسناد الفاعل الفعل الي ضميره تعالي وقوله تع عليك متعلق بنتلوها
وقوله تع بالحق حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اي ملتبسين او ملتبسة بالحق
والعدل ليس في حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسيء او بالعقاب
من غير جرم بل كل ذلك موفي لهم حسب استحقاقهم باعمالهم بموجب الوعد والوعيد
وقوله تعالي وما الله يريد ظلما للعالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله علي ابلغ وجه واكده
فان تنكير الظلم وتوجيه النفي الي ارادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق
الحكم باحاد الجمع المعرف والالتفات الي الاسم الجليل اشعار بعلة الحكم بيان لكمال
نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اي ما يريد فردا من افراد الظلم لفرد من
افراد العالمين في وقت من الاوقات فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع كما يفيد الاستمرار
في الاثبات يفيده في النفي حسب المقام كما ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام علي
دوام الانتفاء لا علي انتفاء الدوام وفي سبك الجملة نوع ايماء الي التعريض بان الكفرة هم
ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالي ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن
الناس انفسهم يظلمون ولله ما في السموات وما في الارض اي له تعالي وحده من غير شركة
اصلا ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر ملكا وخلقا احياء واماتة واثابة وتعذيبا
وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء علي العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا
لحقارتهم في مقام بيان عظمته تعالي والي الله اي الي حكمه وقضائه لا الي غيره شركة
واستقلالا ترجع الامور اي امورهم فيجازي كلا منهم بما وعد له واوعده من غير دخل
في ذلك لاحد قط فالجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي
معطوفة علي ما قبلها مقررة لمضمونه فان كون العالمين عبيده تعالي ومخلوقه ورزقه
يستدعي ارادة الخير بهم كنتم خير امة كلام مستانف سيق لتثبيت المؤمنين علي ما هم
عليه من الاتفاق علي الحق والدعوة الي الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل علي تحقق
شيء بصفة في الزمان الماضي من غير دلالة علي عدم سابق ولا لاحق كما في قوله
تعالي وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله تعالي او في اللوح او فيما بين الامم

السالفة وقيل معناه انتم خير امة اخرجت للناس صفة لامة واللام متعلقة باخرجت
اي اظهرت لهم وقيل بخير امة اي كنتم خير الناس للناس فهو صريح في ان الخيرية بمعني
النفع للناس وان فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اي اخرجت لاجلهم ومصلحتهم وقال
ابو هريرة رضي الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس تاتون بهم في السلاسل فتدخلونهم
في الاسلام قال قتادة هم امة محمد صلي الله عليه وسلم لم يؤمر نبي قبله بالقتال
فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم في الاسلام فهم خير امة للناس تامرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر استيناف مبين لكونهم خير امة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم
ويقوم بمصالحهم او خبر لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة علي الاستمرار وخطاب
المشافهة وان كان خاصا بمن شاهد الوحي من المؤمنين لكن حكمه عام للكل وقال
ابن عباس رضي الله عنهما يريد امة محمد صلي الله عليه وسلم قال الزجاج اصل
هذا الخطاب لاصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يعم سائر امته وقال
الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلي الله عليه وسلم يقول
في قوله تع كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها
علي الله تع وظاهر ان المراد بكل امة اوايلهم واواخرهم لا اوايلهم فقط فلا بد ان
يكون اعقاب هذه الامة ايضا داخلة في الحكم وكذا الحال فيما روي ان مالك
بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين مرا بنفر من اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم
فيهم ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولي حذيفة رضي الله عنهم
فقالا لهم نحن افضل منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه وروي سعيد بن جبير عن ابن
عباس رضي الله عنهما كنتم خير امة الذين هاجروا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم
الي المدينة وروي عن الضحاك انهم اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم الرواة
والرعاة الذين امر الله المسلمين بطاعتهم وتؤمنون بالله اي ايمانا متعلقا بكل
ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وانما لم يصرح به تفصيلا
لظهور انه الذي يؤمن به المؤمنون وللايذان بانه الايمان بالله تع حقيقة وان
ما خلا عن شيء من ذلك كايمان اهل الكتاب ليس من الايمان به تعالي في شيء قال
تع ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك
هم الكافرون حقا وانما اخرت ذلك عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تقدمه
عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما علي خيريتهم للناس اظهر من دلالته عليها وليقترن
به قوله تع ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم اي لو امنوا كايمانكم لكان ذلك خيرا لهم مما هم
عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية
مع الفوز بما وعدوه علي الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر
فالخيرية انما هي باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به اصلا

للاشعار بظهور انه الذي يطلق عليه اسم الايمان لا انه نسب الوهم الي غيره ولو
فصل الامر المومنون به ههنا او فيما قبل لربما ضمر ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا في
الجملة لكن ايمان المومنين خير منه وهيهات ذلك منهم المومنون جملة مستانفة سيقت
جوابا عما نشا من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم كانه قيل
من هم من امن او كلهم على الكفر فقيل منهم المومنين المعهودون الفايزون بخير
الدارين كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر
الخارجون عن الحدود لن يضروكم الا اذى استثناء مفرغ من المصدر العام اي لن
يضروكم ابدا ضررا الا ضررا الذي لا يبالي به من طعن وتهديد لا اثر له وان يقاتلوكم يولوكم
الادبار اي ينهزموا من غير ان ينالوكم شيا من قتل او اسر ثم لا ينصرون عطف على
الشرطية وثم للتراخي في الرتبة اي لا ينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم
قتلا واخذا وفيه تثبيت لمن امن منهم فانهم كانوا يوذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم
وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لا يقدرون على ان لا يتجاوزوا الاذية
بالقول الي ضرر يعبا به مع انه وعدهم الغلبة عليهم في الانتقام منهم وان عاقبة
امرهم الخذلان والذل وانما لم يعطف نفي منصوريتهم على الجزاء لان المقصود
هو الوعد بنفي النصر مطلقا ولو عطف عليه لكان مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار
وكم بين الوعيدين كانه قيل ثم شانهم الذي اخبركم عنه او بشركم به انهم مخذولون
منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح ولا يقومون على ساق
ولا يستقيم لهم امر وكان ذلك حيث لقي بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود
خيبر ما لقوا ضربت عليهم الذلة اي هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك
بالباطل اينما ثقفوا اي وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم الاحوال
اي ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من ضربت عليه في جميع الاحوال الا حال
كونهم معتصمين بذمة الله او كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين او بذمة الاسلام
واتباع سبيل المومنين وباءوا بغضب من الله اي رجعوا به مستوجبين له والتنكير للتفخيم
والتهويل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لغضب موكدة لما افاده التنكير من الفخامة
والهول اي كاين من الله عز وجل وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم من جميع جوانبهم
واليهود كذلك في غالب الحال مساكين تحت ايدي المسلمين والنصارى ذلك
اشارة الي ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم بانهم كانوا
يكفرون بايات الله اي ذلك الذي ذكر كاين بسبب كفرهم المستمر بايات الله الناطقة
بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها وبسائر الايات القرانية ويقتلون
الانبيا بغير حق اي في اعتقادهم ايضا واسناد القتل اليهم مع انه فعل اسلافهم
لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال اجدادهم ينسب الي كل من يسير بسيرتهم

ذلك

ذلك اشارة الي ما ذكر من الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون اي كاين بسبب عصيانهم
واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغاير يفضي الي مباشرة
الكباير والاستمرار عليها يودي الي الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة والمسكنة
في الدنيا واستيجاب الغضب في الاخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن
عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع من حيث المواخذة ليسوا
سوا جملة مستانفة سيقت تمهيدا لتعداد محاسن مومني اهل الكتاب وتذكيرا
لقوله تع منهم المومنون والضمير في ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا للفاسقين
منهم خاصة وهو اسم ليس وخبره سواء وانما افرد لانه في الاصل مصدر والمراد
بنفي المساواة نفي المشاركة في اصل الاتصاف بالقبايح المذكورة لا نفي المساواة في
مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة في اصل الاتصاف بها اي ليس جميع اهل
الكتاب متشاركين في الاتصاف بما ذكر من القبايح والابتلاء بما يترتب عليها من
العقوبات وقوله تع من اهل الكتاب امة قايمة استيناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزيل
لما فيه من الابهام كما ان ما سبق من قوله تع تامرون بالمعروف الاية مبين لقوله تعالى كنتم
خير امة الخ ووضع اهل الكتاب موضع الضمير العايد اليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين
الفريقين والايذان بان تلك الامة ممن اوتي نصيبا وافرا من الكتاب لا من ارازلهم
والقايمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم
كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد واسيد بن عبيد واضرابهم وقيل هم اربعون رجلا
من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثلاثة من الروم كانوا على دين عيسى عليه
السلام وصدقوا محمدا صلى الله عليه وسلم وكان من الانصار فيهم عدة قبل قدوم النبي
صلى الله عليه وسلم منهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن سلمة وابو قيس
صرمة بن انس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرايع الحنيفية
حتى بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه وقوله تعالى يتلون
ايات الله في محل الرفع على انه صفة اخرى لامة وقوله في محل النصب على انه حال
منها لتخصصها بالنعت والعامل فيه الاستقرار الذي يتضمنه الجار او من ضميرها في قايمة
او من المستكن في الجار لوقوعه خبرا لامة والمراد بايات الله القران وقوله تعالى اناء الليل
ظرف ليتلون اي في ساعاته جمع اني بزنة عصا او اني بزنة معا او اني بزنة ظبي او اني بزنة
نحي او انو بزنة جرو وهم يسجدون اي يصلون اذ لا تلاوة في السجود قال صلى الله عليه وسلم
الا اني نهيت ان اقرا راكعا وساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر اركان الصلاة لكونه
ادل على كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم ايات الله في الصلاة مع انها مشتملة عليها قطعا
لزيادة تحسين المخالفة وتوضيح عدم المساواة بينهم وبين الذين وصفوا انفا بالكفر بها وهو
السر في تقديم هذا النعت على نعت الايمان والمراد بصلوتهم التهجد اذ هو ادخل في مدحهم

وفيه يتسني لهم التلاوة فانها في المكتوبة وظيفة الامام واعتبار حالهم عند الصلوة
في الانفراد يأباه مقام المدح وهو الانسب بالعدول عن ايرادها باسم الجنس المتبادر
منه الصلوات المكتوبة وبالتعبير عنه وقتها بالآناء المبهمة وقيل صلوة العتمة
لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرها
ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل الاديان
احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية ايراد الجملة الاسمية للدلالة
على الاستمرار وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وتأكيده وصيغة المضارع للدلالة
على التجدد والجملة حال من فاعل يتلون وقيل هي مستأنفة والمعنى انهم تارة
يتهجدون واخرى يبتغون الفضل والرحمة بانواع ما يكون في الصلوة من الخضوع لله
عز وجل كما في قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل المراد بالسجود
هو الخضوع كما في قوله تعالى ولله يسجد ما في السموات والارض يؤمنون بالله واليوم
الآخر صفة اخرى لامة مبينة لمباينتهم اليهود من جهة اخرى اي يؤمنون بهما على
الوجه الذي نطق به الشرع والاطلاق للايذان بالغنى عن التقييد لظهور انه الذي
يطلق عليه الايمان بهما لا يذهب الوهم الى غيره وللتعريض بان ايمان اليهود بهما
مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف
صفته ليس من الايمان بهما في شيء اصلا ولو قيد بما ذكر لتوهم ان المنفي عنهم
هو القيد المذكور مع جواز اطلاق الايمان على ايمانهم بالاصل وهيهات ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر صفتان اخريان لامة اجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم
اليهود في الفضائل المتعلقة بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم لهم في الخصائص المتعلقة
بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم في الاحتساب بل بتعكيسهم في الامر باضلال الناس
وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهي عن المعروف ويسارعون في الخيرات
صفة اخرى لامة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة في الخير
فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي
اي يبادرون مع كمال الرغبة في فعل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض
بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادرتهم الى الشرور وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا
الى مغفرة الخ للايذان بانهم مستقرون في اصل الخير متقلبون في فنونه المترتبة في
طبقات الفضل لا انهم خارجون عنها منتهون اليها اولئك اشارة الى الامة باعتبار
اتصافهم بما فصل من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم
وسمو طبقتهم في الفضل وايثاره على الضمير للاشعار بعلة الحكم والمدح اي اولئك
المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم بها من الصالحين اي من جملة من صلحت
احوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا من خير كائنا ما كان مما

او لم يذكر فلن يكفروه اي يعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفيته التواب
بالشكر اظهارا لكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بتصويره بصورة ما
يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته الى المفعولين بتضمين معنى الحرمان
وايثار صيغة البناء للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان في صيغة البناء
للمفعول للجري على سنن الكبرياء وقيل الفعلان على صيغة الخطاب والله عليم بالمتقين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان علمه تعالى باحوالهم يستدعي توفية اجورهم
لا محالة والمراد بالمتقين اما الامة المعهودة وضع موضع الضمير العائد اليهم
مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم بهم واشعارا بمناط اثابتهم وهو التقوى
المنطوي على الخصائص السالفة واما جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت
حكمه اندراجا اوليا ان الذين كفروا اي بما يجب ان يؤمن به قال ابن عباس رضي
الله عنهما هم بنو قريظة والنضير فان معاندتهم كانت لاجل المال وقيل هم مشركو
قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله قال ابو سفيان واصحابه فانه انفق مالا
كثيرا على الكفار يوم بدر واحد وقيل هم الكفار كافة فانهم فاخروا بالاموال
والاولاد حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فرد الله تعالى عليهم
بقوله لن تغني عنهم اي لن يدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه تعالى
شيئا اي شيئا يسيرا منه او شيئا من الاغناء واولئك اصحاب النار اي مصاحبوها على
الدوام وملازموها هم فيها خالدون ابدا مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا
بيان لكيفية عدم اغناء اموالهم التي كانوا يعولون عليها في جلب المنافع ودفع
المضار ويعلقون بها اطماعهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها اي
حال ما ينفقه الكفرة قربة ومفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا وقصته
العجيبة التي تجري مجرى المثل في الغرابة كمثل ريح فيها صر اي برد شديد فانه في
الاصل مصدر وان شاع اطلاقه على الريح الباردة كالصرصر وقيل كلمة في تجريدية
كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم
بالكفر والمعاصي فباؤوا بغضب من الله تعالى وانما وصفوا بذلك لان الاهلاك عن سخط
اشد وافظع فاهلكته عقوبة لهم ولم تدع منه اثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما انفقوا
في ضياعه وذهابه بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر
فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب
الذي مر تفصيله في تفسير قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ولذلك لم يبال
بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يراد مثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون
كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون وما ظلمهم الله بما بين من ضياع ما انفقوا
من الاموال ولكن انفسهم يظلمون لما انهم اضاعوها بانفاقها لا على ما ينبغي وتقديم المفعول

لرعاية الفواصل لا للتخصيص اذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا بالمفعول
اي ما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون وصيغة المضارع للدلالة على التجدد
والاستمرار وقد جوز ان يكون المعنى وما ظلم الله تعالى اصحاب الحرث باهلاكه
ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وياباه انه قد مر التعرض له
تصريحا واشعارا وقرئ ولكن بالتشديد على ان انفسهم اسمها ويظلمون خبرها والعائد
محذوف للفاصلة اي ولكن انفسهم يظلمونها واما تقدير ضمير الشان فلا سبيل
اليه لاختصاصه بالشعر ضرورة كما في قوله ولكن من يبصر جفونك يعشق
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل وليجته من يعرفه اسراره ثقة
به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار
والناس دثار قال ابن عباس رضي الله عنهما كان رجال من المؤمنين يواصلون
اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف فانزل الله تعالى هذه الآية
وقال مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا
عن ذلك ويؤيده قوله تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل
وهي صفة المنافق وايا ما كان فالحكم عام للكفرة كافة من دونكم اي من دون
المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وقع صفة لبطانة اي كائنة من دونكم
مجاوزة لكم لا يالونكم خبالا جملة مستانفة مبينة لحالهم داعية الى الاجتناب
عنهم او صفة لبطانة يقال الا في الامر اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين
في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على تضمين معنى المنع والنقص والخبال
الفساد اي لا يقصرون لكم في الفساد ودوا ما عنتم اي تمنوا عنتكم اي مشقتكم وشدة
ضرركم وهو ايضا استيناف مؤكد للنهي موجب لزيادة الاجتناب عن المنهي
عنه قد بدت البغضاء من افواههم استيناف آخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهي عنه
اي قد ظهرت البغضاء في كلامهم لما انهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط انفسهم
وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا
البغضاء والافواه جمع فم واصله فوه فلامه هاء بدليل ذلك جمعه على افواه
وتصغيره على فويه والنسبة اليه فوهي وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه
ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين
وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون اي ان كنتم من اهل
العقل او ان كنتم تعقلون ما بين لكم من الآيات والجواب محذوف للدلالة الكلام
عليه ها انتم اولاء جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه اظهارا لكمال
الغفلة بمضمونها اي انتم اولاء المخطئون في موالاتهم وقوله تعالى تحبونهم ولا يحبونكم
بيان لخطاهم في ذلك وهو خبر ثان لانتم او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك

انت زيد تحبه او صلة له او حال والعامل معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل
يفسره ما بعده ويكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله اي بجنس الكتب جميعا وهو
حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم فما بالكم تحبونهم
وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا
آمنا نفاقا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ اي من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا
الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة
الاسلام واهله الى ان يهلكوا به او باشتداده الى ان يهلكهم ان الله عليم بذات
الصدور فيعلم ما في صدورهم من العداوة والبغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون
من المقول اي وقل لهم ان الله تعالى عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل
غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم
بذات الصدور وقيل هو امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجا
والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به من غير
ان يكون ثمة قول كانه قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم
وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة
وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة
اما للايذان بان مدار مساءتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام
اصابة السيئة واما لان المس مستعار لمعنى الاصابة وان تصبروا اي على عداوتهم
او على مشاق التكاليف وتتقوا اي ما حرم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه لا يضركم
كيدهم مكرهم وحيلتهم التي دبروها لاجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد وجزم الراء على
جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وضمة الراء في القراءة المشهورة للاتباع
كضمة مد شيئا نصب على المصدرية اي لا يضركم شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود
للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون جريا على
الخصم ان الله بما يعملون في عداوتكم من الكيد محيط علما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالتاء
الفوقانية اي بما تعملون من الصبر والتقوى للضرر على ان وجود بما فيجازيكم بما انتم اهله
واذ غدوت كلام مستانف سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى
للضرر على ان وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة عن مضرة كيد الاعداء واذ نصب على
المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله
وما بعده له وللمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام به عليه السلام اي واذكر لهم وقت
غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من الاحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا انهم لو لزموا
الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع
من الحوادث مع ان المقصود بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها واستحضار الحادثة

بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير قوله تع واذ قال ربك للملايكة الخ والمراد به خروجه
عليه السلام الى احد وكان ذلك من منزل عايشة رضي الله عنهما وهو المراد بقوله تع من اهلك
اي من عند اهلك تبوي المومنين اي تنزلهم او تهيء وتسوي لهم مقاعد ويويده قراة
من قراء تبوىء للمومنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على انها حال مقدرة اي
ناويا وقاصدا للتبوية كما قيل بل على ان المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج
والتبوية وما يترتب عليها اذ هو المذكور للقصة وانما عبر عنه بالغدو الذي هو
الخروج غدوة مع كون خروجه عليه السلام بعد صلوة الجمعة كما ستعرفه اذ
حينئذ وقعت التبوية التي هي العمدة في الباب اذ المقصود بتذكير الوقت
تذكيرهم ما فيه من الامور المتعلقة بامر النبي صلى الله عليه وسلم وبرائهم عن احيازهم المعينة
لهم عند التبوية وعدم صبرهم وبهذا تبين خلل راي من احتج به على جواز اداء
صلوة الجمعة قبل الزوال واللام في قوله تع للقتال اما متعلقة بتبوي اي لاجل
القتال واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد اي كاينة ومقاعد القتال اماكنه ومواقفه
فان استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعا شايع ذايع كما في قوله تعالى في مقعد
صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعا
فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يكن
دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار اقم بالمدينة ولا تخرج اليه
فوالله ما خرجنا الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت
فينا فدعهم فان اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم
النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خايبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج
بنا الى هولاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام اني قد رايت
في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة
ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة
فدعوهم وقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالى بالشهادة يوم
احد اخرج بنا الى اعدائنا قال النعمان بن مالك الانصاري رضي الله عنه يا رسول الله
لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لادخلن الجنة ثم قال بقولي اشهد ان لا اله الا الله
واني لا افر من الزحف فلم يزالوا به عليه السلام حتى دخل فلبس لامته فلما راوه كذلك
ندموا وقالوا بيسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه وقالوا
اصنع يا رسول الله ما رايت فقال ما ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج
يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلث من الهجرة
فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا
قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله

جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن
نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لاقوالكم عليم بضمايركم والجملة اعتراض للايذان
بانه قد صدر عنهم هناك من الاقوال والافعال ما لا ينبغي صدوره عنهم اذ همت
بدل من اذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير او ظرف لسميع عليم على معنى انه تع
جامع بين سماع الاقوال والعلم بالضماير في ذلك الوقت اذ لا وجه لتقييد كونه
تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال الفراء في قولك ضربت واكرمت زيدا ان زيدا
منصوب بهما وانهما تسلطا عليه معا طايفتان منكم ان تفشلا متعلق بهمت والباء محذوف
اي بان تفشلا اي تجبنا وتضعفا وهما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو
حارثة من الاوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا الفا
رجل وقيل تسعماية وخمسين وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الفتح ان صبروا
فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة الاف انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس فقال
يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم
الله تعالى في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع
عبد الله فعصمهم الله تع فمضوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس
رضي الله عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله تعالى لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها
ما كانت الا همة وحديث نفس فلما تخلو النفس عند الشدايد والله وليهما اي عاصمهما
عن اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز ان تكون حالا من فاعل همت او من ضميره
في تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما او همهما به مع كونهما في ولاية الله تع وقري والله
وليهم كما في قوله تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا وعلى الله وحده دون ما عداه
مطلقا استقلالا او اشتراكا فليتوكل المومنون في جميع امورهم فانه حسبهم واظهار
الاسم الجليل للتبرك به والتعليل فان الالوهية من موجبات التوكل عليه تعالى
واللام في المومنين للجنس فيدخل فيه الطايفتان دخولا اوليا وفيه اشعار بان
وصف الايمان من دواعي التوكل وموجباته ولقد نصركم الله ببدر جملة مستانفة
سيقت لايجاب الصبر والتقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النصر اثر تذكير ما ترتب على
عدمهما من الضرر وقيل لايجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر اسم
ما بين مكة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه وقيل سمي به لصفايه
كالبدر واستدارته وقيل هو اسم الموضع او الوادي وكانت وقعة بدر في السابع
عشر من شهر رمضان سنة اثنين من الهجرة وانتم اذلة حال من مفعول نصركم واذلة
جمع ذليل وانما جمع جمع قلة للايذان بقلتهم حينئذ بوضع القلة والذلة اذ كانوا
ثلثماية وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح يعتقب النفر
منهم على البعير الواحد ولم يكن في العسكر الا فرس واحد قيل فرس المقداد وقيل فرس مرثد

بعيرا وست ادرع وثمانية سيوف وكان العدو زهاء الف ومعهم مائة فرس
وشكة وشوكة فاتقوا الله اقتصر على الامر بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر
فيما سبق وما لحق للاشعار باصالته وكون الصبر من مباديه اللازمة له ولذلك
قدم عليه في الذكر وفي ترتيب الامر بالتقوى على الاخبار بالنصر ايذان
بان نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم اي اذا كان الامر كذلك فاتقوا الله
كما اتقيتم يومئذ لعلكم تشكرون اي راجين ان تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم
من النصر كما شكرتم فيما قبل او لعلكم ينعم الله عليكم بالنصر كما فعل ذلك من قبل
فوضع الشكر موضع سببه الذي هو الانعام اذ تقول تلوين الخطاب بتخصيصه برسول
الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه والايذان بان وقوع النصر كان ببشارته عليه السلام
والظرف لنصركم قدم عليه الامر بالتقوى لاظهار كمال العناية والمراد به الوقت
الممتد الذي وقع فيه ما ذكر بعده وما طوى ذكره تعويلا على شهادة الحال مما
يتعلق به وجود النصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها
اي نصركم وقت قولك للمؤمنين حين اظهروا العجز عن المقاتلة قال الشعبي بلغ المؤمنين
ان كرز بن جابر الحنفي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المؤمنين فنزل حينئذ ثم
حكي ههنا الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف الكفاية سد الخلة والقيام بالامر
والامداد في الاصل اعطاء الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية
والاعانة يقال فيه امده يمده امدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده يمده
مدا ومنه والبحر يمده من بعده سبعة ابحر وقيل المد في الشر كما في قوله تعالى ويمدهم
في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى ونمد له من العذاب مدا والامداد في الخير كما في
قوله تعالى وامددناكم باموال وبنين وفي التعرض لعنوان الربوبية ههنا وفيما سيأتي
مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم والاشعار بعلة الامداد والمعنى
انكار عدم كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة لن للاشعار بانهم كانوا
حينئذ كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم من الملائكة بيان
او صفة لالاف او لما اضيف اليه اي كائنين من الملائكة منزلين صفة لثلثة الاف
وقيل حال من الملائكة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج قيل امدهم الله
اولا بالف ثم صاروا ثلاثة الاف ثم خمسة الاف وقرئ مبنيا للفاعل من الصيغتين اي
منزلين للنصر بلى ايجاب لما بعد لن وتحقيق له اي بلى يكفيكم ذلك ثم وعدهم الزيادة
بشرط الصبر والتقوى حثا لهم عليها وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا على لقاء العدو
ومناهضتهم وتتقوا معصية الله ومخالفة نبيه عليه السلام ويأتوكم اي المشركين
من فورهم هذا اي من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت القدر اي اشتد غليانها
ثم استعير للسرعة ثم اطلق على كل حالة لا ريث فيها اصلا ووصفه بهذا لتأكيد السرعة بزيادة

تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم بسرعة في سلك شرطي الامداد المستتبعين له وجودا وعدما
اعني الصبر والتقوى مع تحقق الامداد لا محالة سواء اسرعوا او ابطأوا لتحقيق سرعة
الامداد لا لتحقق اصله او لبيان تحققه على اي حال فرض على ابلغ وجه واكده بتعليقه
بابعد التقادير ليعلم تحققه على سائرها بالطريق الاولى فان هجوم الاعداء واتيانهم بسرعة
من مظان عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقق الامداد ايذانا بانه حيث تحقق مع ما ينافيه
عادة فلان يتحقق بدونه اولى واحرى كما اذا اردت وصف درع بغاية الحصانة تقول
ان لبستها وبارزت بها الاعداء فضربوك بايد شداد وسيوف حداد لم يتأثر
منها قطعا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين من التسويم الذي هو اظهار
سيما الشيء اي معلمين انفسهم او خيلهم فقد روي انهم كانوا بعمائم بيض الا جبريل
عليهم السلام فانه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام وروي انهم كانوا على
خيل بلق وقال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها
بين اكتافهم وقال هشام بن عروة عمائم صفر وروي قتادة والضحاك كانوا قد علموا
بالعهن في نواصي الخيل واذنابها روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه
رضي الله عنهم اجمعين تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول
ومعناه معلمين من جهته سبحانه وتعالى وقيل مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وما
جعله الله كلام مبتدأ غير داخل في حيز القول مسوق من جانبه تعالى لبيان ان الاسباب
الظاهرة بمعزل عن التأثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون
ولا يقنطون منه عند فقدان اسبابه واماراته على نهج مقدر ينسحب عليه السلام
النظام فان الاخبار بوقوع النصر على الاطلاق وتذكير وقته وحكاية الوعد بوقوعه
على وجه مخصوص هو الامداد بالملائكة مرة اخرى وتعيين وقته فيما مضى يقضي بوقوعه
حينئذ قضاء قطعيا لكن لم يصرح به تعويلا على تعاضد الدلائل وتآخذ الامارات والمخايل
وايذانا بكمال الغنى عنه بل احترازا عن شائبة التكرير او عن ايهام احتمال الخلف في الموعود
المحتوم كأنه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين فامدكم
بهم وما جعله الله تعالى والجعل متعد الى واحد هو الضمير العائد الى مصدر ذلك
الفعل المقدر واما عوده الى المصدر المذكور اعني قوله تعالى ان يمدكم او الى المصدر
المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم كما فغير حقيق بجزالة التنزيل لان الهلية
البسيطة مقدمة على المركبة فبيان العلة الغائية لوجود الامداد كما هو المراد بالنظم
الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا ريب في ان المصدرين المذكورين
غير معتبرين من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان احكام
وجودهما بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول
هو الامداد بثلثة الاف والواقع هو الامداد بخمسة الاف وقوله تعالى الا بشرى لكم

استثناء مفرغ من أعم العلل وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين وللإيذان بأنهم
المحتاجون إلى البشارة وتسكين القلوب بتوفيق الأسباب الظاهرة وأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم غني عنه بما له من التأييد الروحاني أي وما جعل إمداد
بإنزال الملائكة عيانا لشيء من الأشياء إلا بشرى لكم بأنكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم
به أي بالإمداد وتسكن إليه كما كانت السكينة لبني إسرائيل كذلك وكلاهما علة غائية للجعل
وقد نصب الأول لاجتماع شرائطه من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا
مسوقا للتعليل وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل للإشارة أيضا إلى أصالته في
العلية وأهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة
وفي قصر الإمداد عليهما إشعار بأن الملائكة عليهم السلام لم يباشروا يومئذ القتال
وإنما كان إمدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير السواد ونحوه كما هو رأي بعض
السلف رحمهم الله وقيل الجعل متعد إلى اثنين وقوله عز وجل إلا بشرى لكم استثناء
من أعم المفاعيل أي وما جعله الله تعالى شيئا من الأشياء إلا بشارة لكم واللام
في قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك
وما النصر أي حقيقة النصر على الإطلاق فيندرج في حكمه النصر المعهود اندراجا
أوليا إلا من عند الله أي إلا كائنا من عند الله تعالى من غير أن يكون فيه شركة من جهة
الأسباب والعدد وإنما هي مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى أو وما النصر
المعهود إلا من عنده تعالى لا من عند الملائكة فإنهم بمعزل من التأثير وإنما قصارى
أمرهم ما ذكر من البشارة وتقوية القلوب العزيز أي الذي لا يغالب في حكمه وقضيته
وإجراء هذا الوصف عليه تعالى للإشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كما أن وصفه
تعالى بقوله الحكيم أي الذي يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة للإيذان
بعلة جعل النصر بإنزال الملائكة عليهم السلام فإن ذلك من مقتضيات الحكم البالغة
ليقطع متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم الله وما بينهما تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية
وقوعه والمقصود على التعليل بما ذكر من البشرى والاطمئنان إنما هو الإمداد بالملائكة
على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك في تعليل أصل النصر بالقطع وما عطف عليه وأما
تعلقه بالخبر في قوله عز وعلا وما النصر إلا من عند الله على تقدير كونه عبارة عن النصر
المعهود وقد أشير إلى أن المعلل بالبشارة والاطمئنان إنما هو الإمداد الصوري
لا ما في ضمنه من النصر المعنوي الذي هو ملاك الأمر وأما تعلقه بنفس النصر
ففيه مع ما فيه من الفصل بين المصدر ومعموله بأجنبي هو الخبر يخل بسداد المعنى
كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص المعلل بعلة معينة على الحصول من جهته تعالى وليس المراد
إلا قصر حقيقة النصر أو النصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله يومئذ أو وإن
الظاهر عند إمداد الملائكة إلا ثابت من عند الله ليقطع أي يهلك بعض طرفا من الذين

كفروا أي طائفة منهم بقتل وأسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم
سبعون وأسر سبعون أو يكبتهم أي يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فإن الكبت شدة غيظ أو وهن يقع
في القلب من كبته بمعنى كبده إذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الإصابة
بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين فالتاء غير مبدلة وأو للتنويع فينقلبوا
خائبين أي فينهزموا منقطعي الآمال غير فائزين من مبتغاهم بشيء كما في قوله تعالى
ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الأمر شيء اعتراض وسط بين
المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقيق أن لا تأثير للمنصور
إثر بيان أن لا تأثير للناصرين وتخصيص النفي برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق
تلوين الخطاب للدلالة على الانتفاء من غيره بالطريق الأولى وإنما خص الاعتراض بموقعه
لأن ما قبله من القطع والكبت من مظان أن يكون فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولسائر مباشري القتال مدخل في الجملة أو يتوب عليهم أو يعذبهم عطف على يكبتهم والمعنى
أن مالك أمرهم على الإطلاق هو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم أو يكبتهم أو يتوب
عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد مأمور بإنذارهم
وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الأخروي المخصوص بأشد الكفرة كفرا
وإلا فمطلق التعذيب الأخروي متحقق في الفريقين الأولين أيضا ونظم التوبة والتعذيب
المذكور في سلك العلة الغائية للنصر المترتبة عليه في الوجود من حيث إن قبول توبتهم
فرع تحققها الناشئ من علمهم بحقية الإسلام بسبب غلبة أهل المدينة على النصر وأن تعذيبهم
بالعذاب المذكور مترتب على إصرارهم على الكفر بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا
وقيل إن عتبة بن أبي وقاص شج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسر رباعيته
فجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى أبي حذيفة يغسل وجهه
الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم فنزلت
ليس لك من الأمر شيء الآية كأنه نوع معاتبة على إنكاره عليه السلام لفلاحهم وقيل
أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه بأن منهم من يؤمن فقوله تعالى أو يتوب عليهم حينئذ
معطوف على الأمر أو على شيء بإضمار أن أي ليس لك من أمرهم أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم
شيء أو ليس لك من أمرهم شيء إلا أن يتوب الله عليهم فتفرح بهم أو يعذبهم فتتشفى
منهم وأياما كان فهو كلام مستأنف سيق لبيان بعض الأمور المتعلقة بغزوة أحد إثر
بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لأن كلا منهما مبني على اختصاص
الأمر كله بالله تعالى ومبني على سلبه عمن سواه وأما تعلق كل القصة بغزوة أحد على
أن قوله تعالى إذ تقول بدل ثان من إذ غدوت وأن ما حكي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد وقع يوم أحد وأن الإمداد الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى
فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود كان مشروطا كما فلا يساعده النظم الكريم أما أولا

فلان المشروط بالصبر والتقوى انما هو الامداد بخمسة الآف لا بثلاثة الاف مع انه
لم يقع الامداد يوميئذ ولو بملك واحد واما ثانيا فلانه كان ينبغي حينئذ ان ينعى عليهم
جنايتهم وحرمانهم بسببها تلك النعمة الجسيمة الجليلة ودعوى ظهوره مع عدم دلالة
السباق والسياق عليه بل مع دلالتهما على خلافه مما لا يكاد يسمع واما ثالثا فلانه لا سبيل
الى جعل الضمير في قوله تعالى وما جعله الله الى آخره اي الامداد الموعود لانه لم يتحقق لكون
بين علة الغاية ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل ذلك لبشارتكم واطمينان
قلوبكم فلم تفعلوا ما شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعود لما ان قوله تعالى
وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم صريح في انه قد وقع الامداد الموعود لكن اثره انما
هو مجرد البشارة والاطمينان وقد حصلا واما النصر الحقيقي فليس ذلك الا من عنده تعالى
وجعله استينافا مقررا لعدم وقوع الامداد على معنى ان النصر الموعود مخصوص به
تعالى فلا ينصر من خالف امره بترك الصبر والتقوى اعتساف بين يجب تنزيه التنزيل
عن امثاله على ان قوله تعالى ليقطع طرفا الآية متعلق حينئذ بما تعلق به قوله تعالى
من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر
الآية مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه
فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا لان تفصيل الاحكام المترتبة في وجود شيء بعدد
بيان انتفائه مما لم يعهد في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد عنه ان قوله
تعالى اذ تقول ظرف لنصركم وان ما حكي في اثنائه الى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر
قطعا وما بعده يحتمل للوجهين المذكورين وقوله تعالى فانهم ظالمون تعليل على كل
حال وقوله تعالى او يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم ولله ما في
السموات وما في الارض كلام مستانف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات
به عز وجل اثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم
الجار للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا
لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ان يعذبه بمحض مشيئته كذلك وايثار كلمة
من في الموضعين لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب
للايذان بسبق رحمته تعالى غضبه وبانها من مقتضيات سيئات العصاة وهذا صريح في نفي
وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم تذييل مقرر
لمضمون قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص به دون قرينه من الاعتناء بشان
المغفرة والرحمة ما لا يخفى يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا كلام مبتدأ مشتمل على ما هو
ملاك الامر في كل باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة وما بعدهما من الامور
المذكورة على نهج الترغيب والترهيب جيء بها في تضاعيف القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين
الى ما فيه وايذانا بكمال وجوب المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فان الامور المذكورة

فيه مع كونها مناطا للفوز في الدارين على الاطلاق عمدة في امر الجهاد عليها يدور فلك
النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول عليه السلام
لما لقوا ما لقوا ولعل ايراد النهي عن الربوا في اثنائها لما ان الترغيب في الانفاق في
السراء والضراء الذي عمدته الانفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل
المال فكان مظنة مبادرة الناس الى طرق الاكتساب ومن جملتها الربوا فنهوا
عن ذلك والمراد باكله اخذه وانما عبر عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد به ولا
شيوعه في الماكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله عز وجل اضعافا مضاعفة
ليس لتقييد النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان
الرجل يربي الى اجل فاذا حل قال للمدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل
فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق بالشيء الطفيف ماله بالكلية ومحله النصب
على الحالية من الربوا وقرئ مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه من الامور التي من
جملتها الربوا لعلكم تفلحون راجين للفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم
وتعاطي ما يتعاطونه كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هي اخوف آية في القرآن
حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه
واطيعوا الله في كل اموركم ونهاكم والرسول الذي يبلغكم اوامره ونواهيه لعلكم
ترحمون راجين لرحمته عقب الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة
وايراد لعل في الموضعين للاشعار بعزة منال الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحاق
هذه الآية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بما امرهم
يوم احد وسارعوا عطف على اطيعوا وقرئ بغير واو على وجه الاستيناف اي بادروا
واقبلوا وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة اي الى ما يؤدي اليهما وقيل الى الاسلام
وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء الواجبات
وترك جميع المنهيات فيه فيدخل فيها ما مر من الامور المامور بها والمنهي عنها دخولا
اوليا وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية متقدمة على التحلية ومن متعلقة بمحذوف
وقع صفة لمغفرة اي كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير
المخاطبين لاظهار مزيد اللطف بهم وقوله تعالى عرضها السموات والارض اي كعرضهما
صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسط على طريقة التمثيل
فان العرض في العادة ادنى من الطول قال ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع
ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين في حيز الجر على انه صفة اخرى لجنة او في محل
النصب على الحالية منها لتخصصها بالصفة اي هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الآن
وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون في محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل
منه او بيان او في حيز النصب او الرفع على المدح ومفعول ينفقون محذوف ليتناول كل ما يصلح

للانفاق او متروك بالكلية كما في قولك يعطي ويمنع في السراء والضراء في حالتي
الرخاء والشدة واليسر والعسر او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة
اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ
عطف على الموصول والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق
فحيث كان امرا متجددا عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم
غيظه اي حبسه قال المبرد تأويله انه كتمه على امتلائه منه يقال كظمت السقاء
اذا ملأته وشددت عليه اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو قادر على انفاذه ملأ الله قلبه
امنا وايمانا والعافين عن الناس اي التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته روي
انه ينادي مناد يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من عفا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا
كثيرا في الامم التي مضت وفي هذين الوصفين اشعار بكمال حسن موقع عفوه عليه
السلام عن الرماة وترك مؤاخذتهم بما فعلوا من مخالفة امره عليه السلام وندب
له عليه السلام الى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين بما فعلوا بحمزة رضي الله عنه
حيث قال حين رآه قد مثل به لامثلن بسبعين مكانك والله يحب المحسنين اللام اما
للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان
النعوت المعدودة من باب الاحسان الذي هو الاتيان بالاعمال على الوجه
اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه
وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة تذييل
مقرر لمضمون ما قبلها والذين مرفوع على الابتداء وقيل مجرور معطوف على
ما قبله من صفات المتقين وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير الى
ما بينهما من التفاوت فان درجة الاولين من التقوى اعلى من درجة هؤلاء وحظهم اوفى
من حظهم او على نفس المتقين فيكون التفاوت اكثر واظهر اذا فعلوا فاحشة اي فعلة
بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اتوا ذنبا اي ذنب كان وقيل
الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة ما يتعدى الى الغير وظلم النفس
ما ليس كذلك قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على
الله منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة داره افعل كذا
فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل ان نبهان التمار اتته امرأة حسناء تطلب منه
تمرا فقال لها هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها
الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك واتى النبي صلى الله عليه
وسلم فنزلت وايا ما كان فاطلاق اللفظ منتظم لما فعله الرماة انتظاما اوليا ذكروا

الله تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده او حكمه وعقابه
فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة والندم والفاء للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع للاستغفار
لا محالة ومن يغفر الذنوب استفهام انكاري والمراد بالذنوب جنسها كما في قولك فلان
يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من استحالة صدور مغفرة فرد منها
عن غيره تعالى وقوله تعالى الا الله بدل من الضمير المستكن في يغفر اي لا يغفر الذنوب احد الا الله
خلا ان دلالة الاستفهام على الانتفاء اقوى وابلغ لايذانه بان كل احد ممن له حظ من الخطاب
يعرف ذلك الانتفاء فيسارع الى الجواب والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة
وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين او بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار
والحث عليه والاشعار بالوعد والقبول ولم يصروا عطف على فاستغفروا وتأخيره عنه
مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار واستحقاقه للمسارعة اليه عقيب ذكره تعالى او
حال من فاعله اي ولم يقيموا او غير مقيمين على ما فعلوا اي ما فعلوه من الذنوب
فاحشة كانت او ظلما او على فعلهم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر
وان عاد في اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم
يعلمون حال من فاعل يصروا اي لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه والنهي عنه
والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير
في تحصيل العلم به اولئك اشارة الى المذكورين اخيرا باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات
الحميدة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في الفضل
وهو مبتداء وقوله تعالى جزاؤهم بدل اشتمال منه وقوله تعالى مغفرة خبر له او جزاؤهم
مبتداء ثان ومغفرة خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر لقوله تع والذين اذا فعلوا
الخ على الوجه الاول وهو الاظهر الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب في
سلك الجزاء او على الوجهين الاخيرين بكونه قوله تعالى اولئك الخ جملة مستأنفة ع
مبنية لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكر من اوصاف
الاولين ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر في مطلع الجزاء الشامل لهما المغفرة وتخصيص
الاشارة بالاخيرين مع اشتراكهما في حكم اعداد الجنة لهما تعسف ظاهر من ربهم متعلق
بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة
الاضافية اي كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم
للاشعار بعلة الحكم والتشريف وجنات تجري من تحتها الانهار عطف على مغفرة والتنكير
المشعر بكونها ادنى من الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه الاول خالدين فيها حال
مقدرة من الضمير في جزاؤهم لانه مفعول به في المعنى لانه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين
فيها ولا مساغ لان يكون حالا من جنات في اللفظ وهي لاصحابها في المعنى اذ لو كان
كذلك لبرز الضمير ونعم اجر العاملين المخصوص بالمدح محذوف اي ونعم اجر العاملين

ذلك اي ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر المشعر بانهما تستحقان بمقابلة
العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعات والزجر عن المعاصي والجملة
تذييل مختص بالتائبين حسب اختصاص التذييل السابق بالاولين ولاتيك مضمونهما
دليلا على ما بين الفريقين من التفاوت النير والتباين البين شتان بين المحسنين
الفائزين بمحبة الله عز وجل وبين العاملين الحائزين لاجرهم وعمالتهم قد خلت من قبلكم
سنن رجوع الى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات
الفوز والفلاح والخلو المضي والسنن الوقايع وقيل الامم والظرف اما متعلق
بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن اي قد مضت من قبل زمانكم او كائنة من قبلكم
وقايع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كما في قوله عز وجل وقتلوا تقتيلا سنة الله في
الذين خلوا الخ والفا في قوله تعالى فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر او للامر بهما وقيل المعنى على الشرط اي ان شككتم
فسيروا الخ كيف خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض
لان الاصل استعماله بالجار هذا اشارة الى ما سلف من قوله قد خلت الى آخره بيان للناس
اي تبيين لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة بمحذوف وقع
صفة له وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون اي هذا ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه
من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير
مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا في عواقب من قبلهم من اهل
التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا اليهم
وهدى وموعظة اي وزيادة بصيرة وموعظة لكم وانما قيل للمتقين للايذان بعلة الحكم
فان مدار كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم ويجوز ان يراد بالمتقين الصائرون
الى التقوى والهدى والموعظة على ظاهرهما اي هذا بيان لمآل امر الناس وسوء
مغبته وهداية لمن اتقى منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب واراد ما يعمهم
وغيرهم من المتقين بالفعل ويراد بالهدى فالموعظة ايضا ما يعم ابتداءهما والدوام
فيهما وانما قدم كونه بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق له على كونه هدى وموعظة
للمتقين مع انه المقصود بالسياق لان اول ما يترتب على مشاهدة آثار هلاك
اسلافهم ظهور حال اخلافهم واما زيادة للهدى والعظة فامر مترتب عليه
وتخصيص البيان بالناس مع شموله للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد البيان
العاري عن الهدى والعظة والاقتصار عليهما في جانب المتقين مع ترتبهما
على البيان لما انهما المقصد الاصلي ويجوز ان يكون تعريف الناس للجنس اي هذا
بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة هذا اشارة
الى ما لخص من امر المتقين والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الآية

اعتراض للبعث على الايمان وما يحقق به ما ذكر من اجر العاملين وانت خبير بان
الاعتراض لا بد ان يكون مقررا لمضمون ما وقع في خلاله ومعاينة آثار هلاك المكذبين
مما لا تعلق له بحال احد الاصناف الثلاثة للمؤمنين وان كان باعثا على الايمان زاجرا
عن التكذيب وقيل اشارة الى القران ولا يبعده مجيء ولا تهنوا ولا تحزنوا تشجيع للمؤمنين
وتقوية لقلوبهم وتسلية عما اصابهم يوم احد من القتل والقرح وكان قد قتل يومئذ
خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ومصعب بن عمير صاحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعثمان
بن شماس وسعد مولى عتبة رضي الله عنهم ومن الانصار سبعون رجلا رضوان الله تعالى
عليهم اجمعين اي لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم
وانتم الاعلون جملة حالية من فاعل الفعلين اي والحال انكم الاعلون الغالبون
دون عدوكم فان مصير امرهم الى الدمار حسبما شاهدتم من احوال اسلافهم
فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الاشعار به فيما سبق او وانتم المعهودون
بغاية علو الشان لما انكم على الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم في الجنة وهم على الباطل
وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار وقيل وانتم الاعلون حالا منهم حيث اصبتم
منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي او بالاعلون وجوابه
محذوف لدلالة ما تعلق به عليه اي ان كنتم مؤمنين فانتم الاعلون فان الايمان يقتضي العلو
لا محالة او ان كنتم مصدقين بوعد الله تعالى فانتم الاعلون واياما كان فالمقصود تحقيق
المعلق بناء على تحقق المعلق به كما في قول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني اجري ولذلك
وقيل معناه اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان بقيتم على الايمان ان يمسسكم قرح فقد
مس القوم قرح مثله القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما
وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرئ بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد
والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم
لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم احق بان لا تضعفوا فانكم
ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين يوم احد فان المسلمين نالوا منهم
قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم
صاحب لوائهم وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل وتلك الايام اشارة
الى الايام الجارية فيما بين الامم الماضية والآتية كافة لا الى الايام المعهودة خاصة
من يوم بدر ويوم احد بل هي داخلة فيها دخولا اوليا والمراد بها اوقات الظفر والغلبة
نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقول من قال

فيوما علينا ويوما لنا ... ويوما نساء ويوما نسر

والمداولة كالمعاورة يقال داولته بينهم فتداولوه اي عاورته فتعاوروه واسم

واسم الاشارة مبتدأ والايام اما صفة له او بدل منه او عطف بيان له ونداولها خبر
او خبر ونداولها حال من الايام والعامل معنى اسم الاشارة او بعد خبر وصيغة
المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للايذان بان تلك المداولة سنة مسلوكة
فيما بين الامم قاطبة سابقتها ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل
وليعلم الله الذين آمنوا اي من باب التمثيل اي ليعاملكم معاملة من يريد ان يعلم
المخلصين الثابتين على الايمان من غيرهم كما في او العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق اطلاق
اسم السبب على المسبب اي ليميز الثابتين على الايمان من غيرهم كما في قوله تعالى ما كان
الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب او هو على صفة حقيقية
معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود بالفعل اذ هو الذي يدور عليه
فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة واطلاق الايمان مع ان المراد هو الرسوخ
والاخلاص فيه للايذان بان اسم الايمان لا ينطلق على غيره والالتفات الى الغيبة
باسناده الى اسم الذات المستجمع الصفات لتربية المهابة والاشعار بان صدور كل واحد
مما ذكر بصدد التعليل من افعاله تعالى باعتبار منشأ معين من صفاته تعالى مغاير لمنشأ الآخر
والجملة علة لما هو فرد من افراد مطلق المداولة التي ينطق بها قوله تعالى نداولها بين
الناس من المداولة المعهودة الجارية بين فريقي المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما
دل عليه المطلق من الفعل المقيد بالوقوع بين الفريقين المذكورين او بنفس الفعل
المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوفة على علة اخرى لها معتبرة اما على الخصوص
والتعيين محذوفة لدلالة المذكورة عليها لكونها من مبادئها كانه قيل نداولها بينكم وبين
عدوكم ليظهر امركم وليعلم الخ فان ظهور اعمالهم وخروجها من القوة الى الفعل من
مبادي تمييزهم عن غيرهم ومواجب تعلق العلم الازلي بها من تلك الحيثية وكذا الحال
في باب التمثيل فتأمل واما على العموم والابهام للتنبيه على ان العلل غير منحصرة فيما عدد
من الامور وان العبد يسوءه ما يجري عليه من النوائب ولا يشعر بان لله تعالى في ذلك
من اللطائف الخفية ما لا يخطر بالبال كانه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت
وليعلم الخ وفيه من تأكيد التسلية ومزيد التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلة
هذا الفرد من مطلق المداولة دون سائر افرادها للاشارة اجمالا الى ان لكل فرد من
افرادها له علة داعية اليه كانه قيل نداولها بين الناس كافة ليكون كيت وكيت
من الحكم الداعية الى تلك الافراد وليعلم الخ فاللام الاولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار
تقيده بتلك الافراد والثانية باعتبار تقيده بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف
مؤخر تقديره وليعلم الله الذين آمنوا فعل ذلك ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد اي ويكرم ناسا
منكم بالشهادة وهم شهداء احد ومن ابتدائية او تبعيضية متعلقة بيتخذ او بمحذوف وقع حالا
من شهداء او جمع شاهد اي ويتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر من الثبات على الحق والصبر على

الشدايد وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الامم يوم القيامة فمن بيانية لان تلك
الشهادة وظيفة الكل دون المستشهدين فقط واياما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبئ عن
الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم شأنهم ما لا يخفى وقوله تعالى والله لا يحب
الظالمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ونفي المحبة كناية عن البغض وفي ايقاعه على الظالمين
تعريض بمحبته تعالى لمقابليهم والمراد بهم اما غير الثابتين على الايمان فالتعريض من حيث
ان بغضه تعالى لهم من دواعي اخراج المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم واما الكفرة
الذين اديل لهم فالتعريض من حيث ان ذلك ليس لطريق النصرة لهم فانها مختصة باوليائه
تعالى بل لما ذكر من الفوائد العائدة الى المؤمنين وقوله تعالى وليمحص الله الذين آمنوا
اي ليصفيهم ويطهرهم عن الذنوب عطف على يتخذ وتكرير اللام لتذكير التعليل لوقوع
الفصل بينهما بالاعتراض واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بامر
التمحيص وهذه الامور الثلاثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على المؤمنين قدمت
في الذكر لانها المحتاجة الى البيان ولعل تأخير العلة الاخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم
اندراج المذنبين في الظالمين او ليقترن بقوله عز وجل ويمحق الكافرين فان التمحيص فيه
محو الآثار وازالة الاوضار كما ان المحق عبارة عن النقص والاذهاب قال القفال
هو ان يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى يمحق الله الربوا اي
يستأصله وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين حاربوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله تعالى جميعا
ام حسبتم كلام مستأنف سيق لبيان ما هي الغاية القصوى من المداولة والنتيجة
لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء واظهار عدم مبالاتها والخطاب
للذين انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن التسلية ببيان
العلل فيما لقوا من الشدة الى تحقيق انها من مبادي الفوز بالمطلب الاسنى والهمزة للانكار
والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء الاجر بغير عمل
ممن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما
بينهما من اللزوم المبني على لزوم تحقق الاول لتحقق الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون
علمه تعالى به وايثارها على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى المراد فانها اثبات لعدم جهادهم
بالبرهان وللايذان بان مدار ترتب الجزاء على الاعمال انما هو علم الله تعالى كانه
قيل والحال انه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وانما وجه النفي الى الموصوفين مع
ان المنفي هو الوصف فقط وكان يكفي ان يقال ولما يعلم الله جهادكم كناية عن نفيه ولما تجاهدوا
للمبالغة في انتفاء الوصف وعدم تحققه اصلا وفي كلمة لما ايذان بان الجهاد متوقع
منهم فيما يستقبل الا انه غير معتبر في تأكيد الانكار وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن

فحذفت النون او على طريقة إتباع الميم لما قبلها في الحركة لابقاء تفخيم اسم الله تعالى
منكم حال من الذين ويعلم الصابرين منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع كما في قولك لا تأكل
السمك وتشرب اللبن اي لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اي الجمع بينهما وايثار اسم الفاعل في الموضو
للدلالة على ان المعتبر هو الاستمرار في الصبر والمحافظة في العواصل وقيل مجزوم
معطوف على المجزوم قبله قد حرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة والاتباع كما مر ويؤيده
القراءة بالكسر على ما هو الاصل في تحريك الساكن وقرئ يعلم بالرفع على ان الواو للحال
وصاحبها الموصول والمبتدأ محذوف اي وهو يعلم الصابرين كانه قيل ولما تجاهدوا
وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي تمنون الحرب فانها من مبادي الموت او الموت
بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يشهدوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك من قبل ان تلقوه متعلق بتمنون مبين
لسبب اقدامهم على التمني اي من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته وقرئ تلاقوه
فقد رأيتموه اي ما تمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة اسبابه وقوله تعالى
وانتم تنظرون حال من ضمير المخاطبين وفي ايثار الرؤية على الملاقاة وتقييدها بالنظر
مزيد مبالغة في مشاهدتهم له والفاء فصيحة كانه قيل ان كنتم صادقين في تمنيكم ذلك فقد
رأيتموه معاينين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم
ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثم جبنهم وانهزامهم لا على
تمني الشهادة بناء على تضمنها لغلبة الكفار لما ان مطلب من تمناها نيل كرامة الشهادة من
غير ان يخطر بباله شيء غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة وما محمد الا رسول مبتدأ
وخبر ولا عمل لما بالاتفاق لانتقاض نفيه بالا وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة
لرسول منبئة عن كونه في شرف الخلو فان خلو مشاركيه في منصب الرسالة من شواهد
خلوه عليه الصلوة والسلام لا محالة كانه قيل قد خلت من قبله امثاله فيخلو كما خلوا
والقصر قلبي فانهم اعتقدوا انه عليه السلام رسول لا كسائر الرسل في انه يخلو كما خلوا
ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم فرد عليهم بانه ليس الا رسولا كسائر
الرسل فيخلو كما خلوا وقيل هو قصر افراد فانهم لما استعظموا عدم بقائه عليه السلام لهم
نزلوا منزلة المستبعدين لهلاكه كانهم يعتقدون فيه عليه السلام وصفين الرسالة
والبعد عن الهلاك فرد عليهم بانه مقصور على الرسالة لا يجاوزها الى البعد عن الهلاك
فلا بد حينئذ من جعل قوله تعالى قد خلت الخ كلاما مبتدأ مسوقا لتقرير عدم براءته
عليه السلام من الهلاك وبيان كونه اسوة لمن قبله من الرسل عليهم السلام وايا ما كان فالكلام
يخرج على خلاف مقتضى الظاهر افإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم

وانقلابهم عن الدين بخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به
وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته
مع كونه سببا في الحقيقة لثباتهم في الدين وايراد الموت بكلمة ان مع العلم به البتة لتنزيل
المخاطبين منزلة المترددين فيه لما ذكر من استعظامهم اياه وهكذا الحال في سائر الموارد
فان كلمة ان في كلام الله تعالى لا تجري على ظاهرها قط ضرورة علمه تعالى بالوقوع بل تحمل
على اعتبار حال السامع او امر آخر يناسب المقام وتقديم تقدير الموت مع ان تقدير
القتل هو الذي ثار منه الفتنة وعظم فيه المحنة لما ان الموت في شرف الوقوع فزجر
الناس عن الانقلاب عنده وحملهم على التثبت هناك اهم ولان الوصف الجامع بينه وبين
الرسل عليهم السلام هو الخلو بالموت دون القتل روي انه لما التقى الفئتان حمل ابو دجانة
في نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل علي بن ابي طالب رضي الله عنه قتالا
عظيما حتى التوى سيفه وكذا سعد بن ابي وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر
الرماة اليهم ورأوا انهم قد انهزموا اقبلوا على النهب ولم يلتفتوا الى نهي اميرهم عبد الله بن جبير
فلم يبق منهم عنده الا ثمانية نفر فلما رأى خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم في
مائتين وخمسين فارسا من المشركين من قبل الشعب وقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا خلف اقفية
المسلمين ففرقوهم وهزموهم وحملوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاموا معه
حتى اصيب هناك نحو ثلاثين رجلا منهم يجثوا بين يديه ويقول وجهي لوجهك وقاء ونفسي
لنفسك فداء وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى
الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب بن عمير رضي الله
عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم
فقال قتلت محمدا وصرخ صارخ قيل انه ابليس الا ان محمدا قد قتل النبي صلى الله عليه وسلم
فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الي عباد الله قال كعب بن مالك
كنت اول من عرف رسول الله يدعو الي عباد الله ق ك كعب بن مالك كنت اول من عرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين
وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس
من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم وقال انس بن مالك يا قوم
ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراما على ما مات عليه ثم قال اللهم
اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل حتى
قتل ونحو من هم كل احد ولا كل من يسمعها يتصورها في كل مقام لاسيما في مثل ذلك المقام
الهائل وقد غفل عمر رضي الله عنه عن هذه الاية الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم

وقام في الناس فقال إن رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
توفي وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى
بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولاقطعن ايدي رجال وارجلهم يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يزل
يكرر ذلك الى ان قام ابو بكر رضي الله عنهما فحمد الله واثنى ثم قال ايها الناس من كان يعبد
محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل قال الراوي والله كان الناس لم يعلموا ان هذه الآية نزلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها ابو بكر وقال عمر رضي الله عنه والله ما هو الا ان
سمعت ابا بكر رضي الله عنه تلاها فعقرت حتى ما تحملني رجلاي وعرفت ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن ينقلب على عقبيه بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم من امر الجهاد وغيره بارتداده عن الاسلام وما ارتد يومئذ احد من المسلمين
الا ما كان من المنافقين فلن يضر الله بما فعل من الانقلاب شيئا اي شيئا من الضرر وانما يضر نفسه
بتعريضها للسخط والعذاب وسيجزي الله الشاكرين اي الثابتين على دين الاسلام الذي
هو اجل نعمه واعز معروف سموا بذلك لان الثبات عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه ايماء
الى كفران المنقلبين روي عن ابن عباس رضي الله عنهما كان المراد بهم الطائعين لله
تعالى من المهاجرين والانصار وعن علي رضي الله عنه ابو بكر واصحابه وعنه رضي
الله عنه قال ابو بكر من الشاكرين ومن احباء الله تعالى واظهار الاسم الجليل في موقع
الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشأن جزائهم وما كان لنفس ان تموت كلام مستأنف سيق
للتنبيه على خطائهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبناء على الارجاف بقتله صلى الله عليه
وسلم ببيان ان موت كل نفس منوط بمشيئة الله عز وجل لا يكاد يقع بدون تعلقها به
وان خوضت موارد الحتوف واقتحمت مضايق كل هول مخوف وقد اشير بذلك الى
انها لم تكن متعلقة بموتهم في الوقت الذي حذروه فيه ولذلك لم يفعلوا لاحجموا
عن مباشرة القتال وكلمة كان ناقصة اسمها ان تموت وخبرها الظرف على انه متعلق بمحذوف
وقوله تعالى الا باذن الله استثناء مفرغ من اعم الاسباب اي وما كان الموت حاصلا
لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشيئته تعالى على ان الاذن مجاز منها لكونها من لوازمه
او الا باذنه لملك الموت في قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة
الى النفوس بصورة الافعال الاختيارية التي لا ينبغي للفاعل ايقاعها والاقدام عليها بدون
اذنه تعالى وبتنزيل اقدامها على مباديه اعني القتال منزلة الاقدام على نفسه للمبالغة في
تحقيق المرام فان موتها حين استحال وقوعه عند اقدامها عليه او على مباديه وسعيهم في ايقاعه
فلأن يستحيل عند عدم ذلك اولى واظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى كتابا
مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي كتبه الله كتابا موجلا مؤقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا

العقران نعنا والربع يرتبض الاثنم العنقر والوقا ... كاموس

يتأخر ولو ساعة وقرئ موجلا بالواو وبدل الهمزة في قياس التخفيف وبعد تحقيق ان
مدار الموت والحياة محض مشيئة الله عز وجل من غير ان يكون فيه مدخل لاحد اصلا اشير
الى ان توفية ثمرات الاعمال دائرة في ارادتهم ليصرفوها عن الاعراض الدنية الى المطالب
السنية فقيل ومن يرد اي بعمله ثواب الدنيا نؤته بنون العظمة على طريق الالتفات
منها اي من ثوابها ما نشاء ان نؤتيه كما في قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له
فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض بمن شغلتهم الغنائم يومئذ وقد مر تفصيله ومن يرد
اي بعمله ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها ما نشاء من الاضعاف حسبما جرى به الوعد
الكريم وسنجزي الشاكرين نعمة الاسلام الثابتين عليه الصارفين لما آتاهم الله تعالى من
القوى والقدر الى ما خلقت هي لاجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف
اصلا والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم واما جنس الشاكرين
وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالمزيد
عليه وفي تصويرها بالسين وابهام الجزاء من التأكيد والدلالة على فخامة شأن الجزاء
الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه البيان ما لا يخفى وقرئ الافعال الثلاثة بالياء وكاين
كلام مبتدأ ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدودهم عن سنن الربانيين المجاهدين
في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكاين لفظة مركبة من كاف التشبيه واي
حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين اثبتت في
الخط على غير قياس وفيها خمس لغات هي احديهن والثانية كائن مثل كاعن والثالثة كاين مثل
كعين والرابعة كيئن بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها والخامسة كان مثل كعن
وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء قوله تعالى من نبي تمييز لها لانها مثل كم الخبرية
وقد جاء تمييزها منصوبا كما في قوله ٥ اطرد اليأس بالرجا فكاين ٥ املا حم يسره بعد عسر ٥
وقوله تعالى قاتل معه ربيون كثير خبر لها على ان الفعل مسند الى الظاهر والرابط هو الضمير
المجرور في معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة والربي
منسوب الى الرب كالرباني وكسر الراء من تغييرات النسب وقيل بضمها وبفتحها ايضا
في الاصل وقيل هو منسوب الى الربة وهي الجماعة اي كثير من الانبياء قاتل
معه لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه علماء اتقياء او عابدون او جماعات كثيرة فالظرف
متعلق بقاتل او بمحذوف وقع حالا من فاعله كما في القراءتين الاخيرتين اذ لا احتمال فيهما
لتعلقه بالفعل اي قتلوا او قتلوا كائنين معه في القتال لا في القتل قال سعيد
بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال الحسن ٥ ٥ ٥ ٥
البصري وجماعة من العلماء لم يقتل نبي في حرب قط وقيل الفعل مسند الى ضمير
النبي صلى الله عليه وسلم والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير
المجرور الراجع اليه وهذا واضح على القراءة المشهورة بلا خلاف اي كم من نبي قاتل كائنا معه

في القتال ربيون كثير واما على القرائتين الاخريين فغير ظاهر لا سيما على قراءة التشديد وتجويزه بعضهم وايده بان مدار التوبيخ انخزالهم للارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم اي لم يرَ نبي قتل كائنا معه في القتل او في القتال ربيون الخ وقوله تعالى فما وهنوا عطف على قاتل على ان المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع منه وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء المرتبة له على ما قبله اي فما فتروا وما انكسرت همتهم لما اصابهم في اثناء القتال وهو علة للمنفي دون النفي نعم يشعر بعليته قوله تعالى في سبيل الله فان كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة او موصوفة فان جعل الضميران لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعترية للكل وان جعلا للبعض الباقين بعد ما قتل الاخرون كما هو الانسب بمقام التوبيخ بعد ما استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل اخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا على القراءة المشهورة واما على القرائتين الاخريين فان اسند الفعل الى الربيين فالضميران للباقين منهم جميعا حتما وان اسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم كما هو الانسب بالتوبيخ على الانخزال بسبب الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم فهما للباقين ايضا ان اعتبر كون الربيين مع النبي في القتل وللجميع ان اعتبر كونهم معه في القتال وما ضعفوا عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين وما استكانوا اي وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي المنافق في طلب الامان من ابي سفيان والله يحب الصابرين اي على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره في سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين اما المعهودون والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بحسن الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة تذييل لما قبلها وما كان قولهم كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها في قوله تعالى الا ان قالوا والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اي ما كان قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق الحرب واصابة ما اصابهم من فنون الشدائد والاهوال شيء من الاشياء الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا اي صغائرنا واسرافنا في امرنا اي تجاوزنا الحد في ركوب الكبائر اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين براء من التفريط في جنب الله

هضما لها واستقصارا لهممهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بمغفرتها على ما هو الاهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم وثبت اقدامنا اي في مواطن الحرب بالتقوية والتأييد من عندك او ثبتنا على دينك الحق وانصرنا على القوم الكافرين تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على هذا الدعاء من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخوف والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على انه الاسم والخبر ان وما في حيزها اي ما كان قولهم حينئذ شيئا من الاشياء الا هو القول المنبئ عن احاسن المحاسن وهذا كما ترى اقعد بحسب المعنى واوفق بمقتضى المقام لما ان الاخبار بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكي عنهم مفصلا كما تفيده قراءتهما اكثر افادة للسامع من الاخبار بكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل الخبرية هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا يخفى ان ذلك ههنا في ان مع ما في حيزها اتم واكمل واما ما يفيده من الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان تلاحظ ملاحظة اجمالية وتجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات في باب البيان وانما اختار الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية هي انه اذا اجتمع معرفتان فالاعرف منهما احق بالاسمية ولا ريب في اعرفية ان قالوا لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ولانه يشبه المضمر من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف الى مضمر فهو بمنزلة العلم فتأمل فآتاهم الله بسبب دعائهم ذلك ثواب الدنيا اي النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل وحسن ثواب الآخرة اي وثواب الآخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به عنده تعالى والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان محبته تعالى للعبد عبارة عن رضاه عنه وارادة الخير به فهي مبدأ لكل سعادة واللام اما للعهد وانما وضع المظهر موضع ضمير المعهودين للاشعار بان ما حكي عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا وهذا انسب بمقام ترغيب المؤمنين في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب الجليلة يا ايها الذين آمنوا شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها الخسران في الدنيا والآخرة اثر ترغيبهم في الاقتداء بانصار الانبياء عليهم السلام ببيان افضائه الى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار الاعتناء بما في حيزه ووصفهم بالايمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها لحال اعدائهم كما ان وصف المنافقين بالكفر في قوله تعالى ان تطيعوا الذين كفروا لذلك قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم

على رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم ع
وادخلوا في دينهم فوقع قوله تعالى يردوكم على اعقابكم جوابا للشرط مع كونه في قوة
ان يقال ان تطيعوهم في قولهم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في
دينهم باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى فتنقلبوا خاسرين اي للدنيا والاخرة غير
فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب الخالد على ان الارتداد على العقب علم في انتكاس
الامر ومثل في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا
يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما
اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما عليه ويوما له
وقيل ابو سفيان واصحابه والمراد بطاعتهم استيمانهم والاستكانة لهم
وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهي المؤمنين عن طاعتهم في امر من الامور
حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين فلا حاجة على هذه التقادير الى ما مر من البيان
بل الله مولاكم اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية كانه قيل فليسوا انصاركم حتى تطيعوهم
بل الله ناصركم لا غيره فاطيعوه واستغنوا عن موالاتهم وقرئ بالنصب كانه قيل
فلا تطيعوهم بل اطيعوا الله مولاكم نصب على انه صفة له وهو خير الناصرين فخصوه
بالطاعة والاستعانة سنلقي بنون العظمة على طريقة الالتفات جريا على سنن الكبرياء
لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتاكيد الالقاء في قلوب الذين كفروا الرعب
بسكون العين وقرئ بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد
حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما
كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم
فعند ذلك القى الله تعالى في قلوبهم الرعب فامسكوا فلا بد من كون نزول الآية في تضاعيف
الحراب او عقيب انقضائه وقيل هو ما القي في قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب بما اشركوا
بالله متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدرية اي بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم
ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعي الرعب ما لم ينزل به اي باشراكه سلطانا اي حجة سميت
به لوضوحها وانارتها او لقوتها او لحدتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في
نفسها من قبيل قوله • ولا ترى الضب بها ينجحر • اي لا ضب ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع
في الباب هو البرهان السماوي دون الآراء والاهواء الباطلة ومأواهم بيان لاحوالهم الاخرة
اثر بيان احوالهم في الدنيا وهي الرعب ما ياوون اليه في الآخرة النار لا ملجأ لهم غيرها وبئس
مثوى الظالمين اي مثواهم وانما وضع موضعه المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والاشعار
بانهم في اشراكهم ظالمون واضعون للشيء في غير موضعه والمخصوص بالذم محذوف اي بئس مثوى الظالمين
النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم نوع رمز الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الاقامة
المنبئة عن المكث واما المأوى فهو المكان الذي ياوي اليه الانسان ولقد صدقكم الله وعده

اي في الربح الخ والنقصان بعد الزيادة دونك

نصب على انه مفعول ثان لصدق وعد بحا وقيل بنزع الجار اي في وعده نزلت حين قال
ناس من المؤمنين عند رجوعهم الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى النصر
وهو ما وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر حيث قال للرماة لا تبرحوا مكانكم
فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية اخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فانا لا نزال غالبين
ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم
والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم قتلا ذريعا وذلك
قوله تعالى اذ تحسونهم اي تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وهو ظرف
لصدقكم قوله تعالى باذنه اي بتيسيره وتوفيقه لتحقيق ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من
النصر وقوله هو ما وعدهم بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الآية وقد مر تحقيق ان ذلك
كان يوم بدر كيف لا والموعود ثمة ما ذكر امداده عز وجل بانزال الملائكة عليهم السلام
وتقييد صدق وعده تعالى بوقت قتلهم باذنه تعالى صريح في ان الموعود هو النصر المعنوي
فالتيسير لا الامداد بالملائكة وقيل هو ما وعده تعالى بقوله سنلقي الخ وانت خبير
بان القاء الرعب كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب او بعد ذلك في الطريق على
اختلاف الروايتين وايا ما كان فلا سبيل الى كونه مغيا بقوله تعالى حتى اذا فشلتم اي جبنتم وضعفتم
رايكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر فقال بعض الرماة حين
انهزم المشركون ولوا هاربين والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا هاهنا بعد هذا
وقال اميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه لا نخالف امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت
مكانه في نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى وعصيتم
من بعد ما اراكم ما تحبون اي من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما راى المشركون ذلك حملوا
عليهم من قبل الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه حسبما نقل في تفسير قوله تعالى
افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو
امتحنكم ويرده جعل الابتلاء غاية للصرف المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم الى
قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى منكم من يريد الدنيا وهم الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب
ومنكم من يريد الآخرة وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة هذا على تقدير
كون اذا شرطية وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل اذا اسم كما في قولهم
اذا يقوم زيد اذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار
تضمنه لمعنى النصر كانه قيل لقد نصركم الله الى وقت فشلكم وتنازعكم الخ وعلى هذا فقوله تعالى
ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك وعلى الاول عطف على الجواب المحذوف كما اشير اليه والجملتان
الظرفيتان اعتراض بين المتعاطفين اي كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من
اللطف بالمسلمين ما لا يخفى ليبتليكم اي يعاملكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم
على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على

المؤمنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بأن ذلك العفو بطريق التفضل والإحسان
لا بطريق الوجوب عليه أي شأنه أن يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع
الأحوال أديل لهم أو أديل عليهم إذ الابتلاء أيضاً رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بهم
بالمؤمنين إما المخاطبون والإظهار في موضع الإضمار للتشريف والإشعار بعلة الحكم
وإما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولاً أولياً إذ تصعدون متعلق بصرفكم أو بقوله
ليبتليكم أو بمقدر كاذكروا والإصعاد الذهاب والإبعاد في الأرض وقرئ تَصعدون
من الثلاثي أي في الجبل وقرئ تصعّدون من التفعل بطرح إحدى التاءين وقرئ
يصعدون بالالتفات إلى الغيبة ولا تلوون على أحد أي لا تلتفتون إلى ما وراءكم ولا يقف
واحد منكم لواحد وقرئ تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها
تخفيفاً وقرئ يلوون كيصعدون والرسول يدعوكم كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم
إلي عباد الله إلي عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة وإيراده عليه السلام بعنوان
الرسالة للإيذان بأن دعوته عليه السلام كانت بطريق الرسالة من جهته سبحانه مبالغة
في توبيخ المنهزمين في أخراكم في ساقتكم وجماعتكم الأخرى فأثابكم عطف على صرفكم أي فجازاكم
الله تعالى بما صنعتم غماً موصولاً بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والإرجاف
بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير أو غماً بمقابلة غم
أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم
أي لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فات أو ضر آت وقيل لا زائدة
والمعنى لتتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما أصابكم من الجراح والهزيمة
عقوبة لكم وقيل الضمير في أثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم أي واساكم في الاغتمام
فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيساً
عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا ما أصابكم من الجراح وغير ذلك والله خبير بما
تعملون أي عالم بأعمالكم وبما قصدتم بها ثم أنزل عليكم عطف على قوله فأثابكم والخطاب
للمؤمنين حقاً من بعد الغم أي الغم المذكور والتصريح بتأخر الإنزال عنه مع دلالة ثم
عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة كما في قوله تعالى ثم تابوا
من بعد ذلك الآية أمنة أي أمناً نصب على المفعولية وقوله تعالى نعاساً بدل منها أو
عطف بيان وقيل مفعول له أو هو المفعول وأمنة حال منه متقدمة عليه أو مفعول
له أو حال من المخاطبين على تقدير مضاف أي ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبار وبررة
وقرئ بسكون الميم كأنها مرة من الأمن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر
غير مرة من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق إلى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم
بالإزالة لأنه المهم عندهم حينئذ لما أن المشركين لما انصرفوا كانوا يتوعدون المسلمين
بالرجوع فلم يأمنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف متأهبين للقتال فأنزل الله تعالى عليهم الأمنة

فأخذهم النعاس قال ابن عباس رضي الله عنه أمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف وإنما
ينعس من أمن والخائف لا ينام وقال الزبير رضي الله تعالى عنه كنت مع النبي صلى الله عليه
وسلم حين اشتد الخوف فأنزل الله تعالى النوم والله إني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس
يغشاني ما أسمعه إلا كالحلم يقول لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا وقال أبو طلحة
رفعت رأسي يوم أحد فجعلت لا أرى أحداً من القوم إلا وهو يميد تحت حجفته من
النعاس قال وكنت ممن ألقي عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدي فآخذه ثم
يسقط السوط من يدي فآخذه وفيه دلالة على أن المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه
قوله تعالى يغشى طائفة منكم قال ابن عباس هم المهاجرون وعامة الأنصار ولا
يقدح ذلك في عموم الإنزال للكل والجملة في محل النصب على أنها صفة لنعاساً وقرئ بالتاء
على أنها صفة لأمنة وفيه أن الصفة حقها أن تتقدم على البدل وعطف البيان وأن لا يفصل
بينها وبين الموصوف بالمفعول له وأن المعهود أن يحدث عن البدل دون المبدل منه وطائفة
قد أهمتهم أنفسهم أي أوقعتهم في الهموم والأحزان أو ما يهمهم إلا هم أنفسهم وقصد خلاصها
من قولهم أهمني الشيء أي كان من همي وقصدي والقصر مستفاد بمعونة المقام وطائفة مبتدأ
وما بعدها إما خبرها وإنما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما في قوله

سرينا ونجم قد أضاء فمذ بدا ۞ محياك أخفى ضوءه كل شارق

أو لوقوعها في موقع التفصيل كما في قوله إذا ما بكى من خلفها انصرفت له ۞ بشق وشق عندنا لم يحول
وإما صفتها والخبر محذوف أي ومعكم طائفة أو وهناك طائفة وقيل تقديره ومنكم
طائفة وفيه أنه يقتضي دخول المنافقين في الخطاب بإنزال الأمنة وأياً ما كان فالجملة إما حالية
مبينة لفظاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة في الخلاص عنه كما في قوله تعالى أولم يروا أنا جعلنا
حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم وإما مستأنفة مسوقة لبيان حال المنافقين قال عز
وجل يظنون بالله حال من ضمير أهمتهم أو من طائفة لتخصصها بالصفة أو صفة أخرى لها أو خبر
بعد خبر أو استئناف مبين لما قبله وقوله تعالى ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص
بالملة الجاهلية والإضافة كما في حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى يقولون بدل من يظنون
لما أن مسألتهم كانت صادرة عن الظن أي يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على
صورة الاسترشاد هل لنا من الأمر أي من أمر الله تعالى ووعده من النصر والظفر من شيء أي
من نصيب قط أو هل لنا من التدبير وقوله تعالى قل إن الأمر كله لله أي الغلبة بالآخرة لله
تعالى ولأوليائه فإن حزب الله هم الغالبون أو أن التدبير كله بالرفع على الابتداء وقوله تعالى
يخفون في أنفسهم أي يضمرون فيها أو يقولون فيما بينهم بطريق الخفية ما لا يبدون لك استئناف
أو حال من ضمير يقولون وقوله تعالى قل إن الأمر اعتراض بين الحال وصاحبها أي يقولون
ما يقولون مظهرين أنهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الإنكار والتكذيب وقوله
تعالى يقولون استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل أي شيء يخفون فقيل يقولون

انفسهم ويقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد عليه السلام
من ان الغلبة لله تعالى ولاوليايه وان الامر كله لله تعالى او لو كان لنا من التدبير والراي
شيء ما قتلنا هاهنا اي ما غلبنا او ما قتل من قتل منا في هذه المعركة يعني ان النبي راجع الى نفس
القتل لا الى وقوعه فيها فقط او لما برحنا من منازلنا كما راه ابن ابي ويؤيده تعيين مكان القتل
وكذا قوله تعالى قل لو كنتم في بيوتكم اي لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون
لبرز الذين كتب عليهم القتل اي في اللوح المحفوظ بسبب من الاسباب الداعية الى البروز الى مصارعهم
الى المصارع التي قدر الله تعالى قتلهم فيها وقتلوا هناك البتة ولم ينفع العزيمة على الاقامة
بالمدينة قطعا فان قضاء الله تعالى لا يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة في رد مقالتهم الباطلة
حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما في قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت بل
عين مكانه ايضا ولا ريب في تعين زمانه ايضا لقوله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون قيل ان ملك الموت حضر مجلس سليمان عليه السلام فنظر
الى رجل من اهل المجلس نظرة هايلة فلما قام قال الرجل من هذا قال سليمان عليه السلام
ملك الموت قال ارسلني مع الريح الى عالم اخر فاني رايت منه مراء هايلا فامر عليه
السلام فالقته في قطر سحيق من اقطار العالم فما لبث ان عاد ملك الموت الى سليمان عليه
الصلاة والسلام فقال كنت امرت بقبض روح ذلك الرجل في هذه الساعة في ارض
كذا فلما وجدته في مجلسك قلت متى يصل هذا اليها وقد ارسلته بالريح الى ذلك المكان فوجدته
هناك فقضى امر الله عز وجل في زمانه ومكانه من غير اخلال بشيء من ذلك وقري كتب على البناء
للفاعل ونصب القتل وقري كتب عليهم القتال وقري لبرز بالتشديد على البناء للمفعول
وليبتلي الله ما في صدوركم اي ليعاملكم معاملة من يبتلي ما في صدوركم من الاخلاص والنفاق
ويظهر ما فيها من السراير وهو علة لفعل مقدر قبلها معطوف على علل لها اخرى مطوية
للايذان بكثرتها كانه قيل فعل ما فعل لمصالح جمة وليبتلي الخ وجعلها علة لبرز ياباه الذوق
السليم فان مقتضى المقام بيان حكمة ما وقع يوميذ من الشدة والهول لا بيان حكمة البروز
المفروض او الفعل مقدر بعده اي وللابتلاء المذكور فعل ما فعل لا لعدم العناية بامر
المومنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدما خال عن هذه المزية وليمحص ما في قلوبكم من مخفيات
الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس والله عليم بذات الصدور اي السراير والضماير
الخفية التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها وتصاحبها والجملة اما اعتراض للتنبيه على ان
الله تعالى غني عن الابتلاء وانما يبرز صورة الابتلاء لتمييز المومنين واظهار حال المنافقين
او حال من متعلق الفعلين اي فعل ما فعل للابتلاء والتمحيص والحال انه تعالى غني عنهما
محيط بخفيات الامور وفيه وعد ووعيد ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان وهم الذين
انهزموا يوم احد حسبما مرت حكايتهم انما استزلهم الشيطان اي انما كان سبب انهزامهم
ان الشيطان طلب منهم الزلل ببعض ما كسبوا من الذنوب والمعاصي التي هي مخالفة امر النبي صلى الله

عليه وسلم وترك المركز والحرص على الغنيمة او الحيوة فحرموا التاييد وقوة القلب
وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها
الى بعض كالطاعة وقيل استزلهم بذنوب تقدمت سبقت منهم وكرهوا القتل قبل
اخلاص التوبة والخروج من الطاعة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور
للذنب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق
وفي اظهار الجلالة تربية للمهابة وتاكيد للتعليل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين
كفروا وهم المنافقون القايلون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا وانما ذكر في سوء
الصلة لغرض صريح بمباينة حالهم لحال المومنين وتنفير عن مماثلتهم اثر ذي اثير وقوله
تعالى وقالوا لاخوانهم تعيين لوجه الشبه والمماثلة التي نهوا عنها اي قالوا لاجلهم
وفي حقهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم نسبا او مذهبا اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها
وابعدوا للتجارة او غيرها وايثار اذا المفيدة لمعنى الاستقبال على ان المفيدة لمعنى المضي
لحكاية الحال الماضية اذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال الذي عليه يدور
امر استحضار الصورة قال الزجاج اذ هاهنا تنوب عما مضى من الزمان وما يستقبل
يعني انها لمجرد الوقت او يقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم انما هي باعتبار ما وقع
فيها لا للضرب انها ظرف له لا لقولهم كانه قيل قالوا لاجل ما اصاب اخوانهم حين
ضربوا الخ او كانوا اي اخوانهم غزا جمع غاز كعفى جمع عاف قال ومغيرة الافاق خاتمة
الصوفي لها قلب عفى الحياض اجون وقيل بتخفيف الزاي على حذف التاء من
غزاة وافراد كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب في الارض اذ المراد به لانه
المقصود بيانه في المقام وذكر الضرب في الارض توطية له وتقديمه لكثرة وقوعه على
انه قد يوجد بدون الضرب في الارض اذ المراد به السفر البعيد وانما لم يقل او غزوا
للايذان باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اي كانوا غزاة فيما مضى
وقوله تعالى لو كانوا عندنا اي مقيمين ما ماتوا وما قتلوا مفعول لقالوا ودليل على
ان هناك مضمرا قد حذف ثقة به اي اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزا فقتلوا
وليس المقصود بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول في الاعتقاد بمضمونه
والحكم بموجبه كما انه المنكر في قايله الا يرى الى قوله عز وجل ليجعل الله ذلك حسرة
في قلوبهم فانه جعل حسرة فيها واليه اشير بذلك كما نقل عن الزجاج انه اشارة الى ظنهم
انهم لم يحضروا القتال ولم يقتلوا وتعلقه بقالوا ليس باعتبار نطقهم بذلك القول
بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم
عدوا وحزنا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور
بيان عدم ترتب فايدة ما على ذلك اصلا وقيل هو تعليل للنهي بمعنى لا تكونوا مثلهم
في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها

تلوبكم بذلك كما مر ليما ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون اشارة الى ما دل
عليه قولهم والنهي اي لا تكونوا امثالهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان
مغايرتكم لهم في القول والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم
الباطل اثر بيان غائلته اي هو المؤثر في الممات والحيوة وحده من غير ان يكون للاقامة
او السفر مدخل في ذلك فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما لموارد
الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة والله بما تعملون بصير
تهديد للمؤمنين في ان يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا وما يعملون
عام متناول لقولهم المذكور ولمنشأه الذي هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك
من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع واظهار الاسم الجليل في
موقع الاضمار لتربية المهابة والقاء الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد
في الوعيد ولئن قتلتم في سبيل الله او متم شروع في تحقيق ان ما رتبه على الغزو والسفر
من القتل والموت في سبيل الله تعالى ليس مما ينبغي ان يحذر بل مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون
اثر ابطال ترتبه عليهما واللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تعالى لمغفرة من الله
ورحمة لام الابتداء والتنوين في الموضعين للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة
للمبتدأ وقد حذفت صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجملة جواب للقسم سادة
مسد جواب الشرط والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل
اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى
بمقابلة ذلك خير مما يجمعون اي الكفرة من منافع الدنيا وطيباتها مدة اعمارهم وعن
ابن عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالتاء اي مما تجمعونه
انتم لو لم تموتوا والاقتصار على بيان خيريتهما من ذلك بلا تعرض للاجر العظيم لهما
لهم للايذان بعدم الحاجة اليه بناء على استحالة الخيبة منه تعالى بعد الاطماع وقد
قيل لا بد من حذف آخر اي لمغفرة لكم من الله الخ وحينئذ ايضا يكون اخراج المقدر مخرج
الصفة دون الخبر لقصد ما ذكر من ادعاء الظهور والمعنى عن الاخبار به وتغيير الترتيب
الواقع في قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبني على كثرة الوقوع وقلته للمبالغة في الترغيب
في الجهاد ببيان زيادة مزية القتل في سبيل الله وافادته في استجلاب المغفرة والرحمة
وفيه دلالة واضحة على ما مر من ان المقصود بالنهي انما هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد
بمضمون القول المذكور والعمل بموجبه لا في النطق به واخلاله الناشئ به ولئن متم
او قتلتم اي على اي وجه اتفق هلاككم بسبب تعلق الارادة الالهية وقيل متم بكسر
الميم من مات يمات الى الله اي الى المعبود بالحق العظيم الشان الواسع الرحمة الجزيل
الاحسان تحشرون لا الى غيره فيوفي اجوركم ويجزل لكم عطاءكم والكلام فيه كما في الجملة كما ترى
في اختها فبما رحمة من الله لنت لهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه

وسلم فاذا

وسلم والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم للائمة والتعنيف
بموجب الجبلة البشرية او من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته والباء متعلقة بلنت قدمت
عليه للقصر وما مزيدة للتوكيد وتنكير رحمة بدل منها مبين لابهامها والتنوين للتفخيم
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لرحمة اي برحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهي
ربطه جاشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق واللطف
بهم حيث اغتممت لهم وعاملتهم بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك للعدو
ولو لم يكن كذلك بل كنت فظا جافيا في المعاشرة قولا وفعلا قال الراغب الفظ
هو الكريه الخلق قال الواحدي هو الغليظ الجانب السيء الخلق غليظ القلب قاسيه
قال الكلبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل لانفضوا من حولك لتفرقوا من
عندك ولم يسكنوا اليك وترددوا في مهاوي الردى والفاء في قوله تعالى فاعف عنهم
لترتيب العفو والامر به على ما قبله اي اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك
كما عفى الله عنهم واستغفر لهم الله فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم
وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ هو المعهود او فيه وفي امثاله مما يجري فيه المشاورة
عادة استظهارا بآرائهم وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة وقرئ وشاورهم
في بعض الامر فاذا عزمت اي عقيب المشاورة على شيء واطمأنت به نفسك فتوكل على الله في امضاء
امرك على ما هو ارشد لك واصلح فان علمه مختص به سبحانه وتعالى وقرئ فاذا عزمت على
صيغة التكلم اي عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا والالتفات
لتربية المهابة وتعليل التوكل او الامر به فان عنوان الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمال
مستدع للتوكل عليه تعالى والامر به ان الله يحب المتوكلين عليه فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خير
لهم وصلاح والجملة تعليل للتوكل عليه تعالى وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم جملة مستأنفة
سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على الالتجاء
اليه وتحذيرهم عما يفضي الى خذلانه اي ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم على
طريقة نفي الجنس المنتظم لنفي جميع افراد الغالب ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل
على نفي الصفة فقط ثم المفهوم من ظاهر النظم الكريم وان كان نفي مغلوبيتهم من غير تعرض
لنفي المساواة ايضا وهو الذي يقتضيه المقام لكن المفهوم منه فهما قطعيا هو نفي المساواة
واثبات الغالبية للخاطبين فاذا قلت لا اكرم من فلان او لا افضل منه فالمفهوم منه حتما
انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا امر مطرد في جميع اللغات ولا اختصاص
له بالنفي الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما في قوله
تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا في مواقع كثيرة من التنزيل ومما هو نص قاطع
فيما ذكرنا ما وقع في سورة هود حيث قيل بعده في حقهم لا جرم انهم في الاخرة هم
الاخسرون فان كونهم اخسر من كل خاسر يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم

وان يخذلكم

كما فعله يوم احد وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا فمن ذا الذي ينصركم استفهام
انكاري مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة من بعده اي من بعد خذلانه
تعالى او من بعد الله تعالى على معنى اذا جاوزتموه وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم
الجار والمجرور على الفعل لافادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيبه او لترتيب الامر
به على ما مر من غلبة المخاطبين على تقدير نصره تعالى اياهم فان العلم بذلك مما يقتضي
قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين اما الجنس والمخاطبون داخلون
فيه دخولا اوليا واما هم خاصة بطريق الالتفات وايا ما كان ففيه تشريف لهم
بعنوان الايمان اشتراكا واستقلالا وتعليل لتحتم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان
مما يوجبه قطعا وما كان لنبي اي وما صح لنبي من الانبياء عليهم السلام ولا استقام
له ان يغل اي يخون في المغنم فان النبوة تنافيه منافاة بينة يقال غل شيئا من المغنم
يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية والمراد اما تنزيه ساحة رسول الله صلى الله
عليه وسلم عما ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز وافاضوا في الغنيمة وقالوا نخشى
ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسم
يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز
حتى ياتيكم امري وقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم
انا نغل ولا نقسم بينكم واما المبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على ما روي انه بعث طلائع فغنم النبي صلى الله عليه عليه وسلم بعدهم غنائم فقسمها
بين الحاضر ولم يترك للطلائع شيئا فنزلت والمعنى ما كان لنبي ان يعطي قوما من
العسكر ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض
الغزاة بالغلول تغليظا واما ما قيل من ان المراد تنزيهه عليه السلام عما تفوه به بعض
المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها فبعيد جدا وقرئ على البناء للمفعول
والمعنى ما كان له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة
يات بالذي غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد في الحديث الشريف وروي انه
عليه السلام قال الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وشاة
لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك او يات بما احتمل
من اثمه ووباله ثم توفى كل نفس ما كسبت اي تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرا كثيرا او قليلا
وضع المكسوب موضع جزائه تحقيقا للعدل ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا
كانهما شيء واحد وفي اسناد التوفية الى كل كاسب وتعليقها بكل مكسوب مع ان المقصود
بيان حال الغال عند اتيانه بما غل يوم القيمة من الدلالة على فخامة شان اليوم
وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى فانه حين وفي كل كاسب
جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شيء وان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلان لا ينقص

من جزاء الغال شيء وجرمه من اعظم الجرائم واظهرها واجلى وهم اي كل الناس المدلول
عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عقاب او بنقص ثواب افمن اتبع رضوان الله اي سعى في
تحصيله وانتحى نحوه حيثما كان بفعل الطاعات وترك المنكرات كالنبي ومن يتبعه
كمن باء اي رجع بسخط عظيم لا يقادر قدره كائن من الله تعالى بسبب معاصيه
كالغال ومن يدين دينه والمراد تاكيد نفي الغلول عن النبي عليه السلام وتحقيق المباينة
الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ما وصف به الآخر فقوبل
رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار الى ترتب
توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغال كانه قيل ابعد ظهور حاله
يكون من ترقى الى اعلى عليين كمن تردى الى اسفل سافلين واظهار الاسم الجليل في
موضع الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة وماواه جهنم اما كلام مستانف
سيق لبيان مآل امر من باء بسخطه تعالى واما معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف
الصلة الاسمية على الفعلية وايا ما كان فلا محل له من الاعراب وبئس المصير اعتراض
تذييلي والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع ان
الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثاني هم راجع الى الموصولين
باعتبار المعنى درجات عند الله اي طبقات متفاوتة في علمه وحكمه شبهوا في تفاوت
الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات او
ذووا درجات والله بصير بما يعملون من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها لقد من الله
جواب قسم محذوف اي والله لقد من الله اي انعم على المؤمنين اي من قومه عليه السلام
اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اي من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه
بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم
عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وسوف وقرئ من انفسهم اي اشرفهم
فانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ لمن من الله على المؤمنين
اذ بعث الخ على انه خبر لمبتدا محذوف اي منه اذ بعث الخ او على ان اذ في محل الرفع
على الابتداء بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم
نعمة البعثة للاسود والاحمر لما مر من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من انفسهم
متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اي كائنا من انفسهم وقوله تعالى يتلو عليهم
آياته صفة اخرى اي يتلو عليهم القرآن بعد ما كانوا جاهلية لم يطرق اسماعهم
شيء من الوحي ويزكيهم عطف على يتلو اي يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد
واوضار الاوزار ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القرآن والسنة وهو صفة اخرى
لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التي هي عبارة عن تكميل
النفس بحسب القوة العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل

بالتعليم المترتب على التلاوة للإيذان بان كل واحد من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها
مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم عد الجميع نعمة
واحدة وهو السر في التعبير عن القرآن بالايات تارة وبالكتاب والحكمة اخرى رمزا
الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في مطاوي
الاحاديث الكريمة من الشرايع كما سلف في سورة البقرة وان كانوا من قبل اي من قبل بعثه
عليه السلام وتزكيه وتعليمه لفي ضلال مبين اي بين لا ريب فيه في كونه ضلالا وان
هي المخففة من المثقلة وضمير الشان محذوف واللام فارقة بينها وبين النافية والظرف
الاول لغو متعلق بكان والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة التي حذف اسمها
اعني ضمير الشان وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي وما كانوا من قبل الا في ضلال
مبين وايا ما كان فالجملة اما حال من الضمير المنصوب في يعلمهم او مستانفة وعلى التقديرين
فهي مبينة لكمال النعمة وتمامها ولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا كلام
مبتدا مسوق لابطال بعض ما صدر عنهم من الظنون الفاسدة والاقاويل الباطلة
الناشية منها اثر ابطال بعض اخر منها والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لمدخولها
على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده وقد اصبتم في محل الرفع على انه صفة
لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم واسر سبعين وبمثليها
ما اصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين وانى هذا مقول قلتم
وتوسيط الظرف وما يتعلق به بينه وبين الهمزة مع انه المقصود انكاره والمعطوف
بالواو حقيقة لتاكيد النكير وتشديد التقريع فان فعل القبيح في غير وقته اقبح والانكار
على فاعله ادخل والمعنى احين اصابكم من المشركين نصف ما قد اصابهم منكم قبل
ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الانكار
والتقريع الى صدور ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة بناء على عدم كونه
مظنة داعيا اليه بل على كونه داعيا الى عدمه فان كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم
مما يهون الخطب ويورث السلوة او افعلتم ما فعلتم ولما اصابتكم غايلته قلتم انى
هذا على توجيه الانكار الى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسببها وتذكير اسم الاشارة
في انى هذا مع كونه اشارة الى المصيبة لما ان كونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما ان اشارتها
ليست الا الى المشاهدة في المعركة من حيث هو هو من غير ان يخطر بالبال تسمية باسم فضلا
عن تسميته باسم المصيبة وانما هي عند الحكاية وقوله عز وجل قل هو من عند انفسكم
امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عن سؤالهم الفاسد اثر تحقيق فساده بالانكار
والتقريع وتبكيتهم ببيان ان ما نالهم انما نالهم من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على
الغنيمة وقيل باختيارهم والخروج من المدينة وياباه ان الوعد بالنصر كان بعد

ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده الاية وان عمل النبي صلى
الله عليه وسلم بموجبه قد رفع الحظر عنه وخفف جنايتهم فيه على ان الاختيار الخروج
والاصرار عليه كان ممن اكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ واين هم من التفوه بمثل هذه
الكلمة وقيل باخذهم الفداء يوم بدر قبل ان يوذن لهم والاول هو الاظهر الاقوى
وربما يعضده توسيط خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخطابين المتوجهين
الى المومنين وتفويض التبكيت اليه عليه السلام فان القاعل على الفعل اذا
كان ممن نهاه عنه كان اشد تاثيرا ان الله على كل شيء قدير من جملته النصر عند الطاعة
والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم والجملة
تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت الامر وما اصابكم رجوع الى خطاب المومنين
اثر خطابه عليه السلام لسنن يقتضيه وارشادهم الى حقيقة الحق فيما سالوا عنه وبيان
لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ووضع لما عسى يتوهم من قوله تعالى هو من عند انفسكم
من استقلالهم في وقوع الحادثة والعدول عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة
التقرير بيان وصفه بقوله تعالى يوم التقى الجمعان اي جمعكم وجمع المشركين فباذن الله
اي فهو كائن بقضائه وتخلية الكفار سمي بذلك اذنا لكونها من لوازمه وليعلم المومنين
عاطف على قوله تعالى فباذن الله عطف السبب والمراد بالعلم التمييز والاظهار فيما
بين الناس وليعلم الذين نافقوا عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف
المومنين وتنزيههم عن الانتظام في قرن المنافقين وللايذان باختلاف حال العلم
بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق بالمومنين على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على
وجه جديد وهو السر في ايراد الاولين بصيغة اسم الفاعل المنبية عن الاستمرار مع
والاخرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى ما اصابكم فهو كائن ليتميز
الثابتين على الايمان والذين اظهروا النفاق وقيل لهم عطف على نافقوا داخل معه في
حيز الصلة او كلام مبتدا قال ابن عباس رضي الله عنهما هم عبد الله بن ابي
واصحابه حين انصرفوا يوم احد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد
الله بن عمرو بن حرام اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك
قوله تعالى تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قال السدي ادفعوا عنا العدو
بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا وقيل او ادفعوا عن اهلكم وبلدكم وحريمكم ان لم
تقاتلوا في سبيل الله تع وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لما ان المقصود بهما واحد
وهو الثاني وذكر الاول توطية له وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر
والتعاون قالوا استيناف وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل
فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين فقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم
اي لو نحسن قتالا او نقدر عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء وانما عبر عن نفي القدرة

في القتال ينفي العلم به لما أن القدرة على الأفعال الاختيارية مستلزمة للعلم
بها أو لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما أنتم بصدده ليس بقتال أصلا
وإنما هو إلقاء النفس إلى التهلكة وفي جعلهم التالي مجرد الاتباع دون القتال
الذي هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال حيث لا يرضى نفوسهم
بجعله تاليا لمقدم مستحيل الوقوع هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان
الضمير مبتدأ وأقرب خبره واللام في للكفر وللإيمان متعلقة به وكذا
يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد إلا
عاطف أو بدلية إنما هو فيما عدا أفعل التفضيل بحيث دل على ا[illegible] مثل الفعل في
وزيادته جرى مجرى عاملين كأنه قيل قربهم للكفر يومئذ زائد على قربهم للإيمان
وقيل تعلق الجارين به لشبههما بالظرفين أي هم للكفر يوم إذ قالوا
أقرب منهم للإيمان فإنهم كانوا قبل ذلك يتظاهرون بالإيمان وما ظهر
منهم أمارة مؤذنة بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا
تباعدوا بذلك عن الإيمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لأهل
الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن تقليل سواد المسلمين بالانخزال تقوية
للمشركين وقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم جملة مستأنفة مقررة لمضمون
ما قبلها وذكر الأفواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم
وما عبارة عن القول والمراد به إما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة
وفي القلب أخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وإن اختلفا مظهرا وأما القول
الملفوظ فقط فالمنفي حينئذ منشؤه الذي لا ينفك عنه القول أصلا وإنما عبر عنه
به إبانة لما بينهما من شدة الاتصال أي يتفوهون بقول لا وجود له ولمنشئه في قلوبهم
أصلا من الأباطيل التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا فإنهم أظهروا فيه أمرين ليس في قلوبهم
شيء منهما أحدهما عدم العلم بالقتال والآخر الاتباع على تقدير العلم به وقد كذبوا
فيهما كذبا بينا حيث كانوا عالمين به غير ناوين للاتباع بل كانوا مصرين مع ذلك على
الانخزال عازمين على الارتداد وقوله تعالى والله أعلم بما يكتمون زيادة
تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف أقوالهم من فنون الشر
والفساد إثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما أن بعض ما يكتمونه من
أحكام النفاق وذم المؤمنين وتخطئة آرائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون
على وجه الإجمال وأن تفاصيل ذلك وكيفياته مختصة بالعلم الإلهي الذين قالوا
مرفوع على أنه بدل من واو يكتمون أو خبر لمبتدأ محذوف وقيل مبتدأ خبره
قل فادرؤوا بحذف العائد تقديره قل لهم إلخ أو منصوب على الذم أو على أنه نعت للذين
نافقوا أو بدل منه وقيل مجرور على أنه بدل من ضمير أفواههم أو قلوبهم كما في

قوله على جوده لضن بالماء حاتم والمراد بهم عبد الله بن أبي وأصحابه لإخوانهم
أي لأجلهم وهم من قتل يوم أحد من جنسهم أو من أقاربهم فيندرج فيهم بعض الشهداء
وقعدوا حال من ضمير قالوا بتقدير قد أي قالوا وقد قعدوا عن القتال
بالانخزال لو أطاعونا أي فيما أمرناهم به ووافقونا في ذلك ما قتلوا كما لم نقتل
وفيه إيذان بأنهم أمروهم بالانخزال حين انخزلوا وأغووهم كما غووا وجعل
القعود فيما استصوبه ابن أبي عند المشاورة من الإقامة بالمدينة ابتداء وجعل
الإطاعة عبارة عن قبول رأيه والعمل به يرده كون الجملة حالية فإنها لتعيين
ما فيه العصيان والمخالفة مع أن ابن أبي ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى
على أن تخصيص عدم الطاعة بإخوانهم ينادي باختصاص الأمر أيضا بهم فيستحيل
أن يحمل على ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم عند المشاورة قل تبكيتا لهم
وإظهارا لكذبهم فادرؤوا عن أنفسكم الموت جواب لشرط قد حذف تعويلا على ما بعده
من قوله تعالى إن كنتم صادقين كما أنه شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه
أي إن كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من أنكم قادرون على دفع القتل
عمن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا
بوقت معين بدفع سببه فإن أسباب الموت في إمكان المدافعة بالحيل وامتناعها
سواء وأنفسكم أعز عليكم من إخوانكم وأمرها أهم لديكم من أمرهم والمعنى
أن عدم قتلكم كان بسبب أنه لم يكن مكتوبا عليكم لا بسبب أنكم دفعتموه بالقعود
مع كتابته عليكم فإن ذلك مما لا سبيل إليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود
مؤديا إلى الموت روي أنه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل
أريد إن كنتم صادقين في مضمون الشرطية والمعنى أنهم لو أطاعوكم وقعدوا لقتلوا
قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرؤوا عن أنفسكم الموت حينئذ استهزاء
بهم أي إن كنتم رجالا دفاعين لأسباب الموت فادرؤوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا
كما درأتم في زعمكم هذا السبب الخاص ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا
كلام مستأنف مسوق لبيان أن القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس منه ليس مما يحذر بل هو
من أجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون إثر بيان أن الحذر لا يغني ولا يجدي
وقرئ ولا يحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء أحد وكانوا سبعين رجلا أربعة من
المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن
جحش والباقون من الأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على الإسناد إلى
ضميره عليه السلام أو ضمير من يحسب وقيل إلى الذين قتلوا والمفعول الأول
محذوف لأنه في الأصل مبتدأ جاز الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبنهم

الذين قتلوا امواتا اي لا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا في ان المراد من توجيه النهي
اليهم تنبيه السامعين في انهم احقاء بان يقتلوا بذلك ويبشروا بالحيوة الابدية والكرامة
السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع اوقاتهم بل عند ابتداء القتل اذ بعد تبين حالهم
لهم لا يبقى لاعتبار تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه وقرئ
قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ منصوبا اي
بل احسبهم احياء في ان الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله حسبت التقى والجود خير تجارة
رباحا اذا ما المرء اصبح ثاقلا • او في انه وارد على طريق المشاكلة عند ربهم في
محل الرفع في انه خبر ثان للمبتدا المقدر او صفة لاحياء او في محل النصب في
انه حال من الضمير في احياء وقيل هو ظرف لاحياء او للفعل بعده والمراد
بالعندية التقرب والزلفى وفي التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ
الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم يرزقون اي من الجنة وفيه
تاكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الامام الواحدي الاصح في حياة
الشهداء ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان ارواحهم في اجواف طير خضر
وانهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار
الجنة وروي ترد انهار الجنة الخ وتاكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت
وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش وفيه دلالة على ان روح الانسان
جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه
ومن قال بتجرد النفوس البشرية وقيل المراد ان نفوس الشهداء تتمثل طيرا خضرا
او تتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انها تتعلق بالافلاك والكواكب فتلتذ بذلك
وتكتسب زيادة كمال فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة
الابدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا ويستبشرون يسرون
بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في سبيل الله فيلحقوا
بهم من خلفهم متعلق بيلحقوا بهم حال كونه والمعنى انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم
او بمحذوف وقع حالا من فاعل يلحقوا بهم اي لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين عنهم باقين
في الدنيا ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون
استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان
المحذوف وخبرها الجملة المنفية اي يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم
الذين تركوهم وهو انهم عند قتلهم يفوزون بحياة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور
ولا حزن فوات مطلوب او لا خوف عليهم في الدنيا من القتل فانه عين الحيوة التي يجب
ان يرغب فيها فضلا عن ان يخاف ويحذر اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم

ذلك

ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان
انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا فان النفي وان دخل في نفس
المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام يستبشرون بنعمة كرر لبيان ان
الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة
لا يقادر قدرها وهي ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول متعلقا بحال اخوانهم
وهذا بحال انفسهم بيانا لبعض ما اجمل في قوله تعالى فرحين بما اتاهم الله من
فضله من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما افادها التنكير من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة منه تعالى وفضل اي زيادة عظيمة كما في
قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وان الله لا يضيع اجر المؤمنين بفتح
ان عطف على فضل منتظم معه في سلك المستبشر به قوله بالمؤمنين اما الشهداء
والتعبير عنهم بالمؤمنين للايذان بسمو رتبة الايمان وكونه مناطا لما نالوه من السعادة
واما كافة اهل الايمان من الشهداء وغيرهم ذكرت توفية اجورهم على ايمانهم وعدت
من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الاخوة في الدين وقرئ بكسرها على انه استئناف
معترض دال على ان ذلك اجرهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة
الاجر وفيه من الحث على الجهاد والترغيب في الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة
وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى الذين استجابوا لله والرسول بعدما اصابهم القرح
صفة مادحة للمؤمنين او لا مخصصة او نصب على المدح او رفع على الابتداء والخبر قوله
تعالى للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من
الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون ومتقون
روي انه ابا سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحا ندموا وهموا بالرجوع
فبلغ ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة
فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا
بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على
ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب
في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلوهم
من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه
كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وما له سوى فرس فرد وغير ثوب واحد
او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان
شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان
في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله تعالى في قلوبهم الرعب وبدا له ان يرجع فمر به

فربه ركب من بني عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان
ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك فالتزم
له عشرا من الابل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون
للخروج فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان
تخرجون وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه الصلوة والسلام والذي نفسي
بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا لهم يقولون حسبنا الله
ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في
النار فزادهم ايمانا الضمير المستكن للقول او لمصدر قال او لفاعله
ان اريد به نعيم وحده والمعنى انهم لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله
تعالى وازدادوا اطمينانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو
دليل على ان الايمان يتفاوت زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة
التامل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه ويعضده قول ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة
وينقص حتى يدخل صاحبه النار قالوا حسبنا الله اي محسبنا الله وكافينا من
احسبه اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في
قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل اي نعم الموكول اليه والمخصوص بالمدح محذوف
اي الله عز وجل فانقلبوا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فخرجوا اليهم ووافوا
الموعد روي انه عليه السلام وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت
معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا والباء في قوله تعالى بنعمة متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الضمير في فانقلبوا والتنوين للتفخيم اي فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة
عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل من الله متعلق بمحذوف وقع صفة
لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدها التنكير بالفخامة الاضافية اي كائنة من الله
تعالى وهي العافية والثبات على الايمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم وفضل اي
ربح في التجارة وتنكيره ايضا للتفخيم لم يمسسهم سوء حال اخرى من الضمير في فانقلبوا
او من المستكن في الحال كانه قيل منعمين حال كونهم سالمين عن السوء والحال اذا كانت
مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى
او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وعدمه كما في هذه الاية الكريمة وفي قوله ورد
الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا واتبعوا في كل ما اتوا من قول وفعل رضوان الله
الذي هو مناط الفوز بخير الدارين والله ذو فضل عظيم حيث تفضل عليهم بالتثبيت
وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة
على العدو وحفظهم عن كل ما يسوءهم مع اصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم

واظهار الخطاء في رايهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وقيل انهم قالوا هل
يكون هذا غزوا فاعطاهم الله عز وجل ثواب غزو ورضي عنهم انما ذلكم اشارة الى المثبط
او الى من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدأ وقوله تعالى
الشيطان اما خبره وقوله تعالى يخوف اولياءه جملة مستأنفة مبينة لشيطنته
او حال كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية الخ واما صفته والجملة خبر ويجوز
ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان اي
ابليس والمستكن في يخوف اما للمقدر واما للشيطان بحذف الراجع الى المقدر اي يخوف
به باولياءه اما ابو سفيان واصحابه فالمفعول الاول محذوف اي يخوفكم
اولياءه كما هو قراءة ابن عباس وابن مسعود ويؤيده قوله تعالى فلا تخافوهم اي اولياءه
وخافون في مخالفة امري واما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف اي يخوفهم
الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير البارز في فلا تخافوهم للناس
الثاني اي فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسوله
صلى الله عليه وسلم وسارعوا الى ما يامركم به والخطاب لفريقي الخارجين
والفاء لترتيب النهي او الانتهاء على ما قبلها فان كون المخوف شيطانا مما يوجب عدم
الخوف والنهي ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله عز وجل على خوف
غيره ويستدعي الامن من شر الشيطان واولياءه ولا يحزنك تلوين للخطاب وتوجيه له
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بتخصيصه بالتسلية والايذان باصالته
في تدبير امور الدين والاهتمام بشؤونه الذين يسارعون في الكفر اي يقعون فيه
سريعا لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وايثار كلمة في على ما وقع في قوله
تعالى وسارعوا الى مغفرة الاية للاشعار باستقرارهم في الكفر ودوام ملابستهم في
مبدا المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فان ذلك مؤذن
بملابستهم للخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي المسارعة وتضاعيفها واما ايثار كلمة الى
في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة فلان المغفرة والجنة
منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة من اليهود
حسبما عين في قوله تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين
قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا عن
الاسلام والتعبير عنهم بذلك للاشارة بما في حيز الصلة الى مظنة وجود المنهي عنه
واعرابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنوك بمسارعتهم في الكفر ومبادرتهم
الى تمشية احكامه ومظاهرتهم لاهله وتوجيه النهي الى مسارعتهم مع ان المقصود نهيه عليه
السلام عن التاثر منهم للمبالغة في ذلك لما ان النهي عن التاثير نهي عن التاثر باصله ونفي
له بالمرة وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك

مهنا قوله لا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاء والمعنى واحد وقيل
معنى حزنه جعل فيه حزنا كما في دهنه اي جعل فيه دهنا ومعنى احزنه جعله حزينا ع
وقوله معنى حزنه احدث له الحزن ومعنى احزنه عرضه للحزن انهم لن يضروا
الله تعليل للنهي وتكميل للتسلية بتحقيق نفي ضررهم ابدا اي لن يضروا بذلك اولياء
الله البتة وتعليق نفي الضرر به تعالى لتشريفهم والايذان بان مضارتهم بمنزلة مضارته
سبحانه وفيه مزيد مبالغة في التسلية وقوله تعالى شيئا في حيز النصب على
المصدرية اي شيئا من الضرر والتنكير لتاكيد ما فيه من القلة والحقارة وقيل
على نزع الجار اي بشيء ما اصلا وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه تعالى
وسلطانه شيئا كما روى ابو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لو ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في
ملك الله شيئا ولو ان اولكم وآخركم وجنكم وانسكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص
من ملك الله تعالى جناح بعوضة والاول هو الانسب بمقام التسلية والتعليل
يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة استئناف مبين لسر ابتلائهم بما هم فيه من
الانهماك في الكفر وفي ذكر الارادة من الايذان بكمال خلوص الداعي الى حرمانهم
وتعذيبهم حيث تعلقت بهما ارادة ارحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال
للدلالة على دوام الارادة واستمرارها اي يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم في الآخرة
حظا من الثواب ولذلك تركهم في طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر ولهم
مع ذلك الحرمان الكلي عذاب عظيم لا يقادر قدره قيل لما دلت المسارعة
في الشيء على عظم شانه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم رعاية
للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته في نفسه والجملة اما مبتدأة
مبينة لحظهم من العقاب اثر بيان ان لا حظ لهم من الثواب واما حال من الضمير
في لهم اي يريد الله حرمانهم من الثواب معدا لهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا
الكفر بالايمان اي اخذوه بدلا منه رغبة فيما اخذوه واعراضا عما تركوه
وقد مر تحقيق القول في هذه الاستعارة في تفسير قوله تعالى اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى لن يضروا الله شيئا تفسيره كما مر وفيه تعريض
ظاهرا باقتصار الضرر عليهم كأنه قيل وانما يضرون انفسهم فان جعل
الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بان يراد باشترائهم الكفر بالايمان ايثاره
عليه اما باخذه بدلا من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين او بالقوة
القريبة منه الحاصلة بمشاهدة دلائله في التوراة كما هو شان اليهود ومنافقيهم
فالتكرير لتقرير الحكم وتاكيده ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع فان ما ذكر
في حيز الصلة من الاشتراء المذكور صريح في لحوق ضرره بانفسهم وعدم تعديه اي

عنهم املا كيف لا وهو علم في الخسران الكلي والحرمان الابدي دال على كمال سخافة عقولهم
وركاكة آرائهم فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة الرأي
ورصانة التدبير من مضارة حزب الله تعالى وهو اعز من الابلق الفرد وامنع من
عقاب الجو وان اجري الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك
الشامل للعينين المذكورين ولاخذ الكفر بدلا مما نزل منزلة نفس الايمان من الاستعداد
القريب له الحاصل بمشاهدة الوحي الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الآفاق
والانفس كما هو دأب جميع الكفرة فالجملة مقررة لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلية
لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوز كون الموصول الاول عاما
للكفار والثاني خاصا بالمعهودين وانت خبير بانه مع خلوه عن النكت المذكورة مما
لا يليق بفخامة شان التنزيل لما ان صدور المسارعة في الكفر بالمعنى المذكور وكونها
مظنة لايراث الحزن لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يفهم من النهي عنه انما
يتصور ممن علم اتصافه بها واما من لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين في الاماكن
البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم واعتبار كونها من مبادي حزنه عليه السلام
مما لا وجه له وقوله تعالى ولهم عذاب اليم جملة مبتداة مبينة كمال فظاعة
عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت العادة باغتباط
المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة وبتألمه عند كونها
خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم
خير لانفسهم عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الذين الآية والفعل مسند الى الموصول
وان بما في حيزها سادة مسد مفعوليه عند سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلق
الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدأ والخبر ومسد احدهما والآخر محذوف عند
الاخفش وما مصدرية او موصولة حذف عائدها ووصلها في الكتابة لاتباع الامام
اي لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم او ان ما نمليه لهم خير لانفسهم او لا يحسبن الكافرون
خيرية املائنا لهم او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او واقعة وما لهم نهيهم عن السرور
بظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبان خيريته لهم وتحسيرهم ببيان انه شر محض وضرر
بحت كما ان مآل المعطوف عليه نهي الرسول عليه السلام عن الحزن بظاهر حال الكفرة
بناء على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عليه السلام ببيان عجزهم عن ذلك بالكلية
والمراد بالموصول اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلي احكام المعهودين
اندراجا اوليا واما المعهودون خاصة فايثار الاظهار لرعاية المقارنة الدائمة
بين الصلة وبين الاملاء الذي هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشانهم دهرا طويلا فان
المقارن له دائما انما هو الكفر المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور فانهما
من الاحوال المتجددة المنقضية في تضاعيف الكفر المستمر وقوله ولا تحسبن بالتاء الخطاب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بمقام التسلية او لكل من يتأتى منه الحسبان قصدا الى اشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول وانما نملي لهم بما في حيزه سادّ مسدّ المفعولين كما في قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض او انما يكون التعويل على البدل وهو مفعول ثان بتقدير مضاف اما فيه اي لا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او في المفعول الاول اي لا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما استئناف مبين لحكمة الاملاء وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على ايقاع الفعل عليه وكسرها فيما سبق على انه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء بابطال الحسبان وردّه على معنى لا يحسبن الكافرون ان املاءنا لهم لازدياد الاثم حسبما هو شأنهم بل انما هو لتلافي ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الايمان ولهم في الآخرة عذاب مهين لما تضمن الاملاء التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعي التعزز والتجبر وصف عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم جزاء وفاقا والجملة اما ابتداء مبينة لحالهم في الآخرة اثر بيان حالهم في الدنيا واما حال من الواو اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الاخيرة ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه كلام مستأنف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي اثر بيان عقوبتهم الاخروية والمراد بالمؤمنين المخلصون واما الخطاب فقد قيل انه لجمهور المصدقين من اهل الاخلاص واهل النفاق ففيه التفات في ضمن التلوين والمراد بما هم عليه اختلاط بعضهم ببعض واستواؤهم في اجراء احكام الاسلام عليهم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل انه للكفار والمنافقين وهو قول ابن عباس والضحاك ومقاتل واكثر المفسرين ففيه تلوين فقط ولعل المنافقين عطف تفسيري للكفار والا فلا شركة بين المؤمنين والمجاهدين في امر من الامور والمراد بما هم عليه ما مر من القدر المشترك فانه كما يجوز نسبته الى كل منهما لا الكفر والنفاق كما قيل فان المؤمنين ما كانوا مشاركين لهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل انه للمؤمنين خاصة وهو قول الاكثر من اهل المعاني ففيه تلوين والتفات كما مر والتعرض لايمانهم وفي الخطاب للاشعار بعلة الحكم والمراد بما هم عليه ما مر غير مرة والاول هو الاقرب والانسب المحققون من اهل التفسير لكونه صريحا في كون المراد بما هم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بخلاف القولين الاخيرين فانهما بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما عليه المنافقون هو الكفر والنفاق ومما عليه المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا القدر المشترك بينهما ولئن فهم ذلك فانما

يفهم من حيث الانتساب الى احدهما لا من حيث الانتساب اليهما معا وعليه يدور امر الاختلاط المحوج الى الافراز واللام في ليذر اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو رأي البصريين وانتصاب الفعل بعد بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يذر المؤمنين الخ ففي توجيه النفي الى ارادة الفعل تأكيد ومبالغة ليست في توجيهه الى نفسه واما مزيدة ناصبة للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفيين ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر في عملها وقوله عز وجل حتى يميز الخبيث من الطيب غاية لما يفيده النفي المذكور كأنه قيل ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط بل يقدر الامور ويرتب الاسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم تسجيل على كل منهما بما يليق به واشعار بعلة الحكم وافراد الخبيث والطيب مع تعدد ما اريد بكل منهما وكثرته لا سيما بعد ذكر ما اريد باحدهما اعني المؤمنين بصيغة الجمع للايذان بان مدار افراز احد الفريقين من الآخر هو اتصافهما بوصفهما لا خصوصية ذاتهما وتعدد آحادهما كما في مثل قوله تعالى ذلك ادنى ان لا تعولوا ونظيره قوله تعالى تدعو كل من فر عما ارضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرض لكون الموصوف من العقلاء او غيرهم وتعليق الميز بالخبيث المعبر به عن المنافق مع ان المتبادر مما سبق من عدم ترك المؤمنين في الاختلاط تعليقه بهم وافرازهم عن المنافقين لما ان الميز الواقع بين الفريقين انما هو بالتصرف في المنافقين وتغييرهم من حال الى حال مغايرة للاولى مع بقاء المؤمنين على ما كانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر مزيد اخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال الى حال اخرى مع بقاء المنافقين على ما هم عليه من الاستتار ولان فيه مزيد تأكيد للوعيد كما اشير اليه في قوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح وانما لم ينسب عدم الترك اليهم لما انه مشعر بالاعتناء بشأن من نسب اليه فان المتبادر منه عدم الترك على حالة غير ملائمة كما يشهد به الذوق السليم وقرئ حتى يميز من التمييز وقوله تعالى وما كان الله ليطلعكم على الغيب تمهيد لبيان الميز الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا لهم وقوله عز وجل ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اشارة الى كيفية وقوعه على سبيل الاجمال واظهار الاسم الجليل في الموضعين لتربية المهابة فالمعنى ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادي حتى يخرج المنافقين من بينهم وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله عليه السلام فيخبره بذلك وبما ظهر منهم من الاقوال والافعال حسبما حكي عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤوس الاشهاد ويخلصكم من صحبة الشركاء وسوء جوارهم والتعرض للاجتباء للايذان بان الوقوف على تلك الاسرار الغيبية لا يتأتى الا ممن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الامم واصطفاه على الجماهير لارشادهم وتعميم الاجتباء لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة

على أن شأنه في هذا الباب أمر متين له أصل أصيل جار في سنة الله تعالى المسلوك فيما بين
الرسل الخالية عليهم السلام وتعميم الأمر في قوله عز وجل فآمنوا بالله ورسله مع أن سوق
النظم الكريم للإيمان بالنبي عليه السلام لإيجاب الإيمان بالطريق البرهاني والإشعار بأن
ذلك مستلزم للإيمان بالكل لأنه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهداء بصحة نبوته عليه
السلام والمأمور به الإيمان بكل ما جاء به عليه السلام فيدخل فيه تصديقه عليه السلام فيما
أخبر به من أحوال المنافقين دخولا أوليا هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز
أن يكون المعنى لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بأن يكلفكم التكاليف الصعبة
التي لا يصبر عليها إلا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الأرواح في الجهاد وإنفاق الأموال
في سبيل الله تعالى فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في
قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور فإن ذلك مما استأثر
الله تعالى به وأنت خبير بأن الاستدراك باجتباء الرسل المنبئ عن مزيد مزيتهم وفضلهم
على الخلق إثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف على خفايا السرائر نطق بأن الوحي لا يطرق المنافقين
ما يؤدي إلى خروج أفرادهم عن رتبة الخفاء وأقرب من ذلك حمل الآية الكريمة على أن
تكون مسوقة لبيان الحكمة في إملائه تعالى للكفرة إثر بيان شريته لهم فالمعنى ما كان الله
ليذر المخلصين على الاختلاط أبدا كما تركهم كذلك إلى الآن لسر يقتضيه بل لا بد أن يميز عنهم المنافقين
ولذلك فعله يوم أحد حيث خلى الكفرة وشأنهم فأبرز لهم صورة الغلبة فأظهر من في قلوبهم
مرض ما فيها من الخبائث وافتضحوا على رؤوس الأشهاد وقيل قال الكافرون إن كان
محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وإن تؤمنوا أي بما ذكر من الإيمان وتتقوا
أي عدم مراعاة حقوقه أو النفاق فلكم بمقابلة ذلك الإيمان والتقوى أجر عظيم لا يبلغ
كنهه ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بيان لحال البخل وسوء
عاقبته وتخطئة لأهله في توهم خيريته حسب بيان حال الإملاء وإيراد ما يبخلون به بعنوان
إيتاء الله تعالى إياه من فضله للمبالغة في بيان سوء صنيعهم فإن ذلك من موجبات بذله
في سبيله كما في قوله تعالى وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند إلى الموصول
والمفعول الأول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير الفصل راجع إليه أي لا يحسبن الباخلون
بما آتاهم الله من فضله من غير أن يكون لهم مدخل فيه واستحقاق له هو خيرا لهم من إنفاقه وقيل
الفعل مسند إلى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى ضمير من يحسب والمفعول الأول
هو الموصول بتقدير مضاف والثاني ما ذكر كما هو كذلك في قراءة الخطاب أي ولا تحسبن
بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم التنصيص على شريته
لهم مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله تعالى
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لكيفية شريته أي سيلزمون وبال ما بخلوا به إلزام
الطوق على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه للإيذان بكمال المناسبة بينهما

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل الله
له شجاعا في عنقه يوم القيمة وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية في عنقه تنهشه
من قرنه إلى قدمه وتنقر رأسه وتقول أنا مالك ولله وحده لا لأحد غيره استقلالا أو اشتراكا
ميراث السموات والأرض أي ما يتوارثه أهلهما من مال وغيره من الرسالات التي يتوارثها
أهل السموات فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله أو أنه يرث منهم ما يمسكونه
ولا ينفقونه في سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة والله بما تعملون
من المنع والبخل خبير فيجازيكم على ذلك وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لتربية المهابة
والالتفات للمبالغة في الوعيد والإشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبائحهم
وقرئ بالياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء قالت
اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وقيل إنه عليه
السلام كتب مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه إلى يهود بني قينقاع يدعوهم إلى الإسلام وإقام الصلاة
وإيتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص إن الله فقير حين سألنا القرض
فلطمه أبو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك
فشكاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والجمع حينئذ مع كون
القائل واحدا لرضى الباقين بذلك والمعنى أنه لم يخف عليه تعالى وأعد له من العقاب
كفاءه والتعبير عنه بالسماع للإيذان بأنه من الشناعة والسماجة بحيث لا يرضى قائله
بأن يسمعه سامع والتوكيد القسمي للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد
سنكتب ما قالوا أي سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعاء في صحائف الملائكة الحفظة
أو سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتأكيد أي لن
يفوتنا أبدا تدوينه وإثباته لكونه في غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى
واستهزاء بالقرآن العظيم والرسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى
وقتلهم الأنبياء إيذانا بأنهما في العظم أخوان وتنبيها على أنه ليس بأول جريمة ارتكبوها
بل لهم فيه سوابق وأن من اجترأ على قتل الأنبياء لم يستبعد منه أمثال هذه العظائم
والمراد بقتلهم الأنبياء رضاهم بفعل أسلافهم وقوله تعالى بغير حق متعلق بمحذوف
وقع حالا من قتلهم أي كائنا بغير حق في اعتقادهم أيضا كما هو في نفس الأمر وقرئ سيكتب
على البناء للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع ونقول ذوقوا عذاب
الحريق أي وننتقم منهم بعد الكتبة بأن نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما أذقتم المسلمين
الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول
ذلك إشارة إلى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شأنه وبعد
منزلته في الهول والفظاعة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بما قدمت أيديكم أي بسبب ما اقترفتموه
من قتل الأنبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرهما من المعاصي والتعبير عن الأنفس بالأيدي

لما آل عامة افاعيلها من اول بهن وبحال ان في وقوله تعالى وان الله ليس بظلام
للعبيد الرفع في انه خبر مبتداء محذوف والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها
اي والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم
مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما
بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه
سبحانه من الظلم كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة
للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز
ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في صورة المبالغة في الظلم وقيل هي لرعاية جمعية
العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما لا كمّاً هذا وقد
قيل محل ان الجر بالعطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفي
الظلم مستلزم للعدل المقتضي لاثابة المحسن ومعاقبة المسيء وفساده ظاهر فان
ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب
حسبما ذكره القائل في سورة الانفال وقيل سببية ذنوبهم لعذابهم مقيدة
بانضمام انتفاء ظلمه تعالى اليها اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير
بان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة
بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه وانما يحتاج الى ذلك ان كان المدعي
ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين الذين قالوا نصب او رفع على الذم وهم كعب بن
الاشرف ومالك بن صيف وحيي بن اخطب وفنحاص بن عازوراء ووهب بن يهودا ان الله
عهد الينا اي امرنا في التورية واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار
كما كان عليه امر انبياء بني اسرائيل حيث كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل
نار من السماء فتاكل اي تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان
اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات سواء ولما كان
محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما
قالوا ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى قل اي تبكيتا لهم واظهارا
لكذبهم قد جاءكم رسل كثيرة العدد كبيرة المقدار من قبلي بالبينات اي بالمعجزات الواضحة
وبالذي قلتم بعينه من القربان الذي تأكله النار فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين اي فيما
يدل عليه كلامكم من انكم تؤمنون لرسول ياتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى وغيرهما
من الانبياء عليهم الصلاة والسلام قد جاؤكم بما قلتم في معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا لهم
حتى اجترأتم على قتلهم فان كذبوك شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
اثر ما اوحي اليه بما يحزنه عليه السلام من مقالات الكفرة من المشركين واليهود
وقوله تعالى فقد كذب رسل من قبلك تعليل لجواب الشرط اي فتسلّ فقد كذب الخ ومن

متعلقة

متعلقة بكذب او بمحذوف هو صفة لرسل اي كائنة من قبلك جاؤا بالبينات اي المعجزات
الواضحات صفة لرسل والزبر هو جمع زبور وهو الكتاب المقصود على الحكم من زبرته اذا حسنته
وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته والكتاب المنير قيل
اي التورية والانجيل والزبور والكتاب في عرف القرآن ما يتضمن الشرائع والاحكام
ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين في عامة المواقع وقرئ وبالزبر باعادة الجار
دلالة على انها مغايرة بالذات للبينات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق
والمكذب وقرئ ذائقةٌ الموتَ بالتنوين وعدمه كما في قوله ولا ذاكر الله الا قليلا
وانما توفون اجوركم اي تعطون اجزية اعمالكم على التمام والكمال يوم القيمة اي يوم قيامكم
من القبور وفي لفظة التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله
عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار
اي بعد عنها يومئذ ونحي والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل
الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر
ويؤتى الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع
الغرور شبهت بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على
الآخرة فاما من طلب بها الآخرة فهي له متاع بلاغ والغرور اما مصدر او جمع غار
لتبلون شروع في تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه
من جهة الكفرة من المكاره اثر تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه
ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام
الرجال والاستعداد للمكروه مما يهون الخطوب واصل الابتلاء الاختبار اي
تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسته او مفارقته وذلك
انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير فلا يكون
الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور قبل ان يرتب عليه شيئا هو من
بابه العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف اي والله لتبلون اي لتعاملن معاملة
المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة وفائدة التوكيد اما تحقيق معنى
الابتلاء تهوينا للخطب واما تحقيق وقوع المبتلى به مبالغة في الحث على ما اريد منهم من التهيؤ
والاستعداد في اموالكم بما يقع فيها من ضروب الآفات المؤدية الى هلاكها واما انفاقها في سبل
الخير مطلقا فلا يليق نظمه في سلك الابتلاء لما انه من باب الاضعاف لا من قبيل الاتلاف
وانفسكم بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من اصناف المتاعب والمخاوف والشدائد
ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اي من قبل ايتائكم القرآن وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار بمدار الشقاق

والايذان بان بعض ما يسمعون منهم مستند على زعمهم الى الكتاب كما في قوله تعالى ان
الله عهد الينا الخ والتصريح بالقبلية لتأكيد الاشعار وتقوية المدار فان تقدم نزول
كتابهم مما يؤيد تمسكهم به ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من الطعن في الدين الحنيف والقدح
في احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف
واضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحو ذلك مما لا خير فيه وان تصبروا اي على تلك الشدائد والبلوى عند ورودها وتقابلوها
بحسن التحمل وتتقوا اي تبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث تستوي
عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه فان ذلك اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه من
معنى البعد للايذان بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف الخطاب اما باعتبار
كل واحد من المخاطبين واما لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية
احوال المخاطبين من عزم الامور من معزوماتها التي يتنافس فيها المتنافسون اي مما
يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف او مما عزم الله تعالى عليه
وامر به وبالغ فيه يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله تعالى لا بد ان تصبروا وتتقوا
والجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كانه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير
لكم او فافعلوا او فقد احسنتم او فقد اصبتم بان ذلك الخ ويجوز ان يكون ذلك اشارة
الى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة ح جواب الشرط وفي ابراز الامر بالصبر والتقوى
في صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى واذ اخذ الله كلام مستأنف
سيق لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم ما في كتابهم من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وغيرها
واذ منصوب على المفعولية بمضمر امر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تلوين
الخطاب اثر الخطاب الشامل له عليه السلام للمؤمنين لكون مضمونه من الوظائف الخاصة
به عليه السلام وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها هي
المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها على ما مر بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال
ربك للملائكة اني جاعل الخ اي اذكر وقت اخذه تعالى ميثاق الذين اوتوا الكتاب وهم علماء
اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة في تقبيح حالهم لتبيننه حكاية لما خوطبوا
به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كانه قيل بالله لتبيننه للناس
ولتظهرن جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التي من جملتها امر نبوته صلى الله عليه وسلم
وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب ولا تكتمونه عطف على الجواب وانما لم يؤكد
بالنون لكونه منفيا كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل هو حال من ضمير المخاطبين
اما على اضمار مبتدأ بعد الواو اي وانتم لا تكتمونه واما على رأي من جوز دخول الواو على المضارع
المنفي عند وقوعه حالا اي لتبيننه غير كاتمين والنهي عن الكتمان بعد الامر بالبيان اما للمبالغة
في ايجاب المأمور به واما لان المراد بالبيان المأمور به ذكر الآيات الناطقة بنبوته

عليه السلام

عليه السلام وبالكتمان المنهي عنه القاء التأويلات الزائغة والشبهات الباطلة
وقرئ بالياء كما في مثله فنبذوه النبذ الرمي والابعاد اي طرحوا ما اخذ منهم
من الميثاق الموثق بفنون التأكيد والقوة وراء ظهورهم ولم يراعوه ولم يلتفتوا اليه
اصلا فان نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية كما ان
جعله نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة على حتم بيان الحق على علماء
الدين واظهار ما علموه من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة
او طمع في غرض من الاغراض الفانية الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب بن منبه اني ارى
الله سوف يعذبك بهذا الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت
ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل
ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا
حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا واشتروا به اي بالكتاب الذي امروا ببيانه ونهوا عن
كتمانه. ان ذكر نبذ الميثاق يدل على ذلك دلالة واضحة وايقاع الفعل على الكل مع
ان المراد به كتم بعضه كدلائل نبوته عليه السلام ونحوها لما ان ذلك كتم للكل
اذ به يتم الكتاب كما ان رفض اركان الصلاة رفض لكلها او بمنزلة كتم الكل من حيث
انهما سيان في الشناعة واستجرار العقاب كما في قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت
رسالته والاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا اي تركوا ما امروا به
واخذوا بدله ثمنا قليلا اي شيئا تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها وفي تسمية
هذه المعاملة بعقد المعاوضة لا سيما بالاشتراء المؤذن بالرغبة في المأخوذ والاعراض
من المعطى والتعبير عن المشترى الذي هو العمدة في العقد والمقصود بالمعاملة بالثمن
الذي شأنه ان يكون وسيلة اليه وجعل الكتاب الذي حقه ان يتنافس فيه المتنافسون
مصحوبا بالباء الداخلة على الآلات والوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة
حالهم وغاية قبحها بايثارهم الدنيء الحقير على الشريف الخطير وتعكيسهم بجعلهم المقصد الاصلي
وسيلة والوسيلة مقصدا ما لا يخفى جلالة شأنه ورفعة مكانه فبئس ما يشترون ما نكرة
منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون صفته والمخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يشترونه
ذلك الثمن لا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد ممن يصلح له الذين
يفرحون بما اتوا اي بما فعلوا كما في قوله تعالى انه كان وعده مأتيا ويدل عليه
قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ بما آتوا بمعنى اعطوا وبما اوتوا اي اوتوه من
علم التوراة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود حرفوا التوراة وفرحوا بذلك
واحبوا ان يوصفوا بذلك بالديانة والفضل وروي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم

صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النصوص
الناطقة بنبوته عليه السلام واحبوا ان يحمدوا بانهم متبعون ملة ابراهيم عليه
السلام فالموصول عبارة عن المذكورين او عن مشاهيرهم موضوع موضع ضميرهم
والجملة مسوقة لبيان ما تستتبعه اعمالهم المحكية من العقاب الاخروي اثر بيان قبحها
وقد ادمج فيها بيان بعض اخر من شنايعهم وهو اصرارهم على ما هم عليه من القبايح وفرحهم
بذلك ومحبتهم لان يوصفوا بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة وقد نظم ذلك
في سلك الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب
ايذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا
بانهم راوا المصلحة في ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب
بظاهر قوله تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا الشهرة انهم كانوا يفرحون
بما فعلوا من اظهار الايمان وقلوبهم مطمينة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين بالايمان
وهم عن فعله بالف منزل وكانوا يظهرون محبة المومنين وهم في الغاية القاصية
من العداوة فالموصول عبارة عن طايفة معهودة من المذكورين وغيرهم فان اكثر
المنافقين كانوا من اليهود ولعل الاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من يأتي
بشيء من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب ويود ان يمدحه الناس بما هو عار منه من الفضايل
منتظما للمعهودين انتظاما اوليا واياما كان فهو مفعول اول لتحسبن وقوله تعالى
فلا تحسبنهم تاكيد له والفا زايدة والمفعول الثاني قوله تعالى بمفازة من العذاب
اي ملتبسين بنجاة منه على ان المفازة مصدر ميمي ولا يضر تاثيرها لانها مبنية على التا كما
مبنية عليها وليست للدلالة على الواحدة كما في قوله ٥
فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا بالموارد
ولا سبيل الى جعلها اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها اي بمفازة
كاينة من العذاب لانها ليست من العذاب وتعديته بفعل خاص يعتبر به المعنى اي بمفازة
منجية من العذاب مع كونه خلاف الاصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم البا في الفعلين
على ان الخطاب شامل للمومنين ايضا وقرئ بيا الغيبة وفتح البا فيهما على ان الفعل
له عليه السلام او لكل واحد ممن يأتي منه الحسبان ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم
البا في الثاني فقط على ان الفعل للموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عين الفاعل
والثاني بمفازة اي لا يحسبن الذين يفرحون انفسهم فايزين وقوله تعالى فلا يحسبنهم
تاكيد للاول والفا زايدة كما مر ويجوز ان يحمل الفعل الاول على حذف المفعولين معا ٤
اختصارا لدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله باي كتاب او باية سنة ترى حبهم
عارا علي وتحسب حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الاول عليهما او على ان الفعل
الاول للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل حاسب ومفعوله الاول الموصول والفا

للعطف

للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانه عليه السلام ومفعولاه المضمير
المنصوب قوله تعالى بمفازة وتقديرا لوعيد بتهم عن الحسبان المذكور ٤
للتنبيه على بطلان ارائهم الركيكة وقطع اطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم
ينجون بما صنعوا من عذاب الاخرة كما نجا به من المواخذة الدنيوية وعليه كان ينبني فرحهم
واما نهيه صلى الله عليه وسلم فللتعريض بحسبانهم المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان
من جهته صلى الله عليه وسلم ولهم عذاب اليم بعد ما اشير الى عدم نجاتهم من مطلق
العذاب حقق ان لهم فردا منه لا غاية له في المدة والشدة كما يلوح به الجملة الاسمية
والتنكير التفخيمي والوصف ولله اي خاصة ملك السموات والارض اي السلطان القاهر
فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما بينهما كيف ما يشا ويريد ايجادا واعداما احيا واماتة
تعذيبا واثابة من غير ان يكون لغيره شايبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه ٤
فالجملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى والله على كل شيء قدير تقرير لاختصاص ملك
العالم الجسماني المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فان كونه تعالى قادرا على الكل بحيث
لا يشذ من ملكوته شيء من الاشيا يستدعي كون ما سواه كاينا ما كان مقدورا له ومن ضرورته
اختصاص القدرة به تعالى واستحالة ان يشاركه شيء من الاشيا في القدرة على شيء من الاشيا
فضلا عن المشاركة في ملك السموات والارض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم
لهم وعدم نجاتهم منه اثر تقرير واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة ٤
والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشيا من احكام الالوهية مع ما فيه
من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير ان في خلق السموات جملة مستانفة سيقت
لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة
التاكيد اعتنا بتحقيق مضمونها اي في انشايها على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها من الامور
التي يحار في فهم اجلاها العقول والارض على ما هي ذاتا وصفة واختلاف الليل
والنهار اي تعاقبهما في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للاخر بحسب طلوع الشمس وغروبها
التابعين لحركات السموات والارض وسكون الارض او في تفاوتهما بازدياد حال كل منهما
بانتقاص الاخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب
الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة
من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد القريبة
والبعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كروية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات
في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وفي بعضها صباحا وفي بعضها ظهرا او عصرا وغير
ذلك والليل قيل انه اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتا كتمر وتمرة والليالي جمع
جمع والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها
ليلاة كما في كيكة وكيالي كانها جمع كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس

٣

قال الراغب وقال ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم الليل على النهار
اما لانه الاصل فان غرر الشهور تظهر في الليالي واما لتقدمه في الخلقية حسبما ينبئ
عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار اي نزيله عنه فيخلفه لآيات اسم
ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة عظيمة
لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤونه التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم
والقدرة التامة به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك
والمطر وتصريف الرياح والسحاب لما ان المقصود ههنا بيان استبداده تعالى بما
ذكر من الملك والقدرة فاكتفي بمعظم الشواهد الدالة على ذلك واما هناك فقد
قصد في ضمن بيان اختصاصه تعالى بالالوهية بيان اتصافه تع بالرحمة الواسعة
فنظمت دلايل الفضل والرحمة في دلايل التوحيد فان ما فصل هناك من آيات
رحمته تع كما انه من آيات الوهيته ووحدته لاولي الالباب اي لذوي العقول
المجلوة الخالصة عن شوايب الحس والوهم المجردين عن العلايق النفسانية المخلصين
عن العوايق الظلمانية المتأملين في احوال الحقايق واحكام النعوت المراقبين في
اطوار الملك والملكوت المتفكرين في بدايع صنايع الملك الخلاق المتدبرين في
ودايع حكمه المودعة في الانفس والآفاق الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والتدبر
المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود المثابرين على مراقبته وذكراه غير ملتفتين
الى شيء مما سواه الا من حيث انه مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة صنعات كماله
فان كل ما ظهر في مظاهر الابداع وحضر محاضر التكوين والاختراع سبيل سوي الى
عالم التوحيد ودليل قوي على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته فهل من سامع
وواع ومخبر بانباء علمه وحكمته فهل من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد الجواب
حسب عقولهم يحاور تارة باوضح عبارة ويلوح اخرى بالطف اشارة من اعيان في
الجواز ابهامهم ونصر بحجتهم وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم
فتأمل هذه الشؤون والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وعن عايشة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل لك يا عايشة ان
تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك
قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي
فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي
ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة
الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فقال يا بلال أفلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي وقد
انزل الله تع علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض الآية ثم قال ويل لمن قرأها

ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن علي رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول
ان في خلق السموات والارض الآية الذين يذكرون الله الموصول اما موصول باولي
الالباب مجرور على انه نعت كاشف له بما في حيز الصلة واما مفصول عنه مرفوع
او منصوب على المدح او مرفوع على انه خبر لمبتدا محذوف وقيل هو مرفوع
على الابتداء والخبر هو القول المقدر وقيل قوله تعالى ربنا وفيه من تفكيك
النظم الجليل ما لا يخفى وايا ما كان فقد اشير بما في حيز صلته ان المراد بهم الذين
لا يغفلون عنه تعالى في عامة اوقاتهم لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرايرهم
في مراقبته لما ايقنوا بان كل ما سواه فايض منه وعايد اليه فلا يشاهدون حالا
من الاحوال في انفسهم واليه اشير بقوله تعالى قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولا في
الآفاق واليه اشير بما بعده الا وهم يعاينون في ذلك شانا من شؤونه تعالى فالمراد
به ذكره تعالى مطلقا سواء كان من حيث الذات او من حيث الصفات والافعال
وسواء قارنه الذكر اللساني اولا واما ما حكي عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة
رضي الله عنهم من انهم خرجوا يوما الى العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال
بعضهم اما قال الله تع يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم
فليس مرادهم تفسير الآية وتحقيق مصداقها على التعيين وانما ارادوا به التبرك بنوع
موافقة لها في ضمن الاتيان بفرد من افراد مدلولها وما حمل الذكر على الصلوة في
هذه الاحوال حسب الاستطاعة حيث قال عليه السلام لعمران بن حصين صل
قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فمما لا يساعده سياق
النظم الجليل ولا سباقه والقيام والقعود جمع قايم وقاعد كنيام ورقود جمع نايم وراقد
وانتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون اي قايمين وقاعدين وقوله تعالى
وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحالين اي وكاينين على جنوبهم اي
مضطجعين والمراد تعميم الذكر للاوقات كما مر وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر
ليس لتخصيص الذكر بها بل لانها الاحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الانسان غالبا ويتفكرون
في خلق السموات والارض عطف على يذكرون منتظم معه في حيز الصلة فلا محل له من الاعراب
وقيل محله النصب على انه معطوف على الاحوال السابقة وليس بظاهر وهو بيان
لتفكرهم في افعاله سبحانه اثر بيان تفكرهم في ذاته تعالى على الاطلاق واشارة الى النتيجة
التي يؤدي اليها من معرفة احوال المعاد حسبما نطقت به السنة الرسل وآيات الكتب
فكما انه آيات تشريعية هادية للخلق الى معرفته تع ووجوب طاعته كذلك المخلوقات
آيات تكوينية مرشدة لهم الى ذلك فالاولى منبهات لهم على الثانية ودواع الى الاعتناء
بها كهذه الآية الكريمة ونحوها مما ورد في مواقع غير محصورة من التنزيل والثانية

موئدات للاوليا وشواهد دالة على صحة مضمونها وحقيقة مكنونها فان من تامل في تصانيف
خلق العالم على هذا النمط البديع قضى باتصاف خالقه بجميع ما نطقت به الرسل
والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة
والعلم الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بان من قدر على
انشايه بلا مثال يحتذيه او قانون ينتحيه فهو على اعادته بالبعث اقدر وحكم
بان ذلك ليس الا للحكمة باهرة هي جزا المكلفين بحسب استحقاقهم المنوط باعمالهم اي
علومهم واعتقاداتهم التابعة لانظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلايل والامارات
والمخايل وساير اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح بل
متناول للعمل القلبي بل هو اشرف من الثاني لو عمله ايضا اشرف من عمله كيف لا ولا
عمل بدون معرفته تعالى التي هي اول الواجبات على العباد والغاية القصوى من الخلق
على ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون كما
اعرب عنه قوله عليه السلام كنت كنزا لا يعرف فاحببت ان اعرف فخلقت
الخلق لاعرف وانما طريقها النظري التفكر فيما ذكر من شؤنه تعالى وقد روي عنه
عليه السلام انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل
اهل الارض قالوا وانما كان التفكر في امر الله تع ولذلك قال عليه السلام
لا عبادة مثل التفكر وقد عرفت انه يستتبع لتحقيق ما جاءت به الشريعة الحقة
والا لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا بقوله عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع
عن محارم الله تع فان التورع عن محارمه سبحانه موقوف على معرفة الحلال والحرام
المنوط بالكتاب والسنة ثم يتصادق الايات التكوينية ويتوافق الادلة العقلية
والسمعية وهو السر في نظم ما حكي عن المتفكرين من الامور المستدعية للايمان الشرعي
في سلك نتيجة تفكرهم كما سيقف عليه واظهار خلق السموات والارض مع كفاية
الاضمار لابراز كمال العناية ببيان حالهم والايذان بكون تفكرهم على وجه التحقيق
والتفصيل وعدم التعرض لادراج اختلاف الملوين في سلك التفكر مع ذكره
فيما سلف اما للايذان بظهور اندراجه فيه لما ان ذلك من الاحوال التابعة
لاحوال السموات والارض كما اشير اليه واما للاشعار بمسارعتهم الى الحكم
بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الايات من غير حاجة الى البعض الاخر منها في اثبات المطلوب
والخلق مصدر على حاله اي يتفكرون في انشايهما وابداعهما بما فيهما من عجايب
المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على ان الاضافة بمعنى في اي يتفكرون فيما خلق
فيهما اعم من ان يكون بطريق الجزئية منهما او بطريق الحلول فيهما او على انها
بيانية ربنا ما خلقت هذا باطلا كلمة هذا اشارة الى السموات والارض متضمنة

بعزب

يعزب من التعظيم كما في قوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والتذكير
لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق او الى الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق
وباطلا اما صفة لمصدر موكد محذوف او حال من المفعول به اي ما خلقت هذا
المخلوق البديع العظيم الشان عبثا عاريا من الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه
اوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح
عظيمة من جملتها ان يكون مدارا لمعايش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال
المبدي والمعاد حسبما افصحت عنه الرسل والكتب الالهية كما حققته مفصلا والجملة
بتمامها في حيز النصب بقول مقدر هو في تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب
استيناف مبين لنتيجة التفكر ومدلول الايات ناشئ مما سبق فان النفس عند سماع
تخصيص الايات المنصوبة في خلق العالم باولي الالباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى
والتفكر في محال تلك الايات تبقى مترقبة لما يظهر منهم من اثارهما واحكامهما كانه قيل
فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وماذا يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت
وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي الى معرفة صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة
بتفاصيل الاحكام الشرعية في التفصيل الذي وقفت عليه هذا واما جعله حالا من المستكن
في الفعل كما اطبق عليه الجمهور فمما لا يساعده جزالة النظم الكريم لما ان ما في حيز الصلة
وما هو قيد له حقه ان يكون من مبادي الحكم الذي اجري على الموصول ودواعي
ثبوته له كذكرهم لله عز وجل في عامة اوقاتهم وتفكرهم في خلق السموات والارض فانهما
مما يؤدي الى اجتلاء تلك الايات والاستدلال بها على المطلوب ولا ريب في ان قولهم
ذلك ليس من مبادي الاستدلال المذكور بل من نتايجها المترتبة عليه فاعتباره قيدا لما في حيز
الصلة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك في تقدير كون الموصول مرفوعا
او منصوبا في المدح او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف اذ لا اشتباه في ان قولهم
ذلك من مبادي مدحهم ومحاسن مناقبهم وفي ابراز هذا القول في معرض الحال دون الخبر
اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم وتردد في ذلك قوله تعالى سبحانك اي تنزيها
لك مما لا يليق بك من الامور التي من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض موكد لمضمون ما قبله
وممهد لما بعده من قوله تع فقنا عذاب النار فان معرفة سر خلق العالم وما فيه
من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما يقتضيه مما يقتضيه من الاعمال الصالحة
وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعي الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك من وجهين احدهما
الوقوف على تحقق العذاب فالفا لترتيب الدعا على ما ذكر والثاني الاستعداد لقبول
الدعا فالفا لترتيب المدعو اعني الوقاية على ذلك كانه قيل واذ قد عرفنا سر خلقك
واطعنا امرك ونزهناك عما لا ينبغي فقنا عذاب النار الذي هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك ربنا
انك من تدخل النار فقد اخزيته مبالغة في استدعاء الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالندا

للمبالغة في التضرع والجؤار وتأكيدها لإظهار كمال اليقين بمضمونها والإيذان بشدة الخوف وإظهار النار في موضع الإضمار لتهويل أمرها وذكر الإدخال في موقع العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته قال الواحدي للإخزاء معان متقاربة يقال أخزاه الله أي أبعده وقيل أهانه وقيل أهلكه وقيل فضحه قال ابن الأنباري الخزي لغة الهلاك بتلف أو بانقطاع حجة أو بوقوع في بلاء والمعنى فقد أخزيته خزيا لا غاية وراءه كقولهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك أي المرعى الذي لا مرعى بعده وفيه من الإشعار بفظاعة العذاب الروحاني ما لا يخفى وقوله تعالى وما للظالمين من أنصار تذييل لإظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تأكيد الاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين لذمهم والإشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الأشياء في غير مواضعها وجمع الأنصار بالنظر إلى جمع الظالمين أي ما لظالم من الظلمة نصير من الأنصار والمراد من ينصر بالمدافعة والقهر فليس في الآية دلالة على نفي الشفاعة على أن المراد بالظالمين هم الكفار ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان حكاية لدعاء آخر لهم مبني على تأملهم في الدليل السمعي بعد حكاية دعائهم السابق المبني على التفكر في الأدلة العقلية وتصدير مقدمة الدعاء بالنداء لإظهار كمال الضراعة والابتهال والتأكيد للإيذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديته بإلى لتضمنها معنى الانتهاء وباللام لاشتمالها على معنى الاختصاص والمراد بالمنادي الرسول صلى الله عليه وسلم وتنوينه للتفخيم وإيثاره على الداعي للدلالة على كمال اعتنائه بشأن الدعوة وتبليغها إلى الداني والقاصي لما فيه من الإيذان برفع الصوت وينادي صفة لمناديا عند الجمهور كما في قولك سمعت رجلا يقول كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالا منه كما إذا قلت سمعت زيدا يقول الخ ومفعول ثان لسمعنا عند الفارسي وأتباعه وهذا أسلوب بديع يصار إليه للمبالغة في تحقيق السماع والإيذان بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل إلى تفصيله واستحضار صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادي ثم وصف بالنداء للإيمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما أن التفسير بعد الإبهام والتقييد بعد الإطلاق أوقع عند النفس وأجدر بالقبول قيل المنادي القرآن العظيم أن آمنوا أي آمنوا على أن أن تفسيرية أو بأن آمنوا على أنها مصدرية بربكم بمالككم ومتولي أموركم ومبلغكم إلى الكمال وفي إطلاق الإيمان ثم تقييده تفخيم لشأنه فآمنا أي فامتثلنا بأمره وأجبنا نداءه ربنا تكرير للتضرع وإظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته مع الإيمان به وقوله تعالى فاغفر لنا الترتيب المغفرة أو الدعاء بها على الإيمان به تعالى والإقرار ذنوبنا أي كبائرنا فإن الإيمان يجب

ما قبله وكفر عنا سيئاتنا أي صغائرنا فإنها مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الأبرار أي مخصوصين بصحبتهم معتنمين بجوارهم معدودين من زمرتهم وفيه إشعار بأنهم كانوا يحبون لقاء الله ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والأبرار جمع بار أو بر كأصحاب وأرباب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك حكاية لدعاء آخر لهم مسبوق بما قبله معطوف عليه لتأخره التحلية عن التخلية وتكرير النداء لما مر مكررا والمراد بالموعود الثواب وعلى متعلقة بالوعد كما في قولك وعد الله الجنة على الطاعة أي وعدتنا على تصديق رسلك أو بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف أي وعدتنا وعدا كائنا على ألسنة رسلك وقيل التقدير منزلا على رسلك أو محمولا على رسلك ولا يخفى أن تقدير الأفعال الخاصة في مثل هذه المواقع تعسف وجمع الرسل مع أن المنادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما أن دعوته عليه السلام لا سيما في باب التوحيد وما أجمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام كيف لا وقد أخذ منهم الميثاق بالإيمان به عليه السلام وقوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب الآية وكذا الموعود على لسانه من الثواب موعود على ألسنة الكل وإيثار الجمع لإظهار كمال الثقة بإنجاز الموعود بناء على كثرة الشهود ولا تخزنا يوم القيامة قصدوا بذلك تذكير وعده تعالى بقوله يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه مظهرين أنهم ممن آمن معه رجاء للانتظام في سلكهم يومئذ وقوله تعالى إنك لا تخلف الميعاد تعليل لتحقيق ما نظموا في سلك الدعاء وهذه الدعوات وما في تضاعيفها من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم من إخلاف الميعاد بل لخوفهم من أن لا يكونوا من جملة الموعودين بتغير الحال وسوء الخاتمة والمآل فمرجعها إلى الدعاء بالتثبيت أو للمبالغة في التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه البعث بعد الموت وفي الآثار عن جعفر الصادق من حزبه أمر فقال ربنا ربنا خمس مرات أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد والمراد هذه الآية فاستجاب لهم ربهم الاستجابة بمعنى الإجابة فقال تاج القراء الإجابة عامة والاستجابة خاصة بإعطاء المسؤول وتتعدى باللام وبنفسها كما في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب وهو عطف على الاستئناف المقدر فيما سلف مرتب على ما في حيزه من الأدعية كما أن قوله تعالى ثم قيل للذين ظلموا الخ عطف على قيل المقدر قبل الآن أي قيل لهم الآن آمنتم به ثم قيل الآية وكما أن قوله تعالى في سورة الأعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى أو لم يهد الخ كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع الخ ولا ضير في اختلافهما صيغة لما أن صيغة المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار المناسب لمقام الدعاء وصيغة الماضي ههنا للإيذان بتحقق الاستجابة وتقررها كما لا ضير في الاختلاف بين قوله تعالى إذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سيأتي ونحوه أن يكون معطوفا على مضمر ينساق إليه الذهن أي دعوا

بهذه الادعية فاستجاب الخ واما على تقدير كون المقدر حالا فهو عطف على يتفكرون
باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعني قوله تعالى ربنا اننا الخ فان الاستجابة
مترتبة على دعواتهم لا على مجرد تفكرهم وحيث كانت هي من اوصافهم الجميلة المنبئة
عن اعمالهم بالآخرة استحقت الانتظام في سلك محاسنهم المعدودة في اثناء مدحهم
واما على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب فلا مساغ لهذا العطف اصلا لما
عرفت من ان حق ما في حيز الصلة ان يكون من مبادي جريان الحكم على الموصول وقد عرفت
ان دعواتهم السابقة ليست كذلك فان الاستجابة المتاخرة عنها وفي التعرض لعنوان
الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم واظهار
اللطف بهم ما لا يخفى انى لا اضيع عمل عامل منكم اي باني وهكذا قرأ ابي رحمه الله والباء
للسببية كانه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم اي سنته
السنية مستمرة على ذلك والالتفات الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء
بشان الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والمراد تاكيدها ببيان سببها
والاشعار بان مدارها اعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء وتعميم الوعد
لسائر العاملين وان لم يبلغوا درجة اولي الالباب لتاكيد استجابة الدعوات المذكورة
والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة مع انه ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة
للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة
ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه وقرئ
بكسر الهمزة على ارادة القول اي قائلا اني الخ فلا التفات ح وقرئ لا اضيع بالتشديد
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل اي عامل كائن منكم قوله تعالى من ذكر او انثى
بيان لعامل وتاكيد لعمومه قوله تعالى بعضكم من بعض جملة معترضة مبينة لسبب
انتظام النساء في سلك الرجال في الوعد فان كون كل منهما من الآخر لتشعبهما من اصل واحد
ولفرط الاتصال بينهما او لاتفاقهما في الدين والعمل مما يستدعي الشركة والاتحاد في ذلك
روي ان ام سلمة رضي الله تعالى عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسمع
الله تعالى يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت قوله تع فالذين هاجروا الخ تفسير
لما اجمل في العمل وتعداد لبعض احاسن افراده على وجه المدح والتعظيم اي فالذين هاجروا
الشرك او الاوطان والعشائر للدين قوله تعالى واخرجوا من ديارهم في الاول
عبارة عن نفس الهجرة وفي الثاني عن كيفيتها وكونها بالقسر والاضطرار واوذوا في سبيلي
اي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين وقاتلوا
اي الكفار في سبيل الله تعالى وقتلوا استشهدوا في القتال وقرئ بالعكس لما ان الواو
لا تستدعي الترتيب او لان المراد قتل بعضهم وقتال آخرين اذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد
من افراد الموصول بجميع الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع

او بطريق

او بطريق حذف بعض الموصولات من البين كما هو رأي الكوفيين كيف لا ولو اريد الحكم على
اتصاف كل فرد بالكل لكان تداضيع عمل من اتصف بالبعض وقرئ قتلوا بالتشديد لاكفرن
عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف اي والله لاكفرن والجملة القسمية خبر للمبتدأ الذي هو الموصول
وهذا تصريح بوعد ما سأله الداعون بخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما قوله تع
ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم واتنا
ما وعدتنا على رسلك وتفسير له ثوابا مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير السيئات وادخال
الجنة في معنى الاثابة قوله تع من عند الله متعلق بمحذوف هو صفة له مبينة لشرفه اي
لاثيبنهم اثابة كائنة او تثويبا كائنا من عنده تعالى بالغا الى المرتبة القاصية من الشرف
قوله تع والله عنده حسن الثواب اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والاسم الجليل
مبتدأ خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على
المبتدأ او هو مبتدأ ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول والعندية عبارة عن
الاختصاص به تعالى مثل كونه بقدرته تع وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال شي يكون
بحضرة احد عليه لغيره فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما للحسن الثواب
او لا وفي تصدير الوعد الكريم بعد اضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذي لا يقادر قدره
من لطف المسلك المنبئ عن عظم شان المحسن ما لا يخفى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد بيان لقبح
ما اوتي الكفرة من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة شانها وسوء مغبتها اثر بيان حسن ما اوتي المؤمنون
من الثواب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على ان المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله تع
ولا تطع المكذبين او على ان المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مداره لقوم ورؤسائهم
والمراد ابناؤهم او لكل احد ممن يصلح للخطاب من المؤمنين والنهي للمخاطب وانما جعل للتقلب
مبالغة اي لا تنظر الى ما عليه الكفرة من السعة ووفور الحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى منهم من التبسط
في المكاسب والمتاجر والمزارع قيل ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء
ولين عيش فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت
وقرئ لا يغرنك بنون الخفيفة متاع قليل خبر لمبتدأ محذوف اي هو متاع قليل لا قدر له في
جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى قال عليه السلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل
احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع فاذا لا يجدي وجوده لواجديه ولا يضر فقدانه
لفاقديه ثم مأواهم اي مصيرهم الذي ياوون اليه جهنم التي لا يوصف عذابها قوله
تع وبئس المهاد ذم لها وايذان بان مصيرهم اليها مما جنته انفسهم وكسبته ايديهم والمخصوص
بالذم محذوف اي بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها بيان لكمال حسن حال المؤمنين غب بيان وتكرير له اثر تمهيد مع زيادة
خلودهم في الجنات ليتم بذلك سرورهم ويزداد تحسرهم ويتكامل سوء حال الكفرة وابراز التقوى
في حيز الصلة للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصي

في حيز الصلة للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى فالموصول مبتداء والظرف خبره وجنات مرتفع به في الفاعلية لاعتماده على المبتدى والظرف خبر لجنات والجملة خبر للموصول وخالدين فيها اي في الجنات حال مقدرة من الضمير او من جنات لتخصصها بالوصف والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار نزلا من عند الله وقرئ بسكون الزاء وهو ما يعد للنازل من طعام وشراب وغيرهما قال ابو الشعر الضبي

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا • جعلنا القنا والمرهفات له نزلا •

وانتصابه على الحالية من جنات لتخصصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من الله تعالى وما عند الله خير لما كثيرة لدوامه تع للابرار متعلق بمحذوف هو صفة لخير اي ما عنده تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن للابرار اي مما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفات المعدودة من اعمال البر كما انها من قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله جملة مستانفة سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اربعون من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا قيل المراد به اصحمة النجاشي فانه لما مات نعاه جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع فنظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت وانما دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كما في قوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين وتاخير ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقرآن في الذكر مع ان الامر بالعكس في الوجود لما انه عيار ومهيمن عليهما فان ايمانهم بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم به اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منها انما يعتبر من حيث ثبوته بالقرآن ولتعلق ما بعده بهما والمراد بايمانهم بهما ايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو دين المحرفين وانباعهم من العامة خاشعين لله حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبله وتوسطها في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لان ذلك لاظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم اولئك اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عدّ من صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو مبتداء خبره قوله تعالى لهم وقوله اجرهم اي المختص بهم الموعود لهم وقوله تع اولئك يؤتون اجرهم مرتين

وقوله تع يوتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف في الفاعلية او على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر لاولئك وقوله تعالى عند ربهم نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف كالصفة ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه بجميع الاشيا فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة الى تامل والمراد بيان سرعة وصول الاجر الموعود اليهم يا ايها الذين امنوا اصبروا اي على مشاق الطاعات وغير ذلك من المكاره والشدائد وصابروا اي غالبوا اعداء الله تع بالصبر في مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق ورابطوا اي اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو ومستعدين له قوله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله في مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر من انواع التقوى لكن بمنه اندراجا اوليا لعلكم تفلحون كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب • الناجين عن كل المكروب • عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة آل عمران يوم الجمعة اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه والملائكة حتى تجب

الشمس والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم • وبه الاعانة •

يا ايها الناس خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين والحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف الا عند الحنابلة بل اما بطريق تغليب الفريقين الاولين على الاخيرين واما بطريق حكمه لهما بدليل خارجي كان الاجماع منعقد على ان اخر الامة مكلف بما كلف به اولها كما ينبئ عنه قوله عليه السلام الحلال ما جرى على لساني الى يوم القيمة والحرام ما جرى على لساني الى يوم القيمة وقد فصل في موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لاختصاص الاوامر والنواهي بمن يتصور منه الامتثال واما ادراجهم في خطاب ما عدا الامر مما له دخل في تاكيد التكليف وتقويه الايجاب فستعرف حاله ولفظ الناس تناولها حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن في الامر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وان كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص لفظ الناس ببعض افراده والمامور به انما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك واما التقوى مما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اي اتقوه في مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق

أو في مخالفة تكاليفه الواردة علينا وأيا ما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية
والتربية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لتأييد وتأكيد إيجاب الامتثال به على طريق
الترغيب والترهيب ولذا وصف الرب بقوله تعالى ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ فإن
خلقه تعالى إياهم على هذا النمط البديع لأنبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها
عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر قدرها من أقوى الدواعي إلى الاتقاء من موجبات
نقمته وأتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله تعالى إياهم صنوانا مفرعة من أرومة
واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن الإخلال بمراعاة ما بينهم
من حقوق الأخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للأمم السالفة أيضا مع اختصاصه
بما قبل بالمؤمنين بناء على أن تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات الأمر
بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيك للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لأن خلقه
تعالى للمأمورين من نفس آدم عليه السلام حيث كان بواسطة ما بينهم وبينه عليه السلام
من الآباء والأمهات كان التعرض لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسايط جميعا وكذا التعرض
لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته تعالى لأصولهم قاطبة لا سيما وقد نطق بذلك
قوله تعالى ﴿وخلق منها زوجها﴾ فإنه مع ما عطف عليه صريح في ذلك وهو معطوف
إما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لأن تفريع الفروع من أصل واحد يستدعي إنشاء ذلك
الأصل لا محالة كأنه قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها أولا ﴿وخلق منها زوجها﴾ الخ وهو
استئناف سيق لتقرير وحدة المبدأ وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما أجمل أولا أو صفة
لنفس مفيدة لذلك وإما على خلقكم داخل معه في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر أولا
وإعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الأول كما في قوله تعالى
﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم﴾ الخ لإظهار ما بين الخلقين من التفاوت
فإن الأول بطريق التفريع من الأصل والثاني بطريق الإنشاء من المادة فإنه تعالى خلق حواء
من ضلع آدم عليه السلام روي أنه عز وجل لما خلقه عليه السلام وأسكنه الجنة ألقى
عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى فلما انتبه
وجدها عنده وتأخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما أن ذكر خلقهم أدخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على
الامتثال بالأمر بالتقوى من ذكر خلقها وتقديم الجار والمجرور للاعتناء ببيان مبدئيته
عليه السلام لها مع ما فيه من التشويق إلى المؤخر كما مر مرارا وإيرادها بعنوان الزوجية
تمهيد لما بعده من التناسل ﴿وبث منهما﴾ أي نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق
التوالد والتناسل ﴿رجالا كثيرا﴾ نعت لرجالا مؤكد لما أفاده التنكير من الكثرة والإفراد باعتبار
معنى الجمع أو العدد روي هو نعت لمصدر مؤكد للفعل أي بثا كثيرا ﴿ونساء﴾ أي كثيرة وترك
التصريح بها للاكتفاء بالوصف المذكور وإيثارهما على ذكورا وإناثا لتأكيد الكثرة والمبالغة
فيها بترشيح كل فرد من الأفراد المبثوثة لمبدئية غيره وقرئ وخالق وباث على حذف المبتدأ

أي وهو خالق وباث ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به﴾ تكرير للأمر وتذكير لبعض آخر من موجبات
الامتثال به فإن سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بأن يقولوا أسألك بالله وأنشدك الله
على سبيل الاستعطاف يقتضي الاتقاء من مخالفة أوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء
بالاسم الجليل لمزيد التأكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية المهابة وإدخال
الروعة لوقوع التساؤل به لا بغيره من أسمائه تعالى وصفاته وتساءلون أصله تتساءلون من
التفاعل فطرحت إحدى التاءين تخفيفا وقرئ بإدغام تاء التفاعل في السين لتقاربهما
في الهمس وقرئ تسألون من الثلاثي أي تسألون به غيركم وقد فسر به القراءة الأولى والثانية
وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك رأيت الهلال وتراءيناه وبه فسر
عم يتساءلون على وجه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة إلى السين ﴿والأرحام﴾ بالنصب
عطفا على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة تساءلون به وبالأرحام
فإنهم كانوا يقرنونها في السؤال والمناشدة بالله عز وجل ويقولون أسألك بالله وبالرحم
أو عطفا على الاسم الجليل أي اتقوا الله والأرحام وصلوها ولا تقطعوها فإن قطيعتها مما
يجب أن يتقى وهو قول مجاهد وقتادة والسدي والضحاك والفراء والزجاج وقد جوز
الواحدي نصبه على الإغراء أي والزموا الأرحام وصلوها وقرئ بالجر عطفا على الضمير
المجرور وبالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والأرحام كذلك أي مما يتقى أو مما يتساءل
به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه الجليل على أن صلتها بمكان منه كما في قوله
تعالى ﴿ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾ قال صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة
بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ﴿إن الله كان عليكم رقيبا﴾ أي مراقبا
وهي صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا ورقبانا إذا أحد النظر لأمر يريد تحقيقه أي
حافظا مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الأفعال والأقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مريدا
لمجازاتكم بذلك وهو تعليل للأمر ووجوب الامتثال به وإظهار الاسم الجليل لتأكيده وتقديم
الجار والمجرور لرعاية الفواصل ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ شروع في تفصيل موارد الاتقاء ومظانه
بتكليف ما يقابلها أمرا ونهيا عقيب الأمر بنفسه مرة بعد أخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى
لإظهار كمال العناية بأمرهم ولملابستهم بالأرحام إذ الخطاب للأولياء والأوصياء وقلما
يفوض الوصاية إلى الأجانب واليتيم من مات أبوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة
وجمعه على يتامى إما لأنه لما جرى مجرى الأسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى أو لأنه لما كان
من وادي الآفات جمع على يتمى ثم جمع يتمى على يتامى والاشتقاق يقتضي صحة إطلاقه على الكبار
أيضا واختصاصه بالصغار مبني على العرف وأما قوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم
فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ أي لا يجري على اليتيم بعده حكم الأيتام والمراد بإيتاء أموالهم
قطع المخاطبين أطماعهم الفارغة عنها وكف أكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض
لها بسوء حتى تأتيهم وتصل إليهم سالمة كما ينبئ عنه ما بعده من النهي عن التبدل والأكل لا الإعطاء

بالفعل فإنه مشروط بالبلوغ وإيناس الرشد على ما ينطق به قوله تعالى حتى إذا بلغوا
الآية وإنما عبر عما ذكر بالإيتاء مجازا للإيذان بأنه ينبغي أن يكون مرادهم بذلك إيصالها
إليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم إما الصغار على ما هو المتبادر والأمر خاص
بمن يتولى أمورهم من الأولياء ومن كان بالغا عند نزول الآية بطريق الدلالة دون العبارة
وإما ما جرى عليه اليتيم في الجملة مجازا أعم من أن يكون ذلك عند النزول أو بالغا
فالأمر شامل لأولياء الفريقين صيغت عليهم ما ذكر من حفظ أموالهم والتحفظ عن إضاعتها
مطلقا وأما وجوب الدفع إلى الكبار فمستفاد مما سيأتي من الأمر به وقيل المراد بهم
الصغار وبالإيتاء الإعطاء في الزمان المستقبل وقيل أطلق اسمهم على الكبار بطريق
الاتساع لقرب عهدهم باليتم حثا للأولياء على المسارعة إلى دفع أموالهم إليهم أول
ما بلغوا قبل أن يزول عنهم اسمهم المعهود فالإيتاء بمعنى الإعطاء بالفعل وأياما كان فما سيأتي
من قوله تعالى وابتلوا اليتامى إلى آخره فإن ما فيه من الأمر بالدفع وارد على وجه
التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين وقته أو بيان شرطه فقط كما هو مقتضى الوجهين
وأما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازا بطريق التغليب مع تعميم الإيتاء للإيتاء حالا
وللإيتاء مآلا وتعميم الخطاب لأولياء كلا الفريقين على أن من بلغ منهم فوليه مأمور بالدفع
إليه بالفعل وأن من لم يبلغ بعد فوليه مأمور بالدفع إليه عند بلوغه رشيدا فمع ما فيه من
تكلف لا يخفى فالأمر ما تقدم من حمل إيتاء أموالهم إليهم على ما يؤدي إليه من ترك التعرض
لها بسوء كما يلوح به التعبير عن الإعطاء بالفعل بالدفع سواء أريد باليتامى الصغار أو
ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر آنفا وأما ما روي من أن رجلا من غطفان كان
معه مال كثير لابن أخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال أطعنا الله
وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح في ذلك لما أن العبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب نهي عن أخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص
بعد النهي الضمني عن أخذه على الإطلاق وتبدل الشيء بالشيء واستبداله به أخذ الأول
بدل الثاني بعد أن كان حاصلا له أو في شرف الحصول يستعملان أبدا بإفضائهما إلى
الحاصل بأنفسهما وإلى الزائل بالباء كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالإيمان
وقوله تعالى أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وأما التبديل فيستعمل تارة
كذلك كما في قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين الخ وأخرى بالعكس كما في قولك بدلت
الحلقة بالخاتم إذا أذبتها وجعلتها خاتما نص عليه الأزهري وتارة أخرى بإفضائه
إلى مفعوليه بنفسه كما في قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات قيل بالخبيث
والطيب إن كان هو الحرام والحلال فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال أنفسهم
مطلقا كما قاله الفراء والزجاج وقيل معناه لا تذروا أموالكم الحلال والحرام من أموالهم
فالمنهي عنه أكل ماله مكان مالهم المحقق والمقدر وقيل هو اختزال ماله مكان

حفظه وإياما كان فإنما عبر عنهما بهما تنفيرا عما أخذوه وترغيبا فيما أعطوه وتصويرا
لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وإن كان هو الردي والجيد فمورد النهي ما كانوا عليه
من أخذ الجيد من مال اليتيم وإعطاء الردي من مال أنفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعي
والزهري والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة لا لإباحة ما عداها
وأما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع أنها تبديله به أو تبدل الطيب بالخبيث فللإيذان
بأن الأولياء حقهم أن يكونوا في المعاوضات عاملين لليتيم لا لأنفسهم مراعين لجانبه قاصدين
لجلب المجلوب إليه مشتريا كان أو ثمنا لا لسلب المسلوب عنه ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم
نهي عن منكر آخر كانوا يتعاطونه أي لا تأكلوها مضمومة إلى أموالكم ولا تسووا بينهما وهذا
حلال وذاك حرام وقد رخص من ذلك مقدار أجر المثل عند كون الولي فقيرا إنه أي
الأكل المفهوم من النهي كان حوبا أي ذنبا عظيما وقرئ بفتح الحاء وهو مصدر حاب
حوبا وقرئ حابا وهما أيضا مصدر كقال قولا وقالا كبيرا مبالغة في بيان عظم ذنب الأكل
المذكور كأنه قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من أفنائها وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى
الإقساط العدل وقرئ بفتح التاء فقيل هو من قسط ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا
يعلم وقيل هو بمعنى أقسط فإن الزجاج حكى أن قسط يستعمل استعمال أقسط والمراد
بالخوف العلم كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا عبر عنه بذلك إيذانا بكون المعلوم
مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي لأن الذي علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف
منه وإلا لم يكن الأمر شاملا لمن يصبر على الجور ولا يخافه وهذا شروع في النهي عن منكر آخر
كانوا يباشرونه متعلق بأنفس اليتامى أصالة وبأموالهم تبعا عقيب النهي عما يتعلق بأموالهم
خاصة وتأخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة إلى الأول وتنزيله منه منزلة المركب
من المفرد وذلك أنهم كانوا يتزوجون من تحل لهم من اليتامى اللاتي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن
بل في مالهن ويسيئون في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن أن يمتن فيرثوهن وهذا قول
الحسن وقيل هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها
بأدنى من سنة نسائها فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن في إكمال الصداق وأمروا أن ينكحوا
ما سواهن من النساء وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن عائشة رضي الله عنها وأما
اعتبار اجتماع عدد كثير منهن كما أطبق عليه أكثر أهل التفسير حيث قالوا لو كان الرجل
يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده
عشر منهن الخ فلا يساعده الأمر بنكاح غيرهن فإن المحذور حينئذ يندفع بتقليل عددهن الخ وإن خفتم
أن لا تعدلوا في حق اليتامى إذا تزوجتم بهن بإساءة العشرة أو بنقص الصداق فانكحوا ما طاب
لكم ما موصولة أو موصوفة وما بعدها صلتها أو صفتها وإيثارها على من ذهابا إلى الوصف
وإيذانا بأنه المقصود بالذات والغالب في اعتبار الأبناء على أن الإناث من العقلاء يجري
مجرى غير العقلاء لإخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرأ ابن أبي عبلة من طاب ومن في قوله

عز وجل **من النساء** بيانية وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة
المقام أي فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الأجنبيات وفي إيثار الأمر بنكاحهن على
النهي عن نكاح اليتامى مع أنه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزالهم عن ذلك
فإن النفس مجبولة على الحرص على ما منعت منه كما أن وصف النساء بالطيب على الوجه
الذي أشير إليه فيه مبالغة في الاستمالة إليهن والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتناء
بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي الضمني إلى النكاح المترتب
مع أن سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة إلى دفع الشر قبل وقوعه
فرب واقع لا يرفع والمبالغة في بيان حال النكاح المحقق فإن محظورية المترتب
حيث كانت للجور المترتب فيه فمحظورية المحقق مع تحقق الجور فيه أولى وقيل
المراد بالطيب الحل أي ما حل لكم شرعا لا ما استطابته نفوسكم شامل للمحرمات والمخصص
له بما عداهن وفيه مزيد من محذور وقوع فيما هو قطع منه لأن ما حل لهم مجمل
وقد تقرر أنه إذا تردد بين الإجمال والتخصيص يحمل على الثاني لأن العام المخصوص
حجة في غير محل التخصيص بناء على ادعاء تقدمه في التنزيل بل يجعل دالا على التخصيص
مثنى وثلاث ورباع معدولة عن أعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين
عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل والصفة فإنها بنيت
صفات وإن لم تكن أصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع
ومحلهن النصب على أنها حال من فاعل طاب مؤكدة لما أفاده وصف الطيب
من الترغيب فيهن والاستمالة إليهن بتوسيع دائرة الإذن أي فانكحوا الطيبات
لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا حسبما تريدون
على معنى أن لكل واحد منهم أن يختار أي عدد شاء من الأعداد المذكورة لا أن بعضها لبعض
آخر كما في قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة
ولو أفردت لفهم منه تجويز الجمع بين تلك الأعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة
أو لفات تجويز الاختلاف في العدد هذا وقد قيل في تفسير الآية الكريمة لما نزلت
الآية في اليتامى وما في أكل أموالهم من الحوب الكبير أخذ الأولياء يتحرجون من ولايتهم
خوفا من لحوق الحوب بترك الإقساط مع أنهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل
في حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشر منهن فقيل لهم إن خفتم ترك العدل
في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا أيضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد
المنكوحات لأن من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب
عنه وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل إن
خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول
المحرمات ولا يخفى أنه لا يساعدهما جزالة النظم الكريم لابتنائهما على تقدم نزول الآية

الأولياء وشيوعها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا
السفهاء أموالكم إلى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا **فإن خفتم ألا تعدلوا** أي فيما بينهن
ولو في أقل الأعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى وكما لم تعدلوا في حقهن
أو كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الأعداد **فواحدة** أي فالزموا أو فاختاروا واحدة
وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع أي فالمقنع واحدة أو فحسبكم واحدة **أو ما ملكت
أيمانكم** أي من السراري بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة
على أن اللزوم والاختيار فيه بطريق التسري لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه
لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضعين
بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات
المؤمنات فمما ملكت أيمانكم فإن المأمور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين
وإنما سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السراري من غير حصر في عدد
لقلة تبعتهن وخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم فيهن وقرئ أو من ملكت
أيمانكم وما في القراءة المشهورة للإيذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء **ذلك**
إشارة إلى اختيار الواحدة والتسري **أدنى ألا تعولوا** العول الميل من قولهم
عال الميزان عولا إذا مال وعال في الحكم أي جار والمراد هاهنا الميل المحظور
المقابل للعدل أي ما ذكر من اختيار الواحدة والتسري أقرب بالنسبة إلى ما عداهما
من أن لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا بانتفاء محله في الأول وانتفاء خطره
في الثاني بخلاف اختيار العدد في المهايأة فإن الميل المحظور متوقع فيه لتحقق
المحل والخطر ومن هاهنا تبين أن مدار الأمر عدم العول لا تحقق العدل كما قيل
وقد فسر بأن لا يكثر عيالكم على أنه من عال الرجل عياله يعولهم أي مانهم فعبر عن كثرة
العيال بكثرة المؤنة ويؤيده قراءة أن لا تعيلوا من أعال الرجل إذا كثر عياله ووجه
كون التسري مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السراري أنه يجوز العزل
عنهن بغير رضاهن ولا كذلك المهائر والجملة مستأنفة جارية مما قبلها مجرى
التعليل **وآتوا النساء** أي اللاتي أمر بنكاحهن **صدقاتهن** جمع صدقة كسمرة بمعنى
المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة
كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة **نحلة** قال ابن
عباس وقتادة وابن جريج فريضة من الله تعالى لأنها مما فرضه الله تعالى
في النحلة أي الملة والشرعة والديانة فانتصابها على الحالية على أنها مفعول
له أي أعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة أي هبة وعطية من الله تعالى
وتفضلا منه عليهن فانتصابه على الحالية منها أيضا وقيل عطية من جهة الأزواج
من نحله كذا إذا أعطاه إياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا والتعبير عن

ايتاء المهور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضى وطيب
الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا
النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية من ضمير
اتوا اي اتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة
معطاة عن طيبة الانفس فالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون
مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تاخذ مهرها
فتنفج به مالك اي تعظمه فان طبن لكم عن شيء منه الضمير للصدقات وتذكيره لاجراء
مجرى ذلك فانه يشار به الى المتعدد كما في قوله عز وجل قل اؤنبئكم بخير من ذلكم
بعد ذكر الشهوات المعدودة وقد روي عن رؤبة انه حين قيل له في قوله فيها
خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط ينبغي ان تقول
كانها وان اردت السواد والبلق ينبغي ان تقول كانهما قال لكني اردت كان
ذاك او للصداق او لما وقع موقعه صدقاتهن الواقع موقعه صدقاتهن كانه قيل
واتوا النساء صداقهن كما في قوله تعالى فاصدق واكن حيث عطف اكن على ما دل
عليه المذكور ووقع موقعه كانه قيل فاصدق واكن واللام متعلقة بالفعل وكذا
عن لكن بتضمينه معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اي كائن
من الصداق وفيه بعث لهن على تقليل الموهوب نفسا تمييز والتوحيد لما ان المقصود
بيان الجنس اي وهبن لكم شيئا من الصداق متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات
بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة
الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة في الامر انما هو طيب النفس وتجافيها عن
الموهوب بالمرة فكلوه اي فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا
وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات المالية هنيئا مريئا صفتان من هنؤ
الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه قيل الهنيء الذي يلذه الاكل والمريء
ما يحمد عاقبته وقيل ما ينساغ في مجراه الذي يلذه هو المريء وهو ما بين الحلقوم الى
فم المعدة سمي بذلك لمرور الطعام فيه اي انسياغه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر
اي اكلا هنيئا مريئا او على انهما حال من الضمير المنصوب اي كلوه وهو هنيء مريء
وقد يوقف على كلوه ويبتدى هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام
المصدرين كانه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة
التبعة روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساقه اليها
فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم رجوع الى بيان بقية الاحكام المتعلقة باموال
اليتامى وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرط ايتائها ووقته وكيفيته اثر بيان بعض الاحكام
المتعلقة بانفسهن اعني نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة بغيرهن من الاجنبيات من حيث

النفس

النفس ومن حيث المال استطرادا او الخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من
اليتامى اموالهم مخافة ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهي لليتامى لا نظرا الى كونها
تحت ولايتهم كما قيل فانه غير مصحح لاتصافها بالوصف الآتي بل تنزيلا لاختصاصها
باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء فكان اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم
من الاتحاد الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم على المحافظة عليها كما في قوله تعالى ولا تقتلوا
انفسكم اي لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بني نوعهم بانفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم
فكان قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها
مناطا لمعاش الاولياء فقيل التي جعل الله لكم قياما اي جعلها الله شيئا تقومون به
وتنتعشون على حذف المفعول الاول فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد في المبالغة حتى جعل
ما به القيام قياما فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل انما اضيفت الى الاولياء
لانها من جنس ما يقيم الناس معايشهم حيث لم يقصد بها الخصوصية الشخصية بل الجنسية
التي هي معنى ما يقام به المعاش وتميل اليه القلوب ويدخر لاوقات الاحتياج وهي بهذا
الاعتبار لا تختص باليتامى وانت خبير بان ذلك بمعزل من حمل الاولياء على المحافظة
المذكورة كيف لا والوحدة الجنسية المالية ليست مختصة بما بين اموال اليتامى
واموال الاولياء بل هي متحققة بين اموالهم واموال الاجانب فاذا الاوجه لاعتبارها
اصلا وقرئ اللاتي واللواتي وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرئ
قواما بكسر القاف وهو ما يقام به الحي او مصدر قاوم وقرئ بفتحها وارزقوهم فيها
واكسوهم اي واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتربحوا حتى تكون نفقاتهم من
الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن
ان يفوض امر ماله الى من لا رشد له من نسائه واولاده ووكلائه وغير ذلك ولا يخفى ان
ذلك مخل بجزالة النظم الكريم وقولوا لهم قولا معروفا اي كلاما لينا تطيب به نفوسهم
وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم
ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه شرعا او عقلا من قول
او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر وابتلوا اليتامى شروع في
تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق
والنهي عنه عند كون اصحابها سفهاء اي واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع
احوالهم في صلاح الدين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم
بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا
وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما يصرفونه الى نفقة عبيدهم وخدمهم
واجرائهم وسائر مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم حتى اذا بلغوا النكاح بان يحتلموا لانهم
يصلحون عنده للنكاح فان آنستم اي شاهدتم وتبينتم وقرئ احستم بمعنى احسستم كما في قوله

من قبلك خلا ان العتاق من المطايا احس به فهن اليه شوس منهم رشدا اي اهتداء
الى وجوه التصرفات من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور على المفعول للاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر والاعتداد بمبدئيته له والتنوين للدلالة على كفاية
رشد في الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمهما فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير
عن حد البلوغ وفي ايثار الدفع على الايتاء الوارد في اول الامر ايذان بتفاوتهما
بحسب المعنى كما اشير اليه فيما سلف ونظم الآية الكريمة ان حتى هي التي تقع
بعدها الجمل كالتي في قوله • فما زالت القتلى تمج دماءها • بدجلة حتى ماء دجلة اشكل •
وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية للابتداء وفعل الشرط بلغوا وجوابه الشرطية الثانية
كانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس
الرشد منهم وظاهر الآية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع
اليه ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة رحمهم الله ينتظر الى خمس
وعشرين سنة لان البلوغ بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي
مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لما قال صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلوة لسبع
دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا اي
مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون في انفاقها وتقولون
ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة تاكيد للامر بالدفع وتقرير
لها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف الخ اي من كان من الاولياء
والاوصياء غنيا فليتنزه من اكلها وليقنع بما آتاه الله تع من الغنى والرزق اشفاقا
على اليتيم وابقاء على ماله ومن كان من الاولياء فقيرا فلياكل بالمعروف بقدر حاجته
الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفي لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على
ان للولي حقا لقيامه عليها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له عليه السلام
ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت
تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنا جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل
ولا ناهك في الحلب عن محمد بن كعب يتقرم كما يتقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة
الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول
عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء
شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان
ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله تع عنه اني انزلت نفسي من مال
الله عز وجل منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف
وان ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف كانه يطلب زيادة العفة فاذا دفعتم اليهم

اموالهم بعد ما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام
فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لما ان ذلك ابعد من التهمة وانفى
للخصومة وادخل في الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصي
مصدق في الدفع مع اليمين خلافا لمالك والشافعي رحمهما الله تعالى وكفى بالله حسيبا اي
محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون شروع في بيان احكام المواريث بعد بيان اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث
والمراد بالاقربين المتوارثون منهم ومن في مما متعلقة بمحذوف وقع صفة لنصيب كائن مما
ترك ويجوز تعلقها بنصيب وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ايراد حكمهن
على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال والنساء الخ
مثلا للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن في استحقاق الارث والاشارة من اول الامر
الى تفاوت ما بين نصيبي الفريقين والمبالغة في ابطال حكم الجاهلية فانهم ما كانوا
يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة روي
ان اوس بن ثابت الانصاري خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى
ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت
ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث
الله تعالى فنزلت فارسل اليهما ان الله تعالى قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا
من مال اوس شيئا حتى يبين فنزلت يوصيكم الله الخ فاعطى ام كحة الثمن والبنات
الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب قوله تع
مما قل منه او كثر بدل من ما الاخيرة باعادة العامل واليها يعود الضمير المجرور وهذا البدل
مراد في الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص
بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين
حقا من كل ما جل ودق نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من
الله كانه قيل قسمة مفروضة او على الحالية اذ المعنى ثبت لهم نصيب كائن مؤكد
مما ترك الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا او على الاختصاص اي اعني نصيبا
مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا
حضر القسمة اي قسمة التركة وانما قدمت مع كونها مفعولا لانها المبحوث عنها ولان
في الفاعل تعددا فلو روعي الترتيب يفوت تجاوب اطراف الكلام اولوا القربى ممن لا يرث
واليتامى والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه اي اعطوهم شيئا من المال المقسوم المدلول
عليه بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا لقلوب
الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه وقولوا لهم
قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم

وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله
تعالى ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد
وفاتهم او لمن حضر المريض من العواد عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد
المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم في اولادهم فلا يتركوا ان يضر بهم بصرف المال
عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين
متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين
ان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو بما في حيزها صلة للذين على معنى وليخش
الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي
ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب
لاولاد غيره ما يحب لاولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرئ ضعفا وضعافى
وضعافا فليتقوا الله في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وليقولوا قولا سديدا
امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع
الاول بدون ثم امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن
الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة
وكلمة الشهادة او لحاضري القسمة عذرا ووعدا حسنا ويقولوا في الوصية ما لا يؤدي
الى تجاوز الثلث ان الذين يأكلون اموال اليتامى استيناف جيء به لتقرير مضمون ما فصل
من الاوامر والنواهي ظلما اي على وجه الظلم او ظالمين انما يأكلون في بطونهم اي ملء
بطونهم نارا اي ما يجر الى النار ويؤدي اليها وعن ابي بردة رضي الله عنه انه قال
صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم تأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال
عليه السلام الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون
في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا اي سيدخلون نارا هائلة مبهمة الوصف وقرئ
بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء والتصلية يقال صلي النار قاسى حرها وصليته
شويته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا
ألهبتها وروي ان آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه
وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وروي انه لما
نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر
على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم الآية يوصيكم الله شروع في تفصيل احكام
المواريث المجملة في قوله عز وجل للرجال نصيب الخ واقسام الورثة ثلاثة قسم
لا يسقط بحال وهم الآباء والاولاد والازواج فهؤلاء قسمان والثالث الكلالة اي
يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم اولاد كل واحد منكم اي في شأن ميراثهم بدئ بهم لانهم
اقرب الورثة الى الميت واكثرهم بقاء بعد الموت للذكر مثل حظ الانثيين جملة مستأنفة

جيء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى يفرض عليكم
ويشرع لكم هذا الحكم وهذا اقرب مما رآه الفراء فانه يجري ما كان بمعنى القول من الافعال
مجراه في حكاية الجملة بعده ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة الآية قوله تعالى للذكر لا بد له من ضمير عائد الى الاولاد محذوف ثقة
بظهوره كما في قولهم السمن منوان بدرهم اي للذكر منهم وقيل الالف واللام قائم
مقامه والاصل لذكرهم ومثل صفة لموصوف محذوف اي للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين
والبداية ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على الانثى كما انها المناط في تضعيف حظه
وايثار اسمي الذكر والانثى على ما ذكر اولا من الرجال والنساء للتنصيص على استواء الكبار
والصغار من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك اصلا كما هو
زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال كالنساء فان كن اي الاولاد
والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى نساء اي خلصا ليس معهن ذكر فوق اثنتين خبر
ثان او صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اي المتوفى المدلول عليه
بقرينة المقام وان كانت اي المولودة واحدة اي امرأة واحدة ليس معها اخ ولا اخت
وعدم التعرض للموصوف لظهوره مما سبق فلها النصف مما ترك وقرئ واحدة على كان
التامة واختلف في ثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه جعل الثلثين لما
فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان
معه انثى وهو الثلثان اتفق ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب
بزيادة العدد رد ذلك بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت
الثلث مع اخيها الاقوى منها في الاستحقاق فلان تستحقه مع مثلها اولى واحرى وان البنتين اسوة
بحالهما من الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث قال الله تعالى فلهما الثلثان مما ترك ولابويه
اي لابوي الميت غير النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور لكل واحد منهما بدل
منه بتكرير العامل وسط بين المبتدأ الذي هو قوله تعالى السدس وبين خبره الذي هو لابويه
ونقل الخبرية اليه تنصيصا على استحقاق كل منهما السدس وتأكيدا له بالتنصيص التفصيل بعد
الاجمال وقرئ السدس بسكون الدال تخفيفا وكذلك الثلث والربع والثمن مما ترك متعلق
بمحذوف وقع حالا من السدس والعامل للاستقرار المعتبر في الخبر اي كائنا مما ترك المتوفى ان
كان له ولد او ولد ابن ذكرا كان او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب في صورة الانوثة
بعد ما اخذ فرضه المذكور يأخذ ما بقي من ذوي الفروض بالعصوبة فان لم يكن له ولد ولا
ولد ابن وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك والباقي للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة
اليه لانه لما فرض انحصار الوارث في ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وتخصيص
جانب الام بالذكر واحالة جانب الاب على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس ايضا لما
ان حظها اخصر واستحقاقه اتم واوفر ولان استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم

الانثيين صح

ودلك

يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث ما بقي بعد فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما فانه يفضي الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة اي عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين بالاب فلامه السدس واما السدس الذي حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعند ابن عباس رضي الله عنهما انه لهم على كل حال خلا ان هذا الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلث ولا بالاخوات الخلص وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها من بعد وصية خبر مبتدا محذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعا لا بما يليها وحده اي هذه الانصباء للورثة من بعد اخراج وصيته يوصي بها اي الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا وفائدة الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها او دين عطف على وصيته الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار في الصحة واثار او المفيدة للاباحة على الواو وللدلالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين او منفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تاخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط في ادائها ولاطرادها بخلاف الدين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الخطاب للورثة فاباؤكم مبتدا وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون خبره وايهم مبتدا واقرب خبره ونفعا نصب على التمييز منه وهو منصوب على الفاعلية كانه قيل ايهم اقرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون والجملة الكبرى اعتراضية مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية اي اصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون ايهم انفع لكم امن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الاخرة بتنفيذ وصيته ام من لم يوص بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية كل من الاول والثاني في حيز الاحتمال عندهم من غير رجحان احدهما على الاخر كما في قوله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام اخره فان ذلك بمعزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية الاول في ضمن التعريض بان لهم اعتقادا بانفعية الثاني مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية باقربية النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا لمنشا خطاهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الاجل بصورة العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم فتحكمون نظرا الى ظاهر الحال وقرب المنال بانفعية الثاني مع ان الامر بخلافه فان

ثواب الاخرة لتحقق وصوله الى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحيوة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاذه وفنائه ابعد واقصى وقيل الخطاب للورثين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا واجلا فتحروا في شانهم ما اوصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سال ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه بشفاعته وقيل فالجملة الاعتراضية ح مؤكدة لامر القسمة وانت خبير بانه يشعر بان مدار الارث ما ذكر من اقربية النفع مع انه العلاقة النسبية فريضة من الله نصبت نصب مصدر مؤكد لفعل محذوف اي فرض الله ذلك فرضا او بقوله تع يوصيكم الله فانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما اي بالمصالح والرتب حكيما في كل ما قضى وقدر فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم من المال شروع في بيان احكام القسم الثاني من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة الى ذكره ان لم يكن لهن ولد اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا كان او متعددا لان لفظ الولد ينتظم الجميع منكم او من غيركم والباقي لورثتهن من ذوي الفروض والعصبات او غيرهم ولبيت المال ان لم يكن لهن وارث اخر اصلا فان كان لهن ولد على نحو ما فصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ذكر تقرر عدم الولد وبيان حكمه فلكم الربع مما تركن من المال والباقي لباقي الورثة من بعد وصية متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده يوصين بها في محل الجر على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الميت في الوصية وحث الورثة على تنفيذها او دين عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار وايثار او على الواو لما مر من الدلالة على تساويهما في الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من اظهار كمال العناية بتنفيذها ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد على التفصيل المذكور انفا والباقي لبقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات او ذوي الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم وارث اخر اصلا فان كان لكم ولد على النحو الذي فصل فلهن الثمن مما تركتم من المال والباقي للباقين من بعد وصية توصون بها او دين الكلام فيه كما فصل في نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمراة كما في النسب لمزيته عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بشرف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل شروع في بيان احكام القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تاخيره عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت فقوله تعالى يورث على البناء للمفعول من ورث لا من اورث خبر كان اي يورث منه كلالة الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على ما لم

يخلف ولدا ولا والدا او على من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذي كلالة كما تطلق القرابة على ذوي القرابة وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فنصبها اما على انها مفعول له اي يورث منه لاجل القرابة المذكورة او على انها حال من ضمير يورث اي حال كونه ذا كلالة او على انها خبر لكان ويورث صفة لرجل اي ان كان رجل موروث ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البنا للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب كلالة اما على انه حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اي يورث وارثه حال كونه ذا كلالة واما على انها مفعول به اي يورث ذا كلالة واما على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او امرأة عطف على رجل مقيد بما قيد به اي او امرأة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره وتأخير ذكرها عن ذكره للايذان بشرفه واصالته وله اي للرجل وفيه تأكيد للايذان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد جريان ذكرها ايضا وقيل الضمير لكل منهما اخ او اخت اي من الام فحسب وقد قرئ كذلك فان احكام بني الاعيان والعلات هي التي ذكرت في آخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير يورث او من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسئلة وذكر الكلالة لتحقيق جريان الحكم المذكور وان كان من ورثته اخرى بطريق الكلالة واما جريانه في صورة وجود الام او الجدة مع ان قرابتهما ليست بطريق الكلالة فبالاجماع فلكل واحد منهما من الاخ والاخت السدس من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة فان كانوا اكثر من ذلك اي اكثر من الاخ او الاخت المنفردين بواحد او باكثر والفاء لما مر من ان ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال التعدد فهم شركاء في الثلث يقتسمونه بالسوية والباقي لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات واما تجويز ان يكون يورث في القراءة المشهورة مبنيا للمفعول من اورث على ان المراد به الوارث والمعنى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل الكلالة او ذا كلالة اي غير والد او ولد ولذلك الوارث اخ او اخت فلكل واحد من ذلك الوارث واخيه واخته السدس فان كانوا اكثر من ذلك اي من الاثنين بان كانوا ثلثة واكثر فهم شركاء في الثلث الموزع للاثنين لا يزاد عليه شيء فمعزل من السداد واما اولا فلان المعتبر على ذلك التقدير انما هي الاخوة بين الوارث وبين شريكه في الارث من اخيه او اخته لا ما بينه وبين مورثه من الاخوة التي عليها يترتب حكم الارث وبها يتم تصوير المسئلة وانما المعتبر بينهما الوراثة بطريق الكلالة وهي عامة لجميع صور القرابات التي لا تكون بالولاد فلا يكون نصيبه او نصيب شريكه ما ذكر بعينه ويزاد على اختصاصها بالاخوة لام متمسكا بالاجماع على ان المراد بالكلالة ههنا اولاد الام فقد اعترف ببطلان رأيه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه انما هو الاجماع على ان المراد بالاخوة في قوله تعالى وله اخ او اخت هو الاخوة لام خاصة حسبما شهدت به القراءة المحكية والآية الآتية

في آخر السورة الكريمة ولولا ان الرجل عبارة عن الميت والاخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما امكن كون الكل اولاد الام من افراد الكلالة كما نبهت عليه ثانيه على ان الملائمة البينة فيهما شاهدة باختصاص اولاد الام فضلا عن الاجماع في ذلك والا لافتقر البيان في حكم صورة انحصار الورثة فيهم واما الاجماع فيما ذكر من ان المراد بالاخ والاخت من كان لام خاصة وانت خبير بان ذلك في قوة الاجماع على ان يورث من ورث لا من اورث فتدبر واما ثانيا فلانه يقتضي ان يكون المعتبر في استحقاق الورثة لفرض المذكور اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما ذكر من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق في تقدير الاخوة من الجهتين واما ثالثا فلان الحكم في صورة انفراد الوارث عن الاخ والاخت يبقى حينئذ غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل منهما السدس عند الاجتماع كون ذلك عند الانفراد الا يرى ان حظ كل من الاختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد واما رابعا فلان تخصيص احد الورثة بالتوريث وجعل غيره تبعا له فيه مع اتحاد الكل في الادلاء الى المورث مما لا عهد به من بعد وصية يوصى بها او دين الكلام فيه كالذي مر في نظائره خلا ان الدين ههنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيد به المعطوف عليه لاتفاق الجمهور على اعتبار عدم المضارة فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما يكون ثبوته بالاقرار في المرض كانه قيل او دين يوصى به غير مضار حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما ان رجال في قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل لفعل ينبئ عنه المذكور ومن فاعل الفعل المذكور والمحذوف اكتفاء به في قراءة البنا للفاعل ان يوصي بما ذكر من الوصية والدين حال كونه غير مضار للورثة بان يوصي بما زاد على الثلث او يكون الوصية لقصد الاضرار بهم دون القربة وبان يقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما ان الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم وصية من الله مصدر مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامته الذاتية بالفخامة الاضافية اي يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله تعالى كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحله الاشعار بما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية وان كانت كلتاهما واجبة المراعات او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال او منفي معنى فيعمل في المفعول الصريح ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصية الله وعهده لا في شان الاولاد فقط كما قيل اذ لا تعلق له بالمقام بل في شان التنزيل لورثة المذكورة ههنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بذكر من الوصية بما زاد على الثلث والوصية لقصد الاضرار دون القربة والا

بالدين كاذبا وإيقاعها في الوصية مع انتفائهما واقعة على الورثة حقيقة كما في قوله يا سارق
الليلة أهل الدار للمبالغة في الزجر عنها بإخراجها مخرج مضارة أمر الله تعالى ومضادته
وجعل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه يقتضي أن يكون غير مضار حالا من ضمير
الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدي إلى الفصل بين الحال وعاملها بما هو أجنبي عن العامل
في وصيته مع أنه لا يحسم به مادة المضارة لبقاء الإقرار بالدين في إطلاقه والله عليم
بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بالإمهال وإيراد الاسم الجليل مع كفاية الإضمار
لإدخال الروعة وتربية المهابة تلك إشارة إلى الأحكام التي تقدمت في شأن اليتامى
والمواريث وغير ذلك حدود الله أي شرائعه المحدودة التي لا يجوز تجاوزها ومن يطع الله
ورسوله في جميع الأوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل هاهنا وإظهار الاسم الجليل لما
ذكر آنفا يدخله جنات نصب على الظرفية عند الجمهور وعلى المفعولية عند الأخفش تجري
من تحتها الأنهار صفة لجنات منصوبة حسب انتصابها خالدين فيها حال مقدرة من الضمير
يدخله وصيغة الجمع بالنظر إلى جمعية من بحسب المعنى كما أن إفراد الضمير بالنظر إلى إفراده
لفظا وذلك إشارة إلى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه
من معنى البعد للإيذان بكمال علو درجته الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه ووصف الفوز
وهو الظفر بالخير بالعظم إما باعتبار متعلقه أو باعتبار ذاته فإن الفوز بالعظيم عظيم
والجملة اعتراضية ومن يعص الله ورسوله ولو في بعض الأوامر والنواهي قال مجاهد
فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما من لم يرض بقسم الله وتعدى
ما قال الله وقال الكلبي يعني ومن يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدوده استحلالا والإظهار
في موضع الإضمار للمبالغة في الزجر والتهويل للأمر وتربية المهابة ويتعد حدوده
شرائعه المحدودة في جميع الأحكام فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا أوليا يدخله وقرئ بنون العظمة
في الموضعين نارا أي عظيمة هائلة لا يقادر قدرها خالدا فيها حال كما سبق ولعل إيثار
الإفراد هاهنا نظرا إلى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا إلى المعنى للإيذان بأن الخلود
في دار الثواب بصفة الاجتماع أجلب للأنس كما أن الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد
أشد في استجلاب الوحشة وله عذاب مهين أي وله مع عذاب الحريق الجسماني عذاب آخر
مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية واللاتي يأتين
الفاحشة من نسائكم شروع في بيان بعض آخر من الأحكام المتعلقة بالنساء إثر بيان أحكام المواريث
واللاتي جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة
القبيحة أريد بها الزنا لزيادة قبحه والإتيان الفعل والمباشرة يقال أتى الفاحشة أي
فعلها وباشرها وكذا أتاها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة فالإتيان بمعناه المشهور ومن
متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين أي اللاتي يفعلن الزنا كائنات من نسائكم أي من
أزواجكم كما في قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وقوله تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم

وبه قال السدي فاستشهدوا عليهن أربعة منكم خبر للموصول والفاء لأنه في سببية ما في
حيز الصلة للحكم أي فاطلبوا أن يشهد عليهن بإتيانها أربعة من رجال المؤمنين وأحرارهم
فإن شهدوا عليهن بذلك فأمسكوهن في البيوت أي فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن
حتى يتوفاهن أي يستوفي أرواحهن الموت وفيه تهويل للموت وإبراز له في صورة من يتولى
قبض الأرواح وتوفيها أو يتوفاهن ملائكة الموت أو يجعل الله لهن سبيلا أي يشرع
لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للإيذان بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة
على كونه أخف من الحبس كما قاله أبو مسلم واللذان يأتيانها منكم هما الزاني والزانية بطريق
التغليب قال السدي أريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما أخف من الحبس
المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا أنه حمل الزاني المحصن منهما لاختصاص العقوبة
الأولى بالمحصنات وعدم ظهور إلحاقه بأحد الحكمين دلالة لاختلاف الشركة في المناط
فآذوهما أي بالتوبيخ والتقريع وقيل بالضرب بالنعال أيضا وظاهر أن إجراء الحكم
أيضا إنما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر آنفا فإن تابا عما فعلا من
الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الأذية وقوارع التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء وأصلحا
أي أعمالهما فأعرضوا عنهما بقطع الأذية والتوبيخ فإن التوبة والصلاح مما يمنع
استحقاق الذم والعقاب ويجوز أن يكون الخطاب للشهود الواقفين على هناتهما
ويراد بالإيذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الولاة وبالإعراض عنهما ترك
التعرض لهما بالرفع إليهم قيل كانت عقوبة الفريقين المذكورين في أوائل الإسلام على
ما مر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما قيل إن النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا
عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب يرجم والبكر يجلد قيل هذه الآية سابقة على
الأولى نزولا وكانت عقوبة الزناة مطلقا الأذى ثم الحبس ثم الرجم وقد جوز أن
يكون الأمر بالحبس غير منسوخ بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى
بإمساكهن في البيوت بعد إقامة صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من
البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى أنه مما لا يساعده النظم الكريم وقال أبو مسلم وقد
عزاه إلى مجاهد إن الأولى في السحاقات وهذه في اللواطين وما في سورة النور في
الزناة والزواني متمسكا بأن المذكور في الأولى صيغة الإناث خاصة وفي الثانية
صيغة الذكور ولا ضرورة إلى المصير إلى التغليب على أنه لا إمكان له في الأولى ويأباه
الأمر باستشهاد الأربعة فإنه غير معهود في الشرع فيما عدا الزنا إن الله كان توابا
مبالغا في قبول التوبة رحيما واسع الرحمة وهو تعليل للأمر بالإعراض إنما التوبة
على الله استئناف مسوق لبيان أن قبول التوبة من الله تعالى ليس على إطلاقه كما ينبئ عنه
وصفه تعالى بكونه توابا رحيما بل هو مقيد بما سينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة
مبتدأ وقوله تعالى للذين يعملون السوء خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر

من الاستقرار فان تقديم الجار والمجرور على عامله المعنوي مما لا نزاع في جوازه وكذا
الظرف او بمحذوف وقع حالا من ضمير المبتدا المستكن فيما تعلق به الخبر على راي من
جوز تقديم الحال على عاملها المعنوي عند كونها ظرفا او حرف جر كما سبق في تفسير
قوله تع ولله على الناس حج البيت واياما كان فمعنى كون التوبة عليه سبحانه صدور
القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على التحقق البتة بحكم جري العادة وسبق
الوعد حتى كانه من الواجبات عليه سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على بمعنى من
وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن يعني التوبة التي يقبلها الله تعالى وقيل اي التوبة
التي اوجب الله تع على نفسه بفضله قبولها وهذا يشير الى ان قوله تع على الله صفة للتوبة
بتقدير متعلقه معرفة على راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي انما التوبة
الكائنة على الله تعالى والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت او كبيرة وقيل الجزء على الله
قوله تع للذين متعلق بما تعلق به الخبر او بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في
متعلق الخبر وليس فيه ما في الوجه الاول من تقديم الحال على العامل المعنوي الا ان
الذي يقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الاول لما ان ما قبله من وصفه تعالى
بكونه توابا رحيما انما يقتضي بيان اختصاص قبول التوبة منه تع بالمذكورين وذكر
انما يجعل قوله تع للذين الخ خبرا لا بد الى قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون
السيئات الخ فانه ناطق بما قلنا كانه قيل انما التوبة لهؤلاء **بجهالة** متعلق بمحذوف
وقع حالا من فاعل يعملون اي يعملون السوء ملتبسين بها اي جاهلين سفهاء او
يعملون في ان الباء سببية اي يعملونه بسبب الجهالة لان ارتكاب الذنب مما
يدعو اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة كما
يفعله الجاهل قال قتادة اجمع اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فراوا ان كل
شيء عصي به ربه فهو جهالة عمدا كان او خطاء وعن مجاهد من عصى الله تعالى
فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال الزجاج يعني بقوله بجهالة اختيارهم اللذة الفانية
على اللذة الباقية **ثم يتوبون من قريب** اي من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت
كما ينبئ عنه ما سياتي من قوله تع حتى اذا حضر الخ فانه صريح في ان وقت الاحتضار
هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه في حيز القبول عن ابن عباس رضي
الله عنهما قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب
وعن ابراهيم النخعي ما لم يؤخذ بكظمه ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان
ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن ادم ما دام روحه في جسده
فقال تع وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية اي يتوبون بعض
زمان قريب كانه سمي ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففي اي جزء
تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب **فاولئك** اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما

وما فيه من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى
الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو مبتدا خبره قوله تع يتوب الله عليهم
وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم اثر بيان ان التوبة لهم
والفاء للدلالة على سببيتها للقبول **وكان الله عليما حكيما** مبالغا في العلم والحكمة فمبني
احكامه وافعاله على اساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منشأ لاتصافه تع
بصفات الكمال **وليست التوبة للذين يعملون السيئات** تصريح بما فهم من قصر القبول
على توبة من تاب من قريب زيادة تعيين لبيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم
وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد لان المراد بها جميع انواع
ما هو من السوء نوع منها **حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن** حتى حرف
ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها اي ليس قبول التوبة للذين يعملون السيئات
الى حضور موتهم وقولهم حينئذ اني تبت وذكر الآن لمزيد تعيين الوقت وايثار قال
على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي عن تسميته توبة **ولا الذين يموتون
وهم كفار** عطف على الموصول الذي قبله اي ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء
وانما ذكر هؤلاء مع انه لا توبة لهم راسا مبالغة في بيان عدم قبول توبة المسوفين
في عدم استتباع الجدوى اي هي من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصولين
اما الكفار خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفارا للتغليظ كما في
قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين واما من يعم الفريقين جميعا فالتسمية حينئذ للتغليب
ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثاني الكفرة وفيه مبالغة اخرى **اولئك** اشارة الى
الفريقين وما فيه من معنى البعد للايذان بترامي حالهم في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء
وهو مبتدا خبره **اعتدنا لهم** اي هيانا لهم **عذابا اليما** تكرير الاسناد لما مر من تقرير
الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بكون العذاب معدا
لهم وتنكير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتي والوصفي **يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها** كان الرجل اذا مات قريبه يلقي ثوبه على امراته او على خبائها ويقول
ارث امراته كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بالصداق
الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وان شاء
عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها وان ذهبت المراة الى اهلها قبل القاء الثوب
فهي احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تاخذوهن بطريق الارث في زعمكم
كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقيل كانوا يمسكوهن حتى يمتن
ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غير راضيات بامساككم وهي على الثاني الفوقانية
على ان تكون بمعنى الوراثة وقرئ كرها بضم الكاف وهو لغة كالضعف والضعف وكان

الرجل اذا تزوج امراة ولم يكن من حاجة حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها
لتفتدي منه بما لها وتختلع فقيل لهم ولا تعضلوهن عطفا على ترثوا ولا لتاكيد النفي
والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختنقت
رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه اي ولا تضيقوا عليهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن اي من
الصداق بان يدفعن اليكم بعضه واضطرارا فتاخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن
ايذانا بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهن اضطرارا وانما عبر عن ذلك بالذهاب
لا بالاخذ ولا بالاذهاب للمبالغة في تقبيحه ببيان تضمنه لامرين كل منهما محظور شنيع
الاخذ والاذهاب منهن لانه عبارة عن الذهاب مستصحبا به الا ان ياتين بفاحشة
مبينة على صيغة الفاعل من بين بمعنى تبين وقرئ على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل
من ابان بمعنى تبين اي بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله
بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزنا
وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اي لا يحل لكم عضلهن
في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات او لعلة من العلل الا في حال اتيانهن
بفاحشة او الا في وقت اتيانهن بها فان السبب حينئذ يكون من جهتهن وانتم معذورون
في طلب الخلع وعاشروهن بالمعروف خطاب للذين يسيئون العشرة معهن والمعروف ما لا ينكره
الشرع والمروءة والمراد ههنا النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في المقال ونحو ذلك
فان كرهتموهن وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك
من الامور المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن فعسى
ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة
استلزامها اياه كانه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه
خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اي فقد
قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه فان النفس ربما تكره ما هو
اصلح في الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه
من خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم وذكر الفعل الاول مع استغنائه عنه وانحصار العلية
في الثاني للتوسل الى تعميم مفعوله ليفيد ان ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا
بمكروه دون مكروه بل هو سنة الهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء الحكمة وان
ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة في الحمل على ترك المفارقة وتعميم الارشاد
ما لا يخفى وقرئ ويجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف والجملة حالية تقديره وهو
اي ذلك الشيء يجعل الله فيه خيرا كثيرا وقرئ تقديره والله يجعل الله بوضع المظهر موضع
المضمر وتنوين خيرا للتفخيم الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد به
ههنا الولد الصالح وقيل الالفة والمحبة وان اردتم استبدال زوج اي تزوج امراة

ترغبون

ترغبون فيها مكان زوج ترغبون عنها بان تطلقوها وآتيتم احداهن اي احدى الزوجات
فان المراد بالزوج هو الجنس حالية باضمار قد لا معطوفة على الشرط اي وقد آتيتم
التي تريدون ان تطلقوها قنطارا اي مالا كثيرا فلا تاخذوا منه اي من ذلك القنطار شيئا
يسيرا فضلا عن الكثير اتاخذونه بهتانا واثما مبينا استئناف مسوق لتقرير النهي والتنفير عن المنهي
عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ اي اتاخذونه باهتين وآثمين او للبهتان والاثم
فان احدهم كان اذا تزوج امراة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما
اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب
عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم قوله عز وجل وكيف
تاخذونه انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه عقب تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه الانكار
الى كيفية الاخذ ايذانا بانه لا سبيل له في التحقق والوقوع اصلا لان ما يدخل تحت الوجود
لا بد ان يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن في حال اصلا لم يكن له حظ في الوجود
قطعا قوله عز وجل وقد افضى بعضكم الى بعض حال من فاعل تاخذونه مفيدة لتاكيد النكير
وتقرير الاستبعاد اي على اي حال او في اي حال تاخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهن
احوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن لكم وغير ذلك واخذن منكم
ميثاقا غليظا عطف على ما قبله داخل في حكمه اي اخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة
والمعاشرة او ما اوثق الله تع عليهم في شانهن بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح
باحسان او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم اخذتموهن بامانة الله تع واستحللتم فروجهن
بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم شروع في بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم وانما
خص هذا النكاح بالنهي ولم ينظم في سلك نكاح المحرمات الآتية مبالغة في الزجر عنه حيث
كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس رضي الله عنهما وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية
يتزوجون بازواج آبائهم فنهوا عن ذلك واسم الآباء ينتظم الاجداد مجازا فيثبت حرمة ما نكحوها
نصا واجماعا ويستقل في اثبات هذه الحرمة نفس النكاح اذا كان صحيحا واما اذا كان فاسدا
فلا بد في اثباتها من الوطء او ما يجري مجراه من التقبيل والمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت لها في
الحقيقة حتى لو وقع في من ذلك بحكم ملك اليمين او بالوجه المحرم يثبت به الحرمة عندنا
خلافا للشافعي في المحرم اي لا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وايثار ما على من للذهاب الى الوصف
وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان لما نكح على الوجهين الا
ما قد سلف استثناء مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم باخراج الكلام مخرج التعليق بالمحال على
طريقة قوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب •• والمعنى
لا تنكحوا حلائل آبائكم الا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى
حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو استثناء مما يلزمه النهي ويستوجبه مباشرة المنهي كانه
قيل لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قد مضى فانه معفو عنه وقيل

هو استثنا منقطع معناه لكن ما قد سلف لا مواخذة عليه لا انه مقرر و يابا هما قوله تعالي **انه كان فاحشة ومقتا** فانه تعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه في غاية القبح مبغوضا اشد البغض وانه لم يزل في حكم الله تعالي وعلمه موصوفا بذلك ما رخص فيه لامة من الامم فلا يلايم ان يوسط بينهما ما يهون امره من ترك المواخذة على ما سلف منه **وساء سبيلا** في كلمة سا قولان احدهما انها جارية مجري بئس في الذم والعمل ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقديره وسا سبيلا سبيل ذلك النكاح قوله تعالي بئس الشراب اي ذلك الما وثانيهما انها كساير الافعال وفيها ضمير يعود الي ما عاد اليه ضمير انه وسا سبيلا تمييز والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او معطوفة على خبر كان محكية بقول مضمر هو المعطوف في الحقيقة تقديره ومقولا في حقه سا سبيلا بان السنة الامم كافة لم تزل ناطقة بذلك في الاعصار والامصار وقيل مراتب القبح ثلاث القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي وقد وصف الله تع هذا النكاح بكل ذلك فقوله تع فاحشة مرتبة قبحه العقلي قوله تعالي وسا سبيلا مرتبة قبحه العادي وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ اقصى مراتب القبح **حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت** ليس المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن وما يقصد به من التمتع بهن وبيان امتناع ورود ملك النكاح عليهن وانتفاء محليتهن له راسا واما حرمة التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يتصور فيها قرار الملك كما في بعض المعطوفات على تقدير رقهن فثابتة بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو عدم محلية ابضاعهن للملك لا بعبارته لشهادة سياق النظم الكريم وسباقه وان الم يوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك اليمين عليهن راسا ولا حرمة سببه الذي هو العقد او ما يجري مجراه كما اوجب حرمة عقد النكاح وامتناع ورود حكمه عليهن لان مورد ملك اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح حتى يفوت محلية له قطعا وانما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق محله حتما ثم يزول بوقوع العتق في المواد التي سبب حرمتها محض القرابة النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستتبعا لجميع احكامه المقصودة منه شرعا واما حل الوطي فليس من تلك الاحكام فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية والامهات تعم الجدات وان علون والبنات تتناول بناتهن وان سفلن والاخوات ينتظمن الاخوات من الجهات الثلث وكذا الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد والدك والخالة كل انثى ولدها من ولد والدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت يتناول القربى والبعدى **وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة** نزل الله تعالي الرضاعة منزلة النسب حتى سمي المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها

من غير

من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام وام ام ابنه وام عمه وام خاله لاب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى تخل بعمومه ضرورة حلهن في صور الرضاع بل من جهة المصاهرة الا ترى ان الاولي موطوة ابيه والثانية بنت موطوته والثالثة ام موطوته والرابعة موطوة جده الصحيح والخامسة موطوة جده الفاسد **وامهات نسايكم** شروع في بيان المحرمات من جهة المصاهرة اثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التي لها لحمة كلحمة النسب والمراد بالنسا المنكوحات على الاطلاق سوا كن مدخولا بهن او لا وعليه جمهور العلما وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس بان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ابهموا ما ابهم الله خلا انه روي عنه وعن علي وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم انهم قرأوا امهات نسايكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد انه اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شا فعل اقام الموت في ذلك مقام الدخول كما قام مقامه في باب المهر والعدة ويلحق بهن الموطوات بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق والممسوسات ونظايرهن والامهات تعم المرضعات كما تعم الجدات حسبما ذكر **وربايبكم اللاتي في حجوركم** الربايب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتا للنقل الي الاسمية والربيب ولد المراة من اخر سمي به لانه يربه غالبا كما يرب ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعني بكونهن في الحجور فان شانهن الغالب المعتاد ان يكن في حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفايدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها النكتة في ايرادهن باسم الربايب دون بنات النسا فان كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي الملابسة والتشبيه بينهن وبين اولادهم ويستدعي اجراهن مجري بناتهم لا تقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن علي رضي الله عنه وبه اخذ داود ومذهب جمهور العلما ما ذكر اولا بخلاف ما في قوله تع **من نسايكم اللاتي دخلتم بهن** فانه لتقييدها به قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربايبكم او من ضميرها المستكن في الظرف لانه لما وقع صلة تحمل ضميرا اي وربايبكم اللاتي استقرت في حجوركم كاينات من نسايكم الخ ولا مساغ لجعله من امهات او مما اضيفت هي اليه خاصة وهو بين لاستلزامه ما ذكرا ولا مرورا ان حالية من ربايبكم او من ضميرها يقتضي كون كلمة من ابتدايية وحاليته من امهات او نسايكم يستدعي كونها بيانية وادعا كونها اتصالية منتظمة لمعني الابتدا والبيان او جعل الموصول صفة للنسا بين موضع الخلاف عليهما مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله مع انه ليس في امكان ما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قيل واما ما نقل من القراة لضعفه الرواية وعلي

تقدير المضاف محمولة على النسخ. ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر والباء للتعدية وهي
كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس ونظائره كما مر فان
لم تكونوا اي فيما قبل دخلتم بهن اصلاً فلا جناح عليكم اي في نكاح الربائب وهو تصريح
بما اشعر به ما قبله والفاء الاولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان بيان حكم الدخول
مستتبع لبيان حكم عدمه وحلائل ابنائكم اي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها
للزوج او لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفي امرنا بهم ومن يجري
مجراهن من الممسوسات ونظائرهن قوله تع الذين من اصلابكم لاخراج الادعياء دون
ابناء الاولاد والابناء من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابناء الصلبية وان
تجمعوا بين الاختين في حيز الرفع عطفاً على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح
لا في ملك اليمين واما جمعهما في الوطي بملك اليمين فملحق به بطريق الدلالة لاتحادهما
في المدار ولقوله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يجمعن
ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس في معنى النكاح في الافضاء
الى الوطيء ولا مستلزماً له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطيهما لا
لدو وطي احدهما حتى يحرم عليه وطاء الاخرى بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج اخت
امته الموطوءة لا يحل له وطي احداهما حتى يحرم عليه الاخرى لان المنكوحة موطية حكماً
فكانه جمعهما وطياً واسناد الحرمة الى جمعهما لا الى الثانية منهما بان يقال
واخوات نسائكم للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة ولكونه
بمعزل من الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع
بين المراة وعمتها ونظائرهما فان مدار حرمة الجمع بين الاختين افضاؤه الى قطع
ما امر الله بوصله وذلك متحقق في الجمع بين هؤلاء بل اولى فان العمة والخالة بمنزلة
الام فقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة اختها
من قبيل بيان التغيير لا بيان التبديل وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب
الا ما قد سلف استثناء منقطع اي لكن ما قد مضى لا تؤاخذون به ولا سبيل الى جعله
متصلاً لقصد التاكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لان قوله تع ان الله كان غفوراً
رحيماً تعليل لما افاده الاستثناء فيتعين الانقطاع وقال عطاء والسدي معناه الا
ما كان من يعقوب عليه السلام فانه قد جمع بين ليا ام يهودا وبين راحيل ام يوسف
عليه السلام ولا يساعده التعليل لان ما فعله يعقوب عليه السلام كان حلالاً في
شريعته وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى
الا امراة الاب والجمع بين الاختين وروى هشام بن عبد الله عن محمد بن الحسن رضي
الله عنهم انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين نكاح امراة
الاب والجمع بين الاختين الا ترى انه قد عقب النهي عن كل منهما بقوله تع الا ما قد سلف

وهذا يشير الى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد وياباه اختلاف التعليلين والمحصنات
بفتح الصاد وهي ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج او الاولياء اي اعففن عن
الوقوع في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل فانهن احصن فروجهن عن غير ازواجهن او ا
ازواجهن وقيل الصيغة للفاعل في القراءة الاولى ايضاً وفتح الصاد محمول على الشذوذ
كما في نظيره ملقح ومسهب من الفح واسهب وقيل قد ورد الاحصان في القران بازاء اربعة
معان الاول التزوج كما في هذه الاية الكريمة الثاني العفة كما في قوله تعالى محصنين
غير مسافحين الثالث الحرية كما في قوله تع ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات
الرابع الاسلام كما في قوله تع فاذا احصن قيل في تفسيره اي اسلمن وهي معطوفة
على المحرمات السابقة قوله تع من النساء متعلق بمحذوف وقع حالاً منها اي كائنات
من النساء وفائدته تاكيد عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة
للانفس كما توهم الا ما ملكت ايمانكم استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اي
ملكتموه واسناد الملك الى الايمان لما ان سببه الغالب هو الصفقة الواقعة بها
وقد اشتهر ذلك في الارقاء لا سيما في اناثهم وهن المرادة ههنا رعاية للمقابلة
بينه وبين ملك النكاح الوارد في الحرائر والتعبير عنهن بما لاسقاطهن بما فيهن
من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهي اما عامة حسب عموم صلتها فالاستثناء
ح ليس لاخراج جميع افرادها من حكم التحريم بطريق نفي الشمول المستلزم لاخراج بعضها
اي حرمت عليكم المحصنات في الاطلاق الا المحصنات اللاتي ملكتموهن فانهن لسن من
المحرمات على الاطلاق بل فيهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات بغير ازواجهن او مطلقاً
حسب اختلاف الرايين واما خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا اللاتي سبين
فان نكاحهن مشروع في الجملة اي لغير ملاكهن واما حلهن لهم بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة
النص لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من ان سياق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات
المعدودة بحكم ملك النكاح وانما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق دلالة
النص وذلك مما لا يجري فيه الاستثناء قطعاً واما عدهن من ذوات الازواج مع تحقق
الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعاً بالتباين او بالسبي على اختلاف الرايين فمبني على اعتقاد
الناس حيث كانوا غافلين عن الفرقة الا يرى الى ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه من انه اصبنا يوماً وطاس سبايا لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبي صلى الله
وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت
والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن وفي رواية اخرى عنه ونادى منادي
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض فاباح وطيهن
بعد الاستبراء وليس في ترتيب هذا الحكم على نزول الاية الكريمة ما يدل على كونها مسوقة
له فان ذلك انما يتوقف على افادتها بطريق العبارة او نحوها هذا وقد روي عن ابي سعيد رضي

عنه انه قال لما نزلت في نساء كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج
فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم ازواجهن مهاجرين فنهي عن نكاحهن فالمحصنات ح عباد
عن مهاجرات يتحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام فالمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم
الاحصان والنهي لتحريم المحقق وتعرف حال المتوقع والا فاعداهن مخرجين من الحرمة واستحقا
اطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة بين المسبية وزوجها مع اتحاد هما
في الدين فلان ينقطع ما بين المهاجرة وزوجها احق واولى كما يفصح عنه قوله عز وجل
فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الاية كتاب
الله مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريم هولاء كتابا وفرضه فرضا وقيل منصوب على الاغراء
بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بمحذوف وقع حالا منه
وقيل هو الاغراء اخر مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه او بنفس عليكم
على راي من جوز تقديم المنصوب في باب الاغراء كما في قوله • يا ايها المايح دلوي دونكا •
• اني رايت الناس يحمدونكا • وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرايض الله عليكم
وقرئ كتب الله عليكم بلفظ الفعل واحل لكم عطف على حرمت عليكم الخ وتوسيط قوله تع
كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة في الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة
المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل على حرمت الخ فانهما جملتان متناسبتان
مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير في اختلاف المسند اليه بحسب الظاهر
لا سيما بعد ما اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى ما وراء ذلكم اشارة الى ما ذكر من المحرمات
المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف
المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما في كل واحدة منهن من العنوان
الذي عليه يدور حكم الحرمة فيفهم مشاركة في معناهن لمن فيها بطريق الدلالة فان حرمة
الجمع بين المراة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما لا
وقيل ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اي على جميع الاحوال حتى يرد انه يلزم
منه حل الجمع بين المراة وعمتها وبينها وبين خالتها انما هو احلالهن في الجملة اي على
بعض الاحوال ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الانفراد ولا يقدح في ذلك حرمته بطريق
الجمع الا يرى ان حرمة النكاح المعتدة والمطلقة ثلثا والخامسة ونكاح الامة على
الحرة ونكاح الملاعنة لا تقدح في حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق
الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان
الحل يجب ان يتعلق ههنا بما تعلق الحرمة فيما سلف وقد تعلق هناك بالجمع فلا بد ان يتعلق
الحل ههنا به ايضا ان تبتغوا متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار
ذاتيهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن
ارادة ان تبتغوا باموالكم والمفعول محذوف اي تبتغوا النساء او متروك اي تفعلوا الابتغاء باموالكم

بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال من ما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول محصنين حال
من فاعل تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب
غير مسافحين حال ثانية او حال من الضمير في محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح
الذي هو صب المني به لان الغرض منه ومفعول الفعلين محذوف اي محصنين فروجكم
غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة وما في قوله
عز وجل فما استمتعتم به منهن اما عبارة عن النساء او عما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين
فهي اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها وايا ما كان فهي مبتدا
خبرها على تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط او جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف
وعلى تقدير كونها موصولة قوله تع فاتوهن اجورهن والفاء لتضمن الموصول معنى
الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعايد الى المبتدا هو الضمير المنصوب
في فاتوهن سواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على
الحالية من الضمير المجرور في به والمعنى فاي فرد استمتعتم به او فالفرد الذي استمتعتم
به حال كونه من جنس النساء او بعضهن فاتوهن اجورهن وقد روعي تارة جانب اللفظ
فافرد الضمير اولا واخرى جانب المعنى فجمع ثانيا وثالثا واما على تقدير كونها عبارة
عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعايد الى المبتدا محذوف والمعنى
اي فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح او خلوة او نحوهما او فالفعل الذي استمتعتم
به من قبلهن من الافعال المذكورة فاتوهن اجورهن لاجله او بمقابلته والمراد بالاجور
المهور فانها اجور ابضاعهن فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر
محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة اي لهن عليكم
ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به اي لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او
الابراء منه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه اثر قوله تعالى
واتوا النساء صدقاتهن نحلة قوله تع الا ان يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده
رفع الجناح من الرجال لانها ليست مظنة الجناح الا ان يجعل الخطاب للازواج تغليبا
فان اخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتم به من نفقة
ونحوها وقيل من مقام او فراق ولا يساعده قوله تع من بعد الفريضة اذ لا تعلق لهما بالفريضة
الا ان يكون الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت في المتعة التي هي النكاح الى وقت معلوم
من يوم او اكثر سميت بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمراة واستمتاعها بما يعطي
وقد ابيحت ثلاثة ايام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روي انه صلى الله عليه وسلم
اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم عليكم
ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه رجع عن القول بجوازه عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي المتعة وقولي

في الصرف ان الله كان عليما بمصالح العباد حكيما فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك شرع
لكم هذه الاحكام اللائقة بحالكم ومن لم يستطع منكم من اما شرطية ما بعدها شرطها او موصولة
ما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطيع اي حال كونه منكم
وقوله تعالى طولا اي غنى وسعة او اعتلاء ونيلا واصله الزيادة والفضل مفعول
ليستطيع وقوله عز وجل ان ينكح المحصنات المؤمنات اما مفعول صريح لطولا فان
اعمال المصدر المنون شائع ذائع كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما
ذا مقربة كانه قيل ومن لم يستطع منكم ان ينال نكاحهن واما بتقدير حرف الجر
اي ومن لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن فالجار في محل النصب صفة لطولا
اي طولا موصلا اليه وكائنا له او في ان الطول بمعنى القدرة في القاموس
الطول والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى والسعة ومحل ان بعد
حذف الجار نصب عند سيبويه والفراء وجر عند الكسائي والاخفش واما بدل من
طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة واما مفعول ليستطع وطولا مصدر مؤكد
له لانه بمعناه اذ الاستطاعة هو الطول او تمييز اي ومن لم يستطع منكم نكاحهن
استطاعة من جهة الطول والغنى اي لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم الاستطاعة
من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات
فان حريتهن احصنتهن عن ذل الرق والابتذال وغيرهما من صفات القصور
والنقصان وقوله عز وجل فمما ملكت ايمانكم اما جواب للشرط او خبر للموصول
والفاء لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر محذوف مفعوله وما موصولة
اي فلينكح امرأة او امة من ذلك النوع الذي ملكته ايمانكم وهو في الحقيقة متعلق
بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعيضية اي فلينكح امرأة كائنة من
ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر اي فلينكح ما ملكته
ايمانكم وقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات في محل النصب على الحالية من الضمير المقدر
في ملكت الراجع الى ما وقيل هو المفعول للفعل المقدر على زيادة من ومما ملكت متعلق
بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية او بمحذوف وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض اي فلينكح
فتياتكم كائنات بعض ما ملكت ايمانكم والمؤمنات صفة لفتياتكم على كل تقدير وقيل
هو المفعول للفعل المقدر ومما ملكت على ما تقدم آنفا ومن فتياتكم حال من العائد المحذوف
وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الامة للمستطيع كما ذهب اليه الشافعي رحمه الله
وعدم جواز نكاح الامة الكتابية اصلا كما هو رأي اهل الحجاز وقد جوزهما ابو حنيفة
رضي الله عنه متمسكا بالعمومات فحمل الشرط والوصف على الافضلية ولا نزاع فيها لاحد وقد
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ومما وسع الله تعالى على هذه الامة نكاح
الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وقوله تعالى والله اعلم بايمانكم جملة

معترضة

معترضة جيء بها لتأنيسهم بنكاح الاماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف منه ببيان ان مناط
التفاضل ومدار التفاخر هو الايمان دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله
عز قائلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان
اكرمكم عند الله اتقاكم والمعنى ان الله تعالى اعلم منكم بمراتبكم في الايمان به فينتظم احوال
العباد وعليه يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد ولا تعلق له بخصوص الحرية والرق
فرب امة يفوق ايمانها ايمان الحرائر وقوله تعالى بعضكم من بعض ان اريد به الاتصال
من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الحيثية اثر بيان تفاوتهم في ذلك وان اريد
به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض آخر مؤكد للتأنيس من جهة اخرى والخطاب في
الموضعين اما لمن كما في الخطاب الذي يعقبه قد روعي فيما سبق جانب اللفظ وههنا
جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب بخطابهم ايضا والتأنيس واما لغيرهم من المسلمين
كالخطابات السابقة لحصول الترغيب بخطابهم وايا ما كان فاعادة الامر بالنكاح في
وجه الخطاب في قوله تعالى فانكحوهن مع انفهامه من قوله فمما ملكت ايمانكم حتما
ذكر لزيادة الترغيب في نكاحهن وتقييده في قوله تعالى باذن اهلهن وتصديره بالفاء
للايذان بترتبه على ما قبله اي واذ قد وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن
ولا تترفعوا عنهن وفي اشتراط اذن الموالي دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن
له وآتوهن اجورهن اي مهورهن بالمعروف متعلق بآتوهن اي ادوا اليهن مهورهن بغير مطل
وضرار والجاء الى الاقتضاء واللز حسبما يقتضيه الشرع والعادة ومن ضرورته ان يكون
الاداء اليهن بحذف المضاف اصله واوصل الفعل الى المضاف اليه محصنات حال من مفعول
فانكحوهن اي حال كونهن عفائف عن الزنا غير مسافحات حال مؤكدة اي غير مجاهرات
به ولا متخذات اخدان عطف على مسافحات ولا لتأكيد ما في غير من معنى النفي والخدن الصاحب
قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة
بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى ان لا يكون لها اخدان اي غير
مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا في الجاهلية منقسما الى هذين القسمين فاذا
احصن بالتزويج وقرئ على البناء للفاعل اي احصن فروجهن وازواجهن فان اتين بفاحشة
اي فعلن فاحشة وهي الزنا فعليهن فثابت عليهن شرعا نصف ما على المحصنات اي الحرائر الابكار
من العذاب من الحد الذي هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان والمراد
بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان كتفاوت حد الحرائر فالفاء في فان اتين جواب اذا
والثانية جواب ان فالشرط الثاني مع جوابه مترتب على وجود الاول كما في قولك اذا
اتيتني فان لم اكرمك فعبدي حر ذلك اي نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم اي لمن خاف وقوعه
في الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير
لكل مشقة وضرر يعتري الانسان بعد صلاح حاله ولا ضرر يعتريك اعظم من مواقعة المآثم ازاد

الحر الشايع قيل اريد به الحد لانه اذا امرها يحتمي ان يواقعها فيحد والاول هو اللايق
بحال المومن دون الثاني لانه ليس ان المحذور عند الحد لا ما يوجبه وان تصبروا اي
عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما تشتهيه من المعاصي خير لكم من نكاحهن وان سبقت
كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رضي الله عنه ايما حر تزوج
بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة من الزنا الا قريب ولان حق
المولى فيها اقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحراير ولان المولى يقدر على استخدامها كيفما
يريد في السفر والحضر وعلى بيعها للحاضر والبادي وفيه من اختلال حال الزوج
واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله ذل
ومهانة سارية الى الناكح والعزة هي اللايقة بالمومنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر
على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال عليه السلام الحراير
صلاح البيت والاماء هلاك البيت والله غفور مبالغ في المغفرة فيغفر لمن لم يصبر عن
نكاحهن ما في ذلك من الامور المنافية لحال المومنين رحيم مبالغ في الرحمة ولذلك
رخص لكم في نكاحهن يريد الله ليبين لكم استيناف مسوق لتقرير ما سبق من الاحكام
وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الانبياء والصالحين قيل اصل النظم الكريم
يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول
يبين محذوف ثقة بشهادة السباق والسياق اي يريد الله ان يبين لكم ما هو خفي
عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم او ما تعبدكم من الحلال والحرام وقيل مفعول
يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل لاجل التبيين لكم
وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام بنفسها ناصبة للفعل
من غير اضمار ان وهي وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فان اللام قد تقام مقام
ان في فعل الارادة والامر فيقال اردت لاذهب وان اذهب وامرتك لتقوم وان
تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله وفي موضع يريدون ان يطفئوا
وقال تعالى وامرنا لنسلم وفي موضع وامرت ان اسلم وفي آخر وامرت لاعدل بينكم
اي ان اعدل وهذا مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا ان وظيفة اللام
هي الجر والنصب فيما قالوا باضمار ان اي امرنا بما امرنا لنسلم ويريدون ما يريدون
ليطفئوا وقيل يؤول الفعل الذي قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتداء ويجعل ما بعده
خبرا له كما في تسمع بالمعيدي خير من ان تراه اي ان تسمع به وعلى هذا الراي [illegible]
البصريين ويهديكم سنن الذين من قبلكم من الانبياء والصالحين لتقتدوا بهم ويتوب عليكم
اذا تبتم اليه تعالى عما يقع منكم من التقصير والتفريط في مراعاة ما كلفتم به من الشرايع
فان المكلف قلما يخلو من تقصير يستدعي تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم
الى ما يردعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيآتكم وتكرير الخطاب

لجميع المكلفين حتى يختلف مراده تعالى عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطايفة معينة
حصلت لهم هذه التوبة والله عليم مبالغ في العلم بالاشياء التي من جملتها ما شرع لكم من
الاحكام حكيم مراع في جميع افعاله الحكمة والمصلحة والله يريد ان يتوب عليكم جملة مبتدأة
مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال مضرة ما يريده الفجرة لا لبيان ارادته
تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة
الاسمية دلالة على دوام الارادة ولم يفعل ذلك في قوله تع ويريد الذين يتبعون
الشهوات للاشارة الى الحدوث والايماء الى كمال المباينة بين مضموني الجملتين
كما مر في قوله تع الله ولي الذين آمنوا الآية والمراد بمتبعي الشهوات الفجرة فان
اتباعها الايتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره فهو
متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات
من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت
الخالة وبنت العمة مع ان العمة والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت
ان تميلوا عن الحق بموافقتهم في اتباع الشهوات واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم
وقرئ بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات ميلا عظيما اي بالنسبة الى
ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال يريد الله ان يخفف عنكم بما مر من الرخص
ما في عهدتكم من مشاق التكاليف والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وخلق الانسان
ضعيفا عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع
الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات وعن الحسن رحمه الله ان المراد
ضعف الخلقة ولا يساعده المقام فان الجملة اعتراض تذييلي مسوق لتقرير ما قبله من الترخيص
بالرخصة في نكاح الاماء وليس لضعف البنية مدخل في ذلك وانما الذي يتعلق به التخفيف
في العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه في امر النساء خاصة حيث لا يصبر عنهن
وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني ادم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى علي
ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف علي فتنة
النساء وقرا ابن عباس رضي الله عنهما وخلق الانسان على البناء للفاعل والضمير لله عز
وجل وعنه رضي الله عنهما ثماني آيات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه
الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل
شروع في بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة
بالابضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد

بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربوا وغير ذلك
مما لم يبحه الشرع أي لا يأكل بعضكم أموال بعض بغير طريق شرعي إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم
استثناء منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة أي إلا أن تكون التجارة تجارة
صادرة عن تراض كما في قوله إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا أي إذا كان اليوم
يوما الخ أو إلا أن تكون الأموال أموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على أن
كان تامة أي ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض أي وقوعها أو ولكن وجود
تجارة عن تراض غير منهي وتخصيصها بالذكر من بين سائر أسباب الملك لكونها
معظمها وأغلبها وقوعا وأوفقها لذوي المروآت والمراد بالتراضي مراضاة المتبايعين
بما تعاقدا عليه في حال المبايعة وقت الإيجاب والقبول عندنا وعند الشافعي
رحمهما الله تعالى حالة الافتراق عن مجلس العقد ولا تقتلوا أنفسكم أي من كان من
جنسكم من المؤمنين فإن كلهم كنفس واحدة وعن الحسن رحمه الله لا تقتلوا إخوانكم
والتعبير عنهم بالأنفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد
يفعله عاقل أو لا تهلكوا أنفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضي إليه فإنه
القتل فإنه القتل الحقيقي لها كما يشعر به إيراده عقيب النهي عن أكل الحرام فيكون مقررا
للنهي السابق وقيل لا تقتلوا أنفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة أو بارتكاب ما يؤدي
إلى القتل من الجنايات وقيل بإلقائها في التهلكة وأيد بما روي عن عمرو بن العاص
أنه تأول بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ ولا تقتلوا
بالتشديد للتكثير وقد جمع في التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما أنه شقيقها من
حيث إنه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء فضائلها وتقديم النهي عن التعرض
له لكثرة وقوعه إن الله كان بكم رحيما تعليل للنهي بطريق الاستئناف أي مبالغا في الرحمة
والرأفة ولذلك نهاكم عما نهى فإن في ذلك رحمة عظيمة بالزجر عن المعاصي وللذين هم
في معرض التعرض لهم بحفظ أموالهم وأنفسهم وقيل معناه أنه كان بكم يا أمة محمد رحيما
حيث أمر بني إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم
تلك التكاليف الشاقة ومن يفعل ذلك إشارة إلى القتل خاصة أو بما قبله من أكل الأموال
وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلتهما في الفساد عدوانا وظلما أي إفراطا في التجاوز
عن الحد وإتيانا بما لا يستحقه وقيل أريد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم الظلم على
النفس بتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية أو على العلية أي متعديا وظالما أو
للعدوان والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين فسوف نصليه جواب للشرط أي ندخله وقرئ
بالتشديد مخففا وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير
لله تعالى أو لذلك من حيث إنه سبب للصلي نارا أي نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب
وكان ذلك أي إصلاؤه النار على الله يسيرا لتحقق الداعي وعدم الصارف وإظهارا لـ

الجليل

الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي إن تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه أي كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها مما ذكر ههنا وما لم يذكر وقرئ
كبير على إرادة الجنس نكفر عنكم بنون العظمة على طريقة الالتفات وقرئ بالياء بالإسناد
إليه تعالى والتكفير إماطة المستحق من العقاب بثواب أزيد أو بتوبة أي نغفر لكم سيئاتكم
صغائركم ونمحها عنكم قال المفترض الصلوة إلى الصلوة والجمعة إلى الجمعة ورمضان
إلى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر إذا اجتنبت الكبائر واختلف في الكبائر والأقرب
أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد أو صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته
بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنها سبع الإشراك بالله تعالى وقتل النفس التي حرم
الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين
وعن علي رضي الله عنه التعرب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدين وزاد ابن عمر السحر واستحلال
البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي إلى سبعمائة
أقرب منها إلى سبع وروي عنه إلى سبعين إذ لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الاستغفار
وقيل أريد به أنواع الشرك لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالإضافة إلى ما فوقها وما تحتها وبحسب فاعلها
بل بحسب الأوقات والأماكن أيضا فأكبر الكبائر الشرك وأصغر الصغائر حديث النفس
وما بينهما وسائط يصدق عليه الأمران فمن عن له أمران منهما ودعت نفسه إليهما بحيث لا يتمالك
فكفها عن أكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق في اجتناب الأكبر من الثواب وندخلكم مدخلا
بضم الميم اسم مكان هو الجنة كريما أي حسنا مرضيا أو مصدر ميمي أي إدخالا مع كرامة
وقرئ بفتح الميم وهو أيضا يحتمل المكان والمصدر ونصب على الثاني بفعل مقدر مطاوع
للمذكور أي ندخلكم فتدخلون مدخلا أو دخولا كريما كما في قوله وعضة دهر يا ابن
مروان لم يدع من المال إلا مسحت أو مجلف أي لم يدع فلم يبق إلا مسحت الخ ولا تتمنوا
ما فضل الله به بعضكم على بعض أي عليكم ولعل إيثار الإبهام عليه للتفادي عن المواجهة
بما يشق عليهم قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن أكل أموال الناس بالباطل وقتل النفس
عقبه بالنهي عما يؤدي إليه من الطمع في أموالهم وتمنيها وقيل نهاهم أولا عن التعرض لأموالهم
بالجوارح ثم عن التعرض لها بالقلب على سبيل الحسد لتطهر أعمالهم الظاهرة والباطنة
فالمعنى لا تتمنوا ما أعطاه الله تعالى بعضكم من الأمور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك
مما يجري فيه التنافس دونكم فإن ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق بأحوال
العباد مترتب على الإحاطة بجلائل شؤونهم ودقائقها فعلى كل أحد من المفضل عليهم أن يرضى
بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما أنه معارضة لحكم القدر المؤسس على الحكم
البالغة لا لأن عدمه خير له ولا لأنه لو كان بخلافه لكان مفسدة له كما قيل إذ لا يساعده
ما سيأتي من الأمر بالسؤال من فضله تعالى فإنه ناطق بأن المنهي عنه تمني نصيب الغير بعينه

ما زاد على نصيبه مطلقاً عمداً أو قد قيل لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين
قالت النساء نحن أحوج أن يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لأنا ضعفاء وهم أقوياء وأقدر
على طلب المعاش منا فنزلت وهذا هو الأنسب بتعليل النهي بقوله تعالى عز وجل للرجال
نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن فإنه صريح في جريان التمني بين فريقي الرجال
والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي لما عبر عنهن بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في
الميراث نصيب معين المقدار مما أصابه بحسب استعداده وقد عبر عنه بالاكتساب
على طريقة الاستعارة التبعية في تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه إياه تأكيداً لاستحقاق
كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه إلى غيره فإن ذلك مما يوجب الانتهاء
عن التمني المذكور وقوله تعالى واسألوا الله من فضله عطف على النهي وتوسيط التعليل
بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالأمر كأنه قيل لا تتمنوا ما يختص
بغيركم من نصيبه المكتسب له واسألوا الله تعالى من خزائن نعمه التي لا نفاد لها وحذف
المفعول الثاني للتعميم أي واسألوه ما تريدون فإنه تعالى يعطيكموه أو لكونه معلوماً
من السياق أي واسألوه مثله وقيل من زائدة والتقدير واسألوا فضله وقد جاء في
الحديث لا يتمنين أحدكم مال أخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم أعطني مثله
وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله
فإنه يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الأجر الأخروي
وإبقاء الاكتساب على حقيقته وحمل سبب النزول على ما روي أن أم سلمة رضي الله عنها قالت ليت
الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الأجر مثل ما لهم على أن المعنى لكل
من الفريقين نصيب خاص به من الأجر مترتب على عمله فللرجال أجر بمقابلة ما يليق
بهم من الأعمال كالجهاد ونحوه وللنساء أجر بمقابلة ما يليق بهن من الأعمال كحفظ حقوق
الأزواج ونحوه فلا تتمن النساء خصوصية أجر الرجال وليسألن من خزائن رحمته تعالى
ما يليق بحالهن من الأجر لا يساعده سياق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل الرجال
إن الله كان بكل شيء عليما ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات
حسب مراتب استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الأبية
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون جملة مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها
ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل بالبعض دون
البعض كما في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا أي ولكل تركة جعلنا ورثة
متفاوتة في الدرجة يلونها ويحرزون منها أنصباءهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم
وبين المورث من العلاقة ومما ترك بيان لكل قد فصل بينهما كما فصل في قوله تعالى قل أغير الله أتخذ
وليا فاطر السموات والأرض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل وبما أضيف إليه أعني
غير أو لكل قوم جعلناهم موالي أي وراثاً نصيب معين مغاير لنصيب قوم آخرين

مما ترك الوالدان والأقربون على أن جعلنا موالي صفة لكل والضمير الراجع إليه محذوف
والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله إنساناً من رزق الله أي حظ منه
وأما ما قيل من أن المعنى لكل أحد جعلنا موالي مما ترك أي وراثاً منه على أن من صلة
موالي لأنه في معنى الوارث وفي ترك ضمير مستكن عائد إلى كل وقوله تعالى الوالدان
والأقربون استئناف مفسر للموالي كأنه قيل من هم فقيل الوالدان الخ ففيه تفكيك
للنظم الكريم لأن بيان الموالي بما ذكر يذهب بالإبهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم ويخل
بالانتظام كما أشير إليه في تعيين الوجهين الأولين مع ما فيه من خروج الأولاد من
الموالي إذ لا يتناولهم الأقربون كما لا يتناولهم الوالدان والذين عقدت أيمانكم هم موالي
الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى وأولوا الأرحام بعضهم
أولى ببعض وعند أبي حنيفة رحمه الله إذا أسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على أن يرثه
ويعقل عنه صح وعليه عقله وله إرثه إن لم يكن له وارث أصلاً وإسناد العقد إلى
الأيمان لأن المعتاد هو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت أيمانكم عهودهم فحذف
العهود وأقيم المضاف إليه مقامه ثم حذف وقرئ عقدت بالتشديد وعاقدت بمعنى
عاقدتهم أيمانكم وما تحقوتهم وهو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر أعني
قوله تعالى فآتوهم نصيبهم بالفاء أو منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيداً فاضربه
أو مرفوع معطوف على الوالدان والأقربون وقوله تعالى فآتوهم نصيبهم جملة
مسببة عن الجملة قبلها ومؤكدة لها والضمير للموالي إن الله كان على كل شيء من الأشياء التي
من جملتها الإيتاء والمنع شهيداً ففيه وعد ووعيد الرجال قوامون على النساء كلام مستأنف
مسوق لبيان سبب استحقاق الرجال الزيادة في الميراث تفضيلاً إثر بيان تفاوت
استحقاقهم إجمالاً وإيراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للإيذان بعراقتهم
في الاتصاف بما أسند إليهم ورسوخهم فيه أي شأنهم القيام عليهن بالأمر والنهي قيام
الولاة على الرعية وعلل ذلك بأمرين موهبي وكسبي فقيل بما فضل الله بعضهم على بعض
الباء سببية متعلقة بقوامون أو بمحذوف وقع حالاً من ضميره وما مصدرية والضمير
البارز لكلا الفريقين تغليباً أي قوامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى إياهم عليهن
أو ملتبسين بتفضيله تعالى الخ ووضع البعض موضع الضميرين للإشعار بغاية ظهور
الأمر وعدم الحاجة إلى التصريح بالمفضل والمفضل عليه أصلاً ولمثل ذلك لم يصرح بما
به التفضيل من صفات كماله التي هي كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرأي ومزيد
القوة في الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية وإقامة
الشعائر والشهادة في جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك وبما أنفقوا من
أموالهم الباء متعلقة بما تعلقت به الأولى وما مصدرية أو موصولة حذف عائدها من الصلة
ومن تبعيضية أو ابتدائية متعلقة بأنفقوا أو بمحذوف وقع حالاً من العائد المحذوف أي

وبسبب انفاقهم من اموالهم وبسبب ما انفقوه من اموالهم او كائنا من اموالهم وهو ما انفقوا
من المهر والنفقة وروي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار رضي الله عنه نشزت عليه
امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وشكى فقال عليه السلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه السلام اردنا امرا
واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات شروع في تفصيل احوالهن وبيان
كيفية القيام عليهن بحسب اختلاف احوالهن اي فالصالحات منهن قانتات اي مطيعات
لله تعالى قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب اي لمواجب الغيب اي لما يجب عليهن
حفظه في حال غيبة الازواج من الفروج والاموال عن النبي صلى الله عليه وسلم خير
النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك
في مالها ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم واضافة المال اليها للاشعار بان ماله
في حق التصرف في حكم مالها كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي الآية
بما حفظ الله ما مصدرية اي بحفظه تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد
والوعيد والتوفيق له او موصولة اي بالذي حفظ الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام
بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على حذف المضاف اي بالامر الذي
حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن
خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف حالة تحصل في القلب عند
حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اي تظنون
عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض فعظوهن فانصحوهن
بالترغيب والترهيب واهجروهن بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنصيحة في المضاجع اي
في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع
المبايتات اي لا تبايتوهن وقرئ في المضجع وفي المضطجع واضربوهن ان لم ينجع ما فعلتم
من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن فان اطعنكم بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى
ما يعد زاجرا فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية اي فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا
ما كان منهن كأن لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه
فانه تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه تعالى ويكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه
وعدم التعرض لعدم اطاعتهن لهم للايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يتحقق او يفرض
تحققه وان الذي يتوقع منهن ويليق بشأنهن لا سيما بعدما كان من الزواجر هو الاطاعة
ولذلك صدرت الشرطية بالفاء المنبئة عن سببية ما قبلها لما بعدها وان خفتم شقاق
بينهما تلوين للخطاب وتوجيه له الى الحكام وارد على بناء الامر على التقدير المسكوت عنه اعني
عدم الاطاعة المؤدي الى المخاصمة والمرافعة اليهم والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد
ما يشق على الآخر واما لان كلا منهما في شق اي في جانب غير شق الآخر والخوف ههنا بمعنى العلم

قاله ابن عباس رضي الله عنهما والجزم بوجود الشقاق لا ينافي بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته
لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن والضمير للزوجين وان لم يجر ذكرهما لجري
ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما على اجرائه مجرى المفعول به كما في قوله
يا سارق الليلة او مجرى الفاعل كما في قولك نهاره صائم اي ان علمتم او ظننتم تأكد المخالفة
بحيث لا يقدر الزوج على ازالتها فابعثوا اي الى الزوجين لاصلاح ذات البين حكما رجلا
وسطا صالحا للحكومة والاصلاح من اهله من اهل الزوج وحكما آخر على صفة الاول
من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب
ولو نصبا من الاجانب جاز واختلف في انهما هل يليان الجمع والتفريق ان رأيا ذلك فقيل
لهما ذلك وهو المروي عن علي رضي الله عنه وبه قال الشعبي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان
ويرى ذلك لهما ان يفرقا ان كان الصلاح فيه ان يريدا اي الحكمان اصلاحا اي
ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى
يوفق الله بينهما يوقع بين الزوجين الموافقة والالفة ويلقي في نفوسهما المودة والرأفة
وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما الاصلاح لما ذكر من الايذان بان ذلك ليس مما ينبغي
ان يفرض صدوره عنهما وان الذي يليق بشأنهما ويتوقع صدوره عنهما هو ارادة
الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين في الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال
الامر الى عدم ارادتهما فان الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود
الارادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين للحكمين اي ان قصدا
الاصلاح يوفق الله بينهما فيتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين اي
ان ارادا اصلاح ما بينهما من الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه
على ان من اصلح نيته فيما يتوخاه وفقه الله لمبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر
والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
كلام مبتدأ مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق الوالدين والاقارب ونحوهم اثر
بيان الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج صدر بما يتعلق بحقوق الله عز وجل التي هي آكد
الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة شأن التنزيل بحقوق الوالدين بنظمها في سلكها
كما في سائر المواقع وشيئا نصب على انه مفعول اي لا تشركوا به شيئا من الاشياء صنما او
غيره او على انه مصدر اي لا تشركوا به من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا
اي احسنوا بهما احسانا وبذي القربى اي بصاحب القرابة من اخ او عم او خال او نحو ذلك
واليتامى والمساكين من الاجانب والجار ذي القربى اي الذي قرب جواره وقيل الذي
له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحق الجار
ذي القربى والجار الجنب اي البعيد او الذي لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران
ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار

وحق الاسلام وجار له حق واحد وهو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب وقرئ والجار الجنب
والصاحب بالجنب اي الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل
بجانبك ومنهم من قعد بجنبك في مسجد او مجلس او غير ذلك من ادنى صحبة التامت بينك وبينه
وقيل في المرأة وابن السبيل هو المسافر المنقطع به او الضيف وما ملكت ايمانكم من العبيد
والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا اي متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه
ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق الذين يبخلون ويأمرون
الناس بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتح الاول وبفتحهما وبضمهما والموصول بدل
من قوله تعالى من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف
تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة ويكتمون ما آتاهم الله
من فضله اي من المال والغنى او من نعوته صلى الله عليه وسلم التي بينها لهم في التورية وهو
انسب بامرهم للناس بالبخل فان احبارهم كانوا يكتمونها ويأمرون اعقابهم بكتمها واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شأنه فهو كافر بنعمة
الله تعالى ومن كان كافرا بنعمته تعالى فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء
والآية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصيحا لا تنفقوا
اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
والجملة اعتراض تذييل معترض لما قبلها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس اي للفخار
وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون
او على الكافرين وانما شاركوهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق
فيما لا ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستتباع اللائمة والذم
ويجوز ان يكون العطف بناء على اجراء التغاير الوصفي مجرى التغاير الذاتي كما في قوله
٥ ٥ الى الملك القرم وابن الهمام ٥ وليث الكتائب والمزدحم ٥ ٥ ٥
او مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يكن الخ كأنه قيل والذين ينفقون اموالهم
رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه تعالى وثوابه
وهم مشركو مكة المنفقون اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون
ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اي فقرينهم الشيطان وانما حذف للايذان في
بظهوره واستغنائه عن التصريح والمراد به ابليس واعوانه حيث حملوهم على تلك القبائح
وزينوها لهم كما في قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز ان يكون وعيدا
لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم اي في امر ذكر من الطوائف لو آمنوا بالله
واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي ابتغاء لوجه الله تعالى وانما لم يصرح به تعويلا
على التفصيل السابق واكتفاء بذكر الايمان بالله واليوم الآخر فانه يقتضي ان يكون
الانفاق لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة اي وما الذي عليهم او واي تبعة

ووبال عليهم في الايمان بالله والانفاق في سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة في
والاعتقاد في الشيء بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم
الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر
لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع لا تحصى وتقديم الايمان
بهما لاهميته في نفسه ولعدم الاعتداد بالانفاق بدونه واما تقديم انفاقهم رئاء
الناس على عدم ايمانهم بهما مع كون المؤخر اخص من المقدم فلرعاية المناسبة بين انفاقهم
ذلك وبين ما قبله من بخلهم وامرهم للناس به وكان الله بهم وباحوالهم المحققة عليما
فهو وعيد لهم بالعقاب او باحوالهم المفروضة فهو بيان لاثابته تعالى اياهم لو كانوا
قد آمنوا وانفقوا كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة المثقال مفعال
من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على نعت المفعول قائم مقامه سواء كان
الظلم بمعنى وضع الشيء في غير موضعه اي لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب شيئا مقدار
ذرة وهي النملة الصغيرة او كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة وهو الانسب بمقام المبالغة
فان قلته في الثقل اظهر من قلة النملة فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه ادخل
يده في التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وان تك حسنة اي وان تك
مثقال ذرة حسنة انث لتأنيث الخبر او لاضافته الى الذرة وحذف النون من
غير قياس تشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على ان كان
تامة يضاعفها اي يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال
بينهما كأنهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرئ نضاعفها بنون العظمة
على طريقة الالتفات وعن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة رضي الله عنه بلغني عنك انك
تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة
الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته صلى الله عليه وسلم يقول يعطيه الفي الف
حسنة ثم تلا هذه الآية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه ويعط صاحبها
من عنده على نهج التفضل زائدا على ما وعده في مقابلة الاجر اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما
سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه فكيف محلها اما الرفع في انه خبر لمبتدأ محذوف
واما النصب بفعل محذوف في المشبه بالحال كما هو رأي سيبويه او على التشبيه بالظرف
كما هو رأي الاخفش اي فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم او كيف يصنعون
اذا جئنا يوم القيامة من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد
العقائد وقبائح الاعمال وهو نبيهم كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والعامل
في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وعظم الشأن او الفعل المقدر من متعلق
بجئنا وجئنا بك يا محمد على هؤلاء اشارة الى الشهداء والمدلول عليهم بما ذكر شهيدا تشهد
على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل الى المكذبين المستفهم عن

حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد سائر الانبياء في اممهم وقيل الى المؤمنين
كما في قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود
الذين كفروا وعصوا الرسول استئناف لبيان حالهم التي اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله
تعالى فكيف وان اريد بهم المكذبون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول
لا سيما بعد الاشارة اليهم بهؤلاء لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة ما اعتراهم
من الحال الفظيعة والامر الهائل وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه ولزيادة
تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول ان يؤمن به ويطاع لا ان يكفر به ويعصى وان اريد
بهم جنس الكفرة ومحمد اخلوهم في زمرتهم دخولا اوليا والمراد بالرسول ح الجنس المنتظم للنبي
صلى الله عليه وسلم انتظاما اوليا واياما كان ففيه تهويل الامر وتفظيع الحال ما لا
يقادر قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه في الصلة والمراد معاصيهم
المغايرة لكفرهم ففيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة وقيل
صلة لموصول آخر اي يود في ذلك اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول
والذين كفروا وقد عصوا الرسول اي الذين كفروا والذين عصوا الرسول وقوله
تع لو تسوى بهم الارض ان جعلت مصدرية فالجملة مفعول ليود اي يودون ان يدفنوا
فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض
سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها وان جعلت جارية على بابها فالمفعول محذوف
لدلالة الجملة عليه اي يودون تسوية الارض وجواب لو ايضا محذوف ايذانا بغاية
ظهوره اي لسروا بذلك وقوله تع ولا يكتمون الله حديثا عطف على يود اي ولا يقدرون
على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض
وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم
اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون
ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وقرئ
تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة
وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف عن الاشراك به تعالى نهوا ههنا عما
يؤدي اليه من حيث لا يحتسبون فانه روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا
حين كان الخمر مباحة فدعا نفرا من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين فاكلوا وشربوا حتى ثملوا
وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير
الكلام بحرفي النداء والتنبيه للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي وتوجيه النهي الى
قربان الصلوة مع ان المراد هو النهي عن اقامتها للمبالغة في ذلك وقيل المراد النهي عن قربان
المساجد كقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ويأباه قوله تعالى حتى تعلموا
ما تقولون فالمعنى لا تقربوها في حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولونه اذ بتلك التجربة يظهر

انهم يعلمون ما يقرؤونه في الصلاة وحمل ما تقولون على ما في الصلوة يستدعي تقدم الشروع فيها
في غاية النهي وحمل العلم على ما بالقوة بعيد حتى تكونوا بحيث تعلمون ما تقرؤونه في الصلاة
تطويل بلا طائل لان تلك الحيثية انما تظهر بما ذكر من التجربة على ان ايثار ما تقولون على ما
تقرؤون ح يكون عاريا عن الداعي وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وغلبة النوم واياما كان
فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقاء القيد مرخصا بحاله بل انما هو القيد مع بقاء المقيد على
حاله اذ الصلوة كانت في المؤمنين كتابا موقوتا كانه قيل يا ايها الذين آمنوا لا تسكروا في
اوقات الصلوة وقد روي انهم كانوا بعد ما نزلت الاية لا يشربون الخمر في اوقات الصلوة
فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما تقولون ولا جنبا
عطف على قوله وانتم سكارى فانه في حيز النصب كانه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا
والجنب من اصابته الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر
الا عابري سبيل استثناء مفرغ من اعم الاحوال محله النصب على انه من ضمير لا تقربوا باعتبار
تقيده بالحال الثانية دون الاولى والعامل فيه معنى النهي اي لا تقربوا الصلوة جنبا
في حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين على معنى ان في حالة السفر ينتهي حكم النهي
لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها بل بطريق نفي الشمول في الجملة من غير دلالة على انتفاء
خصوصية البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا كليا ولا جزئيا فان الاستثناء لا يدل على ذلك
عبارة ثم يشير الى مخالفة حكم ما بعده لما قبله اشارة اجمالية يكتفى بها في المقامات الخطابية
لا في اثبات الاحكام الشرعية فان ملاك الامر في ذلك انما هو الدليل وقد ورد على
طريقة البيان وقيل هو صفة لجنبا على ان الا بمعنى غير اي لا جنبا غير عابري سبيل ومن حمل
الصلوة على مواضعها فسر العبور بالاجتياز بها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي وعند
لا يجوز ذلك الا ان يكون الماء او الطريق فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم
في المسجد وكان يصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم ذلك حتى تغتسلوا
غاية للنهي عن قربان الصلوة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للايذان من اول
الامر بان حكم النهي في هذه الصورة ليس على الاطلاق كما في صورة السكر تشويقا الى
البيان وروما لزيادة تقرره في الاذهان وفي الاية الكريمة اشارة الى ان المصلي حقه
ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وان يزكي نفسه عما يدنسها ولا يكتفي بادنى مراتب التزكية عند
امكان اعاليها وان كنتم مرضى شروع في تفصيل ما اجمل في الاستثناء وبيان ما هو في حكم المستثنى
من الاعذار والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي له في حكم الترخص للاشعار
بانه العذر الغالب المبني على الضرورة التي عليها يدور امر الرخصة كانه قيل ولا جنبا الا
مضطرين واليه مرجع ما قيل من انه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد
بالمرض ما يمنع من استعمال الماء مطلقا سواء كان ذلك بتعذر الوصول اليه او بتعذر استعماله
او على سفر عطف على مرضى اي او كنتم على سفر ما طال او قصر وايراده صريحا مع سبق ذكره

بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعي عليه وبيان كيفيته فان الاستثناء كما اشير اليه بمعزل من
الدلالة على ثبوته فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض عليه للايذان باصالته واستقلاله
بالحكم لانه لا يوجد في غيره كالاشتداد باستعمال الماء ونحوه او جاء احد منكم من الغائط هو المكان
الغائر المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده يذهب اليه ليواري
شخصه عن اعين الناس واسناد المجيء منه الى واحد مبهم من المخاطبين دونهم للتحاشي عن التصريح
بنسبتهم الى ما يستحيى منه او يستهجن التصريح به وكذلك اشار الى الكناية فيما عطف عليه
من قوله تعالى او لامستم النساء في التصريح بالجماع ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة
والمصير الى التيمم مع كونهما سببي وجوبها ليس باعتبار انفسهما بل باعتبار قيدهما المستفاد
من قوله تعالى فلم تجدوا ماء بل هو السبب في الحقيقة وانما ذكرا تمهيدا له وتنبيها على انه
سبب للرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى كانه قيل او لم تكونوا
مرضى او مسافرين بل كنتم فاقدين للماء بسبب من الاسباب مع تحقق ما يوجب استعماله
وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع انه معتبر في صورة المرض والسفر ايضا لندرة وقوعه
فيهما واستغنائهما عن ذكره واما لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمها حكم الحدث
الاصغر بدلالة النص لان تقدير النظم لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا حال
كونكم مسافرين فان كنتم كذلك او كنتم مرضى الخ واما ما قيل من ان عموم اعواز الماء في حق
المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه في حق المريض مغن عن ذكرهما
وما قيل من ان هذا القيد راجع الى الكل وان قيد وجوب التطهر المكنى عنه بالمجيء من الغائط
والملامسة معتبر في الكل مما لا يساعده النظم الكريم فتيمموا صعيدا طيبا فتعمدوا شيئا من
وجه الارض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا او غيره وان كان صخرا
لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة
رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله لا بد من ان يعلق باليد شيء من التراب فامسحوا
بوجوهكم وايديكم فالتعبير عنهم بالموصول لا سيما بعد الاشارة اليهم بهؤلاء لذمهم بما في
حيز الصلة والاشعار بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة والامر الهائل وايراده عليه
السلام بعنوان الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول ان يؤمن
به ويطاع لا ان يكفر به ويعصى وان اريد بهم جنس الكفرة فهم داخلون في زمرتهم دخولا
اوليا والمراد بالرسول الجنس المنتظم للنبي صلى الله عليه وسلم انتظاما اوليا واياما كان
ففيه من تهويل الامر وتفظيع الحال ما لا يقادر قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا
داخل معه في الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم ففيه دلالة على ان الكفار مخاطبون
بفروع الشرائع في حق المؤاخذة وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة لموصول آخر اي يود
في ذلك اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول والذين كفروا وقد عصوا الرسول
والذين كفروا والذين عصوا الرسول ولو في قوله تعالى لو تسوى بهم الارض ان جعلت مصدرية

فالجملة

فالجملة مفعول ليود اي يودون ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودون انهم لم
يبعثوا او لم يخلقوا وكانهم والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها وان جعلت حرف
تمن فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه اي يودون تسويته لما روي انه صلى الله عليه وسلم
تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره ان الله كان عفوا غفورا تعليل
للترخيص والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين
لا بد من ان يكون ميسرا لا معسرا وقيل هو كناية عنهما فان الترخيص والمسامحة من روادف
العفو وتوابع الغفران الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب كلام مستأنف مسوق لتعجيب
المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من
المؤمنين وتوجيهه اليه هنا مع توجيههما بعد الى الكل معا للايذان بكمال شهرة شناعة
حالهم وانها بلغت من الظهور الى حيث يتعجب منها كل من يراها والرؤية بصرية اي الم تنظر
اليهم فانهم احقاء بان تشاهدهم وتتعجب من احوالهم وتجويز كونها قلبية على ان الى لتضمينها
معنى الانتهاء كما ظن يأباه مقام تشهير شناعتهم ونظمها في سلك الامور المشاهدة والمراد
بهم احبار اليهود وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في حبرين من احبار
اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه يثبطانهم عن الاسلام وعنه
رضي الله عنه ايضا انها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى
الله عليه وسلم لويا لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب التوراة وحمله على جنس الكتب المنتظم
لها انتظاما اوليا تطويل للمسافة وبالذي اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام والعلوم
التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه
بالنصيب المنبئ عن كونه حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها للايذان
بكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه وتنوينه تفخيمي مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم
فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال شناعتهم والاشعار بمكان
ما طوي ذكره في المعاملة المحكية عنهم من الهدى الذي هو احد العوضين وكلمة من متعلقة
اما باوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية
اي نصيبا كائنا من الكتاب وقوله عز وجل يشترون الضلالة قيل هو حال مقدرة
من واو اوتوا ولا ريب في ان اعتبار تقدير اشترائهم المذكور في الايتاء مما لا يليق بالمقام
وقيل هو حال من الموصول اي الم تنظر اليهم حال اشترائهم الخ واستحسن بانه
خال عن افادة ان مادة التشنيع والتعجيب المفهومين هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه
والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم انه استئناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين
من صدر الكلام على وجه الاجمال والابهام مبني على سؤال نشأ منه كانه قيل ماذا يصنعون
حتى ينظر اليهم فقيل ياخذون الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية وانما طوي ذكر
المتروك لغاية ظهور الامر لا سيما بعد الاشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي

هو عبارة عن استبدال الضلالة بالهدى أي أخذها بدلا منه أخذا ناشئا عن الرغبة فيها والإعراض
عنه للإيذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها أن يعرض عنها كل الإعراض وإعراضهم
عن الهداية التي يتنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية
ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاها أحد ممن له أدنى
تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل بمعنى الاشتراء المنبئ عن إعراضها
عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعد ما علموا بشأن النبي
صلى الله عليه وسلم وتيقنوا بحقية دينه وأنه هو النبي صلى الله عليه وسلم المبشر به في
التوراة ولا ريب في أن هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وتنمو في أوائل
البعثة **ويريدون** عطف على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع
فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فإن تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل هو
في قوة تجدد نفسه وتكرره أي لا يكتفون بضلال أنفسهم بما فعلوا من كتمان نعوته
صلى الله عليه وسلم **أن تضلوا** أنتم أيضا أيها المؤمنون **السبيل** المستقيم الموصل إلى الحق
والله أعلم أي منكم **بأعدائكم** جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد أخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون
بكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم أو هو أعلم بحالهم ومآل أمرهم والجملة معترضة
لتقرير إرادتهم المذكورة **وكفى بالله وليا** في جميع أموركم ومصالحكم **وكفى بالله نصيرا**
في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره أو لا تبالوا بهم وبما
يسومونكم من السوء فإنه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء مزيدة
في فاعل كفى لتأكيد الاتصال الإسنادي بالاتصال الإضافي وتكرير الفعل في الجملتين
مع إظهار الجلالة في مقام الإضمار لا سيما في الثانية لتقوية استقلالهما المناسب للاعتراض
تأكيد كفايته عز وجل في كل من الولاية والنصرة والإشعار بعلتهما فإن الألوهية من
موجباتهما لا محالة **من الذين هادوا** قيل هو بيان لأعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه أنه
لا وجه لتخصيص علمه سبحانه بطائفة من أعدائهم لا سيما في معرض الاعتراض الذي حقه
العموم والإطلاق وانتظار ما هو المقصود في المقام استطرادا أولا كما أشير إليه وقيل
هو صلة لنصيرا أي ينصركم من الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرني من الله وفيه
ما فيه من تحجير واسع نصرته عز وجل مع أنه لا داعي إلى وضع الموصول موضع ضمير
الأعداء لأن ما في حيز الصلة ليس بوصف ملائم للنصر وقيل هو خبر مبتدأ محذوف
وقع قوله تعالى **يحرفون الكلم عن مواضعه** صفة له أي من الذين هادوا قوم أو فريق
يحرفون الخ وفيه أنه يقتضي كون القرين السابق بمعزل من التحريف الذي هو المصداق
لاشترائهم في الحقيقة فالذي يليق بشأن التنزيل الجليل أنه بيان للموصول الأول المتناول
بحسب المفهوم لأهل الكتابين قد وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع
والتعجيب والمسارعة إلى تنفير المؤمنين منهم وتحذيرهم عن مخالطتهم والاهتمام بعلمهم

في الثقة

في الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته ونصرته وأن قوله تعالى يحرفون وما عطف
عليه بيان لاشترائهم المذكور وتفصيل لفنون ضلالتهم وقد روعيت في النظم الكريم طريقة
التفسير بعد الإبهام والتفصيل إثر الإجمال روما لزيادة تقرير تقتضيه الحال والكلم
اسم جنس واحده الكلمة كتمر وتمرة وتذكير ضميره باعتبار إفراده لفظا وجمعية مواضعه
باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة وقرئ
يحرفون الكلام والمراد به ههنا إما التوراة خاصة وإما ما هو أعم منه ومما يحكى عنهم
من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في أثناء المحاورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا مساغ لإرادة تلك الكلمات خاصة بأن يحمل عطف قوله تعالى **ويقولون سمعنا وعصينا**
الخ على ما قبله عطفا تفسيريا لما ستقف عليه فإن أريد به الأول كما هو رأي الجمهور
فتحريفه إزالته عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التوراة كتحريفهم في نعت النبي
صلى الله عليه وسلم أسمر ربعة عن مواضعه في التوراة بأن وضعوا مكانه آدم طوال
وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد أو صرفه عن المعنى الذي أنزله الله تعالى فيه
إلى ما لا صحة له بالتأويلات الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وإن أريد به
الثاني فلا بد من أن يراد بمواضعه ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا
كمواضع ما في التوراة أو بتعيين العقل والدين كمواضع غيره وأيا ما كان فقولهم سمعنا
وعصينا ينبغي أن يجري على إطلاقه من غير تعيينه بزمان أو مكان ولا تخصيص بمادة
دون مادة بل وأن يحمل على ما هو أعم من القول الحقيقي ومما يترجم عنه عنادهم
ومكابرتهم ليندرج فيه ما نطقت به ألسنة حالهم عند تحريف التوراة فإن من لا يتعوذ
بتلك العظمة لا يكاد يجسر على مثل هذه الجناية والاحتمال على ما قالوه في مجلس النبي
صلى الله عليه وسلم من القبائح خاصة يستدعي اختصاص حكم الشرطية الآتية وما بعدها
بهن من غير تعرض لتحريفهم التوراة مع أنه معظم جناياتهم المعدودة ومن ههنا
انكشف لك السر الموعود فتأمل أي يقولون في كل أمر مخالف لأهوائهم الفاسدة سواء
كان بمحضر النبي صلى الله عليه وسلم أو لا بلسان المقال أو الحال سمعنا وعصينا عنادا وتحقيقا
للمخالفة وقوله تعالى **واسمع غير مسمع** عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول أي ويقولون
ذلك في أثناء مخاطبته صلى الله عليه وسلم خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بأن
يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلاما أصلا بصمم أو موت أي مدعوا عليك بلا سمعت
أو غير مسمع كلاما ترضاه فحينئذ يجوز أن يكون نصبه على المفعولية وللخير بأن يحمل على اسمع
منا غير مسمع كلاما مكروها كما كانوا يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين له
عليه السلام إرادة المعنى الأخير وهم مضمرون في أنفسهم المعنى الأول مطمئنون به
وراعنا عطف على اسمع غير مسمع أي ويقولون في أثناء خطابهم له صلى الله عليه وسلم
هذا أيضا يوردون كلا من العظائم الثلاث في مواقعها وهو أيضا كلمة ذات جهتين محتملة

بالخير بحملهما على معنى رقبنا وانظرنا نكلمك وبالشر بحملهما على السب بالرعونة اي الحمق او باجرائهما مجرى ما يشبههما من كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا كانوا يخاطبونه عليه السلام بذلك ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوقير والاحترام وتصييرهم الى مسلك النفاق في القولين الاخيرين مع تصريحهم بالعصيان في الاول لما ان مر ان جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء قيل كانوا يقولون الاول فيما بينهم وقيل يجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به كانهم نطقوا به ليا بالسنتهم اي فتلا بها وصرفا للكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لا اسمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا او فتلا بها وضما ما يظهرونه من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير وطعنا في الدين اي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما على العلية ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الاخيرين اي يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه الى السب والطعن في الدين او على الحالية اي لاوين وطاعنين في الدين ولو انهم عندما سمعوا شيئا من اوامر الله تعالى ونواهيه قالوا اي قالوا بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا انما اعيد سمعنا مع انه متحقق في كلامهم وانما الحاجة الى وضع اطعنا مكان عصينا لا للتنبيه على عدم اعتباره بل على اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد ومرادهم بحكايته اعلام ان عصيانهم للامر بعد سماعه والوقوف عليه فلا بد من ازالته واقامة سماع القبول مقامه واسمع اي لو قالوا عند مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم بدل قولهم اسمع غير مسمع وانظرنا اي ولو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسوا تحت كلامهم شرا وفسادا اي لو ثبت انهم قالوا هذا مكان ما قالوا من الاقوال لكان قولهم ذلك خيرا لهم مما قالوا واقوم اي اعدل واسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار اصل الفعل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل وانما قدم في البيان حاله بالنسبة اليهم على حاله في نفسه لان همهم مقصور على ما ينفعهم ولكن لعنهم الله بكفرهم اي ولكن لم يقولوا ذلك واستمروا على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك فلا يؤمنون بعد ذلك الا قليلا قيل اي الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل او الا زمانا قليلا وهو زمان الاحتضار فانهم يؤمنون حين لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما ليس بايمان قطعا ولا مساغ لان يراد بالقلة العدم الكلي على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي ان كان الايمان بالقرآن الناطق بهذا الافضاء الى التكليف بالمحال الذي هو ايمانهم بعدم ايمانهم المستمر به اما على الوجه الاول فظاهر واما على الآخر فلان امرهم بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسل تكليف لهم بايمانهم بعدم ايمانهم ببعض

الكتب والرسل

الكتب والرسل وبعدم الايمان الا وقت الاحتضار فالوجه ان يحمل القليل على من يؤمن بعد ذلك لكن لا يجعل المستثنى منه ضمير الفاعل في لا يؤمنون لاقتضائه وقوع الايمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القرآن الى الاتفاق في غير المحال بل يجعل ضمير المفعول في لعنهم اي ولكن لعنهم الله الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما كما سيأتي يا ايها الذين اوتوا الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له اما الى من حكيت احوالهم واما لهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب اي التوراة واخرى بايتاء نصيب منها لتوفية كل من المقامين حظه فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضلالة وازالة ما اوتوه بمقابلتها بالتحريف وليس ما ازالوه بذلك كلها حتى يوصفوا بايتائه بل هو بعضها فوصفوا بايتائه واما ههنا فالمقصود تأكيد ايجاب الامتثال بالامر الذي يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه والكفر بالثاني مقتض للكفر بالاول قطعا ولا ريب ان المعهود عندهم انما هو لزوم الكفر بالتوراة نفسها لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القرآن مصدقا لكلها وان كان مناط التصديق بعضا منها ضرورة ان مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما واما اليهم والى غيرهم قاطبة وهو الاظهر واما ما كان فتفصيل ما فصل لما كان من مظان الاقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلالة عقب ذلك بالامر بالمتابعة الى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة فقيل آمنوا بما نزلنا من القرآن عبر عنه بالموصول تشريفا له في حيز الصلة وتحقيقا لكونه من عنده عز وجل مصدقا لما معكم من التوراة عبر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فان المعية المستدعية لدوام تلاوتها وتكرر المراجعة اليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكون القرآن مصدقا لها ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها في القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها في جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم والاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي من قبل ان نطمس وجوها متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى الامتثال به والجد في الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه وآكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها على ان ذلك امر محقق غني عن الاخبار به وانه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي

إيمانهما لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم إلى الإيمان وأصل الطمس محو الآثار وإزالة
الأعلام أي آمنوا من قبل أن نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس
رضي الله عنهما نجعلها كخف البعير أو كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها كقوله
تعالى فطمسنا أعينهم وقيل نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة فنردها على أدبارها
فنجعلها على هيئة أدبارها وأقفائها مطموسة مثلها فالفاء للتسبيب أو ننكسها بعد
الطمس فنردها إلى موضع الأقفاء والأقفاء إلى موضعها وقد اكتفي بذكر أشدهما
فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجهاء على أن الطمس بمعنى مطلق التغيير
أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلب إقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغاراً
وإدباراً أو نردهم من حيث جاؤوا منه وهي أذرعات الشام فالمراد بذلك إجلاء
بني النضير ولا يخفى أنه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالو
ما سبق من الوجوه وقد تنوزع في أن الوعيد هل كان بوقوعه في الدنيا أو الآخرة فقيل
كان بوقوعه في الدنيا ويؤيده ما روي أن عبد الله بن سلام لما قدم من الشام وقد
سمع هذه الآية أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يأتي أهله فأسلم
وقال يا رسول الله ما كنت أرى أن أصل إليك حتى يحول وجهي إلى قفاي وفي
رواية جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويده على وجهه وأسلم وقال ما قال
وكذا ما روي أن عمر رضي الله عنه قرأ هذه الآية على كعب الأحبار فقال
كعب يا رب آمنت يا رب أسلمت مخافة أن يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقيل
إنه منتظر بعد ولا بد من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد وفيه أن [illegible]
العذاب الموعود عن أوائلهم وهم الذين باشروا أسباب نزوله وموجبات حلوله
حيث شاهدوا آيات النبوة في رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوه وفي
التوراة فحرفوها وأصروا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب المشافهة
بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعدما مات من السنين من أعقابهم الضالين
بإضلالهم العامين بما مهدوا من قوانين الغواية بعيد من حكمة الله العزيز الحكيم
وقيل إن وقوعه كان مشروطاً بعدم الإيمان وقد آمن من أحبارهم المذكوران
وأضرابهما فلم يقع وفيه أن إسلام بعضهم إن لم يكن سبباً لتأكد نزول العذاب
على الباقين لتشديدهم النكير والعناد بعد ازدياد الحق وضوحاً وقيام الحجة عليهم
بشهادة أماثلهم العدول فلا أقل من أن لا يكون سبباً لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد
بوقوع أحد الأمرين كما ينطق به قوله تعالى أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت فإن لم يقع
الأمر الأول فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل لسان في كل زمان
وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمعتد به وأنت خبير بأن المتبادر من اللعن المشبه بلعن
أصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه على الطمس والرد على الأدبار شائبة دلالة

على عدم

على عدم إرادة المسخ ضرورة أنه تغيير مغاير لما عطف عليه على أن المتوعد به لا بد أن
يكون حادثاً مترتباً على الوعيد متجدداً عندهم ليكون مزجرة عن مخالفته الأمر ولم يعهد
أنه وقع عليهم لعن بهذا الوصف إنما الواقع عليهم ما تداولته الألسنة من اللعن المستمر
الذي ألفوه وهو بمعزل من صلاحية أن يكون حكماً لهذا الوعيد أو مزجرة للعنيد
وقيل إنما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة أحد
الأمرين أو كلاهما على سبيل التوزيع وأما ما روي عن عبد الله بن سلام وكعب رحمه
الله فمبني على الاحتياط اللائق بشأنهما والحق أن النظم الكريم ليس بنص في أحد الوجهين
بل المتبادر منه بحسب المقام هو الأول لأنه أدخل في الزجر وعليه مبني ما ذكر
عن الحبرين لكن لما لم يقع وقوعه علم أن المراد هو الثاني والله تعالى أعلم وأياً ما كان
فلعل السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبات مراعاة المشاكلة بينها وبين
ما أوجبها من جنايتهم التي هي التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير وكان أمر الله
أي ما أمر به كائناً ما كان أو أمره بإيقاع شيء ما من الأشياء مفعولاً نافذاً كائناً
لا محالة فيدخل فيه ما أوعدتم به دخولاً أولياً فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق
ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم
وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال إن الله لا يغفر أن يشرك به كلام مستأنف
مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتأكيد وجوب الامتثال بالأمر بالإيمان ببيان
استحالة المغفرة بدونه فإنهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في
المغفرة كما في قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى
أي في التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاماً أولياً
فإن الشرع قد نص على إشراك أهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود أصناف الكفرة في النار ونزوله
في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الأنسب بسياق النظم الكريم وسياقه لا يقتضي اختصاصه
بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعاً بل لا وجه له أصلاً لإفضائه بجواز مغفرة ما دون
كفرهم في الشدة من أنواع الكفر أي لا يغفر لمن اتصف به بلا توبة وإيمان لأن الحكمة
التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا إيمان مما يؤدي إلى فتحه
ولأن ظلمات الكفر والمعاصي إنما يسترها نور الإيمان فمن لم يكن له إيمان لم يغفر له
شيء من الكفر والمعاصي ويغفر ما دون ذلك عطف على خبر إن وذلك إشارة إلى الشرك
وما فيه من معنى البعد مع قربه في الذكر للإيذان ببعد درجته وكونه في أقصى مراتب
القبح أي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت أو كبيرة تفضلاً من لدنه
وإحساناً من غير توبة عنها لكن لا لكل أحد بل لمن يشاء أي لمن يشاء أن يغفر له ممن اتصف به فقط
لا بما فوقه فإن مغفرتهما لمن اتصف بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية
على الحكمة التشريعية فإن اختصاص مغفرة المعاصي من غير توبة بأهل الإيمان من تتمات

الترغيب والزجر عن الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وجعل الموصول الاول
عبارة عمن لم يتب والثاني عمن تاب فقد ضل سبيل الصواب كيف لا وان مساق
النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي ببيان
استحالة مغفرته فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع
على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان
والحمل على التوبة والايمان ومن يشرك بالله اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار
لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع حال من يتصف به فقد افترى اثما عظيما اي افترى
واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه جميع الآثام فلا يتعلق به المغفرة
قطعا الم تر الى الذين يزكون انفسهم تعجيب من حالهم المنافية لما هم عليه من الكفر
والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود
جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال عليه السلام
لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار
اي انظر اليهم فتعجب من ادعائهم انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر
والاثم العظيم او من ادعائهم التكفير مع استحالة ان يغفر للكافر شيء من كفره او معاصيه
وفيه تحذير من اعجاب المرء بنفسه وبعمله بل الله يزكي من يشاء عطف على مقدر ينساق
اليه الكلام كانه قيل هم لا يزكونها في الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله
يزكي من يشاء تزكيته ممن يستاهلها من المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم الخبير بما انطوى
عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم بما هم متصفون به من القبائح واصل
التزكية نفي ما يستقبح بالفعل او بالقول ولا يظلمون عطف على جملة قد حذفت تعويلا
على دلالة الحال عليها وايذانا بانها غنية عن الذكر اي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة
ولا يظلمون في ذلك العقاب فتيلا اي ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق
النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل التقدير يثاب المزكون ولا ينقص
ثوابهم اصلا ولا يناسبه مقام الوعيد انظر كيف يفترون على الله الكذب كيف نصب اما على
التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والاخفش والعامل يفترون
وبه يتعلق على اي في اي حال او على اي حال يفترون عليه تعالى الكذب والمراد بيان
شناعة تلك الحال وكمال فظاعتها والجملة في محل النصب بعد نزع الخافض والنظر
متعلق بها وهو تعجيب اثر تعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين عظيمين موجبين
للتعجب ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه فان
ادعاءهم الزكاة عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضاءه اياهم تعالى عن
ذلك علوا كبيرا او لكون هذا اشنع من الاول جرما واعظم قبحا لما فيه من نسبته سبحانه
الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر وسائر

معاصيه

معاصيه وجه النظر الى كيفيته تشديدا للتشنيع وتاكيدا للتعجيب والتصريح بالكذب
مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للمبالغة في تقبيح حالهم وكفى به اي بافترائهم هذا من
حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم وسائر آثامهم العظام
اثما مبينا ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى ذلك وحده في كونهم آثمين من كل عائد آثم او في
استحقاقهم لاشد العقوبات لما مر مرارا وجعل الضمير لزعمهم مما لا مساغ له لاخلاله بتهويل
امر الافتراء فقد بر الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب تعجيب من حال اخرى لهم ووصفهم
بما ذكر من ايتاء النصيب لما مر مرارا من منافاته لما صدر عنهم من القبائح قال عز وجل
يؤمنون بالجبت والطاغوت استئناف مبين لمادة التعجيب مبني على سؤال ينساق اليه
الكلام كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون الخ والجبت الاصنام
وكل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فابدلت السين
تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان وقيل هو في الاصل كل ما يطغي
الانسان روي ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة في
سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا
العهد الذي كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى
محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم
بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو
سفيان لكعب انك امرؤ تقرا الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا
نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد قال يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك
قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني
وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى ويقولون للذين
كفروا اي لاجلهم وفي حقهم هؤلاء يعنونهم اهدى من الذين آمنوا سبيلا اي اقوم دينا
وارشد طريقا وايرادهم بعنوان الايمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى
تشريفا لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين باقبح القبائح اولئك
اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قربهم في الذكر للاشعار ببعد منزلتهم
في الضلال وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين لعنهم الله اي ابعدهم عن رحمته
وطردهم والجملة مستانفة لبيان حالهم واظهار مصيرهم ومالهم ومن يلعن الله
اي يبعده عن رحمته فلن تجد له نصيرا يدفع عنه العذاب دنيويا كان او اخرويا
لا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش وفي كلمة لن وتوجيه
الخطاب الى كل احد يتاتى له الخطاب وتوحيد النصير منكرا والتعبير عن عدمه
بعدم الوجدان المنبئ عن سبق الطلب مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على
حرمانهم الابدي بالكلية ما لا يخفى ام لهم نصيب من الملك شروع في تفصيل بعض آخر

من قبلهم وأم منقطعة وما فيها من بل للإضراب والانتقال من ذمهم بتزكيتهم أنفسهم
وغيرها مما حكي عنهم إلى ذمهم بادعائهم نصيبا من الملك وبخلهم المفرط وشحهم البالغ
والهمزة لإنكار أن يكون لهم ما يدعونه وإبطال ما زعموا أن الملك سيصير إليهم وقوله
تعالى فإذا لا يؤتون الناس نقيرا بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه
بسبب أنهم من البخل والدناءة بحيث لو أوتوا شيئا من ذلك لعدم استحقاقهم له بل
لاستحقاقهم الحرمان لما أعطوا الناس منه أقل قليل ومن حق من أوتي الملك أن يؤثر
الغير بشيء منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط محذوف أي إن جعل لهم نصيب منه فإذا
لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو ما في ظهر النواة من النقرة يضرب به المثل في القلة
والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم وإذا كان شأنهم كذلك وهم ملوك
فما ظنك بهم وهم أذلاء متفاقرون ويجوز أن لا يكون الهمزة لإنكار الوقوع بل لإنكار
الواقع والتوبيخ عليه أي لعده منكرا غير لائق بالوقوع في أن الفاء للعطف والإنكار
متوجه إلى المجموع المعطوفين في معنى أنهم نصيب وافر من الملك حيث كانوا أصحاب
أموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس مع ذلك نقيرا كما يقال
الغني لا يراعي أباه ألك هذا القدر من المال فلا تنفق على أبيك شيئا وفائدة إذا
تأكيد الإنكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب سببا للمنع مع كونه سببا
للإعطاء وهي ملغاة في العمل كأنه قيل فلا يؤتون الناس إذا أو فإذا لا يؤتوا
بالنصب في إعمالها أم يحسدون الناس منقطعة أيضا مفيدة للانتقال عن توبيخهم
بالحسد الذي هو شر الرذائل وأقبحها لا سيما في ما هم بمعزل من استحقاقه واللام في
الناس للعهد والإشارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وحمله على
الجنس إيذانا بحيازتهم للكمالات البشرية قاطبة فكأنهم هم الناس لا غير لا يلائمه
ذكر حديث آل إبراهيم فإن ذلك لتذكير ما بين الفريقين من العلاقة الموجبة
لاشتراكهما في استحقاق الفضل والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه فإنهم كانوا يطمعون
أن يكون النبي الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم أي بل
أيحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب وازديادا العز والنصر
يوما فيوما فقوله تعالى فقد آتينا تعليل للإنكار الواقع واستقباحه فإنهم [illegible]
والزامهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم
عدم استحقاق المحسود لما أوتوا من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابرا
عن كابر وإجراء الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لإظهار كمال العناية بالأمر
والمعنى أن حسدهم المذكور في غاية القبح والبطلان فإنا قد آتينا من قبل هذا آل
إبراهيم الذين هم أسلاف محمد وأبناء أعمامه الكتاب والحكمة أي النبوة وآتيناهم مع ذلك
ملكا عظيما لا يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته عليه السلام ويحسدونه على إيتائها

وتكرير

وتكرير الإيتاء لما يقتضيه مقام التفصيل مع الإشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة
فإن أريد به الإيتاء بالذات فالمراد بآل إبراهيم أنبياؤهم عليهم السلام خاصة والضمير
المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم إما بحذف المضاف أو بطريق الاستخدام لما أن
الملك لم يؤت كلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما الملك في آل إبراهيم ملك يوسف
وداود وسليمان عليهم السلام وإن أريد به ما يعمه وغيره من الإيتاء بالواسطة
وهو اللائق بالمقام والأوفق لما قبله من نسبة إيتاء الفضل إلى الناس فالمراد بآل
إبراهيم كلهم فإن تشريف البعض بما ذكر من إيتاء النبوة والملك تشريف للكل لاغتنامهم
بآثاره واقتباسهم من أنواره وفي تفصيل ما أوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك
بالعظم وتنكيره التفخيمي من تأكيد الإلزام وتشديد الإنكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر
من النظم الكريم وإليه جنح جمهور أئمة التفسير لكن الظاهر أن يكون قوله تع
فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه حكاية لما صدر عن أسلافهم عقيب وقوع المحكي من غير
أن يكون له دخل في الإلزام الذي سيق له الكلام أي فمن جنس هؤلاء الحاسدين وآبائهم
من آمن بما أوتي آل إبراهيم فيستدعي ومنهم من أعرض عنه وأما جعل الضميرين لما
ذكر من حديث آل إبراهيم فيستدعي تراخي الآية الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية
إيمانهم بالحديث المذكور وإعراضهم عنه بصيغة الماضي إنما يتصور بعد وقوع الإيمان
والإعراض المتأخرين عن سماع الحديث المتأخر عن نزوله وكذا جعلهما لرسول
الله صلى الله عليه وسلم إذ الظاهر بيان حالهم بعد هذا الإلزام وحمله على حكاية
حالهم السابقة لا يساعده الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد أن يكون
الهمزة لتعديد حسدهم وتوبيخهم بذلك ويكون قوله تعالى فقد آتينا الآية تعليلا
له بدلا لقبح في إعراضهم عما أوتي آل إبراهيم وإن لم يذكر كونه بطريق الحسد كأنه قيل
بل أيحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك ديدنهم المستمر فإنا قد
آتينا آل إبراهيم ما آتينا فمنهم من آمن بما آتيناهم ومنهم من أعرض عنه ولم يؤمن به والله
سبحانه أعلم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعرة
يعذبون بها والجملة تذييل لما قبلها إن الذين كفروا بآياتنا إن أريد بهم الذين كفروا برسول
الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بالآيات إما القرآن أو ما يعم كله وبعضه أو ما يعم سائر معجزاته
أيضا وإن أريد به الجنس المتناول لهم تناولا أوليا فالمراد بالآيات ما يعم المذكورات وسائر
الشواهد التي أوتيها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سوف نصليهم نارا قال سيبويه
سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد تذكر في الوعد فيفيد
أن التأكيد أي ندخلهم نارا عظيمة هائلة كلما نضجت جلودهم أي احترقت وكلما ظرف زمان
والعامل فيه بدلناهم جلودا غيرها من قبيل بدله بخوفه أمنا لا من قبيل بدل الله سيئاتهم حسنات
أي أعطيناهم مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق صورة وإن كان

عينه مادة بأن يزال عنه الاحتراق ليعود احساسه للعذاب وقيل في محل النصب على انها
حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة لنارا على حذف العايد اي كلما نضجت فيها جلودهم
نعني قوله تعالى ليذوقوا العذاب ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك
الله وقيل يخلق مكانه جلدا آخر والعذاب للنفس العاصية لا لآلة ادراكها قال
ابن عباس رضي الله عنهما يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس روي ان هذه الآية
قرئت عند عمر رضي الله عنه فقال للقارئ اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل
فقال معاذ عندي تفسيرها يبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة
كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وقال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده
مسيرة ثلاثة ايام والتعبير عن ادراك العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان ان
احساسهم بالعذاب في كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق من حيث انه لا يدخله نقصان
بدوام الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه او للتنبيه على شدة تاثيره
من حيث ان القوة الذائقة اشد الحواس تاثرا او على سرايته للباطن ولعل السر في تبديل
الجلود مع قدرته تعالى على ابقاء ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق او مع
ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق ان النفس ربما تتوهم زوال الادراك
بالاحتراق ولا يستبعد كل الاستبعاد ان تكون مصونة عن التألم صيانة بدنها عن الاحتراق
ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه احد حكيما يعاقب من يعاقبه على وفق
حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات
لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل الحكم فان عنوان الالوهية مناط لجميع صفات
كماله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال
المؤمنين تكميلا لمساءة الاولين ومسرة الآخرين اي الذين آمنوا بآياتنا وعملوا بمقتضاها
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ سيدخلهم
بالياء ردا على الاسم الجليل وفي السين تاكيد للوعد خالدين فيها ابدا حال مقدرة
من الضمير المنصوب او على انه في سيدخلهم وقوله عز وعلا لهم فيها ازواج مطهرة
اي مما في نساء الدنيا من الاحوال المستقذرة البدنية والادناس الطبيعية في محل
النصب على انه حال من جنات او حال ثانية من الضمير المنصوب او على انه صفة لجنات
بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر وندخلهم ظلا ظليلا اي فيه
دائما لا ينسخه شمس اللهم ارزقنا ذلك بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل
صفة مشتقة من لفظ الظل للتاكيد كما في ليل اليل ويوم ايوم وقرئ يدخلهم بالياء

وهو عط

وهو عطف على سندخلهم لا على انه غير الادخال الاول بالذات بل بالعنوان كما في
قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب
غليظ ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها تصدير الكلام بكلمة التحقيق
واظهار الاسم الجليل وايراد الامر في صورة الاخبار من الفخامة وتاكيد وجوب
الامتثال والدلالة على الاعتناء بشانه ما لا مزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين
قاطبة كما ان الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق
العباد سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان ورد في شان عثمان بن طلحة
بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح
اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يده واخذه منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس
ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان
ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي رضي الله عنه اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق
فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا فقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله
الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام
واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقيل الامانة
على التوحيد والمراد الجنس لا المعهود وقيل هو امر للولاة باداء الحقوق المتعلقة
بذممهم من المناصب والى غيرها مستحقيها كما في قوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان
تحكموا بالعدل امر لهم بايصال الحقوق المتعلقة بذمم الغير الى اصحابها وحيث كان المأمور
به هاهنا مختصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المامور به اولا فانه لما لم يتعلق بوقت
دون وقت اطلق اطلاقا فقوله تعالى ان تحكموا عطف على ان تؤدوا وقد فصل بين العاطف
والمعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين ولمقدر يدل هو عليه عند البصريين لان
ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها عندهم اي وان تحكموا اذا حكمتم الخ وقوله تعالى بالعدل
متعلق بتحكموا او بمقدر وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالعدل والانصاف ان الله
نعما يعظكم به ما اما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم
شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك
وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات وقرئ نعما بفتح النون
والجملة مستانفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن استدعائهم
الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة ان الله كان سميعا باقوالكم
بصيرا بافعالكم فهو وعد ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر آنفا فان فيه تاكيدا لكل
من الوعد والوعيد يا ايها الذين آمنوا بعدما امر الولاة بطريق العموم او بطريق الخصوص

بأداء الأمانات والعدل في الحكومات أمر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في
ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله عز وجل صلى الله عليه وسلم حيث قيل
أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم وهم أمراء الحق وولاة العدل كالخلفاء
الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين وأما أمراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف
على الله تعالى والرسول عليه السلام في وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع
لقوله تعالى ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ويأباه
قوله تعالى فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله إذ ليس للمقلد أن ينازع المجتهد
في حكمه إلا أن يجعل الخطاب لأولي الأمر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير
الشرطية بالفاء لترتيبها على ما قبلها فإن بيان حكم طاعة أولي الأمر عند موافقة
طاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يستدعي بيان حكمها عند
المخالفة أي إن اختلفتم أنتم وأولو الأمر منكم في أمر من أمور الدين فراجعوا
فيه إلى كتاب الله والرسول أي إلى سنته وقد استدل به منكر والقياس وهو في
الحقيقة دليل على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه إلى المنصوص عليه إنما يكون
بالتمثيل والبناء عليه وهو المعني بالقياس ويؤيده الأمر به بعد الأمر بطاعة الله تعالى
وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه يدل على أن الأحكام ثلاثة ثابت بالكتاب
وثابت بالسنة وثابت بالرد إليهما بالقياس إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
متعلق بالأمر الأخير الوارد في محل النزاع إذ هو المحتاج إلى التحذير من المخالفة وجواب
الشرط محذوف عند جمهور البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه أي إن كنتم تؤمنون
بالله واليوم الآخر فردوه الخ فإن الإيمان بهما يوجب ذلك أما الإيمان بالله
تعالى فظاهر وأما الإيمان باليوم الآخر فبما فيه من العقاب على المخالفة ذلك أي
الرد المأمور به خير لكم وأصلح وأحسن في نفسه تأويلا أي عاقبة ومآلا وتقديم خيريته
لهم على حسنيته في نفسه لما مر من تعلق أنظارهم بما ينفعهم والمراد به أن التفاوت
في نفسه بالخيرية الكاملة والحسن الكامل في حد ذاته من غير اعتبار فضله على شيء يشار
في أصل الخيرية والحسن كما ينبئ عنه العذر السابق ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما
أنزل إليك وما أنزل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول صلى الله عليه وسلم
تعجيبا له من حال الذين يخالفون ما مر من الأمر المحتوم ولا يطيعون الله ورسوله
ووصفهم بادعاء الإيمان بالقرآن وبما أنزل من قبله أعني التوراة لتأكيد التعجيل
وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم
وقرئ الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل يريدون أن يتحاكموا إلى
الطاغوت استئناف سيق لبيان محل التعجب مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه
قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الخ روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن منافقا

خاصم يهوديا فدعاه اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق
فدعاه إلى عمر بن الخطاب رضي الله إلى كعب بن الأشرف ثم إنهما احتكما إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم يرض به المنافق فدعاه إلى عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه وأرضاه فقال اليهودي قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم
يرض بقضائه فقال عمر رضي الله عنه للمنافق أهكذا قال نعم فقال عمر رضي الله
عنه مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق
المنافق حتى برد ثم قال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله فنزلت
فهبط جبريل عليه السلام وقال إن عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنت الفاروق فالطاغوت كعب بن الأشرف سمي به لإفراطه
في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو على التشبيه بالشيطان
والتسمية باسمه أو جعل اختيار التحاكم إلى غير النبي صلى الله عليه وسلم على التحاكم إليه
تحاكما إلى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم
وعن الشعبي أن المنافق دعا خصمه إلى كاهن في جهينة فتحاكما إليه وعن السدي
أن الحادثة وقعت في قتيل بين قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين إلى
النبي صلى الله عليه وسلم وأبى المنافقون منهما إلا التحاكم إلى أبي بردة الكاهن
الأسلمي فتحاكموا إليه فيكون الاقتصار في معرض التعجيب والاستقباح على ذكر
إرادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه أيضا للتنبيه على أن إرادته مما يقضى منه العجب
ولا ينبغي أن يدخل تحت الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا أنسب بوصف المنافقين
بادعاء الإيمان بالتوراة فإنه كما يقتضي كونهم من منافقي اليهود يقتضي كون ما صدر
عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الإيمان بالتوراة وليس التحاكم إلى كعب بن
الأشرف بهذه المثابة من الظهور وأيضا فالمتبادر من قوله تعالى وقد أمروا أن
يكفروا به كونهم مأمورين بكفره في الكتابين وما ذاك إلا الشيطان وأولياؤه
المشهورون بولايته ككهنة ونظرائهم لا من عداهم ممن لم يشتهر بذلك وقرئ
أن يكفروا بها على أن الطاغوت جمع كما في قوله تعالى أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة لتأكيد التعجيب وتشديد الاستقباح كالوصف
السابق وقوله عز وجل ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا عطف على يريدون
داخل في حكم التعجيب فإن اتباعهم لمن يريد إضلالهم وإعراضهم عمن يريد هدايتهم
أعجب من كل عجيب وضلالا إما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في
قوله وأنبتها الله نباتا حسنا أي إضلالا بعيدا وإما مصدر مؤكد لفعل المدلول عليه
بالمذكور أي فيضلون ضلالا وأياما كان فوصفه بالبعد الذي هو نعت لموصوفه للمبالغة
وقوله تعالى وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول تكملة لمادة التعجيب

إعراضهم صريحا عن التحاكم إلى كتاب الله تعالى ورسوله أثر بيان إعراضهم عن ذلك
في ضمن التحاكم إلى الطاغوت وقرئ تعالُوا بضم اللام على أنه حذف لام الفعل تخفيفا
كما في قولهم ما باليت به بالة أصلها بالية كعافية وكما قالوا في آية أن أصلها أيية
فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام في تعال فضمت فصار تعالوا ومنه قول
أهل مكة للمرأة تعالي بكسر اللام وعليه قول أبي فراس الحمداني أيا جارتا ما أنصف
الدهر بيننا * تعالي أقاسمك الهموم تعالي * رأيت المنافقين إظهار المنافقين في مقام
الإضمار للتسجيل عليهم بذمهم به والإشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية وقوله
تعالى يصدون عنك حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة مفعول
ثان لها والأول هو الأنسب لظهور حالهم وقوله تعالى صدودا مصدر مؤكد
لفعله أي يعرضون عنك إعراضا وأي إعراض وقيل هو اسم للمصدر الذي
هو الصد والأظهر أنه مصدر لصد اللازم والصد مصدر للمتعدي يقال صد
عنه صدودا أي أعرض عنه وصده عنه صدا أي منعه منه وقوله تعالى فكيف
شروع في بيان غائلة جناياتهم المحكية ووخامة عاقبتها أي كيف يكون حالهم إذا
أصابتهم مصيبة أي وقت إصابة المصيبة إياهم بافتضاحهم بظهور نفاقهم بما قدمت
أيديهم بسبب ما عملوا من الجنايات التي من جملتها التحاكم إلى الطاغوت والإعراض
عن حكمك ثم جاؤوك للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على أصابتهم والمراد
تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب واعتراهم من شدة الأمر عند إصابة المصيبة
وعند المجيء للاعتذار يحلفون بالله حال من فاعل جاؤوك إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا
أي ما أردنا بتحاكمنا إلى غيرك إلا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد
مخالفة لك ولا سخطا لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وأنهم
سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء أولياء المنافق
يطلبون بدمه وقد أهدره الله تعالى فقالوا ما أردنا أي ما أراد صاحبنا المقتول
بالتحاكم إلى عمر رضي الله تعالى عنه إلا أن يحسن إليه ويوفق بينه وبين خصمه أولئك
إشارة إلى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق
وهو مبتدأ خبره الذين يعلم الله ما في قلوبهم أي من فنون الكفر والشر وسائر الفساد
المنافية لما أظهروا لك من الأكاذيب فأعرض عنهم جواب شرط محذوف أي إذا كان
حالهم كذلك فأعرض عنهم عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم
ولا تظهر لهم علمك بما في بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر وعظهم
أي ازجرهم عن النفاق والكيد وقل لهم في أنفسهم في حق أنفسهم الخبيثة وقلوبهم
المطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى أو في أنفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم
مسارا بالنصيحة لأنها في السر أنجع قولا بليغا مؤثرا واصلا إلى كنهه المراد مطابقا لما

سيق

يخاطب بحمام يورد فوق الأغصان
نوح بحزن
رعيه
أيضحك مأسور وتبكي طليقة
ويسكت محزون ويندب سالي

سيق له من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالأمر وقيل متعلق ببليغا على
رأي من يجيز تقديم معمول الصفة على الموصوف أي قل لهم قولا بليغا في أنفسهم
مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد
بالقتل والاستئصال والإيذان بأن ما في قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق
غير خاف على الله تعالى وأن ذلك مستوجب لأشد العقوبات وإنما هذه
المكافة والتأخير لإظهارهم الإيمان والطاعة وإضمارهم الكفر ولئن أظهروا
الشقاق وبرزوا بأشخاصهم من نفق النفاق ليمسنهم العذاب إن الله شديد العقاب
وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله كلام مبتدأ جيء به تمهيدا لبيان
خطئهم في الاشتغال بستر جناياتهم بالاعتذار بالأباطيل وعدم تلافيها بالتوبة
أي وما أرسلنا رسولا من الرسل لشيء من الأشياء إلا ليطاع بسبب إذنه تعالى في
طاعته وأمره المرسل إليهم بأن يطيعوه ويتبعوه لأنه مؤد عنه تعالى فطاعته
طاعة الله تعالى ومعصيته معصيته تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله أو
بتيسير الله تعالى وتوفيقه في طاعته ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم وعرضوها
للعذاب على عذاب النفاق بترك طاعتك والتحاكم إلى غيرك جاؤوك من غير تأخير
كما يفصح عنه تقديم الظرف متوسلين بك في التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة
ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد إلى سترها بالاعتذار الباطل والأيمان
الفاجرة فاستغفروا الله بالتوبة والإخلاص وبالغوا في التضرع إليك حتى انتصبت
شفيعا لهم إلى الله تعالى واستغفرت لهم وإنما قيل واستغفر لهم الرسول على طريقة
الالتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره
وتنبيها على أن شفاعته في حيز القبول لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه مبالغا
في قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وإن فسر الوجدان بالمصادفة كان
قوله تعالى توابا حالا ورحيما بدلا منه أو حالا من الضمير فيه وأيا ما كان ففيه
فضل ترغيب للسامعين في المسارعة إلى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم لأولئك
المنافقين على ما صنعوا لما أن ظهور تباشير قبول التوبة وحصول الرحمة
لهم ومشاهدتهم لآثارهما نعمة زائدة عليهما موجبة لكمال الرغبة في تحصيلهما وتمام
الحسرة على فواتهما فلا وربك أي فوربك ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم لا لتأكيد النفي
في جوابه أعني قوله تعالى لا يؤمنون لأنها تزاد في الإثبات أيضا كما في قوله
تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم ونظائره حتى يحكموك أي يتحاكموا إليك ويرضوا بك
وإنما جيء بصيغة التحكيم مع أنه عليه السلام حاكم بأمر الله سبحانه وتعالى إيذانا
بأن حقهم أن يجعلوه عليه السلام حكما فيما بينهم ويرضوا بحكمه وإن قطع النظر عن كونه
حاكما على الإطلاق فيما شجر بينهم أي فيما اختلف بينهم من الأمور واختلط ومنه الشجر

لتداخل اعضائه ثم لا يجدوا عطف على مقدر ينساق اليه الكلام اي فيقضي بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت به او من قضائك وقيل شكا من الحرج
اذ الشاك في ضيق من امره ويسلموا اي ينقادوا لامرك ويذعنوا له تسليما
تاكيد للفعل بمنزلة تكريره اي تسليما تاما بظاهرهم وباطنهم يقال سلم لامر الله
واسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة اي
ينقاد والحكم له نفيا الاشتباه فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان
المنافق واليهودي وقيل في شان الزبير ورجل من الانصار حين اختصما الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال
عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصاري وقال
لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير
ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدار واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد
اشار على الزبير براي فيه سعة له وللخصم فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه
وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال
لمن القضاء فقال الانصاري قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع
المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي
بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال
اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال
ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي
لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت بن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم
من الجبال الرواسي فنزل في شان هؤلاء جميعا ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم
او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم
او خروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل وان مصدرية او مفسرة
لان كتبنا في معنى امرنا ما فعلوه اي المكتوب المدلول عليه بكتبنا او احد مصدري
الفعلين الا قليل منهم اي الا ناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروي
عن عمر رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا
ذلك وقيل معنى اقتلوا انفسكم عرضوها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ
الا قليلا بالنصب على الاستثناء او الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به
من متابعة الرسول وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت
اوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد لكان اي فعلهم
ذلك خيرا لهم عاجلا واجلا واشد تثبيتا لهم في الايمان وابعد من الاضطراب فيه

او اشد تثبيتا لثواب اعمالهم واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر
كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو تثبتوا لآتيناهم فان اذا جواب
وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح ابواب الغيب
قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم ومن يطع الله
والرسول كلام مستانف فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان
نتيجتها اقصى ما ينتهي اليه همم الامم وارفع ما يمتد اليه الاعناق عزائمهم من مجاورة
اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا متضمن لتفسير ما ابهم في جواب الشرط الاول
وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل لجميع الاوامر
والنواهي فاولئك اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في فعل الشرط
باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب في الذكر للايذان بعلو درجتهم وبعد
منزلتهم في الشرف وهو مبتدا خبره مع الذين انعم الله عليهم والجملة جواب
للشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه من النبيين
بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام مع ان الكلام
في بيان حكم طاعة نبينا صلى الله عليه وسلم لجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه
من الاشارة الى ان طاعته عليه السلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعتهم على نعتهم
التي لا تتغير بتغير الاعصار روي ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالوا يا نبي الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا درجات النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء
رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان
فقال يا رسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي وولدي
واني لاذكرك وانا في اهلي فياخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي وموتك فعرفت
مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله
عليه وسلم فنزلت وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد
الحب لرسول الله عليه الصلاة والسلام قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه
ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت
وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت
انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل
فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين
وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وروي
ان انسانا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال صلى الله عليه وسلم المرء

مع من احب في الصديقين أي المتقدمين في تصديقهم المبالغين في الصدق والإخلاص
في الأقوال والأفعال وهم أفاضل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الأنبياء عليهم
الصلاة والسلام وأماثل خواصهم المقربين كأبي بكر الصديق رضي الله عنه و
والشهداء الذين بذلوا أرواحهم في طاعة الله تعالى وإعلاء كلمته والصالحين
الصارفين أعمارهم في طاعته وأموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد
في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن
كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى أراد وإن بعد ما بينهما من المسافة
وحسن أولئك رفيقا الرفيق الصاحب مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة
في المعاشرة قولا وفعلا فإن جعل إشارة إلى النبيين ومن بعدهم فما فيه
من معنى البعد لما مر مرارا رفيقا إما تمييز أو حال على معنى أنهم وصفوا بالحسن
من جهة كونهم رفقاء للمطيعين أو حال كونهم رفقاء لهم وإفراده لما أنه
كالصديق والخليط والرسول يستوي فيه الواحد والمتعدد ولأنه أريد حسن
كل واحد منهم رفيقا وإن جعل إشارة إلى المطيعين فهو تمييز على معنى أنهم
وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول
من عليه كما يجوز في الوجه الأول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب
والتشويق وقيل فيه معنى التعجب كأنه قيل وما أحسن أولئك رفيقا ولاستقلاله
بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين ذلك إشارة إلى ما للمطيعين من عظيم الأجر
ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء المنعم عليهم أو إلى فضلهم ومزيتهم وما فيه
من معنى البعد للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف وهو مبتدأ وقوله
تعالى الفضل صفته وقوله تعالى من الله خبره أي ذلك الفضل العظيم من الله تعالى
لا من غيره أو الفضل خبره ومن الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى
الإشارة أي ذلك الذي ذكر فضل كائنا من الله تعالى لأن أعمال المكلفين توفيقه
وكفى بالله عليما بجزاء من أطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق أهله يا أيها الذين
آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر واحد كالإثر والأثر والشبه والشبه
أي تيقظوا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم يقال أخذ حذره إذا
تيقظ واحترز من المخوف كأنه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه وقيل هو
ما يحذر به من السلاح والحزم أي استعدوا للعدو فانفروا بكسر الفاء وقرئ
بضمها أي اخرجوا إلى الجهاد عند خروجكم ثبات جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال
فوق العشرة ووزنها في الأصل فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض عنها تاء التأنيث
وهل هي واو أو ياء فيه قولان قيل إنها مشتقة من ثبا يثبو كخلا يخلو أي اجتمع
وقيل من تثبيت الرجل إذا أثنيت عليه كأنك جمعت محاسنه ويجمع أيضا على

ثبين

ثبين جبرا لما حذف من عجزه ومحلها النصب على الحالية أي انفروا جماعات متفرقة
سرية بعد سرية أو انفروا جميعا أي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بأنفسكم
إلى التهلكة وإن منكم لمن ليبطئن أي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد من بطأ بمعنى أبطأ
كعتم بمعنى أعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم المؤمنين منهم
والمنافقين والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد أو ليبطئن غيره
وليثبطنه من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل كما بطأ ابن أبي ناسا يوم أحد والأول
أنسب لما بعده واللام الأولى للابتداء دخلت على اسم إن للفصل بالخبر والثانية
جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع إليه ما استكن في ليبطئن والتقدير
وإن منكم لمن أقسم بالله ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال أي المبطئ
فرحا بصنعه وحامدا لرأيه قد أنعم الله علي أي بالقعود إذ لم أكن معهم شهيدا أي حاضرا
في المعركة فيصيبني ما أصابهم والفاء في الشرطية لترتيب مضمونها على ما قبلها فإن
ذكر التبطئة مستدعية لذكر ما يترتب عليها كما أن نفس التبطئة مستدعية لشيء ينتظر
المبطئ وقوعه ولئن أصابكم فضل كفتح وغنيمة من الله متعلق بأصابكم أو بمحذوف
وقع صفة للفضل أي فضل كائن من الله تعالى ونسبة إصابة الفضل إلى جانب الله
تعالى دون إصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية كما في قوله سبحانه وإذا
مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الأولى لما أن مضمونها لمقصدهم أوفق وأثر
نفاقهم فيها أظهر ليقولن ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا
على فواته وقرئ ليقولن بضم اللام إعادة للضمير إلى معنى من وقوله تعالى
كأن لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذي هو يا ليتني
كنت معهم فأفوز فوزا عظيما لئلا يفهم من مطلع كلامه أن تمنيه لمعية المؤمنين
لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على المال
كما ينطق به آخره وليس إثبات المودة في البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم وقيل
الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن أي ليقولن مشبها بمن لا مودة بينكم وبينه
وقيل هي داخلة في القول أي ليقولن المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة
المؤمنين كأن لم يكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستصحبكم في الغزو
حتى تفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وغرضه إلقاء العداوة بينهم وبينه صلى الله عليه
وسلم وتأكيدها وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرئ
لم يكن بالياء والمنادى في يا ليتني محذوف أي يا قوم وقيل يا أطلق للتنبيه على الاتساع
وقوله تعالى فأفوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف
أي فأنا أفوز في ذلك الوقت أو على أنه معطوف على كنت داخل معه تحت التمني فليقاتل
في سبيل الله قدم الظرف على الفاعل للاهتمام الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة

اي يبيعونها بها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر اي ان بطاهم الاخر عن القتال
فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها
على الاخرة وهم المبطئون فالفاء للتعقيب اي ليتركوا ما كانوا عليه من التثبيط
والنفاق وليعقبوه بالقتال في سبيل الله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب
فسوف نؤتيه بنون العظمة التفاتا اجرا عظيما لا يقادر قدره وتعقيب القتال
باحد الامرين للاشعار بان المجاهد حقه ان يوطن نفسه باحدى الحسنيين
ولا يخطر بباله القسم الثالث اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه في استتباع
الاجر روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
تكفل الله تعالى لمن جاهد في سبيله لا يخرجه الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته
ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة وما لكم
خطاب للمامورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه
وتاكيدا لوجوبه وهو مبتدا وخبر وقوله تعالى لا تقاتلون في سبيل الله حال
عاملها ما في الظرف من معنى الفعل والاستفهام للانكار والنفي اي اي شيء لكم غير
مقاتلين اي لا عذر لكم في ترك المقاتلة والمستضعفين عطف على اسم الله اي في سبيل المستضعفين
وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف اي في خلاص
المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص
ضعفة المؤمنين من ايدي الكفرة اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان
بيان للمستضعفين او حال منه وهم المسلمون الذين بقوا بمكة بصد المشركين او لضعفهم
عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان معهم تكميلا للاستعطاف واستجلاب
الرحمة وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان ارغاما لابائهم وامهاتهم
وايذانا باجابة الدعاء الاتي واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم في التضرع
الى الله تعالى كل ذلك للمبالغة في الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد
والاماء اذ يقال لهما الوليد والوليدة وقد غلب الذكور على الاناث فاطلق الولدان
على الولائد ايضا الذين محله الجر على انه صفة للمستضعفين او لما في حيز البيان او النصب
على الاختصاص يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها بالشرك الذي هو
ظلم عظيم وباذية المسلمين وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه
فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجري على غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتانيث
بحسب ما عمل فيه واجعل لنا من لدنك وليا كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم
المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله
فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع
الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم اللام

على من

على من المسارعة الى ابراز كون المسؤول نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز ان يتعلق كلمة
من بمحذوف وقع حالا من وليا قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى واجعل
لنا من لدنك نصيرا قال ابن عباس رضي الله عنهما اي ول علينا واليا من المؤمنين
يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا على اعدائنا ولقد استجاب
الله عز وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير
ولي واعز ناصر ففتح مكة على يدي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم اي تولي
ونصرهم اي نصر ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز
اهلها وقيل المراد واجعل لنا من لدنك ولاية ونصرة اي كن انت ولينا وناصرنا
وتكرير الفعل ومتعلقيه للمبالغة في التضرع والابتهال الذين امنوا يقاتلون
في سبيل الله كلام مبتدأ سيق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان كمال
قوتهم بامداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف اعدائهم اي المؤمنون انما يقاتلون
في دين الله تعالى الحق الموصل لهم الى الله عز وجل وفي اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم
لا محالة والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي فيما يوصلهم الى الشيطان فلا
ناصر لهم سواه والفاء في قوله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان لبيان استتباع ما قبلها
لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على ان ذلك نتيجة لقتالهم في سبيل الشيطان
والاشعار بان المؤمنين اولياء الله لما ان قتالهم في سبيله وكل ذلك لتاكيد رغبة المؤمنين
في القتال وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم في العزة والقوة كما ان ولاية
الشيطان مثل في الذلة والضعف كانه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا اولياء
الله اولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل فقيل ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي في حد
ذاته فكيف بالقياس الى قدرة الله عز وجل ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى
ايذانا بظهورها قالوا فائدة ادخال كان في امثال هذه المواقع التاكيد ببيان
انه منذ كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان كان موصوفا بالضعف
الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من احجامهم
عن القتال مع انهم كانوا قبل ذلك راغبين فيه حراصا عليه بحيث كادوا يباشرونه
كما ينبئ عنه الامر بكف الايدي فان ذلك مشعر بكونهم بصدد بسطها الى العدو
بحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبي ان جماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن
مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص الزهري رضي الله تعالى عنهم كانوا يلقون من مشركي
مكة قبل الهجرة اذى شديدا فيشكون ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون
ائذن لنا في قتالهم ويقول لهم النبي صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة
واتوا الزكاة فاني لم اومر بقتالهم وبناء القول للمفعول مع ان القائل هو النبي

صلى الله عليه وسلم للإيذان بكون ذلك بأمر الله سبحانه ولأن المقصود بالذات والمعتبر في التعجب إنما هو كمال رغبتهم في القتال وكونهم بحيث احتاجوا إلى النهي عنه وإنما ذكر في حيز الصلة الأمر بكف الأيدي لتحقيقه وتصويره على طريقة الكناية فلا يتعلق ببيان خصوصية الأمر غرض وكانوا في مدة إقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأمروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا في الدين ولا رغبة عنه بل نفورا عن الإخطار بالأرواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك **قوله** تعالى فلما كتب عليهم القتال الخ وهو عطف على قيل لهم كفوا أيديكم باعتبار مدلوله الكنائي إذ حينئذ يتحقق التباين بين مدلولي المعطوفين وعليه يدور أمر التعجب كأنه **قيل** ألم تر إلى الذين كانوا حراصا على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم **وقوله** تعالى إذا فريق منهم يخشون الناس جواب لما على أن فريق مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة ويخشون خبره وتصديره بإذا المفاجأة لبيان مسارعتهم إلى الخشية إثر ذي أثير من غير تلعثم وتردد أي فاجأ فريق منهم أن يخشوا الكفار أي يقاتلوهم ولعل توجيه التعجب إلى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للإيذان بأنه ما كان ينبغي أن يصدر عن أحدهم ما ينافي حالته الأولى **وقوله** تعالى كخشية الله مصدر مضاف إلى المفعول محله النصب على أنه حال من فاعل يخشون أي يخشونهم متشبهين بأهل خشية الله تعالى **وقوله** تعالى أو أشد خشية عطف عليه بمعنى أو أشد خشية من أهل خشية الله أو على أنه مصدر مؤكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كجد جده أي يخشونه خشية مثل خشية الله أو خشية أشد خشية من خشية الله وأيا ما كان فكلمة أو إما للتنويع على معنى أن خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم أشد منها وإما للإبهام على السامع وهو قريب مما في **قوله** تعالى وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون يعني أن من يبصرهم يقول إنهم مائة ألف أو يزيدون ولو عطف على جواب لما أي فلما كتب عليهم القتال فاجأ فريق منهم خشية الناس وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والإنكار لإيجابه بل على طريق تمني التخفيف لولا أخرتنا إلى أجل قريب استزادة في مدة الكف واستمهال إلى وقت آخر حذرا عن الموت وقد جوز أن يكون هذا مما نطقت به ألسنة حالهم من غير أن يتفوهوا به صريحا قل أي تزهيدا لهم فيما يأملونه بالقعود من المتاع الفاني وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقي متاع الدنيا أي ما يتمتع وينتفع به في الدنيا قليل سريع التقضي وشيك الانصرام وإن أخرتم إلى ذلك الأجل والآخرة أي ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط بالقتال خير أي لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وإنما قيل لمن اتقى حثا لهم على اتقاء العصيان والإخلال بمواجب التكليف

ولا تظلمون

ولا تظلمون فتيلا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام أي تجزون فيها ولا تنقصون أدنى شيء من أجور أعمالكم التي من جملتها مسعاتكم في شأن القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة **وقرئ** يظلمون بالياء إعادة للضمير إلى الظاهر من أينما تكونوا يدرككم الموت كلام مبتدأ مسوق من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المخاطبين اعتناء بإلزامهم إثر بيان حقارة الدنيا وعلو شأن الآخرة بواسطته عليه السلام فلا محل له من الإعراب أو في محل النصب داخل تحت القول المأمور به أي أينما تكونوا في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي لأجله تكرهون القتال زعما منكم أنه من مظانه وتحبون القعود عنه على زعم أنه منجاة منه وفي لفظ الإدراك إشعار بأنهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في **قوله** من يفعل الحسنات الله يشكرها أو على اعتبار وقوع أينما تكونوا أو على أنه كلام مبتدأ وأينما تكونوا متصل بلا تظلمون أي لا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب ولو كنتم في بروج مشيدة في حصون رفيعة أو قصور محصنة **وقال** السدي وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء وأشاده وشيده رفعه **وقرئ** مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما في قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله عليه أي لو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت **والجملة** معطوفة على أخرى مثلها أي لو لم تكونوا في بروج مشيدة ولو كنتم الخ وقد اطرد حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة فإن الشيء إذا تحقق عند وجود المانع فلأن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو الوصلية وإن الوصلية من التأكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه في **قوله** تعالى أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله كلام مبتدأ جيء به عقيب ما حكي عن المسلمين لما بينهما من المناسبة في اشتمالهما على إسناد ما يكرهونه إلى بعض الأمور وكراهتهم له بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين **روي** أنه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاهم إلى الإيمان فكفروا أمسك عنهم بعض الإمساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل وأصحابه وذلك **قوله** تعالى وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك أي وإن تصبهم نعمة ورخاء نسبوها إلى الله تع وإن تصبهم بلية من جدب وغلاء أضافوها إليك كما حكي عن أسلافهم **بقوله** تعالى وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فأمر النبي

صلى الله عليه وسلم بان يرد زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق ويلقمهم الحجر ببيان
استناد الكل اليه تعالى في الاجمال اذ لا يجترؤن في معارضة امر الله عز وجل حيث
قيل قل كل من عند الله اي كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وايجادا
من غير ان يكون له مدخل في وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع
الاولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة
كما سيأتي بيانه هذا الجواب المجمل في معنى ما قيل ردا في اسلافهم من قوله تعالى
الا انما طائرهم عند الله اي انما سبب خيرهم وشرهم او سبب اصابة السيئة
التي هي ذنوبهم عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها اليه ويطيروا به وقوله
تعالى فما لهؤلاء القوم الى آخره كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى
لتعييرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجب من كمال غباوتهم والفاء لترتيب ما قبله
قوله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا حال من هؤلاء والعامل فيها ما في الظرف
من معنى الاستقرار اي وحيث كان الامر كذلك فاي شيء حصل لهم حال كونهم بمعزل
من ان يفقهوا حديثا واستئناف مبني على سؤال نشأ من الاستفهام كانه قيل ما بالهم
وماذا يصنعون حتى يتعجب منه او يسأل عن سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثا
من الاحاديث اصلا فيقولون ما يقولون الخ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النص وما
معناه وما هو اوضح منه من النصوص القرآنية الناطقة بالكل فائض من عند الله تعالى وان
النعمة منه تعالى بطريق التفضل والاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد
لا سيما النص الوارد عليهم في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة وزر اخرى
ولم يسندوا واجناية انفسهم الى غيرهم وقوله تعالى ما اصابك من حسنة الخ بيان للجواب
المجمل المامور به واجراؤه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ثم سوق البيان من جهته
عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل احد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء
به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والايذان بان مضمونه مبني على حكمة دقيقة
حقيقة بان يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم دون كلهم
كما في قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم للمبالغة في التهديد والتحقيق
بقطع احتمال سببية معصيته بعضهم لعقوبة الآخرين اي ما اصابك من نعمة من النعم
فمن الله اي فهي منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلك كيف لا وان
كل ما يفعله المرء من الطاعات التي يرجى كونها ذريعة الى اصابة نعمة ما فهي بحيث
لا تكاد تكافي نعمة حياته المقارنة لادائها ولا نعمة اقداره تعالى اياه في ادائها فضلا
عن استيجابها لنعمة اخرى ولذلك قيل عليه الصلوة والسلام ما احد يدخل
الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا وما اصابك من سيئة
اي بلية من البلايا فمن نفسك اي فهي منها بسبب اقترافها المعاصي الموجبة لها وان كانت

من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وعن عائشة رضي الله عنها ما من مسلم
يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب
وما يعفو الله اكثر وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبله وما
بعده لكن لا لبيان حاله بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال السخط
والغضب عليهم والاشعار بانهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق
الخطاب لا سيما بمثل هذه الحكمة وارسلناك للناس رسولا بيان لجلالة منصبه
عليه السلام ومكانته عند الله عز وجل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد في حقه
عليه السلام بناء على جهلهم بشأنه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار متعلق
برسولا تقدم عليه للاختصاص الناظر الى قيد العموم اي مرسلا لكل الناس لا لبعضهم
فقط كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس واما بالفعل ورسولا حال مؤكدة
وتجوز ان يكون مصدرا كما في قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم
بسر ولا ارسلتهم برسول اي بارسال بمعنى رسالة وكفى بالله شهيدا اي على رسالتك
بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي الصادق والالتفات
لتربية المهابة وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلي من يطع الرسول فقد اطاع الله
بيان لاحكام رسالته صلى الله عليه وسلم اثر بيان تحققها وثبوتها وانما كان كذلك
لان الآمر والناهي في الحقيقة هو الله عز وجل وانما هو عليه السلام مبلغ لامره ونهيه
فمرجع الطاعة وعدمها هو الله سبحانه وروي انه عليه السلام قال من احبني فقد
احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول
هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان نعبد غير الله ما يريد الا ان نتخذه ربا
كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام فنزلت والتعبير عنه عليه السلام بالرسول
دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته عليه السلام طاعة له تعالى ليس خصوصية
ذاته عليه السلام بل حيثية رسالته واظهار الجلالة لتربية المهابة وتاكيد وجوب
الطاعة بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما
اوليا يأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام في قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك
عليهم حفيظا وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له اي ومن اعرض عن الطاعة
فاعرض عنه انما ارسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم
عليها وتحاسبهم بحسبها وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية
للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه ويقولون
شروع في بيان معاملتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيان وجوب طاعته
اي يقولون اذا امرتهم بشيء طاعة اي امرنا وشأننا طاعة او منا طاعة والاصل النصب

في المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام فإذا برزوا من عندك أي خرجوا
من مجلسك بيت طائفة منهم أي من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذي تقول
أي زورت طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك الأخرى من القبول وضمان
الطاعة لأنهم مصرون على الرد والعصيان وإنما يظهرون ما يظهرون على وجه
النفاق أو خلاف ما قلت لها والتبييت إما من البيتوتة لأنه قضاء الأمر وتدبيره
بالليل يقال هذا أمر بيت بليل وإما من بيت الشعر لأن الشاعر يدبره ويسويه
وتذكير الفعل لأن تأنيث الطائفة غير حقيقي وقرئ بإدغام التاء في الطاء
لقرب المخرج وإسناده إلى طائفة منهم لبيان أنهم المتصدون له بالذات
والباقون أتباع لهم في ذلك لا لأن الباقين ثابتون على الطاعة والله
يكتب ما يبيتون أي يثبته في جملة ما يوحى إليك فيطلعك على أسرارهم فلا
يحسبوا أن مكرهم يخفى عليكم فيجدون بذلك إلى الإضرار بكم سبيلا أو يثبته
في صحائفهم فيجازيهم عليه وأياما كان فالجملة اعتراضية فأعرض عنهم
أي لا تبال بهم وبما صنعوا أو تجاف عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء
لسببية ما قبلها لما بعدها وتوكل على الله في كل ما تأتي وما تذر لا سيما في
شأنهم وإظهار الجلالة في مقام الإضمار للإشعار بعلية الحكم وكفى بالله
وكيلا فيكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والإظهار هاهنا أيضا لما مر وليبنى
على استقلال الجملة واستغنائها عما عداها من كل وجه أفلا يتدبرون
القرآن إنكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن وإعراضهم عن التأمل فيما فيه
من موجبات الإيمان وتدبر الشيء تأمله والنظر في أدباره وما يؤول
إليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تفكر ونظر والفاء للعطف على مقدر
أي أيعرضون عن القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى
بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها هذا الوحي الصادق والنص
الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه ولو كان أي القرآن من عند غير الله كما يزعمون
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بأن يكون بعض أخباره غير مطابق للواقع إذ لا
علم بالأمور الغيبية ماضية كانت أو مستقبلة لغيره سبحانه وحيث كان كلها مطابقا
للواقع تعين كونه من عنده تعالى قال الزجاج ولولا أنه من عند الله تعالى لكان ما فيه
من الإخبار بالغيب مما يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل
لأن الغيب لا يعلمه إلا الله وقال أبو بكر الأصم إن هؤلاء المنافقين كانوا يتواطؤون
في السر على أنواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول عليه السلام
على ذلك ويخبره بها مفصلة فقيل لهم إن ذلك لو لم يحصل بإخبار الله تعالى لما اطرد
الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك قط علم أنه بإعلامه تعالى هذا هو

الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وأما حمل الاختلاف على التناقض وتفاوت
النظم في البلاغة بأن كان بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه على
معنى فاسد غير ملتئم وبعضه بالغا حد الإعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته
كما جنح إليه الجمهور مما لا يساعده السباق ولا السياق ومن رام التقريب ذكر
لعل ذكره هاهنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم بل لا
اختلاف الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد أبعد عن الحق بمراحل وإذا جاءهم أمر
من الأمن أو الخوف أذاعوا به يقال أذاع السر وأذاع به أي أشاعه وأفشاه وقيل
معنى أذاعوا به فعلوا به الإذاعة وهو أبلغ من أذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم
في بعض المواد من شائبة الاختلاف بناء على عدم فهم المراد ببيان أن ذلك لعدم وقوفهم
على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك أن ناسا من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم
بالأحوال كانوا إذا أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوحي إليه من وعد بالظفر
أو تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه
ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بأمور تفوت
بالإذاعة فلا يظهر أثره المتوقع فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف فنعى عليهم ذلك
بقوله ولو ردوه أي ذلك الأمر الذي جاءهم إلى الرسول أي عرضوه على رأيه
عليه السلام مستكشفين لمعناه وما ينبغي له من التدبير وإلى الثقات لما أن عنوان
الرسالة من موجبات الرد والمراجعة إلى رأيه صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر
منهم وهم كبار الصحابة البصراء في الأمور رضي الله عنهم لعلمه أي لعلم الرادون
معناه وتدبيره وإنما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل الذين يستنبطونه منهم
للإيذان بأنه ينبغي أن يكون قصدهم برده إليهم استكشاف معناه واستيضاح فحواه
أي لعلمه أولئك الرادون الذين يستنبطونه أي يتلقونه ويستخرجون علمه
وتدبيره منهم أي من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر من صحابته رضوان
الله عليهم أجمعين ولما فعلوا في حقه ما فعلوه فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه
وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم
ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها وكلمة من في منهم بيانية وقيل إنهم كانوا
إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة أو خوف
وخلل أذاعوا به وكانت إذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وإلى أولي الأمر لعلم تدبير ما أخبروا به الذين يستنبطونه
أي يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكايدها
كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولي الأمر على أمن
ووثوق بالظهور على بعض الأعداء أو على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الأعداء

فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم فوضوه اليهم
وكانوا كان لم يسمعوا العلمه الذي يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون
وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيأ من الخبر
عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين
ولو ردوه الى الرسول عليه السلام والى اولي الامر منكم وقالوا نسكت
حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلم صحة وهل هو مما يذاع او لا
يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه
منهم ويستخرجون علمه من جهتهم فساق النظم الكريم حينئذ لبيان جناية تلك
الطايفة وسوء تدبيرهم اثر بيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله
تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته للطايفة المذكورة على طريقة الالتفات
اي لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارشادكم الى طريق الحق الذي هو المراجعة
في مظان الاشتباه الى الرسول صلى الله عليه وسلم واولي الامر لاتبعتم الشيطان
وعملتم بآراء المنافقين فيما تأتون وما تذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب
الا قليلا وهم اولوا الامر الواقفون على اسرار الكتاب الراسخون في معرفة
احكامه فالاستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال
الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلال الا قليلا
منكم قد تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب وعصمه عن
متابعة الشيطان كقس بن ساعدة الايادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل
واضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة
النصرة والظفر بالاعداء اي ولولا حصول النصر والظفر على التواتر والتتابع
لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم اولوا البصاير النافذة والنيات
القوية والعزايم الماضية من افاضل المؤمنين الواقفين على حقية الدين لا بالعبر
الى رجحان اليقين المستغنين عن مشاهدة اثار حقيته من الفتح والظفر وقيل
الا اتباعا قليلا فقاتل في سبيل الله تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف ينساق اليه النظم الكريم
اي اذا كان الامر كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير المنافقين
الاخرين في مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت وحدك غير مكترث بما فعلوا قوله
تعالى لا تكلف الا نفسك اي الا فعل نفسك استيناف مقرر لما قبله فان اختصاص
تكليفه عليه السلام بفعل نفسه من موجبات مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة
على ان ما فعلوا من التثبط لا يضره عليه السلام ولا يؤاخذ به وقيل هو حال
من فاعل قاتل اي فقاتل غير مكلف الا نفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي

وقيل على جواب الامر وقرئ بنون العظمة اي لا نكلف الا فعل نفسك لا على معنى
لا نكلف احدا الا نفسك وحرض المؤمنين عطف على الامر السابق داخل في حكمه فان كون
حال الطايفتين كما حكي سبب للامر بالقتال وحده بتحريض خلص المؤمنين والتحريض
على الشي الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو
لا خير فيه ولا يعتد به اي رغبهم في القتال ولا تعنف بهم وانما لم يذكر المحرض عليه
لغاية ظهوره قوله تعالى عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا عدة منه سبحانه وتعالى
محققة الانجاز بكف شدة الكفرة ومكرهم فان ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من
جهته تعالى وقد كان كذلك حيث قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد
اباسفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد
دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سبعين راكبا ووافوا الموعد والقى الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب فرجعوا من
مر الظهران قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرا
واقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر
في سورة آل عمران والله اشد بأسا اي من قريش واشد تنكيلا اي تعذيبا وعقوبة
تنكل من شاهدها عن مباشرة ما يؤدي اليها والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها
واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير
الخبر لتاكيد التشديد وقوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها اي
من ثوابها جملة مستانفة سيقت لبيان ان له عليه السلام فيما امر به من تحريض
المؤمنين حظا موفورا فان الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص الى منفعة
من المنافع الدنيوية والاخروية او خلاصه عن مضرة ما كذلك من الشفع كان المشفوع له كان
فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت في امر مشروع روعي بها حق مسلم ابتغاء
لوجه الله تعالى من غير ان يتضمن غرضا من الاغراض الدنيوية واي منفعة اجل مما قد حصل
للمؤمنين بتحريضه عليه السلام على الجهاد من المنافع الدنيوية والاخروية واي مضرة
اعظم مما تخلصوا عنه بذلك من التثبط عنه ويندرج فيها الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى
الله سبحانه وعليه مساق آية التحية الآتية روي انه عليه السلام قال من دعا
لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار
النصيب الموعود ومن يشفع شفاعة سيئة وهي ما كانت بخلاف الحسنة يكن له كفل منها اي
نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير ان ينقص منه شيء وكان الله على كل شيء مقيتا
اي مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر عليه او شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي
البدن ويحفظه والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين واذا حييتم بتحية ترغيب في فرد
شايع من افراد الشفاعة الحسنة اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة

البينة وارشاد الى توفيقه من الشفيع وكيفيتها اذ آية فان تحية الاسلام من المسلم
شفاعة منه لاخيه الى الله عز وجل والتحية مصدر حيى اصلها تحيية كتسمية من سمى
واصل الاصل تحييي بثلاث ياآت فحذفت الاخيرة وعوض عنها تاء التانيث وادغمت
الاولى في الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء قال الراغب اصل التحية الدعاء
بالحيوة وطولها ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب اذا لقى بعضهم بعضا يقول
حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام قال تعالى
تحيتهم فيها سلام وقال تحيتهم يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على انفسكم
تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على التحية لما انه دعاء بالسلامة من الآفات
الدينية وهي مستلزمة لطول الحيوة وليس في الدعاء بطول الحيوة ذلك ولان السلام
من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته اي اذا سلم عليكم من جهة
المؤمنين فحيوا باحسن منها اي بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله
ان اقتصر المسلم على الاول وبان تزيدوا وبركاته ان جمعهما المسلم وهي النهاية لانتظامها
لجميع فنون الفضائل المطالب التي هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها
ونماؤها وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك
فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال
وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته
فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال عليه
السلام انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب وانما
التخيير بين الزيادة والنقص وتركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة
وعن ابن عباس رضي الله عنه الرد واجب وما من رجل مر على قوم مسلمين فيسلم
عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد في
الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث ودراسة العلم والاذان والاقامة
ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري
في الحمام وغيره قالوا ويسلم الرجل على امرأته لا على الاجنبية والسنة ان يسلم
الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على
الكبير والقليل على الكثير واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة رضي الله عنه لا يجهر
بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم
اي وعليكم ما قلتم حيث كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي
بالسلام وان بداك فقل وعليك وعن الحسن رحمه الله انه يجوز ان يقول للكافر
وعليك السلام دون الزيادة وقيل التحية بالاحسن عند كون المسلم مسلما وردها
مثلها عند كونه كافرا ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على كل شيء من اعمالكم التي من

جملتها

جملتها ما امرتم به من التحية فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم به الله لا اله الا هو مبتدا
وخبر وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف اي والله ليحشرنكم من
قبوركم الى حساب يوم القيمة وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية اما مستانفة
لا محل لها من الاعراب او خبر ثان للمبتدا او هي الخبر ولا اله الا هو اعتراض وقوله
تعالى لا ريب فيه اي في يوم القيمة او في الجمع حال من اليوم او صفة للمصدر اي جمعا لا
ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا انكار لان يكون احد اصدق منه تعالى في اخباره
وبيان لاستحالته كيف لا والكذب محال عليه سبحانه دون غيره فما لكم مبتدا وخبر
والاستفهام للانكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن ما فيه من معنى التوبيخ
متوجه الى بعضهم وقوله تعالى في المنافقين متعلق اما بما تعلق به الخبر اي اي
شيء كائن لكم فيهم اي في امرهم وشانهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
واما بما يدل عليه قوله تعالى فئتين من معنى الافتراق اي فما لكم تفترقون في المنافقين
واما بمحذوف وقع حالا من فئتين اي كائنين في المنافقين لانه في الاصل صفة فلما قدمت
انتصبت حالا كما هو شان صفات النكرات على الاطلاق او من الضمير في تفترقون
وانتصاب فئتين عند البصريين على الحالية من المخاطبين والعامل في ما لكم من معنى الفعل
كما في قوله عز وجل فما لكم عن التذكرة معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان
مضمرة اي فما لكم في المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار ان يكون للمخاطبين شيء مصحح لاختلافهم
في امر المنافقين وبيان وجوب بت القول بكفرهم واجرائهم مجرى المجاهرين بالكفر في
جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النفاق باعتبار وصفهم السابق روي انهم
قوم من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو معتلين
باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف
المسلمون في امرهم وقيل هم قوم هاجروا من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا
وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة
والاشتياق الى بلدنا وقيل هم ناس اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل
هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا وياباه ما سيحكى
من جعل هجرتهم غاية للنهي عن توليتهم وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح
وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما سيأتي من الآيات الناطقة
بكيفية المعاملة معهم من السلم والحرب وهؤلاء قد اخذوا وفعل بهم ما فعل
من المثلة والقتل ولم ينقل في امرهم اختلاف المسلمين والله اركسهم حال من المنافقين
مفيدة لتاكيد الانكار السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود الصارف بعد
بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو اي اي شيء يدعوكم
الى الاختلاف في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تعالى قد

ردهم في الكفر كما كانوا بما كسبوا بسبب ما كسبوه من الارتداد واللحوق بالمشركين
والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم او العايد الى الموصول محذوف
وقيل ما مصدرية اي بكسبهم وقيل معنى اركسهم نكسهم بان صيرهم للنار
واصل الركس رد الشيء مقلوبا وقرئ ركسهم مشددا وركسهم ايضا مخففا اتريدون
ان تهدوا من اضل الله تجريد للخطاب وتخصيص له بالقايلين بايمانهم من الفئتين
وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك واشعار بانه يؤدي الى محاولة المحال الذي هو هداية
من اضله الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من
ذلك سعي في هدايتهم وارادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد
الانكار وتاكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار الى
الارادة لا الى متعلقها بان يقال اتهدون الخ للمبالغة في انكاره ببيان انه
مما لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه وحمل الهداية والاضلال على الحكم بهما
يأباه قوله تعالى ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي ومن يخلق فيه الضلال
كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل فضلا عن ان تهديه اليه وفيه من الافصاح
عن كمال الاستحالة ما ليس في قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد ونظائره
وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضلال يخل بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء
وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان للكل
على طريق التفصيل والجملة اما حال من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو
او اعتراض تذييلي مقرر للانكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية مع تجويز ان
يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح له من المخاطبين اولا ومن غيرهم ودوا لو تكفرون
كلام مستانف مسوق لبيان غلوهم وتماديهم في الكفر وتصديهم لاضلال غيرهم
اثر بيان كفرهم وضلالهم في انفسهم وكلمة لو مصدرية غنية عن الجواب وهي مع ما بعدها
نصب على المفعولية اي ودوا ان تكفروا قوله تعالى كما كفروا نصب على انه نعت
لمصدر محذوف اي كفرا مثل كفرهم او حال من ضمير ذلك المصدر كما هو راي سيبويه
قوله تع فتكونون سواء عطف على تكفرون داخل في حكمه اي ودوا ان تكفرون
فتكونون سواء مستوين في الكفر والضلال وقيل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف
كمفعول ودوا ان تكفروا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك
فلا تتخذوا منهم اولياء الفاء جواب شرط محذوف وجمع اولياء لمراعاة جمعية المخاطبين
فالمراد نهي ان يتخذ واحد من المخاطبين وليا واحدا منهم اي اذا كان حالهم ما ذكر
من ودادة كفركم فلا توالوهم حتى يهاجروا في سبيل الله اي حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم
بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله عليه السلام لا لغرض من اغراض الدنيا فان تولوا اي
عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فخذوهم اذا قدرتم عليهم واقتلوهم

حيث وجدتموهم من الحل والحرم فان حكمهم حكم سائر المشركين اسرا وقتلا ولا تتخذوا
منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابدا الا
الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم
اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميون كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال بن عويمر
الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار
مثل الذي لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد مناة وقيل هم خزاعة او جاؤكم
عطف على الصلة اي او الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المامور
باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والاخر من
اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين
يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والاول
هو الاظهر لما سيأتي من قوله تعالى فان اعتزلوكم الخ فانه صريح في ان كفهم
عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وقرئ جاؤكم بغير عاطف على انه
صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار
قد بدليل انه قرئ حصرة صدورهم وحاصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف
محذوف هو حال من فاعل جاؤا اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو
بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين
والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي عن ان يقاتلوكم او لان
يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم الخ ولو شاء الله لسلطهم عليكم جملة مبتداة جارية
مجرى التعليل لاستثناء الطايفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم في سلك
الطايفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بنا ولا بمن عاهدونا كالطايفة
الاولى اي ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة
الرعب عنها فلقاتلوكم عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب على التكرير او الابدال
من الاولى وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم ولم يتعرضوا
لكم فلم يقاتلوكم مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشيئة الله تع والقوا اليكم السلم
اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام فما جعل الله لكم عليهم سبيلا طريقا
بالاسر او بالقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان يقاتلوا قومهم ايضا والقاءهم اليكم السلم
وان لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم ستجدون اخرين يريدون
ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا
وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليامنوا
قومهم وقيل هم بنو عبد الدار وكان ديدنهم ما ذكر كلما ردوا الى الفتنة اي دعوا

إلى الكفر وقتال المشركين أُركِسوا فيها قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا فيها شرًّا
من كل عدو شرير فإن لم يعتزلوكم بالكف عن التعرض لكم بوجه ما ويُلقوا إليكم السلم
أي لم يلقوا إليكم الصلح والعهد بل نبذوه إليكم ويكفوا أيديهم أي لم يكفوها عن قتالكم
فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم أي تمكنتم منهم وأولئكم الموصوفون بما عُدّد من
الصفات القبيحة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في الإيقاع بهم قتلا
وسبيا لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر وإضرارهم بأهل الإسلام
أو تسلطا ظاهرا حيث أذنا لكم في أخذهم وقتلهم وما كان لمؤمن أي وما صح له ولا
لاق بحاله أن يقتل مؤمنا بغير حق فإن الإيمان زاجر عن ذلك إلا خطأ فإنه ربما
يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه إما
على أنه حال أي ما كان له أن يقتل مؤمنا في حال من الأحوال إلا في حال الخطاء
أو على أنه مفعول له أي ما كان له أن يقتله لعلة من العلل إلا للخطاء أو على أنه
صفة للمصدر أي إلا قتلا خطأ وقيل ما بمعنى لا والتقدير وما كان لمؤمن
أن يقتل مؤمنا عمدا ولا خطاء وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع
أي لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه القصد إلى الفعل
أو إلى الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالبا أو لا يقصد به محظور كرمي مسلم
في صف الكفار مع الجهل بإسلامه وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة
وقيل إن عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل لأمه أسلم وهاجر إلى المدينة
خوفا من أهله وذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم فأقسمت أمه لا تأكل
ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج أبو جهل ومعه الحارث بن زيد بن أبي
أنيسة فأتياه وهو في أطم ففتل منه أبو جهل في الذروة والغارب وقال أليس
يحثك على صلة الرحم انصرف وبر أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما
فلما فسحا من المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا أخي
فمن أنت يا حارث لله علي إن وجدتك خاليا أن أقتلك وقدما به على أمه فحلفت
لا يحل كتافه أو يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك وأسلم الحارث وهاجر فلقيه
عياش بظهر قباء ولم يشعر بإسلامه فأنحى عليه فقتله ثم أخبر بإسلامه
فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم أشعر بإسلامه فنزلت ومن قتل
مؤمنا خطأ فتحرير رقبة أي فعليه أو فواجبه تحرير رقبة أي إعتاق نسمة عبر عنها
بها كما يعبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة
ودية مسلمة إلى أهله مؤداة إلى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك
بن سفيان الكلابي كتب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني أن أورث
امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها إلا أن يصدقوا أي يتصدق أهله عليه سمي العفو

صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف
صدقة وقرئ إلا أن يتصدقوا وهو متعلق بعليه أو بمسلمة أي تجب الدية أو يسلمها
إلى أهله إلا وقت تصدقهم عليه فهو في محل النصب على الظرفية أو الحال كونهم
متصدقين عليه فهو حال من الأهل أو القاتل فإن كان أي المقتول من قوم
عدو لكم كفار محاربين وهو مؤمن ولم يعلم به القاتل لكونه بين أظهر قومه بأن
أسلم فيما بينهم ولم يفارقهم أو بأن أتاهم بعدما فارقهم لمهم من المهمات فتحرير
رقبة مؤمنة أي فعلى قاتله الكفارة دون الدية إذ لا وراثة بينه وبين أهله لأنهم
محاربون وإن كان أي المقتول المؤمن من قوم كفرة بينكم وبينهم ميثاق أي عهد
موقت أو مؤبد فدية أي فعلى قاتله دية مسلمة إلى أهله من أهل الإسلام إن وجدوا
ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تأخيره فيما سلف للإشعار بالمسارعة إلى تسليم الدية
تحاشيا عن توهم نقض الميثاق وتحرير رقبة مؤمنة كما هو حكم سائر المسلمين ولعل
إفراده بالذكر مع اندراجه في حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطاء
الخ لبيان أن كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه فيما بين
المحاربين وقيل المراد بالمقتول الذمي أو المعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة
ولا التوارث بين المسلم والكافر وقد عرفت عدم لزومهما فمن لم يجد أي رقبة
ليحررها بأن لم يملكها ولا ما يتوصل إليها من الثمن فصيام أي فعليه صيام شهرين
متتابعين لم يتخلل بين يوميهما إفطار توبة نصب على أنه مفعول له أي شرع
لكم ذلك توبة أي قبولا لها من تاب الله عليه إذا قبل توبته أو مصدر مؤكد لفعل
محذوف أي تاب عليكم توبة وقيل على أنه حال من الضمير المجرور في عليه بحذف المضاف
أي فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة
لتوبة أي كائنة منه تعالى وكان الله عليما بجميع الأشياء التي من جملتها حاله حكيما في كل
ما شرع وقضى من الشرائع والأحكام التي من جملتها ما شرعه في شأنه ومن يقتل مؤمنا
متعمدا لما بين حكم القتل خطأ وفصل أقسامه الثلاثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا
خلا أن حكمه الدنيوي لما بين في سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الأخروي روي
أن مقيس بن صبابة الكناني وكان قد أسلم هو وأخوه هشام فوجد أخاه قتيلا في بني
النجار فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر له القصة فأرسل عليه السلام معه
الزبير بن عياض الفهري وكان من أصحاب بدر إلى بني النجار يأمرهم بتسليم القاتل
إلى مقيس ليقتص منه إن علموه وبأداء الدية إن لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى
ولرسوله صلى الله عليه وسلم ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فأتوه بمائة من الإبل
فانصرفا راجعين إلى المدينة حتى إذا كانا ببعض الطريق أتى الشيطان مقيسا فوسوس
إليه فقال أتقبل دية أخيك فيكون مسبة عليك اقتل الذي معك فيكون نفس بنفس

ونصّ الآية فقتل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرًا من الإبل واستاق بقيتها راجعًا الى مكة كافرًا وهو يقول

قتلت به فهرًا وحمّلت عقله ... سراة بني النجار أرباب فارع

وأدركت ثأري واضطجعت موسّدًا ... وكنت الى الأوثان أول راجع

فنزلت وهو الذي استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن آمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة وقوله تعالى متعمدًا حال من فاعل يقتل وروي عن الكسائي سكون التاء كأنه فرّ من توالي الحركات فجزاؤه الذي يستحق بجنايته جهنم وقوله تعالى خالدًا فيها حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل فجزاؤه أن يدخل جهنم خالدًا فيها وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل من مفعول جازاه وأيد ذلك بأنه أنسب بعطف ما بعده عليه لمواففته له صيغة ولا يخفى أن ما يقدر للحال أو العطف عليه حقه أن يكون مما يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرًا أو يدل عليه الكلام دلالة بيّنة وظاهر أن كون جزاؤه ما ذكر لا يقتضي وقوع الجزاء البتة كما ستقف عليه حتى يقدر يجزاها أو جازاه بطريق الإخبار عن وقوعه وأما قوله تعالى وغضب الله عليه فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كأنه قيل بطريق الاستئناف تقريرًا وتأكيدًا لمضمونها حكم الله بأن جزاؤه ذلك وغضب عليه أي انتقم منه ولعنه أي أبعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير أن وحمل الماضي على معنى المستقبل كما في قوله تعالى في سورة ونظائره أي فجزاؤه جهنم وأن يغضب الله عليه الخ وأعدّ له في جهنم عذابًا عظيمًا لا يقادر قدره وفيما في الآية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الأكيد وفنون الإبراق والإرعاد وقد تأيد بما روي من الأخبار الشداد كقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل مؤمن وقوله عليه السلام لو أن رجلًا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لأشرك في دمه وقوله عليه السلام من أعان على قتل مسلم مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ونحو ذلك من الزواجر تمسكت الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل المؤمن عمدًا في النار ولا متمسك لهم فيها لا لما قيل من أنها في حق المستحل كما هو رأي عكرمة وأضرابه بدليل أنها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني المرتد حسبما مرت حكايته فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بل لأن المراد بالخلود هو المكث الطويل لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بأن عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لا توبة لقاتل المؤمن عمدًا وكذا ما روي عن سفيان أن أهل العلم كانوا إذا سئلوا قالوا لا توبة له محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبى الله أن يجعل لقاتل المؤمن

توبة فقال نعم فقيل له قلت كذا وكذا ولهذا أكذا قال كان الأول لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل وكان هذا أنه قتل فقلت له ما قلت كيلا يأس وقد روي عنه جواز المغفرة بلا توبة أيضًا حيث قال في قوله تعالى فجزاؤه جهنم الآية هي جزاؤه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له وروي مرفوعًا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هو جزاؤه إن جازاه وبه قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وأبو صالح قالوا قد يقول الإنسان لمن يزجره عن أمر إن فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم إن لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبًا قال الواحدي والأصل في ذلك أن الله تعالى يجوز أن يخلف الوعيد وإن امتنع أن يخلف الوعد بهذا وردت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أنس رضي الله عنه أنه عليه السلام قال من وعده الله على عمله ثوابًا فهو منجز له ومن أوعده على عمله عقابًا فهو بالخيار ومن ذهب إلى أنه لا يخلف الوعيد أيضًا ذهب إلى أنه لا ينتقض بما نحن فيه على الأصل المذكور لأنه لجاز منه تعالى بأن جزاؤه ذلك لا بأن يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها ولو كان هذا إخبارًا بأنه تعالى يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير يا أيها الذين آمنوا إثر ما بين حكم القتل بقسميه وأن ما يتصور صدوره عن المؤمن إنما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما يؤدي إليه من قلة المبالاة في الأمور إذا ضربتم في سبيل الله أي سافرتم للغزو ولما في إذا من معنى الشرط صدر قوله تعالى فتبينوا بالفاء أي فاطلبوا بيان الأمر في كل ما تأتون وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية وقرئ فتثبتوا أي اطلبوا إثباته قوله عز وجل ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام نهي عما هو نتيجة لترك المأمور به وتعيين لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبيين وقرئ السلم بغير ألف وبكسر السين وسكون اللام أي لا تقولوا بغير تأمل لمن حياكم بتحية الإسلام أو لمن ألقى إليكم مقاليد الاستسلام والانقياد لست مؤمنًا وإنما أظهرت ما أظهرت متعوذًا بل اقبلوا منه ما أظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمنًا بالفتح أي مبذولًا لك الأمان وهذا أنسب بالقراءتين الأخريين والاقتصار في ذكر تحية الإسلام في القراءة الأولى مع كونها مقرونة بكلمتي الشهادة كما سيأتي في سبب النزول للمبالغة في النهي والزجر والتنبيه على كمال ظهور خطائهم ببيان أن تحية الإسلام كانت كافية في المكافة والانزجار عن التعرض لأصحابها فكيف وهي مقرونة بهما وقوله تعالى تبتغون عرض الحيوة الدنيا حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التأني لكن لا على أن يكون النهي راجعًا إلى القيد فقط كما في قولك لا تطلب العلم تبتغي به الجاه بل إليهما جميعًا أي لا تقولوا له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاد قال تعالى فعند الله مغانم كثيرة تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمني كأنه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة تغنمونها فيغنيكم عن ارتكاب

ما ارتكبتموه وقوله تعالى كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم تعليل للنهي عن القول
المذكور ولعل تأخيره لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم
الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل السابق وبين ما علل به كما في قوله
تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم الخ وتقديم خبر كان
للقصر المفيد لتأكيد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك إشارة إلى الموصول باعتبار
اتصافه بما في حيز الصلة والفاء في فمن للعطف على كنتم أي مثل ذلك الذي ألقى إليكم
السلام كنتم أنتم أيضا في مبادي إسلامكم لا يظهر منكم للناس غير ما ظهر منه لكم من
تحية الإسلام ونحوها فمن الله عليكم بأن قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم
وأموالكم ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم والفاء في قوله تعالى فتبينوا فصيحة أي إذا كان
الأمر كذلك فاطلبوا بيان هذا الأمر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به
ما فعل بكم في أوائل أموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطؤ الظاهر
والباطن هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم التنزيل ويستدعيه فخامة
شأنه الجليل ومن حسب أن المعنى أول ما دخلتم في الإسلام سمعت من أفواهكم
كلمة الشهادة فحصنت دماءكم وأموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطأة
قلوبكم لألسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالإيمان والتقدم فيه
وأن صرتم أعلاما فيه فعليكم أن تفعلوا بالداخلين في الإسلام كما فعل بكم وأن تعتبروا
ظاهر الإسلام في المكافة ولا تقولوا إلى آخره فقد أبعد عن الحق لأن المراد كما عرفت
بيان أن تحصين الدماء والأموال حكم مترتب على ما فيه المماثلة بينه وبينهم من
مجرد التفوه بكلمة الشهادة وإظهار أن ترتبه عليه في حقهم يقتضي ترتبه عليه
في حقه أيضا إلزاما لهم وإظهارا لخطائهم ولا يخفى أن ذلك إنما يتأتى بتفسير منه
تعالى عليهم المترتب على كونهم مثله بتحصين دمائهم وأموالهم حسبما ذكر حتى يظهر
عندهم وجوب تحصين دمه وماله أيضا بحكم المشاركة فيما يوجبه فحيث
لم يفعل ذلك بل فسره بما فسره به لم يبق في النظم الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم
وأموالهم على ما ذكر فمن أين له أن يقول فحصنت دماءكم وأموالكم حتى يتأتى له البناء
وارتكاب تقديره بناء على اقتضاء ما ذكر في تفسير المن إياه بناء على اشتماله
كيف لا وأن ما ذكر بصدد التفسير وإن كان أمرا متفرعا على ما فيه المماثلة مترتبا
عليه في حقهم لكنه ليس بحكم أريد إثباته في حقه بناء على ثبوته في حقهم كالتحصين
المذكور حتى يقتضي أن يتعرض له ولا بأمر له دخل في وجوب اعتبار ظاهر الإسلام
الداخلين فيه حتى ينتظم نظمه في سلك ما فرع عليه قوله فعليكم أن تفعلوا الخ وحمل
الكلام على معنى أنكم في أول الأمر كنتم مثله في قصور الرتبة في الإسلام فمن الله
عليكم وبلغتم هذه الرتبة العالية فلا تستحقروا حاله نظرا إلى حالكم الراهنة

يرده

يرده أن قتله لم يكن لاستحقار إسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه لسانه فإن الآية
الكريمة نزلت في شأن مرداس بن نهيك من أهل فدك وكان قد أسلم ولم يسلم من قومه
غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن فضالة الليثي فهربوا
وبقي مرداس لثقته بإسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه إلى عاقول من الجبل وصعد
فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام
عليكم فقتله أسامة بن زيد واستاق غنمه فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه إرادة ما معه فقال أسامة بن زيد إنه
قال بلسانه دون قلبه وفي رواية إنما قالها خوفا من السلاح فقال صلى الله
عليه وسلم هلا شققت عن قلبه وفي رواية أفلا شققت عن قلبه ثم قرأ الآية
على أسامة فقال يا رسول الله استغفر لي فقال فكيف بلا إله إلا الله قال أسامة
فما زال صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت أن لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر لي
وقال أعتق رقبة وقيل نزلت في رجل قال يا رسول الله كنا نطلب القوم وقد هزمهم
الله تعالى فقصدت رجلا فلما أحس بالسيف قال إني مسلم فقتلته فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم أقتلت مسلما قال إنه كان متعوذا فقال عليه الصلاة
والسلام أفلا شققت عن قلبه إن الله كان بما تعملون من الأعمال الظاهرة والخفية
وبكيفياتها خبيرا فيجازيكم بحسبها إن خيرا فخير وإن شرا فشر فلا تتهافتوا في القتل
واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستئناف وقرئ بفتح أن على أنه معمول
لتبينوا أو على حذف لام التعليل لا يستوي القاعدون بيان لتفاوت طبقات المؤمنين
بحسب تفاوت درجات مساعيهم في الجهاد بعد ما مر من الأمر به وتحريض المؤمنين
عليه ليأنف القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة في
ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين أذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم القاعدون عن بدر والخارجون إليها وهو الظاهر
الموافق لتاريخ النزول لا ما روي عن مقاتل من أنهم الخارجون إلى تبوك فإنه مما لا
يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال إذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله
تعالى من المؤمنين متعلق بمحذوف وقع حالا من القاعدين أي كائنين من المؤمنين وفائدته
الإيذان من أول الأمر بعدم إخلال وصف القعود بإيمانهم والإشعار بعلة استحقاقهم
لما سيأتي من الحسنى غير أولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد
به قوم بأعيانهم أو بدل منه وقرئ بالنصب على أنه حال منه أو استثناء وبالجر على أنه
صفة للمؤمنين أو بدل منه والضرر المرض أو العاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها
وفي معناه العجز عن الأهبة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال كنت إلى جنب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت أن

وتغشاه ثم سري عنه فقال اكتب فكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون
فقال ابن ام كلثوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين
فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين
غير اولي الضرر والمجاهدون ايرادهم بهذا العنوان دون الخروج المقابل
لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس رضي الله عنهما وكذا تقييد
المجاهدة بكونها في سبيل الله باموالهم وانفسهم لمدحهم بذلك والاشعار بعلة
استحقاقهم لعلو الرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود وتقديم
القاعدين في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم
الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين
او زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره
بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي
الظلمات والنور الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول قوله
عز وجل فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة استئناف مسوق
لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهما اجمالا ببيان
كيفيته وكميته مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل كيف وقع ذلك
فقيل فضل الله الخ واما تقدير حالهم لا يستوون فانما يليق بجعل الاستئناف
تعليلا لعدم الاستواء مسوقا لاثباته وفيه تفكيك ظاهر فان الذي يحق ان يكون
مقصودا بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوتة واما عدم
استوائهما فمفاد التزامه ان يكون توطئة لذكره ولام المجاهدين والقاعدين
للعهد فقيد كون الجهاد في سبيل الله معتبر في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر
في الثاني ودرجة نصب على المصدرية لوقوعها موقع المرة من التفضيل اي فضل
الله تفضيله او على نزع الخافض اي بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحال
من المجاهدين اي ذوي درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى وكلا مفعول
اول لما يعقبه قدم عليه لافادة القصر تاكيدا للوعد اي كل واحد من المجاهدين
وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط كما في قوله تعالى وارسلناك
للناس رسولا على ان اللام متعلقة برسولا والجملة اعتراض جيء به تداركا لما عسى يوهمه
تفضيل احد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل وفضل الله
المجاهدين على القاعدين عطف على قوله فضل الله الخ واللام في الفريقين معنية
لما عن ذكرا القيود التي تركت على سبيل التدريج وقوله تعالى اجرا عظيما مصدر من
لفضل لان التفضيل بمعنى الاجر والاثابة او بما هو مصدر من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل

اجرا لا عملا او مفعول ثان له لتضمنه معنى الاعطاء اي اعطاهم زيادة على القاعدين
اجرا عظيما وقيل هو منصوب بنزع الخافض اي فضلهم باجر عظيم وقوله تعالى
درجات بدل من اجرا بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف
وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اي درجات كائنة منه تعالى
قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر
سبعين خريفا وقال السدي هي سبعمائة درجة وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى للمجاهدين
في سبيله بين الدرجتين كما بين السماء والارض ويجوز ان يكون انتصاب درجات
على المصدرية كما في قولك ضربه اسواطا اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات وقوله
تعالى ومغفرة بدل من اجرا بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اي
لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي ياتي بها القاعدون
ايضا حتى تعد من خصائصهم وقوله تعالى ورحمة بدل الكل من اجرا مثل درجات
ويجوز ان يكون انتصابهما باضمار فعلهما اي غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا
ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة وتقييده تارة بدرجة
واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه
حسن الانتظام واما التنزيل لاختلاف العنوان بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات
منزلة الاختلاف الذاتي تمهيدا لسلوك طريقة الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق
والتقرير كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم
من عذاب غليظ كانه قيل فضل المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا
يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا البون البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل
وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال
كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شان التنزيل واما الاختلاف بالذات بين التفضيلين
وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى عاجلا في
الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة واحدة وفي الآخرة درجات
لا يحصى لعالية الغاية لحكم كما ينبئ عنه تقديم الاول وتأخير الثاني وتوسيط الوعد
بالجنة بينهما كانه قيل فضلهم عليهم في الدنيا درجة واحدة وفي الآخرة درجات لا تحصى
وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود اعني الوعد بالجنة توضيحا لحالها
ومسارعة الى تسلية المفضول والله سبحانه اعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين غير اولي
الضرر واما اولي الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين بمفهوم الصفة وبان
الاستثناء من النفي اثبات واما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم في المدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم

وادّيا الا كانوا معكم وهم الذين تحت بنائهم وتحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او ضر وبعبارة اخرى ان في المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه المساواة مشروطة بشريطة اخرى سوى الضرر وقد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله اذا نصحوا لله ورسوله قيل القاعدون الاول هم الاضراء والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا يخفى ولا ريب في ان الاضراء افضل من غيرهم درجة كما لا ريب في انهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية وكان الله غفورا رحيما تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة ان الذين توفاهم الملائكة بيان لحال القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل ان يكون ماضيا ويؤيده قراءة من قرأ توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه التاء واصله تتوفاهم على حكاية الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ كما في قوله تعالى غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه اي محلين الصيد وبالغا الكعبة وثانيا عطفه كانه قيل ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت في ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا اي الملائكة عليهم السلام للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلوة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امور دينكم قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سؤال حكاية الملائكة كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه في زعمهم كنا مستضعفين في الارض اي في ارض مكة عاجزين عن القيام بامور الدين فيما بين اهلها قالوا ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة واما تعللهم في اظهار العجز عن الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذيبا لهم في ذلك فيرده ان سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر او لعدم تمكين الكفرة فلا يكون بيان سعة الارض تكذيبا لهم وردا عليهم بما لا بد منه من بيان استطاعتهم ايضا حتى يتم التبكيت قيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا

وتوبيخ

وتوبيخا بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة فاولئك الذين حكيت احوالهم الفظيعة مأواهم اي في الآخرة جهنم كما ان مأواهم في الدنيا دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فمأواهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر لان والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد عند من يشترطه او هو الخبر والعائد منه محذوف اي قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه ومما في حيزه وساءت مصيرا اي مصيرهم او جهنم وفي الآية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل من اقامة امور دينه باي سبب كان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلوة والسلام الا المستضعفين استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه ومن في قوله تعالى من الرجال والنساء والولدان متعلق بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اي كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك او المراهقون ظاهر واما ان اريد بهم الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة والايهام بانها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار بانه لا محيص لهم عنها البتة تجب عليهم كما بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت قوله تعالى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ ما فيه من اللام ليس للتعريف او حال منه او من الضمير المستكن فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومباديها واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل فاولئك اشارة الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز عسى الله ان يعفو عنهم جيء بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تاكد الوجوب بحيث ينبغي ان يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طلب العفو رجاء وطمعا لا جزما وقطعا وكان الله عفوا غفورا تذييل مقرر لما قبله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا ترغيب في المهاجرة وتأنيس لها اي يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تأكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم وسعة اي من الرزق ومن يخرج من بيته الى الله ورسوله ثم يدركه الموت اي قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج من بيته

على المهاجر وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وقرئ
بحركة الهاء نقلت الى الكاف في نية الوقف كما في قوله
• عجبت والدهر كثير عجبه • من عنزي سبني لم اضربه •
بالنصب في اضمار ان كما في قوله والحق بالحجاز فاستريحا **فقد وقع اجره على الله**
اي ثبت ذلك عنده تعالى ثبوت الامر الواجب وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما بعث بالآيات المتقدمة الى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه وكان شيخا كبيرا
احملوني فاني لست من المستضعفين واني لا اهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة
فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق
بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك
رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا فنزلت قالوا كل هجرة في غرض ديني من طلب علم
او حج او جهاد او نحو ذلك فهي هجرة الى الله عز وجل والى رسول الله صلى الله عليه
وسلم **وكان الله غفورا** مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من
جملتها القعود عن الهجرة الى وقت الخروج **رحيما** مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال
ثواب هجرته **واذا ضربتم في الارض** شروع في بيان كيفية الصلوة عند الضرورات
من السفر ولقاء العدو والمطر والمرض وفيه تاكيد لعزيمة المهاجر على المهاجرة
وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف المؤنة اي اذا سافرتم اي مسافرة كانت ولذلك
لم يقيد به المهاجرة **فليس عليكم جناح** اي حرج ومأثم **ان تقصروا** اي في ان تقصروا والقصر
خلاف المد يقال قصرت الشيء اذا جعلته قصيرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه فمتعلق
القصر حقيقة انما هو ذلك الشيء لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا
فقوله تعالى **من الصلوة** ينبغي ان يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسبما رآه
الاخفش واما على تقدير ان تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو رأي سيبويه
اي شيئا من الصلوة فينبغي ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر
معنى الحبس يقال قصرت الشيء اذا حبسته او يراد بالصلوة الجنس ليكون المقصور بعضا
منها وهي الرباعيات اي فليس عليكم جناح في ان تقصروا بعض الصلوة بتنصيفها وقرئ
تقصروا من الاقصار وتقصروا من التقصير والكل بمعنى وادنى مدة السفر الذي يتعلق به القصر
عند ابي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلثة ايام ولياليها بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصار
وعند الشافعي رحمه الله مسيرة يومين وظاهر الآية الكريمة التخيير وافضلية الاتمام
وبه تعلق الشافعي رحمه الله وبما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر
وعن عائشة رضي الله عنها اتممت تارة وقصرت اخرى وعن عثمان رضي الله عنه
انه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة

وبعضهم

وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف
والاثقل وهو قول عمر وعلي وابن عباس وابن عمر وجابر رضوان الله عليهم اجمعين
وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك رحمه الله وقد روي
عن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم عليه
الصلوة والسلام وعن انس خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى
مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة وعن عمران بن حصين
ما رايت النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في السفر الا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال
اتموا فانا قوم سفر وحين سمع ابن مسعود ان عثمان رضي الله تعالى عنهما صلى بمنى اربع
ركعات استرجع ثم قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين
وصليت مع ابي بكر رضي الله تعالى عنه بمنى ركعتين وصليت مع عمر رضي الله تعالى
عنه بمنى ركعتين فليت حظي من اربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد اعتذر عثمان
رضي الله عنه عن اتمامه بانه تاهل بمكة وعن الزهري انه انما اتم لانه
ازمع الاقامة بمكة وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت
ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري انها قالت
فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فاقرت صلوة السفر
وزيد في صلوة الحضر واما ما روي عنها من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت
انا ام المؤمنين فحيث حللت فهي داري وانما ورد ذلك في الجناح لما انهم الفوا
الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فصرح بنفي الجناح
عنهم ليطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج البيت او اعتمر فلا
جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعي
رحمه الله تعالى وقوله تعالى **ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا** جوابه محذوف
لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم ان يتعرضوا لكم بما يكرهونه من القتال وغيره
فليس عليكم جناح الخ وهو شرط معتبر في شرعية ما يذكر بعده من صلوة الخوف
المؤداة بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن
على مشروعيته حسبما وقفت على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوي في شرح الآثار
مسندا الى يعلى بن امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انما قال
الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد
امن الناس فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه
دليل على عدم جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل
الرد كما حقق في موضعه ولا يتوهمن انه مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عند

انما يدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط واما عدمه عند عدمه فساكت عنه
فان وجد له دليل ثبت عنده ايضا والا يبقى على حاله لعدم مقتضى دليل لا لتحقق
دليل عدمه وناهيك بما سمعت من الادلة الواضحة واما عند القايلين بالمفهوم
فلانه انما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن له فايدة اخرى وقد خرج
الشرط ههنا مخرج الاغلب كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان
اردن تحصنا بل نقول ان الاية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته
وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار مدة الضرب الذي نيط به القصر
فكل ما ورد منه صلى الله عليه وسلم من القصر في حال الامن وتخصيصه بالرباعيات
على وجه التنصيف وبالضرب في المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد قيل
ان قوله تعالى ان خفتم الخ متعلق بما بعده من صلاة الخوف منفصل عما قبله
فانه روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال نزل قوله تعالى واذا
ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم سالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم الخ اي ان خفتم ان يفتنكم الذين
كفروا فليس عليكم جناح الخ وقد روي من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على
انه مفعول لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم الخ
فان استمرار الاشتغال بالصلوة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله
تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا تعليل لذلك باعتبار تعلله بما ذكر او لما بينهم
من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فان كمال عداوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض
لهم بسوء وقوله تعالى واذا كنت فيهم بيان لما قبله من النص المجمل الوارد في مشروعية
القصر بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص البيان بهذه
الصورة مع الاكتفاء فيما عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها اليه لما فيه من
كثرة التغيير عن الهيئة الاصلية ومن ههنا ظهر لك ان مورد النص الشريف هي الخصوص
وحكم ما عداها مستفاد من حكمها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق
التجريد وبظاهره تمسك من لا يرى صلاة الخوف بعده صلى الله عليه وسلم ولا يخفى
ان الايمة بعده نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم به فيتناولهم حكم الخطاب
الوارد له عليه السلام في قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة وقد روي ان سعيد
بن العاص لما اراد ان يصلي بطبرستان صلوة الخوف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقام حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بمحضر من الصحابة
رضي الله عنهم اجمعين فلم ينكره احد فحل محل الاجماع وروي في السنن
انهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة فصلى بهم صلاة الخوف فاقمت لهم الصلوة اي اردت ان
تقيم بهم الصلوة فلتقم طايفة منهم معك بعد ان جعلتهم طايفتين ولتقف الطايفة الاخرى

بازاء العدو ليحرسوكم منهم وانما لم يصرح به لظهوره فلتقم طايفة وليأخذوا اي الطايفة
القايمة معك اسلحتهم اي لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء
باستصحابها كانهم يأخذونها ابتداء فاذا سجدوا اي القايمون معك واتموا الركعة فليكونوا
من ورايكم اي فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة ولتأت طايفة اخرى لم يصلوا بعد
وهي الطايفة الواقفة تجاه العدو للحراسة وانما لم تعرف لما انها لم تذكر فيما قبل
فليصلوا معك الركعة الباقية ولم يبين في الاية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من
الطايفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روي عن ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى صلاة الخوف صلى بالطايفة الاولى ركعة وبالطايفة
الاخرى ركعة كما في الاية ثم جاءت الطايفة الاولى وذهبت هذه الى مقابلة العدو
حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطايفة الاخرى وقضوا
الركعة الاولى بقراءة حتى صار لكل طايفة ركعتان وليأخذوا اي هذه الطايفة حذرهم
واسلحتهم لعل زيادة الامر بالحذر في هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون
الطايفة القايمة مع النبي صلى الله عليه وسلم في شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم
قايمين للحراب وتكليف كل من الطايفتين بما ذكر لما ان الاشتغال بالصلوة مظنة لالقاء
السلاح والاعراض عن غيرها ومئنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى ود الذين
كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة فانه استيناف مسوق
لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات اي تمنوا ان ينالوا منكم غرة
وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به في الحرب
لا مطلقا وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر
او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم حيث رخص لهم في وضعها اذا ثقل عليهم استصحابها
بسبب مطر او مرض وامروا مع ذلك بالتيقظ والاحتياط وخذوا حذركم لئلا يهجم
العدو عليهم غيلة وروى الكلبي عن ابي صالح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزى
محاربا وبني انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادي والسماء ترش
فحال الوادي بينه وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث
بن الحرث المحاربي فقال قتلني الله ان لم اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف
فلم يشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قايم على راسه وقد سل سيفه من
غمده وقال يا محمد من يعصمك مني الان فقال صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال
اللهم اكفني غورث بن الحرث بما شيت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليضربه فاكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك مني الان قال لا احد قال عليه السلام

تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا
اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث
والله لانت خير مني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احق بذلك منك فرجع
غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته فامن بعضهم قال وسكن الوادي فقطع عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه واخبرهم بالخبر وقوله تعالى ان الله
اعد للكافرين عذابا مهينا تعليل للامر باخذ الحذر اي اعد لهم عذابا مهينا بان
يخذلهم وينصركم عليهم فاهتموا باموركم ولا تهملوا في مباشرة الاسباب كي يحل
بهم عذابه بايديكم وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبته
واعتزازه نفى ذلك الايهام بان الله تعالى ينصرهم ويهين عدوهم لتقوى قلوبهم
فاذا قضيتم الصلوة صلاة الخوف اي اديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها
فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اي فداموا على ذكر تعالى وحافظوا على
مراقبته ومناجاته ودعائه في جميع الاحوال حتى في حال المسابقة والقتال كما في
قوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون فاذا اطمانتم
سكنت قلوبكم من الخوف وانتم بعدما وضعت الحرب اوزارها فاقيموا الصلاة
اي الصلاة التي دخل فيها حينئذ اي ادوها بتعديل اركانها ومراعاة شرائطها
وقيل المراد بالذكر في الاحوال الثلثة الصلوة فيها اي فاذا اردتم اداء
الصلوة صلوا قياما عند المسابقة وقعودا جاثين على الركب عند المرامات
وعلى جنوبكم مثخنين الجراح فاذا اطمانتم في الجملة فاقضوا ما صليتم في تلك
الاحوال التي هي احوال القلق ولا ابن عاج وهو راي الشافعي رحمه الله تعالى
وفيه من البعد ما لا يخفى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اي فرضا موقتا
قال مجاهد وقته الله تعالى عليهم فلا بد من اقامتها في حالة الخوف ايضا
على الوجه المشروح وقيل مفروضا مقدرا في الحضر اربع ركعات وفي السفر ركعتين
فلا بد ان تؤدى في كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهنوا في ابتغاء القوم اي لا تضعفوا
ولا تتوانوا في طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحراب وقوله تع ان تكونوا
تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون تعليل للنهي وتشجيع
لهم اي ليس ما تقاسونه من الالام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون
على ذلك فما لكم لا تصبرون مع انكم اولى به منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم
على سائر الاديان ومن الثواب في الاخرة ما لا يخطر ببالهم وقرئ ان تكونوا بفتح الهمزة
اي لا تهنوا لان تكونوا تالمون وقوله تعالى فانهم تعليل للنهي عن الوهن لاجله
والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما بالغا في العلم فيعلم اعمالكم وضمائركم
حكيما فيما يامر وينهى فجدوا في الامتثال بذلك فان فيه عواقب حميدة انا انزلنا

اليك الكتاب بالحق روي ان رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بني ظفر
سرق درعا من جار له قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق
فيه فخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف
ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها
فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد
ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزلت على رجل
من بني سليم من اهل مكة يقال له حجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع
الدخول ولا الخروج فاخذ ليقتل فقيل دعه فانه قد لجا اليك فتركه واخرجوه من
مكة فالتقى بتجار من قضاعة نحو الشام فنزلوا منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فاخذوه
ورموه بالحجارة حتى قتلوه وقيل انه ركب سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه
دنانير فاخذوه والقي في البحر لتحكم بين الناس بما اراك الله اي بما عرفك واوحى به اليك
ولا تكن للخائنين اي لاجلهم والذب عنهم وهو طعمة ومن يعينه من قومه او هو ومن
يسير بسيرته خصيما مخاصما للبراء لا تخاصم اليهود لاجلهم والنبي معطوف على امر
ينحب عليه الامر الكنهم وكانه وقيل فاحكم به ولا تكن الخ واستغفر الله مما هممت به
تعويلا على شهادتهم ان الله كان غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة لمن يستغفره
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اي يخونونها بالمعصية كقوله تعالى علم
الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت
ظلما لها لرجوع ضررها اليهم والمراد بالموصول اما طعمة وامثاله واما هو ومن
عاونه من قومه فانهم شركاء له في الاثم والخيانة ان الله لا يحب من كان خوانا مفرطا في
الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذي هو كناية عن البغض والسخط
بالمبالغ في الخيانة والاثم ليس لتخصيصه بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما يستخفون من
الناس يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله اي لا يستحيون منه
سبحانه وهو احق بان يستحى منه ويخاف من عقابه وهو معهم عالم بهم وباحوالهم
فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون
ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور
وكان الله بما يعملون من الاعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يعزب عنه شيء منها ولا
يفوته ها انتم هؤلاء تلوين للخطاب وتوجيه له اليهم بطريق الخطاب الالتفات ايذانا
بان تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتداء وخبر وقوله
تع جادلتم عنهم في الحياة الدنيا جملة مبينة لاولى ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا
بمعنى الذين وجادلتم صلة له والمجادلة اشد المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن

طعمة وامثاله في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة فمن يخاصم عنهم يوم القيمة
يومئذ عند تعذيبهم وعقابهم ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى
وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم
نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك
وقيل هما الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه
كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة
والاستغفار لما ان مشاهدة التائب لآثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة كما مر ومن يكسب
اثما من الآثام فانما يكسبه على نفسه حيث لا يتعدى ضرره ووباله الى غيره فليحترز
عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا وآجلا وكان الله عليما مبالغا في العلم حكيما مراعيا
للحكمة في كل ما قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة
او ما لا عمد فيه من الذنوب وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين واصله
يكتسب او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به اي يقذف به ويسنده وتوحيد الضمير
للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم للتراخي في الرتبة بريئا اي مما رماه
به ليحمله عقوبته العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل اي بما فعل من تحميل جريرته
البريء بهتانا وهو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وهوله
وقيل هو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا اي بينا فاحشا وهو صفة لاثما
وقد اكتفي في بيان عظم البهتان بالتنكير التفخيمي كأنه قيل بهتانا لا يقادر قدره
واثما مبينا على ان وصف الاثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان به لانهما عبارة عن
امر واحد هو رمي البريء بجناية نفسه عبر عنه بهما تهويلا لامره وتفظيعا لحاله
فمدار العظم والفخامة كون المرمي به للرامي فان رمي البريء بجناية ما خطيئة
كانت او اثما بهتان واثم في نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما فلان كون
الذنب بالنسبة الى من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة الى من نسبه الى البريء
منه ايضا كذلك بل لا يجوز ذلك قطعا كيف لا وهو كذب محرم في جميع الاديان فهو في
نفسه بهتان واثم لا محالة وبكون تلك الجناية للرامي يتضاعف ذلك شدة ويزداد
قبحا لا لانضمام جنايته المكسوبة الى رمي البريء والا لكان الرمي بغير جنايته مثله
في العظم ولا لمجرد اشتماله على تبرئة نفسه الخاطئة والا لكان الرمي بغير جناية
مع تبرئة نفسه كذلك في العظم بل لاشتماله على قصد تحميل جنايته على البريء واجراء
عقوبتها عليه كما ينبئ عنه ايثار الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه من الايذان
بانعكاس تقديره مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر وصعوبة الاثم نعم بما ذكر
من انضمام كسبه وتبرئة نفسه الى رمي البريء يزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة
وصف للمجموع لا للاثم ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلامك ما هم عليه بالوحي

وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة لهمت طائفة منهم اي من بني ظفر وهم
الذابون عن طعمة ويجوز ان يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير راجعا الى
الناس وقيل هم وفد بني ثقيف قدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئنا
لنبايعك على ان لا نكسر اصنامنا ولا نعشر فردهم صلى الله عليه وسلم ان يضلوك اي
بان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بكنه الامر والجملة جواب لولا وانما نفي
همهم مع ان المنفي انما هو تأثيره فقط ايذانا بانتفاء تأثيره بالكلية وقيل المراد هو
المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اي لاضلوك وقوله
تعالى لهمت جملة مستأنفة اي لقد همت طائفة الخ وما يضلون الا انفسهم لان
وبال مكرهم عليهم من غير ان يصيبك منه شيء والجملة اعتراض وقوله تعالى
وما يضرونك من شيء عطف عليه ومحل الجار والمجرور النصب على المصدرية اي
وما يضرونك شيئا من الضرر لما انه عاصمك واما ما خطر ببالك وكان عملا منك
بظاهر الحال ثقة باقوال القائلين من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف
ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اي القرآن الجامع بين العنوانين وقيل المراد
بالحكمة السنة وعلمك بالوحي من خفيات الامور التي من جملتها وجوه ابطال كيد
المنافقين او من امور الدين واحكام الشرع ما لم تكن تعلم ذلك الى وقت التعليم
وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة والرياسة التامة لا خير
في كثير من نجواهم اي في كثير من تناجي الناس الا من امر الا في نجوى من امر بصدقة او معروف
وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي نقله الكرماني
واياما كان فالاستثناء متصل ويجوز الانقطاع ايضا على معنى لكن من امر بصدقة الخ
ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم اصناف الجميل
وفنون اعمال البر وقد فسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد
بالصدقة الصدقة الواجبة او اصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم
من غير ان يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف وبين اما متعلق بنفس اصلاح يقال
اصلحت بين القوم او بمحذوف هو صفة له اي كائن بين الناس عن ابي ايوب الانصاري
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك على صدقة خير لك
من حمر النعم فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا
تباعدوا ولعل السر في افراد هذه الاقسام الثلاثة بالذكر ان عمل الخير المتعدي
الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال
واليه الاشارة بقوله عز وجل الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة
بالامر بالمعروف واما دفع الضرر فقد اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس ومن
يفعل ذلك اشارة الى الامور المذكورة اعني الصدقة والمعروف والاصلاح فانه يشار به

اي متعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بها للايذان ببعد منزلتها وعلو شانها وترتيب الوعد على فعلها اثر بيان خيرية الامر بها لما ان المقصود الاصلي هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الامر بالامور المذكورة لخيرية فعلها ابلغ وفيه تحريض للامر بها في فعلها او اشارة الى الامر بها كانه قيل ومن يامر بها والكلام في ترتيب الوعد على فعله كالذي مر في الخيرية فان استتباع الامر بها للاجر العظيم انما هو لكونه ذريعة الى فعلها فاستتباعه له اولى واحق ابتغاء مرضات الله علة للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان فسوف نؤتيه بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء اجرا عظيما يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض لعنوان الرسالة لاظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم الاتي بذلك من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل المؤمنين اي غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم نوله ما تولى اي نجعله واليا لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم اي ندخله اياها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا اي جهنم وفيها دلالة على حجية الاجماع وحرمة مخالفته ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد والتشديد او لقصة طعمة وقد مر موته كافرا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراءة على الله تعالى وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل الخ وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان يدعون اي ما يعبدون من دونه عز وجل الا اناثا هي اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يكن من احياء العرب حي الا كان لهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان قيل لانهم كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم كانوا يلبسونها انواع الحلي ويزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وقيل تسميتها اناثا لتانيث اسمائها او لانها في الاصل الجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها وايراده بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها وتناهي جهلهم والاناث جمع انثى كرباب وربى وقرئ في التوحيد وانثا ايضا في انه جمع انيث كقليب وقلب او جمع اناث كحمار وحمر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد وفي الاصل

وقلب الواو الفا نحو اجوه في وجوه وان يدعون وما يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا اذ هو الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها وكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء للتي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية لشيطانا وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف على الجملة المتقدمة اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن على ان عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق التعليل بان ما يعبدونها منفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة ثم استدل عليه بان ذلك عبادة للشيطان وهو افظع الضلال من وجوه ثلاثة الاول انه منهمك في الغي لا يكاد يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الحق والثاني انه ملعون لضلاله فلا يستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث انه في غاية السعي في اهلاكهم واضلالهم فموالاة من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطاء ولاضلنهم ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام اي فليقطعنها بموجب امري من غير تلعثم في ذلك ولا تاخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر والسوائب ولامرنهم فليغيرن خلق الله عن نهجه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا في البهائم لمكان الحاجة وهذه الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا او حالا وما فيها من اللامات كلها للقسم والمامور به في الموضعين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثار ما يدعوا اليه على ما امره الله تعالى ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا لانه ضيع راس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة مكانه من النار يعدهم اي ما لا يكاد ينجزه ويمنيهم اي الاماني الفارغة او يفعل لهم الوعد والتمنية على طريقة فلان يعطي ويمنع والضميران لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في يتخذ وخسر باعتبار لفظها وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بالسنة اوليائه وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اي وعدا ذا غرور او مصدر على غير لفظ المصدر لان يعدهم في قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها باب من الوعد اولئك اشارة الى اولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم في الخسران وهو مبتدا وقوله تعالى ماويهم مبتدا ثان وقوله تعالى جهنم خبر للثاني والجملة خبر للاول ولا يجدون عنها محيصا اي معدلا ومهربا من حاص الحمار اذا عدل وقيل خلص

ونجا وقيل المحيص هو الروغان بتعويق وعنها متعلق بمحذوف وقع حالاً من محيصاً
أي كائناً عنها ولا مساغ لتعلقه بمحيصاً اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان
مصدراً فلانه لا يعمل فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره قوله
تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً قرن وعيد الكفرة بوعد
المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء ومساءة هؤلاء أولئك وعد الله حقاً أي وعده وعداً
وحق ذلك حقاً فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية وعد والثاني
مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينتصب وعد الله
بقوله تعالى سندخلهم لانه في معنى نعدهم ادخال جنات الخ وحقاً على انه حال
من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة
مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لاوليائه والمبالغة
في تاكيده ترغيباً للعباد في تحصيله والقيل مصدر كالقول والقال وقال
ابن السكيت القيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز وقرئ باشمام
الصاد وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اي ليس
ما وعد الله من الثواب يحصل بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما يحصل
بالايمان والعمل الصالح ولعل نظم اماني اهل الكتاب في سلك اماني المسلمين مع ظهور
حالها للايذان بعدم اجداء اماني المسلمين ايضاً كما في قوله تعالى ولا الذين يموتون
وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه
العمل ان قوما الهتهم المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن
بالله وكذبوا لو احسنوا الظن لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا
فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم فقال المسلمون
نحن اولى نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل
الخطاب للمؤمنين ويؤيده تقدم ذكرهم أي ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم
لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيراً منهم واحسن حالاً
وقولهم لاوتين مالاً وولداً ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان
هوداً او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياماً معدودات ثم قرر ذلك بقوله تعالى
من يعمل سوءاً يجز به عاجلاً او آجلاً لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر رضي الله عنه فمن ينجو
مع هذا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اما تحزن اما تمرض اما يصيبك البلاء
قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له من دون الله اي مجاوزاً موالاة
الله تعالى ونصرته ولياً يواليه ولا نصيراً ينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات
اي بعضها وشيئاً منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفاً بها من ذكر او انثى في موضع
الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات ومن للابتداء اي كائنة من ذكر الخ

وهو

وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيهاً على انه لا اعتداد
به دونه فاولئك اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار
معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة
من الاشعار بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الشرف يدخلون الجنة وقرئ
يدخلون مبنياً للمفعول من الادخال ولا يظلمون نقيراً اي لا ينقصون شيئاً حقيراً من
ثواب اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فلان لا
يزاد عقاب العاصي اولى واحرى كيف والمجازي ارحم الراحمين وهو السر في الاقتصار
على ذكره عقيب الثواب ومن احسن ديناً ممن اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه له تعالى لا يعرف
لها رباً سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وقيل اخلص عمله له عز وجل وقيل
فوض امره اليه تعالى وهذا انكار واستبعاد لان يكون احد احسن ديناً ممن فعل ذلك
او مساوياً له وان لم يكن سبك التركيب متعرضاً لانكار المساواة ونفيها يرشدك
اليه العرف المطرد والاستعمال الفاشي فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من
فلان فالمراد به حتماً انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وعليه مساق قوله
تعالى ومن اظلم ممن افترى ونظائره وديناً نصب على التمييز ومن احسن منقول من المبتدأ
والتقدير ومن دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين
لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على ان ذلك اقصى ما ينتهي اليه القوة البشرية وهو محسن
اي آت بالحسنات تارك للسيئات او آت بالاعمال الصالحة على الوجه اللائق
الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم
بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل
اسلم واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها حنيفاً مائلاً
عن الاديان الزائغة وهو حال من فاعل اتبع او من ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلاً
اصطفاه وخصه بكرامات تشبه كرامة الخليل عند خليله واظهاره عليه السلام
في موضع الاضمار لتفخيم شانه عليه السلام والتنصيص على انه الممدوح وتاكيد
استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل
من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما
يترافقان في الطريقة او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما متوافقان في الخصال وفائدة
الاعتراض جمة من جملتها الترغيب في اتباع ملته عليه السلام فان من بلغ من الزلفى
عند الله عز وجل مبلغاً مصححاً لتسميته خليلاً حقيق بان يكون اتباع طريقته اهم ما يمتد
اليه اعناق الهمم واشرف ما يرنو اليه احداق الامم قيل انه عليه السلام بعث
الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب
الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس من الشدة

فرجع غلمانه عليه السلام فاجتازوا ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس وجاؤوا
بها الى منزل ابراهيم عليه السلام والقوها فيه وتفرقوا وجاء احدهم فاخبر ابراهيم
بالقصة فاغتم لذلك غما شديدا لا سيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبته
عيناه وعمدت سارة الى الغرائر فاذا فيها اجود ما يكون من الحوارى واختبزت وفي
رواية اطعمت الناس واستنبه ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال
من اين لكم فقالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل
فسماه الله تعالى خليلا ولله ما في السموات وما في الارض جملة مبتداة سيقت
لتقرير وجوب طاعته تعالى على اهل السموات والارض ببيان ان جميع ما فيهما من
الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شيء فيجازي كلا بموجب اعماله
خيرا وشرا وقيل لبيان ان اتخاذه عز وجل لابراهيم خليلا ليس لاحتياجه سبحانه
الى ذلك في شان من شؤونه كما هو دأب الآدميين فان مدار خلتهم افتقار بعضهم
الى بعض في مصالحهم بل لمجرد تكرمته وتشريفه وقيل لبيان ان الخلة لا تخرجه
عن رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه عليه السلام للخلة بمحض مشيئته
تعالى اي له تعالى ما فيهما جميعا يختار منهما ما يشاء لمن يشاء وقوله عز وجل
وكان الله بكل شيء محيطا تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الوجوه المذكورة فان احاطته
تعالى علما وقدرة بجميع الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم مما يقرر
ذلك اكمل تقرير ويستفتونك في النساء اي في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام
الآتية لا في حق ميراثهن خاصة فانه صلى الله عليه وسلم قد سئل عن اقوال كثيرة مما يتعلق
بهن فما بين حكمه فيما سلف واخر بيانه عما ورد في ذلك من الكتاب وما لم يبين حكمه
بعد بين هاهنا وذلك قوله تعالى قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب
باسناد الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل اليه تعالى والى ما تلي من الكتاب
فيما سبق باعتبارين على طريقة قولك اغناني زيد وعطاؤه بعطف ما على المبتدا
او ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار والمجرور وايثار صيغة المضارع
للايذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما متعلق بيتلى او بمحذوف وقع
حالا من المستكن فيه اي يتلى كائنا فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدا وفي الكتاب
اما متعلق خبر على ان المراد به اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم
شان المتلو عليهم وان العدل في الحقوق المبينة فيه من عظائم الامور التي يجب مراعاتها
والمحافظة عليها فما في حينئذ متناول لما تلي وما سيتلى ويجوز ان يكون مجرورا على
القسم المنبئ عن تعظيم المقسم به وتفخيمه كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم
بما يتلى عليكم في الكتاب فالمراد بقوله تع يفتيكم بيانه السابق واللاحق ولا مساغ
لعطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى وقوله تعالى في يتامى النساء الخ

الاول وهو الاظهر متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم في شانهن وعلى الاخير بدل من فيهن
وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على قلب همزة ايامى ياء
اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي ما فرض لهن من الميراث وغيره وترغبون عطف على الصلة
عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال من فاعل تؤتونهن بتأويل وانتم
ترغبون ولا ريب في انه لا يظهر لتقييد عدم الايتاء بذلك فائدة الا اذا اريد بما
كتب لهن صداقهن ان تنكحوهن اي في ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع بهن بل لاجل ما لهن او في
ان تنكحوهن بغير كمال الصداق وذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها من انها اليتيمة
تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا
ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق او عن ان تنكحوهن وذلك ما روي
عنها انها اليتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في ميراثها وفي رواية
عنها هو الرجل يكون عنده يتيمة هو وليها ووارثها وشريكها في المال حتى في العذق
فيرغب ان ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فالمراد
بما كتب لهن على الوجه الاول والآخر ميراثهن وبما تلي في حقهن قوله تعالى
وآتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى ولا تاكلوها ونحوهما من النصوص الدالة على
عدم التعرض لاموالهم وعلى الوجه الثاني في صداقهن وبما تلي بهن قوله تع
وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى الآية والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى
النساء وما تلي في حقهم قوله تع يوصيكم الله الخ وقد كانوا في الجاهلية لا يورثونهم
كما لا يورثون النساء وانما يورثون الرجال القوام بالامور روي ان عيينة بن حصين
الفزاري جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف
والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال صلى الله عليه
وسلم كذلك امرت وان تقوموا لليتامى بالقسط بالجر عطف على ما قبله وما تلي في حقهم
قوله تع ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ونحو ذلك
مما لا يكاد يحصر هذا على تقدير كون في يتامى النساء متعلقا بيتلى واما على تقدير كونه بدلا
من فيهن فالوجه نصبه عطفا على موضع فيهن اي يفتيكم ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار
فعل اي ويامركم وهو خطاب للولاة او للاولياء والاوصياء وما تفعلوا في حقوق المذكورين
من خير حسبما امرتم به او ما تفعلوه من خير على الاطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجا
اوليا فان الله كان به عليما فيجازيكم بحسبه وان امراة خافت شروع في بيان ما لم يتبين فيما
سلف من الاحكام اي ان توقعت امراة من بعلها نشوزا اي تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها
كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل محادثتها ومؤانستها لما يقتضي ذلك من
الدواعي والاسباب فلا جناح عليهما حينئذ ان يصلحا بينهما صلحا اي في ان يصلحا بينهما بان
تحط له المهر او بعضه او القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول

الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعائشة أو بأن تهب له شيئاً تستميله وقرئ
يَصَّالحا من يتصالحا ويُصلحا من المفاعلة وصلحاً إما منصوب بالفعل المذكور في
كل قراءة على أنه مصدر منه بحذف الزوائد وقد يعبر عنه باسم المصدر كالعطاء
قيل صلاحاً أو تصالحاً أو إصلاحاً حسبما قرئ الفعل أو بفعل مترتب على المذكور
أي فيصلح حالهما صلحاً وبينهما ظرف للفعل أو حال من صلحاً والتعرض لنفي الجناح
عنهما مع أنه ليس من جانبها الأخذ الذي هو المظنة للجناح لبيان أن هذا الصلح ليس
من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي والآخذ والصلح خير أي من الفرقة أو من سوء العشرة أو
من الخصومة فاللام للعهد أو خير من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر
لما قبله وكذا قوله تعالى وأحضرت الأنفس الشح أي جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك
عنه أبداً فلا المرأة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها
فإن فيه تحقيقاً للصلح وتقريراً له بحث كل منهما عليه لكن لا بالنظر إلى حال صاحبه
فإن شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية بغير استمالة مما يحمل المرأة على
بذل بعض حقوقها إليه لاستمالته وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على أن يقنع
من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح وإن تحسنوا في العشرة
وتتقوا النشوز والإعراض وإن تعاضدت الأسباب الداعية إليهما وتصبروا على ذلك
مراعاة لحقوق الصحبة ولم تضطروهن إلى بذل شيء من حقوقهن فإن الله كان بما تعملون
أي من الإحسان والتقوى أو بما تعملون جميعاً فيدخل فيه ذلك دخولاً أولياً خبيراً
فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة لاستحالة أن يضيع أجر المحسنين وفي خطاب الأزواج
بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالإحسان ولفظ التقوى المنبئ عن كون
النشوز والإعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة والترغيب
في حسن المعاملة ما لا يخفى روي أنها نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وزوجها سعد بن
الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فأتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشكت إليه ذلك وقيل نزلت في أبي السائب كانت له امرأة
قد كبرت وله منها أولاد فأراد أن يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني
على أولادي فاقسم لي من كل شهرين إن شئت وإن شئت فلا تقسم فقال إن كان
يصلح ذلك فهو أحب إلي فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت
ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء أي محال أن تقدروا على أن تعدلوا بينهن بحيث
لا يقع ميل ما إلى جانب إحداهن في شأن من الشؤون البتة وقد كان صلى الله عليه
وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني بما تملك
ولا أملك وفي رواية وأنت أعلم بما لا أملك يعني فرط محبته لعائشة رضي الله عنها وأرها
ولو حرصتم أي على إقامة العدل وبالغتم في ذلك فلا تميلوا كل الميل أي فلا تجوروا

على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فإن عجزكم عن حقيقة العدل إنما يصحح
عدم تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم فتذروها أي التي ملتم
عنها كالمعلقة التي لا ذات بعل ولا مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان
يميل مع إحداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل وإن تصلحوا ما كنتم تفسدون من أمورهن
وتتقوا الميل فيما يستقبل فإن الله كان غفوراً يغفر لكم ما فرط منكم من الميل رحيماً يتفضل عليكم
برحمته وإن يتفرقا وقرئ يتفارقا أي وإن يفارق كل واحد منهما صاحبه بأن لم يتفق
بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره يغن الله كلا منهما صاحبه بأن لم يتفق بينهما أي يجعله
مستغنياً عن الآخر ويكفه مهماته من سعته من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة
رغماً لصاحبه وكان الله واسعاً حكيماً مقتدراً متقناً في أفعاله وأحكامه وقوله تعالى
ولله ما في السموات وما في الأرض أي من الموجودات كائناً ما كان من الخلائق وأرزاقهم
وغير ذلك جملة مستأنفة منبهة على كمال سعته وعظم قدرته ولقد وصينا الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم أي أمرناهم في كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الأمم
واللام في الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا أو بأوتوا وإياكم عطف على الموصول
أن اتقوا الله أي وصينا كلا منكم ومنهم بأن اتقوا الله على أن أن مصدرية حذف عنها
الجار ويجوز أن يكون مفسرة لأن التوصية في معنى القول فقوله تعالى وإن تكفروا
فإن لله ما في السموات وما في الأرض حينئذ من تتمة القول المحكي أي ولقد قلنا لهم ولكم
اتقوا الله وإن تكفروا الخ الآية وعلى تقدير كون أن مصدرية مبنى الكلام إرادة القول
أي أمرناهم وإياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم إن تكفروا الآية وقيل هي جملة مستأنفة
خوطب بها هذه الأمة وأياما كان فالمترتب على كفرهم ليس مضمون قوله تعالى فإن لله الآية
بل هو الأمر بعلمه كأنه قيل وإن تكفروا فاعلموا أن لله ما في السموات وما في الأرض
من الخلائق قاطبة مفتقرون إليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن
فيضه طرفة عين فحقه أن يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله
وكان الله غنياً أي عن الخلق وعبادتهم حميداً محموداً في ذاته حمدوه أو لم يحمدوه فلا يتضرر
بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وإنما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته
ولله ما في السموات وما في الأرض كلام مبتدأ مسوق للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية
غير داخل تحت القول المحكي أي له سبحانه وتعالى ما فيهما من الخلائق خلقاً وملكاً يتصرف
فيهم كيفما يشاء إيجاداً وإعداماً وإحياء وإماتة وكفى بالله وكيلاً في تدبير أمور الكل وكل الأمور
فلا بد أن يتوكل عليه لا على أحد سواه إن يشأ يذهبكم أيها الناس أي يفنكم ويستأصلكم
بالمرة ويأت بآخرين أي ويوجد دفعة مكانكم قوماً آخرين من البشر أو خلقاً آخرين
مكان الإنس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء أي إن يشأ إفناكم وإيجاد
آخرين يذهبكم الخ يعني أن إبقاكم على ما أنتم عليه من العصيان إنما هو لكمال غناه عن

طاعتكم ولعدم تعلق مشيئته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله على ذلك اي افنائكم بالمرة او ايجاد آخرين دفعة مكانكم قديرا بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط الخطاب بين الجزاء وما عطف عليه من تشديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشأ يميتكم ويأت بناس آخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم وقيل انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة اي فعنده تعالى له ان اراده فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله تعالى لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وكان الله سميعا بصيرا عالما بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم اندراجا اوليا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مبالغين في العدل واقامة القسط في جميع الامور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان وقيل حال ولو على انفسكم اي ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها على ان الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود عليه والوالدين والاقربين اي ولو كانت الشهادة على انفسكم ان تقروا عليها على ان الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود عليه على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه غنيا يبتغى في العادة رضاه ويتقى سخطه او فقيرا يترحم عليه غالبا وقرئ ان يكن غني او فقير على ان كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى فالله اولى بهما عليه اي فلا تمتنعوا عنها طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فان الله تعالى اولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرئ اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اي مخافة ان تعدلوا عن الحق فان اتباع الهوى من مظان الجور الذي حقه ان يخاف ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا اي السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل بان تأتوا بها على غير وجهها وقرئ ان تلوا من الولاية والتصدي اي وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا اي عن اقامتها رأسا فان الله كان بما تعملون من لي الالسنة والاعراض بالكلية او من جميع الاعمال التي من جملتها

ما ذكر خبيرا فيجازيكم لا محالة على ذلك فهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الاخيرة متضمن للوعد يا ايها الذين آمنوا خطاب لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه وازدادوا فيه طمأنينة ويقينا او آمنوا بما ذكر مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم اجمالي والمراد بالكتاب الثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه والايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب منزل منه تعالى على رسول معين لارشاد امته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان مدار الايمان بكل واحد من تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على ان الاحكام تلك الكتب وشرايعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود ما نسخها وان ما لم ينسخ منها الى الان من الشرايع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير سورة البقرة وقرئ نزل وانزل على البناء للمفعول وقيل هو خطاب لمؤمني اهل الكتاب لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلاما وابن اخيه سلمة واسدا واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم فامرهم بالايمان بالكتاب المتناول للتورية مع انهم مؤمنون بها من قبل ليس لكون المراد بالايمان بها انشاءه والثبات عليه ولا لان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عداها كانه قيل آمنوا بالكل ولا تخصوه بالبعض بل لان المأمور به انما هو الايمان بها في ضمن الايمان بالقرآن على الوجه الذي اشير اليه آنفا لا ايمانهم السابق ولان فيه حملا لهم على التسوية بينها وبين سائر الكتب في التصديق لاشتراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل هو خطاب لاهل الكتابين فالمعنى آمنوا بالكل لا ببعض دون بعض وامر كل طائفة بالايمان بكتابه في ضمن الامر بالايمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعنى آمنوا بقلوبكم لا بألسنتكم فقط ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الآخر في جانب الكفر لما ان الكفر باحدهما لا يتحقق الايمان اصلا وجمع الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او رسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملائكة والكتب على

علي الرسل لانهم وسايط بين الله عز وجل وبين الرسل في انزال الكتب ان الذين
امنوا قال قتادة هم اليهود امنوا بموسي ثم كفروا بعيسي والانجيل ثم ازدادوا
كفرا بكفرهم بمحمد صلي الله عليه وسلم وقيل هم قوم تكرر منهم الارتداد واصروا
في الكفر وازدادوا وتماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا لما انه
يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا علي الايمان فان قلوبهم قد ضربت بالكفر
وتمرنت علي الردة وكان الايمان عندهم اهون شي وادونه لانهم لو اخلصوا الايمان
لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف اي مريدا ليغفر لهم وقوله
عز وجل بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل علي ان المراد بالمذكورين الذين
امنوا في الظاهر نفاقا وكفروا في السر مرة بعد اخري ثم ازدادوا كفرا ونفاقا
ووضع بشر موضع انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء في محل النصب والرفع
في الذم بمعني اريد بهم الذين او هم الذين وقيل نصب علي انه صفة للمنافقين
وقوله تع من دون المومنين حال من فاعل يتخذون اي يتخذون الكفرة انصارا
متجاوزين ولاية المومنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد
صلي الله عليه وسلم فتولوا اليهود ايبتغون عندهم العزة انكار لرايهم وابطال
له وبيان لخيبة رجايهم وقطع لاطماعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة
لما قبلها اي ايطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة قال الواحدي اصل
العزة الشدة ومنه قيل للارض الشديدة الصلبة عزاز وقوله تع فان العزة لله جميعا
تعليل لما يفيده الاستفهام الانكاري من بطلان رايهم وخيبة رجايهم فان
انحصار جميع افراد العزة في جنابه عز وعلا بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين
كتب لهم العزة والغلبة وقال ولله العزة ولرسوله وللمومنين يقتضي ببطلان
التعزز بغيره سبحانه واستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب شرط محذوف كانه قيل
ان يبتغوا عزة فان العزة لله جميعا حال من المستكن في قوله تع لله لاعتماده علي المبتدا
وقد نزل عليكم خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذي
يستدعيه تعداد جناياتهم وقرئ مبنيا للمفعول من التنزيل والانزال ونزل ايضا
مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون ايضا مفيدة لكمال قباحة حالهم ونهاية اثمهم
عليه سبحانه ببيان انهم فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم عن ذلك
وهو ورود النهي الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهي عن موالاتهم في ابلغ
وجه واكد اثر بيان انتفاء ما يدعوهم اليه بالجملة المعترضة كانه قيل تتخذونهم
اولياء والحال انه تع قد نزل عليكم قبل هذا بمكة في الكتاب اي القران الكريم
ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزء بها فلا تقعدوا معهم حتي يخوضوا في حديث
غيره وذلك قوله تعالي واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم الاية وهذا

يقتضي

يقتضي الانزجار عن مجالستهم في تلك الحالة القبيحة فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم وان
هي المخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف والجملة الشرطية خبرها وقوله
تعالي يكفر بها حال من ايات الله وقوله تعالي ويستهزء بها عطف عليه داخل تحته في حكم
الحالية واضافة الايات الي الاسم الجليل لتشريفها واباتة خطرها وتهويل امر الكفر بها
اي نزل عليكم في الكتاب انه اذا سمعتم ايات الله مكفورا بها ومستهزءا بها وفيه دلالة
علي ان المنزل علي النبي صلي الله عليه وسلم وان خوطب به خاصة منزل علي الامة وان
مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم في الايات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالروية
واخري بالسماع وان المراد بالاعراض اظهار المخالفة بالقيام عن مجالستهم لا الاعراض
بالقلب او بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله تعالي
يكفر بها ويستهزء بها انكم اذا مثلهم جملة مستانفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة
تحت التنزيل واذا ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتدا والخبر اي لا تقعدوا معهم في ذلك
الوقت انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب وافراد المثل لانه كالمصدر
او للاستغناء بالاضافة الي الجمع وقرئ شاذا مثلهم بالفتح لاضافته الي غير متمكن كما في
قوله تعالي مثل ما انكم تنطقون وقيل هو منصوب علي الظرفية اي في مثل
حالهم وقوله تع ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا تعليل لكونهم مثلهم
في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب والمراد بالمنافقين اما المخاطبون
وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بماخذ الاشتقاق واما
الجنس وهم داخلون تحته دخولا اوليا وتقديمهم علي الكافرين لتشديد الوعيد
ونصب جميعا مثل ما قبله الذين يتربصون بكم تلوين للخطاب وتوجيه له الي المومنين
بتعديد بعض اخر من جنايات المنافقين وقبايحهم وهو اما بدل من الذين يتخذون
او صفة للمنافقين فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع او منصوب علي
الذم اي ينتظرون امركم وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق والفاء في قوله تعالي
فان كان لكم فتح من الله لترتيب مضمونه علي ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية
ما يقع بعد ذلك كما ان نفس التربص يستدعي شيا ينتظر المتربص وقوعه قالوا اي
لكم الم نكن معكم اي مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان للكافرين نصيب
من الحرب فانها سجال قالوا اي للكفرة الم نستحوذ عليكم اي الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم
واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم من المومنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت
به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم والا لكنتم نهبة للنوايب فهاتوا
نصيبا مما اصبتم وتسمية ظفر المسلمين فتحا وما للكافرين نصيبا لتعظيم شان المسلمين
وتخسيس حظ الكافرين وقرئ ونمنعكم باضمار ان فالله يحكم بينكم يوم القيمة حكما
يليق بشان كل منكم من الثواب والعقاب واما في الدنيا فقد اجري علي من تفوه بكلمة

الاسلام حكمه ولم يضع السيف فيما من تكلم بها نفاقا ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا حينئذ كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج او في الدنيا
على ان المراد بالسبيل الحجة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم كلام مبتدأ سيق
لبيان طرف آخر من قبائح اعمالهم اي يفعلون فعل المخادع من اظهار الايمان وابطان ما يفعل
نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومين الدماء والاموال
واعد لهم في الآخرة الدرك الاسفل من النار وقد مر التحقيق في صدر سورة البقرة
وقيل يعطون في الصراط نورا كما يعطي المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ
نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم واذا قاموا الى الصلاة
قاموا كسالى متثاقلين كالمكره في الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان يراؤن
الناس ليحسبوهم مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان
المرائي يري غيره عمله وهو يريه استحسانه والجملة اما استئناف مبني على سؤال
نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا يريدون بقيامهم اليها كسالى فقيل يراؤن الخ او حال
من ضمير قاموا ولا يذكرون الله الا قليلا عطف على يراؤن اي لا يذكرونه سبحانه
الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل او الا زمانا
قليلا او لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس وذلك قليل وقيل
لا يذكرونه تعالى في الصلاة الا قليلا عند التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك
حال من فاعل يراؤن او منصوب على الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول
عليهما بمعونة المقام اي مرددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب
ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى وقرئ بكسر الذال اي مذبذبين
قلوبهم او دينهم او رأيهم او هو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى تصلصل وفي
مصحف ابن مسعود رضي الله عنه متذبذبين وقرئ مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان
المعنى اخذ بهم تارة في دبة اي طريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اي لا منسوبين الى
المؤمنين ولا منسوبين الى الكافرين او صائرين الى الاولين ولا الى الآخرين فمحله
النصب على انه حال من ضمير مذبذبين او على انه بدل منه او بيان وتفسير له
ومن يضلل الله لعدم استعداده للهداية والتوفيق فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق
والصواب فضلا عن ان تهديه اليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين نهوا عن موالاة الكفرة صريحا وان كان
في بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في الزجر والتهديد اتريدون ان تجعلوا
لله عليكم سلطانا مبينا اي اتريدون بذلك ان تجعلوا الله عليكم حجة بينة على انكم منافقون
فان موالاتهم اوضح ادلة النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه وتوجيه الانكار الى
الارادة دون متعلقها بان يقال اتجعلون الخ للمبالغة في انكاره وتهويل امره ببيان انه

مالا يقدر

مالا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه كما في قوله عز وجل ام تريدون
ان تسألوا رسولكم الخ ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر
جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر الاستهزاء بالاسلام
واهله وخداعهم واما قوله عليه السلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى
وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد خلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشديد
والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متداركة متتابعة
بعضها تحت بعض وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالسطر والسطر ويعضده ان جمعه
ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخلصهم منه والخطاب كما سبق الا الذين تابوا اي عن النفاق
وهو استثناء من المنافقين بل من ضميرهم في الخبر واصلحوا ما افسدوا من احوالهم في حال
النفاق واعتصموا بالله اي وثقوا به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم اي جعلوه خالصا
لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك اي الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد المنزلة وعلو الطبقة مع المؤمنين اي المؤمنين
المعهودين الذين لم يصدر عنهم نفاق اصلا منذ آمنوا والا فهم ايضا مؤمنون اي
معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى وسوف يؤت الله
المؤمنين اجرا عظيما لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم
وآمنتم استئناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودا وعدما انما هو كفرهم لا شيء
آخر فيكون مقررا لما قبله من اثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على ابلغ
وجه وآكده اي اي شيء يفعل الله سبحانه بتعذيبكم ايتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار
ام يستجلب به نفعا او يستدفع ضررا كما هو شأن الملوك وهو الغني المتعالي عن امثال ذلك
وانما هو شأن الملوك امر يقتضيه كفركم فاذا زال ذلك بالايمان والشكر انتفى التعذيب
لا محالة وتقديم الشكر على الايمان لما انه طريق موصل اليه فان الناظر يدرك اولا ما تناله
من النعم الانفسية والآفاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم فيؤمن به
وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكرا الشكر من الله سبحانه هو الرضا
باليسير من طاعة عباده واضعاف الثواب بمقابلته عليما مبالغا في العلم بجميع المعلومات
التي من جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم لا يحب الله الجهر بالسوء من
القول عدم محبته تعالى لشيء كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا
من السوء اي لا يحب الله تعالى ان يجهر احد بالسوء كائنا من القول الا من ظلم اي الا جهر
من ظلم بان يدعو على ظالمه او يتظلم منه ويذكره بما فيه من السوء فان ذلك غير مسخوط
عنده سبحانه وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه
الآية وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت
وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل والاستثناء منقطع اي ولكن الظالم يرتكب

ما لا يحبه الله تعالى بجهر بالسوء وكان الله سميعا بجميع المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم عليما بجميع المعلومات التي من جملتها حال المظلوم والظالم فالجملة تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء ان تبدوا خيرا اي خير كان من الاقوال والافعال او تخفوه او تعفوا عن سوء مع ما سوغ لكم من مؤاخذة المسيء والتنصيص عليه ابدا ذا جه في ابداء الخير واخفائه لما انه المحقق بالبيان وانما ذكرا ابداء الخير واخفاءه بطريق التثبيت له كما ينبئ عنه قوله تع فان الله كان عفوا قديرا فان ايراده في معرض جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة اي كان مبالغا في العفو مع كمال قدرته على المؤاخذة وقال الحسن يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله تعالى وقال الكلبي هو اقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا عمن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه ان الذين يكفرون بالله ورسله اي يؤدي اليه مذهبهم ويقتضيه رأيهم لا انهم يصرحوا بالايمان به تعالى ويكفروا بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله اي بان يؤمنوا به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض اي نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن بموسى والتورية وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله في الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي من الانبياء الا وقد اخبر قومه بحقيقة دين نبينا صلى الله عليه وسلم وفي جميع الانبياء فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى ايضا من حيث لا يحتسب ويريدون بقولهم ذلك ان يتخذوا بين ذلك اي بين الايمان والكفر سبيلا يسلكونه مع انه لا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق الا الضلال اولئك الموصوفون بالصفات القبيحة هم الكافرون الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه ايمانا حقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي حق ذلك اي كونهم كاملين في الكفر لا عبرة بما يدعونه حقا او صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا اي ثابتا يقينا لا ريب فيه واعتدنا للكافرين اي لهم وانما وضع المظهر مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا لوصفهم او لجميع الكافرين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا عذابا مهينا ۝ سيذوقونه عند حلوله والذين آمنوا بالله ورسله على الوجه الذي بين في تفسير قوله تع يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم بان يؤمنوا ببعضهم ويكفروا بآخرين كما فعله الكفرة ودخول بين على احد قد مر تحقيقه في سورة البقرة بما لا مزيد عليه اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة سوف يؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تراخى وقرئ نؤتيهم بنون العظمة وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما مبالغا في الرحمة عليهم

بتصنيف

بتصنيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح كما نزلت التورية او كتابا نعاينه حين نزلت او كتابا الينا باعياننا بانك رسول الله وما كانت مقصدهم بهذه العظيمة الا التحكم والتعنت قال الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا شيئا اكبر منه وقيل تعليل للجواب اي فلا تبال بسؤالهم فقد سألوا موسى اكبر منه وهذه المسئلة وان صدرت من اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون وما يذرون اسندت اليهم والمعنى ان لهم في ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس اول جهالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة اي ارناه نره جهرة اي عيانا او مجاهرين معاينين له والفاء تفسيرية فاخذتهم الصاعقة اي النار التي جاءت من السماء فاهلكتهم وقرئ الصعقة بظلمهم اي بسبب ظلمهم وهو تعنتهم لما يستحيل في تلك الحالة التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات اي المعجزات التي اظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التورية لانها لم تنزل عليهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة كانه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم ايضا حتى نعفو عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا سلطانا ظاهرا عليهم حيث امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن معصيتهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم اي بسبب ميثاقهم ليعطوه فيما روي انهم امتنعوا عن قبول شريعة التورية فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها او ليخافوا فلا ينقضوه فيما روي انهم هموا بنقضه فرفع الله عليهم الجبل فخافوا واقلعوا عن النقض وهو الانسب بما سيأتي من قوله عز وجل واخذنا منهم ميثاقا غليظا وقلنا لهم على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم ادخلوا الباب قال قتادة كنا نحدث انه باب من ابواب الجنة بيت المقدس وقيل هو ايليا وقيل هو اريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حيوة موسى عليه السلام سجدا اي متطامنين خاضعين وقلنا لهم لا تعدوا اي لا تظلموا باصطياد الحيتان في السبت وقرئ لا تعتدوا ولا تعدّوا بفتح العين وتشديد الدال على ان اصله تعتدوا فادغمت التاء في الدال لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها الى العين واخذنا منهم على الامتثال بما كلفوه ميثاقا غليظا مؤكدا وهو العهد الذي اخذه الله عليهم في التورية قيل انهم اعطوا الميثاق على انهم

ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم باي انواع العذاب اراد فبما نقضهم ميثاقهم
ما مزيدة للتاكيد او نكرة تامة ونقضهم بدل منها والبا متعلقة بفعل محذوف اي
فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة
عليهم او في عقابهم روي انهم اعتدوا في السبت في عهد داود عليه السلام فلعنوا
ومسخوا قردة وقيل متعلقة بحرمنا في قوله تعالى فبظلم بدل من قوله
تع فبما وما عطف عليه فيكون التحريم معللا بالكل لا يخفى ان قولهم انا قتلنا المسيح
وقولهم في مريم البهتان متاخر عن التحريم ولا مساغ لتعلقها بما دل عليه قوله تع
بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون في صلة قوله تع وقولهم الغلف
في المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بايات الله اي بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبيا بغير حق
كزكريا ويحيى عليهما السلام وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد
يصل اليها ما جا به محمد عليه السلام او هو مخفف غلف جمع غلاف اي هي اوعية للعلوم
فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وقال
الكلبي يعنون ان قلوبنا بحيث لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير
لوعته ايضا بل طبع الله عليها بكفرهم كلام معترض بين المعطوفين جي به على وجه الاستطراد
مسارعة الى رد زعمهم الفاسد اي ليس كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها
غلفا بحسب الجبلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب كفرهم او ليست قلوبهم كما
زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه
او الا ايمانا قليلا لا يعبا به وبكفرهم اي بعيسى عليه السلام وهو عطف على قولهم واعادة
الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوز عطفه على كفرهم فيكون هو وما عطف عليه
من اسباب الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للايذان
بتكرر كفرهم حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلوة والسلام وقولهم على مريم بهتانا
عظيما لا يقادر قدره حيث نسبوها الى ما هي عنه بالف منزل وقولهم انا قتلنا المسيح
عيسى بن مريم رسول الله نظم قولهم هذا في سلك سائر جناياتهم التي نعيت عليهم ليس لمجرد كونه
كذبا بل لتضمنه لابتهاجهم بقتل النبي والاستهزاء به فان وصفهم له عليه السلام بعنوان
الرسالة انما هو بطريق التهكم به كما في قوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه الخ ولا نبائه عن
ذكرهم له عليه السلام بالوجه القبيح في ما قيل من ان ذلك وضع للذكر الجميل من جهته تعالى
مكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عليه السلام من جهته تع مدحا له عليه ورفعا
لمحله واظهارا لغاية جراتهم في تصديهم لقتله ونهاية وقاحتهم في افتخارهم بذلك وما قتلوه
وما صلبوه حال او اعتراض ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه عليه السلام وامه
فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه

يرفعه الى السما فقال لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة
فقال رجل منهم انا فالقى الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل
ينافق عيسى عليه السلام فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى عليه
الصلوة والسلام فرفع عليه الصلوة والسلام والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه
فقتلوه وهم يظنون انه عيسى عليه السلام وقيل ان ططيانوس اليهودي دخل بيتا
كان هو فيه فلم يجده والقى الله تعالى شبهه فلما خرج ظن انه عيسى عليه السلام فاخذ
وقتل وامثال هذه الخوارق لا تستبعد في عصر النبوة وقيل ان اليهود لما هموا
بقتله عليه السلام فرفعه الله تعالى الى السما خاف رؤسا اليهود من وقوع الفتنة
بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس واظهروا لهم انه هو
المسيح وما كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته عليه السلام لهم وشبه مسندا
الى الجار والمجرور كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في
الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير
المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه اي في شان عيسى
عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة واختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان
كاذبا فقتلناه حقا وتردد اخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال
بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء
انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد
والشك كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد على ما يقابل العلم
ولذلك اكد بقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اي
لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه
النفس جزما كان او غيره فالاستثناء حينئذ متصل وما قتلوه يقينا اي قتلا يقينا كما زعموا
بقولهم انا قتلنا المسيح وقيل معناه ما علموه يقينا كما في قول من قال
كذاك تخبر عنها العالمات بها ... وقد قتلت بعلمي ذلكم يقنا
من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم
في الجملة وقد نفي ذلك عنهم بالكلية بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات
لرفعه وكان الله عزيزا لا يغالب فيما يريده حكيما في جميع افعاله فيدخل فيه تدبيراته
تعالى في امر عيسى عليه السلام دخولا اوليا وان من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى
وقوله تعالى الا ليؤمنن به قبل موته جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف
اليه يرجع الضمير الثاني والاول لعيسى عليه السلام قبل ان تزهق روحه بانه عبد الله
ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع وقت التكليف ويعضده انه قرئ ليؤمنن
به قبل موتهم بضم النون لما ان احدا منهم في معنى الجمع وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه

فنزع كذلك فقال له عكرمة فإن أتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك
بها شفتيه قال فإن خر من فوق بيت أو احترق أو أكله السبع قال يتكلم بها في الهوي
ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قرأتها
إلا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال إني أوتى بالأسير من اليهود والنصارى
فأضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك فقلت إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة
دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله أتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت أنه عبد نبي
ويقول للنصراني أتاك عيسى نبيا فزعمت أنه الله وابن الله فيؤمن أنه عبد الله ورسوله
حيث لا ينفعه إيمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر إلي وقال ممن قلت
حدثني محمد بن علي بن الحنفية فأخذ ينكت الأرض بقضيبه ثم قال لقد أخذتها من عين
صافية والإخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة إلى الإيمان به قبل
أن يضطروا إليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى والمعنى وما من
أهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى أحد إلا ليؤمنن به قبل موته روي
أنه عليه السلام ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى أحد من أهل الكتاب الموجودين
إلا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الإسلام ويهلك الله تعالى في زمانه الدجال
وتقع الأمنة حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان
مع الحيات ويلبث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه
وقيل الضمير الأول يرجع إلى الله تعالى وقيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ويوم
القيامة يكون أي عيسى عليه السلام عليهم أي على أهل الكتاب شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب
وعلى النصارى بأنهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فبظلم من الذين هادوا لعل
ذكرهم بهذا العنوان للإيذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد ما هادوا أي تابوا
من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع النفوس إثر بيان عظمه في حد
ذاته بالتنوين التفخيمي أي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الأشباه والأشكال صادر
عنهم حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا فإنهم كانوا كلما ارتكبوا
معصية من المعاصي التي اقترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم
ولمن تقدمهم من أسلافهم عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون
لسنا بأول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما
حتى انتهى الأمر إلينا فكذبهم الله تعالى في مواقع كثيرة وبكتهم بقوله تعالى كل الطعام
كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا
بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين أي في ادعائكم أنه تحريم قديم روي أنه
عليه السلام لما كلفهم إخراج التوراة لم يجسر أحد على إخراجها لما أن كون التحريم بظلمهم
كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين وبصدهم عن سبيل الله كثيرا أي ناسا

كثيرا

كثيرا أو صدا كثيرا وأخذهم الربوا وقد نهوا عنه فإن الربوا كان محرما عليهم كما هو محرم
علينا وفيه دليل على أن النهي يدل على حرمة المنهي عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل
بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة وأعتدنا للكافرين منهم أي للمصرين على الكفر لا لمن تاب
وآمن من بينهم عذابا أليما سيذوقونه في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم
لكن الراسخون في العلم منهم استدراك من قوله وأعتدنا الخ وبيان لكون بعضهم
على خلاف حالهم عاجلا وآجلا أي لكن الثابتون في العلم منهم المتقنون المستبصرون
فيه غير التابعين للظن كأولئك الجهلة والمراد به عبد الله بن سلام وأصحابه والمؤمنون
أي منهم وصفوا بالإيمان بعدما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ في العلم بطريق العطف
المنبئ عن المغايرة بين المعطوفين تنزيلا للاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي
وقوله تعالى يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك حال من المؤمنون مبينة
لكيفية إيمانهم وقيل اعتراض مؤكد لما قبله وقوله عز وعلا والمقيمين الصلوة
قيل نصب بإضمار فعل تقديره وأعني المقيمين الصلوة على أن الجملة معترضة بين
المبتدأ والخبر وقيل هو عطف على ما أنزل إليك على أن المراد بهم الأنبياء أي يؤمنون
بالكتب والأنبياء والملائكة قال مكي أي ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم
إقامة الصلوة لقوله تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف
في إليك أي يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلوة وهم الأنبياء وقيل على الضمير
المجرور في منهم أي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلوة وقرئ بالرفع على أنه
معطوف على المؤمنين بناء على ما مر من تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي وكذا
الحال فيما سيأتي من المعطوفين فإن قوله تعالى والمؤتون الزكوة عطف على المؤمنون
مع اتحاد الكل ذاتا وكذا الكلام في قوله تعالى والمؤمنون بالله واليوم الآخر فإن المراد
بالكل مؤمنوا أهل الكتاب قد وصفوا أولا بكونهم راسخين في علم الكتاب إيذانا بأن ذلك
موجب للإيمان حتما وأن من عداهم إنما بقوا مصرين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم
مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الأنبياء عليهم السلام ثم بكونهم عاملين بما فيها من الشرائع
والأحكام واكتفي من بينها بذكر إقامة الصلوة وإيتاء الزكاة المستتبعين لسائر العبادات
البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبدأ والمعاد تحقيقا لحيازتهم الإيمان بقطريه
وإحاطتهم به من طرفيه وتعريضا بأن من عداهم من أهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد
منهما حقيقة فإنهم بقولهم عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه وبقولهم لن تمسنا النار إلا أياما
معدودة كافرون باليوم الآخر وقوله تعالى أولئك إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بما
عدد من الصفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم
في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى سنؤتيهم أجرا عظيما والجملة خبر للمبتدأ الذي هو
الراسخون وما عطف عليه والسين لتأكيد الوعد وتنكير الأجر للتفخيم هذا أنسب بتجاوب

طريق الاستدراك هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتاكيد الوعد وتنكير الاجر
بحيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم ووعد الاخرون بالاجر العظيم كانه قيل
اثر قوله تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن المومنون منهم سنوتيهم
اجرا عظيما واما ما جنح اليه الجمهور من جعل قوله تعالى يومنون بما انزل اليك
الخ خبرا للمبتدا ففي كمال السداد خلا انه غير متعرض لتقابل الطرفين وقرئ سنؤتيهم
بالياء مراعاة لظاهر قوله تعالى والمومنون بالله **انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
والنبيين من بعده** جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بانه ليس بدعا من الرسل وانما شانه
في حقيقة الارسال واصل الوحي كشان سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب لاحد
في نبوتهم والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ايحاء مثل ايحائنا
الخ وما بعده متعلق باوحينا وانما بدئ بذكر نوح لانه ابو البشر واول نبي شرع
الله تعالى على لسانه الشرائع والاحكام واول نبي عذبت امته لردهم دعوته وقد
اهلك الله بدعائه اهل الارض **واوحينا الى ابراهيم** عطف على اوحينا الى نوح داخل
معه في حكم التشبيه اي وكما اوحينا الى ابراهيم **واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط**
وهم اولاد يعقوب عليهم السلام **وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان** خصوا
بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين تشريفا لهم واظهارا لفضلهم كما في قوله
تعالى من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكال وتكرير الفعل لمزيد تقرير الايحاء والتنبيه على انهم طائفة خاصة مستقلة
بنوع مخصوص من الوحي **وآتينا داود زبورا** قال القرطبي كان فيه مائة وخمسون
سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد والثناء
على الله عز وجل وقرئ بضم الزاء وهو جمع زبر بمعنى مزبور والجملة عطف على اوحينا
داخل في حكمه لان ايتاء الزبور من باب الايحاء اي وكما آتينا داود زبورا وايثاره على
اوحينا الى داود لتحقيق المماثلة في امر خاص هو ايتاء الكتاب بعد تحقيقها في مطلق
الايحاء ثم اشير الى تحقيقها في امر لازم لهما لزوما كليا وهو الارسال فان قوله
تعالى **ورسلا** نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه في حكم التشبيه
كما قبله اي وكما ارسلنا رسلا لا بما يفسره قوله تعالى **قد قصصناهم عليك** اي وقصصنا
رسلا كما قالوا وزعموا عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب
على انه صفة لرسلا وعلى الوجه الثاني لا محل له من الاعراب فانه مما لا يحتاج اليه
كما ستقف عليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى **من قبل** متعلق بقصصنا اي قصصنا
من قبل هذه السورة او اليوم **ورسلا لم نقصصهم عليك** عطف على رسلا منصوب بناء
وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير كما اوحينا الى نوح والى رسل الخ وقوله

ان يكون انتصابهما بارسلنا فان فيه تحقيقا للمماثلة بين شانه صلى الله عليه وسلم وبين شؤون
من يعترفون بنبوته من الانبياء عليهم السلام في مطلق الايحاء ثم في ايتاء الكتاب ثم في
الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا اليك منتظم لمعنى آتيناك وارسلناك حتما
كانه قيل انا اوحينا اليك ايحاء مثل ما اوحينا الى ابراهيم ومن بعده وآتيناك الفرقان
ايتاء مثل ما آتينا داود زبورا وارسلناك ارسالا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم
عليك من قبل ورسلا آخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة
الايحاء واصل الارسال فما للكفرة يسألونك شيئا لم يعطه احد من هؤلاء الرسل
عليهم السلام ومن ههنا اتضح ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فان ناصبه يجب ان
يكون معطوفا على اوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي عليه يدور فلك
الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في ان قصصنا لا تعلق له بشيء من الايحاء والايتاء
حتى يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى انا اوحينا اليك ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة
مصححة للتشبيه على ان تقديره في رسلا الاول يقتضي تقدير نفيه في الثاني وذلك
اشد استحالة واظهر بطلانا **وكلم الله موسى** برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على
القلب وقوله تعالى **تكليما** مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفراء العرب تسمي
ما وصل الى الانسان كلاما باي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد به لم يكن
الا حقيقة الكلام والجملة اما معطوفة على قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف القصة
على القصة لا على آتينا وما عطف عليه واما حال بتقدير قد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب
بالالتفات والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم
فلم يكن ذلك قادحا في نبوة سائر الانبياء فكيف يتوهم كون نزول التوراة عليه عليه
السلام جملة قادحا في صحة نبوة من انزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور ان نزولها
كذلك لحكم مقتضية لذلك من جملتها ان بني اسرائيل كانوا في العناد وشدة
الشكيمة بحيث لو لم يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا بها الا بعد
اللتيا والتي وقد فضل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطي
كل واحد منهم صلى الله عليهم وسلم تسليما كثيرا **رسلا مبشرين ومنذرين** نصب على
المدح او باضمار ارسلنا او على الحال بان يكون رسلا موطئا لما بعده او على البدلية
من رسلا الاول اي مبشرين لاهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار **لئلا يكون
للناس على الله حجة** اي معذرة يعتذرون بها قائلين لولا ارسلت الينا رسولا فيبين لنا
شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور القوة البشرية عن ادراك جزئيات
المصالح وعجز اكثر الناس عن ادراك كلياتها كما في قوله عز وجل ولو انا اهلكناهم بعذاب
من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك الآية وانما سميت حجة مع استحالة
ان يكون لاحد عليه سبحانه حجة في فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على

ان المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة القاطعة
التي لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي صلى الله عليه
وسلم ما احد اغير من الله عز وجل لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما
احد احب اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه وما احد احب اليه العذر
من الله تعالى لذلك ارسل الرسل وانزل الكتب فاللام متعلقة بارسلنا وقيل
بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها وعلى الله متعلق
بمحذوف وقع حالا من حجة اي كائنة على الله او هو الخبر وللناس حال على الوجه
المذكور ويجوز ان يتعلق كل منهما بما تعلق به الاخر الذي هو الخبر ولا يجوز التعلق
بحجة لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى بعد الرسل اي بعد ارسالهم
وتبليغ الشرائع الى الامم على السنتهم متعلق بحجة او بمحذوف وقع صفة لها لان
الظروف يوصف بها الاحداث كما يخبر بها عنها نحو القتال يوم الجمعة وكان الله عزيزا
لا يغالب في امر من اموره ومن قضيته الامتناع عن الاجابة الى مسئلة المتعنتين حكيما
في جميع افعاله التي من جملتها ارسال الرسل وانزال الكتب فان تعدد الرسل والكتب
واختلافها في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع والاحكام انما هو لتفاوت
تعدد الرسل والكتب واختلافها في كيفية النزول وتغايرها في بعض الشرائع طبقا
الامم في الاحوال التي عليها يدور فلك التكليف فكما انه سبحانه وتعالى برأهم على انحاء
شتى واطوار متباينة حسبما يقتضيه الحكمة التكوينية كذلك تعبدهم بما يليق بشأنهم
وبقضية احوالهم المختلفة واستعداداتهم المتغايرة من الشرائع والاحكام حسبما
يستدعيه الحكمة التشريعية وراعى في ارسال الرسل وانزال الكتب وغير ذلك
من الامور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب جملة
اقتراح فاسد اذ ح يتعاقم التكاليف من الامور المتعلقة فيثقل على المكلف قبولها
والخروج عن عهدتها واما التنزيل المنجم الواقع حسب الامور الداعية اليه فهو ايسر
قبولا واسهل امتثالا لكن الله يشهد بتخفيف النون ورفع الجلالة وقرئ بتشديد
النون ونصب الجلالة وهو استدراك عما يفهم مما قبله كانه لما تعنتوا عليه بما سبق
من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الخ قيل انهم
لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد بما انزل اليك على البناء للفاعل وقرئ على بناء
المفعول والباء صلة للشهادة اي يشهد بحقية ما انزل اليك من القرآن المعجز الناطق
بنبوتك وقيل لما نزل قوله تعالى انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن
الله يشهد انزله بعلمه اي ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نظم بديع
يعجز عنه كل بليغ وبعلمه بحال من انزل عليه واستعداده لاقتباس الانوار القدسية
او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاول حال

من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة في موقع التفسير لما قبلها وقرئ نزله
وقوله تعالى والملائكة يشهدون اي بذلك مبتدا وخبر والجملة عطف على ما قبلها
وقيل حال من مفعول انزله اي انزله والملائكة يشهدون بصدقه وحقيته وكفى
بالله شهيدا على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة مغنية
عن الاستشهاد بغيرها ان الذين كفروا اي بما انزله الله تعالى وشهد به او بكل ما يجب
الايمان به وهو داخل فيه دخولا اوليا والمراد بهم اليهود حيث كفروا به وصدوا عن
سبيل الله وهو دين الاسلام من اراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقرئ
صدوا مبنيا للمفعول قد ضلوا بما فعلوا من الكفر والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا
لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع
عنه ان الذين كفروا اي بما ذكر انفا وظلموا اي محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته وكتمان
نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد
لم يكن الله ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم لعدم
استعدادهم للهداية الى الحق والاعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية
المفهومة من الاستثنا بطريق الاشارة خلقه تعالى لاعمالهم السيئة المؤدية بهم الى جهنم
عند صرف قدرتهم واختيارهم الى اكتسابها او سوقهم اليها يوم القيمة بواسطة الملائكة
والطريق على عمومه والاستثنا متصل وقيل خاص بطريق الحق والاستثنا منقطع
خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء لانه في
واجبة كانه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها الخ وقيل ابدا نصب على الظرفية رفع
لاحتمال حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اي جعلهم خالدين في جهنم على الله
يسيرا لاستحالة ان يتعذر عليه شيء من مراداته تعالى يا ايها الناس بعدما حكى لرسول
الله صلى الله عليه وسلم تعلل اليهود بالاباطيل واقتراحهم الباطل تعنتا ورد عليهم
ذلك بتحقيق نبوته عليه السلام وتقرير رسالته ببيان ان شانه عليه السلام في امر الوحي
والارسال كشان من يعترفون بنبوته من مشاهير الانبياء عليهم السلام واكد ذلك
بشهادته سبحانه وشهادة الملائكة امر المكلفين كافة على طريق الخطاب بالايمان
بذلك امرا مشفوعا بالوعد بالاجابة والوعيد على الرد تنبيها على ان الحجة قد لزمت
ولم يبق بعد ذلك لاحد عذر في عدم القبول قوله عز وجل قد جاءكم الرسول
بالحق من ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود عليه به وتمهيد لما يعقبه من الامر
بالايمان وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة لتاكيد وجوب طاعته والمراد
بالحق هو القرآن الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهي للتعدية او بمحذوف وقع حالا من الرسول
اي ملتبسا بالحق ومن ايضا متعلقة اما بالفعل واما بمحذوف هو حال من الحق اي جاءكم
به من عنده تعالى او جاءكم بالحق كائنا من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع

الاضافة اي ضمير المخاطبين للايذان بان ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم اللائق بهم ترغيبا
لهم في الامتثال بما بعده من الامر والقائه في قوله تعالى فآمنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها
لما بعدها اي فآمنوا به وبما جاءكم به من الحق وقوله تعالى خيرا لكم منصوب على انه مفعول
لفعل واجب الاضمار كما هو راي الخليل وسيبويه اي اقصدوا وائتوا امرا خيرا لكم او على
انه خبر كان مما انتم فيه من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف كما هو راي الفراء اي آمنوا
ايمانا خيرا لكم او على انه خبر كان المضمرة الواقعة جوابا للامر لاجزاء الشرط الصناعي
وهو راي الكسائي وابي عبيدة اي يكن الايمان خيرا لكم وان تكفروا اي ان تصروا وتستمروا
على الكفر به فان لله ما في السموات والارض من الموجودات سواء كانت داخلة في
حقيقتهما وبذلك يعلم حال انفسهما على ابلغ وجه واكده او خارجة عنهما مستقرة
فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل في جملتهم المخاطبون دخولا اوليا اي كلها له عز وجل
خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شيء منها فمن هذا شانه فهو قادر على
تعذيبكم بكفركم لا محالة او فمن كان كذلك فهو غني عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا
ينتفع بايمانكم وقيل فمن كان كذلك فهو غني فله عبيد يعبدونه وينقادون لامره
وكان الله عليما مبالغا في العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل في ذلك علمه تعالى بكفرهم
دخولا اوليا حكيما مراعيا للحكمة في جميع افعاله التي من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم
يا اهل الكتاب تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال
لا تغلوا في دينكم بالافراط في رفع شان عيسى عليه السلام وادعاء الوهيته واما غلو اليهود
في حط رتبته عليه السلام ورميهم بانه ولد لغير رشدة فقد نعي عليهم ذلك فيما سبق
ولا تقولوا على الله الا الحق اي لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ
الصاحبة والولد بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح قد مر تفسيره في سورة آل عمران وقرئ
بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت في صيغة المبالغة وهو مبتدا وقوله تعالى عيسى
بدل منه او عطف بيان له وقوله تعالى ابن مريم صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه
عليه السلام من بنوته تعالى وقوله تعالى رسول الله خبر للمبتدا والجملة مستانفة مسوقة
لتعليل النهي عن القول الباطل المستلزم للامر بضده اعني الحق اي انه مقصور على رتبة الرسالة
لا يتخطاها وكلمته عطف على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي مكون بكلمته وامره الذي
هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة القاها الى مريم اي اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ
جبريل عليه السلام وقيل اعلمها اياها واخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى
ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وقيل الجملة حال من ضمير عليه السلام
المستكن فيما دل عليه وكلمته من معنى المشتق الذي هو العامل فيها وقد مقدرة معها وروح منه
قيل هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في درع مريم فحملت باذن الله تعالى سمي النفخ روحا
لانه ريح تخرج من الروح ومن لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى يحكى

انطبيبا

ان طبيبا حاذقا نصرانيا للرشيد ناظر علي بن حسين الواقدي المروزي ذات يوم فقال
له ان في كتابكم ما يدل على ان عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه الآية فقرا الواقدي
وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه فقال اذا يلزم ان يكون جميع تلك
الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى علوا كبيرا فانقطع النصراني فاسلم وفرح الرشيد فرحا
شديدا ووصل الواقدي بصلة فاخرة وهي متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح اي كائنة
من جهته تعالى جعلت منه تعالى وان كانت بنفخ جبريل عليه السلام لكون النفخ بامره
سبحانه وقيل سمي روحا لاحيائه الاموات وقيل لاحيائه القلوب كما سمي بها القرآن
لذلك في قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اريد بالروح
الذي اوحي الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف شيء بغاية
الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من
النطفة وصف بالروح وتقديم كونه عليه السلام رسول الله تعالى في الذكر مع تاخره
عن كونه كلمته تعالى وروحا منه في الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه
غير محتمل للتاويل وتعيين مآل ما يحتمله وسد باب التاويل الزائغ فآمنوا بالله وخصوه
بالالوهية ورسله اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه
بالالوهية ولا تقولوا ثلاثة اي الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون
الله جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم
يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحياة انتهوا اي
عن التثليث خيرا لكم قد مر وجوه انتصابه انما الله اله واحد اي بالذات منزه عن
التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدا واله خبره وواحد نعت اي منفرد في الالهية
سبحانه ان يكون له ولد اي اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحا من
ذلك فانه انما يتصور فيمن يماثله شيء ويتطرق اليه فناء والله سبحانه منزه عن امثاله
وقرئ ان يكون اي سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى له ما في السموات وما في
الارض جملة مستانفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره اي له ما فيهما من الموجودات
خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته شيء من الاشياء التي من جملتها عيسى فكيف يتوهم
كونه ولدا له تعالى وكفى بالله وكيلا اليه يكل الخلق امورهم وهو غني عن العالمين فانى
يتصور في حقه اتخاذ الولد الذي هو شان العجزة المحتاجين في تدبير امورهم وهو
الى من يخلفهم ويقوم مقامهم لن يستنكف المسيح استئناف مقرر لما سبق من التنزيه
والاستنكاف الانفة والترفع من نكفت الدمع اذا نحيته عن وجهك بالاصبع اي لن
يانف ولن يترفع ان يكون عبدا لله اي عن ان يكون عبدا له تعالى مستمرا على عبادته وطاعته
حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك اقصى مراتب الشرف والاقتصار على

ذكر عدم استنكافه عنه مع ان شأنه عليه الصلوة والسلام المباهاة به كما يدل عليه
احواله ويفصح عنه اقواله اولا يرى ان اول مقالة قالها للناس قوله اني عبد الله
اتاني الكتاب وجعلني نبيا لوقوعه في موقع الجواب عما قاله الكفرة روي ان وفد
نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى
قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبدا لله قالوا
بلى فنزلت وهو السر في جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام عبدا لله تعالى دون ان يعبد
عن عبادة الله ونحو ذلك مع افادة فائدة جليلة هي كمال نزاهته عليه السلام عن
الاستنكاف بالكلية فان كونه عبدا لله تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة
فعدم الاستنكاف مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته كما اشير اليه بخلاف عبادته تعالى
فانها حالة متجددة غير مستلزمة للدوام يكفي في اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم
الاستنكاف عن دوامها ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اي ولا يستنكف الملائكة
المقربون ان يكونوا عبيدا لله قيل ان اريد بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج الى
التقدير واحتج بالآية من زعم فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وقال
مساقه لرد النصارى في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف
اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليهم
السلام واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم له عليه السلام عن رتبة العبودية
لما كان اختصاصه عليه السلام عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم
بالمغيبات او بالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته تعالى عدم
استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون من غير اب ولا ام
وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات العلى ولا نزاع لاحد في علو
درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع في علوها من حيث كثرة الثواب في الطاعات
وبان الآية ليست للرد على النصارى فلعله اريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير
والتفصيل كما في قولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤس ولئن سلم ارادة التفضيل
فغاية الامر الدلالة على افضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش او من
هو في منهم رتبة من الملائكة عليهم السلام على المسيح من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وليس
يلزم من ذلك فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا وقيل التشاجر الآية ومن يستنكف عن عبادته
اي عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف عنها مع ان ذلك منهم
كان بطريق انكار كون الامر من جهته تعالى لا بطريق الانكار والاستنكاف قلنا لانهم يستنكفون
عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل هو الا الاستنكاف عن طاعة الله عز وجل اذ لا امر له عليه
السلام سوى امره تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ويستكبر الاستكبار الانفة عما لا ينبغي ان
يؤنف عنه واصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله

فيه

فيه بل بمعنى عد نفسه كبيرا واعتقاده كذلك وانما عبر عنه بما يدل على الطلب
للايذان بان ما له محض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر عن مثل ذلك
بنفس الطلب في قوله تعالى يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا فانهم ما كانوا
يطلبون ثبوت العوج لسبيل الله مع اعتقادهم لاستقامتها بل كانوا يعدونها ويعتقدونها
معوجة ويحكمون بذلك ولم يعبر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الاشعار بان ليس هناك شيء
سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف المنبئ عن توهم لحوق العار والنقص من
المستنكف عنه فسيحشرهم اليه جميعا اي المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف
المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر احد الفريقين في المفصل تعويلا على انبائه التفصيل
عنه وثقة بظهور اقتضاء حشر احدهما لحشر الآخر ضرورة عموم الحشر للخلائق كافة كما ترك
ذكر احد الفريقين في التفصيل عند قوله تعالى فاما الذين آمنوا بالله الآية مع عموم الخطاب
لهما اعتمادا على ظهور اقتضاء اثابة احدهما لعقاب الآخر ضرورة شمول الجزاء للكل وقيل
الضمير للمستنكفين وهناك مقدر معطوف عليه والتقدير فيحشرهم وغيرهم وقيل
والمعنى يحشرهم اليه يوم يحشر العباد لمجازاتهم وفيه ان الانسب بالتفصيل الآتي اعتبار حشر
الكل في الاجمال على نهج واحد وقرئ فيحشرهم بكسر الشين وهي لغة وقرئ فنحشرهم بنون
العظمة بطريق الالتفات فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لحال الفريق المطوي ذكره
في الاجمال قدم على بيان حال ما يقابله ابانة لفضله ومسارعة الى بيان كون حشرهم ايضا
معتبرا في الاجمال وايراده بعنوان الايمان والعمل الصالح لا بوصف عدم الاستنكاف المناسب
لما قبله وما بعده للتنبيه على انه المستتبع لما يعقبه من الثمرات فيوفيهم اجورهم من غير ان
ينقص منها شيئا اصلا ويزيدهم من فضله بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا اي عن عبادته عز وجل واستكبروا
فيعذبهم بسبب استنكافهم واستكبارهم عذابا اليما لا يحيط به الوصف ولا يجدون لهم من دون
الله وليا يلي امورهم ويدبر مصالحهم ولا نصيرا ينصرهم من بأسه تعالى يا ايها الناس تلوين للخطاب
وتوجيه له الى كافة المكلفين اثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال
والزامهم بالبراهين القاطعة التي تخر لها صم الجبال وازاحة شبههم الواهية بالبينات
الواضحة وتبيينه لهم على ان الحجة قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر لمعتذر قد
جاءكم اي وصل اليكم وتعرض في قلوبكم بحيث لا سبيل لكم الى الانكار برهان البرهان ما يبرهن
به على المطلوب والمراد به القرآن الدال على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم المثبت
لما فيه من الاحكام التي من جملتها ما اشير اليه مما اثبته الآيات الكريمة من حقية الحق
وبطلان الباطل وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه النبي صلى الله عليه وسلم عبر عنه
به لما معه من المعجزات التي تشهد بصدقه وقيل هي المعجزات التي اظهرها وقرئ هو دين
الحق الذي اتى به قوله تعالى من ربكم اما متعلق بجاء او بمحذوف وقع صفة مشرفة

لبرهان مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن منه تعالى
على ان من لابتداء الغاية مجازا ويجوز على الثاني كونها تبعيضية بحذف المضاف
اي كائن من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين
لاظهار اللطف بهم والايذان بان مجيئه لهم لتربيتهم وتكميلهم وانزلنا اليكم نورا
مبينا اريد به ايضا القرآن الكريم عبر عنه تارة بالبرهان لما اشير اليه آنفا واخرى
بالنور المنير بنفسه المنور لغيره ايذانا بانه بين بنفسه مستغن في ثبوت حقيته
وكونه من عند الله عز وجل باعجازه عن غيره مبين لغيره من الامور المذكورة
واشعارا بهدايته للخلق واخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقد سلك
به مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين تنزيلا للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة
الذاتية وعبر عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجيء المسند اليه المنبئ عن كمال قوته في
البرهانية كانه يجيء بنفسه فيثبت احكامه من غير ان يجيء به احد ويجيء على شبه الكفرة
بالابطال واخرى بالانزال الموقع عليه الملائم لحيثية كونه نورا توفيرا له باعتبار
كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به واسناد انزاله اليه تعالى بطريق الالتفات
لكمال تشريفه هذا على تقدير كون البرهان عبارة عن القرآن العظيم واما على
تقدير كونه عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن المعجزات الظاهرة على يده
او عن الدين الحق فالامر هين وقوله تعالى اليكم متعلق بانزلنا فان انزاله بالذات
وان كان الى النبي صلى الله عليه وسلم لكنه منزل اليهم ايضا بواسطته عليه السلام
وانما اعتبر حاله بالواسطة دون حاله بالذات كما في قوله تعالى انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ونظايره لاظهار كمال اللطف بهم والتصريح بوصوله
اليهم مبالغة في الاعذار وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخر عنه لما
مر غير مرة من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر وللمحافظة على فواصل الآي
الكريمة فاما الذين آمنوا بالله حسبما يوجبه البرهان الذي اتاهم واعتصموا
به اي عصموا به انفسهم مما يرديها من زيغ الشيطان وغيره فسيدخلهم في رحمة
منه وفضل قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الجنة وما يتفضل عليهم بما لا عين رأت
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وعبر عن افاضته الفضل بالادخال على طريقة
قوله وعلفتها تبنا وماء باردا وتنوين رحمة وفضل تفخيمي ومنه متعلق
بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة ويهديهم اليه اي الى الله عز وجل وقيل الى الموعود
وقيل الى عبادته صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الآخرة
وتقديم ذكر الوعد بادخال الجنة على الوعد بالهداية اليها على خلاف الترتيب في
الوجود بين الموعودين للمسارعة الى التبشير بما هو المقصد الاصلي وقيل انتصاب
صراطا على انه مفعول لفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم اي يعرفهم صراطا مستقيما

يستفتونك اي في الكلالة استغنى عن ذكره لوروده في قوله تعالى قل الله يفتيكم في
الكلالة وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رحمه الله
تعالى مروي انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم في طريق مكة فقال اني كلالة فكيف
اصنع في مالي وروي عنه رضي الله عنه انه قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانا مريض لا اعقل فتوضأ فصب من وضوئه علي فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث
وانما يرثني كلالة فنزلت وقوله تعالى ان امرؤ هلك استئناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ
بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى ليس له ولد صفة له وقيل او حال من الضمير في
هلك ورد بانه مفسر للمحذوف غير مقصود في الكلام اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد
ذكرا كان او انثى واقتصر على ذكر عدم الوالد ايضا معتبر في الكلالة لغة بظهور الامر
ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى وله اخت عطف على قوله تعالى ليس له ولد
او حال والمراد بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس وقد مر بيانه في صدر
السورة الكريمة فلها نصف ما ترك اي بالفرض والباقي للعصبة او لها بالرد
ان لم يكن له عصبة وهو اي المرء المفروض يرثها اي اخته المفروضة ان فرض هلاكها
مع بقائه ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها احراز جميع مالها
اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا ارثه لها في الجملة فانه يتحقق مع وجود
بنتها وليس في الآية ما يدل على سقوط الاخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم
وانما دلت على سقوطهم مع الاب السنة الشريفة فان كانتا اثنتين عطف على الشرطية
الاولى اي اثنتين فصاعدا فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتأنيثه
وتثنيته باعتبار المعنى قيل وفائدة الاخبار عنه باثنتين مع دلالة الف التثنية
على الاثنينية على ان المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما
وان كانوا اي من يرث بطريق الاخوة اخوة اي مختلطة رجالا ونساء بدل من
اخوة والاصل وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر على المؤنث فللذكر اي
فللذكر منهم مثل حظ الانثيين يقتسمون التركة على طريقة التعصيب وهذا آخر
ما نزل من كتاب الله تعالى في الاحكام روي ان الصديق رضي الله تعالى عنه قال في
خطبته ان الآية التي انزل الله تعالى في سورة النساء في الفرائض فاولها في الولد والوالد
وثانيها في الزوج والزوجة والاخوة من الام والآية التي ختم بها السورة في الاخوة
والاخوات لابوين او لاب والآية التي ختم بها سورة الانفال انزلها في اولي الارحام
يبين الله لكم اي حكم الكلالة واحكامه وشرايعه التي من جملتها حكمها ان تضلوا اي كراهة
ان تضلوا في ذلك وهذا راي البصريين صرح به المبرد وذهب الكسائي والفراء وغيرهما
من الكوفيين الى تقدير اللام ولا في طرفي ان اي لئلا تضلوا وقال الزجاج هو مثل
قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي لئلا تزولا وقال ابو عبيد

رديت الكجاي حديث ابن عمر رحمه الله وهو لا يدعون احدكم في ولده ان يوافق من الله
اجابة اي ليلا يوافق فاستحسنه وليس ما ذكر من الاية والحديث نصا فيما ذهب اليه الكسائي
وامثاله فان التقدير فيهما عند البصريين كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق الخ
وقيل ليس هناك حذف ولا تقدير وانما هو مفعول يبين اي
يبين لكم ضلالكم الذي هو من اثاركم اذ اخليتم وطباعكم لتحرزوا عنه وتحروا خلافه
وانت خبير بان ذلك انما يليق بما اذا كان بيانه تعالى في طريقة تعيين مواقع الخطا
والضلال من غير تصريح بما هو الحق والصواب وليس كذلك والله بكل شيء من الاشياء
التي من جملتها احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم عليم مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه
مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النسا فكانما
تصدق على كل مومن ومومنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ
من الشرك وكان في مشية الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم والله اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفا القيام بموجب العقد وكذا الايفا والعقد
هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه الله
تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم
من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به ويحسن دينا بان يحمل الامر
على معنى يعم الوجوب والندب امر بذلك اولا على وجه الاجمال ثم شرع في تفصيل
الاحكام التي امر بالايفاء بها وبدي بما يتعلق بضروريات معايشهم فقيل
احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب
الخز وافرادها لارادة الجنس اي احل لكم البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية
المعدودة في سورة الانعام والحق بها الظبا وبقر الوحش ونحوهما وقيل المراد
بالبهيمة ههنا لتقدم بيان حل الانعام والاضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة
في الاجترار وعدم الانياب وفايدتها الاشعار بعلة الحكم المشترك بين المتضايفين
كانه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة بالانعام التي بين احلالها فيما سبق المماثلة لها
في مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور في القايم مقام الفاعل لما مر مرارا من اظهار
العناية لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى الموخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى
النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها فضل تمكن الا ما يتلى عليكم استثنا من بهيمة الانعام
اي الا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة ونحوه او الا ما يتلى عليكم الاية تحريمه
غير محلي الصيد اي الاصطياد في البر او اكل صيده وهو نصب على الحالية من ضمير لكم وقيل

عدم احلالهم له تعرض لحرمته عملا واعتقادا وهو شايع في الكتاب والسنة قوله تعالى
وانتم حرم اي محرمون حال من الضمير في محلي وفايدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر
من عدم احلال الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الظبا ونظايرها ظاهرة لما
ان احلالها غير مطلق كانه قيل احل لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم
واما في التقدير الاول فلفايدة اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم
اليه فان حرمة الصيد في حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره حينيذ كانه
قيل احلت لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها في بعض
الاوقات محتاجين الى احلالها وفي اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول
المراد بان يقال غير محلل لكم او محرما عليكم الصيد حال احرامكم مزيد تربية للامتنان
وتعريض للحاجة ببيان علتها القريبة فان تحريم الصيد عليهم انما يوجب حاجتهم الى الاحلال
ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملا واعتقادا مع ما في ذلك من وصفهم بما هو اللايق
بهم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام حسبما يقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة فيدخل
فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الايفا بهما الجريان على موجبهما
عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظايرها
التي سياتي بيانها يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعاير الله لما بين حرمة احلال الاحرام
الذي هو من شعاير الحج عقب ذلك ببيان حرمة احلال ساير الشعاير واضافتها
الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب في احلالها وهي جمع شعيرة وهي اسم لما
اشعر اي جعل شعارا او علما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف
والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي
والحلق والنحر واحلالها ان يتهاونون بحرمتها ويحال بينها وبين المتنسكين بها ويحدث
في اشهر الحج ما يصد به الناس عن الحج وقيل المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعاير
الله اي دينه وقيل حرمات الله وقيل فرايضه التي حدها لعباده واحلالها الاخلال
بها والاول انسب بالمقام ولا الشهر الحرام اي لا تحلوه بالقتال فيه وقيل بالنسيء
والاول هو الاولى بحال المومنين والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرام
والافراد لارادة الجنس ولا الهدي بان يتعرض له بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وهو
ما اهدي الى الكعبة من ابل او بقر او شاة جمع هدية كجدي وجدية ولا القلايد هي
جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي من نعل او لحاء شجر ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له
والمراد النهي عن التعرض لذوات القلايد من الهدي وهي البدن وعطفها على الهدي
مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كما عطف جبريل وميكاييل على
الملايكة عليهم السلام كانه قيل والقلايد منه خصوصا او هو النهي عن التعرض لذوات
القلايد من الهدي وهي البدن وعطفها على الهدي مبالغة في النهي عن التعرض لاصحابها

في معنى لا تحلوا قلائدها فضلاً عن أن تحلوها كما نهي عن إبداء الزينة بقوله تعالى
ولا يبدين زينتهن مبالغة في النهي عن إبداء مواقعها ولا آمين البيت الحرام أي لا تحلوا
قوماً قاصدين البيت الحرام زيارته بأن تصدوهم عن ذلك بأي وجه كان وقيل
هناك مضاف محذوف أي قتال قوم أو أذى قوم آمين الخ وقرئ ولا آمي البيت الحرام
بالإضافة وقوله عز وجل يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً حال من المستكن في آمين
لا صفة له لأن المختار أن اسم الفاعل إذا وصف بطل عمله أي قاصدين زيارته
حال كونهم طالبين أن يثيبهم الله تعالى ويرضى عنهم وتنكير فضلاً ورضواناً للتفخيم
ومن ربهم متعلق بنفس الفعل أو بمحذوف وقع صفة لفضلاً مغنية عن وصف ما عطف
عليه بها أي فضلاً كائناً من ربهم ورضواناً كذلك والتعرض لعنوان الربوبية مع
الإضافة إلى ضميرهم لتشريفهم والإشعار بحصول مبتغاهم وقرئ تبتغون على الخطاب
فالجملة ح حال من ضمير المخاطبين في لا تحلوا على أن المراد بيان منافاة حالهم هذه
للمنهي عنه لا تقييد النهي بها وإضافة الرب إلى ضمير الآمين للإيماء إلى اقتصار التشريف
عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن نيل المبتغى وفي ذلك من تعليل النهي وتأكيده
والمبالغة في استنكار المنهي عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل إن المراد بالآمين
هم المسلمون خاصة وبه تمسك من ذهب إلى أن الآية محكمة وقد روي أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال سورة المائدة من آخر القرآن نزولاً فأحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال
الحسن رحمه الله ليس فيها منسوخ وعن أبي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها
منسوخ وقد قيل هم المشركون خاصة لأنهم المحتاجون إلى نهي المؤمنين عن إحلالهم دون
المؤمنين على أن حرمة إحلالهم ثبت بطريق دلالة النص ويؤيده أن الآية نزلت في
الحطم بن ضبيعة البكري وقد كان أتى المدينة فخلف خيله خارجها فدخل على النبي صلى
الله عليه وسلم وحده وأوعد أن يأتي بأصحابه فيسلموا ثم خرج من عنده عليه السلام
فمر بسرح المدينة فاستاقه فلما كان في العام القابل خرج من اليمامة حاجاً في حجاج بكر بن
وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدي فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يخلي بينهم
فأباه النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الآية وفسر
ابتغاء الفضل بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء الرضوان بأنهم كانوا يزعمون أنهم على سداد
من دينهم وأن الحج يقربهم إلى الله تعالى فوصفهم الله بظنهم وذلك الظن الفاسد وإن كان
بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا يبعد كونه مداراً لحصول بعض مقاصدهم الدنيوية
وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيما في ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعائره وقال قتادة
هو أن يصلح معايشهم في الدنيا ولا يعجل لهم العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون لما روي
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعاً فنهى الله المسلمين أن يمنعوا
أحداً عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الآية ثم نزل بعد ذلك إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد

الحرام

الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا
نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب في تناول الآمين للمشركين قطعاً إما استقلالاً
وإما اشتراكاً لما سيأتي من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم فيتعين النسخ كلاً أو بعضاً ولا
بد في الوجه الأخير من تفسير الفضل والرضوان للمؤمنين خاصة ويجوز أن يكون الفضل
على الإطلاق شاملاً للفضل الأخروي أيضاً ويختص ابتغاؤه بالمؤمنين وإذا حللتم فاصطادوا
تصريح بما أشير إليه بقوله تعالى وأنتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتهاء موجبها والأمر
للإباحة بعد الحظر كأنه قيل وإذا حللتم فلا جناح عليكم في الاصطياد وقرئ أحللتم وهو لغة
في حل وقرئ بكسر الفاء بإلقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جداً ولا يجرمنكم نهي
عن إحلال قوم من الآمين خصوا به مع اندراجهم في النهي عن إحلال الكل كافة لاستقلالهم
بأمور ربما يتوهم كونها مصححة لإحلالهم داعية إليه وجرم جار مجرى كسب في المعنى وفي
التعدي إلى مفعول واحد وإلى اثنين يقال جرم ذنباً نحو كسبه وجرمته ذنباً نحو كسبته إياه
خلا أن جرم يستعمل غالباً في كسب ما لا خير فيه وهو السبب في إيثاره ههنا على الثاني وقد
ينقل الأول من كل منهما بالهمزة إلى معنى الثاني فيقال أجرمته ذنباً وأكسبته إياه وعليه
قراءة من قرأ يجرمنكم بضم الياء شنآن قوم بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر
أضيف إلى مفعوله لا إلى فاعله كما قيل وهو شدة البغض وغاية المقت أن صدوكم متعلق
بالشنآن بإضمار لام العلة أي لأن صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام عن زيارته والطواف
به للعمرة وهذه آية بينة في عموم الآمين للمشركين قطعاً وقرئ إن صدوكم على أنه شرط معترض
أغنى عن جوابه لا يجرمنكم وقد أبرز الصد المحقق فيما سبق في معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه
على أن حقه أن لا يكون وقوعه إلا على سبيل الفرض والتقدير أن تعتدوا أي عليهم على تعظيم
الشعائر لا منع وقوعه على القوم وإنما حذف تعويلاً على ظهوره وإيماء إلى أن المقصد الأصلي من
النهي منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على القوم
مراعاة لجانبهم وهو ثاني مفعولي يجرمنكم أي لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم إياكم عن المسجد
الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفي وهذا وإن كان بحسب الظاهر نهياً للشنآن عن
كسب الاعتداء للمخاطبين لكنه في الحقيقة نهي لهم عن الاعتداء على أبلغ وجه وآكده فإن النهي
عن أسباب الشيء ومباديه المؤدية إليه نهي عنه بالطريق البرهاني وإبطال للسببية
وقد يوجه النهي إلى المسبب ويراد النهي عن السبب كما في قوله لا أرينك ههنا يريد به
نهي مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تأخير هذا النهي عن قوله تعالى وإذا حللتم فاصطادوا
مع ظهور تعلقه بما قبله للإيذان بأن حرمة الاعتداء لا تنتهي بالخروج عن الإحرام كانتهاء
حرمة الاصطياد به بل هي باقية ما لم ينقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة
التعرض لسائر الآمين بالطريق الأولى وتعاونوا على البر والتقوى لما كان الاعتداء غالباً بطريق
التظاهر والتعاون أمروا إثر ما نهوا عنه بأن يتعاونوا على كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصي

لقوله تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فاندرج فيه النهي عن التعاون على الاعتداء
والانتقام بالطريق البرهاني واشكل لا تعاونوا الاتعا ونوا فحذف منه احدى التائين تخفيفا
وانما اخر النهي عن الامر مع تقدم التخلية على التحلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود
بالذات فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل
التعاون على البر والتقوى ثم امروا بقوله تعالى واتقوا الله بالاتقاء في جميع الامور
التي من جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهي فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق
البرهاني ثم علل ذلك بقوله تعالى ان الله شديد العقاب اي لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة
ان لم تتقوه واظهار الاسم الجليل لما مر مرارا من ادخال الروعة وتربية المهابة
وتقوية استقلال الجملة حرمت عليكم الميتة شروع في بيان المحرمات التي اشير اليها
بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح والدم اي المسفوح منه
لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونه ويقولون
ويقولون لم يحرم من فزد له اي من فصد له ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت
لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى والمنخنقة اي التي ماتت بالخنق والموقوذة
اي التي قتلت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذه اذا ضربه والمتردية اي التي تردت من
علو الى سفل فماتت والنطيحة اي التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ
والمنطوحة وما اكل السبع اي ما اكل منه السبع فمات وقرئ واكيل السبع وقرئ بسكون الباء
وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما صادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم
ذكوته وفيه بقية حيوة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع
والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد وما ذبح على النصب قيل هو مفرد وقيل
هو جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد واياما كان فهو واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة
حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وان تستقسموا بالازلام
جمع زلم وهو القدح اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا
ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي وعلى الثالث غفل
فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي اجتنبوا عنه وان خرج الغفل
اجالوها مرة اخرى فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام وقيل هو الاستقسام
الجزور بالاقداح على الانصباء المعهودة ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام ومعنى البعد فيه
للاشارة الى بعد منزلته في الشر فسق تمرد وخروج ودخول في علم الغيب وضلال باعتقاد
ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله سبحانه ان كان هو المراد بقولهم ربي وشرك وجهالة ان كان
هو الصنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدودة لان معنى حرمها تحريم تناولها
اليوم اللام للعهد والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية
والآتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر الجمعة عرفة حجة الوداع والنبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء وكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت واياما
كانت فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم
عنه بتحليل هذه الخبائث اوغيرها او من ان يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله عز وجل وفى
بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله عز وجل فلا تخشوهم اي ان يظهروا
عليكم واخشوني اي واخلصوا لي الخشية اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان
كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد وتقديم
الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كما في قوله تعالى واتممت
عليكم نعمتي متعلق باتممت لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول
الصريح لما مر مرارا اي اتممتها بفتح مكة ودخولها امنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية
ومناسكها والنهي عن حج المشركين وطواف العريان او باكمال الدين والشرائع او بالهداية
والتوفيق قيل معنى اتممت عليكم نعمتي انجزت لكم وعدي بقولي ولاتم نعمتي عليكم ورضيت لكم
الاسلام دينا اي اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب
ان رجلا من اليهود قال له يا امير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤونها لو علينا معشر اليهود
نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال اي آية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي فقال عمر رضي الله عنه قد عرفت ذلك اليوم والمكان الذي انزلت فيه على النبي صلى
الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة اشار رضي الله عنه الى ان ذلك اليوم عيد لنا وروي
انه لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه وارضاه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك
يا عمر قال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لا يكمل شيء الا نقص فقال عليه السلام
صدقت وكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبث بعد ذلك الا احدا وثمانين
يوما فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب ان يجتنب عنها وهو ان تناولها
فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي اي فمن اضطر الى
تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة اي مجاعة يخاف معها الموت او مباديه غير متجانف
لاثم قيل غير مائل ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة او منتزعا من مضطر
آخر كقوله تعالى غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك يسألونك ماذا احل
لهم شروع في تفصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم
سألوا عنها عند بيان اضدادها ولتضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة فماذا مبتدأ
واحل لهم خبره ومميز العبث فانه كما يعتبر حال المحكي عنه فيقال اقسم زيد لافعلن يعتبر حال
الحاكي فيقال اقسم زيد ليفعلن والمسؤول ما احل لهم من المطاعم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه
الطباع السليمة ولم تنفر عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وما
علمتم من الجوارح عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان موصوله والعائد محذوف
اي وصيد ما علمتموه او مبتدأ على ان ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدأ على

تقدير كونها موصولة ايضًا والخبر كلوا وانما دخلته الفاء تشبيهًا للموصول باسم الشرط
من الجوارح حال من الموصول او ضمير المحذوف والجوارح الكواسب من سباع البهايم
والطير وقيل سميت بها لانها تجرح الصيد غالبًا مكلبين اي معلمين لها الصيد والمكلب
مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب كثيرًا ما يقع فيه او لان كل
سبع يسمى كلبًا لقوله عليه السلام في حق عتبة بن ابي لهب حين اراد سفر الشام فغاظه النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك فاكله الاسد وانتصابه على الحالية
من فاعل علمتم وفايدتها المبالغة في التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير
في علمه وقرئ مكلبين بالتخفيف والمعني واحد تعلمونهن حال ثانية منه او حال من ضمير
مكلبين او استيناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التعليم والتاديب كان العلم به الهام
من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد
بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعايه وامساك الصيد عليه وعدم اكله
منه فكلوا مما امسكن عليكم قد مر فيما سبق ان هذه الجملة في تقدير كون ما شرطية جواب
الشرط وفي تقدير كونها موصولة مرفوعة في الابتدا خبرها واما في تقدير كونها عطفًا
في الطيبات فهي جملة متفرعة في بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبنية للمضاف المقدر
الذي هو المعطوف وبه يتعلق الاحلال حقيقة ومشيرة الي نتيجة التعليم واثره داخلة
تحت الامر فالفاء فيها كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ومن تبعيضية لما ان البعض
مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة او موصوفة حذف
عايدها وفي متعلقة بامسكن اي فكلوا بعض ما امسكنه عليكم وهو الذي لم ياكلن منه واما
ما اكلن منه فهو مما امسكنه في انفسهن لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل
انما امسك في نفسه والي هذا ذهب اكثر الفقها وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل في سباع
الطير لما ان ديبها الي هذه الدرجة متعذر قال اخرون لا يشترط ذلك مطلقًا وقد روي
عن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله تعالى عنهم انه اذا اكل الكلب ثلثيه
وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله عليه فكل واذكروا اسم الله عليه الضمير لما في ما علمتم اي سموا عليه
عند ارساله او لما امسكن اي سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في شان محرماته ان الله
سريع الحساب اي سريع اتيان حسابه او سريع تمامه اذا شرع فيه يتم فيه اقرب ما يكون من
الزمان والمعنى في التقديرين انه يؤاخذكم سريعًا في كل ما جل ودق واظهار الاسم الجليل في موضع
الضمير لتربية المهابة وتعليل الحكم اليوم احل لكم الطيبات قيل المراد بالايام الثلثة وقت واحد
وانما كرر للتاكيد ولاختلاف للاحداث الواقعة فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات ثمة
وطعام الذين اوتوا الكتاب اي اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب
وقال ليسوا في النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي والمراد بطعامهم
ما يتناول ذبايحهم وغيرها حل لكم اي حلال وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذبايح

نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة رحمه الله تعالى
واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده وقالا هم صنفان صنف يقرؤون
الزبور ويعبدون الملايكة وصنف لا يقرؤون كتابًا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من
اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل
ذبايحهم ونكاح نسايهم لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي
نسايهم ولا اكلي ذبايحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم
لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات رفع على انه مبتدا حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه
اي حل لكم ايضًا والمراد بهن الحراير او العفايف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الاولى
لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفايف
منهن واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابي حنيفة رحمه الله خلافًا للشافعي
رحمه الله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي هن ايضًا حل لكم وان كن حربيات
وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا تحل الحربيات اذا اتيتموهن اجورهن اي مهورهن
وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد باتيانها التزامها
واذا ظرفية عاملها حل المحذوف وقيل شرطية حذف جوابها اي اذا اتيتموهن اجورهن
حللن لكم محصنين حال من فاعل اتيتموهن اي حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى
غير مسافحين وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اي غير مجاهرين بالزناء
ولا متخذي اخدان اي ولا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى وهو اما مجرور
عطفًا على مسافحين وزيدت لا لتاكيد النفي المستفاد من غير او منصوب عطفًا على غير مسافحين
باعتبار اوجهه الثلاثة ومن يكفر بالايمان اي من ينكر شرايع الاسلام التي من جملتها ما
ما بين هنا من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها فقد حبط عمله الصالح
الذي عمله قبل ذلك وهو في الاخرة من الخاسرين هو مبتداء من الخاسرين خبره وفي متعلقه
بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه المذكور اي خاسر في الاخرة وقيل
بالخاسرين على ان الالف واللام للتعريف لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل
يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا ان اجلدا
يا ايها الذين امنوا شروع في بيان الشرايع المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم
اذا قمتم الى الصلوة اي اردتم القيام اليها كما في قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ
بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازًا للايجاز والتنبيه على ان من اراد الصلوة
حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن ارادتها واذا قصدتم الصلوة اطلاقًا فكلام احد
لازمتها في الازمنة الاخر وظاهر الاية الكريمة يوجب الوضوء على كل قايم اليها وان لم يكن
محدثًا لما ان الامر للوجوب قطعًا والاجماع على خلافه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضي الله عنه صنعت شيئًا لم تكن تصنعه

فقال عليه الصلوة والسلام عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة الى غير المحدث على الندب مما لا مساغ له فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث في التيمم الذي هو بدله وما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده انهم كانوا يتوضؤن لكل صلاة فلا دلالة فيه على انهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب اصلا كيف لا وما روي عنه صلى الله عليه وسلم من قوله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح في ان ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ يرده قوله عليه السلام المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم اي امروا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كما في قوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم وقيل هي انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما هو امر يدور على الدليل الخارجي كما في حفظت القرآن من اوله الى آخره وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة فان الدخول في الاول والخروج في الثاني متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك في الآية وكانت الايدي متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطا وقيل الى من حيث افادتها للغاية تقتضي خروجها لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل وتحقيقه انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل فالصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب كما يقتضيه ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في القدر الواجب فاوجب الشافعي اقل ما ينطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث مسح على ناصيته وقدرها ربع الرأس ومالك مسح الكل اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يعهد محدودا وقرئ بالجر على الجوار ونظيره في القرآن كثير كقوله تعالى عذاب يوم اليم ونظائره وللنحاة في ذلك باب مفرد وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها وتغسل غسلا قريبا من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى افضلية الترتيب وقرئ بالرفع اي وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا اي فاغتسلوا وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وفي تعليق الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط الامر بالطهارة الصغرى بالحدث الاصغر وان كنتم مرضى مرضا يخاف به الهلاك او زيادة باستعمال الماء او على سفر اي مستمرين عليه او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه من لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهي متعلقة بامسحوا وقرئ فاموا صعيدا وقد مر تفسير الآية الكريمة مشبعا في سورة النساء فليراجع اليه ولعل التكرير ليتصل الكلام في انواع الطهارة ما يريد الله اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلوة او بالامر بالتيمم ليجعل عليكم

من حرج من ضيق في الامتثال به ولكن يريد ما يريد بذلك ليطهركم اي لينظفكم او ليطهركم من الذنوب فان الوضوء مكفر لها او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد وليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته ومن لطائف الآية الكريمة انها مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض وسفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اي عهده المؤكد الذي اخذه عليكم وقوله تعالى اذ قلتم سمعنا واطعنا ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالا من الضمير المجرور في به او من ميثاقه اي كائنا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة التقييد به تاكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان واضافته اليه تعالى مع صدوره عنه صلى الله عليه وسلم لكون المرجع اليه تعالى كما نطق به قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذي اخذه الله تعالى على عباده حين اخرجهم من صلب آدم عليه السلام واتقوا الله اي في نسيان نعمته ونقض ميثاقه او في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة مصححة لاطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الاعمال والجملة اعتراض وتعليل للامر بالاتقاء واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان الشرائع المتعلقة بما يجري بينهم وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق بانفسهم كونوا قوامين لله مقيمين لاوامره ممتثلين بها معظمين لها مراعين لحقوقها شهداء بالقسط بالعدل ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم شنآن قوم اي شدة بغضكم لهم على ان لا تعدلوا فلا تشهدوا في حقوقهم بالعدل او تعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا وغير ذلك اعدلوا هو اي العدل اقرب للتقوى الذي امرتم به صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل في حق الكفار في هذه المثابة فما ظنك بوجوبه في حق المسلمين واتقوا الله امر بالتقوى اثر ما بين ان العدل اقرب

له اعتناء بشأنه وتنبيهاً على انه ملاك الامر ان الله خبير بما تعملون من الاعمال فيجازيكم بذلك
وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاول نزل في المشركين وهذا في اليهود
او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها
واظهار الجلالة لما مر مرات وحيث كان مضمونها منبئاً عن الوعد والوعيد عقب
بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخل بها فقيل وعد الله الذين آمنوا وعملوا
الصالحات التي من جملتها العدل والتقوى لهم مغفرة واجر عظيم حذف ثاني مفعولي وعد
استغناء عنه بهذه الجملة فانها استئناف مبين له وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد
ضرب من القول فكأنه قيل وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا التي من جملتها
ما تليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر
وتكذيب الآيات اصحاب الجحيم ملابسوها ملابسة مؤبدة من السنة السنية القرآنية
شفع الوعد والوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوة بالتبشير والانذار
يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم تذكير لنعمة الانجاء من الشر اثر تذكير نعمة ايصال
الخير الذي هو نعمة الاسلام وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله او بمحذوف
وقع حالاً منها وقوله تعالى اذ هم قوم في الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثاني لما تعلق
به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفاً لاذكروا لتنافي زمانيهما اي اذكروا انعامه تعالى عليكم
او اذكروا نعمته كائنة عليكم في وقت همهم ان يبسطوا اليكم ايديهم اي بان يبطشوا بكم
بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم
الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته
اليهم حملاً لهم من اول الامر على الاعتداد بنعمة دفعه كما ان تقديم لكم في قوله عز
وجل هو الذي خلق لكم ما في الارض للمبادرة الى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلاً
للمسرة فكف ايديهم عنكم عطف على هم وهو النعمة التي اريد تذكيرها وذكر الهم للايذان
بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها واظهار ايديهم
في موقع الاضمار لزيادة التقرير اي منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه كفها
عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة
بضرر الخوف والانزعاج الذي قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما
ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان في غزوة [illegible] ذي غارة
غزوة ذات الرقاع وهي السابعة من مغازيه عليه السلام قاموا الى الظهر معاً فلما صلوا
ندم المشركون ألا كانوا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من آبائهم
وابنائهم يعنون صلاة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فرد الله تعالى كيدهم بان انزل
صلاة الخوف وقيل هو ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه
الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ

يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت فاجلسوه في صفة
وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده ونزل جبريل
فاخبره فخرج عليهما السلام وقيل هو ما روي انه صلى الله عليه وسلم نزل منزلاً وتفرق
اصحابه في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابي
فاخذه وسله فقال من يمنعك مني فقال صلى الله عليه وسلم الله تعالى فاسقطه جبريل عليه
السلام من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال صلى الله عليه
وسلم لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم واتقوا الله عطف على
اذكروا اي اتقوه في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها او في كل ما تأتون وما تذرون
فيدخل فيه ما ذكر دخولاً اولياً وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالاً لا
او اشتراكاً فليتوكل المؤمنون فانه يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر
لما قبله وايثار صيغة امر الغائب واسنادها الى المؤمنين لايجاب التوكل على المخاطبين
بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع الى
ما امروا به من التوكل والتقوى وازع عن الاخلال بهما واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار
لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كلام
مستأنف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما اد
اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق
الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير
كون ذلك من بني قريظة حسبما مر من الرواية ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة
توارثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب
في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستئناف المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات في
عز وجل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً للجري على سنن الكبرياء او لان البعث كان بواسطة موسى
عليه السلام كما سيأتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مراراً من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه
قوله تعالى فنقبوا في البلاد سمي بذلك لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم وقال
الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع روي ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد
هلاك فرعون امرهم الله تعالى بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون
وقال لهم اني كتبتها لكم داراً وقراراً فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى
عليه السلام ان يأخذ من كل سبط نقيباً اميناً يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما امروا به
توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا
من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا اجراماً عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا
قومهم بما رأوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا نقيب سبط يهوذا

ويوشع بن نون نقيب سبط افرايم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه
النقباء الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلثمائة
وثلاثة وثلثين ذراعا وقد عاش ثلثة آلاف سنة وكان على راسه حزمة حطب فاخذهم
وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم الى امرأته وقال انظري الى هؤلاء الذين يزعمون
انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم
حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم
الا خمسة رجال او اربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض ان اخبرتم بني
اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون عليهما
السلام فيكونان هما يريان رأيهما فاخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى
عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى
سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما رأى الا كالبا ويوشع وكان معسكر موسى فرسخا في فرسخ
فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل فقور منه صخرة عظيمة على
قدر العسكر ثم حملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها
المحاذي لراسه فانتقبت فوقعت في عنق عوج وطوقته فصرعته واقبل موسى عليه السلام
وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فترامى في السماء عشرة اذرع فما اصاب العصا الا كعبه
وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا راسه وقال الله اي لبني
اسرائيل فقط اذ هم المحتاجون الى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع
ما فيه من تربية المهابة وتاكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد اني معكم اي بالعلم والقدرة
والنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى بكل ما يأتون وما يذرون وعلى كونهم تحت قدرته
وملكوته مما يحملهم على الجد في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه كانه قيل
اني معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك هذا وقد قيل
المراد بالميثاق هو الميثاق بالايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بني اسرائيل الذين
يتفقدون احوالهم ويلون امورهم بالامر والنهي واقامة العدل وهو الانسب بقوله
تعالى لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي اي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف
وتأخير الايمان عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع كونهما من الفروع المترتبة عليه لما
انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام ولمراعاة المقارنة
بينه وبين قوله تعالى وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وقيل التعظيم
والتوقير والثناء بخير وقرئ عزرتموهم بالتخفيف واقرضتم الله بالانفاق في سبيل الخير
او بالتصدق بالصدقات المندوبة وقوله عز وجل قرضا حسنا اما مصدر مؤكد وارد
على غير صيغة المصدر كما في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول
ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المقرض وقوله عز وعلا لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم

المدلول عليه باللام ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار عطف
على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متأخر عنه في الحصول ايضا ضرورة تقدم التخلية
على التحلية فمن كفر اي برسلي اي بشيء مما عدد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من
امن تقوية للترغيب بالترهيب بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب
للايمان قطعا منكم متعلق بمضمر وقع حالا من فاعل كفر ولعل تغيير السبك حيث لم يقل
وان كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال واسقاط
من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد احداث الكفر بعد الايمان بل ما يعم الاستمرار
عليه ايضا كانه قيل فمن اتصف بالكفر بعد ذلك خلا انه قصد بايراد ما يدل على الحدوث
بيان ترقيهم في مراتب الكفر فان الاتصاف بشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه
وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فقد ضل سواء
السبيل اي وسط الطريق الواضح ضلالا بينا واخطأه خطاء فاحشا لا عذر معه اصلا
بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم
ميثاقهم الباء سببية وما مزيدة لتوكيد الكلام وتمكينه في النفس اي بسبب نقضهم ميثاقهم
المؤكد لا لشيء آخر استقلالا او انضماما لعناهم طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم
قردة وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حقه ان يبين
بعد بيان تحقق نفس اللعن والنقض بان يقال مثلا فنقضوا ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم
هلية الشيء البسيطة على هليته المركبة للايذان بان تحققهما امر جلي غني عن البيان وانما
المحتاج الى ذلك ما بينهما من السببية والمسببية وجعلنا قلوبهم قاسية بحيث لا يتأثر عن
الآيات والنذر وقيل املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست او خذلناهم ومنعناهم
الالطاف حتى صارت كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية واما بمعنى رديئة
من قولهم درهم قسي اي ردي اذا كان مغشوشا له يبس وخشونة وقرئ بكسر القاف
اتباعا لها بالسين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه
لا مرتبة اعظم مما يصح الاجتراء على تغيير كلام الله تعالى والافتراء عليه وصيغة المضارع
للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول لعناهم ونسوا حظا اي تركوا نصيبا
وافرا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل حرفوا التورية وزلت
اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية
وتلا هذه الآية ولا تزال تطلع على خائنة منهم اي خيانة على انها مصدر كلاغية وكاذبة
او فعلة خائنة اي ذات خيانة او طائفة خائنة او شخص خائنة على ان التاء للمبالغة او نفس
خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا ان من على الوجهين الاولين ابتدائية اي
على خيانة او على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية
والمعنى ان الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها

فلا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم استثناء من الضمير المجرور في منهم في الوجوه كلها
وقيل من خاينة في الوجوه الثلثة الاخيرة والمراد بهم الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام
واضرابه وقيل من خاينة في الوجه الثاني فالمراد بالقليل الفعل القليل ومن تبعيضية
كما مر الا فعلا قليلا كاينا منهم فاعف عنهم واصفح اي ان تابوا وامنوا او عاهدوا واعطوا
والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر وحث
على الامتثال به وتنبيه على ان العفو على الاطلاق من باب الاحسان ومن الذين قالوا انا
نصارى اخذنا ميثاقهم بيان لقبايح النصارى وجناياتهم اثر بيان قبايح اليهود وجناياتهم
ومن متعلقة باخذنا اذ التقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار
والمجرور للاهتمام ولان ذكر حال احدى الطايفتين مما يوقع في ذهن السامع ان حال
الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطايفة الاخرى ايضا اخذنا ميثاقهم وقيل هي متعلقة
بمحذوف وقع خبرا لمبتدا محذوف قامت صفته او صلته مقامه اي ومنهم قوم اخذنا
ميثاقهم او من اخذنا ميثاقهم وضمير ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدر واما في الوجه الاول
فراجع الى الموصول وقيل راجع الى بني اسرايل اي اخذنا من هؤلاء ميثاق اوليك اي مثل
ميثاقهم من الايمان بالله والرسل وبما يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب تسميتهم نصارى
الى انفسهم دون ان يقال ومن النصارى ايذانا بانهم في قولهم نحن نصارى الله بمعزل
من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله عز وجل في شيء او اظهارا لكمال
سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم لنصرته تعالى يستدعي ثباتهم
على طاعته تعالى ومراعاة ميثاقه فنسوا عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم حظا وافرا مما ذكروا
به في تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك حسبما مر انفا وقيل هو ما كتب
عليهم في الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم
واتبعوا اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان
فاغرينا اي الزمنا والصقنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه
الغراء وقوله تعالى بينهم اما ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله
اي اغرينا العداوة والبغضاء كاينة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل
فيما قبله وقوله تعالى الى يوم القيمة اما غاية للاغراء او للعداوة والبغضاء اي
يتعادون ويتباغضون الى يوم القيمة حسبما يقتضيه اهواؤهم المختلفة واراؤهم
الزايغة المؤدية الى التفرق الى الفرق الثلث فضمير بينهم لهم خاصة وقيل لهم ولليهود
اي اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وسوف ينبيهم الله بما كانوا يصنعون
وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت اي يجازيهم
بما عملوه في الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتاكيد
الوعيد والالتفات الى ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة لتشديد الوعيد

والتعبير

والتعبير عن العمل بالصنع للايذان برسوخهم في ذلك وعن المجازاة بالتنبية على انهم لا يعلمون
حقيقة ما يعملونه من الاعمال السيئة واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها
في افادة العلم بحقيقة حالها بمنزلة الاخبار بها يا اهل الكتاب التفات الى خطاب
الفريقين على ان الكتاب جنس شامل للتورية والانجيل اثر بيان احوالهما من الخيانة
وغيرها من فنون القبايح ودعوة لهم الى الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
والقران وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدر به على ما يتعلق
بالكتاب وللمبالغة في التشنيع فان اهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل
بمقتضاه وبيان ما فيه من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم
يعلمون قد جاءكم رسولنا الاضافة للتشريف والايذان بوجوب اتباعه وقوله
تعالى يبين لكم حال من رسولنا وايثار الجملة الفعلية على غيرها للدلالة على تجدد
البيان اي قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا لكم على التدريج حسبما يقتضيه المصلحة
كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب اي التورية والانجيل كبعثة محمد عليه افضل الصلوة
والسلام واية الرجم في التورية وبشارة عيسى باحمد عليهما السلام في الانجيل وتاخير
كثيرا من الجار والمجرور لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل المسرة
والتشويق الى المؤخر ولما ان ماحقه التقديم اذا اخر لا سيما مع الاشعار بكونه من
منافع المخاطب تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد فضل تمكن
ولان في المؤخر ضرب تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم فان مما
متعلق بمحذوف وقع صفة لكثيرا وما موصولة اسمية وما بعدها صلتها والعايد اليها
محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العايد المحذوف والجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاخفاء اي يبين لكم كثيرا من الذي تخفونه
على الاستمرار حال كونه من الكتاب الذي انتم اهله والمتمسكون به ويعفوا عن كثير اي لا
يظهر كثيرا مما تخفونه اذ لم تدع اليه داعية دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح
كما يفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حث لهم على عدم الاخفاء ترغيبا
وترهيبا والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخلة في حكمها وقيل يعفوا عن
كثير منكم ولا يؤاخذه وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور جملة مستانفة سيقت لبيان
ان فايدة مجيء الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع
لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من نور وايا ما
كان فهو تصريح بما يشعر به اضافة الرسول من مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم الجار
والمجرور على الفاعل للمسارعة الى بيان كون المجيء من جهته العالية والتشويق الى الجائي
ولان فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم كما في قوله تعالى وجاءكم
في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وتنوين نور للتفخيم والمراد به وبقوله

وكتاب مبين القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك وابانة ما خفي على الناس من الحق والاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالاول هو الرسول صلى الله عليه وسلم وبالثاني القرآن يهدي به الله توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات وكونهما في حكم الواحد واريد بعد بما ذكر وتقديم الجار والمجرور للاهتمام واظهار الجلالة لكمال الاعتناء بامر الهداية ومحل الجملة الرفع على انها صفة ثانية لكتاب او النصب في الحالية منه لتخصصه بالصفة من اتبع رضوانه اي رضاه بالايمان ومن موصولة او موصوفة سبل السلام اي طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب او سبل الله تعالى وهو شريعته التي شرعها للناس الخ. قيل هو مفعول ثان ليهدي والحق ان انتصابه بنزع الخافض في طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه وانما يعدى الى الثاني بالى او باللام كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويخرجهم الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في اتبع باعتبار اللفظ من الظلمات اي ظلمات فنون الكفر والضلال الى النور الى الايمان باذنه بتيسيره او بارادته ويهديهم الى صراط مستقيم هو اقرب الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة وهذه الهداية عين الهداية الى سبل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم اي لا غير كما يقال الكريم هو المعطي وهم اليعقوبية القائلون بانه تعالى قد يحل في بدن انسان معين او في روحه وقيل لم يصرح به احد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة وقد اعترفوا بان الله تعالى موجود فلزمهم القول بانه المسيح لا غير وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل اي تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد والقاما لهم الحجر والفاء في قوله تعالى فمن يملك لكم من الله شيئا فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم وحقيقته فمن يستطيع ان يمسك منهما ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا ومن حق من يكون الها ان لا يتعلق به ولا بشان من شؤونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها بهلاكه فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا في حقه والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا لا بطريق السخط والغضب واظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا اليه الالوهية في مقام الاضمار لزيادة التقرير والتنصيص على انه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته تعالى ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام

الانكاري عن كل احد مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فهل يملك شيئا من الله ان اراد الخ لتحقيق الحق بنفي الالوهية عن كل ما عداه سبحانه واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني فان انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الالوهية متى ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة في ابلغ وجه واكده فيظهر استحالة الوهيته قطعا وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التحقيق بقصرها عليه بان يقال فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته لا يقدر احد على دفع ما اريد به فضلا عن دفع ما اريد بغيره وللايذان بان المسيح اسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما انه اسوة لها في ما ذكر من العجز وعدم استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها في ضمن من في الارض لزيادة تأكيد عجز المسيح ولعل نظمها في سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتأكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال بقية من فرض اهلاكه كانه قيل قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح وامه ومن في الارض وقد اهلك امه فهل مانعه احد فكذا حال من عداها من الموجودين ولله ملك عز وعلا ولله ملك السموات والارض وما بينهما اي ما بين قطري العالم الجسماني لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فقط فيتناول ما في السموات من الملائكة وما في اعماق الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اي من في الارض كذلك اي له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه وقوله تعالى يخلق ما يشاء جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة في امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص اي يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كانه قيل يخلق اي خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير اصل كخلق السموات والارض واخرى من غير اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق آدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او انثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام او منهما كخلق سائر الناس ويخلق بلا توسط شيء من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى عليه الصلوة والسلام معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب كله اليه تعالى لا الى من اجري ذلك على يده والله على كل شيء قدير اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه

اي قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما
قيل لاشياع ابي خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبون وكما يقول اقارب الملوك
عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوفنا
به ونحن ابناء الله واحباؤه وقيل ان النصارى يتلون في الانجيل ان المسيح قال لهم اني
ذاهب الى ربي وقيل ارادوا ان الله تعالى كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له
في القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله تعالى على
سائر الخلق فرد عليهم ذلك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل اي الزاما لهم وتبكيتا
فلم يعذبكم بذنوبكم اي ان صح ما زعمتم فلاي شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ
وقد اعترفتم بانه تعالى سيعذبكم في الآخرة بالنار بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان
الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى بل انتم
بشر عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي لستم كذلك بل انتم بشر ممن خلق اي
من جنس من خلقه الله تعالى من غير مزية لكم عليهم يغفر لمن يشاء اي يغفر له من اولئك
المخلوقين وهم الذين آمنوا به تعالى وبرسله ويعذب من يشاء ان يعذبه منهم وهم
الذين كفروا به وبرسله مثلكم ولله ملك السموات والارض وما بينهما من الموجودات
لا ينتمي اليه سبحانه شيء منها الا بالمملوكية والعبودية والمقهورية تحت ملكوته يتصرف
فيهم كيف يشاء ايجادا واعداما احياء واماتة واثابة وتعذيبا فانى لهم ادعاء ما زعموا
واليه المصير في الآخرة خاصة لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازي كلا من المحسن والمسيء
بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه يا اهل الكتاب تكرير للخطاب
بطريق الالتفات ولطف في الدعوة قد جاءكم رسولنا يبين لكم حال من رسولنا وايثاره على
مبينا لما مر فيما سبق اي يبين لكم الشرائع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد
ومن جملتها ما بين في الآيات السابقة من بطلان اقاويلكم الشنعاء وما سيأتي من اخبار
الامم السالفة وانما حذف تعويلا على ظهور ان مجيء الرسل انما هو لبيانها او يفعل لكم
البيان ويبذله لكم في كل ما تحتاجون فيه الى البيان من امور الدين واما تقدير مثل ما تقدم
في قوله تعالى كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كما قيل فمع كونه تكريرا من غير فائدة يرده
قوله عز وعلا على فترة من الرسل فان فتور الارسال وانقطاع الوحي انما يحوج الى
بيان الشرائع والاحكام لا الى بيان ما كتموه وعلى فترة متعلق بجاءكم على الظرفية كما في
قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اي جاءكم على حين فتور من الارسال
وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج الى بيان الشرائع والاحكام الدينية او بمحذوف وقع
حالا من ضمير يبين او من ضمير لكم اي يبين لكم ما ذكر حال كونه على فترة من الرسل او حال
كونكم عليها احوج ما كنتم الى البيان ومن الرسل متعلق بمحذوف وقع صفة لفترة اي كائنة

من الرسل او حال كونكم عليها احوج ما كنتم الى البيان مبتداة من جهتهم وقوله تعالى
ان تقولوا تعليل لمجيء الرسول بالبيان على حذف المضاف اي كراهة ان تقولوا معتذرين
عن تفريطكم في مراعاة احكام الدين ما جاءنا من بشير ولا نذير وقد انطمست آثار الشرائع
السابقة وانقطعت اخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة في نفي المجيء وتنكير بشير
ونذير للتقليل وهذا كما ترى بان المقدر والمنوي فيما سبق هو الشرائع والاحكام كيف لا
كانت بل مشفوعة بما ذكر من الوعد والوعيد والفاء في قوله تعالى فقد جاءكم بشير ونذير متعلق
بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة وتبين انه معلل به وتنوين بشير ونذير للتفخيم اي
لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير اي بشير ونذير اي نذير والله على كل شيء قدير
فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين عيسى وموسى عليهما السلام حيث كان بينهما
الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال بعد الفترة كما فعل بين عيسى ومحمد
عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة سنة او خمسمائة وست واربعون سنة وارد بعة
انبياء على ما روى الكلبي ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي
وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله صلى الله عليهما وسلم وهو الانسب بما في تنوين فترة من
التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه
بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي ليشعروا الله ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب
الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم واذ قال
موسى لقومه جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم
وتفصيل كيفية نقضهم له وتعلقه بما قبله من حيث ان ما ذكر فيه من الامور التي وصف
النبي صلى الله عليه وسلم بيانها ومن حيث اشتماله على انتفاء فترة الرسل فيما بينهم
واذ نصب على انه مفعول لفعل مقدر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين
الخطاب وصرفه عن اهل الكتاب ليعدد عليهم ما صدر عن بعضهم من الجنايات اي واذكر
لهم وقت قول موسى عليه السلام لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم اليه يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع من الحوادث مع انها
المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر
ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر
كان ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله كانه مشاهد عيانا وعليكم متعلق بنفس النعمة اذا جعلت
مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها اذا جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا
نعمته كائنة عليكم وكذا اذ في قوله تعالى اذ جعل فيكم انبياء اي اذكروا انعامه تعالى
عليكم في وقت جعله او اذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما بينكم
من اقربائكم انبياء ذوي عدد كثير واولي شأن خطير حيث لم يبعث في امة من الامم
ما بعث من بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا عطف على جعل فيكم داخل في حكمه اي

سماعا ابو عثمان النهدي

جعل فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وانما حذف الظرف
تعويلا على ظهور الامر او جعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك
يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وانما لم يسلك ذلك المسلك فيما قبله لما ان
منصب النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليس بحيث يليق ان ينسب اليه
ولو مجازا من ليس ممن اصطفاه الله له وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم
الله منهم فانقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت
وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق وآتاكم ما لم يؤت
احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
وغير ذلك مما آتاهم الله تعالى من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية
الى زمانهم وقيل من عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة كرر النداء بالاضافة
التشريفية اهتماما بشأن الامر ومبالغة في حثهم على الامتثال به والارض هي ارض
بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل
هي الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي الشام
التي كتب الله لكم اي كتب في اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ان آمنتم واطعتم
لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم وقوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم
فتنقلبوا خاسرين فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط
الكتب بالمجاهدة المترتبة على الايمان والطاعة قطعا اي لا ترجعوا مدبرين خوفا
من الجبابرة والجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ترتدوا ويجوز
ان يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا
بمصر تعالوا نجعل لنا رأسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا من دينكم بالعصيان
وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم معطوف على ترتدوا او
منصوب على جواب النهي والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب
لهم قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق الكلام كأنه قيل فماذا قالوا
بمقابلة امره عليه السلام ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك يا موسى ان فيها
قوما جبارين متغلبين لا يتأتى منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار العاتي
الذي يجبر الناس ويقسرهم كائنا من كان فعال من جبره على الامر اي اجبره عليه
وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم
فان يخرجوا منها بسبب من الاسباب التي لا تعلق لنا بها فانا داخلون حينئذ
اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول
بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها ليس الا
لمكانهم فيها واتوا في الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول

وثباته

وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة فيه وفي الامتثال بالامر قال
رجلان استئناف كما سبق كأنه قيل هل اتفقوا في ذلك او خالفهم البعض فقيل قال رجلان
من الذين يخافون اي يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة امره ونهيه
وبه قرأ ابن مسعود رضي الله عنه وفيه تعريض بان من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون
العدو وقيل من الذين يخافون العدو اي منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون
وكالب بن يوفنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه السلام
قالوا وحينئذ لبني اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة واليهم يعود العائد المحذوف
اي من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويعضده قراءة من قرأ يخافون على صيغة المبني للمفعول
اي المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله تعالى بالتذكير
او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما اي بالتثبيت وربط الجاش والوقوف على شؤونه
تعالى والثقة بوعده او بالايمان وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من
الضمير في يخافون او من رجلان لتخصصه بالصفة اي قالا مخاطبين لهم ومشجعين ادخلوا
عليهم الباب اي باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما
هو دخول الباب وهم في بلدهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من البروز
الى الصحراء لئلا يجدوا للحرب مجالا فاذا دخلتموه اي باب بلدهم وهم فيه فانكم غالبون
من غير حاجة الى القتال فانا قد رأيناهم وشاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم
عظيمة فلا تخشوهم واهجموا عليهم في المضايق فانهم لا يقدرون فيها على الكر والفر وقيل
انما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم او
لما علما من سنته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه تعالى لموسى عليه السلام ومن
قوله تعالى كتب الله لكم من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق الغلبة بالدخول وعلى الله
تعالى خاصة فتوكلوا بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التأثير وانما
التأثير من عند الله العزيز القدير ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به تعالى مصدقين لوعده
فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما قالوا استئناف كما سبق اي قالوا غير مبالين بهما
وبمقالتهما مخاطبين لموسى عليه السلام اظهارا لاصرارهم على القول الاول وتصريحا
بمخالفتهم له عليه السلام يا موسى انا لن ندخلها اي ارض الجبابرة فضلا عن دخول بابهم
وهم في بلدهم ابدا اي دهرا طويلا ما داموا فيها اي في ارضهم وهو بدل من ابدا بدل
البعض او عطف بيان فاذهب الفاء فصيحة اي فاذا كان الامر كذلك فاذهب انت وربك
فقاتلا اي فقاتلاهم انما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وتعالى وبرسوله
وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم
وقيل ارادوا ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبني كأنهم قالوا فاريدا قتالهم
واقصداهم وقيل التقدير فاذهب انت وربك يعينك ولا يساعده قوله تعالى فقاتلا

ولم يذكر هارون ولا الرجلين كأنهم لم يجزموا بذهابهم او لم يعبؤوا بقتالهم وقوله تعالى إنا ههنا قاعدون يؤيد الوجه الاول واراد بذلك عدم التقدم لا عدم التأخر قال عليه السلام لما رأى منهم ما رأى من العناد على طريقة الحزن والبث والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التي بمثلها يستجلب الرحمة وتستنزل النصرة رب اني لا املك الا نفسي واخي عطف على نفسي وقيل على الضمير في اني اي معني اي لا املك الا نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه وقيل على الضمير في لا املك للفصل فافرق بيننا يريد نفسه واخاه والفاء لترتيب الفرق والدعاء به على ما قبله وبين القوم الفاسقين الخارجين عن طاعتك المصرين على عصيانك بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها الارض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء محرمة عليهم تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى اربعين سنة ان جعل ظرفا للحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله لكم فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم في هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقي حسبما روي ان موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني اسرائيل الى اريحا وكان يوشع بن نون على مقدمته ففتحها واقام ما شاء الله تعالى ثم قبضه عليه السلام وقيل لم يدخلها احد ممن قال لن ندخلها ابدا وانما دخلها مع موسى عليه السلام النواشئ من ذرياتهم فالموقت بالاربعين في الحقيقة تحريمها على ذرياتهم وانما جعل تحريما عليهم لما بينهما من العلاقة التامة المتاخمة للاتحاد وقوله تعالى يتيهون في الارض اي يتحيرون في البرية استئنافا لبيان كيفية حرمانهم او حال من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا قيل كانوا ستمائة الف مقاتل وكان طول البرية فرسخا وقد تاهوا في ستة فراسخ او تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخا وقيل في ستة فراسخ في اثني عشر فرسخا روي انهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع في الليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الانعامات عليهم مع انهم معاقبون لما ان عقابهم كان بطريق العرك والتاديب قيل كان موسى وهرون معهم ولكن كان ذلك لهما روحا وسلامة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب عليهم السلام وروي ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ولا يساعده ظاهر النظم الكريم فانه تعالى بعدما قبل دعوته على بني اسرائيل

وعدتهم

وعذبهم بالتيه بعيد ان ينجي بعض المدعو عليهم او ذراريهم ويقدر وقوعهما في محل العقوبة ظاهرا وان كان ذلك لهما منزل روح وراحة وقد قيل انهما لم يكونا معهم في التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة ومن قال بانهما كانا معهم فيه فقد فسر الفرق بما ذكر من الحكم بما يستحقه كل فريق فلا تأس فلا تحزن على القوم الفاسقين روي انه عليه السلام ندم على الدعاء عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم عطف على مقدر تعلق به قوله تعالى واذ قال موسى الخ وتعلقه به من حيث انه تمهيد لما سيأتي من جنايات بني اسرائيل بعد ما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بما جاءت به من البينات نبأ ابني آدم هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضحاك انهما رجلان من بني اسرائيل بقرينة آخر القصة وليس كذلك اوحى الله عز وجل الى آدم ان يزوج كلا منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم عليه السلام فقال لهما عليه السلام قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها ففعلا فنزلت نار على قربان هابيل فاكلته ولم تتعرض لقربان قابيل فازداد حسدا وسخطا وفعل ما فعل بالحق متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف اي تلاوة متلبسة بالحق والصحة او حال من فاعل اتل او من مفعوله اي متلبسا انت او نبأهما في ذلك بالحق والصدق حسبما تقرر في كتب الاولين اذ قربا قربانا منصوب بالنبأ ظرف له اي اتل قصتهما ونبأهما في ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف المضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت ورد عليه بان اذ لا يضاف اليها غير الزمان كوقتئذ وحينئذ والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعالى من نسيكة او صدقة كالحلوان اسم لما يحلى اي يعطى وتوحيده لما انه في الاصل مصدر وقيل تقديره اذ قرب كل منهما قربانا فتقبل من احدهما هو هابيل قيل كان هو صاحب زرع وقرب جملا سمينا فنزلت نار فاكلته ولم يتقبل من الآخر هو قابيل قيل كان هو صاحب زرع وقرب اردأ ما عنده من القمح فلم تتعرض له النار اصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال لاخيه لتضاعف سخطه وحسده بما ظهر فضله عليه عند الله عز وجل لاقتلنك اي والله لاقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة قال استئناف كما قبله اي قال الذي تقبل قربانه لما رأى ان حسده لقبول قربانه وعدم قربان نفسه انما يتقبل الله اي القربان من المتقين لا من غيرهم وانما تقبل قرباني ورد قربانك لما فينا من التقوى وعدمه اي انما اتيت من قبلك فلم تقتلني خلا انه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض حذارا من تهييج غضبه وحملا له على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل لتربية المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعي سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا

بباسط يدي اليك لاقتلك حيث صدر الشرطية باللام الموطية للقسم وقدم الجار
والمجرور على المفعول الصريح ايذانا من اول الامر برجوع ضررا البسط وغايلته اليه
ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما في الشرط
بل اسمية مصدرة بما الحجازية المفيدة لتاكيد النفي بما في خبرها من الباء للمبالغة في
اظهار برآته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفي البسط كما في قوله تعالى وما هم
بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما تدل
بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على
انتفاء الدوام وذلك بانتفاء الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي
على المقيد بالدوام فيرتفع قيده اي والله لين باشرت قتلي حسبما اوعدتني به وتحققوا
ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات ثم علل ذلك اني اخاف الله
رب العالمين وفيه من ارشاد قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه واكده ما لا يخفى
كانه قال اني اخافه تعالى ان بسطت يدي اليك لاقتلك ان يعاقبني وان كان ذلك
مني لدفع عداوتك عني فما ظنك بحالك وانت البادي العادي وفي وصفه تعالى
بربوبيته العالمين تاكيد للخوف قيل كان هابيل اقوي منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم
خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا حينيذ وقيل تحريا لما هو الافضل
حسبما قال صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما اباه القتيل
بخوفه تعالى لا انه يدعي ان ترك الاولي عنده بمنزلة المعصية في استتباع الغايلة تبالغا
في التنزه وقوله تعالى اني اريد ان تبوء باثمي واثمك تعليل اخر لامتناعه عن المعارضة
على انه غرض متاخر عنه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف عليه تنبيها على
كفاية كل منهما في العلية والمعنى اني اريد باستسلامي لك وامتناعي عن التعرض لك
ان ترجع باثمي اي بمثل اثمي لو بسطت يدي اليك وباثمك ببسط يدك الي كما في قوله
صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم اي على البادي
عين اثم سبه ومثل سب صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل معنى باثمي اثم قتلي ومعنى باثمك
اثمك الذي لاجله لم يتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا
لهما ولعل مراده بالذات انما هو عدم ملابسته للاثم لا ملابسة اخيه له وقيل المراد
بالاثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادة عقوبة العاصي ممن علم انه لا يرعوي عن المعصية
اصلا وبإباه قوله عز وعلا فتكون من اصحاب النار فان كونه منهم انما يترتب على
رجوعه بالاثمين لا على الابتلا بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع اخر يترتب عليها
العقوبة النارية يرده قوله تعالى وذلك جزاء الظالمين فانه صريح في ان كونه من
اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك
في منهيه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب

اخري فما اورثه ذلك الا الاصرار على الغي والانهماك في الفساد فطوعت له نفسه
قتل اخيه اي وسعته وسهلته من طاع له المرتع اذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكي
من مقالات هابيل مع تحققه قبلها ايضا لا يفضي عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل
بعد تقرير ما يزيله من الدواعي العقوبة فان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه في
الحقيقة امر حادث وصنع جديد كما في قولك وعظته فلم يتعظ اولان هذه المرتبة من
التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده في قدرته على القتل لما انه كان اقوي
منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته له والتصريح
باخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقري فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان
قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك
حفظت لزيد ماله فقتله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس واخذ طايرا
على حجر ثم شدخها بحجر اخر فتعلم منه فرضخ راس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصي
عليه وقيل اغتاله وهو نايم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف في موضع قتله
فقيل عند عقبة حرا وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم وقيل في جبل بود ولما قتله
تركه بالعرا ولا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما
وقيل سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع تنظر متى يرمي به فتاكله فاصبح
من الخاسرين دينا ودنيا فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه
روي انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة
فالقاه فيها والمستكن في يريه لله تعالى او للغراب واللام على الاول متعلقة ببعث حتما
وعلى الثاني بيبحث ويجوز تعلقها ببعث ايضا وكيف حال من ضمير يواري والجملة ثاني
مفعولي يري والمراد بسوأة اخيه جسده الميت قال استيناف مبني على سوال نشا من سوق
الكلام كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال يا ويلتى هي كلمة
جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة
الهلكة اعجزت ان اكون اي عن ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي تعجب من عدم اهتدائه
الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله تعالى فاواري بالنصب عطف على اكون وقري بالرفع اي
فانا اواري فاصبح من النادمين اي على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته مدة
طويلة وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فساله ادم عليه السلام عن اخيه فقال
ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث ادم بعده مائة سنة لا يضحك
وقيل لما قتل قابيل هابيل هرب الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار
قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبد
وهو اول من عبد النار من اجل ذلك شروع فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض اخر
من جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شان القتل وافراط قبحه المفهومين

مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام ما بين له وكمال اجتنابه عن مباشرته وان
كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه
لحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته
على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل في الاصل مصدر اجل
شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كما في قولهم من جرائك فعلته اي من ان جررته اي جنيته
ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من اجل بحذف
الهمزة والقاء فتحتها على النون ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل
وتقديمها عليه للقصر اي من ذلك ابتدا الكتب ومنه نشا لا من شيء آخر اي قضينا عليهم وبينا
انه من قتل نفسا واحدة من النفوس بغير نفس اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد
في الارض اي فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفي كلا الامرين
معا كما في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته لا نفي احدهما كما في قولك من صلى
بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته ومدار الاستعمالين اعتبار ورود النفي على ما استفيد
من كلمة او من الترديد بين الامرين المبني عن التخيير والاباحة واعتباره الحكم ومناط
الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق
احدهما واشتراطه بتحققهما معا من الاول يرد النفي على الترديد الواقع بين الامرين قبل
وروده فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد نفي احدهما حتما اذ ليس قبل
ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه ان كل حكم شرط بتحقق احد شيئين مثلا فنقيضه
مشروط بتحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط بنقيض الشرط
ولا ريب ان في نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم الاول هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في
الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول بانتفائهما معا
واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلوته
مشروطا بتحقق احدهما كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته مشروطا
بنقيض الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤهما معا فتعين ورود النفي المستفاد من غير على الترديد
الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او فاقتضى تحققهما معا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم
هذا يدور كما قالوا انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا
تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما فايهما فعله فهو احدهما واما قولك من صلى بوضوء
او ثوب صحت صلوته بحيث كان الحكم فيه مشروطا بتحقق كلا الامرين كان نقيضه في قولك من صلى
بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته مشروطا بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما ولا يخفى
ان اباحة القتل مشروطة باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته
بانتفائهما معا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة كانه قيل من قتل نفسا بغير احدهما فكانما
قتل الناس جميعا من قال في تفسيره او بغير فساد فقد ابعد عن توجيه النظم الكريم حقه وتا

كانما كافة مهينة لوقوع الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او تاكيد ومناط
التشبيه اشتراك الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير
الناس على القتل في استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى وعذابه العظيم
ومن احياها اي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد
في الارض اما بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه
من الوجوه فكانما احيا الناس جميعا وجه التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر القتل
وتفخيم شان الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب الرهبة والرغبة
ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشان المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره
الى الاذهان عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن فان الضمير
لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن
عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد القسمي وحرف التحقيق لكمال العناية
بتحقق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا الخ للتصريح بوصول الرسالة
اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اي وتالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما
ارسلناهم بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تاكيدا لوجوب مراعاته
وتاييدا لتحتم المحافظة عليه ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من الكتب وتاكيد
الامر بارسال الرسل تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع
الضمير للايذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه
من معنى البعد للايماء الى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشان وثم للتراخي في الرتبة
والاستبعاد في الارض متعلق بقوله تعالى لمسرفون وكذا الظرف المتقدم ولا يقدح فيه
توسط اللام بينه وبينهما لانها لام الابتداء حقها الدخول على المبتدا وانما دخولها على الخبر
لمكان ان فهي في حيزها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم
مبالاة به اي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما
لتفريطهم في شان الاحياء وجودا وذكرا وكان هو اقبح الامرين وافظعهما اكتفي بذكره في
مقام التشنيع انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله كلام مستانف سيق لبيان حكم نوع من انواع
القتل وما يتعلق به من الفساد باخذ المال ونظايره وتعيين موجبه العاجل والآجل
اثر بيان عظم شان القتل بغير حق وادرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد المبيح للقتل
وقيل اي يحاربون الله ورسوله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله
عنده تعالى ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له عليه السلام
فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان
ورود النص ليس بطريق المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه

لغيرهم الى دليل آخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى ورسوله تعظيما لهم
والمعنى يحاربون أولياءهما وأصل الحرب السلب والمراد ههنا قطع الطريق وقيل
المكابرة بطريق اللصوصية وإن كانت في مصر ويسعون في الأرض عطف على يحاربون
والجار متعلق به وقوله تعالى فسادا إما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون أي
مفسدين أو مفعول له أي للفساد أو مصدر مؤكد ليسعون لأنه في معنى يفسدون
على أنه مصدر من أفسد بحذف الزوائد أو اسم مصدر قيل نزلت الآية في قوم هلال
بن عويمر الأسلمي وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يعينه ولا يعين
عليه من أتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الإسلام بناس من قوم هلال ولم يكن
هلال يومئذ شاهدا فقطعوا عليهم وقتلوهم وأخذوا أموالهم وقيل نزلت في
العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في قوم من أهل الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وأفسدوا في الأرض ولما كانت
المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون أخذ المال ومن
القتل مع أخذه ومن أخذه بدون قتل ومن الإخافة بدون قتل وأخذ شرعت لكل مرتبة
من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل أن يقتلوا أي حدا من غير صلب
إن أفردوا القتل ولو عفا الأولياء لا يلتفت الى ذلك لأنه حق الشرع ولا فرق بين أن يكون
القتل بآلة جارحة أو لا أو يصلبوا أي مع القتل إن جمعوا بين القتل والأخذ بأن
يصلبوا أحياء وتبعج بطونهم برمح الى أن يموتوا وفي ظاهر الرواية أن الإمام مخير بين
النفي بذلك وإن شاء قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم وصيغة التفعيل في
الفعلين للتكثير وقرئا بالتخفيف فيهما أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أي أيديهم اليمنى
وأرجلهم اليسرى إن اقتصروا على أخذ المال من مسلم أو ذمي وكان في المقدار بحيث لو قسم
عليهم أصاب كلا منهم عشرة دراهم أو ما يساويها قيمة أما قطع أيديهم فلأخذ المال وأما
قطع أرجلهم فللإخافة للطريق بتفويت أمنه أو ينفوا من الأرض إن لم يفعلوا غير الإخافة
والسعي للفساد والمراد بالنفي عندنا هو الحبس فإنه نفي عن وجه الأرض بدفع شرهم عن أهلها
ويعزرون أيضا لمباشرتهم منكر الإخافة وإزالة الأمن وعند الشافعي رحمه الله تعالى
النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو النفي عن بلده فقط وكانوا
ينفونهم الى دهلك وهو بلد في أقصى تهامة وناصع وهي بلد من بلاد الحبشة ذلك أي ما فصل
من الأحكام والأجزية وقيل هو مبتدأ وقوله لهم خزي جملة من خبر مقدم على المبتدأ ع
وقوله تعالى في الدنيا متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي أو متعلق بخزي على الظرفية والجملة
في محل الرفع على أنه خبر لذلك وقيل خزي خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي
لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفي الدنيا إما صفة لخزي أو متعلقا به في

ما مر وللخزي الذل والفضيحة ولهم في الآخرة غير هذا عذاب عظيم لا يقادر قدره
لغاية عظم جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وفي الآخرة متعلق
بمحذوف وقع حالا من عذاب لأنه في الأصل صفة له فلما قدم انتصب حالا أي كائنا
في الآخرة إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو من حقوق
الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله تعالى فاعلموا أن الله غفور رحيم أما ما هو من حقوق
الأولياء من القصاص ونحوه فإليهم ذلك إن شاؤوا عفوا وإن شاؤوا استوفوا وإنما يسقط
بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه وعن علي رضي الله عنه أن الحرث بن بدر جاءه تائبا
بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
لما ذكر عظم شأن القتل والفساد وبين حكمهما وأشير في تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى
لمن تاب من جنايته أمر المؤمنون بأن يتقوه تعالى في كل ما يأتون وما يذرون بترك
ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات
التي من زمرتها السعي في إحياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار
وابتغوا أي اطلبوا لأنفسكم إليه الى ثوابه والزلفى منه الوسيلة هي فعيلة بمعنى
ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل أي من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل
الى كذا أي تقرب إليه بشيء وإليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام به وليست بمصدر حتى
لا يعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المأمور به فإنه ملاك الأمر كله كما أشير إليه
وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل ضير فالجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتأكيد
أو مطلق الوسيلة وهو داخل فيها دخولا أوليا وقيل الجملة الأولى أمر بترك المعاصي
والثانية أمر بفعل الطاعات وحيث كان في كل أمر ترك المعاصي المشتهاة للنفس وفعل
الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الأمر بهما بقوله تعالى وجاهدوا في
سبيله بمحاربة أعدائه البارزة والكامنة لعلكم تفلحون بنيل مرضاته والفوز
بكرامته إن الذين كفروا كلام مبتدأ مسوق لتأكيد وجوب الامتثال بالأوامر
السابقة وترغيب المؤمنين في المسارعة الى تحصيل الوسيلة إليه عز وجل قبل انقضاء
أوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيامة بأقوى الوسائل الى النجاة من العذاب
فضلا عن نيل الثواب لو أن لهم أي لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو أن لكل
نفس ظلمت الخ لجميعهم إذ ليس في ذكره هذه المرتبة من تهويل الأمر وتفظيع الحال
ما في الأرض أي من أصناف أموالها وذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو اسم
أن ولهم خبرها ومحلها الرفع بلا خلاف خلا أنه عند بعضهم رفع على الابتداء لا حاجة
فيه الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند إليه وقد اختصت من بين سائر
ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدما أي
لو ثابت كون ما في الأرض لهم وقيل يقدر مؤخرا أي لو كون ما في الأرض لهم ثابت

وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو اي
لو كون ما في الارض وقوله تعالى جميعا توكيد للموصول او حال منه ومثله
بالنصب عطف عليه وقوله تعالى معه ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير
راجع الى الموصول وفائدته التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق
التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونهما شيئا واحدا
وتمهيد لافراد الضمير الراجع اليهما واللام في قوله تعالى ليفتدوا به متعلق
بما تعلق به خبر ان اعني الاستقرار المقدر في لهم وبالخبر المقدر عند من يرى تقدير
الخبر مقدما او مؤخرا او بالفعل المقدر بعد لو على رأي المبرد ومن تابعه ولا
في ان مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وان كان مستلزما له
والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده
اما لما اشير اليه واما لاجرائه مجرى اسم الاشارة كانه قيل بذلك كما في قوله

كانه في الجلد توليع البهق

اي كان ذلك وقيل هو راجع الى الموصول والعائد الى المعطوف اعني مثله محذوف
كما حذف الخبر من قيار في فاني وقيار بها لغريب اي وقيار ايضا غريب وقد جوز ان يكون
نصب ومثله على انه مفعول معه ناصبه الفعل المقدر بعد لو تفريعا على مذهب المبرد
ومن رأى رأيه وانتجيت بانه يؤدي الى كون الرافع فاعل غير الناصب للمفعول
معه لان المعنى على اعتبار المعية بين ما في الارض ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت
تلك الكينونة لهم ولما ان سيبويه قد نص على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن للاستقرار
لا يعملان في المفعول معه وان قوله هذا لك واباك قبيح وقوله تعالى من عذاب يوم القيمة
متعلق بالافتداء ايضا اي لو ان ما في الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لانفسهم من العذاب
الواقع يومئذ ما تقبل منهم ذلك وهو جواب لو وترتيبه على كون ذلك لهم لاجل افتدائهم به
من غير ذكر الافتداء بان يقال وافتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتب عليه لا على
مباديه للايذان بانه امر محقق الوقوع غني عن الذكر وانما المحتاج الى الفرض تقريرهم
على ما ذكر والمبالغة في تحقق الرد وتخييل انه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله
تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده حيث لم يقل فأتى به
فرآه فلما الخ وما في قوله تعالى وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه من غير ذكر خروجه
عليه السلام عليهن ورؤيتهن له والجملة الامتناعية بحالها خبر ان الذين كفروا والمراد
تمثيل للزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت
تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك وهي كلمة الشهادة وقوله
تعالى ولهم عذاب اليم تصريح بما اشير اليه بعدم قبول فديتهم لزيادة تقرير وبيان لهوله

وشدته

وشدته وقيل محله النصب على الحالية وقيل الرفع عطفا على خبر ان وقيل عطف على
ان الذين فلا محل له كالمعطوف عليه يريدون ان يخرجوا من النار استئناف مسوق لبيان
حالهم في اثناء مكابدة العذاب مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فكيف يكون حالهم
او ماذا يصنعون فقيل يريدون الخ ويرفعهم الى فوق فهنالك يريدون الخروج وقد
بين في تضاعيفه ان عذابهم عذاب النار وقيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون المخرج
فيلفحهم لهب النار ويرفعهم الى فوق فهنالك يريدون الخروج ولات حين مناص وقيل
يكادون يخرجون منها لقوة النار وزيادة رفعها اياهم وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم
وقوله عز وجل وما هم بخارجين منها اما حال من فاعل يريدون او اعتراض واياما كان
فايثار الجملة الاسمية على الفعلية مصدرة بما الحجازية الدالة بما في خبرها من الباء على تأكيد
النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها فان الجملة الاسمية الايجابية كما
يفيد بمعونة المقام دوام الثبوت تفيد السلبية ايضا بمعونته دوام النفي لا نفي الدوام كما
مر في قوله تعالى ما انا بباسط الخ   ان يخرجوا على البنا للمفعول من الاخراج ولهم
عذاب مقيم تصريح بما اشير اليه انفا من عدم تناهي مدته بعد بيان شدته والسارق
والسارقة شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى وقد عرفت
اقتضاء الحال لايراد ما توسط بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال
صرح بالسارقة ايضا مع ان المعهود في الكتاب والسنة ادراج النساء في الاحكام الواردة
في شان الرجال بطريق الدلالة لمزيد الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدأ
خبره عند سيبويه محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم او فيما فرض عليكم السارق والسارقة
اي حكمهما وعند المبرد قوله تعالى فاقطعوا ايديهما والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط
اذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة الرفع لان
الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع
اذا كان الاخذ من حرز والماخوذ يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في
موضعها والمراد بايديهما ايمانهما كما يفصح عنه قراءة ابن مسعود رضي الله عنه والسارقون
والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى
فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب
الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر
بقطع يمينه منه جزاء نصب على انه مفعول له اي فاقطعوا للجزاء او مصدر مؤكد
لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا اي فجازوهما جزاء وقوله تعالى بما كسبا على الاول
متعلق بجزاء وعلى الثاني باقطعوا وما مصدرية اي بسبب كسبهما او موصولة اي بسبب
ما كسباه من السرقة التي تباشر بالايدي وقوله تعالى نكالا مفعول له ايضا على البدلية من
جزاء لانهما نوع واحد وقيل القطع معلل بالجزاء والقطع المعلل معلل بالنكال وقيل منصوب

بجزاء علي طريقة الاحوال المتداخلة فانه علة للجزاء علة للقطع كما اذا قلت ضربته تاديبا له احسانا اليه فان الضرب معلل بالتاديب والتاديب معلل بالاحسان وقد اجاز ذلك في قوله عز وجل ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله مفعول له ناصبه بغيا على ان التنزيل علة للبغي والبغي علة للكفر وقوله تعالي من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي نكالا كائنا منه تعالي والله عزيز غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يمانعه حكيم في شرائعه لا يحكم الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرايع المنطوية على فنون الحكم والمصالح فمن تاب من السراق الي الله تعالي من بعد ظلمه الذي هو سرقته والتصريح به مع ان التوبة لا يتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته واصلح اي امره بالتفصي عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة اليها فان الله يتوب عليه اي يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة واما القطع فلا يسقط بالتوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه ويسقط عند الشافعي في احد قوليه ان الله غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك يقبل توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجملة ولذا قوله تعالي الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض مبتداء والجملة خبر لان وهي مع ما في حيزها ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور ومفعوله عند ... والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل احد صالح للخطاب والاستفهام الانكاري لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالي على ما سياتي من التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه واتمه اي الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما احياء واماتة الي غير ذلك حسبما يقتضيه مشيئته يعذب من يشاء ان يعذبه ويغفر لمن يشاء ان يغفر له من غير ند يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة اما تقرير لكون ملكوت السموات والارض له سبحانه او خبر آخر لان والله على كل شئ قدير فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار في موقع الاضمار لما مر مرارا والجملة تذييل مقرر لما قبلها يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر خوطب صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الي الواقعة في قوله تعالي وسارعوا الي مغفرة من ربكم وجنة الخ للايماء الي انهم مستقرون في الكفر

لا يحزنونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الي بعض آخر منها كاظهار موالاة المشركين وابراز آثار الكيد للاسلام ونحو ذلك كما في قوله اولئك يسارعون في الخيرات فانهم مستمرون على الخير مسارعون في انواعه وافراده والتعبير عنهم بالموصول للاشارة بما في حيز صلته الي مدار الحزن وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة عن ان يحزنوه عليه السلام بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له عن التاثير من ذلك والمبالاة به على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقلع له من اصله وقد يوجه النهي الي المسبب ويراد به النهي عن السبب كما في قوله لا اريتك ههنا يريد نهي مخاطبه عن الحضور بين يديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الراء وقرئ يسرعون يقال اسرع فيه الشيب اي وقع فيه سريعا اي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة وقوله تعالي من الذين قالوا آمنا بافواههم بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من الموصول اي كائنين من الذين الخ والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالي ولم تؤمن قلوبهم جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالي ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا الخ وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم الي قسمين المنافقين واليهود وقوله تعالي سماعون للكذب خبر لمبتداء محذوف راجع الي الفريقين او الي المسارعين واما رجوعه الي الذين هادوا فمخل بعموم الوعيد الآتي ومباديه للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله ومن الذين الخ خبرا على ان قوله سماعون واللام اما للتقوية صفة لمبتدأ محذوف اي ومنهم قوم سماعون الخ لاداية الى اختصاص ما عدد من القبائح وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخروية فالوجه ما ذكر اولا اي هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع معني القبول واما لام كي والمفعول محذوف والمعني هم سماعون في سماع الكذب اوفي قبول ما يفتريه احبارهم من الكذب علي الله سبحانه وتعالي وتحريف كتابه او سماعون اخباركم واحاديثكم ليكذبوا عليكم بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير او اخبار الناس واقاويلهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم الخ ونحو ذلك مما فيه ضررهم واياما كان فالجملة مستانفة جارية مجرى التعليل للنهي فان كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة وابتناء امورهم على ما لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما ياتون وما يذرون لظهور بطلان اكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الافاعيل الفاسدة المؤدية الي الخزي والعذاب كما سياتي وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالي سماعون

على تقدير لولا السلام لتعديه ... رحمه
على تقدير التضمين ... رحمه الله
على تقدير لو لا الملام ... للعلامة محمد ... رحمه الله

لقوم آخرين خبر ثان للمبتدا المقدم مقرر للاول مبين لما هو المراد بالكذب على
الوجهين الاولين واللام ما في سمع الله لمن حمده في الرجوع الى معنى من اي قبل منه
حمده والمعنى مبالغون في قبول الكلام قوم آخرين واما كونها لام التعليل بمعنى
سماعون منه عليه السلام او كونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثاني مكرر
للتاكيد بمعنى سماعون ليكذبوا القوم آخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم اصلا
وقوله تعالى لم ياتوك صفة اخرى لقوم اي لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك
تكبرا وافراطا في البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة وقوله
تعالى يحرفون الكلم من مواضعه صفة اخرى لقوم وصفوا اولا بمغايرتهم للسماعين
تنبيها على استقلالهم واصالتهم في الرأي والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول
صلى الله عليه وسلم ايذانا بكمال طغيانهم في الضلالة ثم باستمرارهم على التحريف
بيانا لافراطهم في العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء على الله عز وجل وتهيئا
للكذب الذي سمعه السماعون اي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد ان وضعه
الله تعالى فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما بحمله على غير المراد واجرائه
في غير مورده وقوله تعالى يقولون كالجملة السابقة في الوجوه المذكورة ويجوز
ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونها صفة لسماعون او حالا من الضمير
فيه فمما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وان مقول القول ناطق بان قائله ممن لا يحضر
مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم والمخاطب به ممن يحضره فكيف يمكن ان يقوله
السماعون المترددون اليه عليه السلام لمن لا يحوم حوله قطعا وادعاء قول
السماعين لاعقابهم المخاطبين للمسلمين تعسف ظاهر يخل بجزالة النظم الكريم وكيف
الذي لا يحيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون اي يقولون لاتباعهم
السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل
ان اوتيتم من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم هذا فخذوه واعملوا بموجبه فانه
الحق وان لم تؤتوه بل اوتيتم غيره فاحذروا اي فاحذروا قبوله واياكم واياه وفي
ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف من المبالغة في التحذير ما لا يخفى
روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التورية
فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم
فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل
عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام هل
تعرفون شابا ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي
على وجه الارض بما انزل الله على موسى بن عمران في التورية قال فارسلوا اليه

بقدم



ففعلوا فاتاهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال عليه الصلاة
والسلام وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال لهم اترضون به حكما قالوا نعم
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر
وانجاكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى ورفع
فوقكم الطور وانزل عليكم التورية فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم
على من احصن قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت ان يحرقني بجحود انه اذا دخل فيها كما
يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم في التورية ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك
ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال عليه السلام اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخل
فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذي انزل التورية
على موسى هكذا انزل الله في التورية على موسى عليه السلام فوثب عليه سفلة
اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك
رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته اي ضلالته او فضيحته
كائنا ما كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا وعدم التصريح بكونهم
كذلك للاشعار بكمال ظهوره واستغنائه عن ذكره فلن تملك له فلن تستطيع له من
الله شيئا في دفعها والجملة مستانفة مقررة لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم



عن القبائح المذكورة ابدا اولئك اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود
وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو
مبتدا خبره قوله تعالى الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي من دنس الكفر وخبث
الضلالة لانهماكهم فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل
الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر اولا وشرح فنون
ضلالاتهم آخرا والجملة استئناف مبين لكون ارادته تعالى افتتانهم منوطة بسوء
اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء لهم في الدنيا خزي



اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين
واما خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص
التورية وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدا ولهم خبره وفي الدنيا متعلق بما تعلق به
الخبر من الاستقرار وكذا الحال في قوله تعالى ولهم في الآخرة اي مع الخزي الدنيوي
عذاب عظيم هو الخلود في النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا
لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتاكيد والجملة
استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل افعالهم واحوالهم الموجبة للعقاب كانه

قيل نالهم من العقوبة وقيل لهم في الدنيا خزي الآية سماعون للكذب خبر آخر للمبتدا
المقدر كرر تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى اكالون للسحت و
ايضا خبر آخر للمقدر وارد في طريقة الذم او بناء على ان المراد بالكذب ما يفتعله
الراشون عند الآكلين والسحت بضم السين وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل
كسبه وقيل هو الحرام مطلقا من سحته اذا استاصله سمي به لانه مسحوت البركة والمراد
به هاهنا اما الرشي التي كان ياخذها المحرفون في تحريفهم وتابيد احكامهم الزائغة
وهو المشهور او ما كان ياخذ فقراؤهم من اغنيائهم من المال ليقيموا في اليهودية كما
قيل واما مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا وقرئ للسحت بضم السين والحاء
وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبي صلى الله
كل لحم انبته السحت فالنار اولى فان جاؤك لما بين تفاصيل امورهم الواهية واحوالهم
المختلفة الموجبة لعدم المبالاة بهم وبافاعيلهم حسبما امر به عليه السلام ببعض
ما يبتني عليه من الاحكام بطريق التفريع والفاء فصيحة اي واذا كان حالهم كما شرح
فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات فاحكم بينهم او اعرض عنهم
غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم اصلا وهذا كما ترى تخيير له صلى الله عليه وسلم بين الامرين
فقيل هو في امر خاص هو ما ذكر من زنا المحصن وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني
قريظة والنضير فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بنو قريظة اخواننا
بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد واذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا بالقود
واعطونا سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا منا القاتل واخذوا منا الضعف
مائة واربعين وسقا من تمر وان كان القتيل امراة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم
الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا فاقض بيننا فجعل عليه السلام الدية سواء وقيل
هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا فمن قائل انه ثابت وهو المروي عن عطاء والنخعي
والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم وابي مسلم وقائل انه منسوخ وهو قائل عن
ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس لم ينسخ من المائدة الا آيتان لا تحلوا
شعائر الله نسختها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم
واعرض عنهم نسختها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وعليه مشايخنا وان تعرض
عنهم بيان لحال الامرين اثر تخييره عليه السلام بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة
الى بيان انه لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه عليه السلام
الا لطلب الايسر والاهون عليهم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك
عليهم فيشتد عداوتهم ومضارتهم له عليه السلام فامنه الله تعالى بقوله فلن
يضروك شيئا من الضرر فان الله عاصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل
الذي امرت به كما حكمت بالرجم ان الله يحب المقسطين ومن ضرورته ان يحفظهم عن كل

مكروه

مكروه ومحذور وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون
به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به وتنبيه على انهم
ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم يكن ذلك
حكم الله في زعمهم فقوله تعالى وعندهم التورية حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها
حكم الله حال من التورية اي جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتداء فهو حال من ضميرها
المستكن في الخبر استيناف مسوق لبيان ان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وتانيثها
لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم كموماة ودوداة ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل في حكم
التعجيب وثم للتراخي في الرتبة وقوله تعالى وما اولئك بالمؤمنين تذييل مقرر لفحوى
ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم في الذهن بما وصفوا به
من القبائح ايماء الى علة الحكم والى انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل تميز حتى انتظموا في
سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة
اي وما اولئك الموصوفون بما ذكر بالمؤمنين اي بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك
الموافق له ثانيا او بهما وقيل وما اولئك بالكاملين في الايمان تهكما بهم انا انزلنا التورية
كلام مستانف سيق لبيان علو شان التورية ووجوب مراعاة احكامها وانها لم تزل مرعية
فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل احد من الحكام والمتحاكمين محفوظة
عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون من عدم ايمانهم وتقريرا لكفرهم فيها
هدى ونور حال من التورية فان ما فيها من الشرائع والاحكام من حيث ارشادها الناس
الى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها وكشفها ما استبهم من الاحكام وما يتعلق
بها من الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تعالى يحكم بها النبيون اي انبياء بني اسرائيل
وقيل موسى ومن بعده من الانبياء جملة مستانفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها
وقد جوز كونه حالا من التورية فيكون حالا مقدرة اي يحكمون باحكامها ويحملون الناس
عليها وبه تمسك من ذهب الى ان شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم ينسخ وتقديم الجار والمجرور
على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر ولان المؤخر وما يتعلق
به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم وقوله تعالى الذين اسلموا صفة اجريت
على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح لكن لا لقصد الى مدحهم بذلك
حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون وصفهم به بعد وصفهم بها تنزلا من الاعلى
الى الادنى بل لتنويه شان الصفة فان ابراز وصف في معرض مدح العظماء منبئ عن
عظم قدر الوصف لا محالة كما وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملائكة بالايمان عليهم
السلام ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشان المسلمين
وتعريض باليهود وبانهم بمعزل من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء عليهم السلام لا سيما
مع ملاحظة ما وصفوا به في قوله للذين هادوا وهو متعلق بيحكم اي يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان

اختصاص الحكم بهم أعم من أن يكون لهم أو عليهم كأنه قيل لأجل الذين هادوا وأما اللام للإيذان
بنفعه المحكوم عليهم أيضاً بإسقاط التبعة عنه وإما للإشعار بكمال رضاهم به وانقيادهم
له كأنه أمر نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل التقدير للذين هادوا
وعليهم فحذف ما حذف لدلالة ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بأنزلنا وقيل بهدى
ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف وقع صفة لهما أي هدى
ونور كائنان للذين هادوا والربانيون والأحبار أي الزهاد والعلماء من ولد هارون
الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضي الله عنه
الربانيون الذين يسوسون الناس بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره والأحبار هم
الفقهاء واحدهم حبر بالفتح والكسر والثاني أفصح وهو رأي الفراء مأخوذ من التحبير والتحسين
فإنهم يحبرون العلم ويزينونه ويبينونه وهو عطف على النبيون أي هم أيضاً يحكمون
بأحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للإيذان بأن الأصل في الحكم بها وحمل
الناس على ما فيها هم النبيون وإنما الربانيون والأحبار خلفاء ونواب لهم في ذلك
كما ينبئ عنه قوله تعالى بما استحفظوا أي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة
حيث سألوهم أن يحفظوها من التغيير والتبديل على الإطلاق ولا ريب في أن ذلك
منهم عليهم السلام استخلاف لهم في إجراء أحكامها من غير إخلال بشيء منها وفي إبهامها
أولاً ثم بيانها بقوله تعالى من كتاب الله من تفخيمها وإجلالها ذاتاً وإضافة وتأكيد
إيجاب حفظها والعمل بما فيها ما لا يخفى وإيرادها بعنوان الكتاب للإيماء إلى إيجاب
حفظها عن التغيير من جهة الكتابة والباء الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على أنها
صلة له كالتي في قوله تعالى بها لئلا يلزم تعلق حرفي الجر بمعنى واحد بفعل واحد
بل على أنها سببية أي ويحكم الربانيون والأحبار أيضاً بسبب ما حفظوه من كتاب الله
حسبما وصاهم به أنبياؤهم وسألوهم أن يحفظوه وليس المراد بسببيته لحكمهم ذلك
سببيته من حيث الذات بل من حيث كونه محفوظاً فإن تعليق حكمهم بالموصول يشعر
بسببية الحفظ المترتب لا محالة على ما في حيز الصلة من الاستحفاظ له وقيل الباء
صلة لفعل مقدر يحفظون به وقوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة
أي ويحكم الربانيون والأحبار بحكم كتاب الله الذي سألهم أنبياؤهم أن يحفظوه
من التغيير وكانوا عليه شهداء أي رقباء يحمونه من أن يحوم حوله التغيير والتبديل
بوجه من الوجوه فتغيير الأسلوب لما ذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل
من قوله تعالى بها بإعادة العامل وهو بعيد ولذا جوز كون الضمير في استحفظوا للأنبياء
والربانيين والأحبار جميعاً على أن الاستحفاظ من جناب الله تعالى أي كلفهم الله تعالى
أن يحفظوه ويكونوا عليه شهداء وقوله تعالى وتقدس فلا تخشوا الناس خطاب لرؤساء
اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات وأما حكام المسلمين فيتناولهم النهي بطريق الدلالة

دون العبارة والفاء لترتيب النهي على ما فصل من حال التوراة وكونها معتنى بشأنها فيما
بين الأنبياء ومن يقتدى بهم من الربانيين والأحبار المتقدمين عملاً وحفظاً فإن ذلك
مما يوجب الاجتناب عن الإخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة عليها بأي وجه كان فضلاً
عن التحريف والتغيير ولما كان مدار جرأتهم على ذلك خشية ذي سلطان أو رغبة في
حظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحاً أي إذا كان شأنها كما ذكر فلا تخشوا الناس كائناً
من كان واقتدوا في مراعاة أحكامها وحفظها بمن قبلكم من الأنبياء وأشياعهم واخشون
في الإخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء ولا تشتروا بآياتي الاشتراء استبدال
السلعة بالثمن أي أخذها بدلاً منه لا بذل الثمن لتحصيلها كما قيل ثم استعير لأخذ شيء بدلاً
مما كان له عيناً كان أو معنى أخذاً منوطاً بالرغبة فيما أخذ والإعراض عما أعطى ونبذ كما
فصل في تفسير قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا بآياتي
التي فيها بأن تخرجوها منها أو تتركوا العمل بها وتأخذوا لأنفسكم بدلاً منها ثمناً قليلاً من
الرشوة والجاه وسائر الحظوظ الدنيوية فإنها وإن جلت قليلة مسترذلة في نفسها
لا سيما بالنسبة إلى ما فات عنهم بترك العمل بها وإنما عبر عن المشتري الذي هو العمدة في عقود
المعاوضة والمقصد الأصلي بالثمن الذي شأنه أن يكون وسيلة لتحصيله وأبرزت الآيات
التي حقها أن يتنافس فيها المتنافسون في معرض الآلات والوسائط حيث قرنت بالباء
التي تصحب الوسائل إيذاناً بمبالغتهم في التعكيس بأن جعلوا المقصد الأصلي بالثمن الذي
شأنه أن يكون الأقصى وسيلة والوسيلة الأدنى مقصداً ومن لم يحكم بما أنزل الله كائناً
من كان دون المخاطبين خاصة فإنهم مندرجون فيه اندراجاً أولياً أي ومن لم يحكم
بذلك مستهيناً به منكراً له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف آيات الله تعالى اقتضاء بيناً
فأولئك إشارة إلى من والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد فيما سبق باعتبار لفظها هم
الكافرون لاستهانتهم به وهم إما ضمير الفصل أو مبتدأ ما بعده خبره والجملة خبر لأولئك
وقد مر تفصيله في مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها أبلغ
تقرير وتحذير عن الإخلال به أشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم
بما أنزل الله فكيف وقد انضم إليه الحكم بخلافه لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه
ووضع غيره موضعه وادعاء أنه من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً وكتبنا عطف على أنزلنا التوراة
عليهم أي على الذين هادوا وقرئ وأنزل الله على بني إسرائيل فيها أي في التوراة أن النفس
بالنفس أي تقاد بها إذا قتلتها بغير حق والعين تفقأ بالعين إذا فقئت بغير حق والأنف
يجدع بالأنف المقطوع بغير حق والأذن تصلم بالأذن المقطوعة ظلماً والسن تقلع بالسن
المقلوعة بغير حق والجروح قصاص أي ذات قصاص إذا كانت بحيث تعرف المساواة عن
ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقرئ أن الجروح قصاص
وقرئ العين إلى آخر بالرفع عطفاً على محل أن النفس لأن المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس

اما الاجرا كبنا بجري قلنا وامالان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرات سورة انزلناها فمن تصدق اي من المستحقين به اي بالقصاص اي فمن عفا عنه والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة في الترغيب فيه فهو اي التصدق كفارة له اي للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فاجره على الله ومن لم يحكم بما انزل الله كائنا من كان فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمراة من اليهود تناولا اوليا بما انزل الله من الاحكام والشرائع كائنا ما كان فيدخل فيها الاحكام المحكية دخولا اوليا فاولئك هم الظالمون المبالغون في الظلم المتعدون حدوده تعالى الواضعون للشيء في غير موضعه والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة وقفينا على آثارهم شروع في بيان احكام الانجيل اثر بيان احكام التورية وهو عطف على انزلنا التورية اي اتبعنا النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه وحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه اي قفيناهم بعيسى بن مريم اي ارسلناه عقيبهم مصدقا لما بين يديه من التورية حال من عيسى عليه السلام وآتيناه الانجيل عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور كما في التورية وهو في محل النصب على انه حال من الانجيل اي كائنا فيه ذلك كانه قيل مشتملا على هدى ونور للتنجيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه داخل في حكم الحالية وتكرير ما بين يديه من التورية لزيادة التقرير وهدى وموعظة للمتقين عطف على مصدقا وانتظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى وموعظة بالمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه امر مبتدأ لهم بان يحكموا ويعملوا بما فيه من الامور التي من جملتها دلائل رسالته صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته وما قررته الشريعة الشريفة من احكامه واما احكامه المنسوخة فليس الحكم بها حكما بما انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبان احكامه ما قررته تلك الشريعة التي شهدت بصحتها كما سياتي في قوله تعالى يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل الآية وقيل هو حكاية للامر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه اي وقلنا ليحكم اهل الانجيل الخ وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كما في قوله امرت بان اكن كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل الخ وقرئ على صيغة المضارع ولام التعليل على انها متعلقة بمقدر كانه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه آتيناه اياه وقد عطف على هدى وموعظة على انهما مفعول لهما كانه قيل وللهدى

والموعظة

والموعظة آتيناه اياه وللحكم بما انزل الله ومن لم يحكم بما انزل الله منكرا له مستهينا فاولئك هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الايمان والجملة تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالامر وفيه دلالة على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع مامورا بالعمل بما فيه من الاحكام قلت او كثرت لا بما في التورية خاصة وحمله على معنى وليحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب اي الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع الاوصاف الكمالية لجنس الكتاب السماوي وتفوقه على بقية افراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا مؤكدة من الكتاب اي ملتبسا بالحق والصدق وقيل من فاعل انزلنا وقيل من الكاف في اليك وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه حال من الكتاب اي حال كونه مصدقا لما تقدمه اما من حيث انه نازل حسبما نعت فيه او من حيث انه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات الاحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار فليست في مخالفة في الحقيقة بل هي موافقة لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور دائرة الشريعة وليس في المتقدم دلالة على ابدية احكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتاخر وانما يدل على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لان النطق بصحة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى من الكتاب بيان لما واللام للجنس اذ المراد هو الكتاب السماوي وهو بهذا العنوان جنس برأسه وان كان في نفسه نوعا مخصوصا من مطلق مدلول لفظ الكتاب ومن هذا قالوا اللام للعهد لا ان ذلك لا ينتهي الى الخصوصية الفردية بل الى الخصوصية النوعية التي هي اخص من مطلق الكتاب ومطلقا هو ومن الكتاب السماوي ايضا حيث خص بما عدا القرآن ومهيمنا عليه اي رقيبا على سائر الكتب المحفوظة عن التغيير لانه يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر اصول شرائعها وما يتابد من فروعها ويعين احكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في ان تمييز احكامها الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من احكام كونه مهيمنا عليها وقرئ مهيمنا عليها على صيغة المفعول اي هومن عليه وحوفظ من التغيير لقوله عز وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ اما من جهته تعالى كما في قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او الحفاظ في الاعصار والامصار والفاء في قوله تعالى فاحكم بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كون القرآن العظيم حقا مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليه من موجبات الحكم المامور به اي اذا كان شان القرآن كما ذكر فاحكم بين

اهل الكتابين عند تحاكمهم اليك بما انزل الله اي بما انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام الشرعية الباقية في الكتب الالهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على علية ما في حيز الصلة للحكم والالتفات باظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم ولا تتبع اهواءهم الزائغة عما جاءك من الحق الذي لا محيد عنه وعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كأنه قيل لا تعدل عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله اي لا تتبع اهواءهم عادلا عما جاءك وفيه ان ما وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الاول للايماء بما في حيز الصلة من مجيء الحق الى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الاهواء وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كلام مستأنف جيء به لحمل اهل الكتابين من معاصريه عليه السلام على الانقياد لحكمه عليه السلام بما انزل اليه من القرآن الكريم ببيان انه هو الذي كلفوا العمل به دون غيره من الكتابين وانما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الامم السالفة والخطاب بطريق التلوين والالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة بجعلنا المتعدي لواحد وهو اخبار بجعل ماض لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة لما عوض عنه تنوين كل والاخير في توسط جعلنا بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات الخ والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الامم الباقية والخالية جعلنا اي عينا ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى شرعتها التي عينت لها فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التورية والتي كانت من مبعث عيسى عليه السلام الى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم شرعتهم الانجيل واما انتم ايها الموجودون فشرعتكم الفرقان ليس الا فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لكونه سبيلا موصلا الى ما هو سبب للحيوة الفانية الابدية كما ان الماء سبب للحيوة الفانية والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها شرعة للاولين ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم في شيء من الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشيئة محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اي لو شاء الله ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم ولكن ليبلوكم متعلق بمحذوف يستدعيه النظام اي ولكن لم يشأ ذلك اي ان يجعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى

المشيئة الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح ان مدار عدم المشيئة المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وعلا فاستبقوا الخيرات اي اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم في الدارين من العقائد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل والتقدم ففيه من تأكيد الترغيب في الاذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيغ ما لا يخفى وقوله تعالى الى الله مرجعكم استئناف مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد وقوله تعالى جميعا حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني للفاعل او مبني للمفعول واما الاستقرار المقدر في الجار فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اي فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم تختلفون فيه في الدنيا وانما عبر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة الاخبار وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عطف على الكتاب اي انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان انزاله تعالى اياه لتأكيد وجوب الامتثال بالامر او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم وحكاية انزال الامر بهذا الحكم بعد ما مر من الامر الصريح بذلك تأكيد له وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اي يصرفوك عن بعضه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل واظهار الاسم الجليل لتأكيد الامر بتهويل الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اي احذر فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك واعادة ما انزل الله لتأكيد التحذير بتهويل الخطب روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا اي اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اي بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفي هذا الابهام تعظيم للتولي كما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها يريد به نفسه اي نفسا كبيرة ونفسا اي نفس وان كثيرا من الناس لفاسقون اي متمردون في الكفر مصرون عليه خارجون عن الحدود المعهودة وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله افحكم الجاهلية يبغون انكار

وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفا للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي يتولون
عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتاكيد الانكار
والتعجيب لان التولي عن حكمه صلى الله عليه وسلم وطلب حكم اخر منكر عجيب وطلب حكم
الجاهلية ابنح واعجب والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى
الموجبة للميل والمداهنة في الاحكام فيكون تعيير اليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب
وعلم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي
واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روي
ان بني النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومة قتل وقعت
بينهم وبين بني قريظة طلبوا اليه عليه السلام ان يحكم بينهم بما كانوا عليه اهل
الجاهلية من التفاضل فقال عليه السلام القتلى سوا فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك
فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدا ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في
قوله تعالى اهذا الذي بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك في غير الشعر وقرئ
بتا الخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اي قل لهم افحكم
الخ وقرئ بفتح الحا والكاف اي افحكاما كحكام الجاهلية يبغون ومن احسن من
الله حكما انكار لان يكون احد حكمه احسن من حكمه تعالى او مساو له وان كان ظاهر
السبك غير متعرض لنفي المساواة وانكارها وقد مر تفصيله في نظيره قوله تعالى
ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله لقوم يوقنون اي عندهم واللام كما في هيت لك
اي هذا الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان
حكم الله عز وجل احسن الاحكام واعدلها يا ايها الذين امنوا خطاب يعم حكمه كافة
المومنين من المخلصين وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم كما سياتي ووسمهم
بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار عما نهوا عنه بقوله عز وعلا
لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا فان تذكر اتصافهم بضد صفات الفريقين
من اقوى الزواجر عن موالاتهما اي لا يتخذ احد منكم احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم
ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اوليا لكم
حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه لا يتعلق به النهي بعضهم اوليا بعض اي بعض كل فريق
من ذينك الفريقين اوليا بعض اخر واتما اوثر الاجمال في البيان تعويلا على ظهور
المراد لوضوح انتفا الموالاة بين فريقي اليهود والنصارى راسا والجملة مستانفة
مسوقة لتعليل النهي وتاكيد ايجاب الاجتناب عن المنهي عنه اي بعضهم اوليا
بعض متفقون على كلمة واحدة في كل ما ياتون وما يذرون ومن ضرورته اجماع
الكل على مضادتكم ومضارتكم بحيث يسومونكم السو ويبغونكم الغوائل فكيف
يتصور بينكم وبينهم موالاة وقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم حكم مستتبع

منه

لمه فان اتحاد الموالاة فيما بينهم يستدعي كون من يواليهم من المومنين بعين ان يكون
ذلك يكون من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمومنين عن اظهار صورة الموالاة
لهم وان لم تكن موالاة في الحقيقة وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين
تعليل لكون من يتولاهم منهم اي لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشانهم فيقعون
في الكفر والضلالة وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تنبيها على ان توليهم ظلم
لما انه تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع للشي في غير موضعه وقوله
تعالى فترى الذين في قلوبهم مرض بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يوول
اليه امرهم والفا للايذان بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما للرسول صلى
الله عليه وسلم بطريق التلوين واما لكل احد ممن له اهلية له وفيه مزيد تشنيع للتشنيع
اي لا يهديهم بل يذرهم وشانهم فتراهم الخ وانما وضع موضع الضمير الموصول ليشار
بما في حيز صلته الى ان ما ارتكبوه من التولي بسبب ما في قلوبهم من مرض النفاق ورداوة
العقد في الدين وقوله تعالى يسارعون فيهم حال من الموصول والروية بصرية
وقيل مفعول ثان والروية قلبية والاول هو الانسب بظهور نفاقهم اي تراهم
مسارعين في موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة في بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها
وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون في الموالاة وانما مسارعتهم
من بعض مراتبها الى بعض اخر منها كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات
لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم
وجنة وقرئ فيرى بيا الغيبة على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمن يصح منه الروية وقيل
الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف ان المصدرية والروية قلبية اي ويرى
القوم الذين في قلوبهم مرض ان يسارعوا فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا كما
في قول من قال • الا ايهذا الزاجري احضر الوغا • والمراد بهم عبد الله بن ابي واضرابه
الذين كانوا يسارعون في موالاة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المومنين
بانهم لا يومنون ان تصيبهم صروف الزمان وذلك قوله تعالى يقولون نخشى ان تصيبنا
دايرة وهو حال من ضمير يسارعون والدايرة من الصفات الغالبة التي لا يذكر معها موصوفها
اي يدور علينا داير من دواير الدهر ودولة من دوله بان ينقلب الامر ويكون الدولة
للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطونا
الميرة والقرض وروي ان عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني ابرا الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي
الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدواير من ولاية موالي وهم يهود
بني قينقاع ولعله يظهر للمومنين انه يريد بالدواير المعنى الاخير ويضمر في نفسه
المعنى الاول وقوله عز وجل فعسى الله ان ياتي بالفتح ومن جهة الله تعالى لعلمهم الباطل

وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم
لما ان الكريم اذا اطمع اطعم لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان بابي في محل النصب
على انه خبر عسى وهو راي الاخفش او على انه مفعول به وهو راي سيبويه لئلا
يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث في مثل عسى زيد ان يقوم والمراد بالفتح فتح مكة
قاله الكلبي والسدي وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال قتادة
ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين او امر
من عنده بقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء فيصبحوا اي اولئك المنافقون المتعللون
بما ذكر وهو عطف على ياتي داخل معه في حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود
الى اسمها فان فاء السببية مغنية عن ذلك فانها تجعل الجملتين كجملة واحدة على ما اسروا
في انفسهم نادمين وهو ما كانوا يكتمونه في انفسهم من الكفر والشك في امره صلى
الله عليه وسلم وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة الكفرة لما انه الذي
كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها فدل ذلك على ندامتهم عليها باصلها وسببها
ويقول الذين امنوا كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال الطائفة المذكورة
وقرئ بغير واو على انه جواب سؤال نشأ مما سبق كانه قيل فماذا يقول المؤمنون
حينئذ وقرئ ويقول بالنصب عطفا على فيصبحوا وقيل على ياتي باعتبار المعنى كانه
قيل فعسى ان ياتي الله بالفتح ويقول الذين امنوا والاول اوجه لان هذا القول
انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى
ويقول الذين امنوا مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون
دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند
مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون
به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم
لمعكم اي بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكي عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة
مبتداء وما بعده خبره والمعنى انكار ما فعلوه واستبعاده وتخطئتهم في ذلك او
يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين ايضا والمقصود هؤلاء الذين اقسموا مع
الكفرة انهم لمعكم والخطاب في معكم لليهود على التقديرين الا انه على الاول من
جهة المؤمنين وعلى الثاني من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها من الاعراب
لانها تفسير وحكاية لمعنى اقسموا لكن لا بالفاظهم والا لقيل انا معكم وجهد الايمان
اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون
جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولا يبالي بتعريفه لفظا لانه مؤول
بنكرة اي مجتهدين في ايمانهم او على المصدر اي اقسموا اقسام اجتهاد في اليمين
وقوله تعالى حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما جملة مستأنفة مسوقة من جهته

تعالى

تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام على المعية في المنشط والمكره
اثر الاشارة الى بطلانه بالاستفهام الانكاري واما خبر ثان للمبتداء عند من يجوز
كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او هو الخبر والموصول مع ما في
حيز صلته صفة لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجب
كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم والمعنى بطلت اعمالهم التي عملوها في شان
موالاتكم وسعوا في ذلك سعيا بليغا حيث لم تكن لكم دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعي
وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى
وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبا للبعض تعجبا من سوء حال المنافقين واغتباطا
بما من الله تعالى على انفسهم من التوفيق للاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ
الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها
في راي اعين الناس وانت خبير بان ذلك الكلام من المؤمنين انما يليق بما لو ظهر
المنافقون حينئذ خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين
ومعاضدتهم على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤس الاشهاد وبطلت
اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في راي اعين الناس المؤمنين ولا ريب في انهم يومئذ
اشد ادعاء واكثر اقساما منهم قبل ذلك فضلا عن ان يظهروا خلاف ذلك وانما
الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس ذلك علامة ظاهرة الدلالة على كفرهم
وكذبهم في ادعائهم فانهم يدعون ان ليست ندامتهم الا لما اظهروه من موالاة
الكفرة خشية اصابة الدائرة يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه وقرئ يرتدد
بالفك على لغة الحجاز والادغام لغة تميم لما نهي فيما سلف عن موالاة اليهود
والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل مصير امر
من يواليهم من المنافقين شرع في بيان حال المرتدين على الاطلاق وهذا من الكائنات
التي اخبر عنها القرآن قبل وقوعها روي انه ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة
ثلث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو
الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده فاخرج منها عمال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكتب عليه السلام الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن
فاهلكه الله تعالى على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر به المسلمون وقبض صلى الله عليه وسلم
من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب
تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب صلى الله عليه وسلم من محمد رسول
الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة

للمتنبين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل
حمزة رضي الله عنه كان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر الناس
وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث ابو بكر رضي الله عنه خالد بن الوليد
فانهزم بعد القتال الي الشام وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله عنه
فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم
قوم الفجاة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح
بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلا
المعري في كتاب استغفر واستغفري امت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا
وكذاب وكندة قوم الاشعث ابن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن
زيد وكفى الله امرهم على يدي ابو بكر وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله تعالى عنه
غسان قوم جبلة بن ايهم نصرته اللطمة وسيرته الي بلاد الروم وقصته مشهورة
وقوله عز وجل فسوف ياتي الله جواب الشرط والعايد الي اسم الشرط محذوف اي
فسوف ياتي الله مكانهم بعد اهلاكهم بقوم يحبهم اي يريد خيري الدنيا والاخرة
ومحل الجملة الجر على انها صفة لقوم وكذا قوله تعالى ويحبونه اي يريدون طاعته
ويتحرزون عن معاصيه معطوف عليها داخل في حكمها قيل هم اهل اليمن لما روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل هم الانصار
رضي الله عنه وقيل هم الفرس لما روي انه عليه السلام سئل عنهم فضرب بيده
الكريمة على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا
بالثريا لناله رجال من فارس وقيل هم الفان من النخع وخمسة الاف من كندة
وثلاثة الاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية اذلة على المومنين جمع ذليل لا ذلول
فان جمعه ذلل اي ارقاء رحماء متذللين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى اما لتضمين
معنى العطف والحنو للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المومنين خافضون
لهم اجنحتهم اولرعاية المقابلة وبين ما في قوله تعالى اعزة على الكافرين اي اشداء
متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه كما في قوله عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم وهما
صفتان اخريان لقوم ترك بينهما العاطف للدلالة على استقلالهم بالاتصاف بكل
منهما وفيه دليل على صحة تاخير الصفة الصريحة من الجملة والظرف كما في قوله تعالى
وهذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله
تعالى ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب اليه من لا يجوزه من ان قوله
تعالى يحبهم ويحبونه كلام معترض وان مبارك خبر بعد خبر او خبر لمبتدا محذوف وان
من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمتان من ضمير محدث تكلف لا يخفى وقرئ اذلة واعزة
بالنصب على الحالية من قوم لتخصيصه بالصفة يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم

مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون
لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب
في الدين وفيه تعريض بالمنافقين فانهم اذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا اولياءهم
اليهود فلا يكادون يعملون شيئا يلحقهم فيه من جهتهم لوم وقيل هو حال من فاعل
يجاهدون بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف المنافقين واعترض عليه بانهم نصوا
على ان المضارع المنفي بلا او ما كالمثبت في عدم جواز مباشرة واو الحال واللومة المرة
من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغة لا تخفى ذلك اشارة الي ما تقدم من الاوصاف
الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل فضل الله اي
لطفه واحسانه لا انهم مستقلون في الاتصاف بها يوتيه من يشاء ايتاءه اياه ووفق
لكسبه وتحصيله حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة والله واسع كثير الفواضل والالطاف
عليم مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها من هو اهل للفضل والتوفيق والجملة
اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بالعلة وتاكيد استقلال
الجملة الاعتراضية انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة
الكفرة وعلله بان بعضهم اولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمومنين وبين ان من تولاهم
يكون من جملتهم بين ههنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية كانه قيل
لا تتخذوهم اولياء لان بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انما اولياكم الله ورسوله
والمومنون فاختصوهم بالموالاة ولا تخطوهم الى الغير وانما افرد الولي مع تعدده
للايذان بان الولاية اصالة لله تعالى وولايته عليه السلام وكذا ولاية المومنين
بطريق التبعية لولايته عز وعلا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكوة صفة للذين
امنوا الجر بانه مجرى الاسم او بدل منه او نصب على المدح او رفع عليه وهم راكعون
حال من فاعل الفعلين اي يعملون ما ذكر من اقامة الصلاة وايتاء الزكوة وهم خاشعون
ومتواضعون لله تعالى قيل هو حال مخصوصة بايتاء الزكوة والركوع ركوع الصلوة
والمراد بيان كمال رغبتهم في الاحسان ومسارعتهم اليه وروي انها نزلت في علي
رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه كانه كان مرجا في خنصره
غير محتاج في اخراجه الي كثير عمل يؤدي الي فساد الصلوة ولفظ الجمع حينئذ لترغيب
الناس في مثل فعله رضي الله عنه وفيه دلالة على ان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول
الله ورسوله والذين امنوا اوثر الاظهار على ان يقال ومن يتولهم رعاية لما مر من نكتة
بيان اصالته تعالى في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى فان حزب الله هم الغالبون حيث
اضيف الحزب اليه تعالى خاصة وهو ايضا من باب وضع الظاهر موضع الضمير العايد
من اي فانهم الغالبون حزب الله وحزب الله هم الغالبون يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين
اتخذوا دينكم هزوا ولعبا قيل ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا

وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب النهي على وصف
يعمهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة وايذانا بان من هذا شانه جدير بالمعاداة
فكيف بالموالاة من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم بيان للمستهزئين والتعرض
لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم لما ان ايتاء الكتاب
وازع لهم عن استهزاء الدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم والكفار اي المشركين
خصوا به لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الاول فنيه اشعار بانهم
ليسوا بمستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب باهل الكتاب في قوله تعالى يا اهل الكتاب
هل تنقمون منا الآية وقرئ بالجر عطفا على الموصول الاخير ويعضده قراءة ابي ومن
الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين اشركوا فهم ايضا من جملة المستهزئين اولياء
وجانبوهم كل المجانبة واتقوا الله في ذلك بترك موالاتهم او بترك المناهي على
الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا ان كنتم مؤمنين اي حقا
فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا محالة واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها
اي الصلوة او المناداة وفيه دلالة على شرعية الاذان هزوا ولعبا بيان
لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الاطلاق
اظهارا لكمال شقاوتهم قيل ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول
اشهد ان محمدا رسول الله يقول احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة
بنار واهله نيام فتطايرت منها شرارة في البيت فاحرقته واهله جميعا ذلك
اي الاستهزاء المذكور بانهم بسبب انهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل
بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترءوا على تلك العظيمة قل
امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعد نهي المؤمنين عن تولي
المستهزئين بان يخاطبهم ويبين ان الدين منزه عما يصحح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء
ويظهر لهم سبب ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر اي قل لاولئك الفجرة يا اهل الكتاب
وصفوا باهلية الكتاب تمهيدا لما سياتي من تبكيتهم والزامهم بكفرهم بكتابهم
هل تنقمون منا من نقم منه كذا اذا عابه وانكره وكرهه ينقمه من حد ضرب وقرئ
بفتح القاف من حد علم وهي ايضا لغة اي ما تعيبون وما تنكرون منا الا ان آمنا
بالله وما انزل الينا من القرآن المجيد وما انزل من قبل اي من قبل انزاله من التوراة
والانجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الالهية وان اكثركم فاسقون اي متمردون
خارجون عن الايمان بما ذكر فان الكفر بالقرآن مستلزم للكفر بما يصدقه
لا محالة وهو عطف على ان آمنا على انه مفعول له لتنقمون والمفعول الذي هو
الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فان اتخاذ
الدين هزوا ولعبا عين نقمه وانكاره والايمان بما فصل عين الدين الذي هو

خلا انه ابرز في معرض علة نقمهم له تسجيلا عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث جعلوه موجبا
لنقمه مع كونه في نفسه موجبا لقبوله وارتضائه فالاستثناء من اعم العلل اي ما تنقمون
منا لعلة من العلل الا لان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل من كتبكم
ولان اكثركم متمردون غير مؤمنين بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق
بصحة كتابنا لآمنتم به واسناد الفسق الى اكثرهم لانهم الحاملون لاعقابهم على التمرد والفساد
وقيل عطف عليه على انه مفعول لتنقمون لكن لا على ان المستثنى مجموع المعطوفين بل هو
ما يلزمهما من المخالفة كانه قيل ما تنقمون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم
خارجون عنه وقيل على حذف المضاف اي واعتقاد ان اكثركم فاسقون وقيل
عطف على ما تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وانكم فاسقون وقيل
عطف على علة محذوفة اي لقلة انصافكم ولان اكثركم فاسقون وقيل الواو بمعنى مع
اي ما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم الخ وقيل هو منصوب بفعل مقدر دل عليه
المذكور اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف
اي وفسقكم معلوم او ثابت والجملة حالية او معترضة وقيل بالمكسورة والجملة مستانفة
مبينة لكون اكثرهم فاسقين متمردين قل انبئكم بشر من ذلك لما امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم ببيان ان مدار نقمهم للدين انما اشتماله على ما يوجب ارتضاءه
عندهم ايضا وكفرهم بما هو مسلم لهم امر عليه السلام عقيبه بان يبكتهم ببيان ان الحقيق
بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف وينعى عليهم في ضمن البيان جناياتهم
وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك
على ركوب متن المكابرة والعناد ويخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شان المبين
ويستدعي اقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المشوقة الى المخبر به والتنبيه المشعر
بكونه امرا خطيرا لما ان النبا هو الخبر الذي له شان وخطر وحيث كان مناط النقم
شرية المنقوم حقيقة او ما سيذكر وزيادة تقريرها قيل انما قيل ذلك لوقوعه في
عبارة المخاطبين حيث اتى نفر من اليهود فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
دينه فقال عليه السلام اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا
ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم وانما اعتبرت الشرية بالنسبة الى الدين
وهو منزه عن شائبة الشرية بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال
شريته ليثبت ان دينهم شر من كل شر اي هل اخبركم بما هو شر في الحقيقة مما يعتقدونه
شرا وان كان في نفسه خيرا محضا مثوبة عند الله اي جزاء ثابتا في حكمه وقرئ مثوبة
وهي لغة فيها كمشورة ومشورة وهي مختصة بالخير كما ان العقوبة مختصة بالشر وانما
وضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز من
بشر وقوله عز وعلا من لعنه الله وغضب عليه خبر لمبتدا محذوف بتقدير مضاف قبله

وقرئ

مناسب لما اشير اليه بكلمة ذلك اي دين من لعنه الخ او بتقدير مضاف قبلها مناسب لمن اي شر من اهل ذلك والجملة في التقدير من استئناف وقع جوابا في سؤال نشاء من الجملة الاستفهامية اما في حالها وهو الظاهر المناسب لسياق النظم الكريم واما باعتبار التقدير فيها فكانه قيل ما الذي هو شر من ذلك فقيل من لعنه الله الخ او قيل في السؤال من ذا الذي هو شر من اهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتهويل امر اللعن وما تبعه والموصول عبارة عن المخاطبين حيث ابعدهم الله تعالى من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات وسنوح البينات وجعل منهم القردة والخنازير اي مسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وجمع الضمير الراجع الى الموصول في منهم باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين الاولين باعتبار لفظه وايثار وضعه موضع ضمير الخطاب المناسب لانبئكم للقصد الى اثبات الشرية وبما عدد في حيز صلته من الامور الهائلة الموجبة لها في الطريق البرهانية مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم وعبد الطاغوت عطف على صلة من وافراد الضمير لما مر وكذا عبد الطاغوت في قراءة البناء للمفعول ورفع الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فالراجع الى الموصول محذوف في القراءتين اي عبد فيهم او بينهم وتقديمها وضمهم المذكورة اثبات شرية دينهم على وصفهم هذا مع انه الاصل المستتبع لها في الوجود وان دلالته على شرية ما يوجبها من الاعتقاد والعمل اما للقصد الى تبكيتهم من اول الامر بوصفهم بما لا سبيل لهم الى الجحود لا بشريته وفظاعته ولا باتصافهم به واما للايذان باستقلال كل من المقدم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو روعي ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه الخ لربما فهم ان علة الشرية هو المجموع وقد قيل عابد الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة في انه نعت كفطن ويقظ وكذا عبدة الطاغوت وكذا عبد الطاغوت على انه جمع عابد كخدم او في ان اصله عبدة حذفت تاؤه للاضافة بالنصب في الكل عطفا على القردة والخنازير وقرئ وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من بناء على انه مجرور بتقدير المضاف وقد ان من مجرور في انه بدل من شر في احد الوجهين المذكورين بتقدير المضاف وانت خبير بان ذلك مع اقتضائه اخلاء النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرة لا سبيل اليه قطعا ضرورة ان المقصود الاصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية بل هي كما مر مقدمة سيقت امام المقصود لهز المخاطبين وتوجيه اذهانهم نحو تلقي ما يلقى اليهم عقيبها بجملة خبرية موافقة في الكيفية للسؤال الناشئ وهو المقصود افادته وعليه يدور ذلك الالزام والتبكيت حسبما شرح فاذا جعل الموصول

بأني

بانيا في حيز صلته من تتمة الجملة الاستفهامية بل هي كما مر مقدمة سيقت امام المقصود لهز المخاطبين فاين الذين يلقى اليهم عقيبها جوابا عما نشأ منها من السؤال ليحصل به الالزام والتبكيت واما الجملة الآتية فبمعزل من صلاحية الجواب كيف لا ولا بد من موافقته في الكيفية لسؤال الناشئ من الجملة الاستفهامية وقد عرفت ان السؤال الناشئ منها يستدعي وقوع الشر من تتمة الخبر عنه لا خبرا كما في الجملة الخبرية وسيتضح ذلك مزيد اتضاح باذن الله تعالى والمراد بالطاغوت العجل وقيل هو الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله تعالى فيعم الحكم دين النصارى ايضا ويتضح وجه تأخير ذكر عبادته عن العقوبات المذكورة اذ لو قدمت عليها لتوهم اشتراك الفريقين في تلك العقوبات ولما كان مآل ما ذكر بصدد التبكيت ان ما هو شر هما نقموه دينهم او ان من هو شر من اهل ما نقموه انفسهم بحسب ما قدر من المضاف وكانت الشرية على كلا الوجهين من تتمة الموضوع غير المقصود لاثبات لدينهم او لانفسهم عقب ذلك باثباتها لهم في وجه يشعر بعلية ما ذكر من القبائح لثبوتها لهم بجملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى شهادة عليهم بكمال الشرارة والضلال وداخلة تحت الامر تأكيدا للالزام وتشديدا للتبكيت شر مكانا فاسم الاشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة اي اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل شر مكانا اي منصرفا واضل عن سواء السبيل عطف على شر مقرر له اي اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في الموضعين للزيادة مطلقا لا بالاضافة الى من يشاركهم في اصل الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المسلمين اي اذا جاؤكم اظهروا الايمان بالاسلام وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا بما فيها من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت لائحة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه ويتوقع ان يظهره الله تعالى ولذلك والله اعلم بما كانوا يكتمون اي من الكفر وفيه وعيد شديد وترى خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية كثيرا منهم من اليهود والمنافقين قوله تعالى يسارعون في الاثم حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول انسب بظاهر وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمباشرة للشيء بسرعة وايثار كلمة في على كلمة الى [illegible] في قوله تعالى وسارعوا

الى مفترع آخر لما ذكر في قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون فيهم والمراد بالاثم الكذب في الابتلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الآثام والعدوان اي الظلم المتعدي الى الغير او مجاوزة الحد في المعاصي واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الاثم للمبالغة في التقبيح لبئس ما كانوا يعملون اي لبئس شيئا كانوا يعملونه والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار لولا ينهاهم الربانيون والاحبار قال الحسن رحمه الله الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التورية وقيل كلهم في اليهود وهو تحضيض للذين يقتدي بهم افناؤهم ويعلمون قباحة ما هم فيه وسوء مغبته على نهي اسافلهم عن ذلك مع توبيخ لهم على تركه عن قولهم الاثم واكلهم السحت مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما لبئس ما كانوا يصنعون وهذا ابلغ مما قيل في حق عامتهم لما ان العمل لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه مما ينعي العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها اشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها وقالت اليهود قال ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والضحاك ان الله تعالى قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله تعالى بان كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازورا يد الله مغلولة وحيث لم ينكر عليه الآخرون ورضوا به نسبة تلك العظيمة الى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا فانما القاتل واحد منهم وارادوا بذلك لعنهم الله تعالى انه سبحانه ممسك يقتر بالرزق فان كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات يد وغل او بسط الا ترى انهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في

جاد الحمى بسط اليدين بوابل • شكرت نداه تلاعه ووهاده

ولقد سلك لبيد هذا المسلك السديد حيث قال ـــ

وغداة ريح قد شهدت وقرة • اذ اصبحت بيد الشمال زمامها

فانه انما اراد بذلك اثبات القدرة التامة للشمال في التصرف في القرة كيفما تشاء على طريقة الحان من غير ان يخطر بباله ان يثبت لها يدا او للقرة زماما واصله كناية فيجوز عليه ارادة المعنى الحقيقي كما مر في قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة في سورة آل عمران وقيل ارادوا ما حكى عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم دعاء عليهم بالبخل المذموم والمسكنة او بالغل والنكد او بغل الايدي حقيقة بان يكونوا اسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا الى النار باغلالها في الآخرة فيكون المطابقة حينئذ من حيث اللفظ وملاحظة الحقيقي الاصلي كما في سبني سب الله دابره ولعنوا

الدعاء الاول اي ابعدوا من رحمة الله تعالى بما قالوا اي بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وقيل كلا ما اخبر به بل يداه مبسوطتان عطف على مقدر يقتضيه المقام اي كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود واليه اشير بتثنية اليد فان اقصى ما ينتهي اليه همم الاسخياء ان يعطوا ما يعطونه بكلتا يديهم وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتي الدنيا والآخرة وقيل على اعطائه اكراما وعلى اعطائه استدراجا ينفق كيف يشاء جملة مستأنفة واردة لتأكيد كمال جوده والتنبيه على سر ما ابتلوا به من الضيق الذي اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة الى الاجتراء على تلك الكلمة العظيمة والمعنى ان ذلك ليس لقصور في فيضه بل لان انفاقه تابع لمشيئته المبنية على الحكم التي عليها يدور امر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شؤم المعاصي ان يضيق عليهم كما يشير اليه ما سيأتي من قوله عز وعلا ولو انهم اقاموا التورية والانجيل الآية وكيف ظرف ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير ينفق كائنا على اي حال يشاء اي كائنا على مشيئته اي مريدا وترك ذكر ما ينفقه لقصد التعميم وليزيدن كثيرا منهم وهم علماؤهم ورؤساؤهم ما انزل اليك من القرآن المشتمل على هذه الآيات وتقديم المفعول للاعتناء وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما ان بعضهم ليس كذلك من ربك متعلق بانزل كما ان اليك كذلك وتأخيره عنه مع ان حق المبدأ ان يتقدم على المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول اليه عليه السلام كما في قوله تعالى وانزل لكم من السماء ماء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام طغيانا وكفرا مفعول ثان للزيادة اي ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم وكفرا على كفرهم القديمين اما من حيث الشدة والغلو واما من حيث الكم والكثرة اذ كلما نزلت آية كفروا بها ويزدادوا طغيانهم وكفرهم من الاحصاء على امر نبوته بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضا والقينا بينهم اي بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجئة وبعضهم مشبهة العداوة والبغضاء فلا يكاد يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم والجملة مبتدأة مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدي الى الاضرار بالمسلمين قيل العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض بلا عكس كلي الى يوم القيمة متعلق بالقينا وقيل بالبغضاء كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله تصريح بما اشير اليه من عدم وصول غائلة ما هم فيه الى المسلمين اي كلما ارادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك كل صعب وذلول ردهم الله تعالى وقهرهم او كلما ارادوا اضرار احد غلبوا فانهم لما خالفوا احكام التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا

عليهم المسلمين وللحرب اما صلة لاوقدوا او متعلق بمحذوف وقع صفة لنارا اي كائنة
للحرب ويسعون في الارض فسادا اي يجتهدون في الكيد للاسلام واهله واثارة الشر
والفتنة فيما بينهم مما يغاير ما عبر عنه بايقاد نار الحرب وفسادا اما مفعول له او في
موقع المصدر اي يسعون للفساد او يسعون سعي فساد والله لا يحب المفسدين ولذلك
اطفأ نائرة افسادهم واللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد ووضع
المظهر مقام المضمر للتعليل وبيان كونهم راسخين في الافساد ولو ان اهل الكتاب اي
اليهود والنصارى على ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وانما ذكروا
بذلك العنوان تاكيدا للتشنيع فان اهلية الكتاب توجب ايمانهم به واقامتهم له لا محالة
فكفرهم به وعدم اقامتهم له وهم اهله اقبح من كل قبيح واشنع من كل شنيع مفعول
قوله تعالى آمنوا محذوف ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا
الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون وما لحق
قوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية الخ اي لو انهم مع ما صدر عنهم من فنون
الجنايات قولا وفعلا آمنوا بما نعي عليهم الايمان به فيندرج فيه فرضا ايمانهم برسول
الله صلى الله عليه وسلم واما ارادة ايمانهم به عليه السلام خاصة فيأباه المقام
لان ما ذكر فيما سبق وما لحق من كفرهم به عليه السلام مستلزم للكفر بكتابهم ايضا
قصدا الى الالزام والتبكيت ببيان ان الكفر به عليه السلام مستلزم للكفر بكتابهم فحمل
الايمان ههنا على الايمان به عليه السلام خاصة مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم
واتقوا ما عددنا من معاصيهم التي من جملتها مخالفة كتابهم لكفرنا عنهم سيئاتهم التي اقترفوها
وان كانت في غاية العظم ونهاية الكثرة ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم مع ذلك جنات النعيم
وتكرير اللام لتاكيد الوعد وفيه تنبيه على عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وان الاسلام يجب
ما قبله من السيئات وان جلت وجاوزت كل حد معهود ولو انهم اقاموا التورية والانجيل
بمراعاة ما فيهما من الاحكام التي من جملتها شواهد نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ومبادي
بعثته فان اقامتهما انما تكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من الاحكام لانتساخ بعضها
بنزول القران فليس مراعاة الكل من اقامتهما في شيء وما انزل اليهم من ربهم من القران
المجيد المصدق لكتبهم وايراده بهذا العنوان للايذان بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم
وللتصريح ببطلان ما كانوا يدعونه من عدم نزوله الى بني اسرائيل وتقديم اليهم
لما مر من قبل وفي اضافة الرب الى ضميرهم مزيد لطف بهم في الدعوة الى الاقامة وقيل
المراد بما انزل اليهم كتب الانبياء من بني اسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب حبقوق وكتاب
دانيال فانها مملوة بالبشارة ببعثته صلى الله عليه وسلم كذا في اللباب لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم اي لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض او بان
يكثر ثمرات الاشجار وغلال الزروع او بان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل

منها من رؤوس الاشجار ويلتقطوا ما تساقط منها على الارض وقيل المراد المبالغة
في شرح السعة والخصب لا تعيين الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول كلوا
محذوف لقصد التعميم او للقصد الى نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع ومن
في الموضعين لابتداء الغاية وفي ما بين الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من الايمان
والتقوى والاقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الاخلال به بما
ذكر ببيان افضائه الى الحرمان عنها وتنبيههم على ان ما اصابهم من الضنك والضيق
انما هو من شوم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض ما لا يخفى منهم امة مقتصدة
جملة مستانفة مبنية على سؤال نشأ من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع
الدالتين على انتفاء الايمان والاتقاء واقامة الكتب المنزلة من اهل الكتاب كانه
قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الايمان الخ فقيل منهم امة مقتصدة
اما على ان منهم مبتدا باعتبار مضمونه اي بعضهم امة واما بتقدير الموصوف اي
بعض كائن منهم كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الاية اي طائفة
معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وثمانية واربعون من النصارى
وقيل طائفة حالهم امم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير منهم مبتدا
لتخصصه بالصفة خبره ساء ما يعملون اي مقول في حقهم هذا القول اي بئسما يعملون
وفيه معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض
عنه والافراط في العداوة وهم الاجلاف المتعصبون ككعب بن الاشرف واشباهه
والروم يا ايها الرسول نودي عليه الصلوة والسلام بعنوان الرسالة تشريفا له
وايذانا بانها من موجبات الاتيان بما امر به من تبليغ ما اوحي اليه بلغ ما انزل
اليك اي جميع ما انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان وفي قوله تعالى
من ربك اي مالك امرك ومبلغك الى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عليه السلام
اي بلغه غير مراقب في ذلك احدا ولا خائف ان ينالك مكروه ابدا وان لم
تفعل اي ما امرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله تعالى فما بلغت
رسالته فان ما لا يتعلق به الاحكام اصلا من الاسرار خفية مما يقصد تبليغه الى الناس
اي فما بلغت شيئا من رسالته وانحطت مما شرفت به من عنوان الرسالة بالمرة لما ان
بعضها ليس اولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان
من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك
في حكم شيء واحد ولا ريب في ان الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به
ولا كتمان بعضها اضاعة لما ادي منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة
ينتقض بذلك وقيل فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعا
من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت

رسالاتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كتمت اية لم تبلغ رسالاتي روي عن رسول
الله صلي الله عليه وسلم بعثني الله برسالاتي فضقت بها ذرعا فاوحي الله الي ان لم تبلغ
رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالي والله يعصمك من الناس
فانه كما تري عدة كريمة بعصمته من لحوق ضررهم بروحه العزيز باعثة له عليه السلام
علي الجد في تحقيق ما امر به من التبليغ غير مكترث بعداوتهم وكيدهم وعن انس
رضي الله عنه كان يحرس حتي نزلت فاخرج راسه من قبة ادم عليه السلام فقال
انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله تعالي ان الله لا يهدي
القوم الكافرين تعليل لعصمته تعالي له عليه السلام اي لا يمكنهم مما يريدون
بك من الاضرار وايراد الاية الكريمة في تضاعيف الايات الواردة في حق اهل
الكتاب لما ان الكل قوارع يسوء الكفار سماعها ويشق علي الرسول صلي الله عليه
وسلم مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها من النص الناعي عليهم كمال ضلالهم ولذلك
اعيد الامر فقيل قل يا اهل الكتاب مخاطبا للفريقين لستم علي شيء اي دين يعتد
به ويليق بان يسمي شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفي هذا التعبير
من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه حتي تقيموا التورية والانجيل اي تراعوهما
وتحافظوا علي ما فيهما من الامور التي من جملتها دلايل رسالة الرسول صلي الله
عليه وسلم وشواهد نبوته فان اقامتهما انما تكون بذلك واما مراعاة احكامهما
المنسوخة فليست من اقامتهما في شيء بل هي تعطيل لهما ورد لشهادتهما لانهما شاهدان
بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وخروجها
عن كونها من احكامهما وان احكامهما ما قرره النبي الذي بشر فيهما ببعثته وذكر
في تضاعيفهما نعوته فان اقامتهما بيان شواهد النبوة والعمل بما قرره الشريعة
من الاحكام كما يفصح عنه قوله تعالي وما انزل اليكم من ربكم اي القران المجيد
بالايمان به فان اقامة الجميع لا يتاتي بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين علي اقامته
مع انه المقصود بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده
بعنوان الانزال اليهم لما مر من التصريح بانهم مامورون باقامته والايمان به
لا كما يزعمونه من اختصاصه بالعرب وفي اضافة الرب الي ضميرهم ما اشير اليه
من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء اسرائيل كما مر
وقيل الكتب الالهية فانها باسرها امرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة
بوجوب الطاعة له روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان جماعة من اليهود قالوا
لرسول الله صلي الله عليه وسلم الست تقر ان التورية من عند الله تعالي فقال
عليه السلام بلي فقالوا فانا نؤمن بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت وقوله تعالي
وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا جملة مستانفة مبينة

لشدة شكيمتهم وغلوهم في المكابرة والعناد وعدم افادة التبليغ نفعا وتصديرها
بالقسم لتاكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير المذكور علماؤهم ورؤساؤهم
ونسبة الانزال الي رسول الله صلي الله عليه وسلم مع نسبته فيما مر اليهم للايذان
عن انسلاخهم عن تلك النسبة فلا تاس علي القوم الكافرين اي لا تتاسف ولا تحزن
عليهم لافراطهم في الطغيان والكفر بما تبلغه اليهم فان غائلة ذلك اليهم وتبعته
حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ووضع المظهر موضع
المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر ان الذين امنوا كلام مستانف مسوق لترغيب
من عدا المذكورين في الايمان والعمل الصالح اي الذين امنوا بالسنتهم فقط وهم
المنافقون وقيل اعم من ان يواطيها قلوبهم او لا والذين هادوا اي دخلوا في
اليهودية والصابيون والنصاري جمع نصران وقد مر تفصيله في سورة البقرة
قوله تعالي والصابيون رفع علي الابتدا وخبره محذوف والنية به التاخير
عما في حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصاري كيت وكيت
والصابيون كذلك كقوله ° فاني وقيار بها لغريب ° وقوله
° والا فاعلموا انا وانتم ° بغاة ما بقينا في شقاق ° خلا انه وسط بين اسم ان
وخبرها دلالة علي ان الصابيين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث قبلت
توبتهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولي بذلك وقيل الجملة الاتية
خبر للمبتدا المذكور وخبر ان مقدر كما في قوله نحن بما عندنا وانت بما ° عندك راض
والراي مختلف ° وقيل والنصاري مرفوع علي الابتداء كقوله تعالي والصابيون
عطفا عليه وهو مع خبره عطف علي الجملة المصدرة بان ولا مساغ لعطفه وحده علي
محل ان واسمها لاشتراط ذلك بالفراغ عن الخبر والا لارتفع الخبر بان والابتدا معا
واعتذر عنه بان ذلك اذا كان المذكور خبرا لهما واما اذا كان خبر المعطوف محذوفا
فلا محذور فيه ولا علي الضمير في هادوا لعدم التاكيد والفصل ولاستلزامه
كون الصابيين هودا وقري والصابيون بياء صريحة وبتخفيف الهمزة وقري
والصابون وهو من صبا بصبو لانهم صبوا الي اتباع الهوي والشهوات في دينهم
وقري والصابيين   يا ايها الذين امنوا والذين هادوا والصابون وقوله
تعالي من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا اما في محل الرفع علي انه مبتدا خبره
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والفاء لتضمن المبتدا معني الشرط وجمع الضماير
الاخيرة باعتبار معني الموصول كما ان افرادها في صلته باعتبار لفظه والجملة
خبر ان والعايد الي اسمها محذوف اي من امن منهم واما في محل النصب علي انه بدل
من اسم ان وما عطف عليه والخبر قوله تعالي فلا خوف والفاء كما في قوله عز وعلا
ان الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم فالمعني علي

تقدير كون المراد بالذين آمنوا المنافقين وهو الاظهر من احدث من هذه الطوائف
ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللائق لا كما يزعمه اهل الكتاب فان ذلك
بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بهما فلا
خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون
في تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء
دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان
دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واما على تقدير
كون المراد بالذين آمنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين
فالمراد بمن آمن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبداء والمعاد على الاطلاق
سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كما هو شان المخلصين او بطريق
احداثه وانشائه كما هو حال من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة
التعميم للمخلصين المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تاخرهم في
الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام واما ما قيل
المعنى من كان منهم في دينه قبل ان نسخ مصدقا بقلبه بالمبداء والمعاد
عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه اصلا كما مر تفصيله في سورة البقرة
لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل كلام مبتدأ مسوق لبيان بعض آخر من جناياتهم
المنادية باستبعاد الايمان منهم اي وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر
الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التورية وارسلنا اليهم رسلا ذوي عدد
كثير واولي شان خطير ليقرروهم في مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما يأتون
وما يذرون بالعظة والتذكير وقوله تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى
انفسهم جملة شرطية مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار باخذ
الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كانه قيل فماذا فعلوا بالرسل
فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل بما لا تحبه انفسهم المنهمكة في الغي
والفساد من الاحكام الحقة والشرائع عصوه وعادوه وقوله تعالى فريقا
كذبوا وفريقا يقتلون جواب مستانف عن استفسار كيفية ما اظهروه من آثار
المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كانه قيل كيف فعلوا بهم
فريقا منهم كذبوا من غير ان يتعرضوا لهم بشيء آخر من المضار وفريقا آخر
منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على
حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجيب منها وللتنبيه على ان ذلك
ديدنهم المستمرة للمحافظة على رؤس الآي الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين
للاهتمام به وتشويق السامع الى ما فعلوا به لا للقصر هذا واما جعل الشرطية صفة

لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا يساعده المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة
او صلة يتعين ما فيها من الحكم ويجعل عنوانا للموصوف وتتمة له في اثبات امر آخر له ولذلك
يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعله وصفا له ومن
ههنا قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب في ان
ما سيق له النظم انما هو بيان انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل او التكذيب
حسبما يفيده جعلها استئنافا فانه في ابلغ وجه واكده لا بيان انه تعالى ارسل اليهم رسلا
موصوفين بكون كل منهم كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة وحسبوا ان لا تكون فتنة اي
حسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم من الله تعالى بما اتوا من الداهية الدهيا والخطة الشنعاء
بلاء وعذاب وقرئ لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان المحذوف
واصله انه لا تكون فتنة وتعليق فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال
قوته وان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتب
ما بعدها على ما قبلها اي امنوا بأس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا
عن الدين بعد ما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا لهم مناهجه الواضحة وصموا
عن استماع الحق الذي القوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة الى المرة الاولى
من مرتي افساد بني اسرائيل حين خالفوا احكام التورية وركبوا المحارم وقتلوا شعيا وقيل
حبسوا ارميا عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل فانها وان كانت معصية عظيمة
ناشئة عن كمال العمى والصمم لكنها في عصر موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما
فعلوا بالرسل الذين جاؤهم بعده عليه السلام باعصار ثم تاب الله عليهم حين تابوا ورجعوا
عما كانوا عليه من الفساد بعد ما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بخت نصر اسارى في
غاية الذل والمهانة فوجه الله تعالى عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت
المقدس ليعمره ونجى بقايا بني اسرائيل من اسر بخت نصر بعد مهلكه وردهم الى وطنهم
وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلثين سنة فكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه
قيل لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف القى الله عز وجل في قلبه
شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم دانيال فاستولوا على من كان فيها من اتباع
بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى احسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله
تعالى ثم رددنا لكم الكرة عليهم واما ما قيل ان المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فقد
عرفت ان ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يسند التوبة اليهم كسائر احوالهم من الحسبان
والعمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها في ضمن بيان توبته
تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها بقوله تعالى ثم عموا وصموا وهو اشارة الى المرة
الاخيرة من مرتي افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليه السلام

لا إلى طلبهم الرؤية كما قيل لما عرفت سره فإن فنون الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد
تتناهى خلا أن انحصار ما حكي عنهم ههنا في المرتين وترتبه في حكاية ما فعلوا بالرسل
عليهم السلام يقضي بأن المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وقرئ عموا وصموا
بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم أي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته
إذا ضربته بالنيزك وركبته إذا ضربته بركبتك وقوله تعالى كثير منهم بدل من الضمير
في الفعلين وقيل خبر مبتدأ محذوف أي أولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون
أي بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة
ورعاية للفواصل والجملة تذييل أشير إلى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب
من حيث لم يحتسبوا إشارة إجمالية اكتفي بها تعويلا على ما فصل نوع تفصيل في سورة
بني إسرائيل والمعنى حسبوا أن لا يصيبهم عذاب ففعلوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة
المستوجبة لأشد العقوبات والله بصير بتفاصيلها فكيف لا يؤاخذهم بها ومن أين لهم
ذلك الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الأولى حيث سلط الله تعالى عليهم
بخت نصر عامل لهراسب على بابل وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من أهل
نينوى والأول هو الأظهر فاستولى على بيت المقدس فقتل من أهله أربعين ألفا
ممن يقرأ التوراة وذهب بالبقية إلى أرضه فبقوا هناك في أقصى ما يكون من الذل
والنكد إلى أن أحدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وعلا إلى ما حكي عنهم من حسن الحال
ثم عادوا إلى المرة الآخرة من الإفساد فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل
من ملوك الطوائف اسمه خودرزود وقيل خردوس ففعل بهم ما فعل قيل دخل
صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا
فقال ما صدقوني فقتل عليه ألوفا منهم ثم قال إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحدا فقالوا
إنه دم يحيى عليه الصلاة والسلام فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثم قال يا يحيى
قد علم ربي وربكم ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ بإذن الله تعالى قبل أن لا أبقي أحدا
منهم فهدأ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم شروع في تفصيل قبائح النصارى
وإبطال أقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا إن مريم
ولدت إلها وقيل هم الملكانية والمار يعقوبية منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا
ومعنى هذا أن الله تعالى حل في ذات عيسى واتحد بذاته تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقال
المسيح حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم للمسيح
وعدم انزجارهم عما أصروا عليه بما أوعدهم به أي قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطبا
لهم يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم فإني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم
إنه أي الشأن من يشرك بالله أي شيئا في عبادته أو فيما يختص به من صفات الألوهية
فقد حرم الله عليه الجنة فلن يدخلها أبدا كما لا يصل المحرم عليه المحرم فإنها دار الموحدين

والإظهار

وإظهار الاسم الجليل في موقع الإضمار لتهويل الأمر وتربية المهابة ومأواه النار فإنها
هي المعدة للمشركين وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب إثر بيان حرمانهم الثواب وما للظالمين
من أنصار أي ما لهم من أحد ينصرهم بإنقاذهم من النار إما بطريق المغالبة أو بطريق الشفاعة
والجمع لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام إما للعهد والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد
في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وإما للجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا ووضعه
في الأول موضع الضمير للتسجيل عليهم بأنهم ظلموا بالإشراك وعدلوا عن طريق الحق
والجملة تذييل مقرر لما قبله وهو إما من تمام كلام عيسى عليه السلام وإما وارد من جهته
تعالى تأكيدا لمقالة عليه السلام وتقريرا لمضمونها وقد قيل إنه من كلامه عز وجل
على معنى أنهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا في عيسى عليه السلام فلذلك
لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وأنكره وإن كانوا معظمين له بذلك من
مقداره ومن قول عيسى عليه السلام على معنى لا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم
عليه لاستحالته وبعده عن المعقول واستجيز بأن التعبير عما حكي عنه عليه السلام
من مقابلته لقولهم الباطل بصريح الرد والإنكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار
بمجرد عدم مساعدته في ذلك ونفي نصرته له مع خلوه عن الفائدة تصوير للقوي
بصورة الضعيف وتهوين للخطب في مقام تهويله بل ربما يوهم ذلك بحسب الظاهر
ما لا يليق بشأنه عليه السلام من توهم المساعدة والنصرة لا سيما ملاحظة قوله تعالى
وإن كانوا معظمين له إلخ الآن حمل الكلام على التهكم بهم وكذا الحال في تقدير كونه
من تمام كلامه عليه السلام فإن زجره إياهم عن قولهم الفاسد بما ذكر من عدم النصر
والمساعد بعد زجره إياهم بما مر من الرد الأكيد والوعيد الشديد بمعزل من الإفادة
والتأثير ولا سبيل ههنا إلى الاعتذار بالتهكم لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة
شروع في بيان كفر طائفة أخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع أربعة ونحوه
أحد هذه الأعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور أن ينصب
ما بعده بأن يقال ثالث ثلاثة ورابع أربعة وإنما ينصبه إذا كان ما بعده دونه
بمرتبة كما في قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية قيل إنهم يقولون إن الإلهية مشتركة
بين الله سبحانه وتعالى ومريم وكل واحد من هؤلاء إله ويؤكده قوله تعالى للمسيح
أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله فقوله تعالى ثالث ثلاثة أي
أحد ثلاثة آلهة وهو المتبادر من قوله تعالى وما من إله إلا إله واحد أي والحال
أنه ليس في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث إنه مبدأ جميع الموجودات
إلا إله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وقيل
إنهم يقولون الله جوهر واحد ثلاثة أقانيم أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم روح
القدس وإنهم يريدون بالأول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث

الحيوة بمعنى وقوله تعالى وما من اله الا اله واحد بالذات منزه عن شائبة التعدد بوجه
من الوجوه وان لم ينتهوا عما يقولون من الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى ليمسن الذين
كفروا جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط اي وبالله ان لم ينتهوا ليمسنهم وانما
وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن في قوله تعالى منهم
بيانية اي ليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر او تبعيضية وانما جي بالفعل
المنبي عن الحدوث تنبيها على ان الاستمرار عليه بعد ورود ما ينحي عليه بالقلع من نص عيسى
عليه السلام وغيره كفر جديد وغلو زايد على ما كانوا عليه من اصل الكفر عذاب اليم اي نوع
شديد الالم من العذاب والهمزة الاستفهام في قوله تعالى افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم والفاء للعطف على
مقدر يقتضيه المقام اي الا ينتهون عن تلك العقايد الزايغة والاقاويل الباطلة فلا
يتوبون الى الله الحق ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول
فمدار الانكار والتعجيب عدم الانتها وعدم التوبة معا او ايسمعون هذه الشهادات المكررة
والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك فمدارهما عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها
من سماع تلك القوارع الهايلة وقوله عز وجل والله غفور رحيم جملة حالية من فاعل
يستغفرونه موكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم الى الاستغفار
اي والحال انه تعالى مبالغ في المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله ما المسيح
ابن مريم الا رسول استيناف مسوق لتحقيق الحق الذي لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله
عليه السلام وحال امه بالاشارة اولا الى اشرف ما لهما من نعوت الكمال التي بها صارتا
من زمرة اكمل افراد الجنس اخرا الى الوصف المشترك بينهما وبين جميع افراد البشر بل افراد الحيوان
استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليهما وارشادا لهم الى التوبة والاستغفار
اي هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول
منبئة عن اتصافه بما ينافي الالوهية فان خلو الرسل السالفة عليهم السلام منذ يخلوه
المقتضي لاستحالة الالوهية اي ما هو الا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى
ببعض من الايات حسبما خص كلا منهم ببعض اخر منها فان احيي الموتى على يده فقد احيى العصا في
يد موسى وجعلت حية تسعى وهو اعجب منه وان خلق من غير اب ولا ام وهو اغرب منه وكل
ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى مظاهر لشئونه وافعاله وامه صديقة اي وما امه
ايضا الا كسائر النسا اللاتي يلازمن الصدق والتصديق ويبالغن في الاتصاف به فما رتبتهما
الا رتبة بشرين احدهما نبي والاخر صحابي فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف به سائر
الانبيا وخواصهم كانا ياكلان الطعام استيناف مبين لما اشير اليه من كونهما كسائر افراد
البشر في الاحتياج الى ما يحتاج اليه كل فرد من افراده بل من افراد الحيوان وقوله عز
وجل انظر كيف نبين لهم الايات تعجيب من حال الذين يدعون لهما الربوبية ولا يرعوون

عن ذلك

عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف معمول
لنبين والجملة في حيز النصب معلقة لانظر اي انظر كيف نبين لهم الايات الباهرة
المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال ثم انظر انى يوفكون
اي كيف يصرفون عن استماعها والتامل فيها والكلام فيه كما في قبله وتكرير الامر
بالنظر للمبالغة في التعجيب وثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت اي ان بياننا للايات
امر بديع في بابه بالغ لاقصى الغايات القاصية من التحقيق والايضاح واعراضهم
عنها مع انتفا ما يصححه بالمرة وتعاضد ما يوجب قبولها اعجب وابدع قل امر له
صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم اتعبدون من دون الله
اي متجاوزين اياه وقوله تعالى ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا لما
مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عليه
السلام وايثاره على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الالوهية راسا
ببيان انتظامه عليه السلام في سلك الاشياء التي لا قدرة لها على شيء اصلا وهو
عليه السلام وان كان يملك ذلك بتمليكه تعالى اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا
يملك مثل ما يضر به الله تعالى من البلايا والمصايب وما ينفع به من الصحة والسعة وتقديم
الضر على النفع لان التحرز عنه اهم من تحري النفع ولان ادنى درجات التاثير دفع
الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى والله هو السميع العليم حال من فاعل اتعبدون
موكدة للانكار والتوبيخ ومقررة للالزام والتبكيت والرابط هو الواو اي اتشركون
بالله تعالى ما لا يقدر على شي من ضركم ونفعكم والحال ان الله تعالى هو المختص بالاحاطة
التامة بجميع المسموعات والمعلومات التي من جملتها ما انتم عليه من الاقوال الباطلة والعقايد الزايغة
والاعمال السيئة بالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التي من جملتها مضاركم ومنافعكم
في الدنيا والاخرة قل يا اهل الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له الى فريقي اهل الكتاب
على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ابطال مسلك كل منهما للمبالغة في زجرهم
عما سلكوه من المسلك الباطل الى الامم ابتدا لا تغلوا في دينكم اي لا تجاوزوا الحد وهو
نهي للنصارى عن رفع عيسى عن رتبة الرسالة الى ما تقولوا في حقه من العظيمة وللهود
عن وضعهم له عليه السلام عن رتبته العلية الى ما تقولوا عليه من الكلمة الشنعاء ومكر
هو خاص بالنصارى كما في سورة النسا فذكرهم بعنوان اهلية الكتاب لتذكير ان الانجيل
ايضا ينهاهم عن الغلو وقوله تعالى غير الحق نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي لا
تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا او حال من ضمير الفاعل اي لا تغلوا مجاوزين
الحق او من دينكم اي لا تغلوا في دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثنا المتصل
وقيل على المنقطع ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل هم اسلافهم وائمتهم الذين
قد ضلوا من الفريقين او من النصارى في القولين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم

في شريعتهم وَاضلوا كثيرا اي قوما كثيرا ممن شايعهم في الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا او المفعول محذوف وَضلوا عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتوضيح محجة الحق وتبيين مناهج الاسلام عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى الحق العقل والثاني الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا اي لعنهم الله عز وجل وبناء الفعل للمفعول للجري على سنن الكبرياء من بني اسرائيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من فاعل كفروا وقوله تعالى على لسان داود وعيسى ابن مريم متعلق بلعن اي لعنهم الله تعالى في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت دعا عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعدما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ما فيهم امراة ولا صبي ذلك اشارة الى اللعن المذكور وايثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه عن نظايره وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته في الشناعة والهول وهو مبتدا خبره قوله تعالى بما عصوا وكانوا يعتدون والجملة مستانفة واقعة موقع الجواب عما نشا من الكلام كانه قيل باي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهايل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وينبئ عنه قوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فانه استيناف مفيد لعبارة الاستمرار عدم التناهي عن المنكر ولا يمكن استمراره الا باستمرار تعاطي المنكرات وليس المراد بالتناهي ان ينهى كل واحد منهم الاخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور بصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن اشخاص متعددة من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما في تراأوا الهلال وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه فالجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء مفيدة لاستمرارهما صريحا وعلى الاول مفيدة لاستمرار انتفاء النهي عن المنكر بان لا يوجد فيما بينهم من يتولاه في وقت من الاوقات ومن ضرورته استمرار فعل المنكر حسبما سبق وعلى كل تقدير فافراده تنكير المنكر من الوحدة نوعية لا شخصية فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي في تعلق النهي به لما ان متعلق الفعل انما هو فرد من افراد ما يتعلق به النهي والانتهاء من مطلق المنكر باعتبار تحققه في ضمن اي فرد كان من افراده على ان المعنى المعتبر في الصفة انما هو بالنسبة الى زمان النزول لا الى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة الى تقدير المعاودة او المثل او جعل الفعل عبارة عن الارادة على ان المعاودة كالنهي لا تتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير الى احد ما ذكر من الوجهين او الى تقدير المثل او الى جعل الفعل عبارة عن ارادته

وفي

وفي كل ذلك تعسف لا يخفى لبئس ما كانوا يفعلون تقبيح لسوء اعمالهم وتعجيب منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد اداهم الى ما شرح من اللعن الكبير وليس في تسبيبه بذلك دلالة على خروج كفرهم عن السببية مع الاشارة الى سببيته له فيما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا فان اجراء الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له لما ان ما ذكر في حيز السببية مشتمل على كفرهم ايضا ترى كثيرا منهم اي من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والرؤية بصرية وقوله تعالى يتولون الذين كفروا حال من كثيرا لكونه موصوفا اي يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل من منافقي اهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم لبئس ما قدمت لهم انفسهم لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على كمال التعلق والارتباط بينهما كانهما شيء واحد ومبالغة في الذم اي موجب سخطه تعالى ومحله الرفع على الابتداء والجملة قبله خبره والرابط عند من يشترطه هو العموم او لا حاجة اليه لان الجملة عين المبتدا او على انه خبر لمبتدا محذوف ينبئ عنه الجملة المتقدمة كانه قيل ما هو او اي شيء هو فقيل هو ان سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل الرفع بالفاعلية لفعل الذم وقدمت لهم انفسهم جملة في محل الرفع على انها صفة للمخصوص بالذم قايمة مقامه والتقدير لبئس الشيء شيء قدمت لهم انفسهم فقوله تعالى ان سخط الله عليهم بدل من المخصوص وهذا مذهب سيبويه وفي العذاب اي عذاب جهنم هم خالدون ابد الابدين ولو كانوا اي الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب يؤمنون بالله والنبي اي نبيهم وما انزل اليه من الكتاب او لو كان المنافقون يؤمنون بالله ونبينا ايمانا صحيحا ما اتخذوهم اي الكفرة او اليهود اولياء فان الايمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم او متمردون في النفاق مفرطون فيه لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا جملة مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبايح اليهود وعراقتهم في الكفر وسائر احوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للمشركين اكدت بالتوكيد القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد صالح له ايذانا بان حالهم مما لا يخفى على احد من الناس فالوجدان متعد الى اثنين احدهما اشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لانهما في الاصل مبتدا وخبر ومصب الخبر هو الفايدة لا المبتدا ولا ضير في التقديم والتاخير اذا دل على الترتيب دليل وههنا دليل واضح عليه وهو ان المقصود بيان كون الطايفتين اشد الناس عداوة للمؤمنين لا كون اشدهم عداوة لهم الطايفتين المذكورتين وانت خبير بانه مع ما فيه من الدلالة على ذلك كيف لا والافادة في الصورة الثانية اتم واكمل مع خلوها عن تعسف التقديم

والتاخير اذ المعني انك ان قصدت ان تعرف من اشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال الطوايف طرا واحطت بما لديهم خبرا وبالغت في تعرف احوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في تطلب ما عندهم من الامور البارزة والكامنة لتجدن لا شدة هذه الطايفتين لا غيرهما والّلام الداخلة في الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها مؤنثة بالتاء لانها مبنية عليها كما في قوله ومهبة عقابك وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة اي كاينة للذين امنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الانبياء والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لط في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص **ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا** اعيد الموصول مع صلته روما لزيادة التوضيح والبيان **الذين قالوا انا نصارى** عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار الله واوداء اهل الحق وان لم يظهروا اعتقاد حقية الاسلام وعلى هذه النكتة تبني الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم والكلام في مفعولي لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيا واحدا قد تفاوتا فيه بالشدة والضعف او بالقرب والبعد بان يقال اقرب ولتجدن اضعفهم عداوة الخ او بان يقال او لا لتجدن ابعد الناس مودة الخ للايذان بكمال تباين ان احدهما في اقصى مراتب النقيضين والاخر في اقرب مراتب النقيض الاخر **ذلك** اي كونهم اقرب مودة للمؤمنين **بان منهم** اي بسبب ان منهم **قسيسين** وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساوهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشيء اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه سمي عالم النصارى لتتبعه العلم وقيل قص الاثر وقسه بمعنى وقيل انه اعجمي وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل ضيعت النصارى الانجيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل دينه فمن راعى هديه ودينه قيل له قسيس **ورهبانا** جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع وانشد فيه قول من قال • لو عاينت رهبان دير في قلل • لاقبل الرهبان يعدو ونزل • والترهب التعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف والتنكير لافادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في القسيسين ايضا اذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة لجنس بخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها والا فمن اليهود ايضا قوم مهتدون الا يرى الى عبد الله بن سلام واضرابه قال تعالى من اهل الكتاب امة قايمة يتلون الكتاب ايات الله اناء الليل وهم يسجدون الى اخره لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة

كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم الى جنس اليهود **وانهم لا يستكبرون** عطف على ان منهم اي وبانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع افراد الجنس فسببيتها لاقربيتهم مودة للمؤمنين واضحة وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان ذلك من كافر **واذا سمعوا ما انزل الى الرسول** عطف على لا يستكبرون اي ذلك بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض من الدمع عند سماع القران وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم ابايهم اياه **ترى اعينهم تفيض من الدمع** اي تمتلي بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها **مما عرفوا من الحق** من الاولى لابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول اي ابتداء الفيض ونشا من معرفة الحق وحصل من اجله وبسببه ويحتمل ان يكون الثانية تبعيضية لان ما عرفوه بعض الحق وحيث ابكاهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقروا القران واحاطوا بالسنة وقرى ترى اعينهم على صيغة المبني للمفعول **ربنا امنا** بهذا او بمن انزل هذا عليه او بهما وقيل حال من الضمير في عرفوا او من الضمير المجرور في اعينهم لما ان المضاف جزوه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا **فاكتبنا مع الشاهدين** اي الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او مع امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وانما قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك **وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق** كلام مستانف قالوه تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب انتفايه ونفيه بالكلية على ان قوله لا نؤمن حال من الضمير في لنا والعامل ما فيه من الاستقرار اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب والمسبب جميعا كما في قوله تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني ونظايره لا الى السبب فقط مع تحقق المسبب كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وامثاله فان همزة الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما في اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما في اتضرب ابي كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما في الاية الثانية وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق قد انكر ونفي سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان الى المسبب ايضا كما في الاية الاولى فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض وقوله تعالى **ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين** حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتداء والعامل فيها هو العامل في الاولى مقيدا بها اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين او من الضمير في لا نؤمن على معنى انهم انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المؤمنين وقيل معطوف على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكور

فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده وقرئ
فاتاهم الله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين اي
الذين احسنوا النظر والعمل والذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روي
انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه
ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر القسيسين والرهبان فامر جعفرا
ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلثين
او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم
سورة مريم فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم
عطف التكذيب بآيات الله تعالى على الكفر مع انه ضرب منه لما ان القصد الى بيان
حال المكذبين وذكرهم بمقابلة المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها
الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه لما تضمن ما قبله
من مدح النصارى على الترهب ترغيب المومنين في كسر النفس ورفض الشهوات
عقب ذلك بالنهي عن الافراط في الباب اي لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا
حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه فبالغ واشبع الكلام في الانذار
فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين
قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب
ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا
فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم
وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت ولا تعتدوا اي ولا تعتدوا حدود
ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات
اعتداء وظلما فنهى عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده
عقيبه او اريد ولا تعتدوا بذلك ان الله لا يحب المعتدين تعليل لما قبله وكلوا مما
رزقكم الله حلالا طيبا اي ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما
رزقكم اما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة او متعلق بكلوا ومن للابتداء او هو
المفعول وحلالا حال من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف اي اكلا
حلالا وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة
واتقوا الله الذي انتم به مومنون تاكيد للوصية بما امر به فان الايمان به
تعالى يوجب المبالغة في التقوى والانتهاء عما نهى عنه لا يواخذكم الله في ايمانكم
اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف على شيء يظن انه كذلك

وليس كما يظن وهو قول مجاهد وقيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما
نزل النهي قالوا فكيف بايماننا فنزلت وعند الشافعي رحمه الله ما يبدو من المرء من غير
قصد كقوله [illegible] لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضي الله عنها وفي ايمانكم صلة يواخذكم
او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان اي بتعقيدكم الايمان
وتوثيقها بالقصد والنية والمعنى ولكن يواخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم
فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ عاقدتم بمعنى عقدتم فكفارته اي فكفارة نكثه وهي
الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهره على جواز التكفير
قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله عليه السلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت
الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم اي من
اقصده في النوع او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين ومحله النصب لانه صفة مفعول
محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون او الرفع على انه
بدل من اطعام واهلون جمع اهل كارضون جمع ارض وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة
من يسكنها في الحالات الثلاث كالالف وهو ايضا جمع اهل كالاراضي في جمع ارض والليالي
في جمع ليل وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او على محل من اوسط على تقدير كونه بدلا
من اطعام وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار وقرئ بضم
الكاف وهي لغة كقدوة في قدوة واسوة في اسوة وقرئ او كاسوتهم على ان الكاف
في محل الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا
تواسون بينهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة اي او اعتاق انسان كيف ما كان
وشرط الشافعي لابري السواد نجحه رحمه الله فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى
او ايجاب احدى الخصال مطلقا وخيار التعيين للمكلف فمن لم يجد اي شيئا من الامور المذكورة
فصيام اي فكفارته صيام ثلاثة ايام والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلاثة ايام متتابعات والتابع
لابري التواد نجحه ذلك اي الذي ذكر كفارة ايمانكم اذا حلفتم اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم
بان تضنوا بها ولا تبذلوها كما يشعر به قوله تعالى اذا حلفتم وقيل بان تبروا فيها ما استطعتم
ولم يفت بها خيرا وبان تكفروها اذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا
بها كذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتي لا الى تبيين آخر مفهوم مما سبق والكاف مقحمة
لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
واصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت
الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا اي ذلك البيان البديع يبين الله لكم آياته اعلام شريعته واحكامه
لا بيانا ادنى منه وتقديم لكم على المفعول لما مر مرارا لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل

عليكم الحرج يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام المنصوبة للعبادة
والازلام سلف تفسيرها في اوايل السورة الكريمة رجس مدر بعاف عنه العقول وافراده
لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوفة ثقة بالمذكور والمضاف محذوف اي شان الخمر
والميسر من عمل الشيطان في محل الرفع على انه صفة رجس اي كاين من عمله لانه مسبب من
تسويله وتزيينه فاجتنبوه اي الرجس او ما ذكر لعلكم تفلحون اي راجين فلاحكم وقيل
كي تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون في سورة البقرة ولقد اكد
تحريم الخمر والميسر في هذه الاية الكريمة بفنون التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا بالاصنام
والازلام وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت وامر بالاجتناب عن
عينهما وجعل ذلك سببا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك ببيان
ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقيل انما يريد الشيطان ان يوقع
بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيوية ويصدكم عن ذكر الله
وعن الصلوة اشارة الى مفاسدهما الدينية وتخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما
من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان حالهما وذكر الاصنام والازلام للدلالة على
انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص
الصلوة بالافراد مع دخولها في الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن
الايمان لما انها عماده ثم اعيد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من
اصناف الصوارف فقيل فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في الزجر والتحذير وكشف
ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية واطيعوا
الله واطيعوا الرسول عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما في جميع ما امرا به ونهيا عنه واحذروا
اي مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا اوليا فان
توليتم اي اعرضتم عن الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة
الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاحتراز عن مخالفتهما فاعلموا انما على رسولنا
البلاغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة الرسالة اي خروج وقامت
عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل وما بقي بعد ذلك الا العقاب وفيه من
عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا بتوليكم
الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالايات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين
اعرضتم عما كلفتموه فلا يناسب المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء انهم بتوليهم يضرونه صلى الله
عليه وسلم حتى يرد عليهم بانهم لا يضرونه عليه السلام وانما يضرون انفسهم ليس على الذين امنوا
وعملوا الصالحات جناح اي اثم وحرج فيما طعموا اي تناولوا اكلا وشربا فان استعماله في
الشرب ايضا مستفيض منه قوله تعالى ومن لم يطعمه فانه مني قيل لما انزل الله تعالى تحريم

بعد غزوة

بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اصيب فلان يوم بدر
وفلان يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية اخرى لما نزل تحريم الخمر
والميسر قالت الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر
واكلوا القمار فنزلت وليست كلمة ما في طعموا عبارة عن المباحات خاصة والا لزم تقييد
اباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات لقوله تعالى اذا ما اتقوا واللازم منتف بالضرورة
بل هي على عمومها موصولة كانت او موصوفة وانما تخصصت بذلك القيد الطاري عليها
والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من الماكول والمشروب كائنا ما كان اذا اتقوا ان
يكون في ذلك شيء من المحرمات والا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه ولا
محذور فيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل بان لا يكون فيه محرم لا تقييد اباحة بعضه
باتقاء بعض اخر كما هو اللازم من الاول وامنوا وعملوا الصالحات اي واستمروا على
الايمان والاعمال الصالحة وقوله تعالى ثم اتقوا اي ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان
مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقاء في كل مرة اباحة كل ما طعموه في ذلك الوقت
لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه حينئذ واحسنوا اي عملوا الاعمال
الحسنة الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه
المرات بالذكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان التعدد والتكرر بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا
اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان والاعمال الصالحة وكانوا
في طاعة الله ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيء من المباحات
اتقوه ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس
فيها شيء محرم عند طعمه وانت خبير بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات الجميلة
المذكورة لا دخل لها في انتفاء الجناح وانما ذكرت في حيز اذا شهادة باتصاف
الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم وقد اشير الى ذلك
حيث جعلت تلك الصفات تبعا للاتقاء في كل مرة تمييزا بينها وبين ما له دخل في
الحكم فان مساق النظم الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما
ذكر من النعوت فيما سياتي بقضية كلمة اذا ما لكنه قد اخرج مخرج الجواب عن حال
الماضين لاثبات الحكم في حقهم في ضمن التشريع الكلي على الوجه البرهاني بطريق
دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها فكانه قيل ليس عليهم جناح
فيما طعموه اذ كانوا في طاعته تعالى مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما امروا بشيء
تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر في حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك
ولو حرما في عصرهم لاتقوهما بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الاوقات
الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه
وبين الناس وبينه وبين الله عز وجل ولذلك جيء بالاحسان في الكرة الثالثة بدل

الإيمان إشارة إلى ما قاله صلى الله عليه وسلم في تفسيره أو باعتبار المراتب الثلاث
المبدأ والوسط والمنتهى أو باعتبار ما يتقى فإنه ينبغي أن يترك المحرمات توقيا من
العقاب والشبهات توقيا من الوقوع في الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن
الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة وقيل التكرير لمجرد التأكيد كما في قوله تعالى
كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره وقيل المراد بالأول اتقاء الكفر
وبالثاني اتقاء الكبائر وبالثالث الصغائر ولا ريب في أنه لا تعلق لهذه الاعتبارات
بالمقام فأحسن التأمل والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله أبلغ تقرير
يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله جواب قسم محذوف أي والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم
ليتعرف أحوالكم بشيء من الصيد أي من صيد البر مأكولا أو غير مأكول ما عدا
المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله تعالى بالصيد
وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها أخذا
بأيديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى تناله أيديكم ورماحكم فهموا بأخذها
فنزلت وروي أنه عن لهم حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه وقتله
فقيل له قتلته وأنت محرم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عن ذلك
فأنزل الله تعالى الآية فالتأكيد القسمي في ليبلونكم إنما هو لتحقيق أن ما وقع من عدم
توحش الصيد عنهم ليس إلا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل
الابتلاء وتنكير شيء للتحقير المؤذن بأن ذلك ليس من الفتن الهائلة التي تزل فيها أقدام
الراسخين كالابتلاء بقتل الأنفس وإتلاف الأموال وإنما هو من قبيل ما ابتلي به أهل
أيلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على أن من لم يتثبت في مثل هذا كيف يتثبت
عند شدائد المحن فمن في قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا أي بشيء حقير هو الصيد
وجعلها تبعيضية يقتضي اعتبار قلته وحقارته بالنسبة إلى عظائم البلايا فيعرى
الكلام عن التنبيه المذكور ليعلم الله من يخافه بالغيب أي ليتميز الخائف من عقابه
الأخروي وهو غائب مترقب لقوة إيمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه كذلك لضعف
إيمانه فيقدم عليه وإنما عبر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم له إيذانا بمدارية الجزاء ثوابا
وعقابا فإنه أدخل في حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه تعالى بمن يخافه بالفعل
وهو الذي يدور عليه أمر الجزاء إنما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف
محذوف والتقدير ليعلم أولياء الله وقرئ ليعلم من الإعلام على حذف المفعول الأول
أي ليعلم الله عباده الخ والعلم على القراءتين متعد إلى واحد وإظهار الاسم الجليل في موقع
الإضمار لتربية المهابة وإدخال الروعة فمن اعتدى بعد ذلك أي بعد بيان أن ما
وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه أو النهي عنه كما قاله بعضهم إذ النهي
والتحريم ليس أمرا حادثا يترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره الآخرون

لأن

لأن نفس الابتلاء لا يصلح مدارا لتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا
لتخفيفه وإنما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لا يصلح مدارا لأن الاعتداء بعد ذلك
مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه
وخشيته بالكلية أي فمن تعرض للصيد بعد ما بينا أن ما وقع من كثرة الصيد وعدم
توحشه منهم ابتلاء مؤد إلى تمييز المطيع من العاصي فله عذاب أليم لما ذكر من أنه
مكابرة محضة ولأن من لا يملك زمام نفسه ولا يراعي حكم الله تعالى في أمثال هذه البلايا
الهينة لا يكاد يراعيه في عظائم المداحض والمراد بالعذاب الأليم عذاب الدارين
قال ابن عباس رضي الله عنهما يوسع ظهره وبطنه جلدا وينزع ثيابه يا أيها الذين
آمنوا شروع في بيان ما يتدارك به الاعتداء من الأحكام إثر بيان ما يلحقه من العذاب
والتصريح بالنهي وقوله تعالى لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم مع كونه معلوما لا سيما في
وقوله تعالى غير محلي الصيد وأنتم حرم لتأكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه واللام
في الصيد للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم وإن كان في الحل وفي حكمه
من في الحرم وإن كان حلالا كردح جمع رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا أي لا
تقتلوه وأنتم محرمون ومن قتله أي الصيد المعهود وذكر القتل في الموضعين دون الذبح
للإيذان بكونه في حكم الميتة منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله أي كائنا منكم
متعمدا حال منه أيضا أي ذاكرا لإحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد
مع أن محظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ لما أن الآية نزلت في المتعمد كما مر
من قصة أبي اليسر ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ وعن الزهري
نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير رحمه الله لا أرى في
الخطأ شيئا أخذا باشتراط التعمد في الآية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن أن
المراد بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان الإحرام أما إذا قتله عمدا وهو ذاكر لإحرامه
فلا حكم عليه وأمره إلى الله عز وجل لأنه أعظم من أن يكون له كفارة فجزاء مثل ما قتل
برفعهما أي فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الأول ونصب الثاني على إعمال المصدر
وقرئ بجر الثاني على إضافته إلى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبرية
وقرئ بنصبهما على فليجز جزاء أو فعليه أن يجزي جزاء مثل ما قتل والمراد به عند
أبي حنيفة وأبي يوسف رحمهما الله المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد أو في
أقرب الأماكن إليه فإن بلغت قيمته قيمة هدي يخير الجاني بين أن يشتري بها ما قيمته
قيمة الصيد فيهديه إلى الحرم وبين أن يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع
من بر أو صاعا من غيره وبين أن يصوم عن طعام كل مسكين يوما فإن فضل ما لا يبلغ
طعام مسكين تصدق به أو صام عنه يوما كاملا إذ لم يعهد في الشرع صوم ما دونه
فيكون قوله تعالى من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة على أحد وجوه التخيير فإن من

نعم ذلك يصدق عليه انه جزي بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعي رضي الله
عنهما ومن يرى رايهما هو المثل باعتبار الخلقة والهياة لان الله تعالى اوجب مثل
المقتول مقيدا بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضي
الله عنهم انهم اوجبوا في النعامة بدنة وفي الظبي شاة وفي حمار الوحش بقرة
وفي الارنب عناقا وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الضبع صيد وفيه شاة
اذا اصابه المحرم ولنا ان النص اوجب المثل والمثل المطلق في الكتاب والسنة واجماع
الامة والمعقول يراد به اما المثل صورة ومعنى واما المثل صورة بلا معنى فلا اعتبار
له في الشرع اصلا واذ لم يمكن ارادة الاول اجماعا تعينت ارادة الثاني لكونه معهودا
في الشرع كما في حقوق العباد الا يرى ان المماثلة بين افراد نوع واحد مع كونها
في غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع ولم يجعل الحيوان عند الاتلاف مضمونا
بفرد اخر من نوعه مماثل له في عامة الاوصاف بل مضمونا بقيمته مع ان المنصوص
عليه في امثاله انما هو المثل قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
بحيث لم تعتبر تلك المماثلة القوية مع تيسر معرفتها وسهولة مراعاتها فلان لا تعتبر
ما بين افراد انواع مختلفة من المماثلة الضعيفة الخفية مع صعوبة ماخذها وعسر
المحافظة عليها اولى واحرى ولان القيمة قد اريدت فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق
غيره مرادا اذ لا عموم للمشترك في مواضع الاثبات والمراد بالمروي ايجاب النظير اعتبارا
للقيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الاصلي للجناية والجزاء المماثل للمقتول انما هو قيمته
لكن لا باعتبار ان يعطى الجاني الى الفقير فيصرفها الى المصارف ابتداء بل باعتبار جعلها
معيارا فيتعدى بها احدى الخصال الثلاث فيقيمها مقامها فقوله تعالى مثل ما قتل
وصف لازم للجزاء غير مفارق عنه بحال واما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر
في ثاني الحال بناء على وصف الاول الذي هو المعيار له ولما بعده من الطعام والصيام
فحقهما ان يعطفا على الوصف المفارق لا على الوصف اللازم فضلا على العطف
على الموصوف كما سياتي باذن الله تعالى ومما يرشدك الى ان المراد بالمثل هو القيمة
قوله عز وجل يحكم به اي بمثل ما قتل ذوا عدل منكم اي حكمان عادلان من المسلمين
لكن لا لان التقويم هو الذي يحتاج الى النظر والاجتهاد من العدول دون الاشياء
المشاهدة التي يستوي في معرفتها كل احد من الناس فان ذلك ناشئ من الغفلة عما
ارادوا بما به المماثلة بل لان ما جعلوه مدار المماثلة بين الصيد وبين النعم من ضرب
مشاكلة ومضاهاة في بعض الاوصاف والهيآت مع تحقق التباين بينهما في بقية الاحوال
مما لا يهتدي اليه من اساطين ائمة الاجتهاد وصناديد اهل الهداية والارشاد
الا المؤيدون بالقوة القدسية الا يرى ان الامام الشافعي اوجب في قتل الحمامة شاة
بناء على ما اثبت بينهما من المماثلة من حيث ان كلا منهما يعب ويهدر مع ان النسبة بينهما

الخنـ...

من سائر الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف يفوض معرفة امثال هذه الدقايق العويصة
الى راي عدلين من احاد الناس على ان الحكم بهذا المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص
فبعد ما عين بمقابلة كل نوع من انواع الصيد نوع من انواع النعم يتم الحكم ولا يبقى عند
وقوع خصوصيات الحوادث حاجة الى حكم اصلا وقرئ يحكم به ذو عدل على ارادة جنس
العادل دون الوحدة وقيل على ارادة الامام والجملة صفة لجزاء او حال منه
لتخصصه بالصفة وقوله تعالى هديا حال مقدرة من الضمير في به او من جزاء لما ذكر من
تخصصه بالصفة او بدل من مثل فيمن نصبه او من محله فيمن جره او نصب على المصدر اي
يهديه هديا والجملة صفة اخرى لجزاء بالغ الكعبة صفة لهديا لان الاضافة غير حقيقية
او كفارة عطف على محل من النعم على انه خبر مبتدا محذوف اي هي طعام والجملة صفة
ثانية لجزاء كما اشير اليه بقوله تعالى طعام مساكين عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه
بالمعارف او بدل منه او خبر مبتدا محذوف اي هي طعام مساكين وقوله تعالى او عدل
ذلك صياما عطف على طعام الخ كانه قيل فعليه جزاء مماثل للمقتول هو من النعم او طعام
مساكين او صيام ايام بعددهم فحينئذ يكون المماثلة وصفا لازما للجزاء يقدر به الهدي
والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما الثاني فبواسطة الثاني فيختار
الجاني كلا منها بدلا من الاخرين هذا وقد قيل ان قوله تعالى او كفارة عطف على جزاء
فلا يبقى ح في النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام والالتجاء الى القياس في الهدي تعف
لا يخفى هذا في قراءة جزاء بالرفع وفي ساير القراءات فقوله تعالى او كفارة خبر مبتدا محذوف
والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرئ او كفارة طعام مساكين بالاضافة لتبيين
نوع الكفارة وقرئ طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ
او عدل بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام
وعدله ما عدل به في المقدار كان المفتوح يسميه بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك
اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل والخيار في ذلك للجاني عند ابي حنيفة رحمه
الله تعالى وللحكمين عند مالك رحمه الله تعالى ليذوق وبال امره متعلق بالاستقرار في
الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق الخ وقيل بفعل يدل عليه الكلام كانه قيل شرع
ذلك عليه ليذوق وبال امره اي سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال في الاصل
المكروه والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فاخذناه
اخذا وبيلا ومنه الطعام الوبيل وهو الذي لا يستمرؤه المعدة عفا الله عما سلف من قتل
الصيد محرما قبل ان يسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل عما سلف منه في الجاهلية لانهم
كانوا متعبدين بشرايع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد بعد النهي
عنه وهو محرم فينتقم الله منه خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت
الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا اي فذلك لا يخاف الخ وقوله تعالى

ومن كفر فاسقه اي فانا انتقم والمراد بالانتقام التعذيب في الآخرة واما الكفارة فعن
عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن انها واجبة في العايد وعن ابن عباس رضي الله
عنهما وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر والله عزيز غالب لا يغالب ذو انتقام شديد
فينتقم ممن اصر في المعصية والاعتداء احل لكم الخطاب للمحرمين صيد البحر اي ما يصاد في
المياه كلها بحرا كان او نهرا او غديرا وهو ما لا يعيش الا في الماء ماكولا او غير ماكول
وطعامه اي مما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى احل لكم التعرض لجميع
ما يصاد في المياه والانتفاع به واكل ما يوكل منه وهو السمك عندنا وعند ابن ابي ليلى جميع
ما يصاد فيه في ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه وقرئ
وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه او نضب عنه متاعا لكم نصب
في انه مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة في قوله تعالى ووهبنا له اسحق
ويعقوب نافلة حال مختص بيعقوب عليه السلام اي احل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم
ياكلونه طريا وللسيارة منكم يتزودونه قديدا وقرئ نصب في انه مصدر موكد لفعل
مقدر اي متعكم به متاعا وقيل موكد لمعنى احل لكم فانه في قوة متعكم به تمتيعا
كقوله تعالى كتاب الله عليكم وحرم عليكم صيد البر وقرئ في بناء الفعل للفاعل ونصب
صيد البر وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء ما دمتم
حرما اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب حرمة ما صاده
الحلال على المحرم وان لم يكن له فيه مدخل وهو قول عمر وابن عباس رضي الله عنهم
وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انه يحل له اكل ما صاده الحلال
وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب
ابي حنيفة لان الخطاب للمحرمين فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه
مصيد غيرهم وعند مالك والشافعي واحمد رحمهم الله تعالى لا يباح ما صيد له واتقوا
الله فيما نهاكم عنه او في جميع المعاصي التي من جملتها ذلك الذي اليه تحشرون لا الى غيره
حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه جعل الله الكعبة قال مجاهد سميت كعبة
لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البنا وقيل لارتفاعها من الارض ونتوها وقوله
تعالى البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما تجي الصفة كذلك وقيل
الجعل بمعنى الانشاء والخلق وهو حال كما مر ومعنى كونه قياما لهم انه مدار القيام
امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب لانتعاشهم في امور معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف
ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجارة ويتوجه اليه الحجاج والعمار وقرئ قيما في انه
مصدر في وزن شبع اعل عينه بما اعل في فعله والشهر الحرام اي الذي يودي فيه الحج
وهو ذو الحجة وقيل جنس الشهر الحرام وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثاني
محذوف ثقة بما مر اي وجعل الشهر الحرام والهدي والقلايد وهي ايضا قياما لهم والمراد

القلايد

والقلايد ذوات القلايد وهي البدن خصت بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبها الحج بها
اظهر ذلك اشارة الى الجعل المذكور خاصة او مع ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره
ومحله النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو العامل في اللام بعده اي شرع ذلك
لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان تشريع هذه الشرايع المستتبعة لدفع المضار
الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية والاخروية من اوضح الدلايل
في حكمة الشارع وعدم خروج شيء من علمه المحيط وقوله تعالى والله بكل شيء عليم
تعميم اثر تخصيص للتاكيد ويجوز ان يراد بما في السموات والارض الاعيان الموجودة
فيهما وبكل شيء الامور المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والاحوال التي هي
من قبيل المعاني اعلموا ان الله شديد العقاب وعيد لمن انتهك محارمه او اصر على ذلك
وقوله تعالى وان الله غفور رحيم وعد لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى او اقلع
عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر ما على الرسول الا البلاغ تشديد
في ايجاب القيام بما امر به اي الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه
وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفريط والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون فيواخذكم بذلك نقيرا وقطميرا قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام
في نفي المساواة عند الله تعالى بين الرديء من الاشخاص والاعمال والاموال وبين جيدها
قصد به الترغيب في جيد كل منها والتحذير عن رديها وان كان سبب النزول شريح
بن ضبيعة البكري الذي مرت قصته في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا
تحلوا شعاير الله الخ وقيل نزل في رجل سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر
كانت تجارتي واني اعتقدت من بيعها مالا فهل ينفعني من ذلك المال ان عملت فيه
بطاعة الله تعالى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان انفقته في حج او جهاد او صدقة
لم يعدل جناح بعوضة ان الله تعالى لا يقبل الا الطيب وقال عطاء والحسن رحمهما الله
الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للاشعار من اول الامر
بان القصور الذي ينبي عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابله فان مفهوم عدم الاستواء
فيه لا في بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب قصور الزايد
الزايد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر كما في قوله تعالى هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لما ان صلته ملكة لصلة المفضول
ولو اعجبك كثرة الخبيث اي وان سرك كثرته والخطاب لكل واحد من الذين امر النبي صلى
الله عليه وسلم بخطابهم والواو لعطف الشرطية في مثلها المقدرة وقيل للحال وقد
اي لو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبتك وكلتاهما في موضع الحال من فاعل لا يستوي اي
لا يستويان كاينين في كل حال مفروض كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اي
احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اليك اي كاينا في كل حال مفروض وقد حذفت الاولى

حذ فاطرد الدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه اولى وعلى هذا السر يدور ما في لو وان الوصليتين من المبالغة والتأكيد وجواب لو محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلها عليه وسيأتي تمام تحقيقه في مواقع عديدة باذن الله عز وجل فاتقوا الله يا اولي الالباب اي في تحري الخبيث وان كثر وآثروا عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان اخبث لعلكم تفلحون راجين ان تنالوا الفلاح يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء هو اسم جمع على راي الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفاء وقصباء اصله شيئاء بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت الصرف لالف التأنيث الممدودة وقيل هو جمع شيء على انه مخفف من شيّء كهين مخفف من هيّن والاصل اشيئاء كاهوناء بزنة افعلاء فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتي للتأنيث اذ الالف كالهمزة فخففت الكلمة بان قلبت الهمزة الاولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت اشيياء فاجتمعت ياءان اولاهما عين الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت اشياء ووزنها افلاء ومنعت الصرف لالف التأنيث وقيل انما حذفت من اشياء الياء المنقلبة من الهمزة التي هي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم الف الجمع فوزنها افعاء وقوله ان تبد لكم تسؤكم صفة لاشياء داعية الى الانتهاء عن السؤال عنها وحيث كانت المساءة في هذه الشرطية معلقة بابدائها لا بالسؤال عنها عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لابدائها الموجب للمحذور قطعا فقيل وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم اي تلك الاشياء الموجبة للمساءة بالوحي كما ينبئ عنه تقييد السؤال بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويغمهم من التكاليف الصعبة التي لا يطيقون بها والاسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما ان السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم الادب واجترائهم على المسألة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشأنهم من الاستسلام لامر الله عز وجل من غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته اي لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيكم من نحو تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها حسبما اوحي اليه لم تطيقوا بها ونحو بعض امور مستورة تكرهون بدوها وذلك مثل ما روي عن علي كرم الله وجهه انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بني اسد يقال له عكاشة بن محصن وقيل هو سراقة بن مالك فقال افي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد مسألته ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت

ولو

ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ومثل ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنهما انه سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حتى احفوه في المسألة فقام عليه السلام مغضبا خطيبا فحمد الله واثنى عليه وقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا بينته لكم فاشفق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون بين يدي امر قد حضر قال انس فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا اجد رجلا الا وهو لاف رأسه في ثوبه يبكي فقال رجل من قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة بن قيس الزهري وقام آخر وقال اين ابي قال عليه السلام في النار ثم قام عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا نبيا نعوذ بالله من الفتن انا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم عفا الله عنها استئناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها في نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفا عنها وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسألة المدلول عليها بلا تسألوا اي عفا الله تعالى عن مسائلكم السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج في كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية بسائر مسائلكم فلا تعودوا الى مثلها واما جعله صفة اخرى لاشياء على ان الضمير لها بمعنى لا تسألوا عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلفكم بها فمما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد فرض اولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو وان يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب وقيل جعله وصفا له وكلاهما ضروري الانتفاء قطعا على انه يستدعي اختصاص النهي بمسألة الحج ونحوها ان سلم وقوعها مع ان النظم الكريم صريح في انه مسوق للنهي عن السؤال عن الاشياء التي يسوءهم ابداؤها سواء كانت من قبيل الاحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم بانشائها وايجابها بسبب السؤال عقوبة وتشديدا كمسألة الحج لولا عفوه تعالى عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل السؤال الموجبة للمساءة بالاخبار بها كمسألة من قال اين ابي ان قلت تلك الاشياء غير موجبة للمساءة البتة بل هي محتملة لايجاب المسرة ايضا لان ايجابها للاولى ان كان من حيث وجودها فهي من حيث عدمها موجبة للاخرى قطعا وليست احدى الحيثيتين محققة عند السائل بل غرضه من السؤال ظهورها كيف كانت بل ظهورها من حيثية ايجابها المسرة قلت لتحقيق المنهي كما ستعرفه مع ما فيه من تأكيد النهي وتشديده لان تلك الحيثية هي الموجبة للانتهاء والانزجار لا حيثية ايجابها للمسرة ولا حيثية ترددها بين الايجابين ان قيل الشرطية الثانية ناطقة بان السؤال عن تلك الاشياء الموجبة للمساءة مستلزم لابدائها البتة كما مر فلم تخلف الابداء عن

السؤال في مسئلة الحج حيث لم يفرض في كل عام قلنا لو وقع السؤال قبل وقوع النهي وما ذكر في الشرطية إنما هو السؤال الواقع بعد وروده إذ هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا تخلف فيه فإن **قيل** ما ذكرته إنما يتمشى فيما إذا كان السؤال عن الأمور المترددة بين الوقوع وعدمه كما ذكر من التكاليف الشاقة وأما إذا كان عن الأمور الواقعة قبله فلا يكاد يتسنى لأن ما يتعلق به الإبداء هو الذي وقع في نفس الأمر ولا مرد له سواء كان السؤال قبل النهي أو بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المساءة كما في مسئلة عبد الله بن حذافة فيكون هو الذي يتعلق به الإبداء لا غير فيتعين التخلف قطعا حتما قلنا لا احتمال للتخلف فضلا عن التعين فإن المنهي عنه في الحقيقة إنما هو السؤال عن الأشياء الموجبة للمساءة الواقعة في نفس الأمر قبل السؤال كسؤال من قال أين أبي لا عما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل للوقوع عند المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع **وجملة** الكلام أن مدلول النظم الكريم بطريق العبارة إنما هو النهي عن السؤال عن الأشياء التي يوجب إبداؤها المساءة البتة إما بأن يكون تلك الأشياء بعرضية الوقوع فتبدى عند السؤال بطريق الإنشاء عقوبة وتشديدا كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة وإما بأن تكون واقعة في نفس الأمر فتبدى عنده بطريق الإخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا ومنشأ توهمه عدم الفرق بين المنهي عنه وبين غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود أو بعرضية الوجود من تلك الأشياء في نفس الأمر وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل احتمال الوجود والعدم وفائدة هذا الإبهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الأشياء على الإطلاق حذارا إبداء المكروه والله غفور حليم اعتراض تذييلي مقرر لعفوه تعالى أي مبالغ في مغفرة الذنوب والإغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم قد سألها قوم أي سأل هذه المسئلة لكن لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير من قبلكم متعلق بسألها ثم أصبحوا بها أي بسببها أو عن جوابها كافرين فإن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم في أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وإبطال لما ابتدعه أهل الجاهلية حيث كانوا إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وكان يقول إذا قدمت من سفري أو برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها **وقيل** كان الرجل إذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء

ولا مرعى

ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عدي إلى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتأكيد النفي فإن الجعل التكويني كما يجيء تارة متعديا إلى مفعولين وأخرى إلى واحد كذلك الجعل التشريعي يجيء مرة متعديا إلى مفعولين كما في **قوله** تعالى جعل الكعبة البيت الحرام قياما للناس وأخرى إلى واحد كما في الآية الكريمة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله أمرنا بها وإمامهم عمرو بن لحي فإنه أول من فعل هذه الأفاعيل الباطلة وهذا شأن رؤسائهم وكبارهم وأكثرهم وهم أراذلهم الذين يتبعونهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يشهد به سياق النظم الكريم لا يعقلون أنه افتراء باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا إلى الحق بأنفسهم فيبقون في أسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بأنفسهم **وقوله** تعالى وإذا قيل لهم أي للذين عبر عنهم بأكثرهم على سبيل الهداية والإرشاد تعالوا إلى ما أنزل الله من الكتاب المبين للحلال والحرام وإلى الرسول الذي أنزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميزوا الحرام من الحلال قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادي إلى الحق وانقيادهم للداعي أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون **قيل** الواو للحال دخلت عليها الهمزة للإنكار والتعجيب أي أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية أخرى مقدرة قبلها وهو الأظهر والتقدير أحسبهم ذلك أو يقولون هذا القول لو لم يكن آباؤهم لا يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا لا يعلمون الخ وكلتاهما في موقع الحال أي أحسبهم ما وجدوا عليه آباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الأولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وأن الشيء إذا تحقق عند المانع فلأن يتحقق عند عدمه أولى كما في قولك أحسن إلى فلان وإن أساء إليك أي أحسن إليه إن لم يسئ إليك وإن أساء أي أحسن إليه كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الأولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة إذ الإحسان حيث أمر به عند المانع فلأن يؤمر به عند عدمه أولى وعلى هذا السر يدور ما في إن ولو الوصليتين من المبالغة والتأكيد وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه أي لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك أو يقولون ذلك وما في لو من معنى الامتناع والاستبعاد إنما هو بالنظر إلى زعمهم لا إلى نفس الأمر وفائدته المبالغة في الإنكار والتعجيب ببيان أن ما قالوه موجب للإنكار والتعجب إذا كان كون آبائهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال البعيد فكيف إذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه **وقيل** مآل الوجهين واحد لأن الجملة المقدرة حال فكذا ما عطف عليها وأنت خبير بأن الحال على الوجه الأخير مجموع الجملتين لا الأخيرة فقط وأن الواو للعطف لا للحال وقد مر التحقيق في قوله تعالى أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فتدبر يا أيها الذين آمنوا

عليكم أنفسكم أي الزموا أمر أنفسكم وإصلاحها وقرئ بالرفع على الابتداء أي واجبة
عليكم أنفسكم وقوله عز وجل لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إما مجزوم على أنه جواب
للأمر أو نهي مؤكد له وإنما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة إليها من الراء
المدغمة إذ الأصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة من قرأ لا يضركم أي
يضركم ضلال من ضل إذا كنتم مهتدين ولا يتوهمن أن فيه رخصة في ترك الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء أن ينكر على
المنكر حسبما تفي به الطاقة قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فاستطاع
أن يغيره فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وقد روي
أن الصديق رضي الله عنه قال يوما على المنبر يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية
وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إن الناس إذا رأوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فأمروا بالمعروف وانهوا
عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا الخ فيقول أحدكم علي نفسي
والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم
سوء العذاب ثم ليدعن خياركم فلا يستجاب لهم وعنه صلى الله عليه وسلم ما من قوم
عمل فيهم منكر أو سن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم ينكروه إلا وحق على الله تعالى أن يعمهم
بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة
وكانوا يتمنون إيمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالأمر
والنهي وقيل كان الرجل إذا أسلم لاموه وقالوا له سفهت آباءك وضللتهم أي
نسبتهم إلى السفاهة والضلال فنزلت تسلية له بأن ضلال آبائه لا يضره ولا
يشينه إلى الله لا إلى أحد سواه مرجعكم رجوعكم يوم القيامة جميعا بحيث لا يتخلف عنه أحد
من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من أعمال الهداية والضلال
فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على أن أحدا لا يؤاخذ بعمل غيره يا أيها الذين آمنوا
استئناف مسوق لبيان الأحكام المتعلقة بأمور دنياهم إثر بيان الأحوال المتعلقة
بأمور دينهم وتصدير بحرفي النداء والتنبيه لإظهار كمال العناية بمضمونه وقوله
عز وجل شهادة بينكم بالرفع والإضافة إلى الظرف توسعا إما باعتبار جريانها بينهم
من الخصومات مبتدأ وقوله تعالى إذا حضر أحدكم الموت أي شارفه وظهرت علا
ئمه ظرف لها وتقديم المفعول لإفادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده
عليها فإنه أدخل في تهويل أمر الموت وقوله تعالى حين الوصية بدل منه لا ظرف
للموت كما توهم ولا لحضوره كما قيل فإن في الإبدال تنبيها على أن الوصية من المهمات
المقررة التي لا ينبغي أن يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى اثنان خبر للمبتدأ
بتقدير المضاف أي شهادة بينكم حينئذ شهادة اثنين أو فاعل لشهادة بينكم على أن خبرها

محذوف

محذوف أي فيما نزل عليكم أن يشهد بينكم اثنان وقرئ شهادة بالرفع والتنوين والإعراب
كما سبق وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على أن عاملها مضمر هو العامل في اثنان أيضا
أي ليقم شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم أي من أقاربكم لأنهم أعلم بأحوال الميت وأنصح
له وأقرب إلى تحري ما هو أصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان أو آخران عطف
على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبرية والفاعلية أي أو شهادة آخرين أو أن يشهد بينكم آخران
أو ليقم شهادة بينكم آخران وقوله تعالى من غيركم صفة لآخران أي كائنان من غيركم أي
من الأجانب وقيل من أهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الإسلام لعزة وجود المسلمين
لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول أنه نسخها قوله تعالى وأشهدوا ذوي عدل منكم
إن أنتم مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره إن ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير
وهذا رأي جمهور البصريين وذهب الأخفش والكوفيون إلى أنه مبتدأ بناء على جواز
وقوع المبتدأ بعد إن الشرطية لجواز وقوعه بعد وقوعه إذا فقوله تعالى ضربتم في الأرض
أي سافرتم فيها لا محل له من الإعراب عند الأولين لكونه مفسرا ومرفوع على الخبرية عند
الباقين وقوله تعالى فأصابتكم مصيبة الموت عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة
ما قبله عليه أي إن سافرتم فقاربكم الأجل حينئذ وما معكم من الأقارب أو من أهل الإسلام
من يتولى أمر الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الأسفار فليشهد آخران أو فاستشهدوا
آخرين أو فالشاهدان آخران كذا قيل والأنسب أن يقدر عين ما سبق أي فآخران
على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين أو فأن يشهد على الوجوه المذكورة وقوله
تعالى تحبسونهما استئناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كأنه قيل فكيف
نصنع إن ارتبنا بالشاهدين فقيل تحبسونهما أي توقفونهما وتصبرونهما للتحليف من بعد
الصلاة وقيل صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على أن
اللائق إشهاد الأقارب وأهل الإسلام وأما إشهاد الآخرين فعند الضرورة الملجئة
إليه وأنت خبير بأنه يقتضي اختصاص الحبس بالآخرين مع شموله للأولين أيضا
قطعا على أن اختصاصهما بذلك يأباه مقام الأمر بإشهادهما إذ مآله فآخران شأنهما
الحبس والتحليف وإن أمكن إتمام التقريب باعتبار قيد الارتياب بهما كما يفيده الاعتراض
الآتي والمراد بالصلاة صلاة العصر وعدم تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لأنها
وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولأن جميع أهل الأديان
يعظمونه ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم وقتئذ
حلف كما سيأتي وقيل بعد أي صلاة كانت لأنها داعية إلى النطق بالصدق وناهية
عن الكذب والزور إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله عطف على تحبسونهما
وقوله تعالى إن ارتبتم شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والإقسام
عليه سيقت من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف

بحاله الارتياب اي ان ارتاب بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شيء من التركة فاحبسوهما
وحلفوهما بالله وقوله عز وجل لا نشتري به ثمنا جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع
فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو الواقع غالبا فان
ذلك انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك
والله ان اتيتني لاكرمنك ولا ريب في استحالة ذلك هنا لان القسم بجوابه كلاهما
وقد عرفت ان الشرط من جهته تعالى والاشتراء هو استبدال السلعة بالثمن اي
اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد
الشرى ومفهومه هو الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع ثم استعير لاخذ شيء
بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة في المأخوذ والاعراض عن
الزائل كما هو المعتبر في المستعار منه حسبما مر تفصيله في تفسير قوله تعالى اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى والضمير في به لله والمعنى لا ناخذ لانفسنا بدلا
من الله اي من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اي
لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف
البتة اي لا نستبدل بصحة القسم بالله اي لا ناخذ بدلا منها عرضا من الدنيا بان نزيل
عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب اي لا نحلف كاذبين كما ذكر والا فلا سداد
للمعنى سواء اريد القسم الصادق او الكاذب اما ان اريد به الكاذب فلانه يفوت
ح ما هو المعتبر في الاستعارة من كون الزائل شيئا مرغوبا فيه عند الحالف كحرمة
اسم الله تعالى ووصف الصحة والصدق في القسم ولا ريب في ان القسم الكاذب ليس
كذلك واما ان اريد به الصادق فلانه وان امكن ان يتوسل باستعماله الى عرض من
الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا محذور فيه واما التوسل اليه بترك استعماله فلا امكان
له هنا حتى يتحرز منه وانما يتوسل اليه باستعمال القسم الكاذب وليس استعماله
من لوازم ترك استعمال الصادق ضرورة جواز تركهما معا حتى يتصور جعل ما اخذ باستعماله
ماخوذا بترك استعمال الصادق كما في صورة تقدير المضاف فان ازالة وصف الصدق
عن القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة فتامل وقوله
تعالى ولو كان اي المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام ذا قربى اي قريبا منا تاكيد لتبريهم
من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه كانهما قالا لا ناخذ لانفسنا بدلا من حرمة اسمه
تعالى مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الاقرباء فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة انفسهما
وان كانت اهم من رعاية الاقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة اليه وجواب لو
محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي لا نشتري به ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها
كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو اعجبك الخ وقوله عز وجل ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة
التي امرنا الله تعالى باقامتها معطوف على لا نشتري به داخل معه في حكم القسم وعن الشعبي

انه

انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف
الاستفهام منه وبغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الاثمين اي ان كتمناها
وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر
اي اطلع بعد التحليف على انهما استحقا اثما حسبما اعترفا به بقولهما انا اذا لمن الاثمين اي
فعلا ما يوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما من التركة وادعيا استحقاقهما له
بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سياتي فآخران اي رجلان آخران
وهو مبتدا خبره يقومان مقامهما ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدا وبين وصفه
الذي هو الجار والمجرور بعده اي يقومان مقام الذين عثر على خيانتهما وليس المراد
بمقامهما مقام اداء الشهادة التي تولياها ولم يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس
والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق وابراز كذبهما فيما ادعيا من استحقاقهما
لما في ايديهما من الذين استحق على البناء للفاعل قراءة علي وابن عباس وابي رضي الله
عنهم اي اهل الميت الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم اي الاقربان الى الميت الوارثان
له الاحقان بالشهادة اي باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف اي استحقا
عليهم ان يجردوهما للقيام بها لانها حقهما ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما في
الحقيقة الآخران القائمان مقام الاولين على وضع المظهر مقام المضمر وقرئ
على البناء للمفعول وهو الاظهر اي من الذين استحق عليهم الاثم اي جني عليهم وهم اهل
الميت وعشيرته فالاوليان مرفوع على انه خبر لمحذوف كانه قيل ومن هما فقيل
الاوليان او هو بدل من الضمير في يقومان او من آخران وقد جوز ارتفاعه باستحق
على حذف المضاف اي استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة وقرئ الاولين
على انه صفة للذين الخ مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على
الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على
المدح وقرئ الاولان فيقسمان بالله عطف على يقومان لشهادتنا المراد
بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اي
ليميننا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها
احق بالقبول من شهادتهما اي من يمينهما مع كونها كاذبة في نفسها لما انه قد ظهر
للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل
مع انه لا حقية راسا اما لامكان قبولها في الجملة باعتبار احتمال صدقهما
في ادعاء تملكهما لما ظهر في ايديهما وما اعتدينا عطف على جواب القسم اي ما
تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهم بابطال حقهما انا اذا لمن الظالمين استئناف
مقرر لما قبله اي انا ان اعتدينا في يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها
لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق في غير

بموضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر ينبغي ان يشهد على وصيته عدلين من ذوي
نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع ارتياب
بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ في الوقت فان
اطلع بعد ذلك على كذبهما بان ظهر بايديهما شيء وادعيا تملكه من جهة الميت حلف
الورثة وعمل بايمانهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فانه روي ان تميم
بن اوس الداري وعدي بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين
ومعهما بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدموا الشام مرض
بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبرهما بذلك واوصى
اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه
ثلثمئة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع اليه فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا
منهما الاناء فقالا ما ندري انما اوصى الينا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا
بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين آمنوا الآية
فاستحلفهما بعد صلوة العصر عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يختانا شيئا
مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء وجد بمكة
فقال من بيده اشتريته من تميم وعدي وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بني
سهم فطلبوه منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه
شيئا فقلتما لا قالا ما كان لنا بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزل قوله تعالى فان عثر الآية فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي
وداعة السهميان فحلفا بالله الذي بعد العصر انهما السهميان كذبا وخانا فدفع الاناء
اليهما وفي رواية والى اولياء الميت واعلم انهما ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ الا وقع اليمين
فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ ذلك كلام مستانف سيق لبيان ان ما ذكر
مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اي الحكم الذي تقدم تفصيله ادنى ان ياتوا
بالشهادة على وجهها اي اقرب الى ان يؤدي الشهود الشهادة على وجهها الذي تحملوها عليه
من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروي وهذه كما ترى حكمة شرعية التحليف
بالتغليظ المذكور وقوله تعالى او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم بيان لحكمة شرعية رد اليمين
على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كانه قيل ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة
على وجهها الذي تحملوها عليه ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح
على رؤوس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية اليه
فاي الحكمين وقع حصل المقصود الذي هو الاتيان بالشهادة على وجهها وقيل هو عطف
على ياتوا على معنى ان ذلك اقرب الى ان ياتوا بالشهادة على وجهها او الى ان يخافوا الافتضاح
برد اليمين على الورثة فلا يحلفوا على موجب شهادتهم ان لم ياتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم بنكولهم

ما ما قيل

واما ما قيل من ان المعنى ان ذلك اقرب الى احد الامرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح
اداء الشهادة على الصدق والامتناع عن ادائها على الكذب فيأباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة
اصلا ضرورة ان الشاهد مضطر فيها الى الجواب فالامتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم
للاتيان بالصادقة قطعا فليس هناك امران ايهما وقع كان فيه الصلاح حتى يتوسط بينهما
كلمة او وانما يتاتى ذلك في شهود لم يتهموا بخيانة على ان اضافة الامتناع عن الشهادة الكاذبة
الى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة الى غيره مع ان ما يقتضي احدهما يقتضي
الآخر لا محالة تحكم بحت فتامل واتقوا الله في مخالفة احكامه التي من جملتها هذا الحكم
واسمعوا ما تؤمرون به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول والله لا يهدي القوم الفاسقين
الخارجين عن الطاعة اي فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدي القوم
الفاسقين اي الى طريق الجنة او الى ما فيه نفعهم يوم يجمع الله الرسل نصب على انه بدل
اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة فان مدار البدلية ليس ملابسة فاتح
مدار البدلية ليس ملابسة الظرفية والمظروفية ونحوها فقط بل هو تعلق ما يصح الانتقال
الذهن من المبدل منه الى البدل بوجه اجمالي كما فيما نحن فيه فان كونه تعالى خالق الاشياء
كافة مالك يوم الدين خاصة كاف في الباب مع ان الامر بتقوى الله تعالى يتبادر الى الذهن
الى المتقى اي شان من شؤونه واي فعل من افعاله وقيل هناك مضاف محذوف به يتحقق
الاشتمال اي اتقوا عقاب الله الخ يجوز انتصابه منه بطريق الظرفية وقيل منصوب بمضمر
معطوف على اتقوا وما عطف عليه اي واحذروا او واذكروا يوم الخ فان تذكير ذلك اليوم
الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله عز وعلا وتلقي امره بسمع الاجابة والطاعة وقيل
هو ظرف لقوله تعالى لا يهدي اي لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة كما يهدي اليه المؤمنين
وقيل منصوب بقوله تعالى واسمعوا بحذف المضاف اي اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل
منصوب بفعل مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيان لكمال فظاعة
ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهي العامة كانه قيل يوم يجمع الله الرسل يكون
الخ يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل في موضع
الاضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم
دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقد قال الله تعالى يوم
ندعو كل اناس بامامهم بل لابانة شرفهم واصالتهم والايذان بعدم الحاجة الى التصريح بجمع غيرهم
بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم بالانتظام في سلك جمع
الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يجمعون على وجه الاجلال واولئك يسحبون على وجوههم
بالاغلال فيقول لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغي حسبما يعرب عنه تخصيص
السؤال بجواب الامم اعرابا واضحا والاصدار الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتي وما
ذا في قوله تعالى ماذا اجبتم عبارة عن مصدر الفعل فهو نصب على المصدرية اي اي اجابة

أجبتم من جهة أممكم إجابة قبول أو إجابة رد وقيل عبارة عن الجواب فهو في محل النصب
بعد حذف الجار عنه أي بأي جواب أجبتم وفي التقديرين في توجيه السؤال عما صدر
عنهم وهم شهود إلى الرسل عليهم السلام كسؤال الموؤدة بمحضر من الوائد والعدول عن
إسناد الجواب إليهم بأن يقال ماذا أجابوا من الإنباء عن كمال تحقير شأنهم وشدة الغيظ
والسخط عليهم ما لا يخفى قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كأنه قيل
فماذا يقول الرسل عليهم السلام هنالك فقيل يقولون لا علم لنا وصيغة الماضي للدلالة
على التقرر والتحقق كما في قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الأعراف ونحوهما
وإنما يقولون ذلك تفويضاً للأمر إلى علمه تعالى وإحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاساة
الأهوال ومعاناة الهموم والأوجال وعرضاً لعجزهم عن بيانه لكثرته وفظاعته
إنك أنت علام الغيوب تعليل لذلك أي تعلم ما أجابوا وأظهروا لنا وما لم نعلمه مما أضمروه
في قلوبهم وفيه إظهار للشكاة ورد للأمر إلى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا
من الكروب والتجاء إلى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما أحدثوا بعدنا وإنما
الحكم للخاتمة ورد ذلك بأنهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم أمرهم وأنت خبير بأن
مرادهم حينئذ أن بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا كفرة وعن ابن عباس
ومجاهد والسدي أنهم يفزعون من أول الأمر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما ثابت
إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم ولا يلائمه التعليل المذكور وقيل المراد المبالغة في تحقيق
فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على النداء أو الاختصاص بالمدح على أن الكلام
تم عند قوله أنت أي أنك المنعوت بنعوت كمالك المعروف بذلك إذ قال الله يا عيسى
ابن مريم شروع في بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين من المفاوضة
على التفصيل إثر بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الإجمال ليكون ذلك كالأنموذج
لتفاصيل أحوال الباقين وتخصيص شأن عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلاً من بين شؤون
سائر الرسل عليهم السلام مع دلالته على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال
المكذبين بالرسل لما أن شأنه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين من أهل الكتاب الذين
نعت عليهم في السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله أعظم عليهم وأجلب لحسرتهم وندامتهم
وأفت في أعضادهم وأدخل في صرفهم عن غيهم وعنادهم وإذ بدل من يوم يجمع الله الرسل وصيغة
الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع وإظهار الاسم الجليل في مقام الإضمار لما مر من
المبالغة في التهويل وكلمة على في قوله تعالى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك متعلقة بنفس النعمة
إن جعلت مصدراً أي اذكر إنعامي عليكما أو بمحذوف هو حال منها إن جعلت اسماً أي اذكر نعمتي
كائنة عليكما وليس المراد بأمره عليه السلام يومئذ بذكر النعم المنتظمة في سلك التعديد تكليفه
عليه السلام شكرها والقيام بمواجبها ولات حين تكليف مع خروجه عليه السلام عن عهدة
الشكر في أوانه أي خروج بل إظهار أمره عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما بينه الله تعالى

اعتداداً

اعتداداً بهما وتلذذاً بذكرهما في رؤوس الأشهاد ليكون حكاية ذلك في ما أنبأ عنه النظم
الكريم توبيخاً ومزجرة للكفرة المختلفين في شأنه عليه السلام إفراطاً وتفريطاً وإبطالاً
لقولهما جميعاً إذ أيدتك ظرف لنعمتي أي اذكر إنعامي عليكما وقت تأييدي لكما أو حال
منها أي اذكرها كائنة وقت تأييدي لك وقرئ آيدتك والمعنى واحد أي قويتك بروح
القدس بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة أو بالكلام الذي يحيى به الدين وإضافته إلى القدس
لأنه سبب الطهر عن أوضار الآثام أو يحيى به الموتى أو النفوس حياة أبدية وقيل الأرواح
مختلفة الحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها
حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام مشرقة نورانية علوية وأياً ما كان فهو نعمة عليهما
تكلم الناس في المهد وكهلاً استئناف مبين لتأييده عليه السلام أو حال من الكاف وذكر تكليمه
عليه السلام في حال الكهولة لبيان أن كلامه عليه السلام في الحالتين كان على نسق
واحد بديع صادراً عن كمال العقل مقارناً لرزانة الرأي والتدبير وبه استدل على أنه عليه
السلام سينزل من السماء لما أنه عليه السلام رفع قبل التكهل قال ابن عباس رضي الله عنهما
أرسله الله تعالى وهو ابن ثلاثين سنة ومكث في رسالته ثلاثين شهراً ثم رفعه الله تعالى وإذ
علمتك الكتاب عطف على قوله تعالى إذ أيدتك منصوب بما نصبه أي اذكر نعمتي عليكما وقت
تعليمي لك الكتاب والحكمة أي جنسهما والتوراة والإنجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب
والحكمة إظهاراً لشرفهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب وإذ تخلق من
الطين كهيئة الطير أي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير بإذني بتسهيلي وتيسيري لا على
أن يكون الخلق صادراً عنه عليه السلام حقيقة بل على أن يظهر ذلك على يده عليه السلام
عند مباشرة الأسباب مع كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى فتنفخ فيها أي
في الهيئة المصورة فتكون أي تلك الهيئة طيراً بإذني فإن إذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه
تعالى للطير بل عن محض تيسير مع صدوره عنه حقيقة مما أسند إليه لكان هذا تكويناً من جهة
الهيئة وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني عطف على تخلق وإذ تخرج الموتى بإذني عطف على إذ تخلق
أعيد فيه إذ لكون إخراج الموتى من قبورهم لا سيما بعدما صارت رميماً معجزة باهرة ونعمة
جليلة حقيقة بتذكير وقتها صريحاً قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وتكرير
قوله بإذني في المواضع الأربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان أن تلك الخوارق ليست من قبل
عيسى عليه السلام بل من جهته سبحانه قد أظهرها على يديه معجزة له ونعمة خصها به وأما
ذكره في سورة آل عمران مرتين لما أن ذلك موضع الإخبار وهذا موضع تعداد
النعم وإذ كففت بني إسرائيل عنك عطف على إذ تخرج أي منعت اليهود الذين أرادوا بك
السوء عن التعرض لك إذ جئتهم بالبينات بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالإخبار
بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجيء مطلقاً
بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين فإن قولهم

ذلك مما يدل على انهم قصدوا اغتياله عليه السلام المحوج الى الكف اي لعنتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات وانما وضع موضع ضميرهم الموصول لذمهم بما في حيز الصلة تكملة ببيانه وهذا اشارة الى ما جاء به والتذكير لان اشارتهم الى ما رأوه من نفس المسمى من حيث هو او من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ ان هذا الا ساحر مبين فهذا حينئذ اشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين عطف على ما قبله من اخواتها الواقعة ظروفا للنعمة التي امر بذكرها وهي وان كانت في الحقيقة عين ما يفيده الجمل التي اضيف اليها تلك الظروف من التأييد بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية الاحسان امر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية في تحقيق ما اعتبر في مدلول كلمة اذ من تعدد النسبة فانه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين فيه احداهما معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون الاخرى فيراد افادة الاخرى وقوعها ايضا له فيضاف الى الجملة المفيدة للنسبة الاولى ويجعل ظرفا معمولا للنسبة الثانية ثم قد تكون المغايرة بين النسبتين بالذات كما في قولك اذكر احساني اذ احسنت الي تريد تنبيه المخاطب على وقوع احسانك اليه وقت وقوع احسانه اليك وهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد تكون بالاعتبار كما في قولك اذكر احساني اليك اذ منعتك من المعصية تريد تنبيهه على كون منعه منها احسانا اليه لا على احسان آخر واقع حينئذ ومن هذا القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الآية وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الى غير ذلك من النظائر ومعنى ايحائه تعالى اياهم في الانجيل على لسانه عليه السلام وقيل الهامه تعالى اياهم كما في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى وان في قوله تعالى ان آمنوا بي وبرسولي مفسرة لما في الايحاء من معنى القول وقيل مصدرية وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان به عليه السلام كانه قيل آمنوا بوحدانيتي في الالوهية والربوبية وبرسالة رسولي ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا وقوله تعالى قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا آمنا اي بما ذكر من وحدانيته تعالى وبرسالة رسوله كما يؤذن به قولهم واشهد باننا مسلمون اي مخلصون في ايماننا من اسلم وجهه لله وهذا القول منهم بتوفيق وحيه تعالى وانهم بذلك نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليه عليه السلام وكذا ذلك نعمة على والدته ايضا روي انه عليه السلام لما علم انه سيؤمر بذكر هاتيك النعم العظام صار يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات

كلام مستأنف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه منقطع عما قبله كما

ينبئ

ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فانه ليس بخطاب وانما هو حكاية خطاب بل لان الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله الآية فتأمل كانه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم الى آخره وقيل هو ظرف لقالوا اريد به التنبيه على ان ادعاءهم الايمان والاخلاص لم يكن عن تحقيق ولا يساعده النظم الكريم يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء اختلف في انهم هل كانوا مؤمنين او لا فقيل كانوا كافرين شاكين في قدرة الله تعالى على ما ذكروا وفي صدق عيسى عليه السلام كاذبين في دعوى الايمان والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمئنان والتثبت لا لازاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما يقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يستطيع ربك اي سؤال ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس ومعاذ رضي الله عنهم وسعيد بن جبير في آخرين والمائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقال ابو عبيدة هي فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية قال استئناف مبني على سؤال ناشئ مما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال اتقوا الله اي من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين اي بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي او ان صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام فان ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات وقيل امرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسؤول كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة قالوا استئناف كما سبق نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال اي لسنا نريد بالسؤال ازاحة شبهتنا في قدرته سبحانه على تنزيلها او في صحة نبوتك حتى يقدح ذلك في الايمان والتقوى بل نريد ان نأكل منها اي اكل تبرك وقيل اكل حاجة وتمتع وتطمئن قلوبنا بكمال قدرته تعالى وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب ازدياد الطمأنينة وقوة اليقين ونعلم اي علما يقينيا لا يحوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على البناء للمفعول ان قد صدقتنا ان هي المخففة من انّ وضمير الشأن محذوف اي ونعلم انه قد صدقتنا في دعوى النبوة وانه يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين

للعين دون السامعين للخبر وعليها يتعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما يشهد
عليه ان جعلت موصولة كانه قيل على اي شيء يشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق بالصلة
لا يتقدم على الموصول او هو حال من اسم كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين
قال عيسى بن مريم لما راى عليه السلام ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه
في استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها روي انه عليه الصلاة والسلام
اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطاطا راسه وغض بصره ثم قال اللهم ربنا ناداه سبحانه
وتعالى مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات ومرة بوصف الربوبية
المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء انزل علينا تقديم الظرف
على قوله تعالى مائدة لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله
تعالى من السماء متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة اي كائنة من السماء نازلة منها
وقوله تعالى تكون لنا عيدا في محل النصب على انه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة
وخبرها اما عيدا ولنا حال منه او من ضمير تكون عند من يجوز اعمالها في الحال واما
لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فيحمل ضميرا او من ضمير تكون عند من يرى ذلك
اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها
وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما في
قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا ان قراءة الجزم هناك متواترة وهنا من
الشواذ لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا وروي
انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل للرؤساء منا والاعيان والاتباع
وقيل ياكل منها اولنا واخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة واية عطف على
عيدا منك متعلق بمحذوف هو صفة لاية اي كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا
اي المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين تذييل جار مجرى التعليل اي خير من يرزق لانه
خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفي اطالة عليه السلام في الدعاء بتكرير النداء المنبئ عن
كمال اللطف والاحسان كما في قوله تعالى قل ينجيكم منها ومن كل كرب في الضراعة والابتهال
وزيادته ما لم يخطر ببال السائلين من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم
كانوا مؤمنين وان سؤالهم كان لتحصيل الطمانينة كما في قول ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف
تحيي الموتى والا لما قبل اعتذارهم بما ذكروه ولما اضاف اليه من عنده ما يؤكده ويقربه الى القبول
قال الله استئناف كما سبق اني منزلها عليكم ورود الاجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن
التكثير مع كون الدعاء منه عليه السلام بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما في
قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب الخ بعد قوله تعالى لئن انجانا من هذه الخ مع ما فيه
من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق
للوعد وايذان بانه عز وجل منجزه لا محالة من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار

اي

اي اني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى
واحد فمن يكفر بعد اي بعد تنزيلها منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر فاني
اعذبه بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة عذابا اسم مصدر بمعنى التعذيب وقيل
مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على المصدرية بالتقديرين المذكورين وجوز ان يكون
مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى لا اعذبه في محل النصب على انه صفة لعذابا والضمير
له اي اعذبه تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم
او من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا
وقالوا لا نريدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن رح والصحيح الذي عليه جماهير الامة
ومشاهير الائمة انها قد نزلت روي انه عليه السلام لما دعا بما دعا واجيب بما اجيب اذا
بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها حتى
سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها
رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضا وصلى وبكى ثم كشف المنديل ثم قال
بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند
ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون
وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون
راس الحواريين يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه
الله تعالى بالقدرة العالية كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا
يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت
ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير
وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون
حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض
الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون
الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون في الطرقات
والكناسات وياكلون العذرة في الحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام
وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف به وجعل عليه
السلام يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤوسهم فلا يقدرون
على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عيسى عليه السلام
قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا فلما فرغوا قالوا انا لو عملنا
لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسالوا الله تعالى المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة
ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها اخر الناس كما اكل اولهم قال
كعب عليه رضوان الله تعالى نزلت منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها

الطعام الا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي
نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة ارغفة
فاكلوا ما شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث
ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته
على بصيرة ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير فمكثوا بذلك ثلثة ايام ثم
هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ وإذ قال الله يا عيسى
ابن مريم معطوف على اذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي
صلى الله عليه وسلم او بمضمر مستقل معطوف على ذلك اي اذكر للناس وقت قول الله
عز وجل له عليه السلام في الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره عليه السلام
على رؤس الاشهاد بالعبودية وامره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر
من الدلالة على التحقق والوقوع أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين الاتخاذ اما
متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما واما الى واحد فهو حال من المفعول وليس مدار اصل
الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل كما هو المتبادر من ايلاء الهمزة المبتدأ
على الاستعمال الفاشي وعليه قوله تعالى أأنت فعلت هذا بآلهتنا ونظائره بل على
ان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين انه بامره عليه السلام ام من تلقاء انفسهم
كما في قوله تعالى أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل وقوله تعالى من دون
الله متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من فاعله اي متجاوزين الله او بمحذوف
هو صفة لالهين اي كائنين من دونه تعالى واياما كان فالمراد اتخاذهما بطريق اشراكهما
به سبحانه كما في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وقوله عز وجل
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اذ به يتأتى التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم
ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بان النصارى يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت
على يد عيسى عليه السلام ومريم عم لم يخلقهما الله تعالى بل هما خلقاها فصح انهما اتخذوهما
في حق بعض الاشيا الهين مستقلين ولم يتخذوه تعالى الها في حق ذلك البعض فقد ابعد
عن الحق بمراحل واما من تمحل فقال ان عبادته تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى
مع عبادتهما ولم يعبده تعالى فقد غفل عما يجديه واشتغل بما لا يعنيه كدأب من قبله فان
توبيخهم انما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التأويل والاظهار في
الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند الى عيسى عليه السلام قال استئناف مبني على
سؤال نشأ من صدر الكلام كانه قيل فماذا يقول عيسى عليه السلام حينئذ فقيل يقول
وايثار صيغة الماضي لما مر مرارا سبحانك سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية
ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذي هو

الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر
مع الفعل الى الاسم الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته
مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من
ان يقال في حقك ذلك واما تقدير من ان يكون لك شريك في الالوهية فلا يساعده
سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق استئناف
مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور اي ما يستقيم وما ينبغي
لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله وايثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار
انتفاء الحقية وافادة التاكيد بما في خبرها من الباء فان اسمها ضميره العائد الى ما وخبرها
بحق والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه تعالى ان كنت قلته
فقد علمته استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عليه السلام بالطريق
البرهاني فان صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى علمه تعالى به
انتفى صدوره عنه حتما ضرورة ان عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم تعلم ما في نفسي
استئناف جار مجرى التعليل لما قبله كانه لانك تعلم ما اخفيه في نفسي فكيف
بما اعلنه تعالى ولا اعلم ما في نفسك بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا
اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة المراد بالنفس
هو الذات ونسبة المعلومات اليها لما انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم
المتعلق بها فلم يكن نسبتها الى الحقيقة تعالى انك انت علام الغيوب تعليل
لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما عز وجل ما قلت لهم الا ما امرتني به استئناف
مسوق لبيان ما صدر عنه قد ادرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على ابلغ
وجه واكده حيث حكم بانتفاء صدور القول المذكور جميع الاقوال المغايرة للمامور
به فدخل فيه انتفاء صدور القول المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به
وانما ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد في الاستفهام
تعالى ان اعبدوا الله ربي وربكم تفسير للمامور به عطف بيان للضمير
في به بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء
الموصول بلا عائد خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني وكنت عليهم شهيدا رقيبا
اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة او مشاهدا لاحوالهم
من كفر وايمان ما دمت فيهم ما مصدرية ظرفية تقدر بمضاف اليه زمان ودمت صلتها
اي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع الى السماء كما في
تعالى اني متوفيك ورافعك الي فان التوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال
النبي صلى الله عليه وسلم الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
كنت انت الرقيب عليهم لا غيرك فانت ضمير الفصل او تاكيد الرقيب بالرفع على انه

خبر انت والجملة خبر لكان و عليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت عصمته عن المخالفة بالارشاد الى الدلايل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الايات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا وانت على كل شيء شهيد اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان بانه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الناصلة ان تعذبهم فانهم عبادك هذا استحقوا ذلك عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز اي القوي القادر على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد   الترديد بالنسبة الى فريقين والمعنى ان تعذبهم اي من كفر منهم وان تغفر لهم اي من امن منهم قال الله كلام مستانف ختم به حكاية ما حكى مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام واشير الى نتيجته ومآله اي يقول الله تعالى يومئذ عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في زمرتهم وصيغة الماضي لما مر في نظايره مرارا   تعالى هذا اشارة الى ذلك اليوم وهو مبتداء خبره ما بعده اي هذا اليوم الذي حكى بعض ما يقع فيه اجمالا وبعضه تفصيلا يوم ينفع الصادقين بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين كما ينبئ عنه الاسم المستمرون في الدارين على الصدق في الامور الدينية التي معظمها التوحيد الذي نحن بصدده والشرايع والاحكام المتعلقة به من الرسل الناطقين بالحق والصدق والداعين الى ذلك وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين في الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم لا كل من الصدق في اي شيء كان ضرورة ان الجاني المعترف في الدنيا بجنايته لا ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه صدقهم اي صدقهم فيما ذكر من امور الدين في الدنيا اذ هو المستتبع للنفع يومئذ واعتبار استمراره في الدارين مع انه لا حاجة اليه كما عرفت ولا دخل له في استتباع النفع والجزاء مما لا وجه له وهذه القراءة التي اطبق عليها الجمهور وهي الاليق بسياق النظم الكريم وسياقه وقد   يوم بالنصب اما على انه ظرف لقال فهذا حينئذ اشارة الى   تعالى انت قلت الى اخر واما على انه خبر لهذا فهو ح اشارة الى جواب عيسى عليه السلام اي هذا الجواب منه عليه السلام واقع يوم ينفع الخ او الى السؤال والجواب معا   هو خبر ولكنه بني على الفتح وليس بصحيح عند البصريين لانه مضاف الى متمكن   يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي الاية لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا استيناف مسوق لبيان النفع المذكور كانه   ما لهم من النفع فقيل لهم نعيم دايم وثواب خالد   تعالى رضي الله عنهم استينافا اخر لبيان انه عز وجل انعم عليهم وراء ما ذكر من الجنات مما لا قدر لها عنده وهو

دعوانه

رضوانه الذي لا غاية وراءه كما ينبئ عنه قوله تعالى ورضوا عنه اذ لا شيء اعز منه حتى يمتد اليه اعناق الهمم ذلك اشارة الى نيل رضوانه تعالى وقيل الى نيل الكل الفوز العظيم لما ان عظم شان الفوز تابع لعظم شان المطلوب الذي تعلق به الفوز وقد عرفت ان لا مطلب وراء ذلك اصلا وقوله تعالى لله ملك السموات والارض وما فيهن تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد ما زعموا في حق المسيح وامه اي له تعالى ملك السموات والارض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا من غير ان يكون لشيء من الاشياء مدخل في ذلك وفي ايثار ما على من المختصة بالعقلاء على تقدير تناوله للكل مراعاة للاصل واشارة تناولها الى تساوي الفريقين في استحالة الربوبية حسب تساويهما في تحقق المربوبية وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية واهانة بهم بتغليب غيرهم عليهم وهو على كل شيء من الاشياء قدير مبالغ في القدرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المايدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا ۝ ۝ ۝ ۝ ۝ ۝

بسم الله الرحمن الرحيم ۝ وبه الاعانة ۝

الحمد لله تعليق الحمد المعرف بلام الحقيقة اولا باسم الذات الذي عليه يدور كافة ما يوجبه من صفات الكمال واليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته لما مر من اقتضاء اختصاص الحقيقة به سبحانه لاقتصار جميع افرادها عليه بالطريق البرهاني ووصفه تعالى ثانيا بما ينبئ عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة في سلك الاجمال من عظايم الاثار وجلايل الافعال من   تعالى الذي خلق السموات والارض للتنبيه على استحقاقه تعالى له واستقلاله به باعتبار افعاله العظام والاية الجسام ايضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جملة الاثار العلوية والسفلية وعامة الالاء الجلية والخفية التي اجلها نعمة الوجود الكافية في ايجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية والافاقية المنوط بها مصالح العباد في المعاش والمعاد ۝ اي انشاهما على ما هما عليه من النمط الفايق ۝ والطراز الرايق ۝ منطويتين من انواع البدايع ۝ واصناف الروايع ۝ على ما يحير فيه العقول والافكار من تعاجيب العبر والاثار ۝ تبصرة وذكرى لاولي الابصار ۝ وجمع السموات لظهور تعدد طباقها واختلاف اثارها وحركاتها ۝ وتقديمها لشرفها ۝ وعلو مكانها ۝ وتقدمها وجودا على الارض كما هي وجعل الظلمات والنور عطف على خلق مترتب عليه لكون جعلهما مسبوقا بخلق منشاهما ومحلهما داخل معه في حكم الاشعار بعلة الحمد

فكما ان خلق السموات والارض وما فيهما لكونه اثرا عظيما ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد
بخالقهما جل وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه امرا خطيرا ونعمة عظيمة
مقتض لاختصاصه بجاعلهما وجعل هو الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص
بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية الكريمة
وللتشريع ايضا كما في تعالى ما جعل الله من بحيرة الآية وايام كان فيه انباء
عن ملابسة مفعوله بشيء آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة
لان يتوسط بينهما شيء من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة
في الكلام بل قيدا فيه كما في تعالى وجعل بينهما برزخا عز وعلا
وجعل فيها رواسي تعالى واجعل لنا من لدنك وليا الآية فان كل واحد من
هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه
لكونه نكرة وايما كان فهو قيد في الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه
يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في تعالى يجعلون اصابعهم في
آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو في الحقيقة قيد لاحد الوجهين
كما سلف في تعالى اني جاعل في الارض خليفة حيث ان الظرف مفعول
ثان لجاعل وقد اشير هناك الى ان الذي يقضي به الذوق السليم ويقتضيه جزالة
النظم الكريم انه متعلق بجاعل او بمحذوف وقع حالا من المفعول وان المفعول الثاني
هو خليفة والاول محذوف على ما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة اسبابها
ومحالها عند الناس ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها في النور لتقدم
الاعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين
تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مر من
موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعي لاقتصار العبادة عليه كما حقق في تفسير
الفاتحة الكريمة مسوق لانكار ما عليه الكفرة لاستبعاده من مخالفتهم لمضمونها
واجترائهم على ما يقضي ببطلانه بديهة العقول والمعنى انه تعالى مختص باستحقاق
الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شؤونه العظيمة الخاصة به
الموجبة لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون
به سبحانه اي يسوون به غيره في العبادة التي هي اقصى غاية الشكر الذي رأسه الحمد
مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف بشيء من مبادي الحمد وكلمة ثم لاستبعاد
الشرك بعد وضوح ما ذكر من الآيات التكوينية القاضية ببطلانه لا بعد بيانه
بالآيات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم
لهم من غير ان يجعل كفرهم بما يجب ان يؤمن به كلا او بعضا عنوانا للموضوع فان
ذلك مخل باستبعاد ما اسند اليهم من الاشراك والباء متعلقة بيعدلون ووضع الرب

موضع

موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة
الى تحقيق مدار الانكار والاستبعاد والمسارعة والمحافظة على الفواصل
وترك المفعول لظهوره او لتوجيه الانكار الى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم
ايذانا بانه المدار في الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية المفعول هذا
هو الحقيق بجزالة التنزيل والخليق بفخامة شأنه الجليل واما جعل الباء
صلة لكفروا على ان يعدلون من العدول والمعنى ان الله تعالى حقيق بالحمد
على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته نعم ان
ان كفرهم به تعالى لا سيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم اشد شناعة واعظم
جناية من عدولهم عن حمده عز وجل لتحققه مع اغفاله ايضا فجعل اهون الشرين
عمدة في الكلام مقصودة الافادة واخراج اعظمهما مخرج القيد المفروغ
عنه مما لا عهد له في الكلام السديد فكيف بالنظم التنزيلي هذا وقد
انه معطوف على خلق السموات والمعنى انه تعالى خلق ما خلق مما لا يقدر عليه
احد سواه ثم هم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر على شيء منه لكن لا على قصد
انه صلة مستقلة ليكون بمنزلة ان يقال الحمد لله الذي عدلوا به على انه داخل
تحت الصلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كانه الحمد لله الذي كان
منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفر وانت خبير بان ما ينتظم في
سلك الصلة المنبئة عن موجبات حمده عز وجل حقه ان يكون له دخل في
ذلك الانباء ولو في الجملة ولا ريب في ان كفرهم بمعزل منه وادعاء ان له دخلا
فيه لدلالته على كمال الجود كانه الحمد لله الذي انعم بمثل هذه النعم العظام
على من لا يحمده تعسف لا يساعده النظام وتكلف يأباه المقام كيف لا وسياق
النظم الكريم كما يفصح عنه الآيات الآتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية اساءتهم
مع نهاية احسانه تعالى اليهم لا بيان نهاية احسانه تعالى اليهم مع غاية اساءتهم
في حقه تعالى كما يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا اتضح انه لا سبيل الى جعل المعطوف
من روادف المعطوف عليه لما ان حق الصلة ان تكون غير مقصودة الافادة
فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت ان المعطوف هو الذي سيق له الكلام
فتامل وكن على الحق المبين هو الذي خلقكم من طين استئناف مسوق لبيان بطلان
كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به اثر بيان بطلان كفرهم بالبعث
مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان اثر بيان بطلان اشراكهم به تعالى مع معاينتهم
لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل صحة البعث مع ان
ما ذكر من خلق السموات والارض من اوضحها واظهرها كما ورد في تعالى
اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم لما ان محل النزاع

بعثهم فدلالة بدء خلقهم في ذلك اظهر وهم بشؤون انفسهم اعرف والتعامي عن
الحجة الملزمة اقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ اي ابتدا خلقكم منه
فانه المادة الاولى للكل لما انه منشأ آدم الذي هو اصل البشر وانما نسب هذا الخلق
الى المخاطبين لا الى آدم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بان يقال هو الذي
خلق اباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقه عليه السلام منه في ايجاب الايمان بالبعث
وبطلان الامتراء لتوضيح منهاج القياس والمبالغة في ازاحة الاشتباه والالتباس
مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية هي ان كل فرد من افراد البشر له حظ
من انشائه عليه السلام منه حيث لم تكن فطرته البديعية مقصورة على نفسه بل
كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على
الكل فكان خلقه عليه السلام من الطين خلقا لكل احد من فروعه منه ولما كان خلقه
عليه السلام على هذا النمط الساري الى جميع افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا
على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل على عظم قدرة الخلاق العليم
وكمال علمه وحكمته وكان ابتداء حال المخاطبين اولى بان يكون معيارا للانتهاء فيها
فعل ما فعل ولله در شان التنزيل وعلى هذا السر مدار قوله تعالى ولقد خلقناكم
ثم صورناكم الى آخره وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كما سيأتي
المعنى خلق اباكم منه على حذف المضاف معنى خلقهم منه خلقهم من النطف
الحاصلة من الاغذية المتكونة من الارض وايا ما كان ففيه من وضوح الدلالة على
كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احياء ما لم يشم رائحة الحياة
قط كان على احياء ما قارنها مرة اظهر قدرة ثم قضى اي كتب لموت كل واحد منكم اجلا
خاصا به اي حدا معينا من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للايذان بتفاوت
ما بين خلقهم حسبما تقتضيه الحكم البالغة واجل مسمى اي حد معين لبعثكم جميعا وهو
مبتداء لتخصصه بالصفة كما في قوله تعالى ولعبد مؤمن ولوقوعه في موقع التفصيل
كما في قول من قال • اذا ما بكى من خلفها انصرفت له • بشق وشق عندنا لم يحول •
وتنوينه لتفخيم شانه وتهويل امره ولذلك اوثر تقديمه على الخبر الذي هو عنده
مع ان الشائع المستفيض هو التأخير كما في قولك عندي كلام حق ولي كتاب نفيس كانه
قال واي اجل مسمى مثبت معين في علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله احد
لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا وتقريبا بناء على ظهور اماراته
او على ما هو المعتاد في اعمار الانسان وتسميته اجلا انما هي باعتبار كونه غاية
لمدة لبثهم في القبور لا باعتبار كونه مبدأ لمدة القيامة كما ان مدار التسمية في الاجل
الاول هو كونه آخر مدة الحياة لا كونه اول مدة الممات لما ان الاجل في اللغة عبارة
عن آخر المدة لا عن اولها الاجل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت

والبعث

والبعث من البرزخ فان الاجل كما يطلق على آخر المدة يطلق على كلها وهو الاوفق لما
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى قضى لكل احد اجلين اجلا من مولده الى
الى موته واجلا من موته الى مبعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث
في اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك
تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب فمعنى عدم تغير الاجل
حينئذ لعدم تغير آخره والاول هو الاشهر الاليق بتفخيم الاجل الثاني المنوط باختصاصه
بعلمه تعالى والانسب بتهويل المبني على مقارنته للطامة الكبرى فان كون بعضه معلوما
للخلق ومضيه من غير ان يقع فيه شيء من الدواهي كما يستلزمه الحمل على المعنى الثاني
مخل بذلك قطعا ومعنى زيادة الاجل ونقصه فيما تأخير الاجل الاول وتقديمه
ثم انتم تمترون استبعاد واستنكار لامترائهم في البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة
الدالة عليه اي تمترون في وقوعه وتحققه في نفسه مع مشاهدتكم في انفسكم من الشواهد
ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فان من قدر على افاضة الحيوة وما يتفرع عليها من
العلم والقدرة وسائر الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشيء منها اصلا كان
اقدر على افاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن هنا تبين ان ما قيل
من ان الاجل الاول هو النوم والثاني هو الموت او ان الاول اجل الماضين والثاني
اجل الباقين او ان الاول مقدار ما مضى من عمر كل احد والثاني مقدار ما بقي منه
مما لا وجه له اصلا لما رأيت من ان مساق النظم الكريم استبعاد امترائهم في البعث الذي
عبر عن وقته بالاجل المسمى بحيث اريد به احد ما ذكر من الامور الثلاثة في اي شيء يعد
وصفهم بالامتراء الذي هو الشك وتوجيه الاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفاء
البعث مصرون على انكاره كما ينبئ عنه قولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
ونظائره للدلالة على ان جزمهم المذكور في اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار
تعالى وهو الله جملة من مبتداء وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان
شمول احكام الهيته تعالى لجميع المخلوقات واحاطة علمه بتفاصيل احوال العباد واعمالهم
المؤدية الى الجزاء اثر الاشارة الى تحقيق المعاد في تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير
آجالهم تعالى في السموات وفي الارض متعلق بالمعنى الوصفي الذي ينبئ عنه
الاسم الجليل اما باعتبار اصل اشتقاقه وكونه علما للمعبود بالحق كانه وهو المعبود
فيهما واما باعتبار انه اسم اشتهر بما اشتهرت به الذات من صفات الكمال فلوحظ معه
منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشيئة
المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف من تلك الحيثية فصار كانه وهو المالك او
المتصرف المدبر فيهما كما في تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وليس
المراد بما ذكر من الاعتبارين ان الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوي او على معنى المالك

او المتصرف ونحو ذلك بل مجرد ملاحظة احد المعاني المذكورة في ضمنه كما لو لوحظ مع اسم
الاسد في قوله اسد علي الخ ما اشتهر به من وصف الجرأة التي اشتهر بها مسماه فجرى مجرى
جرئ علي وبهذا تبين ان ما قيل بصدد التصوير والتفسير اي هو المعروف بذلك في
السموات وفي الارض او هو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية او هو المعروف
بالالهية فيهما او نحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذي
اشتهر به اذ هو الذي يقتضيه المقام حسبما بين اذ فالا اشتهاره به الا يرى ان كلمة
علي في المثال المذكور لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراة قطعا هو متعلق بما
يفيده التركيب الحصري من التوحيد والتفرد كانه وهو المتوحد بالالهية فيهما
بما تقرر عند الكل من اطلاق هذا الاسم عليه تعالى خاصة كانه
وهو الذي يقال له الله فيهما لا يشرك به شيء في هذا الاسم في الوجه الذي سبق من
اعتبار معنى التوحد او القول في نحو الكلام بطريق الاستتباع لا على حمل الاسم الجليل
على معنى المتوحد بالالهية او على تقدير القول وقد جوز ان يكون الظرف خبرا ثانيا
على ان كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغا في العلم بما فيهما وتصويره بذلك على
طريقة التمثيل المبني على تشبيه حالة علمه تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان العالم
اذا كان في مكان كان عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شيء فعلى هذا يكون
تعالى يعلم سركم وجهركم اي ما اسررتموه وما جهرتم به من الاقوال او ما
اسررتموه وما اعلنتموه كائنا ما كان من الاقوال والاعمال وتعريف المضمون وجعلنا
للمعنى المراد منه وتعليق علمه عز وجل خاصة مع شمول الجميع ما فيهما حسبما يفيده الجمل
السابقة لانسياق النظم الكريم الى بيان حال المخاطبين وكذى على الوجه الثاني
فان ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجاري على
النمط المذكور مستتبعة لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون بيانا وتقريرا له بلا ريب
واما على الوجه الثلثة الباقية فلا سبيل الى كونه بيانا لكن لما من انه لا دلالة
لاستواء السر والجهر في علمه تعالى على ما اعتبر فيها من المعبودية والاختصاص بهذا
الاسم اذ ربما يعبد ويختص به من ليس له كمال العلم فانه باطل قطعا اذ المراد بما
ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولا ريب في انهما لا يتصور فيمن
ليس له كمال العلم بديهة بل لان ما ذكر من العلم غير معتبر في مدلول شيء من المعبودية
بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا بيانا له بل هو معتبر فيما صدق عليه المتوحد
وذلك غير كاف في البيانية هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني جملة
كما في تعالى فاذا هي حية تسعى هو الخبر والاسم الجليل بدل منه او به
يتعلق الظرف المتقدم ويكفي في ذلك كون المعلوم فيهما كما في قولك رميت الصيد في الحرم
اذا كنت فيه وانت خارجه ولعل تقديم سرهم وجهرهم لتوسيع الدائرة وتصوير انه

لا يعزب

لا يعزب عن علمه شيء منهما في اي مكان كان لا لانهما قد يكونان في السموات
ايضا وتعميم الخطاب لاهلها تعسف لا يخفى ويعلم ما تكسبون اي ما تفعلونه
لجلب نفع او دفع ضر من الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا او
علانية وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق في التفسير الثاني في
السر والجهر لاظهار كمال الاعتناء بها لانها التي يتعلق بها الجزاء وهو السر
في اعادة يعلم وما تأتيهم من آية من آيات ربهم كلام مستانف وارد لبيان
كفرهم بآيات الله واعراضهم هٰهنا بالكلية بعد ما بين في الآية الاولى
اشراكهم بالله سبحانه واعراضهم عن بعض آيات التوحيد وفي الآية الثانية
امتراؤهم في البعث واعراضهم عن بعض آياته والالتفات للاشعار بان
ذكر قبائحهم قد اقتضى ان يضرب عنهم الخطاب صفحا وتعدد جناياتهم لغيرهم
ذما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
او للدلالة على الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية
تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف
الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترءوا عليه في حقها والمراد بها
اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات
القرآنية التي من جملتها هاتيك الآيات فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم
آية من الآيات القرآنية التي من جملتها هاتيك الآيات الناطقة بما فصل
من بدائع صنع الله عز وجل المنبئة عن جريان احكام الوهيته على كافة الكائنات
واحاطة علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايمان
بها الا كانوا عنها معرضين اي على وجه التكذيب والاستهزاء كما ستقف عليه
واما الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات
فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر لهم آية من الآيات التكوينية التي
من جملتها ما ذكر من جلائل شؤونه تعالى الشاهدة بوحدانيته تعالى الا كانوا
عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان بمكونها وايثار
على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في تعالى وان يروا آية
يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار
اتيان الآيات وعلى متعلقة بمعرضين تاركين للنظر الصحيح قدمت عليه مراعاة
للفواصل والجملة في محل النصب على انها حال من مفعول تأتي او من فاعله المتخصص
بالوصف لاشتمالها على ضمير كل منهما والا ما كان فيها دلالة بينة على كمال
مسارعتهم الى الاعراض وايقاعهم له في آن الاتيان كما يفصح عنه كلمة لما
في تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فان الحق عبارة عن القرآن الذي اعرضوا

عنه حين اعرضوا عن كل آية منه عبر عنه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به فان
تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
لكن لا على انه شيء مغاير له في الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه بل على ان الاول
هو عين الثاني حقيقة وانما الترتيب بحسب التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك
المعنى كما في تعالى فقد جاؤا ظلما وزورا بعد تعالى وقال الذين كفروا
ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فان ما جاؤا اي فعلوه من
الظلم والزور عين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه
حالا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم تهويلا لامره كذلك مفهوم
التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض المذكور اخرج مخرج اللازم
البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد ذلك بكونه
بلا تامل تاكيدا لشناعته وتمهيدا لبيان ان ما كذبوا به اثر ذي اثير له عواقب
جليلة ستبدو لهم البتة والمعنى انهم حيث اعرضوا عن تلك الآيات عند اتيانها
فقد كذبوا بما لا يمكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا في حاله ومآله ويقفوا
على ما في تضاعيفه من الشواهد الموجبة لتصديقه تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه ولما ياتهم تاويله كما ينبئ عنه تعالى فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به
يستهزؤن فانما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلا لامره بابهامه
وتعليلا للحكم بما في حيز الصلة وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة
التي نطقت بها آيات الوعيد وفي لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لما ان النبأ لا يطلق
الا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات الآجلة او على ظهور الاسلام وعلو
كلمته يأباه الآيات الآتية وسوف لتاكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسياتيهم
البتة وان تاخر مصداق انباء الشيء الذي كانوا يكذبون به قبل من غير ان
يتدبروا في عواقبه وانما قيل يستهزؤن ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا
بالاستهزاء كما اشير اليه هذا على ان يراد بالآيات القرآنية وهو الاظهر
واما ان اريد بها الآيات التكوينية فالفاء داخلة على علة جواب شرط محذوف
والاعراض على حقيقته كانه قيل ان كانوا معرضين عن تلك الآيات فلا تعجب
فقد فعلوا بما هو اعظم منها ما هو اعظم من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذي
هو اعظم الآيات ولا مساغ لحمل الآيات في هذا الوجه على كلها اصلا واما ما قيل
من ان المعنى انه لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا بالقرآن فمما ينبغي تنزيه
التنزيل عن امثاله الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن استيناف مسوق لتعيين
ما هو المراد بالانباء التي سيحيق بهم الوعيد وتقرير اتيانها بطريق الاستشهاد
وهمزة الانكار لتقرير الرؤية وهي عرفانية مستدعية لمفعول واحد وكم

استفهامية كانت او خبرية معلقة لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع ما في حيزها
مسد مفعولها منصوبة باهلكنا على المفعولية على انها عبارة عن الاشخاص ومن قرن
مميز لها على انها عبارة عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم برهة من
الدهر كما في صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث
هو عبارة عن مدة من الزمان والمضاف محذوف اي من اهل قرن واما
انتصابها على المصدرية او على الظرفية على انها عبارة عن المصدر او عن الزمان
فتعسف ظاهر ومن الاولى ابتدائية متعلقة باهلكنا اي الم يعرفوا بمعاينة
الآثار وسماع الاخبار امة اهلكنا من قبل اهل مكة اي من قبل خلقهم او من
قبل زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كعاد وثمود
واضرابهم تعالى مكناهم في الارض استيناف لبيان كيفية الاهلاك
وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كانه كيف كان
ذلك فقيل مكناهم الخ هو صفة لقرن لما ان النكرة مفتقرة الى التخصيص
فاذا وليها ما يصلح لتخصيصها تعين وصفيته لها وانت خبير بان تنوينه
التفخيمي مغن له عن استدعاء الصفة على ان ذلك مع اقتضائه ان يكون مضمونه
ومضمون ما عطف عليه من الجمل الاربع امرا مفروغا عنه مقصودا لسياق النظم
مؤد الى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ الم يروا كم اهلكنا من قبلهم
من قرن موصوفين بكذا وكذا وباهلاكنا اياهم بذنوبهم وانه بين الفساد
وتمكين الشيء في الارض جعله قارا فيها ولما لزمه جعلها مقرا له ورد الاستعمال
بكل منهما فقيل تارة مكنه في الارض ومنه تعالى ولقد مكناهم فيما ان
مكناكم فيه واخرى انا مكنا له في الارض ومنه ومكنا لهم في الارض حتى اجري
كل منهما مجرى الآخر ومنه تعالى ما لم نمكن لكم بعد تعالى مكناهم
في الارض فانه قيل في الاول مكناهم او في الثاني ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة
بما بعدها من الجملة المنفية العائد محذوف محلها النصب على المصدرية اي مكنا
تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم بضعف الحال مزيد بيان لشأن الفريقين
ولدفع الاشتباه من اول الامر عن مرجعي الضميرين وارسلنا السماء اي المطر
او السحاب او المظلة لان مبدأ المطر منها عليهم متعلق بارسلنا مدرارا اي مغزارا
حال من السماء وجعلنا الانهار اي صيرناها تعالى تجري من تحتهم مفعولا ثانيا
لجعلنا او انشأناها فهو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه من الدلالة
على كونها مسخرة لهم مستمرة على الجريان على الوجه المذكور ما ليس في ان يقال واجرينا
الانهار من تحتهم وليس المراد بتعدادها تلك النعم العظام الفائضة عليهم بعد
ذكر تمكينهم بيان عظم جنايتهم في كفرانها واستحقاقهم لذلك لاعظم العقوبات

بل ببيان حياتهم بجميع اسباب نيل المآرب ومبادي الامن والنجاة من المكاره
والمعاطب وعدم اغناء ذلك عنهم شيئاً والمعني اعطيناهم من البسطة في
الاجسام والامتداد في الاعمار والسعة من الاموال والاستظهار باسباب
الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط اهل مكة ففعلوا
ما فعلوا فاهلكناهم بذنوبهم اي اهلكنا كل قرن من تلك القرون بسبب
ما يخصهم من ذنوب فما اغنا عنهم تلك العدد والاسباب فسيحل بهولاء مثل
ما حل بهم من العذاب وهذا كما تري آخر ما به الاستشهاد والاعتبار واما
سبحانه وتعالي وانشانا من بعدهم اي احدثنا من بعد اهلاك كل
قرن قرنا آخرين بدلا من الهالكين فلبيان كمال قدرته تعالي وسعة سلطانه
وانما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئاً بل كلما اهلك
امة انشا بدلها اخري ولو نزلنا عليك جملة مستأنفة سيقت بطريق تلوين
الخطاب لبيان شدة شكيمتهم في المكابرة وما يتفرع عليها من الاقاويل
الباطلة اثر بيان اعراضهم عن آيات الله تعالي وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم
بذلك لنزول العذاب ونسبة التنزيل ههنا اليه عليه السلام مع نسبة
اتيان الآيات ومجيء الحق فيما سبق اليهم للاشعار بقدحهم في نبوته عليه
السلام في ضمن قدحهم فيما نزل عليه صريحاً قال الكلبي ومقاتل نزلت
في نضر بن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد حيث قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتي تاتينا بكتاب من عند الله ومعه
اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله تعالي وانك رسوله كتاباً
ان جعل اسماً كالامام فقوله تعالي في قرطاس متعلق بمحذوف وقع صفة له
اي كتاباً كائناً في صحيفة وان جعل مصدراً بمعني المكتوب فهو متعلق
بنفسه فلمسوه اي الكتاب وقيل القرطاس وقوله تعالي بايديهم مع ظهور
ان اللمس لا يكون عادة الا بالايدي لزيادة التعيين ودفع احتمال التجوز
الواقع في قوله تعالي وانا لمسنا السماء اي تفحصنا اي فمسوه بايديهم
بعدما راوه باعينهم بحيث لم يبق لهم في شانه اشتباه ولم يقدروا علي الاعتذار
بتسكير الابصار لقال الذين كفروا اي لقالوا وانما وضع الموصول موضع
الضمير للتنصيص علي اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر الذي لا يخفي حسن
موقعه باعتبار مفهومه اللغوي ايضاً ان هذا اي ما هذا مشيرين الي ذلك
الكتاب الا سحر مبين اي بين كونه سحراً تعنتاً وعناداً للحق بعد ظهوره كما هو
شان اللجوج المحجوج وديدن المكابر اللجوج وقالوا لولا انزل عليه ملك شروع
في قدحهم في نبوته عليه السلام صريحاً بعدما اشير الي قدحهم فيها ضمناً وقيل

هو معطوف علي جواب لو ولم يذكر لما ان تلك المقالة الشنعاء ليست مما يقدر
صدورها عنهم علي تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي اباطيلهم المحققة وخرافاتهم
الملفقة التي يتعللون بها كلما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل اي هلا انزل عليه
عليه السلام ملك بحيث نراه ويكلمنا بانه نبي حسبما نقل عنهم فيما روي عن الكلبي
ومقاتل ونظيره قوله لولا انزل اليه ملك ليكون معه نذيراً ولما كان مدار هذا
الاقتراح علي شيئين انزال الملك كما هو وجعله معه عليه السلام نذيراً اجيب عنه
بان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود اصلا لاشتماله علي امرين متباينين لا يجتمعان
في الوجود لما ان انزال الملك علي صورته يقتضي انتفاء جعله نذيراً وجعله نذيراً
يستدعي عدم انزاله علي صورته لا محالة وقد اشير الي الاول بقوله تعالي ولو
انزلنا ملكا لقضي الامر اي لو انزلنا ملكاً علي هيئته حسبما اقترحوه والحال انه
من هول المنظر بحيث لا تطيق بمشاهدته قوي الآحاد والبشرية الا يري ان الانبياء صلوات
الله عليهم اجمعين كانوا يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم علي الصور البشرية
كضيف ابراهيم ولوط وخصم داود عليهم السلام وغير ذلك وحيث كان شانهم
كذلك وهم مؤيدون بالقوي القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو شاهدوه
كذلك لقضي امر هلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيراً وهو مع كونه خلاف مطلوبهم
مستلزم لاخلاء العالم عما عليه يدور نظام الدنيا والآخرة من ارسال الرسل
وتاسيس الشرائع وقد قال سبحانه وتعالي وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا وفي
كما تري ايذان بانهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه وان عدم الاجابة
اليه للابقاء عليهم وبناء الفعل الاول في الجواب للفاعل الذي هو نون العظمة
مع كونه في السؤال مبنياً للمفعول لتهويل الامر وتربية المهابة وبناء الثاني
للمفعول للجري علي سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالي ثم لا ينظرون اي لا يمهلون
بعد نزوله طرفة عين فضلا عن ان ينذروا به كما هو المقصود بالانزال للتنبيه
علي تفاوت ما بين قضاء الامر وعدم الانظار فان مفاجاة العذاب اشد من
نفس العذاب واشق وقيل في سبب اهلاكهم انهم اذا عاينوا الملك قد نزل
علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء ابين منها ثم لم
يؤمنوا لم يكن بد من اهلاكهم انهم اذا راوه يزول الاختيار الذي هو
قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم والي الثاني بقوله تعالي ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا علي ان الضمير الاول للنذير المفهوم من فحوي الكلام بمعونة المقام وانما
لم يجعل للملك المذكور قبله بان يعكس ترتيب المفعولين ويقال ولو جعلناه نذيراً
لجعلناه رجلا مع فهم المراد منه ايضا لتحقيق ان مناط ابراز الجعل الاول في معرض
الغرض والتقدير ومدار استلزامه للثاني انما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك

وذلك لأن الجعل حقه أن يكون مفعوله الأول مبتداء والثاني خبرا لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتدا والخبر ولا ريب في أن منصب الابتداء ومدارا للزوم بين طرفي الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه بحيث كانت استثنائية أريد بها بيان انتفاء الجعل الأول لاستلزامه المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب أن يجعل مدار الاستلزام في الأول مفعولا ثانيا لا محالة و[لذلك] جعل مقابله في الجعل الثاني كذلك إبانة لكمال التنافي بينهما الموجب لانتفاء الملزوم والضمير الثاني للملك لا لما رجع إليه الأول والمعنى لو جعلنا [مفعولا] ثانيا النذير الذي اقترحوه ملكا لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة الآحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي إيثار رجلا على بشرا إيذان بأن الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به [التمثيل] تعالى وللبسنا عليهم عطف على جواب لو مبني على الجواب الأول و... بحذف لام الجواب اكتفاء بما في المعطوف عليه يقال لبست الأمر على القوم ألبسه إذا شبهته وجعلته مشكلا عليهم وأصله الستر بالثوب وقرئ الفعلان بالتشديد للمبالغة ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلا ما يلبسون على أنفسهم حينئذ بأن يقولوا له إنما أنت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها أو بمعجزات أخر غير ملجئة إلى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ولو أظهر لهم صورته الأصلية لزم الأمر الأول والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس إما لكونه في صورة اللبس أو لكونه سببا للبسهم أو لوقوعه في صحبته بطريق المشاكلة وفيه تأكيد لاستحالة جعل النذير ملكا كأنه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشأننا من لبس الأمر عليهم وقد جوز أن يكون المعنى وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل أي والله لقد استهزئ برسل أولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه فحاق عقيبه أي أحاط أو نزل أو حل أو نحو ذلك فإن معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل إلا في الشر والحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله [فوقه] تعالى بالذين سخروا منهم أي استهزءوا بهم من أولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى ما كانوا به يستهزءون للمسارعة إلى

بيان لحوق الشر وما إما موصولة مفيدة للتهويل أي فأحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث أهلكوا لأجله وإما مصدرية أي فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور في الفعل لرعاية الفواصل قل سيروا في الأرض بعد بيان ما فعلت الأمم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإنذار قومه وتذكيرهم بأحوالهم الفظيعة تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية بما في ضمنه من العدة اللطيفة بأنه سيحيق بهم مثل ما حاق بأضرابهم الأولين وقد أنجز ذلك يوم بدر أي إنجاز أي سيروا في الأرض لتعرف أحوال أولئك الأمم ثم انظروا أي تفكروا كيف كان عاقبة المكذبين وكلمة ثم إما لأن النظر في آثار الهالكين لا يتسنى إلا بعد انتهاء السير إلى أماكنهم وإما لإبانة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الأظهر فإن وجوب السير ليس إلا لكونه وسيلة إلى النظر كما يفصح عنه العطف بالفاء في قوله عز وجل فانظروا الآية وأما أن الأمر الأول لإباحة السير للتجارة ونحوها والثاني لإيجاب النظر في آثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض أي تفكروا في أنه كيف أهلكوا بعذاب الاستئصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها وهي منتهى الأمر ومآله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق أن مدار إصابة ما أصابهم هو التكذيب لينزجر السامعون عنه لا على الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم أنه المدار في ذلك قل لهم بطريق الإلزام والتبكيت لمن ما في السموات والأرض من العقلاء وغيرهم أي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا تعالى قل لله تقريرا لهم وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتأتى لأحد أن يجيب بغيره كما نطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة جملة مستقلة داخلة تحت الأمر ناطقة بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان أنه تعالى رءوف بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة ويقبل منهم التوبة والإنابة وأن ما سبق ذكره وما لحق من أحكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته أن خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم إلى معرفته وتوحيده بنصب الآيات الأنفسية والآفاقية وإرسال الرسل وإنزال الكتب المشحونة بالدعوة إلى موجبات رضوانه والتحذير من مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا وأعرضوا عن الآيات بالمرة وكذبوا بالكتب واستهزءوا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك بهؤلاء أيضا مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه أنه تعالى قضاها وأوجبها بطريق التفضل والإحسان

على ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء اصلا وهو ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي وعنه في رواية انه عليه السلام قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتي غلبت غضبي عمر رضي الله عنه انه قال ما اول شيء ابتدا الله تعالى من خلقه فقال كعب كتب الله تعالى كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابة الزبرجد واللؤلؤ والياقوت اني انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا اليهم مع انها من مقتضيات الذات المقتضية للخير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على الله تعالى وان اريد به الذات الا مشاكلة لما ترى من انتفاء المشاكلة ههنا بنوعيها تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف والجملة استيناف مسوق للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية الى بمعنى اللام اي ليجمعنكم ليوم القيمة كقوله تعالى انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هي بمعنى في اي ليجمعنكم في يوم القيمة لا ريب فيه اي في اليوم او في الجمع تعالى الذين خسروا انفسهم اي بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب او الرفع على الذم اي اعني الذين الخ او هم الذين الخ او هو مبتداء والخبر تعالى فهم لا يؤمنون والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والجملة تذييل مسوق من جهته تعالى لتقبيح حالهم غير داخل تحت الامر وله اى لله عز وجل خاصة ما سكن في الليل والنهار نزل الملوان منزلة المكان فعبر عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة في كما في تعالى وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم او السكون مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع المبالغ في سماع كل مسموع العليم المبالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من الاقوال والافعال قل لهم بعد ما بكتهم بما سبق من الخطاب اغير الله اتخذ وليا اي معبودا بطريق الاستقلال او الاشتراك وانما صلته الهمزة على المفعول الاول لا على الفعل ايذانا بان المنكر هو اتخاذ غير الله تعالى وليا لا اتخاذ

الولي

الولي مطلقا كما في تعالى اغير الله ابغي ربا تعالى افغير الله تامروني اعبد الخ فاطر السموات والارض اي مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها ليست باجنبية اذ هي عاملة في عامل الموصوف او بدل فان الفصل بينه وبين المبدل منه اسهل لان البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها وهو يطعم ولا يطعم اي يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه او لانه معظم ما يصل الى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فان مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه سبحانه وتعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء ويكون تغاير القراءة الاولى ايضا في ان الضمير لغير الله تعالى والمعنى شرك من هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما على الفاعل على ان الثاني بمعنى يستطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى تعالى يقبض ويبسط قل بعد بيان اتخاذ غيره تعالى وليا بما يقتضي بطلانه بديهة العقول اني امرت من جنابه عز وجل ان اكون اول من اسلم وجهه لله مخلصا لان النبي امام امته في الاسلام كقوله تعالى وبذلك امرت وانا اول المسلمين تعالى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن اي وقيل لي ولا تكونن من المشركين اي في امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز عطفه على الامر وهو قل اني اخاف ان عصيت ربي اى بمخالفة امره ونهيه اي عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه عليه السلام من المعاصي على الاطلاق تعالى عذاب يوم عظيم اي عذاب يوم القيمة مفعول اخاف الشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لاطماعهم الفارغة وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم من يصرف عنه اي على البناء للمفعول اي العذاب وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالاظهار والمفعول محذوف تعالى يومئذ ظرف للصرف اي في ذلك اليوم العظيم وقد جوز ان يكون هو المفعول على قراءة البناء للفاعل بحذف المضاف اي عذاب يومئذ فقد رحمه اي نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة كما في تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز والجملة مستانفة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصي وذلك اشارة الى الصرف او الرحمة لانها مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد مكانه من الفضل وهو مبتداء خبره تعالى الفوز المبين اي الظاهر كونه فوزا وهو الظفر بالبغية والالف واللام لقصره على ذلك وان يمسسك الله بضر اي ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك

فلا كاشف له اي فلا قادر على كشفه عنك الا هو وحده وان يمسسك بخير من صحة ونعمة ونحو
ذلك فهو على كل شيء قدير ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسك به ويحفظه عليك من غير
ان يقدر على دفعه او رفعه احد كقوله تعالى فلا راد لفضله وجمله على تاكيد الجوابين
يأباه الفاء بدلالة عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اهدي للنبي صلى الله عليه
وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه ثم سار بي ميلا ثم
التفت الي فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ
الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخا يعرفك في الشدة فاذا سالت فاسال الله
واذا استعنت فاستعن بالله فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلايق ان ينفعوك
بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله عليك
ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فان
في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع
العسر يسرا وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو
الحكيم في كل ما يفعله ويامر به الخبير باحوال عباده وخفايا امورهم واللام في الموا
الثلاثة للقصر قل اي شيء اكبر شهادة روي ان قريشا قالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فاذن
من يشهد لك انك رسول الله فنزلت فاي مبتداء واكبر خبره وشهادة نصب على
التمييز تعالى قل الله امر له صلى الله عليه وسلم بان يتولى الجواب بنفسه
اما للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتلعثمون
فيه لا لترددهم في انه اكبر من كل شيء بل في كونه شهيدا في هذا الشان تعالى
شهيد خبر مبتداء محذوف اي هو شهيد بيني وبينكم ويجوز ان يكون الله شهيد
هو الجواب لانه اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم كان اكبر شيء شهادة شهيدا له عليه السلام
وتكرير البين لتحقيق المقابلة واوحي الي اي من جهته تعالى هذا القران الشاهد بصحة رسالتي
لانذركم به بما فيه من الوعيد والاقتصار على ذكر الانذار لما ان الكلام مع الكفرة ومن بلغ
عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر
او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن سيوجد الى يوم القيمة وهو دليل على
ان احكام القران تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد الى يوم القيمة خلا ان ذلك
بطريق العبارة في الكل عند الحنابلة وبالاجماع عندنا في غير الموجودين وفي غير المكلفين
يومئذ كما مر في اول سورة النسا ايئنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم مع
انكار واستبعاد قل لا اشهد بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف قل تكرير للامر
انما هو اله واحد اي بل اشهد انه تعالى لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون من الاصنام
او من اشراككم الذين اتيناهم الكتاب جواب عما سبق من قولهم لقد سالنا عنك اليهود والنصارى

اخر

اخر عن تعيين الشهيد مسارعة الى الزامهم بالجواب عن تحكمهم بقولهم فارنا من يشهد لك الخ
والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وايراده
بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بمدار ما اسند اليه بقوله تعالى يعرفونه اي يعرفون
رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الكتابين ونعوته المذكورة فيهما كما يعرفون
ابناءهم بحلاهم بحيث لا يشكون في ذلك اصلا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما قدم المدينة قال عمر رضي الله تعالى عنه لعبد الله بن سلام انزل الله
تعالى على نبيه هذه الاية وكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته
كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة بمحمد مني بابني لاني ما ادري ما صنع النساء واشهد
انه حق من الله تعالى الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين بان ضيعوا
فطرة الله التي فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان بالكلية
فهم لا يؤمنون لما انهم مطبوعون قلوبهم ومحل الموصول الرفع على الابتداء وخبره
الجملة المصدرية بالفاء لما فيه من معنى الشرط وقيل على انه خبر مبتداء محذوف
اي هم الذين خسروا الخ وقيل على انه نعت للموصول الاول وقيل النصب على الذم
فقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجوه الاخيرة عطف على جملة الذين اتيناهم
الكتاب الخ ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا لوصفهم النبي الموعود في الكتابين بخلاف
اوصافه عليه السلام فانه افتراء على الله سبحانه وتعالى وبقولهم الملائكة بنات
الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون احد
اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان سبك التركيب غير متعرض لانكار
المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فانه اذا قيل
من اكرم من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما لا انه اكرم من كل كريم
وافضل من كل فاضل الا يرى الى قوله عز وجل لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون
بعد قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الخ والسر في ذلك ان النسبة بين الشيئين
انما تتصور غالبا لا سيما في باب المغالبة بالتفاوت زيادة ونقصانا فاذا
لم يكن احدهما ازيد يتحقق النقصان لا محالة او كذب باياته كان كذبوا بالقران
الذي من جملته الاية الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام كما يعرفون ابناءهم
والمعجزات وسموها سحرا وحرفوا التورية وغيروا نعوته عليه السلام فان
ذلك تكذيب باياته تعالى وكلمة او للايذان فان كلا من الافتراء والتكذيب وحده
بالغ غاية الافراد في الظلم فكيف وهم قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله
تعالى ونفوا ما اثبته قاتلهم الله انى يؤفكون انه الضمير للشان ومدار وضعه
موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفايدة تصدير الجملة الايذان بفخامة
مضمونها مع ما فيه من زيادة تقرير في الذهن فان الضمير لا يفهم منه اول

الامر الشان منهم له خطر ينبغي الذم منه تبا لما يعقبه فيتمكن عنده ويزداد لديه
تمكن وكانه الشان الخطير هذا وهو لا يفلح الظالمون اي لا ينجون من مكروه
ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن في الغاية
القاصية من الظلم ويوم نحشرهم جميعا منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف
ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الى عدم استطاعة السامعين
لسماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة كانه قيل
ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول لهم ما نقول من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به
دائرة المقال وتغيير صيغة الماضي للدلالة على التحقيق ولحسن موقع تعظيمه
تعالى ثم لم تكن الخ وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم اي واذكرهم
للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الخ وليتقوا وليحذروا يوم نحشرهم الخ والضمير
للكل وجميعا حال منه نحشرهم جميعا ثم يقول بالياء فيهما للذين اشركوا
اي نقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤوس الاشهاد اين شركاؤكم اي الهتكم
التي جعلتموها شركاء لله سبحانه واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم
وتقولهم الكاذب كما ينبئ عنه تعالى الذين كنتم تزعمون اي تزعمونها شركاء
فحذف المفعولان معا وهذا السؤال المبني عن غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها
بقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله ونحو
ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبري من الجانبين وتقطع
ما بينهما من الاسباب والعلائق حسبما يحكيه تعالى فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك
من الآيات الكريمة اما بعد حضورها في الحقيقة بابعادها من ذلك الموقف
واما بتنزيل عدم حضورها بعنوان الشركة والشفاعة منزلة عدم حضورها
في الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها بل انما هو من حيث انها شركاء
كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب في ان عدم الوصف يوجب عدم
الموصوف فهي من حيث هي شركاء غائبة لا محالة وان كانت حاضرة من حيث ذواتها
اصناما كانت او غيرها واما ما يقال من انه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ
ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم
فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها
بعد وقد عرفت انهم شاهدوها قبل ذلك وانصرمت عروة اطماعهم عنها بالكلية
على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ وانما الذي يحصل
يوم الحشر الانكشاف الجلي واليقين القوي المترتب على المحاضرة او على المحاورة ثم لم تكن
فتنتهم بتانيث الفعل ورفع فتنتهم على انه اسمه والخبر الا ان قالوا وقرئ بنصب
فتنتهم على انها الخبر والاسم الا ان قالوا والتانيث للخبر كما في قولهم من كانت امك

وقري

وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها ورفعها انسب بحسب المعنى والجملة عطف
على ما قدر عاملا في يوم نحشرهم كما اشير اليه فيما سلف والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء
وفتنتهم اما كفرهم مرادا به عاقبتهم اي لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه مدة اعمارهم
وافتخروا به شيئا من الاشياء الا جحوده والتبري منه بان يقولوا والله ربنا ما كنا
مشركين واما جوابهم عبر عنه بالفتنة لانه كذب ووصفه تعالى بربوبيته لهم للمبالغة
في التبري من الاشراك وقرئ ربنا على النداء فهو لاظهار الضراعة والاجتهاد في
استدعاء قبول المعذرة وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع راسا
من فرط الحيرة والدهش وحمله على معنى ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا في الدنيا
انا على خطاء في معتقدنا مما لا ينبغي ان يتوهم اصلا فانهم مما يتوهم ان لهم عذرا وان
لهم قدرة على الاعتذار في الجملة وذلك مخل بكمال هول اليوم قطعا على انه قد
قضي ببطلانه قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم فانه تعجيب من كذبهم الصريح بانكار
صدور الاشراك عنهم في الدنيا اي انظر كيف كذبوا على انفسهم في قولهم ذلك فانه
امر عجيب في الغاية واما حمله على كذبهم في الدنيا فتمحل يجب تنزيه ساحة التنزيل
عنه وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون عطف على كذبوا داخل معه في حكم
التعجيب وما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين
الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدور ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم اي زال
وذهب افتراؤهم او ما كانوا يفترونه من الاشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية
وتبرؤوا منه بالمرة وقيل ما عبارة عن الشركاء وايقاع الافتراء عليها مع انه في الحقيقة
واقع على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة في امرها كانها نفس
المفترى وقيل الجملة كلام مستانف غير داخل في حيز التعجيب ومنهم من يستمع اليك
كلام مبتدأ مسوق لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين من احكام الكفر اثر
بيان ما سيصدر عنهم يوم الحشر تقريرا لما قبله وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين اشركوا
ومحل الظرف الرفع على انه مبتدأ باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وكما في قوله
تعالى ومنا دون ذلك اي وجمع منا الخ ومن موصولة او موصوفة محلها الرفع على
الخبرية والمعنى وبعضهم او بعض منهم الذي يستمع اليك او فريق يستمع اليك على ان
مناط الافادة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين
وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ روي انه اجتمع ابو سفيان
والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد
فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير
الاولين مثل ما حدثتكم من القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال

ابو جهل كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم اكنة من الجعل بمعنى الانشاء وعلى متعلقة به وضمير
قلوبهم راجع الى من وجمعيته بالنظر الى معناها كما ان افراد ضمير يستمع بالنظر الى لفظها
وقد روعي جانب المعنى في قوله تعالى ومنهم من يستمعون اليك الآية والاكنة
جمع كنان وهو ما يستر به الشيء وتنوينها للتفخيم والجملة اما مستانفة للاخبار
بما تضمنته من الختم او حال من فاعل يستمع باضمار قد عند من يقدرها قبل الماضي
الواقع حالا اي يستمعون اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها
خارجة عما يتعارفه الناس ان يفقهوه اي كراهة ان يفقهوا ما يستمعونه من القرآن
المدلول عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا لما ينبئ عنه الكلام اي منعناهم
ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه والكلام فيه كما في قوله
تعالى على قلوبهم اكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه
وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له وقد مر تحقيقه في
اول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا اكنة مما تدعونا اليه وفي
آذاننا وقر الآية وانت خبير بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق
القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من
التصديق والايمان ككون القرآن سحرا وشعرا واساطير الاولين وقس عليه م
ما تقولوه في حق النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا وراء ذلك
قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك وان
يروا كل آية من الآيات القرآنية اي يشاهدوها بسماعها لا يؤمنوا بها على عموم النفي
لا على نفي العموم اي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي لما مر من
حالهم حتى اذا جاؤوك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة هي قوله
تعالى اذا جاؤوك يقول الذين كفروا وما بينهما حال من فاعل جاؤوك وانما وضع
الموصول موضع الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم اي
بلغوا من التكذيب والمبالغة والمكابرة الى انهم اذا جاؤوك مجادلين لا يكتفون بمجرد عدم
الايمان بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين
فان جعل احسن الحديث واصدقه الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
من قبيل الاباطيل والخرافات رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز ان تكون
حتى جارة واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك حال كما سبق وقوله تعالى
يقول الذين كفروا الخ تفسير للمجادلة والاساطير جمع اسطورة او اسطارة او جمع
اسطار وهو جمع سطر بالتحريك واصل الكل السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه الضمير
المرفوع للمذكورين والمجرور للقرآن اي لا يقنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من
قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيته فيؤمنوا به

وينأون

وينأون عنه اي يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه وتاكيدا لنهيهم
عنه فان اجتناب الناهي عن المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك هو السر في
تاخير النأي عن النهي وقيل الضمير المجرور للنبي عليه الصلاة والسلام وقيل
المرفوع لابي طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لاتباعه فانه كان ينهى قريشا
عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي
انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوءا فقال والله

لن يصلوا اليك بجمعهم ۝ حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ۝ وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصح ۝ ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه ۝ من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذاري سبة ۝ لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فنزلت وان يهلكون اي ما يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي الا انفسهم
بتعريضها لاشد العذاب وافظعه عاجلا وآجلا وهو عذاب الضلال والا
ضلال وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير يهلكون اي يقصرون الاهلاك
على انفسهم والحال انهم ما يشعرون اي لا باهلاكهم انفسهم ولا باقتصار ذلك عليها
من غير ان يضروا بذلك شيئا من القرآن والرسول عليه السلام والمؤمنين وانما عبر
عنه بالاهلاك مع ان المنهي من غيرهم مطلق الضرر اذ غاية ما يؤدي اليه ما فعلوا
من القدح في القرآن الكريم المبالغة في تمشي احكامه وظهور امر الدين للايذان
بان ما يحيق بهم هو الهلاك لا الضرر المطلق على ان مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة
فيما ذكر بل كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ويجوز
ان يكون الاهلاك معتبرا بالنسبة الى الذين يضلونهم بالنهي فقصره على انفسهم
مع شموله للفريقين مبني على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الاضلال
منزلة العدم ولو ترى اذ وقفوا على النار شروع في حكاية ما سيصدر عنهم
يوم القيامة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبائح المحكية مع كونه كاذبا
في نفسه والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل المشاهدة
والعيان قصدا الى بيان كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى
حيث لا يختص استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور البديعة بل
كل من يتاتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة
بظهوره وايذانا بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما
في حيز الظرف عليه اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرايت ما لا
يساعده التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التحقق او حين يطلعون عليها

اطلاعا وهي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم وقفته
على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا
فقالوا يا ليتنا نرد اي الى الدنيا تمنيا للرجوع والخلاص وهيهات ولات
حين مناص ولا نكذب بآيات ربنا اي بآياته الناطقة باحوال النار واهوالها
الآمرة باتقائها اذ هي التي تخطر حينئذ ببالهم ويتحسرون على ما فعلوا فرطوا في
حقها او بجميع آياته المنتظمة لتلك الآيات انتظاما اوليا ونكون من المؤمنين
بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل او نكون من فريق
المؤمنين الناجين من العذاب الفائزين بحسن المآب ونصب الفعلين على جواب
التمني باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى الفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود
رضي الله عنه وابن اسحاق فلا نكذب والمعنى ان رددنا لم نكذب ونكن من
المؤمنين وقيل ينسبك من ان المصدرية ومن الفعل بعدها مصدر ومن
قبله مصدر متوهم فيعطف هذا عليه كانه قيل ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب
وكونا من المؤمنين وقرئ برفعهما على انه كلام مستأنف كقوله دعني ولا اعود
اي وانا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من ضمير نرد فيكون
داخلا في حكم التمني كالوجه الاخير للنصب وتعلق التكذيب الآتي به لما تضمنه
من العدة بالايمان وعدم التكذيب كمن قال ليتني رزقت مالا فاكافئك
على صنيعك فانه متمن في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يكافئ صاحبه
يكون مكذبا لا محالة وقرئ برفع الاول ونصب الثاني وقد مر وجههما
بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عما ينبئ عنه التمني من الوعد بتصديق الآيات
والايمان بها اي ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة في الايمان وشوق
الى تحصيله والاتصاف به بل لانه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفون في الدنيا
من الداهية الدهياء وظنوا انهم مواقعوها فخافوا منها ومن هول مطلعها قالوا
ما قالوا والمراد بها النار التي وقفوا عليها اذ هي التي سيق الكلام لتهويل امرها
والتعجيب من فظاعة الموقوفين عليها وباخفائها تكذيبهم بها فان التكذيب بالشيء
كفر به واخفاء له لا محالة وايثاره على صريح التكذيب الوارد في قوله عز وجل
هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى عذاب النار التي كنتم بها تكذبون
مع كونه انسب بما قبله من قولهم ولا نكذب بآيات ربنا لمراعاة ما في مقابلته من
البدو هذا هو الذي تستدعيه جزالة النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد
بما يخفون قبائحهم ومعاصيهم او قبائحهم وفضائحهم التي كانوا يكتمونها من الناس
فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم او شركهم الذي يجحدون به في
بعض مواقف القيامة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر بما ذكر من شهادة

جوارحهم

جوارحهم عليهم او شركهم الذي يجحدون به في بعض مواقف القيامة بقولهم والله
ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم او ما اخفاه رؤساء
الكفرة عن اتباعهم من امر البعث او ما كتمه علماء اهل الكتابين من صحة نبوة النبي صلى
الله عليه وسلم ونعوته الشريفة عن عوامهم في ان الضمير المجرور للعوام والمرفوع
للخواص او لعدتهم الذي اخفوه من المؤمنين والضمير المجرور للمؤمنين والمرفوع
للمنافقين فبعيد الاعتناء عما في كل منها من الاعتساف والاختلال لا استتباع
شيء من ذلك اصلا لما عرفت من ان سوق النظم الشريف لتهويل امر النار وتفظيع
حال اهلها وقد ذكر وقوفهم عليها واشير الى انه اعتراهم عند ذلك من الخوف
والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيهم المذكور
بالفاء الفاصحة بسببية ما قبلها فاسقاط النار بعد ذلك من تلك السببية
وهي في نفسها ادهى الدواهي وازجر الزواجر واسنادها الى شيء من الامور المذكورة
التي هي بمعزل من الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها ثمة امر يجب تنزيه
ساحة التنزيل عن امثاله واما ما قيل من ان المراد جزاء ما كانوا يخفون فمن
قبيل دخول البيوت من ظهورها وابوابها مفتوحة فتأمل ولو ردوا اي من موقفهم
ذلك الى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه من الاهوال لعادوا لما
نهوا عنه من فنون القبائح التي من جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية
لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغائب وانهم لكاذبون اي لقوم ديدنهم الكذب
في كل ما يأتون وما يذرون وقالوا عطف على عادوا داخل في حيز الجواب وتوسط
قوله تعالى وانهم لكاذبون بينهما لانه اعتراض مسوق لتقرير ما افادته الشرطية
من كذبهم المخصوص او لا اخرا وهم ان المراد تكذيبهم في انكارهم البعث والمعنى
لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا ان هي اي ما الحياة الا حياتنا
الدنيا وما نحن بمبعوثين بعد ما فارقنا هذه الحياة كان لم يروا ما راوا من الاحوال التي
اولها البعث والنشور ولو ترى اذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالذي مر في نظيره
خلا ان الوقوف هاهنا مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين
يدي سيده للعقاب وقيل عرفوا ربهم حق التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم
وقوله تعالى قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كانه قيل فما
ذا قال لهم ربهم اذ ذاك فقيل قال أليس هذا اشارة الى ما شاهدوه من البعث وما
يتبعه من الامور العظام بالحق تقريعا لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع
ما يتعلق به ما هو بحق وما هو الا باطل قالوا استئناف كما سبق بلى وربنا اكدوا اعترافهم
باليمين اظهارا لكمال تيقنهم بحقيته وايذانا بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط
طمعا في نفعه قال استئناف كما مر فذوقوا العذاب الذي عاينتموه والفاء لترتيب

التعذيب على اعترافهم بحقية ما كفروا به في الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيته الآن كما نطق به قوله عز وجل بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم في الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم به دخولا اوليا ولعل هذا التوبيخ والتقريع انما يقع بعدما وقفوا على النار وقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه لا يقع بعد هذا الامر الا العذاب قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله هم الذين حكيت احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب خسرانهم بما في حيز الصلة من التكذيب بلقائه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث واحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم في ذلك فان كلمة حتى في قوله تعالى حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدي لا حد له بغتة البغت والبغتة مفاجأة الشيء بسرعة من غير شعور به يقال بغته بغتا وبغتة اي فجاءة وانتصابها اما على انها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اي مباغتة او من مفعوله اي مبغوتين واما على انه مصدر مؤكد على غير الصدر فان جاءتهم في معنى بغتتهم كقولهم اتيته ركضا او مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم اي جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة قالوا جواب اذا يا حسرتنا تعالي فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادي الساعة سمي باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته على ما فرطنا فيها اي على تفريطنا في شان الساعة وتقصيرنا في مراعاة حقها بالايمان واكتساب الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله وقيل الضمير للحياة الدنيا وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشيء مع القدرة على فعله وقيل هو للتضييع وقيل الفرط السبق ومنه الفارط اي السابق ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب كما في جلدت البعير وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا فائدتها الايذان بان عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك تحمل الاوزار الثقال والايماء الى ان تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه من فنون العقوبات والسر في ذلك ان العذاب الروحاني اشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي به الاثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدي في قوله تعالى فبما كسبت ايديكم فان المعتاد حمل الاثقال على الظهور كما ان المالوف هو الكسب بالايدي والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار ما عملوا من السيئات الا ساء ما يزرون تذييل مقرر لما قبله وتكملة له اي بئس شيئا يزرونه

وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو لما حقق فيما سبق ان وراء الحياة الدنيا حياة اخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تلك الحياتين في انفسهما واللعب عمل يشغل النفس ويفترها عما ينتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل والمعنى اما على حذف المضاف او على جعل الحياة الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنساء

• ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت • فانما هي اقبال وادبار •

وما اعمال الدنيا اي الاعمال المتعلقة بها من حيث هي هي او وما هي من حيث انها محل لكسب تلك الاعمال الا لعب يشغل الناس ويلهيهم عما فيه من منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم منفعة جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الايمان والاعمال الصالحة وللدار الآخرة التي هي محل الحيوة الاخرى خير للذين يتقون الكفر والمعاصي فان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة بالآلام مستمرة على الدوام افلا تعقلون ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه من الكفر والمعاصي والفاء للعطف على مقدر اي اتغفلون فلا تعقلون او الا تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن الذي يعتريه مما حكي من الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان انه عليه السلام بمكانة من الله عز وجل وان ما يفعلون في حقه فهو راجع اليه تعالى في الحقيقة وانه ينتقم منهم لا محالة اشد الانتقام وكلمة قد لتاكيد العلم بما ذكر المفيد لتاكيد الوعيد كما في قوله تعالى قد يعلم ما انتم عليه وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين ونحوهما باخراجها الى معنى التكثير حسب ما يخرج اليه ربما في التقليل من في مثل قوله وان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود جريا على سنن العرب عند قصد الافراط في التكثير تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي وعنده مقانب جمة يريد بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه يريد اظهار براءته وابرازانه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما تسلك عند كون الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما في الآيات الكريمة المذكورة او ادعاء كما في البيت وقوله

• قد اترك القرن مصفرا انامله • وقوله • ولكنه قد يهلك المال نائله •

والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وما بعده ساد مسدهما واسم ان ضمير الشان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول فاعل يحزنك والعائد محذوف اي الذي يقولونه وهو ما حكي عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير الاولين ونحو ذلك وقرئ يحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى فانهم لا يكذبونك تعليل لما يشعر به الكلام من النهي عن الاعتداد بما قالوا لكن لا بطريق

التشاغل عنه وعدة هسا والاقبال التام على ما هو اهم منه من استعظام جحودهم بآيات
الله عز وجل كما قيل فانه مع كونه بمعزل من التسلية بالكلية مما يوهم كون حزنه صلى الله
عليه وسلم لخاصة نفسه بل يطرق التسلي بما يفيده من بلوغه عليه السلام في جلالة
القدر ورفعة المحل والزلفى من الله عز وجل الى حيث لا غاية وراءه حيث لم يقتصر في
جعل تكذيبه عليه السلام تكذيبا لآياته سبحانه على طريقة قوله تعالى من يطع الرسول
فقد اطاع الله بل نفى تكذيبهم عنه عليه السلام واثبت لآياته تعالى على طريقة قوله
تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله ايذانا بكمال القرب واضمحلال شؤونه
عليه السلام في شأن الله عز وجل ثم فيه استعظام لجنايتهم مبني على عظم عقوبتهم
كانه قيل لا تعتد به وكله الى الله تعالى فانهم في تكذيبهم ذلك لا يكذبونك في
الحقيقة ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون اي ولكنهم بآياته تعالى يكذبونك
فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالرسوخ في الذي يجحد وهو هذا فن من فنونه
والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام ما اقدموا عليه من جحود
آياته وايراد الجحود في مورد التكذيب للايذان بان آياته تعالى من الوضوح
بحيث يشاهد صدقها كل احد فانما ينكرها بطريق الجحود الذي هو عبارة عن
الانكار مع العلم بخلافه كما في قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو
المعنى بقول من قال انه نفي ما في القلب ثباته واثبات ما في القلب نفيه
والباء متعلقة بيجحدون يقال جحده حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلمه وقيل
لتضمين الجحود معنى التكذيب وانما كان تقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى
فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم ويعضده ما روي من ان
الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب
فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن
اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش
فنزلت وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم لا يكذبونك
لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله كما يروى
ان ابا جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكذبك وانك عندنا
لصادق ولكنا نكذب ما جئتنا به فنزلت وكان صدق الخبر عند الخبيث مطابقة
خبر لاعتقاده والاول هو الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية وقرئ لا يكذبونك
من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد ككثر وكثر وانزل ونزل وهو الاظهر
وقيل معنى اكذبه وجده كاذبا ونقل عن الكسائي ان العرب تقول كذبت الرجل
اي نسبت الكذب الى ما جاء به لا اليه وقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك

امتنان

امتنان في تسليته عليه السلام فان عموم البلية ربما يهون امرها بعض تهوين
وارشاد له عليه السلام الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام في الصبر
على ما اصابهم من اممهم من فنون الاذية وعدة ضمنية له عليه السلام بمثل ما منحوه من النصر
وتصدير الكلام بالقسم لتاكيد التسلية وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة
بكذبت او بمحذوف وقع صفة لرسل اي وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولو
خطر وذوو عدد كثير او كذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك فصبروا على ما كذبوا
ما مصدرية وقوله تعالى واوذوا عطف على كذبوا داخل في حكمه فانسبك منهما
مصدران من المبني للمفعول اي فصبروا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصطبر على ما نالك
من قومك والمراد بايذائهم اما عين تكذيبهم واما بعض ما بهم من فنون الايذاء لم يصرح
به ثقة باستلزام التكذيب اياه غالبا واياما كان ففيه تاكيد للتسلية وقيل
عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استيناف وقوله تعالى حتى اتاهم
نصرنا غاية للصبر وفيه ايذان بان نصره تعالى اياهم امر مقرر لا مرد له وانه متوقع
اليهم لا بد من اتيانه البتة والالتفات الى نون العظمة لابراز الاعتناء بشأن النصر
وقوله تعالى ولا مبدل لكلمات الله اعتراض مقرر لما قبله من اتيان نصره اياهم
والمراد بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي
من المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام الدالة على نصره لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ايضا لا نفس الآيات المذكورة ونظائرها فان الاخبار بعدم تبدلها انما يفيد
تبدل المواعيد الواردة في رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون المواعيد
السابقة للرسل عليهم السلام ويجوز ان يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من جملتها
تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عليه السلام دخولا اوليا
والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من موجبات ان لا
يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه تعالى خلف في قول من الاقوال وقوله
تعالى ولقد جاءك من نبأ المرسلين جملة قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر
وتاكيد ما في ضمنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لتقرير جميع ما ذكر من تكذيب
الامم وما ترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على انه فاعل اما باعتبار
مضمونه اي بعض نبأ المرسلين او بتقدير الموصوف اي بعض من نبأ المرسلين كما مر
من تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله واياما كان فالمراد بنبائهم عليهم
السلام على الاول نصره تعالى بعد اللتيا والتي وعلى الثاني جميع ما جرى بينهم
عليهم السلام وبين اممهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الآية وقيل في محل النصب على الحالية

من المستكن في جاء العائد الى ما يفهم من الجملة السابقة اي ولقد جاءك هذا الخبر
كائنا من نبأ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم كلام مستأنف مسوق لتأكيد
ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه امر لا محيد عنه اصلا اي ان كان
عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن الكريم حسبما يفصح
عنه تسميتهم له اساطير الاولين وتنائيهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل
ان الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في محضر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل وانا
نصدقك فابى الله ان يأتيهم بآية مما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فشق ذلك عليه لما انه عليه الصلاة والسلام كان شديد الحرص على
ايمان قومه فكان اذا سألوه آية يود ان ينزلها الله تعالى طمعا في ايمانهم فنزلت
فقوله تعالى اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان مفسرة لاسمها
الذي هو ضمير الشأن ولا حاجة الى تقدير قد وقيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة
فعلية في محل النصب على انها خبرها مقدم على اسمها لانه فعل رافع لضمير مستتر
كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله عز وجل فان استطعت الخ شرطية اخرى محذوفة
الجواب وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما
جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الآيات واحببت ان تجيبهم الى
ما سألوه اقتراحا فان استطعت ان تبتغي نفقا اي سربا ومنفذا في الارض تنفذ
فيه الى جوفها او سلما او مصعدا في السماء تعرج به فيها فتأتيهم منهما بآية مما اقترحوه
فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالآية فالفاء في فتأتيهم حينئذ
تفسيرية وتنوين آية للتفخيم اي فان استطعت ان تبتغيهما فتجعل ذلك آية لهم
فافعل والظرفان متعلقان بمحذوفين هما نعتان لنفقا وسلما والاول لمجرد
التأكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض او بتبتغي وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع
حالا من فاعل تبتغي اي ان تبتغي نفقا كائنا انت في الارض او سلما كائنا في السماء
وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه عليه السلام على اسلام قومه وترامية الى حيث
لو قدر على ان يأتي بآية من تحت الارض او من فوق السماء لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى
وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم مما لا
يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو شاء تعالى ان يجمعهم
على ما انتم عليه من الهدى لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ
لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للآيات
الداعية اليه لا انه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم الى تحصيله وقيل لو شاء الله لجمعهم

على

عليه بان يأتيهم بآية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه عن الحكمة وقوله تعالى فلا
تكونن من الجاهلين نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من الحرص الشديد
على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه من الآيات في ايمانهم مرتب على بيان عدم
تعلق مشيئته تعالى بايمانهم اما اختيارا فلعدم توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه
عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين على الوجه
الثاني المقترحون ويراد بالنهي منعه عليه السلام من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم
بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه
عليه السلام انما يستجيب الذين يسمعون تقرير لما مر من ان على قلوبهم اكنة مانعة
من الفقه وفي آذانهم وقرا حاجزا بينهم من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل
الموتى لا يتصور منهم الايمان البتة والاستجابة المقارنة للقبول اي انما يقبل
دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى الذين
هؤلاء منهم كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى وقوله تعالى والموتى يبعثهم الله تمثيل
لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للايمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث
الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا
على ان الموتى مستعار للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم اي وهؤلاء الكفرة
يبعثهم الله تعالى من قبورهم ثم اليه يرجعون للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك
فلا سبيل اليه وقرئ يرجعون على البناء للفاعل من رجع رجوعا وفيه تحقيق المقام للانباء
عن كون مرجعهم اليه تعالى بطريق الاضطرار وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه حكاية
لبعض آخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القرآن الكريم وما يتعلق به والقائلون
رؤساء قريش وقيل الحارث بن نوفل واصحابه ولقد بلغت بهم الضلالة والطغيان
الى حيث لم يقنعوا بما شاهدوا من البينات التي تخر لها صم الجبال حتى اجترؤا على
ادعاء انها ليست من قبيل الآيات وانما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او
المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء الآية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سيأتي
وما يفيده التعرض لعنوان ربوبيته تعالى له عليه السلام من الاشعار بالعلية
انما هو بطريق التعريض بالتهكم من جهتهم واطلاق الآية في قوله تعالى قل ان الله
قادر على ان ينزل آية مع ان المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا آية ما من الآيات
لفساد المعنى مجاراة معهم على زعمهم ويجوز ان يراد بها آية موجبة لهلاكهم كانزال
ملائكة العذاب ونحوه على ان تنوينها للتفخيم والتهويل كما ان اظهار الاسم الجليل
لتربية المهابة مع ما فيه من الاشعار بعلة القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب
على بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع انها ليست في حيز الانكار للايذان بان عدم

تنزيله تعالى آياتها مع قدرته عليه لحكمة بالغة تجب مراعاتها وهم عنها غافلون كما
ينبئ عنه الاستدراك بقوله تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون أي ليسوا من أهل العلم
على أن المفعول مطروح بالكلية أو لا يعلمون شيئاً على أنه محذوف مدلول عليه
بقرينة المقام والمعنى أنه تعالى قادر على أن ينزل آية من ذلك أو آية وأي آية
فلا يدرون أن عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما أن في تنزيلها قلعاً لأساس
التكليف المبني على قاعدة الاختبار واستئصالاً لهم بالكلية فيقترحونها جهلاً
ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة إلى التكذيب وتخصيص عدم العلم بأكثرهم لما أن
بعضهم واقفون على حقيقة الحال وإنما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعناداً
وقوله تعالى وما من دابة في الأرض الخ كلام مستأنف مسوق لبيان كمال قدرته
عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على أنه قادر على تنزيل الآية
وإنما لم ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة من لتأكيد الاستغراق وفي متعلق
بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كأنه قيل وما فرد من أفراد
الدواب يستقر في قطر من أقطار الأرض وكذا زيادة الوصف في قوله
تعالى ولا طائر يطير بجناحيه مع ما فيه من زيادة التقرير أي ولا طائر من الطيور
يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع
عطفاً على محل الجار والمجرور كأنه قيل وما من دابة ولا طائر إلا أمم أي طوائف
متخالفة والجمع باعتبار المعنى كأنه قيل وما من دواب ولا طير إلا أمم أمثالكم
أي كل أمة منها مثلكم في أن أحوالها محفوظة وأمورها مقننة ومصالحها مرعية
جارية على سنن السداد منتظمة في سلك التقديرات الإلهية والتدبيرات
الربانية ما فرطنا في الكتاب من شيء يقال فرط الشيء أي ضيعه وتركه كما
ساعدة بن جؤية معه سقاء لا يفرط حمله أي لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرط
في الشيء أي أهمل ما ينبغي أن يكون فيه وأغفله فقوله تعالى في الكتاب أي في
القرآن على الأول ظرف لغو وقوله تعالى من شيء مفعول لفرطنا ومن مزيدة
للاستغراق أي ما تركنا في القرآن شيئاً من الأشياء المهمة التي من جملتها بيان أنه
تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول للفعل ومن
في موضع المصدر أي ما جعلنا الكتاب مفرطاً فيه شيئاً من التفريط بل ذكرنا فيه
كل ما لا بد من ذكره وأياً ما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل
الكتاب اللوح فالمراد بالاعتراض الإشارة إلى أن أحوال الأمم مستقصاة في
اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى
ثم إلى ربهم يحشرون بيان لأحوال الأمم المذكورة في الآخرة بعد بيان أحوالها في
الدنيا وإيراد ضميرها على صيغة جمع العقلاء لإجرائها مجراهم والتعبير عنها بالأمم

لما ملك أمورهم يحشرون يوم القيامة كدأبكم لا إلى غيره فيجازيهم فينصف بعضهم
من بعض حتى يبلغ من عدله أن يأخذ للجماء من القرناء وقيل حشرها موتها ويأباه مقام تهويل
الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا متعلق بقوله تعالى
ما فرطنا في الكتاب من شيء والموصول عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من
يستمع إليك الآية ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أي أوردنا في القرآن
جميع الأمور المهمة وأزحنا به العلل والأعذار والذين كذبوا بها هم صم لا يسمعونها سمع تدبر
وفهم فلذلك يسمونها أساطير الأولين ولا يعدونها من الآيات ويقترحون غيرها
وبكم لا يقدرون على أن ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها وقوله
تعالى في الظلمات أي في ظلمات الكفر أو ظلمات الجهل والعناد والتقليد إما خبر
ثان للمبتدأ على أنه عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي وإما متعلق بمحذوف
وقع حالاً من المستكن في الخبر كأنه قيل ضالون كائنين في الظلمات أو صفة لبكم
أي بكم كائنون في الظلمات والمراد به بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال فإن
الأصم الأبكم إذا كان بصيراً ربما يفهم شيئاً بإشارة غيره وإن لم يفهم بعبارته وكذا
يشعر غيره بما في ضميره بالإشارة وإن كان معزولاً عن العبارة وأما إذا كان مع ذلك أعمى
أو كان في الظلمات فينسد عليه باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله تعالى من يشأ الله
يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان أنهم من أهل الطبع لا يتأتى منهم
الإيمان أصلاً فمن مبتدأ خبره ما بعده ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة
من وقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به أي
من يشأ الله إضلاله أي أن يخلق فيه الضلال يضلله أي يخلقه فيه لكن لا ابتداء بطريق
الجبر من غير أن يكون له دخل ما بل عند صرف اختياره إلى كسبه وتحصيله وقس عليه
قوله تعالى ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم لا يضل من ذهب إليه ولا يزل من
ثبت قدمه عليه قل أرأيتكم أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبكتهم ويلقمهم
الحجر بما لا سبيل لهم إلى النكير والكاف حرف جيء به لتأكيد الخطاب لا محل له من الإعراب
ومبنى التركيب وإن كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت أو بصرية لكن المراد
به الاستخبار عن متعلقها أي أخبروني إن أتاكم عذاب الله حسبما أتى الأمم السالفة
من أنواع العذاب الدنيوي أو أتتكم الساعة التي لا محيص عنها البتة أغير الله تدعون
هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت وقوله تعالى إن كنتم صادقين متعلق بأرأيتكم
مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه
أي إن كنتم صادقين في أن أصنامكم آلهة كما أنها دعواكم المعروفة أو إن كنتم قوماً صادقين
فأجيبوني في أغير الله تدعون إن أتاكم عذاب الله فإن صدقهم بأي معنى كان من موجبات
إجابتهم بدعائهم غيره سبحانه وأما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى أغير الله تدعون

فادعوه على ان الضمير لغير الله تعالى يخل بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب منه انما
هو الاخبار بدعائهم غيره تعالى عند اتيان ما يأتي لا نفس دعائهم اياه وقوله تعالى
بل اياه تدعون عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار انباء
جليا كانه قيل لا غيره تعالى تدعون بل اياه تدعون وقوله تعالى فيكشف ما تدعون
اليه اي الى كشفه عطف على تدعون اي فيكشفه اثر دعائكم وقوله تعالى ان شاء
اي ان شاء كشفه لبيان ان قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيئته المبنية على
حكم خفية قد استأثر الله تعالى بعلمها فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة
بكشف العذاب الدنيوي وقد لا يقبله كما في بعض آخر منها وفي جميع ما يتعلق بكشف
العذاب الاخروي الذي من جملته الساعة وقوله تعالى وتنسون ما تشركون اي تتركون
ما تشركون به تعالى من الاصنام تركا كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط الكشف
بينهما مع تقارنهما وتأخر الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشأن الكشف والايذان
بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى ولقد ارسلنا كلام مستأنف سيق لبيان
ان منهم من لا يدعو الله تعالى عند اتيان العذاب ايضا لتماديهم في الغي والضلال
لا يتأثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية وتصدير الجملة
القسمية لاظهار مزيد الاهتمام بمضمونه ومفعول ارسلنا محذوف لما ان مقتضى
المقام بيان حال المرسل اليهم لا حال المرسلين اي وبالله لقد ارسلنا رسلا الى امم كثيرة
من قبلك اي كائنة من زمان قبل زمانك فاخذناهم اي فكذبوا رسلهم فاخذناهم
بالبأساء اي بالشدة والفقر والضراء اي الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا
مذكر لهما لعلهم يتضرعون اي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا
اليه من كفرهم ومعاصيهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا اي فلم يتضرعوا حينئذ مع
تحقق ما يستدعيه ولكن قست قلوبهم استدراك عما قبله اي فلم يتضرعوا الى الله تعالى
برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم
اي استمرت على ما هي عليه من القساوة او ازدادت قساوة كقولك لم يكرمني اذ جئته
لكن اهانني وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي فلم يخطر ببالهم ان
ما اعتراهم من البأساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله وقيل الاستدراك لبيان انه
لم يكن لهم في ترك التضرع سوى قسوة قلوبهم والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان
لهم وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به عطف على مقدر ينساق اليه النظم الكريم اي
فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه فتحنا عليهم ابواب كل
شيء من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي انه عليه السلام قال مكر
بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتحنا بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور
اشعار بان التذكير في الجملة غير خال عن النفع وحتى في قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا

هي التي

هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية كما في قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا
الآية ونظائره وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا او لما يدل هو عليه كانه قيل
ففعلوا ما فعلوا حتى اذا اطمأنوا بما اتيح لهم وبطروا واشروا اخذناهم بغتة اي نزل بهم
عذابنا فجأة ليكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا فاذا هم مبلسون متحسرون غاية الحسرة
آيسون من كل خير واجمون وفي الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة
الفظيعة فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا
اي تبعه ووضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذي هو
وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعات والحمد لله رب العالمين على ما جرى
عليهم من النكال فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم
الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي نطقت
بها رسلهم عليهم السلام قل ارأيتم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت عليهم
وتثنية الالزام بعد تكملة الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا في الامم
وهذا ايضا استخبار عن متعلق الرؤية وان كان بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الرؤية
ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم واعماكم بالكلية وختم على قلوبكم بان غطى ما لا
بقي معه عقل وفهم اصلا وتصيرون مجانين ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ
المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرد ما يرده من المدركات فاخذهما
سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما واما تقديم السمع على الابصار فلانه
مورد الآيات القرآنية وافراده لما ان اصله مصدر وقوله تعالى من اله مبتدأ وخبر
ومن استفهامية وقوله تعالى غير الله صفة للخبر وقوله تعالى يأتيكم به اي بذاك على ان الضمير
مستعار لاسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى له والجملة متعلق الرؤية ومناط
الاستخبار اي اخبروني ان سلب الله تعالى مشاعركم من اله غير الله تعالى يأتيكم بها وقوله
تعالى انظر كيف نصرف الآيات تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تأثرهم بما
عاينوا من الآيات الباهرة اي انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة من اسلوب الى اسلوب
تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير
ثم هم يصدفون عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة في التعجيب وثم لاستبعاد صدودهم
اي اعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها قل ارأيتكم
تبكيت آخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم ان اتاكم عذاب الله اي عذابه
العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم بغتة اي فجاءة من غير ان يظهر منه مخايل الاتيان
وحيث تضمن هذا معنى الخفية قوبل بقوله تعالى او جهرة اي بعد ظهور اماراته وعلاماته وقيل
ليلا او نهارا لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة وجهرة وهما
في موضع المصدر اي اتيان بغتة او اتيان جهرة وتقديم البغتة لكونها اهول وافظع وقوله

تعالى هل يهلك متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك
بهم اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم اي هل
يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع موضعه الا القوم الظالمون تسجيلا عليهم بالظلم
وايذانا بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الايمان وقيل المراد
بالظالمين الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا قال الزجاج هل يهلك الا انتم
ومن اشبهكم ويأباه تخصيص الاتيان بهم وقيل الاستفهام بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار
حينئذ محذوف كانه قيل اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى بغتة او جهرة ماذا يكون الحال
ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك الا القوم الظالمون اي ما يهلك بذلك العذاب الخاص
بكم الا انتم فمن قيد الهلاك بهلاك التعذيب والسخط تحقيقا للحصر باخراج غير الظالمين
لما انه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد اهمل ما اعتد
واشتغل بما لا يعنيه واخل بجزالة النظم الكريم وقرئ هل يهلك من الثلاثي وما نرسل
المرسلين كلام مستأنف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة على الاطلاق وتحقيق
ما في عهدة الرسل عليهم السلام واظهار ان ما يقترحه الكفرة عليه عليه السلام
ليس مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر جرت
عليه العادة الالهية وقوله تعالى الا مبشرين ومنذرين حالان مقدرتان من المرسلين
اي ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم ففيهما معنى العلة الغائية قطعا اي
ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب على المعصية اي ليخبروهم
بالخبر السار والخبر الضار دنيويا كان او اخرويا من غير ان يكون لهم دخل ما في
المخبر به اصلا وعليه القصر والا لزم ان لا يكون بيان الشرايع والاحكام من وظايف
الرسالة والفاء في قوله تعالى فمن آمن واصلح لترتيب ما بعدها على ما قبلها ومن موصولة
والفاء في قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لشبه الموصول بالشرط اي لا خوف
عليهم من العذاب الذي انذروه دنيويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا
به من الثواب العاجل والآجل وتقديم نفي الخوف على نفي الحزن لمراعاة حق المقام
وجمع الضماير الثلاثة الراجعة الى من باعتبار معناها كما ان افراد الضميرين السابقين
باعتبار لفظها اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون
والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية
مضارعا لما تقرر في موضعه ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار
بحسب المقام الا يرى ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل
عليها حرف النفي دلت على استمرار الانتفاء لا على انتفاء الاستمرار كذلك المضارع الخالي
عن حرف النفي يفيد استمرار الثبوت فاذا دخل عليه حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء
لا انتفاء الاستمرار ولا تعدي في ذلك بان قولك ما زيد ضربت مفيد لاختصاص النفي

لا لنفي الاختصاص كما بين في محله وقوله عز وجل والذين كذبوا عطف على من آمن داخل في حكمه
وقوله تعالى بآياتنا اشارة الى ان ما ينطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والانذار
ويبلغونه الى الامم آياته وان من آمن به فقد آمن بآياته تعالى ومن كذب به فقد كذب بها
وفيه من الترغيب في الايمان به والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى ما نرسل المرسلين
الا ليخبروا اممهم من جهتنا بما سيقع منا من الامور السارة والضارة لا ليوقعوها استقلالا
من تلقاء انفسهم او استدعاء من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما يقترحون فاذا كان الامر كذلك
فمن آمن بما اخبروا به من قبلنا تبشيرا او نذيرا في ضمن آياتنا واصلح ما يجب اصلاحه من اعماله
او دخل في الصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا التي بلغوها عند
التبشير والانذار يمسهم العذاب اي العذاب الذي انذروه عاجلا او آجلا او حقيقة العذاب
وجنسه المنتظم له انتظاما اوليا بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر الذي هو
الاصرار على الخروج عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله استئناف مبني
على ما اسس من السنة الالهية في ارسال الرسل وانزال الكتب مسوق لاظهار تبريه عليه
السلام عما يدور عليه مقترحاتهم اي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة تنزيل الآيات
واخرى غير ذلك لا ادعي ان خزائن مقدوراته تعالى مفوضة الي اتصرف فيها كيفما
اشاء استقلالا او استدعاء حتى تقترحوا علي تنزيل الآيات او انزال العذاب او قلب الجبال
ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشأني وجعل هذا تبرؤا عن دعوى الالهية مما لا وجه له قطعا
وقوله تعالى ولا اعلم الغيب عطف على محل عندي خزائن الله اي ولا ادعي ايضا اني اعلم
الغيب من افعاله تعالى حتى تسألوني عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما
ولا اقول لكم اني ملك حتى تكلفوني من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر
من الرقي في السماء ونحوه او تعدوا عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في امري كما ينبئ عنه
قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والمعنى اني لا ادعي شيئا من هذه
الاشياء الثلاثة حتى تقترحوا علي ما هو من آثارها واحكامها وتجعلوا عدم اجابتي الى ذلك
دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا بل انما هي عبارة
عن تلقي الوحي من جهة الله تعالى والعمل بمقتضاه حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ان اتبع الا
ما يوحى الي لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه القصر
المفعول القياسي الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى متعلقات
الفعل باعتبار النفي في الاصل والاثبات في القيد بل على معنى تخصيص حاله عليه السلام
باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا
باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصيته فان ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي في
ما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال
الخاصة كنصر مثلا ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى خاص

يقومه قال معناه ضل النصر يرشدك الى ذلك قولهم في معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء
والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي الى الاصل والاثبات الى القيد
كانه قيل ما افعل الا اتباع ما اوحي الي من غير ان يكون لي مدخل ما في الوحي او في الموحى
بطريق الاستدعاء او بوجه آخر من الوجوه اصلا قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال
والمهتدي على الاطلاق والاستفهام انكاري والمراد انكار استواء من لا يعلم ما ذكر
من الحقائق ومن يعلمها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها وبان لا يستبعد عن الضلال والاعراض
في الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الامر لتثنية التبكيت وتأكيد الالزام وقوله تعالى
افلا تتفكرون تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
اي الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون او اتسمعونه فلا تتفكرون فيه فمناط التوبيخ
في الاول عدم الامرين معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه وانذر به الذين
يخافون ان يحشروا الى ربهم بعد ما حكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الكفرة قوما
لا يتعظون بتصريف الآيات الباهرة ولا يتأثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة قد ابت
مشاعرهم بالكلية والتحقوا بالاموات وقرر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت
والالزام ما يلقمهم الحجر اي القام فابوا الا الاباء والنكير وما نجع فيهم عظة ولا تذكير
وما افادهم الانذار الا الاصرار على الانكار امر صلى الله عليه وسلم بتوجيه الانذار
الى من يتوقع منهم التأثر في الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتي سواء
كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة
آبائهم الانبياء كالاولين او في شفاعة الاصنام كالآخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة
الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون
للحشر راسا القائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون
ممن امر بانذارهم وقد قيل هم المفرطون في الاعمال من المؤمنين ولا يساعده سياق النظم
الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقضي باستحالة صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور لما يوحى او
لما دل هو عليه من القرآن والمفعول الثاني للانذار اما العذاب الاخروي المدلول عليه
بما في حيز الصلة واما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية
المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى
ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا ومن متعلقة بمحذوف
وقع حالا من اسم ليس لانه في الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا اي ان الحالة الاولى
لاخراج الحشر الذي لم يقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق ان ما نيط به الخوف هو الحشر
على تلك الحالة لا الحشر كيف ما كان ضرورة ان المعترفين به الجازمين بنصرة غيره تعالى
بمنزلة المنكرين له في عدم الخوف الذي عليه يدور امر الانذار واما الحالة الثانية فليست
لاخراج الولي الذي لم يقيد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى لاستلزامه ثبوت ولاية

غيره

تعالى لهم كما في قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو فقدان
ما علقوا به رجاءهم وذلك انما هو ولاية غيره سبحانه وتعالى كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي
الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء والمعنى انذر به الذين يخافون ان يحشروا
غير منصورين من جهة انصارهم على زعمهم وعلى هذا اتضح ان لا سبيل الى كون المراد بالخائفين
المفرطين من المؤمنين اذ ليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته وانما الذي
يخافون الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تعالى لعلهم يتقون تعليل للامر اي انذرهم
لكي يتقوا الكفر والمعاصي او حال من ضمير الامر اي انذرهم راجيا تقواهم او من الموصول
اي انذرهم مرجوا منهم التقوى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لما امر
عليه السلام بانذار المذكورين لينتظموا في سلك المتقين نهي عليه السلام عن كون ذلك
بحيث يؤدي الى طرد المتقين روي ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار
وصهيب وسلمان واضرابهم جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد
المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئناك فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال عليه
السلام نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله عنه قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون وقيل ان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبيد وعمرو بن نوفل واشراف بني عبد
مناف من اهل الكفر اتوا ابا طالب فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد
موالينا وحلفاءنا وهم عبيدنا وعتقاؤنا كان اعظم في صدورنا وادنى لاتباعنا اياه
فاتى ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه فقال عمر رضي الله
عنه لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون والى ما يصيرون وقال سلمان وخباب
فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس
بن مرداس وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا
مع ناس من ضعفاء المؤمنين فلما راوهم حوله عليه السلام حقروهم فاتوه عليه السلام
فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم
جالسناك وحادثناك واخذنا عنك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين قالوا
فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا يعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تأتيك
فنستحيي ان ترانا مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد
معهم ان شئت قال عليه السلام نعم قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي رضي
الله تعالى عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالآية فرمى عليه السلام
بالصحيفة ودعانا فاتيناه وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان
يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام

عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم
المحيا ومعكم الممات والمراد بذكر الوقتين الدوام وقيل صلاة الفجر والعصر وقرئ
بالغدوة وقوله تعالى يريدون وجهه حال من ضمير يدعون اي يدعونه تعالى
مخلصين له فيه وتقييده به لتاكيد عليته للنهي فان الاخلاص من اقوى موجبات
الاكرام المضاد للطرد وقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء اعتراض وسط بين
النهي وجوابه تقريرا له ودفعا لما عسى يتوهم كونه مسوغا لطردهم من اقاويل
الطاعنين في دينهم كداب قوم نوح حيث قالوا ما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا
بادي الراي اي ما عليك شيء ما من حساب ايمانهم واعمالهم الباطنة حتى تتصدى
له وتبني على ذلك ما تراه من الاحكام وانما وظيفتك حسبما هو شان منصب النبوة
اعتبار ظواهر الاعمال واجراء الاحكام على موجبها واما بواطن الامور فحسابها
على العليم بذات الصدور كقوله تعالى ان حسابهم الا على ربي وذكر قوله تعالى
وما من حسابك عليهم من شيء مع ان الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء
كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه اصلا عليه السلام
عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون واما ما قيل
ان ذلك لتنزيل الجملتين منزلة جملة واحدة لتادية معنى واحد على نهج قوله تعالى
ولا تزر وازرة وزر اخرى فغير حقيق بجزالة شان التنزيل وتقديم عليك في الجملة
الاولى للقصد الى ايراد النفي على اختصاص حسابهم به عليه السلام اذ هو الداعي
الى تصديه عليه السلام لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى انك لا تؤاخذ
بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين وقوله
تعالى فتطردهم جواب النفي وقوله تعالى فتكون من الظالمين جواب النهي وقد جوز عطفه
على فتطردهم على طريقة التسبيب وليس بذاك وكذلك فتنا بعضهم ببعض استئناف
مبين لما نشا عنه ما سبق من النهي وذلك اشارة الى مصدر ما بعده من الفعل الذي
هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم
عليه في امر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة
المشار اليه وبعد منزلته في الكمال والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة
من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف والتقدير
فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لافادة القصر
المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا
له والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنا اي ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتونا
غيره حيث قدمنا الآخرين في امر الدين على الاولين المتقدمين عليهم في امر الدنيا
تقدما كليا واللام في قوله تعالى ليقولوا للعاقبة اي ليقول البعض الاولون مشيرا

الى الآخرين محقرين لهم نظرا الى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي وتعاميا عما هو مناط
التفضيل حقيقة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى
من دوننا ونحن المتقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك انكار وقوع المن
راسا على طريقة قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه
بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين رد لقولهم ذلك وابطال
له واشارة الى ان مدار استحقاق الانعام معرفة شان النعمة والاعتراف بحق المنعم والهمزة
لتقرير علمه البالغ بذلك اي اليس الله باعلم بالشاكرين لنعمه حتى يستبعدوا انعامه عليهم
وفيه من الاشارة الى ان اولئك الضعفاء عارفون لحق نعمة الله تعالى في تنزيل القرآن
والتوفيق للايمان شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بان القائلين بمعزل من ذلك
كله ما لا يخفى واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا هم الذين نهي عن طردهم وصفوا بالايمان
بايات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادة الله تعالى بالاخلاص تنبيها
على احرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتاخير هذا الوصف الاول لما ان مدار الوعد بالرحمة
والمغفرة هو الايمان بها كما ان مناط النهي عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة وقوله
تعالى فقل سلام عليكم امر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد انذار مقابليهم وقيل
بتبليغ سلامه تعالى اليهم وقيل بان يبداهم بالسلام وقوله تعالى كتب ربكم على
نفسه الرحمة اي قضاها واوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان
بالذات لا بتوسط شيء ما اصلا تبشير لهم بسعة رحمته تعالى وبنيل المطالب اثر تبشيرهم
بالسلامة عن المكاره وقبول التوبة منهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم اظهار اللطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاؤوا الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت
وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا بدل من الرحمة وقرئ بكسر انه على تفسير الرحمة
بطريق الاستئناف وقوله تعالى بجهالة حال من فاعل عمل اي عمله وهو جاهل بحقيقة
ما يتبعه من المضار والتقييد بذلك للايذان بان المؤمن لا يباشر ما يعلم انه يؤدي الى
الضرر او عمله ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده اي من بعد عمله او من بعد سهوه واصلح
اي ما افسده تداركا وعزما على ان لا يعود اليه ابدا فانه غفور رحيم اي فامره انه
غفور رحيم او فله انه غفور رحيم وقرئ فانه بالكسر على انه استئناف وقع في صدر
الجملة الواقعة خبرا لمن انها موصولة او جوابا لها على انها شرطية وكذلك نفصل
الايات قد مر آنفا ما فيه من الكلام اي هذا التفصيل البديع نفصل الايات في صفة
اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين بتانيث
الفعل بناء على تانيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فان السبيل مما يذكر ويؤنث
وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار

بان له فوائد جمة من جملتها ما ذكر او علة للفعل مقدر هو عبارة عن المذكور ويكون مستانفا اي ولتستبين سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل وقرئ بنصب السبيل على ان الفعل متعد وتاؤه للخطاب اي ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق بهم قل اني نهيت امر صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى مخاطبة المصرين على الكفر اثر ما امر بمعاملة من عداهم من اهل الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اي قل لهم قطعا لاطماعهم الفارغة عن ركونه عليه السلام اليهم وبيانا لكون ما هم عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا اني صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون اي عن عبادة ما تعبدونه من دون الله كائنا ما كان قل كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشان المامور به او ايذانا باختلاف المقولين من حيث ان الاول حكاية لما من جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته عليه السلام من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل لا اتبع اهواءكم استجهالا لهم وتنصيصا على انهم فيما هم فيه تابعون لاهواء باطلة وليسوا على شيء مما ينطلق عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهي والانتهاء وقوله تعالى قد ضللت اذا استيناف مؤكد لانتهائه عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى قل اني على بينة تحقيق للحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الباطل الذي عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القرآن والوحي وقيل هي الحجج العقلية او ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى من ربي متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله تعالى وكذبتم به اما جملة مستانفة او حالية بتقدير قد او بدونه جيء بها لاستقباح مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضي عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور للبينة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى اني على بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب وقوله تعالى ما عندي ما تستعجلون به استيناف مبين لخطائهم في شان ما جعلوه منشا لتكذيبهم بها وهو عدم مجيء ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلون بقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على زعمهم اي ليس ما تستعجلون به من العذاب الموعود في القرآن وتجعلون تاخره ذريعة الى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى اجيء به واظهر لكم صدقه اي ليس امره بمفوض الي ان الحكم اي ما الحكم في ذلك تعجيلا وتاخيرا او ما الحكم في جميع الاشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا الا لله وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى يقضي الحق اي يتبعه بيان لشؤونه تعالى في الحكم المعهود او في جميع احكامه المنتظمة له انتظاما اوليا اي لا يحكم الا بما هو حق فيثبت حقية التاخير وقرئ يقضي فانتصاب الحق على المصدرية اي يقضي القضاء

الحق

الحق او على المفعولية اي يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه يمنع الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدي على صاحبه وهو خير الفاصلين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مشير الى ان قص الحق هو بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الحق الذي يستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل ان المعنى اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تعالى غيره وانت خبير بان مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم بتكذيب ايات الله تعالى بسبب عدم مجيء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه في امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام اصلا قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب الذي ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضا الي من جهته تعالى لقضي الامر بيني وبينكم اي بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد ونظائره وفي بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعين الفاعل الذي هو الله سبحانه وتهويل الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى فما قيل في تفسيره لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وتخلصت منكم سريعا بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى والله اعلم بالظالمين اعتراض مقرر لما افاده الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه عليه السلام المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله اعلم بحال الظالمين وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم يفوض الامر الي فلم يقض الامر بتعجيل العذاب والله اعلم وعنده مفاتح الغيب بيان لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث القدرة والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار لمكان من الغيب كانها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية يغلق عليها ويفتح واما جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح فهو مستعار لما يتوصل به الى تلك الامور بناء على الاستعارة الاولى اي عنده تعالى خاصة خزائن غيوبه او ما يتوصل به اليها وقوله عز وجل لا يعلمها الا هو تاكيد لمضمون ما قبله وايذان بان المراد هو الاختصاص من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما يستعجلونه من العذاب ليس مقدورا لي حتى الزمكم بتعجيله ولا معلوما لدي لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى ويعلم ما في البر والبحر بيان لتعلق علمه تعالى بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط سواء في الجلاء اي يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة على اختلاف اجناسها وانواعها وتكثر افرادها وقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقه باحوالها المتغيرة بعد بيان تعلقه بذواتها فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار انها انموذج لاحوال سايرها وقوله تعالى ولا حبة عطف على ورقة وقوله تعالى في ظلمات

بظلمات

الارض متعلق بمحذوف هو صفة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى اي لا حبة كائنة في بطون
الارض الا يعلمها وكذي قوله تعالى ولا رطب ولا يابس معطوفان عليها داخلان في حكمها
وقوله تعالى الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء والاول بدل الكل في ان الكتاب المبين
عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال في انه عبارة عن اللوح المحفوظ وقرئ الاخيران بالرفع
عطفا على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الانسب بالمقام
لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شانه السقوط وقد نقل قراءة الرفع في ولا حبة
ايضا وهو الذي يتوفيكم بالليل اي ينيمكم فيه على استعارة التوفي من الاماتة للانامة لما بين
الموت والنوم من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم
بالنهار اي ما كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي
والبعث الموجودين فيهما يتحقق قضاء الاجل المسمى المترتب عليهما لا في بعضهما والمراد بعلمه تعالى
ذلك علمه قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره على البعث اي يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي
للدلالة على التحقق وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما اختص بالآخر
للجري على سنن العادة ثم يبعثكم فيه اي يوقظكم في النهار عطف على يتوفاكم وتوسيط قوله
تعالى ويعلم الخ بينهما لبيان ما في بعثهم من عظم الاحسان اليهم بالتنبيه على ان ما يكسبونه من
السيئات مع كونها موجبة لابقائهم على التوفي بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحياة ويمهلهم كما
ينبئ عنه كلمة التراخي كانه قيل هو الذي يتوفاكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس
النهر مع علمه بما ستجرحون فيها ليقضى اجل مسمى معين لكل فرد بحيث لا يكاد يتخطى احد ما عين
له طرفة عين ثم اليه مرجعكم اي رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا ثم ينبئكم بما كنتم تعملون
بالمجازاة باعمالكم التي كنتم تعملونها في تلك الليالي والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة
والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل كاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم
من القبور في شان ما قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل
الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاخلال
لافضائه الى كون البعث معللا بقضاء الاجل المضروب له وهو القاهر فوق عباده اي هو المتصرف
في امورهم لا غيره يفعل بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير
ذلك ويرسل عليكم خاصة ايها المكلفون حفظة من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم
متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام
وقيل متعلق بحفظة والحفوظ محذوف في كل حال اي يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم
كائنا ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لما ان المكلف اذا علم ان اعماله تحفظ عليه
وتعرض على رؤوس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح وان العبد اذا وثق
بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشمه احتشامه من خدمه الواقفين على احواله
وحتى في قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت هي التي يبتدأ بها الكلام ومع ذلك يجعل ما بعد

من الجملة

من الجملة الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم
حتى اذا انتهت مدة احدكم كائنا ما كان وجاء اسباب الموت ومباديه توفته رسلنا الآخرون
المفوض اليهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه وانتهى هناك حفظة الحفظة وقرئ توفاه
ماضيا او مضارعا بطرح احدى التاءين وهم اي الرسل لا يفرطون اي بالتواني والتاخير وقرئ
مخففا من الافراط اي لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة ونقصان والجملة حال من رسلنا
وقيل مستانفة سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا به وقوله تعالى ثم ردوا عطف على
توفته والضمير للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا
والافراد اولا والجمع آخرا لوقوع التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع اي ثم ردوا
بعد البعث بالحشر الى الله اي الى حكمه وجزائه في موقف الحساب مولاهم اي مالكهم الذي
يلي امورهم على الاطلاق ولا ناصر لهم كما في قوله تعالى وان الكافرين لا مولى لهم الحق الذي
لا يقضي الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا لاحد غيره
بوجه من الوجوه وهو اسرع الحاسبين يحاسب جميع الخلائق في اسرع زمان واقصره لا يشغله
حساب عن حساب ولا شان عن شان وفي الحديث انه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة قل من
ينجيكم من ظلمات البر والبحر اي قل تقريرا لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم
من شدائدهما الهائلة التي تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك استعير لها الظلمات المبطلة
لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق
في البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء والمعنى واحد وقوله تعالى تدعونه نصب على الحالية من
مفعول ينجيكم والضمير لمن اي من ينجيكم منها حال كونكم داعين له او من فاعله اي من ينجيكم
منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى تضرعا وخفية اما حال من فاعل تدعون او مصدر
موكد له اي تدعونه متضرعين جهارا او مسرين او تدعونه دعاء اعلان واخفاء وقرئ خفية
بكسر الخاء وقوله تعالى لئن انجيتنا حال من الفاعل ايضا على تقدير القول اي قائلين تدعون
لئن انجيتنا من هذه الشدة والورطة التي عبر عنها بالظلمات لنكونن من الشاكرين اي الراسخين
في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة او لجميع النعماء التي من جملتها هذه وقرئ حفص لئن انجانا
مراعاة بقوله تعالى تدعونه قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب امر عليه السلام بتقرير الجواب مع
كونه من وظائفهم للايذان بانه متعين عندهم وبناء قوله تعالى ثم انتم تشركون عليه
اي الله تعالى ينجيكم وحده مما تدعونه الى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم والكرب
ثم انتم بعد ما تشاهدون هذه النعمة الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرئ ينجيكم
بالتخفيف وقوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا استئناف مسوق لبيان
انه تعالى هو القادر على القائهم في المهالك اثر بيان انه هو المنجي لهم منها وفيه وعيد ضمني بالعذاب
لاشراكهم المذكور على طريقة قوله تعالى افامنتم ان يخسف بكم جانب البر الخ وقوله تعالى ام امنتم
ان يعيدكم فيه تارة اخرى الآية وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء به

والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضرهم الى تهويل الامر الموحش وقوله تعالى من فوقكم متعلق
ايضا او بمحذوف وقع صفة لعذابا اي عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم
لوط واصحاب الفيل واضرابهم او من تحت ارجلكم اي من جهة التحت كما فعل بمن فعل بفرعون
وقارون وقيل من فوقكم اكابركم ورؤساكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وكلمة
او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح او يلبسكم شيعا اي
يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى كل فرقة مشايعة لامام فينشب بينكم القتال فتختلطوا
في الملاحم كقول الحماسي • وكتيبة لبستها بكتيبة • حتى اذا التبست نفضت لها يدي •
ويذيق بعضكم بأس بعض عطف على يبعث وقرئ نذيق بنون العظمة على طريقة الالتفات لتهويل
الامر والمبالغة في التحذير والبعض الاول الكفار والاخر المؤمنون ففيه وعد ووعيد وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عند قوله تعالى عذابا من فوقكم اعوذ بوجهك وعند
قوله تعالى او من تحت ارجلكم اعوذ بوجهك وعند قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم
بأس بعض هذا اهون او هذا ايسر وعنه عليه السلام انه قال سألت ربي ان لا يبعث على امتي
عذابا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني ذلك
انظر كيف نصرف الآيات من حال الى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا ويقفوا على جلية الامر
فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد وكذب به اي بالعذاب الموعود او القرآن المجيد
الناطق بمجيئه قومك اي المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان للايذان بكمال
سوء حالهم فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عليه مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم
وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من اظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
وقوله تعالى وهو الحق حال من الضمير المجرور اي كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة
او انه الكتاب الصادق في كل ما نطق به وقيل هو استيناف وايا ما كان ففيه دلالة على عظم
جنايتهم ونهاية قبحها قل لهم مبينا لما يؤول اليه امرهم وفي انك قد اديت ما عليك من
وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على
التصديق انما انا منذر وقد خرجت عن العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه لكل نبأ اي لكل شيء
ينبأ به من الانباء التي من جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار التي من جملتها عذابكم او لكل
خبر من الاخبار التي من جملتها عذابكم خبر بمجيئه مستقر اي وقت استقرار ووقوع البتة او وقت
استقرار بوقوع مدلوله وسوف تعلمون اي حال نبأكم في الدنيا او في الآخرة او فيهما معا وسوف
للتأكيد كما في قوله تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا
اي بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو دأب قريش ودينهم فاعرض عنهم بترك
مجالستهم والقيام عنهم وقوله تعالى حتى يخوضوا في حديث غيره غاية الاعراض اي استمر
على الاعراض الى ان يخوضوا في حديث غيرها والتذكير باعتبار كونها حديثا فان وصف
الحديث بمغايرتها مشير الى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونه قرآنا واما

ينسينك

ينسينك الشيطان بان يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم ابتداء او بقاء وقرئ ينسينك من التنسية
فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع المظهر موضع
نعيا عليهم انهم بذلك الخوض ظالمون واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق
والتعظيم راسخون في ذلك وما على الذين يتقون روي عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان المسلمين حين نهوا عن مجالستهم عند خوضهم في الآيات قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا
بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام ونطوف بالبيت فنزلت اي ما على الذين
يتقون قبائح اعمال الخائضين واحوالهم من حسابهم اي مما يحاسبون عليه من الجرائر من
شيء ما على انه في محل الرفع على انه مبتدأ وما تميمية او اسم لها وهي حجازية ومن مزيدة
للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون في محل الرفع على انه خبر للمبتدأ او
لما الحجازية على رأي من لا يجيز اعمالها في الخبر المقدم مطلقا او في محل النصب على رأي
من يجوز اعمالها في الخبر المقدم عند كونه ظرفا او حرف جر ولكن ذكرى استدراك من
النفي السابق اي ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبائح بما امكن من العظة
والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى اما النصب على انه مصدر مؤكد
للفعل المحذوف اي عليهم ان يذكروهم تذكيرا او الرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر اي ولكن
عليهم ذكرى لعلهم يتقون اي يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم وقد يجوز كون الضمير
للموصول اي يذكرونهم رجاء ان يثبتوا على تقواهم او يزدادوها وذر الذين اتخذوا دينهم
الذي كلفوه وامروا باقامة مواجبه لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤوا او بنوا امر دينهم
على ما لا يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد وانما يصدر عنه لو صدر بطريق اللعب واللهو
كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب ونحو ذلك والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم
واقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الآية وغرتهم الحيوة
الدنيا واطمأنوا بها حتى زعموا ان لا حيوة بعدها ابدا وذكر به اي بالقرآن من يصلح للتذكير
ان تبسل نفس بما كسبت اي لئلا تبسل كقوله تعالى ان تضلوا الآية او مخافة ان تبسل او كراهة
ان تبسل نفوس كثيرة كما في قوله تعالى ذرهم ياكلوا علمت نفس ما احضرت وترتهن بسوء
عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه او لانه ممتنع والباسل
الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ممنوع وقد جوز ان يكون الضمير المجرور في
به راجعا الى الابسال مع عدم جريان ذكره كما في ضمير الشأن ويكون الجملة بدلا منه مفسرا له لما
في الابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم
بجر حاتم على انه بدل من ضمير جوده فالمعنى وذكر بارتهان النفوس وحبسها بما كسبت وقوله
تعالى ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع استيناف مسوق للاخبار وقيل في محل النصب على
انه حال من ضمير كسبت وقيل في محل الرفع على انه وصف لنفس والاظهر انه حال من نفس لما
في وقوع نفس كافرة او نفوس كثيرة كما في قوله علمت نفس ما احضرت كما بين في تفسير قوله تعا

وانذر به الآية وقيل هو ضرب للبسل فيكون لها حينئذ متعلق محذوف في البيان وان
تعدل اي ان تعد تلك النفس كل عدل اي كل فداء على انه مصدر مؤكد لا يؤخذ منها على اسناد
الفعل الى الجار والمجرور لا الى ضمير العدل كما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فانه
المفدي لا المصدر كما نحن فيه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في
حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال ومحله
الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى الذين ابسلوا بما كسبوا والجملة مستأنفة سيقت
اثر تحذيرهم من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك اولئك المتخذون
دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحيوة الدنيا هم الذين ابسلوا بما كسبوا من القبائح
وقوله تعالى لهم شراب من حميم استئناف آخر مبين لكيفية الابسال المذكور وقع
مبنيا على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم
شراب من ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ويتقطع امعاؤهم وعذاب اليم بنار تشتعل
بابدانهم بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم المستمر في الدنيا وقد جوز ان يكون لهم
شراب الخ حالا من ضمير ابسلوا وترتيب ما ذكر من العذابين على كفرهم مع انهم معذبون
بسائر معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لانه العمدة في ايجاب العذاب
والاهم في باب التحذير او اريد بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصي
والسيئات هذا وقد جوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها بنفس محله
الرفع بالابتداء والموصول الثاني صفته او بدل منه ولهم شراب الخ خبر والجملة مسوقة
لبيان تبعة الابسال قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا قيل نزلت في ابي بكر
رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام وتوجيهه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ح للايذان بما بينهما من الاتصال والاتحاد تنويها لشأن الصديق
رضي الله عنه اي انعبد متجاوزين عبادة الله تعالى الجامع لجميع صفات الالوهية التي
من جملتها القدرة على النفع والضر ما لم يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا
اذا تركناه وادنى مراتب المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعالى ونرد على اعقابنا
عطف على ندعوا داخل في حكم الانكار والنفي اي ونرد الى الشرك والتعبير عنه بالرد
على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة ما هو علم في القبح مع ما فيه من
الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر وايثار نرد على نرتد
لتوجيه الانكار الى الارتداد برد الغير تصريحا بمخالفة المضلين وقطعا لاطماعهم الفاسدة
وايذانا بان الارتداد من غير راد ليس في حيز الاحتمال ليحتاج الى نفيه وانكاره وقوله
تعالى بعد اذ هدينا الله اي الى الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق لتأكيد النكير
لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط والا لكفى ان يقال بعد اذ اهتدينا كأنه قيل ونرد
الى الشرك باضلال المضل بعد اذ هدانا الله تعالى الذي لا هادي سواه وقوله تعالى

كالذي استهوته الشياطين في محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اي نرد على اعقابنا
مشبهين بالذي استهوته مردة الجن واستغوته الى المهامه والمهالك او على انه نعت لمصدر
محذوف اي نرد ردا مثل رد الذي استهوته الخ والاستهواء استفعال من هوى في الارض
اذا ذهب فيها كأنها طلبت هويه وحرصت عليه وقرئ استهواه بالف ممالة وقوله
تعالى في الارض اذ ذهب فيها اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اي
كائنا في الارض وكذا قوله تعالى حيران حال منه على انها بدل من الاولى او حال
ثانية عند من يجيزه او من الذي او من المستكن في الظرف اي تائها ضالا عن الجادة لا
يدري ما يصنع وقوله تعالى له اصحاب جملة في محل النصب على انها صفة لحيران
او حال من الضمير فيه او مستأنفة سيقت لبيان حاله وقوله تعالى يدعونه الى
الهدى صفة لاصحاب اي لذلك المستهوى رفقة يهدونه الى الطريق المستقيم
تسمية له بالمصدر مبالغة كأنه نفس الهدى ائتنا على ارادة القول على انه بدل من
يدعونه او حال من فاعله اي يقولون ائتنا وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون
على الطريق المستقيم وان من يدعونه ليس ممن يعرف الطريق المستقيم ليدعى الى اتيانه
وانما يدعى الى سمت الداعي ومورد النعيق فقط قل ان هدى الله الذي هدانا اليه و
هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال محض وغي بحت كقوله تعالى فماذا بعد الحق
الا الضلال ونحوه وتكرير الامر للاعتناء بشأن المأمور به ولان ما سبق للزجر عن
الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطئة لما بعده فان اختصاص الهدى بهداه
تعالى مما يوجب الامتثال بالاوامر الواردة بعده وامرنا عطف على ان هدى الله
هو الهدى داخل تحت القول واللام في لنسلم لرب العالمين لتعليل الامر
وتعيين ما اريد به من الاوامر الثلاثة كما في قوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا
يقيموا الصلاة وينفقوا الآية كأنه قيل امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم
وقيل هي بمعنى الباء اي امرنا بان نسلم وقيل زائدة اي امرنا ان نسلم على حذف
الباء وقوله تعالى وان اقيموا الصلوة واتقوه اي الله تعالى في مخالفة امره عطف
على نسلم على الوجوه الثلاثة فان ان المصدرية اذا وصلت بالامر يتجرد عن معنى الامر نحو تجرد
الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال فالمعنى على الاول امرنا اي قيل لنا اسلموا
واقيموا الصلاة واتقوا الله لاجل ان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى وعلى الاخيرين
امرنا بان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى والتعرض لوصف ربوبيته تعالى للعالمين
لتعليل الامر وتأكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله تعالى وهو الذي اليه تحشرون جملة
مستأنفة موجبة للامتثال بما امر به من الامور الثلاثة وهو الذي خلق السموات والارض
اريد بخلقهما خلق ما فيهما ايضا وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالهما على جميع العلويات
والسفليات وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خلق او من مفعوله

او صفة لمصدره المؤكد له اي قائما بالحق او خلقا ملتبسا به وقوله تعالى ويوم
يقول كن فيكون قوله الحق استئناف لبيان ان خلقه تعالى لما ذكر من السموات والا
ليس مما يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكويني من غير توقف على شيء آخر
اصلا وان ذلك الامر المتعلق بكل فرد فرد من افراد المخلوقات في حين معين من
افراد الاحيان حق في نفسه متضمن للحكمة ويوم ظرف لمضمون جملة قوله الحق
والواو بحسب المعنى داخلة عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انه مدار
الحقية وترك ذكر المفعول له للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا
او تمثيلا كما هو المشهور فالمعنى وامره المتعلق بكل شيء يريد خلقه من الاشياء في
حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان الحق اي المشهود له بالحقية المعروف
بها هذا وقد قيل قوله مبتدأ والحق صفته ويوم يقول خبره مقدما عليه كقولك
يوم الجمعة القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى قوله الحق كائن
حين يقول للشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء وقيل يوم منصوب بالعطف
على السموات او على الضمير في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ
وخبر او فاعل يكون على معنى حين يقول لقوله الحق اي لقضائه الحق كن فيكون والمراد
حين يكون الاشياء ويحدثها او حين يقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاجساد واحياءها
فتأمل حق التأمل وله الملك يوم ينفخ في الصور تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك
اليوم مع عموم الاختصاص لجميع الاوقات لغاية ظهور ذلك بانقطاع العلائق المجازية
الكائنة في الدنيا المصححة للمالكية المجازية في الجملة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالمهما وهو الحكيم في كل ما يفعله الخبير بجميع الامور
الجلية والخفية واذ قال ابراهيم منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله
عليه وسلم معطوف على قل اندعوا لا على اقيموا كما قيل لفساد المعنى اي واذكر لهم
بعد ما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت ان الهدى هو هدى الله تعالى
وما يتبعه من شؤونه تعالى وقت قول ابراهيم الذي يدعون انهم على ملته موبخا لابيه
آزر على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وينادي بفساد طريقتهم وتوجيه الامر
بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة لما مر مرارا من المبالغة
في ايجاب ذكرها وآزر بزنة آدم وعابر وعازر وفالغ وكذلك تارخ ذكره محمد بن اسحاق
والضحاك والكلبي وكان من قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه للعجمة والعلمية وقيل
اسمه بالسريانية تارخ وآزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزومه عبادته
فهو عطف بيان لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج
المخطئ وقال الفراء وسليمان التيمي المعوج فهو نعت له كما اذا جعل مشتقا من الازر او الوزر
او يراد به عابد آزر على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه آزر على النداء

دليل العلمية اذ لا يحذف حرف النداء الا من الاعلام اتتخذ تتعدى الى مفعولين اصناما
آلهة اي اتجعلها لنفسك آلهة في توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعية
وانما اريد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ أأزرا بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام
وزاي ساكنة وراء منونة مفتوحة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد أزرا ثم قيل اصناما
آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل تحت الانكار لكونه بيانا له وقيل الأزر
القوة والمعنى الاجل القوة والمظاهرة تتخذ اصناما آلهة انكارا لتعززه بها على
طريقة قوله عز وجل ايبتغون عندهم العزة اني اراك وقومك الذين يتبعونك
في عبادتها في ضلال عن الحق مبين اي بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا والرؤية
اما علمية فالظرف مفعولها الثاني واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار
والتوبيخ وكذلك نري ابراهيم هذه الاراءة من الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونظر
البصيرة اي عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها
وذلك اشارة الى مصدر نري لا الى اراءة اخرى مفهومة من قوله تعالى اني اراك وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه بذلك
وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة
من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقرير
نري ابراهيم اراءة كائنة مثل تلك الاراءة فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت
الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي ذلك
التبصير البديع نبصره عليه السلام ملكوت السموات والارض اي ربوبيته تعالى
ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى لا تبصيرا
آخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك
العظيم والسلطان القاهر ثم قيل هو مختص بملك الله عز سلطانه والا فقد قيل وقيل
والاول هو الاظهر وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روي انه
كشف له عليه السلام عن السموات والارض حتى العرش واسفل الارضين وقيل آياتهما
وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار
والبحار وهذه الاقوال لا تقتضي ان تكون الاراءة بصرية اذ ليس المراد باراءة ما ذكر
من الامور الحسية مجرد تمكينه عليه السلام من ابصارها ومشاهدتها في انفسها بل اطلاعه
عليه السلام على حقائقها وتعريفها من حيث دلالتها على شؤونه عز وجل ولا ريب في ان ذلك
ليس مما يدرك حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة المفصح عن كون المشار اليه امرا بديعا فا
الاراءة البصرية المعتادة بمعزل من تلك المثابة وقرئ ترى بالتاء واسناد الفعل الى
الملكوت اي تبصره عليه السلام دلائل الربوبية واللام في قوله تعالى وليكون من
الموقنين متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اي وليكون من زمرة

الراسخين في الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا
من التبصير البديع المذكور لا لامر آخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كمال مترتب
على ذلك التبصير لا غير وليس القصر لبيان انحصار فائدته في ذلك كيف لا وارشاد الخلق
والزام المشركين كما سيأتي من فوائده بلا مرية بل لبيان انه الاصل الاصيل والباقي
من مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفة
يجب عليها الكلام اي ليستدل بهما وليكون الخ فينبغي ان يراد بملكوتهما بدائعهما
وآياتهما لان الاستدلال من غايات اراءتهما لا من غايات اراءة نفس الربوبية وقوله
تعالى فلما جن عليه الليل على الاول وهو الحق المبين عطف على قال ابراهيم داخل
تحت ما امر بذكره بالامر بذكر وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق ولما لحق فان
تعرفه عليه السلام ربوبيته ومالكيته للسموات والارض وما فيهما وكون الكل
مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه
من الراسخين في معرفة شؤونه تعالى الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقضي بان
يحكم عليه السلام باستحالة الهية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب وعلى الثاني
هو تفصيل لما ذكر من اراءة ملكوت السموات والارض وبيان لكيفية استدلاله عليه
السلام ووصوله الى رتبة الايقان ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله
تعالى رأى كوكبا جواب لما فان رؤيته انما تتحقق بزوال نور الشمس عن الحس وهذا
صريح في انه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور
الشمس والتحقيق انه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة
وقيل هو المشتري وقوله تعالى قال هذا ربي استئناف مبني على سؤال نشأ من
الشرطية السابقة المتفرعة على بيان اراءته عليه السلام ملكوت السموات والارض فان
ذلك مما يحمل السامع على استكشاف ما ظهر منه عليه السلام من آثار تلك الاراءة واحكامها
كانه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى الكوكب فقيل قال عليه السلام على
سبيل الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام
والكواكب فان المستدل على فساد قول يحكيه على رأي خصمه ثم يكر عليه بالابطال
ولعل سلوك هذه الطريقة في بيان استحالة ربوبية الكوكب دون بيان استحالة الهية
الاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة من الاول فلو صدع بالحق من اول الامر
كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا في طغيانهم يعمهون
وقيل قاله عليه السلام على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته
واول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت بآياتهما وعطف قوله تعالى ليكون على ما ذكر
من العلة المقدرة وجعل قوله تعالى فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من الاراءة وبيانا لكيفية
الاستدلال وانت خبير بان كل ذلك مما يخل بجزالة النظم الجليل وجلالة منصب الخليل

عليه السلام

عليه السلام فلما افل اي غرب قال لا احب الآفلين اي الارباب المنتقلين من مكان الى مكان
المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستار فانهم بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا
فلما رأى القمر بازغا اي مبتدأ في الطلوع اثر غروب الكوكب قال هذا ربي على الاسلوب
السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي الى جنابه الذي هو الحق الذي
لا محيد عنه لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رأيته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة
منه عليه السلام في اظهار النصفة ولعله عليه السلام كان اذ ذاك في موضع كان في جانبه
الغربي جبل شامخ يستتر به الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعده بقليل وكان الكوكب
قريبا منه وانحط الشمس مكشوف اولا والا فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع
الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة اي مبتدأة في الطلوع مما لا يكاد يتصور
قال اي على النهج السابق هذا ربي وانما لم يؤنث لما ان المشار اليه والمحكوم عليه بالربوبية
هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الاسامي فضلا عن حيثية تسميته بالشمس
او لتذكير الخبر وصيانة الرب عن وصمة التأنيث وقوله تعالى هذا اكبر تأكيد لما رامه
عليه السلام من اظهار النصفة مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة اخرى ببيان ان
الاكبر احق بالربوبية من الاصغر فلما افلت هي ايضا كما افل الكوكب والقمر قال مخاطبا
للكل صادعا بالحق بين اظهرهم يا قوم اني بريء مما تشركون اي من الذي تشركونه من الاجرام
المحدثة المتغيرة من حالة الى اخرى المسخرة لمحدثها او من اشراككم وترتيب هذا الحكم ونظيره
على الافول دون البزوغ والظهور من ضروريات سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فان
كلا منهما وان كان في نفسه انتقالا منافيا للاستحقاق معزولا عن الربوبية قطعا لكن لما كان
الاول حالة موجبة لظهور الآثار والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليه
الحكم الاول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثاني حالة مقتضية لانطماس الآثار
وبطلان الاحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة يكاد يعترف بها كل مكابر
عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرأ عليه السلام منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات ومنشئها
فقال اني وجهت للذي فطر السموات التي هذه الاجرام التي تعبدونها من اجزائها والارض
التي تعيش فيها حنيفا اي مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها وما
انا من المشركين في شيء من الافعال والاقوال وحاجه قومه اي شرعوا في مغالبته في
امر التوحيد قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم كانه قيل
فماذا قال عليه السلام حين حاجوه فقيل قال منكرا لما اجترؤوا عليه من محاجته عليه السلام
مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم اتحاجوني في الله بادغام نون
الجمع في نون الوقاية وقرئ بحذف الاولى وقوله تعالى وقد هدان حال من ضمير
المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه عليه السلام مهديا من جهة الله عز وجل ومؤيدا من
عنده مما يوجب استحالة محاجته عليه السلام اي اتجادلونني في شأنه تعالى ووحدانيته

والحال انه تعالى هداني الى الحق بعد ما سلكت طريقتكم بالفرض والتقدير وتبين بطلانها
تبينا تاما كما شاهدتموه وقوله تعالى ولا اخاف ما تشركون به جواب عما خوفوه عليه
السلام في اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال لهود عليه السلام
قومه ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عليه السلام
بالهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله تعالى الا ان يشاء ربي شيئا
استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي لا اخاف ما تشركون به سبحانه من معبوداتكم في وقت
من الاوقات الا في وقت مشيئته تعالى شيئا من اصابة مكروه بي من جهتها وذلك
انما هو من جهته تعالى من غير دخل لالهتكم فيه اصلا وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام اظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلام لامره
واعتراف بكونه تحت ملكوته وربوبيته تعالى وقوله تعالى وسع ربي كل شيء
علما كانه تعليل للاستثناء اي احاط بكل شيء علما فلا يبعد ان يكون في
علمه تعالى ان يحيق بي مكروه من قبلها بسبب من الاسباب وفي الاظهار
في موقع الاضمار تاكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره تعالى افلا تتذكرون
اي تعرضون عن التامل في ان الهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما من نفع
ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضراري وفي ايراد التذكر دون
التفكر ونظائره اشارة الى ان امر اصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف الا على
التذكر قوله تعالى وكيف اخاف ما اشركتم استئناف مسوق لنفي الخوف عنه
عليه السلام بحسب زعم الكفرة بالطريق الالزامي كما سياتي بعد نفيه عنه
بحسب الواقع ونفس الامر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله
تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله الاية لا لانكار الواقع واستبعاده
مع وقوعه كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ وفي توجيه الانكار الى كيفية
الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال اخاف لما ان كل موجود
يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال وكيفية من الكيفيات قطعا فاذا
انتفى جميع احواله وكيفياته فقد انتفى وجوده على حال من جميع الجهات بالطريق البرهاني
قوله عز وجل ولا تخافون انكم اشركتم بالله حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدا والواو
كافية في الربط من غير حاجة الى الضمير العائد الى ذي الحال وهو مقرر لانكار الخوف
ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعترافهم بذلك فانهم حيث لم يخافوا في محل الخوف
فلان لا يخاف عليه السلام في محل الامن اولى واحرى اي وكيف اخاف انا
ما ليس في حيز الخوف اصلا وانتم لا تخافون غائلة ما هو اعظم المخوفات واهولها
وهو اشراككم بالله الذي ليس كمثله شيء في الارض ولا في السماء ما هو من جملة مخلوقاته
وانما عبر عنه بقوله تعالى ما لم ينزل به عليكم سلطانا في طريقة التهكم

مع الايذان بان الامور الدينية لا يعول فيها الا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفي
تعليق الخوف الثاني باشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى واما ما قيل من ان
قوله تعالى ولا تخافون الخ معطوف على اخاف داخل معه في حكم الانكار والتعجيب
فما لا سبيل اليه اصلا لافضائه الى فساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت ان الانكار
والتعجيب في الاول على معنى نفي الوقوع وفي الثاني على استبعاد الواقع مما لا سبيل
لا مساغ له على ان قوله تعالى فاي الفريقين احق بالامن ناطق ببطلانه حتما فانه
كلام مرتب على انكار خوفه عليه السلام في محل الامن مع تحقق عدم خوفهم في محل الخوف
مسوق لالجائهم الى الاعتراف باستحقاقه عليه السلام لما هو عليه من الامن مع تحقق
عدم استحقاقهم لما هم عليه وانما جيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم
له في الجملة لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن
الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الامن في محل الامن والفريق الامن في محل
الخوف فايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال فاينا احق بالامن انا ام انتم لتاكيد
الالجاء الى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم والتفادي عن التصريح بتخطئتهم
لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس ان كنتم تعلمون المفعول اما محذوف تعويلا
على ظهوره بمعونة المقام اي ان كنتم تعلمون من احق بذلك او قصدا الى التعميم اي ان كنتم
تعلمون شيئا واما متروك بالمرة اي ان كنتم من اولي العلم وجواب الشرط محذوف اي فاخبروني
الذين امنوا استئناف من جهته تعالى مبين اي ان كنتم من اولي العلم وجواب الشرط محذوف
اي فاخبروني للجواب الحق الذي لا محيد عنه اي الفريقين الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم
اي لم يخلطوه بظلم اي بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون انهم يؤمنون
بالله عز وجل وان عبادتهم للاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التقريب
والشفاعة كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط اولئك اشارة الى
الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة وفي الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان بانهم
تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو
درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدا ثان وقوله تعالى لهم الامن جملة من خبر مقدم
ومبتدا مؤخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتدا الاول الذي هو الموصول ويجوز
ان يكون اولئك بدلا من الموصول او عطف بيان له ولهم خبرا للموصول والامن فاعلا للظرف
لاعتماده على المبتدا ويجوز ان يكون لهم خبرا مقدما والامن مبتدا والجملة خبرا للموصول
ويجوز ان يكون اولئك مبتدا ثانيا ولهم خبره والامن فاعلا له والجملة خبرا للموصول
اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك لهم الامن فقط وهم
مهتدون الى الحق ومن عداهم في ضلال مبين قيل انه لما نزلت الاية شق ذلك على
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلم

لبس بما تظنون انما قال لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان
به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وليس من قضية الخلط
بقاء الاصل بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي تفسق صاحبها والظاهر
هو الاول لوروده مورد الجواب عن حال الفريقين وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم
عليه السلام من قوله تعالى فلما جن وقيل من قوله تعالى اتحاجوني الى قوله تعالى
مهتدون وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شان المشار اليه والاشعار بعلو طبقته
وسمو منزلته في الفضل وهو مبتداء وقوله تعالى حجتنا خبره وفي اضافتها الى نون العظمة
من التفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى آتيناها ابراهيم اي ارشدناه اليها او علمناه اياها في محل
النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها معنى الاشارة كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية
بما ظلموا او في محل الرفع على انه خبر ثان او هو الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتدا وابراهيم
مفعول اول لآتينا قدم عليه الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى على قومه متعلق بحجتنا ان جعل
خبرا لتلك او بمحذوف اي جعل خبر لتلك او بمحذوف ان جعل بدلا اي آتينا ابراهيم حجة على
قومه وقيل بقوله آتينا نرفع بنون العظمة وقرئ بالياء على طريقة الالتفات وكذا الفعل
الآتي درجات اي رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها على المصدرية او
الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات او على التمييز والمفعول قوله تعالى من نشاء
وتاخيره على الوجوه الثلثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول
المشية محذوف اي من نشاء رفعه حسبما يقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة
الاستقبال للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الاخيار غير مختصة
بابراهيم عليه السلام وقرئ بالاضافة والجملة مستانفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب
وقيل في محل النصب على انها حال من فاعل آتينا اي حال كوننا رافعين الخ ان ربك
حكيم في كل ما فعل من رفع وخفض عليم بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة
والجملة تعليل لما قبلها وفي وضع الرب مضافا الى ضميره عليه السلام اظهار لمزيد لطف
وعناية به صلى الله عليه وسلم ووهبنا له اسحق ويعقوب عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا
الخ فان عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية على الاخرى مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ
لعطفه على آتيناها لان له محلا من الاعراب نصبا ورفعا حسبما بين من قبل فلو عطف هذا
عليه لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين للرابط ولا سبيل اليه ههنا كلا
مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى احدهما
اي كل احد منهما هدينا لا احدهما دون الآخر وترك ذكر المهدي اليه لظهور انه الذي
اوتي ابراهيم وانهما مقتديان به ونوحا منصوب بمضمر يفسره هدينا من قبل اي من قبل ابراهيم
عد هداه نعمة على ابراهيم عليهما السلام لان شرف الوالد سار الى الولد ومن ذريته الضمير
لابراهيم لان مساق النظم الكريم لبيان شؤون العظمة من ايتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة

الاولاد الانبياء وابقاء هذه الكرامة في نسله الى يوم القيمة كل ذلك لالزام من ينتمي الى ملته
عليه السلام من المشركين واليهود وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية
ابراهيم عليه السلام من المشركين واليهود فلو كان الضمير له لاختص المعدودون في هذه
الآية والتي بعدها واما المذكورون في الآية الثالثة فعطف على نوحا وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابراهيم وان كان منهم من لم
يلحقه بولاد من قبل ام ولا اب لان لوطا ابن اخي ابراهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر
الله تعالى عن ابناء يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق
مع ان اسمعيل عم يعقوب داود وسليمان منصوبان بمضمر مفهوم مما سبق وكذا ما عطف
عليهما وبه يتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشانه مع ما في المعاطيف
من نوع طول ربما يخل تاخيره بتجاوب النظم الكريم اي وهدينا من ذريته داود عليه السلام
وسليمان ابنه وايوب هو ابن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون
او بمحذوف وقع حالا من المذكورين اي وهدينا هم حال كونهم من ذريته وكذلك اشارة الى
ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابراهيم عليه السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر
محذوف واصل التقدير نجزي المحسنين جزاء مثل الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا
والمراد بالمحسنين الجنس وبمماثلة جزائهم لجزائه عليه السلام مطلق المشابهة في مقابلة
الاحسان بالاحسان والمكافاة بين الاعمال والاجزية من غير بخس لا المماثلة من كل وجه
ضرورة ان الجزاء بكثرة الاولاد الانبياء مما اختص به ابراهيم عليه السلام والاقرب ان اللام
المحسنين للعهد وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما اوتي المذكورين
من فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقته والكاف لتاكيد ما افاده
اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير
ونجزي المحسنين المذكورين جزاء مثل ذلك الجزاء والاظهار في محل الاضمار للثناء عليهم بالاحسان
الذي هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المقارن
لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها وزكريا هو ابن آذن ويحيى ابنه وعيسى هو ابن مريم
وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد البنات والياس قيل هو ادريس جد نوح
فيكون البيان مخصوصا بمن في الآية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى عليهما السلام
كل اي كل واحد من اولئك المذكورين من الصالحين اي من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة
عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي والجملة اعتراض جيء به للثناء عليهم بالصلاح واسمعيل
واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ والليسع وهو على القرائتين علم اعجمي ادخل عليه اللام
اشتقاق وقيل انه يوشع بن نون وقيل انه منقول من مضارع وسع واللام كما في يزيد
في قول من قال ٭ رايت الوليد بن اليزيد مباركا ٭ شديدا باعباء الخلافة كاهله

ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن هاران أخي إبراهيم عليهم السلام وكلا أي كل واحد من أولئك
المذكورين فضلنا بالنبوة لا بعضهم دون بعض على العالمين أي عالمي عصرهم والجملة اعتراض
كأختيها وقوله تعالى ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم إما متعلق بما تعلق به من ذريته ومن
ابتدائية والمفعول محذوف أي وهدينا من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم جماعات كثيرة وإما
معطوف على كلا ومن تبعيضية أي وفضلنا بعض آبائهم الخ واجتبيناهم عطف على فضلنا أي
اصطفيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم تكرير للتأكيد وتمهيد لبيان ما هدوا
إليه ذلك إشارة إلى ما يفهم من النظم الكريم من مصادر الأفعال المذكورة وقيل إلى ما دانوا
به وما في ذلك من معنى البعد لما مر مرارا هدى الله الإضافة للتشريف يهدي به من يشاء
من عباده وهم المستعدون للهداية والإرشاد وفيه إشارة إلى أنه تعالى متفضل بالهداية
ولو أشركوا أي هؤلاء المذكورون لحبط عنهم مع فضلهم وعلو طبقاتهم ما كانوا يعملون من الأعمال
المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم وأعمالهم أعمالهم أولئك إشارة إلى المذكورين
من الأنبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها
من النعوت الجليلة الثابتة لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الإيذان بعلو طبقتهم وبعد
منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدأ خبره الذين آتيناهم الكتاب أي جنس الكتاب المتحقق
في ضمن أي فرد كان من أفراد الكتب السماوية والمراد بإيتائه التفهيم التام بما فيه من الحقائق
والتمكين من الإحاطة بالجلائل والدقائق أعم من أن يكون ذلك بالإنزال ابتداء أو بالإيراث
بقاء فإن المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين والحكم أي الحكمة أو فصل الأمر على
ما يقتضيه الحق والصواب والنبوة أي الرسالة فإن يكفر بها أي بهذه الثلاثة أو بالنبوة
الجامعة للباقين هؤلاء أي كفار قريش فإنهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما أنزل
إليه من القرآن كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق إلى المؤخر فقد وكلنا بها أي أمرنا بمراعاتها ووفقنا للإيمان بها فإن الجملة
والقيام بحقوقها قوما ليسوا بها بكافرين في وقت من الأوقات بل مستمرون على الإيمان بها
فإن الجملة الاسمية الإيجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة
المقام لا نفي الدوام كما حقق في مقامه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومجاهد هم الأنصار
وأهل المدينة وقيل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الفرس
فإن كلا من هؤلاء الطوائف موفقون للإيمان بالأنبياء وبالكتب المنزلة إليهم عاملون بما
فيها من أصول الشرائع وفروعها الباقية في شريعتنا وبه يتحقق الخروج عن عهدة التوكيل والتكليف
دون المنسوخة منها فإنها بانتساخها خارجة عن كونها من أحكامها وقد مر تحقيقه في سورة المائدة
وقيل هم الأنبياء المذكورون فالمراد بالتوكيل الأمر بما هو أعم من إجراء أحكامها كما هو الشأن
في حق كتابهم ومن اعتقاد حقيتها كما هو شأنهم في حق سائر الكتب التي من جملتها القرآن الكريم
وقيل هم الملائكة فالتوكيل هو الأمر بإنزالها وحفظها واعتقاد حقيتها وأيا ما كان فتنكير

قوما

قوما للتفخيم والباء الأولى صلة لكافرين قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتأكيد
النفي وأما تقديم صلة وكلنا على مفعوله الصريح فلما ذكر آنفا من الاهتمام بالمقدم والتشويق إلى
المؤخر ولأن فيه طولا ربما يؤدي تقديمه إلى الإخلال بتجاوب النظم الكريم أو إلى
الفصل بين الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور أي فإن يكفر بها هؤلاء
فلا اعتداد به أصلا فقد وفقنا للإيمان بها قوما أي قوما ليسوا بكافرين بها قطعا بل مستمرون
على الإيمان بها والعمل بما فيها ففي إيمانهم بها مندوحة عن إيمان هؤلاء وعن هذا تبين أن
الوجه أن يكون المراد بالقوم إحدى الطوائف المذكورة إذ بإيمانهم بالقرآن والعمل
بأحكامه يتحقق الغنية عن إيمان الكفرة به والعمل بأحكامه وأما الأنبياء والملائكة عليهم السلام
فإيمانهم به ليس من قبيل إيمان آحاد الأمة كما أشير إليه أولئك إشارة إلى الأنبياء المذكورين
وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبتهم وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين هدى الله أي إلى
الحق والنهج المستقيم والالتفات إلى الاسم الجليل للإشعار بعلة الهداية فبهداهم اقتده
أي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله
تعالى وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع القابلة للنسخ فإنها بعد النسخ لا تبقى هدى
والهاء في اقتده للوقف حقها أن تسقط في الدرج واستحسن إثباتها فيه أيضا إجراء له مجرى
الوقف واقتداء بالإمام وقرئ بإشباعها على أنها كناية المصدر قل لا أسألكم عليه أي
على القرآن أو على التبليغ فإن مساق الكلام يدل عليهما وإن لم يجر ذكرهما أجرا من جهتكم كما
لم يسأله من قبلي من الأنبياء عليهم السلام وهذا من جملة ما أمر عليه السلام بالاقتداء بهم فيه
إن هو أي ما القرآن إلا ذكرى للعالمين أي عظة وتذكير لهم كائنة من جهته سبحانه فلا يختص
بقوم دون آخرين وما قدروا الله لما بين شأن القرآن العظيم وأنه نعمة جليلة منه تعالى على
كافة الأنام حسبما ينطق به قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان غمطهم
إياها وكفرهم بها على وجه سرى ذلك إلى الكفر بجميع الكتب الإلهية وأصل القدر السبر والحزر
ويقال قدر الشيء يقدره بالضم قدرا إذا سبره وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة
الشيء في مقداره وأحواله وأوصافه وقوله تعالى حق قدره نصب على المصدرية وهو في الأصل
صفة للمصدر أي قدره الحق فلما أضيف إلى موصوفه انتصب على ما كان ينتصب عليه موصوفه
أي ما عرفوه تعالى حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوقه تعالى في
ذلك بل أخلوا بها إخلالا إذ قالوا منكرين لبعثة الرسل وإنزال الكتب كافرين بنعمه الجليلة
فيهما ما أنزل الله على بشر من شيء فنفي معرفتهم لقدره سبحانه كناية عن حطهم لقدره الجليل
ووصفهم له تعالى بنقيض نعته الجميل كما أن نفي المحبة في مثل إن الله تعالى لا يحب الكافرين كناية
عن البغض والسخط وإلا فنفي معرفة قدره سبحانه يتحقق مع عدم التعرض لحطه بل مع السعي في تحصيل
المعرفة كما في قول من ناجى مستقصرا لمعرفته وعبادته سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك
حق عبادتك أو ما عرفوه حق معرفته في السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما نطق به

القرآن حين اجترؤا على التفوه بهذه العظيمة الشنعاء فالنفي بمعناه الحقيقي والقايلون
هم اليهود وقد قالوه مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فالزموا ما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا حيث قيل قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي
قل لهم ذلك على طريقة التبكيت والقام الحجر روي ان مالك بن الضيف من احبار اليهود
ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي انزل التورية
على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي
تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي الله عنه فقال ما انزل الله
على بشر من شيء فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل هم المشركون والزامهم
بانزال التورية لما انه كان عندهم من المشاهير الذايعة ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل
علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالوصول اليهم لزيادة التقرير وتشديد
التبكيت وكذا التقييد بقوله تعالى نورا وهدى فان كونه بينا بنفسه ومبينا لغيره مما
يؤكد الالزام اي تاكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل انزل او من الضمير
في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى للناس اما متعلق بهدى او بمحذوف هو صفة
له اي هدى كاينا للناس وليس المراد بهذا مجرد الزامهم الاعتراف بانزال التورية فقط
بل بانزال القرآن ايضا فان الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف بانزاله قطعا لما فيها
من الشواهد الناطقة به وتقريع عليهم بما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل
تجعلونه قراطيس اي تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات متفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه
القراطيس بالظرف المبهم او تجعلونه نفس القراطيس المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم
كانهم اخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس الخالية عن الكتابة والجملة حال كما
سبق وقوله تعالى تبدونها صفة لقراطيس وقوله تعالى وتخفون كثيرا معطوف عليه والعايد
الى الموصول محذوف اي كثيرا منها وقيل كلام مبتداء لا محل له من الاعراب والمراد بالكثير
نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وساير ما كتموه من احكام التورية وقرئ الافعال الثلثة بالياء
حملا على قالوا وما قدروا وقوله تعالى وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قيل هو حال
من فاعل تجعلونه باضمار قد او بدونه على اختلاف الرايين قلت فينبغي ان يجعل ما عبارة
عما اخذوه من الكتاب من العلوم والشرايع ليكون التقييد بالحال مفيدا لتاكيد التوبيخ وتشديد
التشنيع فان ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الابداء والاخفاء شناعة عظيمة
في نفسها ومع ملاحظة كونه ماخذ علومهم ومعارفهم اشنع واعظم لا عما تلقوه من جهة النبي صلى الله
عليه وسلم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليهم وعلى ابائهم من مشكلاتها حسبما ينطق
به قوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كما قالوا لان
تلقيهم لذلك من القرآن الكريم ليس مما زجرهم عما صنعوا بالتورية اتماما ورد فيه زيادة على ما فيها
فلانه لا تعلق له بها نفيا ولا اثباتا واما ما ورد بطريق البيان فلان مدار ما فعلوا بها من التبديل

والتحريف ليس ما وقع فيها من الالتباس والاشتباه الحالي حتى يقلعوا عن ذلك بايضاحه وبيانه
فيكون الجملة حينئذ خالية عن تاكيد التوبيخ فلا يستحق ان تقع موقع الحال بل
الوجه حينئذ ان يكون استينافا مقررا لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة
والاستطراد والتمهيد لما يعقبه من مجيء القرآن ولا سبيل الى جعل ما عبارة عما كتموه
من احكام التورية كما يفصح عنه قوله تعالى قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب فان اظهروه وان كان من حقه ان يزجرهم عن الكتم مخافة الافتضاح
وصلح لوقوع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون حتما هذا وقد قيل
الخطاب لمن امن من قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم وقوله
قل الله امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عنهم اشعارا بتعين الجواب بحيث
لا يحيد عنه وايذانا بانهم افحموا ولم يقدروا على التكلم اصلا ثم ذرهم في خوضهم
في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة والقام الحجر يلعبون حال
من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم او المؤخر او متعلق بمحذوف هو حال
من مفعول الاول او من مفعول الثاني او من الضمير الثاني لانه فاعل في الحقيقة والظرف
متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه تحقيق لنزول القرآن الكريم بعد تقرير انزال
ما يشبهه من التورية وتكذيب لهم في كلمتهم الشنعاء اثر تكذيب مبارك اي كثير الفوائد
وجم المنافع وهذا كتاب انزلناه اليك جاء لنزوله حسبما وصف فيها او الكتب التي قبلها فانه
مصدق للكل في اثبات التوحيد والامر به ونفي الشرك والنهي عنه وفي ساير اصول
الشرايع التي لا تنسخ ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات ولانذار
اهل مكة وانما ذكرت باسمها المنبي عن كونها اعظم القرى شانا وقبلة لاهلها قاطبة
ايذانا بان انذار اهلها اصل مستتبع لانذار اهل الارض كافة وقرئ لينذر بالياء على
ان الضمير للكتاب ومن حولها من اهل المدر والوبر في المشارق والمغارب والذين
يؤمنون بالآخرة وبما فيها من افانين العذاب يؤمنون به اي بالكتاب لانهم يخافون العاقبة
ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتامل حتى يؤمنوا به وهم على صلاتهم يحافظون
تخصيص محافظتهم على الصلوة بالذكر من بين ساير العبادات التي لا بد للمؤمنين من
ادائها للايذان بانافتها من بين ساير الطاعات وكونها اشرف العبادات بعد الايمان
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه تعالى بعثه نبيا كمسيلمة الكذاب والاسود
العنسي او اختلق عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحي ومتابعيه اي هو اظلم من كل
ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم منه وانكاره من غير تعرض لنفي المساوي
وانكاره فان الاستعمال الفاشي في قولك من افضل من زيد او لا اكرم منه على انه افضل من
كل فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه او قال اوحي الي من جهته تعالى ولم يوح
اليه اي والحال انه لم يوح اليه شيء اصلا كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب للنبي صلى

الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشأناه
خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان
ثم قال عليه السلام اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا فقد
اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا فقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل
الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعول ترى لدلالة
الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين اذ هم في غمرات الموت اي شدائده من غمره اذا غشيه
والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ الملح يبسط يده الى من عليه الحق
ويعنف عليه في المطالبة من غير امهال وتنفيس او باسطوها بالعذاب قائلين اخرجوا انفسكم
اي اخرجوا ارواحكم الينا من اجسادكم او خلصوا انفسكم من العذاب اليوم اي وقت الاماتة
او الوقت الممتد بعده الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي العذاب المتضمن لشدة واهانة
فاضافته الى الهون وهو الهوان لعراقته فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كاتخاذ الولد له
ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتاملون فيها
ولا تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وغير ذلك مما آثرتموه
من الدنيا او عن الاعوان والاصنام التي كنتم تزعمون انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث
ككسالى وقرئ فردا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى
الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية عند من يجوز تعددها او حال من الضمير
في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا
اي مجيئا كخلقنا لكم اول مرة وتركتم ما خولناكم تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به
عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين
زعمتم انهم فيكم شركاء اي شركاء الله في الربوبية واستحقاق العبادة لقد تقطع بينكم
اي وقع التقطع بينكم كما يقال جمع بين الشيئين اي اوقع الجمع بينهما وقرئ بينكم بالرفع
بالرفع على اسناد الفعل الى الظرف كما يقال قوتل امامكم وخلفكم او على ان البين اسم للفصل
والوصل اي تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم وضل عنكم اي ضاع او غاب ما كنتم تزعمون
انها شفعاؤكم وان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى شروع في تقرير بعض افاعيله
تعالى الدالة على كمال علمه وقدرته ولطف صنعه وتدبيره وحكمته اثر تقرير ادلة التوحيد
والفلق الشق بابانة اي شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر وقيل المراد به الشق الذي
في الحبوب والنوى اي خالقهما كذلك كما في قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها وقيل
الفلق بمعنى الخلق قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر يخرج الحي من الميت اي يخرج
ما ينمو من الحيوان والنبات مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة مستانفة مبينة لما قبلها
وقيل خبر ثان لان قوله تعالى ومخرج الميت من الحي كالنطفة والحب من الحي كالحيوان والنبات
عطف على فالق الحب لا على يخرج على الوجه الاول لان اخراج الميت من الحي ليس من قبيل فلق

الحب

الحب والنوى ذلكم القادر العظيم الشان هو الله المستحق للعبادة وحده فانى تؤفكون
فكيف تصرفون عن عبادته الى غيره ولا سبيل اليه اصلا فالق الاصباح خبر آخر او لمبتدأ محذوف
والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع صبح اي فالق عمود الفجر عن بياض
النهار واسفاره او فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش الذي يلي الصبح وقرئ فالق بالنصب على
المدح وجعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن
اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل
فانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل وقيل بنفسه على ان المراد به الجعل المستمر في الازمنة
المتجددة حسب تجددها لا الجعل الماضي فقط وقيل اسم الفاعل من الفعل المتعدي الى اثنين
يعمل في الثاني وان كان بمعنى الماضي لانه لما اضيف الى الاول تعين نصبه للثاني لتعذر
الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر معطوفان على الليل وعلى القراءة الاخيرة قيل هما معمولا
في محله والاحسن نصبهما بفعل مقدر وقد قرئا بالجر وبالرفع ايضا على الابتداء والخبر
محذوف اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة يحسب بهما الاوقات التي نيط بها العبادات
والمعاملات او محسوبان حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر
مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة
المشار اليه وبعد منزلته اي ذلك التسيير البديع تقدير العزيز الغالب القاهر الذي
لا يستعصي عليه شيء من الاشياء التي من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص العليم بجميع المعلومات
التي من جملتها ما في ذلك التسيير من المنافع والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم
وهو الذي جعل لكم النجوم شروع في بيان نعمته تعالى في الكواكب اثر بيان نعمته تعالى في
النيرين والجعل متعد الى واحد واللام متعلقة به وتاخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور
لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اي انشاها وابدعها لاجلكم فقوله
تعالى لتهتدوا بها بدل من المجرور باعادة العامل بدل اشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا
لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا والتقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا على ان غاية خلقها
اهتداؤهم فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام
وقد جوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير اي جعلها كائنة لاهتدائكم
في اسفاركم عند دخولكم المفاوز والبحار كما ينبئ عنه قوله تعالى في ظلمات البر والبحر
اي في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء
انما يتحقق عند ذلك او في مشتبهات الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة
قد فصلنا الآيات اي بينا الآيات المتلوة المذكرة لنعمه التي هذه النعمة من جملتها او الآيات
التكوينية الدالة على شؤونه تعالى مفصلة لقوم يعلمون اي معاني الآيات المذكورة ويعملون
بموجبها او يتدبرون في الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التفصيل بهم مع
عمومه للكل لانهم المنتفعون به وهو الذي انشاكم من نفس واحدة تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى

دالة على عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته أي أنشأكم مع كثرتكم من نفس آدم عليه السلام
فمستقر ومستودع أي فلكم استقرار في الأصلاب أو فوق الأرض بالاستقرار لأنهما مقرهم
الطبيعي كما أن التعبير عن كونهم في الأرحام أو تحت الأرض بالاستيداع لما أن كلا
منهما ليس بمقرهم الطبيعي وقد حمل الاستيداع على كونهم في الأصلاب وليس بواضح وقرئ
مستقر بكسر القاف أي فمنكم مستقر ومنكم مستودع فإن الاستقرار منا بخلاف الاستيداع
قد فصلنا الآيات المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الآية ونظائرها لقوم يفقهون
غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فإن لطائف صنع الله عز وجل في
أطوار تخليق بني آدم مما تحار في فهمه الألباب وهو السر في إيثار يفقهون على يعلمون
كما ورد في شأن النجوم وهو الذي أنزل من السماء ماء تذكير لنعمة أخرى من نعمه تعالى منبئة
عن كمال قدرته تعالى وسعة رحمته أي أنزل من السحاب أو من سمت السماء ماء خاصا هو المطر
وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا فأخرجنا به التفت إلى التكلم إظهارا
لكمال العناية بشأن ما أنزل الماء لأجله فأخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات
كل شيء من الأشياء التي من شأنها النمو من أصناف النجم والشجر وأنواعهما المختلفة في الكم والكيف
والخواص والآثار اختلافا متفاوتا في مراتب الزيادة والنقصان حسبما ينبئ عنه قوله
تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وقوله تعالى فأخرجنا منه خضرا
شروع في تفصيل ما أجمل من الإخراج وقد بدئ بتفصيل حال النجم أي فأخرجنا من النبات
الذي لا ساق له شيئا غضا أخضر يقال شيء أخضر وخضر كأعور وعور وأكثر ما يستعمل
الخضر فيما يكون خلقته وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة وقوله تعالى نخرج
منه صفة لخضرا وصيغة المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة أي نخرج من
ذلك الخضر حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة
وقرئ يخرج منه حب متراكب وقوله تعالى ومن النخل شروع في تفصيل حال الشجر إثر بيان
حال النجم فقوله تعالى من طلعها بدل منه بإعادة العامل كما في قوله تعالى لقد كان
لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله الخ والطلع شيء يخرج من النخل كأنه
نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى قنوان مبتدأ أي وحاصلة من
طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب
وقيل المعنى وأخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخل كصنو
وصنوان وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها أيضا على أنه اسم جمع لأن فعلان ليس
من أبنية الفعل الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة من القاطف فإنها وإن كانت صغيرة ينالها القاعد
تأتي بالثمر لا ينتظر الطول أو ملتفة متقاربة والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلها
كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها وجنات من أعناب عطف على نبات كل شيء
أي وأخرجنا به جنات كائنة من أعناب وقرئ جنات بالرفع على الابتداء أي ولكم أو وثمة جنات

ويجوز

ويجوز عطفه على قنوان كأنه قيل وحاصلة أو ونخرج من النخل قنوان وجنات من نبات
أعناب ولعل زيادة الجنات هاهنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس كما فيما تقدم وما تأخر لما أن
الانتفاع بهذا الجنس لا يتأتى غالبا إلا عند اجتماع طائفة من أفراده والزيتون والرمان
منصوبان على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم أو على العطف على نبات وقوله
تعالى مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفي به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى بخبر
المعطوف عليه عن خبر المعطوف في نحو قوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وتقديره
والزيتون مشتبها وغير متشابه والرمان كذلك ويجوز أن يكون حالا من الرمان
لقربه ويكون المحذوف حال الأول والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة
والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الأوصاف الدالة على كمال قدرته صانعها
وحكمة منشئها ومبدعها انظروا إلى ثمره إذا أثمر أي انظروا إليه نظر اعتبار واستبصار إذا
أخرج ثمره كيف يخرج ضئيلا لا يكاد ينتفع به وقرئ إلى ثمره وينعه أي وإلى حال نضجه
كيف يصير إلى كماله اللائق به ويكون شيئا جامعا لمنافع جمة والينع في الأصل مصدر ينعت الثمرة
إذا أدركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهي لغة فيه وقرئ يانعه إن في ذلكم
إشارة إلى ما أمروا بالنظر إليه وما في اسم الإشارة من معنى البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليه
وبعد منزلته لآيات لقوم يؤمنون أي لآيات عظيمة أو كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته
فإن حدوث هاتيك الأجناس المختلفة والأنواع المتشعبة من أصل واحد وانتقالها من حال إلى حال
على نمط بديع تحار في فهمه الألباب لا يكاد يكون إلا بإحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه
حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك ضد يناويه أو ند يقاربه ولذلك عقب
بتوبيخ من أشرك به والرد عليه حيث قيل وجعلوا لله شركاء أي جعلوا في اعتقادهم لله الذي
شأنه ما فصل في تضاعيف هذه الآيات الجليلة شركاء الجن أي الملائكة حيث عبدوهم وقالوا
الملائكة بنات الله وسموا جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم بالنسبة إلى مقام الألوهية أو الشياطين
حيث أطاعوهم كما أطاعوا الله تعالى أو عبدوا الأوثان بتسويلهم وتحريضهم أو قالوا الله
خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا
قوله تعالى شركاء الجن قدم عليه للنكتة ثانيهما على الأول لاستعظام أن يتخذ لله سبحانه
شريك ما كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء قدم عليه للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء
والجن بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وأبو إسحاق أو منصوب بمضمر وقع جوابا
عن سؤال مقدر نشأ من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كأنه قيل من جعلوه شركاء
لله تعالى فقيل الجن أي جعلوا الجن ويؤيده قراءة أبي حيوة ويزيد بن قطيب الجن بالرفع على تقدير هم
الجن في جواب من قال من الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وقد قرئ بالجر على الإضافة
للتبيين وخلقهم حال من فاعل جعلوا بتقدير قد أو بدونه على اختلاف الرأيين مؤكدة لما في
جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها أي وقد علموا أنه تعالى

خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء أي والحال انه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له تعالى وقرئ خلقهم عطفا على الجن أي وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء أي وجعلوا له اختلاقهم الافك حيث نسبوه اليه تعالى وخرقوا له أي افتعلوا وافتروا له يقال خلق الافك واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى وقرئ خرّقوا بالتشديد للتكثير وقرئ وحرّفوا له أي زوّروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملائكة بنات الله بغير علم أي بحقيقة ما قالوا من خطاء او صواب بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة ما قالوا وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت لمصدر مؤكد له أي خرقوا ملتبسين بغير علم او خرقا كائنا بغير علم سبحانه استئناف مسوق لتنزيهه عز وجل عما نسبوه اليه وسبحان علم للتسبيح الذي هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا أي اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبوح أي واسع الجري وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه أي اسبح سبحانه أي انزهه عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران لانه سمع له فعل من الثلاثي كما ذكر في القاموس اريد به التنزه التام والتباعد الكلي ففيه مبالغة من حيث اسناد التنزه الى ذاته المقدسة أي تنزه بذاته تنزها لائقا به وهو الانسب بقوله سبحانه وتعالى فانه معطوف على الفعل المضمر لا محالة وما في التعالي والتعالي من معنى البعد قوله عما يصفون أي متباعدا عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض أي مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص عليه ائمة اللغة كالصريخ بمعنى المصرخ وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه على ما ذكر في القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع في قوله • امن ريحانة الداعي السميع • وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل للتخفيف بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور أي بديع سمواته وارضه من بدع اذا كان على نمط عجيب وشكل فائق وحسن رائق • او الى الظرف كما في قولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول هو الوجه والمعنى انه تعالى مبدع لقطري العالم العلوي والسفلي بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يمكن ان يكون له ولد وقرئ بديع بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الاسم الجليل او من الضمير المجرور في سبحانه على رأي من يجوزه وارتفاعه في القراءة المشهورة على انه خبر مبتدا محذوف او فاعل تعالى واظهاره في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام به ببيانه او مبتدا خبره قوله تعالى انى يكون له ولد وهي على الاولين جملة مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه تعالى

تأمل

وتعزير وتنزيه عنه قوله تعالى ولم تكن له صاحبة حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فان استحالة ان يكون له تعالى صاحبة تستلزم لانتفاء ان يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وان امكن وجوده بلا والد وانتفاء الاول مما لا ريب فيه لاحد فمن ضرورته انتفاء الثاني أي من اين او كيف يكون له ولد كما زعموا والحال انه ليس له في زعمهم ايضا صاحبة يكون الولد منها وقرئ لم يكن بتذكير الفعل للفصل ولان الاسم ضمير له تعالى والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدا مؤخر والجملة خبر للكون وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون الاسم ضمير الشان لصلاحية الجملة ح لان تكون مفسرة لضمير الشان لا على الوجه الاول لما بين في موضعه ان ضمير الشان لا يفسر الا بجملة مصرح بجزئيها قوله تعالى وخلق كل شيء اما جملة مستانفة اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها أي انى يكون له ولد والحال انه خلق كل شيء انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التي من جملتها ما سموه ولدا له تعالى فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا لخالقه وهو بكل شيء من شانه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه ترك الاضمار الى الاظهار عليم مبالغ في العلم ازلا وابدا حسبما يعرب عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التي من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا يجوز من المحالات التي ما زعموه فرد من افرادها والجملة استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التي اجترؤوا عليها بغير علم ذلكم اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته في العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتدا وقوله تعالى الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار اربعة مترادفة أي ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا خالق كل شيء مما كان ومما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر في عنوان الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضي وقيل الخبر هو الاول والبواقي ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدا والبواقي اخبار وقيل يقدر لكل من الاخبار الثلاثة مبتدا وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى فاعبدوه حكم مترتب على مضمون الجملة فان من جمع هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى وهو على كل شيء وكيل عطف على الجملة المتقدمة أي وهو مع ما فصل من الصفات متولي امور جميع مخلوقاته التي انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا بعبادته الى نجاح مآربكم الدنيوية والاخروية لا تدركه الابصار البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيث انها محلها وادراك الشيء عبارة عن الوصول اليه او الاحاطة به فلا متمسك فيه لمنكري الرؤية على الاطلاق وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومقاتل رضي الله عنه لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة وهو يدرك الابصار أي يحيط بها علمه اذ لا يخفى عليه خافية وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة اللف أي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا

من مقابل الكثيف لما لا يدركه بالحاسة ولا ينطبع منها وقوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم
استئناف وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم والبصائر جمع بصيرة وهي النور الذي
به يستبصر النفس كما أن البصر نور به تبصر العين والمراد بها الآيات الواردة ههنا أو جميع
الآيات المنتظمة لها انتظاماً أولياً ومن لابتداء الغاية مجازاً سواء تعلقت بجاء أو بمحذوف
موصوفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضمير المخاطبين لإظهار كمال اللطف
بهم أي قد جاءكم من جهة مالككم ومبلغكم إلى كمالكم اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق
والصواب ما هو كالبصائر للقلوب أو قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم فمن أبصر أي
الحق بتلك البصائر وآمن به فلنفسه أي فلنفسه أبصر أو فإبصاره لنفسه
لأن نفعه مخصوص بها ومن عمي أي ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر
ظهوراً بيناً وضل عنه وإنما عبر عنه بالعمى تقبيحاً له وتنفيراً عنه فعليها أي فعليها
عمي أو فعماه عليها أي وبال عماه وما أنا عليكم بحفيظ وإنما أنا منذر والله هو الذي يحفظ
أعمالكم ويجازيكم عليها وكذلك نصرف الآيات أي مثل ذلك التصريف البديع نصرف
الآيات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا تصريفاً أدنى
منه وقوله تعالى وليقولوا درست علة لفعل قد حذف تعويلاً على دلالة السياق عليه
أي وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو
اعتراضية وقيل هي عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف أي مثل ذلك
التصريف نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقولوا الخ وقيل اللام لام الأمر
وينصره القراءة بسكون اللام كأنه قيل وكذلك الآيات وليقولوا هم ما يقولون
فإنه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا أمر معناه الوعيد والتهديد وعدم
الاكتراث بقولهم ويرد عليه أن ما بعده يأباه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ
دارست أي دارست العلماء ودرست أي قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا أساطير
الأولين ودرُست بضم الراء مبالغة في درست أي اشتد دروسها ودُرست على البناء
للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمداً صلى الله عليه وسلم
وجاز الإضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوزوا إسناد الفعل إلى الآيات وهو في
الحقيقة لأهلها أي دارس أهل الآيات وحملتها محمداً صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب
ودرس أي درس محمد ودارسات أي قديمات أو ذات درس كعيشة راضية ولنبينه
عطف على ليقولوا واللام على الأصل لأن التبيين غاية التصريف والضمير للآيات
باعتبار المعنى أو للقرآن وإن لم يذكر أو للمصدر أي ولنفعل التبيين واللام
في قوله تعالى لقوم يعلمون متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم لما أنهم المنتفعون
به قال ابن عباس رض هم أولياؤه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم
للإيذان بغاية جهل الأولين وخلوهم عن العلم بالمرة اتبع ما أوحي إليك من ربك

من ربك لما حكي عن المشركين قدحهم في تصريف الآيات عقب ذلك بأمره عليه السلام
بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وبأباطيلهم أي دم على ما أنت عليه من الاتباع
من اتباع ما أوحي إليك من الشرائع والأحكام التي عمدتها التوحيد وفي التعرض لعنوان الربوبية
مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام مع إظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى لا إله إلا هو اعتراض
بين الأمرين المتعاطفين مؤكد لإيجاب اتباع الوحي لا سيما في أمر التوحيد وقد جوز أن يكون
حالاً من ربك أي منفرداً في الألوهية وأعرض عن المشركين لا تحتفل بهم وبأقاويلهم الباطلة
التي من جملتها ما حكي عنهم آنفاً ومن جعله منسوخاً بآية السيف حمل الإعراض على ما يعم الكف عنهم
ولو شاء الله أي عدم إشراكهم حسبما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة من وقوعها
شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء ما أشركوا وهذا دليل على أنه تعالى لا يريد إيمان الكافر لكن لا
بمعنى أنه تعالى يمنعه عنه مع توجهه إليه بل بمعنى أنه تعالى لا يريده منه لعدم اختياره الجزئي نحو
الإيمان وإصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للإعراض وكذا قوله تعالى وما جعلناك
عليهم حفيظاً أي رقيباً مهيمناً من قبلنا يحفظ عليهم أعمالهم وكذا قوله تعالى وما أنت عليهم
بوكيل من جهتهم تقوم بأمورهم وتدبر مصالحهم وعليهم في الموضعين متعلق بما بعده قدم
عليه للاهتمام به أو لرعاية الفواصل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله أي لا تشتموهم
من حيث عبادتهم لآلهتهم كأن تقولوا تباً لكم ولما تعبدونه مثلاً فيسبوا الله عدواً تجاوزاً
عن الحق إلى الباطل بأن يقولوا لكم مثل قولكم لهم بغير علم أي بجهالة بالله تعالى وبما يجب أن يذكر
به وقرئ عُدُوّاً يقال عدا يعدو عدواً وعُدُوّاً وعداءً وعدواناً روي أنهم قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم عند نزول قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون إلهك وقيل كان المسلمون يسبونهم فنهوا
عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى وفيه أن الطاعة إذا أدت إلى معصية راجحة
وجب تركها فإن ما يؤدي إلى الشر شر كذلك أي مثل ذلك التزيين القوي زينا لكل أمة
عملهم من الخير والشر بإحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقاً أو تخذيلاً ويجوز أن يراد
بكل أمة أمم الكفرة إذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشبه به تزيين سب الله تعالى
لهم ثم إلى ربهم مالك أمرهم مرجعهم أي رجوعهم بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير تأخير بما كانوا
يعملون في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول
الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة أبية وهي أن
كل ما يظهر في هذه النشأة من الأعيان والأعراض فإنما يظهر بصورة مستعارة مخالفة
لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فإن المعاصي سموم قاتلة مع كونها أحسن
الأحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام حفت
الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فأعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشأة بصورة
مزينة يستحسنها الغواة ويستحبها الطغاة وستظهر في النشأة الآخرة بصورها الحقيقية

المنكرة الهايلة فعند ذلك يعرفون ان اعمالهم ماذا اضيّر عن اظهار ما بسوء ها الحقيقية بالاجبار
بها لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هي فليتدبر قوله تعالى واقسموا بالله روي ان
قريشا اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني
قالوا نعم لئن فعلته لنؤمنن جميعا فسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها
طمعا في ايمانهم فهمّ عليه السلام بالدعاء فنزلت قوله تعالى جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال
اي اقسموا به تعالى جاهدين في ايمانهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم او من جنس الآيات وهو
الانسب بحالهم في المكابرة والعناد وترامي امرهم في العتو والفساد وحيث كانوا لا يعدون
ما يشاهدونه من المعجزات القاهرة من جنس الآيات ليؤمنن بها وما كان مرمى غرضهم في ذلك
الا التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه من
البينات الحقيقية بان تقطع بها الارض وتسير بها الجبال قل انما الآيات اي كلها فيدخل فيها
ما اقترحوه دخولا اوليا عند الله اي امرها في حكمه وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية
على الحكم البالغة لا تتعلق بها ولا بشأن من شؤونها قدرة احد ولا مشيئته لا استقلالا ولا اشتراكا
بوجه من الوجوه حتى يمكنني ان اتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهو كما ترى سد لباب
الاقتراح على ابلغ وجه واحسنه ببيان علو شأن الآيات وصعوبة منالها وتعاليها
من ان يكون عرضة للسؤال والاقتراح واما ما قيل من ان المعنى انما الآيات عند الله
تعالى لا عندي فكيف اجيبكم اليها او آتيكم بها او هو القادر عليها لا انا حتى آتيكم بها
فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله تعالى وارادته حتى
يجابوا بذلك وقوله تعالى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون كلام مستأنف داخل تحت
الامر مسوق من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجيء
الآيات خوطب به المسلمون اما خاصة بطريق التلوين لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في
اسلامهم واما معه عليه السلام بطريق التعميم لما روي عنه عليه السلام من الهم والدعاء
وقد بين فيه ان ايمانهم فاجع وايمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وان اجيب الى ما سألوه وما
استفهامية انكارية لكن لا على ان مرجع الانكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس الاشعار مع
تحقق المشعر به في نفسه اي واي شيء يعلمكم ان الآية التي يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون
بل يبقون في ما كانوا عليه من الكفر والعناد اي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا
في ايمانهم فكأنه بسط عذر من جهة المسلمين في تمنيهم نزول الآيات وقيل لا مزيدة فيتوجه
الانكار الى الاشعار والمشعر به جميعا اي اي شيء يعلمكم ايمانهم عند مجيء الآيات حتى تمنوا مجيئها
طمعا في ايمانهم فيكون تخطئة لرأي المسلمين وقيل ان بمعنى لعل يقال ادخل السوق انك
تشتري اللحم وعنك وعلك ولعلك كلها بمعنى ويؤيده انه قرئ لعلها اذا جاءت لا يؤمنون
على ان الكلام تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف كما في قوله تعالى لعله يزكى اي
استئناف لتعليل الانكار وتقريره اي اي شيء يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجيء الآيات لعلها

اذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم تتمنون مجيئها فان تمنيه انما يليق بما اذا كان ايمانهم بها محقق
الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقرئ انها بالكسر على انه استئناف حسبما سبق مع زيادة
تحقيق لعدم ايمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرئ
وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون فمرجع الانكار اقدام المشركين على الاقسام المذكور
مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجيء الآيات وبكونها حينئذ كما هي الآن ونقلب افئدتهم
وابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به اي وما يشعركم
انا نقلب افئدتهم عن ادراك الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه
لكن لا مع توجهها اليه واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوها عنه واعراضها بالكلية ولذلك
اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم في الكفر وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم ناش
من تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار كما لم يؤمنوا به اي بما جاء من الآيات اول مرة
اي عند ورود الآيات السابقة والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر سابق محذوف
منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية اي لا يؤمنون بل يكفرون كفرا كائنا ككفرهم اول مرة
وتوسيط تقليب الافئدة والابصار بينهما لانه من تتمات عدم ايمانهم ونذرهم عطف على
لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الانكاري مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب الافئدة
والابصار معرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره بان يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق
مع توجههم اليه واستعدادهم له بطريق الاجبار بل بان يخليهم وشأنهم بعدما علم فساد استعدادهم
وفرط نفورهم عن الحق وعدم تأثير اللطف فيهم اصلا ويطبع على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم
كما اشرنا اليه وقوله تعالى في طغيانهم متعلق بنذرهم وقوله تعالى يعمهون حال من الضمير
المنصوب في نذرهم اي ندعهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين او مفعول
ثان لنذرهم اي نصيرهم عامهين وقرئ يقلب ويذر بالياء على اسناد كل الى ضمير الجلالة وقرئ
تقلب بالتاء والبناء للمفعول على اسناده الى افئدتهم ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة تصريح بما
اشعر به عز وجل وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى
ما اقترحوه من الآيات اثر بيان انها في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا تدخل لاحد
في امرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في ايمانهم الفاجر على ابلغ وجه وآكده اي ولو اننا
لم نقتصر على ايتاء ما اقترحوه ههنا من آية واحدة من الآيات بل نزلنا اليهم الملائكة كما سألوه
بقولهم لولا انزل علينا الملائكة وقولهم لو ما تأتينا بالملائكة وكلمهم الموتى وشهدوا بحقيقة
الايمان بعد ان احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فأتوا بآبائنا وحشرنا اي جمعنا عليهم كل شيء قبلا
بضمتين وقرئ بسكون الباء اي كفلاء بصحة الامر وصدق النبي صلى الله عليه وسلم على انه جمع قبيل
بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الانسب بقوله تعالى او تأتي بالله والملائكة
قبيلا اي لو لم تقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا لديهم كل شيء فيما في منه
الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية او جماعات على انه جمع قبيل بوجه قبيلة

وهو الاولى لعموم كل شيء وشموله للانواع والاصناف اي حشرنا كل شيء نوعا نوعا وصنفا صنفا
وفوجا فوجا وانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي اللازم للكل الافرادي او مقابلة
وعيانا على انه مصدر كقبيلا وقد قرئ كذلك وانتصابه على الوجهين على انه مصدر في موقع الحال
وقد نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان الاخير بمعنى الجهة كما في قولك لي قبل فلان حق فان
انتصابه على الظرفية ما كانوا ليؤمنوا اي ما صح وما استقام لهم الايمان لتماديهم في العصيان
وغلوهم في التمرد والطغيان واما سبق القضاء عليهم بالكفر فمن الاحكام المترتبة على ذلك
حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى الا ان يشاء الله
استثناء مفرغ من اعم الاحوال والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة
اي ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة للايمان في حال من الاحوال
الداعية اليه المتممة لموجباته المذكورة الا في حال مشيئته تعالى لايمانهم او من اعم
العلل اي ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها الا لمشيئته تعالى له
واياما كان فليس المراد بالاستثناء بيان ان ايمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته
تعالى ايضا كذلك بل بيان استحالته وقوعه بناء على استحالة وقوعها كانه قيل ما كانوا
ليؤمنوا الا ان يشاء الله وهيهات ذلك وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله ونقلب
افئدتهم الاية كيف لا وقوله عز وجل ولكن اكثرهم يجهلون استدراك من مضمون
الشرطية بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب في ان الذي يجهلونه سواء اريد بهم المسلمون
وهو الظاهر او المقسمون ليس عدم ايمانهم بلا مشيئة الله تعالى كما هو اللازم من حمل
النظم الكريم على المعنى الاول فانه ليس مما يعتقده الاولون ولا مما يدعيه الاخرون بل
انما هو عدم ايمانهم لعدم مشيئته ايمانهم ومرجعه الى جهلهم بعدم مشيئته اياه فالمعنى
ان حالهم كما شرح ولكن اكثر المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء الايات لجهلهم عدم
مشيئته تعالى لايمانهم فيتمنون مجيئها طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى
وما يشعركم الخ على القراءة المشهورة او ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم عند مجيء
الايات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم ح فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يكاد
يكون فالجملة على القراءة السابقة بيان لمنشأ خطأ المقسمين ومناط اقسامهم وتقرير
له على قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما كان يشاهده من عداوة قريش له عليه السلام وما بنوا عليها مما لا خير فيه من الاقاويل
والافاعيل ببيان ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر ابتلي به كل من سبقك من الانبياء عليهم
السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر مؤكد لما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم
من قبله اي جعلنا لكل نبي عدوا يضادونك ويضارونك ولا يؤمنون ويبغونك
الغوائل ويدبرون في ابطال امرك مكايدا جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل

بك اعداؤك لا جعلا انقص منه وفيه دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء عليهم السلام بخلقه
تعالى للابتلاء شياطين الانس والجن اي مردة الفريقين على ان الاضافة بمعنى من البيانية
او من اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس والجن الشياطين وقيل
هي بمعنى اللام اي الشياطين للانس والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد الى واحد
او الى اثنين وهي اول مفعوليه قدم عليه الثاني مسارعة الى بيان العداوة واللام
على التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال من عدوا وقوله تعالى يوحي بعضهم
الى بعض كلام مستأنف مسوق لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه
والمشبه به او حال من الشياطين او نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن
الاعداء كما في قوله • اذا انا لم انفع صديقي بوده • فان عدوي لم يضرهم بغضي •
والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع اي يلقي ويوسوس شياطين الجن الى شياطين
الانس او بعض كل من الفريقين الى بعض اخر زخرف القول اي المموه منه المزين الباطل
ظاهره الباطنه من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له ليوحي اي ليغروهم او مصدر في
موقع الحال اي غارين او مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحي اي يغرون
غرورا ولو شاء ربك رجوع الى بيان الشؤون الجارية بينه عليه السلام وبين قومه
المفهومة من حكاية ما جرى بين الانبياء عليهم السلام وبين اممهم كما ينبئ عنه الالتفات
والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام المنبئة عن كمال اللطف
في التسلية اي ولو شاء ربك عدم الامور المذكورة لا ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة
ان مفعول المشيئة انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وهو
قوله تعالى ما فعلوه اي ما فعلوا ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم الى بعض منهم
من زخرفات الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك خاصة لا بما يعمه وامور الانبياء عليهم السلام
ايضا كما قيل فان قوله تعالى فذرهم وما يفترون صريح في ان المراد بهم الكفرة
المعاصرون له صلى الله عليه وسلم اي اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون
المفاسد بمشيئته تعالى فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع المكايد فان
لهم في ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب حميدة لابتناء مشيئته تعالى على
الحكم البالغة البتة ولتصغى اليه اي الى زخرف القول وهو على الوجه الاول علة
اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وانما لم ينصب لفقد شرطه
اذ الغرور فعل الموحي وصغو الافئدة فعل الموحى اليه اي يوحي بعضهم الى بعض زخرف
القول ليغروهم به ولتميل اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة انما خص بالذكر
عدم ايمانهم بالاخرة دون ما عداها من الامور التي يجب الايمان بها وهم بها كافرون
اشعارا بما هو المدار في صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات الاخرة محفوفة في هذه
النشأة بالمكاره وآلامها مزينة بالشهوات فالذين لا يؤمنون بها وباحوال ما فيها

لا يدرون ان وراء تلك المكاره لذات ودون هذه الشهوات آلاما وانما ينظرون
الى ما بدا لهم في الدنيا بادي الرأي فهم مضطرون الى حب الشهوات التي من جملتها
مزخرفات الاقاويل ومموهات الاباطيل واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين
على حقيقة الحال ناظرين الى عواقب الامور لم يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات
لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها واما على الوجهين الاخيرين فهو علة لفعل محذوف
يدل عليه المقام اي وليكون ذلك جعلنا ما جعلنا والمعتزلة جعلوا اللام لام
العاقبة او لام القسم او لام الامر وضعفه في غاية الظهور وليرضوه لانفسهم بعد
ما مالت اليه افئدتهم وليقترفوا اي يكتسبوا بموجب ارتضائهم له ما هم مقترفون
له من القبائح التي لا يليق ذكرها افغير الله ابتغي حكما كلام مستأنف وارد على ارادة القول والهمزة
للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اي قل لهم اأميل الى زخارف الشياطين فابتغي
حكما غير الله يحكم بيننا ويفصل المحق منا من المبطل وقيل ان مشركي قريش قالوا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود او من اساقفة النصارى ليخبرنا
عنك بما في كتابهم من امرك فنزلت واسناد الابتغاء المنكر الى نفسه عليه السلام لا الى المشركين
كما في قوله تعالى افغير دين الله يبغون مع انهم الباغون لاظهار كمال النصفة او لمراعاة
قولهم اجعل بيننا وبينك حكما وغير اما مفعول ابتغي وحكما حال منه واما بالعكس وايا ما كان
فتقديمه على الفعل الذي هو المعطوف بالفاء حقيقة كما اشير اليه للايذان بان مدار الانكار
هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق الابتغاء وقيل حكما تمييز لما في غير من الابهام كقولهم ان لنا
غيرها ابلا قالوا الحكم ابلغ من الحاكم وادل على الرسوخ لما انه لا يطلق الا على العادل
وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى وهو الذي انزل اليكم الكتاب جملة حالية
مؤكدة للانكار ابتغاء غيره تعالى حكما ونسبة الانزال اليهم خاصة مع ان مقتضى المقام اظهار
تساوي نسبته الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام قوة نسبته
اليهم اي اغيره تعالى ابتغي حكما والحال انه هو الذي انزل اليكم وانتم امة امية لا تدرون ما تأتون
وما تذرون القرآن الناطق بالحق والصواب الحقيق بان يخص به اسم الكتاب مفصلا اي مبينا
فيه الحق والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق في امر الدين شيء من التخليط
والابهام فاي حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى صريح في ان القرآن الكريم كاف في امر الدين
مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون للاعجاز دخل في ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى
والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر
سيق من جهته سبحانه لتحقيق حقية الكتاب الذي نيط به امر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده
عز وجل تحت القول المقدر سوق من جهته سبحانه لتحقيق حقية الكتاب ببيان ان الذين وثقوا
بهم ورضوا بحكميتهم حسبما نقل آنفا من علماء اليهود والنصارى عالمون بحقيته ونزوله من عنده
تعالى وفي التعبير عن التوراة والانجيل باسم الكتاب ايماء الى ما بينهما من المجانسة المقتضية للاشتراك

في الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الاعجاز وايراد الطائفتين بعنوان ايتاء الكتاب
للايذان بانهم علموه من جهة كتابهم حيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقا له في الاصول
وما لا يختلف من الفروع ومخبرا عن امور لا طريق الى معرفتها سوى الوحي والمراد بالمؤمنين اما علماء
الفريقين وهو الظاهر فالايتاء هو التفهيم بالفعل واما الكل وهم داخلون فيه دخولا اوليا
فهو اعم مما ذكر ومن التفهيم بالقوة ولا ريب في ان الكل متمكنون من ذلك وقيل المراد مؤمنوا
اهل الكتاب وقرئ منزل من الانزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة
لتشريفه عليه السلام والباء في قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في
منزل اي ملتبسا بالحق فلا تكونن من الممترين اي في انهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم آثار العلم
واحكام المعرفة والفاء لترتيب النهي على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشأن القرآن او في انه منزل
من ربك بالحق فيكون من باب التهييج والالهاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين وقيل
الخطاب في الحقيقة للامة وان كان له عليه السلام صورة وقيل الخطاب لكل احد بمعنى
ان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه والفاء على هذه الوجوه لترتيب
النهي على نفس العلم علمهم بحال القرآن وتمت كلمة ربك شروع في بيان كمال الكتاب المذكور
من حيث ذاته اثر بيان كماله من حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك
بعلم اهل الكتاب وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق والعدل وبها
يظهر الآثار من الحكم وقرئ كلمات صدقا وعدلا مصدران نصبا على الحال وقيل على
التمييز وقيل على العلة وقوله تعالى لا مبدل لكلماته اما استئناف مبين لفضلها على غيرها
اثر بيان فضلها في نفسها واما حال اخرى من فاعل تمت على ان الظاهر مغن عن الضمير الرابط
والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام
لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله فكيف يتصور ابتغاء حكم
غيره تعالى وهو السميع لكل ما يتعلق به السمع العليم بكل ما يمكن ان يعلم فيدخل في ذلك اقوال
المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا اوليا هذا وقد قيل المعنى لا احد يقدر ان
يحرفها كما فعل بالتوراة فيكون ضمانا لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها وان تطع اكثر من في الارض لما تحقق
اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله بما يوجبها من انزال الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل
وتمام صدق كلامه وكمال عدالة احكامه وامتناع وجود من يبدل شيئا منهما واستبداده تعالى
بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك ببيان ان الكفرة متصفون بنقائض
تلك الكمالات من النقائص التي هي الضلال والاضلال واتباع الظنون الفاسدة الناشئة
من الجهل والكذب على الله سبحانه ابانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيرا عن الركون
اليهم والعمل بآرائهم والمراد بمن في الارض الناس واكثرهم الكفار وقيل اهل مكة والارض
ارضها اي ان تطعهم بان جعلت منهم حكما يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه او عن الشريعة

التي شرعها لعباده ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم على آثارهم
مهتدون او جهالاتهم وآراؤهم الباطلة على ان المراد بالظن ما يقابل العلم والجملة استئناف
مبني على سؤال نشأ من الشرطية كأنه قيل كيف يضلون فقيل لا يتبعون في امورهم
الا الظن فان الظن لا يغني من الحق شيئا فيضلون ضلالا مبينا ولا ريب في ان الضال المتصدي
للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله تعالى وان هم
الا يخرصون عطف على ما قبله داخل في حكم الشرط اي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون اليه
تعالى كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر
ونظائرها او يقدرون انهم على شيء واني لهم ذلك ودونه مناط العيوق وحقيقته ما يقال
عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين تقرير لمضمون الشرطية
وما بعدها وتأكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من الاولين
ومن موصولة او موصوفة في محل النصب لا بنفس اعلم فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر في
مثل هذه الصورة بل بفعل دل هو عليه او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة
معلق عنها الفعل المقدر وقرئ يضل بضم الياء على ان من فاعل يضل ومفعوله محذوف
ومحلها النصب بما ذكر من الفعل المقدر اي هو اعلم من يضل الناس فيكون تأكيدا للتحذير
عن طاعة الكفرة واما ان الفاعل هو الله تعالى ومن منصوبة بما ذكر اي يعلم من يضله
او مجرورة باضافة اعلم اليها اي اعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله او من قولك
اضللته اذا وجدته ضالا فلا يساعده السباق والسياق والتفضيل في العلم بكثرته
واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها وبلزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا
مما ذكر اسم الله عليه امر مترتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة اضلالهم
تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتله
الله احق ان تأكلوه مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسمه تعالى عليه خاصة اي على ذبحه
لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط او مع اسمه تعالى او مات حتف انفه ان كنتم بآياته التي
جملتها الآيات الواردة في هذا الشأن مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة
ما احله الله والاجتناب عما حرمه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وما لكم
الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه انكار لان يكون لهم شيء الى الاجتناب عن كل ما ذكر عليه
اسم الله تعالى من البحائر والسوائب ونحوها وقوله تعالى وقد فصل لكم الى آخره جملة
حالية مؤكدة للانكار كما في قوله تعالى وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا
من ديارنا وابنائنا اي واي سبب حاصل لكم في ان لا تأكلوا مما ذكر الله عليه او واي
غرض يحملكم على ان لا تأكلوا ويمنعكم من اكله والحال انه فصل لكم ما حرم عليكم بقوله
تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الخ فبقي ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تعالى حرمت
عليكم الميتة الخ لانها مدنية واما التأخر في التلاوة فلا يوجب التأخر في النزول

وقرئ

وقرئ الفعلان على البناء للمفعول وقرئ الاول على البناء للفاعل والثاني للمفعول
الا ما اضطررتم اليه مما حرم فانه ايضا حلال حينئذ وان كثيرا اي من الكفار ليضلون
وقيل بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحي واضرابه وقيل يضلون باهوائهم
الزائغة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس من الشريعة الشريفة مستند الى الوحي
ان ربك هو اعلم بالمعتدين المجاوزين لحدود الحق الى الباطل والحلال الى الحرام
وذروا ظاهر الاثم وباطنه اي ما يعلن من الذنوب وما يسر او ما يعمل منها بالجوارح
وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم
اي ما يكسبون من الظاهر والباطن سيجزون بما كانوا يقترفون كائنا ما كان فلا بد
من اجتنابهما والجملة تعليل للامر ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم
متروك التسمية عمدا كان او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد بن حنبل مثله
وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر
اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة رح بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر عليه
اسم غيره تعالى لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل به لغير الله والضمير لما ويجوز ان يكون
للاكل المدلول عليه بلا تأكلوا والجملة مستأنفة وقيل حالية وان الشياطين ليوحون الى
اوليائهم المراد بالشياطين ابليس وجنوده فايحاؤهم وسوستهم الى المشركين وقيل مردة
المجوس فايحاؤهم الى اوليائهم ما انهوا الى قريش بالكتاب ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون
امر الله ثم يزعمون ان ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام ليجادلوكم اي بالوساوس
الشيطانية او بما نقل من اباطيل المجوس وهو يؤيد التأويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال
الحرام وساعدتموهم على اباطيلهم انكم لمشركون ضرورة ان من ترك طاعة الله الى
طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك به تعالى بل آثره عليه سبحانه اومن كان
ميتا وقرئ ميتا على الاصل فاحييناه تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين
اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركون خابطون
في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل اطاعتهم لهم والهمزة للانكار والنفي
والواو لعطف الجملة الاسمية على مثلها الذي يدل عليه الكلام اي أانتم مثلهم
ومن كان ميتا فاعطيناه الحياة وما يتبعها من القوى المدركة والمحركة وجعلنا له مع
ذلك من الخارج نورا عظيما يمشي به اي بسببه والجملة استئناف مبني على سؤال نشأ
من الكلام كأنه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به في الناس اي فيما بينهم
آمنا من جهتهم او صفة له كمن مثله اي صفته العجيبة وهو مبتدأ وقوله تعالى في الظلمات
خبره على ان المراد بهما اللفظ لا المعنى كما في قولك زيد صفته اسمر وهذه الجملة صلة
لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الاولى وقوله تعالى ليس بخارج منها
حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي غير خارج منها بحال وهذا كما يرى

مثل اريد به ما ابقي في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به من خلقه الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالآيات البينة للطريق الحق يسلكه كيف يشاء لكن لا على ان يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة تشبيهه بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت من الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي الممثلين هيئة على حدة ومن الامور المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي المثلين هيئة على حدة فشبهت بهما الاوليان ونزلتا منزلتيهما فاستعمل فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز وقد اشير في نفسه بقوله تعالى ختم الله على قلوبهم الاية الى ان التمثيل قسم براسه لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة حقيقة وان الاستعارة التمثيلية من عبارات المتاخرين نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه كهذين التمثيلين ونظايرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله

وما الناس الا كالديار واهلها ... بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

كذلك اي مثل ذلك التزيين البليغ زين اي من جهة الله عز وجل بطريق الخلق عند الجماعة او من جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل للكافرين لما يعين لكون الشيطانية الاخذين بالمزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا يعملون اي ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من القبائح فانها لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الاية نزلت في حمزة رضي الله عنه وابي جهل وقيل في عمر او عمار رضي الله عنهما وابي جهل وكذلك قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها جعلنا في كل قرية من سائر القرى اكابر مجرميها ليمكروا فيها ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغوا او هما الظرف واكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني على ان مجرميها بدل او مضاف اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة وكذلك قرئ اكبر مجرميها وقيل اكابر مجرميها مفعول اول والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى ان اي معنى يراد من هذه المعاني لا بد ان يكون مشهور التحقق عند الناس معهودا فيما بينهم ليصح ان يصرف الاشارة عن سياق النظم الكريم وتوجه اليه مقياسا لنظايره باخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر انه ليس الامر كذلك ولا سبيل الى توجيهها الى ما يفهم من قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اكابر مكة لان مآل المعنى ح بعد اللتيا والتي كما جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابرها المجرمين مجرميها الخ فالذي الاقرب ان ذلك اشارة الى الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد بتاويل الفريق او المذكور ومحل النصب على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الاية والاول اكابر مجرميها والظرف لغو

اي ومثل

اي ومثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرميها جعلنا في كل قرية اكابرها المجرمين اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين مزينا لهم اعمالهم مصرين على الباطل مجادلين في الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وما يمكرون الا بانفسهم اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلة مكرهم الا بهم وما يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي اي انما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى واذا جاءتهم اية رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعدما بين بطريق التسلية ان حال غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة الكل ما ذكر فان العظيمة المنقولة انما صدرت عنهم لا عن سائر المجرمين اي اذا جاءتهم اية بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل عليه السلام فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا او تاتي بالله والملائكة قبيلا وعن الحسن البصري وهذا كما ترى صريح في ان ما علق بايتاء ما اوتي الرسل عليهم السلام هو ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه عند الاطلاق خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة جبريل عليه السلام في الجملة وان يصرف الرسالة في قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته عن ظاهرها ويحمل رسالة جبريل عليه السلام بالوجه المذكور ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه لا وضعها في موضعها الذي هو الرسول ليتاتى كونه جوابا عن اقتراحهم ورده بان يكون معنى الاقتراح بكون تلك الاية نازلة من عند الله تعالى الى الرسول حتى ياتينا جبريل بالذات عيانا كما ياتي الرسل فيخبرنا بذلك ومعنى الرد الله اعلم من يليق بارسال جبريل عليه السلام اليه لامر من الامور ايذانا بانهم بمعزل من استحقاق ذلك التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا حتى ياتينا وحي كما ياتيه وقال الضحاك سأل كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر الله تعالى عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان كان مناسبا للرد المذكور لكنه يقتضي ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته صلى الله عليه وسلم في الجملة من غير شمول لكافة الناس وان يكون كلمة حتى في التعبير حتى ياتينا وحي كما ياتيه الخ غاية لعدم الرضى لا لعدم الايمان فانه مقرر على تقدير اتيان الوحي وعدمه فالمعنى لن نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من الوحي والنبوة مثل ما اوتيه رسل الله او ايتاء مثل ايتاء رسل الله واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم

الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها لاني اكبر منك سنا واكثر مالا وولدا فنزلت
فلا تعلق له بكلامهم المردود الآن يراد الايمان المعلق بما ذكر مجرد الايمان بكون الآية النازلة
وحيا صادقا لا الايمان بكونها نازلة اليه عليه السلام فيكون المعنى واذا جاءتهم آية نازلة
الى الرسول قالوا لن نؤمن الخ ولها من عند الله تعالى حتى يكون نزولها من عند الله حتى يكون
الينا لا اليه لانا نحن المستحقون دونه فان ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقا الخ لو كان تعين
من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذا لم يكن الامر كذلك فليست بحق وما له تعليق
الايمان بحقية النبوة بكون نفسه نبيا ومثل ما اوتي نصب في انه نعت لمصدر محذوف وما
مصدرية اي حتى نؤتى ايتاء مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه
عليه السلام وحيث نصب في المفعولية توسعا لا بنفس اعلم لما عرفت من انه لا يعمل في الاسم
في الظاهر بل بفعل دل هو عليه اي يعلم الموضع الذي يضعها فيه والمعنى ان منصب الرسالة
ليس مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد الاسباب والعدد وانما ينال بفضائل نفسانية يخص
الله تعالى بها من يشاء من خاص عباده وقرئ رسالته سيصيب الذين اجرموا استئناف آخر ناع عليهم
ما سيلقونه من فنون الشر بعد ما نعى عليهم جرمهم مما اماله والسين للتاكيد ووضع الموصول
موضع الضمير للاشعار بان اصابة ما يصيبهم البته مكان ما تمنوه وعلقوا به اطماعهم الفارغة
من عزة النبوة وشرف الرسالة صغار اي ذلة وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل
من عند الله وعذاب شديد في الآخرة او في الدنيا بما كانوا يمكرون اي بسبب مكرهم المستمر
او بمقابلته وحيث كان هذا من معظم مواد اجرامهم صرح بسببيته فمن يرد الله ان يهديه اي يعرفه
طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له وينفسح وهو كناية عن جعل النفس
قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله عليه وسلم
حين سئل فقال نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك
من امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والاعراض عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه يجعل صدره
ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا
بكسر الراء اي شديد الضيق والاول مصدر وصف به مبالغة كانما يصعد ما هذه هيئته
للدخول كان تكلفه الحمل الثقيل في السماء شبهه للمبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يكاد
يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على ان الايمان
يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في
الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرئ يصاعد واصله يتصاعد كذلك
اي مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا على الوجه المذكور يجعل الله الرجس اي العذاب
او الخذلان قال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وقال الزجاج الرجس اللعنة في الدنيا
والعذاب في الآخرة على الذين لا يؤمنون اي عليهم ووضع الموصول موضع المضمر للاشعار

جعله تعالى متعلقا بما في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الايمان واصرارهم على الكفر وهذا اي البيان
الذي جاء به القرآن او الاسلام او ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك اي طريقه الذي
ارتضاه او عادته وطريقته التي اقتضتها حكمته وفي التعرض لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم
ذلك الصراط للتربية وافاضة الكمال مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله
تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات بيناها مفصلة لقوم يذكرون
يتذكرون ما في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان او شرا فانما يحدث بقضاء
الله وخلقه وانه تعالى عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر
لانهم المنتفعون بتفصيل الآيات لهم دار السلام اي للمتذكرين دار السلامة من كل المكاره وهي
الجنة عند ربهم اي في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى وهو وليهم اي مولاهم
وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم الصالحة او متوليهم بجزائها يتولى ايصاله اليهم يوم يحشرهم
جميعا منصوب بمضمر اما على المفعولية او الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل الامر
والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين قائلا يا معشر الجن او يوم يحشرهم يقول يا معشر الجن او ويوم
يحشرهم ويقول يا معشر الجن يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفي به الوصف لفظاعته والمعشر
الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان
جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ والتقريع وقال اولياؤهم
اي الذين اطاعوهم ومن في قوله تعالى من الانس اما لبيان الجنس اي اولياؤهم الذين هم من الانس او متعلق
بمحذوف هو حال من اوليائهم اي كائنين من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم
على الشهوات وما يتوسل به اليها وقيل بان القوا اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة والجن بالانس
بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبول ما القوه اليهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون
بهم في المفاوز والمخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم قادرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي
اجلت لنا وهو يوم القيمة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث واظهارا
للندامة عليها وتحسرا على حالهم واستسلاما لربهم ولعل الاقتصار في حكاية كلام الضالين للايذان بان
المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم اصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية كلامهم
كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال النار مثواكم اي منزلكم او ذات ثوائكم كما ان دار السلام
مثوى المؤمنين خالدين فيها حال والعامل مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء
الله قال ابن عباس رضي الله عنه استثنى الله تعالى قوما قد سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى
الله عليه وسلم وهذا مبني على ان الاستثناء ليس من المحكي وما بمعنى من وقيل المعنى الا الاوقات التي
يتقلبون فيها من النار الى الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم
من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم وقيل يفتح لهم وهم في النار باب الى الجنة فيسرعون نحوه
حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب وعلى التقديرين في الاستثناء تهكم بهم وقيل الا ما شاء الله
قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ولا يخفى بعده ان ربك حكيم في افعاله عليم

بال الثقلين وأعمالهم وما يليق بها من الجزاء وكذلك أي مثل ما سبق من تمكين الجن من إغواء الإنس وإضلالهم نولي بعض الظالمين من الإنس بعضا آخر منهم أي نجعلهم بحيث يتولونهم بالإغواء والإضلال أو نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا عند اقتراف ما يؤدي إليه من القبائح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والإنس شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المعشرين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلق بخاصة أنفسهم إثر حكاية توبيخ معشر الجن بإغواء الإنس وإضلالهم وبيان مآل أمرهم ألم يأتكم أي في الدنيا رسل من عند الله عز وجل لكن لا على أن يأتي كل رسول كل واحد من الأمم بل على أن يأتي كل أمة رسول خاص بها أي ألم يأت كل فريق منكم رسول معين وقوله تعالى منكم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل أي كائنة من جملتكم لكن لا على أنهم من جنس الفريقين معا بل من الإنس خاصة وإنما جعلوا منهما إما لتأكيد وجوب اتباعهم والإيذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا وخطابا كأنهما جنس واحد ولذلك تمكن أحدهما من إضلال الآخر وإما لأن المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت أن الجن قد استمعوا القرآن وأنذروا به قومهم حيث نطق به قوله تعالى وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن إلى قوله ولوا إلى قومهم منذرين وقوله تعالى يقصون عليكم آياتي صفة أخرى لرسل محققة لما هو المراد من إرسال الرسل من التبليغ والإنذار وقد حصل ذلك بالنسبة إلى الثقلين وينذرونكم بما في تضاعيفها من القوارع لقاء يومكم هذا يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما أعد لهم من أفانين العقوبات الهائلة قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا شهدنا على أنفسنا أي بإتيان الرسل وإنذارهم وبمقابلتهم إياهم بالكفر والتكذيب واستحقاقهم بسبب ذلك للعذاب المخلد حسبما فصل في حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما أداهم في الدنيا إلى ارتكابهم للقبائح التي ارتكبوها وألجأهم إلى الاعتراف في الآخرة بالكفر واستيجاب العذاب وذم لهم بذلك أي واغتروا في الدنيا بالحياة الدنية واللذات الخسيسة الفانية وأعرضوا عن النعيم المقيم الذي بشرت به الرسل واجترؤوا على ارتكاب المعاصي ما عرضهم للعذاب المؤبد الذي أنذرهم إياه وشهدوا في الآخرة على أنفسهم أنهم كانوا في الدنيا كافرين أي بالآيات والنذر التي أتى بها الرسل على التفصيل المذكور آنفا واضطروا إلى الاستسلام لأشد العذاب كما ينبئ عنه ما حكي عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير وفيه من تحسيرهم وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك إشارة إلى ما ذكر من شهادتهم على أنفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وهو مبتدأ خبره قوله تعالى أن لم يكن ربك مهلك القرى بحذف اللام على أن أن مصدرية أو مخففة من أن وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى بظلم متعلق إما بمهلك أي بسبب ظلم أو بمحذوف وقع حالا من القرى أي ملتبسة بظلم فإن ملابسة أهلها للظلم ملابسة للقرية له بواسطتهم وإما كونه حالا من ربك أي ظالما من جهته في إهلاكها

كما قيل فيأباه أن غفلة أهلها مأخوذة في معنى الظلم وحقيقته لا محالة فلا يحسن تقييده بقوله تعالى وأهلها غافلون والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك أو لأن الشأن لم يكن ربك مهلك القرى بسبب أي ظلم فعلوه من أنواع الظلم قبل أن ينهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول وكتاب وإن قضى به بديهة العقول وينذروا عاقبة جناياتهم أي لولا انتفاء كونه تعالى معذبا لهم قبل إرسال الرسل وإنزال الكتب لما أمكن التوبيخ بما ذكروا ولما شهدوا على أنفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولا اعتذروا بعدم إتيان الرسل كما في قوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى وإنما علل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدنيوي الذي هو إهلاك القرى قبل الإنذار مع أن الظاهر في تعليله بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل أتم كما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي والأخروي معا من غير إنذار على أبلغ وجه وآكده حيث اقتصر على نفي التعذيب الدنيوي عنه تعالى ليثبت نفي التعذيب الأخروي عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الأولوية فإنه تعالى حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون إنذار فلأن لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد أولى وأجلى ولو علل ذلك من نفي التعذيب الدنيوي من غير تعرض له صريحا ولا دلالة لا لضرورة أن نفي الأعلى لا يدل على نفي الأدنى ولأن ترتب التعذيب الدنيوي من غير تعرض له لا صريحا ولا دلالة لا لضرورة أن نفي الأعلى لا يدل على نفي الأدنى ولأن ترتب التعذيب الدنيوي على الإنذار عند عدم تأثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند السامعين فيستدلون بذلك على أن التعذيب الأخروي أيضا كذلك فينزجرون عن الإخلال بموجب الإنذار أشد انزجار هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم وأما جعل ذلك إشارة إلى إرسال الرسل عليهم السلام وإنذارهم وخبر المبتدأ محذوف كما أطبق عليه الجمهور فبمعزل من مقتضى المقام والله سبحانه أعلم ولكل أي من المكلفين من الثقلين درجات متفاوتة وطبقات متباينة مما عملوا من أعمالهم صالحة كانت أو سيئة فإن أعمالهم درجات في أنفسها أو من جزاء أعمالهم فإن كل جزاء مرتبة معينة لهم أو من أجل أعمالهم صالحة كانت أو سيئة فإن أعمالهم درجات وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل من أعمالهم أو قدر ما يستحقون بها من ثواب أو عقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة وربك الغني مبتدأ وخبر أي هو المعروف بالغنى عن كل ما سواه كائنا ما كان وما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن عباداتهم وفي التعرض لوصف الربوبية في الموضعين لا سيما في الثاني لكونه موقع الإضمار مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم من إظهار اللطف به عليه السلام وتنزيه ساحته عن توهم شمول الوعيد الآتي لها أيضا ما لا يخفى وقوله تعالى ذو الرحمة خبر آخر أو هو الخبر والغني صفة أي يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على أن ما سلف ذكره من الإرسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد لقوله تعالى إن يشأ يذهبكم أي ما به حاجة إليكم إن يشأ يذهبكم أيها العصاة

وفي تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم ما يشاء
من الخلق وفي ايثار ما على من اظهار كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء كما انشأكم من ذرية
قوم آخرين اي من نسل قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام
لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما مصدرية ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي على غير الصدر
فان يستخلف في معنى ينشئ كانه قيل وينشئ انشاء كما انشأكم الخ او نعت لمصدر الفعل المذكور
اي يستخلف استخلافا كائنا كانشائكم والشرطية استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة
ان ما توعدون اي الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال
للدلالة على الاستمرار التجددي لآت لواقع لا محالة كقوله تعالى انما توعدون لواقع وايثاره
عليه لبيان كمال سرعة وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب حسبما يعرب عنه
قوله تعالى وما انتم بمعجزين اي بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول كما
ان ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان والمراد بيان دوام انتفاء
الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل على دوام الثبوت تدل
بمعونة المقام اذا دخل عليها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما حقق في
موضعه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اثر ما بين لهم حالهم وما لهم بطريق الخطاب امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين بان يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر
لهم ما هو عليه غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق بامره وعدم المبالاة بهم اي اعملوا
على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم وحالتكم التي انتم
عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم
اني عامل ما امرت به من الثبات على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد
التهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على
ما يؤدي اليه وتسجيل بان المهدد لا يأتي منه الا الشر كالذي امر به بحيث لا يجد الى التفصي عنه
سبيلا فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار سوف لتأكيد مضمون الجملة والعلم عرفاني ومن اما استفهامية
معلقة لفعل العلم محلها الرفع على الابتداء وتكون باسمها وخبرها في حيز خبرها في محل نصب لسدها
مسد مفعول تعلمون اينا تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها واما موصولة فمحلها
النصب على انه مفعول لتعلمون اي فسوف تعلمون الذي له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف
في المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره وقرئ بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقي انه اي
ان الشأن لا يفلح الظالمون وضع الظلم موضع الكفر ايذانا بان امتناع الفلاح يترتب على اي
فرد كان من افراد الظلم فما ظنك بالكفر الذي هو اعظم افراده وجعلوا شروع في تقبيح احوالهم
الفظيعة حكاية لاقوالهم وافعالهم الشنيعة وهم مشركو العرب كانوا يعينون اشياء منها لالهتهم فاذا
رأوا ما جعلوه لله تعالى زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لالهتهم واذا زكا ما جعلوه لالهتهم
وابقوه لها والجعل اما متعد الى واحد فالجاران في قوله تعالى مما ذرأ متعلقان به ومن في قوله

تعالى من الحرث والانعام بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر
على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكي له اي عينوا لله تعالى مما خلقه من الحرث والانعام نصيبا يصرفونه
الى الضيفان والمساكين وتأخير من الحرث عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر واما
الى المفعولين اولهما مما ذرأ على ان من تبعيضية اي جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له وما قيل من ان الاول
نصيبا والثاني لله لا يساعده سداد المعنى وحكاية جعلهم له تعالى نصيبا تدل على انهم جعلوا لشركائهم ايضا
نصيبا ولم يذكر اكتفاء بقوله تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقرئ بضم الزاي وهو لغة
فيه وانما قيد به الاول للتنبيه على انه في الحقيقة ليس بجعل الله تعالى غير مستتبع لشيء من الثواب كالتطوعات
التي يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من انه للتنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله تعالى به
فان ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيد به الثاني ويجوز ان يكون ذلك تمهيدا لما بعده على معنى ان قولهم
هذا لله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه الذي هو اختصاصه به تعالى فقوله تعالى فما كان لشركائهم
فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم بيان وتفصيل له اي ما عينوه لشركائهم لا يصرف
الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لله تعالى من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما عينوه لله
تعالى اذا وجدوه زاكيا يصرف الى الوجوه التي يصرف اليها ما عينوه لآلهتهم من انفاق عليها وذبح نسائك
عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم
بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذي والتقدير ساء الذي يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدأ وما قبله الخبر وحذف لدلالة
يحكمون عليه وكذلك ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى وبين
آلهتهم او ومثل ذلك التزيين البليغ المعهود من الشياطين زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بوأدهم
ونحرهم لآلهتهم كان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف
عبد المطلب وهو مشهور شركاؤهم اي اولياؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف
والمفعول لما مر غير مرة وقرئ على البناء للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء
باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجر اولادهم
ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه لما قيل زين لهم قتل اولادهم قيل من زينه
فقيل زينه شركاؤهم ليردوهم اي يهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم
ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين
من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله اي عدم فعلهم ذلك ما فعلوه اي ما فعل
المشركون ما زين لهم من القتل او الشركاء التزيين او الارداء واللبس او الفريقان جميع ذلك على اجراء
الضمير مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون الفاء فصيحة اي اذا كان ما فعلوه بمشيئة الله
تعالى فدعهم وافتراءهم او وما يفترونه من الافك فان فيما شاء الله تعالى حكما بالغة انما يملي لهم ليزدادوا
اثما ولهم عذاب اليم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع آخر من انواع كفرهم هذه اشارة
الى ما جعلوه لآلهتهم والتأنيث للخبر انعام وحرث حجر اي حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي
فيه الواحد والكثير والذكر والانثى لان اصله المصدر ولذلك وقع صفة لانعام وحرث وقرئ

حجر بالضم وبضمتين وحرج أي ضيق وأصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها إلا
من نشاء يعنون خدم الأوثان من الرجال دون النساء والجملة صفة أخرى لأنعام وحرث
بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال من فاعل قالوا أي قالوه ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة وأنعام
خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى هذه أنعام الخ أي قالوا مشيرين إلى
طائفة أخرى من أنعامهم وهذه أنعام حرمت ظهورها يعنون بها البحائر والسوائب والحوامي
وأنعام أي وهذه أنعام كما مر وقوله تعالى لا يذكرون اسم الله عليها صفة لأنعام لكنه غير واقع في
كلامهم المحكي كنظائره بل من جهته تعالى تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره كما في قوله تعالى وقولهم
إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحد التفاسير كأنه قيل
وأنعام ذبحت على الأصنام فإنها التي لا يذكر عليها اسم الله وإنما يذكر عليها اسم الأصنام
وقيل لا يحجون عليها فإن الحج لا يعرى من ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت لهم طائفة من أنعامهم
لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها لا إن ركبوا ولا إن حلبوا ولا إن نتجوا ولا إن
باعوا ولا إن حملوا افتراء عليه نصب على المصدرية إما على أن ما قالوه تقول على الله تعالى
وإما على تقدير عامل من لفظه أي افتروا افتراء والجار متعلق بقالوا أو بافتروا المقدر أو
بمحذوف هو صفة له لا بافتراء لأن المصدر المؤكد لا يعمل أو على الحال من فاعل قالوا أي مفترين
أو على العلة أي للافتراء فالجار متعلق به سيجزيهم بما كانوا يفترون أي بسببه أو بدله
وفي إبهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى وقالوا حكاية لفن آخر من فنون كفرهم ما في بطون
هذه الأنعام يعنون به أجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا حلال لهم خاصة والتاء
للنقل إلى الاسمية أو للمبالغة أو لأن الخالصة مصدر كالعاقبة وقع موقع الخالص مبالغة
أو بحذف المضاف أي ذو خالصة أو للتأنيث بناء على أن ما عبارة عن الأجنة والتذكير
في قوله تعالى ومحرم على أزواجنا أي جنس أزواجنا وهن الإناث باعتبار اللفظ وفيه كما
ترى حمل للنظم الكريم على خلاف المعهود الذي هو الحمل على اللفظ أولا وعلى المعنى ثانيا
كما في قوله تعالى ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم الخ ونظائره وأما العكس فقد
قالوا إنه لا نظير له في القرآن وهذا الحكم منهم إن ولد ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد
وإن يكن ميتة أي إن ولد ميتة أي الذكر فهم والإناث فيه أي فيما بطون الأنعام
وقرئ المراد بالميتة ما يعم الذكر والأنثى فغلب الأول على الثاني شركاء يأكلون منه جميعا
وقرئ خالصة بالنصب على أنه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا أو حال من الضمير الذي في
الظرف لا من الذي في ذكورنا ولا من الذكور لأنه لا يتقدم على العامل المعنوي ولا على صاحبه
المجرور وقرئ خالصه بالرفع والإضافة إلى الضمير على أنه بدل من ما أو مبتدأ ثان
سيجزيهم وصفهم أي جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى في أمر التحليل والتحريم من قوله تعالى
وتصف ألسنتهم الكذب إنه حكيم عليم تعليل للوعد بالجزاء فإن الحكيم العليم بما صدر عنهم
لا يكاد يترك جزاءهم الذي هو من مقتضيات الحكمة قد خسر الذين قتلوا أولادهم جواب

قسم محذوف بالتشديد وهم ربيعة ومضر وأضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون
بناتهم مخافة السبي والفقر أي خسروا دينهم ودنياهم سفها بغير علم متعلق بقتلوا على أنه
علة له أي لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله هو الرازق لهم ولأولادهم أو نصب على الحالية
ويؤيده أنه قرئ سفهاء أو بمصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوها
افتراء على الله نصب على الوجوه المذكورة وإظهار الاسم الجليل في موضع الإضمار لإظهار
كمال عتوهم وطغيانهم قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا مهتدين وإن هدوا
بفنون الهدايات أو وما كانوا مهتدين من الأصل لسوء سيرتهم فالجملة حينئذ اعتراض و
الأول عطف على ضلوا وهو الذي أنشأ جنات معروشات تمهيد لما سيأتي من تفصيل
أحوال الأنعام أي هو الذي أنشأهن من غير شركة لأحد في ذلك بوجه من الوجوه والمراد
من الكروم المرفوعات على ما يحملها وغير معروشات وهي الملقيات على وجه الأرض وقيل
المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه وغير المعروشات ما نبت في البوادي والجبال والنخل
والزرع عطف على جنات أي أنشأهما مختلفا أكله وقرئ أكله بسكون الكاف أي ثمره
الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير إما للنخل والزرع داخل في حكمه أو للزرع والباقي
مقيس عليه أو للجميع على تقدير أكل ذلك أو كل واحد منها ومختلفا حال مقدرة إذ ليس كذلك
وقت الإنشاء والزيتون والرمان أي أنشأهما وقوله تعالى متشابها وغير متشابه نصب
على الحالية أي يتشابه بعض أفرادهما في اللون والهيئة أو الطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من
ثمره أي من ثمر كل واحد من ذلك إذا أثمر وإن لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة
المالك في الأكل منه قبل أداء حق الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده أريد به ما كان يتصدق
به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار لا الزكاة المقدرة فإنها فرضت
بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والأمر بإيتائها يوم الحصاد ليهتم
به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الأداء وليعلم أن الوجوب بالإدراك لا بالتنقية وقرئ
يوم حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا أي في التصدق كما روي عن ثابت بن قيس
صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كلها ولم يدخل منه شيئا إلى منزله كقوله تعالى ولا تبسطها
كل البسط الآية إنه لا يحب المسرفين أي لا يرتضي إسرافهم ومن الأنعام حمولة وفرشا
شروع في تفصيل حال الأنعام وإبطال ما تقولوا على الله تعالى في شأنها بالتحريم
والتحليل وهو عطف على مفعول أنشأ ومن متعلقة به أي وأنشأ من الأنعام ما يحمل عليه
الأثقال وما يفرش للذبح أو ما يفرش المصنوع من شعره وصوفه ووبره وقيل
الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الأرض كأنها فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم
الله ما عبارة عما ذكر من الحمولة والفرش ومن تبعيضية أي كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى
أي حلاله وفيه تصريح بأن إنشاءها لأجلهم ومصلحتهم ولا تتبعوا في أمر التحليل والتحريم
بتقليد أسلافكم المجازفين في ذلك من تلقاء أنفسهم المفترين على الله سبحانه خطوات الشيطان

فان ذلك منهم باغواء الشيطان واستتباعه اياهم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية
ازواج الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة
وايرادها بهذا العنوان وهذا العدد تمهيد لما سيتلوه الكلام من الانكار المتعلق بتحريم
كل واحد من الذكر والانثى وبما في بطنها وهو بدل من حمولة وفرشا منصوب بما
نصبهما وجعله مفعولا لكلوا على ان قوله تعالى ولا تتبعوا الاية معترض بينهما او حالا
من ما بمعنى مختلفة او متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور انه مسوق لتوضيح حال
الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش ثم تفصيلهما الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل
الاول الى الابل والبقر وتفصيل الثاني الى الضأن والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة
الى الذكر والانثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها عليه سبحانه تعالى بالتحليل
والتحريم ثم تبكيتهم باظهار كذبهم وافترائهم في كل مادة من تلك المواد بتوجيه الانكار
اليها مفصلة واثنين في قوله تعالى من الضأن اثنين بدل من ثمانية ازواج منصوب
بناصبه وهو العامل فيه من اي انشأ من الضأن زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان
على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين كامير او جمع ضائن كتاجر وتجر
وقرئ بفتح الهمزة ومن المعز اثنين عطف على مثله شريك له في حكمه اي وانشأ
من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس
وحرس وقرئ ومن المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها
في التفصيل مع تأخر اصلها في الاجمال لكون هذين النوعين عرضة للاكل الذي هو معظم
ما يتعلق به الحل والحرمة وهو السر في الاقتصار على الامر به في قوله تعالى كلوا مما
رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه في السائبة
واخواتها قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تفصيل
انواع الانعام التي انشأها اي قل تبكيتا لهم واظهارا لانقطاعهم عن الجواب آلذكرين
من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس حرم اي الله عز وجل كما تزعمون انه هو المحرم
ام الانثيين وهما النعجة والعنز ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو مؤخر عنهما بحسب المعنى
وان توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اي ام
ما حملت اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى وقوله تعالى نبئوني بعلم الى آخره تكرير
للالزام وتثنية للتبكيت والافحام اي اخبروني بامر معلوم من جهة الله تعالى من
الكتاب او اخبار الانبياء يدل على انه تعالى حرم شيئا مما ذكر او نبئوني ملتبسين
بعلم صادر عنه ان كنتم صادقين اي في دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى
ومن الابل اثنين عطف على قوله تعالى من الضأن اثنين اي وانشأ من الابل اثنين هما الجمل
والناقة ومن البقر اثنين ذكرا وانثى قل افحاما لهم في امر هذين النوعين ايضا آلذكرين
منهما حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين من ذينك النوعين والمعنى انكار

ان الله

ان الله تعالى حرم عليهم شيئا من الانواع الاربعة واظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر
من الذكور والاناث وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بايراد الانكار عليهم مادة مادة
من مواد افترائهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها
كيفما كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله سبحانه وانما عقب تفصيل الانواع
كل واحد من نوعي الصغار ونوعي الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام والانكار مع حصول
التبكيت بايراد الامر عقيب تفصيل الانعام الاربعة بان يقال قل الذكور حرم ام الاناث اما
اشتملت عليه ارحام الاناث لما في التثنية والتكرير من المبالغة في التبكيت والالزام وقوله تعالى
ام كنتم شهداء تكرير للافحام كقوله تعالى نبئوني بعلم وام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ
ومعنى بل الاضراب من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر اي بل اكنتم حاضرين شاهدين اذ
وصاكم الله بهذا اي حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم حسبما يقود
اليه مذهبكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه من تركيك عقولهم والتهكم بهم ما لا
يخفى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك
او عمرو بن لحي بن قمعة وهو المؤسس لهذا الشر او الكل لاشتراكهم في الافتراء عليه سبحانه وتعالى اي ما
فريقهم اظلم من فريق افتروا الخ ولا يقدح في اظلمية الكل كون بعضهم مخترعين له او بعضهم مقتدين
بهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم واظهار كذبهم وافترائهم اي هو اظلم من كل
ظالم وان كان المنفي صريحا الاظلمية دون المساواة كما مر غير مرة ليضل الناس متعلق بالافتراء بغير
علم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل افترى عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى ايذانا
بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات فان من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى
مع احتمال الصدور عنه اذا كان اظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم انه لم يصدر
عنه ويجوز ان يكون حالا من فاعل يضل اي ملتبسا بغير علم بما يؤدي بهم اليه ان الله لا يهدي
القوم الظالمين كائنا من كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا او آجلا واذا كان هذا حال المتصفين
بالظلم في الجملة فما ظنك بمن في اقصى غاياته قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الزام المشركين
وتبكيتهم وبيان ان ما يتقولونه في امر التحريم افتراء بحت لا اصل له قطعا بان يبين لهم ما حرم
عليهم وفي قوله تعالى لا اجد فيما اوحي الي محرما ايذان بان مناط الحل والحرمة هو الوحي وانه عليه
السلام قد تتبع ما اوحي اليه وتفحص عن المحرمات ولم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة في بيان انحصارها في ذلك
ومحرما صفة لمحذوف اي لا اجد فيما تفحصت ما اوحي الي طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها
على طاعم اي اي طاعم كان من ذكر او انثى ردا على قولهم ومحرم على ازواجنا وقوله يطعمه لزيادة
التقرير الا ان يكون اي ذلك الطعام ميتة وقرئ تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرئ
ميتة بالرفع على ان كان تامة وقوله تعالى او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي
الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدماء التي في العروق لا كالطحال والكبد او لحم
خنزير فانه اي الخنزير رجس اي لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث او فسقا عطف على لحم

خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته اهل لغير الله به صفة له موضحة اي ذبح على اسم الاصنام
وانما سمي ذلك فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على
يكون والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر اي اصابه الضرورة الداعية
الى اكل الميتة بوجه من الوجوه والمفعل غير باغ في ذلك على مضطر آخر مثله ولا عاد قدر الضرورة
فان ربك غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال الاولى
لبيان انه لو لم يوجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر هو اخذه حق مضطر
فان من اخذ حق الميتة من يد مضطر آخر فاكله فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار
كونه حقا للمضطر الآخر واما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز
عن القدر الذي يسد به الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة
ايذان بان المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والآية محكمة لانها تدل على انه عليه السلام
لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء آخر فلا يصح
الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء التي غيرها الا مع الاستصحاب
وعلى الذين هادوا خاصة لا على من عداهم من الاولين والآخرين حرمنا كل ذي ظفر اي كل ما له
اصبع من الابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا
والمسبب عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم
كلها وهذا تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل لابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم
فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهم
حتى انتهى الامر الينا ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم
الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما استثناء من الشحوم
مخرج لما علق من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم او الحوايا عطف على ظهورهما اي ما حملته الحوايا
وهي جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن او ما اختلط بعظم
عطف على ما حملت وهو شحم الالية واختلاطه بالعظم اتصاله بعجب الذنب وقيل هو كل شحم
متصل بالعظم من الاضلاع وغيرها ذلك اشارة الى الجزاء او التحريم فهو على الاول نصب على
انه مصدر مؤكد لما بعده وعلى الثاني على انه مفعول ثان له اي ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم
بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء بغير حق واكلهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل
كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وكانوا كلما اتوا بمعصية عوقبوا
بتحريم شيء مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم تزل محرمة على الامم فرد عليهم
ذلك واكد بقوله تعالى وانا لصادقون اي في جميع اخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد القمهم
الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل
التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك
بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين فيها جميع ما يحذرون اوضح بيان فان

كذبوك

كذبوك قيل الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الاشراك
وقيل للمشركين فالمعنى على الاول ان كذبتك اليهود في الحكم المذكور واصروا على ما كانوا عليه
من ادعاء قدم التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يؤاخذكم بكل ما تأتونه من المعاصي ويمهلكم
على بعضها ولا يرد بأسه بالكلية عن القوم المجرمين فلا تنكروا ما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات
عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فان كذبك المشركون فيما فصل من احكام التحليل والتحريم
فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغتروا بذلك فانه امهال
لا اهمال وقيل ذو رحمة للمطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فاقيم مقامه قوله
تعالى ولا يرد بأسه لما تضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لاحق بهم
البتة من غير صارف يصرفه عنهم اصلا سيقول الذين اشركوا حكاية لفن آخر من كفرهم واخبار
ووقوعه ثم وقوعه حسبما اخبر به كما يحكيه قوله تعالى عند وقوعه (وقال الذين اشركوا) لو شاء الله ما عبدنا من دونه من
صرح في انه من عند الله لو شاء الله ما اشركنا اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لما فعلنا الا
نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ارادوا به ان ما فعلوه حق مرضي عند الله تعالى لا الاعتذار من
ارتكاب هذه القبائح بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة الا يرى الى
قوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل ما كذبك هؤلاء في انه تعالى منع من الشرك
ولا يحرم ما حرموه كذب الذين سبقوهم الرسل فانه صريح فيما قلنا وعطف اباؤنا على الضمير للفصل
بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج
به على ما زعمتم فتخرجوه لنا اي فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون في ذلك
الا الظن الباطل الذي لا يغني من الحق شيئا وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله عز وجل
وليس فيه دلالة على المنع من اتباع الظن على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعي قل فلله الحجة البالغة
الفاء جواب شرط محذوف اي واذ قد ظهر ان لا حجة لكم فلله الحجة البالغة اي البينة الواضحة
التي بلغت غاية المتانة والثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول
والبيان وهي من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء هداكم جميعا
لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشأ هداية الكل بل هداية البعض الصارفين
هممهم الى سلوك طريق الحق وضلال آخرين صرفوا اختيارهم الى خلاف ذلك من غير صارف
يلويهم ولا عاطف يثنيهم قل هلم شهداءكم اي احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف على لغة اهل
الحجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة بني تميم على رأي الجمهور وقد خالفهم البعض في فعليته ليس
بشيء واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام
فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد
لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كما في قوله تعالى هلم الينا الذين يشهدون
ان الله حرم هذا وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وانما امروا باستحضارهم ليلزمهم الحجة
ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة الا

ووصفوا بما يدل على أنهم شهداء معروفون بالشهادة لهم ويَنصرون مذهبهم فإن شهدوا بعد ما حضروا بأن الله تعالى حرّم هذا فلا تشهد معهم أي فلا تصدقهم فإنه كذب بحت وافتراء صرف وبيّن لهم فساده فإن تسليمه منهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله تعالى وعدل به غيره فهو متّبع للهوى لا غير وأن من اتبع الحجة لا يكون إلا مصدقاً بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الأوثان عطف على الموصول الأول بطريق عطف الصفة على الصفة مع اتحاد الموصوف كما في قوله. إلى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتائب في المزدحم •

فإن من يكذب بآياته تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس وهم بربهم يعدلون أي يجعلون له عديلاً عطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع أهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة وبين الإشراك به سبحانه لكن لا على أن يكون مداراً للنهي الجمع المذكور بل على أن أولئك جامعون لها متصفون بكلها قل تعالوا لما ظهر بطلان ما ادعوه من أن إشراكهم وإشراك آبائهم وتحريم ما حرموه بأمر الله تعالى ومشيئته بظهور عجزهم عن إخراج شيء يتمسك به في ذلك وإحضار شهداء يشهدون بما ادعوا في أمر التحريم بعد ما كلفوه مرة بعد أخرى عُجّز أبدياً أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يبين لهم من المحرمات ما يقتضي الحال بيانه على الأسلوب الحكيم إيذاناً بأن حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات وأما الأطعمة المحرمة فقد بيّنت بقوله تعالى قل لا أجد الآية وتعال أمر من التعالي والأصل فيه أن يقوله من في مكان عالٍ لمن هو في أسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كما أن الغنيمة في الأصل إصابة الغنم من العدو ثم استعملت في إصابة كل ما يصاب منهم اتساعاً في الفوز بكل مطلب من غير مشقة أتل جواب الأمر وقوله تعالى ما حرم ربكم منصوب به على أن ما موصولة والعائد محذوف أي أقرأ الذي حرمه ربكم أي الآيات المشتملة عليه أو مصدرية أي الآيات المشتملة على تحريمه أو على أنها استفهامية والجملة مفعول لأتل لأن التلاوة من باب القول كأنه قيل أتل أي شيء حرم ربكم وعليكم متعلق بحرم على كل حال وقيل بأتل والأول أنسب بمقام الاعتناء لإيجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم فإن تذكير كونه تعالى ربّاً لهم ومالكاً لأمرهم في الإطلاق من أقوى الدواعي إلى انتهائهم عما نهاهم عنه أشد انتهاء وأن في قوله تعالى ألا تشركوا به مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الأوامر والنواهي عليه وليس من ضرورة كون المعطوف عليه تفسيراً لتلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوفات أيضاً كذلك حتى يمتنع انتظام الأوامر في سلك العطف عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيراً لها باعتبار لوازمها التي هي النواهي المتعلقة بأضداد ما تعلقت هي به فإن الأمر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده بل التلاوة المحرمات هو عينه عند البعض كأن الأوامر ذكرت وقصد لوازمها فإن عطف الأوامر على النواهي الواقعة بعد أن المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع

بأن

بأن المأمور به لا يكون محرماً دليل واضح على أن التحريم راجع إلى الأضداد على الوجه المذكور فكأنه قيل أتل ما حرم ربكم أن لا تشركوا ولا تسيئوا إلى الوالدين خلا أنه قد أخرج مخرج الأمر بالإحسان إليهما بين النهيين المكتنفين له للمبالغة في إيجاب مراعاة حقوقهما فإن مجرد ترك الإساءة إليهما غير كاف في قضاء حقوقهما ولذلك عقب به النهي عن الإشراك الذي هو أعظم المحرمات وأكبر الكبائر ههنا وفي سائر المواضع وقيل أن ناصبة ومحلها النصب بعليكم على أنه للإغراء وقيل النصب على البدلية من ما حرم وقيل من عائدها المحذوف على أن لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن تشركوا بزيادة لا وقيل والذي عليه التعويل هو الأول لأمور من جملتها أن في إخراج المفسر على صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى شيئاً نصب على المصدرية أو المفعولية أي لا تشركوا به شيئاً من الإشراك أو شيئاً من الأشياء وبالوالدين إحساناً أي وأحسنوا بهما إحساناً وقد مر تحقيقه ولا تقتلوا أولادكم تكليف متعلق بحقوق الأولاد عقب به التكليف المتعلق بحقوق الوالدين أي لا تقتلوهم بالوأد من إملاق من أجل فقر كما في قوله تعالى خشية إملاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذا في المتوقع وقوله تعالى نحن نرزقكم وإياهم استئناف مسوق لتعليل النهي وإبطال سببية ما اتخذوه سبباً لمباشرة المنهي عنه وضمان منه تعالى لأرزاقهم أي نحن نرزق الفريقين لا أنتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى ولا تقربوا الفواحش كقوله تعالى ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة الآية إلا أنه جيء ههنا بصيغة الجمع قصداً إلى النهي عن أنواعها ولذلك أبدل عنها قوله تعالى ما ظهر منها وما بطن أي ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو دأب أراذلهم وما يفعل سراً باتخاذ الأخدان كما هو عادة أشرافهم وتعليق النهي بقربانها إما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الدواعي إليها وإما لأن قربانها داع إلى مباشرتها وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن القتل مطلقاً كما وقع في سورة بني إسرائيل باعتبار أنها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الأولاد فإن أولاد الزنى في حكم الأموات وقد قال عليه السلام في حق العزل ذاك وأد خفي ومن ههنا تبين أن حمل الفواحش على الكبائر مطلقاً وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما فسر به في ظاهر الإثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين العصا ولحائه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله أي حرم قتلها بأن عصمها بالإسلام أو بالعهد فيخرج منه الحربي وقوله تعالى إلا بالحق استثناء مفرغ من أعم الأحوال أي لا تقتلوها في حال من الأحوال إلا حال ملابستكم بالحق الذي هو أمر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الإيمان والزنى بعد الإحصان وقتل النفس المعصومة أو من أعم الأسباب أي لا تقتلوها قتلاً ما بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق وهو ما ذكر أو من أعم المصادر أي لا تقتلوها قتلاً ما

لا قتلا كائنا بالحق وهو القتل بأحد الأمور المذكورة ذلكم إشارة إلى ما ذكر من التكاليف
الخمسة وما في ذلك من معنى البعد للإيذان بعلو طبقتها من بين التكاليف الشرعية
وهو مبتدأ وقوله تعالى وصاكم به أي أمركم به أمرا مؤكدا خبره والجملة
استئناف جيء به تجديدا للعهد وتأكيدا لإيجاب المحافظة على ما كلفوه ولما كانت
الأمور المنهي عنها مما يقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تعالى
لعلكم تعقلون أي تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح
المذكورة ولا تقربوا مال اليتيم توجيه النهي إلى قربانه لما مر من المبالغة في النهي
عن أكله ولإخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء أي لا تتعرضوا له
بوجه من الوجوه إلا بالتي هي أحسن أي بالخصلة التي هي أحسن ما يكون من الحفظ والتثمير
ونحو ذلك والخطاب للأولياء والأوصياء كقوله تعالى حتى يبلغ أشده فإنه غاية لما
يفهم من الاستثناء لا للنهي كأنه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه
إليه كما في قوله تعالى فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم والأشد جمع شدة
كنعمة وأنعم أو شد ككلب وأكلب أو شد كصر وآصر وقيل هو مفرد كآنك وأوفوا الكيل
والميزان بالقسط أي بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا إلا وسعها إلا ما يسعها ولا
يعسر عليها وهو اعتراض جيء به عقيب الأمر بالعدل للإيذان بأن مراعاة العدل ع
للإيذان بأن مراعاة العدل كما هو عسير كأنه قيل عليكم بما في وسعكم وما وراءه
معفو عنكم وإذا قلتم قولا في حكومة أو شهادة أو نحوهما فاعدلوا فيه ولو كان أي
المقول له أو عليه ذا قربى أي ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم أصلا وقد مر تحقيق معنى
لو في مثل هذا الموضع مرارا وبعهد الله أوفوا أي ما عاهدكم عليه من الأمور
المعدودة أو أي عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا أو ما عاهدتم الله تعالى
عليه من الأيمان والنذور وتقديمه للاعتناء بشأنه ذلكم إشارة إلى ما فصل من
التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل وصاكم به أمركم به أمرا مؤكدا لعلكم
تذكرون تتذكرون ما في تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال
وهذه أحكام عشرة لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار وعن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما هذه آيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وهي محرمات على بني
آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب
الأحبار والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة بسم الله الرحمن الرحيم
قل تعالوا أتل الآيات وأن هذا صراطي إشارة إلى ما ذكر في الآيتين من الأمر والنهي
قاله مقاتل وقيل إلى ما ذكر في السورة فإنها بأسرها في إثبات التوحيد والنبوة
وبيان الشريعة وقرئ صراطي بفتح الياء ومعنى إضافته إلى ضمير النبي عليه السلام من
حيث السلوك لا من حيث الوضع كما في صراط الله والمراد بيان أن ما فصل من الأوامر

تتذكرون

ذا القربى

والنواهي غير مختصة بالمتلو عليهم بل متعلقة به عليه السلام أيضا وأنه عليه السلام مستمر العمل
بها ومراعاتها وقوله تعالى مستقيما فاتبعوه كقوله تعالى وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا
وتعليل اتباعه بكونه صراطه عليه السلام لا بكونه صراط الله تعالى مع أنه في نفسه كذلك من حيث
إن سلوكه عليه السلام فيه داع للخلق إلى الاتباع إذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عز وجل
وقرئ بكسر الهمزة على الاستئناف وقرئ أن مخففة من أن على أن اسمها الذي هو
ضمير الشأن محذوف وقرئ سراطي وقرئ وهذا سراطي وقرئ وهذا صراط
ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الأديان المختلفة أو طرق البدع والضلالات فتفرق
بكم بحذف إحدى التاءين والباء للتعدية أي فتفرقكم حسب تفرقها أيادي سبا فهو كما ترى
أبلغ من أذهبه تفرقكم كما قيل من أن ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب أبلغ
من أذهبه عن سبيله أي سبيل الله الذي لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الإسلام الذي ذكر
بعض أحكامه وقيل هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على أن صراطه عليه السلام
عين سبيل الله تعالى ذلكم إشارة إلى ما مر من اتباع سبيله تعالى وترك اتباع سائر السبل وصاكم
به لعلكم تتقون اتباع سبل الكفر والضلالة ثم آتينا موسى الكتاب كلام مسوق من جهته تعالى
تقريرا للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر إنزال القرآن المجيد كما ينبئ عنه تغيير
الأسلوب بالالتفات إلى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام
كأنه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق الاستئناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه
فعلنا ذلك ثم آتينا الخ كما أن قوله تعالى ونطبع على قلوبهم معطوف على ما يدل عليه معنى أو
لم يهد لهم الخ في سورة الأعراف وأما عطفه على ذلكم وصاكم به ونظمه معه في سلك الكلام الملقن كما أجمع عليه الجمهور
فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم فتدبر وثم للتراخي في الإخبار كما في قولك بلغني ما صنعت اليوم
ثم ما صنعت أمس أعجب أو للتفاوت في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا
ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى التوراة فإن إيتاءها مشتملة على الوصية المذكورة وغيرها
أعظم من التوصية بها فقط تماما للكرامة والنعمة أي إتماما لهما على أنه مصدر من أتم
بحذف الزوائد على الذي أحسن أي على من أحسن القيام به كائنا من كان ويؤيده أنه قرئ
على الذين أحسنوا وتماما على المحسنين أو على الذي أحسن تبليغه وهو موسى عليه الصلاة والسلام
أو تماما على ما أحسنه موسى عليه السلام أي إجادة من العلم والشرائع أي زيادة على علمه على وجه
التتميم وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي على الذي هو أحسن دين وأرضاه
أو آتينا موسى الكتاب تماما أي تاما كاملا على أحسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء
وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج إليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما إما على العلية أو على
المصدرية كما أشير إليه أو على الحالية وكذا قوله تعالى وهدى ورحمة وضمير لعلهم لبني إسرائيل
المدلول عليهم بذكر موسى وإيتاء الكتاب والباء في قوله تعالى بلقاء ربهم متعلقة بقوله تعالى
يؤمنون قدمت عليه محافظة على الفواصل قال ابن عباس رضي الله عنهما كي يؤمنوا بالبعث

ويعدّوا بالثواب والعذاب وهذا الذي تليت عليكم أوامره ونواهيه أي القرآن كتابٌ
عظيم الشأن لا يقادر قدره وقوله تعالى أنزلناه مباركٌ أي كثير المنافع ديني ودنيوي
صفتان لكتاب وتقديم وصف الإنزال مع كونه غير صريح لأن الكلام مع منكريه أو خبران آخران
لاسم الإشارة أي أنزلناه مشتملاً على فنون الفوائد الدينية والدنياوية التي فصّلت عليكم
طائفة منها والفاء في قوله تعالى فاتّبعوه لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإنّ عظم شأن الكتاب
في نفسه وكونه منزّلاً من جنابه عزّ وجلّ مستتبعاً للمنافع الدينية والدنيوية موجب لاتّباعه
أي إيجاب واتّقوا مخالفته لعلكم ترحمون بواسطة اتّباعه والعمل بموجبه أن تقولوا علة
لأنزلناه المدلول عليه بالمذكور لا لنفسه لأنه لزم الفصل ح بين العامل والمعمول بأجنبي هو
مبارك وصفاً كان أو خبراً أي أنزلناه كذلك كراهة أن تقولوا يوم القيامة لو لم تنزله
إنما أنزل الكتاب الناطق بتلك الأحكام العامّة لكل الأمم على طائفتين كائنتين من قبلنا
وهما اليهود والنصارى وتخصيص الإنزال بكتابيهما لأنهما الذي اشتهر ح فيما بين الكتب
السماوية بالاشتمال على الأحكام لا سيما الأحكام المذكورة وإن كنّا هي المخففة من أنّ
واللام فارقة بينها وبين النافية وضمير الشأن محذوف ومرادهم بذلك دفع ما يرد عليهم
من أن نزوله عليهما لا ينافي عموم أحكامه فلِمَ لم تعملوا بأحكامه العامة أي وإنه كنّا عن دراستهم
لغافلين لا ندري ما في كتابهم إذ لم يكن على لغتنا حتى نتلقّى منه تلك الأحكام العامة ونحافظ عليها
وإن لم يكن منزلاً علينا وبهذا تبيّن أن معذرتهم هذه مع أنهم غير مأمورين بما في الكتاب بين لا إثم
على الأحكام المذكورة المتناولة لكافّة الأمم كما أن قطع تلك المعذرة بإنزال القرآن لاشتماله
أيضاً عليها لا على سائر الشرائع والأحكام فقط أو تقولوا عطف على تقولوا وقرئ كلاهما
بالياء على الالتفات من خطاب فاتبعوه واتقوا لو أنّا أنزل علينا الكتاب كما أنزل عليهم
لكنّا أهدى منهم إلى الحق الذي هو المقصد الأقصى أو إلى ما في تضاعيفه من جلائل الأحكام
والشرائع ودقائقها لحدّة أذهاننا وثقابة أفهامنا ولذلك تلقّفنا فنوناً من العلم
كالقصص والأخبار والخطب والأشعار ونحو ذلك طرفاً صالحاً ونحن أمّيّون وقوله
تعالى فقد جاءكم متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة إمّا معلّل به أي لا تعتذروا بذلك
فقد جاءكم إلخ وإمّا شرط له أي إن صدقتم فيما كنتم تعدّون من أنفسكم من كونكم أهدى
من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم بيّنة وأيّ
بيّنة أي حجة واضحة لا يكتنه كنهها وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءكم أو بمحذوف هو
صفة لبيّنة أي بيّنة كائنة منه تعالى وأيّاً ما كان ففيه دلالة على فضلها الإضافي
كما أن في تنوينها التفخيمي دلالة على فضلها الذاتي وفي التعرّض لوصف الربوبية مع
الإضافة إلى ضميرهم مزيد تأكيد لإيجاب الاتباع وهدى ورحمة عطف على بيّنة
وتنوينهما أيضاً تفخيمي عبّر عن القرآن بالبيّنة إيذاناً بكمال تمكّنهم من دراسته ثم بالهدى
والرحمة تنبيهاً على أنه لمشتمل عليه التوراة من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية
ما اشتمل

فمن

فمن أظلم الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإنّ مجيء القرآن المشتمل على الهدى
والرحمة موجب لغاية أظلمية من يكذّبه أي وإذا كان الأمر كذلك فمن أظلم ممّن
كذّب بآيات الله وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيصاً على اتّصافهم
بما في حيّز الصلة وإشعاراً بعلة الحكم وإسقاطاً لهم عن رتبة الخطاب وعبّر عمّا جاءهم
بآيات الله تهويلاً للأمر وتنبيهاً على أن أيّ آية كانت من آياته تعالى كافية في الأظلمية
فما ظنّك بتكذيب القرآن المنطوي على الكل والمعنى إنكار أن يكون أحد أظلم ممّن
فعل ذلك أو مساوياً له وإن لم يكن سبك التركيب متعرّضاً لإنكار المساواة ونفيها
فإذا قيل من أكرم من فلان أو لا أفضل منه فالمراد منه حتماً بحكم العرف الفاشي
والاستعمال المطّرد أنه أكرم من كل كريم وأفضل من كل فاضل وقد مرّ مراراً
وصدف عنها أي صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والإضلال سنجزي الذين
يصدفون الناس عن آياتنا وعيدٌ لهم ببيان جزاء إضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم
أيضاً ووضع الموصول موضع الضمير لتحقيق مناط الجزاء سوء العذاب أي العذاب السيّئ
الشديد النكاية بما كانوا يصدفون أي بسبب ما كانوا يفعلون الصدف والصرف على
التجدّد والاستمرار وهذا تصريح بما أشعر به إجراء الحكم على الموصول من عليّة
ما في حيّز الصلة له هل ينظرون استئناف مسوق لبيان أن لا يتأتّى منهم الإيمان ح
بإنزال ما ذكر من البيّنات والهدى وأنهم لا يرعوون عن التمادي في المكابرة والاقتراح
ما تنبئ في الحكمة التشريعية من الآيات الملجئة وأنّ الإيمان عند إتيانها ممّا لا فائدة
له أصلاً مبالغة في التبليغ والإنذار وإزاحة العلل والأعذار أي ما ينتظرون إلا أن
تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك حسبما اقترحوا بقولهم لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى
ربنا وبقولهم لولا أنزل عليه ملك ونحو ذلك أو إلا أن تأتيهم ملائكة العذاب أو يأتي
أمر ربك بالعذاب وانتظارهم لذلك محمول على التمثيل كما سيجيء وقرئ يأتيهم بالياء
لأن تأنيث الملائكة غير حقيقي أو يأتي بعض آيات ربك أي غير ما ذكر كما اقترحوا ع
بقولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ونحو ذلك من عظائم الآيات التي علّقوا بها
إيمانهم والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم كما أن إضافة الآيات في الموضعين
إلى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك وإضافته إلى ضميره صلى الله عليه
وسلم للتشريف وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت وبإتيانه سبحانه وتعالى إتيان
كل آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلي بقرينة ما بعده من إتيان بعض آياته تعالى على
أن المراد به أشراط الساعة التي هي الدخان ودابة الأرض وخسف بالمشرق وخسف
بالمغرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام
ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن إتيان من
الأمور ممّا ينتظرونه كإتيان ما اقترحوا من الآيات فإن تعلّق إيمانهم بإتيانها انتظار منهم ظاهر

أجمل الانتظار في التمثيل المبني على تشبيه حالهم في الإصرار على الكفر والتمادي في العناد
إلى أن يأتيهم تلك الأمور الهائلة التي لا بد لهم من الإيمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها
وأنت خبير بأن النظم الكريم بسباقه المنبئ عن تماديهم في تكذيب آيات الله تعالى وعدم الاعتداد
بها وسياقه الناطق بعدم نفع الإيمان عند إتيان ما ينتظرونه يستدعي أن يحمل ذلك على أمور
هائلة مخصوصة بهم إما بأن يكون عبارة عما اقترحوه أو عقوبات مترتبة أو عقوبات مترتبة
على جناياتهم كإتيان ملائكة العذاب وإتيان أمره تعالى بالعذاب وهو الأنسب لما سيأتي من
قوله تعالى قل انتظروا إنا منتظرون وأما حمله على ما ذكر من إتيان ملائكة الموت وإتيان كل
آيات القيمة وظهور أشراط الساعة مع شمول إتيانها لكل بر وفاجر واشتمال غائلتها
على كل مؤمن وكافر فمما لا يساعده المقام على أن بعض أشراط الساعة ليس مما ينسد به باب
الإيمان والطاعة نعم يجوز حمل بعض الآيات في قوله عز وعلا يوم يأتي بعض آيات ربك
على ما يعم مقترحاتهم وغيرها من الدواهي العظام السالبة للاختيار الذي عليه يدور
فلك التكليف فإنه بمنزلة الكبرى من الشكل الأول فيتم التقريب بدخول ما ينتظرونه
في ذلك دخولا أوليا ويوم منصوب بقوله تعالى لا ينفع فإن امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها
عند وقوعها جواب القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد
محذوف أي لا ينفع فيه نفسا من النفوس إيمانها حينئذ لانكشاف الحال وكون الأمر عيانا
ومدار قبول الإيمان أن يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا
وقرئ لا تنفع بالتاء الفوقانية لاكتساب الإيمان من ملابسة المضاف إليه تأنيثا
وقوله تعالى لم تكن آمنت من قبل أي من قبل إتيان بعض الآيات صفة لنفسا فصل بينهما
بالفاعل لاشتماله على ضمير الموصوف ولا ضير فيه لأنه غير أجنبي منه لاشتراكهما في العامل
وقوله تعالى أو كسبت في إيمانها خيرا عطف على آمنت بإيراد الترديد على النفي
المفيد لكفاية أحد النقيضين في عدم النفع والمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفسا لم
تقدم إيمانها أو قدمته ولم تكسب فيه خيرا من ضرورة اشتراط النفع بتحقق الأمرين
أي الإيمان المقدم والخير المكسوب فيه معا بمعنى أن النافع هو تحققهما والإيمان المؤخر
ويحتمل للحاصل لا أنه هو النافع وتحققهما شرط في نفعه كما لو كان المقدم غير المؤثر
بالذات فإن قولك لا ينفع الصوم والصدقة من لم يؤمن قبلهما معناه أنهما ينفعان
عند وقوعهما بعد الإيمان وقد استدل به أهل الاعتزال على عدم اعتبار الإيمان
المجرد عن الأعمال وليس بناهض ضرورة صحة حمله على نفي الترديد المستلزم
المستلزم لعمومه المفيد بمنطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الأمرين معا وبمفهومه لاشتراط النفع
بتحقق أحدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال الحقيقي فالمعنى أنه لا ينفع الإيمان الإيمان حينئذ
نفسا لم يصدر عنها من قبل أحد الأمرين إما الإيمان المجرد والخير المكسوب فيه فيتحقق
النفع بأيهما كان حسبما ينطق به النصوص الكريمة من الآيات والأحاديث وما قيل

من

من أن عدم الإيمان السابق مستلزم لعدم كسب الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكرارا
بلا فائدة في أن الموجب للخلود في النار هو العدم الأول من غير أن يكون للثاني دخل في
ذلك قطعا فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغوا من الكلام مبني على توهم
أن المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين مجرد بيان إيجابهما للخلود فيها وعدم نفع
الإيمان الحادث بل المقصد الأصلي من وصفها بذينك العدمين في أثناء بيان عدم نفع الإيمان
الحادث تحقيق أن موجب النفع إحدى ملكتيهما أعني الإيمان السابق والخير المكسوب فيه
بما ذكر من الطريقة والترغيب في تحصيلهما في ضمن التحذير من تركهما ولا سبيل إلى أن يقال
كما أن عدم الأول مستقل في إيجاب الخلاص عنها فيكون ذكر الثاني لغوا لما أنه قياس مع
الفارق كيف لا والخلود فيها أمر لا يتصور فيه تعدد العلل وأما الخلاص عنها فيكون
ذكر الثاني مع دخول الجنة فله مراتب بعضها مترتب على نفس الإيمان وبعضها على فروعه
المتفاوتة كما وكيفا وإنما لم يتعرض في بيان ما يوجب أصل النفع وهو الإيمان السابق
مع أنه هو المقابل لما لا يوجبه أصلا أعني الإيمان بالحادث بل قرن به ما يوجب النفع الزائد
أصلا إرشادا إلى تحري الأعلى وتنبيها على كفاية الأدنى وإقناطا للكفرة عما علقوا به
أطماعهم الفارغة من أعمال البر التي عملوها في الكفر من صلة الأرحام وإعتاق الرقاب
وفك العناة وإغاثة الملهوفين وقرى الأضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم
ببيان أن كل ذلك لغو بحت لابتنائه على غير أساس حسبما نطق به قوله تعالى والذين
كفروا أعمالهم كرماد اشتدت به الريح الآية وأن الإيمان الحادث كما لا ينفعهم وحده
لا ينفعهم بانضمام أعمالهم السابقة واللاحقة ولك أن تقول المقصود بوصف النفس بما
ذكر من العدمين التعريض بحال الكفرة في تمردهم وتفريطهم في كل واحد من الأمرين الواجبين
عليهم وإن كان وجوب أحدهما منوطا بالآخر كما في قوله تعالى فلا صدق ولا صلى تسجيلا
بكمال طغيانهم وإيذانا بتضاعف عقابهم لما تقرر من أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع
في حق المؤاخذة كما ينبئ عنه قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة إذا تحققت
هذا وقفت على أن الآية الكريمة أحق بأن تكون حجة على المعتزلة من أن تكون حجة لهم
هذا وقد قيل إنها من باب اللف التقديري أي لا ينفع نفسا إيمانها ولا كسبها في الإيمان
لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه وليس بواضح فإن مبنى اللف التقديري أن يكون المقدر
من تتمات الكلام ومقتضيات المقام قد ترك ذكره تعويلا على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه
إياه كما مر في تفسير قوله عز وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا
فإنه قد طوي في المفصل ذكر حشر المؤمنين ثقة بإنباء التفصيل عنه أعني قوله تعالى فأما
الذين آمنوا الآية ولا ريب في أن ما قدر هاهنا ليس مما يستدعيه قوله تعالى أو كسبت في
إيمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقام لأنه ليس مما وعدوه وعلقوه بإتيان ما ذكر من الآيات
كالإيمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه إذ ذاك على أن ذلك مشعر بأنهم بعد ما آمنوا ثم

من الدواهي ما اصابهم بقا في الدلالة وزمانا اي بينهم الكسب والعمل فيه وفيه من الاخلال
بمقام التهويل والتفخيم وتفظيع الحال ما لا يخفى وقد اجيب عن الاستدلال بوجوه اخر فصارى
امرها اسقاط الآية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطعية المتون القوية
الدلالة على ما ذكر من كفاية الايمان المجرد عن العمل في الانجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللتيا
والتي لما تقرر من ان الظني مرتب عن معارضة القطعي قل لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه
التهديد انتظروا ما تنتظرونه من اتيان احد الامور الثلاثة لتروا اي شيء تنتظرون انا منتظرون
لذلك لنشاهد ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تأييد لكون المراد بما ينتظرونه اتيان الملائكة
للعذاب او اتيان امره تعالى بالعذاب كما اشير اليه وعدة ضمنية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين بمعاينتهم لما يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذي شاهدوه
يوم بدر والله سبحانه اعلم ان الذين فرقوا دينهم استيناف لبيان احوال اهل الكتابين
اثر بيان حال المشركين اي بددوه وبعضوه فتمسك بكل بعض منه فرقة منهم وقرئ
فارقوا اي باينوا فان ترك بعضه وان كان باخذ بعض آخر منه ترك للكل ومفارقة
له وكانوا شيعا اي فرقا تشيع كل فرقة اماما لها قال عليه السلام افترقت اليهود
على احدى وسبعين فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى اثنين وسبعين
فرقة كلهم في الهاوية الا واحدة وستفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلهم في الهاوية
الا واحدة واستثناء الواحد من فرق كل من اهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضي
قبل النسخ واما بعده فالكل في الهاوية وان اختلف اسباب دخولهم قوله تعالى لست
منهم في شيء اي لست من البحث عن تفرقهم والتعرض لمن يحاضرك منهم بالمناقشة والمؤاخذة
من قتالهم في شيء بتبليغ الرسالة واظهار شعائر الدين الحق الذي امرت بالدعوة اليه
فيكون منسوخا باية السيف وقوله تعالى انما امرهم الى الله تعليل للنفي المذكور اي هو يتولى
وحده امر اولهم واخرهم ويدبر كيف يشاء حسبما تقتضيه الحكمة يؤاخذهم في الدنيا متى شاء
ويامر بقتالهم اذا ارادوا وقيل المفرقون اهل البدع والاهواء الزائغة من هذه الامة
ويرده انه عليه السلام مامور بمؤاخذتهم والاعتذار بان معنى لست منهم في شيء حينئذ
انت بريء منهم ومن مذهبهم وهم برآء منك يأباه التعليل المذكور ثم ينبئهم اي يوم القيامة
بما كانوا يفعلون عبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في انهما سببان للعلم
تنبيها على انهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اي يظهر لهم
على رؤوس الاشهاد ويعلمهم اي شيء شنيع كانوا يفعلونه في الدنيا على الاستمرار ويرتب
عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها استئناف مبين
لمقادير اجزية العاملين وقد صدر ببيان اجزية المحسنين المدلول عليهم بذكر اضدادهم
قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما يريد من عمل من المصدقين حسنة كتبت له عشر حسنات
اي من جاء يوم القيامة بالاعمال الحسنة من المؤمنين اذ لا حسنة بغير ايمان فله عشر حسنات

امثالها فضلا من الله عز وجل وقرئ عشرٌ بالتنوين امثالُها بالرفع على الوصف وهذا اقل
ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر
بيان الكثرة لا الحصر في العدد الخاص ومن جاء بالسيئة اي بالاعمال السيئة كائنا من كان
من العاملين فلا يجزى الا مثلها بحكم الوعد واحدة بواحدة وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة
العقاب قل انني هداني ربي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق
الذي يدعون انهم عليه وقد فارقوه بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق لاظهار كمال العناية
بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لمزيد تشريفه اي قل
لاولئك المفرقين ارشدني ربي بالوحي وبما نصب في الآفاق والانفس من الآيات التكوينية
الى صراط مستقيم موصل الى الحق وقوله تعالى دينا بدل من الى صراط فان محله النصب كما
في قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما او مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور قيما مصدر نعت
به مبالغة والقياس قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام وقرئ قيما وهو فيعل من قام
كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة وان كان هو ابلغ منه باعتبار الصيغة ملة
ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم اي مائلا عن الاديان الباطلة وقوله تعالى
وما كان من المشركين اعتراض مقرر لنزاهته عليه السلام عما عليه المفرقون لدينه من عقد وعمل اي
ما كان منهم في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين يدعون انهم على
ملته عليه السلام من اهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى المشركين بقولهم
المسيح ابن الله قل ان صلاتي ونسكي اعيد الامر لما ان المأمور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق باصولها
اي عبادتي كلها وقيل وذبحي جمع بينه وبين الصلاة كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر
وقيل صلوتي وحجي ومحياي ومماتي اي وما انا عليه في حياتي واكون عليه عند موتي من الايمان
والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير وقرئ محياي بسكون
الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك اي
الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل اي بذلك الاخلاص
امرت لا بشيء غيره وقوله تعالى وانا اول المسلمين لبيان مسارعته عليه السلام الى الامتثال بما
امر به وان ما امر به ليس من خصائصه عليه السلام بل الكل مأمورون به ويقتدي به
عليه السلام من اسلم منهم قل اغير الله ابغي ربا آخر فاشركه في العبادة وهو رب كل شيء جملة حالية
مؤكدة للانكار اي والحال ان كل ما سواه مربوب له مثلي فكيف يتصور ان يكون شريكا له في
المعبودية ولا تكسب كل نفس الا عليها كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى
ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا فهذا رد لهم لا عليكم واما بمعنى لنحمل يوم القيامة ما كتب عليكم
من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الاول اي لا يكون جناية نفس من النفوس الا عليها ومحال ان يكون
صدورها عن شخص وقرارها على شخص آخر حتى يتأتى ما ذكرتم وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر
اخرى رد له بالمعنى الثاني اي لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس اخرى حتى يصح قولكم ثم الى ربكم مرجعكم

تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكل لتأكيد الوعد وتشديد الوعيد الى مالككم اثر كم رجوعكم يوم
القيمة فينبئكم يومئذ بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغي وتمييز الحق من الباطل وهو الذي
جعلكم خلائف الارض حيث خلفتم الامم السالفة او يخلف بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الارض
الله تعالى في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام ورفع بعضكم في الشرف والغنى فوق بعض
درجات كثيرة متفاوتة ليبلوكم فيما آتاكم من المال والجاه اي ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر
ماذا تعملون من الشكر وضده ان ربك تجريد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع اضافة
اسم الرب الى ضميره عليه السلام لابراز مزيد اللطف به عليه السلام سريع العقاب اي
عقابه سريع الاتيان لمن لم يراع حقوق ما آتاه الله تعالى ولم يشكره لان كل آت قريب او سريع
التمام عند ارادته لتعاليه عن استعمال المبادي والآلات وانه لغفور رحيم لمن راعاها كما
ينبغي وفي جعل خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكدا باللام مع جعل
خبر الاولى صفة جارية على غير من هي له من التنبيه على انه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما
فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى والله تعالى اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد
فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام
يوما وليلة ❊



بسم الله الرحمن الرحيم • وبه الاعانة ❊
المص اما مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل
له من الاعراب واما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا المص
اي مسمى به وتذكير اسم الاشارة مع تأنيث المسمى لما ان الاشارة اليه من حيث انه مسمى بالاسم
المذكور لا من حيث انه مسمى بالسورة وانما صحت الاشارة اليه مع عدم سبق ذكره لما انه باعتبار
كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد وقوله عز وجل كتاب على الوجه الاول خبر
مبتدأ محذوف ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف مرادا
به السورة كتاب الخ او اسم الاشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المؤلف منه منزلة حضور نفس
المؤلف اي هذا كتاب الخ وعلى الوجه الثاني خبر بعد خبر على راي من يجوز كونه مترجما باسم بديع
منبئ عن غرابته في نفسه ابانة لجلالة محله ببيان كونه فردا من الافراد الكتب الالهية
حائزا للكمالات المختصة بها وقد جوز كونه خبرا والمص مبتدأ اي المسمى بالمص كتاب وقد
عرفت ما فيه من ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه
عند المخاطب واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها انزل اليك اي من جهته تعالى

بني الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور
تعينه وهو السر في ترك ذكره مبدأ الانزال كما في قوله جل ذكره بلغ ما انزل اليك من ربك
ونظائره والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن انزل اليه وجعله خبرا له على معنى كتاب عظيم
الشأن انزل اليك خلاف الاصل فلا يكن في صدرك حرج اي شك كما في قوله جل ذكره
فان كنت في شك مما انزلنا اليك خلا انه عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه
ضيق الصدر كما ان المتيقن يعتريه انشراحه وانفساحه مبالغة في تنزيه ساحته عليه السلام
عن نسبة الشك اليه ولو في ضمن النهي فانه من الاحوال القلبية التي يستحيل اعتراؤها اياه
عليه السلام وما قد يقع من نسبته اليه في ضمن النهي فعلى طريقة التهييج والالهاب والمبالغة
في التعيير والتحذير بايهام ان ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه
اصلا فكيف بمن يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير والجار في قوله تعالى منه متعلق بحرج يقال
حرج منه اي ضاق به صدره او بمحذوف وقع صفة له اي حرج كائن منه اي لا يكن فيك شك
ما في حقيته اي في كونه كتابا منزلا اليك من عنده تعالى والفاء على الاول لترتيب النهي والانتهاء
على مضمون الجملة فانه مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين به قطعا واما
على الثاني فهي لترتيب ما ذكر على الاخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهي الى الحرج مع
ان المراد نهيه عليه السلام عنه اما لما مر من المبالغة في تنزيهه عليه السلام عن الشك فيما ذكر
فان النهي عن الشيء مما يوهم امكان صدور المنهي واما للمبالغة في النهي فان وقوع الشك في
صدره عليه السلام سبب لاتصافه عليه السلام به والنهي عن السبب نهي عن المسبب بالطريق
البرهاني ونفي له عن اصله بالمرة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وليس هذا من قبيل
لا ارينك ههنا فان النهي هناك وارد على المسبب مرادا به النهي عن السبب فيكون المآل نهيه
عليه السلام عن تعاطي ما يورث الحرج فتأمل وقيل الحرج على حقيقته اي لا يكن فيك ضيق
صدر من تبليغه مخافة ان يكذبوك او ان تقصر في القيام بحقه فانه عليه السلام كان يخاف
تكذيب قومه واعراضهم عنه وكان يضيق صدره من الاذى ولا ينبسط فآمنه الله تعالى ونهاه
عن المبالاة بهم والفاء حينئذ للترتيب على مضمون الجملة او على الاخبار به فان كلا منهما موجب
للاقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعا وان كان ايجاب الثاني بواسطة الاول وقوله تعالى
لتنذر به اي بالكتاب المنزل متعلق بانزل وما بينهما اعتراض توسط بينهما تقريرا لما قبله وتمهيدا
لما بعده وحسما لتوهم ان تورد الشك مع الانزال للانذار وقيل متعلق بالنهي فان انتفاء الشك
في كونه منزلا من عنده تعالى موجب للانذار به قطعا وكذا انتفاء الخوف منهم او العلم بانه موفق
للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وانت خبير بانه لا يتأتى على التفسير الاول لان تعليل
النهي عن الشك بما ذكر من الانذار والتذكير مع ايهامه لامكان صدوره عنه عليه السلام مشعر بان
المنهي عنه ليس محذورا لذاته بل لافضائه الى فوات الانذار والتذكير لا اقل من الايذان بان ذلك
معظم غائلته ولا ريب في فساده واما على التفسير الثاني فانما يتأتى التعليل بالانذار لا بالتذكير

اذ ليس فيه شائبة خوف حتى تجعل غاية لانتفائه وقوله تعالى وذكرى للمؤمنين في حيز النصب
باضمار فعله معطوفا على تنذر اي وتذكر المؤمنين تذكيرا والجر عطفا على الكتاب محل ان تنذر
اي للانذار والتذكير وقيل مرفوع عطفا على الكتاب او خبر لمبتدا محذوف وتخصيص التذكير
بالمؤمنين للايذان باختصاص الانذار بالكفرة اي لتنذر به المشركين وتذكير المؤمنين وتقديم
الانذار لانه اهم بحسب المقام اتبعوا ما انزل اليكم كلام مستانف خوطب به كافة المكلفين بطريق
التلوين اي امروا باتباع ما امر النبي صلى الله عليه وسلم قبله بتبليغه بطريق الانذار والتذكير
وجعله منزلا اليهم بواسطة انزاله اليه عليه السلام اثر ما ذكر ما يعمه من الانذار والتذكير
لتاكيد وجوب اتباعه وقوله تعالى من ربكم متعلق بانزل على ان من لابتداء الغاية مجازا
او بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره في الصلة وفي التعرض لوصف الربوبية مع
الاضافة الى ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم وترغيب لهم في الامتثال بما امروا به وتاكيد
لوجوبه وجعل ما انزل ههنا عاما للسنة القولية والفعلية بعيد نعم يعمها حكمه بطريق الدلالة
لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما انزل الله تعالى اتباعا له تعالى عقب الامر بذلك بالنهي ≈ اي باتباع ما انزل اليهم فقط
عن اتباع غيره تعالى فقيل ولا تتبعوا من دونه اي من دون ربكم الذي انزل اليكم ما يهديكم
الى الحق ومحله النصب على انه حال من فاعل فعل النهي اي لا تتبعوا متجاوزين الله تعالى اولياء
الجن والانس بان تقبلوا منهم ما يلقونه اليكم بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل ليضلوكم
عن الحق ويحملوكم على البدع والاهواء الزائغة او من اولياء قدم عليه لكونه نكرة اذ لو اخر عنه لكان
اذ لو اخر عنه لكان صفة له اي اولياء كائنة غيره تعالى وقيل الضمير للموصول على حذف
المضاف في اولياء اي ولا تتبعوا من دون ما انزل اباطيل اولياء كانه قيل ولا تتبعوا من
دون دين ربكم دين اوليائكم وقرئ ولا تبتغوا كما في قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام
دينا وقوله تعالى قليلا ما تذكرون بحذف احدى التائين وتخفيف الذال وقرئ
بتشديدها على ادغام التاء المهموسة في الذال المجهورة وقرئ يتذكرون على صيغة
الغيبة وقليلا نصب اما بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر او لزمان
كذلك محذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا
حيث لا تتاثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله وتتبعون غيره ويجوز
ان يراد بالقلة العدم كما قيل في قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون والجملة اعتراض تذييلي
مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الاخيرة للايذان باقتضاء سوء
حالهم في عدم الامتثال بالامر والنهي صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم
بطريق المباثة واما نصب على انه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به اي لا
تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به اي لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا تذكركم لكن لا على توجيه النهي
الى المقيد فقط كما في قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى بل الى المقيد والقيد جميعا
وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين وكم من قرية اهلكناها شروع في

انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى واصرارهم على
اتباع دين اوليائهم وكم خبرية للتكثير في موضع رفع على الابتداء كما في قولك زيد ضربته
والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والضمير في اهلكناها راجع الى معنى كم اي كثير من القرى
اهلكناها او في موضع نصب باهلكناها كما في قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر والمراد باهلاكها
ارادة اهلاكها كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة اي اردنا اهلاكها فجاءها اي فجاء اهلها
باسنا اي عذابنا بياتا مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اي بائتين كقوم لوط
عطف عليه اي او قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت
الواو من الحال المعطوفة على اختها استثقالا لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف
قد استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما في جاءني زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص
الحالتين بالعذاب لما ان نزول المكروه عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين
ازجر وادع عن الاغترار باسباب الامن والراحة ووصف الكل بوصفي البيات والقيلولة
مع ان بعض المهلكين بمعزل منهما لا سيما القيلولة للايذان بكمال غفلتهم وامنهم فما كان
دعويهم اي دعاؤهم واستغاثتهم ربهم او ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم
اذ جاءهم باسنا عذابنا وعاينوا اماراته الا ان قالوا جميعا انا كنا ظالمين اي الا اعترافهم
بظلمهم فيما كانوا عليه وشهادتهم ببطلانه تحسرا عليه وندامة وطمعا في الخلاص
وهيهات ولات حين مناص فلنسالن الذين ارسل اليهم بيان لعذابهم الاخروي اثر بيان
عذابهم الدنيوي خلا انه قد تعرض لبيان مبادي احوال المكلفين جميعا لكونه ادخل في
التهويل والفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها عليها وجودا
اي لنسالن الامم قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين ولنسالن المرسلين عما اجيبوا به
والذي ... تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم
نفي بقوله تعالى ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب
والثاني في موقف العقاب فلنقصن عليهم اي على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام
الغيوب او عليهم وعلى الرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه بعلم اي عالمين بظواهرهم وبواطنهم او
بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم في حال من الاحوال فيخفى علينا شيء من اعمالهم واحوالهم والجملة
تذييل مقرر لما قبلها والوزن اي وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وجيدها ورديها
ورفعه على الابتداء وقوله تعالى يومئذ خبره وقوله تعالى الحق صفته اي والوزن الحق ثابت
يوم اذ يكون السؤال والقص وقيل مبتدا محذوف كانه قيل ما ذلك الوزن فقيل الحق اي
العدل السوي وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن والجمهور على ان صحائف الاعمال
هي التي توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة
كما يسالهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد
وكما يثبت في صحائفهم فيقرؤنها في موقف الحساب ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به الى

الميزان فينشر له تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة
فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة وقيل
توزن الأشخاص لما روي عنه عليه السلام إنه ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند
الله تعالى جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العدل
وبه قال مجاهد والأعمش والضحاك واختاره كثير من المتأخرين بناء على أن استعمال
لفظ الوزن في هذا المعنى شائع في اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا إن الميزان
إنما يراد به التوصل إلى معرفة مقادير الشيء ومقادير أعمال العباد لا يمكن إظهارها بذلك
لأنها أعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن وقيل إن الأعمال الظاهرة
في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في
الحسن والقبح حتى إن الذنوب والمعاصي تتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى
ذلك حمل قوله تعالى وإن جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى إن الذين يأكلون أموال
اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وكذا قوله عليه السلام في حق من يشرب في
آناء الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم ولا بعد في ذلك ألا يرى أن العلم
يظهر في عالم المثال على صورة كما لا يخفى على من له خبرة بأحوال الحضرات الخمس وقد
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال
السيئة على صور قبيحة فتوضع في الميزان إن قيل إن المكلف يوم القيامة إما مؤمن بأنه
تعالى حكيم منزه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الأعمال وكمياتها وإما منكر له
فلا يسلم حينئذ أن رجحان بعض الأعمال على بعض لخصوصيات راجعة إلى ذوات تلك الأعمال
بل يسنده إلى إظهار الله تعالى إياه على ذلك الوجه فما الفائدة في الوزن أجيب بأنه ينكشف
الحال يومئذ ويظهر جميع الأشياء بحقائقها على ما هي عليه وبأوصافها وأحوالها في
أنفسها من الحسن والقبح وغير ذلك وتنخلع عن الصور المستعارة التي بها ظهرت في الدنيا
فلا يبقى لأحد ممن يشاهدها شبهة في أنها هي التي كانت في الدنيا بعينها وأن كل واحد منها قد
ظهر في هذه النشأة بصورته الحقيقية المستتبعة لصفاته ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله
أعلم فمن ثقلت موازينه تفصيل للأحكام المترتبة على الوزن والموازين إما جمع ميزان أو جمع
موزون على أن المراد به ما له وزن وقدر وهو الحسنات فإن رجحان أحدهما مستلزم لرجحان
الآخر فمن رجحت موازينه التي توزن بها حسناته أو أعماله التي لها قدر وزنة وعن الحسن البصري
وحق لميزان توضع فيه الحسنات أن يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات أن يخف فأولئك
إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمعية باعتبار معناه كما أن جمع الموازين
لذلك وأما إفراد ضمير موازينه فراجع إليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو طبقتهم
وبعد منزلتهم في الفضل والشرف هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب وهم إما ضمير
فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند إليه أو مبتدأ

خبره المفلحون والجملة خبر أولئك وتعريف المفلحون للدلالة على أنهم الناس الذين بلغك
أنهم مفلحون في الآخرة أو إشارة إلى ما يعرفه كل أحد من حقيقة المفلحين وخصائصهم ومن
خفت موازينه أي موازين أعماله أو أعماله التي لا وزن لها ولا اعتداد بها وهي أعماله السيئة
فأولئك إشارة إليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما
مر آنفا في نظيره وهو مبتدأ خبره الذين خسروا أنفسهم أي ضيعوا الفطرة السليمة
التي فطروا عليها وقد أيدت بالآيات البينة وقوله تعالى بما كانوا بآياتنا يظلمون متعلق
بخسروا وما مصدرية وبآياتنا متعلق بيظلمون في تضمين معنى التكذيب قدم عليه لمراعاة
الفواصل والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الظلم في الدنيا
أي فأولئك الموصوفون بخفة الموازين الذين خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم المستمر
بآياتنا ظالمين ولقد مكناكم في الأرض لما أمر الله سبحانه أهل مكة باتباع ما أنزل إليهم
ونهاهم عن اتباع غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالإهلاك في الدنيا والعذاب المخلد في
الآخرة ذكرهم ما أفاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا في الامتثال بالأمر
والنهي إثر ترهيب أي جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا ومكناكم منها وأقدرناكم على التصرف
فيها وجعلنا لكم فيها معايش المعايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها
أو ما يتوصل به إلى ذلك والوجه في قراءة الأصل الياء وعن ابن عباس رضي الله عنهما
معايش بالهمزة تشبيها له بصحائف ومدائن والجعل بمعنى الإنشاء والإبداع أي أنشأنا
وأبدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها أسبابا تعيشون بها وكل واحد من الظرفين متعلق به
أو بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر إذ لو تأخر لكان صفة له وتقديمهما على المفعول
مع أن حقهما التأخر عنه لما مر غير مرة من الاعتناء بشأن المقدم والتشويق إلى المؤخر
فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم منبئا عن منفعة
تبقى مترقبة لورود المؤخر فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن وأما تقديم اللام على في
فلما أنه المنبئ عما ذكر من المنفعة فالاعتناء بشأنه أتم والمسارعة إلى ذكره أهم هذا وقد
قيل إن الجعل متعد إلى المفعولين ثانيهما أحد الظرفين على أنه مستقر قدم على الأول والظرف
الآخر إما لغو متعلق بالجعل أو بالمحذوف الواقع حالا من المفعول الأول كما مر وأنت خبير بأنه لا يفيد
معتدا به في الإخبار بجعل المعايش حاصلة في الأرض لهم أو حاصلة لهم في الأرض وقوله تعالى قليلا
ما تشكرون أي تلك النعمة تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذير وبقية الكلام فيه
ما مر في نظيره قوله تعالى ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فائضة على آدم
عليه الصلاة والسلام سارية إلى ذريته موجبة لشكرهم كافة وتأخيره عن تذكير ما وقع بعده من نعمة
التمكين في الأرض إما لأنها فائضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة وإما للإيذان بأن
كلا منهما نعمة مستقلة موجبة للشكر على حيالها فإن رعاية الترتيب الوقوعي ربما تؤدي إلى توهم
عد الكل نعمة واحدة كما ذكر في قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق لإظهار كمال

العناية بمضمونها وانما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين مع ان المراد بهما خلق ادم عليه السلام
وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان حقه وتاكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز الى ان لهم حظا
من خلقه عليه السلام وتصويره لما انهما ليسا من الخصائص المقصورة عليه عليه السلام كسجوده
الملائكة له عليه السلام بل من الامور السارية الى ذريته جميعا اذ الكل مخلوق في ضمن خلقه
على نمطه ومصنوع على شاكلته فكانهم الذي تعلق به خلقه وتصويره اي خلقنا اباكم ادم عليه
السلام طينا غير مصور ثم صورناه ابدع تصوير واحسن تقويم سار اليكم جميعا **ثم قلنا للملائكة**
اسجدوا لادم صريح في انه ورد بعد خلقه عليه السلام وتسويته ونفخ الروح فيه امرا منجزا غير
الامر المعلق الوارد قبل ذلك بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
وهو المراد بما حكي بقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم الاية في سورة البقرة وسورة
بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا تقتضي تراخيه
عن التصوير من غير تعرض لوقته لبيان ما جرى بينهما من الامور وقد بيناه في سورة البقرة
ان ذلك ظهور فضل ادم عليه السلام بعد المحاورة المسبوقة بالاخبار باستخلافه عليه السلام
حسبما نطق به قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة الى قوله وما كنتم
تكتمون فان ذلك ايضا من جملة ما نيط به الامر المعلق عند حكاية الامر المنجز لا يستلزم عدم
مستوعبته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة يقتضيها المقام ليست بعزيزة في الكلام
العزيز فلعله قد القى الى الملائكة عليهم السلام او لا جميع ما يتوقف عليه الامر المنجز اجمالا
بان قال مثلا اني خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي وبينت لكم فضله فقعوا له ساجدين لخليقته فسواه فنفخ فيه من روحه
فقالوا عند ذلك ما قالوا او القي اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط المذكورة بان
اثر نفخ الروح اني جاعل هذا خليفة في الارض فهنالك ذكروا في حقه عليه السلام ما ذكروا
فايده الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا منه عليه السلام ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر
المنجز اعتناء بشان المامور به وايذانا بوقته وقد حكي بعض الامور المذكورة في بعض المواطن
في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن اخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه عن
البصائر السليمة ان ما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الايات بدل من قوله
تعالى اذ يختصمون بما قبله من قوله ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم
عند اختصامهم ولا ريب في ان المراد بالملا الاعلى الملائكة وادم عليهم السلام وابليس حسبما
اطبق عليه جمهور المفسرين وباختصامهم ما جرى بينهم في شان الخلافة من التقاول الذي
من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن قضيته البديهية وقوع الاختصام
المذكور في تضاعيف ما شرح فيه مفصلا من الامر المعلق وما علق به من الخلق والتسوية
ونفخ الروح فيه وما ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد ابليس ولعنه واخراجه من بين الملائكة
وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة وموافقة

ابليس وطرده من البين لما عرفت من انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة فاذن هو بعد نفخ
الروح **وقيل** السجود باحد الطرفين المذكورين والله تعالى اعلم **فسجدوا** اي الملائكة عليهم السلام
بعد الامر من غير تلعثم **الا ابليس** استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة
متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا
يتوالدون يقال لهم الجن كما مر في سورة البقرة فقوله تعالى **لم يكن من الساجدين** اي ممن سجد
لادم كلام مستانف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء فان عدم السجود المفهوم من
الاستثناء قد يكون للتامل ثم يقع السجود وبه علم انه لم يقع قط **وقيل** منقطع فيكون متصلا
بما بعده اي لكن ابليس لم يكن من الساجدين **قال** استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشا من
حكاية عدم سجوده كانه **قيل** فماذا قال الله تعالى حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات الى
الغيبة اذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة اخرى هي الاشعار بعدم
تعلق المحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير **ما منعك الا تسجد** اي ان تسجد كما وقع
في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت فيه كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل
الكتاب منبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود **وقيل** الممنوع عن الشيء مصروف الى خلافه فاي شيء
ما صرفك الى ان لا تسجد **اذ امرتك** قيل فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب والفور وفي
سورة الحجر يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدي واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على ان اللعين قد ادمج في معصيته واحدة ثلاث
معاص مخالفة الامر ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين مع
والاستكبار مع تحقير ادم عليه السلام وقد وبخ حينئذ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية
في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن اخر واشعارا بان كل واحدة منها كافية في
التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ راسا في سورة البقرة وسورة
بني اسرائيل وسورة الكهف **قال** استئناف كما سبق مبني على سؤال نشا من حكاية التوبيخ كانه
قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال **انا خير منه** متجافيا عن تطبيق جوابه على السؤال
بان يقول منعني كذا مدعيا لنفسه بطريق الاستئناف شيئا بين الاستلزام لمنعه من السجود
على زعمه ومشعرا بان من شانه هذا لا يحسن ان يسجد لمن دونه فكيف يحسن ان يؤمر به كما
ينبئ عنه في سورة الحجر من قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون فهو اول
من اسس بنيان التكبر واخترع القول بالحسن والقبح العقليين ومن قوله تعالى **خلقتني من نار**
وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد اخطا اللعين حيث خص الفضل
بما من جهة المادة والعنصر وذل عنه ما من جهة الفاعل كما انبا عنه قوله تعالى ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي اي بغير واسطة على وجه الاعتناء وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى
ونفخت فيه من روحي وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليه السلام
حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره وفي

ولاية دليل في الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق البشر الى الطين
والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب قال استيناف كما سلف والفاء في قوله تعالى
فاهبط منها لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر وتعليله بالاباطيل اي ان
على ذلك اي فاهبط من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونها قال ابن عباس رضي الله عنهما
كانوا في عدن لا في جنة الخلد وقيل من زمرة الملائكة المعززين فان الخروج من زمرتهم
هبوط واي هبوط وفي سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد الهبوط من السماء
فيرده ان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين
قطعا ويكون وسوسته على الوجه الاول بطريق النداء من باب الجنة كما روي عن الحسن البصري
وقوله تعالى فما يكون لك اي فما يصح ولا يستقيم لك ولا يليق بشانك ان تتكبر فيها اي في
الجنة او في زمرة الملائكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر به
فانهما مكان المطيعين الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على
ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده لتكبره لا لمجرد عصيانه وقوله تعالى فاخرج
تاكيد للامر بالهبوط متفرع على علته وقوله تعالى انك من الصاغرين تعليل للامر بالخروج
مشعر بانه لتكبره اي من الاذلاء واهل الهوان على الله ومن تكبر وعدا طوره تعالى على اوليائه
لتكبرك وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر
وعدا طوره وهصه الله الى الارض قال استيناف كما مر مبني على سؤال نشا مما قبله كانه
قيل فما قال اللعين بعد ما سمع هذا الطرد المؤكد فقيل قال انظرني اي امهلني ولا
تمتني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية
واراد اللعين بذلك ان يجد فسحة من اغوائهم وياخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته
بعد البعث قال استيناف كما سلف انك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع
التعرض لشمول ما سأله الآخرين على وجه يشعر بان السائل تبع لهم في ذلك صريح في انه اخبار
بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا
لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما   اي انك من جملة الذين اخر
آجالهم ازلا حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية الى وقت فناء غير ما استثناه الله تعالى من الخلائق
وهو النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذي هو المسؤول وقد ترك التوقيت لايجاز ثقة
بما وقع في سورة الحجر وسورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا
على ما ذكر فيهما بقوله عز وجل رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين
وفي انظاره ابتلاء للعباد وتعريض للثواب ان قلت لا ريب في ان الكلام المحكي
له عند صدوره من المتكلم حال تخصوصه تقتضي وروده على وجه خاص من وجوه النظم بحيث
لو اخل بشيء من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة فالكلام الواحد المحكي على وجوه
شتى ان اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه الوارده عند الحكاية فذلك الوجه

هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه اذا تمهد هذا ع
فنقول لا خفاء ان استنظار اللعين انما صدر عنه مرة واحدة لا غير ومقامه ان اقتضى اظهار الضراعة
وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن والطرد على نهج الاستدعاء والجبر في مقابلة الكسر
كما هو المتبادر من قوله رب فانظرني حسبما حكي عن السورتين فلا حكم مهنا يكون بمعزل من المطابقة
لمقتضى الحال فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز قلنا مقام استنظاره مقتض لما ذكر
من اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على الحرمان المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا
مقام الانظار مقتض لترتيب الاخبار بالانظار على الاستنظار وقد طبق الكلام عليه
في تينك السورتين وفي كل واحد من مقام الحكاية والمحكي جميعا حظه واما ههنا فحيث اقتضى
مقام الحكاية مجرد الاخبار بالاستنظار والانظار سيقت الحكاية على نهج الايجاز والاختصار
من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما عند المخاطبة والجواب ان قلت فاذن لا يكون ذلك
نقلا للكلام على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام قلت الذي يجب اعتباره في نقل الكلام
انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيده واما كيفية افادته له فليس مما يجب مراعاته
عند النقل البتة بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في اصل الكلام
تجريده عنها بل قد يراعى عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا ولا يخل
ذلك بكون المنقول اصل المعنى الا ترى ان جميع المقالات المنقولة في القرآن الكريم انما
يحكى بكيفيات واعتبارات لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم به حتما والا لما كان مورد
الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان المحكي كلاما وانما عدم مطابقته لمقتضى الحال فنشأ م
الغفلة عما يجب توفير مقتضاه من الاحوال فان ملاك الامر هو مقام الحكاية واما مقام وقوع
المحكي فان كان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية يوفي كل واحد من المقامين حقه كما في سورة
الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا لبسط الكلام وتفصيله في الكيفيات
التي وقع عليها روعي حق المقامين معا واما في هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى مقام الحكاية
الايجاز روعي جانبه الا ترى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يفهم الا اصل المعنى وجب على
المتكلم ان يجرد كلامه من التاكيد وسائر الخواص والمزايا التي يقتضيها المقام ويخاطبه بما
يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنى زائدا يفهمه سامع آخر يليغ هو بمعزل
من الخواص رعاية لمقتضى حال المخاطب في الفهم وبذلك يرتقي كلامه عن رتبة اصوات
الحيوانات كما حقق في مقامه فاذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع افضائها الى تجريد الكلام
من الخواص والمزايا بالمرة فما ظنك بوجوب مراعاته مع تحلية الكلام بمزايا اخر يرتقي بها
الى رتبة الاعجاز لاسيما اذا وفي حق مقام وقوع المحكي في السورتين الكريمتين وكان هذا
الايجاز مبنيا عليه وثقة به قال استيناف كما مر فبما اغويتني الباء للقسم كما في قوله
تعالى فبعزتك لاغوينهم فان الاغواء تعالى اياه اثر من آثار قدرته وعزته وحكم من احكام
سلطانه تعالى فمآل الاقسام بهما واحد فلعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكي تارة قسمه باحدهما

والجري بالآخر والفاء الترتيب مضمون الجملة على الإنظار وما مصدرية أي فأقسم بإغوائك
إياي لأقعدن لهم أو للسببية على أن الباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بقوله لأقعدن لهم
كما في الوجه الأول فإن اللام تصد عنه ذلك أي فبسبب إغوائك إياي لأجلهم أقسم بعزتك
لأقعدن لآدم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة صراطك المستقيم
الموصل إلى الجنة وهو دين الإسلام فالقعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرفية
كما في قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقوله
ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم
أي من الجهات الأربع التي يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده إياهم للتسويل والإضلال
من أي وجه يتيسر بإتيان العدو من الجهات الأربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من بين أيديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا
وعن أيمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين أيديهم من حيث
يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن
أيمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم أن يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم
واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم ذلك وإنما عدى الفعل إلى الأولين بحرف الابتداء لأنه
منهما متوجه إليهم وإلى الآخرين بحرف المجاوزة فإن الآتي منهما كالمنحرف المتجافي عنهم
المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه ولا تجد أكثرهم شاكرين أي مطيعين وإنما قاله
ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم إبليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ
الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة عليهم السلام قال استئناف كما سلف مرارا اخرج
منها أي من الجنة أو من السماء أو من بين الملائكة عليهم السلام مذءوما أي مذموما من
ذأمه إذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول أو كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما
مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام موطئة للقسم وجوابه لأملأن جهنم منكم أجمعين
وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على أنه خبر لأملأن على
معنى لمن تبعك هذا الوعيد أو علة لاخرج ولأملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم
على تغليب المخاطب ويا آدم أي وقلنا كما وقع في سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء
للتنبيه على الاهتمام بتلقي المأمور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للإيذان بأصالته
في تلقي الوحي وتعاطي المأمور به اسكن أنت وزوجك الجنة هو من السكنى الذي هو عبارة
عن اللبث والاستقرار والإقامة لا من السكون الذي هو ضد الحركة وأنت ضمير أكد به
المستكن في اسكن ليصح العطف عليه والفاء في قوله تعالى فكلا من حيث شئتما لبيان المراد
بما في سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من أن ذلك كان جمعا مع
الترتيب وقوله تعالى من حيث شئتما في معنى منها حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغدا ثقة
بما ذكر هناك وتوجيه الخطاب إليهما لتعميم التشريف والإيذان بتساويهما في مباشرة

المأمور به فإن حواء أسوة له عليه السلام في حق الأكل بخلاف السكنى فإنها تابعة له فيه
ولتعليق النهي بهما صريحا في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الأصل
لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين أي جزم على العطف أو نصب على
الجواب فوسوس لهما الشيطان أي فعل الوسوسة لأجلهما أو تكلم لهما كلاما خفيا متداركا
متكررا وهي في الأصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق
بيان كيفية وسوسته في سورة البقرة ليبدي لهما أي ليظهر لهما واللام للعاقبة أو للغرض
على أنه أراد بوسوسته أن يسوأهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوأة وفيه
دليل على أن كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع
ما وري عنهما من سوآتهما ما غطي وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا
أحدهما من الآخر وإنما لم يقلب الواو المضمومة همزة في المشهورة كما قلبت في أويصل تصغير
واصل لأن الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على الواو
وبقلبها واوا وإدغام الواو الساكنة فيها وقال عطف على وسوس بطريق البيان ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة أي عن أكلها إلا أن تكونا ملكين إلا كراهة أن تكونا ملكين أو تكونا
من الخالدين الذين لا يموتون أو يخلدون في الجنة وليس فيه دلالة على أفضلية الملائكة
لما أن من المعلوم أن الحقائق لا تنقلب وإنما كانت رغبتهما في أن يحصل لهما أوصاف الملائكة
من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الأطعمة والأشربة وذلك بمعزل من الدلالة على
الأفضلية بالمعنى المتنازع فيه وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين أي أقسم لهما وصيغة المفاعلة
للمبالغة وقيل قاسماه بالقبول وقيل قالا له تقسم بالله إنك لمن الناصحين وأقسم لهما
فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما إلى الأكل من الشجرة وفيه تنبيه على أنه أهبطهما بذلك
من درجة عالية فإن التدلية والإدلاء إرسال الشيء من الأعلى إلى الأسفل بغرور بما
غرهما به من القسم فإنهما ظنا أن أحدا لا يقسم بالله تعالى كاذبا أو ملتبسين بغرور فلما
ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما أي فلما وجدا طعمها آخذين في الأكل منها أخذتهما العقوبة
وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في أن الشجرة
كانت السنبلة أو الكرم أو غيرهما وأن اللباس كان نورا أو ظفرا وطفقا يخصفان
طفق من أفعال الشروع والتلبس كأخذ وجعل وأنشأ وعلق وهب وانبرى أي أخذا
يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ذلك ورق
التين وقرئ يخصفان من أخصف أي يخصفان أنفسهما ويخصفان من التخصيف وأصله
يختصفان وناداهما ربهما مالك أمرهما بطريق العتاب والتوبيخ ألم أنهكما وهو تفسير
للنداء فلا محل له من الإعراب أو معمول لقول محذوف أي وقال أو قائلا ألم أنهكما
عن تلكما الشجرة ما في اسم الإشارة من معنى البعد لما أنه إشارة إلى الشجرة التي نهي عن
قربانهما وأقل لكما عطف على أنهكما أي ألم أقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين وهذا عتاب

وتوبيخ على الاغترار بقول العدو كما ان الاول عتاب على مخالفة النهي قيل فيه دليل
على ان مطلق النهي للتحريم ولكما متعلق بعدو لما فيه من معنى الفعل او بمحذوف هو حال
من عدو ولم يحك هذا القول هنا وقد حكي في سورة طه بقوله تعالى ان هذا عدو لك
ولزوجك الآية روي انه تعالى قال لآدم عليه السلام الم يكن فيما منحتك من شجر الجنة
مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف
بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم
صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرا وعجن وخبز قالا
ربنا ظلمنا انفسنا اي ضررناها بالمعصية والتعريض الى الاخراج من الجنة وان لم
تغفر لنا ذلك وترحمنا لنكونن من الخاسرين وهو دليل على ان الصغائر يعاقب عليها
ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك حملوا
قولهما ذلك على عادات المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم
من الحسنات قال استئناف كما مر مرارا اهبطوا خطاب لآدم وحوا وذريتهما او لهما
ولابليس كرر الامر له تبعا لهما ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا كما في
قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر هنا قبول توبتهما ثقة بما
ذكر في سائر المواضع بعضكم لبعض عدو جملة حالية من فاعل اهبطوا اي متعادين
ولكم في الارض مستقر اي استقرار او موضع استقرار ومتاع اي تمتع وانتفاع الى
حين هو حين انقضاء آجالكم قال اعيد الاستئناف اما للايذان بعدم اتصال ما بعده
بما قبله كما في قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون اثر قوله تعالى ومن يقنط من رحمة
ربه الا الضالون وقوله تعالى ارايتك هذا الذي كرمت علي بعد قوله تعالى قال أأسجد
لمن خلقت طينا واما لاظهار الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله تعالى فيها تحيون
وفيها تموتون ومنها تخرجون اي للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم
ومنها نخرجكم تارة اخرى يا بني آدم خطاب للناس كافة وايرادهم بهذا العنوان مما
لا يخفى سره قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة
منها ونظيره وانزل لكم من الانعام الخ وقوله تعالى وانزلنا الحديد يواري سوآتكم
التي قصد ابليس ابداءها من ابويكم حتى اضطرا الى خصف الاوراق وانتم مستغنون
عن ذلك وروي ان العرب يطوفون بالبيت عريانا ويقولون لا نطوف بثياب عصينا
الله تعالى فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم للايذان بان انكشاف العورة اول سوء اصاب
الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا يتجملون
به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اي تمول وقرئ رياشا وهو جمع
ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى اي خشية الله تعالى وقيل الايمان وقيل السمت
الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره جملة ذلك خير او خبر وذلك صفته كأنه

قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا ذلك
اي انزال اللباس من آيات الله الدالة على عظيم فضله وعميم رحمته لعلهم يذكرون فيعرفون
نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم تكرير النداء للايذان بكمال الاعتناء بمضمون
ما صدر به وايرادهم بهذا العنوان مما لا يخفى سره لا يفتننكم الشيطان اي لا يوقعنكم
في الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة نعت لمصدر محذوف
اي لا يفتننكم فتنة مثل اخراج ابويكم وقد جوز ان يكون التقدير لا يخرجنكم بفتنته اخراجا مثل
اخراجه لابويكم والنهي وان كان متوجها الى الشيطان لكنه في الحقيقة متوجه الى المخاطبين كما
في قولك لا ارينك ههنا وقد مر تحقيقه مرارا ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم
او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى
انه يراكم هو وقبيله اي جنوده وذريته استئناف لتعليل النهي وتاكيد التحذير منه
من حيث لا ترونهم لابتداء غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفاء الرؤية ولا ترونهم في
محل الجر باضافة الظرف اليه ورؤيتهم لنا من حيث لا نراهم لا يقتضي امتناع رؤيتنا لهم مطلقا
واستحالة تمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين من قبيله من جملته فجمع اولياء للذين لا يؤمنون
اي جعلناهم بما اوجدنا بينهم من المناسبة او بارسالهم عليهم وتمكينهم من اغوائهم وحملهم على
ما سولوا لهم اولياء اي قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل آخر للنهي وتاكيد للتحذير اثر
تحذير واذا فعلوا فاحشة جملة مبتدأة لا محل لها من الاعراب وقد جوز عطفها على الصلة
والفاحشة الفعلة المتناهية في القبح والتاء لانها مجراة على الموصوف المؤنث او للنقل من
الوصفية الى الاسمية والمراد بها عبادة الاصنام وكشف العورة في الطواف ونحوهما
قالوا محتجين للناهين عنها وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها محتجين بامرين تقليد الآباء
والافتراء على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للايذان منهم بان آباءهم انما كانوا يفعلونها
بامر الله تعالى بها على ان الضمير في امرنا لهم ولآبائهم فحينئذ يظهر وجه الاعراض عن الاول في رد
مقالتهم بقوله تعالى قل ان الله لا يامر بالفحشاء فان عادته تعالى جارية على الامر بمحاسن الاعمال
والحث على مراضي الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب
آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل
هما جوابا سؤالين مترتبين كانه قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل لهم
فعلها آباؤكم فقالوا والله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل اتقولون على الله
ما لا تعلمون من تمام القول المامور به والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وتوجيه الانكار
والتوبيخ الى قولهم عليه تعالى ما لا تعلمون صدوره عنه تعالى مع ان بعضهم يعلمون عدم صدوره
عنه تعالى مبالغة في انكار تلك الصورة فان اسناد ما لا يعلم صدوره عنه اليه تعالى اذا كان
منكرا فاسناد ما علم عدم صدوره عنه اليه عز وجل اشد قبحا واحق بالانكار قل امر ربي بالقسط
بيان للمامور به اثر نفي ما اسند امره اليه تعالى من الامور المنهي عنها والقسط العدل وهو الوسط

من كل شيء والتجافي عن طرفي الإفراط والتفريط وأقيموا وجوهكم وتوجهوا إلى عبادته
مستقيمين غير عادلين إلى غيره أو أقيموا وجوهكم نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود
أو مكان سجود وهو الصلاة أو في أي مسجد حضرتكم الصلاة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا
إلى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين أي الطاعة فإن مصيركم إليه بالآخرة
كما بدأكم أي أنشأكم ابتداء تعودون إليه بإعادته فيجازيكم على أعمالكم وإنما شبه الإعادة
بالابتداء تقريراً لإمكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون إليه وقيل
حفاة عراة غرلاً تعودون إليه وقيل كما بدأكم مؤمناً وكافراً يعيدكم فريقاً هدى بأن وفقهم
للإيمان وفريقاً حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق التابع للمشيئة المبنية على الحكم
البالغة وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده أي وخذل فريقاً إنهم اتخذوا الشياطين أولياء
من دون الله تعليل لخذلانه أو تحقيق لضلالتهم ويحسبون أنهم مهتدون فيه دلالة على أن الكافر
المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق أن يحمله على المقصر في النظر يا بني آدم خذوا زينتكم
أي ثيابكم لمواراة عوراتكم عند كل مسجد أي طواف أو صلاة ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن
هيئته للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلاة وكلوا واشربوا مما طاب لكم
روي أن بني عامر كانوا في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتاً ولا يأكلون دسماً يعظمون بذلك
حجهم فهم المسلمون بمثله فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال أو بالتعدي إلى الحرام أو بالإفراط
في الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك
خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف الآية فقال كلوا
واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين أي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وكل ما
يتجمل به التي أخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن
كالدروع والطيبات من الرزق أي المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على أن الأصل
في المطاعم والملابس وأنواع التجملات الإباحة لأن الاستفهام في من للإنكار قل هي للذين
آمنوا في الحياة الدنيا بالأصالة والكفرة وإن شاركوهم فيها فبالتبع خالصة يوم القيامة لا يشاركهم
فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على أنه خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات
لقوم يعلمون أي مثل هذا التفصيل نفصل سائر الأحكام لقوم يعلمون ما في تضاعيفها من المعاني
الرائقة قل إنما حرم ربي الفواحش أي ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج
ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش أي جهرها وسرها والإثم أي ما يوجب الإثم وهو
تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر والبغي أي الظلم أو الكبر أفرد بالذكر للمبالغة في الزجر
عنه بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً تهكم بالمشركين
وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون بالإلحاد في صفاته
والافتراء عليه كقولهم والله أمرنا بها وتوجيه التحريم إلى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون وقوعه
لا إلى ما لا يعلمون عدم وقوعه قد مر سره ولكل أمة من الأمم المهلكة أجل حد معين من الزمان مضروب

لمهلكم

لمهلكهم فإذا جاء أجلهم إن جعل الضمير للأمم المدلول عليها بكل أمة فإظهار الأجل مضافاً إليه
لإفادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل أمة أجلها الخاص بها ومجيئه إياها بواسطة اكتساب
بالإضافة عموماً يفيده معنى الجمعية كأنه قيل إذا جاءهم آجالهم بأن يجيء كل واحدة من تلك الأمم
أجلها الخاص بها لا يستأخرون عن ذلك الأجل ساعة أي شيئاً قليلاً من الزمان فإنها مثل في غاية
القلة منه أي لا يتأخرون أصلاً وصيغة الاستفعال للإشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم
له ولا يستقدمون أي ولا يتقدمون عليه وهو عطف على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم
مع إمكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلاً كما في
قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن
ولا الذين يموتون وهم كفار فإن من مات كافراً مع ظهور أن لا توبة له رأساً قد نظم في عدم القبول
في سلك من سوفها إلى حضور الموت إيذاناً بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة وقيل
المراد بالمجيء الدنو بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة فيه
وليس بذاك وتقديم بيان انتفاء الاستئخار لما أن المقصود بالذات بيان عدم خلاصهم منهم
من العذاب وأما ما في قوله تعالى ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون من سبق السبق في
الذكر فلما أن المراد هناك بيان سر تأخير إهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى
ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون فالأهم هناك بيان انتفاء السبق يا بني آدم
تلوين للخطاب وتوجيه له إلى كافة الناس اهتماماً بشأن ما في حيزه إما يأتينكم هي إن الشرطية
ضمت إليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة وفيه تنبيه على أن
إرسال الرسل أمر جائز لا واجب عقلاً رسل منكم الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسل أي كائنون
من جنسكم وقوله تعالى يقصون عليكم آياتي صفة أخرى لرسل أي يبينون لكم أحكامي وشرائعي
وقوله تعالى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جملة شرطية وقعت جواباً للشرط
أي فمن اتقى منكم التكذيب وأصلح عمله فلا خوف الخ وكذا قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أي والذين كذبوا منكم بآياتنا وإيراد
الاتقاء في الأول للإيذان بأن مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقاء منه
والاجتناب عنه وإدخال الفاء في الجزء الأول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة
في الوعيد فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته أي تقول عليه تعالى ما لم يقله أو
كذب ما قاله أي هو أظلم من كل ظالم وقد مر تحقيقه مراراً أولئك إشارة إلى الموصول
والجمع باعتبار معناه كما أن إفراد الفعلين باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للإيذان
بتماديهم في سوء الحال أي أولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب ينالهم نصيبهم من
الكتاب أي مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار وقيل الكتاب اللوح أي مما أثبت لهم فيه
وأياً ما كان فمن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع حالاً من نصيبهم أي ينالهم نصيبهم كائناً من
الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وعن ابن عباس رضي الله عنهما

لمن يفتري على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
وقوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا اي ملك الموت واعوانه يتوفونهم اي حال كونهم متوفين
لارواحهم يؤيد الاول فان حتى وان كانت هي التي يبتدا بها الكلام لكنها غاية لما قبلها
فلابد ان يكون نصيبهم مما يتمتعون به الى حين وفاتهم اي ينالهم نصيبهم من الكتاب الى
ان ياتيهم ملائكة الموت فاذا جاءتهم قالوا لهم اينما كنتم تدعون من دون الله اي اين الالهة
التي كنتم تعبدونها في الدنيا وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها
موصولة قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية سؤال الرسل كانه قيل
فاذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا ضلوا عنا اي غابوا عنا اي لا ندري مكانهم وشهدوا على
انفسهم عطف على قالوا اي اعترفوا على انفسهم انهم كانوا اي في الدنيا كافرين عابدين لما لا
يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا حاله وضلاله ولعله اريد بوقت مجيء الرسل وحال التوفي
الزمان الممتد من ابتداء المجيء الى انتهائه يوم الجزاء بناء على تحقق المجيء والتوفي في كل ذلك
الزمان بقاء وان كان حدوثهما في اوله فقط او قصد بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء
كانهما حاصلان عند ابتداء التوفي كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من مات فقد قامت قيامته
والا فهذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الامر بدخول النار وما جرى بين اهلها
من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة قال اي الله عز وجل يوم القيامة بالذات
او بواسطة الملك ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من
الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بقوله ادخلوا كلما دخلت امة
من الامم السابقة واللاحقة فيها لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها
جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي
لاجلهم اذ الخطاب مع الله تعالى لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم
عذابا ضعفا اي مضاعفا من النار لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فلما ذكر
من الضلال والاضلال واما الاتباع فلكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون اي ما لكم
وما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء وقالت اولاهم اي مخاطبين لاخراهم حين
سمعوا جواب الله تعالى لهم فما كان لكم علينا من فضل اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا
وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب اي العذاب المعهود
المضاعف بما كنتم تكسبون من قول القادة ان الذين كذبوا باياتنا مع وضوحها واستكبروا
عنها اي عن الايمان بها والعمل بمقتضاها لا تفتح لهم ابواب السماء لا يقبل ادعيتهم ولا اعمالهم
وارواحهم والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف
وبالتخفيف والياء وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للآيات وبالياء
على انه لله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم
الجرم فيما هو علم في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وفي كون الجمل مما ليس من شانه الولوج في سم

الابرة مبالغة في الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل
كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر
وقرئ في سم المخيط وهو الخياط اي ما يخاط به كالحزام والحزم وكذلك اي ومثل ذلك
الجزاء الفظيع نجزي المجرمين اي جنس المجرمين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا
لهم من جهنم مهاد اي فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن فوقهم غواش
اي اغطية والتنوين بدل من الاعلال عند سيبويه وللتصرف عند غيره وقرئ غواش
على القلب المحذوف كما في قوله تعالى وله الجوار المنشات وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الشديد
نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات
اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم
مع التعذيب بالنار للتنبيه على انه اعظم الجرائم والجرائر والذين آمنوا اي باياتنا او بكل
ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه الايات دخولا اوليا وهو قوله تعالى وعملوا الصالحات اي
الاعمال الصالحة التي شرعت بالايات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها لا نكلف نفسا الا
وسعها اعتراض وسط بين المبتدا الذي هو الموصول والخبر الذي هو جملة اولئك اصحاب
الجنة للترغيب في اكتساب ما يؤدي الى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسر تحصيله
وقرئ لا تكلف نفس واسم الاشارة مبتدا واصحاب الجنة خبره والجملة خبر للمبتدا الاول
او اسم الاشارة بدل من المبتدا الاول الذي هو الموصول والخبر اصحاب الجنة وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف هم فيها خالدون حال من اصحاب الجنة
وقد جوز كونه حالا من الجنة لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة واللام المقدرة
او خبر ثان لاولئك على راي من جوزه وفيها متعلق بخالدون ونزعنا ما في صدورهم من غل
اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وصيغة
الماضي للايذان بتحققه وتقرره وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم والجملة حال من الضمير
في صدورهم والعامل اما معنى الاضافة او حال من فاعل نزعنا والعامل نزعنا وقيل
هي مستانفة للاخبار عن صفة حالهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي لما جزاؤه
هذا وما كنا لنهتدي اي لهذا المطلب الاعلى او لمطلب من المطالب التي هذا من جملتها
لولا ان هدانا الله ووفقنا له واللام لتاكيد النفي وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله
عليه ومفعول لنهتدي وهدانا الثاني محذوف لظهور المراد او لارادة التعميم كما اشير اليه
والجملة مستانفة او حالية وقرئ ما كنا لنهتدي الخ بغير واو على انها مبينة ومفسرة
للاولى لقد جاءت رسل ربنا جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا بما نالوه وابتهاجا
بانبائهم بما جاءتهم الرسل عليهم السلام والباء في قوله تعالى بالحق اما للتعدية فهي متعلقة
بجاءت او للملابسة فهي متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل اي والله لقد جاؤا بالحق او لقد جا

ملتبسين بالحق ونودوا اي نادتهم الملائكة عليهم السلام ان تلكم الجنة ان مفسرة لما في
النداء من معنى القول او مخففة من ان وضمير الشان محذوف ومعنى البعد في اسم الاشارة
اما لانهم نودوا عند رؤيتهم اياها من مكان بعيد واما لرفع منزلتها وبعد رتبتها واما
للاشعار بانها تلك الجنة التي وعدوها في الدنيا اورثتموها بما كنتم تعملون في الدنيا
من الاعمال الصالحة اي اعطيتموها بسبب اعمالكم او بمقابلة اعمالكم والجملة حال من
الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او ان تلكم الجنة مبتدأ وخبر والجنة صفة والخبر اورثتموها
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم لا
لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال مخاطبيهم ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
حيث نلنا هذا المنال الجليل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا حذف المفعول من الفعل الثاني
اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لان ما ساءهم من الموعود
لم يكن باسره مخصوصا بهم قالوا نعم اي وجدنا حقا وقرئ بكسر العين وهي لغة فيه
فأذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم اي بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين
بان المخففة او المفسرة وقرئ بان المشددة ونصب لعنة وقرئ ان بكسر الهمزة
على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة مقررة
للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه ويبغونها عوجا اي يبغون لها عوجا بان
يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو ابعد شيء منهما والعوج بالكسر في المعاني والاعيان
ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان في المنتصب كالرمح والحائط وهم بالآخرة كافرون
غير معترفين وبينهما حجاب اي بين الفريقين لقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة
والنار ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى وعلى الاعراف اي على اعراف الحجاب اي اعاليه
وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع
من الشيء فانه بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون
بين الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء
والشهداء والاخيار والعلماء من المؤمنين او ملائكة يرون في صور الرجال يعرفون كلا
من اهل الجنة واهل النار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده
فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وانما
يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اي رجال الاعراف اصحاب الجنة
حين رأوهم ان سلام عليكم بطريق الدعاء والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره
لم يدخلوها حال من فاعل نادوا او من مفعوله وقوله تعالى وهم يطمعون حال من فاعل يدخلوها
اذا ناداهم وهم لم يدخلوها حال كونهم طامعين في دخولها مترقبين له اي لم يدخلوها وهم في
وقت عدم الدخول طامعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اي الى جهتهم
وفي عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم باصحاب النار

بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل والثاني بخلافه قالوا مستعوذين بالله تعالى
من سوء حالهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اي في النار وفي وصفهم بالظلم دون ما هم
عليه حينئذ من العذاب وسوء الحال الذي هو الموجب للدعاء اشعار بان المحذور عندهم
ليس نفس العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي اليه من الظلم ونادى اصحاب الاعراف كرر
ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة التقرير رجالا من رؤساء الكفار حين رأوهم فيما بين اصحاب
النار يعرفونهم بسيماهم الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم في الدنيا قالوا بدل من نادى
ما اغنى عنكم اما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية جمعكم اي اتباعكم واشياعكم او جمعكم
للمال وما كنتم تستكبرون ما مصدرية اي ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول
الحق او على الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة اي من الاموال والجنود
اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء
المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون صريحا انهم لا يدخلون الجنة
او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما في قوله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ادخلوا
الجنة تلوين للخطاب وتوجيه له الى اولئك المذكورين اي ادخلوا الجنة على رغم انوفهم لا خوف عليكم
بعد هذا ولا انتم تحزنون او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد ان
حبسوا وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والاظهر ان لا يكون المراد باصحاب
الاعراف المقصرين في العمل لان هذه المقالات وما يتفرع عليها من المعرفة لا يليق بمن لم يتعين حاله
بعد وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة
فقال الله تعالى او الملائكة ردا عليهم اهؤلاء الخ وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف
وتقديره دخلوا الجنة مقولا في شأنهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة
بعد ان استقر بكل من الفريقين القرار واطمأنت به الدار ان افيضوا علينا من الماء اي
صبوه وفيه دلالة على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم
الافاضة او من الاطعمة على ان الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة قالوا استئناف
مبني على السؤال كأنه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين
اي منعهما منهم منعا كليا فلا سبيل الى ذلك قطعا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم
البحيرة والسائبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا يحسن ان يصرف
اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحياة الدنيا بزخارفها العاجلة
فاليوم ننساهم يفعل بهم ما يفعل الناسي بالمنسي من عدم الاعتداد بهم وتركهم في النار
تركا كليا والفاء في اليوم فصيحة وقوله تعالى كما نسوا لقاء يومهم هذا في محل النصب على انه
نعت لمصدر محذوف اي ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم
ولم يستعدوا له وقوله تعالى وما كانوا بآياتنا يجحدون عطف على ما نسوا اي وكما كانوا
منكرين بانها من عند الله تعالى انكارا مستمرا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه اي بينا معانيه

من العقائد والاحكام والمواعظ والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس او
المعاصرين منهم والكتاب هو القرآن على علم حال من فاعل فصلناه اي عالمين بوجه
تفصيله حتى جاء حكيما او من مفعوله اي مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه اي
على سائر الكتب عالمين بفضله هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون
باثاره المقتبسون من انواره هل ينظرون الا تاويله وهو يوم القيمة يقول الذين نسوه من قبل اي
تركوه ترك المنسي من قبل اتيان تاويله قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم قد جاؤا بالحق
فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب او نرد اي هل نرد الى الدنيا وقرئ
بالنصب عطفا على فيشفعوا اولان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين اما الشفاعة
لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر
هو الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل غير الذي
كنا نعمل اي في الدنيا قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم التي هي راس مالهم الى الكفر والمعاصي وضل
عنهم ما كانوا يفترون اي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء الله تعالى وشفعاؤهم
يوم القيمة ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام شروع في بيان مبدأ
الفطرة اثر بيان معاد الكفرة اي ان خالقكم ومالككم الذي خلق الاجرام العلوية والسفلية
في ستة ايام كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف ان
اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ابداعها
دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور ثم استوى على العرش اي
استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى انه
تعالى استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر
الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل
الملك يغشي الليل النهار اي يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك
قرئ بنصب الليل ورفع النهار وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار يطلبه
اي يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف
او حال من الفاعل او من المفعول بمعنى حاثا او محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اي خلقهن حال
كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه
الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق تبارك الله رب العالمين اي تعالى بالوحدانية في
الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية الكريمة والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين
اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم
على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما اشار اليه بقوله
تعالى فقضيهن سبع سموات في يومين وعمد الى الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات
المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متباينة الاثار والافعال واشار اليه بقوله تعالى وخلق الارض في يومين

اما من جهة السفل في يومين وجعل فيها رواسي وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع
اليومين الاولين لما فصل في سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على
سريره فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي
والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تعالى الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
ثم امر بان يدعوه مخلصين متذللين فقال ادعوا ربكم الذي عرفتم شئونه الجليلة تضرعا وخفية
اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين اي لا يحب دعاء المجاوزين لما
امروا به في كل شيء فيدخل فيه الاعتداء في الدعاء دخولا اوليا وقد نبه به على ان الداعي
يجب ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في
الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء
وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر
والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا اي ذوي
خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله
واحسانه ان رحمت الله قريب من المحسنين في كل شيء ومن الاحسان في الدعاء ان يكون
مقرونا بالخوف والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اي امر
قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض والصهيل
او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير من المضاف اليه كما ان المضاف يكتسي
التانيث من المضاف اليه وهو الذي يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح
بشرا تخفيف بشر جمع بشير اي مبشرات وقرئ بفتح الباء على انه مصدر بشره بمعنى
باشرات او للبشارة وقرئ نشرا بالنون المضمومة جمع نشور اي ناشرات ونشرا على
انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان
بين يدي رحمته قدام رحمته التي هي المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب
تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله
سحابا ثقالا بالماء جمعه لانه بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير لافراد اللفظ
لبلد ميت اي لاجله او لمنفعته او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء اي بالبلد
او بالسحاب او بالسوق او بالريح وتذكيره بتاويل المذكور وكذلك قوله تعالى فاخرجنا به ويحتمل فيه
ان يعود الضمير الى الماء وهو الظاهر واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول والظرفية
في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات اي من كل انواعها كذلك نخرج الموتى
الاشارة الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية
فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها
بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون بطرح احدى التائين اي فتذكرون وتعلمون

ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة والبلد الطيب اي الارض الكريمة التربة يخرج نباته
باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة
قوله والذي خبث من البلاد كالسبخة والحرة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال
والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
فصار مرفوعا مستترا وقرئ لا يخرج الا نكدا اي لا يخرجه البلد الا نكدا وقرئ
نكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك اي مثل ذلك التصريف البديع
نصرف الآيات اي نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون
بها وهذا كما ترى مثل لارسال الرسل عليهم السلام بالشرايع التي هي ماء حيوة القلوب الى المكلفين
المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم آثارها وقد عقب ذلك بما يحققه ويقرره
من قصص الامم الخالية بطريق الاستيناف فقيل لقد ارسلنا نوحا الى قومه وهو جواب قسم
اي والله لقد ارسلنا الخ والمراد استعمال هذه اللام مع قد لكون مدخولها مظنة للتوقع الذي هو معنى
قد فان الجملة القسمية انما تساق لتاكيد الجملة المقسم عليها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ
وهو ادريس عليهما السلام قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث عليه السلام على راس اربعين سنة
من عمره ولبث يدعو قومه تسعماية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مايتين وخمسين سنة وكان
عمره عليه السلام الفا ومايتين واربعين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن ماية سنة وقيل
وهو ابن مايتين وخمسين ومكث يدعو قومه تسعماية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مايتين وخمسين
سنة فكان عمره الفا واربعماية وخمسين سنة فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده وترك
التقييد به للايذان بانها العبادة حقيقة واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في شيء وقوله
تعالى ما لكم من اله غيره اي من مستحق للعبادة استيناف مسوق لتعليل العبادة المذكورة او الامر بها
وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء او الفاعلية وقرئ بالجر
باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا اي ما لكم من
اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد فمن اله ان جعل مبتدا فلكم خبره او خبر لمحذوف
ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غير الله اني اخاف عليكم اي ان لم تعبدوه
حسبما امرت به عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف
عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعي اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار
قال الملأ من قومه استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قوله عليه السلام كانه قيل فماذا
قالوا له عليه السلام في مقابلة نصحه وقيل قال الرؤساء من قومه والاشراف الذين يملؤن
صدور المحافل باجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم انا لنراك في
ضلال اي ذهاب عن طريق الحق والصواب والرؤية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف مبين بين كونه
ضلالا قال استيناف كما سبق يا قوم ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق ليس بي ضلالة اي
شيء ما من الضلال قصد عليه السلام تحقيق الحق في نفي الضلال عن نفسه ردا على الكفرة حيث بالغوا

في اثباته له عليه السلام حيث جعلوه مستغرقا في الضلال الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى ولكني رسول من
رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في اقصى مراتب الهداية فان رسالة رب
العالمين مستلزمة لها لا محالة كانه قيل ليس بي شيء من الضلالة ولكني في الغاية القاصية من الهداية
ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كاين من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي استيناف
مسوق لتقرير رسالته وتفصيل احكامها واحوالها وقيل صفة اخرى لرسول على طريقة انا الذي سمتني
امي حيدره وقرئ ابلغكم من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها او لان
المراد بها ما اوحي اليه والى النبيين من قبله عليهم السلام وتخصيص ربوبيته تعالى به عليه السلام بعد
بيان عمومها للعالمين للاشعار بعلة الحكم الذي هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته تعالى له
عليه السلام من موجبات امتثاله بامره تعالى بتبليغ رسالته اليهم وانصح لكم عطف على ابلغكم
مبين لكيفيته اداء الرسالة وزيادة اللام مع تعدي النصح بنفسه للدلالة على امحاض النصيحة لهم
وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارعة للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه
قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا واعلم من الله ما لا تعلمون عطف على ما قبله وتقرير
لرسالته عليه السلام اي اعلم من جهة الله تعالى بالوحي ما لا تعلمونه من الامور الآتية واعلم
من شؤونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين
ما لا تعلمون قيل كانوا لا يسمعون بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين آمنين لا يعلمون
ما علمه نوح عليه السلام بالوحي اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم جواب ورد لما انكروه
بقولهم انا لنراك في ضلال مبين من قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم لو شاء الله لانزل
ملائكة والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل
استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر اي وحي وموعظة من مالك اموركم على رجل منكم
اي على لسان رجل من جنسكم كقوله تعالى ما وعدتنا على رسلك وقلتم لاجل ذلك ما قلتم
من ان الله تعالى لو شاء لانزل ملائكة لينذركم علة للمجيء اي ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصي
ولتتقوا عطف على العلة الاولى مترتبة عليها ولعلكم ترحمون عطف على العلة الثانية مترتبة
عليها اي ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفايدة حرف الترجي التنبيه على عزة المطلب
وان التقوى غير موجبة للرحمة بل هي منوطة بفضل الله تعالى وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على
تقواه ولا يأمن عذاب الله عز وجل فكذبوه اي فتمادوا على تكذيبه في دعوى النبوة وما نزل عليه
من الوحي الذي بلغه اليهم وانذرهم بما في تضاعيفه واستمروا على ذلك هذه المدة المتطاولة
بعد ما كرر عليهم الدعوة مرارا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا حسبما نطق به قوله
رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات اذ هو الذي يعقبه الانجاء والاغراق لا مجرد
تكذيب فانجيناه والذين معه من المؤمنين قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل
تسعة ابناؤه الثلثة ومن آمن به وقوله تعالى في الفلك متعلق بالاستقرار في الظرف اي ا

معه في الفلك او صحبوه فيه او بفعل الانجاء اي انجيناه في السفينة ويجوز ان يتعلق بمحذوف
وقع حالا من الموصول اي ومن صحبه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اي استمروا على
تكذيبها وليس المراد بهم الملا المتصدين للجواب فقط بل كل من اصر على التكذيب منهم ومن اعقابهم
وتقديم ذكر الانجاء على الاغراق للمسارعة الى الاخبار به والايذان بسبق الرحمة
التي هي مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذي يظهر اثره بمقتضى جرائمهم انهم كانوا
قوما عمين اي عمي القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رضي الله عنهما عميت قلوبهم عن
معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرئ عامين والاول ادل على الثبات والقرار
والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح عليه السلام وهو الناصب لقوله
تعالى اخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب لا في الدين كقولهم يا اخا العرب
وقيل العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا والاول اولى واياما كان
فلعل تقديم المجرور هاهنا على المفعول الصريح للحذار عن الاضمار قبل الذكر ويرشدك الى ذلك
ما سيأتي من قوله تعالى ولوطا فان قومه لما لم يعهدوا باسم معروف يقتضي الحال ذكره عليه السلام
مضافا اليهم كما في قصة عاد وثمود ومدين خولف في النظم الكريم بين قصته عليه السلام وبين
القصص الثلث وقوله تعالى هودا عطف بيان لاخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود
بن الجارود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل هود بن شالخ بن
ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله في
صدقه وامانته واقرب الى اتباعه قال استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية ارساله عليه
السلام اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده كما يعرب عنه قوله
تعالى ما لكم من اله غيره فانه استيناف جار مجرى البيان للعبادة المامور بها والتعليل لها او للامر بها
كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله
وقرئ بالجر حملا له على لفظه افلا تتقون انكار واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله تعالى بعد
ما علموا ما حل بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا تتفكرون او اتغفلون
فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معا او اتعلمون ذلك فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوف فقط
وفي سورة هود عليه السلام افلا تعقلون ولعله عليه السلام خاطبهم بكل منهما وقد اكتفي بحكاية
كل منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما لم يذكر هاهنا ما ذكر هناك من قوله تعالى ان انتم الا
مفترون على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من اجزاء القصة بل حال نظائرها في سائر القصص
لا سيما في المحاورات الجارية في الاوقات المتعددة والله اعلم قال الملا الذين كفروا من قومه استيناف
كما مر وانما وصف الملا بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملا قوم نوح بل كان منهم من آمن له عليه السلام
ولكن كان يكتم ايمانه كمرثد بن سعد وقيل وصفوا به لمجرد الذم انا لنراك في سفاهة اي متمكنا
في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين آبائك الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وانا لنظنك
من الكاذبين اي فيما ادعيت من الرسالة قالوه لغراضتهم في التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح

قال مستعطفا لهم ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع منهم ما سمع من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول
والمشافهة بالسوء يا قوم ليس بي سفاهة اي شيء منها ولا شائبة من شوائبها ولكني رسول من رب العالمين
استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه في الغاية القصوى من الرشد والامانة
والصدق والامانة فان الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتما كانه قيل ليس بي
شيء مما تنسبوني اليه ولكني في غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء
بما في حيز الاستدراك ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول مؤكدة
لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وقوله تعالى ابلغكم رسالات ربي
استيناف سيق لتقرير رسالته وتفصيل احوالها وقيل صفة اخرى لرسول والكلام
في اضافة الرب الى نفسه عليه السلام بعد اضافته الى العالمين وكذا في جميع الرسالات كالذي
مر في قصة نوح عليه السلام وقرئ ابلغكم من الابلاغ وانا لكم ناصح امين معروف
بالنصح والامانة مشهور بين الناس بذلك وانما جيء بالجملة الاسمية دلالة على الثبات
والاستمرار وايذانا بان من هذا حاله لا يحوم حوله شائبة السفاهة والكذب اوعجبتم ان جاءكم
ذكر من ربكم الكلام فيه كالذي مر في قصة نوح عليه السلام على رجل منكم اي من جنسكم
لينذركم ويحذركم عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصي حتى تنسبوني الى السفاهة والكذب
وفي اجابة الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه من نسبهم الى ما لا خير فيه من امثال تلك
الاباطيل بما حكي عنهم من المقالات الحقة المعربة عن نهاية الحلم والرزانة وكمال الشفقة
والرافة من الدلالة على حيازتهم القدح المعلى من مكارم الاخلاق ما لا يخفى مكانه واذكروا
اذ جعلكم خلفاء شروع في ترتيب احكام النصح والامانة على الانذار وتفصيلها واذ
منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون
ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب
ذكر الوقت ايجاب لذكر ما فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر
كانت هي حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا ولعله معطوف على مقدر كانه قيل
لا تعجبوا من ذلك او تدبروا في امركم واذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء من بعد قوم نوح
اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض
من رمل عالج الى شحر عمان وزادكم في الخلق اي في الابداع والتصوير او في الناس بسطة
قامة وقوة فانه لم يكن في زمانهم مثلهم في عظم الاجرام قال الكلبي والسدي
كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا فاذكروا آلاء الله التي انعم
بها عليكم من فنون النعماء التي هذه من جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم
اثر تخصيص لعلكم تفلحون كي يؤديكم ذلك الشكر المؤدي الى النجاة من الكروب والفوز
بالمطلوب قالوا مجيبين عن تلك النصائح العظيمة اجئتنا لنعبد الله وحده اي لنخص العبادة
ونذر ما كان يعبد آباؤنا انكروا عليه عليه السلام مجيئه لتخصيصه تعالى بالعبادة

والاعراض عن عبادة الاوثان انهماكا في التقليد وحبا لما الفوا اسلافهم عليه ومعنى المجيء
اما المجيء عليه السلام من متعبده ومعتزله واما من السماء في التهكم واما القصد والتصدي
مجازا كما يقال في مقابلة ذهب يسعى من غير ارادة معنى الذهاب فاتنا بما تعدنا من العذاب
المدلول عليه بقوله تعالى افلا تتقون ان كنت من الصادقين اي في الاخبار بنزول
العذاب وجواب الشرط محذوف للدلالة المذكور عليه اي فات به قال قد وقع عليكم اي وجب
وحق او نزل باحراركم هذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما في قوله تعالى اتى امر الله
من ربكم اي من جهته تعالى وتقديم الظرف على الثاني ان مبدا الشيء مقدم على منتهاه
للمسارعة الى بيان اصابة المكروه بهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله تعالى رجس
مع ما فيه من التشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول بما عطف عليه من قوله تعالى وغضب
ربما يخل تقديمهما بتجاوب النظم الكريم والرجس العذاب من الارتجاس الذي هو الاضطراب
والغضب ارادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل اتجادلونني في اسماء عارية عن
المسمى سميتموها اي سميتم بها انتم واباؤكم انكار واستقباح لانكارهم مجيئه عليه
السلام داعيا لهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك عبادة الاصنام اي اتجادلونني في
اشياء سميتموها الهة ليس فيها من الالهية الا الاسماء من غير ان يكون فيها مصداق الالهية
شيء ما لان المستحق للمعبودية بالذات ليس الا من اوجد الكل وانها لو استحقت لكان ذلك
بجعله تعالى اما بانزال اية او نصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله تعالى ما نزل الله
بها من سلطان واذ ليس ذلك في حيز الامكان تحقق بطلان ما هم عليه فانتظروا مترتب على قوله
تعالى قد وقع عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فاتنا بما تعدنا الخ اني معكم من المنتظرين لما يحل
بكم والفاء في قوله تعالى فانجيناه فصيحة كما في قوله فانفجرت اي فوقع ما وقع فانجيناه والذين معه
اي في الدين برحمة اي عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى منا اي من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعت
لرحمة مؤكدة لفخامتها الذاتية المنفهمة من تنكيرها بالفخامة الاضافية وقطعنا دابر الذين كذبوا اي
استاصلناهم بالكلية ودمرناهم عن اخرهم وما كانوا مؤمنين عطف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة
اي اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجاء على حكاية الاهلاك
قد مر سره وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى وتصديق اياته كما ان مدار البوار
هو الكفر والتكذيب وقصتهم ان عادا قوم كانوا باليمن بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا في البلاد ما
بين عمان الى حضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله تعالى
اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم
القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله تعالى الفرج منه
عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح
وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد
بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم

فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتان له
فلما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري
وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه وذكر ذلك
للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية

ألا يا قيل ويحك قم فهينم ۝ لعل الله يسقينا الغماما
فيسقي ارض عاد ان عادا ۝ قد امسوا ما يبينون الكلاما

فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم
واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم
الى الله تعالى سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا فانه قد اتبع
دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله تعالى
سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء اختر لنفسك فقال اخترت السوداء
فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا
فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها الى ان ماتوا
والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا وقد مر الكلام في تقديم المجرور
على المنصوب وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عامر بن ارم بن سام وقيل انما
سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ بالصرف بتاويل الحي وكانت مساكنهم الحجر
بين الحجاز والشام الى وادي القرى واخوة صالح عليه السلام فانه صالح بن عبيد بن اسف بن ماسخ
بن عبيد بن حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله عليه السلام اليهم مظنة لان يسال ويقال
فماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستئناف قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
وقد مر الكلام في نظائره قد جاءتكم بينة اي اية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من الالفاظ
الجارية مجرى الابطح والابرق في الاستغناء عن ذكر موصوفها حالة الافراد والجمع كالصالحة
افرادا وجمعا وكذلك الحسنة والسيئة سواء كانتا صفتين للاعمال او المثوبة او الحالة من الرخاء
والشدة ولذلك اوليت العوامل وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما
مر مرارا والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه عليه السلام اول ما خاطبهم اثر دعوتهم الى التوحيد
بل انما قاله بعد ما نصحهم وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا يرى الى ما في سورة هود
من قوله تعالى هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها الى اخر الايات روي انه لما اهلكت عاد
عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم
فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا
في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم
الى الله تعالى فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا
تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك

وان يجيب لنا اتبعناك فقال صالح عليه السلام نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاجابة فلما
لم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة
اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك
واجبناك فاخذ صالح عليه السلام المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه
فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها
الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم
ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة وولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان
يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعها حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم
فيشربون ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فيهرب منها انعامهم فتهبط الى
بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها
لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي
فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم
ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال
لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم
يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان اليوم
الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت
قلوبهم فهلكوا وقوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية استيناف مسوق لبيان البينة واضافة الناقة
الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب معهودة ووسائط معتادة ولذلك كانت
آية وأي آية ولكم بيان لمن هي آية له وانتصاب آية على الحالية والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان يكون
ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان له او مبتدأ ثانيا ولكم خبرا عاملا في آية فذروها تفريع على كونها
آية من آيات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم التعرض لها تأكل في ارض الله جواب الامر اي الناقة
ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تأكل ما تأكل في ارض ربها فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها وقرئ
تأكل بالرفع على انه في موقع الحال اي آكلة فيها وعدم التعرض للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له
ايضا كما في قوله ﴿ وعلفتها تبنا وماء باردا ﴾ وقد ذكر ذلك في قوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم
معلوم ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالشر الشامل لانواع الاذية ونكر السوء
مبالغة فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهي وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة
تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا
باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه السلام لعلي رضي الله عنه يا علي اتدري من اشقى الاولين
قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال
قاتلك واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد اي خلفاء في الارض او خلفاء لهم كما مر وبوأكم في الارض اي
جعل لكم مباءة ومنزلا في ارض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا استيناف مبين لكيفية

التبوئة اي تبنون في سهولها قصورا رفيعة او تبنون من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص
واللبن والآجر وتنحتون الجبال اي الصخور وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة
كما في قوله ﴿ ينباع من ذفرى اسيل حرة ﴾ والنحت نجر الشيء الصلب فانتصاب الجبال على المفعولية
وانتصاب قوله تعالى بيوتا على انها حال مقدرة كما تقول خط هذا الثوب قميصا وقيل
انتصاب الجبال على اسقاط الجار اي من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعولية وقد جوز ان
يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول في الصيف
والجبال في الشتاء فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم مما ذكر وجميع الآية التي هذه من جملتها
ولا تعثوا في الارض مفسدين فان حق الآية تعالى ان تشكر ولا تهمل ولا يغفل عنها فكيف بالكفر
والعثي في الارض بالافساد قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي عتوا وتكبروا استيناف
كما سبق وقرئ بالواو عطفا على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم الخ واللام في قوله تعالى
للذين استضعفوا للتبليغ وقوله تعالى لمن آمن منهم بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل
ان كان ضمير منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين استضعفوا على ان من المستضعفين من لم
يؤمن والاول هو الوجه اذ لا داعي الى توجيه الخطاب اولا الى جميع المستضعفين مع ان الجواب
مع المؤمنين منهم على ان الاستضعاف مختص بالمؤمنين اي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم
واسترذلوهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه وانما قالوه بطريق الاستهزاء بهم قالوا انا
بما ارسل به مؤمنون عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان يقولوا نعم او نعلم انه مرسل منه
تعالى مسارعة الى تحقيق الحق واظهار ما لهم من الايمان الثابت المستمر الذي ينبئ عنه الجملة
الاسمية وتنبيها على ان امر ارساله من الظهور بحيث لا ينبغي ان يسأل عنه وانما الحقيق
بالسؤال عنه هو الايمان به قال الذين استكبروا اعيد الموصول مع صلته مع كفاية الضمير
ايذانا بانهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار انا بالذي آمنتم به كافرون
وانما لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم وردا لمقالتهم فعقروا الناقة
اي نحروها اسند العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة او لان ذلك لما كان برضاهم
وكانه فعله كلهم وفيه من تهويل الامر وتفظيعه بحيث اصابت غائلته الكل ما لا يخفى
وعتوا عن امر ربهم اي استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم من صالح عليه السلام من الامر والنهي
وقالوا مخاطبين له عليه السلام بطريق التعجيز والافحام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا
اي من العذاب والاطلاق للعلم به قطعا ان كنت من المرسلين فان كونك من جملتهم يستدعي
صدق ما تقول من الوعد والوعيد فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة لكن لا اثر ما قالوا ما قالوا
بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادي العذاب في الايام الثلاثة حسبما مر تفصيله فاصبحوا
في دارهم اي صاروا في ارضهم وبلدهم او في مساكنهم جاثمين هامدين موتى لا حراك بهم واصل
الجثوم والبروك يقال الناس جثوم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة قال ابو عبيدة
الجثوم للناس والطير والبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم

من غير اضطراب وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش
اللهم انا نعوذ بك من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين خبر لاصبحوا والظرف متعلق به ولا مساغ
لكونه خبرا وجاثمين حالا لافضائه الى كون الاخبار بكونهم في دارهم مقصودا بالذات وكونهم جاثمين
قيدا تابعا له غير مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحدت الدار وحيث ذكرت الصيحة
جمعت لان الصيحة كانت من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة فقرن كل منهما بما هو اليق به فتولى
عنهم اثر ما شاهد ما جرى عليهم تولي مغتم متحسر على ما فاتهم من الايمان متحزن عليهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بالترغيب والترهيب وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك
وصيغة المضارع في قوله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية اي شأنكم الاستمرار على
بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عليه الصلوة والسلام بذلك كما خاطب رسول الله صلى الله عليه
وسلم اهل قليب بدر حيث قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا وقيل
انما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدتهم به عليه السلام لعلاماته تولي ذاهب عنهم
منكر لاصرارهم على ما هم ويروى ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت
وقيل انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم
قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب بفعل
مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل اليهم مقدما على المنصوب حسبما وقع فيما سبق وما لحق
لما قد مر بيانه في قصة هود عليه السلام وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن اخي ابراهيم عليهما السلام
كان من ارض بابل من العراق مع عمه ابراهيم فهاجر الى الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن وهي
كورة بالشام فارسله الله تعالى الى اهل سدوم وهو بلد بحمص وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للمضمر
المذكور اي ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم الخ ولعل تقييد ارساله عليه السلام بذلك لما ان ارساله
لم يكن في اول وصوله اليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على ان انتصابه باذكر اي اذكر وقت
قوله عليه السلام لقومه أتأتون الفاحشة بطريق الانكار التوبيخي التقريعي اي أتفعلون تلك الفعلة
المتناهية في القبح المتمادية في الشرية والسوء ما سبقكم بها ما عملها قبلكم على ان الباء للتعدية كما في قوله
عليه السلام سبقك بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة اي ضربتها قبله ومن في قوله تعالى من احد مزيدة
لتأكيد النفي وافادة معنى الاستغراق وفي قوله تعالى من العالمين للتبعيض والجملة مستأنفة مسوقة لتأكيد
النكير وتشديد التوبيخ والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان
الفاحشة ثم وبخهم بانهم اول من عملها فان سبك النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسبوقين من غيرهم
لكونهم سابقين لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا في نحو قوله تعالى ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا او مسوقة جوابا عن سؤال مقدر كأنه قيل من جهتهم لم لا نأتيها فقيل
بيانا للعلة واظهارا للزاجر ما سبقكم بها احد لغاية قبحها وسوء سبيلها فكيف تفعلونها قال
عمرو بن دينار ما [illegible] على ذكر حتى كان قوم لوط وقال محمد بن اسحاق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن
في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فآذوهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم

فابوا فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا فاستحكم فيهم ذلك قال
الحسن كانوا لا يفعلون ذلك الا بالغرباء وقال الكلبي اول من عمل به ذلك العمل
ابليس الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل
انكم لتأتون الرجال خبر مستأنف لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين
وبتليين الثانية بغير مد وبمد ايضا على انه تأكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفي
زيادة إن واللام مزيد توبيخ وتقريع كان ذلك امر لا يتحقق صدوره عن احد فيؤكد
تأكيدا قويا وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة في التوبيخ
وقوله تعالى شهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية
الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع
لا قضاء الشهوة ويجوز ان يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة
الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى من دون النساء اي متجاوزين النساء اللاتي
هن محل الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى بل انتم قوم مسرفون بل انتم قوم مسرفون اضراب عن
الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في
كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف اي لا عذر لكم فيه
بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه اي المستكبرين منهم المتولين للامر
والنهي المتصدين للعقد والحل وقوله تعالى الا ان قالوا استثناء مفرغ من اعم الاشياء
اي ما كان جوابا من جهة قومه شيء من الاشياء الا قولهم اي لبعضهم الآخرين المباشرين
للامور معرضين عن مخاطبته عليه السلام اخرجوهم اي لوطا ومن معه من اهله المؤمنين
من قريتكم اي الا هذا القول الذي يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط عليه السلام
وقرئ برفع جواب على انه اسم كان والا ان قالوا الخ خبرها وهو اظهر وان كان
الاول اقوى في الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية واياما كان فليس المراد انه لم
يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط عليه السلام ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة
كما هو المتسارع الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما
حكي عنهم في سائر السور الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر
وقوله تعالى انهم اناس يتطهرون تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء
والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم عليه من القذارة
كما هو ديدن الشطار والدعار فانجيناه واهله اي المؤمنين منهم الا امرأته استثناء
من اهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا
من المطر عجيبا وقد بينه قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وقال ابو عبيدة مطر
في الرحمة وامطر في العذاب وقال الراغب مطر في الخير وامطر في العذاب
والصحيح ان امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن

وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر الله تعالى عليهم الكبريت والنار
وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة في مسافريهم وشذاذهم وقيل
امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما
حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروي ان امراة منهم التفتت نحو ديارها فاصابها
حجر فماتت فانظر كيف كان عاقبة المجرمين خطاب لكل من يتاتي منه التامل والنظر تعجيبا من
حالهم وتحذيرا من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا عطف على قوله والى عاد اخاهم هودا
وما عطف عليه وقد روعي ههنا ما في المعطوف عليه من تقديم المجرور على المفعول
اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن
مدين وقيل شعيب بن ثويت بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين وكان
يقال له خطيب الانبياء عليهم السلام لحسن مراجعة قومه وكانوا اهل بخس في الكيل
والموازين مع كفرهم قال استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية ارساله اليهم كانه قيل
فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر تفسيره مرارا قد جاءتكم بينة
اي معجزة وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لفاعله مؤكدة لفخامته
الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الاضافية اي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك
اموركم ولم يذكر معجزته عليه السلام في القران العظيم كما لم يذكر اكثر معجزات النبي صلى الله عليه
وسلم فمنها ما ورد من محاربة عصا موسى عليهما السلام التنين حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة
الغنم الدرع خاصة حين وعد ان يكون له الدرع من اولادها ومنها وقوع عصا ادم في يده
المرات السبع لان كل ذلك قبل ان يتنبا موسى عليهما السلام وقيل البينة مجيئه عليه السلام كما في
قوله تعالى يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما اتاه
الله تعالى من النبوة والحكمة فاوفوا الكيل اي المكيال في سورة هود عليه السلام ويؤيده قوله تعالى
والميزان فان المتبادر منه الالة وان جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل الة الكيل والوزن في
الايهام والفاء لترتيب الامر على مجيء البينة ويجوز ان يكون عاطفة على اعبدوا فان عبادة
الله تعالى موجبة للاجتناب عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي كانوا يباشرونه ولا تبخسوا
الناس اشياءهم التي تشترونها بها معتمدين على تمامها اي شيء كان واي مقدار كان فانهم
كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا
مكسوا كما قال وفي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم
ولا تفسدوا في الارض اي بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء
واتباعهم باجراء الشرائع واصلاحها واضافته اليها كاضافة مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم اشارة
الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة
وما يطلبونه من التكسب والربح لان الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم
ان كنتم مؤمنين اي مصدقين لي في قولي هذا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اي بكل طريق

من طرق الدين كالشيطان وان صراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود
واحكام وكانوا اذا راوا احدا يشرع في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون في المراصد فيقولون لمن يريد
شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن امن به وقيل يقطعون الطريق وتصدون
عن سبيل الله اي السبيل الذي قعدوا عليه فوضع المظهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة
على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه والايمان بالله او بكل صراط على انه عبارة عن طرق الدين
وقوله تعالى من امن به مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل
وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا اي وتطلبون لسبيل
الله عوجا بالقاء الشبه او بوصفها بانها معوجة وهي ابعد شيء من شائبة الاعوجاج واذكروا
اذ كنتم قليلا فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من
الامم الماضية كقوم نوح ومن بعده من عاد وثمود واضرابهم واعتبروا بهم وان كان طائفة
منكم امنوا بالذي ارسلت به من الشرائع والاحكام وطائفة لم يؤمنوا اي به او لم يفعلوا
الايمان فاصبروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد
للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملا الذين
استكبروا من قومه استئناف مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالوا
بعد ما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام فقيل قال اشراف قومه المستكبرون متضاولين
عليه عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع من الطاعة له بل بالغين
من العتو والاستكبار الى ان قصدوا استتباعه عليه السلام في ما هم فيه اتباعهم المؤمنين واجبروا
على اكراههم عليه بوعيد النفي وخاطبوه عليه السلام بذلك على طريق التوكيد القسمي
لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا بنسبة الاخراج اليه عليه السلام اولا والى المؤمنين ثانيا
عليه تنبيها على اصالته عليه السلام وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله تعالى معك فانه متعلق
بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد
الناشئة عن غاية الوقاحة والطغيان اي والله لنخرجنك واتباعك من قريتنا بغضا لكم
ودفعا لفتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تعالى او لتعودن في ملتنا عطف على جواب
القسم اي والله ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلي هو العود وانما ذكر النفي
والاجلاء لمحض القسر والالجاء كما يفصح عنه عدم تعرضه عليه السلام لجواب الاخراج كانهم قالوا
لا ندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا في ملتنا وادخاله عليه السلام في خطاب العود مع استحالة
كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك انما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد وانما
لم يقولوا او لنعيدنكم في طريقة ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا اليها بصورة الطواعية
حذر الاخراج باختيار اهون الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب قال
استئناف كما سبق اي قال عليه السلام رد المقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في ايمانهم الفاجرة
اولو كنا كارهين على ان الهمزة لانكار الوقوع ونفيه لا الانكار الواقع واستقباحه كالتي في

قوله تعالى او لو جئتك بشيء مبين ويجوز ان يكون الاستفهام فيه باقيا في حاله وقد مر مرارا
ان كلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره
فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا في دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد
الى بيان الاعراب في القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقيق ما يفيده الكلام السابق الذي
او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له في
الاجمال بادخالها في ابعدها واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته
او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي
القوي فلأن يتحقق مع غيره اولى وكذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه
بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها
عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى
ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان جواد يعطي ولو كان
فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو كان
لبقائه على حاله سالما عما يغيره واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتغيره بورود الانكار
عليه لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل
المذكور قبلها وانما يقصد بيان تحققه في كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال
من ضميره او مما يتعلق به وانما في حيز لو معرض على ما هو عليه من الاستبعاد بخلاف
ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور وانما يقصد بيان تحققه
في كل حال هو مدلوله لا مدلول المذكور وان الجملة حال من ضميره لا من ضمير المذكور كما ستأتي
وان المقصود الاصلي انكار مدلوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها
فلتوسيع الدائرة وانما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار بانه امر
مقرر الا انه اخرج مخرج الاستبعاد مبالغة في الانكار من جهة ان العود مما ينكر عند كون
الكراهة امرا مستبعدا فكيف به عند كونها امرا محققا في معاملة مع المخاطبين في معتقدهم
لكونه ستر الهم من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المؤمنين للعود في ملة الكفرة
ابتداء حتى يقال انها معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل انما هي كراهتهم له بعد عهد
الاخراج الذي جعل قرينا للقتل في قوله تعالى ولو انا كتبنا الآية فانهم كانوا يستبعدونها
ويطمعون في انهم حينئذ يختارون العود خشية الاخراج اذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو
اشد منه وافظع والتقدير انعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين غير مبالين بالاكراه
فالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه اذ ما له انعود فيها حال عدم
الكراهة وحال الكراهة انكارا لما يفيده كلمتهم الشنيعة باطلاقها من العود في اي حالة كانت
غير انه اكتفي بذكر الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها بعدا منه تنبيها
على انها هي الواقعة في نفس الامر وثقة بغنائها عن ذكر الاولى اغناء واضحا لان العود الذي تعلق به



الانكار حين تحقق مع الكراهة في ما يوجبه كلامهم فلان يتحقق مع عدمها اولى ان قلت النفي المستفاد
من الاستفهام الانكاري في ما نحن فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب في ان الاولوية هناك معتبرة بالنسبة
الى النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مسايل النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني عدم
الغنا هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون اولى بالتحقق فيما نحن فيه عند عدم الكراهة
عدم العود لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه قولنا انعود لانه في معنى لا نعود فلم اختلف الحال
بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه في كل حال وذلك في مثال
النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس العود المستفاد
من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لتعودن واما الاستفهام
فخارج عنه وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لانه من تمامه كما في صورة النفي
وتوضيحه ان بين النفيين فرقا معنويا يختلف به احكامهما التي من جملتها ما ذكر من اعتبار
الاولوية في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الآخر بالنسبة الى متعلقه وكذلك لا يستقيم
اقامة احدهما مقام الآخر في وجه الكلية الا يرى انك لو قلت مكان انعود فيها لا نعود
فيها الخ لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى اختلالا فاحشا لان مدلول الاول
نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها وذلك لان حرف
النفي يباشر نفس الفعل بعد تقييده بما بعده لما ان دلالتهما على الانكار والنفي ليست
بدلالة وضعية كدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناه بنفس الفعل الذي يليهما ويكون
ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام ولا
بد ان يكون ما يذكر بعد الفعل من موانعه ودواعي انكاره ونفيه حتما ليكون قرينة صارفة
للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم في كل حال مع
الاقتصار في ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداها لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره
بطريق الاولوية وكانت له حال الكراهة عند كونها قيدا للنفي لعود في حال الكراهة
مستلزم لتحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيدا للنفيه بخلاف ذلك اي غير مغن عن
ذكر غيرها ضرورة ان نفي العود في حال الكراهة لا يستلزم نفيه في غيرها بل الامر
في العكس فان نفيه في حال الارادة مستلزم لنفيه في حال الكراهة قطعا استقام الاول
لافادة نفي العود في الحالتين مع الاقتصار في ذكر ما هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم
الثاني بعدم افادته اياه في الوجه المذكور ان قيل فما وجه استقامتهما جميعا عند ذكر المعطوف
معا حيث يصح ان يقال لا نعود فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين كما يصح ان يقال انعود
فيها لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ قلنا وجهها ان كلا
منهما يفيد معنى صحيحا في نفسه لا ان معنى احدهما عين معنى الآخر وشتان بينهما في
جميع الاحكام كيف لا ومدلول الاول ان العود منتف في الحالتين ومدلول الثاني ان العود في
الحالتين منتف وكلا المعنيين صحيح في نفسه مصحح لنفي العود والنفي الحالتين مع ذكرهما معا

غير ان الثاني صحيح لنفي العود في الحالين واما في الاتصال في ذكر حالة الكراهة في عكس المعنى الاول فانه نص لنفيه فيهما مع الاقتصار على ذكر حالة الارادة قد افترينا على الله كذبا اي كذبا عظيما لا يقادر قدره ان عدنا في ملتكم التي هي الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث نزعم حينئذ ان لله تعالى ندا وليس كمثله شيء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل وان ما كنتم عليه من الكفر حق واي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف حذف عنه اللام تقديره والله لقد افترينا الخ وما يكون لنا اي وما يصح وما يستقيم لنا ان نعود فيها في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اي الا حال مشيئة الله تعالى او وقت مشيئته تعالى لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تعالى ربنا فان التعرض لعنوان الربوبية لهم مما ينبئ عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيئته لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وايا ما كان فليس المراد بذلك بيان ان العود فيها في حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته وسع ربنا كل شيء علما فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الاشياء التي من جملتها احوال عباده وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى على الله توكلنا اي في ان يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا من الاشرار بالكلية واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار للمبالغة في التضرع والجؤار وقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اعراض عن مقاولتهم اثر ما ظهر له عليه السلام انهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا واقبال على الله تعالى بالدعاء للفصل بينهم وبينه بما يليق بحال كل من الفريقين اي احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على ما قال الملأ الذين الخ ولعلهم غير اولئك المستكبرين ودونهم في الرتبة شأنهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام باموره حسبما يراه المستكبرون ويجوز ان يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة لما ان مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط قولهم السابق هو الاستكبار اي قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر لاعقابهم بعد ما شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين في الايمان وخافوا ان يتبعوا اقومهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا له عنه على طريقة التوكيد القسمي والله لئن اتبعتم شعيبا ودخلتم في دينه وتركتم دينكم انكم

انكم اذا لخاسرون اي في الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم او في الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها والجملة سادة مسد جواب الشرط والقسم الذي وطأته اللام فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وهكذا في سورة العنكبوت وفي سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام ولعلها من مبادي الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى فاصبحوا في دارهم اي في مدينتهم وفي سورة هود في ديارهم جاثمين اي ميتين جاثمين لا براح لهم منها الذين كذبوا شعيبا استئناف لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدأ خبره قوله تعالى كأن لم يغنوا فيها اي استؤصلوا بالمرة وصاروا كأنهم لم يقيموا بقريتهم اصلا اي عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين استئناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير واعادة الموصول والصلة كما هي لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر في حيز الصلة هو الذي استوجب العقوبتين اي الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الاخيرة وصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا الذين اتبعوه عليه السلام وبهذا القصر اكتفى عن التصريح بانجائه عليه السلام كما وقع في سورة هود من قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله عليه السلام بعد ما هلكوا تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال فكيف آسى اي احزن حزنا شديدا على قوم كافرين مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ ايسى بامالتين وما ارسلنا في قرية من نبي اشارة اجمالية الى بيان احوال سائر الامم اثر بيان احوال الامم المذكورة تفصيلا ومن مزيدة لتأكيد النفي والصفة محذوفة اي من نبي كذب او كذبه اهلها الا اخذنا اهلها استثناء مفرغ من اعم الاحوال واخذنا في محل النصب من فاعل ارسلنا والفعل الماضي لا يقع بعد الا الا باحد شرطين اما تقدم قد كما في هذه الآية او مقارنته قد كما في قولك ما زيد الا قد قام والتقدير وما ارسلنا في قرية من القرى المهلكة نبيا من الانبياء في حال من الاحوال الا حال كوننا آخذين اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لكن لا على معنى ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة لعلهم يضرعون كي يتضرعوا او يتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعز عن اكتافهم لقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا عطف على اخذنا داخل في حكمه مكان السيئة التي اصابتهم للغاية المذكورة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا اي كثروا عددا وعددا من عفا النبات اذا كثر وتكاثف وابطرتهم النعمة وقالوا

في ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء من الله سبحانه قد مس آباءنا الضراء والسراء كما مسنا ذلك
وما هو الا من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء من غير ان يكون هناك داعية
تؤدي اليهما او تبعة يترتب عليهما ولعل تاخير السراء للاشعار بانهما تعقب الضراء فلا ضير فيه
فاخذناهم اثر ذلك بغتة فجأة اشد الاخذ وافظعه وهم لا يشعرون بذلك ولا يخطرون ببالهم
شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا الآية وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة
عين كاهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعمه وما يمضي بين الاخذ واتمام الاهلاك ايام كعذاب ثمود
ولو ان اهل القرى اي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى في قرية وقيل مكة وما
حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر منها انتظاما اوليا آمنوا بما اوحي الى
انبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء واتقوا اي الكفر والمعاصي واتقوا
ما انذروا به على السنة الانبياء ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادة
الدهر وقال ابن عباس رضي الله عنهما وحدوا الله واتقوا الشرك لفتحنا عليهم بركات من السماء
والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التي بعضها
من السماء وبعضها من الارض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتحنا بالتشديد للتكثير
ولكن كذبوا اي ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفي بذكر الاول لاستلزامه للثاني فاخذناهم
بما كانوا يكسبون من انواع الكفر والمعاصي التي من جملتها قولهم قد مس آباءنا الخ وهذا الاخذ
عبارة عما في قوله تعالى فاخذناهم بغتة لا عن الجدب والقحط كما قيل فانهما قد زالا بتبدل
الحسنة مكان السيئة افامن اهل القرى اي اهل القرى المذكورة على وضع المظهر موضع المضمر
للايذان بان مدار التوبيخ امن كل طائفة ما اتاهم من البأس لا امن مجموع الامم فان كل طائفة منهم
اصابهم بأس خاص بهم لا يتعداهم الى غيرهم كما سيأتي والهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار
الوقوع ونفيه كما قاله ابو شامة وغيره لقوله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون والفاء
للعطف على اخذناهم وما بينهما اعتراض توسط بينهما للمسارعة الى بيان ان الاخذ المذكور مما
كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا اي تبييتا او وقت
بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى
التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا اوامن اهل القرى انكار بعد انكار
للمبالغة في التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل افامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون
او ضحى وهم يلعبون وقرئ بسكون الواو في الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى اي ضحوة النهار وهو في
الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون اي يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم
كانهم يلعبون افامنوا مكر الله تكرير للنكير لزيادة التقرير ومكر الله تعالى استعارة لاستدراجه العبد
واخذه من حيث لا يحتسب والمراد به اتيان بأسه تعالى في الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاول
والثالث بالفاء فان الانكار فيهما متوجه الى ترتب الامن على الاخذ المذكور واما الثاني فمن تتمة
القول الاول فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اي الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله تعالى التي فطر

الناس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النظر في الآيات اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد
اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن حولها
وتعدية فعل الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم كانه قيل اولم يفعل الهداية لهم الخ
واما لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل في القدرين هو الجملة الشرطية اي اولم يبين
لهم مآل امرهم ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا
من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة مفعوله ونطبع على قلوبهم عطف على ما يفهم من قوله
تعالى اولم يهد كانه قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية او عن التفكر والتامل او منقطع
عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لافضائه الى نفي الطبع عنهم
لانه في سياق جواب لو فهم لا يسمعون اي اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها
والاغتنام بما في تضاعيفها من الهدايات تلك القرى جملة مستانفة جارية مجرى الفذلكة لما
قبلها من القصص منبئة عن غاية غواية الامم المذكورة وتماديهم فيها بعدما اتتهم الرسل بالمعجزات
الباهرة وتلك اشارة الى قرى الامم المحكية اي الى اللام للعهد وهو مبتدأ وقوله تعالى نقص
عليك من انبائها خبره وصيغة المضارع للايذان بعدم انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض اي بعض اخبارها
التي فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتدأ والقرى خبره وصيغة المضارع للايذان بعدم انقضاء
القصة بعد ومن للتبعيض اي بعض اخبارها وما بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثاني
جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى وفي تصدير الكلام بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع
ان المقصود اخبار اهلها والمقصود بيان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
لما ان حكاية هلاكهم بالمرة على وجه الاستئصال بحيث يشمل اماكنهم ايضا بالخسف والرجفة
وبقاءها خاوية معطلة اهول وافظع والباء في قوله تعالى بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور
على انها للتعدية واما بمحذوف وقع حالا من فاعله اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان يأتي كل رسول
ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب مقتضى الحكمة فان مراعاة انقسام الآحاد
الى الآحاد انما هي فيما بين الرسل وضمير الامم والجملة مستانفة مبنية لكمال عتوهم وعنادهم اي
وبالله لقد جاء كل امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة المتكثرة المتواردة
عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للايمان حتما وقوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بيان
لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم وترتيب حالهم هذه على مجيء الرسل
بالبينات بالفاء لما ان الاستمرار على الفعل من الافعال بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه
وان كان استمرارا عليه في الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث نحو وعظته فلم
ينزجر ودعوته فلم يجب واللام لتاكيد النفي اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت
من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم الى ان لقوا ما لقوا لغاية عتوهم وشدة شكيمتهم
في الكفر والطغيان ثم ان كان المحكي عنهم آخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور هنا
اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه بقوله تعالى بما كذبوا من قبل تكذيبهم من لدن مجيء الرسل

الى وقت الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعل صلة للموصول
ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج الى البيان عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر
المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذي
تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها
وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين
مجيء الرسل الى اخر عمرهم وبما اشير اليه اخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة
عن اصول الشرائع التي اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة تبدلها
وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية
بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كانت كل امة من اولئك الامم يتسامعون بها من بقايا من
قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجيء رسلهم كحالتهم قبل ذلك كأن لم يبعث اليهم احد وتخصيص
التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حيث
لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلأن لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل
هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور فلك العذاب والعقاب هو التكذيب
الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما
ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر
الثلاثة متوافقة في المرجع وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان
الابناء ليؤمنوا بما كذب به الآباء ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل المراد فما كانوا
ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله
تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية اي بسبب تعودهم
تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه ههنا ما ورد في سورة يونس
من مخالفة الجمهور بجعل ما المصدرية من قبيل الاسماء كما هو رأي الاخفش وابن السراج ليرجع اليه
الضمير في به كذلك اي مثل ذلك الطبع الشديد المحكم يطبع الله على قلوب الكافرين
اي من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها الايات والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار
الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وادخال الروعة وما وجدنا لاكثرهم اي
لاكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما في قولك ما وجدت له مالا اي ما صادفت
له مالا ولا لقيته او بمحذوف وقع حالا من قوله من عهد بالوجدان كما في قولك ما وجدت لزيد
لانه في الاصل صفة للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا والاصل وما وجدنا عهدا كائنا
لاكثرهم ومن مزيدة للاستغراق اي وما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا
الله عليه عند مساس البأساء والضراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وتخصيص هذا
الشأن باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يوفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يفون
وقيل المراد بالعهد ما عهد الله تعالى اليهم من الايمان والتقوى بنصب الايات وانزال

الحجج

الحجج وقيل ما عهدوا عند خطاب الست بربكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للناس
والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يوفون بالعهود باي معنى كان وان وجدنا اكثرهم اي اكثر الامم
اي علمناهم كما في قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ وقيل الاول ايضا كذلك وان مخففة من
ان وضمير الشان محذوف اي ان الشان وجدناهم لفاسقين خارجين عن الطاعة ناقضين للعهود
وعند الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا اي وما وجدناهم الا فاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى اي
ارسلناه من بعد انقضاء وقائع الرسل المذكورين عليهم السلام او من بعد اهلاك الامم المحكية والتصريح
بذلك مع دلالة ثم على التراخي للايذان بان بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الالهية من ارسال
الرسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر باياتنا متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره اي بعثناه عليه السلام
ملتبسا باياتنا او بعثناه بعثا ملتبسا بها وهي الايات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء
والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما سيأتي على
التفصيل الى فرعون هو لقب لكل من ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لقب لكل من ملك فارس وقيصر
لكل من ملك الروم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن ريان وملئه اي اشراف قومه وتخصيصهم
بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة حيث كانوا جميعا مأمورين بعبادة رب العالمين عز
سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية وتقبلها منه الفئة الباغية لاصالتهم في
تدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور فظلموا بها اي كفروا بها اجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما
من واد واحد او ضمن معنى الكفر والتكذيب اي ظلموا كافرين بها او مكذبين بها او كفروا بها مكان الايمان
الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان عرضوها للعذاب
الخالد او ظلموا الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد الاستمرار على الكفر بها اي الى ان لقوا من العذاب
ما لقوا الا ترى الى قوله تعالى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وكما ان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة
الهائلة كذلك حكاية ظلمهم بها مستتبع للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه
الصدارة والجملة في حيز النصب باسقاط الخافض اي فانظر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين
موضع ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد وقال موسى كلام مبتدأ مسوق لتفصيل ما اجمل
فيما قبله من كيفية اظهار الايات وكيفية عاقبة المفسدين يا فرعون اني رسول اي اليك من رب العالمين
على الوجه الذي مر بيانه حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق جواب عما ينساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالايات
من تكذيبهم اياه عليه السلام في دعوى الرسالة وكان اصله حقيق علي ان لا اقول الا الحق الخ كما
هو قراءة نافع فقلب للامن من الالتباس كما في قول من قال وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان
اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على موضع الباء لافادة
التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق
ان لا اقول وقوله تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم استئناف مقرر لما قبله من كونه رسولا من رب العالمين

وكونه حقيقا بقول الحق ولم يذكر هذا القول منه عليه السلام وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر
ههنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى قال فمن ربكما الآيات وقوله تعالى قال
وما رب العالمين من الآيات وقد طوي ههنا بل بعد ما جرى ذكره للايجاز ومن متعلقة اما بجئتكم
على انها لابتداء الغاية مجازا او اما بمحذوف وقع صفة لبينة مفيدة لفخامتها الاضافية المؤكدة
لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمي واضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد
اضافته فيما قبله الى العالمين لتأكيد وجوب الايمان بها فارسل معي بني اسرائيل اي فخلهم حتى
يذهبوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم بعد انقراض الاسباط
يستعملهم ويكلفهم الافاعيل الشاقة فانقذهم الله تعالى بموسى عليه السلام وكان بين اليوم
الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى عليهما السلام اربعمائة عام والفاء لترتيب
الارسال والامر به على ما قبله من رسالته عليه السلام ومجيئه بالبينة قال استئناف وقع
جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال فرعون له عليه السلام حين قال له ما
قيل قال ان كنت جئت بآية اي من عند من ارسلك كما تدعيه فأت بها اي فاحضرها عندي
ليثبت بها رسالتك ان كنت من الصادقين في دعواك فان كونك من جملة المعروفين بالصدق
يقتضي اظهار الآية لا محالة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر امره لا يشك في كونه ثعبانا
وهو الحية العظيمة وايثار الجملة الاسمية للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كأنها
في الاصل كذلك روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع
لحيه الاسفل في الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم
الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك
خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده اي من جيبه او من تحت
ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظار
تعجبا من امرها وذلك ما يروى انه اري فرعون يده فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة
صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعه شعاع الشمس وكان عليه السلام آدم
شديد الأدمة وقيل بيضاء للناظرين لا انها كانت بيضاء في جبلتها قال الملأ من قوم فرعون
اي الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته ان هذا لساحر عليم اي مبالغ في علم السحر ماهر فيه قالوه تصديقا
لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول بعينه معزي في سورة الشعراء اليه يريد ان يخرجكم من ارضكم
اي من ارض مصر فماذا تأمرون بفتح النون وما في ماذا في محل النصب على انه مفعول ثان لتأمرون
بحذف الجار والاول محذوف والتقدير باي شيء تأمرونني وهذا من كلام فرعون كما في
قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي فاذا كان كذلك فماذا تشيرون علي في امره قال الملأ
عن قبله بطريق التبليغ الى العامة فقوله تعالى قالوا ارجه واخاه على الاول وهو الاظهر حكاية لكلام
الملأ الذين شاورهم فرعون وعلى الثاني لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ ويأباه ان الخطاب لفرعون
وان المشاورة ليست من وظائفهم اي اخر امره واخاه وعدم التعرض لذكره لظهور كونه معه حسبما

ينادي

حسبما ينادي به الآيات الاخر والمعنى اخر امرهما واصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما
وقرئ ارجئه من ارجأه وارجه وارسل في المدائن حاشرين قيل هي مدائن صعيد مصر
وكان رؤساء السحرة ومهرتهم باقصى مدائن الصعيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا سبعين
ساحرا قد اخذوا السحر من رجلين مجوسيين من اهل نينوى مدينة يونس عليه السلام بالموصل
ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما جاء بعد موسى عليه السلام يأتوك بكل
ساحر عليم اي ماهر في السحر وقرئ بكل سحار عليم والجملة جواب الامر وجاء
السحرة فرعون بعد ما ارسل اليهم الحاشرين وانما لم يصرح به حسبما في قوله تعالى
فارسل فرعون في المدائن حاشرين للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة
السحرة الى الامتثال قالوا استئناف مسوق بسؤال نشأ من حكاية مجيء السحرة كانه قيل
فماذا قالوا له عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم ان لنا
لاجرا ان كنا نحن الغالبين بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من
اجر عظيم ح او بطريق الاستفهام التقريري بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم
انا لها بمجرد تعيين مناط ثبوت الاجر لا لترددهم في الغلبة وتوسيط الضمير وتحلية
الخبر باللام للقصر اي ان كنا نحن الغالبين لا موسى قال نعم وقوله تعالى وانكم لمن المقربين
معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ان لكم لاجرا وانكم مع ذلك لمن
المقربين للمبالغة في الترغيب وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل مجلسي
وآخر من يخرج عنه قالوا استئناف كما مر كانه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل
قالوا متأدبين لشأنهم مخاطبين لموسى عليه السلام يا موسى اما ان تلقي ما تلقيه اولا
واما ان نكون نحن الملقين اي لما نلقيه اولا او الفاعلين للالقاء اولا خيروه عليه السلام
بالبداءة بالالقاء مراعاة للادب واظهارا للجلادة وانه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير و
لكن كانت رغبتهم في التقديم كما ينبئ عنه تغيير النظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل
وتأكيد الضمير المتصل قال القوا غير مبال بامرهم اي القوا ما تلقون فلما القوا
سحروا اعين الناس بان خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم اي بالغوا في
ارهابهم وجاءوا بسحر عظيم في بابه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا
طوالا كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى
ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون الفاء فصيحة اي فالقاها فصارت
حية فاذا هي الآية وانما حذف للايذان بمسارعة موسى عليه السلام الى الالقاء وبغاية
سرعة الانقلاب كأن لقفها لما يأفكون قد حصل متصلا بالامر بالالقاء وصيغة المضارع
لاستحضار صورة اللقف الهائلة والافك الصرف والقلب عن الوجه المعتاد وما
موصولة او موصوفة والعائد محذوف اي ما يأفكونه ويزورونه او مصدرية وهي
مع الفعل بمعنى المفعول قيل انه لما تلقفت ملأ الوادي من الخشب والحبال ورفعها

موسى فرجعت عصا كما كانت وأعدم الله تعالى بقدرته القاهرة تلك الأجرام العظام
أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق
أي ثبت لظهور أمره وبطل ما كانوا يعملون أي ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله
فغلبوا أي فرعون وقومه هنالك أي في مجلسهم وانقلبوا صاغرين أي صاروا أذلاء
مبهوتين أو رجعوا إلى المدينة أذلاء مقهورين والأول هو الظاهر لقوله تعالى
وألقي السحرة ساجدين فإن ذلك كان بمحضر من فرعون قطعا أي خروا سجدا كأنما ألقاهم
ملق لشدة خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم إلى ذلك قالوا آمنا برب العالمين
رب موسى وهارون أبدلوا الثاني من الأول لئلا يتوهم أن مرادهم فرعون
عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما آمنت السحرة اتبع موسى من بني إسرائيل
ستمائة ألف قال فرعون منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوه آمنتم به بهمزة واحدة
إما على الإخبار المحض المتضمن للتوبيخ أو على الاستفهام التوبيخي بحذف الهمزة كما مر في إن
لنا لأجرا وقد قرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الأولى وتسهيل الثانية بين بين أي
آمنتم بالله تعالى قبل أن آذن لكم أي بغير أن آذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل
أن تنفد كلمات ربي لأن الإذن منه ممكن في ذلك إن هذا لمكر مكرتموه أي إن
ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة بل هو
حيلة احتلتموها مع مواطأة موسى عليه السلام في المدينة يعني مصر قبل أن تخرجوا
إلى الميعاد روي أن موسى عليه السلام وأمير السحرة التقيا فقال له موسى عليه السلام
أرأيتك إن غلبتك أتؤمن بي وتشهد أن ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتني لأومنن
بك وفرعون يسمعهما وهو الذي نشأ عنه هذا القول لتخرجوا منها أهلها أي القبط وتخلص
لك ولبني إسرائيل وهاتان شبهتان ألقاهما إلى أسماع عوام القبط عند معاينتهم لارتفاع أعلام
المعجزة ومشاهدتهم لخضوع أعناق السحرة لها وعدم تمالكهم من أن يؤمنوا بها لئلا يتبعوهم في الإيمان
بنبوة موسى عليه السلام بأن إيمان السحرة مبني على المواضعة بينهم وبين موسى عليه السلام
وأن غرضهم بذلك إخراج القوم من المدينة وإبطال ملكهم ومعلوم أن مفارقة الأوطان
المألوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق به فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه
وتهييجا لعداوتهم له عليه السلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهم أن له قوة وقدرة في المدافعة فقال
فسوف تعلمون أي عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الإجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل
فقال لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف أي من كل شق طرفا ثم لأصلبنكم أجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا
لأمثالكم قيل هو أول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك
سماه تعالى محاربة لله ورسوله قالوا استئناف مسوق للجواب عن سؤال ينساق إليه الذهن كأنه
قيل فماذا قالت السحرة عندما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا به وتزلزلوا فيما هم فيه من الدين فقيل
قالوا أي لا ضير علينا فيما أحدثنا من الإيمان إنا إلى ربنا منقلبون أي بالموت لا محالة فسواء كان ذلك

من قبلك أو لا فلا نبالي بوعيدك وإنا إلى رحمة ربنا وثوابه منقلبون إن فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه
شغفا في لقاء الله تعالى أو إنا جميعا إلى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك وما تنقم منا أي وما تنكر وما
تعيب منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الأعمال وأصل المفاخر ليس مما يتأتى لنا العدول
عنه طلبا لمرضاتك ثم أعرضوا عن مخاطبته إظهارا لما في قلوبهم من العزيمة على ما قالوا
وتقريرا له ففزعوا إلى الله تعالى وقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا أي أفض علينا من الصبر ما يغمرنا
كما يغمر الماء أو صب علينا ما يطهرنا من أوضار الأوزار وأدناس الآثام وهو الصبر على
وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على ما رزقتنا من الإسلام غير مفتونين من الوعيد
قيل فعل بهم ما أوعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى أنتما ومن اتبعكما الغالبون وقال
الملأ من قوم فرعون مخاطبين له بعد ما شاهدوا من أمر موسى عليه السلام أتذر موسى وقومه
ليفسدوا في الأرض أي في أرض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك ويذرك
عطف على يفسدوا أو جواب الاستفهام بالواو كما في قول الحطيئة. ألم أك جاركم ويكون
بيني. وبينكم المودة والإخاء. أي أيكون منك ترك موسى عليه السلام ويكون تركه إياك
وقرئ بالرفع عطفا على أتذر أو استئنافا أو حالا وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا
ويذرك كقوله تعالى فأصدق وأكن وآلهتك ومعبوداتك قيل إنه كان يعبد الكواكب
وقيل صنع لقومه أصناما وأمرهم بأن يعبدوها تقربا إليه ولذلك قال أنا ربكم الأعلى
وقرئ وإلاهتك أي عبادتك قال مجيبا لهم سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا
نفعل بهم ذلك من قبل ليعلموا أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم أنه المولود الذي
حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه وقرئ سنقتل بالتخفيف وإنا فوقهم قاهرون
كما كنا لم يتغير حالنا أصلا وهم مقهورون تحت أيدينا كذلك قال موسى لقومه تسلية لهم
وعدة بحسن العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه استعينوا بالله واصبروا على ما سمعتم
من أقاويله الباطلة إن الأرض لله أي أرض مصر أو جنس الأرض وهي داخلة فيها دخولا أوليا
يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين الذين أنتم منهم وفيه إيذان بأن الاستعانة بالله تعالى
والصبر من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم إن قالوا أي بنو إسرائيل
أوذينا أي من جهة فرعون من قبل أن تأتينا أي بالرسالة يعنون بذلك قتل أبنائهم قبل مولد
موسى عليه السلام وبعده ومن بعد ما جئتنا أي رسولا يعنون به ما توعدهم به من إعادة قتل
الأبناء وسائر ما كان يفعل بهم لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب
وأما ما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من أنواع الخدمة والمهن كما قيل فليس مما يلحقهم
بواسطته عليه السلام فليس لذكره كثير ملابسة بالمقام قال أي موسى عليه السلام لما
رأى شدة جزعهم مما شاهدوه مسليا لهم بالتصريح بما لوح به في قوله تعالى إن الأرض لله الخ
عسى ربكم أن يهلك عدوكم الذي فعل بكم ما فعل وتوعدكم بإعادته ويستخلفكم في الأرض
أي يجعلكم خلفاء في أرض مصر فينظر كيف تعملون إحسانا أو قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم

من الاعمال وفيه تاكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل الايمان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عليه السلام
بانهم هم المستخلفون باعيانهم او اولادهم فقد روي ان مصرا انما فتحت في زمن داود عليه السلام
ولا ينافيه قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فان المتبادر
استخلاف انفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما يجيء فعل الطمع لجري في سنن الكبرياء ولقد
اخذنا آل فرعون بالسنين شروع في تفصيل مبادي الهلاك الموعود وايذان بانه تعالى لم يمهلهم
بعد ذلك ولم يكونوا في خفض ودعة بل رتبت اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم
عذاب الاستيصال وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد
بها عام القحط وفيها لغتان اشهرهما اجراؤها مجرى المذكر السالم فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء
ويحذف نونه بالاضافة واللغة الثانية اجراء الاعراب على النون ولكن مع الياء خاصة اما باثبات تنوين
او بحذفه قال الفراء هي في هذه اللغة مصروفة عند بني تميم ووجه حذف التنوين للتخفيف وحذف
النون للاضافة وفي ذلك جاء قول الشاعر • دعاني من نجد فان سنينه • لعبن بنا شيبا
وجاء الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وسنينا كسنين يوسف باللغتين ونقص من الثمرات
باصابة العاهات عن كعب ياتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال ابن عباس رضي الله عنهما
اما السنون فكانت لباديتهم واهل ماشيتهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم لعلهم يذكرون
كي يتذكروا ويتعظوا بذلك ويتنبهوا على ان ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد
قال الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع اليه
تعالى الا ترى الى قوله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق القول في لعل وفي محلها
في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون في اوايل سورة البقرة وقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة الخ بيان
لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي اي فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات قالوا لنا هذه اي
لاجلنا واستحقاقنا لها وان تصبهم سيئة اي جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه اي يتشاءموا بهم
ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا كما ترى بمكان من قساوة قلوبهم ونهاية جهلهم وغباوتهم
فان الشدايد ترقق القلوب وتلين العرايك لا سيما بعد مشاهدة الايات وقد كانوا بحيث لم يؤثر فيهم
شيء منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها
وتعلق الارادة بالذات كما ان تنكير السيئة وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرتها وعدم تعلق الارادة
بها الا بالعرض وقوله تعالى الا انما طائرهم عند الله استيناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة
وتحقيق الحق في ذلك وتصدير بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب خيرهم وشرهم الا عنده تعالى
وهو حكمه ومشيته المتضمنة للحكم والمصالح او ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تعالى
ومكتوبة لديه فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم الا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم
جمع له ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون مما حكي عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار
بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى او يعلمون ان ما اصابهم من المصايب
والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا وقالوا شروع في بيان بعض

ما اخذ به آل فرعون من فنون العذاب التي هي في انفسها آيات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما
كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا بعد ما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص الثمرات مهما تأتنا به
كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد كما ضمت الى اين في اين
في اينما تكونوا والى ان في اما تذهبن بك خلا ان الف الاولى قلبت هاء حذرا من تكرر المتجانسين هذا هو الراي
السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الكاف ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء والنصب
بفعل يفسره ما بعدها اي اي شيء تظهر لدينا وقوله تعالى من آية بيان لها وتسميتهم اياها آية لجاراتهم
في راي موسى عليه السلام واستهزائهم بها ولاشعار بان عنوان كونها آية لا يؤثر فيهم وقوله تعالى
لتسحرنا بها الخ لاظهار كمال الطغيان والغلو فيه وتسمية للارشاد الى الحق بالسحر وتحقير الابصار
والضميران المجروران راجعان الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ لابهامه وتانيث الثاني
للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه باية كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما
يمسك فلا مرسل له فما نحن لك بمؤمنين بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك فارسلنا عليهم عقوبة لجرائمهم
لا سيما لقولهم هذا الطوفان اي الماء الذي طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل
وقيل هو الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار
القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام
في ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم
يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث
والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا له عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا
فكشف عنهم فنبت من العشب والكلا ما لم يعهد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم
وابوابهم وسقوفهم ففزعوا اليه عليه السلام كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق
والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط عليهم القمل فاكل ما ابقته الجراد
وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه ثالثا فرفع عنهم فقالوا
قد تحققنا انك الان ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه
وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه رابعا
وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم
فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي
الاسرائيلي ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط عليهم الرعاف آيات
حال من المنصوبات المذكورة مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله تعالى ونقمته وقيل مفصلات
بعضها من بعض لامتحان احوالهم وكان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا
وقيل انه عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا
اي عن الايمان بها وكانوا قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها ولما وقع عليهم الرجز اي
العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الآيات المفصلة اي كلما وقع عليهم عقوبة

من تلك العقوبات قالوا في كل مرة يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك وهو
النبوة أو بالذي عهده اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع أو حال من الضمير
فيه بمعنى ادع الله تعالى متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل
أسعفنا الى ما نطلب بحق ما عندك او قسم اجيب بقوله تعالى لئن كشفت عنا الرجز الذي وقع
علينا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ فلما كشفنا
عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون بعده او مهلكون اذا هم
ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من غير تأمل وتوقف فانتقمنا منهم اي
فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصي والجرائم فان قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام منهم
اي فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصي فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان يكون المراد
مطلق الانتقام والثاني تفسيره كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ في اليم في
البحر الذي لا يدرك قعره وقيل في لجته بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق
اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بآيات الله تعالى واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث
صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه
صرح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب آيات الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك
مزجرة للسامعين عن تكذيب الآيات الظاهرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اي بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنو اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه
تعالى بهم وعظيم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض المذلة الى اوج العزة مشارق الارض ومغاربها
اي جانبيها الشرقي والغربي حيث ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا في اكنافها
الشرقية والغربية كيف شاؤوا وقوله تعالى التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق صفة
للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف
كما في قولك قام ام هند وابوها العاقلة وتمت كلمة ربك الحسنى وهي وعده تعالى اياهم بالنصر
والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة
ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على بني اسرائيل
بما صبروا اي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا اي خربنا
واهلكنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور اي ودمرنا الذي كان فرعون
يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة والعائد محذوف
وقيل اسم كان ضمير عائد الى ما الموصولة ويصنع مسند الى فرعون والجملة خبر كان والعائد محذوف
ايضا والتقدير ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون الخ وقيل كان زائدة وما مصدرية
والتقدير ما يصنع فرعون الخ وقيل كان زائدة كما ذكر وما موصولة اسمية والعائد محذوف
والتقدير ودمرنا الذي يصنعه فرعون اي صنعه والعدول الى صيغة المضارع على هذين القولين

لاستحضار

لاستحضار الصورة وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان
وقرئ يعرشون بضم الراء والكسر افصح وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله تعالى
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر شروع في قصة بني اسرائيل بضم الراء والكسر افصح وهذا آخر قصة فرعون
وشرح ما احدثوه من الامور الشنيعة بعد ان انقذهم الله تعالى من ملكة فرعون ومن عليهم من
النعم العظام الموجبة للشكر واراهم من الآيات الكبار ما تخر له صم الجبال تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم وجاوزنا بمعنى
جاز وقرئ جوزنا بالتشديد وهو ايضا بمعنى جاز فعدي بالباء اي قطعنا بهم البحر روي
انهم عبر بهم موسى عليه السلام يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله تعالى فرعون فصاموا شكرا لله تعالى
عز وجل فاتوا اي مروا على قوم قيل كانوا من لخم وقيل من العمالقة الكنعانيين الذين امر موسى
عليه السلام بقتالهم يعكفون على اصنام لهم اي يواظبون على عبادتها ويلازمونها وقرئ بكسر
الكاف قال ابن جريج كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شأن العجل قالوا عند ما شاهدوا احوالهم
يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة الكاف متعلقة بمحذوف وقع صفة لالها وما موصولة
ولهم صلتها وآلهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذي استقر لهم قال انكم قوم تجهلون
تعجب عليه السلام من قولهم هذا اثر ما شاهدوا من الآية الكبرى والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل
المطلق اذ لا جهل اعظم مما ظهر منهم واكده بقوله تعالى ان هؤلاء يعني القوم الذين يعبدون
تلك التماثيل متبر اي مدمر مكسر ما هم فيه اي من الدين الباطل اي يتبر الله تعالى ويهدم دينهم
الذي هم عليه عن قريب ويحطم اصنامهم ويتركها رضاضا وانما جيء بالجملة الاسمية للدلالة
على التحقيق وباطل اي مضمحل بالكلية ما كانوا يعملون من عبادتها وان كان قصدهم بذلك التقرب الى
الله تعالى فانه كفر محض وليس هذا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
فان المراد به اعمال البر التي عملوها في الجاهلية فانها في انفسها حسنات لو قارنت الايمان لاستتبعت
اجورها وانما بطلت لمقارنتها الكفر وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم الخبر من الجملة الواقعة
خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة
لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا او يبغض اليهم ما احبوا قال أغير الله ابغيكم الها شروع في بيان
شؤون الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان ان ما طلبوا عبادته مما لا يمكن طلبه اصلا
لكونه هالكا باطلا ولذلك وسط بينهما مع كون كل منهما كلام موسى عليه السلام والاستفهام
للانكار والتعجب والتوبيخ وادخال الهمزة على غير للايذان بان المنكر هو كون المبغي غيره تعالى لا انه
الانكار بغيره تعالى دون انكار الاختصاص بغيره تعالى وانتصاب غير على انه مفعول لابغي بحذف اللام
ابغي لكم اي اطلب لكم غير الله تعالى والها اما تمييز او حال او على الحالية من الها وهو المفعول لابغي على ان
الاصل ابغي لكم الها غير الله فغير الله صفة لالها فلما قدمت صفة النكرة انتصب حالا وهو فضلكم على العالمين
اي والحال انه تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ان ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا
تخصيص الله تعالى اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان عمدوا الى اخس شيء من مخلوقاته تعالى

بجعله شريكاً له تعالى بالحمد ولما يعبدون وإذ أنجيناكم تذكير لهم من جهته تعالى بنعمة الإنجاء من ملكة فرعون
وقرئ نجيناكم من التنجية وقرئ أنجاكم فيكون مسوقاً من جهة موسى عليه السلام أي
واذكروا وقت إنجائنا إياكم من آل فرعون من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من أيديهم وهم على حالهم في المكنة
والقدرة بل بإهلاكهم بالكلية وقوله تعالى يسومونكم سوء العذاب من سامه خسفاً أي أولاه إياه أو كلفه
إياه وهو إما استئناف لبيان ما أنجاهم منه أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما معاً لاشتماله
على ضميريهما وقوله تعالى يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم مبين أو مفسر له وفي
ذلكم الإنجاء أو سوء العذاب بلاء أي نعمة أو محنة من ربكم من مالك أمركم فإن النعمة والنقمة
كلتيهما منه سبحانه وتعالى عظيم لا يقادر قدره وواعدنا موسى ثلاثين ليلة قيل إن موسى عليه الصلاة
والسلام وعد بني إسرائيل وهم بمصر إن أهلك الله تعالى عدوهم أتاهم بكتاب فيه بيان ما يأتون
وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة
فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك
فأفسدته بالسواك وقيل أوحى الله تعالى إليه أما علمت أن ريح فم الصائم أطيب عندي من
ريح المسك فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك وذلك قوله تعالى
وأتممناها بعشر والتعبير عنها بالليالي لأنها غرر الشهور وقيل أمره الله تعالى بأن يصوم ثلاثين
يوماً وأن يعمل فيها بما يقربه من الله تعالى ثم أنزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها وقد أجمل
ذكر الأربعين في سورة البقرة وفصل ههنا وواعدنا بمعنى وعدنا وقد قرئ كذلك وقيل
الصيغة على بابها بناء على تنزيل قبول موسى عليه السلام منزلة الوعد وثلاثين مفعول ثان
لواعدنا بحذف المضاف أي إتمام ثلاثين ليلة فتم ميقات ربه أربعين ليلة أي بالغاً أربعين ليلة وقال
موسى لأخيه هرون حين توجه إلى المناجاة حسبما أمر به اخلفني أي كن خليفتي في قومي وراقبهم
فيما يأتون وما يذرون وأصلح ما يحتاج إلى الإصلاح من أمورهم أو كن مصلحاً ولا تتبع سبيل المفسدين
أي لا تتبع من سلك الإفساد ولا تطع من دعاك إليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه
واللام للاختصاص أي اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة عليهم السلام
وفيما روي أنه عليه السلام كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على أن سماع كلامه عز وجل ليس من جنس
كلام المحدثين قال رب أرني أنظر إليك أي أرني ذاتك بأن تمكنني من رؤيتك أو تتجلى لي فأنظر إليك
وأراك وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة في الجملة لما أن طلب المستحيل مستحيل من الأنبياء لا سيما
ما يقتضي الجهل بشؤون الله تعالى ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن أرى ولن أريك ولن
تنظر إلي تنبيهاً على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل
السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ إذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهلهم
ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا إلهاً وأن لا يتبع سبيلهم كما قال لأخيه ولا تتبع سبيل
المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأ إذ لا يدل الإخبار بعدم رؤيته
إياه على أنه لا يراه أبداً وأن لا يراه غيره أصلاً فضلاً عن أن يدل على استحالتها ودعوى الضرورة مكابرة

أو جهل لحقيقة الرؤية قال استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قال رب العزة
حين قال موسى عليه السلام ما قال فقيل قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني
استدراك لبيان أنه لا يطيقه وفي تعليقها باستقرار الجبل أيضاً دليل على الجواز ضرورة أن المعلق
بالممكن ممكن والجبل قيل هو جبل أردن فلما تجلى ربه للجبل أي ظهرت له عظمته وتصدى له اقتداره
وأمره وقيل أعطى الجبل حياة ورؤية حتى رآه جعله دكاً مدقوقاً مفتتاً والدك والدق أخوان
كالشك والشق وقرئ دكاء أي أرضاً مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ
دكاً جمع دكاء أي قطعاً وخر موسى صعقاً مغشياً عليه من هول ما رآه فلما أفاق الإفاقة رجوع العقل
والفهم إلى الإنسان بعد ذهابهما بسبب من الأسباب قال تعظيماً لما شاهده سبحانك أي تنزيهاً لك
من أن أسألك شيئاً بغير إذن منك تبت إليك أي من الجراءة والإقدام على السؤال بغير إذن وأنا
أول المؤمنين أي بعظمتك وجلالك وقيل أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا وقيل بأنه لا يجوز
السؤال بغير إذن منك قال يا موسى استئناف مسوق لتسليته عليه السلام من عدم الإجابة
إلى سؤال الرؤية كأنه قيل إن منعتك الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظام ما لم يعط
أحداً من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها إني اصطفيتك أي اخترتك واتخذتك صفوة
وآثرتك على الناس أي المعاصرين لك وهرون عليه السلام وإن كان نبياً كان مأموراً باتباعه وما
كان كليماً ولا صاحب شرع برسالاتي أي بأسفار التوراة وقرئ برسالتي وبكلامي وبتكليمي
إياك بغير واسطة فخذ ما آتيتك أي أعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على ما أعطيت
من جلائل النعم قيل كان الأمر سؤال الرؤية يوم عرفة وإعطاء التوراة يوم النحر وكتبنا له في
الألواح من كل شيء أي مما يحتاجون إليه من أمور دينهم موعظة وتفصيلاً لكل شيء بدل من محل
الجار والمجرور أي كتبنا له كل شيء من المواعظ وتفصيل الأحكام واختلف في عدد الألواح وفي
جوهرها ومقدارها فقيل إنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وإنها كانت
من زمرد جاء بها جبريل عليه السلام وقيل من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء وقيل أمر الله
تعالى موسى عليه السلام بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها بأصابعه وعن الحسن
كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وأن طولها كان عشرة أذرع وقيل أنزلت التوراة وهي
سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام
وعن مقاتل كتب في الألواح إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئاً ولا تقطعوا السبيل ولا تزنوا
ولا تعقوا الوالدين فخذها على إضمار القول معطوف على كتبنا أي فقلنا خذها بقوة بجد وعزيمة و
هو بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك والضمير للألواح أو لكل شيء فإنه بمعنى الأشياء أو للرسالات أو للتوراة
وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أي بأحسن ما فيها كالعفو والصبر بالإضافة إلى الاقتصاص والانتصار
على طريقة الندب والحث على اختيار الأفضل كما في قوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم أو بواجباتها
فإنها أحسن من المباح وقيل المعنى يأخذوا بها وأحسن صلة كما قال قطرب أي بحسنها وكلها حسن كقوله
تعالى ولذكر الله أكبر وقيل يجوز أن تحمل الكلمة المحتملة لمعنيين أو لمعان على أشبه محتملاتها بالحق وأقربها إلى

الصواب سأريكم دار الفاسقين تلوين للخطاب وتوجيه له إلى قومه عليه السلام بطريق الالتفات حملا لهم على الجد في الامتثال بما أمروا به إما على نهج الوعيد والترهيب على أن المراد بدار الفاسقين أرض مصر وديار عاد وثمود وأضرابهم فإن رؤيتها وهي خالية عن أهلها خاوية على عروشها موجب للاعتبار والانزجار عن مثل أعمال أهلها كيلا يحل بهم ما حل بأولئك وإما على نهج الوعد والترغيب على أن المراد دار الفاسقين إما أرض مصر خاصة أو مع أرض الجبابرة والعمالقة بالشام فإنها أيضا مما أتيح لبني إسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ومعنى الإراءة الإدخال بطريق الإيراث ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها وقرئ سأوريكم ولعله من أوريت الزند أي سأبينها لكم وقوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض استئناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب لعدم التفكر في الآيات التي هي ما كتب في الألواح التوراتية من المواعظ والأحكام أو ما يعمها وغيرها من الآيات التكوينية التي من جملتها ما وعد إراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لإصرارهم على ما هم عليه من التكبر والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لإظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع أن في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم والمعنى سأطبع على قلوب الذين يعدون أنفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزية وفضلا فلا ينتفعون بآياتي التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها فلا يسلكون في مسالكهم ليكونوا أمثالهم وقيل المعنى سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون في إبطال ما رآه من الآيات فأبى الله إلا إحقاق الحق وإزهاق الباطل وعلى هذا فالأنسب أن يراد بدار الفاسقين أرض الجبابرة والعمالقة المشهورين بالفسق والتكبر في الأرض وبإراءتها لهم أخذهم الشام وإسكانهم في مساكنهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون قوله سأصرف عن آياتي الخ جوابا عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد بإدخال الشام على أن المراد بالآيات ما في التوراة ونظائرها وبصرفهم عنها إزالتهم عن مقام معارضتها وممانعتها لوقوع أخبارها وظهور أحكامها وآثارها بإهلاكهم على يد موسى عليه السلام حين سار بعد التيه بمن بقي من بني إسرائيل أو بذراريهم على اختلاف الروايتين إليها أو يوشع بن نون في مقدمته ففتحها واستقر بنو إسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كأنه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل سأهلكهم وإنما عدل إلى الصرف ليزدادوا ثقة بالآيات واطمئنانا بها وقوله تعالى بغير الحق إما صلة للتكبر أي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط أو متعلق بمحذوف هو حال من فاعله أي يتكبرون ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها عطف على يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والمراد بالآية إما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها بسماعها أو ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع والإبصار أي وإن يشاهدوا كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم أي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم إياها كما هي وهكذا كما ترى وإن يروا كل

الصرف

الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا عطف على ما قبله داخل في حكمه أي لا يتوجهون إلى الحق ولا يسلكون سبيله أصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزيغ وقرئ بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا أي يختارونه لأنفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لأهوائهم الباطلة وإفضائه لهم إلى شهواتهم ذلك إشارة إلى ما ذكر من تكبرهم وعدم إيمانهم بشيء من الآيات وإعراضهم عن سبيل الرشد وإقبالهم التام إلى سبيل الغي وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بأنهم أي حاصل بسبب أنهم كذبوا بآياتنا الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية أضدادها وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها وإلا لما فعلوا من الأباطيل وجوز أن يكون إشارة إلى ما ذكر من الصرف ولا يمنعه الإشعار بعليته ملتبسة بحيز الصلة كيف لا وقد مر أن ذلك في قوله تعالى ذلك بما عصوا الآية وقيل محل اسم الإشارة النصب على المصدر أي سأصرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة أي ولقائهم الدار الآخرة أو لقائهم ما وعده الله تعالى في الآخرة من الجزاء ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى حبطت أعمالهم خبره أي ظهر بطلان أعمالهم التي كانوا عملوها من صلة الأرحام وإغاثة الملهوفين ونحو ذلك أو حبطت بعد ما كانت مرجوة النفع على تقدير إيمانهم بها هل يجزون أي لا يجزون إلا ما كانوا يعملون أي إلا جزاء ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي واتخذ قوم موسى من بعده أي من بعد ذهابه إلى الطور من حليهم متعلق باتخذ كالجار الأول لاختلاف معنييهما فإن الأول للابتداء والثاني للتبعيض أو للبيان أو الثاني متعلق بمحذوف وقع حالا مما بعده إذ لو تأخر لكان صفة له وإضافة الحلي إليهم لأنها كانت للقبط لأدنى الملابسة حيث كانوا استعاروها من أربابها قبل الغرق فبقيت في أيديهم وأما أنهم ملكوها بعد الغرق فذلك منوط بتمليك بني إسرائيل غنائم القبط وهم مستأمنون فيما بينهم فلا يساعده قولهم حملنا أوزارا من زينة القوم والحلي بضم الحاء وكسر اللام جمع حلي كثدي وثدي وقرئ بكسر الحاء بالإتباع كدلي وقرئ حليهم على الإفراد وقوله تعالى عجلا مفعول اتخذ أخر عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم وقيل هو متعد إلى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف أي إلها وقوله تعالى جسدا بدل من عجلا أي جثة ذات دم ولحم أو جسدا من ذهب لا روح معه وقوله تعالى له خوار أي صوت بقر وقرئ جؤار بالجيم والهمز وهو الصياح نعت لعجلا روي أن السامري لما صاغ العجل ألقى في فمه ترابا من أثر فرس جبريل عليه السلام وقد كان أخذه عند فلق البحر وعند توجهه إلى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح في جوفه فيصوت والأنسب ما في سورة طه هو الأول وإنما نسب اتخاذه إليهم وهو فعله إما لأنه واحد منهم وإما لأنهم رضوا به فكأنهم فعلوه وإما لأن المراد اتخاذهم إياه إلها لا صنعه وإحداثه ألم يروا أنه لا يكلمهم استئناف

يسوء ثم لشدة ندمهم بشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي هو
اتخاذه الها اي الم يروا انه ليس فيه شيء من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم
سبيلا بوجه من الوجوه فكيف اتخذوه الها وقوله تع اتخذوه اي فعلوا ذلك وكانوا ظالمين
اي واضعين للاشياء في غير موضعها فلم يكن هذا اول منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلي
وتكرير اتخذوه لتثنية التشنيع وترتيب الاعتراض عليه ولما سقط في ايديهم اي ندموا
على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا
فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاليد حقيقة وقال الزجاج معناه
سقط الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل ورأوا انهم قد ضلوا باتخاذ
العجل اي تبينوا بحيث تيقنوا بذلك حتى كانهم رأوه باعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية
مع كونه متأخرا عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار بغاية سرعته كانه سابق على الرؤية قالوا
والله لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة
على المغفرة مع ان التخلية حقها ان تتقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلي واما لان
المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ لانزال التوبة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة
للقسم كما اشير اليه وفي قوله تع لنكونن من الخاسرين لجواب القسم وما حكي عنه من الندامة والرؤية
والقول وان كان بعد ما رجع موسى عليه السلام اليهم كما ينطق به الآيات الواردة في
سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد
ولما رجع موسى الى قومه شروع في بيان ما جرى من موسى عليه السلام بعد رجوعه من الميقات اثر
بيان ما وقع من قومه بعده وقوله تع غضبان اسفا حالان من موسى عليه السلام او الثاني من المستكن في
غضبان والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما فعلتم
من بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلي من توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه واخلاص
العبادة له او من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم حيث قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة
ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة من السامري واشياعه او بئسما
قمتم مقامي ولم تراعوا عهدي حيث لم يكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين
كما ينبئ عنه قوله تع قال يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعني افعصيت امري ويجوز
ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخليفة ما يعم الامرين والمدلولين وما نكرة موصوفة مفسرة
للفاعل المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم
اعجلتم امر ربكم اي تركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام
او اعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم
بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التورية
كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها التي كان فيها تفصيل
كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر رأسه عليهما السلام يجره اليه حال كون

ضمير اخذ فعله عليه السلام توهما انه قصر في كفهم وهرون كان اكبر منه عليهما السلام بثلث سنين
وكان حمولا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال اي هرون مخاطبا لموسى عليه السلام ابن ام بحذف
حرف النداء وتخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان حق الام اعظم واحق بالمراعات مع
انها كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدائد وقرئ بكسر الميم باسقاط الياء
وتخفيفا كالمنادي المضاف الى الياء وقراءة الفتح لزيادة التخفيف او لتشبيهه بخمسة عشر ان
القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت جهدي
في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء اي فلا تفعل بي ما كان
سببا لشماتتهم بي ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او النسبة
الى التقصير وهذا يؤيد كون الخطاب للكل او لا تعتقد انني واحد من الظالمين مع براءتي
منهم ومن ظلمهم قال استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذار هرون عليه السلام
كانه قيل فماذا قال موسى عليه السلام عند ذلك فقيل قال رب اغفر لي اي ما فعلت باخي
من غير ذنب مقرر من قبله ولاخي ان فرط منه تقصير ما في كفهم عما فعلوه من العظيمة استغفر
عليه السلام لنفسه ليرضي اخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتم شماتتهم به ولاخيه للايذان
بانه محتاج الى الاستغفار حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام
بعد غفران ما سلف منا وانت ارحم الراحمين فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة
في الدنيا والآخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ان الذين اتخذوا العجل اي تموا على اتخاذه
واستمروا على عبادته كالسامري واشياعه من الذين اشربوه في قلوبهم كما يفصح عنه كون
الموصول الثاني عبارة عن التائبين فان ذلك صريح في ان الموصول الاول عبارة عن المصرين
سينالهم اي في الآخرة غضب اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما ان جريمتهم
اعظم الجرائم وافحش الجرائر وقوله تعالى من ربهم اي مالكهم متعلق بينالهم او بمحذوف هو نعت
لغضب مؤكد لما افادة التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن من ربهم وذلة
في الحيوة الدنيا هي ذلة الاغتراب تضرب بها الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا
والذلة التي اختص بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلاء بلامساس روي ان
بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس احدهم احد غيرهم حما جميعا في الوقت وايراد ما نالهم
في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف على حال الاسلاف وقيل المراد بهم التائبون
وبالغضب ما امروا به من قتل انفسهم واعتذر عن السين بان ذلك حكاية عما اخبر الله تعالى
به موسى عليه السلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل بانه سينالهم غضب من ربهم
وذلة فيكون سابقا على الغضب وانت خبير بان سياق النظم الكريم وسياقه نابيان عن ذلك
نبوا ظاهرا كيف لا وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين ينادي على خلافه فانهم شهداء التائبون
فكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافتراء وايضا ليس يجزي الله تع كل المفترين بهذا الجزاء الذي
ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم ابناؤهم المعاصرون لرسول الله صلى

الله عليه وسلم فإن تعيير الأبناء بأفاعيل الآباء مشهور معروف منه قوله تع وإذ قتلتم
نفسا الآية وقوله تع وإذ قلتم يا موسى الآية والمراد بالغضب الغضب الأخروي وبالذلة
ما أصابهم من القتل والإجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون
حقيقة وبالضمير في ينالهم أخلافهم ولا ريب في أن توسيط حال هؤلاء في تضاعيف
حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه والذين عملوا السيئات أي سيئة كانت ثم
تابوا عن تلك السيئات من بعدها أي من بعد عملها وآمنوا إيمانا صحيحا خالصا واشتغلوا بما هو
من مقتضياته من الأعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الأولى إن ربك
من بعدها أي من بعد تلك التوبة المقرونة بالإيمان لغفور للذنوب وإن عظمت وكثرت
رحيم مبالغ في إفاضة فنون الرحمة الدنيوية والأخروية والتعرض لعنوان الربوبية
مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام للتشريف ولما سكت عن موسى الغضب شروع في بيان
الحكاية إثر ما بين تحزب القوم إلى مصر وتائب والإشارة إلى مآل كل منهما إجمالا
أي لما سكن عنه الغضب باعتذار أخيه وتوبة القوم وهذا صريح في أن ما حكي عنهم من الندم
وما يتفرع عليه كان بعد مجيء موسى عليه السلام وفي هذا النظم الكريم من المبالغة والبلاغة
بتنزيل الغضب الحامل له عليه السلام على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الآمر
المغري عليه بالتحكم والتشديد والتعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن
وسكت على أن الفاعل هو الله تعالى أو أخوه أو التائبون أخذ الألواح التي ألقاها وفي نسختها
أي فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها أي من الألواح
المنكسرة هدى أي بيان للحق ورحمة للخلق بإرشادهم إلى ما فيه الخير والصلاح للذين هم لربهم
يرهبون اللام الأولى متعلقة بمحذوف هو صفة لرحمة أي كائنة لهم أو هي لام الأجل أي هدى
ورحمة لأجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله تع إن كنتم للرؤيا تعبرون أو هي
أيضا لام العلة والمفعول محذوف أي يرهبون المعاصي لأجل ربهم لا للرياء والسمعة واختار
موسى قومه شروع في بيان كيفية استدعاء التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى إلى اثنين
ثانيهما مجرور بمن أي اختار من قومه بحذف الجار وإيصال الفعل إلى المجرور كما في قوله اختارك
الناس إذ رثت خلائقهم • واعتل من كان يرجى عنده السول • أي اختارك من الناس سبعين رجلا
مفعول أول له أخر عنه لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق إلى المؤخر لميقاتنا الذي وقتناه بعد
ما وقع من قومه ما وقع لا للميقات الكلامي الذي قبل ذلك كما قيل فإن السدي أمر الله تعالى بأن يأتيه
في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه تع من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار عليه السلام من قومه
سبعين رجلا وقال محمد بن إسحاق اختارهم ليتوبوا إليه مما صنعوا ويسألوا التوبة على من تركوهم
وراءهم من قومهم قالوا اختار عليه السلام من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان
فتشاحوا فقال عليه السلام إن لمن قعد مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين
وأمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم إلى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشيه

غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تع يكلم موسى يأمره وينهاه حسبما يشاء ونحو الأمر
بقتل أنفسهم توبة فلما أخذتهم الرجفة مما اجترؤوا عليه من طلب الرؤية فإنه يروى أنه لما انكشف
الغمام أقبلوا إلى موسى عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة أي الصاعقة
أو رجفة الجبل فصعقوا منها أي ماتوا ولعلهم أرادوا بقولهم لن نؤمن لك لن نصدقك في الأمر
بما سمعنا من الأمر بقتل أنفسنا هو الله تع حتى نراه حيث قاسوا رؤيته تع على سماع كلامه قياسا فاسدا
فحين شاهد موسى عليه السلام تلك الحالة الهائلة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل أي حين
فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا إصرارهم عليها وإياي أيضا حين
طلبت منك الرؤية أي لو شئت إهلاكنا بذنوبنا لأهلكتنا حينئذ أراد به عليه السلام تذكير العفو
السابق لاستجلاب العفو اللاحق فإن الاعتراف بالذنوب والشكر على النعمة مما يربط العتيد •
ويستجلب المزيد • يعني أنا كنا مستحقين للإهلاك ولم يكن من توابعه الأعدم مشتك إياه
فحيث لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرائر فلا غرو أن تعفو عنا هذه الجريمة أيضا وحمل الكلام
على التمني يأباه قوله تع أتهلكنا بما فعل السفهاء منا أي الذين لا يعلمون تفاصيل شؤونك ولا يتثبتون
في المداحض والهمزة إما للإنكار ووقوع الإهلاك ثقة بلطف الله تع عز وجل كما قاله ابن الأنباري
أو للاستعطاف كما قاله المبرد أي لا تهلكنا إن هي إلا فتنتك استئناف مبين لما قبله واعتذار عما
صنعوا ببيان منشأ غلطهم أي ما الفتنة التي وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا من العظيمة
إلا فتنتك أي محنتك وابتلاؤك حيث أسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما
فوق ذلك تابعين للقياس الفاسد وقوله تع تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء إما استئناف
مبين لحكم الفتنة أو حال من فتنتك أي حال كونها مضلا بها الخ أي تضل بسببها إضلاله فلا
يهتدي إلى التثبت وتهدي من تشاء هدايته إلى الحق فلا يتزلزل في أمثالها فيقوى بها إيمانه
أنت ولينا أي القائم بأمورنا الدنيوية والأخروية وناصرنا وحافظنا لا غير فاغفر لنا ما قارفناه
من المعاصي والفاء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية كأنه قيل من شأن الولي المغفرة والرحمة
وقيل إن إقدامه عليه السلام على أن يقول إن هي إلا فتنتك الخ جرأة عظيمة فطلب من الله
تعالى غفرانها والتجاوز عنها وارحمنا بإفاضة آثار الرحمة الدنيوية والأخروية وأنت خير الغافرين
اعتراض تذييلي لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لأنها الأهم بحسب المقام واكتب لنا
أي عين لنا وقيل أوجب وحقق وأثبت في هذه الدنيا حسنة أي نعمة وعافية أو خصلة حسنة
قال ابن عباس رضي الله عنهما اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة وفي الآخرة أي واكتب لنا
فيها أيضا حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة إنا هدنا إليك أي تبنا وأنبنا إليك من هاد يهود إذا
رجع وقرئ بكسر الهاء من هاد يهيد إذا حركه وأماله ويحتمل أن يكون مبنيا للفاعل وللمفعول
بمعنى أملنا أنفسنا أو أملنا إليك ويجوز أن تكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود
المريض مع كونها لغة ضعيفة مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء
فإن التوبة مما يوجب قبوله بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لإظهار كمال النشاط والرغبة

في التوبة والمغفرة انابنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها وعما وقع
هاهنا من طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك ان لا تقبل توبة التائبين قيل لما اخذتهم الرجفة
ماتوا جميعا فاخذ موسى عليه السلام يتضرع الى الله تعالى في احيائهم وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم
واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليه السلام فبكى فكشفها الله تعالى عنهم قال استئناف وقع جوابا
عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عليه السلام فقيل قال
عذابي اصيب به من اشاء لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتلهم انفسهم فهم موسى عليه السلام
بدعائه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي خصلة حسنة عارية من
المشقة والشدة بان في قتلهم انفسهم من العذاب والتشديد ما لا يخفى فاجاب الله تعالى بان عذابي
شانه ان اصيب به من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه ومنهم من تناوله مشيئتي ولذلك علقه
مشوبة بالعذاب الدنيوي ورحمتي وسعت كل شيء اي شانها ان تسع في الدنيا المؤمن والكافر
بل كل ما يدخل تحت المشيئة من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيبهم منها في ضمن العذاب
وفي نسبة الاصابة الى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايذان
بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب فمقتضى معاصي العباد والمشيئة معتبرة في جانب الرحمة
ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور الا يرى الى قوله تعالى فساكتبها اي اثبتها واعينها
فانه متفرع على اعتبار المشيئة كانه قيل فاذا كان الامر كذلك اي كما ذكر من اصابة عذابي
وسعة رحمتي لكل من اشاء فساكتبها كتبة كائنة كما دعوت بقولك واكتب لنا في هذه الخ اي سأثبتها
خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوي للذين يتقون اي الكفر والمعاصي اما ابتداء او بعد ملابستها
وفيه تعريض بقومه كانه قيل لا لقومك لانهم غير متقين فيكفيهم ما قدر لهم من الرحمة وان
كانت مقارنة للعذاب الدنيوي ويؤتون الزكوة وفيه ايضا تعريض بهم حيث كانت الزكوة شاقة عليهم
ولعل الصلوة انما لم تذكر مع انافتها على سائر العبادات اكتفاء بالاتقاء الذي هو عبارة عن فعل
الواجبات باسرها وترك المنكرات عن اخرها وايراد ايتاء الزكوة لما مر من التعريض والذين هم
بآياتنا جميعا يؤمنون ايمانا مستمرا من غير اخلال بشيء منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالآيات
العظام التي جاء موسى عليه السلام وبما يجيء بعد ذلك من الآيات البينات كتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول مع ان المراد به عين ما اريد بالموصول الاول
دون ان يقال ويؤمنون بآياتنا عطفا على يؤتون الزكوة كما عطف هو على يتقون لما اشير اليه من
القصر بتقديم الجار والمجرور اي هم بجميع آياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض الذين يتبعون الرسول
الذي نوحي اليه كتابا مختصا به النبي اي صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة اليه تعالى
وعنوان النبوة بالنسبة الى الامة الامي بضم الهمزة الى اللام كانه باق على حالته التي ولد
عليها من امه او الى امة العرب كما قال عليه السلام انا امة امية لا نكتب ولا نحسب او الى ام القرى
وقرئ بفتح الهمزة اي الذي لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الاولين والآخرين
والموصول بدل من الموصول الاول بدل الكل او منصوب على المدح او مرفوع عليه اي اعني الذين



او هم الذين واما جعله مبتدأ على ان خبره يأمرون او اولئك هم المفلحون الذي يجدونه مكتوبا
باسمه ونعوته بحيث لا يشكون انه هو ولذلك عدل عن ان يقال يجدون اسمه او وصفه مكتوبا
عندهم زيد هذه الزيادة التقرير وان شانه عليه السلام حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا في
التورية والانجيل اللذين تعبد بهما بنو اسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان بيجدونه او بمكتوبا
وذكر الانجيل قبل نزوله من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم
قبل مجيئهما يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كلام مستأنف لا محل له من الاعراب قاله الزجاج
متضمن لتفصيل بعض احكام الرحمة التي وعد فيما سبق بكتبها اجمالا فان ما بين فيه من الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث واسقاط التكاليف الشاقة كلها من
آثار الرحمة الواسعة وقيل في محل النصب على انه حال مقدرة من مفعول يجدونه او من
او من المستكن في مكتوبا او مفسر لمكتوبا اي لما كتب ويحل لهم الطيبات التي حرمت عليهم بشؤم
ظلمهم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير والربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم اي يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة التي هي من قبيل ما كتب عليهم
حينئذ من كون التوبة بقتل النفس كتعيين القصاص في العمد والخطاء من غير شرع الدية وقطع
الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم السبت
وعن عطاء انه كانت بنو اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما
ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقد
آصارهم امثال الامر الثقيل الذي يأصر صاحبه من الحراك فالذين آمنوا به تعليم لكيفية اتباعه
عليه السلام وبيان لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة في الدارين اثر بيان
نعوته الجليلة والاشارة الى ارشاده عليه السلام اياهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحلال
الطيبات وتحريم الخبائث اي فالذين آمنوا بنبوته واطاعوه في اوامره ونواهيه وعزروه اي
عظموه ووقروه واعانوه بمنع اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه
على اعدائه في الدين واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته وهو القرآن عبر عنه بالنور المنبئ عن
كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره او مظهرا للحقائق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون
معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباعه عليه السلام بالعمل بسنته وبما امر به
ونهى عنه او اتبعوا القرآن مصاحبين له في اتباعه اولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم
بما فصل من الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم
وسمو طبقتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة هم المفلحون اي هم
الفائزون بالمطلوب الناجون عن المكروب لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم قوم موسى عليه السلام
دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما في توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتأتى التوفيق
والتطبيق بين دعائه عليه السلام وبين الجواب لا بمجرد ما قيل من انه لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب
بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم بآياته العظام التي



الوحي موسى عليه السلام وعوض بذلك في قوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف
اعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين
لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم لما حكي ما في
الكتابين من نعوت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من اهلهما ونيلهم لسعادة
الدارين امر عليه السلام ببيان ان تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا
من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل عليهم السلام باقوامهم
وارسال موسى عليه السلام الى فرعون وملائه بالآيات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين
عز سلطانه وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بني
اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل باحكام التوراة فمختص ببني اسرائيل جميعا حال من الضمير في
اليكم الذي له ملك السموات والارض منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة
للجلالة وان حيل بينهما بما هو متعلق بما اضيف اليه فانه في حكم المتقدم عليه وقوله تعالى لا اله
الا هو بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وقوله تعالى يحيي ويميت لزيادة تقرير
التوحيد والفاء في قوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته
عليه السلام وايراد نفسه عليه السلام بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات الى الغيبة
للمبالغة في ايجاب الامتثال ووصف الرسول بقوله النبي الامي لمدحه عليه السلام بهما ولزيادة
تقرير امره وتحقيق انه المكتوب في الكتابين ووصفه بقوله تعالى الذي يؤمن بالله وكلماته اي
ما انزل اليه والى سائر الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امروا
به والتصريح بايمانه بالله تعالى للتنبيه على ان الايمان به تعالى لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا
يتحقق الا به وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القرآن تنبيها على ان المأمور به هو الايمان به
عليه السلام من حيث انزل عليه القرآن لا من حيثية اخرى او على ان المراد بها عيسى عليه السلام
تعريضا باليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتد بايمانه واتبعوه اي في كل ما يأتي وما يذر من
امور الدين لعلكم تهتدون علة للفعلين او حال من فاعليهما اي رجاء لاهتدائكم الى المطلوب او
راجين له وفي تعليقه بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء
مستمر على الغي والضلال ومن قوم موسى كلام مبتدأ مسوق لدفع ما عسى يوهمه تخصيص كتب الرحمة
والتقوى والايمان بالآيات بمتبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرمان اسلاف قوم موسى
عليه السلام من كل خير وبيان ان كلهم ليسوا كما حكيت احوالهم بل منهم امة يهدون اي الناس
بالحق اي ملتبسين به او يهدونهم بكلمة الحق وبه اي بالحق يعدلون اي في الاحكام الجارية
فيما بينهم وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين آمنوا بالنبي صلى الله
عليه وسلم ويأباه انه قد مر ذكرهم فيما سلف وقيل ان بني اسرائيل لما بالغوا في العتو والطغيان حتى
اجترؤا على قتل الانبياء صلوات الله تعالى عليهم اجمعين تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله تعالى
ان يفرق بينهم وبين اولئك الظالمين ففتح الله تعالى لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصف ١

حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال جبريل عليه السلام
هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به فقالوا يا رسول الله
ان موسى اوصانا ان من ادرك احمد فليقرأ مني عليه السلام فرد محمد على موسى السلام عليهما
السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلاة والزكاة
وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت هذا وانت خبير بان
تخصيصهم بالهداية من بين قومه عليه السلام مع ان منهم من آمن بجميع الشرائع لا يخلو عن
بعد وقطعناهم اي قوم موسى لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى اثنتي عشرة
ثاني مفعولي قطع لتضمنه معنى التصيير والتأنيث للحمل على الامة او القطعة اي صيرناهم اثنتي عشرة
امة او قطعة متميزا بعضها من بعض او حال من مفعوله اي فرقناهم معدودين بهذا العدد وقوله
تعالى اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة قطعة اسباط لا سبط
وقرئ عشرة بكسر الشين وقوله تعالى امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني
بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه حين استولى عليهم العطش في التيه الذي
وقعوا فيه بسوء صنيعهم لا بمجرد استسقائهم اياه عليه السلام بل باستسقائه عليه السلام
لهم لقوله تعالى واذ استسقى موسى لقومه وقوله تعالى ان اضرب بعصاك الحجر مفسر لفعل الايحاء وقد
مر بيان شأن الحجر في تفسير سورة البقرة فانبجست عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام وقد حذف
تعويلا على كمال الظهور وايذانا بغاية مسارعته عليه السلام الى الامتثال واشعارا بعدم تأثير الضرب
كأنه في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط واما
ما قيل من ان التقدير فان ضربت فقد انبجست فغير حقيق بجزالة النظم التنزيلي وقرئ عشرة
بكسر الشين وفتحها قد علم كل اناس كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط مشربهم
اي عينهم الخاصة بهم وظللنا عليهم الغمام اي جعلناها بحيث تلقي عليهم ظلها تسير في التيه بسيرهم
وتسكن باقامتهم وكان ينزل بالليل عمود من نار يسيرون بضوئه وانزلنا عليهم المن والسلوى اي
الترنجبين والسمانى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب
عليهم السمانى فيذبح الرجل منه ما يكفيه كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم اي مستلذاته وما
موصولة كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا رجوع الى سنن الكلام الاول بعد
حكاية خطابهم وهو معطوف على جملة محذوفة للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح
اي فظلموا بان كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون اذ لا يتخطاهم
ضرره وتقديم المفعول لافادة القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع
بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر واذ قيل لهم منصوب
بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم وايراد الفعل على البناء للمفعول مع استناده اليه تعالى كما ينبئ
عنه ما في سورة البقرة من قوله تعالى واذ قلنا للجري على سنن الكبرياء والايذان بالغنى عن التصريح

به لتعيين الفاعل وتعبير النظم بالامر بالذكر للتشديد في التوبيخ اي اذكر لهم وقت قوله تعالى
لاسلافهم اسكنوا هذه القرية منصوبة في المفعولية يقال سكنت الدار وقيل في الظرفية اتساعا
وهي بيت المقدس وقيل اريحاء وهي قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة
ورأسهم عوج بن عنق وفي قوله تع اسكنوا ايذان بان المامور به في سورة البقرة هو الدخول على
وجه السكنى والاقامة ولذلك اكتفي به عن ذكر رغدا في قوله تع وكلوا منها اي من مطاعمها وثمارها
في ان من تبعيضية او منها في انها ابتدائية حيث شئتم اي من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها
احد فان الاكل المستمر في هذا الوجه لا يكون الا رغدا واسعا وعطف كلوا في اسكنوا بالواو لمقارنته
زمانا بخلاف الدخول فانه مقدم في الاكل ولذلك قيل هناك فكلوا وقولوا حطة اي مسئلتنا
او امرك حطة لذنوبنا وهي فعلة من الحط كالجلسة وادخلوا الباب سجدا اي باب القرية سجدا اي متطامنين
مخبتين او ساجدين شكرا على اخراجهم من التيه وتقديم الامر بالدخول في الامر بالقول المذكور
في سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لان المامور به هو الجمع بين الفعلين من غير اعتبار الترتيب
بينهما ثم ان كان المراد بالقرية اريحاء فقد روي انهم دخلوها حيث سار اليها موسى عليه السلام
بمن بقي من بني اسرائيل او بذراريهم في اختلاف الروايتين ففتحها كما مر في سورة المائدة واما ان
كانت في بيت المقدس فقد روي انهم لم يدخلوها في حياة موسى عليه السلام فقيل المراد بالباب
باب القبة التي كانوا يصلون اليها نغفر لكم خطيئتكم وقرئ خطاياكم كما في سورة البقرة وتغفر لكم
خطيئاتكم وخطاياكم وخطيئتكم في البناء للمفعول سنزيد المحسنين عدة بشيئين بالمغفرة وبالزيادة
وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب في تقدير سؤال نشأ من الاخبار بالغفران كانه
قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة بيان فبدل الذين ظلموا منهم بما امروا به من
التوبة والاستغفار حيث اعرضوا عنه ووضعوا موضعه قولا آخر مما لا خير فيه روي انهم دخلوه
زاحفين في استاههم وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا شمقاثا يعنون حنطة
حمراء استخفافا بامر الله تعالى واستهزاء بموسى عليه السلام وقوله تع غير الذي قيل لهم نعت لقولا
صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا في المغايرة من كل وجه فارسلنا
عليهم اثر ما فعلوا ما فعلوا من غير تاخير وفي سورة البقرة على الذين ظلموا والمعنى واحد والارسال
من فوق يكون كالانزال رجزا من السماء عذابا كائنا منها والمراد الطاعون روي انه مات منهم في
ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا بما كانوا يظلمون بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق حسبما يفيده
الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به ترتيب الارسال عليه بالفاء والتصريح
بهذا التعليل لما ان الحكم ههنا مترتب على المضمر دون الموصول بالظلم كما في سورة البقرة واما التعليل
بالفسق بعد الاشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك والله تعالى اعلم واسألهم عطف على المقدر
في اذ قيل اي واسأل اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع وتقرير بتقدم كفرهم وتجاوزهم لحدود
الله تعالى واعلاما لهم بان ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها الا من مارس كتبهم قد احاط
به النبي صلى الله عليه وسلم خبرا واذ ليس ذلك بالتلقي من كتبهم لانه عليه السلام بمعزل من ذلك



تبين انه من جهة الوحي الصريح عن القرية اي عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية الدهيا
وهي ايلة قرية بين مدين والطور وقيل في مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية التي كانت
حاضرة البحر اي قريبة منه مشرفة على شاطئه اذ يعدون في السبت اي يتجاوزون حد الله تع بالصيد
يوم السبت واذ ظرف للمضاف المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة وليس
بذاك اذ لا فائدة في تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان وقرئ يعدّون ويعدون
من الاعداد حيث كانوا يعدون آلات الصيد وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة
اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل والاول هو الاولى لان السؤال عن عدوانهم
ادخل في التقريع والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى
واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لا يكاد يوجد في سائر افراد الجنس من
الخواص والخارقة للعادة او لان المراد بها الحيتان الكائنة في تلك الناحية وانما ذكر من الاتيان وعدمه
لاعتيادها امر الحضر في عدم التعرض يوم السبت يوم سبتهم ظرف لتاتيهم اي تاتيهم يوم تعظيمهم
لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم
والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول قراءة من قرأ يوم اسباتهم وقوله تعالى
شرعا جمع شارع من شرع عليه اذا دنا واشرف وهو حال من حيتانهم اي تاتيهم يوم سبتهم ظاهرة
على وجه الماء قريبة من الساحل ويوم لا يسبتون اي لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد
عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اي لا سبت ولا مراعاة كما في
قوله • ولا ترى الضب بها ينجحر • وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول
بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه بما امروا به يوم السبت لا تاتيهم
كما كانت تاتيهم يوم السبت حذرا من صيدهم وتغيير السبك حيث لم يقل ولا تاتيهم يوم لا
يسبتون لما ان الاخبار باتيانها يوم سبتهم مظنة ان يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون فقيل
يوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم اي مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم
ليظهر عداوتهم ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها والتعجيب منها
بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
لكن لا في تلك المادة فان فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر في
كل ما ياتون وما يذرون وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل ما تاتيهم يوم سبتهم
والجملة بعدها استئناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف حال الحيتان بالاتيان تارة
وعدمه اخرى واذ قالت عطف على اذ يعدون مسوق لما بهم من العدول وعدم الانزجار عنه
بعد العظات والانذارات امة منهم اي جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم متن
كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لآخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع
والتاثير مبالغة في الاعذار وطمعا في فائدة الانذار لم تعظون قوما الله مهلكهم اي
مخترمهم بالكلية ومطهر الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا دون الاستئصال بالمرة



وقيل مهلكهم مخزيهم في الدنيا او معذبهم في الآخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من
الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فانهم مهلكون في الدنيا ومعذبون في
الآخرة وايثار صيغة اسم الفاعل مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على
تحققهما وتقررهما البتة كانهما واقعان وانما قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينجع فيهم او
للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ
فان بت القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف والخشية قيل المراد طائفة
من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم وليس بذاك كما ستقف عليه
قالوا اي الوعاظ معذرة الى ربكم اي نعظهم معذرة اليه تعالى على انه مفعول له وهو الانسب
بظاهر قولهم لم تعظون او نعتذر معذرة على انه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع
على انه خبر مبتدأ محذوف اي موعظتنا معذرة اليه تعالى حتى لا ننسب الى نوع تفريط في النهي
عن المنكر وفي اضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين ولعلهم يتقون عطف
على معذرة اي ورجاء لان يتقوا بعض التقاة وهذا صريح في ان القائلين لم تعظون الخ
ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب الخطاب فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما ذكرهم
به صلحاؤهم ترك الناسي للشيء واعرضوا عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك
المواعظ اصلا انجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفريقان المذكوران واخراجهم
مخرج الجواب الذي حقه الترتب على الشرط وهو نسيان المعتدين المستتبع لاهلاكهم لما ان
ما في حيز الشرط شيئان النسيان والتذكير كانه قيل فلما ذكر المذكرون ولم يتذكر
المعتدون انجينا الاولين واخذنا الآخرين واما تصدير انجائهم فلما مر من المسارعة
الى بيان نجاتهم من اول الامر مع ما في الموخر نوع طول واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة
الامر بعذاب بئيس اي شديد وزنا ومعنى من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرئ
بيئس على وزن فيعل بفتح العين وكسرها وبئس كرئس بقلب همزة بئيس ياء وادغام الياء فيها
وبيس في تخفيف بيس كهين في هين وتنكير العذاب للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون
متعلق باخذنا كالباء الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى اي اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب
تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان ايضا واجراء الحكم على
الموصول وان اشعر بعلية ما في حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور ايذانا بان العلة
هو الاستمرار على الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك خروجا عن طاعة الله عز وجل
لا نفس الظلم والعدوان والا لما اخروا عن ابتداء المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم
بعذاب شديد دون الاستئصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا في الغي فمسخهم
بعد ذلك لقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه اي تمردوا وتكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه قلنا
لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين اذلاء بعداء عن الناس والمراد بالامر هو الامر التكويني لا القولي
وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للايذان بانه ليس لخصوصية الحوت بل العمدة

في ذلك

في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ
والجملة الثانية تقرير للاولى روي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة
فتركوه واختاروا يوم السبت وهو المعني بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به
وحرم عليهم الصيد فيه وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كانها المخاض لا يرى وجه
الماء لكثرتها ولا تأتيهم في سائر الايام فكانوا على ذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما
نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة الورود صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان
اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها ويأخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه
خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني
ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم
استمروا على ذلك فصادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية
اثلاثا ثلث استمروا على النهي وثلث ملوا التذكير وسئموه وقالوا للواعظين لم تعظون الخ وثلث باشروا
الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم
داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم
لشأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسباءهم من الانس
وهم لا يعرفونها فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه فيبكي فيقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد
برأسه بلى ثم ماتوا عن ثلاث وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم
وقال الحسن البصري اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة
هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالى جعل موعدا والساعة
ادهى وامر واذ تأذن ربك منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قل تعالى واسألهم وتأذن بمعنى
اذن كما ان توعد بمعنى اوعد او بمعنى عزم فان العازم على الامر يحدث به نفسه واجري مجرى القسم كعلم
الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه حيث قيل ليبعثن عليهم الى يوم القيمة اي واذكر وقت ايجابه
تعالى على نفسه ان يسلط على اليهود البتة من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون
العذاب وقد بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى
نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله النبي صلى الله عليه
وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب يعاقبهم
في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن منهم وقطعناهم اي فرقنا بني اسرائيل في الارض وجعلنا كل فرقة
منهم في قطر من اقطارها بحيث لا تخلو ناحية منها منهم تكملة لادبارهم حتى لا تكون لهم شوكة قوله تعالى
امما اما مفعول ثان لقطعنا او حال من مفعوله منهم الصالحون صفة لامما او بدل منه وهم الذين آمنوا
بالمدينة ومن يسير بسيرتهم ومنهم دون ذلك اي ناس دون ذلك الوصف اي منحطون عن الصلاح وهم
كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون عما كانوا فيه من الكفر
والمعاصي فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف اي بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد

واسم وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بفتح اللام في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب أي التوراة من أسلافهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها يأخذون
عرض هذا الأدنى استئناف مسوق لبيان ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم إياه أي يأخذون حطام
هذا الشيء الأدنى أي الدنيا وهو من الدنو أو الدناءة والمراد به ما كانوا يأخذونه من الرشى في الحكومات
وعلى تحريف الكلام وقيل حال من واو ورثوا ويقولون سيغفر لنا ولا يؤاخذنا الله تعالى بذلك ع
ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف والحالية والفعل مسند إلى الجار والمجرور أو مصدر يأخذون
وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا أي يرجون المغفرة والحال أنهم مصرون على الذنب
عائدون إلى مثله غير تائبين عنه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أي الميثاق الوارد في الكتاب أن لا يقولوا
على الله إلا الحق عطف بيان للميثاق أو متعلق به أي بأن لا يقولوا الخ والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على
بتهم القول بالمغفرة بلا توبة والدلالة على أنها افتراء على الله تعالى وخروج عن ميثاق الكتاب ع
ودرسوا ما فيه عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فإنه تقرير أو على ورثوا وهو اعتراض والدار الآخرة
خير للذين يتقون ما فعل هؤلاء أفلا تعقلون فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الأدنى المؤدي إلى العقاب بالنعيم
المخلد وقرئ بالياء وفي الالتفات تشديد للتوبيخ والذين يمسكون بالكتاب أي يتمسكون به
في أمور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به قال عطاء هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ
من الإمساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا لقوله تعالى وأقاموا الصلاة ولعل التغيير للتنبيه
للدلالة على أن التمسك بالكتاب أمر مستمر في جميع الأزمنة بخلاف إقامة الصلاة فإنها مختصة بأوقاتها
وتخصيصها بالذكر من بين سائر العبادات لإنافتها عليها ومحل الموصول إما الجر عطفا على الذين يتقون وقوله
تعالى أفلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله وإما الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى إنا لا نضيع أجر
المصلحين والرابط إما الضمير المحذوف كما هو رأي الجمهور من البصريين والتقدير أجر المصلحين منهم ع
وإما الألف واللام كما هو رأي الكوفيين فإنه في حكم مصلحيهم كما في قوله تعالى فإن الجنة هي المأوى
أي مأواهم وقوله تعالى مفتحة لهم الأبواب أي أبوابها والعموم في المصلحين فإنه من الروابط ومنه نعم
الرجل زيد على أحد الوجوه وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين يمسكون بالكتاب مأجورون أو مثابون
وقوله تعالى إنا لا نضيع أجر المصلحين اعتراض مقرر لما قبله وإذ نتقنا الجبل فوقهم أي قلعناه من مكانه ورفعناه
عليهم كأنه ظلة أي سقيفة وهي كل ما أظلك وظنوا أي تيقنوا أنه واقع بهم ساقط عليهم لأن الجبل لا يثبت
في الجو ولأنهم كانوا يوعدون به وإطلاق الظن في الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا
أحكام التوراة لثقلها فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم إن قبلتم ما فيها وإلا ليقعن عليكم خذوا ما آتيناكم
أي وقلنا أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو ع
واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون بذلك قبائح الأعمال ورذائل الأخلاق أو راجين
أن تنتظموا في سلك المتقين وإذ أخذ ربك منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به إذ نتقنا مسوق
للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة وتوبيخهم بنقضه إثر الاحتجاج عليهم
بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع أن المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا

اي واذكر

أي واذكر لهم أخذ ربك من بني آدم المراد بهم الذين ولدهم كائنا من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد
له بسبب من الأسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا وإيثار الأخذ على الإخراج للإيذان بالاعتناء بشأن
المأخوذ لما فيه من الإنباء عن الاجتباء والاصطفاء وهو السبب في إسناده إلى اسم الرب بطريق الالتفات
مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الآتي وإضافته إلى ضميره عليه السلام للتشريف وقوله تعالى من ظهورهم
بدل من بني آدم بدل البعض كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم ومن في الموضعين ابتدائية
وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الإبهام والتفصيل عقيب الإجمال وتنبيه على أن الميثاق
قد أخذ منهم وهم في أصلاب الآباء ولم يستودعوا في أرحام الأمهات وقوله تعالى ذريتهم مفعول أخذ
أخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع إليه ولمراعاة أصالته ومنشئيته ولما مر مرارا من
التشويق إلى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم أولادهم على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجا أوليا كما اندرج أسلافهم في بني آدم كذلك وتخصيصهما باليهود
سلفا وخلفا مع أن ما أريد بيانه من بديع صنع الله عز وجل شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل
وجزالة التمثيل وأشهدهم على أنفسهم أي أشهد كل واحدة من أولئك الذريات المأخوذين من ظهور آبائهم
على نفسها لا على غيرها تقريرا لها بربوبيته التامة وما تستتبعه من المعبودية على الاختصاص وغير ذلك من
أحكامها وقوله تعالى ألست بربكم على إرادة القول أي قائلا ألست بربكم ومالك أمركم ومربيكم على الإطلاق
من غير أن يكون لأحد مدخل في شأن من شؤونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى
قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا بلى شهدنا أي على أنفسنا
بأنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك كما ورد في الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى إياهم في مبدأ الفطرة
مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والأنفس المؤدية إلى التوحيد والإسلام كما ينطق به
قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى
إياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصائر ونصب لهم في الآفاق والأنفس
من الدلائل تمكينا تاما ومن تمكنهم منها تمكنا كاملا وتعرضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حمله تعالى إياهم على الاعتراف
بها بطريق الأمر ومن مسارعتهم إلى ذلك من غير تلعثم أصلا من غير أن يكون هناك أخذ وإشهاد وسؤال وجواب
كما في قوله تعالى فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله تعالى أن تقولوا بالتاء على الالتفات
الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معاصريه من اليهود تشديدا في الإلزام أو إليهم
وإلى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث إنهم مخاطبون بقوله تعالى ألست بربكم فإنه ليس من الكلام المحكي
وقرئ بالياء على أن الضمير للذرية وأيا ما كان فهو مفعول له لما قبله من الأخذ والإشهاد أي
فعلنا ما فعلنا كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا أيها الكفرة أو يقولوا هم يوم القيامة عند ظهور الأمر
إنا كنا عن هذا عن وحدانية الربوبية وأحكامها غافلين لم ننبه عليه فإنهم حيث جبلوا على ما ذكر من التهيؤ
التام لتحقيق الحق والقوة القريبة منه بالفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك إذ لا سبيل
لأحد إلى إنكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تعالى أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا عطف على أن
تقولوا وأو لمنع الخلو دون الجمع أي هم اخترعوا الإشراك وهم سنوه من قبل زماننا وكنا نحن ذرية

من بعدهم لا نهتدي إلى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل أفتهلكنا بما فعل المبطلون من آبائنا
المضلين بعد ظهور أنهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبر والاستبداد بالرأي أو تؤاخذنا فتهلكنا
الخ فإن ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا أيضا فإن التقليد عند قيام الدلائل
والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له أصلا هذا وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة كما
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من أنه لما خلق الله تعالى آدم عليه السلام مسح ظهره فأخرج منه
كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيمة فقال ألست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم
بما هو كائن إلى يوم القيمة وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن الآية الكريمة فقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال إن الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج
منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون وليس المعنى ثم مسح ظهره فاستخرج
منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون وليس المعنى أنه تعالى أخرج الكل من
ظهره عليه السلام أبناءه الصلبية ومن ظهورهم أبناءهم الصلبية وهكذا إلى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر
الأصلي ظهره عليه السلام بالذات بل أخرج من ظهره عليه السلام أبناءه الصلبية ومن ظهورهم
أبناءهم الصلبية وهكذا إلى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر الأصلي ظهره عليه السلام وكان مساق
الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين إجمالا من غير أن يتعلق بذكر الوسائط غرض علمي نسب
إخراج الكل إليه وأما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وبيان عدم إفادة الاعتذار بإسناد الإشراك إلى آبائهم اقتضى الحال نسبة إخراج
كل واحد منهم إلى ظهور آبائهم من غير تعرض لإخراج الأبناء الصلبية لآدم عليه السلام من ظهره قطعا
وعدم بيان الميثاق في حديث عمر رضي الله عنه ليس بيانا لعدمه ولا مستلزما له وأما ما قالوا من أن
أخذ الميثاق لإسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله تعالى أن تقولوا يوم القيمة إنا كنا عن هذا غافلين
ومعلوم أنه غير واقع لغفلتهم في دار التكليف إذ لا فرد من أفراد البشر يذكر ذلك فمردود لكن لا
بما قيل من أن الله عز وجل قد أوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما أخبروا به فمن أنكره
كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر
الصادق بل بأن قوله تعالى أن تقولوا الخ ليس مفعولا له لقوله تعالى وأشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم
بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الإشهاد والشهادة محفوظا لهم في إلزامهم بل لفعل مضمر ينتصب عليه
الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الأمر بذكر الميثاق وبيان كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا أيها الكفرة
يوم القيمة إنا كنا غافلين عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف وإلا لعملنا بموجبه هذا على
قراءة الجمهور وأما في القراءة بالياء فهو مفعول له لنفس الأمر المضمر العامل في إذ أخذ والمعنى اذكر لهم
الميثاق المأخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا يوم القيمة بالغفلة عنه أو بتقليد الآباء هذا على تقدير
كون قوله تعالى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر فأما على تقدير كونه من كلامه تعالى فهو العامل في أن
تقولوا ولا محذور أصلا إذ المعنى شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر فأما على تقدير كونه من كلامه
تعالى فهو العامل في أن تقولوا يوم القيمة الخ لأنا نذكركم وننبهكم وكذلك إشارة إلى مصدر الفعل الذي

بعده

بعده وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو شأن المشار إليه وبعد منزلته والكاف مقحمة مؤكدة لما أفاده
اسم الإشارة من الفخامة والتقديم على الفعل لإفادة القصر ومحله النصب على المصدرية أي ذلك التفصيل
البليغ المستتبع للمنافع الجليلة نفصل الآيات المذكورة لا غير ذلك ولعلهم يرجعون ولعلهم يرجعون عما هم عليه من
الإصرار على الباطل وتقليد الآباء نفعل التفصيل المذكور فالواو ابتدائية ويجوز أن تكون الثانية
عاطفة على مقدر مترتب على التفصيل أي وكذلك نفصل الآيات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر
وليرجعوا الخ واتل عليهم عطف على المضمر العامل في إذ أخذ وارد في قصة أخرى من الأنباء عن الحور بعد الكور
والضلالة بعد الهدى أي واتل على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا أي خبر الذي له شأن وخطر
وهو أحد علماء بني إسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء أو بلعام بن باعر من الكنعانيين أوتي علم بعض كتب
الله تعالى وقيل هو أمية بن أبي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله تعالى مرسل في ذلك الزمان
رسولا ورجا أن يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والأول
هو الأنسب بمقام توبيخ اليهود بهناتهم فانسلخ منها أي من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة ولم
يخطر بباله أصلا أو خرج منها بالكلية بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره وأياما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ
المنبئ عن الاتصال الخيط بالمحاط خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما أبدا للإيذان بكمال مباينته للآيات
بعد أن كان بينهما كمال الاتصال فأتبعه الشيطان أي تبعه حتى لحقه وأدركه فصار قرينا له وهو
المعنى على قراءة فاتبعه من الافتعال وفيه تلويح بأنه أشد من الشيطان غواية وأتبعه خطواته فكان
من الغاوين فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد أن كان من المهتدين وروي أن قومه
طلبوا إليه أن يدعو على موسى عليه السلام فقال كيف أدعو على من معه الملائكة فلم يزالوا
به حتى فعل فبقوا في التيه ويرده أن التيه كان لموسى عليه السلام روحا وراحة وإنما عذب
بنو إسرائيل وقد كان ذلك بدعائه عليه السلام عليهم كما مر في سورة المائدة ولو شئنا كلام
مستأنف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الآيات ووقوعه في مهاوي الغواية
ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة
أي ولو شئنا رفعه رفعناه أي إلى المنازل العالية للأبرار العالمين بتلك الآيات العاملين بموجبها جميعا
لكن لا بمحض مشيئتنا من غير أن يكون له دخل في ذلك أصلا فإنه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على
تعليق الأجزية بالأفعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل المؤدي إلى الرفع بصرف اختياره
إلى تحصيله كما ينبئ عنه قوله تعالى بها أي بسبب تلك الآيات بأن عمل بموجبها فإن اختياره وإن لم
يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما بخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى منوط به
البتة حيث جريان العادة الإلهية وقد أشير إلى ذلك في الاستدراك بأن أسند إلى ما يؤدي
إلى نقيض ما يؤدي إليه حيث قيل ولكنه أخلد إلى الأرض مع أن الإخلاد إليها أيضا مما لا يتحقق عند
صرف اختياره إليه إلا بخلقه تعالى كأنه قيل ولو شئنا رفعه لمباشرته لسببه لرفعناه بسبب تلك
الآيات التي هي أقوى أسباب الرفع ولكنه لم نشأه لمباشرته لسبب نقيضه فتركناه [illegible]
وما ذكر في الآخر تعويلا على إشعار الذكر بالمطوي كما في قوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له

الاثم وان يؤذيك بغير فلا راد لفضله وتخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان بان الخير مراد
له تعالى بالذات وتفضل محض عليه لا دخل منه لفعله حقيقة كيف لا وجميع افعاله ومباديها من نعمه
تعالى بالذات وتفضل محض عليه لا دخل منه لفعله حقيقة وان نقيضه انما اصابه بسوء اختياره
على موجب الوعيد لا بالارادة الذاتية له سبحانه كما قيل في وجه ذكر الارادة مع الخير والمس
مع الضر في الآية المذكورة وهو السر في جريان السنة القرآنية في اسناد الخير اليه تعالى واضافة
الشر الى الغير كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظايره والاخلاد الى الشيء الميل اليه مع الاطمئنان
والمراد بالارض الدنيا وقيل السافلة والمعنى ولكنه آثر الدنيا الدنية على المنازل السنية
او الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة واتبع هواه معرضا عن تلك الآيات الجليلة فانحط
ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين والى ذلك اشير بقوله تعالى فمثله كمثل الكلب لما انه اخس
الحيوانات واسفلها وقد مثل حاله باخس احواله واذلها حيث قيل ان تحمل عليه يلهث
او تتركه يلهث اي فحاله التي هي مثل في السوء كصفته في ارذل حال وهي دوام اللهث في
حالتي التعب والراحة وكانه قيل فتردى الى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة وايثار
الجملة الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب الخ للايذان بدوام اتصافه
بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقراره واستمراره عليها والخطاب في فعل الشرط لكل احد ممن
له حظ من الخطاب فانه ادخل في اشاعة فظاعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد
اي هو ضيق الحال مكروب دايم اللهث سواء هيجته وازعجته بالطرد العنيف او تركته على حاله
فانه في الكلاب طبع لا يقدر على نفض الهواء المتسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبه
وانقطاع فواده بخلاف ساير الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب
والمضايقة الا عند التعب والاعياء والشرطية مع اختها تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل
لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل له من الاعراب على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون اثر قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقيل هي في محل النصب على الحال
من الكلب بناء على خروجها من حقيقة الشرط وتحولها الى معنى التسوية حسب تحول الاستفهامين
المتنافيين اليه في مثل قوله تعالى أأنذرتهم ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا في الحالتين وايا ما كان
فالاظهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة مما اعتراه بعد الانسلاخ من سوء الحال واضطراب القلب
ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الاحوال بالهيئة المنتزعة مما ذكر
من حال الكلب وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث
كالكلب الى ان هلك ذلك اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة منسوبة الى الكلب او الى المنسلخ وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الخسة والدناءة اي ذلك المثل السيء مثل القوم الذين كذبوا
بآياتنا وهم اليهود حيث اوتوا في التوراة ما اوتوا من نعت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن
المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة فاقصص القصص القصص مصدر سمي به المفعول

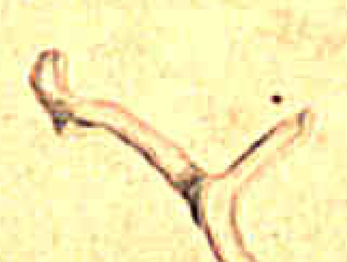
كالنسب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي اذا تحقق ان المثل المذكور مثل هؤلاء
المكذبين فاقصصه عليهم حسبما اوحي اليك لعلهم يتفكرون فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم
عليه من الكفر والضلال ويعلمون انك قد علمته من جهة الوحي فيزدادون ايقانا بك والجملة
في محل النصب على انها حال من ضمير المخاطب او على انها مفعول له اي فاقصص القصص راجيا
لتفكرهم او رجاء لتفكرهم ساء مثلا استيناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونه
كحال الكلب او المنسلخ وساء بمعنى بئس وفاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص
بالذم قوله تعالى القوم الذين كذبوا بآياتنا وحيث وجب التصادق بينه وبين الفاعل والتمييز
وجب المصير الى تقدير مضاف اما اليه وهو الظاهر اي ساء مثلا مثل القوم الخ او الى التمييز
اي ساء اصحاب مثل القوم الخ وقرئ ساء مثل القوم واعادة القوم موصوفا بالموصول
مع كفاية الضمير بان يقال ساء مثلا مثلهم للايذان بان مدار السوء ما في حيز الصلة وقوله
قوله تعالى وانفسهم كانوا يظلمون فانه اما معطوف على كذبوا داخل معه في حكم الصلة بمعنى
جمعوا بين تكذيب آيات الله تعالى بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصة
او منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها وايا ما كان ففي يظلمون
الخ الى ان تكذيبهم بالآيات متضمن للظلم بها وان ذلك ايضا معتبر في القصر المستفاد من تقديم
المفعول من يهد الله فهو المهتدي لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بان يقص قصص المنسلخ
على هؤلاء الضالين الذين مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم عليه من الاخلاد الى الضلالة
ويهتدوا الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة من جهة الله عز وجل وانما
العظة والتذكير من قبيل الوسائط العادية في حصول الاهتداء من غير تاثير لها فيه سوى كونها
دواعي الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط به خلق الله تعالى اياه كسائر افعال العباد
فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لان حقيقتها الدلالة الموصلة الى
البغية البتة بل لانها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التي هي الدلالة الى ما يوصل الى البغية
اي ما من شأنه الايصال اليها كما سبق تحقيقه في تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد مجرد
الاخبار بالاهتداء من هداه الله تعالى حتى يتوهم عدم الافادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هدايته
تعالى للاهتداء ويحمل النظم الكريم على تعظيم شأن الاهتداء والتنبيه على انه في نفسه كمال
جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه بل هو مقصور الاعتداد على من هداه الله تعالى حسبما يقضي به
تعريف الخبر فالمعنى من يهد الله اي يخلق فيه الاهتداء على الوجه المذكور فهو المهتدي لا غير
كائنا من كان ومن يضلل بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها
فاولئك الموصوفون بالضلالة على الوجه المذكور هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران لا غير
وافراد المهتدي نظرا الى لفظ من وجمع الخاسرين نظرا الى معناها للايذان باتحاد نهج الهدى
وتعدد طرق الضلال ولقد ذرأنا لجهنم كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله بطريق التذييل اي
خلقنا لجهنم اي لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعالى كثيرا اي خلقا كثيرا مع كونه

معنوية لما في توابعه من نوع طول يؤدي توسيطه بينهما وتأخيره عنهما الى الاخلال بجزالة النظم الكريم
وقوله تع من الجن والانس متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا اي كائنا منهما وتقديم الجن لانهم اعرق
من الانس في الاتصاف بما نحن فيه من الصفات واكثر عددا واقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت
عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يؤدي الى ذلك
بل لعلمه تع بانهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم
ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما ان جميع الفريقين
باعتبار استعدادهم الكامل الفطري للعبادة وتمكنهم التام منها جعل خلقهم مغيا بها كما نطق
به قوله تع وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تع لهم قلوب في حيز النصب على انه صفة اخرى
وقوله تع لا يفقهون بها في محل الرفع على انه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وابهامها من كونها
غير معهودة مخالفة لسائر افراد الجنس فاقدة لكماله بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم
عن صرفها الى تحصيله وهذا وصف لها بكمال الاعراق في القساوة فانها حيث لم يتأت منها الفقه
بحال فكانها خلقت غير قابلة له رأسا وكذا الحال في اعينهم وآذانهم وحذف المفعول للتعميم اي
لهم قلوب ليس من شانها ان يفقهوا بها شيئا مما شانه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق
ودلائله دخولا اوليا وتخصيصه بذلك مخل بالافصاح عن كنه حالهم ولهم اعين لا يبصرون بها
الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالابصار والسمع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الادراك
على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الاحساس بالشبح والصوت وظيفة اي لا يبصرون
بها شيئا من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا اوليا ولهم آذان
لا يسمعون بها اي شيئا من المسموعات فيتناول الآيات التنزيلية تناولا اوليا واعادة الخبر
في الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها
لتقرير سوء حالهم في اثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء
بان يقال ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين يبصرون بها ولا آذان يسمعون بها من الشهادة
بكمال رسوخهم في الجهل والغواية ما لا يخفى اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما
ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الضلال اي اولئك
الموصوفون بالاوصاف المذكورة كالانعام في انتفاء الشعور على الوجه المذكور او في ان مشاعرهم
متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما من شانها ان تدركه من
المنافع والمضار فتجتهد في جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا كذلك
حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على
العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون ربهم ولا يذكرونه
ولا يطيعونه وفي الخبر كل شيء اطوع لله من ابن آدم اولئك المنعوتون بما مر من مثلية الانعام والشرية
منها هم الغافلون الكاملون في الغفلة المستحقون لان يخص بهم الاسم ولا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم
لا يعرفون من شؤون الله تع ولا من شؤون ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه وليس كمثله شيء وهو السميع العليم

اصنامهم



اصنامهم التي هي من احسن مخلوقاته تع ولله الاسماء الحسنى تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تع وكيفية
المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به من الامور وما لا يليق به اثر بيان غفلتهم
التامة وضلالتهم الطامة والحسنى تانيث الاحسن اي الاسماء التي هي احسن الاسماء واجلها لانبائها
عن احسن المعاني واشرفها فادعوه بها اي فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه الالحاد
واللحد الميل والانحراف يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي اي
يميلون في شانها عن الحق والباطل اما بان يسموه تع بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا
كما في قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا نخي ونحو ذلك فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب
عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تع وسموه به على زعمهم لا اسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك
الاضمار بان يقال يلحدون فيها واما بان يعدلوا في تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا
وما الرحمن ما نعرف سوى رحمن اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء اسماؤه تع حقيقة
فالمعنى سموه تع بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البين واما بان يطلقوها على غيره
تع كما سموا اصنامهم آلهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء اصنامهم كما اشتقوا اللات من الله والعزى
من العزيز فالمراد من الاسماء اسماؤه تع حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار في موقع الاضمار مع
التجريد عن الوصف في الكل للايذان بان الحادهم في نفس الاسماء من غير اعتبار الوصف وليس المراد
بالترك الاجتناب عن ذلك اذ لا يتوهم صدور مثل هذا الالحاد عن المؤمنين ليأمروا بتركه بل
هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة عن قريب كما هو المتبادر من قوله
تع سيجزون ما كانوا يعملون فانه استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من الامر بعدم المبالاة
والاعراض عن المجازاة كانه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه سينزل
بهم عقوبته وتتشفون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا
يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون
اجمالي لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والالحاد عن الحق ومحل
الظرف الرفع على انه مبتدأ اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما في قوله
تع ومن الناس الخ اي وبعض من خلقنا او وبعض ممن خلقنا امة اي طائفة كثيرة يهدون
الناس ملتبسين بالحق او يهدونهم بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون في الحكومات
الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد
اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة الآية وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى
ينزل عيسى عليه السلام وروي لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله وروي لا تزال من
امتي امة قائمة بامر الله تعالى لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم ظاهرون
وفيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للايذان بان اهتداءهم
في انفسهم امر محقق غني عن التصريح به والذين كذبوا باياتنا شروع في تحقيق الحق الذي به يهدي الهادون
وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه الترهيب ومحل الموصول الرفع على انه مبتدأ



حين ما بعده من الجملة الاستقبالية وإضافة الآيات إلى نون العظمة لتشريفها واستعظام الإقدام
على تكذيبها أي والذين كذبوا بآياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل سنستدرجهم
أي نستدنيهم البتة إلى الهلاك شيئاً فشيئاً والاستدراج استفعال من درج إما بمعنى صعد
ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود أو الهبوط أو الاستقامة وإما
بمعنى مشى مشياً ضعيفاً وإما بمعنى طوى والأول هو الأنسب بالمعنى المراد الذي هو النقل
إلى أعلى درجات المهالك ليبلغ أقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي
من حال إلى حال من الأحوال الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه بحيث يزعم أن ذلك ترقٍّ في
مراقي منافعه مع أنه في الحقيقة تردٍّ في مهاوي مصارعه فاستدراجه سبحانه إياهم أن يواتر
عليهم النعم مع انهماكهم في الغي فيحسبوا أنها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطراً وطغياناً لكن
أن المطلوب تدرجهم في مدارج المعاصي إلى أن يحق عليهم كلمة العذاب على أفظع حال وأشنعها
والأول وسيلة إليه وقوله تعالى من حيث لا يعلمون متعلق بمضمر وقع صفة لمصدر الفعل المذكور أي
سنستدرجهم استدراجاً كائناً من حيث لا يعلمون أنه كذلك بل يحسبون أنه أثرة من الله تعالى وتقرب
منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم وأملي لهم عطف على سنستدرجهم غير داخل في حكم السين لما أن
الإملاء الذي هو عبارة عن الإمهال والإطالة ليس من الأمور التدريجية كالاستدراج الحاصل
في نفسه شيئاً فشيئاً بل هو فعل يحصل دفعة وإنما الحاصل بطريق التدريج آثاره وأحكامه
لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه من الافتنان المنبئ عن مزيد الاعتناء
بمضمون الكلام لابتنائه على تجديد القصد والعزيمة وأما أن ذلك للإشعار بأنه بمحض التقدير
الإلهي والاستدراج بتوسط المدبرات فأباه دلالة نون العظمة على الشركة وأنى ذلك والإله
لا يحترز عن إيرادها في أمثال هذه الموارد تطريباً على سنن الكبرياء إن كيدي متين تقرير
للوعد وتأكيد له أي قوي لا يدافع بقوة ولا بحيلة والمراد به إما الاستدراج والإملاء مع نتيجتهما التي
هي الأخذ الشديد على غرة فتسميته كيداً لما أن ظاهره لطف وباطنه قهر وإما نفس ذلك الأخذ فقط
فالتسمية لكون مقدماته كذلك وأما أن حقيقة الكيد هو الأخذ على خفاء من غير أن يعتبر فيه إظهار
خلاف ما أبطنه فمما لا تعويل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة استدعائه لاعتبار القيد المذكور حتماً
أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة كلام مبتدأ مسوق لإنكار عدم تفكرهم في شأنه عليه السلام وجهلهم
بحقيقة حاله الموجبة للإيمان به وبما أنزل عليه من الآيات التي كذبوا بها والهمزة للإنكار والتعجب
والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم وسباقه وما إما استفهامية إنكارية
في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم وإما نافية اسمها جنة وخبرها بصاحبهم والجنة من الجنون
التي يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها للتقليل والتحقير والجملة معلقة بفعل التفكر لكونه
من أفعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار أي أكذبوا بها ولم يتفكروا في أي شيء من
جنون ما كائن بصاحبهم الذي هو أعظم الهداة الهادية بالحق وعليه أنزلت تلك الآيات أو في أنه
ليس بصاحبهم شيء من جنة حتى يؤديهم التفكر في ذلك إلى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا



به وبما أنزل عليه من الآيات وقيل قد تم الكلام عند قوله تعالى أولم يتفكروا أي أكذبوا بها
ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدئ فقيل أي شيء بصاحبهم من جنة على طريقة الإنكار والتعجيب
والتبكيت أو قيل ليس بصاحبهم شيء منها والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم
للإيذان بأن طول مصاحبتهم له عليه السلام مما يطلعهم على نزاهته عليه السلام عن شائبة
ما ذكر ففيه تأكيد للنكير وتشديد له والتعرض لنفي الجنون عنه صلى الله عليه وسلم
مع وضوح استحالة ثبوته له عليه السلام لما أن التكلم بما هو خارق لقضية العقول وأنه
لا يصدر إلا عمن به مس من الجنون كيفما اتفق من غير أن يكون له أصل ومعنى أو عمن له تأييد إلهي يخبره
من الأمور الغيبية وإذ ليس به عليه السلام شائبة الأول تعين أنه عليه السلام مؤيد من عند الله تعالى
وقيل إنه عليه السلام علا الصفا ليلاً فجعل يدعوهم فخذاً فخذاً يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم
إن صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت إلى الصباح فنزلت فالتصريح بنفي الجنون حينئذ للرد على عظيمتهم
الشنعاء والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم وارد على شاكلة كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكورة وقوله
تعالى إن هو إلا نذير مبين جملة مقررة لمضمون ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله صلى الله عليه وسلم على نهج
قوله إن هذا إلا ملك كريم بعد قوله تعالى ما هذا بشراً أي ما هو عليه السلام إلا مبالغ في الإنذار مظهر
له غاية الإظهار إبرازاً لكمال الرأفة ومبالغة في الإعذار وقوله تعالى أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض
استئناف آخر مسوق للإنكار والتوبيخ بإخلالهم بالتأمل في الآيات التكوينية المنصوبة في الآفاق
والأنفس الشاهدة بصحة مضمون الآيات المنزلة إثر ما نعي عليهم إخلالهم بالتفكر في شأنه عليه السلام
والهمزة لما ذكر من الإنكار والتعجب والتوبيخ والواو للعطف على المقدر المذكور أو على الجملة المنفية بلم
والملكوت الملك العظيم أي أكذبوا بها ولم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تأمل فيما يدل عليه السموات
والأرض من عظم الملك وكمال القدرة وما خلق الله أي وفيما خلق فيهما على أنه عطف على ملكوت وتخصيصه
بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما أو وفي ملكوت ما خلق على أنه عطف على السموات والأرض والتعميم لاشتراك
الكل في الدلالة على عظم الملك في الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وقوله
تعالى من شيء بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها
والمعنى أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما ينطلق عليه
اسم الشيء ليدلهم ذلك على الحكم بوحدانيته تعالى وبسائر شؤونه التي ينطق بها تلك الآيات فيؤمنوا
بها لاتحادهما في المدلول فإن كل فرد من أفراد الأكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع المجيد
وسبيل واضح إلى عالم التوحيد وقوله تعالى وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم عطف على ملكوت وأن
مخففة من أن واسمها ضمير الشأن وخبرها عسى مع فاعلها الذي هو أن يكون واسم يكون أيضاً ضمير
الشأن والخبر قد اقترب أجلهم والمعنى أولم ينظروا في أن الشأن عسى أن يكون الشأن قد اقترب
أجلهم ويجوز أن يكون اسم يكون أجلهم وخبرها قد اقترب على أنها جملة من فعل وفاعل هو ضمير
أجلهم لتقدمه حكماً وأياً ما كان فمناط الإنكار والتوبيخ تأخيرهم للنظر والتأمل أي لعلهم يموتون
عما قريب فما لهم لا يسارعون إلى التدبر في الآيات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الآيات القرآنية



وقد جوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم لها وبحثهم
عنها وقوله عز وجل فبأي حديث بعده يؤمنون قطع للاحتمال ايمانهم رأسا ونفي له بالكلية مرتب
على ما ذكر من تكذيبهم بالآيات واخلالهم بالتفكر والنظر فيها والباء متعلقة بيؤمنون وضمير بعده
للآيات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير باعتبار كونها قرآنا ومآل بالها بالمذكور
واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من احواله
عليه السلام واحوال المصنوعات فبأي حديث بعده يؤمنون من بعد تكذيبه مع قوة مثل هذه
الشواهد القوية كلا وهيهات وقيل الضمير للقرآن والمعنى فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون
اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وقيل هو لما ذكر وتنكيت لهم مرتب على اخلالهم بالمسارعة
الى التأمل فيما ذكر كأنه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن قبل الفوت
وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقيل الضمير لاجلهم
والمعنى فبأي حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم على حذف مضاف
اي فبأي حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له استئناف
مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى ويذرهم في طغيانهم بالياء والرفع على الاستئناف
وهو يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اي ونحن نذرهم وقرئ
بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم وقد روي
الجزم بالنون عن نافع وابي عمرو في الشواذ وقوله تعالى يعمهون اي يترددون ويتحيرون حال من مفعول
يذرهم وتوحيد الضمير في حيز النفي نظرا الى لفظ من وجمعه في حيز الاثبات نظرا الى معناها
للتنصيص على شمول النفي والاثبات للكل يسألونك عن الساعة استئناف مسوق لبيان بعض احكام
ضلالهم وطغيانهم اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او
لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة عند الله تعالى مع طولها في نفسها قيل ان قوما من اليهود قالوا
يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم انه تعالى
قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى ايان مرساها بفتح الهمزة وقد قرئ بكسرها
وهو ظرف زمان متضمن معنى الاستفهام ويليه المبتدأ والفعل المضارع دون الماضي بخلاف
متى حيث يليها كلاهما قيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت وهو من اوى الى
الشيء لان البعض آو الى الكل متساند اليه محله الرفع على انه الخبر مقدم ومرساها مبتدأ او جر اي
ارساؤها اي اثباتها وتقريرها فانه مصدر ميمي من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا في
الشيء الثقيل كما في قوله تعالى والجبال ارساها ومنه مرساة السفن ومحل الجملة قيل الجر على البدلية من
الساعة والتحقيق ان محلها النصب بنزع الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط
كأنه قيل يسألونك عن الساعة عن ايان مرساها وفي تعليق السؤال بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها
ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلي من السؤال نفسها باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار
كونه محلا لها وقد سلك هذا المسلك في الجواب الملقن ايضا حيث اضيف العلم المطلوب بالسؤال

الى ضميرها



ضميرها فاخبر باختصاصه به عز وجل حيث قيل قل انما علمها اي علمها بالاعتبار المذكور عند ربي ولم
يقل انما علم وقت ارسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حمل النظم الكريم على حذف المضاف والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان توفيقه عليه السلام للجواب على الوجه المذكور
من باب التربية والارشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة انه تعالى قد استأثر به بحيث لم يخبر به احدا من
ملك مقرب او نبي مرسل وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو بيان لاستمرار تلك الحالة الى حين قيامها
واقناط كلي عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء الحكمة التشريعية اياه
فانه ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك والمعنى لا يكشف عنها
ولا يظهر للناس امرها الذي تسألون عنه الا هو بالذات من غير ان يشعر به احد من المخلوقين فيتوسط
في اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها مع خفيته كما هو المسؤول بل بان يقيمها فيشاهدوها عيانا كما
ينبئ عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام وقوله تعالى لوقتها اي في وقتها قيد للتجلية بعد ورود
الاستثناء عليها لا قبله كأنه قيل لا يجليها الا هو في وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه من اول
الامر على ان تجليتها ليست بطريق الاخبار بوقتها بل باظهار عينها في وقتها الذي يسألون عنه
وقوله تعالى ثقلت في السموات والارض استئناف كما قبله مقرر لمضمون ما قبله اي كبرت وشقت على
اهلها من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم
حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل ثقلت فيهما اذ لا يطيقها منهما ومما فيهما
شيء اصلا والاول هو الانسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى لا تأتيكم الا بغتة فانه ايضا استئناف
مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء اي لا تأتيكم الا فجأة على غفلة كما قال
صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم
سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك حفي عنها استئناف مسوق لبيان خطائهم
في توجيه السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم انه عليه السلام عالم بالمسؤول عنه او ان
العلم بذلك من مواجب الرسالة اثر بيان خطائهم في اصل السؤال باعلام شأن المسؤول عنه والجملة
التشبيهية في محل النصب على انها حال من الكاف جيء بها بيانا لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم
واشعارا بخطائهم في ذلك اي يسألونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفي عنها اي مبالغ في
العلم بها فعيل من حفي وحقيقته كأنك مبالغ في السؤال عنها فان ذلك في حكم المبالغة في العلم
لما ان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء
ومنه احفاء الشارب واحفاء البعل اي استئصاله والاحفاء في المسألة اي الالحاف فيها وقيل
عن متعلقة بيسألونك وقوله تعالى كأنك حفي عنها معترض وصلة حفي محذوفة اي حفي بها وقد قرئ
كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فان قريشا قالوا له عليه السلام ان بيننا وبينك قرابة
فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك كأنك حفي تتحفى بهم فتخصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي
امرها عن غيرهم ففيه تخطئة لهم من جهتين وقيل هو من حفي بالشيء بمعنى فرح به والمعنى كأنك فرح
بالسؤال عنها تحبه مع انك كاره له لما انه تعرض للغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه قل انما علمها عند الله



امر عليه السلام باعادة الجواب الاول تاكيدا للحكم وتقريرا له بعلته في الطريقة البرهانية بايراد اسم الذات
المنبئ عن استتباعها لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله تع ولكن
اكثر الناس لا يعلمون اي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها راسا فلا
يعلمون شيئا مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف في وقت وقوعها
فيسألونك عنه جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من موجبات الرسالة فيتخذون السؤال
عنه ذريعة الى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون في جلية الحال من المؤمنين
واما السائلون عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعملوا
بعلمهم وقوله تع قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها اثر
بيان عجز الكل عنه وابطال زعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه عليه السلام ممن يعلمها واعادة
الامر لاظهار كمال العناية بشان الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للاول والتعرض لبيان
عجزه عما ذكر من النفع والضر باثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهاني واللام اما متعلق باملك
او بمحذوف وقع حالا من نفعا اي لا املك لاجل نفسي جلب نفع ما ولا دفع ضر ما الا ما شاء الله
ان املكه من ذلك بان يمكنني منه ويقدرني عليه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن
فالاستثناء منقطع وهذا ابلغ في اظهار العجز ولو كنت اعلم الغيب اي جنس الغيب الذي من جملته ما بين
الاشياء من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية ومن المباينات المستتبعة للممانعة
والمدافعة لاستكثرت من الخير اي لحصلت كثيرا من الخير الذي نيط حصوله بالافعال الاختيارية
للبشر بترتيب اسبابه ودفع موانعه وما مسني السوء اي السوء الذي يمكن التفصي عنه بالتوقي
عن موجباته والمدافعة بموانعه لا سوء ما فان منه ما لا مدفع له ان انا الا نذير وبشير اي ما
انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة شاني حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف
على الغيوب التي لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق به الانذار
من مجيئها لا محالة واقترابها واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح فيه لما
مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصي وتقديم النذير على البشير لما ان المقام مقام الانذار
وقوله تع لقوم يؤمنون اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة
واما بالبشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف اي نذير للكافرين اي الباقين على الكفر وبشير
لقوم يؤمنون اي في اي وقت كان ففيه ترغيب الكفرة في احداث الايمان وتحذير عن الاصرار
على الكفر والطغيان هو الذي خلقكم استيناف سيق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جراءتهم
على الاشراك بتذكير مبادي احوالهم المنافية له وايقاع الموصول خبرا لتفخيم شان المبتدا اي
هو ذلك العظيم الشان الذي خلقكم جميعا وحده من غير ان يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه
من الوجوه من نفس واحدة هو آدم عليه السلام وهذا نوع تفصيل لما اشير اليه في مطلع السورة
الكريمة اجمالا من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم وتصويره وبيان لكيفيته وجعل عطف
على خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه عليه وجودا لما ان الواو لا تستدعي الترتيب في



الوجود منها اي من جنسها كما في قوله تع جعل لكم من انفسكم ازواجا او من جسدها لما يروى انه تع خلق
حوا من ضلع من اضلاع ادم عليه السلام والاول هو الانسب اذ الجنسية هي المؤدية الى الغاية الآتية لا الجزئية
والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تع زوجها مفعوله الاول والثاني هو الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء
والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر
او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى وقوله تع فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا في
مبادي الامر فانه عند كونه نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب
والتعرض لذكر خفته للاشارة الى نعمته تعالى عليهم في انشائه تع اياهم متدرجين في اطوار الخلق من
العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة فمرت به اي فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت
واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وقرئ فمرت بالتخفيف وفارت
من المور وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى
حملت حملا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى منه بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم
تستثقله كما تستثقلنه فمرت به اي مضت به الى ميلاده من غير اخراج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى
فلما اثقلت اذ معناه فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ولا ريب في ان الثقل بهذا المعنى
ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور الذي يعتري بعضهن من اول الحمل الى آخره دون بعض اصلا
وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله اي آدم وحوا عليهما السلام لما دهمهما
امر لم يعهداه ولم يعرفا ماله فاهتما به وتضرعا اليه عز وجل وقوله تع ربهما اي مالك امرهما
الحقيق بان يخص به الدعاء اشارة الى انهما قد صدرا به دعاءهما كما في قولهما ربنا ظلمنا انفسنا الآية ومتعلق
الدعاء محذوف تعويلا على شهادة الجملة القسمية به اي دعواه تع ان يؤتيهما صالحا ووعدا بمقابلته
الشكر في سبيل التوكيد القسمي وقالا او قائلين لئن آتيتنا صالحا اي ولدا من جنسنا سويا لنكونن
نحن ومن يتناسل من ذريتنا من الشاكرين الراسخين في الشكر على نعمائك التي من جملتها هذه النعمة وترتيب
هذا الجواب على الشرط المذكور لما انهما قد علما ان ما علقا به دعاءهما انموذج لسائر افراد الجنس فعبارة
لها ذاتا وصفة ووجوده مستتبع لوجودها وصلاحه مستتبع كانهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا اولادا صالحة
وقيل ان ضمير آتيتنا ايضا لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما وانت خبير بان نظم الكل في سلك الدعاء
اصالة يأباه مقام المبالغة في الاعتنا بشان ما هو بصدده واما جعل ضمير لنكونن للكل فلا محذور
فيه لان توسيع دائرة الشكر غير مخل بالاعتنا المذكور بل مؤكد له وايا ما كان فقوله تع فلما آتاهما
صالحا لما انهما ما طلباه اصالة او استتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا وقوله تع جعلا اي جعل
اولادهما له تعالى شركا على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثقة بوضوح الامر وتعويلا
على ما يعقبه من البيان وكذا الحال في قوله تع فيما آتاهما اي فيما آتى اولادهما من الاولاد حيث سموهم
بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص اشراكهم هذا بالذكر في مقام التوبيخ مع ان اشراكهم
بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر في مقابلة
نعمة الولد الصالح واول كفرهم في حقه انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ شركا اي شركة



او ذوي شركة اي شركاء وان ما ذكر من حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اعتماداً
اليه فيما يكون للفعل ملابسة ما بالمضاف اليه بسرايته اليه حقيقة او حكما ويتضمن نسبته اليه
نوع مزية يقتضيها المقام كما في مثل قوله تع واذ نجيناكم من آل فرعون الآية فان الانجاء منهم مع
ان تعلقه حقيقة ليس الا باسلاف اليهود وقد نسب الى اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية
لمقام الامتنان حقه وكذا في قوله تع قل فلم تقتلون انبياء الله الآية فان القتل حقيقة مع كونه
من جنايات آبائهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ والتبكيت ولا ريب
في انهما عليهما السلام بريئان من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه فما وجه اسناده
اليهما صورة قلنا وجهه الايذان بتركهما الاولى حيث اقدما على نظم اولادهما في سلك
انعامهما والتزاما شكرهما في ضمن شكرهما واقسما على ذلك قبل ثبوت الحمل ببيان ان اخلالهم
بالشكر الذي وعداه وعدا مؤكدا باليمين بمنزلة اخلالهما به بالذات في استيجاب الحنث والخلف
مع ما فيه من الاشعار بتضاعف جنايتهم ببيان انهم بجعلهم المذكور اوقعوهما في ورطة الحنث والخلف
وجعلوهما كانهما باشراه بالذات فجمعوا بين الجناية عليهما عليهما السلام فتعالى الله عما يشركون
تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكام قدرته تع وآثار نعمته الزاجرة عن الشرك
الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعيين الفاعل وتنزيه آدم وحواء عليهما السلام
عن ذلك وما في عما اما مصدرية اي عن اشراكهم او موصولة او موصوفة اي عما يشركونه به سبحانه
والمراد باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما اوليا وقرئ
تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي من قريش والمراد بالنفس
الواحدة نفس قصي فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من
الله تع ولدا فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد
الدار وضمير يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حواء اتاها ابليس
في صورة رجل فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين
من ان يخرج فخافت من ذلك فذكرته لآدم عليه السلام فاهمهما ذلك ثم عاد اليها وقال اني من الله
بمنزلة فان دعوته ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه
حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث فمما لا تعويل عليه كيف لا وانه عليه السلام
كان علما في علم الاسماء والمسميات فعدم علمه بابليس واسمه واتباعه اياه في مثل هذا الشأن الخطير
امر قريب من المحال والله اعلم بحقيقة الحال ايشركون استئناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين
واستقباح اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شأن ما اشركوه به سبحانه وتفصيل
احواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه في حقه اي ايشركون به تعالى ما لا يخلق شيئا اي لا يقدر
على ان يخلق شيئا من الاشياء اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله تع
وهم يخلقون عطف على لا يخلق وايراد الضميرين بجمع العقلاء مع رجوعهما الى ما المعبر بها عن الاصنام
انما هو حسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى العقلاء وتسميتهم آلهة وكذا في حال سائر الضمائر



الآتية ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفي الخالقية لابانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه
في حقها واظهار غاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر على شيء ما بخالقه وخالق كل شيء بجميع الاشياء
مما لا يمكن ان يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض لخالقها للايذان بتعينه والاستغناء
عن ذكره ولا يستطيعون لهم اي لعبدتهم اذا حزبهم امر مهم وخطب ملم نصرا اي نصرا ما بجلب منفعة
او دفع مضرة ولا انفسهم ينصرون اذا اعتراهم حادثة من الحوادث اي لا يدفعونها عن انفسهم بعد
بيان عجزهم عن ايصال منفعة ما من المنافع الوجودية والعدمية الى عبدتهم وانفسهم
بيان عجزهم عن ايصال منفعة الوجود اليهم او الى انفسهم خلا انهم وصفوا هناك بالمخلوقية
لكونهم اهلا لها وقوله تع وان تدعوهم الى الهدى بيان لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفي عنهم
وايسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد الى طريق حصوله من غير ان يحصله للطالب
والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء بامر التوبيخ والتبكيت اي
ان تدعوهم ايها المشركون الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب او تنجون به عن المكاره
لا يتبعوكم اي مرادكم وطلبتكم وقرئ بالتخفيف وقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
استئناف مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع اي مستو عليكم في عدم الافادة
دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت فانه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله تع
ام انتم صامتون جملة اسمية في معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لانها في قوة ام صمتم عدل
عنها للمبالغة في عدم افادة الدعاء ببيان وانه كالسكوت الدائم المستمر وما قيل من
ان الخطاب للمسلمين والمعنى وان تدعوا المشركين الى الهدى اي الاسلام لا يتبعوكم الخ مما لا يساعده
النظم الكريم وسياقه اصلا على انه لو كان كذلك لقيل عليهم مكان عليكم كما في قوله تع سواء عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم فان استواء الدعاء وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة
الى الداعين فانهم فائزون بفضل الدعوة ان الذين تدعون من دون الله تقرير لما قبله من
عدم اتباعهم لهم اي ان الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الاصنام وتسمونهم آلهة عباد
امثالكم اي مماثلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة
عن النفع والضرر وتشبيهها بهم في ذلك مع كون عجزها عنهما اظهر واقوى من عجزهم انما
هو لاعترافهم بعجز انفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما اذ هو الذي يدعوهم الى عبادتها والاستعانة
بها وقوله تع فادعوهم فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم اي فادعوهم في
جلب نفع او كشف ضير ان كنتم صادقين في زعمكم انهم قادرون على ما انتم عاجزون عنه وقوله
تع الهم ارجل يمشون بها الخ تبكيت اثر تبكيت مؤكد لما يفيده الامر التعجيزي من عدم الاستجابة
ببيان فقدان آلاتها بالكلية فان الاستجابة من الهياكل الجسمانية انما تتصور اذا كان لها حياة
وقوى محركة ومدركة وما ليس له شيء من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كانه قيل الهم هذه
الآلات التي بها تتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الانكار الى كل واحدة من هذه الآلات
الاربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية للتقريع واشعارا بان انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف في الدلالة



في استحالة الاستجابة ووصف الأرجل بالمشي بها للإيذان بأن مدار الإنكار هو الوصف
وإنما وجه إلى الأرجل لا إلى الوصف بأن يقال أيمشون بأرجلهم لتحقيق أنها حيث لم يظهر
منها ما يظهر من سائر الأرجل فهي ليست بأرجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح
الثلاث الباقية وكلمة أم في قوله تعالى أم لهم أيد يبطشون بها منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من
التبكيت والإلزام وبل للإضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه إلى فن آخر
لما ذكر من المزايا والبطش الأخذ بقوة وقرئ يبطُشون بضم الطاء وهي لغة فيه
والمعنى بل ألهم أيد يأخذون بها ما يريدون أخذه وتأخير هذا عما قبله لما أن المشي حالهم
في أنفسهم والبطش حالهم بالنسبة إلى الغير وأما تقديمه في قوله تعالى أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم
آذان يسمعون بها مع أن الكل سواء في أنها من أحوالهم بالنسبة إلى الغير فلمراعاة المقابلة بين الأيدي
والأرجل ولأن انتفاء المشي والبطش أظهر والتبكيت أقوى وأما تقديم الأعين فلأنها
أشهر من الآذان وأظهر عينا وأثرا هذا وقد قرئ إن الذين يدعون من دون الله
عبادا أمثالكم على إعمال إن النافية عمل ما الحجازية أي ما الذين تدعون من دونه تعالى
عبادا أمثالكم بل أدنى منكم فيكون قوله تعالى ألهم الخ تقريرا لنفي المماثلة بإثبات القصور والنقصان
قل ادعوا شركاءكم بعدما تبين أن شركاءهم لا يقدرون على شيء ما أصلا أمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بأن يناصبهم للمحاجة ويكر عليهم التبكيت وإلقام الحجر أي ادعوا شركاءكم في
واستعينوا بهم في ثم كيدون جميعا أنتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادي
الكيد والمكر فلا تنظرون أي فلا تمهلوني ساعة بعدم ترتيب مقدمات الكيد فإني لا أبالي
بكم أصلا إن وليي الله الذي نزل الكتاب تعليل لعدم المبالاة المنفهم من السوق انفهاما جليا و
نعتا بتنزيل الكتاب للإشعار بدليل الولاية والإشارة إلى علة أخرى بعدم المبالاة كأنه قيل
لا أبالي بكم وبشركائكم لأن وليي هو الله الذي نزل الكتاب الناطق بأنه وليي وناصري وبأن
شركاءكم لا يستطيعون نصر أنفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى وهو يتولى الصالحين تذييل مقرر
لمضمون ما قبله أي ومن عادته أن يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم والذين
تدعون أي تعبدونهم من دونه تعالى أو تدعونهم للاستعانة بهم على حسبما أمرتكم به لا يستطيعون
نصركم أي في أمر من الأمور أو في خصوص الأمر المذكور ولا أنفسهم ينصرون إذا نابتهم نائبة
وإن تدعوهم إلى الهدى أي إلى أن يهدوكم إلى ما تحصلون به مقاصدكم في الإطلاق أو في
خصوص الكيد المعهود لا يسمعوا أي دعاءكم فضلا عن المساعدة والإمداد وهذا أبلغ من نفي الاتباع
وقوله تعالى وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون بيان لعجزهم عن الإبصار بعد بيان عجزهم عن السمع
وبه يتم التعليل فلا تكرار أصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون إليك حال من المفعول والجملة
الاسمية حال من فاعل ينظرون أي وترى الأصنام رأي العين يشبهون الناظرين إليك ويخيل
إليك أنهم يبصرونك لما أنهم صنعوا لها أعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها بصورة
من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه والحال أنهم غير قادرين على الإبصار وتوحيد الضمير في تراهم

مع رجوعه إلى المشركين لتوجه الخطاب إلى كل واحد واحد منهم لا إلى الكل من حيث هو كل كالخطابات
السابقة تنبيها على أن رؤية الأصنام على الهيئة المذكورة لا يتسنى للكل معا بل لكل من يواجهها
وقيل ضمير الفاعل في تراهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول في حاله وقيل
للمشركين على أن التعليل قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا أي وترى المشركين ينظرون إليك والحال
أنهم لا يبصرونك كما أنت عليه وعن الحسن أن الخطاب في قوله تعالى وإن تدعوهم للمؤمنين على
أن التعليل قد تم عند قوله تعالى ينصرون أي وإن تدعوا أيها المؤمنون المشركين إلى الإسلام
لا يلتفتوا إليكم ثم خوطب عليه السلام بطريق التجريد بأنك تراهم ينظرون إليك والحال أنهم
لا يبصرونك حق الإبصار تنبيها على أن ما فيه عليه السلام من شواهد النبوة ودلائل الرسالة
من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين خذ العفو بعدما عد من أباطيل المشركين وقبائحهم
ما لا يطاق تحمله أمر صلى الله عليه وسلم بمجامع مكارم الأخلاق التي من جملتها الإغضاء عنهم أي خذ
ما عفا لك من أفعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد
أو خذ العفو من المذنبين أو الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة وأمر بالمعروف
بالجميل المستحسن من الأفعال فإنها قريبة من قبول الناس من غير نكير وأعرض عن الجاهلين من
غير مماراة ولا مكافأة قيل لما نزلت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليهما السلام
فقال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد إن ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من
حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أمر الله تعالى نبيه عليه السلام
بمكارم الأخلاق قيل إنه لما نزلت الآية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب
فنزل قوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسته
للناس وإغراؤه لهم على المعاصي بغرز السائق لما يسوقه وإسناده إلى النزغ من قبيل جد جده
أي وإما يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف ما أمرت به من اعتراء غضب أو نحوه فاستعذ
بالله فالتجئ إليه تعالى من شره إنه سميع يسمع استعاذتك به قولا عليم يعلم تضرعك إليه
قلبا في ضمن القول أو بدونه فيعصمك من شره وقد جوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب على
نهج الاستعارة كما في قول الصديق رضي الله تعالى عنه إن لي شيطانا يعتريني ففيه زيادة تنفير
عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفي الأمر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لأمره وتنبيه على أنه
من الغوائل الصعبة التي لا يتخلص من مضرتها إلا بالالتجاء إلى حرم عصمته عز وجل وقيل يعلم
ما فيه صلاح أمرك فيحملك عليه أو سميع بأقوال من آذاك عليم بأفعاله فيجازيه عليها إن الذين
اتقوا استئناف مقرر لما قبله ببيان أن ما أمر به عليه السلام من الاستعاذة بالله عز وجل
سنة مسلوكة للمتقين والإخلال به دين الغاوين أي إن الذين اتصفوا بوقاية أنفسهم عما
يضرها إذا مسهم طيف من الشيطان أدنى لمة منه على أن تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف
يطوف كأنها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقع بهم أو من طاف به الخيال يطيف طيفا أي ألم
وقرئ طيف على أنه مصدر أو تخفيف من طيّف من الواوي أو اليائي كهين ولين والمراد

بالشيطان الجن ولذلك جمع ضميرهم فيما سيأتي تذكروا أي الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه
فإذا هم بسبب ذلك التذكر مبصرون مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيحترزون عنها
ولا يتبعونه وإخوانهم أي إخوان الشياطين وهم المنهمكون في الغي المعرضون عن وقاية أنفسهم
عن المضار يمدونهم في الغي أي يكون الشياطين مددًا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل
عليه وقرئ يمدونهم من الإمداد ويمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والإغراء
وهؤلاء بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون أي لا يمسكون عن الإغواء حتى يردوهم بالكلية
ويجوز أن يراد بالإخوان يكون الضمير للإخوان أي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز
أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير إلى الجاهلين فيكون الخبر جاريًا على ما هو له وإذا لم
تأتهم بآية من القرآن عند تراخي الوحي أو بآية مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها
اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه أي هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولًا يرون بذلك أن سائر الآيات
كذلك أو هلا تلقيتها من ربك استدعاء قل ردًّا عليهم إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي من غير أن
أن يكون دخل ما في ذلك أصلًا على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى إليه بتوجيه
القصر المستفاد من كلمة إنما إلى نفس الفعل بالنسبة إلى مقابله الذي كلفوه إياه عليه الصلاة والسلام
لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى إليه بتوجيه القصر إلى المفعول بالقياس إلى مفعول
آخر كما هو الشائع في موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه في قوله تعالى إن أتبع إلا ما يوحى إلي كأنه
قيل ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي منه تعالى وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن
المالكية والتبليغ إلى الكمال اللائق مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام من تشريفه صلى الله
عليه وسلم والتنبيه على تأييده ما لا يخفى هذا إشارة إلى القرآن الكريم المدلول عليه بما يوحى إلي
بصائر من ربكم بمنزلة البصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وقيل حجج
بينة وبراهين نيرة ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها أي بصائر كائنة
منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد وجوب الإيمان بها
وقوله تعالى وهدى ورحمة عطف على بصائر وتقديم الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله تعالى لقوم
يؤمنون للإيذان بأن كون القرآن بمنزلة البصائر للقلوب متحقق بالنسبة إلى الكل
وبه تقوم الحجة على الجميع وأما كونه هدى ورحمة فمختص بالمؤمنين به إذ هم المقتبسون من
أنواره والمغتنمون بآثاره والجملة من تمام القول المأمور به وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له
إرشاد إلى طريق الفوز بما أشير إليه من المنافع الجليلة التي ينطوي عليها القرآن الذي ذكر
شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول وأنصتوا أي واسكتوا في خلال القرآن
وراعوها إلى انقضائها تعظيمًا وتكريمًا وتكميلًا للاستماع لعلكم ترحمون أي تفوزون بالرحمة
التي هي أقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضي وجوب الاستماع والإنصات عند قراءة
القرآن في الصلاة وغيرها وقيل معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا
له وجمهور الصحابة رضي الله عنهم على أنه في استماع المؤتم وقد روي أنهم كانوا يتكلمون في

الصلاة

الصلاة فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن
النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في المكتوبة وقرأ أصحابه رضي الله عنهم معه خلفه فنزلت وأما
خارج الصلاة فعامة العلماء على استحبابهما والآية إما من تمام القول المأمور به أو الاستئناف
من جهته تعالى فقوله تعالى واذكر ربك في نفسك على الأول عطف على قل وعلى الثاني فيه تجريد للخطاب
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام في الأذكار كافة فإن الإخفاء أدخل في الإخلاص
وأقرب من الإجابة تضرعًا وخيفة أي متضرعًا وخائفًا ودون الجهر من القول أي
ومتكلمًا كلامًا دون الجهر فإنه أقرب إلى حسن التفكر بالغدو والآصال متعلق باذكر أي
اذكره في وقت الغدوات والعشيات وقرئ والإيصال وهو مصدر آصل أي دخل في
الأصيل موافق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى إن الذين عند ربك وهم الملائكة
عليهم الصلاة والسلام ومعنى كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم
على طاعته تعالى لا يستكبرون عن عبادته بل يؤدونها حسبما أمروا به ويسبحونه أي ينزهونه عن
كل ما لا يليق بجناب كبريائه وله يسجدون أي يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به
شيئًا وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن النبي صلى الله عليه وسلم
إذا قرأ ابن آدم آية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد
فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الأعراف جعل
الله يوم القيامة بينه وبين إبليس سترًا وكان آدم شفيعًا له يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي واعتمادي
يسألونك عن الأنفال النفل الغنيمة سميت به لأنها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو الأصل
الأجر في الجهاد من الثواب الأخروي ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم
وقرئ علنفال بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام روي
أن المسلمين اختلفوا في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم
ولمن الحكم فيها للمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعًا وقيل إن الشبان قد أبلوا يومئذ بلاءً
حسنًا فقتلوا سبعين وأسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه
الذين كانوا عند الرايات كنا ردءًا لكم وفئة تنحازون إليها حتى قال سعد بن معاذ لرسول
الله صلى الله عليه وسلم والله ما منعنا أن نطلب ما طلب هؤلاء زهادة في الأجر ولا جبن من العدو
ولكن كرهنا أن نرى مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبي صلى الله
عليه السلام قد شرط لمن كان له بلاء أن ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من القتل والأسر فسألوه
عليه السلام ما شرط لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت

أصحابك فنزلت والأول هو الظاهر لما أن السؤال استعلام لحكم الأنفال بقضية كلمة
في الاستعطاء لنفسهما كما نطق به الوجه الأخير وادعاء زيادة عن التعسف ظاهر والاستدلال
عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وعلي بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر
الصادق وعكرمة وعطاء يسألونك الأنفال غير منتهض فإن مبناها كما قالوا على الحذف
والإيصال كما يعرب عنه الجواب بقوله عز وجل قل الأنفال لله والرسول أي حكمها مختص
به تعالى يقسمها الرسول عليه السلام كيفما أمر به من غير أن يدخل فيه رأي أحد ولو كان السؤال استعطاء
لما كان هذا جوابا له فإن اختصاص حكم ما شرط لهم من الأنفال بالله والرسول لا ينافي إعطاءها
إياهم بل يحققه لأنهم إنما يسألونها بموجب شرط الرسول عليه السلام الصادر عنه بإذن الله تعالى
لا بحكم سبق أيديهم إليها أو نحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على معنى أن الأنفال
بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا من كان مما لا سبيل
إليه قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء أن ثبوته بدليل متأخر التزام لتكرر النسخ
من غير علم بالناسخ الأخير ولا مساغ للمصير إلى ما ذهب إليه مجاهد وعكرمة والسدي من أن الأنفال
كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لأحد فيها شيء بهذه الآية فنسخت بقوله تعالى
فأن لله خمسه وللرسول لما أن المراد بالأنفال فيما قالوا هو المعنى الأول حتما كما ينطق به قوله
تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء الآية على أن الحق أنه لا نسخ حينئذ أيضا حسبما قاله عبد الرحمن بن زيد
بن أسلم بل بين في صدر السورة الكريمة إجمالا أن أمرها مفوض إلى الله تعالى ورسوله ثم بين مصارفها
وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم من الاختصاص برسول الله صلى الله عليه وسلم
على الأنفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام للعهد مع بقاء استحقاق المنفل في سائر الأنفال المشروطة
يأباه مقام بيان الأحكام كما ينبئ عنه إظهار الأنفال في موضع الإضمار على أن الجواب عن سؤال الموعود
ببيان كونه عليه السلام خاصة مما لا يليق بشأنه الكريم أصلا وقد روي عن سعد بن أبي وقاص
أنه قال قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأعجبني فجئت به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن الله تعالى قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال عليه السلام
ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا الله تعالى من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت
إلا قليلا حتى نزلت سورة الأنفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد إنك سألتني السيف
وليس لي وقد صار لي فاذهب فخذه وهكذا كما ترى يقتضي عدم وقوع التنفيل يومئذ وإلا لكان سؤال
السيف من سعد بموجب شرطه عليه السلام ووعده لا بطريق الهبة المبتدأة وحمل ذلك من سعد على مراعاة
الأدب مع كون سؤاله بموجب الشرط يرده رده عليه السلام قبل النزول وترتيبه على قوله صار لي ضرورة
أن مناط صيرورته له عليه السلام قوله تعالى الأنفال لله والرسول والغرض أنه المانع من إعطاء المسؤول
وتمام هو نص في الباب قوله عز وجل فاتقوا الله إذا كان أمر الغنائم لله تعالى ورسوله فاتقوا
واجتنبوا ما كنتم فيه من التشاجر فيها والاختلاف الموجب لسخطه تعالى أو فاتقوه في كل ما تأتون وما تذرون
فيدخل فيه ما ذكر دخولا أوليا ولو كان السؤال طلبا للمشروط لما كان فيه محذور يجب اتقاؤه وإظهار الاسم الجليل

لتربية المهابة وتعليل الحكم وأصلحوا ذات بينكم يعني ما بينهم من الحال لملابستها التامة ببينهم
صاحبة له كما جعلت الأمور المضمرة في الصدور ذات الصدور أي أصلحوا ما بينكم من الأحوال بالمواساة
والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل عليكم وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معشر أصحاب بدر حين
اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله تعالى من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات
البين وعن عطاء كان الإصلاح بينهم أن دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا
وأنفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض وأطيعوا الله ورسوله بتسليم أمره ونهيه وتوسيط الأمر
بإصلاح ذات البين بين الأمر بالتقوى والأمر بالطاعة إن كنتم مؤمنين متعلق بالأوامر الثلاثة
والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه وهو الجواب في الخلاف المشهور وأيا ما كان فالمقصود
تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم على المسارعة إلى الامتثال
والمراد بالإيمان كماله أي إن كنتم كاملي الإيمان فإن كمال الإيمان يدور على هذه الخصال
الثلاث طاعة الأوامر واتقاء المعاصي وإصلاح ذات البين بالعدل والإحسان إنما المؤمنون
جملة مستأنفة مسوقة لبيان من أريد بالمؤمنين بذكر أوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال
الثلاث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالأوامر المذكورة أي إنما الكاملون في الإيمان
المخلصون فيه الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي فزعت لمجرد ذكره من غير أن يذكر هناك
ما يوجب الفزع من صفاته وأفعاله استعظاما لشأنه الجليل وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم
بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي لغة
وقرئ فرقت أي خافت وإذا تليت عليهم آياته أي آية كانت زادتهم إيمانا أي
يقينا وطمأنينة نفس فإن تظاهر الأدلة وتعاضد الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة
اليقين وقيل إن نفس الإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان وإنما زيادته باعتبار زيادة المؤمن به
فإنه كلما نزلت آية صدق بها المؤمن فزاد إيمانه عددا وأما نفس الإيمان فهو بحاله وقيل
باعتبار أن الأعمال تجعل من الإيمان فيزيد بزيادتها والأصوب أن نفس التصديق يقبل القوة
التي عبر عنها بالزيادة للفرق البين بين يقين الأنبياء وأرباب المكاشفات ويقين آحاد الأمة وعليه
مبني ما قال علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذا بين ما قام عليه دليل واحد
وما قامت عليه أدلة كثيرة وعلى ربهم مالكهم ومدبر أمورهم خاصة يتوكلون يفوضون
أمورهم لا إلى أحد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم
ينفقون مرفوع على أنه نعت للموصول الأول أو بدل منه أو بيان له أو منصوب على
القطع المنبئ عن المدح ذكر أولا من أعمالهم الحسنة أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل
ثم عقب بأعمال الجوارح من الصلاة والصدقة أولئك إشارة إلى من ذكرت صفاتهم الحميدة من
حيث إنهم متصفون بها وفيه دلالة على أنهم متميزون بذلك عمن عداهم أكمل تميز منتظمون
بسببه في سلك الأمور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم

في الشرف **هم المؤمنون حقا** لأنهم حققوا إيمانهم بأن ضموا إليه ما فصل من أفاضل الأعمال القلبية
والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف أي أولئك هم المؤمنون إيمانا حقا أو مصدر مؤكد للجملة
أي حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا **لهم درجات** من الكرامة والزلفى وقيل درجات
من الكرامة عالية في الجنة وهو إما جملة مبنية على سؤال نشأ من تعداد مناقبهم كأنه قيل
ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت أو خبر ثان لأولئك وقوله تعالى **عند ربهم**
إما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما أفادها التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الإضافية أي كائنة عنده تعالى أو بما تعلق به الجار من الاستقرار وفي إضافة
الظرف إلى الرب المضاف إلى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم وإيذان بأن ما وعد لهم متيقن
الثبوت والحصول مأمون الفوات **ومغفرة** لما فرط منهم **ورزق كريم** لا ينقطع مدده ولا ينتهي
عدده وهو ما أعد لهم من نعيم الجنة **كما أخرجك ربك من بيتك بالحق** الكاف في محل الرفع على أنه خبر
مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعني أن حالهم في كراهتهم لما رأيت مع كونه
حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق أو في محل النصب على أنه صفة لمصدر مقدر
في قوله تعالى الأنفال لله أي الأنفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم مثل ثبات إخراج ربك
إياك من بيتك في المدينة أو من المدينة إخراجا ملتبسا بالحق **وإن فريقا من المؤمنين لكارهون**
أي والحال أن فريقا منهم كارهون للخروج وإما لنفرة الطبع عن القتال أو لعدم الاستعداد
وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان
وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل عليه السلام فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقي العير لكثرة
الخير وقلة القدم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء
النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابها محمد لم تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس
بن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها إني رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها
فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل
ما يرضى رجالهم أن يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير فقيل له
إن العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس إلى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر
الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وأن محمدا عليه
الصلاة والسلام لم يصب العير وأنا قد أغضضناه فمضى بهم إلى بدر وبدر ماء كانت العرب
تجتمع لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين
إما العير وإما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال ما تقولون إن القوم قد خرجوا
من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم النفير قالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو
فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا
أبو جهل قد أقبل فقال يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عندما غضب النبي صلى الله عليه
وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله

لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف منك رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض
لما أمرك الله تعالى فإنا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام
اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت
منا عين تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الأنصار
لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت
في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا يكون الأنصار
ترى عليهم نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة فقال سعد بن معاذ لكأنك تريدنا يا رسول الله عليك السلام
قال أجل قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا
على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته
لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء
ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله تعالى ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونشطه قول سعد رضي الله عنه ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا فإن الله تعالى وعدني
إحدى الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم وروي أنه قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه
لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لأن الله تعالى وعدك إحدى الطائفتين وقد
أعطاك ما وعدك **يجادلونك في الحق** الذي هو تلقي النفير لإيثارهم عليه تلقي العير
والجملة استئناف أو حال ثانية أي أخرجك في حال مجادلتهم إياك ويجوز أن يكون حالا من
الضمير في لكارهون وقوله تعالى **بعدما تبين** منصوب بيجادلونك وما مصدرية أي بعد تبين
الحق لهم بإعلامك أنهم ينصرون أينما توجهوا ويقولون ما كان خروجنا إلا للعير وهلا قلت
لنا لنستعد ونتأهب وكان ذلك لكراهتهم القتال **كأنما يساقون إلى الموت** الكاف في محل النصب
على الحالية من الضمير في لكارهون أي مشبهين بالذين يساقون بالعنف والصغار إلى القتل **وهم ينظرون**
حال من ضمير يساقون أي والحال أنهم ينظرون إلى أسباب الموت ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه
المرتبة من الخوف والجزع إلا لقلة عددهم وعدم تأهبهم وكونهم رجالة روي أنه لم يكن فيهم إلا فارسان
وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين كلام مستأنف مسوق لبيان جميل صنع الله تعالى عز وجل
بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة وقصور الرأي والخوف والجزع وإذ منصوب
على المفعولية بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات وإحدى الطائفتين مفعول
ثان ليعدكم أي اذكروا وقت وعد الله إياكم إحدى الطائفتين وتذكير الوقت مع أن المقصود تذكير
ما فيه من الحوادث بتفاصيلها فإذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كأنه مشاهد عيانا وقرئ
يعدكم بسكون الدال تخفيفا وصيغة المضارع حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى
أنها لكم بدل اشتمال من إحدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد أي يعدكم إحدى الطائفتين
كائنة لكم مختصة بكم مسخرة تتسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم **وتودون**

عطف على يعدكم داخل تحت الأمر بالذكر أي تحبون أن غير ذات الشوكة تكون لكم من الطائفتين
لا ذات الشوكة وهي النفير ورئيسهم أبو جهل وهم ألف مقاتل وغير ذات الشوكة هي العير إذ لم يكن فيها
إلا أربعون فارسا ورئيسهم أبو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتها
وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافاة النفير والشوكة الحدة مستعار من واحد الشوك وشوك
القنا شباها ويريد الله عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم لطف الله تعالى بهم مع
دناءة هممهم وقصور آرائهم أي اذكروا وقت وعده تعالى إياكم إحدى الطائفتين وودادتكم لأدناهما
وإرادته تعالى لأعلاهما وذلك قوله تعالى أن يحق الحق أي يثبته ويعليه بكلماته أي بآياته المنزلة
في هذا الشأن أو بأوامره للملائكة بالإمداد وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر
وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين أي آخرهم ويستأصلهم بالمرة والمعنى أنتم تريدون سفساف
الأمور والله عز وجل يريد معاليها وما يرجع إلى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين وشتان بين
المرادين وقوله تعالى ليحق الحق ويبطل الباطل جملة مستأنفة سيقت لبيان الحكمة الداعية إلى
اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع إرادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مؤخر عنها أي لهذه
الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشيء آخر وليس فيه تكرار إذ الأول لبيان تفاوت ما بين الإرادتين
وهذا لبيان الحكمة الداعية إلى ما ذكر ومعنى إحقاق الحق إظهار حقيته لا جعله حقا بعد أن لم
يكن كذلك وكذا حال إبطال الباطل ولو كره المجرمون أي المشركون ذلك أي إحقاق الحق وإبطال
الباطل إذ تستغيثون ربكم بدل من إذ يعدكم معمول لعامله إذ تذكير استمدادهم منه سبحانه
والتجائهم إليه تعالى حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وإمداده تعالى وقيل متعلق
بقوله تعالى ليحق الحق على الظرفية وما قيل من أن قوله تعالى ليحق مستقبل لأنه منصوب بأن فلا يمكن
عمله في إذ لأنه ظرف لما مضى ليس بشيء لأن كونه مستقبلا إنما هو بالنسبة إلى ما هو غاية له من الفعل
المقدر لا بالنسبة إلى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد وإنما عبر عن زمانها
بإذ نظرا إلى زمان النزول وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها العجيبة وقيل متعلق بمضمر مستأنف أي اذكروا وقت استغاثتكم وذلك أنهم لما علموا
أنه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين أي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين
أغثنا وعن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى المشركين وهم ألف
وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي
ما وعدتني إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر
فألقاه على منكبيه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك
ما وعدك فاستجاب لكم عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير لما عرفت أنه ماض صيغة
الاستقبال لاستحضار أني ممدكم أي بأني فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ
بكسر الهمزة على إرادة القول أو على إجراء استجاب مجرى قال لأن الاستجابة من مقولة القول
بألف من الملائكة مردفين أي جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لأنفسهم فالمراد بهم رؤساؤهم

المستتبعون

المستتبعون لغيرهم وقد اكتفى ههنا بهذا البيان الإجمالي وبين في سورة آل عمران مقدار عددهم
وقيل معناه متبعين أنفسهم ملائكة آخرين أو متبعين المؤمنين أو بعضهم بعضا من أردفته إذا جئت
بعده أو متبعين بعضهم بعض المؤمنين أو أنفسهم المؤمنين من أردفته إياه فردفه وقرئ مردفين
بفتح الدال أي متبعين أو متبعين بغيرهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم وقرئ
مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال وأصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء
في الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء بالكسر على الأصل أو بالضم على الإتباع وقرئ
بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور أن المراد بالألف
الذين كانوا على المقدمة أو الساقة أو وجوههم وأعيانهم أو من قاتل منهم واختلف في
مقاتلتهم وقد روي أخبار تدل على وقوعها وما جعله الله ع كلام مستأنف سيق
لبيان أن الأسباب الظاهرة بمعزل من التأثير وإنما التأثير مختص به تعالى ليثق به المؤمنون
ولا يقنطوا من النصر عند فقدان أسبابه والجعل متعد إلى مفعول واحد هو الضمير العائد
إلى مصدر فعل مقدر يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كأنه قيل
فأمدكم بهم وما جعل إمدادكم بهم إلا بشرى لكم وهو استثناء مفرغ من أعم العلل أي ما جعل
إمدادكم بإنزال الملائكة عيانا لشيء من الأشياء إلا للبشرى لكم بأنكم تنصرون ولتطمئن به
أي بالإمداد قلوبكم وتسكن إليه نفوسكم كما كانت السكينة لبني إسرائيل كذلك فكلاهما
مفعول له للجعل وقد نصب الأول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل
الإشارة إلى أصالته في العلية في نفسه كما قيل في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة وفي قصر الإمداد عليهما إشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وإنما كان إمدادهم
بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو رأي بعض السلف قيل الجعل
متعد إلى اثنين ثانيهما إلا بشرى على أنه استثناء من المفاعيل أي وما جعله الله شيئا من الأشياء
إلا بشارة لكم مالالا ولتطمئن متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشيء
آخر وما أي حقيقة النصر في الإطلاق أي الكائن من عنده عز وجل من غير
أن يكون فيه شركة من جهة الأسباب والعدد وإنما هي مظاهر له بطريق جريان السنة الإلهية
إن الله عزيز لا يغالب في حكمه ولا ينازع في أقضيته حكيم يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه
الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبلها متضمن للإشعار بأن النصر الواقع على الوجه المذكور من
مقتضيات الحكم البالغة إذ يغشيكم النعاس أي يجعله غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من إذ يعدكم
لإظهار نعمة أخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال الماضية كما في تستغيثون أو منصوب
بإضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر أو بما في من عند الله تعالى من معنى الفعل أو بالجعل
وقرئ يغشيكم من الإغشاء بمعنى التغشية والفاعل في الوجهين هو الباري تعالى وقرئ
يغشاكم على إسناد الفعل إلى النعاس وقوله تعالى أمنة منه في القراءتين الأوليين منصوب على العلية
بفعل مترتب على الفعل المذكور أي يغشيكم النعاس فتنعسون أمنا كائنا من الله تعالى لا كلالا وإعياء أو على

انه مصدر لفعل مقدر كذلك اي فتامنون امنا كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا على احد الوجهين وقيل
منصوب على العلية بيغشاكم باعتبار المعنى فانه في حكم تنعسون او على انه مصدر لفعل مترتب كما مر وقرئ
امنة كرحمة وينزل عليكم من السماء ماء وتقديم الجار والمجرور على المفعول به لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا أخر تبقى النفس مترقبة له فعند وروده يتمكن
عندها فضل تمكن وتقديم عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه من السماء وقرئ
بالتخفيف من الانزال ليطهركم به اي من الحدث الاصغر والاكبر ويذهب عنكم رجز الشيطان
الكلام في تقديم الجار والمجرور كما مر آنفا والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه من
العطش اياهم روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم
اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال انتم يا اصحاب
محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق
ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع اعناقكم مشوا اليكم
فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله عز وجل المطر
فمطروا ليلا حتى جرى الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم
وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب
وذلك قوله تعالى وليربط على قلوبكم اي يقويها بالثقة بلطف الله عز وجل فيما بعد بمشاهدة طلائعه
ويثبت به الاقدام لا تسوخ في الرمل فالضمير للماء كالاول ويجوز ان يكون للربط فان القلب
اذا قوي وتمكن فيه الصبر والجراءة لا تكاد تزل القدم في معارك الحروب وقوله تعالى اذ يوحي
ربك الى الملائكة منصوب بمضمر مستأنف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد
حسبما ينطق به الكاف لما ان المامور به مما لا يستطيعه غيره عليه السلام فان الوحي المذكور
قبل ظهوره بالوحي المتلو مختص علمه به عليه الصلوة والسلام ليس من النعم التي يقف عليها عامة الامة كسائر
النعم السابقة التي امروا بان يذكروها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله تعالى ويثبت به الاقدام
فلا بد حينئذ من عود الضمير المجرور في به الى الربط على القلوب ليكون المعنى ويثبت اقدامكم بتقوية قلوبكم
وقت ايحائه الى الملائكة وامره بتثبيتهم اياكم وهو وقت القتال ولا يخفى ان تقييد التثبيت المذكور بوقت
منهم عندهم ليس فيه مزيد فائدة واما انتصابه على انه بدل ثالث من اذ يعدكم كما قيل فيأباه
تخصيص الخطاب به صلى الله عليه وسلم مع ما عرفت من ان المامور به ليس من الوظائف العامة للكل
كسائر اخواته وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التنويه والتشريف
ما لا يخفى والمعنى اذكر وقت ايحائه تعالى الى الملائكة اني معكم اي بالامداد والتوفيق في امر
التثبيت فهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه وما فيه من
دخول كلمة مع على متبوعية الملائكة انما هي من حيث انهم المباشرون للتثبيت صورة فلهم الاصالة من
تلك الحيثية كما في امثال قوله تعالى ان الله مع الصابرين والفاء في قوله تعالى فثبتوا الذين امنوا لترتيب
ما بعدها على ما قبلها فان امداده تعالى اياهم من اقوى موجبات التثبيت واختلفوا في كيفية

القتال بجماعة انما امروا بتثبيتهم بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما مما تقوى به قلوبهم وتصح نياتهم وثباتهم
عندهم في القتال وهو الانسب بمعنى التثبيت وحقيقته التي هي عبارة عن الحمل على الثبات في موطن
الحرب والجد في مقاساة شدائد القتال وقد روي انه كان الملك يتشبه بالرجل الذي
يعرفونه بوجهه فيأتي ويقول ابشروا فان الله تعالى ناصركم اني سمعت المشركين يقولون والله
لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله تعالى ناصركم وقال اخرون
امروا بمحاربة اعدائهم وجعلوا قوله تعالى سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرا لقوله تعالى
اني معكم وقوله تعالى فاضربوا الى اخره تفسيرا لقوله تعالى فثبتوا تبيينا لكيفية التثبيت وقد
روي عن ابي داود المازني رضي الله تعالى عنه وكان ممن شهد بدرا انه قال اني لاتبع
رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وعن
سهل بن حنيف انه قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقع
راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وانت خبير بان قتلهم للكفرة مع عدم ملايمته
لمعنى تثبيت المؤمنين مما لا يتوقف على الامداد بالقاء الرعب فلا يتجه ترتيب الامر به عليه بالفاء
وقد اعتذر الاولون بان قوله تعالى سألقي الخ ليس نصا فيما ذكر بل يجوز ان يكون ذلك من قوله
تعالى فثبتوا الذين امنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قيل قولوا لهم قولي
سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا الخ فالضاربون هم المؤمنون واما ما قيل
بان ذلك خطاب منه تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التلوين فيأباه توهم وروده قبل القتال
وانى ذلك والسورة الكريمة انما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى فوق الاعناق اي اعاليها
التي هي المذابح او الهامات واضربوا منهم كل بنان البنان اطراف الاصابع من اليدين
والرجلين وقيل هي الاصابع من اليدين والرجلين وقيل ابو هيثم البنان المفاصل
وكل مفصل بنانة وقال ابن عباس وابن جريج والضحاك يعني الاطراف اي اضربوا في جميع الاعضاء
من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد بالبنان الاداني وبفوق الاعناق الاعالي والمعنى
فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الامر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء بامره
ومنهم متعلق به او بمحذوف وقع حالا مما بعده ذلك اشارة الى ما اصابهم من العقاب وما فيه
من معنى البعد للايذان ببعد درجته في الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم او لكل احد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى بانهم شاقوا الله ورسوله
اي ذلك العقاب الفظيع اوقع عليهم بسبب مشاقتهم ومغالبتهم من لا سبيل الى مغالبته اصلا
واشتقاق المشاقة من الشق لما ان كلا من المتعاديين في شق خلاف شق الاخر كما ان اشتقاق المعاداة
والمخاصمة من العدوة والخصم اي الجانب لان كلا من المتعاديين والمتخاصمين في عدوة وخصم غير عدوة
الاخر وخصمه ومن يشاقق الله ورسوله الاظهار في موضع الاضمار لتربية
المهابة واظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه والاشعار بعلة الحكم وقوله تعالى فان الله شديد العقاب
اما نفس الجزاء قد حذف منه العايد الى من عند من يلتزمه اي شديد العقاب له او تعليل للجزاء

المحذوف أي يعاقبه الله تعالى فإن الله شديد العقاب أياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير
لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كأنه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم
لله تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله ورسوله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فإذن لهم
بسبب مشاقتهم لهما عقاب شديد وأما ما أعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا كما
قيل فيرده ما بعده من قوله تعالى ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار فإنه مع كونه الموعود
الموعود بما ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب ما أصابهم عاجلا سواء جعل ذلك إشارة إلى
ما يفيده الشرطية من ثبوت العقاب لهم أو إلى الأول ولأن الأظهر أن محله النصب بمضمر يستدعيه
قوله تعالى فذوقوه والواو في قوله تعالى وأن للكافرين بمعنى مع فالمعنى باشروا ذلكم العقاب الذي أصابكم
فذوقوه عاجلا مع أن لكم عذاب النار آجلا فوضع الظاهر موضع المضمر لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به
وأما في الثاني فلأن الأقرب أن محله الرفع على أنه خبر مبتدأ وقوله تعالى وأن للكافرين الخ معطوف عليه
والمعنى حكم الله ذلكم أي ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا وقوله تعالى فذوقوه
اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير في الأول لنفس المشار إليه وفي الثاني لما في ضمنه
وقد ذكر في إعراب الآية الكريمة وجوه أخر مدار الكل على أن المراد بالعقاب ما أصابهم عاجلا
والله تعالى أعلم وقرئ بكسر أن على الاستئناف يا أيها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين بحكم كلي
جار فيما سيقع من الوقائع والحروب جيء به في تضاعيف القصة إظهارا للاعتناء بشأنه ومبالغة
في حثهم على المحافظة عليه إذا لقيتم الذين كفروا زحفا الزحف الدبيب يقال زحف الصبي زحفا
إذا دب على استه قليلا قليلا سمي به الجيش الدهم المتوجه إلى العدو لأنه لكثرته وتكاثفه
يرى كأنه يزحف وذلك لأن الكل يرى كجسم واحد متصل فيحس حركته بالقياس إلى غاية
البطء وإن كانت في نفس الأمر على غاية السرعة قال قائلهم • وأرعن مثل الطود تحسب أنهم
• وقوف لحاج والركاب تهملج • ونصبه إما على أنه حال من مفعول لقيتم أي زاحفين نحوكم وإما
أنه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه أي يزحفون زحفا وأما كونه حالا من فاعل أو منه أو من
منهما معا كما قيل فيأباه قوله تعالى فلا تولوهم الأدبار إذ لا معنى لتقييد النهي عن الإدبار بتوجههم
السابق إلى العدو أو بكثرتهم هو الداعي إلى الإدبار بتوجههم السابق إلى العدو أو بكثرتهم بل تو
العدو إليهم وكثرتهم هو الداعي إلى الإدبار عادة والمحوج إلى النهي عنه وحمله على الإشعار بما سيكون
منهم يوم حنين حيث تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا بعيد والمعنى إذا لقيتموهم
للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل والمعنى فلا تولوهم أدباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم
مع قلتكم فضلا عن أن تدانوهم في العدد أو تساووهم ومن يولهم يومئذ أي يوم اللقاء دبره
فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء إلا متحرفا لقتال إما بالتوجه إلى قتال طائفة أخرى
أهم من هؤلاء وإما بالفر للكر بأن يخيل عدوه أنه منهزم ليغره ويخرجه من بين أعوانه ثم يعطف
عليه وحده أو مع من في الكمين من أصحابه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها أو متحيزا إلى فئة
أي منحازا إلى جماعة أخرى من المؤمنين لينضم إليهم ثم يقاتل معهم العدو عن ابن عمر

رضي الله تعالى عنهما أن سرية فروا وأنا معهم فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا ودخلوا البيوت فقلت
يا رسول الله نحن الفرارون فقال عليه الصلاة والسلام بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانهزم
رجل من القادسية فأتى المدينة إلى عمر رضي الله تعالى عنه فقال يا أمير المؤمنين هلكت فررت
من الزحف فقال رضي الله عنه أنا فئتك ووزن متحيز متفيعل لا متفعل وإلا لكان متحوزا لأنه
من حاز يحوز وانتصابهما إما على الحالية وإلا لغو لا عمل لها وإما على الاستثناء من المولين أي ومن يولهم
دبره إلا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا فقد باء أي رجع بغضب عظيم لا يقادر قدره ومن في قوله تعالى
من الله متعلقة بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما أفاده التنوين من الفخامة الإضافية أي بغضب كائن
منه تعالى ومأواه جهنم أي بدل ما أراد بفراره أن يأوي إليه ما يأوي به من القتل وبئس المصير
في إيقاع البوء في موقع جواب الشرط الذي هو التولية مقرونا بذكر المأوى والمصير من الجزالة
ما لا مزيد عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر وهذا إذا لم
يكن العدو أكثر من الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة بأهل بدر
والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم رجوع إلى بيان بقية أحكام الوقعة وأحوالها وتقرير لما سبق
منها والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر إمداده تعالى وأمره بالتثبيت وغير ذلك
كأنه قيل إذا كان الأمر كذلك فلم تقتلوهم أنتم بقوتكم وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم
وإلقاء الرعب في قلوبهم ويجوز أن يكون التقدير إذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم أي فاعلموا أنكم
لم تقتلوهم قيل التقدير إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم في أحد التأويلين لما
روي أنهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين أقبلوا يتفاخرون ويقولون قتلت وأسرت
وفعلت وتركت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه
قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه
السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلي رضي الله عنه أعطني قبضة
من حصباء الوادي فرمى بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا اشتغل بعينه فانهزموا
ذلك قوله تعالى بطريق تلوين الخطاب وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا لكون الرمي الظاهر
على يده عليه السلام من أفعاله عز وجل وتجريد الفعل عن المفعول به لما أن المقصود الأصلي بيان حال
الرمي نفيا وإثباتا إذ هو الذي ظهر منه ما ظهر وهو المنشأ لتغير المرمي في نفسه وتكثره
حيث أصاب عيني كل واحد من أولئك الأمة الجمة شيء من ذلك أي وما فعلت أنت يا محمد تلك
الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة وإلا لكان أثرها من جنس آثار الأفاعيل
البشرية ولكن الله فعلها أي خلقها حين باشرتها لكن لا على نهج عادته تعالى في خلق أفعال العباد
بل على وجه غير معتاد وكذلك أثرت هذا التأثير الخارج عن طوق البشر وذا [illegible]
مدار إثباتها لله تعالى ونفيها عنه عليه السلام كون أثرها من أفعاله سبحانه لا من أفعاله عليه السلام
وقرئ ولكن الله بالتخفيف والرفع في الموضعين واللام في قوله تعالى وليبلي المؤمنين منه أي
من عنده تعالى بلاء حسنا أي عطاء جميلا غير مشوب بمقاساة الشدائد والمكاره إما متعلقة بمحذوف

ساحر قالوا واعتراضية اي وللاحسان اليهم بالنصر والغنيمة فعل ما فعل لا لغيره عن ذلك مما لا
يجدي بهم نفعا واما عن فالواو للعطف في علة محذوفة اي ولكن الله رمى ليمحق الكافرين وليبلي
وقوله تع ان الله سميع لدعائهم واستغاثتهم عليم اي بنياتهم واحوالهم الداعية الى الاجابة تعليل
للحكم ذلكم اشارة الي البلاء الحسن ومحله الرفع في انه خبر مبتدا محذوف وقوله تع ان الله موهن
كيد الكافرين بالاضافة معطوف عليه اي المقصد ابلاء المومنين وتوهين كيد الكافرين
وابطال حيلهم وقيل المشار اليه القتل والرمي والبلاء الامر اي الامر ذلكم اي القتل
فيكون قوله تع وان الله الاية من قبيل عطف البيان وقرئ موهن بالتنوين مخففا ومشددا
ونصب كيد الكافرين ان تستفتحوا خطاب لاهل مكة في سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا
الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين اي
ان تستنصروا لاعلى الجندين فقد جاءكم الفتح حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم في
المجي او فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم في نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله وان تنتهوا عما
كنتم عليه من الحرب ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو اي الانتهاء خير لكم اي من الحرب
الذي زعمتم غايته لما فيه من السلامة من القتل والاسر ومبنى اعتبار اصل الخيرية في المفضل عليه
والتهكم وان تعودوا اي لمحاربته عليه السلام نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن تغني بالتاء الفوقانية
وقرئ بالياء التحتانية لان تانيث الفئة غير حقيقي وللفصل اي لن تدفع ابدا عنكم
فئتكم جماعتكم التي تجمعونهم وتستعينون بهم شيئا اي من الاغناء او من المضار وقوله تعالى
ولو كثرت جملة حالية وقدم التحقيق وان الله مع المومنين اي ولان الله معين المومنين كان ذلك
او والامر ان الله مع المومنين ويعرب منه بحسب المعنى قراءة الكسر في الاستيناف وقيل
الخطاب للمومنين والمعنى اذ تستنصرون فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة
عما يرغب منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم من كل شيء لما انه مناط السعادتين
الدارين وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله
معكم بالنصر والامر ان الله مع الكاملين في الايمان يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا
تولوا بطرح احدي التائين وقرئ بادغامها عنه اي لا تتولوا عن الرسول فان المراد هو الامر
بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعته تع للتمهيد والتنبيه في ان طاعته تعالى في طاعة
رسوله عليه السلام من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل
للامر الذي دل عليه الطاعة وقوله تع وانتم تسمعون جملة حالية واردة لتاكيد وجوب الانتهاء
عن التولي مطلقا كما في قوله تع فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون لا لتقييد النهي عنه بحالة
السماع كما في قوله تع لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اي لا تتولوا عنه والحال انكم تسمعون القران
الناطق بوجوب طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم واذعان ولا تكونوا تعريض للنهي ان
وتحذير عن مخالفته بالتنبيه في انها مودية الى انتظامهم في سلك الكفرة بكون سماعهم كلا
سماع اي لا تكونوا لمخالفة الامر والنهي كالذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان كالكفرة

او المنافقين

والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون حال من ضمير قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون
حيث لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكانهم لا يسمعونه راسا ان شر الدواب استيناف مسوق
لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة في التحذير وتقريرا للنهي اثر تقريره اي ان شر
من يدب في الارض او شر البهائم عند الله اي في حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون الحق البكم
الذين لا ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق والنطق
به وحيث لم يوجد فيهم شيء من ذلك صاروا كانهم فاقدون للجارحتين راسا وتقديم الصمم
في البكم لما ان صممهم متقدم في بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له
ان النطق من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال
سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدي
بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقدا للعقل ايضا فهو الغاية في الشرية وسوء الحال وبذلك
يظهر كونهم شرا من البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير ممن خلق
الله عز وجل فصاروا اخس من كل خسيس ولو علم الله فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذي من جملته
صرف قواهم الى تحري الحق واتباع الهدي لاسمعهم سماع تفهم وتدبر ولوقفوا على حقيقة الرسول
عليه الصلوة والسلام واطاعوه وامنوا به ولكن لا يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة
فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة واليه اشير بقوله تع ولو اسمعهم لتولوا
اي لو اسمعهم سماع تفهم وهم على هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم
ينتفعوا به قط وارتدوا بعد ما صدقوه وصاروا كان لم يسمعوا اصلا وقوله تع وهم معرضون اما
حال من ضمير تولوا اي تولوا في ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما
اعتراض تذييلي اي وهم قوم عادتهم الاعراض فقيل كانوا يقولون لرسول الله صلى الله
عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونومن بك فالمعنى ولو اسمعهم كلام
قصي لهم وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويد بن
حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلهم الله تعالى فقتلوا
جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن رحمه الله تعالى
انهم اهل الكتاب يا ايها الذين امنوا تكرير للنداء مع وصفهم بنعت الايمان تنشيطا لهم الى الاقبال
على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر وتنبيها لهم على ان فيهم ما يوجب ذلك استجيبوا لله وللرسول
بحسن الطاعة اذا دعاكم اي الرسول اذ هو المباشر لدعوة الله تع لما يحييكم من العلوم الدينية التي هي
مناط الحيوة الابدية كما ان الجهل مدار الموت الحقيقي او هي ماء الحيوة القلب كما ان الجهل موجب موته
وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما في قوله تع ولكم في القصاص حيوة
روي انه عليه السلام مر على ابي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال
عليه السلام ما منعك من اجابتي قال كنت في الصلوة قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله
وللرسول اذا دعاكم واختلف فيه فقيل هذا من خصايصه وقيل لان اجابته عليه السلام

لا يقطع الصلوة قيل كان ذلك الدعاء لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله
واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد وتنبيه على انه تعالى مطلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث
على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية فانها حائلة بين المرء وقلبه او تصوير
وتخييل لتمكنه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر
ان اراد سعادته ويبدله بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما اشبه ذلك من الامور المعترضة
المفوتة للفرصة وقرئ بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء
واجراء الوصل مجرى الوقف وانه اي والله عز وجل او الشان اليه تحشرون لا الى غيره فيجازيكم
بحسب مراتب اعمالكم فسارعوا الى طاعته تعالى وطاعة رسوله وبالغوا في الاستجابة لهما
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي لا يختص اصابتها بمن باشر الظلم منكم بل يعمه
وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وافتراق الكلمة
وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن الخ اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم
لا تصيبن الخ وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي
ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون
لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقول من قال

حتى اذا جن الظلام واختلط . جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط

واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلف المعنى فيهما وقد جوزوا ان يكون نهيا
عن التعرض للظلم بعد الامر باتقاء الذنب فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن
في منكم في الوجوه الاول للتبعيض وفي الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح
منه من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه واذكروا
اذ انتم قليل اي وقت كونكم قليلا في العدد واثار الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه من
القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تعالى مستضعفون خبر ثان او صفة لقليل وقوله تعالى في الارض
في ارض مكة تحت ايدي قريش والخطاب للمهاجرين او تحت ايدي فارس والروم والخطاب للعرب
كافة فانهم كانوا اذلاء تحت ايدي الطاغين وقوله تعالى تخافون ان يتخطفكم الناس خبر ثالث او صفة
ثانية لقليل وصف بالجملة بعدما وصف بالمفرد او حال من المستكن في مستضعفون والمراد بالناس على
الاول وهو الاظهر اما كفار قريش او كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وفي الثاني فارس والروم
اي واذكروا وقت قلتكم وذلتكم وهوانكم في الناس وخوفكم من اختطافكم فآواكم الى المدينة او جعل لكم
مأوى تتحصنون به من اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة ورزقكم
من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم الجليلة يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول اصل الخون
النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه اي لا تخونوهما بتعطيل الفرائض
او بان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنائم روي انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى

وعشرون ليلة فسألوه الصلح كما صالح بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من ارض الشام
فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان
ماله وعياله كانا في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال
ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية المسجد فقال والله
لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه
فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك قال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو الذي يحلني فجاءه عليه الصلوة والسلام فحله فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي
فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به وتخونوا اماناتكم
فيما بينكم وهو مجزوم معطوف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون
او انتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانها سبب الوقوع في الاثم
والعقاب ومحنة من الله تعالى ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهما على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده
اجر عظيم لمن آثر رضاه تعالى عليهما وراعى حدوده فيهما فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين
آمنوا تكرير الخطاب والوصف بالايمان لاظهار كمال العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضي
الايمان مراعاته والمحافظة عليه كما في الخطابين السابقين ان تتقوا الله اي في كل ما تأتون وما
تذرون يجعل لكم بسبب ذلك فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق
بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة مما تحذرون في
الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح
ويكفر عنكم سيئاتكم اي يسترها ويغفر لكم ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيئات الصغائر والذنوب
الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم وقوله تعالى
والله ذو الفضل العظيم تعليل لما قبله وتنبيه على ان ما وعده الله تعالى لهم على التقوى تفضل منه
واحسان لا انه مما يوجبه التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا
منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله تعالى واذكروا اذ انتم
الخ مسوق لتذكير النعمة الخاصة به عليه السلام بعد تذكير النعمة العامة للكل اي واذكر وقت مكرهم
بك ليثبتوك بالوثاق ويعضده قراءة من قرأ ليقيدوك او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى
اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات او يقتلوك اي
بسيوفهم او يخرجوك اي من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم له عليه السلام فرقوا
واجتمعوا في دار الندوة يتشاورون في امره عليه السلام فدخل عليهم ابليس في صورة
شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال
ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى
يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو
رأيي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ثم

بهم فقال أبو جهل انا أري أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة
فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه
فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبريل عليه السلام واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا
رضي الله عنه على مضجعه وخرج هو مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله اي يرد مكرهم عليهم او يجازيهم
عليه او يعاملهم معاملة الماكرين وذلك بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم
فلقوا منهم ما لقوا والله خير الماكرين لا يعبأ بمكرهم واسناد امثال هذا اليه سبحانه مما يحسن للمزاوجة
ولا يسوغ له ابتداء لما فيه من ايهام ما لا يليق به سبحانه واذا تتلى عليهم آياتنا التي حقها ان يخر لها
صم الجبال قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قاله النضر بن الحارث واسناده الى الكل لانه
كان رئيسهم وقاضيهم الذي يقولون بقوله ويأخذون برايه وقيل قاله الذين ائتمروا
في امره عليه السلام في دار الندوة وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية العناد ولو استطاعوا
شيئا من ذلك فما الذي كان يمنعهم من المشيئة وقد تحداهم عشر سنين وقرعهم بالعجز وذاقوا
من ذلك الامرين ثم قورعوا بالسيف فلم يعارضوا بما سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا لاسيما
في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين اي ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من اباطيل
ذلك فقيل انه قال ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم
ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا من عندك فامطر
علينا الحجارة عقوبة على انكارنا او ائتنا العذاب بعذاب اليم سواها والمراد منه التهكم واظهار
اليقين والجزم التام على انه ليس كذلك وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ
لا فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا على الوجه الذي يدعيه عليه السلام
وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير وما كان الله
ليعذبهم وانت فيهم بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم
واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي صلى الله عليه وسلم
بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في حكمه وقضائه والمراد باستغفارهم في قوله
تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم
اللهم اغفر لنا او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى
واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله بيان استحقاقهم العذاب بعد بيان استحقاقهم العذاب
بعد بيان استحقاقهم ان المانع ليس من قبلهم اي وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف
لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه حال من فاعل يصدون
مشعرة بكمال قبح ما صنعوا من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولاية امره في
غاية القبح وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء

ان اولياؤه

ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا
ولاية لهم عليه وفيه اشعار بان منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل اريد باكثرهم كلهم كما
يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها
الا مكاء اي صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية اي
تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد على ابدال حرف التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم
بالنصب على انه الخبر لكان ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها
لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم
يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم
ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب اي القتل والاسر يوم بدر
وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون
اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر
وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم جزرا او في ابي سفيان استاجر ليوم
احد الفين سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب
قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد صلى الله عليه وسلم لعلنا ندرك
ثارنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسول الله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول
اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو
انفاق يوم احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق
الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود
جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل
ذلك والذين كفروا اي ثبتوا على الكفر واصروا عليه الى جهنم يحشرون اي يساقون لا الى غيرها ليميز
الله الخبيث من الطيب اي الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او ثم
يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوته عليه السلام مما انفقه المسلمون في نصرته عليه السلام واللام
متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز بالتشديد للمبالغة ويجعل الخبيث بعضه
على بعض فيركمه جميعا اي يضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر
ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانز فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة للخبيث اذ هو عبارة
عن الفريق او الى المنفقين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في الخبث هم الخاسرون
الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه
اي قل لاجلهم ان ينتهوا عما هم فيه من معاداة النبي صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر لهم
ما قد سلف من الذنوب وقرئ ان تنتهوا يغفر لكم ويغفر لهم على البناء للفاعل وهو الله تعالى
وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما
جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم عطف على قل وقد عمم الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين

في القتال لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اي لا يوجد منهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل فان انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وقرئ بتاء الخطاب من الجهاد المخرج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة وما موصولة وعائدها محذوف اي الذي اصبتموه من الكفار عنوة واصل الغنيمة اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان وقوله تعالى من شيء بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائد الموصول قصد به الاعتناء بشان الغنيمة وان لا يشذ عنها شيء اي ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط خلا ان سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى يخير فيها الامام وكذا الاراضي المغنومة وقوله تعالى فان لله خمسه مبتدا خبره محذوف اي فحق او فواجب ان لله تعالى خمسه وهذه الجملة خبر لان ما وقرئ بالكسر والاولى آكد واقوى في الايجاب لما فيه من تكرار الاسناد كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس له ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه وقرئ خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر الله تعالى للتعظيم كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه بقوله تعالى وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل واعادة اللام في ذي القربى دون غيرهم من الاصناف الثلاثة لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبي عليه السلام لمزيد اتصالهم به عليه السلام وهم بنو هاشم وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا تنكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وكيفية قسمتها عندنا انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم له عليه السلام وسهم للمذكورين من ذوي قرابته وثلاثة اسهم للاصناف الثلاثة الباقية واما بعده عليه السلام فسهمه ساقط وكذا سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة لسائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على الاصناف الثلاثة ويؤيده ما روي عن ابي بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم ومن عداهم فهو بمنزلة ابن السبيل الغني لا يعطى من الصدقة شيئا وعن زيد بن علي مثله قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب البراذين وقيل سهم الرسول صلى الله عليه وسلم لولي الامر بعده واما عند الشافعي رحمه الله فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول

الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه عليه السلام من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هؤلاء وان راى اعطاه بعضا منهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم وتعلق ابو العالية بظاهر الآية الكريمة فقال يقسم ستة اسهم ويصرف سهم الله تعالى الى رتاج الكعبة لما روي انه عليه السلام كان ياخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة اسهم وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول عليه السلام هذا شان الخمس واما الاخماس الاربعة فتقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وثلاثة اسهم عندهما قال القرطبي لما بين الله تعالى حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على انه ملك للغانمين وقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف ينبئ عنه المذكور اي ان كنتم آمنتم به تعالى فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب به التقرب اليه تعالى فاقطعوا اطماعكم منه واقنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد مجرد العلم بذلك بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لامره تعالى وما انزلنا عطف على الاسم الجليل اي ان كنتم آمنتم بالله وبما انزلنا على عبدنا وقرئ عبدنا وهو اسم جمع اريد به الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون فان بعض ما نزل نازل عليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان يوم بدر سمي به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بانزلنا او بآمنتم يوم التقى الجمعان اي الفريقان من المؤمنين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان او منصوب بالفرقان والمراد بما انزل عليه عليه السلام يومئذ من الوحي والملائكة والفتح على ان المراد بالانزال مجرد الايصال والتيسير فينتظم الكل انتظاما حقيقيا وجعل الايمان بانزال هذه الاشياء من موجبات العلم بكون الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث ان الوحي ناطق بذلك وان الملائكة والفتح لما كانا من جهته تعالى وجب ان يكون ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفة الى الجهات التي عينها الله تعالى والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادي وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما ايضا وهم بالعدوة القصوى اي البعدى من المدينة وهي تانيث الاقصى وكان القياس قلب الواو ياء كالدنيا والعليا لكونهما من بنات الواو لكنها جاءت على الاصل كالقود واستصوب وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير وقوادها اسفل منكم اي في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو نصب على الظرفية واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبلها وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين وانتثار امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مركز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما

اتفق لهم من الفتح ليس إلا صنعا من الله عز وجل خارقا للعادات فيزدادوا
إيمانا وشكرا وتطمئن نفوسهم بفرض الخمس ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله
أمرا كان مفعولا حقيقا بأن يفعل من نصر أوليائه وقهر أعدائه أو مقدرا في الأزل وقوله
تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه أو متعلق بمفعولا أي ليموت من يموت
عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فإن وقعة بدر
من الآيات الواضحة أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة
الهلاك والحياة وقرئ ليهلك بالفتح وحيي بفك الإدغام حملا على المستقبل وإن الله
لسميع عليم أي بكفر من كفر وعقابه وإيمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين
لاشتمال على القول والاعتقاد إذ يريكهم الله في منامك قليلا منصوب باذكر أو بدل ثان
من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو أن تخبر به
أصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو أراكهم كثيرا لفشلتم أي لجبنتم وهبتم الإقدام
ولتنازعتم في الأمر أي أمر القتال وتفرقت آراؤكم في الثبات والفرار ولكن الله سلم أي أنعم
بالسلامة من الفشل والتنازع إنه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر
والجزع ولذلك دبر ما دبر وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا منصوب بمضمر خوطب
به الكل بطريق التغليب والضميران مفعولا يري وقليلا
حال من الثاني وإنما قللهم في أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن جنبه أتراهم
سبعين فقال أراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقللكم
في أعينهم حتى قال أبو جهل إنما أصحاب محمد أكلة جزور وقللهم في أعينهم قبل التحام القتال
ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم ليفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا
وهذه من عظائم آيات تلك الواقعة فإن البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن
على هذا الوجه ولا إلى هذا الحد وإنما ذلك بصد الله تعالى الأبصار عن إبصار بعض دون
بعض مع التساوي في الشرائط ليقضي الله أمرا كان مفعولا كرر لاختلاف الفعل المعلل به أو
لأن المراد بالأمر ثمة الالتقاء على الوجه المذكور وههنا إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الكفر
وحزبه وإلى الله ترجع الأمور كلها يصرفها كيف يريد لا راد لأمره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم
الحميد يا أيها الذين آمنوا صدر الخطاب بحرفي النداء والتنبيه إظهارا لكمال الاعتناء بمضمون
ما بعده إذا لقيتم فئة أي حاربتم جماعة من الكفرة وإنما لم يوصفوا بالكفر لظهور أن المؤمنين
لا يحاربون إلا الكفرة واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا أي للقائهم في مواطن الحرب
واذكروا الله كثيرا أي في تضاعيف القتال مستمدين منه مستعينين به مستظهرين بذكره مترقبين
لنصره لعلكم تفلحون أي تفوزون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على أن العبد ينبغي
أن لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وأن يلتجئ إليه عند الشدائد ويقبل إليه بكليته فارغ البال
واثقا بأن لطفه لا ينفك عنه في حال من الأحوال وأطيعوا الله ورسوله في كل ما تأتون

وما تذرون

وما تذرون فيندرج فيه ما أمروا به ههنا اندراجا أوليا ولا تنازعوا باختلاف الآراء
كما فعلتم ببدر وأحد فتفشلوا جواب للنهي وقيل عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب عطف
على جواب النهي وقرئ بالجزم عطفا على النهي بعد عطف فتفشلوا على النهي أي تذهب دولتكم
وشوكتكم فإنها مستعارة للدولة من حيث إنها في تمشي أمرها ونفاذه مشبهة بها في
هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فإن النصرة لا تكون إلا بريح يبعثها الله تعالى
وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور واصبروا على شدائد الحرب إن الله مع الصابرين
بالنصرة والكلاءة وما يفهم من كلمة مع أصالتهم إنما هي من حيث إنهم المباشرون للصبر فهم
متبوعون من تلك الحيثية ومعيته تعالى إنما هي من حيث الإمداد والعناية والإعانة ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم بعد ما أمروا به من محاسن الأعمال نهوا عما يقابلها من قبائحها
والمراد بهم أهل مكة حين خرجوا لحماية العير بطرا أي فخرا وأشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم
بالشجاعة والسماحة وذلك أنهم لما بلغوا الجحفة أتاهم رسول أبي سفيان وقال ارجعوا فقد
سلمت عيركم فأبوا إلا إظهار آثار الجلادة فلقوا ما لقوا حسبما ذكر في أوائل السورة الكريمة فنهي
المؤمنون أن يكونوا أمثالهم مرائين بطرين وأمروا بالتقوى والإخلاص من حيث إن النهي عن الشيء
مستلزم للأمر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف على بطرا إن جعل مصدرا في موضع الحال
وكذا إن جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه وإذ زين لهم
الشيطان أعمالهم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين أي
واذكر وقت تزيين الشيطان أعمالهم في معاداة المؤمنين وغيرها بأن وسوس إليهم وقال
لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم أي ألقى في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون
لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات مجير لهم حتى قالوا
اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين ولكم خبر لا غالب أو صفته وليس صلته وإلا لانتصب كقولك لا
ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان أي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى أي
بطل كيده وعاد ما خيل إليهم أنه مجيرهم سبب هلاكهم وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون
إني أخاف الله أي تبرأ منهم وخاف عليهم ويئس من حالهم لما رأى إمداد الله تعالى المسلمين
بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الإحنة فكاد ذلك
يثنيهم فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني
جار لكم من كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له إلى
أين أتخذلنا في هذه الحالة فقال إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث فانطلق وانهزموا
فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم
فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وعلى هذا يحتمل أن يكون معنى قوله إني أخاف الله إني أخافه أن يصيبني بمكروه
من الملائكة أو يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود إذ رأى فيه ما لم ير قبله والأول ما قاله
الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون مستأنفا من جهة الله تعالى

ذ يقول المنافقون منصوب بزين او بنكص او بشديد العقاب بجوز والذين في قلوبهم مرض
اي الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان وبقي فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل
هم المنافقون في المدينة والعطف لتغاير الوصفين كما في قوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم
غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر
الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم من جهته تع وردعا لهم فان الله عزيز حكيم غالب
لا يذل من يتوكل عليه واستجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقول وتحار
في فهمه الباب الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه ولو ترى اي ولو رايت فان
لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما ان ترد الماضي مضارعا والخطاب اما لرسول الله
صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه في قوله تع ولو ترى
اذ وقفوا على النار وكلمة اذ في قوله تع اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ظرف لترى والمفعول
محذوف اي ولو ترى الكفرة حين يتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم المفعول محذوف اي
ولو ترى الكفرة او حال الكفرة حين يتوفاهم الملائكة وتقديم المفعول للاهتمام به ح
وقيل الفاعل ضمير عائد الى الله عز وجل والملائكة مبتداء وقوله تع يضربون وجوههم
خبره والجملة حال من الموصول قد استغني فيها بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منه
او من الملائكة او منهما لاشتماله على ضميريهما وادبارهم اي او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء
وذوقوا عذاب الحريق على ارادة القول معطوفا على يضربون او حال من فاعله اي ويقولون
او قائلين ذوقوا بشارة بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت
النار منها وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن حدود البيان اي لرايت امرا
فظيعا لا يكاد يوصف ذلك اشارة الى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد
للايذان بكونهما في غاية الغاية من الهول والفظاعة وهو مبتداء خبره بما قدمت ايديكم
اي ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي ومحل ان في قوله تعالى
وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتداء محذوف اي والامر انه تع ليس بمعذب لعبيده
بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفي الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على
ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة آل عمران
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة على
ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان
امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافي كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة
بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه او كان المدعى كون جميع تعذيباته تع بسبب ذنوب
المعذبين لاحتيج الى ذلك كداب آل فرعون في محل الرفع على انه خبر مبتداء محذوف والجملة استئناف
مسوق لبيان ان ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشيء آخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال
المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه على ان ذلك سنة مطردة

فيما بين

فيما بين الامم المهلكة اي شانهم الذي استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الاخذ كداب آل فرعون
المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب والنكال والذين من قبلهم اي من قبل آل فرعون
من الامم التي فعلوا من المعاصي ما فعلوا ولقوا من العقاب ما لقوا كقوم نوح وعاد واضرابهم من اهل
الكفر والعناد وقوله تع كفروا بآيات الله تفسير لدابهم الذي فعلوا لا لداب آل فرعون ونحوهم
كما قيل فان ذلك معلوم منه بقضية التشبيه وقوله تع فاخذهم الله تفسير لدابهم الذي فعلوا لا
لداب آل فرعون ونحوهم كما قيل فان ذلك معلوم منه بقضية التشبيه وقوله تع بذنوبهم
لتاكيد ما افاده الفاء من السببية مع الاشارة الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل في
استتباع العقاب ويجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم فتكون الباء
للملابسة اي فاخذهم متلبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فدابهم مجموع ما فعلوا او فعل بهم لا ما فعلوا
فقط كما قيل روي عن ابن عباس ان آل فرعون ايقنوا ان موسى نبي الله فكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم
محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق فكذبوه فانزل الله تعالى بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون وجعل
العذاب من جملة دابهم مع انهم ليس مما يتصور مداومتهم عليه واعتيادهم اياه كما هو المعتبر في مدلول
الداب اما للتغليب ما فعلوه في فعل بهم او لتنزيل مداومتهم في ما يوجبه من الكفر والمعاصي منزلة
مداومتهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله تع ان الله قوي شديد العقاب اعتراض مقرر
لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تع ذلك الخ استئناف مسوق لتعليل ما يفيده النظم الكريم من كون
ما حل بهم من العذاب منوطا باعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه وهو المشار اليه لا نفس
ما حل بهم من العذاب او الانتقام كما قيل فانه مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم وذنوبهم لا يتصور
تعليله بجريان عادته تع على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم لحالهم وظاهر ان السبب ليس ما ذكر
كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفيد من مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى على تغيير حالهم
على تقدير ان المعلل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلف عنه ركوب شطط هائل وابعاد عن الحق
بمراحل وتهوين لامر الكفر بآيات الله واسقاط له عن رتبة ايجاب العقاب في مقام تهويله والتحذير
منه فالمعنى ذلك اي ترتب العقاب على اعمالهم السيئة دون ان يقع ابتداء مع قدرته تع على ذلك
بان الله اي بسبب انه تع لم يك في حد ذاته مغيرا نعمة انعمها اي لم ينبغ له سبحانه ولم يصح في حكمته ان يكون
بحيث يغير نعمة انعم بها على قوم من الاقوام اي نعمة كانت اوجلت او هانت حتى يغيروا ما بانفسهم من
الاعمال والاحوال التي كانوا عليها وقت ملابستهم بالنعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت احوالهم
السابقة مرضية صالحة او قريبة من الصلاح بالنسبة الى الحادثة كداب هؤلاء الكفرة حيث كانوا
قبل البعثة كفرة عبدة الاصنام مستمرين على حالة مصححة لافاضة نعمة الامهال وسائر النعم الدنيوية
عليهم فلما بعث اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالبينات غيروها الى اسوء منها واسخط حيث كذبوه عليه
السلام وعادوه ومن معه من المؤمنين وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوائل فغير الله تعالى ما انعم به
نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب والنكال واصل يك يكن حذفت النون تخفيفا لشبهها بحروف
اللينة وان الله سميع عليم عطف على ان الله تعالى الخ داخل معه في حيز التعليل اي وبسبب انه تعالى

سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما يأتون وما يذرون من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة
فيرتب على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ وان الله بكسر الهمزة فالجملة
فالجملة ح استئناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تع كدأب آل فرعون والذين من قبلهم في محل النصب
على انه نعت لمصدر محذوف اي حتى يغيروا ما بانفسهم تغييرا كائنا كدأب آل فرعون اي كتغييرهم
على ان دأبهم عبارة عما فعلوه فقط كما هو الانسب بمفهوم الدأب وقوله تع كذبوا بآيات ربهم تفسير
له بتمامه وقوله تع فأهلكناهم اخبار بترتب العقوبة عليه لا انه من تمام تفسيره ولا ضير في توسط قوله
تع وان الله سميع عليم بينهما كما مر نظيره في سورة آل عمران حيث جوزوا انتصاب محل الكاف بلن تغني
مع ما بينهما من قوله تع واولئك هم وقود النار وهذا على تقدير عطف الجملة على ما قبلها واما على
تقدير كونها اعتراضا فلا اعتبار في توسطها قطعا وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
كما قبله فالجملة ح استئناف آخر مسوق لتقرير ما سيق له الاستئناف الاول بتشبيه دأبهم المذكورين
لكن لا بطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدأب في الجانبين عبارة عما يلازم معناه الاول
من تغيير الحال وتغيير النعمة اخذا مما نطق به قوله تع ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة الآية اي دأب
هؤلاء وشأنهم الذي هو عبارة عن التغييرين المذكورين كدأب اولئك حيث غيروا حالهم فغير الله
تعالى نعمته عليهم فقوله تع كذبوا بآيات ربهم تفسير لدأبهم الذي فعلوه من تغييرهم لحالهم وقوله
تعالى فاهلكناهم تفسير لدأبهم الذي فعل بهم من تغيير تعالى ما بهم من نعمته واما دأب قريش ح
فمستفاد منه بحكم التشبيه فلله در شأن التنزيل حيث اكتفي في كل من التشبيهين بتغيير احد
الطرفين واضافة الآيات الى الرب المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا بها من التكذيب
والالتفات الى نون العظمة في اهلكنا جريا على سنن الكبرياء لتهويل الخطب والكلام في الباء في قوله
تعالى بذنوبهم كالذي مر وعطف قوله تعالى واغرقنا آل فرعون على اهلكنا مع اندراجه تحته للايذان
بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف جبريل على الملائكة عليهم السلام وكل اي من الفرق
المذكورين او كل من هؤلاء واولئك او كل من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين اي انفسهم
بالكفر والمعاصي حيث عرضوها للهلاك او واضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق
ولذلك اصابهم ما اصابهم ان شر الدواب بعدما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شرع
في بيان احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله تعالى عند الله اي في حكمه وقضائه الذين
كفروا اي اصروا على الكفر ولجوا فيه جعلوا شر الدواب لا شر الناس ايماء الى انهم بمعزل عن
مجانستهم وانما هم من جنس الدواب ومع ذلك شر من جميع افرادها حسبما نطق به قوله
عز وجل ان هم الا كالانعام بل هم اضل وقوله تعالى فهم لا يؤمنون حكم مترتب على تماديهم
في الكفر ورسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من اهل الطبع لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف
اصلا جيء به على وجه الاعتراض لا انه عطف على كفروا داخل معه في حيز الصلة التي لا حكم فيها
بالفعل وقوله تع الذين عاهدت منهم بدل من الموصول الاول او عطف بيان له او نصب على
الذم اي عاهدتهم ومن للايذان بان المعاهدة التي هي عبارة عن اعطاء العهد واخذه من الجانبين

معتبرة

معتبرة ههنا من حيث اخذه عليه السلام عهدهم اذ هو المناط لما نعي عليهم من النقض لا
اعطاؤه عليه السلام اياهم عهده كانه قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل للتبعيض لان
المباشر بالذات للعهد بعضهم لا كلهم ثم ينقضون عهدهم عطف على عاهدت داخل معه
في حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد النقض وتعدده وكونهم على نيته في كل
حال اي ينقضون عهدهم الذي اخذته منهم في كل مرة اي من مرات المعاهدة اذ هي التي يتوقع
فيها عدم النقض ويستبعد فيها وجوده لا من ايام المحاربة كما قيل اذ لا يتوقع فيها عدم النقض
لا يتصور اصلا حتى يستبعد فيها وجوده في كل مرة لكونها مظنة لعدمه فلا فائدة في تقييده
بالوقوع في كل مرة من مراتها بل لا صحة له قطعا لان النقض لا يتحقق الا في المرة الواردة على
المعاهدة لا في المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ولئن سلم ان المراد هي المرات الواقعة اثر
المعاهدة في النقض واصلا الواقع بلا محاربة كبيع السلاح ونحوه خارجا من البيان ولئن عد
ذلك من المحاربة فلا محيص من خلو الكلام عن الفائدة بالمرة لان المحاربة بهذا المعنى عين النقض
فيؤول الامر الى ان يقال ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات النقض وحمل المحاربة على المحاربة
بينهم بكون المعنى ينقضون عهدهم في كل مرة من مرات محاربات الاعداء مع كونه في غاية
البعد والركاكة يستلزم خروج نقوضهم بالنقض من البيان وهم لا يتقون حال من فاعل ينقضون
اي يستمرون على النقض والحال انهم لا يتقون سبة الغدر ولا يبالون عاقبته من العار والنار
فاما تثقفنهم شروع في بيان احكامهم بعد تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
اي فاذا كان حالهم كما ذكر فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب اي في تضاعيفها فشرد بهم
اي ففرق عن مناصبتك تفريقا موجبا للاضطراد والاضطراب وتكل عنها بان تفعل بهم من النكال
والتعذيب ما يوجب ان ينكل بهم من خلفهم اي من وراءهم من الكفرة وفيه ايماء الى انهم بصدد
الحراب وترتب من هؤلاء وقرئ فشرذ بالذال المعجمة ولعله مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ
من خلفهم اي افعل التشريد من وراءهم والمعنى واحد لان تفعل التشريد في الوراء لا يتحقق الا
بتشريد من وراءهم لعلهم يذكرون يتعظون بما شاهدوا مما نزل بالناقضين فيرتدعون
عن النقض او عن الكفر وقوله تع واما تخافن من قوم خيانة بيان لاحكام المشركين الذي لنقض العهد
اثر بيان احكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعار للعلم اي واما تعلمن من قوم من المعاهدين
نقض عهد فيما سيأتي بما لاح منهم من دلائل الغدر ومخايل الشر فانبذ اليهم اي فاطرح
اليهم عهدهم على سواء على طريق مستو قصد بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا
بانك قد قطعت ما بينك وبينهم من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء
العهد كيلا يكون من قبلك شائبة جناية اصلا فالجار متعلق بمحذوف هو حال من النابذ
اي فانبذ اليهم ثابتا على سواء وقيل على استواء في العلم بنقض العهد بحيث يستوي فيه
اقصاهم وادناهم او تستوي فيه انت وهم فهو على الاول حال من المنبوذ اليهم وعلى الثاني
من الجانبين ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ اما باعتبار استلزامه للنهي عن المناجزة

التي هي خيانة فيكون تحذيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها واما باعتبار استتباعه
للقتال بالاخرة فيكون حثاً له عليه السلام على النبذ او لا على قتالهم ثانياً كانه قيل
واما يعلمن من خيانة فانبذ اليهم ثم قاتلهم ان الله تعالى لا يحب الخائنين وهم من جملتهم
لما علمت حالهم ولا يحسبن الذين كفروا اي انفسهم فحذف للتكرار وقوله تعالى سبقوا اي فاتوا
وافلتوا من ان يظفر بهم مفعول ثان ليحسبن والمراد اقناطهم من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة
من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على دفع هذا التوهم مع ان مقاومة المؤمنين بهم ايضاً
مما يتعلق به امانيهم الباطلة للتنبيه على ان ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم وحسبانهم وانما
الذي يمكن ان يدور في خلدهم حسبان المناص فقط وقيل الفعل مسند الى احد او الى من
خلفهم والمفعول الاول الموصول المتناول لهم ايضاً وقيل هو الفاعل وان محذوفة من
سبقوا وهي مع ما في حيزها سادة مسد المفعولين والتقدير ولا يحسبن الذين كفروا ان سبقوا
ويعضده قراءة من قرأ انهم سبقوا ونظيره في الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً
وقوله تعالى قل افغير الله تامروني الآية قاله الزجاج وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهي قراءة واضحة وقرئ ولا تحسبن الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على
حذف النون الخفيفة وقوله تعالى انهم لا يعجزون اي لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزاً عن
ادراكهم تعليل للنهي على طريق الاستيناف وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام التعليل
وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وعلى
قراءة الخطاب لازاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما انه ايقاظ للعدو وتمكين لهم من الهرب
والخلاص من ايدي المؤمنين وفيه نفي لقدرتهم على المقاومة على ابلغ وجه وآكده مما اشير اليه قيل
نزلت فيمن افلت من فل المشركين وقرئ لا يعجزون بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد واعدوا
لهم توجيه الخطاب الى كافة المؤمنين لما ان المامور به من وظائف الكل كما ان توجيهه فيما
سبق وما لحق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكون ما في حيزه من وظائفه عليه السلام اي
اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم العهد وهم نبوا لحرابهم او لقتال الكفار على الاطلاق وهو
الانسب بسياق النظم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب كائناً ما كان
وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثاً
ولعل تخصيصه عليه السلام اياه بالذكر لانافته على نظائره من القوى ومن رباط الخيل الرباط
اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول او مصدر سميت به يقال ربط
ربطاً ورباطاً ورابط مرابطة ورباطاً او جمع ربيط كفصيل وفصال او جمع ربط ككعب
وكعاب وكلب وكلاب وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة
مع كونها من جملتها للايذان بفضلها على بقية افرادها كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون
به اي تخوفون وقرئ ترهبون بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم او
للاعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب على الحالية من فاعل اعدوا اي اعدوا مرهبين به او من

الموصول او من عائده المحذوف اي اعدوا ما استطعتموه مرهباً به عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة
خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم وتجاوزهم الحد في العداوة واخرين من
دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم اي لا تعرفونهم
باعيانهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله تعالى الله يعلمهم اي لا غير فان ما بهم
معلومة لغيره تعالى ايضاً وما تنفقوا من شيء في اعداد العدد دق او جل في سبيل الله الذي اوضحه الجهاد
يوف اليكم اي جزاؤه كاملاً وانتم لا تظلمون بترك الاثابة او بنقص الثواب والتعبير عن تركها
بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلماً لبيان كمال نزاهته سبحانه
عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة
عليه تعالى كما مر في سورة آل عمران في قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم وان جنحوا الجنوح
الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى اي ان مالوا للسلم اي للصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم
بمشاهدة ما بكم من الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح لها اي للسلم والتانيث لحمله على نقيضه كما قال
السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بضم النون
وتوكل على الله ولا تخف ان يظهروا لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد انه تعالى
هو السميع فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع العليم فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه
ويرد كيدهم في نحرهم والآية خاصة باليهود وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك
باظهار السلم وابطال الحراب فان حسبك الله اي فاعلم بان حسبك الله من شرورهم وناصرك
عليهم هو الذي ايدك بنصره تعليل لكفايته تعالى اياه عليه السلام بطريق الاستيناف فان تاييده
عليه السلام فيما سلف على ما ذكر من الوجه البعيد من الوقوع من دلائل تاييده تعالى فيما سيأتي
اي هو الذي ايدك بامداده من عنده بلا واسطة كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله او بالملائكة
مع خرقه للعادات وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار والف بين قلوبهم مع ما كان بينهم
قبل ذلك من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان
حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة وهذا من ابهر معجزاته عليه السلام لو انفقت ما في الارض
جميعاً اي لتاليف ما بينهم ما الفت بين قلوبهم استيناف مقرر لما قبله ومبين لعزة المطلب
وصعوبة المأخذ اي تناهى التعادي فيما بينهم الى حد لو انفق في اصلاح ذات البين جميع ما في الارض
من الاموال والذخائر لم يقدر على التاليف والاصلاح وذكر القلوب للاشعار بان التاليف
بينها لا يتسنى وان امكن التاليف ظاهراً ولكن الله الف بينهم قلباً وقالباً بقدرته البالغة
انه عزيز كامل القدرة والغلبة لا يستعصي عليه شيء مما يريده حكيم يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل
الآية في الاوس والخزرج فقد كان بينهم احن لا امد لها ووقائع افنت ساداتهم واعاظمهم ودقت
اعناقهم وجماجمهم فانسى الله عز وجل جميع ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا
يرمون عن قوس واحدة وصاروا انصاراً يا ايها النبي شروع في بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام
في مادة خاصة وتصدير الجملة بحرف النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها والمراد

عليه السلام بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم حسبك الله اي كافيك في جميع امورك او فيما بينك وبين الكفرة من الحراب ومن اتبعك من المؤمنين في محل النصب على انه مفعول معه اي كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما في قول من قال فحسبك والضحاك عضب مهند وقيل في موضع الجر عطفا على الضمير كما هو راي الكوفيين اي كافيك وكافيهم او في محل الرفع عطفا على اسم الله تعالى اي كافيك الله والمؤمنون والاية نزلت في البيداء في غزوة بدر قبل القتال وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلث وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه يا ايها النبي بعد ما بين لكفايته اياهم بالنصر والامداد امر صلى الله عليه وسلم بترتيب مبادي نصره وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشان المامور به حرض المؤمنين على القتال اي بالغ في حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته تعالى او بكفايتهم واصل التحريض الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به قلت فالاوجه ح ان يحمل الحرض عبارة عن ضعف القلب الذي هو من باب نهك المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم حرضا بان يقال له اني اراك في هذا الامر حرضا اي ممرضا فيه لتهيجه الى الاقدام وقرئ حرص بالصاد المهملة وهو واضح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وعد كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم بطريق الاستيناف بعد الامر بتحريضهم وقوله تعالى وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا مع انهما مضمونه مما قبله لكون كل منهما عدة بتأييد الواحد على العشرة لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمئنان على انه قد جرى بين الجمعين القليلين ما لا يجري بين الجمعين الكثيرين مع ان التفاوت فيما بين كل من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فبين ان ذلك لا يتفاوت في الصورتين وقوله تعالى من الذين كفروا بيان للالف وهذا القيد معتبر في الماضين ايضا وقد ترك ذكره تعويلا على ذكره ههنا كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه معتبرا حتما ثقة بذكره هناك بانهم قوم لا يفقهون متعلق بيغلبوا اي بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الاخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا بامر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما يفعله المؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة ثائرة البغي والعدوان فلا يستحقون الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يؤمن بالله واليوم الاخر لا يؤمن بالمعاد فالسعادة عنده ليست الا هذه الحيوة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيفر فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة في هذه الحيوة الفانية فلا يبالي بهذه الحيوة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي وعزم صحيح فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا لما كان الوعد السابق متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة في ثلاثين

راكبا

راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب فهزمهم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها الاقتدار الى القتال الا الضعف في الدين كما روي وقرئ ضعفا بضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما في الراي والعقل والضم ما في البدن وقرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى من حيث هو متعلق بالفعل لا علمه تعالى مطلقا كيف لا وهو ثابت في الاول وقوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن ههنا وفيما سبق بالتاء الفوقانية وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله اي بتيسيره وتسهيله وهذا القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والالف وغلبة العشرين المائتين كما ان الصبر معتبر ههنا وانما ترك ذكره ثقة بالامر وبقوله تعالى والله مع الصابرين فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله والمراد بالمعية نصره وتاييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك لحال المؤمنين مع ان مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني نصر المؤمنين وخذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الاخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها لاصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر كما مر مرارا ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد الاول والتنكير لما فيه من بيان ان ما يذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم السلام اي ما صح وما استقام لنبي من الانبياء عليهم السلام ان يكون له اسرى وقرئ بتانيث الفعل واسارى ايضا حتى يثخن في الارض اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح واصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا استيناف مسوق للعتاب اي تريدون حطامها باخذكم الفداء وقرئ يريدون بالياء والله يريد الاخرة اي يريد لكم ثواب الاخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف كما في قوله أكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بعد ذلك بقوله تعالى فاما منا بعد واما فداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضي الله عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضي الله عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان نسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني في

فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح عليه السلام قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفدا فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فاني وجدت بكا بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفدا ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السما لما نجا غير عمر وسعد بن معاذ رضي الله عنهما وكان هو ايضا ممن اشار بالاثخان لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطي في اجتهاده وان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهي واما الفدية التي اخذوها فانها حلال لهم فلا يصح ان يعد من موانع مساس العذاب فان الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما ان الحرمة اللاحقة كما في الخمر مثلا لا يرفع حكم الاباحة السابقة على انه قادح في تهويل ما نعى عليهم من اخذ العذاب لمسكم اى لاصابكم فيما اخذتم اي لاجل ما اخذتم من الفدا عذاب عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم قيل انهم امسكوا عن الغنائم فنزلت قالوا الفاء لترتيب ما بعدها على سبب محذوف اي قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي دعوه مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية فانها من جملة الغنائم ويأباه سياق النظم الكريم وسياقه حلالا حال من المغنوم او صفة لمصدر اي اكلا حلالا وفايدته الترغيب في اكلها وقوله تع طيبا صفة حلالا مفيدة لتاكيد الترغيب واتقوا الله اي في مخالفة امره ونهيه ان الله غفور رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه يا ايها النبي قل لمن في ايديكم اي في ايديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء وقرئ اخذ على البناء للفاعل قيل انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي ابني اخيه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس ما يدريك فقال اخبرني ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس بعد حين فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي يتاول ما في قوله تع ويغفر لكم والله غفور رحيم فانه وعد المغفرة مؤكد بما بعده من الاعتراض التذييلي وان يريدوا خيانتك اي نكث ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا كلام مسوق من جهته تع لتسليته عليه السلام بطريق الوعد له فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اي اقدرك عليهم حسبما رايت يوم بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفدا وهو بعيد والله عليم فيعلم ما في نياتهم وما يستحقونه

العقاب

من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما يقتضيه حكمته ان الذين امنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله تعالى ورسوله وجاهدوا باموالهم بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض في المهالك في سبيل الله متعلق بجاهدوا قيد لنوعي الجهاد ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا يتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم وبذلوا اليهم اموالهم وآثروهم على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة ونصروهم على اعدائهم اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضيلة وهو مبتدا وقوله تع بعضهم اما بدل منه وقوله تع اولياء بعض خبره واما مبتدا ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر للمبتدا الاول اي بعضهم اولياء بعض في الميراث وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تع واولوا الارحام الآية وقيل في النصرة ولطا ويرده قوله تع فعليكم النصر بعد نفي موالاتهم والذين امنوا ولم يهاجروا كسائر المؤمنين ما لكم من ولايتهم من شيء اي من توليهم في الميراث وان كانوا اقرب اقاربكم حتى يهاجروا وقرئ بكسر الواو تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة فانه لا يجوز نقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير فلا تخالفوا امره كيلا يحل بكم عقابه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض اي اخر منهم في الميراث او في الموازرة وهذا بمفهومه مفيد لنفي الموارثة والموازرة بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمة وان كانوا اقارب الا تفعلوه اي ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم بعضا حتى في التوارث ومن قطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض اي تحصل فتنة عظيمة فيها وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدارين وقرئ كثير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة بفوزهم القدح المعلى من الايمان مع الموعود الكريم بقوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه فلا تكرار لما ان مساق الاول لايجاب التواصل بينهم والذين امنوا من بعد وهاجروا بعد هجرتكم وجاهدوا معكم في بعض مغازيكم فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا في الايمان والهجرة وفي توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع محلهم ما لا يخفى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض آخر منهم في التوريث من الاجانب في كتاب الله اي في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم ومن جملته ما في تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية آخرا من الحكم البالغة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة

وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته والله تعالى اعلم واحكم

ولها اسماء اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من ذكر التوبة ومن التبرئة من النفاق والبحث
والتنقير عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم واشتهارها
بهذه الاسماء يقضي بانها سورة مستقلة وليست بعضا من سورة الانفال وادعاء اختصاص
الاشتهار بالقائلين باستقلالها خلاف الظاهر فيكون حكمة ترك التسمية عند النزول مع
نزولها في رفع الامان الذي يابى مقامه التصدير بما يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى مشفوعا
بوصف الرحمة كما روي عن ابن عيينة رحمه الله لا الاشتباه في استقلالها وعدمه كما يحكى
عن ابن عباس رضي الله عنهما ولا رعاية ما وقع بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين من
الاختلاف في ذلك على ان ذلك يفضي الى القول بان التسمية ليست من القرآن وانما كتبت
للفصل بين السور كما نقل عن قدماء الحنفية وان مناط اثباتها في المصاحف وتركها انما هو
راي من تصدى لجمع القرآن دون التوقيف ولا ريب في ان الصحيح من المذهب انها اية فذة من
القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وان لا دخل لراي احد في الاثبات والترك وانما المتبع
في ذلك هو الوحي والتوقيف ولا مرية في عدم نزولها ههنا والا لامتنع ان يقع في الانفال
اشتباه او اختلاف فهو اما لاتحاد السورتين وقيل ذكرنا لاسبيل اليه الاول والا لبينه صلى الله
عليه وسلم لتحقق مزيد الحاجة الى البيان لتعاضد ادلة الاستقلال من كثرة الايات وطول المدة
فيما بين نزولهما فحيث لم يبينه عليه السلام تعين الثاني لان عدم البيان من الشارع في موضع
البيان بيان للعدم براءة خبر مبتدا محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب اي
اسمعوا براءة ومن في قوله تعالى من الله ورسوله ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها لتفيدها
زيادة تفخيم وتهويل اي هذه براءة مبتداة من جهة الله ورسوله واصلة الى الذين عاهدتم
من المشركين وانما لم يذكر ما تعلق به البراءة حسبما ذكر في قوله تعالى ان الله بريء من المشركين اكتفاء بما في
حيز الصلة فانه منبئ عنه انباء ظاهرا واحترازا عن تكرير لفظة من وقيل هي مبتدا لتخصصها
بالصفة وخبرها الى الذين الخ والذي يقتضيه جزالة النظم هو الاول لان هذه البراءة امر حادث لم
يعهد عند المخاطبين انها ولا عنوان ابتدائها من الله تعالى ورسوله يخرج ذلك العنوان تخرج
الصفة لها ويجعل المقصود بالذات والعمدة في الاخبار شيئا اخر هو وصولها الى المعاهدين وانما
الحقيق بان يعتني بافادته حدوث تلك البراءة من جهته تعالى ووصولها اليهم فان حق الصفات
قبل علم المخاطب بثبوتها لموصوفاتها ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لموصوفاتها
ان تكون اخبارا لما بين له ان تكون صفات كما حقق في موضعه وقرئ من الله بكسر النون

على ان الاصل في تحريك الساكن الكسر ولكن الوجه هو الفتح في لام التعريف خاصة لكثرة الوقوع
والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب في عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركي العرب من
اهل مكة وغيرهم باذن الله تعالى واتفاق الرسول صلى الله عليه وسلم فنكثوا الا بني ضمرة وبني
كنانة فامر المسلمون بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤوا وانما نسبت
البراءة الى الله تعالى ورسوله مع شمولها للمسلمين واشتراكهم في حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت
المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها باذن الله تعالى واتفاق الرسول عليه السلام للانباء عن
تنجزها وتحتمها من غير توقف على راي المخاطبين لانها عبارة عن انهاء حكم الامان ورفع الحظر
المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجانب الله تعالى لانه امر كسائر
الاوامر الجارية على حسب حكمة تقتضيها وداعية تستدعيها تترتب عليها اثارها من غير توقف
على شيء اصلا واشتراك المسلمين في حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو بطريق الامتثال بالامر
لا ان يكون لهم مدخل في اتمامها او في ترتب احكامها عليها واما المعاهدة فحيث كانت عقدا
كسائر العقود الشرعية لا تحصل في نفسها ولا يترتب عليها احكامها الا بمباشرة المتعاقدين على
وجوه مخصوصة اعتبرها الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه في شانها
هو الاذن فيها وانما الذي يباشرها ويتولى امرها المسلمون ولا يخفى ان البراءة انما تعلقت
بالعهد لا بالاذن فيه فنسب كل واحد منهما الى من هو اصل فيه على ان في ذلك تفخيما لشان البراءة
وتهويلا لامرها وتسجيلا على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخزي والخذلان
وتنزيها لساحة السبحان والكبرياء عما يوهم شائبة النقص والبداء تعالى عن ذلك علوا كبيرا
او ادراجه عليه السلام في النسبة الاولى واخراجه عن الثانية لتنويه شانه الرفيع واجلال
قدره المنيع في كلا المقامين صلى الله عليه وسلم وايثار الجملة الاسمية على الفعلية كان يقال
قد برئ الله ورسوله من الذين الخ او نحو ذلك للدلالة على دوامها واستمرارها والتوسل الى تهويلها
بالتنوين التفخيمي كما اشير اليه فسيحوا السياحة والسيح الذهاب في الارض والسير فيها بسهولة
على مقتضى المشيئة كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة والترفيه
ما ليس في سيروا ونظائره وزيادة قوله عز وجل في الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار
الاسلام وغيرها والمراد اباحة ذلك لهم وتخليتهم وشانهم من الاستعداد للحرب او تحصين
الاهل والمال او تحصيل المهرب او غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها وتلوين الخطاب بصرفه
عن المسلمين وتوجيهه اليهم مع حصول المقصود بصيغة امر الغائب ايضا للمبالغة في الاعلام
بالامهال حسما لمادة تعللهم بالغفلة وقطعا لشافة اعتذارهم بعدم الاستعداد وايثار صيغة
الامر مع تبني افادة ذلك المعنى بطريق الاخبار ايضا كان يقال مثلا فلكم ان تسيحوا او نحو ذلك
لاظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث لهم ولاستعدادهم فكان ذلك امر مطلوب منهم
والفاء لترتيب الامر بالسياحة وما يعقبه على ما يؤذن به البراءة المذكورة من الحرب على ان الاول
مترتب على نفسه والثاني بكلا متعلقيه على عنوان كونه من الله العزيز لا لترتب الاول عليه وانكار

على الاول كما في قوله تع قل سيروا في الارض فانظروا الخ كأنه قيل بعد براءة موجبة لقتالكم فاسعوا
في تحصيل العدد والاسباب وبالغوا في اعتداد العتاد من كل باب اربعة اشهر واعلموا انكم
في اقطار الارض في العرض والطول وان ركبتم متن كل صعب وذلول غير معجزي الله اي لا
تفوتونه بالهرب والتحصن وان الله وضع الاسم الجليل موضع المضمر لتربية المهابة وتهويل
امر الاخزاء وهو الاذلال بما فيه فضيحة وعار مخزي الكافرين اي مخزيكم وهذا كما في الدنيا
بالقتل والاسر وفي الاخرة بالعذاب وايثار الاظهار في الاسماء لذمهم بالكفر بعد وصفهم
بالاشراك وللاشعار بان علة الاخزاء كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل
المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر الاربعة هي الاشهر الحرم التي حرم القتال فيها
فقيل هي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم
وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وجعلت حرما لحرمة قتالهم فيها او
لتغليب ذي الحجة والمحرم على البقية وقيل من عشر ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول
لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في العام القابل
في ذي الحجة وذلك قوله عز وجل ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض
روي انه عليه السلام امر ابا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه
على العضباء ليقرأها في اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر رضي الله عنه فقال عليه
السلام لا يؤدي عني الا رجل مني وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى امر العهد والنقض على
القبيلة الا رجل منها فلما دنا علي سمع ابو بكر رضي الله عنهما الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فمضيا فلما كان قبل يوم التروية
خطب ابو بكر رضي الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس
اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب
البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد
عهده واذان من الله ورسوله اي اعلام منهما فعال بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه
كرفع براءة والجملة معطوفة على مثلها وانما قيل الى الناس اي كافة لان الاذان غير مختص بقوم دون
آخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين بل شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين ايضا يوم الحج الاكبر يوم العيد
لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر
عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله صلى الله عليه وسلم
الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر ولان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله
فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل
المشركين ان الله اي بان الله وقرئ بالكسر لما ان الاذان فيه معنى القول بريء من المشركين
اي المعاهدين الناكثين ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة الكسر
وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار

في القسم

في القسم فان تبتم من الشرك والغدر التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة تهديد وتشديد والفاء
لترتيب مقدم الشرطية على الاذان بالبراءة المذللة بالوعيد الشديد المؤذن بلين عريكتهم وانكسار
شدة شكيمتهم فهو اي فالتوب خير لكم في الدارين وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام
والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله غير سابقين ولا فائتين وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف
له عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان البشارة بعذاب اليم وان كانت بطريق التهكم انما يليق
بمن يقف على الاسرار الالهية الا الذين عاهدتم من المشركين استدراك من النبذ السابق الذي اخر
فيه القتال اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتموهم
ثم لم ينكثوا عهدهم فلا تجروهم مجرى الناكثين في المسارعة الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا
يضر ولا يقدح في ذلك تخلل الفاصل بقوله تع واذان من الله ورسوله الخ لانه ليس باجنبي بالكلية
بل هو امر بالاعلام بتلك البراءة كانه قيل واعلموها وقيل هو مستثنى متصل من المشركين الاول
ويرده بقاء الثاني في العموم مع كونهما عبارة عن فريق واحد وجعله استثناء من الثاني يأباه بقاء
الاول كذلك وقيل هو استدراك من المقدر في فسيحوا اي قولوا اليهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين
عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من النقض وكلمة ثم للدلالة على ثباتهم على عهدهم مع تمادي
المدة ولم يظاهروا اي ولم يعاونوا عليكم احدا من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة في غيبة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فظاهرتهم قريش بالسلاح فاتموا اليهم عهدهم اي ادوه اليهم كاملا الى مدتهم
ولا تفاجئوهم بالقتال عند مجيء الاجل المضروب للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس
رضي الله عنهما بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب المتقين تعليل
لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعات حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفي
والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا فاذا انسلخ اي انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع
بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى الجلد والمعنى اذا انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع
الاشهر الحرم وانفصلت عما كانت مشتملة عليه ساترة له انفصال الجلد عن الشاة وانكشف عنه
انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكر ابو الهيثم من انه يقال اهللنا شهر كذا اي دخلنا فيه ولبثناه فنحن نزداد
اذ كل ليلة لباسا منه الى مضي نصفه ثم نسلخه عن انفسنا جزءا فجزءا حتى نسلخه عن انفسنا كله فينسلخ
وانشد: اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله ۞ كفى قاتلا سلخي الشهور واهلالي
وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتمل عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل
جزء من اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد
لطف لما فيه من التلويح بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدي المسلمين
فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمة تأكيدا لما ينبئ عنه اباحة القتال
من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشأنها او هي مع ما فهم من قوله تع فاتموا اليهم عهدهم
الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير الناكثين فعلى الاول يكون المراد بالمشركين في قوله تع فاقتلوا المشركين
الناكثين خاصة فلا يكون قتال الباقين مفهوما من عبارة النص بل من دلالته وعلى الثاني مفهوما من العبارة

الا انه يكون الانسلاخ وما نيط به من القتال شيئا فشيئا لا دفعة واحدة كانه قيل فاذا انتهت
كل طائفة فاقتلوهم وحملها على الاشهر المعهودة الدائرة في كل سنة لا يساعده النظم الكريم واما انه
يستدعي بقاء حرمة القتال فيها اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فلا اعتداد به لانها نسخت
بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كما توهم فانه رجم بالغيب لانه ان اريد به ما في سورة الانفال
فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد بالذين كفروا في قوله تعالى قل للذين كفروا الخ ابو سفيان
واصحابه وقد اسلم في اواسط رمضان عام الفتح سنة ثمان وسورة التوبة انما نزلت في
شوال سنة تسع وان اريد ما في سورة البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح كما يعرب عنه ما قبله
قوله تعالى اخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك يوم الفتح فكيف ينسخ به ما نزل
بعده بل لان انعقاد الاجماع على انتساخها كاف في الباب من غير حاجة الى كون سنده منقولا
الينا وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف لعشر بقين من المحرم حيث وجدتموهم
وخذوهم اي أسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم اي قيدوهم او امنعوهم من التقلب في البلاد
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حولوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد
اي كل ممر ومجتاز يجتازون منه في اسفارهم وانتصابه على الظرفية اي ارصدوهم وارقبوهم
حتى لا يمروا به وفائدته على التفسير الثاني دفع احتمال ان يراد بالحصر الحاصرة المعهودة
فان تابوا عن الشرك بالايمان عما انتظروا بما ذكر من القتل والاسر والحصر واقاموا الصلاة وآتوا
الزكاة تصديقا لتوبتهم وايمانهم واكتفي بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رأسي العبادات
البدنية والمالية فخلوا سبيلهم فدعوهم وشانهم ولا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر ان الله غفور رحيم
يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم وطاعتهم وهو تعليل للامر بتخلية السبيل
شروع في بيان حكم المتصدين لمبادي التوبة من سماع كلام الله تعالى والوقوف على شعائر
الدين اثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر لا
لان ان لا تدخل الا الفعل من المشركين استجارك بعد انقضاء الاجل المضروب اي سألك ان يؤمنه
ويكون له جارا فاجره اي امنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعو اليه ولا
في ذكر السماع لعدم الحاجة الى شيء آخر في الفهم لكونهم من اهل اللسان والفصاحة وحتى
للغاية او للتعليل متعلقة بما عندها لا بقوله تعالى استجارك لانه يؤدي الى اعمال حتى في المضمر
مما لا يكاد يرتكب في غير ضرورة الشعر كما في قوله فلا والله لا يلفي اناس فتى حتاك يا ابن ابي زيد كذا
قيل الا ان تعلق الاجارة بسماع كلام الله تعالى باحد الوجهين يستلزم تعلق الاستجارة ايضا بذلك
او بما في معناه من امور الدين وعما روي عن علي رضي الله عنه انه اتاه رجل من المشركين فقال
ان اراد الرجل منا ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل لسماع كلام الله تعالى يقول وان احد
من المشركين استجارك فاجره الخ فالمراد بما فيه من الحاجة هي الحاجة المتعلقة بالدين لا ما يعمها
وغيرها من الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه قوله ان ياتي محمدا فان من يأتيه عليه السلام للامور
المتعلقة بالدين ثم ابلغه بعد استماعه له ان لم يؤمن مأمنه اي مسكنه الذي يأمن فيه وهو دار قومه

ذلك

ذلك يعني الامر بالاجارة وابلاغ المأمن بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته
او قوم جهلة فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة اصلا كيف يكون للمشركين
عهد شروع في تحقيق حقيقة ما سبق من البراءة واحكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية
الى ذلك والمراد بالمشركين الناكثون لان البراءة انما هي في شانهم والاستفهام انكاري لا بمعنى
انكار الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الخ بل بمعنى انكار الوقوع ويكون من الكون التام وكيف
محل النصب على التشبيه بالحال او الظرف وقيل من الكون الناقص وكيف خبر مقدم واسمه
وهو عهد لاقتضائه الصدارة وللمشركين متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد ولو كان مؤخرا لكان
صفة له او بيكون عند من يجوز عمل الافعال الناقصة في الظروف وعند متعلق بمحذوف وقع صفة
لعهد او بنفسه لانه مصدر او بيكون كما مر ويجوز ان يكون الخبر للمشركين وعند كما ذكر او متعلق
بالاستقرار الذي تعلق به للمشركين ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين واما حال
من عهد واما متعلق بيكون او بالاستقرار الذي تعلق به الخبر ولا يبالي بتقديم معمول الخبر على الاسم
لكونه حرف جر وكيف في الوجهين الاخيرين نصب على التشبيه بالظرف والحال كما في صورة الكون
التام وهو الاولى لان في انكار ثبوت العهد في نفسه من المبالغة ما ليس في انكار ثبوته للمشركين
لان ثبوته الرابطي فرع ثبوته العيني فانتفاء الاصل يوجب انتفاء الفرع رأسا وفي توجيه الانكار
الى كيفية ثبوت العهد من المبالغة ما ليس في توجيهه الى ثبوته لان كل موجود يجب ان يكون وجوده
على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني اي على
اي حال او في اي حال يوجد لهم عهد معتد به عند الله وعند رسوله يستحق ان يراعى حقوقه ويحافظ
عليه الى تمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا واما ان يؤمنوا به من عذاب الآخرة كما قيل
فلا سبيل الى اعتباره اصلا اذ لا دخل لعدمه في ذلك الامن قطعا وان كان مرعيا عند الله تعالى
وعند رسوله كعهد غير الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على
حدة الا الذين استدراك من النفي المفهوم من الاستفهام المتبادر شموله لجميع المعاهدين لكن الذين
عاهدتم عند المسجد الحرام وهم المستثنون فيما سلف والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد
الحرام لزيادة بيان اصحابها والاشعار بسبب وكادتها ومحله الرفع في الابتداء خبره قوله عز وجل
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم والفاء لتضمنه معنى الشرط وما اما مصدرية منصوبة المحل
على الظرفية بتقدير المضاف اي فاستقيموا لهم مدة استقامتهم لكم واما شرطية منصوبة
المحل على الظرفية الزمانية اي اي زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم او مرفوعة على
الابتداء والعائد محذوف اي اي زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه وقيل
الاستثناء متصل ومحله النصب على الاصل او الجر على البدل من المشركين والمراد بهم الجنس
لا المعهود وايا ما كان فحكم الامر بالاستقامة ينتهي بانتهاء مدة العهد لان استقامتهم التي
وقت بوقتها الاستقامة المأمور بها عبارة عن مراعاة حقوق العهد وبعد انقضائه
لا عهد ولا استقامة فصار عين الامر الوارد فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم

في مدتهم خلا أنه قد صرح ههنا بما لم يصرح به هناك مع كونه معتبرا قطعا وهو تعبيد الإتمام
المأمور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفاء إن الله يحب المتقين تعليل للأمر بالاستقامة
وإشعار بأن القيام بموجب العهد من أحكام التقوى كما مر كيف تكرير لاستنكار ما مر من أن
يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه وعند رسوله صلى الله عليه وسلم
وأما ما قيل من أنه لاستبعاد ثباتهم في العهد فكما ترى لأن ما يذكر بصدد التعليل للا
عن عدم ثباتهم على العهد لأنه شيء يستدعيه وإنما يعيد الاستنكار والاستبعاد تأكيدا
لهما وتمهيدا لتعداد العلل الموجبة لهما لإخلال تخلل ما في البين بالارتباط والتقريب وحذف
الفعل المستنكر للإيذان بأن النفس مستحضرة له مترقبة لورود ما يوجب استنكاره لا لمجرد
كونه معلوما كما في قوله ۞ وخبرتماني إنما الموت بالقرى ۞ فكيف وهاتا هضبة وقليب ۞
فإنه علة مصححة لا مرجحة أي كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله عليه السلام
وإن يظهروا عليكم أي وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم أي يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم أي لم يراعوا في
شأنكم وأصل الرقوب النظر بطريق الحفظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل في مطلق الرعاية
والمراقبة أبلغ منه كالمراعاة وفي نفي الرقوب من المبالغة ما ليس في نفيها إلا ولا ذمة أي حلفا
وقيل قرابة ولا عهدا وحقا يعاب في إغفاله مع ما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق
يعني أن وجوب مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعاة الآخر لها فإذا
لم يراعها المشركون فكيف تراعونها على منوال قول من قال ۞ علام تقبل منهم فدية وهم ۞
لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا ۞ وقيل الإل من أسماء الله عز وجل أي لا يراعون حق الله تعالى
وصل الجوار وماله الحلف لأنهم إذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه ولما كان
عدم تعليق عدم رعاية العهد بالظفر موهما للرعاية عند عدمه كشف عن حقيقة شؤونهم
الجلية والخفية بطريق الاستئناف وبين أنهم في حالة العجز أيضا ليسوا من الوفاء في شيء
وأن ما يظهرونه مداهنة ومداراة فقيل يرضونكم بأفواههم حيث يظهرون الوفاء والمصافاة
ويعدون لكم بالإيمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالأيمان الفاجرة ويتعللون عند ظهور خلافه
بالمعاذير الكاذبة ونسبة الإرضاء إلى الأفواه للإيذان بأن كلامهم مجرد ألفاظ يتفوهون بها
من غير أن يكون لها مصداق في قلوبهم وتأبى قلوبهم ما يفيده وأكثرهم فاسقون خارجون عن
الطاعة فإن مراعاة حقوق العهد من باب الطاعة متمردون ليست لهم مروءة رادعة ولا عقيدة
وازعة لا يزعون كما يتعاطاه بعضهم ممن يتفادى عن الغدر ويتعفف عما يجر أحدوثة السوء اشتروا
بآيات الله بآياته الآمرة بالإيفاء بالعهود والاستقامة في كل أمر وجميع آياته فيدخل فيها ما ذكر
دخولا أوليا أي تركوها وأخذوا بدلها ثمنا قليلا أي شيئا حقيرا من حطام الدنيا وهو أهواؤهم وشهواتهم
التي اتبعوها وما أنفقه أبو سفيان من الطعام وصرفه إلى الأعراب فصدوا أي عدلوا ونكبوا أو
صدوا وصرفوا غيرهم من صد صدودا أو صدا والفاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك عن سبيله
أي الدين الحق الذي لا محيد عنه والإضافة للتشريف وسبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج

وهاتا هضبة وقليب [illegible]

والعمار

والعمار إنهم ساء ما كانوا يعملون أي بئس ما كانوا يعملونه أو عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف
وقد جوز أن يكون كلمة ساء في أصلها من التصرف لازمة بمعنى قبح أو متعدية والمفعول محذوف
أي ساءهم الذي يعملونه أو عملهم وقوله عز وجل لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة نعي عليهم عدم مراعاة
حقوق عهد المؤمنين على الإطلاق فلا تكرار وقيل هذا في اليهود أو في الأعراب المذكورين
ومن بعد واحد فهم وأما ما قيل من أنه تفسير لقوله تعالى يعملون أو دليل على ما هو المخصوص بالذم
فيشعر باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون غيرهم وأولئك الموصوفون بما عدد من الصفات
السيئة هم المعتدون المجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشر فإن تابوا أي عما هم عليه
من الكفر وسائر العظائم والفاء للإيذان بأن تقريعهم بما في عليهم من مساوي أعمالهم
مزجرة عنها ومظنة للتوبة وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة أي التزموها وعزموا على إقامتهما
فإخوانكم أي فهم إخوانكم وقوله تعالى في الدين متعلق بإخوانكم لما فيه من معنى الفعل أي فلهم ما لكم وعليهم
ما عليكم فعاملوهم معاملة الإخوان وفيه من استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف
بين جواب هذه الشرطية وجواب التي مرت من قبل مع اتحاد الشرط فيهما لما أن الأولى سيقت
إثر الأمر بالقتل ونظائره فوجب أن يكون جوابها أمرا بخلاف ذلك وهذه سيقت بعد الحكم
عليهم بالاعتداء وأشباهه فلا بد من كون جوابها حكما بخلافه البتة ونفصل الآيات أي نبينها
والمراد بها إما ما مر من الآيات المتعلقة بأحوال المشركين من الناكثين وغيرهم إدراجا أوليا لقوم يعلمون
أي ما فيها من الأحكام أو لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التأمل في الأحكام المندرجة في تضاعيفها
والمحافظة عليها وإن نكثوا عطف على قوله تعالى فإن تابوا أي وإن لم يفعلوا ذلك بل نقضوا أيمانهم
من بعد عهدهم الموثقة بها وأظهروا ما في ضمائرهم من الشر وأخرجوه من القوة إلى
الفعل حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا الآية أو ثبتوا على ما هم عليه من النكث لا
أنهم ارتدوا بعد الإيمان كما قيل وطعنوا في دينكم قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الأحكام فقاتلوا
أئمة الكفر أي فقاتلوهم وإنما أوثر ما عليه النظم الكريم للإيذان بأنهم صاروا بذلك ذوي رياسة
وتقدم في الكفر أحقاء بالقتل والقتال وقيل المراد بأئمتهم رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم
بالذكر إما لأهمية قتلهم أو للمنع من مراقبتهم لكونهم مظنة لها أو للدلالة على استئصالهم فإن
قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقرئ أيمة بتحقيق الهمزتين على الأصل والأفصح
إخراج الثانية بين بين وأما التصريح بالياء فلحن ظاهر عند القراء إنهم لا أيمان لهم أي على
الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وإن أجروها على ألسنتهم وإنما علق النفي
بها كالنكث فيما سلف لا بالعهد المؤكد بها لأنها العمدة في المواثيق وجعل الجملة تعليلا للأمر بالقتال
لا يساعده تعليقه بالنكث والطعن لأن حالهم في أن لا أيمان لهم حقيقة بعد النكث والطعن كحالهم
قبل ذلك وحمله على معنى عدم بقاء أيمانهم بعد النكث والطعن مع أنه لا حاجة إلى بيانه خلاف الظاهر
ولعل الأولى جعلها تعليلا لمضمون الشرط كأنه قيل وإن نكثوا أو طعنوا إذ لا أيمان لهم حقيقة حتى
لا ينكثوها أو لاستمرار القتال المأمور به المستفاد من سياق الكلام كأنه قيل فقاتلوهم لأن يرعووا

إنهم لا أيمان لهم حتى يعتد معهم بعهد آخر وقرئ بكسر الهمزة على أنه مصدر بمعنى إعطاء
الأمان أي لا سبيل إلى أن تعطوهم أمانا بعد ذلك أبدا وأما التكفير كما قيل فلا وجه له لأن
بأن معاهدتهم معنا في طريقة أن يكون إعطاء الأمان من قبلهم وذلك من بين البطلان
أو بمعنى الإسلام في كونه تعليلا للأمر بالقتال إشكال بل استحالة لأنه إن حمل على انتفائه
مطلقا فهو بمعزل من العلية للقتال أو للأمر به كما مثل النكث والطعن وإن حمل على انتفائه فيما
سيأتي فلا يلائم جعل الانتهاء غاية للقتال فيما سيجيء فالوجه أن يجعل تعليلا لما ذكر من
الشرط كأنه قيل إن نكثوا وطعنوا وهو الظاهر من حالهم لأنه لا إسلام لهم حتى يرتدعوا عن
نقض جنس أيمانهم وعن الطعن في دينكم لعلهم ينتهون متعلق بقوله تعالى فقاتلوا أي قاتلوهم
إرادة أن ينتهوا أي ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم
التي يرتكبونها لا إيصال الأذية بهم كما هو ديدن المؤذين ألا تقاتلون الهمزة الداخلة على النفي
للإنكار والتوبيخ تدل على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الإقرار بانتفائها
كأنه أمر لا يمكن أن يعترف به طائعا لكمال شناعته فيلجأون إلى ذلك ولا يقدرون على الإقرار
به فيضطرون إلى المقاتلة قوما نكثوا أيمانهم التي حلفوها عند المعاهدة على أن لا يعاونوا عليهم
فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا بإخراج الرسول من مكة حين تشاوروا بدار الندوة حسبما
ذكر في قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا فيكون نقضا لجنايتهم القديمة وقيل هم اليهود نكثوا عهد
الرسول صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب وهموا بإخراجه من المدينة وهم بدءوكم بالمعاداة
أو المقاتلة أول مرة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا
عن المحاجة لعجزهم عنها إلى المقاتلة أو بدءوا بقتال خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم لأن إعانتهم
بني بكر عليهم قتال معهم أتخشونهم أي أتخشون أن ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وبخهم أولا
وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها ويحقق أن من كان في تلك الصفات السيئة حقيق
بأن لا يترك مصادمته ويوبخ من فرط فيها فالله أحق أن تخشوه بمخالفة أمره وترك قتال أعدائه
إن كنتم مؤمنين فإن قضية الإيمان تخصيص الخشية به تعالى وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد
ما لا يخفى قاتلوهم تجريد للأمر بالقتال بعد التوبيخ على تركه ووعد بنصرهم وبتعذيب أعدائهم
وإخزائهم وتشجيع لهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم قتلا وأسرا وينصركم عليهم أي يجعلكم جميعا غالبين
عليهم أجمعين ولذلك أخر عن التعذيب والإخزاء ويشف صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال
وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا
من أهلها أذى كثيرا فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون إليه فقال عليه السلام أبشروا فإن الفرج
قريب ويذهب غيظ قلوبهم بما كابدوا من المكاره والمكايد ولقد أنجز الله سبحانه جميع ما وعدهم
به على أجمل ما يكون وكان إخباره عليه السلام بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة ويتوب الله على من يشاء
كلام مستأنف ينبئ عما سيكون من بعض أهل مكة من التوبة المقبولة حسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم
البالغة فكان كذلك حيث أسلم ناس منهم وحسن إسلامهم وقرئ بالنصب بإضمار أن ودخول

التوبة في جملة ما أجيب به الأمر بحسب المعنى فإن القتال كما هو سبب شوكتهم
شكيمتهم فهو سبب للتدبر في أمرهم وتوبتهم من الكفر والمعاصي والاختلاف في وجه السببية
غير السبك والله تعالى أعلم والله إيثار إظهار الجلالة في الإخبار لتربية المهابة وإدخال الروعة
عليم لا يخفى عليه خافية حكيم لا يفعل ولا يأمر إلا ما فيه حكمة ومصلحة أم حسبتم أم منقطعة جيء بها
للدلالة على الانتقال من التوبيخ السابق إلى آخر وما فيها من همزة الاستفهام إنكاري توبيخ لهم
على الحسبان المذكور أي بل أحسبتم أن تتركوا على ما أنتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد بما يحتكم
والخطاب إما لمن شق عليهم القتال من المؤمنين أو للمنافقين ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو
حالية ولما للنفي مع التوقع والمراد من نفي العلم نفي المعلوم بالطريق البرهاني إذ لو شم رائحة الوجود
لعلم قطعا فلما لم يعلم لزم عدمه قطعا أي أم حسبتم أن تتركوا والحال أنه لم يتبين الخلص
المجاهدون منكم من غيرهم وفيما في لما من التوقع منبهة على أن ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم
التبين بعدم علم الله تعالى أن المقصود هو التبين من حيث كونه متعلقا للعلم ومدارا للثواب وعدم
التعرض لحال المقصرين لما أن ذلك بمعزل من الاندراج تحت إرادة أكرم الأكرمين ولم يتخذوا عطف
على جاهدوا داخل في حيز الصلة أو حال من فاعله أي جاهدوا حال كونهم غير متخذين من دون الله ولا رسوله
ولا المؤمنين وليجة أي بطانة وصاحب سر وهو الذي تطلعه على ما في ضميرك من الأسرار الخفية من الولوج
وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ إن أبقي على حاله أو مفعول ثان له إن جعل بمعنى التصيير
والله خبير بما تعملون أي بجميع أعمالكم وقرئ بالياء على الغيبة وهو تذييل يزيح ما يتوهم منه
ظاهر قوله تعالى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال أنه يعلم جميع أعمالكم لا يخفى عليه شيء منها ما كان
للمشركين أي ما صح وما استقام لهم على معنى نفي الوجود والتحقق لا نفي الجواز كما في قوله تعالى أولئك
ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين أي ما وقع وما تحقق لهم أن يعمروا عمارة معتدا بها مساجد الله أي
المسجد الحرام وإنما جمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامرها أو لأن كل ناحية من نواحيه
المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف سائر المساجد إذ ليس في نواحيها اختلاف الجهة
ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل ما كان لهم أن يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام
الذي هو صدر الجنس ويأباه أنهم لا يتصدون لتعمير سائر المساجد ولا يفتخرون به وذلك مبني
على كون النفي بمعنى نفي الجواز واللياقة دون نفي الوجود شاهدين على أنفسهم بالكفر أي بإظهار
الشرك من نصب الأوثان حول البيت والعبادة لها فإن ذلك شهادة صريحة على أنفسهم بالكفر وإن
أبوا أن يقولوا نحن كفار كما نقل عن الحسن رحمه الله وهو حال من الضمير في يعمروا أي محال أن
أن يكون ما سموه عمارة عمارة بيت الله تعالى مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى
فإنها ليست من العمارة في شيء وأما ما قيل من أن المعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين
عمارة بيت الله تعالى وعبادة غيره تعالى فليس عن كنه المرام فإن عدم استقامة الجمع بين المتنافيين إنما
يستدعي انتفاء أحدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة الذي هو المقصود وروي أن المهاجرين والأنصار
أقبلوا على أسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق علي رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال النبي

النبي صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا
وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي
الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك الذين يدعون عمارة المسجد وما يضاهيها من اعمال البر مع
ما بهم من الكفر حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا
وفي النار هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة اسمية للمبالغة في الدلالة على الخلود
والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستانفة لتقرير
النفي السابق الاولى من جهة نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي استدفاع العذاب
انما يعمر مساجد الله الكلام في ايراد صيغة الجمع كما مر فيما مر ان اريد جميع المساجد وان اريد
المسجد الحرام ففي ذلك من المبالغة بمقتضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب وقد قرئ
بالافراد ايضا والمراد ههنا قصر تحقق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها
اي انما يليق ويستقيم ان يعمرها عمارة يعتد بها من آمن بالله واليوم الآخر بما فيه من البعث
والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحي واقام الصلوة وآتى الزكوة على ما علم من الدين فيندرج فيه
الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم حتما وقيل هو مندرج تحت الايمان بالله خاصة
فان احد جزئي كلمتي الشهادة علم للكل اي انما يعمرها من جمع هذه الكمالات العلمية والعملية
والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش وتنويرها
بالسرج وادامة العبادة والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها مما لم تبن له
كحديث الدنيا وقيل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما
تأكل البهيمة الحشيش وقال صلى الله عليه وسلم ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري
فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه
صلى الله عليه وسلم من الف المسجد الفه الله وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد
فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش
تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه ولم يخش في امور الدين الا الله فعمل بموجب امره ونهيه غير
آخذ له في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف
الجبلي من الامور المخوفة فليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون
الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة
ان يكونوا من المهتدين الى مباغيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وابراز اهتدائهم مع
ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع لقطع اطماع الكفرة من الوصول الى مواقف الاهتداء
والانتفاع باعمالهم التي يحسبون انهم في ذلك محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بانهم مهتدون فان المؤمنين
مع ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم
لطف للمؤمنين وترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف على جانب الرجاء ورفض الاغترار بالله اجعلتم سقاية
الحاج وعمارة المسجد الحرام في الفضيلة وعلو الدرجة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله

السقاية

السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالاعيان فلا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي
اجعلتم اهلهما كمن آمن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام او اجعلتموهما
كايمان من آمن الخ او في التقدير ان الخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر من
تخصيص ذكر الايمان بجانب المشبه به واما لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة
والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله للفريق
الثاني وبيان اعظمية درجتهم عند الله تعالى على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين بالكلية وجعل
التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدي كثير نفع لانه ان لم يشعر بعدم الحرمان فليس يشعر بالحرمان
ايضا اما على الاول فهو توبيخ للمشركين ومداره انكار تشبيه انفسهم من حيث اتصافهم بوصفيهم المذكورين
مع قطع النظر عما هم عليه من الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر
بعدم حرمانهم عن اصل الفضيلة بالكلية كما اشير اليه مما لا يساعده النظم التنزيلي ولو اعتبر ذلك
لما احتيج الى تعدي انكار التشبيه وتاكيده بشيء آخر اذ لا شيء اظهر بطلانا من تشبيه العدم بالموجود
فالمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله
او اجعلتموهما في ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانتا في
انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما وان خلتا عن القوادح بمعزل عن صلاحية ان يشبه اهلهما باهل
الايمان والجهاد وذلك قوله تعالى لا يستوون عند الله اي لا يساوي الفريق الاول الثاني من حيث اتصاف
كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الاولين وبين الآخرين لانه المدار في التفاوت
واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين لان الاهم بيان تفاوتهم وتوجيه النفي ههنا والانكار فيما
سلف الى الاستواء والتشبيه مع ان دعوى المفتخرين بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤثرين اياهما من المؤمنين
الافضلية بالطريق الاولى والجملة استئناف لتقرير الانكار المذكور وتاكيده او حال من مفعولي الجعل
والرابط هو الضمير كانه قيل أسويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عنده تعالى وقوله تعالى والله لا يهدي
القوم الظالمين حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم ظالمون
في هذا الحكم غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح وظالمون بوضع كل منهما
موضع الآخر وفيه زيادة تقرير لعدم التساوي بينهم وقوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في
سبيل الله باموالهم وانفسهم استئناف لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال
المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوعي الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد ولانه
اعتبر بطريق التدارك امور لم تعتبر فيما سلف اي هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف الجليلة
اعظم درجة عند الله اي اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع
ما عداها من الكمالات التي من جملتها السقاية والعمارة واولئك المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة
وما في اسم الاشارة من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الرفعة هم الفائزون المختصون
بالفوز العظيم او بالفوز المطلق كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على
الثاني فهو توبيخ لمن يؤثر السقاية والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد وروي ان عليا

رضي الله عنه قال للعباس رضي الله عنه بعد اسلامه يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم الست افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله الحرام فلما نزلت قال ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وروي النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال آخر ما ابالي ان لا اعمل بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله عز وجل هذه الآية والمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة من المؤمنين في الفضيلة والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله او اجعلتموهما كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الايمان في جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان مدار انكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم يترك ذكره في جانب المشبه به ايضا تقويتا للانكار وتذكيرا لاسباب الرجحان ومبادي الافضلية وايذانا بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء عند الله تعالى لهم على هذا التقدير ظاهر وكذا اعطيه درجة الفريق الثاني واما قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين فالمراد به عدم هدايته تعالى الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقا ولا الظلم عموما والحصر في قوله تعالى واولئك هم الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق الثاني او الى الفوز المطلق دعاء لما مر والله اعلم يبشرهم وقرئ بالتخفيف ربهم برحمة منه ورضوان كبير وجنات عالية لهم فيها في تلك الجنات نعيم مقيم نعم لا نفاد لها وفي التعرض لعنوان الربوبية تأكيد للمبشر به وتربية له خالدين فيها اي في الجنات ابدا تاكيد للخلود لزيادة توضيح المراد به اذ قد يراد به المكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم لا قدر عنده لاجور الدنيا او للاعمال التي في مقابلته والجملة استئناف وقع تعليلا لما سبق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نهي لكل فرد من افراد المخاطبين عن موالاة فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد الى الآحاد كما في قوله تعالى وما للظالمين من انصار لا عن موالاة طائفة منهم فان ذلك مفهوم من النظم دلالة لا عبارة والآية نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهيا عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس ان استحبوا الكفر اي اختاروه على الايمان واصروا عليه اصرارا لا يرجى معه الاقلاع عنه اصلا وتعليق النهي عن الموالاة بذلك لما انها قبل ذلك ربما يؤدي بينهم الى الاسلام

بسبب

بسبب شعورهم بمحاسن الدين كما اشير اليه وافراد الضمير في الفعل ومن يتولهم اي واحدا منهم لمراعاة لفظ الموصول وللايذان باستقلال كل واحد منهم في الاتصاف بالظلم لان المراد تولي فرد واحد كل من في قوله تعالى منكم للجنس لا للتبعيض فاولئك اي اولئك المتولون هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها كان ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم قل تلوين للخطاب وامر له صلى الله عليه وسلم بان يثبت المؤمنين ويقوي عزائمهم عن الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الآباء والاخوان ويزهدهم فيهم وفيمن يجري مجراهم من الابناء والازواج ويقطع علائقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه التوبيخ والترهيب ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم لم يذكر الابناء والازواج فيما سلف لان موالاة الابناء والازواج غير معتادة بخلاف المحبة وعشيرتكم اي اقرباؤكم مأخوذ من العشرة اي الصحبة وقيل من العشرة فانها جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرئ وعشيراتكم واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وانما وصفت بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين وتجارة اي امتعة اشتريتموها للتجارة والربح تخشون كسادها بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في ايام الموسم ومساكن ترضونها اي منازل تعجبكم الاقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفات المذكورة للايذان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحياة الدنيا ليس لما فيها من مبادي المحبة وموجبات الرغبة فيها وانها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل عن ان يؤثر حبها على حبه تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم احب اليكم من الله ورسوله بالحب الاختياري المستتبع لاثره الذي هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه البشر فانه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة وجهاد في سبيله نظم حبه الله عز وجل وحب رسوله عليه السلام تنويها لشأنه وتنبيها على انه مما يجب ان يحب فضلا عن ان يكون وايذانا بان محبته راجعة الى محبتهما فان الجهاد عبارة عن قتال اعدائهما لاجل عداوتهم فمن يحبهما يجب ان يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا اي انتظروا حتى يأتي الله بامره عن ابن عباس رضي الله عنهما انه فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة او آجلة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين والقوم الفاسقين كافة فيدخل في زمرتهم هؤلاء دخولا اوليا اي لا يرشدهم الى ما هو خير لهم وفي الآية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه لطف من ربه والله المستعان لقد نصركم الله الخطاب للمؤمنين خاصة في مواطن كثيرة من الحروب وهي مواقعها ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة ويوم حنين عطف على محل في مواطن بحذف المضاف اي وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة يوم حنين ولعل التغيير للايماء الى ما وقع فيه من قلة الثبات من اول الامر وقيل المراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضي الله تعالى عنه وقيل يوم منصوب بمضمر معطوف على نصركم اي ونصركم يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على انه لم يكن في المعطوف كثرة ولا اعجاب اذ ليس من قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما اضيف اليه المعطوف او منصوب باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف

كانت الوقعة بين المسلمين وهم اثني عشر الفا عشرة الآف منهم من شهد فتح مكة من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة الآف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا ايضا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة لا لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذراري فاكب المسلمون في الغنائم فنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا فادركت المسلمون كلمة الاعجاب فانكشفوا وذلك قوله عز وجل فلم تغن عنكم شيئا من والاغناء اعطاء ما يدفع به الحاجة اي لم تعطكم تلك الكثرة ما ترفعون به حاجتكم شيئا من الامر وضاقت عليكم الارض بما رحبت أي برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع أي لا تجدون فيها مفرا يطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تثبتون كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم مدبرين روي انه بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه الا عمه العباس اخذ بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحرث آخذا بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب روي انه عليه الصلوة والسلام كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت اكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على انه صلى الله عليه وسلم كان في الشجاعة ورباطة الجأش سابقا للغايات القاصية وما كان ذلك الا لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم ذلك فاك يا رب ائتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله أي رحمته التي تسكن بها القلوب وتطمئن بها اطمينانا كليا مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عليه السلام قبل ذلك ايضا وعلى المؤمنين عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت أي المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم او على الكل وهو الانسب ولا ضير في تحقق اصل السكينة في الثابتين من قبل والتعرض لوصف الايمان للاشعار بعليته للانزال وانزل جنودا لم تروها أي بابصاركم كما ترى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم السلام عليهم البياض على خيول بلق فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى قتال المشركين فقال هذا حين حمي الوطيس فاخذ كفا من التراب فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلأت به عيناه ثم قال عليه السلام انهزموا ورب الكعبة واختلفوا في عدد الملائكة يومئذ فقيل خمسة الآف وقيل ثمانية الآف وقيل ستة عشر الفا وفي قتالهم ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتأييدهم بذلك والقاء الرعب في قلوب المشركين قال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء

تلقانا

تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك اي ما فعل بهم مما ذكر جزاء الكافرين لكفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ان يتوب عليهم منهم لحكمة تقتضيه أي يوفقه للاسلام والله غفور يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روي ان ناسا منهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة الآف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال صلى الله عليه وسلم ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام النبي عليه السلام فقال ان هؤلاء جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال عليه السلام اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس وصفوا بالمصدر مبالغة كانهم عين النجاسة او هم ذوو نجس لخبث باطنهم او لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس ككبد في كبد كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا للرجس فلا يقربوا المسجد الحرام تفريع على نجاستهم وانما نهي عن القرب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله تعالى ويؤيده قوله عز وجل بعد عامهم هذا فان تقييد النهي بذلك يدل على اختصاص المنهي عنه بوقت من اوقات العام أي لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول المساجد والمسجد الحرام وسائر المساجد عنده وعند الشافعي رحمه الله تعالى يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من الارفاق والمكاسب وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل الله تعالى

الشتاء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام
وما يعاش به وكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم
الناس من اقطار الارض ان شاء ان يغنيكم مشيئة تابعة للحكمة الداعية وانما قيد ذلك بها لينقطع
الامال الى الله تعالى ولان الاغناء ليس مطردا بحسب الافراد والاحوال والاوقات ان الله عليم
بمصالحكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله امرهم بقتال اهل الكتاب اثر امرهم
بقتال المشركين بمنعهم من ان يحوموا حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من الفاقة
المتوهمة من انقطاعهم وبين لهم في تضاعيف ذلك في بعض طرق الاغناء الموعود على الوجه الكلي
وارشدهم الى سلوكه ابتغاء لفضله واستنجازا لوعده والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية
ما في حيز الصلة للامر بالقتال وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك المشركين فان اليهود مثنية
والنصارى مثلثة فهم بمعزل من ان يؤمنوا بالله سبحانه ولا باليوم الاخر فان علمهم باحوال الاخرة
كلا علم فايمانهم المبني عليه ليس بايمان به ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي ما ثبت تحريمه
بالوحي متلوا او غير متلو وقيل المراد برسوله الرسول الذي يزعمون اتباعه اي يخالفون
اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ لسائر الاديان
وهو دين الاسلام وقيل دين الله من الذين اوتوا الكتاب من التورية والانجيل فمن بيانية لا
تبعيضية حتى لا يكون بعضهم في خلاف ما نعت حتى يعطوا اي يقبلوا ان يعطوا الجزية اي ما
تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اي قضاه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن
القتل عن يد حال من الضمير في يعطوا اي عن يد مواتية مطيعة بمعنى منقادين او من يدهم بمعنى
مسلمين بايديهم غير باعثين بيد غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك لم تجب الجزية
على الفقير العاجز او عن يد قاهرة عليهم اي بسبب يد بمعنى عاجزين اذلاء او عن انعام عليهم
فان ابقاء مهجهم بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم او من الجزية اي نقدا مسلمة عن يد الى يد
وغاية القتال ليست نفس هذا الاعطاء بل قبوله كما اشير وهم صاغرون اي اذلاء وذلك بان
ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال له
اد الجزية وان كان يؤديها وهي تؤخذ عند ابي حنيفة من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركي العرب
وعند ابي يوسف رحمه الله لا تؤخذ من العرب كتابيا كان او مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان او
مشركا وعند الشافعي تؤخذ من اهل الكتاب عربيا كان او عجميا ولا تؤخذ من اهل الاوثان مطلقا
ومذهب مالك والاوزاعي رحمهما الله تعالى الى انها تؤخذ من جميع الكفار واما المجوس فقد اتفقت
الصحابة رضي الله عنهم في اخذ الجزية منهم لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروي
عن علي رضي الله عنه انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا
على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم لقوله عليه السلام في اخر ما نقل في الحديث غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم
ووقت الاخذ عند ابي حنيفة رحمه الله اول السنة وتسقط بالموت والاسلام ومقدارها على الفقير
المعتمل اثنا عشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى الغني ثمانية واربعون

درهما ولا جزية على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان او زمن او صبي او امرأة وعند الشافعي
تؤخذ في اخر السنة من كل واحد دينار غنيا كان او فقيرا كان له كسب او لم يكن وقالت اليهود جملة مبتدأة
سيقت لتقرير ما مر من عدم ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك في سلك المشركين
عزير ابن الله مبتدأ وخبر وقرئ بغير تنوين على انه اسم اعجمي كعازر وعيزار غير منصرف
للعجمة والتعريف واما تعليله بالتقاء الساكنين او بجعل الابن وصفا على ان الخبر محذوف فتعسف
مستغنى عنه وقيل هو قول قدمائهم ثم انقطع فحكى الله تعالى ذلك عنهم ولا عبرة بانكار اليهود
وقيل قول بعض من كان بالمدينة عن ابن عباس رضي الله عنه انه جاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا
ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء وسبب هذا القول
ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج
عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له اين تذهب قال اطلب العلم
فحفظه التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع التورية في صدره وهو غلام
الا لانه ابنه قال الامام الكلبي لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره
ولم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التورية بعث الله عزيرا ليجدد
لهم التورية ويكون اية بعدما اماته مائة عام يقال انه اتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه
فمثلت في صدره فلما اتاهم فقال انا عزير كذبوه فقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التورية
فكتبها فقالوا ان الله تعالى لم يقذف التورية في قلب رجل الا انه ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود اضاعوا التورية وعملوا بغير الحق فانساهم الله تعالى
التورية ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ
التورية الى قلبه فانذر قومه به ثم ان التورية التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير على ما فيه فوجدوه
مثله فقالوا ما قالوا وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة
لان يكون ولد بغير اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك
اشارة الى ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه في
الشناعة والفظاعة قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفي التجوز عنها
او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود في الافواه من غير ان يكون له
مصداق في الخارج يضاهئون اي في الكفر والشناعة وقرئ بغير همز قول الذين يشابه
قولهم في حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا من قبل
اي من قبلهم وهم المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله او اللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم
كما قيل اذ لا تعدد في القول حتى يتاتى التشبيه وجعله بين قولي الفريقين مع اتحاد القول
فيه مزيد مزية وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله
لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما ترى فانه يستدعي اختصاص الرد والابطال بقوله تعالى ذلك قولهم

بأفواههم يعني قول النصارى قاتلهم الله دعاء عليهم جميعا بالإهلاك فإن من قاتله الله هلك أو تعجب
من شناعة قولهم أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل والحال أنه لا سبيل إليه أصلا
زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله تعالى اتخذوا أحبارهم وهم علماء اليهود واختلف في واحده فقال
الأصمعي لا أدري أهو حِبر أو حَبر وقال أبو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن السكيت يقولان
حِبر وحَبر للعالم ذميا كان أو مسلما بعد أن كان من أهل الكتاب ورهبانهم وهم علماء النصارى
من أصحاب الصوامع أي اتخذ كل واحد من الفريقين علماءهم لا الكل الكل أربابا من دون الله بأن
أطاعوهم في تحريم ما أحله الله تعالى وتحليل ما حرمه أو بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان
عبادة له في قوله تعالى لا تعبد الشيطان وقوله تعالى بل كانوا يعبدون الجن قال عدي بن
حاتم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب وكان إذ ذاك في
دين يسمى الركوسية فرقة من النصارى وهو يقرأ سورة براءة فقال لي يا عدي
اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى إلى قوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من
دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه السلام أليس يحرمون ما أحل
الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى قال فتلك عبادتهم قال الربيع قلت
لأبي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل قال إنهم ربما وجدوا في كتاب الله
ما يخالف أقوال الأحبار فكانوا يأخذون بأقوالهم ويتركون حكم كتاب الله والمسيح ابن مريم
عطف على رهبانهم أي اتخذه النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا إنه ابنه تعالى عن ذلك علوا
كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير إلى أن اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتأخيره في الذكر مع أن
اتخاذهم له عليه السلام ربا معبودا أقوى من مجرد الإطاعة في أمر التحليل والتحريم كما هو
المراد باتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا لأنه مختص بالنصارى ونسبته عليه السلام من حيث
دلالته على مربوبيته المنافية للربوبية للإيذان بكمال ركاكة رأيهم والقضاء عليهم بنهاية
الجهل والحماقة وما أمروا أي والحال أن أولئك الكفرة ما أمروا في كتابهم إلا ليعبدوا إلها واحدا
عظيم الشأن هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا أمره ولا يطيعوا أمر غيره بخلافه فإن ذلك مخل
بعبادته تع فإن جميع الكتب السماوية متفقة في ذلك قاطبة وقد قال المسيح عليه السلام إنه
من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وأما إطاعة الرسول عليه السلام وسائر من أمر الله تعالى
بطاعته فهي في الحقيقة إطاعة لله تعالى عز وجل أو وما أمر الذين اتخذهم الكفرة أربابا من المسيح
والأحبار والرهبان إلا ليوحدوا الله تع فكيف يصح أن يكونوا أربابا وهم مأمورون بعبادة
مثلهم ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الأحبار والرهبان بطريق الإطاعة فإن تخصيص العبادة
به تعالى لا يتحقق إلا بتخصيص الطاعة أيضا به تع وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخصوا العبادة
سبحانه لا إله إلا هو صفة ثانية لإلها أو استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون
عن الإشراك به في العبادة والطاعة يريدون أن يطفئوا نور الله إطفاء النار عبارة عن إزالة
لهبها الموجبة لزوال نورها لا عن إزالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض من إطفاء نار لا يراد

بها إلا النور كالمصباح إزالة نوره جعل إطفاؤها عبارة عنها ثم شاع ذلك حتى كان عبارة عن
مطلق إزالة النور وإن كان لغير النار راجعا بإمكان الإزالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه
إما حججه النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والأولاد أو القرآن العظيم الناطق بذلك
أي يريد أهل الكتابين أن يردوا القرآن ويكذبوه فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء
والأولاد والشرائع التي من جملتها ما خالفوه من أمر الحل والحرمة بأفواههم بأقاويلهم
الباطلة الخارجة عنها من غير أن يكون لها مصداق تنطبق عليه أو أصل تستند إليه حسبما حكي
عنهم وقيل المراد به نبوة النبي صلى الله عليه وسلم هذا وقد قيل مثلت حالهم بحال
من يريد طمس نور عظيم منبث في الآفاق بنفخه ويأبى الله أي لا يريد إلا أن يتم نوره
بإعلاء كلمة التوحيد وإعزاز دين الإسلام وإنما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى
النفي كما أشير إليه لوقوعه في مقابلة قوله تع يريدون وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع
ما ليس في نفي الإرادة أي لا يريد شيئا من الأشياء إلا إتمام نوره فيندرج في المستثنى منه بقاؤه
على ما كان عليه فضلا عن الإطفاء وفي إظهار النور في مقام الإضمار مضافا إلى ضميره عز
وجل زيادة اعتناء بشأنه وتشريف له على تشريف وإشعار بعلة الحكم ولو كره الكافرون
جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما
في موقع الحال أي لا يريد الله تعالى إلا إتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه أي
على كل حالة مفروضة وقد حذفت الأولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة
واضحة لأن الشيء إذا تحقق عند المانع فلأن يتحقق عند عدمه أولى وعلى هذا السر يدور ما
في إن ولو الوصليتين من التأكيد وقد مر زيادة تحقيق لهذا مرارا هو الذي أرسل رسوله
بالهدى أي القرآن الذي هو هدى للمتقين ودين الحق الثابت وهو دين الإسلام ليظهره
أي رسوله على الدين كله أي على أهل الأديان كلهم أو ليظهر الدين الحق الثابت على سائر الأديان
بنسخه إياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله
عز وعلا ولو كره المشركون كما في سبق خلا أن وصفهم بالشرك بعد وصفهم بالكفر للدلالة على أنهم
ضموا الكفر بالرسول عليه السلام إلى الكفر بالله يا أيها الذين آمنوا شروع في بيان حال الأحبار
والرهبان في إغوائهم لأراذلهم إثر بيان سوء حال الأتباع في اتخاذهم لهم أربابا يطيعونهم في الأوامر
والنواهي واتباعهم لهم فيما يأتون وما يذرون إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال
الناس بالباطل يأخذونها بطريق الرشوة لتغيير الأحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيها
وإنما عبر عن ذلك بالأكل بناء على أنه معظم الغرض منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا للسامعين عنهم
ويصدون عن سبيل الله عن دين الإسلام أو عن المسلك المقرر في التوراة والإنجيل إلى ما
افتروه وحرفوه بأخذ الرشى أو يصدون بأنفسهم بأكلهم الأموال بالباطل والذين يكنزون الذهب
والفضة أي يجمعونهما ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن أو بوجه آخر والموصول عبارة
عن الكثير من الأحبار والرهبان فيكون مبالغة في الوصف بالحرص والضن بهما بعد وصفهم

بما سبق من اخذ الرشى والبراطيل في الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين فمع
الانسب بقوله عز وعلا ولا ينفقونها في سبيل الله فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب
تغليظا ودلالة على كونهم اسوة لهم في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم فالمراد بالانفاق
في سبيل الله الزكوة لما روي انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم
ولقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم
الانفاق فيما امر الله بالانفاق فيه واما قوله عليه السلام من ترك صفراء او بيضاء كوي
بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام ما من صاحب ذهب ولا فضة
لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه
وظهره فبشرهم بعذاب اليم خبر الموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز ان يكون الموصول
منصوبا بفعل يفسره فبشرهم يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون
او باذكر يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها واصله تحمى بالنار
فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود
فانتقل من صيغة التانيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت القصة
قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم
كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا
الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير للاموال والكنوز فان الحكم عام وتخصيصهما
بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب كذلك
بل اولى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم لها وامساكهم كان لطلب
الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل
واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء
الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم
البدن ومآخره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها فكان عين
مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ
بضم النون ان عدة الشهور اي عددها عند الله اي في حكمه وهو معمول لها لانها مصدر
اثنا عشر خبر لان شهرا تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير عشرون دينارا
والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية في كتاب الله تعالى في
اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة لاثني عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا
في كتاب الله وقوله عز وعلا يوم خلق السموات والارض متعلق بما في الجار والمجرور
من معنى الاستقرار او بالكتاب على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر
منذ خلق الله تعالى الاجرام والحركات والازمنة منها اي من تلك الشهور الاثني عشر اربعة

حرم

حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة
الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها
اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى
وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه من الحل والحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعد
ما كانوا ازالوه من محله بالنسيء الذي احدثوه في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة
وكانت حجة ابي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة ذلك اي تحريم الاشهر الاربعة المعينة
المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار اليه هو الدين القيم المستقيم دين ابراهيم
عليه واسمعيل عليهما السلام وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر
الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي رجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم
ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب
ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المعاصي فيهن
فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا
في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت ويؤيد الاول انه عليه السلام حاصر الطائف
وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
اي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة ووقع موقع الحال واعلموا ان الله
مع المتقين اي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما وضع المظهر موضع
المضمر مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار في النصر وقيل هي بشارة
وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء هو مصدر نساه اذا اخره نسئا ونساء ونسيئا
نحو مس مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد الياء
الاولى فيها كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص
الاشهر واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور بان يجعلوها ثلثة عشر واربعة عشر
ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة اشهر من السنة حرما ولذلك نص على العدد المعين في الكتاب
والسنة اي انما تاخير حرمة شهر الى شهر اخر زيادة في الكفر لانه تحليل ما حرمه الله وتحريم ما حلله
فهو كفر اخر مضموم الى كفرهم يضل به الذين كفروا اضلالا على اضلالهم القديم وقرئ
على البناء للفاعل من الافعال على ان الفاعل لله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم
لمباديه واسبابه وهو المعنى على القراءة الاولى ايضا وقيل المضلون رؤساؤهم
والموصول عبارة عن اتباعهم وقرئ يضل بفتح الياء والضاد من ضلل يضلل ونضل
بنون العظمة يحلونه اي الشهر المؤخر عاما من الاعوام ويحرمون مكانه شهرا اخر مما
ليس بحرام ويحرمونه اي يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار
احلالهم له في العام الماضي او لاسنادهم له الى الهتهم كما سيجيء عاما اخر اذا لم يتعلق بتغييره
غرض من اغراضهم قال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان

اذا اجتمع الناس للصدور من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت وانا الذي لا اعاب
ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا يغزون فيه فيقول ان صفر
العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا
الاوتار وشدوا الازجة واغاروا **وقيل** هو جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا
في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت
لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم
فحرموه **وقيل** هو رجل من كنانة له القلمس قال قائلهم • ومنا ناسئ الشهر القلمس •
وعن ابن عباس رضي الله عنهما اول من سن النسئ عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والجملة
تفسير للضلال او حال من الموصول والعامل عامله ليواطئوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله
من الاشهر الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما دل عليه مجموع الفعلية فيحلوا
ما حرم بخصوصه من الاشهر المعينة زين لهم سوء اعمالهم **وقرئ** على البناء للفاعل
وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس **وقيل** خذلهم حتى
حسبوا قبيح اعمالهم حسنا فاستمروا في ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى
المطلوب البتة وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء
اختيارهم فتاهوا في بيداء الضلال يا ايها الذين امنوا رجوع الى حث المؤمنين وتحريضهم
على قتال الكفرة اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك ما لكم استفهام فيه معنى الانكار
والتوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وتقاعستم اصله تثاقلتم **وقرئ**
كذلك اي اي شيء حصل او حاصل لكم او ما تصنعون حين قال لكم النبي صلى الله عليه
وسلم انفروا اي اخرجوا الى الغزو في سبيل الله متثاقلين في ان الفعل ماض لفظا
معنى كانه **قيل** تتثاقلون فالعامل في الظرف الاستقرار المقدر في لكم او معنى الفعل
المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه الحال اي ما لكم متثاقلين حين قيل لكم انفروا
وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الانكاري التوبيخي فالعامل في الظرف حينئذ ابهامه
الاول الى الارض متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد اي اثاقلتم مائلين
الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة للراحة
الخالدة كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك
غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط
وقيظ وقد ادركت ثمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق ذلك
عليهم **وقيل** ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا ورى بغيرها
الا في غزوة تبوك فانه عليه السلام بين لهم المقصد فيها ليستعدوا لها ويكونوا على بصيرة
من خطرها وعزورها فلا التفات الى بدل الاخرة ونعيمها الدائم فالوا اتقى كرم وفي الخيرية مقام
الاضمار لزيادة التقرير اي فما التمتع بها وبلذائذها وطيباتها في جنب الاخرة الا قليل

اي مستحقرة لها ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الاخرة اي بدل الاخرة ونعيمها الدائم فما متاع
الحيوة الدنيا اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير اي فما التمتع بها وبلذائذها في الاخرة في
جنب الاخرة الا قليل اي مستحقر لا يؤبه وفي ترشيح الحيوة الدنيا بما يؤذن بنقاستها وتستدعي
الرغبة فيها وتجريد الاخرة في مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شأن
الاخرة وعلوها الا تنفروا اي الا تنفروا الا ما استنفرتم اليه يعذبكم الله تعالى عذابا اليما
اي يهلككم بسبب فظيع هائل كقحط ونحوه ويستبدل بكم بعد اهلاككم قوما غيركم
وصفهم بالمغايرة لهم لتأكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية
والذاتية المستلزمة للاستئصال اي قوما مطيعين مؤثرين الاخرة على الدنيا ليسوا من
اولادكم ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة على شدة السخط ما لا يخفى
ولا تضروه شيئا اي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغني عن كل شيء
في كل شيء **وقيل** الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم فان الله عز وجل وعده بالعصمة
وكان وعده مفعولا والله على كل شيء قدير فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم اخرين
الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله الذي قد نصره في وقت ضرورة
اشد من هذه المدة فحذف الجزاء واقيم الجزاء مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب له النصرة حين
نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره اذ اخرجه الذين كفروا اي تسببوا لخروجه
حيث اذن له عليه السلام **وقرئ** بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور
في الاعراب اي احد اثنين من غير اعتبار كونه عليه السلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلاثة
ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور
ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلثة ورابع اربعة وقد مر في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا
ان الله ثالث ثلاثة من سورة المائدة وجعله عليه السلام ثانيهما لمزيد الصديق امامه ودخوله
في الغار اولا لكنسه وتسوية البساط كما ذكر في الاخبار محل مستغنى عنه اذ هما في الغار
بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل
في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه اي
الصديق لا تحزن ان الله معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا يحوم حول
صاحبها شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد بما فيه من
المتبوعية هو المتبوعية في الامر المباشر روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق
ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله
فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما **وقيل** لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين
فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله تعالى بابصارهم
عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله عنه وارضاه وسابقة صحبته ما لا

ومن ذلك قالوا من انكر صحبة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقد كفر لانكاره كلام الله
سبحانه وتعالى فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم
فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف اصلاً او على صاحبه اذ هو المنزعج منه واما النبي عليه السلام
فكان على طمأنينة من امره وايده بجنود لم تروها عطف على نصره الله والجنود هم الملائكة
النازلون يوم بدر والاحزاب وحنين وقيل هم الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه
وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم وقوله عز وجل وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
يعني الشرك او دعوة الكفر فان ذلك الجعل لا يتحقق بمجرد الانجاء بل بالقتل والاسر ونحو
ذلك وكلمة الله اي التوحيد او دعوة الاسلام هي العليا لا يدانيها شيء وتغيير الاسلوب
للدلالة على انها في نفسها كذلك لا يتبدل شأنها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ولذلك
وسط ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفاً على كلمة الذين والله عزيز لا يغالب حكيم
في حكمه وتدبيره انفروا تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والانكار على المثاقلة
منه وقوله تعالى خفافاً وثقالاً حالان من ضمير المخاطبين اي على اي حال من يسر او عسر
حاصلين باي سبب كان من الصحة والمرض او الغنى والفقر او قلة العيال وكثرتهم او غير
ذلك مما ينتظمه مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة في الجملة وما ذكر في
تفسيرهما من قولهم خفافاً لقلة عيالكم وثقالاً لكثرتها او خفافاً من السلاح وثقالاً منه
او ركباناً ومشاة او شباناً وشيوخاً او مهازيل وسماناً او صحاحاً ومراضاً ليس لتخصيص الامرين
المتقابلين بالارادة من غير مقارنة للباقي وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم أعلي ان انفر قال عليه السلام نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضي الله
عنهما نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية وجاهدوا باموالكم وانفسكم
في سبيل الله ايجاب للجهاد بهما ان امكن وباحدهما عند الضرورة مع امكانه واعواز الآخر حتى
ان من ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزي مكانه من حاله على
عكس حاله الى هذا ذهب كثير من العلماء وقيل هو ايجاب للقسم الاول فقط ذلكم اي ما ذكر
من النفير والجهاد وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو منزلته في الشرف
خير لكم اي خير عظيم في نفسه او خير مما يبتغي تركه من الراحة والدعة وسعة العيش
والتمتع بالاموال والاولاد ان كنتم تعلمون اي تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون
انه خير اذ لا احتمال لغير الصدق في اخبار الله تعالى فعلوا ولا على طريق المبالغة وبيانا لذلك
منهم وتأنيب برذائلهم اي لو كان ما دعوا اليه فبادروا اليه لو كان صرف للخطاب عنهم
وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعديداً لما صدر عنهم من الهنات اليوم عرضاً قريباً
العرض ما عرض لك من منافع الدنيا اي لو كان ذلك غنماً سهل المأخذ قريب المنال وسفراً
قاصداً ذا قصد بين القريب والبعيد لاتبعوك في النفير طمعاً في الفوز بالغنيمة وتعليق
الاتباع بكلا الامرين يدل على تحققه عند توسط السفر فقط ولكن بعدت عليهم الشقة

اي المسافة

اي المسافة الشاقة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون اي المتخلفون
عن الغزو وقوله تعالى بالله اما متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي
سيحلفون بالله اعتذاراً عند قفولك قائلين لو استطعنا او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا الخ اي
لو كان لنا استطاعة من جهة العدة او من جهة الصحة او من جهتهما جميعاً حسبما عن لهم من الكذب
والتعلل على التقديرين فقوله تعالى لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط جميعاً اما
على الثاني فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا الخ لانه بيان لقوله تعالى سيحلفون
بالله وتصديق له والاخبار بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات
الباهرة وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيهاً لها بواو الجمع كما في قوله تعالى فتمنوا الموت
يهلكون انفسهم بدل من يحلفون لان الحلف الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال
عليه السلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع او حال من فاعله اي مهلكين انفسهم او من فاعل خرجنا
جيء به على طريقة الاخبار عنهم كانه قيل نهلك انفسنا اي لخرجنا معكم مهلكين انفسنا كما في
قولك حلف ليفعلن مكان لافعلن والله يعلم انهم لكاذبون اي في مضمون الشرطية وفيما
ادعوا ضمناً من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا عفا الله عنك
شروع في تخطئته سبحانه تعالى قد عفي عنه صلى الله عليه وسلم ما وقع منه عند استئذان المتخلفين في
التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة واذنه اعتماداً على ايمانهم ومواثيقهم لخلوها عن المآثم من ترك
الاولى والافضل هو التأني والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف الحال وقوله عز وجل لم اذنت لهم اي
لاي سبب اذنت لهم في التخلف حين استأذنوك واعتلوا بعللهم بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى
واشارة الى انه ينبغي ان يكون اموره عليه السلام منوطة باسباب قوية موجبة لها او مصححة وان
ابرازهم في موضع التعلل والاعتذار مشفوعاً بالايمان كان بمعزل من كونه سبباً للاذن قبل ظهور
صدقه وكلتا اللامين متعلقة بالاذن لاختلافهما في المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ
والضمير المجرور لجميع المستأذنين وتوجيه الانكار الى الاذن باعتبار شموله للكل لا باعتبار تعلقه
بكل فرد لتحقق عدم استطاعة بعضهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه حتى يتبين لك الذين صدقوا اي فيما
اخبروا به عند الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما معاً
حسبما عن لهم هناك وتعلم الكاذبين في ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان
لذلك الاولى والافضل وتخصيص له عليه السلام فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى
الى لا يمكن تعلقها بقوله تعالى لم اذنت لهم لاستلزامه ان يكون اذنه عليه لهم معللاً او مغيّا بالتبين
والعلم ويكون توجه الاستفهام اليه من تلك الحيثية وذلك بين الفساد بل بما يدل عليه
ذلك كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تأنيت حتى ينجلي الامر كما هو قضية الحزم
قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما
بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون وتغيير الاسلوب
بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذي صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثاني

بأنهم الفاعل المقيد للدوام للإيذان بأن ما ظهر من الأولين صدق حادث في أمر خاص غير مصحح
لنظمهم في سلك الصادقين وأن ما صدر من الآخرين وإن كان كذبا حادثا متعلقا بأمر خاص
لكنه أمر جار على عادتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق
بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو المشهور من أن مدلول الخبر هو الصدق والكذب
احتمال عقلي فظهور صدقه إنما هو تبين ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعدما كان
محتملا له احتمالا عقليا وأما كذبه فأمر حادث لا دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره
تبينا له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون علما مستأنفا وإسناده إلى ضميره لا إلى المعلوم
ببناء الفعل للمفعول مع إسناد التبين إلى الأولين لما أن المقصود ههنا علمه عليه السلام
بهم ومؤاخذتهم بموجبه بخلاف الأولين حيث لا مؤاخذة عليهم ومن لم يتنبه لهذا قال
حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب فيه وأسند التبين إلى الأولين وتعليق العلم
بالآخرين مع أن مدار الإسناد والتعلق أولا وبالذات هو وصف الصدق والكذب كما أشير
إليه لما أن المقصود هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهما بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما
بحسب استحقاقهما لا العلم بوصفيهما المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما لا العلم بوصفيهما
بذاتيهما أو باعتبار قيامهما بموصوفيهما هذا وفي تصدير فاتحة الخطاب ببشارة العفو دون ما يوهم
العتاب من مراعاة جانبه عليه السلام وتعهده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى على
أولي الألباب قال سفيان بن عيينة انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعفو قبل ذكر المعفو
ولقد أخطأ وأساء الأدب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم أن الكلام كناية عن الجناية
وأن معناه أخطأت وبئسما فعلت هب أنه كناية عن الجناية وأن معناه أخطأت أليس إيثاره
على التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب والتخفيف في العتاب وهب أن العفو مستلزم
للخطاب فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه المرتبة من المشافهة
بالسوء ويسوغ إنشاء الاستقباح بكلمة بئس المنبئة عن بلوغ القبح إلى رتبة يتعجب منها
ولا يخفى أنه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين أو منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال
حسبما نطق به قوله تعالى لو خرجوا الخ وقد كرهه سبحانه كما يفصح عنه قوله تع ولكن كره الله
انبعاثهم الآية نعم كان الأولى تأخير الإذن حتى يظهر كذبهم آثر ذي أثير ويفتضحوا على رؤوس
الأشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الأمن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بأنهم
غروه عليه السلام وأرضوه بالأكاذيب على أنهم لم يهنأ لهم عيش وما قرت لهم عين
إذ لم يكونوا على أمن واطمئنان بل كانوا على خوف من ظهور أمرهم وقد كان لا يستأذنك الذين
يؤمنون بالله واليوم الآخر تنبيه على أنه كان ينبغي أن يستدل باستئذانهم على حالهم ولا
يؤذن لهم أي ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأن
الخلص منهم يبادرون إليه من غير توقف على الإذن فضلا عن أن يستأذنوك في التخلف وحيث
استأذنك هؤلاء في التخلف كان ذلك مظنة للتأمل في أمرهم بل دليلا على نفاقهم و

المستأذن فيه محذوف ومعنى قوله تع أن يجاهدوا كراهة أي يجاهدوا ثم قيل المحذوف هو
التخلف والمعنى لا يستأذنك المؤمنون في التخلف كراهة الجهاد فيتوجه النفي إليها و
يمتاز المؤمن من المنافق وهو وإن كان في نفسه أمرا خفيا لا يوقف عليه بادي الأمر لكن علامة
أحوالهم لما كانت منبئة عن ذلك جعل أمرا ظاهرا معتبرا وقيل هو الجهاد أي لا يستأذنك
المؤمنون في الجهاد كراهة أن يجاهدوا وبناء على أن الاستئذان لعلة الكراهة فيها لا إيمان
الظاهر من الاستئذان لعلة الرغبة ولو سلم فالذي ينبغي من المؤمنين يجب أن يثبت للمنافقين
والظاهر أنهم لم يستأذنوا في الجهاد لكراهتهم له بل إنما استأذنوا في التخلف والله عليم
بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم بأجزل الثواب وتقرير لمضمون
ما سبق كأنه قيل والله عليم بأنهم كذلك وإشعار بأن ما صدر عنهم معلل بالتقوى إنما
يستأذنك أي في التخلف مطلقا على الأول أو لكراهة الجهاد على الثاني الذين لا يؤمنون بالله
واليوم الآخر تخصيص الإيمان بهما في الموضعين للإيذان بأن الباعث على الجهاد بذل النفس
والمال إنما هو الإيمان بهما إذ به يتسنى للمؤمنين استبدال الحياة الأبدية والنعيم المقيم الخالد
بالحياة الفانية والمتاع الكاسد وارتابت قلوبهم عطف على الصلة وإيثار صيغة الماضي للدلالة
على تحقق الريب وتقرره فهم حال كونهم في ريبهم وشكهم المستقر في قلوبهم يترددون أي
يتحيرون فإن التردد ديدان المتحير كما أن الثبات ديدان المستبصر والتعبير عنه به بما ذكر
لا يخفى حسن موقعه ولو أرادوا الخروج يدل على أن بعضهم قالوا عند الاعتذار كنا نريد الخروج
لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو أرادوا
لأعدوا له أي للخروج في وقته عدة أي أهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك
مما لا بد منه للسفر وقرئ عده بحذف التاء والإضافة إلى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال
وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا أي عدته وقرئ بكسر العين وعدة بالإضافة ولكن كره الله
انبعاثهم أي نهوضهم للخروج قيل هو استدراك عما يفهم من مقدم الشرطية فإن انتفاء
إرادتهم للخروج يستلزم انتفاء خروجهم وكراهة الله انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج
فكأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق في المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق
الاختلاف نفيا وإثباتا في اللفظ كقولك ما أحسن إلى زيد ولكن أساء والأظهر أن يكون
من نفس المقدم على نهج ما في الأقيسة الاستثنائية والمعنى لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة
ولكن ما أرادوه لما أنه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التي ستبين فثبطهم أي حبسهم
بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لإلقاء الله تعالى
كراهة الخروج في قلوبهم أو لوسوسة الشيطان بالأمر بالقعود أو هو حكاية قول بعضهم
لبعض أو هو إذن الرسول عليه السلام لهم في القعود والمراد بالقاعدين إما المعذورون
أو غيرهم وأيا ما كان فغير خال عن الذم لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهة الله تعالى لانبعاثهم
أي لو خرجوا مخالطين لكم ما زادوكم أي بما أوثر من الأشياء إلا خبالا أي فسادا وشرا

فالاستثناء مفرغ متصل وقيل منقطع وليس بذاك ولأوضعوا خلالكم أي ولسعوا فيما
بينكم بالنمائم والتضريب وإفساد ذات البين من وضع البعير وضعا إذا أسرع وأوضعته
أنا أي حملته على الإسراع والمعنى لأوضعوا ركائبهم بينكم والمراد به المبالغة في الإسراع
والمعي بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشي وقرئ ولأرفضوا من رفضت الناقة
أسرعت وأرفضتها أنا وقرئ ولأوفضوا أي أسرعوا يبغونكم الفتنة يحاولون أن
يفتنوكم بإيقاع الخلاف فيما بينكم وإلقاء الرعب في قلوبكم وإفساد نياتكم والجملة حال من ضمير
أوضعوا أو استئناف وفيكم سماعون لهم أي نمامون يسمعون حديثكم لأجل نقله إليهم أو فيكم قوم
ضعفة يسمعون للمنافقين أي يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم أو من فاعله لاشتمالها على ضميريهما
أو استئنافية ولعلهم لم يكونوا في كثرة العدد وكيفية الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين
بأمر الجهاد إخلالا عظيما ولم يكن فساد خروجهم معادلا لمنفعته ولذلك لم يقتض الحكمة
عدم خروجهم نحو جوامع المؤمنين ولكن حيث كان انضمام المنافقين القاعدين إليهم مستتبعا
لخلل كلي ثبطهم الله تعالى انبعاثهم فلم يتسن اجتماعهم فاندفع فسادهم ووجه العتاب على الإذن
في قعودهم مع تقرره لا محالة وتضمن خروجهم لهذه المفاسد أنهم لو قعدوا بغير إذن منه
عليه السلام لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من أول الأمر ولم يقدروا على مخالطتهم
فيما بينهم بالأراجيف ولم يتسن لهم التمتع بالعيش إلى أن يظهر حالهم بقوارع
الآيات النازلة والله عليم بالظالمين علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما
مضى وما يأتي منهم فيما سيأتي ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظلم
والتشديد في الوعيد والإشعار بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين السماعين
والقاعدين لقد ابتغوا الفتنة تشتيت شملك وتفريق أصحابك عنك من قبل أي
يوم أحد حين انصرف عبد الله بن أبي بن سلول المنافق بمن معه وقد تخلف بمن معه
في تبوك أيضا بعدما خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذي جدة أسفل من ثنية الوداع
وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا
عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به عليه السلام فردهم الله تعالى خاسئين وقلبوا لك الأمور
التقليب الأمر تصريفه من وجه إلى وجه وترديده لأجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة
يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول قلب أي اجتهدوا ودبروا لك الحيل والمكائد
ودوروا الآراء في إبطال أمرك وقرئ بالتخفيف حتى جاء الحق أي النصر
والتأييد الإلهي وظهر أمر الله غلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون والحال أنهم كارهون
لذلك أي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن تخلف
المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله تعالى لأجله وهتك أستارهم وكشف أسرارهم وإزاحة
أعذارهم تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة إلى الإذن وإيذانا بأن ما فات بها ليس مما لا يمكن
تلافيه تهوينا للخطب ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني أي لا توقعني في الفتنة

وفي

وفي المعصية والإثم بريد أني متخلف لا محالة أذنت أو لم تأذن فأذن لي حتى لا أقع في
المعصية بالمخالفة أو لا تلقني في الهلكة فإني إن خرجت معك أهلك مالي وعيالي لعدم من
يقوم بمصالحهم قيل قاله الجد بن قيس قد علمت الأنصار أني مستهتر بالنساء فلا تفتني
ببنات الأصفر يعني بنات الروم ولكن أعينك بمالي فاتركني وقرئ ولا تفتني من أفتنه بمعنى
فتنه ألا في الفتنة أي في عينها ونفسها وأكمل أفرادها الغني عن الوصف بالكمال الحقيقي باختصاص
اسم الجنس به سقطوا لا في شيء مغاير لها فضلا عن أن يكون مهربا ومخلصا عنها وذلك بما
فعلوا من العزيمة على التخلف والجراءة على الاستئذان بهذه الطريقة الشنيعة ومن القعود
بالإذن المبني عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة وقرئ بإفراد الفعل محافظة على
لفظ من وفي الجملة حرف التنبيه في تقديم الظرف إيذان بأنهم وقعوا فيها وهم
يحسبون أنهم ينجون من الفتنة زعما منهم أن الفتنة إنما هي التخلف بغير إذن وفي التعبير عن
الافتتان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم في درك
الردى أسفل سافلين وقوله عز وجل وإن جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على
الجملة السابقة داخل تحت التنبيه أي جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب وإيثار الجملة
الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار أو محيطة بهم الآن تنزيلا لما سيقع عن قريب
منزلة الواقع أو وضعا لأسباب الشيء موضعه فإن مبادي إحاطة النار بهم من الكفر والمعاصي
محيطة بهم الآن من جميع الجوانب ومن جملتها ما وقعوا فيه وما سقطوا فيه من الفتنة وقيل
تلك المبادي المتشكلة بصور الأعمال والأخلاق هي النار بعينها ولكن لا يظهر ذلك في هذه النشأة
وإنما يظهر عند تشكلها بصورها الحقيقية في النشأة الآخرة والمراد بالكافرين إما المنافقون
وإيثار وضع المظهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر والإشعار بأنه معظم أسباب الإحاطة
المذكورة وإما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا أوليا إن تصبك في بعض مغازيك
حسنة من الظفر والغنيمة تسؤهم تلك الحسنة أي تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم
لك وإن تصبك في بعضها مصيبة من نوع شدة يقولوا متبجحين بما صنعوا حامدين لآرائهم
قد أخذنا أمرنا أي تلافينا ما يهمنا يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب
والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من أمور الكفر والنفاق قولا وفعلا من قبل أي من قبل إصابة
المصيبة في وقت تداركه يشيرون بذلك إلى أن المعاملة المذكورة إنما تروج عند
الكفرة بوقوعها حال قوة الإسلام لا بعد إصابة المصيبة ويتولوا عن مجلس الاجتماع والتحدث
إلى أهاليهم أو يعرضوا عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم فرحون بما صنعوا من أخذ الأمر
وبما أصاب عليه السلام والجملة حال من الضمير في يقولوا ويتولوا لا في الأخير فقط لمقارنة
الفرح لهما وإيثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام السرور وإسناد المساءة إلى الحسنة
والمسرة إلى أنفسهم دون المصيبة بأن يقال وإن تصبك مصيبة تسرهم للإيذان باختلاف
حالهم حالتي عروض المساءة والمسرة بأنهم في الأولى مضطرون وفي الثانية مختارون

قل بيانا لبطلان ما ينوي عليه سيئتهم من الاعتقاد لن يصيبنا ابدا وقرئ
هل يصيبنا من فعل لا من فعّل لانه واوي يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه
من الصواب الا ما كتب الله لنا اي اثبته لمصلحتنا الدنيوية والاخروية من النصر عليكم او الشهادة
المودية الى النعيم الدائم هو مولانا ناصرنا ومتولي امورنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون
التوكل تفويض الامر الى الله والرضى بما فعله وان كان ذلك بعد ترتيب المبادي
العادية والفاء للدلالة على استيجابه تعالى للتوكل عليه كما في قوله تع واياي فارهبون
والجملة ان كانت من تمام الكلام المامور به فاظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار
لاظهار التبرك والتلذذ به وان كانت مسوقة من قبله تعالى امر للمؤمنين بالتوكل
اثر امره صلى الله عليه وسلم بما ذكر فالامر ظاهر وكذا اعادة الامر في قوله
تعالى قل هل تربصون بنا لانقطاع حكم الامر الاول بالثاني وان كان امر الثاني لغاية
واما على الوجه الاول فهي لابراز كمال العناية بشان المامور به والاشعار بما بينه وبين
ما امر به اولا من الفرق والسياق والتربص التمكث مع انتظار مجيء شيء خيرا كان او شرا
والباء للتعدية واحدى التائين محذوفة اي ما ينتظرون بنا الا احدى الحسنيين اي العاقبتين
اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم في الجواب
الاول وكشف لحقيقة الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما
يعدونه منفعة من النصر والغنيمة ونحن نتربص بكم السوأى من العواقب اما ان يصيبكم الله
بعذاب من عنده كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف صفة عذاب ولذلك حذف عامله
وجوبا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا الفاء فصيحة اي اذا كان الامر
كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فاذا لقي كل منا ومنكم
ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما يسوءكم قل انفقوا اموالكم في
سبيل الله طوعا او كرها مصدران وقعا موقع الحال الفاعل اي طائعين او كارهين
وهو امر في معنى الخبر كقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا
او كرها لن يتقبل منكم ونظم الكلام في سلك الامر مبالغة في بيان تساوي الامرين في
عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا هل يتقبل منهم
فيشاهدوا عدم القبول وهو جواب قول ولكن اعنك بمالي ونفي التقبل يحتمل
ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى عدم الاثابة عليه وقوله عز وجل انكم كنتم
قوما فاسقين اي عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم وما منعهم ان تقبل منهم وقرئ
بالتحتانية نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله استثناء من اعم الاشياء اي ما منعهم
انفقاتهم منهم بشيء من الاشياء الا كفرهم وقرئ يقبل على البناء للفاعل وقوله
تعالى ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى اي لا ياتونها في حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون
الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فقوله تع طوعا اي

غير التزام

من غير التزام من جهته عليه السلام لا رغبة او هو فرضي لتوسيع الدائرة فلا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم فان ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل انما يريد
الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يقاسون فيها من
الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في
العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم في الدين
والاسلام وما هم منكم في ذلك ولكنهم قوم يفرقون يخافون ان يفعل بهم ما يفعل بالمشركين
فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه بالايمان الفاجرة لو يجدون ملجأ استيناف مقرر لمضمون
ما سبق من انهم ليسوا من المسلمين وان التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو للتقية اضطرارا حتى انهم
لو وجدوا غير ذلك ملجأ اي مكانا حصينا يلجأون اليه من رأس جبل او قلعة او جزيرة وايثار
صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة استمرار الفعل كما هو الظاهر
بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا حسبما يقتضيه المقام فان معنى قولك لو تحسن الي لشكرتك
ان انتفاء الشكر بسبب انتفاء الاحسان لا في استمراره كما حقق في موضعه او مغارات
اي غيرانا وكهوفا يخفون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور
او مدخلا هو مفتعل من غار اذا دخل الغور اي امكنة يغيرون فيها اشخاصهم واهليهم ويجوز
ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغارات او مدخلا اي نفقا يندسون فيه
وينجحرون وهو مدخل من الدخول وقرئ مدخلا من الدخول ومدخلا من الادخال اي
مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرئ متدخلا ومندخلا من التدخل والاندخال لولوا
اي لصرفوا وجوههم واقبلوا وقرئ لوالوا اي لالتجأوا اليه اي احد ما ذكر وهم يجمحون
اي يسرعون بحيث لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه اشعار بكمال
عتوهم ويشتدون ومنه الجماح ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها اي يعيبك سرا
وقرئ يلمزك ويلامزك مبالغة في الصدقات في شانها وقسمتها فان اعطوا منها بيان
لفساد نيتهم وانه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اي ان اعطوا منها قدر ما يريدون
رضوا بما وقع من القسمة واستحسنوها وان لم يعطوا منها ذلك المقدار اذا هم يسخطون
السخط واذا نائب مناب فاء الجزائية قيل نزلت الاية في ابي الجواظ
المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل
وقيل في ابن ذي الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير التميمي راس الخوارج كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل
يا رسول الله فقال افضل الصلوة واكمل التحيات ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل
هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر ولو انهم رضوا ما اتيهم الله ورسوله اي ما اعطاهم
الرسول عليه السلام من الصدقات طيبي النفوس به وان قل وذكر الله عز وجل للتعظيم
والتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه الصلوة والسلام كان بامره سبحانه وقالوا حسبنا الله

أي كفانا فضله وصنعه بنا وما قسمه لنا سيؤتينا الله من فضله ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل
إنا إلى الله راغبون في أن يخولنا فضله والآية بأسرها في حيز الشرط والجواب محذوف بناء على
ظهوره أي لكان خيرا لهم إنما الصدقات شروع في تحقيق حقية ما صنعه الرسول صلى الله عليه
وسلم من القسمة ببيان المصارف ورد لمقالة القالة في ذلك وحسم لأطماعهم الفارغة
المبنية على زعمهم الفاسد ببيان أنهم بمعزل من الاستحقاق أي جنس الصدقات المشتملة على
الأنعام والأنواع الحاصلة للفقراء والمساكين أي مخصوصة بهؤلاء الأصناف الثمانية الآتية لا
تجاوزهم إلى غيرهم كأنه قيل إنما هي لهم لا لغيرهم فما الذين لا علاقة لهم بها وبينهم
يقولون فيها ما يقولون وما سوغهم أن يتكلموا فيها وفي قاسمها والفقير من له أدنى شيء
والمسكين من لا شيء له هو المروي عن أبي حنيفة رحمه الله وقد قيل على العكس ولكل
منهما وجه يدل عليه والعاملين عليها الساعين في جمعها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم هم أصناف
منهم أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم ليسلموا فيرضخ لهم
ومنهم قوم أسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم بإجزال العطاء كعيينة بن حصن
والأقرع بن حابس والعباس بن مرداس ومنهم من يترقب بإعطائهم إسلام نظرائهم ولعل
الصنف الأول كان يعطيهم الرسول عليه السلام من خمس الخمس الذي هو خالص ماله وقد
عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقد سقط سهم هؤلاء
بالإجماع لما أن ذلك كان لتكثير سواد الإسلام فلما أعزه الله عز وعلا على تمنيه استغنى عن
ذلك وفي الرقاب أي وللصرف في فك الرقاب أي وللصرف في فك الرقاب بأن يعان
المكاتبون بشيء منها على أداء نجومهم وقيل بأن يفدى الأسارى وقيل بأن يبتاع
الرقاب فتعتق وإنما كان العدول عن اللام لعدم ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية
والاختصاص كالذين من قبلهم أو للإيذان بعدم قرار ملكهم فيما أعطوا كما في الوجهين الأولين
أو بعدم ثبوته رأسا كما في الوجه الأخير أو للإشعار برسوخهم في استحقاق الصدقة لما أن في
للظرفية المنبئة عن إحاطتهم بها وكونهم محلها ومركزها والغارمين أي الذين تدينوا
لأنفسهم في غير معصية إذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعي رحمه الله
من غرم لإصلاح ذات البين وإطفاء النائرة بين القبيلتين وإن كان غنيا وفي سبيل الله
أي فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل أي المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف
في الأخيرين للإيذان بزيادة فضلهما في الاستحقاق أو لما ذكر من اعتبار عنوان مصحح للمالكية
والاختصاص فهذه مصارف الصدقات فللمتصدق أن يدفع صدقته إلى كل واحد منهم وأن
يقتصر على صنف منهم لأن اللام لبيان أنهم المصارف لا يخرج عنهم لا لإثبات الاستحقاق وقد
روي ذلك عن عمر وابن عباس وحذيفة رضي الله تعالى عنهم وعند الشافعي لا يجوز إلا إلى
ثلاثة من تلك الأصناف فريضة من الله مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الآية أي فرض لهم الصدقات
فريضة ونقل عن سيبويه أنه منصوب بفعله مقدرا أي فرض الله ذلك فريضة أو حال من الضمير

المستكن

المستكن في قوله للفقراء أي إنما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة أي مفروضة والله عليم
بأحوال الناس ومراتب استحقاقهم حكيم لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة من الأمور الحسنة التي من جملتها
سوق الحقوق إلى مستحقيها ومنهم الذين يؤذون النبي نزلت في فرقة من المنافقين قالوا في حقه عليه السلام
ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول
ما شئنا ثم نأتيه فننكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول إنما محمد أذن سامعة وذلك قوله عز وجل
ويقولون هو أذن أي يسمع كل ما قيل ويحلف فيصدقنا بما نقول إنما محمد أذن من غير أن يتدبر فيه
ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة أمارات الصدق وبين ما لا يليق به وإنما قالوا
لأنه صلى الله عليه وسلم كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على
سلامة القلب وقالوا ما قالوا قل أذن خير لكم من قبيل رجل صدق في الدلالة على المبالغة في
الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الأذن ويجوز أن يكون المراد أذن في
الخير والحق وفيما ينبغي سماعه وقبوله لا في غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه
أي هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله وقرئ أذن بسكون الذال فيهما وقرئ
أذن خير على أنه صفة أو خبر ثان وقوله عز وجل يؤمن بالله تفسير لكونه أذن خير لهم أي يصدق
بالله تعالى لما قام عنده من الأدلة الموجبة له وكونه أذن خير للمخاطبين كما أنه خير للعالمين
كما لا يخفى ويؤمن للمؤمنين أي يصدقهم لما علم فيه من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الإيمان
المشهور وبين الإيمان بمعنى التسليم والتصديق كما في قوله تعالى أنؤمن لك إلخ وقوله تعالى فما آمن
لموسى إلخ ورحمة عطف على أذن خير أي وهو رحمة بطريق إطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة
للذين آمنوا منكم أي للذين أظهروا الإيمان منكم حيث يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم في ذلك
بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف أسرارهم ولا يهتك أستارهم وإسناد الإيمان إليهم بصيغة
الفعل بعد نسبته إلى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للإيذان
بأن إيمانهم أمر حادث ما له من قرار وقرئ بالنصب على أنها علة فعل دل عليه أذن خير أي
يأذن لكم رحمة والذين يؤذون رسول الله بما نقل عنهم من قولهم هو أذن ونحوه وفي صيغة الاستقبال
المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه إشعار بقبول توبتهم كما أفصح عنه قوله تعالى فيما
سيأتي فإن يتوبوا يك خيرا لهم بما يجترئون عليه من أذيته عليه السلام كما ينبئ عنه بناء الحكم
على الموصول عذاب أليم وهذا اعتراض من قبله عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب
وفي الإسناد بإثبات العذاب الأليم لهم ثم جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وإيراده
صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة مضافا إلى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على أن أذيته راجعة
إلى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب يحلفون بالله لكم الخطاب للمؤمنين خاصة وكان
المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالأيمان
ليعذروهم ويرضوا عنهم أي يحلفون لكم أنهم ما قالوا ما نقل إليهم مما يورث أذاة الرسول صلى
الله عليه وسلم وأما التخلف عن الجهاد فليس بداخل في هذا الاعتذار ليرضوكم وإفراد إرضائه

بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم ارضاء الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قبل عليه السلام منهم ولم يكذبهم للايذان بان ذلك بمعزل من ان يكون وسيلة الى ارضائه عليه السلام انما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا كما اشير اليه والله ورسوله احق ان يرضوه اي احق بالارضاء ولا يتسنى ذلك الا بالطاعة والمتابعة وايفاء حقوقه عليه السلام في باب الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا واما ما اتوا به من الايمان الفاجرة فانما يرضى بها من انحصر طريق علمه في الاخبار الى ان يجلي الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحالية من ضمير يحلفون اي يحلفون لكم بارضائكم والحال انه تعالى ورسوله احق بالارضاء منكم اي يعرضون عما يهمهم ويجديهم ويشتغلون بما لا يعنيهم وافراد الضمير في يرضوه اما للايذان بان رضاه عليه السلام مندرج تحت رضاه سبحانه وارضاؤه ارضاء له تعالى لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واما لانه مستعار لاسم الاشارة الذي يشار به الى الواحد والمتعدد بتأويل المذكور كما في قول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق ٭ كأنه في الجلد توليع البهق ٭ اي كان ذلك لا يقال اي حاجة الى الاستعارة بعد التأويل المذكور لانا نقول لولا الاستعارة لم يتسن التأويل لما ان الضمير لا يتعرض الا لذات ما يرجع اليه من غير تعرض بوصف من اوصافه التي من جملتها المذكورية وانما المتعرض لها اسم الاشارة واما لانه عائد الى رسوله والكلام جملتان حذف خبر الاولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب اليه سيبويه ومنه قول من قال نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف او الى الله على ان المذكور خبر الجملة الاولى وخبر الثانية محذوف كما هو رأي المبرد ان كانوا مؤمنين جوابه محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي ان كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فانهما احق بالارضاء الم يعلموا اي اولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا اليه من العظيمة مع علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ اي الم يعلموا بما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من فنون القوارع والانذارات انه اي الشأن من يحادد الله ورسوله المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد من مباشري كل من الافعال المذكورة في حد غير حد صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تعالى فان له نار جهنم على ان خبره محذوف اي فحق ان له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية في محل الرفع على انها خبر لان وهي مع خبرها سادة مسد مفعولي يعلموا وقيل المعنى فله ولفظ ان تكرير للاولى تأكيدا لطول العهد من باب التأكيد اللفظي المانع للاولى من العمل ودخول الفاء كما في قول من قال ٭ لقد علم الحي اليمانون انني ٭ اذا قلت اما بعد اني خطيبها ٭ وقد جوز ان يكون فان له معطوفا عليه وجواب الشرط محذوفا تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له ورد بان ذلك انما يجوز عند كون فعل الشرط محذوفا تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك وفعل الشرط ماضيا او مضارعا مجزوما بلم خالدا فيها حال

من الضمير

من الضمير المجرور ان اعتبر في الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه وان اعتبر مطلق الاستقرار فلا ذلك اشير الى ما ذكر من العذاب الخالد بذلك ايذانا ببعد درجته في الهول والفظاعة الخزي العظيم الخزي الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهي ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤوس الاشهاد بظهورها وتحقق العذاب الخالد بهم والجملة تذييل لما سبق يحذر المنافقون ان تنزل عليهم في شأنهم فان ما نزل في حقهم نازل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق ومعنى تنبئهم اياهم بما في قلوبهم مع انه معلوم لهم وان المحذور عندهم اطلاع المؤمنين عليها انها تذيع ما كانوا يخفونه من اسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من افواه الرجال مذاعة فكأنها تخبرهم بها والمراد بالتنبئة المبالغة في كون السورة مشتملة على اسرارهم كأنها تعلم من احوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعي عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضمائر الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالى بالتفكك عند ظهور الامر بعود المعنى اليه اي يحذر المنافقون ان تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما في قلوب المنافقين وتهتك عليهم استارهم قال ابو مسلم كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء وهو انهم كانوا اذا سمعوا رسول الله عليه السلام يذكر كل شيء ويقول انه بطريق الوحي يكذبونه ويستهزئون به ولذلك قيل قل استهزءوا اي افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد ان الله مخرج اي من القوة الى الفعل او من الكمون الى البروز ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة ومن مخازيكم ومثالبكم المستكنة في قلوبكم الفاضحة لكم على ملأ الناس والتأكيد لرد انكارهم بذلك لا لدفع ترددهم في وقوع المحذور واذ ليس حذرهم بطريق الحقيقة ولئن سألتهم عما قالوا ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي انه عليه السلام يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزئون بالقرآن وبالرسول عليه السلام ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح حصون الشام وقصورها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا علي الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم جناياتهم منزلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم على الاستهزاء أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ به ولا يستقيم ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا بالاعتذار وهو عبارة عن محو اثر الذنب فانه معلوم الكذب بين البطلان قد كفرتم اظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم له ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء وقرئ يعف على اسناد الفعل الى الله وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الظرف بتذكير الفعل وبتأنيثه ايضا ذهابا الى المعنى كأنه

قيل ان ترحم طايفة نعذب بنون العظمة وقري بالياء على البناء للفاعل وبالتاء على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده طايفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على الاجرام وهم غير التايبين او مباشرين له وهم غير متجنبين قال محمد بن اسحق الذي عفي عنه رجل واحد هو يحيى بن حمير الاشجعي لما نزلت هذه الاية تاب عن نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع اية بي تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره المنافقون والمنافقات التعرض لاحوال الاثبات للايذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق بعضهم من بعض اي متشابهون في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشي الواحد بالشخص وقيل اريد به نفي ان يكونوا من المومنين وتكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله تعالى يامرون بالمنكر اي بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف اي عن الايمان والطاعة استيناف مقرر لمضمون ما سبق ومفصح عن مضادة حالهم لحال المومنين او جرثاني ويقبضون ايديهم اي عن المبرات والانفاق في سبيل الله فان قبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبير عنه بالنسيان للمشاكلة ان المنافقين هم الفاسقون اي الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة والانسلاخ عن كل خير والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير كما في قوله تعالى وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار اي المجاهرين نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها وعذابها ولعنهم الله اي ابعدهم من رحمته واهانهم وفي اظهار الاسم الجليل من الايذان بشدة السخط ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم اي نوع من العذاب غير عذاب النار دايم لا ينقطع ابدا ومعهم في الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق الذي هم منه في بلية دايمة لا يامنون ساعة من خوف الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم كالذين من قبلكم التفات من الغيبة الى الخطاب للتشديد والكاف في محل الرفع على الخبرية اي انتم مثل الذين من قبلكم من الامم المهلكة او في حيز النصب بفعل مقدر اي فعلتم مثل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا تفسير وبيان لتشبيههم بهم وتمثيل لحالهم بحالهم فاستمتعوا وتمتعوا وفي صيغة الاستفعال ما ليس في التفعل من الاستزادة والاستدامة في التمتع بخلاقهم بنصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي استمتاعا كاستمتاع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهايهم بها عن النظر في العواقب الحقة واللذات الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم اياهم واقتفايهم اثرهم وخضتم اي دخلتم في الباطل كالذين خاضوا اي كالذين باسقاط النون او كالفوج الذي او كالخوض الذي خاضوه اولئك اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة من المشبهين والمشبه بهم لا الى الفريق الاخير فقط فان ذلك يقتضي ان يكون حبوط المشبهين وخسرانهم مفهوما ضمنا لا مصرحا به ويودي الى خلو تلوين الخطاب عن الفايدة اذ الظاهر حينئذ اولئكم والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح للخطاب اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت اعمالهم التي المراد بها اعمالهم التي كانوا يستحقون بها اجورا حسنة لو قارنت الايمان اي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب عليها اثر في الدنيا والاخرة بطريق المثوبة والكرامة اما في الاخرة فظاهر واما في الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم فيها من الصحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبي عنه قوله عز وجل من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس ترتبه عليها على طريق المثوبة والكرامة بل بطريق الاستدراج اولئك اي الموصوفون بحبوط الاعمال في الدارين هم الخاسرون الكاملون في الخسران في الدارين الجامعون مباديه واسبابه طرا فانه قد ذهبت رؤس اموالهم التي هي اعمالهم فيما ضرهم ولم ينفعهم لكفي به خسرانا وايراد اسم الاشارة في الموضعين للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها للحبوط والخسران الم ياتهم اي المنافقين نبا الذين من قبلهم اي خبرهم الذي له شان وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم واصحاب مدين وقوم شعيب والموتفكات قريات قوم لوط ايتفكت بهم اي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين وايتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات استيناف لبيان نباهم فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام اي فكذبوهم فاهلكهم الله فما ظلمهم بذلك وايثار ما عليه النظم الكريم للمبالغة في تنزيه ساحة السبحان عن الظلم اي ما صح وما استقام له ان يظلمهم ولكنهم ظلموا انفسهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في قوله تعالى ولكن كانوا انفسهم يظلمون للدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرضونها للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راي من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم في الفاعل او المفعول وسيجي لهذا مزيد بيان في قوله سبحانه ان الله لا يظلم الناس شيا ولكن الناس انفسهم يظلمون والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض لحسن حال المومنين والمومنات حالا ومالا اثر بيان قبح حال اضدادهم عاجلا واجلا والتعبير عن نسبة هولاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة اوليك بالاتصالية للايذان بان نسبة هولاء بطريق القرابة الدينية المبنية على المعاقد المستتبعة للاثار من المعونة والنصرة وغير ذلك ونسبة اوليك بمقتضى الطبيعة والعادة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اي جنس المعروف والمنكر المنتظمين

لكل خير وشر ويقيمون الصلوة فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو في مقابلة ما سبق من
قوله تعالى نسوا الله ويؤتون الزكوة مقابلة قوله تعالى ويقبضون أيديهم ويطيعون الله ورسوله
اي في كل امر ونهي وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اولئك
اشارة الى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من
معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون بما فصل من النعوت
الجليلة سيرحمهم الله اي يفيض عليهم آثار رحمته من التأييد والنصرة البتة فان السين
مؤكدة للوقوع في قولك سانتقم منك ان الله عزيز تعليل للوعد اي قوي قادر على اعزاز
اوليائه وقهر اعدائه حكيم يبني احكامه على اساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق من النعمة
والنقمة الى مستحقيها من اهل الطاعة واهل المعصية وهذا وعد للمؤمنين متضمن لوعيد
المنافقين كما ان ما سبق في شان المنافقين من قوله فنسيهم وعيد لهم متضمن لوعد المؤمنين فان
منع لطفه تعالى عنهم لطف في حق المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات تفصيل لآثار رحمته الاخروية
اثر ذكر رحمته الدنيوية والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعلية وصف
الايمان لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض لذكر ما مر من الامر بالمعروف وغيره ذلك للايذان
بانه من لوازمه اي وعدهم وعدا شاملا لكل منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب
الفضل كيفا وكما جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها فان كل احد منهم فائز بها لا محالة
ومساكن طيبة اي وعد بعض الخواص الكمل منهم منازل يستطيبها النفوس او يطيب فيها العيش
في الخبر انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن هي ابهى اماكن
الجنات واسناها عن النبي صلى الله عليه وسلم عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على
قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى
لمن دخلك وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج
والمروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او
شهيد وعن ابن مسعود رضي الله عنه هي بطنان الجنة وسرتها فعدن في هذا علم وقيل
هو معناه اللغوي اعني الاقامة والخلود فمرجع العطف لاختلاف الوصف وتغايره فكانه
وصفه اولا بانه من جنس ما هو اشرف الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية
ليميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن
شوائب الكدورات التي لا يكاد يخلو عنها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين
ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم
بما هو اجل من ذلك كله فقال ورضوان من الله اي وشيء يسير من رضوانه تعالى اكبر اذ عليه
يدور فوز كل خير وسعادة وبه يناط نيل كل شرف وسيادة ولعل عدم نظمه في سلك الوعد
مع عزته في نفسه لانه متحقق في ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين روي انه تعالى
يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك

فيقول

فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا
اسخط عليكم ابدا ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته في العظم
والفخامة هو الفوز العظيم دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر
عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدرها ليست بالنسبة الى ادنى شيء من نعيم الآخرة بمثابة
جناح البعوض وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح
بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ونعم ما قال من قال تالله لو كانت الدنيا باجمعها
تبقى علينا ومن رزقها واسعا ما كان من حق حر ان يذل بها فكيف وهي متاع يضمحل غدا
يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ اي المجاهرين منهم بالسيف والمنافقين بالحجة
واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تاخذك بهم رافة قال نسخت هذه الآية كل شيء
من العفو والصفح ومأواهم جهنم جملة مستانفة لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله وقيل
حالية وبئس المصير تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف يحلفون بالله ما قالوا استئناف
لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما مر من الامر بالجهاد والغلظة ودخول جهنم روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن
ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمعه من كان منهم معه عليه السلام فقال الجلاس بن سويد
منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر
من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانت شر من الحمير
وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال
اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل وايثار صيغة
الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة او للدلالة على تكرر الحلف وصيغة الجمع في
قالوا مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم برضاهم بقوله صاروا بمنزلة القائل
ولقد قالوا كلمة الكفر هي ما حكي آنفا والجملة مع ما عطف عليها اعتراض وكفروا بعد اسلامهم
اي واظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا هو الفتك برسول
الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عليه السلام عن
راحلته اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته يقودها وحذيفة
اليمان خلفها يسوقها فبينما هو كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح
فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل
عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي بن سلول وان لم يرض به
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا اي وما انكروا او ما عابوا او ما وجدوا ما يورث
نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله سبحانه وتعالى وذلك انهم كانوا حين قدم النبي
صلى الله عليه وسلم في غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة
فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف

درهم فاستغني والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو من أعم العلل أي وما أنكروا شيئاً
من الأشياء إلا إغناء الله تعالى إياهم أو ما أنكروا لعلة من العلل إلا لإغناء الله تعالى إياهم وإن
يتوبوا عما هم عليه من الكفر والنفاق يك خيراً لهم في الدارين قيل لما تلاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته
وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وإن يتولوا أي استمروا على ما كانوا عليه من
التولي والإعراض عن الدين أو أعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض يعذبهم الله عذاباً
أليماً في الدنيا بالقتل والأسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات والآخرة بالنار وغيرها
من أفانين العقاب وما لهم في الأرض مع سعتها وتباعد أطرافها وكثرة أهلها المصححة لوجدان
ما نفي بقوله عز وجل من ولي ولا نصير ينقذهم من العذاب بالشفاعة أو المدافعة ومنهم بيان
لقبائح بعض آخر منهم من عاهد الله لئن آتانا الله من فضله لنصدقن لنؤتين الزكوة وغيرها من الصدقات
ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الحج وقرئ بالنون الخفيفة في
فيهما قيل نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع
الله أن يرزقني مالاً فقال عليه الصلوة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي حقه خير من كثير
لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه فدعا
له فاتخذ غنماً فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً وانقطع عن الجمعة
والجماعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح
ثعلبة فبعث مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة
فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال
ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيي وذلك قوله عز وجل
فلما آتاهم من فضله بخلوا به أي منعوا حق الله منه وتولوا أي أعرضوا عن طاعة الله سبحانه
فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء
ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام إن الله تعالى منعني أن أقبل منك فجعل التراب في
رأسه فقال عليه السلام هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض عليه السلام فجاء بها إلى
أبي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها إلى عمر رضي الله عنه فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان
رضي الله عنه وقيل نزلت فيه وفي سهل بن الحرث وجد بن قيس ومعتب بن قشير والأول هو
الأشهر وهم معرضون جملة معترضة أي هم قوم عادتهم الإعراض أو حالية أي تولوا بأجرامهم
وهم معرضون بقلوبهم فأعقبهم أي جعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقاً راسخاً في قلوبهم
إلى يوم يلقونه إلى يوم موتهم الذي يلقون فيه جزاء أعمالهم وهو يوم القيمة وقيل
فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم ولا يلائمه قوله عز وجل بما أخلفوا الله ما وعدوه أي
بسبب إخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون أي وبكونهم مستمرين
على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذب بر تؤدي الحج عليه

الجمع

الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل عن المزية فإن تسبب العقاب المذكور بالإخلاف والكذب
يقتضي بإسناده عز وجل إذ لا معنى لكونهما سببين لإعقاب فعل النفاق والتصديق به لما كان
الفاء الدالة في الترتيب التفريع تنبيه على ترتب إعقاب النفاق الخالد على أعمالهم الخبيثة
منهم من المعاهدة بالتصدق والصلاح والبخل والتولي والإعراض ومنها ما لا يخلو به في
الترتيب المذكور كالمعاهدة ما في ذلك من الإيهام بتعيين ما هو المدار في ذلك وقد يعلم
وقرئ بتشديد الدال ألم يعلموا أي المنافقون أو من عاهد الله تعالى وقرئ بالتاء
الفوقانية خطاباً للمؤمنين فالهمزة في الأول للإنكار والتوبيخ والتهديد أي ألم يعلموا
أن الله يعلم سرهم ونجواهم أي ما أسروه في أنفسهم وما تناجوا به فيما بينهم من المطاعن
وتسمية الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه وسر تقديم السر على النجوى سيظهر في قوله
سبحانه وسر دون في عالم الغيب والشهادة وأن الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من الأشياء
حتى اجترؤوا على ما اجترؤوا عليه من العظائم وإظهار اسم الجلالة في الموقعين لإلقاء الروعة
وتربية المهابة وفي إيراد العلم المتعلق بسرهم ونجواهم بصيغة الفعل الدال على الحدوث
والتجدد والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الدائمة بصيغة الاسم الدال على الدوام مع
المبالغة من الفخامة والجزالة ما لا يخفى وعلى الثاني للتقرير لعلم المؤمنين بذلك وتنبيههم
على أنه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم بما علم من أعمالهم الذين يلمزون نصب أو رفع على الذم أو
جر على البدلية من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ بضم الميم وهي لغة أي يعيبون
المطوعين أي المتطوعين المتبرعين من المؤمنين حال من المطوعين وقوله تعالى في الصدقات
متعلق بيلمزون روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس على الصدقة فأتى
عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب وقيل بأربعة آلاف درهم وقال كان
ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك له حتى صولحت تماضر
رابعة نسائه عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء
أبو عقيل الأنصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين من تمر فتركت صاعاً
لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلمزهم
المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن كان الله ورسوله لغنيين
عن صاع أبي عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا
يجدون إلا جهدهم عطف على المطوعين أي ويلمزون الذين لا يجدون إلا طاقتهم وقرئ
بفتح الجيم وهو مصدر جهد في الأمر إذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح المشقة
فيسخرون منهم عطف على يلمزون أي يهزؤون بهم والمراد بهم الفريق الأخير سخر الله منهم
إخبار بمجازاته تعالى إياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير عنها بذلك للمشاكلة ولهم أي ثابت
لهم عذاب أليم التنوين للتهويل والتفخيم وإيراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار وفي

استغفر لهم او لا تستغفر لهم اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم وتركه في استحالة المغفرة وتصويره بصورة الامر للمبالغة في بيان استوائهما كانه عليه الصلوة والسلام امر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويتركه اخرى ليظهر له جلية الامر كما في قوله عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه روي ان عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عليه السلام فنزلت فقال عليه السلام نحا على ما هو الاصل من ان مراتب الاعداد حدود معينة يخالف حكم كل منها حكم ما فوقها ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعماية في مطلق التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانها العدد باسره وقيل هي اكمل الاعداد لجمعها معانيها ولان الستة اول عدد تام لتعادل اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلاثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم السبعون غاية الكمال اذ الاحاد غايتها العشرات والسبعمية غاية الغايات ذلك اشارة الى امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار اي ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك بل بانهم اي بسبب انهم كفروا بالله ورسوله كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم بالفسق في قوله عز وجل والله لا يهدي القوم الفاسقين فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز عن حدوده اي لا يهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التي يدور عليها فلك التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وهو تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر انما هي بالاقلاع عن الكفر والاقبال على الحق والمنهمك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره لهم وهو عدم يأسه عن ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون على الغي والضلال اذ الممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما سيتلى من قوله عز وجل ما كان للنبي الاية فرح المخلفون اي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاذن لهم في القعود عند استيذانهم وخلفهم الله تعالى بتثبيطه اياهم لما علم في ذلك من الحكم الخفية او خلفهم كسلهم او نفاقهم بمقعدهم متعلق بفرح اي بقعودهم وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول الله اي خلفه وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ظعنوا ولم يظعن ويؤيده قراءة من قرأ خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح اي فرحوا لاجل مخالفته عليه السلام بالقعود واما مقعدهم اي فرحوا لمخالفتهم له عليه السلام

بالقعود

بالقعود او فرحوا بالقعود لمخالفتهم له عليه الصلوة والسلام وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخوض في طاعة الله تعالى فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ايثار احد الامرين قد يتحقق بادنى رجحان منه من غير ان يبلغ الاخر مرتبة الكراهية وانما اوثر ما عليه النظم الكريم في ان يقال وكرهوا ان يخرجوا مع الغزو ايذانا بان الجهاد في سبيل الله تعالى مع كونه اجل الرغائب واشرف المطالب التي يجب ان يتنافس فيه المتنافسون قد كرهوه كما فرحوا بافتح القبايح الذي هو القعود خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اي لاخوانهم تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او للمؤمنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خصال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهي الغير عن ذلك لا تنفروا في الحر فانه لا يستطاع شدته قل ردا لهم عليهم وتجهيلا لهم نار جهنم التي ستدخلونها بما فعلتم اشد حرا مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون انفسكم لها بايثار القعود على النفير لو كانوا يفقهون اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى غير داخل تحت القول المامور به مؤكد لمضمونه وجواب لو اما مقدر اي لو كانوا يفقهون انها كذلك او كيف هي او ان مآلهم اليها لما فعلوا ما فعلوا او لتأثروا بهذا الالزام واما غير منوي على ان لو لمجرد التمني المنبئ عن امتناع تحقق مدخولها اي لو كانوا من اهل الفطانة والفقه كما في قوله عز وجل قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا اخبار عن عاجل امرهم واجله من الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدي اليه اعمالهم السيئة التي من جملتها ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما اذ لا يتصور السببية في الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اي ضحكا قليلا او زمانا كثيرا واخراجه في صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر الامر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المامور به خلا ان المقصود افادته في الاول هو وصف القلة فقط وفي الثاني وصف الكثرة مع الموصوف يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم وان تكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام جزاء بما كانوا يكسبون من فنون المعاصي والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما داموا في الدنيا وجزاء مفعول له للفعل الثاني اي ليبكوا جزاء او مصدر حذف ناصبه اي يجزون بما ذكر من البكاء الكثير جزاء بما كسبوا من المعاصي المذكورة فان رجعك الله الفاء لتفريع الامر الاتي على ما بين من امرهم والفعل من الرجع المتعدي دون الرجوع اللازم اي فان ردك الله تعالى الى طائفة منهم اي المنافقين من المتخلفين في المدينة فان تخلف بعضهم انما كان لعذر عائق مع الاسلام او الى من بقي من المنافقين المتخلفين بان ذهب بعضهم بالموت او بالغيبة عن البلد او بان لم يستاذن البعض [illegible]

انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل فاستأذنوك للخروج معك الى غزوة اخرى بعد غزوة تبوك
هذه فقل اخراجا لهم عن ديوان الغزاة وابعادا لمحلهم من محفل صحبتك لن ولن
تقاتلوا معي عدوا من الاعداء وهو اخبار في معنى النهي للمبالغة وقد وقع كذلك انكم
تعليل لما سلف اي لانكم رضيتم بالقعود اي عن الغزو وفرحتم بذلك اول مرة اي غزوة
تبوك فاقعدوا الفاء لتفريع الامر بالقعود بطريق العقوبة على ما صدر عنهم من الرضى بالقعود
اي اذ رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفين اي المتخلفين الذين ديدنهم
القعود والتخلف دائما وقرئ الخلفين على القصر فكان محو اساميهم من دفتر المجاهدين
ولزهم في قرن الخالفين عقوبة وتذكير اسم التفضيل المضاف الى المؤنث هو الاكثر الدائر
على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هي كبرى امرأة او اولى ولا تصل
صفة لاحد وانما جيء بصيغة الماضي تنبيها على تحقق الوقوع لا محالة . متعلق
بالنهي لا بدع ولا تستغفر لهم ابدا ولا تقم على قبره اي لا تقف عليه للدفن او للزيارة والدعاء
وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس
النفاق عبد الله بن ابي بن سلول بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه فلما
دخل عليه قال عليه السلام اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي
لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه وكان
مؤمنا صالحا فاجابه صلى الله عليه وسلم تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل اليه قميصه فكفن
فيه فلما هم بالصلوة او صلى نزلت وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال لما هلك عبد الله بن ابي
ووضعناه ليصلي عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اتصلي على عدو الله القائل يوم
كذا وكذا والقائل يوم كذا كذا وكذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم عليه السلام وصلى عليه
ثم مشى معه وقام على قبره حتى فرغ منه فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزلت ولا تصل الاية فما صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه
عليه السلام لان الضنة بالقميص كانت مظنة الاخلال بالكرم على انه كان مكافاة لقميصه الذي
كان البسه العباس رضي الله عنه حين اسر ببدر والخبر مشهور انهم كفروا بالله ورسوله تعليل
للنهي على معنى ان الاستغفار للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل
في حقهم لانهم استمروا في الكفر بالله ورسوله مدة حياتهم وماتوا وهم فاسقون اي متمردون
في الكفر خارجون عن حدوده كما تبين من بعض الفسق ولا تعجبك اموالهم واولادهم تكرير لما سبق
وتقرير لمضمونه بالاخبار بوقوعه ويجوز ان يكون هذا في حق فريق غير الفريق الاول وتقديم
الاموال في امثال هذه المواقع على الاولاد مع كونهم اعز منها اما لعموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات
وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لا بد منه لكل احد من الاباء والامهات والاولاد في كل وقت
وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له فهو واولاده في ضيق ونكال واما الاولاد فانما يرغب فيهم
من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء النوع واما لانها اقدم

الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سيأتي في سورة الكهف انما يريد الله
بما متعهم به من الاموال والاولاد ان يعذبهم بها في الدنيا بسبب معاناتهم المشاق ومكابدتهم الشدائد
في شأنها وتزهق انفسهم وهم كافرون اي فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها والالتهاء عن النظر
والتدبر في العواقب واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بها بعضها ان آمنوا بالله
ان مفسرة لما في الانزال من معنى القول والوحي او مصدرية حذف عنها الجار اي بان آمنوا
وجاهدوا مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته استأذنك اولوا الطول منهم اي ذوو الفضل
والسعة والقدرة على الجهاد بدنا ومالا وقالوا عطف تفسيري لاستأذنك مغن عن ذكر ما استأذنوا
فيه يعني القعود ذرنا نكن مع القاعدين اي الذين قعدوا عن الغزو لما لهم من عذر رضوا استئناف
لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم لكلا الامرين وان لم يردوا الاول صريحا بان يكونوا مع
الخوالف مع النساء اللاتي شأنهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من لا خير فيه
وطبع على قلوبهم فهم بسبب ذلك لا يفقهون ما في الايمان بالله وطاعته في اوامره ونواهيه
واتباع رسوله عليه السلام والجهاد من السعادة وما في اضداد ذلك من الشقاوة لكن الرسول
والذين آمنوا معه بالله وبما جاء من عنده تعالى وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان بالله في شيء وان لم
يعرضوا عنه صريحا اعراضهم عن الجهاد وباستيذانهم في القعود جاهدوا باموالهم وانفسهم اي
ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد نهد اليه ونهض له من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا وقاموا
بامر الجهاد بكلا نوعيه لقوله تع فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اولئك
المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم بواسطة نعوتهم المزبورة الخيرات اي منافع الدارين النصر والغنيمة
في الدنيا والجنة والكرامة في العقبى وقيل الحور لقوله عز قائلا فيهن خيرات حسان وهي جمع
خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون اي الفائزون بالمطلوب لا من حاز بعضا من الحظوظ
الفانية عما قليل وتكرير اسم الاشارة تنويه لشأنهم وربء لمكانهم اعد الله لهم استئناف لبيان
كونهم مفلحين اي هيأ لهم في الاخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة من الضمير
المجرور والعامل اعد ذلك اشارة الى ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة من نيل
الكرامة العظمى الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم شروع
في بيان احوال منافقي الاعراب اثر بيان منافقي اهل المدينة والمعذرون من عذر في الامر
اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون
بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين وهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعذرون
من الاعذار وهو الاجتهاد في العذر والاحتشاد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا
وان بنا الجهد فاذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا انا ان غزونا معك
اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنيني الله تعالى عنكم وعن
مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله سبحانه وتعالى وعن قتادة اعتذروا بالكذب
وقرئ المعذّرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم

في العين على ما في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد
بهم المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون اي الذين لم يفرطوا في العذر وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر انهم
كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم اي من الاعراب
او من المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والاسر في
الدنيا والنار في الآخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرما والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
لفقرهم كمزينة وجهينة وبني عذرة حرج اثم في التخلف اذا نصحوا لله ورسوله ونصح
عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما في السر والعلن وتوليهما في السراء والضراء
والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ما على المحسنين من سبيل استيناف
مقرر لمضمون ما سبق اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتاكيد
ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ورسوله في سلك المحسنين
او تعليل لنفي الحرج عنهم اي ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم والله غفور رحيم
تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر مشير الى انهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر ولا
على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله عز وجل فيما سيأتي
انما السبيل الآية وقيل عطف على الضعفاء وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن
يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل
وعلية بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف
المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه الصلوة والسلام لا اجد فتولوا وهم يبكون
وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد ونعمان وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه قلت لا اجد
ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد وما عامة لما سألوه عليه السلام وغيره
مما يحمل عادة وفي ايثار لا اجد على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين
ما لا يخفى كانه عليه السلام يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب اذا
واعينهم تفيض اي تسيل بشدة من الدمع اي دمعا فان من البيانية مع مجرورها في محل
النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لافادتها ان العين بعينها صارت دمعا فائضا
والجملة حالية وقوله عز اسمه حزنا نصب على العلية او الحالية او المصدرية لفعل دل عليه
ما قبله اي يفيض للحزن فان الحزن يسند الى العين مجازا كالفيض او تولوا للحزن او
يحزنون حزنا فيكون هذه الجملة حالا من الضمير في تفيض الا يجدوا على حذف اللام متعلق بحزنا
او بتفيض للحزن فان الحزن اي لئلا يجدوا ما ينفقون في شراء ما يحتاجون اليه اذ لم يجدوه عندك
انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك في التخلف وهم اغنياء واجدون لأهبة الغزو مع
سلامتهم رضوا استيناف تعليلي لما سبق كانه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل
رضوا بان يكونوا مع الخوالف الذين شأنهم الضعة والدناءة وطبع الله على قلوبهم اي ختم

تغفلوا عن وخامة العاقبة فهم بسبب ذلك لا يعلمون ابدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه آجلا
كما لم يعلموا بخساسته عاجلا يعتذرون اليكم استيناف لبيان ما يتصدون اليه عند
القفول اليهم روي انهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع عليه السلام اليهم جاؤا يعتذرون
اليه بالباطل والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانهم كانوا يعتذرون
اليهم ايضا لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط اي يعتذرون اليكم في التخلف
اذا رجعتم من الغزو منتهين اليهم وانما لم يقل الى المدينة ايذانا بان مدار الاعتذار
هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر الى الاعتذار قبل الرجوع اليها
قل تخصيص هذا الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه فيما سبق لاصحابه ايضا
لما ان الجواب وظيفته عليه السلام واما اعتذارهم فكان شاملا للمسلمين شمول الرجوع
لهم للكل لا تعتذروا اي لا تفعلوا الاعتذار كقوله تعالى اخسأوا فيها ولا تكلمون او لا
تعتذروا بما عندكم من المعاذير واما التعرض لعنوان كذبها فلا يساعده قوله تعالى لن نؤمن
لكم اي لن نصدقكم في ذلك ابدا فانه استيناف تعليلي للنهي مبني على سؤال من قبلهم
متفرع على ادعاء الصدق في الاعتذار كانهم قالوا لم لا نعتذر فقيل لانا لا نصدقكم ابدا
فيكون عبثا اذ لا يترتب عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل قد نبأنا الله من اخباركم تعليل
لانتفاء التصديق اي اعلمنا بالوحي بعض اخباركم المنافية للتصديق مما اشتملت من الشر
والفساد واضمرتموه في اضماركم ومياثموه للابرار في معرض الاعتذار من الاكاذيب وجمع
ضميري المتكلم في الموضعين للمبالغة في حسم اطماعهم من التصديق رأسا ببيان عدم رواج
اعتذارهم عند احد المؤمنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم في تصديق الرسول
ايضا صلى الله عليه وسلم بواسطة المصدقين وللايذان بافتضاحهم بين المؤمنين كافة
وسيرى الله عملكم فيما سيأتي اتتوبون ام تثبتون على ما انتم فيه من النفاق وكان
استتابة وامهال للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على ما عطف على فاعله من قوله
تعالى ورسوله للايذان باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما وللاشعار بان مدار الوعيد
هو علمه عز وجل باعمالهم ثم تردون يوم القيمة الى عالم الغيب والشهادة للجزاء بما ظهر
منكم من الاعمال ووضع المظهر موضع المضمر لتشديد الوعيد فان علمه تعالى بجميع اعمالهم
الظاهرة والباطنة واحاطته باحوالهم البارزة والكامنة مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم
عقيب عند رد كم اليه ووقوفكم بين يديه بما كنتم تعملون اي بما كنتم تعملونه في الدنيا
على الاستمرار من الاعمال السيئة السابقة واللاحقة على ان ما موصولة والعائد اليها
محذوف او بعملكم المستمر على انها مصدرية والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به وايثارها
عليها لمراعاة ما سبق من قوله تعالى قد نبأنا الله الخ فان المنبأ به الاخبار المتعلقة باعمالهم
وللايذان بانهم ما كانوا عالمين في الدنيا بحقيقة اعمالهم وانما يعلمونها يومئذ سيحلفون
بالله لكم تاكيدا لمعاذيرهم الكاذبة وتقريرا لها والسين للتاكيد والمحلوف عليه محذوف

يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من الأكاذيب والجملة بدل من يعتذرون أو بيان له
إذا انقلبتم أي انصرفتم من الغزو إليهم ومعنى الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع
زيادة معنى الوصول والاستيلاء وفائدة تقييد حلفهم به الإيذان بأنه ليس لدفع ما
خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم به من قوله تعالى لا تعتذروا الخ بل هو أمر مبتدأ لتعرضوا
وتصفحوا عنهم صفح رضا فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى لتعرضوا عنهم
فأعرضوا عنهم لكن لا إعراض رضا كما هو طلبتهم بل إعراض اجتناب ومقت كما يعرب عنه
قوله تع إنهم رجس فإنه صريح في أن المراد بالإعراض عنهم إنما الاجتناب عنهم لما فيهم من
الرجس الروحاني وأما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لأن المقصود بها التطهير بالحمل على
الإنابة وهؤلاء أرجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله عز وعلا ومأواهم
جهنم إما من تمام التعليل فإن كونهم من أهل النار من دواعي الاجتناب عنهم وموجبات
ترك استصلاحهم باللوم والعتاب وإما تعليل مستقل أي وكفتهم النار عتابا وتوبيخا
فلا تتكلفوا أنتم في ذلك جزاء نصب على أنه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا
أي يجزون جزاء أو لمضمون الجملة السابقة فإنها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كأنه
قيل يجزون جزاء بما كانوا يكسبون في الدنيا من فنون السيئات أو على أنه مفعول له
يحلفون لكم بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف به لظهوره أي يحلفون به تعالى لترضوا
عنهم بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فإن ترضوا عنهم حسبما راموا ٥
وساعدتموهم في ذلك فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين أي فإن رضاكم عنهم لا يجدي
نفعا لأن الله ساخط عليهم ولا أثر لرضاكم عند سخطه سبحانه ووضع الفاسقين موضع
ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط وللإيذان
بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد به نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار
بمعاذيرهم الكاذبة على أبلغ وجه وآكده فإن الرضى عمن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا
يكاد يصدر عن المؤمن وقيل إنما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم أن رضى المؤمنين يقتضي رضى
الله تعالى قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين منافقا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل عبد الله
بن أبي حلف أن لا يتخلف عنه أبدا الأعراب هي صيغة جمع وليست بجمع للعرب قاله سيبويه
لئلا يلزم كون الجمع أخص من الواحد فإن العرب هو هذا الجيل الخاص سواء سكن
البوادي أم القرى وأما الأعراب فلا يطلق إلا على من يسكن البوادي ولهذا نسب
الأعراب إلى لفظه فقيل أعرابي قال أهل اللغة رجل عربي وجمعه العرب كما يقال مجوسي
ويهودي ثم يحذف ياء النسب في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل أعرابي ويجمع على الأعراب
والأعاريب أي أصحاب البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم وتوحشهم
ونشأتهم في معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف بعض

أفراده كما في قوله تعالى وكان الإنسان كفورا إذ ليس كلهم كما ذكر في ما سيحيط به خبرا وأجدر
ألا يعلموا أي أحق وأخلق بأن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله لبعدهم عن مجلسه صلى
الله عليه وسلم وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع في تضاعيف
الكتاب والسنة والله عليم بأحوال كل من أهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم
من العقاب والثواب ومن الأعراب شروع في تشعب جنس الأعراب إلى فريقين وعدم
انحصارهم في الفريقين المذكورين كما من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب هؤلاء
المتفرعة على الكفر والنفاق بعد بيان تماديهم فيهما وحمل الأعراب في الفريقين المذكورين
خاصة وإن ساعده كون من يحكي حاله بعضا منهم وهم الذين بصدد الإنفاق من أهل النفاق
دون فقرائهم وأعراب أسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما يأتي من قوله
تعالى ومن الأعراب من يؤمن الخ فإن أولئك ليسوا من هؤلاء قطعا وإنما هم من الجنس أي
جنس الأعراب الذي نعت بنعت بعض أفراده من يتخذ ما ينفق من المال أي يعد ما يصرفه في
سبيل الله ويتصدق به صورة مغرما أي غرامة وخسرانا لازما إذ لا ينفقه احتسابا
ورجاء لثواب الله تعالى ليكون له مغنما وإنما ينفقه رياء وتقية فهي غرامة محضة وما
في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ إنما هو باعتبار غرض المنفق
من الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة أعني كونها غرامة ويتربص بكم الدوائر أي
الدائرة ما يحيط بالمرء والمراد بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر أي ينتظر بكم دوائر
الدهر ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلي به عليهم دائرة السوء دعاء
عليهم بنحو ما أرادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله سبحانه غلت أيديهم بعد قول
اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم أطلق على كل ضرر وشر وأضيف الدائرة ذما كما يقال
رجل سوء لأن من دارت عليه يذمها وهي من باب إضافة الموصوف إلى صفته فوصفت
في الأصل بالمصدر مبالغة ثم أضيفت إلى صفتها كقوله تعالى ما كان أبوك امرأ سوء وقيل
معنى الدائرة يقتضي معنى السوء فإنما هي إضافة بيان وتأكيد كما قالوا شمس ولحيا رأسه
وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والله سميع بما يقولونه عند الإنفاق مما لا
خير فيه عليم بما يضمرونه من الأمور الفاسدة التي من جملتها أن يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة
الوعيد ما لا يخفى ومن الأعراب أي من جنسهم على الإطلاق من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ
أي يأخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار ما ينفق أي ينفقه في سبيل الله تعالى قربات
أي ذرائع إليها وللإيذان بما بينهما من كمال الاختصاص جعل كأنه نفس القربات والجمع باعتبار
أنواع القربات أو أفرادها وهي ثاني مفعولي يتخذ وقوله عز وجل عند الله صفتها أو ظرف
ليتخذ وصلوات الرسول أي وسائل إليها فإنه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير
والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق عند أخذ صدقته لكن ليس له أن يصلي عليه كما
فعله صلى الله عليه وسلم حين قال اللهم صل على آل أبي أوفى فإن ذلك منصبه فله

ان يتفضل به على من يشاء والمتعرض لوصف الايمان بالله واليوم الاخر في الفريق
الاخير مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شان اتخاذ ما ينفقانه حالا
ومالا وان ذكر اتخاذه ذريعة الى القربات والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال
العناية بايمانهم وبيان اتصافهم به وزيادة الاعتناء بتحقيق الفرق بين الفريقين
من اول الامر واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر والنفاق معلوم من سياق
النظم الكريم صريحا الا انها قربة لهم شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوا
وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفق والتانيث باعتبار الخبر مع ما مر من تعدده باخذ
الوجهين والتنوين للتفخيم المغني عن الجمع اي قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفي ايراد
الجملة الاسمية وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار
على بيان كونها قربة لهم لانها الغاية القصوى وصلوات الرسول من ذرائعها
وقوله تعالى سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير
للقربة كما ان قوله عز وعلا والله سميع عليم وعيد للاولين عقيب الدعاء عليهم
والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره البتة وقوله تعالى ان الله غفور رحيم تعليل
لتحقق الوعد على نهج الاستئناف التحقيقي قيل هذا في عبد الله ذي البجادين وقومه
وقيل في بني مقرن من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة وروى ابو هريرة
انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة
خير عند الله يوم القيمة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان والسابقون
الاولون من المهاجرين بيان لفضائل اشراف المسلمين اثر بيان فضيلة طائفة منهم والمراد
بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل
بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب
بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اي متلبسين
والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين من الفريقين على ان من تبعيضية
او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين
والانصار ومن بيانية رضي الله عنهم خبر للمبتدا اي رضي عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء
اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من رضاه المستتبع لجميع المطالب طرا واعد لهم في الاخرة جنات
تجري تحتها الانهار وقرئ من تحتها الانهار كما في سائر المواقع خالدين فيها ابدا من غير
انتهاء ذلك الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه وما في اسم الاشارة من معنى البعد لبيان بعد
منزلتهم في مراتب الفضل وعلو الدرجة من مؤمني الاعراب وممن حولكم من الاعراب شروع
في بيان احوال منافقي اهل المدينة ومن حولها من الاعراب بعد بيان حال اهل البادية منهم
اي ممن حول بلدكم منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها
ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد وقوله تعالى مردوا على النفاق

اما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق اثر بيان اتصافهم به
واما صفة للمبتدا المذكور فصل بينها وبينه بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيمت هي
مقامه تقديره ومنهم جمع من اهل المدينة كما في قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا والجملة عطف على الجملة
السابقة اي ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اي تمهروا فيه من مرن فلان في عمله ومرد
عليه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر فالترديد
على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي اهل
المدينة وهو الاظهر والانسب بذكر منافقي اهل البادية اولا ثم ذكر منافقي الاعراب المجاورين
للمدينة ثم ذكر منافقي اهلها والله تعالى اعلم وقوله عز شانه لا تعلمهم بيان لتمردهم اي لا
تعرفهم انت لكن لا باعيانهم واسمائهم وانسابهم بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا
من المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم الى حيث يخفى
عليك حالهم مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق
الفراسة وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى ان
ما هم فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم
بحيث لا يعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل عدم علمه عليه السلام باعيانهم على عدم
علمه بحيث بعد مجيء هذا البيان على انه عليه السلام يعلم ان فيهم منافقين لكن لا يعلمهم باعيانهم
مع كونه خلاف الظاهر عار عما ذكر من المبالغة وقوله عز وجل نحن نعلمهم تقرير لما سبق
من مهارتهم في فن النفاق اي لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم الا من لا تخفى عليه
خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطان الكفر واظهار الاخلاص وفي تعليق العلم بهم
مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم ما في تعليق نفيه بهم وقوله عز شانه سنعذبهم
وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين للتاكيد مرتين عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج
يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو العذاب
الاول والثاني اما القتل واما عذاب القبر او الاول هو القتل والثاني عذاب القبر او الاول
اخذ الزكوة لما انهم يعدونها والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعات الفارغة
عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما بهم من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد بالتمرد فيه
ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد
اخرى ثم يردون يوم القيمة الى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير السبك باسناد عذابهم
السابق الى نون العظمة حسب اسناد ما قبله من العلم واسناد ردهم الى العذاب اللاحق الى
انفسهم ايذان باختلافهما حالا وان الاول خاص بهم وهو عاجل وزمانا يتولاه سبحانه وتعالى
والثاني شامل لعامة الكفرة وهو اجل زمانا وان اختلفت طبقات عذابهم واخرون بيان
لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون اي ومنهم

يعني وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون اعترفوا بذنوبهم التي هي تخلفهم عن الغزو
وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير
الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد اخفاء ما فيه وابراز ما
ليس فيه من المنافقين الذين اعتذروا بما لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان الفاجرة حسب
ديدنهم المالوف وهم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم
ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب
عادته الكريمة فرآهم كذلك فسال عن شانهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم
فقال عليه السلام وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت خلطوا عملا صالحا هو ما سبق
منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي السابقة وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم
في التخلف عن هذه المرة وتذممهم وندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف لا يناسب الخلط
لا سيما في وجه يؤذن بتوارد المختلطين وكون كل منهما مخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء
في قوله تعالى وآخر سيئا فان قولك خلطت الماء باللبن يقتضي ايراد الماء على اللبن دون
العكس وقولك خلطت الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص
احدهما بكونه مخلوطا والآخر بكونه مخلوطا به وترك تلك الدلالة للدلالة على جعل كل منهما
متصفا بالوصفين جميعا وذلك فيما نحن فيه بورود كل من العملين على الآخر مرة بعد اخرى والمراد
بالعمل السيء ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا وآخرا وعن الكلبي التوبة والاثم وقيل
الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاة شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم عسى الله ان يتوب عليهم
اي يقبل توبتهم المفهومة من اعترافهم بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات التائب
ويتفضل عليه وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو من اكرم
الاكرمين ايجاب واي ايجاب خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول
الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام ما امرت ان آخذ
من اموالكم شيئا فنزلت فليست هي الصدقة المفروضة لكونها مامورا بها ولما روي انه
عليه السلام قال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا اخذ منهم الثلث وترك لهم الثلثين فوقع ذلك
بيانا لما في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل تطهرهم اي عما
تلطخوا به من اوضار التخلف والتاء للخطاب او للصدقة والعائد في الاول محذوف لدلالة ما
بعده وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتزكيهم بها باثبات الياء وهو خبر لمبتدأ محذوف
والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم بها اي تنمي بتلك الصدقة حسناتهم
الى مراتب المخلصين او اموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم واما على
قراءة الرفع فسواء جعل التاء للخطاب او للصدقة وكذا جعلت الجملة الاولى حالا من ضمير المخاطب
او صفة للصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الاولى حالا او صفة من غير حاجة الى تقدير المبتدأ
لتوجيه دخول الواو في الجملة الحالية وصل عليهم اي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم

ان صلوتك

ان صلوتك وقرئ صلواتك مراعاة لتعدد المدعو لهم سكن لهم تسكن نفوسهم اليها
وتطمئن قلوبهم بها ويثقون بانه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلوة عليهم
والله سميع يسمع ما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء عليم بما في ضمائرهم
من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص في التوبة والدعاء او سميع يجيب دعاءك
لهم عليم بما تقتضيه الحكمة والجملة حينئذ تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الاول
تذييل لما سبق من الآيتين محقق لما فيهما الم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير اما للتائبين فهو
تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها اياهم وتقرير لذلك وتوطين
لقلوبهم ببيان ان المتولي لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم هو الله سبحانه وان اسند الاخذ
والتطهير والتزكية اليه عليه السلام اي الم يعلم اولئك التائبون ان الله هو يقبل التوبة
الصحيحة الخالصة عن عباده المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما يفصح كلمة عن والمراد
بهم اما اولئك التائبون ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بعلية العبادة لقبولها واما
كافة العباد وهم داخلون في ذلك دخولا اوليا ويأخذ الصدقات اي يقبل صدقاتهم على ان
اللام عوض عن المضاف اليه او جنس الصدقات المندرج تحته صدقاتهم اندراجا اوليا اي
هو الذي يتولى قبول التوبة واخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت
المباشر لها ظاهرا وفيه من تقرير ما ذكر ورفع شان النبي صلى الله عليه وسلم على نهج قوله تعالى
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ما لا يخفى وان الله هو التواب الرحيم تاكيد لما عطف
عليه وزيادة تقرير لما تقرر مع زيادة معنى ليس فيه اي الم يعلموا انه المختص المستاثر ببلوغ
الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشان دائم والجملتان في
حيز النصب بيعلموا لسد كل واحد منهما مسد مفعوليه واما لغير التائبين من المؤمنين فقد روي
انهم قالوا لما تاب على المؤمنين هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم
فنزلت اي الم يعلموا اما للتائبين من الخصال الداعية الى التكرمة والتقريب والانتظام في سلك
المؤمنين والتلقي بحسن القبول والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى
وقل اعملوا زيادة ترغيب لهم في العمل الصالح الذي من جملته التوبة والاولين في الثبات على ما
عليه اي قل لهم بعدما بان لهم شان التوبة اعملوا ما تشاؤن من الاعمال فظاهره ترخيص وتخيير
وباطنه ترغيب وترهيب وقوله عز وعلا فسيرى الله عملكم اي خيرا كان او شرا تعليل لما قبله
وتاكيد للترغيب والترهيب والسين للتاكيد ورسوله عطف على الاسم الجليل والتاخير عن
المفعول للاشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت والمؤمنون في الخبر لو ان رجلا عمل في صخرة
لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما
رايتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر ظاهر وان اريد بها مآلها
من الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوي من اظهار المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز
ونحو ذلك من الاجزية واضدادها وستردون اي بعد الموت الى عالم الغيب والشهادة

موضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب
في الذكر لسعة عالمه وزيادة خطره في الشهادة غني عن البيان وقيل ان الموجودات الغائبة
عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلولات فوجب
سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الغيب ما يسرونه
وما يعملون من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون
فالتقديم ح لتحقيق ان نسبته في المحيط بالسر والعلن واحد على ابلغ وجه واكده بايهام ان علمه
تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق
حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف
الحال بين الامور البارزة والكامنة واما للايذان بان مرتبة السر متقدمة على رتبة العلن
اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل ذلك في القلب فتعلق
علمه تعالى به في حالته الاولى متقدم على تعلقه به في حالته الثانية فينبئكم عقيب الرد الذي
هو عبارة عن الامر الممتد الى يوم القيمة بما كنتم تعملون قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة
بذلك الجزاء بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو وعد ووعيد وآخرون عطف على
آخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة وممن حولها من الاعراب قوم آخرون غير
المعترفين المذكورين مرجون وقرئ مرجؤون من ارجيته وارجأته اي اخرته
ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة لامر الله في شأنهم قال ابن عباس رضي الله
عنهما هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار
كما فعل ابو لبابة واصحابه من ربط انفسهم في السواري واظهار الغم والجزع والندم على ما فعلوا
فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا من اصحاب
بدر فهجروهم والناس في شأنهم على اختلاف فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا
عندهم مرجئين لامره تعالى اما يعذبهم ان على ما هم عليه من الحال وقيل ان اصروا
على النفاق وليس بذلك فان المذكورين ليسوا من المنافقين واما يتوب عليهم ان خلصت
نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية اي منهم هؤلاء اما معذبين واما
متوبا عليهم وقيل آخرون مبتدأ ومرجون صفته وهذه الجملة خبره والله عليم باحوالهم
حكيم بما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرئ والله غفور رحيم والذين اتخذوا مسجدا
عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او نصب في الذم وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها
ضرارا اي مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا او على انه
مصدر مؤكد لفعل مقدر منصوب على الحالية اي يضارون بذلك ضرارا او على انه مصدر
بمعنى الفاعل وقع حالا من ضمير اتخذوا اي مضارين للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف
لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فيصلي بهم في مسجدهم فلما فعل
عليه الصلوة والسلام حسدهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول

الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب ايضا اذا قدم من الشام وهو الذي
سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد كان قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلما انهزم
هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة
او سلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا
الى جنب قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة
المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه
وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة
تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر
بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل
وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام
بقنسرين وتفريقا بين المؤمنين كانوا يصلون في مسجد قبا مجتمعين فيغص بهم فارادوا
ان يتفرقوا ويختلف كلمتهم وارصادا اعدادا وانتظارا وترقبا لمن حارب الله ورسوله وهو
الراهب الفاسق اي لاجله حتى يجيء فيصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قبل متعلق باتخذوا اي اتخذوه من قبل ان ينافقوا بالتخلف حيث كانوا بنوه قبل غزوة
تبوك او بحارب اي حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد الا الحسنى الا الخصلة الحسنى وهي
الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين او الارادة الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون
في حلفهم ذلك لا تقم للصلوة فيه في ذلك المسجد حسبما دعوك اليه لمسجد اسس على التقوى
يعني مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ايام مقامه بقبا وهي يوم الاثنين
والثلاثا والاربعا والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينة وعن ابي سعيد رضي الله عنه سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي
اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام
اما للابتداء او للقسم المحذوف اي والله لمسجد وعلى التقديرين فمسجد مبتداء وما بعده صفته
وقوله تعالى من اول يوم اي من ايام تأسيسه متعلق باسس وقوله تعالى احق ان تقوم فيه
اي للصلوة وذكر الله تعالى خبره وقوله تعالى فيه رجال جملة مستأنفة مبينة لاحقيته
لقيامه عليه السلام فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحل او صفة اخرى
للمبتداء او حال من الضمير في فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاق القيام فيه
والمراد بكونه احق نفس كونه حقيقا به اذ لا استحقاق في مسجد الضرار راسا وانما عبر عنه
بصيغة التفضيل لفضله وكماله في نفسه او الافضلية في الاستحقاق المتناول لما يكون
باعتبار زعم الباني ومن يتابعه في الاعتقاد وهو الانسب بما سيأتي يحبون ان يتطهروا
من المعاصي والخصال الذميمة لمرضاة الله سبحانه وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب

المطهرين اي يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس
فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله انهم
لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه السلام
اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون
ورب الكعبة ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون
عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء
فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا
بالادغام وقيل هو عام في التطهير عن النجاسات كلها وكانوا يتبعون الماء اثر البول
وعن الحسن رضي الله عنه هو التطهر عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا
بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم افمن اسس بنيانه على بناء الفعل للفاعل والنصب وقرئ
على البناء للمفعول والرفع وقرئ اسس بنيانه على الاضافة جمع اساس واساس بالفتح
والكسر جمع اس ايضا واس بنيانه على الاضافة وهي جملة مستأنفة مبينة لخيرية الرجال
المذكورين من اهل مسجد الضرار والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر اي ابعد ما علم
حالهم من اسس بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان اي على قاعدة محكمة هي التقوى من
الله وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي عن كل
ما يؤثم من فعل او ترك وقرئ تقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق دون التأنيث
خير ام من اسس بنيانه ترك الاضمار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا اختلافهما وصفا واساسا
على شفا جرف هار الشفا الحرف والشفير وجرف الوادي ما جرفه السيل اي استأصله واحتفر ما تحته
فبقي واهيا يريد الانهدام والهار الهائر المتهدم المتصدع المشرف اي الساقط من هار
يهور ويهار او هائر قدمت لامه على عينه فصار كغار ورام وقيل حذفت عينه
اعتباطا اي بغير موجب فجرى وجوه الاعراب على لامه فانهار به في نار جهنم مثل ما بنوا
عليه امر دينه في البطلان وسرعة الانطماس بما ذكر ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة
الرضوان تنبيها على ان تأسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى الرضوان ومقتضياته
التي ادناها الجنة وتأسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم مصيره
اليها لا محالة وقرئ جرف بسكون الراء والله لا يهدي القوم الظالمين اي لانفسهم او
الواضعين للاشياء في غير موضعها اي لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم ارشادا
موجبا له لا محالة واما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا به فهو متحقق للاشياء
لا يزال بنيانهم الذي بنوا البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالمفعول الذي هو صلته
فعله للايذان بكيفية بنيانهم له وتأسيسه على اوهن قاعدة واوهى اساس وللاشعار بعلة الحكم
اي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما ريبة في قلوبهم اي سبب ريبة وشك في الدين كأنه

نفس الريبة اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم في مجمع يجاهرون فيه يظهرون
فيه ما في قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم الى
بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيد ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه فلما انه رسخ به ما كان
في قلوبهم من الشر وتضاعفت آثاره واحكامه او سبب ريبة في امرهم حيث ضعفت قلوبهم وقوي
اعتقادهم بخفاء امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا امرهم بعد البناء مما كانوا يظهرونه وقبل
ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين وساءت ظنونهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعفت
ذلك الضعف وتقوى وصاروا مرتابين في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
يتركهم على ما كانوا عليه من قبل او يأمر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي معنى
ريبة حسرة وندامة وقال السدي وحبيب والمبرد لا يزال هدم بنيانهم حزازة وغيظا
في قلوبهم الا ان تقطع من التفعل بحذف احدى التائين اي الا ان تقطع قلوبهم قطعا
وتتفرق اجزاء بحيث لا يبقى لها قابلية ادراك واضمار قطعا وهو استثناء من اعم الاوقات
او اعم الاحوال ومحله النصب على الظرفية اي لا يزال بنيانهم ريبة في كل الاوقات
او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون عنها واما ما دامت
سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون المراد
حقيقة تقطعها عند قتلهم او في القبور او في النار وقرئ تقطع على بناء المجهول من التفعيل
مذكرا او مؤنثا وعلى البناء للفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم اي الا ان تقطع
انت قلوبهم بالقتل وقرئ على البناء للمجهول من الثلاثي وقرئ الى ان تقطع قلوبهم
والى ان تقطع قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم على اسناد الفعل مجهولا الى
قلوبهم ولو قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصح الخطاب
وقيل الا ان يتوبوا توبة يتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم بجميع الاشياء
التي من جملتها ما ذكر من احوالهم حكيم في جميع افعاله التي من جملتها امره الوارد في حقهم
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ترغيب للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته اثر
بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى
من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى واثابته اياهم بمقابلتها الجنة
بالشراء على طريقة الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصد في العقد
انفس المؤمنين واموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس
بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة
الجنة ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم
ليدل على ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس
والاموال وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة
بل بان لهم الجنة مبالغة في تقرر وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كأنه

بالحسنة الثابتة لهم المختصة بهم واما يقال من ان ذلك لمدح المؤمنين
بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى وان تمام
الاستعارة موقوف على ذلك اذ لو بالجنة لاحتمال كون الشرى حقيقة لانه
صالحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس بشيء لان مناط دلالة ما عليه النظم
الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة بان فان ذلك بمعزل من الدلالة
على الاستقبال بل هو الجنة التي يستحيل وجودها في الدنيا ولم سلم ذلك بكون العوض الجنة
الموعود بها لا الوعد بها يقاتلون في سبيل الله استيناف لكن لا لبيان ما لاجله
الشرى ولا لبيان نفس الاشترا لان قتالهم في سبيل الله تعالى ليس باشترا الله تعالى
منهم انفسهم واموالهم بل هو بذل لهما في ذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشترا
المذكور كانه كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله
وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الى جهة الله تعالى وتعريض لها للهلاك وقوله
فيقتلون ويقتلون بيان لكون القتال في سبيل الله بذلا للنفس وان المقاتل في سبيله
باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعلين ليس بطريق اشتراط الجمع
بينهما ولا اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض
فانه يتحقق القتال من الكل سواء وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل
يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا وجد المضاربة ولم يوجد القتل
من احد الجانبين او لم يوجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير
وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية في حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما
في كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول رعاية
لكون الشهادة عريقة في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه
احب اليهم من السلامة كما في حقهم لا يفزعون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا
اذا نيلوا لا يقع الطعن الا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل في يقاتلون لمعنى
الامر كما في قوله تعالى تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وعدا عليه مصدر مؤكد لما
يدل عليه كون الثمن مؤجلا حقا نعت لوعدا والظرف حال منه لانه لو تاخر لكان صفة
له في قوله تعالى في التورية والانجيل والقرآن متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اي وعدا مثبتا في
التورية والانجيل كما هو مثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما
من حقية الوعد على نهج المبالغة في كونه سبحانه اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد
مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغني عن العالمين
جل جلاله وسبك التركيب وان كان على انكار ان يكون احد اوفى بالعهد منه سبحانه
من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها
قطعا فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل
من كل فاضل فاستبشروا التفات الى الخطاب تشريفا لهم في التشريف وزيادة لسرورهم في سرور
والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد واوقد والفاء لترتيب الاستبشار
والامر به على ما قبله اي فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم
به من الجنة وانما قيل ببيعكم مع ان الابتهاج به باعتبار ادائه الى الجنة لان المراد ترغيبهم في
الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشرى لان ذلك من قبل الله تعالى لا
قبلهم والترغيب انما يكون فيما يتم من قبلهم وقوله تعالى الذي بايعتم به لزيادة تقرير بيعهم
وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفاني بالباقي ولان كلا البدلين له سبحانه وتعالى
ان الانفس والاموال لما بايعوا الحسن رضي الله عنه انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها
عليه السلام في العقبة قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه اشترط لربك ولنفسك ما شئت
قال عليه السلام اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني
بما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل
ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرءها فقال كلام من قال كلام الله
تعالى قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد وذلك اي الجنة
التي جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من انفسهم واموالهم هو الفوز العظيم الذي لا فوز اعظم
منه وما في ذلك من معنى البعد اشارة الى بعد منزلة المشار اليه وسمو رتبته في الكمال
ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى البيع الذي امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه
نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا في نفسه فالجملة على الاول تذييل للآية الكريمة وعلى
الثاني لقوله تعالى فاستبشروا مقرر لمضمونه التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني
المؤمنين المذكورين كما يدل عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز ان يكون مجرورا
على انه صفة للمؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اي التائبون من اهل
الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون
خبره قوله تعالى العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون
النعوت الفاضلة اي المخلصون في عبادة الله تعالى الحامدون لنعمائه او لما نابهم
من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها لانه
عائق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوسل بها الى العثور على خفايا الملك والملكوت
وقيل هم السائحون في الجهاد وطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة
الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعطف
فيه للدلالة على ان المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة واما تعالى والحافظون
لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه فلبيان
تبيهم اختصاصه باحد الوجهين وبشر المؤمنين اي الموصوفين بالنعوت المذكورين ووضع
المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل

من كان كذلك وصدق المشربه للايذان بخروجه عن حد البيان وفي تخصيص الخطاب
بالاولين اظهار زيادة اعتناء بامرهم من الترغيب والتسلية ما كان للنبي والذين آمنوا
بالله وحده اي ما صح لهم في حكم الله عز وجل وحكمته وما استقام ان يستغفروا
للمشركين به سبحانه ولو كانوا اي المشركين اي ذوي قرابة لهم وجواب
لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة مطردا كما
بين في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظايره روي انه عليه السلام قال لعمه
ابي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابي فقال عليه السلام
لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت لما فتح مكة خرج الى الابواء فزار
قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي فاستأذنته
لها فلم يأذن لي وانزل علي آيتين من بعد ما تبين لهم اي للنبي عليه السلام والمؤمنين
انهم اي المشركين اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر او لنزل الوحي بانهم يموتون
على ذلك وما كان استغفار ابراهيم لابيه بقوله واغفر لابي بان توفقه للايمان وتهديه
اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين والجملة استيناف مسوق
لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر
ابراهيم لابيه وقرئ وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية تعالى
الا عن موعدة استيناف مفرغ من اعم العلل اي لم يكن استغفاره عليه السلام لابيه
آزر ناشيا عن شيء من الاشيا الا عن موعدة استيناف وعدها ابراهيم عليه السلام
اياه اي اباه وقد قرئ كذلك بقوله لاستغفرن لك ربي وقوله سأستغفر لك
ربي بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره والا لما وعدها اياه كانه قيل
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم تبين امره كما ينبئ
عنه قوله تعالى فلما تبين له اي لابراهيم بان اوحي اليه انه مصر على الكفر غير مؤمن
ابدا بان مات على الكفر والاول هو الانسب بقوله تعالى انه عدو لله
فان وصفه بالعداوة مما يأباه حالة الموت تبرأ منه اي تنزه عن الاستغفار له
وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظايره ان ابراهيم لاواه
لكثير التأوه وهو كناية عن كمال الرأفة ورقة القلب حليم صبور على الاذية
والمحنة وهو استيناف لبيان ما كان يدعوه عليه السلام الى ما صدر عنه من الاستغفار
وفيه ايذان بان ابراهيم عليه السلام كان اواها حليما فلذلك صدر عنه ما صدر
من الاستغفار قبل التبين فليس لغيره ان يأتي به في ذلك وتأكيد لوجوب الاجتناب
عنه بعد التبين بانه عليه السلام تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال رقة القلب والحلم
فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا وتبرءا واما ان الاستغفار قبل التبين لو كان
غير محظور لما استثني عنه الايتساء به في قوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن

لك فقد حقق في سورة مريم باذن الله تعالى وما كان الله ليضل قوما اي ليس من عادته
ان يسميهم بالضلالة عن طريق الحق ويجري عليهم احكامه بعد اذ هداهم للاسلام حتى
يبين لهم بالوحي صريحا او دلالة ما يتقون اي ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا
ينزجروا عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمي ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به
وكأنه تسلية للذين استغفروا للمشركين قبل ذلك فلا يسمي وفيه دليل على ان الغافل
غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل ان الله بكل شيء عليم تعليل لما سبق اي انه تعالى
عليم بجميع الاشياء التي من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقل العقل في معرفته
فيبين لهم ذلك كما فعل ههنا ان الله له ملك السموات والارض من غير شريك
له يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين
وان كانوا اولي قربى وضمن ذلك التبرؤ منهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود
ومتولي اموره والغالب عليه ولا يأتي لهم نصير ولا ولاية الا منه تعالى ليتوجهوا اليه
بشراشرهم متبرئين عما سواه غير قاصدين الا اياه لقد تاب الله على النبي قال
ابن عباس رضي الله عنه هو الاذن المعفو عنه لاذنه للمنافقين في التخلف عنه والمهاجرين
والانصار قيل هو في حق زلات سبقت منهم يوم احد ويوم حنين وقيل
المراد بيان فضل التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي صلى الله عليه
وآله وسلم لما صدر عنه في بعض الاحوال من ترك الاولى الذين اتبعوه قيل
هو المراد بيان فضل التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي صلى الله عليه وسلم
لما صدر عنه في بعض الاحوال من ترك الاولى ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامره وامره
في ساعة العسرة اي في وقتها والتعبير عنها بالساعة لزيادة تعيينه وهي حالهم في
غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا
التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان
وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا
فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة ووصف
المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له صلى الله عليه وسلم في مثل هاتيك المراتب من
الشدة للمبالغة في بيان الحاجة الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغني عنها
غيرهم اولى واحرى من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهي الشدة وبلوغها الى
ما لا غاية وراءها وهو اشراف بعضهم على ان يميلوا الى التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي
كاد ضمير الشان او ضمير القوم الراجع اليه الضمير في منهم وقرئ بتأنيث الفعل وقرئ
من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة واضرابه ثم تاب
عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب
عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤوف رحيم استيناف تعليلي فان صفة الرأفة والرحمة من دواعي

التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثاني عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والاخر للواحق **وعلى الثلاثة الذين خلفوا** اي وتاب الله على الثلاثة الذين اخر امرهم عن امر ابي لبابة واصحابه حيث لم يقبل معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولا قطع في شانهم بشيء الى ان نزل فيهم وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع **وقرى** خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم **وقرى** خالفوا **وقرى** في الخالفين والاول هو الانسب لان قوله تعالى **حتى اذا ضاقت عليهم الارض** غاية للتخليف ولا يناسبه الا المعنى الاول اي خلفوا واخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم عن مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كانه لا يستقر به قرار ولا تطمين له دار **وضاقت عليهم انفسهم** اي اذا رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بشيء لعدم الانس والسرور واستيلاء الوحشة والجزع **وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه** اي علموا ان لا ملجا من سخطه تعالى الا الى استغفاره **ثم تاب عليهم** اي وفقهم للتوبة **ليتوبوا** او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم **ان الله هو التواب** المبالغ في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت **الرحيم** المتفضل عليهم بعنوان الالاء مع استحقاقهم لافانين العقاب **روي** ان ناسا من المومنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عليه السلام **عن الحسن** انه قال بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمارك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لاخر الا اهل فقال يا اهلاه ما بطاني ولا خلفني الا الضن بك فلا جرم والله لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله عليه السلام فركب ولحق ولم يكن لاخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحياة لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتابط زاده ولحق به عليه السلام **قال الحسن** رضي الله عنه كذلك المومن والله يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها **وعن** ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال عليه السلام لما راى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال عليه السلام رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده **وعن** ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت له الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الحر والريح ما هذا بخير فقام ورحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به عليه السلام منهم الثلاثة قال كعب رضي الله عنه لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعدما ذكرني فقال يا ليت شعري ما خلف

كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه عليه السلام ما اعلم الا فضلا واخلاصا واسلاما ونهى عن كلامنا الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية ... ابي بكر الوراق انه سيل عن التوبة النصوح فقال ان يضيق على التائب الارض بما رحبت ويضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه **يا ايها الذين امنوا** خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا ... لمن تخلف من الطلقاء من غزوة تبوك خاصة **اتقوا الله** في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر المغازي دخولا اوليا **وكونوا مع الصادقين** في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا او في كل شان من الشؤون فيدخل فيه ما ذكر او في توبتهم وانابتهم فيكون المراد بهم حينئذ هؤلاء الثلاثة واضرابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه خطاب لمن امن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر المحاسن **وقرئ** من الصادقين **ما كان لاهل المدينة** ما صح وما استقام لهم **ومن حولهم من الاعراب** كمزينة وجهينة واشجع وغفار واضرابهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه خطاب **ان يتخلفوا عن رسول الله** عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى الغزو **ولا يرغبوا بانفسهم** نصب وقد جوز الجزم **بانفسهم عن نفسه** اي لا يصونوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال والخطوب والكلام في معنى النهي وان كان على صورة الخبر ... اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المتابعة **بانهم** بسبب انهم **لا يصيبهم ظما** اي عطش يسير **ولا نصب** ولا تعب ما **ولا مخمصة** اي مجاعة ما لا يستباح عنده المحرمات من مراتبها فان الظما والنصب اليسيرين حين لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلوا ذلك منه اولى فلا حاجة الى التاكيد النفي بتكرير كلمة لا ويجوز ان يراد بها تلك المرتبة ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع وقلته فان الظما اكثر وقوعا من النصب الذي هو اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور فتوسيط كلمة لا ليس لتاكيد النفي بل للدلالة على استقلال كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به **في سبيل الله** واعلاء كلمته **ولا يطؤون موطئا يغيظ الكفار** اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا وكانا

ولا ينالون من عدو نيلا مصدر كالقتل والاسر والنهب او مفعول اي شيئا ينال من قبلهم الا كتب لهم اي بكل واحد من الامور المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجميل وبنيل الزلفى والتنوين للتفخيم وكون المكتوب عين ما فعلوه من الامور لا يمنع دخول الباء فان اختلاف العنوان كاف في ذلك ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين اما المحدث عنهم ووضع المظهر مقام المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وان اعمالهم من قبيل الاحسان وللاشعار بعلية الماخذ للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون دخولا اوليا ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما فعل عثمان رضي الله عنه والترتيب باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء لا لتاكيد النفي كما في قوله تعالى ولا يقطعون اي لا يجتازون في سيرهم واديا وهو في الاصل كل منفرج من الجبال والاكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع في الارض على الاطلاق الا كتب لهم اي اثبت لهم ذلك الذي فعلوه من الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون احسن جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اي ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش فلولا نفر فهلا نفر من كل فرقة اي طائفة كثيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طائفة اي جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اي يتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اي وليجعلوا غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا اليهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض المتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط في البلاد كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لينذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد قيل للاية وجه اخر هو ان المؤمنين لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي من الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للنفر بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين

الذين يلونكم من الكفار امر بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر عليه السلام اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح قيل هم اليهود حوالي المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين كسخطة وبضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالعصمة والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على ان الايمان والقتال على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية الكاملة الدائمة وقد ذكر وجه دخول مع المتبوع في قوله تعالى ان الله معنا واذا ما انزلت سورة من سور القران فمنهم اي من المنافقين من يقول لاخوانه ليثبتهم على النفاق او لعوام المؤمنين ۝ وضعفتهم ليصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه السورة وقرئ بنصب ايكم على تقدير فعل يفسره المذكور اي ايكم زادت زادته هذه الخ وايراد الزيادة مع انه لا ايمان منهم اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين حسبما نطق به قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا فاما الذين امنوا جواب من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين لحالهم عاجلا واجلا اي فاما الذين امنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده فزادتهم ايمانا بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بما فيها بايمانهم السابق وهم يستبشرون بنزولها وبما فيها من المنافع الدينية والدنيوية واما الذين في قلوبهم مرض اي كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجسا الى رجسهم اي كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وعقايد باطلة واخلاقا ذميمة كذلك وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم الى ان يموتوا عليه اولا يرون الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدر اي لا ينظرون ولا يرون انهم اي المنافقين يفتنون في كل عام من الاعوام مرة او مرتين ۝ والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع حسب العدد المزبور اي يبتلون بافانين البليات من المرض والشدة وغير ذلك مما يذكر الذنوب والوقوف بين يدي رب العزة فيؤدي الى الايمان به تعالى او الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما ينزل عليه من الايات لا سيما الموقعة العوارض الزائدة للايمان الناعية عليهم بما فيهم من القبائح المخزية لهم ثم لا يتوبون عطف على لا يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا قوله تعالى ولا هم يذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجب اي الا تنظرون ولا ترون احوالهم العجيبة التي هي افتتانهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك وقوله تعالى ثم لا يتوبون

وما عطف عليه معطوف على يفتنون **وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ** بيان لاحوالهم منذ نزولها
وهم في محفل تبليغ الوحي كما ان الاول بيان بمقالاتهم وهم غايبون عنه **نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**
تغامزوا انكارا لها وسخرية بها او غيظا لما فيها من مخازيهم **هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ** اي
قايلين هل يراكم احد من المسلمين لينصرف مظهرين انهم لا يصطبرون على استماعها
ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال
لواذا يقول هل يراكم من احد ان قمتم من المجلس وايراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين
على الجد في انتهاز الفرصة فان المرابطة اكثر اهتماما منه بشان اصحابه كما في
قوله تعالى وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا المعنى واذا ما انزلت سورة
في عيوب المنافقين ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم والتراخي باعتبار وجدان
الفرصة والوقوف على عدم روية احد من المومنين اي انصرفوا جميعا عن محفل الوحي
خوفا من الافتضاح او غير ذلك **صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ** اي عن الايمان حسب انصرافهم
عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية **بِأَنَّهُمْ** اي بسبب انهم **قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ** لسوء فهمهم
او لعدم التدبر **لَقَدْ جَاءَكُمْ** الخطاب للعرب اي **رَسُولٌ** اي رسول عظيم
الشان **مِنْ أَنْفُسِكُمْ** من جنسكم عربي قرشي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم
وافضلكم **عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ** اي شاق شديد عليه عنتكم ولقاكم المكروه فهو يخاف
عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب وهذا من نتايج ما سلف من المجانسة **حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ**
في ايمانكم وصلاح حالكم **بِالْمُؤْمِنِينَ** منكم ومن غيركم **رَءُوفٌ رَحِيمٌ** قدم الابلغ منهما وهي
الرافة التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل **فَإِنْ تَوَلَّوْا** تلوين للخطاب
وتوجيه الى النبي صلى الله عليه وسلم تسلية له اي ان اعرضوا عن الايمان بك **فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ**
فانه يكفيك ويعينك عليهم **لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ** استيناف مقرر لمضمون ما قبله **عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ**
فلا ارجو ولا اخاف الا منه **وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** اي الملك العظيم او الجسم الاعظم
المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع عن ابي
رضي الله عنه ان آخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل
القران علي الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وسورة قل هو الله احد فانهما
انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملايكة عليهم السلام ٥

الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء للالف الاصلية مجرى المنقلبة من الياء
وقرئ بين بين وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين
المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق

الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذه السورة مسماة بالر وهو اظهر
من الرفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها لا جعلها عنوان
الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها
لما انها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت في حكم الحاضر كما يقال هذا
ما اشترى فلان او النصب بتقدير الفعل فعل لايق بالمقام نحو اذكر او اقرا و كلمة
تِلْكَ اشارة اليها اما على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد فقد نزلت
حضور مادتها التي هي الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانه
هذه الكلمات المولفة من جنس هذه الحروف المبسوطة الخ واما على تقدير كونه اسما
للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين اسمها او الامر بذكرها
او بقراءتها وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في الفخامة
ومحله الرفع على انه مبتدا خبره قوله عز وجل **آيَاتُ الْكِتَابِ** و على تقدير كون الر
مبتدا فهو مبتدا ثان او بدل من الاول والمعنى هي ايات مخصوصة منه مترجمة
باسم مستقل والمقصود بيان بعضيتها منه ووصفها بما اشتهر اتصافه به من النعوت
الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القران العظيم وان لم ينزل الكل
حينئذ اما باعتبار تعينه وتحققه في علم الله عز وعلا او في اللوح او باعتبار انه
انزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور فان فاتحة الكتاب كانت تسمى بهذا الاسم
وبام القران في عهد النبوة ولما يحصل المجموع الشخصي اذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل من
الكتاب والقران باحد الاعتبارات المذكورة واما جميع القران النازل وحينئذ
المتفاهم بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع الشخصي يطلق على مجموع ما نزل في
كل عصر الا ترى الى ما روي عن جابر رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقران
فاذا اشير اليه الى احدهما قدمه في اللحد فان ما يفهمه الناس من القران في ذلك الوقت
ويتعارفون على التفاوت في اخذه انما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة لتحقق
المجموع الشخصي في علم الله عز وجل او في اللوح ولا لنزوله جملة واحدة الى السماء الدنيا
الْحَكِيمِ ذي الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه اوهو من باب
وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب الحكيم
الناطق بالحكمة هذا او قد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى
ما في ضمنها من الاي فانها في حكم الحاضر لا سيما بعد ذكر ما يتضمنها من السورة عند بيان
اسمها او الامر بذكرها او بقراءتها وينبغي ان يكون المشار اليه ح كل واحدة منها
لا جميعها من حيث هو جميع لا عين السورة فلا يكون للاضافة وجه ولا لتخصيص الوصف
بالمضاف اليه حكمة فلا يتاتى ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف اليه من صفات الكمال

٤٥٠

ولا في بيان اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما ليس في بيان اتصاف الكل
بذلك والمتبادر من الكتاب عند الاطلاق وان كان كله باحد الوجهين المذكورين
لكن صحة اطلاقه على بعضه ايضا مما لا ريب فيها والمعهود المشهور وان كان اتصاف
الكل باحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال الا ان شهرة اتصاف كل سورة
منه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها بعضا من
القرآن الكريم اذ لولا ان بعضه منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه لما تسنى ذلك
وفيه ما لا يخفى من التكلف والتعسف اكان للناس عجبا الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجيب
السامعين منه لكونه في غير محله والمراد بالناس كفار مكة وانما عبر عنهم باسم الجنس
من غير تعرض لكفرهم مع انه المدار لتعجبهم كما تعرض له في قوله عز وجل قال الكافرون
الخ لتحقق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعين مدار التعجب
في زعمهم ثم تبين خطائهم واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجب واللام
متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا بتعجبا على التوسع المشهور في الظروف
المصدر واذا كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقديم معموله عليه
متعلقة بكان وهو مبني على دلالة كان بمعنى اسم الفاعل الناقصة على الحدث
ان اوحينا اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشانه لكونه مدار الانكار والتعجب
وتشويقا الى المؤخر ولان في الاسم ضرب تفصيل ففي مراعاة الاصل نوع اخلال
بتجاوب اطراف الكلام وقرئ برفع عجب على انه الاسم وهو نكرة والخبر ان
اوحينا وهو معرفة لان ان مع الفعل في تاويل المصدر المضاف الى المعرفة البتة والمختار
ح ان يجعل كان تامة وان اوحينا متعلقا بعجب على حذف حرف التعليل اي احدث
للناس عجب لان اوحينا او بدلا من عجب لكن لا على توجيه الانكار والتعجيب الى حدوثه
بل الى كونه عجبا فان كون الابدال في حكم تنحية المبدل منه ليس معناه اهداره بالمرة
وانما قيل للناس لا عند الناس للدلالة على انهم اتخذوه اعجوبة لهم وفيه من زيادة تقبيح
حالهم ما لا يخفى الى رجل منهم اي الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا
ومن افنائهم من حيث المال لا من عظمائهم كقولهم لولا انزل هذا القرآن على رجل من
القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه اما الاول
فلان بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملائكة كما قال سبحانه قل لو
كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر
فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث
الملك اليهم مزاحم للحكمة التي يدور عليها فلك التكوين والتشريع وانما الذي يقتضيه
الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة
القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب

واما الثاني

واما الثاني فلما ان مناط الاصطفاء للنبوة والرسالة هو التقدم في الاتصاف بما ذكر من
النعوت الجميلة والصفات الجليلة والسبق في احراز الفضائل العلية وحيازة الملكات
السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم في انه صلى الله عليه وسلم في ذلك الشان في
غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية واما التقدم في الرياسة الدنيوية
والسبق في نيل الحظوظ الدنيوية فلا دخل له في ذلك قطعا بل له اخلال به غالبا
قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر
منها شربة ماء ان انذر الناس ان مصدرية لجواز كون صلتها امرا كما في قوله تعالى
وان اقم وجهك وذلك لان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سيان فساغ
وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل في الموصول الاسمي جزئية انما هو للتوصل
بها الى وصف المعارف بالجمل لا القصور في دلالة الانشاء على المصدر او مفسرة اذ الايحاء
فيه معنى القول وقد جوز كونها مخففة من المثقلة على حذف ضمير الشان والقول
من الخبر والمعنى ان الشان قولنا انذر الناس والمراد به جميع الناس كافة لا ما اريد
بالاول وهو النكتة في ايثار الاظهار على الاضمار وكون الثاني عين الاول
عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق وبشر الذين امنوا بما اوحيناه وصدقوه
ان لهم اي بان لهم قدم صدق اي سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم وانما
عبر عنها بها اذ بها يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة
باليد لانها تعطى بها مقام صدق والوجه اذ الوصول الى المقام انما يحصل
بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها وللتنبيه على ان مدار نيل
ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فان التصديق لا ينفك عن الصدق قال
الكافرون هم المتعجبون وايرادهم هاهنا بعنوان الكفر مما لا حاجة الى ذكر سببه
وترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التي دخل عليها همزة الانكار او لكونه
استئنافا مبنيا على السؤال كانه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد
والاستبعاد او قطعوا فيه بشيء فقيل قال الكافرون على طريقة التوكيد ان هذا
يعنون به ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن الحكيم المنطوي على
الانذار والتبشير لسحر مبين اي ظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ما هذا الا سحر وهذا اعتراف من حيث
لا يشعرون بان ما عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من جناب خلاق القوى والقدر
ولكنهم يسمونه بما قالوا تماديا في العناد كما هو ديدن المكابر اللجوج وداب المفحم المحجوج ان ربكم
كلام مستانف سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا عليه من المقالة الباطلة عقيب
الاشارة اليه بالانكار والتعجيب وتحقيق حقية ما تعجبوا منه وصحة ما انكروه بالتنبيه
الاجمالي على بعض ما يدل عليها من شؤون الخلق والتقدير والاحوال التكوين والتدبير

ويرشدهم الى معرفتها باذني تذكير لاعترافهم به من غير نكير لقوله تعالى قل من رب
السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل افلا تتقون وقوله تع قل من
يرزقكم من السماء والارض الى قوله تع ومن يدبر الامر فسيقولون الله اي ان
ربكم ومالك امركم الذي تتعجبون من ان يرسل اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير
وتعدون الى ما اوحي اليه من الكتاب الحكيم سحرا هو الذي خلق السموات والارض
وما فيهما من اصول الكائنات في ستة ايام اي في ستة اوقات اي في مقدار ستة
ايام معهودة فان نفس اليوم الذي هو عبارة عن زمان كون الشمس فوق الارض مما لا
يتصور تحققه حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على ابداعها
دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث لهم على التأني في الاحوال لذا الاهوال
واما تخصيص ذلك بالعدد المعين فامر قد استأثر بعلم ما يستدعيه علام الغيوب جلت
قدرته ودقت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات لما هو المشهور من الايذان
بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة الاثار والاحكام ثم استوى على العرش
العرش هو الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك
فان الاوامر والتدابير منه تنزل   هو الملك ومعنى استوائه سبحانه عليه
او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة له سبحانه بلا كيف والمعنى انه
سبحانه استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن التمكن والاستقرار وهذا
بيان لجلالة ملكه وسلطانه بعد بيان عظمة شانه وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك
الاجرام العظام يدبر الامر التدبير النظر في ادبار الامور وعواقبها لتقع على الوجه
المحمود والمراد ههنا التقدير على الوجه الاتم الاكمل والمراد بالامر امر ملكوت السموات
والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة شيئا فشيئا على اطوار شتى والحائ
لا تكاد تحصى من المناسبات والمباينات في الذوات والصفات والازمنة والاوقات
اي يقدر ما ذكر من امر الكائنات الذي ما يجوا اسنه من امر البعث والوحي فرد من
جملته وشعبة من دوحته ويهيئ اسباب كل منها حدوثا وبقاء في اوقاتها المعينة
ويرتب مصالحها على الوجه الفائق والنمط اللائق حسبما يقتضيه الحكمة ويستدعيه
المصلحة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير استوى وقد يجوز كونه خبرا
ثانيا لان او مستأنفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشأ من ذكر الاستواء
على العرش المبني من اجراء احكام الملك وعلى كل حال فايثار صيغة المضارع للدلالة
على تجدد التدبير واستمراره   عز وجل ما من شفيع استثناء بيان لاستبداده
سبحانه في التقدير والتدبير ونفي للشفاعة على ابلغ الوجوه فان نفي جميع افراد الشفيع
بمن الاستغراقية يستلزم نفي الشفاعة على اتم الوجوه كما في قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر
الله الا من رحم وهذا بعد قوله تع يدبر الامر جار مجرى قوله تع وهو يجير ولا يجار عليه

عقيب قوله تع قل من بيده ملكوت كل شيء وقوله تع الا من بعد اذنه استثناء مفرغ
من اعم الاوقات اي ما من شفيع يشفع لاحد في وقت من الاوقات الا بعد اذنه المبني
على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع له ممن
يليق بالشفاعة كقوله تع يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له
الرحمن وقال صوابا وفيه من الدلالة على عظمة جلال الله سبحانه ما لا يخفى ذلكم
اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الشان المنعوت بما ذكر من نعوت
الكمال التي عليها يدور استحقاق الالوهية الله وقوله تع ربكم بيان له او بدل
منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهذا بعد بيان ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض الخ لزيادة التقرير والمبالغة في التذكير ولتفريع الامر بالعبادة عليه
بقوله تع فاعبدوه اي وحدوه من غير ان تشركوا به شيئا من ملك او نبي فضلا عن جماد
لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وامنوا بما انزله اليكم افلا تذكرون اي اتعلمون ان
الامر كما فصل فلا تذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فترتدعوا عنه اليه
لا الى احد سواه استقلالا ولا اشتراكا مرجعكم اي بالبعث كما ينبئ عنه قوله تع جميعا فانه
حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا في المعنى اي اليه رجوعكم مجتمعين والجملة كالتعليل
لوجوب العبادة وعد الله حقا مصدر مؤكد لنفسه لان قوله عز وجل اليه مرجعكم
وعد منه سبحانه بالبعث او لفعل مقدر اي وعد الله وايا ما كان فهو دليل على ان المراد
بالمرجع هو الرجوع بالبعث لان ما بالموت بمعزل من الوعد كما انه بمعزل من الاجتماع
وقرئ بصيغة الفعل حقا مصدر آخر مؤكد لما دل عليه الاول انه يبدأ الخلق
وقرئ يبدئ ثم يعيده وهو استئناف علل به وجوب المرجع اليه سبحانه
وتعالى فان غاية البدء والاعادة هو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة او سيئة وقرئ
بالفتح اي لانه ويجوز كونه منصوبا بما نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدأ الخلق
ثم اعادة ومرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق الخ ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
اي بالعدل وهو حال من فاعل يجزي اي ملتبسا بالعدل او متعلق بيجزي اي ليجزيهم
بقسطه ويوفيهم اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفي به الحصر او بقسطهم وعدلهم
عند ايمانهم ومباشرتهم للاعمال الصالحة وهو الانسب بقوله عز وجل والذين كفروا لهم شراب
من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ويجزي الذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير
الاسناد بجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على مواظبتهم على الكفر وتغيير النظم الكريم للايذان بكمال استحقاقهم
للعقاب وان التعذيب بمعزل عن الانتظام في سلك العلة الغائية للخلق بدءا واعادة
وانما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء اعتقادهم واما المقصود الاصلي من ذلك فهو
الاثابة هو الذي جعل الشمس ضياء تنبيه على الاستدلال على وجوده تعالى ووحدته

بالقسط

وعلمه وقدرته وحكمته باثار صنعه في النيرين بعد التنبيه على الاستدلال
بما مر من ابداع السموات والارض والاستوا على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد
التدبير الذي اشير اليه اشارة اجمالية وارشاد الى انه حين دبرت امور هم المتعلقة
بمعاشهم هذا التدبير البديع فلان يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بارسال الرسل
وانزال الكتب وتبيين طرايق الهدى وتعيين مهاوي الردى اولى واحرى والجعل
ان جعل بمعنى الانشا والابداع فضيا حال من مفعوله اي خلقها حال كونها ذات ضيا على حذف
المضاف او ضيا محضا للمبالغة وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعوله الثاني اي جعلها ضيا
على احد الوجهين المذكورين لكن لا بعد ان كانت خالية عن تلك الحالة بل ابدعها
كذلك كما في قولهم ضيق فم الركية ووسع اسفلها والضيا مصدر كقيام او جمع
ضوء كسياط وسوط وياؤه منقلبة من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء
بهمزتين بينهما الف بتقديم اللام على العين والقمر نورا الكلام فيه كالكلام في
الشمس والضيا اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور ففيه اشعار
بان نوره مستفاد من الشمس وقدره اي قدر له وهيا منازل او قدر مسيره في
منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير
لسرعة سيره ومعاينة منازله وتعلق احكام الشريعة به وكونه عمدة في تواريخ العرب وقد
جعل الضمير لكل منهما وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه
ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين
واذا كان في آخر منازله واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويكون
مقام الشمس في كل منزلة منها ثلثة عشر يوما وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها
العرب الانوا المستمطرة وهي السرطان ° والبطين ° والثريا ° الدبران ° الهقعة
الهنعة ° الذراع ° النثرة ° الطرف ° الجبهة ° الزبرة ° الصرفة ° العوا ° السماك °
الغفر ° الزباني ° الاكليل ° القلب ° الشولة ° النعايم ° البلدة ° سعد الذابح ° سعد بلع
سعد السعود ° سعد الاخبية ° فرع الدلو المقدم ° فرع الدلو المؤخر ° الرشا وهو بطن الحوت °
لتعلموا اما بتفاوت الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار
نزول كل منهما في تلك المنازل عدد السنين التي يتعلق بها غرض علمي لاقامة مصالحكم
الدينية والدنيوية والحساب اي حساب الاوقات على ان الالف واللام عوض عن المضاف
اليه من الاشهر والايام والليالي وغير ذلك مما نيط به شي من المصالح المذكورة وتخصيص العدد
بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر في السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد
كما اعتبر في الاوقات المحسوبة وتحقيقه ان الحساب احصاء ما له كمية انفصالية
بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطايفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل
كالسنة المتحصلة من اثني عشر شهرا قد تحصل كل من ذلك من ثلاثين يوما قد تحصل كل من ذلك

من الربع وعشرين ساعة مثلا والعد مجرد احصايه بتكرير امثاله من غير اعتبار ان يتحصل
بذلك شي كذلك ولما لم يعتبر في السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير اسامي
مراتب الاعداد وحكم مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات
والمات والالوف اعتباري لا يجدي في تحصل المعدود نفعا وحيث اعتبر في الاوقات
المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التي لها اسام خاصة واحكام مستقلة علق بها
الحساب المنبي عن ذلك والسنة من حيث تحققها في نفسها مما يتعلق به الحساب
واما الذي يتعلق به العد طايفة منها وتعلقه في ضمن ذلك بكل واحد من
تلك الطايفة المعدودة ليس من الحيثية المذكورة اعني حيثية تحصلها من عدة
اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطايفة من الساعات
فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطايفة المعدودة
من غير ان يعتبر معها شي غير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب
بين متعلقيهما وجودا وعلما على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالي
بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم يتحد الجهة ولان العدد من حيث انه لم يعتبر
فيه تحصيل امر آخر حسبما حقق انفا نازل من الحساب الذي اعتبر فيه ذلك منزلة
البسيط من المركب ما خلق الله ذلك اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكي من الاحوال
وفيه ايذان بان معنى جعلهما على تلك الاحوال والهيات ليس الا خلقهما كذلك
كما اشير اليه ولا يقدح في ذلك ان استعادة القمر النور من الشمس امر حادث
فان المراد بجعله نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرايطه
لا اتصافه به بالفعل الا بالحق مراعيا فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال
السنين والاوقات المنوط به امور معاملاتهم وعباداتهم يفصل الايات
الايات التكوينية المذكورة او جميع الايات فيدخل فيها الايات المذكورة دخولا
اوليا او يفصل الايات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة
لقوم يعلمون الحكمة في ابداع الكاينات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها
جل وعلا او يعلمون ما في تضاعيف الايات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل
بهم لانهم المنتفعون به ان في اختلاف الليل والنهار تنبيه آخر اجمالي على ما ذكر اي في
تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين
لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما في انفسهما بازدياد كل منهما
بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا
وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول
والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها
الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية

الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله
نهارا وما خلق الله في السموات والارض من اصناف المصنوعات لايات عظيمة او كثيرة
دالة على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التي من
جملتها مقتضياتها ما انكروه من ارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال الكتب
والبعث والجزاء لقوم يتقون خصهم بذلك لان الداعي الى النظر والتدبر
انما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة فهم الواقفون على ان جميع المخلوقات
ايات دون غيرهم وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم
عنها معرضون ان الذين لا يرجون لقاءنا بيان لمال امر من كفر بالبعث واعرض عن
البينات الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تعالى وانه يعيدهم بعد
بدئهم للجزاء ثوابا وعقابا وتفصيل بعض الايات الشاهدة بذلك والمراد
بلقائه تعالى اما الرجوع اليه تعالى بالبعث او لقاء الحساب كما في قوله عز وعلا
اني ظننت اني ملاق حسابيه واياما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة
من تهويل الامر ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل
وعدم الخوف فان عدمهما لا يستدعي عدم اعتقاد وقوع المامول والمخوف اي لا
يتوقعون الرجوع الينا او لقاء حسابنا المؤدي اما الى حسن الثواب او الى سوء
العذاب فلا يأملون الاول واليه اشير بقوله عز وجل ورضوا بالحيوة الدنيا فانه
مبني على ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تعالى ارضيتم بالحيوة
الدنيا من الاخرة ولا يخافون الثاني واليه اشير بقوله تعالى واطمانوا بها اي
سكنوا فيها سكون من لا براح له منها آمنين من عروض المزعجات غير
مخطرين ببالهم ما يسوؤهم من عذابنا المراد بالرجاء معناه الحقيقي
وباللقاء حسن اللقاء اي لا يأملون حسن لقائنا بالبعث والاحياء بالحيوة
الابدية ورضوا بدلا منها وعما فيها من فنون الكرامات السنية بالحيوة الدنيا
الدنية الفانية واطمانوا بها اي سكنوا اليها مكبين عليها قاصرين مجامع همتهم
لذائذها وزخارفها من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم وايثار الباء على
كلمة الى المنبئة عن مجرد الوصول والانتهاء للايذان بتمام الملابسة ودوام
المصاحبة والموانسة وحمل الرجاء على الخوف مقطع باباه كلمة الرضا بالحيوة الدنيا
فانها منبئة عما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى واختيار صيغة الماضي في
الاخيرين للدلالة على التحقق والتقرر كما ان اختيار صيغة المستقبل في الاول
للايذان باستمرار عدم الرجاء والذين هم عن اياتنا المفصلة في صحائف الاكوان
حسبما اشير الى بعضها او اياتنا المنزلة المنبهة على الاستدلال المتفقة معها
في الدلالة على حقية ما لا يرجون من اللقاء المترتب على البعث وعلى بطلان

ما رضوا به واطمانوا اليه من الحيوة الدنيا غافلون لا يتفكرون فيها اصلا وان
نبهوا على ذلك وذكروا بانواع القوارع لانهماكهم فيما يصدهم عنها من الاحوال
المعدودة وتكرير الموصول للتوسل به الى جعل صلته جملة اسمية عما هم عليه
من استمرار الغفلة ودوامها وتنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي
ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاول واستقلاله باستتباع العذاب
هذا واما ما قيل من ان العطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد
على الجمع بين الذهول عن الايات راسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر
ببالهم الاخرة واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا
الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التامل في الاجل فكلام
ناء عن السداد فتامل اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء ماويهم
اي مسكنهم ومقرهم الذي لا براح لهم منه النار لا ما اطمانوا بها من الحيوة الدنيا
ونعيمها بما كانوا يكسبون من الاعمال القلبية المعدودة وما يستتبعه من
اصناف المعاصي والسيئات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
للدلالة على الاستمرار التجددي والباء متعلقة بمضمون الجملة الاخيرة الواقعة
خبرا عن اسم الاشارة وهو مع خبره خبر لان في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا الخ
ان الذين امنوا اي فعلوا الايمان او امنوا بما يشهد به الايات التي غفل
عنها الغافلون او بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج فيه ذلك اندراجا اوليا
وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة في انفسها اللائقة بالايمان وايثار ترك
ذكر الموصوف لجريانها مجرى الاسماء يهديهم ربهم اوثر الالتفات تشريفا
لهم باضافة الرب اليهم واشعارا بعلة الهداية بايمانهم اي يهديهم بسبب
ايمانهم الى مأواهم ومقصدهم وهي الجنة وانما لم تذكر تعويلا على ظهورها وانسياق
النفس اليها لا سيما بملاحظة ما سبق من بيان مأوى الكفرة وما ادى اليه من
اعمالهم السيئة وشاهدت ما لحق من التلويح والتصريح وفي النظم الكريم
اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي في الوصول الى الجنة بل لا بد
بعد ذلك من الهداية الربانية وان الكفر والمعاصي كافية في دخول النار ثم انه
لا نزاع في ان المراد بالايمان الذي جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم الخاص
المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان المجرد عنها ولا ما هو اعم منهما الا ان ذلك
بمعزل عن الدلالة على خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة من ان الايمان الخالي عن
العمل الصالح يفضي الى الجنة في الجملة ولا يخلد صاحبه في النار فان منطوق
الاية الكريمة ان الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية الى الجنة واما ان كل ما هو سبب
لها يجب ان يكون كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها عليه قطعا كيف لا وقوله عز وجل

الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون منادٍ بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون والمعول مخلطوا ايمانهم بشرك ولئن حمل على ظاهره ايضا يدخل فيه الاهتدا من آمن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل ان يظلم بفعل حرام او بترك واجب تجري من تحتهم الانهار اي بين ايديهم كقوله سبحانه وهذه الانهار تجري من تحتي او تجري وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة مستانفة او خبر ثان لان او حال من مفعول يهديهم على تقرير كون المهدي اليه ما يريدونه في الجنة كما قيل يهديهم ويسددهم للاستقامة على سلوك السبيل المودي الى الثواب والجنة وقوله تجري من تحتهم الانهار جار مجرى التفسير والبيان فان التمسك بحبل السعادة في حكم الوصول اليها يهديهم الى ادراك الحقائق البديعة بحسب القوة العلمية كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم في جنات النعيم خبر آخر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي فالمراد بالمهدي اليه اما منازلهم في الجنة او ما يريدونه منها دعواهم اي دعاؤهم وهو مبتدا فيها متعلق به عز وجل تعالى سبحانك اللهم خبر اي دعاؤهم هذا الكلام وهو مفعول المعذر لا يجوز اظهاره والمعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه عند ما عاينوا القرآن تعاجيب آثار قدرته تعالى ونتائج رحمته ورأفته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى عن شوائب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف وتحيتهم فيها التحية التكرمة بالحالة الجليلة اصلها احياك الله حياة طيبة اي ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم كما في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام او تحية الله عز وجل لهم كما في قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم سلام اي سلامة عن كل مكروه وآخر دعواهم اي خاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك نعتا له عز وجل بصفات الاكرام اثر نعته تعالى بصفات الجلال اي دعاؤهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه في سلك الدعاء وان هي المخففة من ان المثقلة اصله انه الحمد لله فحذف ضمير الشان كما في قوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته للتوسل الى ختم الحكاية بالتحميد تبركا مع ان التحية ليست باجنبية على الاطلاق ودعوى كون ترتيب الوقوع ايضا كذلك بان كانوا حين دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او حياهم بذلك رب العزة فحمدوه تعالى واثنوا عليه بان اضافه الاخر الى دعواهم وقد يجوز ان يكون المراد بالدعاء

العبادة

العبادة جاء تعالى واعتزلكم وما تدعون الخ ايذانا بان لا تكليف في الجنة اي ما عبادتهم الا ان يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا او لا يبعد عن تعيين الخاتمة ولو يعجل الله للناس هم الذين لا يرجون لقاءه تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء اشير الى بعض من عظائم معاصيهم المتفرعة على ذلك وهو استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس الى ان تعجيل الخير لهم ليس دائرا على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج اي لو يعجل الله لهم الشر الذي كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك استعجالهم بالخير نصب على انه مصدر تشبيهي وضع موضع ناصبه دلالة على اعتبار الاستعجال في جانب المشبه كاعتبار التعجيل في جانب المشبه به واشعارا بسرعة اجابته تعالى لهم حتى كان استعجالهم بالخير نفس تعجيله لهم او التقدير ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم به فحذف ما حذف تعويلا على دلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لادي اليهم الاجل الذي عين لعذابهم واميتوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفي ايثار صيغة المبني للمفعول جري على سنن الكبرياء مع الايذان بتعين الفاعل وقرئ على البناء للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما حقق في موضعه واعلم ان هذه الافادة في الشرطية ان يكون التالي امرا مغايرا للمقدم في نفسه مترتبا عليه في الوجود كما في قوله عز وجل لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فان العنت اي الوقوع في المشقة والهلاك امر مغاير لطاعته عليه السلام لهم مترتب عليها في الوجود او يكون فردا كاملا من افراده ممتازا من البقية بامر مخصه كما في الاجوبة المحذوفة في مثل قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ونظائرها اي لرايت امرا هائلا فظيعا او نحو ذلك وكما في قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذا فسر الجواب بالاستئصال فانه فرد كامل من افراد مطلق المواخذة قد عبر عنه بما لا مزيد عليه في الدلالة على الشدة والفظاعة حيث يوقعه في معرض التالي للمواخذة المطلقة واما ما نحن فيه من القضاء فليس بامر مغاير لتعجيل الشر في نفسه وهو ظاهر بل هو اما نفسه او جزء منه كسائر جزئياته من غير مزية له على البقية اذ لم يعتبر في مفهومه ما ليس في مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون في ترتيبه عليه وجودا او عدما مزيد فائدة مصححة لجعله تاليا له

فالحق ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضاء المذكور وجودا
وعدما مزيد فائدة مصححة لجعله تاليا كما في قوله تعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اي
لو يريد مؤاخذتهم فان تعجيل العذاب لهم نفس المؤاخذة او جزء من جزئياتها غير ممتاز عن
البقية فليس في بيان ترتبه عليها وجودا وعدما مزيد فائدة واما الفائدة في بيان ترتبه
على ارادتها حسبما ذكر وانما في ترتب التالي على ارادة المقدم ما ليس في ترتبه على
نفسه من الدلالة على المبالغة وهو بل الامر والدلالة على ان الامور منوطة بارادته
تعالى المبنية على الحكم البالغة فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة الدالة على
التشديد في الوعيد وهو عطف على مقدر تنبئ عنه الشرطية كانه قيل لكن لا نفعل ذلك
لما تقتضيه الحكمة فنتركهم امهالا واستدراجا في طغيانهم الذي هو عدم رجاء
اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من اعمالهم السيئة ومقالاتهم
الشنيعة يعمهون اي يترددون ويتحيرون وفي وضع الموصول موضع الضمير
نوع بيان للطغيان بما في حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج واذا
مس الانسان الضر اي اصابه جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد مع
اصابة يسيرة دعانا لكشفه وازالته لجنبه حال من فاعل دعا بشهادة ما عطف
عليه من الحالين واللام بمعنى على كما في قوله تعالى يخرون للاذقان اي دعانا كائنا
على جنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما اي في جميع الاحوال مما ذكر وما لم يذكر
وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان عنها عادة او دعانا في جميع احوال
مرضه على انه المراد بالضر خاصة مضطجعا عاجزا عن القعود وقاعدا غير قادر على
النهوض وقائما لا يستطيع الحراك فلما كشفنا عنه ضره الذي مسه عقيب دعائنا حسبما
ينبئ عنه الفاء مر اي مضى واستمر على طريقته التي كان ينتحيها قبل مساس الضر
ونسي حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة والابتهال ونأى بجانبه كأن
لم يدعنا اي كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما في قوله كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
والجملة التشبيهية في محل النصب على الحالية من فاعل مر اي مر مشبها بمن لم يدعنا
الى ضر اي الى كشف ضر مسه وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن
هو متصف بهذه الصفات كذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل
الاتي وما فيه من معنى البعد للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة على زيادة فخامة
المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك
لا يبخل مكان انت لا تبخل اي مثل ذلك التزيين العجيب زين للمسرفين اي للموصوفين
بما ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم لما ان الله تعالى انما اعطاهم القوى والمشاعر
ليصرفوها الى مصارفها ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة فلما صرفوها
الى ما لا ينبغي وهو رأس مالهم فقد اتلفوها واسرفوا اسرافا ظاهرا والتزيين اما من جهة الله

على طريقة

على طريقة الغفلة والخذلان او من الشيطان بالوسوسة والتسويل ما كانوا يعملون
من الاعراض عن الذكر والدعاء والانهماك في الشهوات وتعلق الاية الكريمة بما
قبلها من حيث ان في كل منهما املاء للكفرة على طريقة الاستدراج بعد الانقاذ من الشر
المقدر في الاولى ومن الضر المقرر في الاخرى ولقد اهلكنا القرون اي القرون
الخالية مثل قوم نوح وعاد واضرابهم ومن تعالى من قبلكم متعلقة باهلكنا
اي اهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب لاهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة في
تشديد التهديد بعد تاييده بالتوكيد القسمي لما ظلموا ظرف للاهلاك اي اهلكناهم
حين فعلوا الظلم بالتوكيد بالتكذيب والتمادي في الغي والضلال من غير تأخير
وجاءتهم رسلهم الواو للحال من ضمير ظلموا باضمار قد تعالى بالبينات
متعلق بجاءتهم على ان الباء للتعدية او بمحذوف وقع حالا من رسلهم دالة على افراطهم
في الظلم وتناهيهم في المكابرة اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالبينات
البينة الدالة على صدقهم او ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب
وقد جوز ان يكون للعطف على ظلموا وقد جوز ان يكون قوله تعالى وجاءتهم عطفا
على ظلموا فلا محل للجملة من الاعراب عند سيبويه وعند غيره محله الجر لانه معطوف
على ما هو مجرور باضافة الظرف اليه وليس كذلك لظلمهم منحصرا في التكذيب حتى يحتاج
الى الاعتذار بان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي كما
في تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا الخ بل هو محمول على سائر انواع
الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ وجه واكده فان اللام
لتاكيد النفي اي وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان
الله تعالى اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف على ظلموا لانه
اخبار باحداث التكذيب وهذا بالاصرار عليه وعلى الثاني عطف على ما عطف عليه
اعتراض بين الفعل وما يجري مجرى مصدره التشبيهي اعني تعالى
كذلك فان الجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره اي مثل ذلك الجزاء الفظيع
اي الاهلاك الشديد الذي هو الاستئصال بالمرة نجزي القوم المجرمين اي
كل طائفة مجرمة وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك
المهلكين في الجرائم والجرائر التي هي تكذيب الرسول والاصرار عليه وتقرير
لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء
على الالتفات الى الغيبة وقد جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين اهل مكة على طريقة
وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا بانهم اعلام في الاجرام ويأباه كل الاباء
عز وجل ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم فانه صريح في انه ابتداء تعرض
لامورهم وان ما بين فيه انما هو مبادي احوالهم لاختبار كيفيات اعمالهم على وجه تشعر

باستمالتهم نحو الايمان والطاعة فمحال ان يكون ذلك اثر بيان تناهيهم في الكفر
وخطابهم القول باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم استخلفناكم في الارض
بعد اهلاك اولئك القرون التي تسمعون اخبارها وتشاهدون اثارها
استخلاف من يختبر لننظر اي لنعامل معاملة من ينظر كيف تعملون فهي
استعارة تمثيلية وكيف منصوب على المصدرية بتعملون لا بننظر فان ما فيه من
معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله عليه اي اي عمل او الحالية اي على اي
حال تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله عز وجل
ليبلوكم ايكم احسن عملا وفيه اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاصلي من الاستخلاف
انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة واما الاعمال السيئة فبمعزل من ان
تصدر عنهم لا سيما بعد ما سمعوا اخبار القرون المهلكة وشاهدوا اثار ربعهم فضلا
عن ان ينتظم ظهورها في سلك العلة الغائية للاستخلاف منصوب
على انه مفعول به اي اي عمل تعملون اخيرا ام شرا فيعاملكم بحسبه فلا يكون في
كلمة كيف حينئذ دلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الاعمال وكيفياتها
لا ذواتها كما هو رأي القائل بل تكون ح مستعارة لمعنى اي شيء واذا تتلى عليهم التفات
من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيه للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعديد
جناياتهم المضادة لما اريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والكفر بالايات
البينات وغير ذلك كداب من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد
جوابهم الاتي حسب تجدد التلاوة اياتنا الدالة على ذلك وايراد فعل التلاوة مبنيا للمفعول
مسندا الى الايات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا للفاعل للاشعار بعدم الحاجة
لتعيين التالي وللايذان بان كلامهم في نفس المتلو دون التالي قال الذين لا يرجون لقاءنا
وضع الموصول موضع الضمير اشعارا بعلية ما في حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وانهم
انما اجترءوا عليها لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقاء لانكارهم له ولما هو من مباديه
من البعث وذما لهم بذلك اي قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانما لم يذكر ايذانا بتعينه ائت بقرآن غير هذا اشاروا بهذا الى القرآن المشتمل
على تلك الايات لا الى نفسها فقط قصدا الى اخراج الكل من البين اي ائت بكتاب اخر
نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب والجزاء وما نكرهه من ذم الهتنا ومعايبها
والوعيد على عبادتها او بدله بتغيير ترتيبه بان يجعل مكان الاية المشتملة على ذلك
اية اخرى خالية عنها وانما قالوه كيدا وطمعا في المساعدة ليتوسلوا به الى الالزام والاستهزاء
به قل لهم ما يكون لي اي ما يصح وما يستقيم لي ولا يمكنني اصلا ان ابدله من تلقاء نفسي
اي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب ببيان
امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثاني للايذان بان استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور

بحيث لا حاجة الى بيانها وان التصدي لذلك مع كونه ضائعا ربما يعد من قبيل الجنايات
مع السفهاء اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولان ما يدل على استحالة
الثاني يدل على استحالة الاول بالطريق الاولى ان اتبع اي ما اتبع في ما اتي واذر
الا ما يوحى الي من غير تغيير له في شيء اصلا على معنى قصر حاله عليه السلام في
اتباع ما يوحى اليه لا قصر اتباعه على ما يوحى اليه كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كانه
قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي وقد مر تحقيق المقام في سورة الانعام
وهو تعليل لمضمون صدر الكلام فان من شانه اتباع الوحي على ما هو عليه لا يستبد بشيء دونه
قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا به عليه السلام
بهذا السؤال من ان القرآن كلامه عليه السلام ولذلك قيد التبديل في الجواب بقوله
من تلقاء نفسي وسماه عصيانا عظيما مستتبعا لعذاب عظيم تعالى اني اخاف ان عصيت
ربي عذاب يوم عظيم فانه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل من تلقاء نفسي والاعراض
عن اتباع الوحي عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة ويوم اللقاء الذي لا يرجونه وفيه اشعار
بانهم استوجبوا بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
لتهويل امر العصيان واظهار كمال نزاهته عليه السلام عنه وايراد اليوم بالتنوين التفخيمي
ووصفه بالعظيم لتهويل امر العصيان ما فيه من العذاب وتفظيعه ولا مساغ لحمل
ما مر حصر على التبديل والاتيان بقرآن اخر من جهة الوحي بتغيير قوله تعالى ما يكون لي
ان ابدله بالاستدعاء من تلقاء نفسي بانه لا يستقل في ان ابدله بالاستدعاء من جهة الحق
ما اتبع الا ما يوحى الي من غير صنع ما من الاستدعاء وعدم من قبل لما انه يرده التعليل المذكور
لكن لا لان المقترح حينئذ ليس فيه معصية اصلا كما توهم فان الاستدعاء بتبديل الايات
النازلة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا سيما بموجب اقتراح الكفرة
مما لا ريب في كونه معصية بل لانه ليس فيه معصية الاقتراح بل لانه ليس فيه معصية
الابتداع مع انها المقصود ومما ذكر في التعليل الاتي الى ما بعده من الايتين الكريمتين
فانه صريح في ان مقتضى حصر الاتيان بغير القرآن وتبديله بطريق الافتراء وان زعمهم
في الاصل ايضا كذلك وقوله تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تحقيق لحقية القرآن
وكونه من عند الله تعالى اثر بيان بطلان ما اقترحوا الاتيان به واستحالته عبارة
ودلالة وانما صدر بالامر المستقل مع كونه داخلا تحت الامر السابق اظهارا لكمال
الاعتناء بشانه وايذانا باستقلاله مفهوما واسلوبا فانه برهان دال على كونه بامر الله
ومشيئته كما سياتي وما سبق مجرد اخبار باستحالة ما اقترحوه ومفعول شاء محذوف
ينبئ عنه الجزاء لا غير ذلك كما قيل فان مفعول المشيئة انما يحذف اذا وقعت شرطا
وكان مفعولها مضمون الجزاء ولم يكن في تعلقها به غرابة كما في قوله ولو شئت ان ابكي
دما لبكيته حيث لم يحذف لفقدان الشرط الاخير ولان المستلزم للجزاء اعني عدم

السادس والاربعون

تلاوته عليه السلام للقرآن عليهم انما هو مشيئته تع له لا مشيئة لغير القرآن والمعنى
ان الامر كله منوط بمشيئته تعالى وليس لي منه شيء قط ولو شاء عدم تلاوتي له عليكم
لا بان شاء عدم تلاوتي له من تلقاء نفسي بل بان لم ينزله علي ولم يأمرني بتلاوته
كما ينبئ عنه ايثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم **ولا ادراكم به** اي ولا اعلمكم
به بواسطتي والتالي وهو عدم التلاوة والادراء منتف فينتفي المقدم اعني مشيئة
عدم التلاوة ولا يخفى انها مستلزمة لعدم مشيئة التلاوة قطعا فانتفاؤها مستلزم لا
نتفائه حتما وانتفاء عدم مشيئة التلاوة ولا يخفى انها مستلزم لانتفائه وانما يكون
بتحقق مشيئة التلاوة فثبت ان تلاوته عليه السلام للقرآن بمشيئته تع وامره
وانما قيدنا بالادراء بكونه بواسطته عليه السلام لان عدم الاعلام مطلقا ليس
من لوازم الشرط الذي هو مشيئة عدم تلاوته عليه السلام للقرآن بمشيئته فلا يجوز
نظمه في سلك الجزاء وفي اسناد عدم الادراء الى الله تعالى المبني عن اسناد الادراء
اليه تعالى ايذانا بان لا دخل له عليه السلام في ذلك حسبما يقتضيه المقام وقرئ
ولا ادرأكم ولا ادراتكم بالهمزة فيهما على لغة من يقول اعطات وارضات في اعطيت
وارضيت او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته عليكم خصما تدرءونني
بالجدال وقرئ ولا انذرتكم به وقرئ لادراكم به بلام الجواب اي لو شاء
الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري على معنى انه الحق الذي لا محيص عنه
لو لم ارسل به انا لارسل به غيري البتة او على معنى انه تع يمن على من يشاء فخصني
بهذه الكرامة **فقد لبثت فيكم عمرا** تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته بمشيئته
الله تع عز وجل وامره حسبما تبين انفا لكن لا بطريق الاستدلال عليها بعدم تلاوته
عليه السلام فيما سبق بسبب مشيئته تعالى اياه بل بطريق الاستشهاد عليها بما شوهد
منه عليه السلام في تلك المدة الطويلة من الامور الدالة على استحالة كون التلاوة
من جهته عليه السلام بلا وحي وعمرا نصب على التشبيه بظرف الزمان والمعنى
اقمت فيما بينكم دهرا مديدا مقدار اربعين سنة تحفظون تفاصيل احوالي طرا
وتحيطون بما لدي خبرا **من قبله** اي من قبل نزول القرآن لا اتعاطى شيئا مما يتعلق
به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن اسرار الحقائق واحكام الشرائع
افلا تعقلون اي الا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي ووجوب
كونه منزلا من عند الله العزيز الحكيم فانه غير خاف على من له عقل سليم والحق الذي لا محيد
عنه ان من له ادنى مسكة من العقل اذا تأمل في امره صلى الله عليه وسلم وانه نشأ فيما بينهم
هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء في شأن من الشؤون ولا مراجعة اليهم في فن
من الفنون ولا مخالطة البلغاء في المفاوضة والحوار ولا خوض معهم في انشاء
الخطب والاشعار ثم اتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فائق وبذت بلاغته

كل بديع

كل بليغ رائق وعلا نظمه كل منثور ومنظوم وحوى فحواه بدائع اصناف العلوم
كاشف عن اسرار الغيب من وراء استار الكمون ناطق باخبار ما قد كان وما سيكون
مصدق لما بين يديه من الكتب المنزلة مهيمن عليها في احكامها المجملة والمفصلة لا يبقى
عنده شائبة اشتباه في انه وحي منزل من عند الله هذا هو الذي اتفقت عليه
الجمهور ولكن الانسب بمبنى الجواب فيما سلف على تجرد امتناع صدور التغيير
والتبديل عنه عليه السلام لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار حاله
عليه السلام على اتباع الوحي وامتناع الاستبداد بالرأي من غير تعرض هناك ولا
هنا لكون القرآن في نفسه امرا خارجا عن طوق البشر ولا لكونه عليه السلام غير
قادر على الاتيان بمثله ان يستشهد ههنا على المطلب بما يلائم ذلك من احواله المستمرة
في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته عليه السلام عما يوهم شائبة صدور الكذب
والافتراء عنه في حق احد كائنا من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم المفتري على الله تع
والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا اتعرض لاحد قط بتحكم ولا جدال
ولا احوم حول مقال فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب او افتراء الا تلاحظونه
فلا تعقلون ان من هذا شأنه المطرد في هذا العهد البعيد مستحيل ان يفتري على
الله تعالى ويتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنواهي الموجبة لسلب الاموال وسفك
الدماء ونحو ذلك وان ما اتى به وحي مبين تنزيل من رب العالمين
عز وجل **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا** استفهام انكاري معناه الجحد اي لا احد اظلم
منه على معنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب مفيدا لانكار ان
يكون احد اظلم منه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها فانه اذا قيل من افضل من
فلان او لا اعلم من فلان منه يفهم منه حتما انه افضل من كل فاضل واعلم من كل عالم
وزيادة كذبا مع ان الافتراء لا يكون الا كذلك للايذان بان ما اضافوا
اليه ضمنا وحملوه عليه صريحا مع كونه افتراء على الله تعالى كذب في
نفسه فرب افتراء يكون كذبه في الاسناد فقط كما اذا اسند ذنب زيد الى عمرو
وهذا للمبالغة منه عليه السلام في التفادي عما ذكر من الافتراء على الله سبحانه
او كذب باياته فكفر بها وهذا تظليم للمشركين بتكذيبهم للقرآن وحملهم على انه
من جهته عليه السلام والفاء لترتيب الكلام على ما سبق من بيان كون القرآن بمشيئته
تعالى وامره فلا مجال لحمل الافتراء باتخاذ الولد والشريك اي واذا كان الامر كذلك
فمن افترى عليه تعالى بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله تعالى او يبدل بعض
اياته تعالى ببعض كما تجوزون ذلك في شأني وكذلك من كذب باياته تعالى كما تفعلون
اظلم من كل ظالم **انه** الضمير للشأن وقع اسما لان والخبر ما بعده من الجملة ومدار وضعه
موضع ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع

ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان
منهم له حظ ويبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن
فكانه ان الشان هذا اي لا يفلح المجرمون اي لا ينجون من محذور ولا
يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفتري والمكذب اندراجا
اوليا ويعبدون من دون الله حكاية لجناية اخرى لهم نشات عنها جنايتهم الاولى
معطوفة على قوله تع واذا تتلى عليهم الآية عطف قصة على قصة ومن دون متعلق
بيعبدون ومحله النصب على الحالية من فاعله اي متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى
عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا لعبادة الاصنام التي هي جمادات وما موصولة او
موصوفة وتقديم نفي الضرر لان ادنى احكام العبادة دفع الضرر الذي هو اول
المنافع والعبادة امر حادث مسبوق بالعدم الذي هو مظنة الضرر بحيث لا يقدر الاصنام
على الضرر لم يوجد لاحداث العبادة سبب لا يضرهم ان تركوا عبادتها
ولا ينفعهم ان عبدوها كان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة عزى ومناة
وهبل واسافا ونائلة ويقولون شفعاؤنا عند الله عن النضر بن الحارث اذا كان يوم القيمة
يشفع لي اللات انهم كانوا يعتقدون ان المتولي لكل اقليم روح معين
من ارواح الافلاك فعينوا لذلك الروح صنما معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادة
ومقصودهم ذلك الروح ثم اعتقدوا ان ذلك الروح يكون عند الاله الاعظم
مشتغلا بعبوديته انهم كانوا يعبدون الكواكب وضعوا لها اصناما معينة
واشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب انهم وضعوا الطلسمات معينة
على تلك الاصنام ثم تقربوا اليها انهم وضعوا هذه الاصنام على صور انبيائهم
واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان اولئك الاكابر
يشفعون لهم عند الله تعالى تبكيتا لهم اتنبئون الله بما لا يعلم اي اتخبرونه
بما لا وجود له اصلا وهو كون الاصنام شفعاءهم عند الله تعالى اذ لو كان لعلمه
علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه من المحال الذي لا يكاد
يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ اتنبئونه بالتخفيف تع
في السموات والارض حال من العائد المحذوف في فعله مؤكدة للنفي لا ما لا يوجد
فيهما فهو منتف عادة سبحانه وتعالى عما يشركون من اشراكهم المستلزم لتلك المقالة
الباطلة او عن شركائهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة او عن شركائهم الذين
يعتقدونهم شفعاءهم عند الله تع وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه من
جملة القول المامور به وعلى الاول اعتراض تذييلي من جهته سبحانه وتعالى
وما كان الناس بيان لان التوحيد والاسلام ملة قديمة اجمعت
عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها

الغواة خلافا للجمهور وشقا لعصا الجماعة واما حمل اتحادهم على الاتفاق على
الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار فمما
لا احتمال له اي وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق
والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد آدم عليه السلام الى ان قتل
قابيل هابيل في زمن ادريس عليه السلام الى زمن نوح عم
من حين الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا الى ان ظهر
فيما بينهم الكفر من لدن ابراهيم عليه السلام الى ان ظهر عمرو بن لحي
عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الانسب بايراد الاية
الكريمة اثر حكاية ما حكي عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك
فاختلفوا بان كفر بعضهم وثبت آخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين
الآخر لا ان كلا منهما محدث بطل حينئذ فلا يتصور ان يقضي بينهما بابقاء المحق
واهلاك المبطل والفاء التعقيبية لا تنافي امتداد زمان الاتفاق اذ المراد
بيان وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق ولا عقيب حدوث
الاتفاق ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير القضاء بينهم او بتاخير العذاب
الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل لقضي بينهم عاجلا فيما فيه
يختلفون بتمييز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل وصيغة
الاستقبال لحكاية الحال الماضية والدلالة على الاستمرار ويقولون
حكاية لجناية اخرى لهم معطوفة على قوله تع ويعبدون وصيغة المضارع
لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء والدلالة على الاستمرار والقائلون اهل
مكة لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الآيات التي اقترحوها كانهم
لفرط العتو والفساد ونهاية التمادي في المكابرة والعناد لم يعدوا البينات
النازلة عليه عليه السلام من جنس الآيات واقترحوا غيرها مع قد انزل عليه من
الآيات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم الى الانقياد والقبول
لو كانوا من ارباب العقول فقل لهم في الجواب انما الغيب لله اللام للاختصاص
العلمي دون التكويني فان الغيب والشهادة في ذلك الاختصاص سيان والمعنى
ان ما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله من الغيوب
المختصة بالله سبحانه لا وقوف لي عليه فانتظروا نزوله اني معكم من المنتظرين اي
لما يفعل الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الآيات واقتراح غيرها
وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن انزال الآيات المقترحة يأباه ترتيب
الامر بالانتظار على اختصاص الغيب به تع واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة
من بعد ضراء مستهم اي خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد المساس

الي الضراء بعد اسناد الاذاقة الي ضمير الجلالة من الاداب القرآنية كما في قوله
تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظايره سلط الله على اهل مكة
القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يطعنون في اياته
تعالى ويعادون رسوله صلى الله عليه وسلم ويكذبونه وذلك قوله تعالى
اذا لهم مكر في اياتنا اي بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال في دفعها
واذا الاولى شرطية والثانية جوابها كأنه فاجؤوا وقوع المكر منهم
وتنكير مكر للتفخيم وفي متعلقة بالاستقرار الذي يتعلق به اللام قل الله اسرع مكرا
اي اعجل عقوبة اي عذابه اسرع وصولا اليكم مما يأتي منكم في دفع الحق
وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها في مقابلة مكرهم وجودا او ذكرا ان رسلنا
الذين يحفظون اعمالكم والاضافة للتشريف يكتبون ما تمكرون اي مكركم او ما
تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه غير
خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال في الفعلين
للدلالة على الاستمرار التجددي والجملة تعليل من جهته تعالى لاسرعية مكره
سبحانه غير داخل في الكلام الملقن كقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة
الرسل لما يمكرون من مبادي بطلان مكرهم وتخلف اثره عنه بالكلية وفيه
من المبالغة ما لا يوصف وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهم للتشديد في التوبيخ على لفظ الغيبة فيكون ح تعليلا لما
ذكر او للامر هو الذي يسيركم كلام مستأنف مسوق لبيان جناية اخرى لهم مبنية
على ما مر انفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء
اي يمكنكم من السير ويحملكم مستمرا عند الملابسة به وقبلها في البر مشاة
وركبانا ينشركم من النشر ومنه عز وعلا والبحر حتى اذا
كنتم في الفلك اي السفن فانه جمع فلك على زنة اسد جمع اسد لا على
وزن قفل وغاية التسيير ليست ابتداء ركوبهم فيها بل مضمون الشرطية
بتمامه كما ينبئ عنه ايثار الكون المؤذن بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث
وجرين اي السفن بهم بالذين فيها والالتفات الى الغيبة للايذان بما لهم
من سوء الحال الموجب للاعراض عنهم كأنه يذكر لغيرهم مساوي احوالهم
ليعجبهم منها ويستدعي منه الانكار والتقبيح ليس فيه التفات
بل معنى قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك اذا كان بعضكم فيها اذ الخطاب للكل
ومنهم المسيرون في البر فالضمير الغائب عائد الى ذلك المضاف المقدر كما في
قوله تعالى او كظلمات في بحر لجي يغشاه اي او كذي ظلمات يغشاه موج بريح طيبة
لينة الهبوب موافقة لمقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها

جاءتها جواب اذا والضمير المنصوب للريح الطيبة اي تلقتها واستولت عليها
من طرف مخالف لها فان الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئا لريح اخرى عادة بل هو اشتداد
للريح الاولى للفلك والاول اظهر لاستلزامه للثاني من غير عكس لان الهبوب
على طريقة الريح اللينة يعد مجيئا بالنسبة الى الفلك دون الريح اللينة مع انه
لا يستتبع تلاطم الامواج الموجب لمجيئها من كل مكان ولان التهويل في بيان استيلائها
على ما ترجوا به وعلقوا به حبال رجائهم اكثر ريح عاصف اي ذات عصف
العصوف مختص بالريح فلا حاجة الى الفارق الريح فتذكير وجاءهم
الموج في الفلك من كل مكان اي من امكنة مجيء الموج عادة ولا بعد في مجيئه من
جميع الجوانب ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد
يكون من غيرها بحسب اسباب تتفق له وظنوا انهم احيط بهم اي هلكوا فان ذلك
مثل في الهلاك واصله احاطة العدو بالحي او سدت عليهم مسالك الخلاص دعوا الله
بدل من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او استيناف مبني على
سؤال ينساق اليه الاذهان كأنه ماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له
الدين من غير ان يشركوا به شيئا من الهتهم لا مخصصين للدعاء به تعالى فقط بل للعبادة
ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين له الدين لئن انجيتنا
اللام موطئة للقسم على ارادة القول اي قائلين والله لئن انجيتنا من هذه
الورطة لنكونن البتة بعد ذلك ابدا من الشاكرين لنعمك التي من جملتها هذه النعمة
المسؤلة الجملة مفعول دعوا لان الدعاء من قبيل القول والاول هو
الاولى لاستدعاء الثاني لاقتصار دعائهم على ذلك فقط وفي قوله لنكونن
من الشاكرين من المبالغة في الدلالة على كونهم ثابتين في الشكر مثابرين عليه م
منتظمين في سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس في ان يقال لنشكرن
فلما انجاهم مما غشيهم من الكربة والفاء للدلالة على سرعة الاجابة اذا هم
يبغون في الارض اي فاجؤوا الفساد فيها وسارعوا اليه مترامين في ذلك متجاوزين
عما كانوا عليه من حدود العبث من قولهم بغى الجرح اذا ترامى في الفساد وزيادة
تراكي في الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها وصيغة المضارع للدلالة
على التجدد والاستمرار بغير الحق تأكيد لما يفيده البغي او معناه انه
بغير الحق عندهم ايضا بان يكون ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما في
قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق واما ما قيل من انه للاحتراز عن البغي بحق
كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم فلا يساعده النظم
الكريم لابتنائه على كون البغي بمعنى افساد صورة الشيء وابطال منفعته دون
ما ذكر من المعنى اللائق بحال المفسدين يا ايها الناس توجيه للخطاب الى اولئك

الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد **انما بغيكم** الذي تعاطونه
وهو مبتدأ خبره **على انفسكم** بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة
شيئا غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال وهو نصب على انه مصدر موكد لفعل
مقدر بطريق الاستئناف اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا والعامل هو الاستقرار
الذي في الخبر لا نفس البغي لانه يؤدي الى الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ولا
يخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته وانت خبير بانه ليس في تقييد كون بغيهم
على انفسهم بحال تمتعهم بالحيوة الدنيا معنى يعتد به على انه ظرف زمان
نحو مقدم الحاج اي زمن متاع الحيوة الدنيا وفيه ما مر بعينه على انه
مفعول لفعل دل عليه المصدر اي تبغون متاع الحيوة الدنيا ولا يخفى انه لا يدل
على البغي بمعنى الطلب وجعل المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم لان
الاستئناف لبيان سوء عاقبة ما حكي عنهم من البغي المفسر بالافساد المفرط اللائق
بحالهم اي مناسبة بينه وبين البغي بمعنى الطلب وجعل الاول ايضا بمعناه مما يجب
تنزيه ساحة التنزيل عنه على انه مفعول له اي لاجل متاع الحيوة الدنيا
والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه ان المعلل بما ذكر نفس البغي لا كونه على انفسهم
العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اي تبغون لاجل متاع الحيوة الدنيا
على ان الجملة مستانفة على انه مفعول صريح للمصدر وعلى انفسكم ظرف
لغو متعلق به والمراد بالانفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير انما
بغيكم على ابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ظاهر الفساد او نحو ذلك فانه
ما مر من ابتنائه على ما لا يليق بالمقام من كون البغي بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه
على العلة اي انما بغيكم على ابناء جنسكم لاجل متاع الحيوة الدنيا محذور كما اختاره
بعضهم لكان له وجه في الجملة لكن الحق الذي يقتضيه جزالة التنزيل ان ما
هو الاول وقرئ متاع بالرفع على انه الخبر والظرف صلة للمصدر
او خبر ثان او خبر لمبتدأ محذوف اي هو متاع الخ كما في قوله عز وجل الا ساعة
من نهار بلاغ اي هذا بلاغ فالمراد بانفسهم على الوجه الاول ابناء جنسهم وانما
عبر عنهم بذلك هزا لشفقتهم عليهم او حثا لهم على ترك ايثار التمتع المذكور
على حقوقهم ولا مجال للحمل على الحقيقة لان كون بغيهم وبالا عليهم ليس ثابتا عندهم
حسبما يقتضيه ما حكي عنهم ولم يخبر به بعد حتى يجعل من تتمة الكلام ويجعل كونه
متاعا مقصود الافادة على ان عنوان كونه وبالا عليهم قادح في كونه متاعا
فضلا عن كونه من مبادي ثبوته للمبتدأ كما هو المتبادر من السوق واما كون
البغي على ابناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم ومتضمن لمبادي التمتع من اخذ المال
والاستيلاء على الناس وغير ذلك اما على الوجهين الاخيرين فلا موجب للعدول

عن

قوله اي عليكم ... الذين يتمتعون ... متاع الحيوة الدنيا

عن الحقيقة فان المبتدا اما نفس البغي او الضمير العائد اليه من حيث هو لا من حيث
هو لا من حيث كونه وبالا عليهم كما في صورة كون الظرف صلة للمصدر فتدبر وقرئ
متاعا الحيوة الدنيا اما نصب متاعا فعلى ما مر واما نصب الحيوة فعلى انه بدل من
متاعا بدل اشتمال على انه مفعول به لمتاعا اذ لم يكن انتصابه على المصدر
لان المصدر المؤكد لا يعمل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا
ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وقال محمد بن كعب
ثلث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على
انفسكم وما يمكرون الا بانفسهم ومن نكث فانما ينكث على نفسه صلى
الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين
الفاجرة ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين
ابن عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي **ثم الينا مرجعكم**
عطف على ما مر من الجملة المستانفة المقدرة كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة
الدنيا ثم ترجعون الينا وانما غير السبك الى الجملة الاسمية مع تقديم الجار
والمجرور للدلالة على الثبات والقصر **فننبئكم بما كنتم تعملون** في الدنيا على الاستمرار
من البغي وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت
وفيه نكتة خفية مبنية على حكمة الله وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان
والاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة
الاخرة فان المعاصي مثلا سموم قاتلة قد برزت في الدنيا بصور تستحسنها
نفوس العصاة وكذا الطاعات مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم
بصور مكروهة وكذلك صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات فالبغي في هذه النشأة وان برز بصورة تستحسنها البغاة في
وتستحسنها الغواة لتمتعهم به من حيث اخذ المال والتشفي من الاعداء ونحو ذلك
لكن ذلك ليس بتمتع في الحقيقة بل هو تضرر من حيث لا يحتسبون وانما يظهر
لهم ذلك عند ابراز ما كانوا يعملونه من البغي بصورته الحقيقية المضادة لما كانوا
يشاهدونه على ذلك من الصورة وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه اعلم
انما مثل الحيوة الدنيا كلام مستانف سيق لبيان شأن الحيوة الدنيا وقصر
مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود وقد شبه حالها العجيبة الشان
البديعة المثال المنتظمة لغرابتها في سلك الامثال في سرعة تقضيها وانصرام
نعيمها غب اقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الارض من انواع النبات في
زوال رونقها ونضارتها فجأة وذهابها حطاما لم يبق لها اثر اصلا بعد ما كانت
غضة طرية قد التف بعضها ببعض وزينت الارض بالوانها وتقوت بعد ضعفها

حيث طمع الناس وظنوا انها سلمت من الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف في
عز وجل كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض بل ما يفهم من الكلام فانه
من التشبيه المركب مما ياكل الناس والانعام من البقول والزرع والحشيش حتى اذا اخذت
الارض زخرفها حلت الارض في تزيينها بما عليها من اصناف النباتات واشكالها والوانها
المختلفة المونقة اخذت زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي قد اخذت
من الوان الثياب والزين فزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقرئ على
الاصل وقرئ وازينت كاغيلت من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة
وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها
اتيها امرنا جواب اذا اي ضرب زرعها ما يجاحه من الافات والعاهات ليلا
او نهارا فجعلناها اي زرعها وساير ما عليها حصيدا اي شبيها بما حصد من اصله كان
لم تغن كان لم يغن زرعها والمضاف محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير
الفعل بالامس اي فيما قبل بزمان قريب فان الامس مثل في ذلك كانه
لم تغن انفا كذلك اي مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الايات اي الايات
القرآنية التي من جملتها هذه الايات المنبهة على احوال الحيوة الدنيا اي
نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون في تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص
تفصيلها بهم لانهم المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالايات ما ذكر في اثناء التمثيل
من الكاينات والفاسدات وتبعيضها تصريفها على الترتيب المحكي ايجادا
واعداما فانها ايات وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها على احوال الحيوة
الدنيا حالا ومآلا والله يدعو الى دار السلام ترغيب للناس في الحيوة الاخروية الباقية
اثر ترغيبهم عن الحيوة الدنيوية الفانية اي يدعو الناس جميعا الى دار
السلامة عن كل مكروه وآفة وهي الجنة وانما ذكرت بهذا الاسم لذكر الدنيا
بما يقابله من كونها معرضا للافات او الى دار الله تعالى وتخصيصها الاضافة
التشريفية بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك او الى دار يسلم الله تعالى او الملائكة
فيها على من يدخلها او يسلم بعضهم على بعض ويهدي من يشاء هدايته منهم الى صراط
مستقيم موصل اليها وهو الاسلام والتزود بالتقوى وفي تعميم الدعوة وتخصيص
الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان من اصر على الضلالة لم يرد
الله رشده للذين احسنوا اعمالهم اي عملوها على الوجه اللائق وهو حسنها
الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك الحسنى اي المثوبة الحسنى
وزيادة اي وما يزيد على تلك المثوبة تفضلا عز اسمه ويزيدهم من فضله
الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعماية ضعف واكثر

وقيل

وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق
وجوههم اي لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اي اثر هوان وكسوف بال والمعنى
لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير
للتحقير اي شيء منهما والجملة مستانفة لبيان انهم من المكاره اثر فوزهم بالمطالب والثاني
وان اقتضى الاول الا انه ذكر اذ كان مما ينقذهم الله تعالى منه برحمته وتقديم المفعول
على الفاعل للاهتمام ببيان ان المقصود من الرهق اشرف اعضائهم وللتشويق الى المؤخر
فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده فعند وروده عليها يتمكن عندها
فضل تمكن ولان في الفاعل ضرب تفصيل كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
عز وجل وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين اولئك
اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم باتصاف المذكورة وما في اسم الاشارة من معنى
البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت
الجميلة الفائزون بالمثوبات الناجون عن المكاره اصحاب الجنة هم فيها خالدون بلا زوال
دائمون بلا انتقال والذين كسبوا السيئات اي الشرك والمعاصي وهو مبتدأ بتقدير
المضاف خبره جزاء سيئة بمثلها اي جزاء الذين كسبوا السيئات ان يجازى
سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الجنة وتغيير السبك لمراعاة ما بين
الفريقين من كمال التنافي والتباين وايراد الكسب للايذان بان ذلك انما هو بسوء
صنيعهم وبسبب جنايتهم على انفسهم والموصول معطوف على الموصول الاول كانه
وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه
دلالة على ان المراد بالزيادة الفضل وترهقهم ذلة واي ذلة كما ينبئ عنه التنوين التفخيمي
وفي اسناد الرهق الى انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة غاشية لهم جميعا وقرئ
يرهقهم بالياء التحتانية ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من سخطه تعالى
وعذابه او ما لهم من عنده تعالى من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة
في نفي العصمة ما لا يخفى والجملة مستانفة او حال من ضمير ترهقهم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل
لفرط سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في
قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل
في من الليل وقرئ قطعا بسكون الطاء وهو طائفة من الليل قال الفتحي الباني
وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم فيجوز كون مظلما صفة له او حالا منه وقرئ
كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كما قبلها مستانفة او حال من ضمير ترهقهم
اولئك اي الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة اصحاب النار هم فيها خالدون
وحيث كانت الاية الكريمة في حق الكفار بشهادة السياق والسباق لم يكن فيها تمسك
للوعيدية ويوم نحشرهم كلام مستانف مسوق لبيان بعض اخر من احوالهم الفظيعة

وتأخيره في الذكر مع تقدمه في الوجود في بعض أحوالهم المحكية سابقا للإيذان باستقلال
كل من السابق واللاحق بالاعتبار ولو روعي الترتيب الخارجي لعد الكل شيئا واحدا كما مر
في قصة البقرة ولذلك فصل بما قبله ويوم منصوب على المفعولية بمضمر أي أنذرهم
أو ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين أحسنوا والذين كسبوا السيئات لأنه
المتبادر من تعالى جميعا ومن إفراد الفريق الثاني بالذكر في قوله تعالى
ثم نقول للذين أشركوا أي نقول للمشركين من بينهم ولأن توبيخهم وتهديدهم على رؤس
الأشهاد ولقطع الأعذار بحشر الكل في تهويل الأمر اليوم أدخل وتخصيص وصف إشراكهم
بالذكر في حيز الصلة من بين سائر ما اكتسبوه من السيئات لابتناء التوبيخ والتقريع
عليه مع ما فيه من الإيذان بكونه معظم خباياهم وعمدة سيئاتهم للفريق الثاني
خاصة فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكر آنفا مكانكم نصب على أنه في الأصل
ظرف لفعل أقيم مقامه لا على أنه اسم فعل وحركته حركة بناء كما هو رأي الفارسي أي
الزموا حتى تنظروا ما يفعل بكم أنتم تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله لسده مسده وشركاؤكم
عطف عليه وقرئ بالنصب على أن الواو بمعنى مع فزيلنا من زلت الشيء عن مكانه
أزيله أي أزلته والتضعيف للتكثير لا للتعدية وقرئ فزايلنا بمعناه نحو كلمته وكالمته
وهو معطوف على نقول وإيثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق المورث لزيادة التوبيخ والتحسير
والفاء للدلالة على وقوع التزييل ومباديه عقيب الخطاب من غير مهلة إيذانا بكمال
رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة أي فرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل
التي كانت بينهم في الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الزيال
للشياطين كما سيجيء فخابت آمالهم وانقصمت عرى أطماعهم وحصل لهم اليأس الكلي من حصول
ما كانوا يرجونه من جهتهم والحال وإن كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب
لكن هذه المرتبة من اليقين إنما حصلت عند المشاهدة والمشافهة المراد بالتزييل
التفريق الحسي أي فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كما
في تعالى أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا فالواو في قوله تع
وقال شركاؤهم حالية بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيره لا عاطفة كما في التفسير
الأول لاستدعاء المجاورة الحاضرة الغاية بالمباعدة وليس في ترتيب التنزيل بهذا المعنى
على الأمر بلزوم المكان في ما يترتب عليه بالمعنى الأول من النكتة المذكورة لبقاء لأجل رعايتها
إلى تغيير الترتيب الخارجي فإن المباعدة بعد المجاورة حتما وأما قطع الأقران والعلائق فليس
كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله أيضا وإنما الحاصل عند
المجاورة أقصاها كما أشير إليه فلا اعتداد بما في تقديمه من التغيير لاستتباع رعاية ما ذكر
من النكتة ولو سلم تغيير آخر جميع مراتبه من المجاورة فمراعاة تلك النكتة كافية في استدعاء
تقديمه عليها ويجوز أن تكون حالية على هذا التقدير أيضا والمراد بالشركاء قيل الملائكة

وعزير

وعزير والمسيح وغيرهم ممن عبدوه من أولي العلم ففيه تأييد لرجوع الضمير إلى الكل وقيل هم
ما كنتم إيانا تعبدون عبارة عن تبريهم من عبادتهم وأنهم إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم
وشياطينهم الذين أغووهم لأنها الآمرة لهم بالإشراك دونهم كقولهم سبحانك
أنت ولينا من دونهم الأصنام ينطقها الله الذي أنطق كل شيء فتشافههم بذلك
مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها منها فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فإنه العليم الخبير
إن كنا عن عبادتكم لغافلين أي عن عبادتكم لنا وتركه للظهور وللإيذان بكمال الغفلة
عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء وإلا فعدم شعور الملائكة بعبادتهم لهم غير ظاهر
وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما فإن ارتضاءهم بإشراكهم
مما لا ريب فيه وإن لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك وإن مخففة من إن واللام فارقة
هنالك أي في ذلك المقام الدهش أو في ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان
تبلوا أي تختبر وتذوق كل نفس مؤمنة كانت أو كافرة سعيدة أو شقية ما أسلفت
من العمل وتعاينه بكنهه مستتبعا لآثاره من نفع أو ضر وخير أو شر وأما ما علمت
من حالها من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ فأمر مجمل وقرئ نبلو
بنون العظمة ونصب كل وإبدال ما منه أي نعاملها معاملة من يبلوها ويتعرف أحوالها
من السعادة والشقاوة باختبار ما أسلفت من العمل فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وقرئ
تتلو أي تتبع لأن عملها هو الذي يهديها إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار أو تقرأ في
صحيفة أعمالها ما قدمت من خير أو شر وردوا الضمير للذين أشركوا على أنه معطوف
على زيلنا وما عطف عليه عز وجل هنالك تبلو الخ اعتراض في أثناء الحكاية
مقرر لمضمونها إلى الله أي إلى جزائه وعقابه مولاهم ربهم الحق أي المتحقق الصادق
ربوبيته لا ما اتخذوه ربا باطلا الحق بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله
أهل الحمد أو على المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع أي ظهر ضياعه وضلاله
لأنه كان قبل ذلك غير ضال أو ضل في اعتقادهم أيضا ما كانوا يفترون
من أن آلهتهم تشفع لهم أو ما كانوا يدعون أنها آلهة هذا وجعل الضمير في
ردوا للنفوس المدلول عليها بكل نفس على أنه معطوف على تبلوا وأن العدول
إلى الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وأن إيثار صيغة الجمع للإيذان
بأن ردهم إلى الله تعالى يكون على طريقة الاجتماع لا يلائمه والتعرض لوصف
الحقية في قوله تعالى مولاهم الحق فإنه للتعريض بالمردودين حسبما أشير إليه
لمن اكتفى فيه بالتعريض ببعضهم أو حمل الحق على معنى العدل في الثواب والعقاب
فقوله عز وجل وضل عنهم ما كانوا يفترون مما لا يحتمله فإنه للتدارك قطعا
فإن ما فيه من الضمائر الثلاثة للمشركين فيلزم التفكيك حتما وتخصيص كل نفس
بالنفوس المشركة مع عموم البلوى للكل يأباه مقام تهويل المقام والله سبحانه وتعالى أعلم

قل اي لاولئك المجترئين المشركين الذين حكيت احوالهم وبين ما يؤدي اليه اعمالهم
احتجاجا على حقيقة التوحيد هنالك وبطلان ما هم عليه من الاشراك من يرزقكم من
السماء والارض اي منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية
او من كل واحدة منهما توسعة عليكم   من لبيان كلمة من على حذف المضاف
اي من اهل السموات والارض ام من يملك السمع والابصار ام منقطعة وما فيها
من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن على طريقة الابطال بل على وجه
الانتقال وصرف الكلام عن الاستفهام الاول لكن على طريقة الاستفهام عنه
الى استفهام آخر تنبيها على كفايته فيما هو المقصود اي من يستطيع خلقهما وتسويتهما
على هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها
من ادنى شيء يصيبهما ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اي ومن يحيي ويميت
او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ومن يدبر الامر اي ومن
يلي تدبير امر العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور
الظاهرة بالذكر فسيقولون بلا تلعثم ولا تاخير الله اذ لا مجال للمكابرة لغاية
وضوحه والخبر محذوف اي الله يفعل ما ذكر من الافاعيل لا غيره فقل عند ذلك
تبكيتا لهم افلا تتقون الهمزة لانكار عدم الاتقاء بمعنى انكار الواقع كما في اتضرب
اباك لا بمعنى انكار الوقوع كما في أاضرب ابي والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه
الكلام اي أتعلمون ذلك فلا تتقون انفسكم عذابه الذي ذكر لكم بما
تتعاطونه من اشراككم به ما لا يشارككم في شيء مما ذكر من خواص الالهية فذلكم
لما تقدم اي ذلكم الذي اعترفتم باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله
تعالى الله خبره   تع ربكم اي مالككم ومتولي اموركم على الاطلاق بدل
منه او بيان له   تع   صفة له اي ربكم الثابت ربوبيته والمتحقق
الوهيته تحققا لا ريب فيه فماذا يجوز ان يكون الكل اسما واحدا قد غلب فيه
الاستفهام على اسم الاشارة وان يكون ذا موصولا بمعنى الذي اي ما الذي
بعد الحق اي غيره بطريق الاستعارة واظهار الحق اما لان المراد به غير
الاول واما لزيادة التقرير ومراعاة كمال المقابلة بينه وبين الضلال
والاستفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع ونفيه اي ليس غير الحق الا الضلال
الذي لا يختاره احد فحيث ثبت ان عبادته تعالى هو الحق بما ذكر من النعوت الجليلة
ثبت ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما
وانما سميت ضلالا مع كونها من اعمال الجوارح باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال
من الاعتقاد والرأي هذا على تقدير كون الحق عبارة عن الاول فالمراد بالضلال
هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا بعد الرب الحق الثابت ربوبيته الى الضلال

اي الباطل الضايع المضمحل وانما سمي بالمصدر مبالغة كانه نفس الضلال والضياع وهذا
انسب بقوله تع وضل عنهم ما كانوا يفترون في التفسير السابق فانى تصرفون استفهام
انكاري بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه
الانكار الى نفس الفعل لان كل موجود لا بد من ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا
فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني كما مر مرارا
والفاء لترتيب الانكار على ما قبله اي كيف تصرفون من الحق الذي لا محيد عنه وهو
التوحيد الى الضلال عن السبيل المستبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام او من عبادة
ربكم الحق الثابت الى عبادة الباطل الذي سمعتم ضلاله وضياعه في الآخرة وفي ايثار صيغة
المبني للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل
بارادته وانما يقع عند وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجي كذلك اي كما
حقت الربوبية لله تعالى او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون
عن الحق حقت كلمة ربك وحكمه وقضاؤه على الذين فسقوا اي تمردوا في الكفر وخرجوا
من اقصى حدوده انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة
بالعذاب قل هل من شركائكم احتجاج آخر على حقية التوحيد وبطلان الاشراك
باظهار كون شركائهم بمعزل من استحقاق الالهية ببيان اختصاص خواصها من بدء
الخلق واعادته به سبحانه وتعالى وانما لم يعطف على ما قبله ايذانا باستقلاله في
اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت هلية الحكاية الاعادة
وتحققها لوضوح مكانها وسنوح برهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت في سلكه حيث قيل
من يبدأ الخلق ثم يعيده ايذانا بتلازمهما وجودا وعلما يستلزم الاعتراف بها وان صدهم
عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من يفعل ذلك
له قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده اي هو يفعلهما لا غير كائنا من كان لا بان ينوب
عليه السلام عنهم في ذلك كما قيل لان القول المامور غير ما اريد منهم من الجواب وان
كان مستلزما له اذ ليس المسئول عنه من يبدأ الخلق ثم يعيده كما في   تع قل من رب
والارض قل الله حتى يكون القول المامور به عين الجواب الذي اريد منهم ويكون
عليه السلام نائبا عنهم بل انما هو من يقدر على البدء والاعادة من شركائهم فالجواب
المطلوب منهم لا لا غير نعم امر صلى الله عليه وسلم بان يضمنه مقالته ايذانا بتعينه
وتحتمه واشعارا بانهم لا يجترؤن على التصريح به مخافة التبكيت وإلقام الحجر لا مكابرة
ولجاجا فقدروا اعادة الجملة في الجواب بتمامها غير محذوفة الخبر كما في الجواب السابق لمزيد
التاكيد والتحقيق فانى تؤفكون الافك الصرف والقلب عن الشيء وقد يخص القلب
عن الرأي وهو الانسب بالمقام اي كيف تقلبون من الحق الى الباطل والكلام فيه كما
ذكر في تصرفون قل هل من شركائكم احتجاج آخر على ما ذكر الزاما لهم غب الزام واخانا

وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله من يهدي الى الحق اي بوجه من الوجوه
مما ان ادنى مراتب العبودية هداية المعبود لعبدته لما فيه صلاح امرهم واما تخيير طريق
الهداية وتخصيصه بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قبل
فمحل بما يقتضيه المقام من كمال التبكيت والالزام فان العجز عن الهداية وهدى
كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل باللام للدلالة على ان المنتهى غاية
الهداية وانها لم يتوجه نحو على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بها ما اسند
الى الله سبحانه حيث قل الله يهدي للحق اي هو يهدي له دون غيره وذلك
بما ذكر من نصب الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر
والتدبر وغير ذلك من فنون الهداية والهدايات والكلام في الامر بالسؤال
والجواب كما مر فيما مر افمن يهدي الى الحق وهو الله عز وجل احق ان يتبع امن لا يهدي
بكسر الهاء واصله يهتدي فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين بكسر
الياء اتباعا لها الحركة الهاء بفتح الهاء نقلا لحركة التاء اليها اي لا يهتدي
بنفسه فضلا عن هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان من اهتدى الى الحق
لا يخلو عن هداية غيره في الجملة وادناها كونه قدوة له بان يراه فيسلك مسلكه من حيث
لا يدري والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق من تحقق هدايته تعالى صريحا وعدم
هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المبني عن الجواب بالعدم فان ذلك
مما يضطرهم الى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما يقع في بعض المواقع
فان ذلك مختص بالانكاري كما في قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله ونحوه والهمزة متاخرة
في الاعتبار وانما تقديمها في الذكر لاظهار عراقتها في اقتضاء الصدارة كما هو
راي الجمهور حتى لو كان السؤال بكلمة اي لاخرت حتما الا يرى الى قوله تعالى فاي الفريقين
احق بالامن اثر تقرير ما يلجي المشركين الى الجواب من حالهم وحال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقرئ لا يهدي بمعنى لا يهتدي لمجيئه لازما او لا يهدي غيره
وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكي والتقدير امن
يهدي الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدي ام من لا يهدي احق الخ واما بمعنى حقيق كما اختاره
ابو حيان واياما كان فالاستفهام للالزام وان يتبع في حيز النصب او الجر بعد حذف الجار
على الخلاف المعروف اي بان يتبع الا ان يهدي استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا
يهتدي غيره في حال من الاحوال هدايته تعالى الى الاهتداء او الى هداية الغير وهذا
حال اشراف شركائهم من الملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام المعنى ام
من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله الله
تعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه وقرئ الا ان يهدي من التفعيل
للمبالغة فما لكم اي شيء لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء الله سبحانه وتعالى والاستفهام

للانكار

للانكار التوبيخي وفيه تعجيب من حالهم تعالى كيف تحكمون اي بما يقضي
صريح العقل ببطلانه انكار لحكمهم الباطل وتعجيب منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب
كلا الانكارين على ما ظهر من وجوب اتباع الهادي الى الحق ان قلت التبكيت بالالزام
السابق انما يظهر في حق من يعكس جوابه الصحيح فيحكم باحقية من لا يهدي بالاتباع
دون من يهدي وهم لم يبدوا حاكمين باحقية شركائهم لذلك دون الله سبحانه وتعالى
بل باستحقاقهما جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون شفعاؤنا عند الله
قلت حكمهم باستحقاقه تعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه
تعالى لذلك بطريق الاستقلال فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له دون
الله تعالى من حيث لا يحتسبون وما يتبع اكثرهم كلام مبتدأ غير داخل في حيز
الامر مسوق من قبله تعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون ما افحمهم والقمهم الحجر
من البرهان النير الموجب لاتباع الهدى الهادي الى الحق الناعي عليهم بطلان
حكمهم وعدم تاثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلا اي ما يتبع اكثرهم
في معتقداتهم ومحاوراتهم الا ظنا واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم
اصلا اي ما يتبع اكثرهم فضلا عن ان يسلكوا مسالك الادلة الصحيحة الهادية الى الحق
المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها ويقفوا على صحتها وبطلان
ما يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع مطلق
الاعتقاد الشامل لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير
اليه من ان لا يكون لهم في اثنائه اتباع لفرد من افراد العلم والتفات اليه ووجه
تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد يتبعون العلم فيقفون على
حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة اليهم
التاس من البرهان المزبور وان لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثر عذابا
من الفريق الاول لا يقدح فيما نبهم من تحوي الكلام عرفا من كون اولئك اسوأ
حالا من غيرهم اذ المعتبر سوء الحال من حيث الفهم والادراك لا من حيث الكفر
والعذاب او ما يتبع اكثرهم مدة عمرهم الا ظنا ولا يتركونه ابدا فان حرف النفي الداخل
على المضارع يفيد استمرار النفي بحسب المقام فالمراد بالاتباع هو الاذعان والانقياد
والقصر باعتبار الزيادة ووجه هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة المعاند منهم
في ذلك التاريخ بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سياتي هذا وقيل
المعنى وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله تعالى الا ظنا غير مستند الى برهان
عندهم وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها الهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع
فتامل الضمير في اكثرهم للناس فلا حاجة الى التكلف ان الظن لا يغني من الحق
من العلم اليقيني والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون

مفعولا به من الحق حالا منه والجملة استئناف ببيان شان الظن في بطلانه وفيه
دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد ان الله عليم
بما يفعلون وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكي عنهم من
الاعراض عن البراهين القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا اوليا وقرئ
تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد الوعيد وما كان هذا القران
شروع في بيان ردهم للقران الكريم اثر بيان ردهم للادلة العقلية المندرجة
في تضاعيف اي وما صح وما استقام ان يكون هذا القران المشحون بفنون الهدايات
المستوجبة للاتباع التي من جملتها هاتيك الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد
وبطلان الشرك ان يفترى من دون الله اي افتراء من الخلق اي مفترى منهم
سمي بالمصدر مبالغة ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المشهود على صدقها
اي مصدقا لها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصبه بانه
خبر كان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تعالى الخ
وقرئ بالرفع على تقدير المبتدا اي ولكن هو تصديق الخ وتفصيل الكتاب
عطف عليه نصبا ورفعا اي وتفصيل ما كتب واثبت من الحقائق والشرائع لا ريب
فيه خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان
كان مضافا اليه فانه مفعول في المعنى او استئناف لا محل له من الاعراب من رب العالمين
خبر اخر اي كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل او بالفعل المقدر
بهما ولا ريب فيه اعتراض كما في قولك زيد لا شك فيه كريم او حال من الكتاب او من
الضمير في فيه ومساق الاية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه
ام يقولون افتراه اي بل ايقولون افتراه محمد عليه السلام والهمزة لانكار
الواقع واستبعاده قل تبكيتا لهم واظهارا لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان
الامر كما تقولون فاتوا بسورة مثله اي في البلاغة وحسن الصياغة وقوة
المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا مني في النظم
والعبارة بسورة مثله على الاضافة اي بسورة كتاب مثله وادعوا
للمظاهرة والمعاونة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من الهتكم التي تزعمون
انها ممدة لكم في المهمات والملمات ومداركم الذين ترجعون الى ارائهم في كل ما تاتون
وما تذرون من دون الله متعلق بادعوا ودون جار مجرى اداة الاستثناء وقد
مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله اي ادعوا سواه تعالى من استطعتم
من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه من حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم
منه تعالى وكونهم في عدوة المضادة والمشاقة لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة فان
ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه ان كنتم صادقين اي في اني افتريته

فان ذلك

فان ذلك يستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم لقدرتكم عليه والجواب
محذوف لدلالة المذكور عليه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اضراب وانتقال عن اظهار
بطلان ما قالوا في حق القران العظيم بالتحدي الى اظهاره ببيان انه كلام ناشئ
عن جهلهم بشانه الجليل فما عبارة عن كله لا عما فيه من ذكر البعث والجزاء وما
يخالف دينهم كما فانه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله اي سارعوا
الى تكذيبه اثر ذي اثير من غير ان يتدبروا فيه ويقفوا على ما في تضاعيفه من الشواهد
الدالة على كونه كما وصف انفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون له نظير يقدر عليه
المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا من غير ان يحيطوا
بعلمه او نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموه الا بعنوان عدم العلم
به وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به لما ان ارادة الحكم على الموصول مشعرة
بعلية ما في حيز الصلة له ولما ياتهم تاويله عطف على الصلة او حال من الموصول اي
ولم يقفوا بعد على تاويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه الرائقة المنبئة عن علو شانه والتعبير
عن ذلك باتيان التاويل للاشعار بان تاويله متوجه الى الاذهان منساق اليها
بنفسه او لم ياتهم بعد تاويله ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق ام كذب
والمعنى ان القران معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجئوا
تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور
المستقبلة ونفي اتيان التاويل بكلمة لما الدالة على التوقع بعد نفي الاحاطة بعلمه بكلمة لم
لتاكيد الذم وتشديد التشنيع فان الشناعة في تكذيب الشيء قبل علمه المتوقع اتيانه افحش
منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى انه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع
المتوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعد وانهم استمروا عند ذلك ايضا على ما هم عليه
اولا فلا تعرض له ههنا والاستشهاد عليه بعدم انقطاع الذم او ادعاء ان قولهم افتراه
تكذيب بعد التدبر ناشئ من عدم التدبر كيف لا وهم لم يقولوا بعد التحدي بل قبله وايراد
كونه مسبوق التحدي الوارد في سورة البقرة يرده انها مدنية وهذه مكية وانما الذي
يدل عليه ما سيتلى عليك من قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم الخ تعالى كذلك
الى اخره وصف لحالهم الحكي وبيان لما يؤدي اليه من العقوبة اي مثل ذلك التكذيب المبني
على بادي الراي والمجازفة من غير تدبر وتامل كذب الذين من قبلهم اي فعلوا
التكذيب او كذبوا بما كذبوا من المعجزات التي ظهرت على ايدي انبيائهم او كذبوا انبياءهم
فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين من قبلهم من المكذبين وانما وضع المظهر
موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعلية الاصابة ما اصابهم من سوء
العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين في زمرتهم جرما ووعيدا ودخولا اوليا وقوله عز وجل
ومنهم الى اخره وصف لحالهم بعد اتيان التاويل المتوقع اذ حينئذ يمكن تنويعهم الى المؤمن

به وغير المومن ضرورة امتناع الايمان بشيء من غير علمكم به واشتراك في التكذيب
والكفر به قبل ذلك حسبما افاده تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي ومن
هؤلاء المكذبين من يؤمن به عند الاحاطة بعلمه واتيان تاويله وظهور حقيته بعد ما
سعوا في المعارضة وراوزوا قواهم فيها فتضاءلت دونها او بعد ما شاهدوا وقوع ما اخبر
كما اخبر به مرارا او معنى الايمان به اما الاعتقاد بحقيته فقط اي يصدق به في نفسه
ويعلم انه حق ولكنه يعاند ويكابر وهؤلاء الذين اشير اليهم بقصر اتباع الظن على اكثرهم
الى انهم يعلمون الحق على التفسير الاول كما اشير اليه فيما سلف واما الايمان الحقيقي اي
سيؤمن به ويتوب عن الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكور على التفسير الثاني الى انهم
سيتبعون الحق كما مر ومنهم من لا يؤمن به اي لا يصدق به في نفسه كما لا يصدق به
ظاهرا لفرط غباوته المانعة عن الاحاطة بعلمه كما ينبغي وان كان فوق مرتبته عدم الاحاطة
به اصلا او لسخافة عقله واختلال تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون
والاوهام التي الفها فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الاحاطة بالمرة
وهؤلاء الذين اريدوا فيما سلف بقوله عز وجل وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الاول
او لا يؤمن به فيما سياتي بل يموت على كفره معاندا كان او شاكا وهم المستمرون على اتباع
الظن على التفسير الثاني من غير اذعان للحق وانقياد له وربك اعلم بالمفسدين اي بكلا
الفريقين على الوجه الاول بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما في اصل الافساد المستدعي
لاشتراكهما في الوعيد وبالمصرين الباقين على الوجه الثاني من المعاندين والشاكين وان
كذبوك اي ان تموا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزام الحجة بالتحدي
فقل لي عملي ولكم عملكم اي تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء
والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار
الاتحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون تاكيد لما
افادة لام الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل الى غير عامله اي لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ
بعملكم ولما فيه من ايهام المتاركة وعدم التعرض انه منسوخ باية السيف ومنهم من
يستمعون اليك بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم وانما جمع الضمير
الراجع الى كلمة من رعاية لجانب المعنى كما افرد فيما ياتي محافظة على ظاهر اللفظ ولعل
ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة
وانتفاء الحجاب والظلمة اي ومنهم ناس يستمعون اليك عند قراءتك القرآن وتعليمك
للشرائع افانت تسمع الصم همزة الاستفهام انكارية والفاء عاطفة وليس الجمع بينهما لترتيب
انكار الاسماع على الاستماع كما هو رأي سيبويه والجمهور وعلى ان يجعل تقديم الهمزة على الفاء لا
لاقتضائها الصدارة كما تقدم في موضعه بل لانكار ترتبه عليه حسبما هو المعتاد لكن لا بطريق العطف
على الفعل المذكور لادائه الى اختلال المعنى لانه اما صلة واما صفة وايا ما كان فالعطف عليه يستدعي

دخوله المعطوف في حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك الحيثية ولا ريب في فساده بل
العطف على مقدر يفهم من فحوى النظم كانه قيل ايستمعون اليك فانت تسمعهم
لا انكار لاسماعهم فانه امر محقق بل انكارا لوقوع الاسماع عقيب ذلك وترتبه عليه
حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه ايضا كما ينبئ عنه وضع الصم موضع ضميرهم ووصفهم
بعدم العقل بقوله عز وجل ولو كانوا لا يعقلون اي ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم
لان الاصم العاقل ربما تفرس اذا وصل الى صماخه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع
والعقل جميعا فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلائل نبوتك الواضحة افانت
اي اعقيب ذلك انت تهديهم وانما قيل تهدي العمي تربية للانكار هدايتهم
وابرازا لوقوعها في معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل ولو كانوا لا يبصرون
اي ولو انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار
والعمدة في ذلك هي البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه
البصير الاحمق حيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب
لو في الجملتين محذوف لدلالة قوله تعالى تسمع الصم وتهدي العمي عليه وكل منهما معطوف
على جملة مقدرة مقابلة لها في النحوي كلتاهما في موضع الحال من مفعول الفعل السابق
اي افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون افانت تهدي العمي لو
كانوا يبصرون اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا
لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع
القوي فلان يتحقق عند عدمه او عند تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه النكتة
يدور ما في لو وان الوصليتين من التاكيد وقد مر الكلام في تعالى ولو كره
الكافرون ونظائره مرارا ان الله لا يظلم الناس اشارة الى ان ما حكي عنهم من عدم
هدايتهم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس لامر مستند الى
الله عز وجل من خلقهم مؤفي المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم اي لا ينقصهم
شيئا مما نيط به مصالحهم الدينية والدنيوية وكمالاتهم الاولوية والاخروية
من مبادي ادراكهم واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة والارشاد
الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير اخلال بشيء اصلا
ولكن الناس وقرئ بالتخفيف ورفع الناس وضع الظاهر موضع الضمير لزيادة
تعيين وتقرير اي لكنهم بعدم استعمال مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم عن قبول
دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب انفسهم يظلمون اي ينقصون ما ينقصون مما
يخلون به من مبادي كمالهم وذرائع اهتدائهم وانما لم يذكر لما ان مرمى الغرض انما
هو قصر الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع
كونه تفويتا بالكلية وابطالا بالمرة لمراعاة جانب قرينة عز وجل انفسهم

اما تاكيد للنابس فيكون بمنزلة ضمير الفصل في تعالي وما ظلمناهم ولكن
كانوا هم الظالمين في قصر الظالمية عليهم واما مفعول ليظلمون حسبما وقع في سائر
المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الي قصر
المظلومية عليهم علي راي من لا يري التقديم موجبا للقصر فيكون كما في
سبحانه وتعالي وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم لا علي الفاعل
ولا علي المفعول واما علي راي من يراه موجبا له فلعل ايثار قصرها دون قصر
الظالمية عليهم للمبالغة في بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم لما ان افتح
الامرين عند اتحاد الفاعل والمفعول واشدهما انكارا عند العقل وانفرهما لدي
الطبع واوجبهما حذرا منه عند كل احد هو المظلومية لا الظالمية علي ان قصر
الاولي عليهم مستلزم لما يقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة عليهم
انه اذا لم يظلم احدا من الناس الا نفسه يلزم ان لا يظلم الا نفسه اذ لو ظلمه غيره يلزم
كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم نفسه احد الا فاكتفي بالقصر
الاول عن الثاني مع رعاية ما ذكر من الفايدة وصيغة المضارع للاستمرار نفيا واثباتا
فان حرف النفي اذا دخل علي المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفي لا نفي
الاستمرار الا تري ان قولك ما زيدا ضربت يدل علي اختصاص النفي لا علي نفي الاختصاص
وسياق الاية الكريمة لالزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال
والمثبت للاستمرار والمعني ان الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيمة شيا من الظلم
ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم المستمرة للسيات الموجبة
للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم وعلي الوجهين فالاية الكريمة تذييل لما سبق ويوم
يحشرهم منصوب بمضمر وقري بالنون علي الالتفات اي اذكر لهم او انذرهم
يوم يحشرهم كان لم يلبثوا اي كانهم لم يلبثوا الا ساعة من النهار اي شيا قليلا ولا
جل قليلا منه فانها مثل في غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا
من ساعات الليل والجملة في موقع الحال من ضمير المفعول اي يحشرهم مشتبهين في
احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب في نعيمها الا ذلك
القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع عنها بها ولا يخلوا عن بعض اثار نعمة واحكام
بهجة منافية لما بهم من رثاثة الهيئة وسوء الحال او بمن لم يلبث في البرزخ الا ذلك
المقدار ففايدة التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة الي قدرته تعالي ولو بعد دهر
طويل واظهار بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم اءذا متنا وكنا ترابا وعظاما
اءنا لمبعوثون ونحو ذلك او بيان تمام الموافقة بين النشاتين في الاشكال والصور
فان قلة اللبث في البرزخ من موجبات عدم التبدل والتغير فيكون
عز وعلا يتعارفون بينهم بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول العهد ينقلب تناكرا

وفي الاول يكون استينافا اي يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتعارفوا الا قليلا وذلك
اول ما خرجوا من القبور اذ هم حينئذ علي ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم
ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة
للصور والاشكال المبدلة لها من حال الي حال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
شهادة من الله سبحانه وتعالي علي خسرانهم وتعجب منه وقيل حال من ضمير
يتعارفون علي ارادة القول والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمار
لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لما اصابهم والمراد بلقاء الله تعالي ما كان
مطلق الحساب والجزاء وحسن اللقاء فالمراد بالخسران الوضيعة والمعني ومنعوا في
تجاراتهم ومعاملاتهم واشتراءهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدي ومعني
قوله تعالي وما كانوا مهتدين ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين
لطرقها وان كان سوء اللقاء فالخسار الهلاك والضلال اي تدضلوا وهلكوا بتكذيبهم
وما كانوا مهتدين الي طريق النجاة واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معني
الشرط ومن ثمه اكد الفعل بالنون اي بنصرنك بان تظهر لك بعض الذي نعدهم
اي وعدناهم من العذاب ونعجله في حياتك فتراه والعدول الي صيغة الاستقبال
لاستحضار الصورة او للدلالة علي التجدد والاستمرار اي نعدهم وعدا متجددا حسبما
يقتضيه الحكمة من انذار عقيب انذار وفي تخصيص البعض بالذكر رمز الي العدة باراءة
بعض الموعود وقد اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم اي كيفما دارت
الحال اريناك بعض ما وعدناهم او لا فالينا مرجعهم في الدنيا والاخرة فننجز ما وعدناهم
البتة وقيل المذكور جواب للشرط الثاني كانه قيل فالينا مرجعهم فنريكه في
الاخرة وجواب الاول محذوف لظهوره اي فذاك ثم الله شهيد علي ما يفعلون من الافعال
السية التي حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبته تعالي
اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال الروعة
وتربية المهابة وتاكيد التهديد وقري ثمة اي هنالك ولكل امة من الامم
الخالية رسول يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الي الحق
فاذا جاء رسولهم بلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه قضي بينهم اي بين
كل امة ورسولها بالقسط بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمومنين به وهلاك
المكذبين كقوله تع وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا وهم لا يظلمون في ذلك
القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتايج اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم القيمة
رسول تنسب اليه وتدعي به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان
كقوله تع وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متي هذا الوعد استعجالا
لما وعدوا من العذاب علي طريقة الاستهزاء به والانكار حسبما يرشد اليه الجواب

لا طالبا لتعيين وقت مجيئه على وجه الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اي
في انه يأتينا والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون عليهم الايات
المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط محذوف اعتمادا على ما تقدم حسبما حذف
في مثل قوله تعالى فائت بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان الاستعجال في قوة الامر
بالاتيان عجلة كانه قيل فائتنا عجلة ان كنتم من الصادقين فان الاستعجال
في قوة الامر ولما فيه من الاشعار بكون اتيانه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم
قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا اي لا اقدر على شيء منهما بوجه من الوجوه وتقديم
الضر لما ان مساق النظم لاظهار العجز عنه واما ذكر النفع لتوسيع الدائرة تكملة
للعجز وما وقع في سورة من تقديم النفع للاشعار باهميته والمقام مقامه والمعنى اني لا
املك شيئا من شؤوني ردا وايرادا مع ان ذلك اقرب حصولا فكيف املك شؤونكم
حتى اتسبب في اتيان عذابكم الموعود الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء
الله كائن وحمله على الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه يأباه مقام التبرؤ عن
ان يكون له عليه السلام دخل في اتيان الوعد فان ذلك يستدعي بيان كون المتنازع فيه
مما لا يشاء الله ان يملكه عليه السلام وجعل ما عبارة عن بعض الاحوال المعلومة المعهودة
المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى لا املك لنفسي شيئا
من الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع المترتبين على الافعال
الاختيارية كالضر والنفع المترتبين على الاكل والشرب عدما ووجودا ظاهر وقوله
تعالى لكل امة اجل بيان لما ابهم في الاستثناء وتقييد لما في القضاء السابق
من الاطلاق المشعر بكون المقضي به منجزا غير متوقف على شيء غير مجيء الرسول
وتكذيب الامة اي لكل امة امة ممن قضي بينهم وبين رسولهم اجل معين غير متوقف خاص
بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب لعذابهم يحل بهم عند حلوله اذا جاء اجلهم ان جعل
الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه ظاهر وان اريد به ما امتد اليه من الزمان
فمجيئه ظاهر وان اريد به ما امتد اليه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هناك
يتحقق مجيئه بتمامه والضمير ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا
اليه لافادة المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها
بعينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيد بعد الجمعية كانه قيل
اذا جاءهم اجلهم بان يجيء كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل خاصة كما هو
الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال
التعيين اي اذا جاء اجلها الخاص بها فلا يستأخرون عن ذلك الاجل ساعة اي شيئا
قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اي لا يتأخرون عنه اصلا وصيغة الاستفعال
للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اي لا يتقدمون عليه وهو عطف

على يستأخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتأخر بل للمبالغة في
انتفاء التأخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله تعالى وليست التوبة للذين
يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم
كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له رأسا قد نظم في عدم قبول التوبة في
سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة حينئذ وعدمها
بالمرة كما في سورة الاعراف وقد جوز ان يراد بمجيء الاجل دنوه بحيث يمكن التقدم
في الجملة كمجيء اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة معينة منه لكن ليس في تقييد عدم
الاستئخار بدنوه مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستئخار على بيان انتفاء الاستقدام
لان المقصود الاهم بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتأخر واما
ما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون من سبق السبق في الذكر
فلما ان المراد هناك بيان سر تأخير عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه
قوله عز وجل ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم اذ ذاك
بيان انتفاء السبق كما ذكر هناك قل لهم غب ما بينت كيفية جريان سنة الله عز وجل
فيما بين الامم على الاطلاق ونبهتهم على ان عذابهم امر مقرر محتوم لا يتوقف الا على
مجيء اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا منزلة اتيانه حقيقة ارأيتم اي اخبروني
ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا اي وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا
اي عند اشتغالكم بمشاغلكم حسبما عين لكم من الاجل بمقتضى المشيئة التابعة للحكمة كما عين
لسائر الامم المهلكة تعالى ماذا يستعجل منه المجرمون جواب للشرط بحذف
الفاء كما في قولك ان اتيتك ماذا تطعمني والمجرمون موضوع موضع المضمر لتأكيد الانكار
ببيان منافاة حالهم للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك فزعا من اتيان العذاب فضلا
عن استعجاله والجملة الشرطية متعلقة بأرأيتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى
اي شيء تستعجلون منه سبحانه والتي لا يمكن استعجاله بعد اتيانه والمراد به المبالغة في
انكار استعجاله باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد
اتيانه بناء على تنزيل تقرر اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار
بمنزلة النهي في عز وعلا اتى امر الله فلا تستعجلوه خلا ان التنزيل هناك
صريح وهنا ضمني كما في قول من لغريمه الذي يتقاضاه حقه ارأيت ان
اعطيتك حقك فماذا تطلب مني يريد المبالغة في انكار التقاضي بنظمه في سلك
سلك التقاضي بعد الاعطاء بناء على تنزيل تقرره منزلة نفسه عز وجل
اثم اذا ما وقع آمنتم به انكار لايمانهم بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع
ما قبله من انكار استعجالهم به بعد اتيانه حكما تحت القول المأمور به اي ابعد ما وقع
من العذاب وحل بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكارا للتأخير الى هذا الحد

وابدا انا باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من العناد ويتوجهوا نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للقصر ماذا يستعجلون متعلق بارايتم وجواب الشرط محذوف اي تندموا على الاستعجال او تعرفوا اخطاه والشرطية اعتراض مقرر لمضمون الاستخبار الجواب ثم اثم اذا ما وقع الخ والاستفهامية الاولى اعتراض والمعنى اخبروني ان اتيكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ثم جي بكلمة التراخي دلالة على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وجي باذا موكدا بما ترشيحا لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل وانهم لم يومنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة وقوله تعالى الآن استيناف من جهته تعالى غير داخل تحت القول الملقن سوق لتقرير مضمون ما سبق على ارادة القول اي قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب الآن امنتم به انكارا للتاخير وتوبيخا عليه ببيان انه لم يكن ذلك لعدم سبق الانذار به ولا للتامل والتدبر في شانه وكي الحزم بما يجب بعد عدم نفي التاخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال على وجه الاستهزاء الآن بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام

تعالى وقد كنتم به تستعجلون اي تكذيبا واستهزاء جملة وقعت حالا من فاعل امنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم والتحسير وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر تعالى ثم قيل الى اخره تاكيد للتوبيخ والعقاب بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل الآن للذين ظلموا اي وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق او ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته للاصابة بما اصابهم ذوقوا عذاب الخلد المولم على الدوام هل تجزون اليوم الا بما كنتم تكسبون في الدنيا من اصناف الكفر والمعاصي التي من جملتها ما مر من الاستعجال ويستنبئونك اي يستخبرونك فيقولون على طريق الاستهزاء والانكار احق هو احق خبر قدم على المبتدا الذي هو الضمير للاهتمام به ويؤيده قوله تعالى انه لحق او مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة في موضع النصب بيستنبئونك الحق هو تعريضا بانه باطل كانه

اي من قبيل

اهو الحق لا الباطل او هو الذي سميتموه الحق قل لهم غير ملتفت الى استهزائهم مغضيا عما قصدوا ابانيا للامر على اساس الحكمة اي وربي اي من حروف الايجاب بمعنى نعم في القسم خاصة كما ان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواو انه اي العذاب الموعود لحق لثابت البتة اكد الجواب باتم وجوه التاكيد حسب شدة انكارهم وقوته وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله عز اسمه وما انتم بمعجزين اي بفائتين العذاب

بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو اما عطف على جواب القسم او مستانف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير او غير ذلك من اصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيده كون الصفة فعلا ما في الارض اي ما في الدنيا من خزائنها واموالها ومنافعها قاطبة اي الكثرت لافتدت به اي لجعلته فدية لها من العذاب من افتدا به بمعنى فداه واسروا اي النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى صيغة الجمع مع تحقق العموم في صورة الافراد ايضا لافادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع ما في الارض لكل واحد من النفوس وايثار صيغة جمع المذكر لما انه لم يحمل لفظ النفس على التخصيص والتغليب ذكور مدلوله على انا الندامة على ما فعلوا من الظلم اي اخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا لما راوا العذاب اي عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الاهوال ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا على ان ينطقوا بشيء فلما بمعنى حين منصوب باسروا او حرف شرط حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه اسرها رؤساؤهم من اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم ولكن الامر اشد من ان يعتريهم هناك شيء غير خوف العذاب اسروا الندامة اخلصوها لان اسرارها اخلاصها او لان سر الشيء خالصه حيث تخفى وتضن بها ففيه تهكم بهم اظهروا الندامة من قولهم اسر الشيء واشره اي اظهره حين عيل صبره وفني تجلده وقضي بينهم اي وقع القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم بان اظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه او من حقوق العباد من الباطل وعومل اهل كل منهما بما يليق به بالقسط بالعدل وتخصيص الظلم بالتعدي وحمل القضاء على مجرد الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير ان يتعرض لحال المشركين وهم اظلم الظالمين لا يساعده المقام بان تقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك او عما يدخل فيه دخولا اوليا وهم اي الظالمون لا يظلمون فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه الضرورية الا ان لله ما في السموات والارض اي ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الاشيا وبيان لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيفما يشاء ايجادا واعداما واثابة وعقابا الا ان وعد الله اظهار الاسم الجليل لتفخيم شان الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود اي جميع ما وعد به كائنا ما كان فيندرج فيه العذاب الذي استعجلوه في اثناء بيان حالهم اندراجا اوليا او بمعناه

المصدري أي وعده بجميع ما ذكر فمعنى قوله تعالى حق على الأول ثابت واقع لا محالة
وعلى الثاني مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرف التنبيه والتحقيق للتسجيل
على تحقق مضمونها المقرر لمضمون ما سلف من الآيات الكريمة والتنبيه على وجوب
استحضاره والمحافظة عليه ولكن أكثرهم لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم
والفهم بأحوالهم المحسوسة المعتادة لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون ويفعلون
ما يفعلون هو يحيي ويميت في الدنيا من غير دخل لأحد في ذلك وإليه ترجعون
في الآخرة بالبعث والحشر يا أيها الناس التفات ورجوع إلى استمالتهم نحو الحق
واستنزالهم إلى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلي عليهم
من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وإيذان بأن جميع ذلك مسوق لمصالحهم
ومنافعهم قد جاءتكم موعظة هي الوعظ والعظة التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر
والترهيب أو بالاستمالة والترغيب وكلمة من في قوله تعالى من ربكم ابتدائية متعلقة
بجاءتكم أو تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة أي موعظة كائنة من مواعظ
ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين أي كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فإنه كاشف عن أحوال
الأعمال حسناتها وسيئاتها مرغب في الأولى ورادع عن الأخرى ومبين للمعارف
الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الأدواء القلبية كالجهل والشرك والشك والنفاق
وغيرها من العقائد الزائغة وهاد إلى طريق الحق واليقين بالإرشاد إلى الاستدلال
بالدلائل المنصوبة في الآفاق والأنفس وفي تحيته رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمة
الكفر والضلال إلى نور الإيمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا إلى درجات
الجنان والتنكير في الكل للتفخيم قل تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليأمر الناس بأن يغتنموا ما في مجيء القرآن العظيم من الفضل والرحمة بفضل الله
وبرحمته المراد بهما إما ما في مجيء القرآن من الفضل والرحمة وإما الجنس وهما داخلان
فيه دخولا أوليا والباء متعلقة بمحذوف وأصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير
الباء في رحمته للإيذان باستقلالها في استيجاب الفرح ثم قدم الجار والمجرور على الفعل
لإفادة القصر ثم أدخل عليه الفاء لإفادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته
فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتأكيد والتقرير ثم حذف الفعل الأول لدلالة
الثاني عليه والفاء الأولى جزائية والثانية للدلالة على السببية والأصل إن فرحوا
بشيء فبذلك فليفرحوا لا بشيء آخر ثم أدخل الفاء للدلالة على السببية ثم حذف الشرط
ومعنى البعد في اسم الإشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله ورحمته ويجوز أن يراد
بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز أن يتعلق الباء بجاءتكم أي جاءتكم
موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك أي فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا

وقرأ أبي فافرحوا وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله
وبرحمته فقال بكتاب الله والإسلام فضله الإسلام ورحمته ما وعد عليه
هو أي ما ذكر من فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا وقرئ
تجمعون أي فبذلك فليفرحوا المؤمنون هو خير مما تجمعون أيها المخاطبون قل
أرأيتم أي أخبروني ما أنزل الله لكم من رزق ما منصوبة المحل بما بعدها أو بما
قبلها واللام للدلالة على أن المراد بالرزق ما حل لهم وجعله منزلا لأنه مقدر
في السماء محصل هو أو ما يتوقف عليه وجودا أو بقاء بأسباب سماوية من المطر والكواكب
في الإنضاج والتلوين فجعلتم منه أي جعلتم بعضه حراما أي حكمتم بأنه حرام
وحلالا أي وجعلتم بعضه حلالا لا أي حكمتم بحله مع كونه كله حلالا وذلك قولهم
هذه أنعام وحرث حجر الآية وقولهم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم
على أزواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور أثر الجعل فيه ودوران التوبيخ عليه قل
تكرير لتأكيد الأمر بالاستخبار أي أخبروني آلله أذن لكم في ذلك الجعل فأنتم فيه
ممتثلون بأمره تعالى أم على الله تفترون أم متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت
لتحقق العلم بالشق الأخير قطعا كأنه أم لم يأذن لكم بل تفترون عليه
سبحانه فأظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افترائهم وتأكيدا للتبكيت
إثر تأكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز أن يكون الاستفهام للإنكار وأم منقطعة
ومعنى بل فيها للإضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بإنكار الإذن إلى ما يفيده
همزتها من التوبيخ على الافتراء عليه سبحانه وتقريره وتقديم الجار والمجرور على هذا
يجوز أن يكون للقصر كأنه قيل بل أعلى الله تعالى خاصة تفترون وما ظن الذين
يفترون على الله الكذب كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه غير داخل
تحت القول المأمور به والتعبير عنهم بالموصول في موقع الإضمار لقطع احتمال الشق
الأول من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع أن الافتراء لا يكون
إلا كذبا لإظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه كذبا في اعتقادهم أيضا وكلمة ما استفهامية
وقعت مبتدأ وظن خبرها ومفعولاه محذوفان عز وجل يوم القيامة
ظرف لنفس الظن أي أي شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الأفعال والأقوال
والمجازاة عليها مثقالا مثقالا والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به ما يصنع
بهم يومئذ هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الأمور التي ستقع يوم القيامة
تنزيلا له ولما فيه من الأحوال لكمال وضوح أمره في التقرر والتحقق منزلة المسلم
عندهم أي أي شيء ظنهم لما سيقع يوم القيامة أيحسبون أنهم لا يسألون عن افترائهم أو لا
يجازون عليه أو يجازون جزاء يسيرا ولأجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا إنهم لفي
أشد العذاب لأن معصيتهم أشد المعاصي ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا وقرئ

على لفظ الماضي أي أي ظن ظنوا يوم القيمة وايراد صيغة الماضي لانه كاين فكانه
قد كان إن الله لذو فضل اي عظيم لا يكتنه كنهه على الناس اي جميعا حيث انعم
عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال
الرسل وبين لهم الاسرار التي لا تستقل العقول في ادراكها وارشدهم الى ما يهمهم
من امر المعاش والمعاد ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم
ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما
لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيمة فلا يلتفتون اليه
فيقعون فيما يقعون فيه فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وما تكون في شان اي في
امر من شان شأنه اي قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول وما تتلو منه الضمير
للشان والظرف صفة لمصدر محذوف اي تلاوة كاينة من الشان اذ هي معظم
شؤونه عليه السلام او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شانه ومن ابتدائية او تبعيضية
او لله عز وجل ومن ابتدائية والتي في قوله تع من قران مزيدة لتاكيد النفي او ابتدائية
على الوجه الاول وبيانية او تبعيضية على الثاني والثالث ولا تعملون من عمل
تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمقتدى الكل وقد روعي في كل من المقامين ما يليق به
حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير
الا كنا عليكم شهودا استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلثة اي
ما تلابسون بشيء منها في حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين
له اذ تفيضون فيه اي تخوضون وتندفعون فيه واصل الافاضة الاندفاع بكثرة
او بقوة وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة المستمرة الدايمة المقارنة للزمان الماضي
ايضا اوثر في الاستثناء صيغة الماضي وفي الظرف كلمة اذ التي تفيد المضارع معنى الماضي
وما يعزب عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية
من الاشعار باللطف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاء من مثقال ذرة كلمة من
مزيدة لتاكيد النفي اي ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل نملة صغيرة او هباء في
الارض ولا في السماء اي في دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما
ممكنا ليس في احدهما او متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود
اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى بتفاصيلها ولا اصغر من ذلك
ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها
وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل
الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا كانه قيل
لا يعزب عن ربك شيء ما لكن جميع الاشياء في كتاب مبين فكيف يعزب عنه شيء منها
ويجوز ان يكون الاستثناء متصلا ويعزب بمعنى يبين ويصدر والمعنى

لا يعزب

لا يصدر عنه تع شيء الا وهو في كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ الا
ان اولياء الله بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة لاعمال المومنين وغاية
لما ذكر قبله من كونه تعالى مهيمنا على نبيه عليه السلام وامته في كل ما ياتون وما
يذرون واحاطة علمه سبحانه بجميع ما في السماء والارض وكون الكل مثبتا في الكتاب
المبين بعد ما اشير الى فظاعة حال المفترين على الله تع يوم القيمة وما سيعتريهم
من الهول اشارة اجمالية على طريق التهديد والوعيد وصدرت الجملة بحرف
التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي لغة القريب والمراد باولياء الله
خلص المومنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم
لا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي
لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار
الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصار الجد والسعي في
اقامة حقوق الله العبودية من خصايص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما
لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا
من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام
وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله ونيل رضوانه المستتبع
للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد
بالنسبة اليه تعالى واما ما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول
والفوات فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا
من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها وقوله عز وجل الذين امنوا اي بكل ما جاء
من عند الله تعالى وكانوا يتقون اي يقون انفسهم عما يحق وقايتها عنه من
الافعال والتروك وقاية دايمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل
بيان وتفسير لهم واشارة الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستيناف المبني على السوال
ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف كانه   من اولئك وما
سبب فوزهم بتلك الكرامة   هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى
المفضيين الى كل خير المنجيين عن كل شر   محله النصب والرفع على المدح
وعلى انه وصف مادح للاولياء ولا يقدح في ذلك توسط الخبر والمراد
بالتقوى المرتبة الثالثة منها الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك
التي يفيدها الايمان ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يوثم من فعل وترك
اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهي التقوى
الحقيقي المامور به في قوله تع يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل
الشهود والحضور والقرب الذي يدور عليه اطلاق الاسم عليه وهكذا كان حال

كل من دخل معه عليه الصلاة والسلام تحت الخطاب بقوله عز وعلا ولا تعملون من
عمل خلا ان لهم في شان التبتل والتنزه درجات متفاوتة حسب تفاوت درجات
استعداداتهم الفايضة عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى
اليه همم الانبيا عليهم السلام حتى جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية ولم يعقهم
التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق في عالم الارواح ولم تصدهم الملابسة
بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المويدة
بالقوة القدسية فلاك امر الولاية هو التقوى المذكور فاولياء الله تعالى هم المومنون
المتقون ويقرب منه ما قيل من انهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام
بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين تولى الله هدايتهم
بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى من انهم الذين يذكر الله برويتهم اي
بسمتهم واخباتهم وسكينتهم ولا ما   من انهم المتحابون في الله لما
عن عمر رضي الله عنه انه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا
ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول
الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام
بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون
اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة المذكرة
لله تعالى والتحاب في الله سبحانه من الاحكام الدنيوية اللازمة للايمان والتقوى الا انا
الخاصة بهما الحقيقة بالتخصيص بالذكر لظهورها وقربها من افهام الناس وقد اورد
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا من ذلك حسبما يقتضيه مقام الارشاد والتذكير عنيا
للسائلين وغيرهم من الحاضرين بما خصه بالذكر هناك من احكامهما فلعل الحاضرين
او لاكانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس في نحو
ذلك الحاضرين ثانيا محتاجين الى تاليف قلوبهم وعطفها نحو المومنين الذين لا علاقة
بينهم وبينهم من جهة النسب والقرابة وتاكيد ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم
شانها ورفعة مكانها وحسن عاقبتها ليراعوا حقوقها ويهجروا من لا يواصلهم في الدين
من ارحامهم واما ما ذكر من انه يغبطهم الانبياء فمنصوص لحسن حالهم على طريقة
التمثيل قال الكواشي وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هولاء
اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله
عز وجل الذين امنوا وكانوا يتقون تفسيرا لتوليهم اياه تعالى وقوله عز وعلا
لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة تفسيرا لتوليه تعالى اياهم ولا ريب في ان
القيد الاخير في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المومنين في تحصيلها
والثبات عليها وبشارتهم باثارها ونتايجها بل مخل بذلك اذ التحصيل انما يتعلق
بالمقدور

بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بما علم وجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم
حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية
بتحصيله ولا بمعلوم لهم عند حصوله ويستبشروا بمحاسن اثارها بل التولي بالكرامة
عين نتيجة فاعتباره في عنوان الموضوع ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق
بشان التنزيل الجليل فالذي يقتضيه نظمه الكريم ان الاول تفسير للاوليا حسبما
شرح والثاني بيان بما اولهم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما
ومكارههما والجملة مستانفة كما سبق كانه   قيل لهم وراء ذلك من نعمة
وكرامة   لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الاول لما ان التخلية سابقة على
التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة من حسن حال المومنين وسوء حال
المفترين وتعجيل ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان السابق
بين بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب فيهما لاظهار الكمال العناية
بتفسير الاوليا مع الايذان بان انتفاء الخوف والحزن لانتهابهم عما يودي اليهما
من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح
والغنيمة وغير ذلك والاجلة الغنية عن البيان وايثار الابهام والاجمال للايذان
بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه والعامل في الخبر
معنى الاستقرار اي لهم البشرى حال كونها في الحيوة الدنيا وحال كونها في الاخرة
اي عاجلة واجلة او من الضمير المجرور اي حال كونهم في الحيوة الخ ومن البشرى العاجلة
الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس عن ابي ذر رضي الله عنه قلت يا رسول
الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عليه السلام تلك عاجل بشرى المومن
هذا   البشرى مصدر والظرفان متعلقان به واما البشرى في الدنيا
فهي البشارات الواقعة للمومنين المتقين في غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي
صلى الله عليه وسلم هي الرويا الصالحة يراها المومن او ترى له وعنه عليه الصلوة
والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم
الملايكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملايكة بالرحمة الا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملايكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز
والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحايف بايمانهم وما يقرؤون منها
وغير ذلك من البشارات فيكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والاجلة
المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات
الى وسايلها مما لا يليق بجلالة شان التنزيل الكريم لا تبديل لكلمات الله لا تغيير
لاقواله التي من جملتها مواعيده الواردة بشارة للمومنين المتقين فيدخل فيها البشارات
الواردة ههنا دخولا اوليا ويثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون

المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها
وبين ما دل على بشرتها ووقوعها فيما سيأتي بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر
ذلك اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين هو الفوز العظيم الذي لا فوز
وراءه وفيه تفسير لما ابهم فيما سبق وهاتيك الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق
المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله او هذه
تذييل والسابقة اعتراض ولا يحزنك قولهم تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما
كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشئة من مقالاتهم الموحشة وتبشير له عليه السلام
بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان لهم ولاتباعه امنا من كل محذور وفوزا
كل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزن وهو في الحقيقة نهي له عليه السلام
عن الحزن كانه   لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال
امرك وسائر ما يتفوهون به في شانك مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم للمبالغة
في نهيه عليه السلام عن الحزن لما ان النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا وتخصيص
النهي عن الحزن بالايراد مع شمول النهي السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن فيه عليه السلام
شائبة خوف حتى ينهى عنه وربما كان يعتريه عليه السلام في بعض الاوقات نوع حزن
فسلي عن ذلك وقوله تعالى ان العزة تعليل للنهي على طريق الاستئناف اي الغلبة والقهر
لله جميعا اي ملكه وسلطانه لا يملك احد شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم
ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان كذلك فهي من جملة المبشرات العاجلة وقرئ
بفتح ان على صريح التعليل اي لان العزة لله جميعا هو السميع العليم يسمع ما يقولون في
حقك ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في
الارض اي العقلاء من الملائكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة
الى التصريح بغيرهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت
قدرته وملكته فما عداهم من الموجودات اولى بذلك وهو مع ما فيه من التاكيد لما سبق
من اختصاص العزة بالله تعالى الموجب لسلوته عليه السلام وعدم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم
تمهيد لما لحق من قوله تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء وبرهان على بطلان
ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما اما نافية وشركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف لظهوره اي
ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء في الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر
على احدهما لظهور دلالته على الاخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون
مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله تعالى ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا
انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة على من كانه   ولله ما يتبعه
الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذكر مع دخولهم فيما سبق
عبارة او دلالة للمبالغة في بيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوا عليه من ظنهم شركاءهم

معبوديهم

معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه واما استفهامية اي واي شيء يتبعون اي لا يتبعون
شيئا ما يتبعون الا الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها
الخ وقرئ تدعون بالتاء والاستفهام للتبكيت والتوبيخ كانه   واي
شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين تقريرا لكونهم متبعين لله تعالى
مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم في ذلك كقوله تعالى اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل ان يتبع
هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق وان هم
الا يخرصون يكذبون فيما ينسبونه اليه سبحانه ويحزرون ويقدرون انهم شركاء
تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على
تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق
العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح
عن اختصاص العزة به سبحانه والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والا
فلكم مفعوله الثاني من الجملة الثانية كما ان العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا
على ما في الاولى والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا لتتحركوا فيه لمصالحكم كما يجيء نظيره في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا
كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الاية فحذف في كل واحد من
الجانبين ما ذكر في الاخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار
مجازي كالذي في نهاره صائم ان في ذلك اي في جعل كل منهما كما وصف او فيهما
وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه وعلو رتبته
لآيات اي عجيبة كثيرة او آيات اخر غيرهما ذكر لقوم يسمعون اي هذه الآيات
المتلوة ونظائرها المنبهة على تلك الآيات التكوينية الآمرة بالتأمل فيها سماع تدبر
واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل
لما انهم المنتفعون بها قالوا شروع في ذكر ضرب آخر من اباطيلهم وبيان بطلانه
اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجيب من كلمتهم
الحمقاء هو الغني على الاطلاق عن كل شيء في كل شيء وهو علة لتنزهه سبحانه وايذان
بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة وقوله عز وجل له ما في السموات وما في الارض
اي من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق لمالكيته تعالى لكل ما سواه وقوله
تعالى   من سلطان اي حجة بهذا اي بما ذكر من قولهم الباطل توضيح
لبطلانه بتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان الساطع عن المعارض فمن في من سلطانه
زائدة لتاكيد النفي وهو مبتدا والظرف المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل للظرف لاعتماده
على النفي وهذا متعلق اما بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع صفة

له وَاما بما في عندكم من معنى الاستقرار كانه ان عندكم في هذا القول
من سلطان والالتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة في الالزام والافحام تاكيد لما في
قوله تعالى اتقولون على الله ما لا تعلمون من التوبيخ والتقريع على جهلهم واختلاقهم وفيه
تنبيه على ان كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وان العقائد لا بد لها من برهان
قطعي وان التقليد بمعزل من الاعتداد به قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم سوء مغبتهم ووخامة عاقبتهم ان الذين يفترون على
الله الكذب اي في كل امر فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك
اليه سبحانه دخولا اوليا لا يفلحون اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب
اصلا وتخصيص عدم النجاة والفوز بما يندرج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم
الفوز بالجنة لا يناسبه مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه متاع في
الحيوة الدنيا كلام مستانف سيق لبيان ان ما يتراءى فيهم بحسب الظاهر من نيل
المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على الاطلاق او في ضمن افترائهم بمعزل
من ان يكون من جنس الفلاح كانه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة ونعيم
فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة
عن المكروه ايضا بقوله عز وعلا ثم الينا مرجعهم اي بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد
بما كانوا يكفرون فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا
فاين هم من الفلاح والمبتدا المحذوف حيوتهم او تقلبهم ونحوه وقيل
انه افتراؤهم ولا يخفى ان المتاع انما يطلق على ما يكون مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه
في نفسه يتمتع وينتفع وانما عدم الاعتداد به لسرعة زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه
اقبح القبائح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا عندها وعده كذلك باعتبار اجراء
حكم ما يؤدي اليه من رياستهم عليه مما لا وجه له فالوجه ما ذكر اولا وليس ببعيد ان
ان المحذوف هو الخبر اي لهم متاع والاية اما مسوقة من جهة الله سبحانه لتحقيق عدم افلاحهم
غير داخلة في الكلام المامور به كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى ثم الينا وقوله تعالى ثم نذيقهم
واما داخلة فيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مامور بنقله وحكايته عنه عز وجل
واتل عليهم اي على المشركين من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان
ما يتمتعون به على جناح الفوات وانهم مشرفون على العذاب الخالد نبا نوح اي
خبره الذي له شان وخطر مع قومه الذين هم اضراب قومك في الكفر والعناد
ليتدبروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول
بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر او تنكسر شدة شكيمتهم او يعترف
بعضهم بصحة نبوتك بان عرفوا ان ما تتلوه موافق لما ثبت عندهم من غير مخالفة
بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد ولم تقرأ الاخبار بوجه وفيه من تعريض

ماسبق

ماسبق من كون الكل لله سبحانه واختصاص العزة به تعالى وانتفاء الخوف والحزن عن
اوليائه عز وعلا قاطبة وتشييع النبي صلى الله عليه وسلم وحمله على عدم المبالاة بهم وباقوالهم
وافعالهم ما لا يخفى اذ قال معمول لنبا او بدل منه بدل اشتمال واياما كان فالمراد
بعض نبائه عليه السلام لا كل ما جرى بينه وبين قومه واللام في قوله تعالى لقومه للتبليغ
ياقوم ان كان كبر اي عظم وشق عليكم مقامي اي نفسي كما يقال فعلته لمكان فلان اي
لفلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه او قيامي ومكثي بين ظهرانيكم مدة
طويلة او قيامي وتذكيري بآيات الله فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على
ارجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم فعلى الله توكلت جواب للشرط اي
دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من
مراتب التوكل فاجمعوا امركم عطف على الجواب والفاء لترتيب الامر بالاجماع على
التوكل لا لترتيب نفس الاجماع عليه او هو الجواب وما سبق جملة اعتراضية والاجماع
العزم فيه حذف وايصال قال السدوسي اجمعت الامر افصح من
اجمعت عليه وقال ابو الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه
انه يقول مرة افعل كذا واخرى افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اي
جعله جميعا وشركاءكم بالنصب على ان الواو بمعنى مع كما يدل عليه القراءة بالرفع عطفا
على الضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة التاكيد واسناد الاجماع الى الشركاء على طريقة
التهكم وقيل انه عطف على امركم بحذف المضاف اي امر شركائكم
منصوب بفعل محذوف اي وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ
فاجمعوا من الجمع اي فاعزموا على امركم الذي تريدون بي من السعي في اهلاكي واحتشدوا
فيه على اي وجه يمكنكم ثم لا يكن امركم ذلك عليكم غمة اي مستورا من غمه اذا ستره بل مكشوفا
مشهورا تجاهرونني به فان الستر انما يصار اليه لسد باب تدارك الخلاص بالهرب
او نحوه بحيث استحال ذلك في حقي لم يكن للستر وجه وانما خاطبهم عليه السلام بذلك
اظهارا لعدم المبالاة بهم وانهم لن يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما وعده
من عصمته وكلاءته فكلمة ثم للتراخي في الرتبة واظهار الامر في موقع الاضمار لزيادة
تقرير لتعيين مقام الامر بالاظهار الذي يستلزمه النهي عن الستر والاسرار
المراد بهم ما يعتريهم من جهته عليه السلام من الحال الشديدة عليهم
المكروهة لديهم والغمة والغم كالكربة والكرب وثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن
حالكم عليكم غمة وتخلصوا باهلاكي من ثقل مقامي وتذكيري ولا يخفى انه لا يساعده
قوله عز وجل ثم اقضوا الي ولا تنظرون اي ادوا الي ذلك الامر الذي
تريدون بي ولا تمهلوني كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا الي ما هو
حق عليكم عندكم من اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه فان توسيط ما يحصل بعد الاهلاك

بين الامر بالعزم على مباديه وبين الامر بقضايه من قبيل الفصل بين المتجرد ولباسه وقرئ
افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضا فان
توليتم الفا لترتيب التولي على ما سبق فالمراد به اما الاستمرار عليه واما احداث التولي
المخصوص اي ان اعرضتم عن نصيحتي وتذكيري اثر ما شاهدتم مني مخايل صحة ما اقول
ودلايلها التي من جملتها دعوتي اياكم جميعا الى تحقيق ما تريدون بي من السوء غير
مبال بكم وبما ياتي منكم واعجازكم من الاجابة علما منكم باني على الحق المبين مؤيد من عند
الله العزيز فما سألتكم بمقابلة وعظي وتذكيري من اجر تؤدونه الي حتى يؤدي
ذلك الى توليكم اما لاتهامكم اياي بالطمع والسؤال واما لثقل دفع المسؤل عليكم حتى
يضطركم الى توليكم المؤدي الى الحرمان فالاول لاظهار بطلان التولي ببيان عدم ما يصححه
والثاني لاظهار عدم مبالاته عليه السلام بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالفاء
الجزائية لسببية الشرط لاعلام مضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان
ليس في مصحح له ولا تأثرتم منه وقوله عز وجل ان اجري الا على الله ينتظم المعنيين جميعا
خلا انه في الاول تاكيد وفي الثاني تعليل لاستغنائه عليه الصلوة والسلام عنهم
اي ما ثوابي على العظة والتذكير الا عليه تعالى يثيبني عليه امنتم او توليتم وامرت
ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره او المستسلمين
لكل ما يصيب من البلا في طاعة الله تعالى فكذبوه فاصروا على ما هم عليه من التكذيب
بعدما الزمهم الحجة وبين لهم المحجة وحقق ان توليهم ليس له سبب غير التمرد والعناد
فلا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه ومن معه في الفلك من المسلمين وكانوا ثمانين
وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اي بالطوفان وتاخير
ذكره عن ذكر الانجا والاستخلاف حسبما وقع في قوله عز وعلا ولما جا امرنا نجينا
شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من الايات
الكريمة لاظهار كمال العناية بشأن المقدم ولتعجيل المسرة للسامعين وللايذان
بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب الذي هو من مستتبعات
جرايم المجرمين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب
بالرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له عليه السلام ثم بعثنا اي ارسلنا من بعده
اي من بعد نوح عليه السلام رسلا التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اي رسلا كراما ذوي
عدد كثير الى قومهم اي الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا كل رسول منهم الى اقوام
الكل او الى قوم ما اي قوم كان بل كل رسول الى قومه خاصة مثل هود الى عاد وصالح
الى ثمود وغير ذلك ممن قص منهم ومن لم يقص فجاؤهم اي جا كل رسول قومه المخصوص
به بالبينات اي المعجزات الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والبا متعلقة بالفعل المذكور
على انها للتعدية او بمحذوف وقع حالا من ضمير جاؤا اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان ياتي

كل

كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضا الحكمة فان مراعاة
انقسام الاحاد الى الاحاد انما هي فيما بين ضميري جاؤا وهم كما اشير اليه فما كانوا ليؤمنوا
بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي لا لعدم استمرار ايمانهم كما مر مثله في
هذه السورة الكريمة غير مرة اي فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام في وقت
من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة شكيمتهم في الكفر والعناد
ثم ان كان المحكي اخر حال كل قوم حسب ما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد بعدم ايمانهم
المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه في قوله عز وجل
بما كذبوا به من قبل تكذيبهم من حين مجي الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما لم يجعل
ذلك مقصودا بالذات كالاول حيث جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه
غني عن البيان وانما المحتاج الى ذلك عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر
المعجزات الباهرة التي كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول
الذي تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرايع التي جا بها
كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر
اولا كفرهم المستمر من حين مجي الرسل الى اخره وبما اشير اليه اخرا تكذيبهم قبل مجيهم
فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرايع التي اجمعت عليها الرسل
قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد
ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجي رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية بحيث
لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من اولئك الاقوام يتسامعون بها من بقايا
من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح عليهم السلام فيكذبونها ثم كانت
حالتهم بعد مجي الرسل كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب
وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حين لم
يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم
جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور امر العذاب والعقاب
عند اجتماع التكذيبين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب
وعلى التقديرين فالضماير الثلاثة متوافقة في المرجع ضمير كذبوا
راجع الى قوم نوح عليه السلام والمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب بمثله
قوم نوح عليه السلام ولا يخفى ما فيه من التعسف الباء للسببية اي بسبب
تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى ان ذلك يؤدي الى مخالفة
الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل الاسما كما هو راي الاخفش وابن السراج ليرجع
اليها الضمير وفي ارجاعه الى الحق بادعا كونه مركوزا في الاذهان ما لا يخفى من التمحل

كذلك اي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة وقرئ بالياء على ان الضمير
لله سبحانه على قلوب المعتدين المتجاوزين عن الحدود المعهودة في الكفر والعناد
المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشأنهم
لانهماكهم في الغي والضلال وفي امثال هذا دلالة على ان الافعال واقعة بقدرة
الله تعالى وكسب العبد ثم بعثنا عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم
عطف قصة على قصة من بعدهم اي من بعد اولئك الرسل عليهم السلام موسى وهرون
خصت بعثتهما عليهما السلام بالذكر ولم يكتف باندراج خبرهما فيما اشير اليه اشارة
اجمالية من اخبار الرسل عليهم السلام مع اقوامهم واوثر في ذلك ضرب تفصيل
ايذانا بخطر شان القصة وعظم وقعها كما في نبأ نوح عليه السلام الى فرعون
وملائه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم في اقامة المصالح والمهمات
ومراجعة الكل اليهم في النوازل والملمات بآياتنا اي ملتبسين بها وهي الآيات المفصلات
في الاعراف فاستكبروا الاستكبار ادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة
اي فاتياهم فبلغاهم الرسالة فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام
الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين الخ وكانوا قوما مجرمين اعتراض
مقرر لمضمون ما قبله اي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فان الاجرام
مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم اي الجثة فلذلك اجترأوا على ما اجترأوا عليه من
الاستهانة برسالة الله تعالى وحمل الاستكبار على الامتناع عن قبول الآيات لا يناسب
قوله عز وعلا فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين فانه صريح في ان المراد
باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجيء الحق الذي سموه سحرا اي العصا واليد البيضاء كما ينبئ
عنه سياق النظم الكريم وذلك اول ما اظهره عليه السلام من الآيات العظام والفاء
فيه ايضا فصيحة معربة عما صرح به في مواضع اخر كانه قيل قال موسى قد
جئتكم ببينة من ربكم الى قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا
هي بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم ان
هذا لسحر مبين اي ظاهر كونه سحرا وفائق في بابه واضح فيما بين اضرابه وقرئ
لساحر قال موسى استئناف مبني على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه
قيل فماذا قال لهم موسى حينئذ قال على طريقة الاستفهام الانكاري
التوبيخي اتقولون للحق الذي هو ابعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت لما جاءكم
اي حين مجيئه اياكم ووقوفكم عليه او من اول الامر من غير تأمل وتدبر وكلا الحالين
مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وايذانا
بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به ولو على نهج الحكاية اي اتقولون له ما تقولون من انه
سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله قائل ويتكلم به متكلم او القول بمعنى العيب والطعن

من قوله

من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونظيره
الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ فيستغني عن المفعول اي تعيبونه وتطعنون
فيه على الوجهين فقوله عز وجل اسحر هذا انكار مستأنف من جهته عليه السلام
لكونه وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على
الاول فظاهر واما على الثاني فوجه ايثار انكار كونه سحرا على انكار كونه معيبا
بان يقال مثلا افيه عيب حسبما يقتضيه ظاهر الانكار السابق التصريح بالرد
عليهم في خصوصية ما عابوه بعد التنبيه بالانكار السابق على ان ليس فيه شائبة
عيب ما وما في هذا من معنى القرب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه
من الصفات الدالة على كونه آية باهرة من آيات الله المنادية على امتناع كونه
سحرا اي اسحر هذا الذي امره واضح مكشوف وشأنه مشاهد معروف بحيث
لا يرتاب فيه احد ممن له عين مبصرة وتقديم الخبر للايذان بانه مصب الانكار
ولما استلزم كونه سحرا كون من اتى به ساحرا اكد الانكار السابق وما فيه من
التوبيخ والتجهيل بقوله عز وجل ولا يفلح الساحرون وهو جملة حالية من ضمير
المخاطبين والرابطة هو الواو بلا ضمير كما في قول من قال جاء الشتاء ولست
املك عدة وقولك جاء زيد ولم تطلع الشمس اي اتقولون للحق انه سحر والحال
انه لا يفلح فاعله اي لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من
مثلي من المؤيدين من عند الله العزيز الحكيم الفائزين بكل مطلب الناجين عن كل
محذور وقوله تعالى اسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها اكدت الانكار
السابق ببيان استحالة كونه سحرا بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر الى صدوره
عنه عليه السلام هذا واما تجويز ان يكون الكل مقول القول على ان المعنى اجئتما
بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم اصلا
اما اولا فلان ما قالوا هو الحكم بانه سحر من غير ان يكون فيه دلالة على ما تعسف
فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه عليه السلام عن صريح ما خاطبوه به
الى ما لا يفهم منه اصلا مما يجب تنزيه النظم التنزيلي عن الحمل على امثاله واما ثانيا
فلان التعرض لعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظائف من يتمسك بالحق المبين
دون الكفرة المتشبثين باذيال بعض منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك
من كلامهم لناسب تخصيص عدم الافلاح بمن زعموه ساحرا بناء على غلبة ما اتوا به
من السحر واما ثالثا فلان قوله عز وجل قالوا اجئتنا الخ مسوق لبيان انه عليه السلام
القمهم الحجر فانقطعوا عن الاتيان بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام فضلا عن الجواب
الصحيح واضطروا الى التشبث بذيل التقليد الذي هو دأب كل عاجز محجوج وديدن
كل معاند لجوج على انه استئناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة

قوله تع قال موسى الخ حسبما اشير اليه كانه قيل فماذا قال موسى عليه السلام
عند ما قال لهم ما قال قالوا عاجزين عن المحاجة اجئتنا لتلفتنا اي
لتصرفنا فان الفتل واللفت اخوان عما وجدنا عليه آباءنا اي من عبادة الاصنام
ولا ريب في ان ذلك انما يتسنى بكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه السلام لما حكي
عنهم على الوجه الذي شرح اذ على تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابه عليه السلام
خاليا عن التبكيت الملجئ لهم الى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في انه لا علاقة
بين قولهم اجئتنا الخ وبين انكاره عليه السلام لما حكي عنهم مصححة لكونه جوابا عنه
وتكون لكما الكبرياء اي الملك والتكبر على الناس باستتباعهم وقرئ ويكون
بالياء التحتانية وكلمة في في قوله تع في الارض اي ارض مصر متعلقة بتكون
او بالكبرياء او بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا او بمحذوف وقع حالا من الكبرياء
او من الضمير في لكما لتحمله اياه وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين فيما جئتما به وتثنية
الضمير في هذين الموضعين بعد افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء
لهما عليهما السلام واستلزام التصديق لاحدهما التصديق للآخر واما اللفت والمجيء له
بحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة اسند الى موسى عليه السلام خاصة وقال
فرعون توحيد الفعل لان الآمر من طوائف فرعون اي قال لملائه بامرهم
بترتيب مبادي الزامهما عليهما السلام بالفعل بعد اليأس عن الزامهما بالقول
ايتوني بكل ساحر عليم بفنون السحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحار فلما جاء
السحرة عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف ايذانا بسرعة امتثالهم بامر فرعون
كما هو شان الفاء الفصيحة في كل مقام اي فاتوا به فلما جاءوا قال لهم موسى
لكن لا في ابتداء مجيئهم بل بعد ما قالوا له عليه السلام ما حكي عنهم في السور الاخر
من قولهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك القوا ما انتم ملقون
اي ملقون له كائنا ما كان من اصناف السحر فلما القوا ما القوا من العصي والحبال
واسترهبوا الناس وجاءوا بسحر عظيم قال لهم موسى غير مكترث بهم وبما صنعوا
ما جئتم به السحر ما موصولة وقعت مبتدأ والسحر خبره اي هو السحر لا ما سماه فرعون
وقومه من آيات الله سبحانه او هو من جنس السحر بين لهم ان حاله بين يعبأ به كأنه
قال ما جئتم به امر السحر الذي يعرف حاله كل احد ولا يتصدى له عاقل وقرئ
ما جئتم به سحر وقرئ ما اتيتم به سحر ودلالتهما على المعنى الثاني في القراءة
المشهورة اظهر ان الله سيبطله اي سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدي من المعجزة
فلا يبقى له اثر اصلا او سيظهر بطلانه للناس والسين للتأكيد ان الله لا يصلح عمل
المفسدين اي عمل جنس المفسدين على الاطلاق فيدخل فيه السحر دخولا اوليا او عملكم
فيكون من باب وضع المظهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار بعلة الحكم

وليس

وليس المراد بعدم اصلاح عملهم جعل فساده صلاحا بل عدم اثباته واتمامه اي لا يثبته
ولا يحميه ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من
قوله ان الله سيبطله والكل اعتراض تذييلي وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه
لا حقيقة له ويحق الله الحق عطف على قوله تعالى سيبطله اي يثبته ويقويه واظهار
الاسم الجليل في المقامين الاخيرين لالقاء الروعة وتربية المهابة بكلماته باوامره
وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل من اتصف
بالاجرام من السحرة وغيرهم فما آمن لموسى معطوف على مقدر قد فصل في مواضع
اخر اي فالقى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون الى آخره وانما لم يذكر تعويلا على
ذلك وايثارا للايجاز وايذانا بان قوله تع ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف
اصلا وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدما مستمرا من قبيل ما في قوله عز وجل
فاستخفوا امر فرعون فما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر في
ذلك ان الاتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا
عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث اي فما آمن له موسى عليه السلام
بمشاهدة تلك الآيات الباهرة الا ذرية من قومه اي الا اولاد من اولاد قوم بني
اسرائيل حيث دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من شبانهم
الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به عليه السلام
او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وامرأته وماشطته وهو بعيد على
خوف اي كائنين على خوف عظيم من فرعون وملائهم الضمير لفرعون والجمع لما
هو المعتاد في ضمائر العظماء ولا يأباه مقام بيان علوه في الفساد وغلوه في الشر
والتسلط على العباد او لان المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او
للقوم اي على خوف من فرعون ومن اشراف بني اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم
خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اي يعذبهم وهو بدل اشتمال او
مفعول خوف فان اعمال المصدر المنكر كثير كما في قوله عز وجل او اطعام في يوم
ذي مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام وافراد الفعل للاخبار عن فرعون خاصة
لانه الآمر بالتعذيب وان فرعون لعال في الارض لغالب في ارض مصر وانه
لمن المسرفين في الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او في التكبر والعتو حتى
ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلي مؤكد لمضمون
ما سبق وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم آمنتم بالله اي
صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر
وضر ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين
فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه تعالى فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام

وجوده فإنه لا يتحقق مع التخليط ونظيره إن أحسن إليك زيد فأحسن إليه إن قدرت عليه فقالوا مجيبين له عليه الصلاة والسلام من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا لأنهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة أي موضع فتنة للقوم الظالمين أي لا تسلطهم علينا فيعذبونا أو يفتنونا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا وقوله تعالى ونجنا برحمتك من القوم الكافرين دعاء منهم بالإنجاء من سوء جوارهم وشؤم مصاحبتهم بعد الإنجاء من ظلمهم ولذلك عبر عنهم بالكفر بعدما وصفوا بالظلم وفي ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بأن الداعي حقه أن يبني دعاءه على التوكل على الله تعالى وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا أن مفسرة لأن في الوحي معنى القول أي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها وترجعون إليها للعبادة واجعلوا أنتما وقومكما بيوتكم تلك قبلة مصلى مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة فإن موسى عليه الصلاة والسلام كان يصلي إليها وأقيموا الصلاة أي فيها أمروا بذلك في أول أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا إجابة لدعوتهم والجنة في العقبى وإنما ثني الضمير أولا لأن التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم بتشاور ثم جمع لأن جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما يفعله كل أحد ثم وحد لأن بشارة الأمة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالإيمان وللإشعار بأنه المدار في التبشير وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة أي ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها وأموالا وأنواعا كثيرة من المال في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الأمر بما علم بممارسة أحوالهم أنه لا يكون غيره كقولك لعن الله إبليس اللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت أو للعلة لأن إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولأنهم لما جعلوها ذريعة إلى الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للأول تأكيدا وتنبيها على أن المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تعالى ربنا اطمس على أموالهم الطمس المحق وقرئ بضم الميم أي أهلكها واشدد على قلوبهم أي اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان كما هو قضية شأنهم فلا يؤمنوا جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهي أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض حتى يروا العذاب الأليم أي يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك إذ ذاك قال قد أجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام لأنه كان يؤمن كما يشعر به إضافة الرب إلى ضمير المتكلم مع الغير في المواقع الثلاثة فاستقيما فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة وإلزام الحجة ولا تستعجلا فإن ما طلبتماه كائن في وقته لا محالة روي

أنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون أي بعادات الله سبحانه في تعليق الأمور بالحكم والمصالح أو سبيل الجهلة في الاستعجال أو عدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان أيضا وجاوزنا ببني إسرائيل البحر هو من جاوز المكان إذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية أي جعلناهم مجاوزين البحر بأن جعلناه يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ جوزنا وهو من التجويز المرادف للمجاوزة لا مما هو بمعنى التنفيذ نحو ما وقع في قول الأعشى كما جوز السكي في الباب فيتق وإلا لقيل وجوزنا بني إسرائيل في البحر وخلا النظم الكريم عن الإيذان بانفصالهم عن البحر وبمقارنة العناية الإلهية لهم عند الجواز كما هو المشهور في الفرق بين أذهبه وذهب به فأتبعهم يقال تبعته حتى أتبعته إذا كان سبقك فلحقته أي أدركهم ولحقهم فرعون وجنوده حتى تراءت الفئتان وكاد يجتمع الجمعان بغيا وعدوا ظلما واعتداء أي باغين وعادين أو للبغي والعدوان وقرئ وعدوا وذلك أن موسى عليه السلام خرج ببني إسرائيل على حين غفلة من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل إلى الساحل وهم قد خرجوا من البحر ومسلكهم باق على حاله يبسا فسلكه بجنوده أجمعين فلما دخل آخرهم وهم أولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم حتى إذا أدركه الغرق أي لحقه وألجمه قال آمنت أنه أي بأنه والضمير للشأن وقرئ إنه على الاستئناف بدلا من آمنت وتفسيرا له لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل لم يقل كما قالت السحرة آمنا برب العالمين رب موسى وهرون بل عبر عنه بالموصول وجعل صلته إيمان بني إسرائيل به تعالى للإشعار برجوعه عن الاستعصاء وباتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة وأنا من المسلمين أي الذين أسلموا نفوسهم لله أي جعلوها سالمة خالصة له تعالى وأراد بهم إما بني إسرائيل خاصة وإما الجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا والجملة على الأول عطف على آمنت وإيثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثاني يحتمل الحالية أيضا من ضمير المتكلم أي آمنت مخلصا لله منتظما في سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد بثلاث عبارات حرصا على القبول المفضي إلى النجاة وهيهات هيهات بعد ما فات ما فات وأتى ما هو آت وقوله عز وجل الآن مقول القول مقدر معطوف على قال أي فقيل الآن وهو إلى قوله تعالى آية حكاية لما جرى بينه سبحانه من الغضب على المخذول ومقابلة ما أظهره بالرد على وجه الإنكار والتوبيخ على تأخيره وتقريعه بالعصيان والإفساد وضمن ذلك وفي حذف الفعل المذكور وإبراز الخبر المحكي في صورة الإنشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما يفصح عنه ما روي أن جبريل عليه السلام دس فاه عند ذلك بحال البحر وسده

فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد بها الرحمة الدنيوية اي النجاة
التي هي طلبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما في ايمان قوم
يونس عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور في شان جبريل عليه السلام من
الرضا بالكفر اذ لا استحالة في ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان
وان كان ذلك في حالة الباس واليأس فيحمل دسه عليه السلام على سد باب
الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد فتدبر والله الموفق وحق العامل
في الظرف ان يقدر مؤخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تأخير الايمان الى حد
يمتنع قبوله فيه اي الآن تؤمن حين يئست من الحياة وايقنت بالممات وقوله
عز وعلا **وقد عصيت قبل** حال من فاعل الفعل المقدر جيء به لتشديد التوبيخ
والتقريع على تأخير الايمان الى هذا الآن ببيان انه لم يكن تأخيره لعدم بلوغ
الدعوة اليه ولا للتأمل والتدبر في دلائله وآياته ولا لشيء آخر مما عسى يعد
عذرا في التأخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان
قوله تعالى **وكنت من المفسدين** عطف على عصيت داخل في حيز الحال اي وكنت
من الغالين في الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن
فساده الراجع الى نفسه والساري الى غيره من الظلم والتعدي وصد بني اسرائيل
عن الايمان والاول عصيانه الخاص به **فاليوم ننجيك** اي نخرجك مما وقع فيه
قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفي التعبير عنه بالتنجية تلويح بان المراد
الايمان هو النجاة تهكم به او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو
اسرائيل وقرئ ننحيك من الانحاء ونجيك بالحاء من التنحية اي نلقيك
بناحية الساحل **ببدنك** في موضع الحال من ضمير المخاطب اي ننجيك ملابسا ببدنك
فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك فهو تخييب له وحسم لاطماعه بالمرة او عاريا
عن اللباس او كاملا سويا او بدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ
بابدانك اي باجزاء بدنك كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كأن مظاهرا
بينها **لتكون لمن خلفك آية** لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم
من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى روي انهم لم يصدقوا موسى عليه السلام
حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او تكون لمن يأتي
بعدك من الامم اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان
او حجة تدلهم على ان الانسان وان بلغ الغاية القصوى من عظم الشان وعلو
الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ
لمن خلفك فعلا ماضيا اي لمن خلفك من الجبابرة وقرئ لمن خلقك

بالقاف

بالقاف اي لتكون لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده سبحانه اياك بالالقاء
الى الساحل دليل على انه قصد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك
وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته وارادته وهذا الوجه محتمل على القراءة
المشهورة ايضا وفي تعليل تنجية فرعون بما ذكر ايذان بانها ليست لاعزازه او لفائدة
اخرى عائدة اليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه على رؤوس الاشهاد وزيادة تفظيع
حاله كحال من يقتل ثم يجر جسده في الاسواق او يدار برأسه في البلاد واللام الاولى
متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من آية اي كائنة لمن خلفك **وان
كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون** لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض
وقع حالا من آية تذييلي جيء به عند الحكاية تقريرا لمضمون الكلام المحكي **ولقد بوأنا
بني اسرائيل** كلام مستأنف سيق لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء
على وجه الاجمال واخلالهم بشكرها واداء حقوقها اي اسكناهم وانزلناهم بعد
ما انجيناهم واهلكنا اعداءهم **مبوأ صدق** اي منزلا صالحا مرضيا وهو الشام
ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها حسبما نطق به قوله
تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي باركنا
فيها **ورزقناهم من الطيبات** اي اللذائذ **فما اختلفوا** في امور دينهم **حتى جاءهم
العلم** اي الا بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم التوراة وعلمهم باحكامها او في امر محمد
عليه السلام الا من بعد ما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمختلفين
اعقابهم الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم **ان ربك يقضي بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون** فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب **فان
كنت في شك** اي في شك ما يسير على الفرض والتقدير فان مضمون الشرطية
انما هو تعليق شيء بشيء من غير تعرض لامكان شيء منهما كيف لا وقد يكون كلاهما
ممتنعا كقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك ونظائرهما **مما انزلنا اليك** من القصص التي من جملتها
قصة فرعون وقومه واخبار بني اسرائيل **فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك**
فان ذلك محقق عندهم ثابت في كتبهم حسبما القينا اليك والمراد اظهار نبوته
عليه السلام وزيادة تثبيت على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه
عليه السلام ولذلك قال عليه الصلوة والسلام لا اشك ولا اسأل
المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الداري وكعب
واضرابهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته او لكل
من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا وفيه
تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل

وقرئ فاسأل الذين يقرءون الكتاب لقد جاءك الحق الذي لا محيد عنه
ولا ريب في حقيته من ربك وظهر ذلك بالآيات القاطعة التي لا يحوم حولها
شائبة الارتياب وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام
من التشريف ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما أنت عليه من الجزم واليقين
ودم على ذلك كما كنت من قبل ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله من باب التهييج
والإلهاب والمراد به إعلام أن التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغي أن
ينهى عنه من لا يتصور إمكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه
قطع لأطماع الكفرة فتكون بذلك من الخاسرين أنفسا وأعمالا إن الذين حقت عليهم
شروع في بيان سر إصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال أي ثبتت
ووجبت بمقتضى المشيئة المبنية على الحكمة البالغة كلمة ربك حكمه وقضاؤه بأنهم
يموتون على الكفر ويخلدون في النار كقوله تعالى ولكن حق القول مني لأملأن جهنم
الخ لا يؤمنون أبدا إذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه أي لا يؤمنون إيمانا
نافعا واقعا في أوانه فيندرج فيهم المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون
بأنيا عند الموت فيدخل فيهم المرتدون ولو جاءتهم كل آية واضحة المدلول مقبولة
لدى العقول لأن سبب إيمانهم وهو تعلق إرادته تعالى به مفقود لكن عدم ذلك ليس
لمنع منه سبحانه مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم المتفرع عن عدم استعدادهم
لذلك حتى يروا العذاب الأليم كدأب آل فرعون وأضرابهم فلولا كانت كلام
مستأنف لتقرير ما سبق من استحالة إيمان من حقت عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم
مع تمكنهم من التدارك وتكون الاستثناء الآتي بيانا لكون قوم يونس عليه السلام
ممن لم تحق عليه الكلمة لاهتدائهم إلى التدارك في وقته ولولا بمعنى هلا وقرئ
كذلك أي فهلا كانت قرية من القرى المهلكة آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر
إيمانها إلى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه فنفعها إيمانها بأن يقبله الله تعالى
منها ويكشف بسببه العذاب عنها إلا قوم يونس استثناء منقطع أي لكن قوم يونس
لما آمنوا أول ما رأوا أمارة العذاب ولم يؤخروا إلى حلوله كشفنا عنهم عذاب
الخزي في الحياة الدنيا بعد ما أظلهم وكاد يحل بهم ويجوز أن تكون الجملة
في معنى النفي كما يفصح عنه حرف التحضيض فيكون الاستثناء متصلا والمراد
بالقرى أهاليها كأنه آمنت طائفة من الأمم العاصية فنفعهم
إيمانهم إلا قوم يونس عليه السلام فيكون قوله تعالى لما آمنوا استئنافا لبيان نفع إيمانهم
ويؤيده قراءة الرفع على البدلية ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم
إلى حين مقدر لهم في علم الله سبحانه روي أن يونس عليه السلام بعث إلى
نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول

العذاب

العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة   قال لهم يونس عليه السلام
أجلكم أربعون ليلة فقالوا إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس
وثلاثون أغامت فيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم
ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم
ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحن بعضها إلى
بعض وعلت الأصوات والضجيج وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا إلى الله
سبحانه فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن
مسعود رضي الله عنه بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى أن الرجل كان يقتلع
الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده إلى صاحبه   خرجوا إلى الشيخ
من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي
حين لا حي ويا حي محيي الموتى لا إله إلا أنت فقالوها فكشف عنهم وعن
الفضيل بن عياض قالوا إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل
بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله ولو شاء ربك لآمن من في الأرض
تحقيق لدوران إيمان كافة المكلفين وجودا وعدما على قطب مشيئته تعالى
مطلقا إثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته ومفعول المشيئة محذوف لوجود ما
من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وأن لا يكون في تعلقها به غرابة
كما هو المشهور أي لو شاء استجابة إيمان من في الأرض من الثقلين لآمن كلهم
بحيث لا يشذ عنهم أحد جميعا مجتمعين على الإيمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه
لكونه مخالفا للحكمة التي عليها بني أساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على أن
من شاء الله إيمانه يؤمن لا محالة أفأنت تكره الناس على ما لم يشأ الله منهم حسبما
ينبئ عنه صرف الإسناد في الشرطية والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه
الكلام كأنه   أربك لا يشاء ذلك أفأنت تكرههم حتى يكونوا مؤمنين
فيكون الإنكار متوجها إلى ترتيب الإكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى
ويجوز أن يكون الفاء لترتيب الإنكار على عدم مشيئته تعالى بناء على أن الهمزة
متأخرة في الاعتبار وإنما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو رأي الجمهور
وأيا ما كان فالمشيئة على إطلاقها إذ لا فائدة بل لا وجه لاعتبار عدم مشيئته
الإلجاء خاصة في إنكار الترتيب عليه أو ترتيب الإنكار عليه وفي إيلاء الاسم
حرف الاستفهام إيذان بأن الإكراه أمر ممكن لكن الشأن في المكره من هو
وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه لأنه القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرهم
إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه إيذان باعتبار الإلجاء في المشيئة
كما أشير إليه وما كان لنفس بيان لتبعية إيمان النفوس المؤمنة بمشيئته تعالى

وجوداً بعد بيان الدوران الكلي عليها وجوداً وعدماً اي ما صح وما استقام لنفس
بيان لتبعية ايمان النفس علم الله تعالى انها تؤمن ان تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله ومنحه
للألطاف وانما خصت النفس بمن ذكروا لم يجعل من قبيل قوله تع وما كان لنفس
ان تؤمن الا باذن الله لان الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما كان
لنفس ان تؤمن في حال من الاحوال الا في حال الا كونها ملابسة باذنه تعالى فلا
بد من كون الايمان مما يؤول اليه حالها كما ان الموت حال لكل نفس بحيث
لا يختص لها عنه فلا بد من تخصيص النفس عن ذكر فان النفوس التي علم الله انها
لا تؤمن ليس لها حال تؤمن فيها حتى يستثنى تلك الحال عن غيرها ويجعل الرجس
اي الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر
المستكره لكونه علما في القبح والاستكراه هو العذاب او الخذلان
المؤدي اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاء اي يجعل الكفر بعينه
على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون
دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن
فيبقون مغمورين بقبائح الكفر والضلال او متهودين بالعذاب والنكال والجملة
معطوفة على مقدر يستدعيه النظم الكريم كأنه قيل فيأذن لهم بمنح
الالطاف ويجعل الخ قل ليتضح لك انهم من الذين لا يعقلون وحقت عليهم
الكلمة انظروا اي تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة الى اللام قل ماذا في
السموات والارض اي اي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة على وحدته
وكمال قدرته على ان ماذا جعل بالتركيب اسما واحداً اغلبيا فيه الاستفهام على الاسم
الاشارة فهو مبتدأ خبره الظرف ويجوز ان يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي
والظرف صلته والجملة خبر للمبتدأ وعلى التقديرين فالمبتدأ وللخبر في محل النصب
باسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام وما تغني اي ما تنفع وقرئ بالتذكير
الآيات وهي التي عبر عنها بقوله تع ما في السموات والارض والنذر جمع نذير
على انه فاعل بمعنى منذر او على انه مصدر اي لا تنفع الآيات والرسل المنذرون
او الانذارات عن قوم لا يؤمنون في علم الله سبحانه وحكمه فما نافية والجملة اما
حالية او اعتراضية ويجوز كون ما استفهامية انكارية في موضع النصب على
المصدرية اي اي اغناء تغني الخ فالجملة ح اعتراضية فهل ينتظرون اي
مشركوا مكة واضرابهم الا مثل ايام الذين خلوا اي الا يوما مثل ايام الذين
خلوا من قبلهم من مشركي الامم الماضية اي مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم
اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل تهديداً لهم فانتظروا ما هو
عاقبتكم اني معكم من المنتظرين لذلك ثم ننجي رسلنا بالتشديد وقرئ

بالتخفيف وهو عطف على مقدر لا يدل عليه قوله مثل ايام الذين ظلموا وما بينهما
اعتراض جيء به مسارعة الى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كأنه
اهلكنا الامم ثم ننجي رسلنا المرسلة اليهم والذين آمنوا وصيغة الاستقبال
لحكاية الاحوال الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها وتأخير حكاية
التنجية عن حكاية الاهلاك على عكس ما في قوله تع فنجيناه ومن معه في
الفلك الخ ونظائره الواردة في مواضع عديدة ليتصل به قوله تع كذلك اي
مثل ذلك الانجاء حقا علينا اعتراض بين العامل والمعمول اي حق ذلك حقا
بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك
حقا والكاف متعلقة بقوله تعالى ننج المؤمنين اي من كل شدة وعذاب
والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين اما الجنس المتناول
للرسل عم والاتباع واما الاتباع فقط وانما لم يذكر الانجاء الرسل ايذاناً
بعدم الحاجة اليه واياما كان ففيه تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان قل
لجمهور المشركين يا ايها الناس اوثر الخطاب باسم الجنس مصدراً بحرف التنبيه
تعميما للتغليب للتبليغ واظهاراً لكمال العناية بشأن ما بلغ اليهم ان كنتم في شك
من ديني الذي اعبد الله عز وجل به وادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته
فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله في وقت من الاوقات ولكن اعبد الله
الذي يتوفاكم ثم يفعل بكم ما يفعل من فنون العذاب اي فاعلموا انه تخصيص العبادة
به تعالى ورفض عبادة ما سواه من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم
ترك عبادة الغير على عبادته تع لتقدم التخلية كما في كلمة التوحيد وللايذان بالخالفة
من اول الامر او ان كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا ان خلاصته
اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام
فاعرضوها على عقولكم واجيلوا فيها افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف
لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد
والتعبير عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان بان اقصى
ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته واما القطع بعدمها
فمما لا سبيل اليه او ان كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا اتركه ابدا
وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح
بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد السماوي
والتوفيق الالهي وحذف حرف الجر من ان يجوز ان يكون من باب الحذف
المطرد مع ان وان وان يكون خاصا بفعل الامر كما في قوله امرتك الخير
فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون خلا ان صلة

أن محكية بصيغة الأمر ولا ضير في ذلك لأن مناط جواز وصلها بصيغتي الأفعال
ليس دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب كون الصلة في
خبرية في الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف
إلا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك أي وأمرت بالاستقامة في
الدين والاستبداد فيه بأداء المأمور به والانتهاء عن المنهي عنه أو باستقبال
القبلة في الصلوة وعدم الالتفات إلى اليمين والشمال حنيفاً حال من الدين
أو الوجه أي مائلاً عنه عن الأديان الباطلة ولا تكونن من المشركين عطف على أقم
داخل تحت الأمر أي لا تكونن منهم اعتقاداً ولا عملاً وقوله عز وجل ولا تدع
عطف على قوله تع قل يا أيها الناس غير داخل تحت الأمر أي لا تكونن منهم وقيل
على ما قبله من النهي والوجه هو الأول لأن ما بعده من الجمل إلى آخر الآيتين
لا يمكن فصلها أي فصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لاندراج
الكل تحت الأمر وهو تأكيد للنهي المذكور وتفصيل لما أجمل فيه إظهاراً لكمال
العناية بالأمر وكشفاً عن وجه بطلان ما عليه المشركون أي لا تدع من دون الله
استقلالاً ولا اشتراكاً ما لا ينفعك إذا دعوته بدفع مكروه أو جلب محبوب
ولا يضرك إذا تركته بسلب المحبوب دفعاً أو رفعاً أو بإيقاع المكروه وتقديم
النفع على الضر غني عن بيان السبب فإن فعلت أي ما نهيت عنه من دعاء ما لا
ينفع ولا يضر كني به عنه تنويهاً لشأنه عليه السلام وتنبيهاً على رفعة مكانه
من أن ينسب إليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية فإنك إذاً من
الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل عن تبعة ما نهي عنه وإن يمسسك
الله بضر تقرير لما أورد في حيز الصلة من سلب النفع من الأصنام وتصوير
لاختصاصه به سبحانه فلا كاشف له عنك كائناً ما كان إلا هو وحده فيثبت
عدم كشف الأصنام بالطريق البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه
المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاماً ظاهراً فإن رفع المكروه أدنى مراتب
النفع فإذا انتفى انتفى النفع بالكلية وإن يردك بخير تحقيق لسلب الضر الوارد
في حيز الصلة أي إن يرد أن يصيبك بخير فلا راد لفضله الذي من جملته ما أراد
بك من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه إيذان بأن فيضان
الخير منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه أي لا أحد يقدر
على رده كائناً من كان فيدخل فيه الأصنام دخولاً أولياً وهو بيان لعدم
ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم ضرها برفعه أو بإيقاع المكروه
استلزاماً جلياً ولعل ذكر الإرادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الأمرين للإيذان
بأن الخير مراد بالذات وأن الضر إنما يمس من يمسه لا بموجبه من الدواعي الخارجية

بالقصد

لا بالقصد الأولي أو أريد معنى الفعلين في كل من الضر والخير وأنه لا راد لما يريد
منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر في أحدهما المس وفي الآخر
الإرادة ليدل بما ذكر في كل جانب على ما ترك من الجانب الآخر على أنه قد صرح
بالإصابة حيث يصيب به إظهاراً لكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ
عنه ترك الاستثناء منه أي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما أرادك به من الخير
وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على أن يكون من باب وضع المظهر في
موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يأباه قوله عز وجل من يشاء من عباده فإن ذلك
ينادي بعموم الفضل وقوله عز قائلاً وهو الغفور الرحيم تذييل لقوله تع يصيب الخ
مقرر لمضمونه والكل تذييل للشرطية الأخيرة محقق لمضمونها قل مخاطباً لأولئك
الكفرة بعد ما بلغتهم ما أوحي إليك يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو
القرآن العظيم المشتمل على محاسن الأحكام التي من جملتها ما مر آنفاً من أصول
الدين واطلعتم على ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر
فمن اهتدى بالإيمان به والعمل بما في مطاويه فإنما يهتدي لنفسه أي منفعة
اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر به والإعراض عنه فإنما يضل عليها
أي فوبال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة
غرض عائد إليه عليه السلام من جلب نفع أو دفع ضر كما يلوح به إسناد المجيء
إلى الحق من غير إشعار بكون ذلك بواسطته وما أنا عليكم بوكيل بحفيظ
موكول إلي أمركم وإنما أنا بشير ونذير واتبع اعتقاداً وعملاً وتبليغاً ما يوحى
إليك على نهج التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتأكد يوماً فيوماً وفي
التعبير عن بلوغه إليهم بالمجيء وإليه عليه السلام بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين
من التنائي واصبر على ما يعتريك من مشاق التبليغ حتى يحكم الله بالنصر
عليهم أو بالقتال وهو خير الحاكمين إذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه
على السرائر اطلاعه على الظواهر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة يونس أعطي له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس
عليه السلام وكذب به وبعدد من غرق بفرعون. الحمد لله سبحانه على التمام
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

الر محله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف وقيل على أنه مبتدأ والأول
هو الأظهر كما أشير إليه في سورة يونس عليه السلام أو النصب بتقدير فعل

يناسب المقام نحو اذكر او اقرا على تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق
الاكثر او لا محل له من الاعراب سرور على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته
وقوله تعالى كتاب خبر له على الوجه الثاني ولمبتدا محذوف على الوجوه الباقية
احكمت آياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او جعلت
حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها او منعت من النسخ
بمعنى التغيير مطلقا او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله تع
وعلى ثبوت مدلولاتها فالمراد بالآيات جميعها او على حقية ما تشتمل عليه
من الاحكام الشرعية فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما اذا فسر الاحكام
بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة واما تفسيره بالمنع من الفساد
اخذا من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح
ففيه ايهام ما لا يكاد يليق بشأن الآيات الكريمة من التداعي الى الفساد
لولا المانع وفي اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الى آيات الكتاب دون
نفسه لا سيما على الوجوه الشاملة لكل آية آية منه من حسن الموقع والدلالة
على كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت اي جعلت فصولا من الاحكام
والدلائل والمواعظ والقصص او فصل فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد
على الاسناد المجازي والتفسير بجعلها آية آية لا يساعده المقام لان ذلك من
الاولوية لها فلا يناسب عطفه على احكامها بكلمة التراخي واما المعنيان
الاولان فيهما وان كانا مع الاحكام زمانا حيث لم تنزل الآيات محكمة مفصلة
لا انها احكمت او فصلت بعد ان لم تكن كذلك اذ الفصلان من قبيل قولهم
سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل الا انهما حيث كانا من صفة الآيات باعتبار
نسبة بعضها الى بعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة وآثارا معتدا بها
وبملاحظة مصالح العباد ناسب ان يشار الى تراخي رتبتهما عن رتبة الاحكام
وان حمل جعلها آية آية على معنى تفريق بعضها عن بعض يكون من هذا القبيل
الا انه ليس في مثابة في استتباع ما يستتبعه من الاحكام والآثار او فرقت في
التنزيل نجما نجما حسب المصالح فان اريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زماني
وان اريد جعلها في نفسها بحيث يكون نزولها نجما حسبما يقتضيه الحكمة
والمصلحة فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لها حقيق بان يرتب على وصف
احكامها وقرئ احكمت آياته ثم فصلت على صيغة التكلم وعن
عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير
صفة للكتاب وصف بها بعد ما وصف باحكام آياته وتفصيلها الدالين على
علو رتبته من حيث الذات ابانة لجلالة شأنه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر

للمبتدا

للمبتدا المذكور او المحذوف او صلة للفعلين وفي بنائهما للمفعول ثم ايراد الفاعل
بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير التفخيمي ثم ربطهما
به لا على النهج المعهود في اسناد الافاعيل الى فواعلها مع رعاية حسن الطباق من
الجزالة والدلالة على فخامتهما وكونهما على اكمل ما يكون ما لا يكتنه كنهه الا تعبدوا
الا الله مفعول له حذف عنه اللام مع فقدان الشرط اعني كونه فعلا لفاعل
الفعل المعلل جريا على سنن القياس المطرد في حذف حرف الجر مع ان المصدرية
كانه قيل كتاب احكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله اي لتتركوا
عبادة غير الله عز وجل وتتمحضوا في عبادته فان الاحكام والتفصيل على ما فصل
من المعاني مما يدعوهم الى الايمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات
قاطبة او مفسرة لما في التفصيل من معنى القول اي
لا تعبدوا الا الله انني لكم منه من جهة الله تع نذير انذركم عذابه ان لم تتركوا
ما انتم عليه من الكفر وعبادة غير الله وبشير ابشركم ثوابه ان امنتم به وتمحضتم
في عبادته ولما ذكر شؤون الكتاب من احكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من
قبل الله تعالى واورد معظم ما نكلم في سلك الغاية او الامر من التوحيد ورفض
الاشراك وسط بينه وبين قرينه اعني الاستغفار والتوبة ذكر ان من نزل
عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله لتبليغ احكامه وترشيحها بالمؤيدات من
الوعد والوعيد للايذان بان التوحيد في اقصى مراتب الاهمية حتى افرد بالذكر
وايد ايجابه بالخطاب عقب الكتاب مع تلويح بانه كما لا يتحقق في نفسه الا مقارنا
للعلم برسالته صلى الله عليه وسلم كذلك في الذكر لا ينفك احدهما عن الآخر وقد
روعي في سوق الخطاب بتقديم الانذار على التبشير ما روعي في الكتاب
من تقديم النفي على الاثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب اطراف الكلام
ويجوز ان يكون قوله تعالى ان لا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله
واردا على لسانه عليه السلام اغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كانه
صلى الله عليه وسلم قال ترك عبادة غير الله تع اي الزموه على معنى اتركوا عبادة
غير الله تركا مستمرا انني لكم من جهة الله تعالى نذير وبشير انذركم من عذابه على
تقدير استمراركم على الكفر وبشير ابشركم بثوابه على تقدير تركم له وتوحيدكم
ولما سيق اليهم حديث التوحيد وكذلك بخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم
على وجه الانذار والتبشير شرع في ذكر ما هو من تماته على وجه يتضمن
تفصيل ما اجمل في وصف البشير والنذير فقال وان استغفروا ربكم
وهو معطوف على ان لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين فعلى الاول ان مصدرية

لجواز كون صلتها امرا ونهيا كما في قوله تع وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهو متحقق فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب ما ساغ وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ثم توبوا اليه عطف على استغفروا والكلام فيه كالكلام فيه والمعنى فصل ما فصل من الاحكام والتفصيل لتخصوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة او تستمروا على ما انتم عليه من التوحيد والاستغفار او تستغفروا من الشرك وتتولوا من المعاصي وعلى التقادير ان معنى ثم اي فيما في اثناء تفصيل الايات لا تعبدوا الا الله واستغفروا ثم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين وارشادهم الى طريق الابتهال في السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتع وايتاء الفضل بقوله يمتعكم متاعا حسنا اي تمتيعا وانتصابه على انه مصدر حذف عنه الزوائد كقوله تع انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا مرضيا لا يفوتكم فيه شيء مما تشتهون ولا ينغصه شيء من المكدرات الى اجل مسمى مقدر عند الله تعالى وهو اخر اعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمع وراءها طامع جرى التمتيع المذكور مجرى التأبيد عادة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال ويؤت كل ذي فضل فضله في الطاعة والعمل فضله جزاء فضله اما في الدنيا او في الاخرة وهذه تكملة لما اجمل من التمتيع الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يعتريهم حكمه من بعض ما يتفق في الدنيا من تفاوت الاحوال بين العاملين فرب انسان له فضل طاعة وعمل لا يمتع في الدنيا اكثر مما تمتع اخر دون الفضل وربما يكون المفضول اكثر تمتيعا فقيل ويعط كل فاضل جزاء فضله اما في الدنيا كما يتفق في بعض المواد واما في الاخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما اجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع في الانذار فقيل وان تولوا اي تتولوا عما القي اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وانما اخر عن البشارة جريا على سنن تقدم الرحمة على الغضب او لان العذاب قد علق بالتولي عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعي سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولي فاني اخاف عليكم بموجب الشفقة والرأفة او اتوقع عذاب يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تع اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم اما لكونه كذلك في نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف بالثقل في قوله تعالى

ثقلت

ثقلت في السموات والارض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بقحط اكلوا فيه الجيف واياما كان ففي اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له الى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا الى غيره جميعا لا يتخلف منكم احد وهو على كل شيء قدير فيندرج في تلك الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم بافانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القي اليهم فحوى الكتاب على لسان النبي عليه السلام وسيق اليهم ما ينبغي ان يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع انهم بعدما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال ام تمادوا فيما كانوا فيه عليه من الاعراض والضلال فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما يعقبها من هناتهم امر يجب ان يفهم ويتعجب منه الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه اي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والاعراض لان من اعرض عن شيء ثنى عليه عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب مناسب لما سبق وقد نحا نحوه العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يصلح التولي سببا للاستخفاء في قوله عز وجل ليستخفوا منه التجأ الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على اعراضهم وجعله في فحوى المعنى اليه من قبيل الاضمار في قوله تع اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق ولا يخفى ان انسياق الذهن الى توسيط الارادة بين الصدر وبين الاستخفاء ليس كانسياقه الى توسيط الضرب بين الامر به وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما يعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك استهجانا بذكره او ايماء الى ان ظهوره مغن عن ذكره او ليذهب ذهن السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور المنكرة فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق الذي القي اليهم دخولا اوليا فيظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة ويضمر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ راسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي صلى الله عليه وسلم فكانه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبي صلى الله عليه وسلم لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة وربما يؤدي ذلك الى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنوني صدورهم بالياء والتاء من اثنوني افعوعل

من الشيء كالحلولي من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليثنوني
وقرئ تثنون واصله تثنونن تفوعل من الثن وهو ما هش من الكلاء ع
وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات او اراد
ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز
كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي الا حين يستغشون
ثيابهم ان يتغطوا بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد وحين ياوون الى
فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل
كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول
هل يعلم الله ما في قلبي يعلم ما يسرون اي يضمرون في قلوبهم وما يعلنون اي
يستوي بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه
وانما قدم السر على العلن نعيا عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا بافتضاحهم
ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكان علمه بما يسرونه اقدم
منه بما يعلنونه ونظيره قوله تع قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله
حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء وعلى عكس ما وقع في قوله تع وان تبدوا ما في
انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق علمه تعالى بما يسرونه اولى منه بما
يعلنونه غرض منهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق
حصول الصورة بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى
لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما قوله تع واعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون بحيث كان واردا بصدد الخطاب مع الملائكة عليهم السلام المنزه
شانهم عن اقتضاء التاكيد والمبالغة في الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن
لم يسلك فيه ذلك المسلك مع انه وقع الغيبة عنه بما قبله من قوله عز وجل اني
اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة
على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر في القلب فتعلق
علمه سبحانه بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية انه عليم بذات الصدور
تعليل لما سبق وتقرير له واقع موقع الكبرى من القياس وفي صيغة الفعيل
وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير من الضمائر بعنوان صاحبيتها من
البراعة ما لا يصفه الواصفون كانه قيل انه مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع
الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تفارقها اصلا فكيف يخفى
عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله
تعالى ولكن تعمى القلوب من قوله تع ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والمعنى انه
عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وما من دابة في الارض

الا على الله رزقها غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث الايصال
اليها بطريق طبيعي او ارادي لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما جيء به على طريق
الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا لوصوله اليها البتة وحملا للمكلفين على
الثقة به تع والاعراض عن اتعاب النفس في طلبه ويعلم مستقرها محل قرارها
في الاصلاب ومستودعها موضعها في الارحام وما يجري مجراها من البيض
ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما خص به من المحلين لان النطفة بالنسبة
الى الاصلاب في حيزها الطبيعي ومنشاها الخلقي واما بالنسبة الى الارحام
وما يجري مجراها فهي مودعة فيها الى وقت معين او مسكنها من الارض
حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة
ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان
كونها دابة في الارض والمعنى ما من دابة في الارض الا يرزقها الله تعالى حيث
كانت من اماكنها يسوقه اليها ويعلم موادها المتخالفة المندرجة في مراتب الاستعدادات
المتفاوتة المتطورة المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض عليها في كل حالة من
ما يليق بها من مبادي وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع
باماكنها في الممات ولا يلائمه مقام التوكل التكفل بارزاقها كل من الدواب ورزقها
ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين اي مثبت في اللوح المحفوظ البين
لمن ينظر فيه من الملائكة عليهم السلام او المظهر لما اثبت فيه للناظرين وكانه انتهى
الامر الى انه سبحانه محيط بجميع الاحوال ما في الارض من المخلوقات التي لا تكاد
تحصى من مبدئها وفطرتها الى منتهى اقصى الحال والتعرض لمبدأ خلق السموات
والارض والحكمة الداعية الى ذلك فقيل وهو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام السموات في يومين والارض في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات
وغير ذلك في يومين حسبما فصل في سورة السجدة ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه
من تتمات خلقها وهو السر في جعل زمان خلقه تتمة لزمان خلقها في قوله تع
في اربعة ايام والمراد بالايام الاوقات كما في قوله تع ومن يولهم يومئذ دبره
اي في ستة اوقات كما في قوله تع او مقدار ستة ايام فان اليوم في المتعارف
زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض ولا سماء
وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار
واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور واما تخصيص ذلك بالعدد المعين
فامر استاثر بعلم ما تقتضيه علام الغيوب جلت حكمته وايثار صيغة الجمع
في السموات لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة الطبايع
ومتفاوتة الاثار والاحكام وكان عرشه قبل خلقهما على الماء ليس تحته شيء

عين سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد في الاثر فلا دلالة
فيه على امكان الخلا كيف لا ولو دل لدل على وجوده لا امكانه فقط ولا على كون
الما اول ما حدث في العالم بعد العرش وانما يدل على خلقهما اقدم من خلق السموات
والارض من غير تعرض للنسبة بينهما ليبلوكم متعلق بخلق اي خلق السموات والارض
وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون اليه من
مبادي وجودكم واسباب معايشكم واودع في تضاعيفهما من تعاجيب الصنايع
والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم ايكم احسن
عملا فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات
افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المرتبة
على انظارهم فيما نصب من الحجج والدلايل والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم
المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله
عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله تعالى
فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني فكذا الحال
في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذي
اثير وانما طريقها التفكر في بدايع صنايع الملك الخلاق والتدبر في آياته
البينات المنصوبة في الانفس والآفاق ولا طاعة بدون فهم ما في مطاوي
الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع
له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل
الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل
اهل الارض وتعليق فعل البلوى ان تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور
الذي يقتضي عدم ايراد المفعول صلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه
من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظايره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل
والاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلا شامل للفريقين
باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط
للايذان بان المراد بالذات والمقصود الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدايع
على ذلك النمط الرايع انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه
على اتم الوجوه اللايقة واكمل الاساليب الرايقة يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد
احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان
والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والكثرة والقلة
واما الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الاندراج تحت

الوقوع فضلا عن ان ينتظم في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع
وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب ولا يحيي ما فيه
من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة
نقايضها والله تعالى اعلم ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت على ما يوجبه
قضية الابتلاء ليترتب عليه الجزاء المتفرع عن ظهور مراتب الاعمال ليقولن
الذين كفروا ان وجه الخطاب في قوله انكم الى جميع المكلفين فالموصول مع
صلته للتخصيص اي ليقولن الكافرون منهم وان وجه الى الكافرين منهم
وان وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم ان هذا الا سحر مبين اي
مثله في الخديعة او البطلان وهو اشارة الى القول المذكور او الى القرآن فان
الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحي المتلو الا انهم عند تمام
ذلك تخلصوا الى القرآن لانبائه عنه في كل موضع وكونه علما عندهم في ذلك فعمدوا
الى التكذيب وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد وتفاديا عن سنن الرشاد
هو اشارة الى نفس البعث ولا يلايمه التسمية بالسحر فانه انما يطلق على شيء موجود مما
لا اصل له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت وتعلق الآية الكريمة بما قبلها
اما من حيث ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلا المذكور وكانه قيل الامر كما ذكر
ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة فذة من مقدماته وقضية فردة من تتماته لا يتلقونه
في الرد ويعدون ذلك من قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديق ما هو من تتماته
واما من حيث ان البعث خلق جديد فكانه وهو الذي خلق جميع المخلوقات
ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه يعيدهم تارة اخرى وهو اهون
عليه يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر
على ان الاشارة الى القايل او الى القرآن على اسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح
على تضمين قلت معنى ذكرت او على ان بمعنى في علك اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون
على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين اي توقعوا ذلك ولا تبتوا القول
بانكاره او على انه مجاراة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يسارعوا الى اللجاج
والعناد وربما قرع اسماعهم بت القول بخلاف ما ألفوا والفوا عليه اباءهم من انكار
البعث ويكون ذلك ادعى لهم الى التامل والتدبر وما فعلوه قاتلهم الله انى
يؤفكون ولئن اخرنا عنهم العذاب المترتب على بعثهم او العذاب الموعود في قوله تعالى
فان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير عذاب بدر وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قتل جبريل عليه السلام للمستهزئين والظاهر ان المراد به العذاب
الشامل للكفرة دون ما يخص بعض منهم على ان لم يكن موعودا يستعجل منه المجرمون
الى امة معدودة الى طايفة من الانام قليلة لان ما يحصره العد قليل ليقولن ما يحبسه

أي أي شيء يمنعه من المجيء لكأنه يريد فيمنعه مانع إنما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال
استهزاء لقوله تعالى ما كانوا به يستهزئون ومرادهم إنكار المجيء والحبس رأسا لا الإخبار
به والاستفسار عن حابسه ألا يوم يأتيهم ذلك ليس مصروفا عنهم على معنى أنه
لا يرفعه رافع أبدا إن أريد به عذاب الآخرة أو لا يدفعه عنهم دافع بل هو واقع بهم إن أريد
به عذاب الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدما عليه واستدل به البصريون على
جواز تقديمه على ليس إذ المعمول تابع للعامل فلا يقع إلا حيث يقع متبوعه ورد بأن
الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا وبأنه قد يتقدم المعمول حيث لا يجوز
تقدم العامل كما في قوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر فإن اليتيم
والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع
تقدم الفعلين عليها قال أبو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم
يظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا بتقديم معموله إلا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة
وقول الشاعر • فيأبى فما يزداد إلا لجاجة • وكنت أبيا في الخنا لست أقدم •
وحاق بهم أي أحاط بهم ما كانوا به يستهزئون أي العذاب الذي كانوا يستعجلونه
به استهزاء وفي التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه وإشعار بعلية ما ورد في حيز
الصلة من استهزائهم به لنزوله وإحاطته والتعبير عنهما بالماضي وارد على عادة
الله تعالى في أخباره لأنها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك
من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر به ما لا يخفى ولئن أذقنا الإنسان منا
رحمة أي أعطيناه نعمة من صحة وأمن وجدة وغيرها وأوصلناها إليه بحيث يجد
لذتها ثم نزعناها منه أي سلبناه إياها وإيراد النزع للإشعار بعلية شدة تعلقه بها
وحرصه عليها إنه ليؤوس شديد القنوط من روح الله قطوع رجاءه من عود أمثالها
عاجلا وآجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته به كفور عظيم
الكفران لما سلف من النعم وفيه إشارة إلى أن النزع إنما كان بسبب كفرانهم بما
كانوا يتقلبون فيه من نعم الله عز وجل وتأخيره عن وصف بأنهم مع تقدمه عليه وجودا
لرعاية الفواصل على أن اليأس من فضل الله سبحانه وقطع الرجاء عن إفاضة أمثاله
في العاجل وإيصال أجره في الآجل من باب الكفران للنعمة السابقة أيضا ولئن
أذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وجدة بعد عدم وفرج بعد شدة وفي
التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه
وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونها في أدنى ما ينطلق عليه اسم الملاقاة من
مراتبها وإسناد الأول إلى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة
على أن مراده تعالى إنما هو إيصال الخير المرغوب فيه على أحسن ما يكون وأنه إنما
يريد بعباده اليسر دون العسر وإنما ينالهم بسوء اختيارهم نيلا يسيرا كأنما يلاصق البشرة

من غير

من غير تأثير وأما نزع الرحمة فإنما صدر عنه بمقتضى الحكمة الداعية إلى ذلك وهي
كفرانهم بها كما سبق وتنكير الرحمة باعتبار تعلق النزع بها ليقولن ذهب السيئات عني
أي المصائب التي تسوؤني ولن يعتريني بعد أمثالها كما هو شأن أولئك الأشرار فإن الترتب
لورود أمثالها مما يكدر السرور وينغص العيش إنه لفرح بطر وأشر بالنعم مغتر بها فخور
على الناس بما أوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام في لئن في الآيات الأربع
موطئة للقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط إلا الذين صبروا على ما أصابهم من الضراء
سابقا ولاحقا إيمانا بالله واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا على الآلاء السابقة
والآنفة واللام في الإنسان إما للاستغراق الجنسي فالاستثناء متصل أو للعهد فمنقطع أولئك
إشارة إلى الموصوف باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو
درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل أي أولئك الموصوفون بتلك الصفات الحميدة
لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وإن جمت وأجر ثواب لأعمالهم الحسنة كبير ووجه تعلق
الآيات الثلاث بما قبلهن من حيث إن إذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب
الابتلاء واقع موقع التفصيل من الإجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا والمعنى
أن كلا من إذاقة النعماء ونزعها مع كونه ابتلاء للإنسان أيشكر أم يكفر لا يهتدي إلى سنن
الصواب بل يحيد في كلتا الحالتين عنه إلى مهاوي الضلال فلا يظهر منه حسن عمل
إلا من الصابرين الصالحين أو من حيث إن إنكارهم بالبعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب
بطرهم وفخرهم كأنه قيل إنما فعلوا ما فعلوا لأن طبيعة الإنسان مجبولة على
ذلك فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك من البينات الدالة على حقية نبوتك المنادية
بكونها من عند الله عز وجل لمن له أذن واعية وضائق به صدرك أي عارض لك ضيق
صدر بتلاوته عليهم وتبليغه إليهم في أثناء الدعوة والمحاجة أن يقولوا لأن يقولوا تعاميا
عن تلك البراهين التي لا يكاد يخفى صحتها على أحد ممن له أدنى بصيرة وتماديا في العناد
على وجه الاقتراح لولا أنزل عليه كنز مال خطير مخزون يدل على صدقه أو جاء معه
ملك يصدقه قاله عبد الله بن أمية المخزومي وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما أن رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا إن كنت رسولا وقال
آخرون ائتنا بالملائكة يشهدوا بنبوتك فقال لا أقدر على ذلك فنزلت فكأنه صلى الله
عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على الاقتراح مثل هذه العظائم غير قانعين بالبينات الباهرة
التي كانت تضطرهم إلى القبول لو كانوا من أرباب العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة
متن كل صعب وذلول مسارعين إلى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا
مثل حاله عليه السلام بحالة من يتوقع منه أن يضيق صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة
عليهم وتبليغها إليهم فحمل على الحذر منه بما في لعل من الإشفاق إنما أنت
نذير ليس عليك إلا الإنذار بما أوحي إليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول

والله على كل شيء وكيل يحفظ احوالك واحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك
فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير في اقصى غاية من اصابة
المحز ام يقولون افتراه اضراب بام المنقطعة عن ذكر ترك اعتدادهم بما
يوحي وتهاونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة
على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته صلى الله عليه وسلم وشروع
ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والانكار
والتعجيب والضمير المستكن في افتراه للنبي صلى الله عليه وسلم والبارز
لما يوحي اي بل ايقولون افتراه وليس من عند الله قل ان كان الامر كما
تقولون فاتوا انتم ايضا بعشر سور مثله في البلاغة وحسن النظم وتنويعه
السور اي امثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة كل واحدة منها او لان المطابقة
ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد كما في قوله تعالى انؤمن لبشرين
مثلنا او للايماء الى ان وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع شيء واحد هو
البلاغة المؤدية الى مرتبة الاعجاز فكان الجميع واحد مفتريات صفة اخرى
لسور اخرت من وصفها بالمماثل لما يوحي لانها الصفة المقصودة بالتكليف
اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم على المعارضة واما وصف الافتراء فلا
يتعلق به غرض يدور عليه شيء في مقام التحدي وانما ذكر على نهج المساهلة
وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما توهم ان المراد هو المماثلة في الافتراء
والمعنى فاتوا بعشر سور مماثلة له في البلاغة مختلقات من عند انفسكم ان صح
اني اختلقته من عندي فانكم اقدر على ذلك مني لانكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم
مبادي ذلك من الخطب والاشعار وحفظتم الوقايع والايام وزاولتم اساليب
النظم والنثر وادعوا للاستظهار في المبالغة في المعارضة من استطعتم دعاءه
والاستعانة به من الهتكم التي تزعمون انها ممدة لكم في ما تأتون وما تذرون والكهنة
ومداركم الذين تلجئون اليهم آرائهم في الملمات ليسعدوكم فيها من دون الله متعلق
بادعوا اي متجاوزين الله تعالى ان كنتم صادقين في اني افتريته فان ذلك
يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف
يدل عليه المذكور فان لم يستجيبوا لكم اي فان لم تفعلوا ما كلفتم من الاتيان
بمثله كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه
وسلم على كمال امن كان امره لهم بالاتيان بمثله دعاء لهم الى امر يريد وقوعه
والضمير في لكم للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم كما في قول من قال وان شئت
حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا او له وللمؤمنين لانهم اتباع
له عليه السلام في الامر بالتحدي وفيه تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه

وينا صبوا

ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه في الجهاد وارشاد لهم الى ان ذلك مما
يفيد الرسوخ في الايمان والطمانينة في الايقان ولذلك رتب عليه قوله تعالى فاعلموا
اي اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهالكهم عليها علما يقينيا متاخما لعين اليقين
بحيث لا يحاك لشائبة ريب بوجه من الوجوه كان ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن
لا للاشعار بالخطاب تلك المراتب بل بان نيل هذه الرتبة وبه يتضح سر ايراد كلمة
الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب منزلة العدم مستتبع لتنزيل
الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه او اثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم
انما انزل ملتبسا بعلم الله المخصوص به بحيث لا يحوم حوله العقول والافهام
مستبدا بخصايص الاعجاز من جهتي النظم الرائق والاخبار بالغيب وان لا اله الا هو
اي واعلموا ايضا ان لا شريك له في الالوهية واحكامها ولا يقدر على ما يقدر عليه
احد فهل انتم مسلمون اي مخلصون في الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب
التثبيت والترقية الى مدارج اليقين ويجوز ان يكون الخطاب في الكل
للمشركين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا تحت الامر بالتحدي
والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم يستجيبوا لكم الهتكم وسائر
من اليهم تجارون في نوائبكم وملماتكم الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا ان ذلك
خارج عن دايرة قدرة البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر فابراكم
كلمة الشك مع الجزم بعد الاستجابة من جهة الهتكم تهكم بهم وتسجيل بكمال
سخافة العقل وترتيب الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث انه مسبوق
بالدعاء ومسبوق بعجزهم واضطرارهم ثم كانه فان لم يستجيبوا لكم
عند التجائكم اليهم بعد اضطراركم الى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم
العلل او من حيث ان من يستمدون بهم اقوى منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم
بعد استجابتهم وان كان ذلك قبل ظهور عجز انفسهم يكون عجزهم اظهر واوضح
واعلموا ايضا ان الهتكم بمعزل عن رتبة الشركة في الالوهية واحكامها فهل انتم
ثم داخلون في الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيته وفي بطلان
ما كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الاذعان لكون القرآن من عند الله تعالى
دخولا اوليا او مستمرون دون للحق الذي هو كون القرآن من عند الله تعالى وان كون
ما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى
الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر واقناط من ان يجيرهم
الهتهم من باس الله عز وجل هذا والاول انسب لما سلف من قوله تعالى وضائق
به صدرك ولما سياتي من قوله تعالى فلا تك في مرية منه واشد ارتباطا بما
بعده كما ستحيط به خبرا من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اي ما يزينها

وبحسنها من الصحة والامن والسعة في الرزق وكثرة الاولاد والرياسة
وغير ذلك والمراد بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة
القلبية لقوله تع نوف اليهم اعمالهم فيها وادخال كان عليها للدلالة على استمرارها
منهم بحيث لا يكادون يريدون الاخرة اصلا وليس المراد باعمالهم اعمال كلهم
فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد ينال كل ما يهواه فان ذلك منوط
بالمشيئة الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تع من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها الذي يترتب عليه الاثر
المذكور بطريق الاجر والجزاء من اعمال البر وقد اطلقت وارثها بها
ثمراتها فالمعنى نوصل اليهم ثمرات اعمالهم في الحيوة الدنيا كاملة وقرئ
يوف على الاسناد الى الله تعالى وتوف بالفوقانية على البناء للمفعول
ورفع اعمالهم وقرئ نوف بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا
كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم
وهم فيها اي في الحيوة الدنيا لا يبخسون اي لا ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخس
الذي هو نقص الحق الذي مع انه ليس لهم شائبة حق فيما اوتوه كما عبر عن
اعطائه بالتوفية التي هي اعطاء الحقوق مع ان اعمالهم بمعزل من كونها
مستوجبة لذلك بناء للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صورة الاعمال ومبالغة
في نفي النقص كان ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم
اصلا والمعنى انهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا واما في
الاخرة فهم في الحرمان المطلق واليأس المحقق كما ينطق به قوله تعالى اولئك
فانه اشارة الى المذكورين باعتبار ارادتهم الحيوة الدنيا او باعتبار توفيتهم اجورهم
من غير بخس او باعتبارهما معا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في سوء الحال
اي اولئك المريدون للحيوة الدنيا وزينتها الموفون فيها ثمرات اعمالهم من غير بخس
الذين ليس لهم في الاخرة الا النار لان هممهم كانت مصروفة الى الدنيا واعمالهم مقصورة
على تحصيلها وقد اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا يريدون شيئا اخر فلا جرم لم يكن لهم في الاخرة
الا النار وعذابها المخلد وحبط ما صنعوا فيها اي ظهر في الاخرة حبوط ما صنعوه من
الاعمال التي كانت تؤدي الى الثواب لو كانت معمولة للاخرة او حبط ما صنعوه في
الدنيا من اعمال البر اذ شرط الاعتداد بها الاخلاص وباطل اي في نفسه ما كانوا
يعملون في اثناء تحصيل المطالب الدنيوية ولاجل ان الاول من شانه استتباع
الثواب والاجر وان عدمه لعدم مقارنته للايمان والنية الصحيحة وان الثاني
ليس له جهة صالحة قط علق بالاول الحبوط المؤذن بسقوط اجره بصيغة الفعل المنبي
عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا بالاسمية

الدال

الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفي زيادة كان في الثاني دون
الاول ايماء الى ان صدور اعمال البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس في
الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقدمات مطالبهم الدنيوية
وقرئ وبطل على الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك
وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته او انقطع اثره الدنيوي فبطل
مطلقا وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على ان ما ابهامية او في معنى
المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وعن انس رضي الله عنه ان المراد
بقوله تع من كان يريد الخ اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما
عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن
هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في
الغنائم وانت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية
هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك وهكذا
لغير من يعمل اعمال البر لا لوجه الله تع فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى ليس لهم الا
النار بان ليس لهم بسبب اعمالهم الريائية الا ذلك والذي يقتضيه جزالة النظم
الشريف ان المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون في القرآن
العظيم اندراجا اوليا فانه عز وعلا لما امر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
بان يزدادوا علما ويقينا بان القرآن منزل بعلم الله وبان لا قدرة لغيره على شيء
اصلا وهيجهم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة
وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على شيء اصلا اقتضى
الحال ان يتعرض لبعض شؤنهم الموهمة لكونهم على شيء في الجملة من نيلهم الحظوظ
العاجلة واستوائهم على المطالب الدنيوية وبيان ان ذلك بمعزل عن الدلالة عليه
ولقد بين ذلك اي بيان ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقرآن والتمسك
بالاسلام فقيل افمن كان على بينة من ربه اي برهان نير عظيم الشان يدل
على حقية ما رغب في الثبات عليه من الاسلام وهو القرآن او باعتباره او بتاويل
البرهان ذكر الضمير الراجع اليها في قوله تع ويتلوه اي يتبعه شاهد يشهد بكونه
من عند الله تعالى وهو الاعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه او ما وقع
في بعض آياته من الاخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله تعالى
غير انه على التقدير الاول يكون في الكلام اشارة الى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين في تمسكهم بالقرآن عند تبين كونه منزلا من عند بعلم الله تعالى بشهادة الاعجاز
منه اي من القرآن غير خارج عنه او من جهة الله تعالى فان كلا منهما وارد من جهته
تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يد رسول

اي وباطلا اي اظهر
ما كانوا يعملون
صح

الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة للقرآن الواردة
من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله تعالى أفمن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة
فيدخل فيه المخاطبون بقولهم فاعلموا فهل انتم دخولا اوليا هو النبي
صلى الله عليه وسلم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل
المراد بالبينة دليل العقل وبالشاهد القرآن فالضمير في منه لله
عز وجل او البينة القرآن ويتلوه من التلاوة هو القرآن والشاهد جبريل او
لسان النبي صلى الله عليه وسلم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه
والاولى هو الاول ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان اقامة الشهادة بصحته
وكونه من عند الله تعالى تابعا له بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد فان القرآن
بينة باقية على وجه الارض الدهر مع شاهد بها الذي يشهد بامرها الى يوم القيمة
عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى في قوله عز قائلا ومن قبله كتاب موسى
فاعله مع كونه مقدما عليه في النزول فكانه قيل أفمن كان على بينة من ربه ويشهد
به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وانما قدم في الذكر المؤخر في
النزول لكونه وصفا لازما له غير مفارق عنه ولعراقته في وصف التلو والتنكير
في بينته وشاهد للتفخيم اماما اي مؤتما به في الدين ومقتدا وفي التعرض لهذا
الوصف بصدد تلو الكتاب ما لا يخفى من تفخيم شأن المتلو ورحمة اي نعمة
عظيمة على من انزل عليهم ومن بعدهم الى يوم القيمة باعتبار احكامه الباقية المؤيدة
بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب اولئك الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهي
الكون على بينة من الله ولما ان ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك
بطريق التقليد لمن سلف من علماء الدين من غير عثور على دقايق الحقايق وصفهم
بانهم يؤمنون به اي يصدقونه حق التصديق حسبما يشهد به الشواهد الحقة المعربة
عن حقيته ومن يكفر به اي بالقرآن ولم يصدق بتلك الشواهد الحقة من الاحزاب
من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة
حسبما نطق به قوله تعالى ليس لهم في الآخرة الا النار وفي جعلها موعدا اشعار بان له
فيها ما لا يوصف من افانين العذاب فلا تك في مرية منه اي في شك من امر القرآن
وكونه من عند الله عز وجل عما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك
به انه الحق من ربك الذي يربيك في دينك ودنياك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون
بذلك اما لقصور انظارهم واختلال افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم ومن قوله
تعالى أفمن كان على بينة من ربه مبتدأ حذف خبره لاغناء الحال عن ذكره وتقديره
افمن كان على بينة من ربه كاولئك الذين ذكرت اعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم يعني ان
بينهما تفاوتا عظيما بحيث لا يكاد يترآى ناراهما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب

توهم المماثلة في ما ذكر من صفاتهم وعدد من هناتهم كانه بعد ظهور
حالهم في الدنيا والآخرة كما وصف سوهم المماثلة بينهم وبين من كان في احسن
ما يكون في العاجل والآجل كما في قوله تعالى افاتخذتم من دونه اولياء اي ابعد ان علمتموه
رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء وقوله تعالى افمن يعلم انما انزل اليك
من ربك الحق كمن هو اعمى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان نسب اليه ما لا يليق
به كقولهم للملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقولهم لآلهتهم هؤلاء
شفعاؤنا عند الله يعني انهم مع كونهم بآيات الله تعالى مفترون عليه كذبا وهذا
التركيب وان كان سبكه على انكار ان يكون احد اظلم منهم من غير تعرض في
لانكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها
وافادة انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيتلى من قوله عز وجل لا جرم انهم
في الآخرة هم الاخسرون فاذا من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد
منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل اولئك الموصوفون بالظلم البالغ
الذي هو الافتراء على الله تعالى وبهذه الاشارة حصلت الغنية عن اسناد العرض
الى اعمالهم واكتفي باسناده اليهم حيث قيل يعرضون لان عرضهم من تلك الحيثية
وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل بعمله افظع من عرض
عمله مع غيبته على ربهم الحق وفيه ايماء الى بطلان رايهم في اتخاذهم اربابا
من دون الله عز وجل ويقول الاشهاد وعند العرض من الملائكة والنبيين
ومن جوارحهم وهو جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف هؤلاء الذين كذبوا على
ربهم بالافتراء عليه كان ذلك امر واضح غني عن الشهادة بوقوعه وانما المحتاج الى
الشهادة بوقوعه وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك
لا يقولون هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ويجوز ان يكون المراد بالاشهاد الحضار وهم
جميع اهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم ذما لهم بذلك لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقول دون الخ وقوله
لما يعقبه من قوله الا لعنة الله على الظالمين بالافتراء المذكور ويجوز ان يكون
هذا على الوجه الاول من كلام الله عز وجل وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة
ظلمهم اللهم انا نعوذ بك من الخزي على رؤس الاشهاد الذين يصدون اي
كل من يقدرون على صده او يفعلون الصد عن سبيل الله عن دينه القويم ويبغونها
عوجا انحرافا اي يصفونها بذلك وهو ابعد شيء منه او يبغون اهلها ان ينحرفوا عنها يقال
بغيتك خيرا او شرا اي طلبت لك وهذا شامل لتكذيبهم بالقرآن وقولهم انه ليس
عند الله وهم بالآخرة هم كافرون اي يصفونها بما يصفونها بالعوج والحال انهم كافرون
بها لا انهم يؤمنون بها ومن عموا ان لها سبيلا سويا يهدون الناس اليه وتكرير

لتضمين لتاكيد كفرهم واختصاصهم به كان كفرهم ليس بشيء عند كفرهم اولئك
مع ما وصف من احوالهم الموجبة للتدمير لم يكونوا معجزين الله تعالى معلنين بانفسهم
من اخذه لو اراد ذلك في الارض مع سعتها وان هربوا منها كل مهرب وما كان لهم
من دون الله من اولياء من باسه ولكن اخر ذلك لحكمة تقتضيه والجمع اما باعتبار
افراد الكفرة كانه وما كان لاحد منهم من ولي او باعتبار تعدد ما كانوا
يدعون من دون الله تعالى فيكون ذلك بيانا لحال آلهتهم من سقوطها عن رتبة
الولاية يضاعف لهم العذاب استيناف يتضمن حكمة تاخير المواخذة وقرا
ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم
عن الحق وبغضهم له كانهم لا يقدرون على السمع ولما كان قبح حالهم في عدم اذعانهم
للقرآن الذي طريق تلقيه السمع اشد منه في عدم قبولهم لساير الايات المنوطة
بالابصار بالغ في نفي الاول عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني
بنفي الابصار فقال وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن ايات الله المبسوطة في الانفس والآفاق
وهو استيناف وقع تعليلا لمضاعفة العذاب هو بيان لما نفي من ولاية
الالهية فان ما لا يسمع ولا يبصر بمعزل من الولاية تعالى يضاعف لهم العذاب
اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من اول الامر سوء العاقبة اولئك المنعوتون بما ذكر
من القبائح الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله عز سلطانه وضل
عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا
فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم فيه ثلثة اوجه الاول ان لا نافية
لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل حق
انهم في الاخرة هم الاخسرون وهذا مذهب سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب
وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام اي كسب ذلك خسرانهم فالمعنى ما حصل
من ذلك الا ظهور خسرانهم فالمعنى ما حصل الثالث ان لا جرم بمعنى لا بد اي لا بد
انهم في الاخرة هم الاخسرون واياما كان فمعناه انهم اخسر من كل خاسر فتبين
انهم اظلم من كل ظالم واخسر من كل خاسر وهذه الايات الكريمة كما ترى مقررة
لما سبق من انكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين من كان يريد
الحيوة الدنيا ابلغ تقرير فانهم حيث كانوا اظلم من كل ظالم لم يتصور مماثلة
بينهم وبين احد من الظلمة الاخسرين فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو على
مدارج الكمال ولما ذكر فريق من الكفار واعمالهم وبين مصيرهم ومآلهم شرع
في بيان حال اضدادهم اعني فريق المؤمنين وما يؤول اليه امرهم من العواقب الحميدة
تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه الاية
لتبيين ما بينهما من التباين البين حالا ومآلا ان الذين امنوا بكل ما يجب

ان يؤمن

ان يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده من الايمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون
على بينة من الله وانما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدي اليه
ذلك في الانفس والافاق او فعلوا الايمان كما في يعطي ويمنع وعملوا الصالحات
واخبتوا الى ربهم اي اطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع من
الخبت وهي الارض المطمئنة ومعنى دخل في الخبت كاتهم واانجد دخل في تهامة
ونجد اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة اصحاب الجنة هم فيها خالدون
دائمون وبعد بيان تباين حاليهما عقلا اريد تباينهما حسا
مثل الفريقين المذكورين اي حالهما العجيبة لان المثل لا يطلق الا على ما فيه
غرابة من الاحوال والصفات والاعمى والاصم والبصير والسميع اي كحال
هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق
الاول بالاعمى وبالاصم وتشبيه الفريق الثاني بالبصير وبالسميع لكن الاول
في المبالغة والاقرب الى ما يشير اليه لفظ المثل والانسب بما سبق من وصف
الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصار ان يحمل على تشبيه الفريق الاول
بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثاني بمن جمع بين البصر والسمع على
ان يكون الواو في قوله تعالى والاصم وفي والسميع لعطف الصفة
على الصفة كما في قول من قال • الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم
واياما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهي التي يدور عليها
امر التشبيه ما يلائم الاحوال المذكورة المعتبرة في جانب المشبه من تعامي الفريق
الاول عن مشاهدة ايات الله المنصوبة في العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم
عن استماع ايات القرآن الكريم وتلقيها بالقبول حسبما ذكر في قوله تعالى لا يستطيعون
وما كانوا يبصرون • وانما لم يراع هذا الترتيب ههنا لكون الاعمى اظهر واشهر في
سوء الحال من الاصم ومن استعمال الفريق الثاني لكل من ابصارهم واسماعهم
فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاخبات حسبما
فسر به فيما مر فلا يكون التشبيه تمثيليا الا جميع الاحوال المعدودة لكل من الفريقين
بما ذكر وما يؤدي اليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في احدهما ومن النعيم
المقيم في الاخر فان اعتبار ذلك ينزع الى كون التشبيه تمثيليا بان ينتزع من
حال الفريق الاول في تصامهم وتعاميهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب
المضاعف والخسران الذي لا خسران فوقه هيئة تتشبه بهيئة منتزعة من فاقد
مشعري البصر والسمع فتخبط في مسلكه فوقع في مهاوي الردى • ولم يجد الى مقصده سبيلا
وينتزع من حال الفريق الثاني في استعمال مشاعرهم في ايات الله تعالى حسبما ينبغي وفوزهم
بدار الخلود هيئة تتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته فيهتدي

الى سبيله وينال مرامه هل يستويان يعني الفريقين المذكورين والاستفهام
انكاري مذكر لما سبق من انكار المماثلة في قوله تعالى افمن كان على بينة الاية
مثلا اي حالا وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان افلا تذكرون اي اتشكون
في عدم الاستواء وما بينهما من التباين او اتغفلون عنه فلا تتذكرونه بالتامل
فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار واردا على المعطوفين معا او انتهى
هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجبه من علمهم
بحال الرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم او افلا تعقلون التذكر او افلا تعقلون
ومعنى الهمزة انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين وانه ليس مما ينبغي
ان يقع من قبيل الانكار في قوله تعالى افمن كان على بينة وقوله تعالى هل يستويان
فان ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء ولما بين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا
المقام انها كتاب محكم الايات مفصلها نازل في شان التوحيد وترك عبادة غير
الله تعالى وان الذي انزل عليه نذير وبشير من جهته وقرر في تضاعيف
ذلك ما له مدخل في تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب والزام المعاندين
بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة على كونه من عند الله تعالى وتسلية الرسول
صلى الله عليه وسلم بما عراه من ضيق الصدر العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة
وتكذيبهم له وتسميتهم للقرآن تارة سحرا وتارة اخرى مفترى وتثبيته عليه
السلام والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع اسلوب شرع
في تحقيق ما ذكر وتقرير بذكر قصص الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين المشتملة
على ما اشتمل عليه فاتحة الكتاب السورة ليتاكد ذلك بطريقين احدهما ان ما امر
به من التوحيد وفروعه مما اطبق عليه الانبياء قاطبة والثاني ان ذلك انما علمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا يبقى في حقيته كلام اصلا وليتسلى
بما يشاهده من معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدائد من جهتهم
ولقد ارسلنا نوحا الى قومه الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف
وحرفه البا للدلالة لا الواو كما في سورة الاعراف لئلا يجتمع واوان ولا يكاد
يطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر
بها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن ادريس عليهما السلام وهو اول نبي بعث بعده قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بعث عليه السلام على راس اربعين من عمره ولبث يدعو قومه
تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة وقال
مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة   هو ابن خمسين سنة
وهو ابن مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة اني لكم نذير
بالكسر على ارادة القول اي فقال او قائلا وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي

بالفتح

بالفتح على اضمار حرف الجر اي ارسلناه ملتبسا بذلك الكلام وهو اني لكم نذير بالكسر
فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد
واقتصر على ذكر كونه عليه السلام نذيرا لا لان دعوته عليه السلام كانت بطريق الانذار
فقط الا يرى الى قوله عليه السلام فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء
عليكم مدرارا الاية بل لانهم لم يغتنموا مغانم ابشاره عليه السلام مبين ابين لكم موجبات
العذاب ووجه الخلاص عنه لان الانذار اعلام المحذور والتخويف والازعاج
بل المحذر منه فيتعلق صفته بكلا وصفيه ان لا تعبدوا الا الله اي بان لا تعبدوا
على ان ان مصدرية والباء متعلقة بارسلنا ولا ناهية اي ارسلناه ملتبسا بنهيهم عن
الشرك الا انه وسط بينهما بيان بعض اوصافه واحواله عليه السلام وهو كونه
نذيرا مبينا ليكون ادخل في القبول ولم يفعل ذلك في صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب
ومضمونه بما ليس من مضمونه اوصافه واحواله او مفسرة متعلقة به او بنذير او بمعنى ال
المبين وعلى قراءة الفتح بدل من اني لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور
وتبيين لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى   اني اخاف عليكم عذاب يوم
اليم تعليل لموجب النهي وتصريح بالمحذور وتحقيق للانذار والمراد به يوم القيمة
او يوم الطوفان ووصفه بالاليم على الاسناد المجازي للمبالغة كما في نحو نهاره
صائم وهذه المقالة وما في معناها مما قاله عليه السلام في اثناء الدعوة على ما عرف
كليته في ساير السور لما لم تصدر عنه عليه السلام مرة واحدة بل كان يكررها
عليهم في تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا
الايات عطف على فعل الارسال المقارن لها او القول المقدر بعد جوابهم
المتعرض لاحوال المؤمنين الذين اتبعوه عليه السلام بعد اللتيا والتي بالفاء
التعقيبية   فقال الملا الذين كفروا من قومه اي الاشراف منهم
من قولهم فلان ملي بكذا اي مطيق له لانهم مليوا بكفايات الامور او لانهم
ملؤا القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملا بالاحلام والاراء الصائبة
ووصفهم بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لا لان بعض اشرافهم
ليسوا بكفرة ما نراك الا بشرا مثلنا مرادهم ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزية
تخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان كذلك لرايناه لا ان ذلك
محتمل ولكن لا نراه وكذا الحال في قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم
اراذلنا بادي الراي فالفعلان من رؤية العين وقوله تعالى الا بشرا مثلنا حال
من المفعول وكذا قوله تعالى اتبعك في موضع الحال منه اما على حاله او بتقدير
قد عند من يشترط ذلك ويجوز ان يكون من رؤية القلب وهو الظاهر
فيهما المفعول الثاني وتعلق الراي في الاول بالمثلية لا بالبشرية فقط وبما

لم يبتوا القول بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه ارادة بان ذلك لم يصدر
عنهم جزافا بل بعد التأمل في الامر والتدبر فيه ولذلك اقتصر على ذكر الظن
فيما سيأتي وتعريضا من اول الامر بالمتبعين فكان قولهم وما نراك
جواب عما رد عليهم من انه عليه السلام ليس مثلهم حيث عاين دلائل نبوته
واغتنم اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا ان هؤلاء اراذلنا
اي اخساؤنا وادانينا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر
والاكابر او جمع ارذل جمع رذل كالكالب واكلب وكلب يعنون انه لا عبرة باتباعهم
لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة رأي وقد كان ذلك منهم في بادي الرأي
اي ظاهره من غير تعمق من البدو وفي اوله من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار
ما قبلها وقد قرأه ابو عمرو بها وانتصابه على الظرفية على حذف المضاف اي وقت
حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم اولي الالباب
الراجحة لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحيوة الدنيا كان الاشرف عندهم
الاكثر منها حظا والارذل من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة
وان النعيم انما هو نعيم الآخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله تعالى
من ذلك وما نرى لكم اي لك ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغائبين علينا من فضل
يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك ولا يجديهم فضيلة تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم
ههنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم برذالتهم فيما سبق باعتبار حالهم السابق
واللاحق ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم ومنك بعد الاتباع
فضيلة علينا بل نظنكم كاذبين جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة واياك في
دعوى النبوة واياهم في تصديقك واقتصارهم على الظن احترازا منهم عن نسبتهم الى
المجازفة ومجاراة معه عليه السلام بطريق الاراءة على نهج الانصاف قال يا قوم ارأيتم
اي اخبروني فيه ايماء الى ركاكة رأيهم المذكور ان كنت على بينة برهان ظاهر من ربي
وشاهد يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده هي النبوة ويجوز ان تكون
هي البينة نفسها جيء بها ايذانا بانها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة
من عنده ووجه افراد الضمير في قوله فعميت عليكم في ظاهر وان اريد بها النبوة
وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد لكل واحدة منهما او لكون الضمير للبينة
والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة او لتقدير فعل آخر بعد البينة ومعنى
عميت اخفيت وقرئ عميت ومعناه خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل
مبصرة وبصيرة تجعل عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره وفي قراءة ابي فعماها
عليكم على الاسناد الى الله عز وجل انلزمكموها اي انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب
ارأيتم وساد مسد جواب الشرط وقرأ ابو عمرو باخفاء حركة الميم وحيث

اجتمع

اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم اعرفهما جاز في الثاني الوصل والفصل فوصل
كما في قوله تعالى فسيكفيكهم الله وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها
ومحصول الجواب اخبروني ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواي
الا انها خافية عليكم غير مسلمة عندكم ايمكننا ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضون
عنها غير متدبرين فيها اي لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه عليه
السلام بطريق اظهار اليأس عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم
نصحي الخ لكنه محمول على ان مراده عليه السلام ردهم عن الاعراض عنها وحثهم
على التدبر فيها بصرف الانكار الى الالزام حال كراهتهم لها لا الى الالزام
مطلقا هذا ويجوز ان يكون المراد بالبينة دليل العقل الذي هو ملاك الفضل
وبحسبه يمتاز افراد البشر بعضها عن بعض وبه يناط الكرامة عند الله عز وجل
والاجتباء للرسالة وبالكون عليها التمسك به والثبات عليه وبخفائها على الكفرة
على ان يكون الضمير للبينة عدم ادراكهم لكونه عليه السلام عليها وبالرحمة النبوة التي
انكروا اختصاصه عليه السلام بها من بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهد النبوة
لا ينال الا من له فضيلة على سائر الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم اخبروني
ان امتزت عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربي وآتاني بحسبها نبوة من عنده
فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتي لها وكوني عليها
الى الآن حتى زعمتم اني مثلكم وهي متحققة في نفسها انلزمكم قبول نبوتي التابعة لها
والحال انكم كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام المحاجة
وحينئذ يكون كلامه عليه السلام جوابا عن شبهتهم التي ادرجوها في خلال مقالهم من
كونه عليه السلام بشرا قصارى امره ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا
لشأفة آرائهم الركيكة ويا قوم لا اسألكم عليه اي على ما قلته في اثناء دعوتهم مالا تؤديه
الي بعد ايمانكم واتباعكم لي فيكون ذلك اجرا لي في مقابلة اهتدائكم ان اجري الا على الله
الذي يثيبني في الآخرة وفي التعبير عنه حيث نسب اليهم بالمال مالا يخفى من المزية
وما انا بطارد الذين آمنوا جواب عما لوحوا به بقولهم وما نراك اتبعك الا الذين
هم اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك
كما صرحوا به في قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسا منهم لطردهم
وتعليقا لايمانهم به عليه السلام بذلك انفة من الانتظام معهم في سلك واحد
انهم ملاقوا ربهم تعليل لامتناعه عليه السلام بذلك عن طردهم اي انهم فائزون
في الآخرة بلقاء الله عز وجل كانه لا اطردهم ولا ابعدهم عن مجلسي لانهم
مقربون في حضرة القدس والتعرض لوصف الربوبية لوجوب رعايتهم وتحتم الاستماع
عن طردهم او مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة

فكيف اطردهم وحمله على معنى انهم يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان
صحيح ثابت كما ظهر لي او على خلاف ذلك مما تعرفونهم من بناء ايمانهم على بادي الراي
من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم
ان كان الامر كما تزعمون يأباه الجزم بترتب غضب الله تعالى على طردهم كما سياتي
وايضا فهم انما قالوا ان اتباعهم لك انما هو بحسب بادي الراي بلا تامل وتفكر
وهذا لا يكاد يصلح مدارا للطرد في الدنيا ولا للمواخذة في الاخرة غايته ان لا يكونوا
في مرتبة الموقنين وادعاء ان بناء الايمان على ظاهر الراي يؤدي الى الرجوع عنه
عند التامل فكانه قالوا انهم اتبعوك بلا تامل فلا يثبتون على دينك بل يرتدون
عنه تعسف لا يخفى ولكني اراكم قوما تجهلون بكل ما ينبغي ان يعلم ويدخل فيه جهلهم
بلقاء الله عز وعلا وبمنزلتهم عنده وباستيجاب طردهم لغضب الله كما سياتي وبركاكة
رايهم في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه انفة عن الانتظام معهم في سلك
واحد وزعما منهم ان الرذالة بالفقر والشرف بالغنى واتيانه بصيغة الفعل
للدلالة على التجدد والاستمرار اي تتساهون على المؤمنين بنسبتهم الى الخساسة
ويا قوم من ينصرني من الله بدفع حلول سخطه عني ان طردتهم فان ذلك امر
لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لحلول السخط قطعا وانما لم يصرح به اشعارا بانه
غني عن البيان لا سيما غب ما قدم ما يلوح به من احوالهم فكانه من يدفع عني
غضب الله تعالى ان طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة والزلفى كما ينبئ عنه قوله
تعالى افلا تذكرون اي اتستمرون على ما انتم من الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر
من حالهم حتى تعرفوا ان ما تاتونه بمعزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة
بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد افردت عن
التعليل السابق وصدرت بيا قوم ولا اقول لكم حين ادعي النبوة عندي
خزائن الله اي رزقه وامواله حتى تستدلوا بعدمها على كذبي بقولكم وما نرى
لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فان النبوة اعز من ان ينال
باسباب دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه ولا اعلم الغيب
اي لا ادعي في قولي اني لكم نذير مبين اي اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم
الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما نراك
الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها يعني انكم اتخذتم
فقدان هذه الامور الثلثة ذريعة الى تكذيبي والحال اني لا ادعي شيئا من ذلك
ولا الذي ادعيه يتعلق بشيء منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التي بها تتفاوت
مقادير البشر ولا اقول مساعدة لكم كما تقولون للذين تزدري اعينكم
اي تستحقرهم وتحتقرهم من زراه اذا عابه واسناد الازدراء الى اعينهم بالنظر الى

قولهم

قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا واما للاشعار بان ذلك لقصور نظرهم
ولو تدبروا في شانهم ما فعلوا ذلك اي لا اقول في شان الذين استرذلتموهم لفقرهم
من المؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا في الدنيا او في الاخرة فعسى الله ان يؤتيهم
خيري الدارين ان قلت هذا القول ليس مما يستنكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره
عنه عليه السلام اصالة واستتباعا كادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن
مما نفاه عليه السلام عن نفسه بطريق التبري والتنزه عنه فمن اي وجه عطف
نفيه على نفيها قلت من جهة ان كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذي تمسكوا
به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة تستتبع الامور المذكورة وانها لا تنتهي ممن ليس
على تلك الصفات وان العثور على مكانها واغتنام مغانمها ليس من دأب الاراذل
فاجاب عليه السلام بنفي ذلك جميعا فكانه قال لا اقول وجود تلك الاشياء من
مواجب النبوة ولا عدم المال والجاه من موانع الخير الله اعلم بما في انفسهم من
الايمان وانما اقتصر على نفي القول المذكور مع انه عليه السلام جازم بان الله سبحانه
سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين وانهم على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن
الانصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم وارشادا لهم الى مسلك الهداية بان اللائق
لكل احد ان لا يبت القول الا فيما يعلمه يقينا ويبني اموره على الشواهد الظاهرة
ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة اني اذا اي اذا قلت ذلك (اي لن يؤتيهم الله خيرا)
لمن الظالمين لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم او من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله راجع
الى انفسهم وفيه تعريض بانهم ظالمون في ازدرائهم واسترذالهم لمن الظالمين
اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن وهو بعيد لان
تبعة تلك الاقوال مغنية عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين قالوا
يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا اي اطلته او اتيته بانواعه
فان اكثار الجدال يتحقق بعد وقوع اصله فلذلك عطف عليه بالفاء او اردت ذلك
فاكثرته كما في قوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله ولما حجهم عليه السلام وابرزت
لهم بينات واضحة المدلول وحججا تتلقاها العقول بالقبول والقمهم الحجر برد شبههم
الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا فاتنا بما تعدنا من العذاب
المعجل او العذاب الذي اشير اليه في قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير
ان لا يكون المراد باليوم يوم القيمة ان كنت من الصادقين فيما تقول قال انما ياتيكم
به الله ان شاء يعني ان ذلك ليس موكولا الي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وانما
يتولاه الله الذي كفرتم به وعصيتموه ياتيكم به عاجلا او آجلا ان تعلق به مشيئته التابعة
للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكانه الاتيان به امر خارج
عن دائرة القوى البشرية وانما يفعله الله عز وجل وما انتم بمعجزين بالهرب

أو بالمداهنة كما تداهنوا بني في الكلام ولا ينفعكم نصحي النصح كلمة جامعة لكل ما يدور
عليه الخير من قول أو فعل وحقيقته الخالص إرادة الخير والخلوص والدلالة عليه ونقيضه
الغش هو إعلام موضع الغي ليتقي وموضع الرشد ليقتفي إن أردت أن
أنصح لكم شرط جوابه حذف لدلالة ما سبق عليه والتقدير إن أردت أن أنصح
لكم لا ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله تعالى إن كان الله يريد
أن يغويكم والتقدير إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت
أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا بناء على ما ذهب إليه البصريون من عدم تقديم
الجزاء على الشرط وأما على ما ذهب إليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا ولا
ينفعكم نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جواب قوله والجملة جواب للشرط الثاني
وعلى التقديرين فالجزاء متعلق بالشرط الأول وتعلقه به معلق بالشرط الثاني وفي
هذا الكلام متعلق بقولهم قد جادلتنا فأكثرت جدالنا صدر عنه عليه السلام إظهارا
للعجز عن إلزامهم بالحجج والبينات لتماديهم في العناد وإيذانا بأن ما سبق منه ليس
الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم وبأنه لم يأل جهدا في إرشادهم إلى الحق
وهدايتهم إلى سبيله المستبين وإخلاص النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند إرادة
الله تعالى لإغوائهم وتقييد عدم النفع بإرادته مع أنه محقق لا محالة للإيذان بأن
ذلك النصح منه مقارن للإرادة والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع
بإزائه من إرادته تعالى لإغوائهم فكيف عند تحقق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان للإشعار
بتقدم إرادته تعالى زمانا كتقدمه رتبة وللدلالة على تجددها واستمرارها وإنما قدم
على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فأتنا بما تعدنا من قوله تعالى إنما يأتيكم به الله إن شاء ردا عليهم
من أول الأمر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال وفيه
دليل على أن إرادته تعالى يصح تعلقها بالإغواء وأن خلاف مراده غير واقع
معنى أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى إذا بشم وهلك هو ربكم خالقكم
ومالك أمركم وإليه ترجعون فيجازيكم على أعمالكم لا محالة أم يقولون افتراه قال
ابن عباس رضي الله عنهما يعني نبيه نوحا عليه السلام ومعناه بل أيقول قوم نوح إن نوحا
افترى ما جاء به مسندا إلى الله عز وجل قل يا نوح إن افتريته بالفرض المحض
فعلي إجرامي إثمي ووبال إجرامي وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع ويعضده
أن فسره الأولون بآثامي وأنا بريء مما تجرمون من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي
فلا وجه لإعراضكم عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
ومعناه بل أيقول مشركو مكة افترى رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح عليه السلام
فكأنه إنما جيء به في تضاعيف القصة عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيتها وتأكيدا لوقوعها
وتشويقا للسامعين إلى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى

بينه

بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم
وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك أي المصرين على الكفر وهو إقناط له عليه السلام
من إيمانهم وإعلام لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه إلا من قد آمن إلا من وجد
منه ما كان يتوقع من إيمانه وهذا الاستثناء على طريقة قوله إلا ما قد سلف فلا
تبتئس بما كانوا يفعلون أي لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه
من التكذيب والاستهزاء والإيذاء في هذه المدة الطويلة فقد انتهى أفعالهم
وحان وقت الانتقام منهم واصنع الفلك ملتبسا بأعيننا أي بحفظنا وكلاءتنا
كأن معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤونه بأعينهم من التعدي من الكفرة
ومن الزيغ في الصنعة ووحينا إليك كيف تصنعها وتعليمنا وإلهامنا عن ابن
عباس رضي الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله تعالى إليه أن يصنعها
مثل جؤجؤ الطائر والأمر للوجوب إذ لا سبيل إلى صيانة الروح من الغرق إلا به
فيجب كوجوبها واللام إما للعهد بأن يحمل على أن هذا مسبوق بوحي الله تعالى إليه
عليه السلام أنه سيهلكهم بالغرق وينجيه ومن معه بشيء سيصنعه بأمره تعالى وله
من شأنه كيت وكيت واسمه كذا وإما للجنس صنعها عليه السلام في
سنتين في أربعمائة سنة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلاثة
بطون حمل في البطن الأول الوحوش وفي الثاني الإنس وفي الأعلى الطير
كان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وسمكها ثلاثين وعن الحسن كان
طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع أن الحواريين قالوا لعيسى
عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى
كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون من هذا قالوا الله
ورسوله أعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم بإذن الله
تعالى فإذا هو قائم ينفض عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام أهكذا
هلكت قال لا مت وأنا شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثمت شبت فقال
حدثنا عن سفينة نوح عليه السلام قال كان طولها ألفا ومائتي ذراع وعرضها
ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للإنس
وطبقة للطير ثم قال عد بإذن الله تعالى كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني في الذين ظلموا
أي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما
قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بما يستتبعه أكد التعليل فقيل
إنهم مغرقون أي محكوم عليهم بالإغراق قد مضى به القضاء وجف القلم فلا
سبيل إلى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق إلا أن يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للآخرين
ويصنع الفلك حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة

تقديم

واخذ يصنع الفلك او اقبل يصنعها فاقتصر على يصنع وايا ما كان ففيه ملايمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضمير اعني قوله تعالى وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة اما لانهم ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه كان يصنعها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا لانه عليه السلام كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا عدوه من باب المحال ثم لما راوا اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعمله عليه السلام عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق واستجهاله عليه السلام في ذلك قال ان تسخروا منا مستجهلين لنا فيما نحن فيه فانا نسخر منكم اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عليه السلام وسخرية من المومنين او لانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفي بذكر سخريتهم منه عليه السلام ولذلك تعرض الجميع للمجاوزات في قوله فانا نسخر منكم الخ فتكافا الكلام من الجانبين وتعليق استجهاله عليه السلام اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار اظهاره ومشافهته عليه السلام اياهم بذلك والا فعدم علمه السلام اياهم جاهلين فيما ياتون ويذرون امر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منهم لكنه عليه السلام لم يكن يتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق الحميدة وانما اظهره جزاء بما صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يوذن به الاستيناف فكان سائلا سال فقال فما صنع نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اي ان تنسبونا فيما نحن بصدده من التاهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الي الجهل وتسخروا منا لاجله فانا ننسبكم اليه فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه في قوله عز وجل كما تسخرون اما في مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر حسبما صدر عن ملأ بعد ملأ لا في الكيفيات والاحوال التي لا يليق بشان النبي صلى الله عليه وسلم وكلا الامرين واقع في الحال نسخر منكم في المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة ولعل المراد نعاملكم معاملة من يستهزئ ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع ذلك لا سداد له لان حالهم اذ ذاك ليست بلائقة بالسخرية او ما يجري مجراها فتامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق

عذاب

ويحل عليه حلول الدين المؤجل عذاب مقيم هو عذاب النار الدائم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم ومحلها اما استفهامية في حيز الرفع او موصولة في محل النصب بتعلمون وما في حيزها ساد مسد مفعولين او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه عليه الصلوة والسلام في مكابدة المشاق الفادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت الصحة في زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدائد في بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا بعد استجهالهم فسوف تعلمون من ياتيه العذاب ان ما باشره ليس فيه عذاب لاحق في فسوف تعلمون من العذاب ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم نحره ووصف العذاب بالاخزاء لما في الاستهزاء والسخرية من لحوق الخزي والعار عادة والتعرض لحلول العذاب المقيم للمبالغة في التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد الاول بالاتيان في غاية الجزالة حتى اذا جاء امرنا حتى هي التي يبتدا بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهي مع ذلك غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جوابا لكلما وقال استيناف على تقدير سوال سائل كما ذكرناه هو الجواب وسخروا منه بدل من مر او صفة لملأ وقد عرفت ان الحق هو الاول لان المقصود بيان تناهيهم في ايذائه عليه السلام وتحمله لاذيتهم لا مسارعته عليه السلام الي جوابهم كلما وقع ما يوذيه من الكلام وفار التنور نبع منه الماء وارتفع بشدة كما يفور القدر بغليانها والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب ومن معك في السفينة فلما نبع الماء اخبرته امراته فركب كان تنور ادم عليه السلام وكان من حجارة فصار الي نوح عليه السلام وانما نبع منه وهو ابعد شيء من الماء على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان عمل السفينة في ذلك الموضع او في الهند او في موضع بالشام يقال عين ورده ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة والزهري فار التنور طلع الفجر قلنا احمل فيها اي في السفينة وهو جواب اذا من كل اي من كل نوع لا بد منه في الارض زوجين الزوج ما له شكل مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هي زوج له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة ذلك الاحتمال اثنين كل منهما زوج للاخر وقري بالاضافة وانما قدم ذلك على اهله وسائر المومنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الي مزاولة الاعمال منه عليه السلام في تمييز بعضها من بعض وتعيين الازواج فانه روي انه عليه السلام قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في اليسرى فيجعلها في السفينة واما البشر فانما يدخل

الفلك باختياره يحتف فيه معنى الحمل او لانهما انما يحمل بمباشرة البشر وهم انما يدخلونها
بعد حملهم اياها واهلك عطف على زوجين او على اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم
الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين بسبب ظلمهم في قوله تع ولا تخاطبني في الذين
ظلموا الآية والمراد به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين والاستثناء منقطع
ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابة
ويكفي في صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم وجيء
بعلى لكون السابق ضارا لهم كما جيء باللام فيما نافع لهم في قوله عز وجل ولقد سبقت
كلمتنا لعبادنا المرسلين وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ومن آمن من غيرهم
وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار صيغة الافراد في آمن محافظة على لفظ
من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله عز قائلا وما آمن معه الا قليل
كانوا ثمانية نوح عليه السلام واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن ابن اسحاق كانوا عشرة
سوى نسائهم كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام
ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية في
ايمانهم للايماء الى المعية في مقر الامان والنجاة اي نوح عليه السلام لمن معه
من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى ان ربي لغفور رحيم ولو رجع الضمير الى الله تع لناسب
ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخالها امر بحمله في الفلك وقال للمؤمنين
اركبوا فيها كما سيأتي مثله في قوله تع وهي تجري بهم والركوب العلو على شيء متحرك ويتعدى
بنفسه واستعماله هنا بكلمة في ليس لان المأمور به كونهم في جوفها لا فوقها كما ظن
فان اظهر الروايات انه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها في البطن الاسفل والانعام
في الاوسط وركب هو ومن معه في الاعلى بل لرعاية جانب المحلية والمكانية في
الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو على شيء له حركة اما ارادية كالحيوان او قسرية
كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل في الاول يوفر له حظ الاصل فيقال ركبت
الفرس وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل في
الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة وعليه الآية الكريمة
وقوله عز قائلا فاذا ركبوا في الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة
خرقها بسم الله متعلق باركبوا حال من فاعله اي اركبوا مسمين الله تعالى او قائلين
بسم الله مجراها ومرساها نصب على الظرفية اي وقت اجرائها وارسائها على انهما اسما
زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت كقولك آتيك خفوق النجم
او اسما مكان انتصبا بما في بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول ويجوز ان يكون
بسم الله مجراها ومرساها جملة مستقلة من مبتدإ وخبر في موضع الحال من ضمير الفلك
اي اركبوا فيها مجراة ومرساة باسم الله تعالى بمعنى التقدير كقوله تع ادخلوها خالدين

السفينة

السفينة في ان نوحا امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله
تعالى فيكونان كلامين له عليه السلام كان عليه السلام اذا اراد ان يجريها
يقول بسم الله فتجري واذا اراد ان يرسيها يقول بسم الله فترسو ويجوز ان يكون
الاسم مقحما كما في قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها
اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها على صيغة الفاعل مجروري المحل
صفتين لله عز وجل ومجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين او زمانين او مكانين
من جرى ورسى ان ربي لغفور للذنوب والخطايا رحيم لعباده ولذلك
نجاكم من هذه الطامة والداهية التامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على ان
نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته
على ما هو عليه رأي اهل السنة وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه الامر
بالركوب اي فركبوا فيها مسمين وهي تجري ملتبسة بهم في موج كالجبال وهو
ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل في ارتفاعها وتراكمها
وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه
كالحوت فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا ولئن صح ذلك
فهذا الجريان انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تع ونادى نوح ابنه
فان ذلك انما يتصور قبل ان ينقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان
ما جرى بين نوح عليه السلام وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء الى السفينة
والجواب بالاعتصام بالجبل وقرئ ابنه وابنها بحذف الالف على ان الضمير
لامرأته وكان ربيبه وما يقال من انه كان لغير رشده لقوله تع فخانتاهما فارتكاب
عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ارفع من
ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه
على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلائم الاستدعاء
الى السفينة فانه صريح في انه لم ييأس من حياته بعد وكان في معزل اي
في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه واخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا
واحتاج الى النداء المذكور في معزل من الكفار قد انفرد عنهم وظن
نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة كان ينافق
اباه فظن انه مؤمن كان يعلم انه كافر الى ذلك الوقت لكنه عليه
السلام ظن انه عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان
لم يكن الذي تقدم من قوله تع الا من سبق عليه القول نصا في كونه
ابنه داخلا تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة الابوة على ذلك يا بني بالفتح
اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا وقرئ

بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين
لان الراء بعدهما ساكنة اركب معنا قرا ابو عمرو والكسائي وحفص بادغام الباء
في الميم لتقاربهما في المخرج وانما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان
بضيق المقام حيث حال الجريض دون القريض مع اغناء المعية عن ذكر
ولا تكن مع الكافرين اي في المكان وهو وجه الارض خارج الفلك لا في الدين
وان كان ذلك مما يوجبه كما يوجب ركوبه معه عليه السلام كونه معه في الايمان
لانه عليه السلام بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلائمه النهي عن الكفر قال
ساوي الى جبل من الجبال يعصمني بارتفاعه من الماء زعما منه ان ذلك
كسائر المياه في ازمنة السيول المعتادة التي ربما يتقى منها بالصعود الى الربى
وانى له ذلك وقد بلغ السيل الزبى وجهلا بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان
لا محيص من ذلك سوى الالتجاء الى ملجا المؤمنين فلذلك اراد عليه السلام
ان يبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الفكر المحال وكان مقتضى الظاهر
ان يجيب بما ينطبق على كلامه ويتعرض لنفي ما اثبته للجبل من كونه عاصما له
من الماء بان يقول لا يعصمك منه مفيدا لنفي ما اثبته للجبل من كونه عاصما
ووصف العصمة عنه فقط من غير تعرض لنفيه عن غيره ولا لنفي الموصوف
اصلا لكنه عليه السلام حيث قال لا عاصم اليوم من امر الله سلك طريقة نفي الجنس
المنتظم لنفي جميع افراد العاصم ذاتا وصفة كما في مقام ليس فيه داع ولا مجيب
اي احد من الناس للمبالغة في نفي كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين وزاد
اليوم للتنبيه على انه ليس كسائر الايام التي تقع فيها الوقائع وتلم فيها الملمات
المعتادة التي ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية وعبر عن
الماء في محل اضماره بامر الله اي عذابه الذي اشير اليه حيث قيل حتى اذا جاء امرنا
تفخيما لشانه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على خطائه في تسميته ماء وتوهمه انه
كسائر المياه التي يتفصى منها بالهرب الى بعض المهارب المعهودة وتعليلا
لنفي المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة في
جناب الله عز وجل بالاستثناء كانه قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل
الا من رحم تفخيما لشانه الجليل بالابهام ثم التفسير وبالاجمال ثم التفصيل
واشعارا بعلية رحمته في ذلك بموجب سبقها على غضبه وكل ذلك لكمال
عنايته عليه السلام بتحقيق ما يتوخاه من نجاة ابنه ببيان شان الداهية وقطع
اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يغني عنه شيئا وارشاده الى العياذ
بالمعاذ الحق عز حماه لا مكان يعصم من الله الا مكان من رحم الله وهو الفلك
معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى وحال بينهما الموج اي

بين

بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة لا بين ابنه وبين الجبل لقوله تعالى
فكان من المغرقين اذ هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه عليه السلام وبين
ابنه لا بينه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصما وان لم يحل بينه وبين الملتجي
اليه موج وفيه دلالة على هلاك سائر الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك
امرا مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان وفي ايراد كان دون صار
مبالغة في كونهم وقيل يا ارض ابلعي اي انشفي استعير له من ازدراد
الحيوان ما ياكله للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجي ماءك
اي ما على وجهك من ماء الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار
وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بامر الله لان المقام مقام النقص والتقليل
لا مقام التفخيم والتهويل ويا سماء اقلعي اي امسكي عن ارسال المطر يقال
اقلعت السماء اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى اي كفت وغيض الماء اي نقص
ما بين السماء والارض من الماء وقضي الامر اي انجز ما وعد الله تعالى نوحا من اهلاك
قومه وانجائه باهله اتم الامر واستوت استقرت الفلك على الجودي هو
جبل بالموصل او بالشام او بآمل روي انه عليه السلام ركب في الفلك في عاشر
رجب ونزل عنها في عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة وقيل بعدا
للقوم الظالمين اي هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعليته
للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
ولقد بلغت الآية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر
المزايا ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمري ان ذلك
فوق ما يصفه الواصفون فحري بنا ان نوجز الكلام في هذا الباب ونفوض
الامر الى تامل اولي الالباب والله عنده علم الكتاب ونادى نوح ربه اي اراد
ذلك بدليل الفاء في قوله تع فقال رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني انجاءهم
في ضمن الامر بحملهم في الفلك او النداء على الحقيقة والفاء لتفصيل ما فيه
من الاجمال وان وعدك الحق اي وعدك ذلك او ان كل وعد تعده حق
لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا اوليا وانت احكم الحاكمين
لانك اعلمهم واعدلهم او انت اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة
كالدارع من الدرع وهذا الدعاء منه عليه السلام على طريقة دعاء ايوب عليه السلام
اذ نادى اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين قال يا نوح لما كان دعاؤه عليه السلام
بتذكير وعده جل ذكره مبنيا على كون كنعان من اهله نفى اولا كونه منهم بقوله
تع انه ليس من اهلك اي ليس منهم اصلا لان مدار الاهلية هو القرابة الدينية
ولا علاقة بين المؤمن والكافر او ليس من اهلك الذين امرتك بحملهم في الفلك لخروجه

عنهم بالاستثناء وعلى التقدير من ليس هو من الذين بعد انجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستئناف التحقيقي بقوله انه عمل غير صالح اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار وايثار غير صالح على فاسد اما لان الفاسد ربما يطلق على ما فسد من شانه الصلاح فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالقتل والمظالم واما للتلويح بان نجاة من نجا انما هي لصلاحه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح اي عملا غير صالح ولما كان دعاؤه عليه السلام مبنيا على ما ذكر من اعتقاد كونه من اهله وقد نفى ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك النهي عن سؤال انجائه الا انه جيء بالنهي على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا اوليا فقيل فلا تسالني اي اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب مني ما ليس لك به علم اي مطلبا لا تعلم يقينا ان حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسؤول الذي هو مفعول للسؤال او طلبا لا تعلم انه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذي هو مفعول مطلق فيكون النهي واردا بصريحه في كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال ويجوز ان يكون المعنى ما ليس لك علم بانه صواب او غير صواب فيكون النهي واردا في مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق الاولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح في ان نداءه عليه السلام ربه عز وعلا ليس استفسارا عن سبب عدم انجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء اهله وهو منهم كما قيل فان النهي عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة اذ عدم العلم بالشيء داع الى الاستفسار عنه لا الى تركه بل هو دعاء منه لانجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد اما بتقريبه الى الفلك وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم ومجرد حيلولة الموج بينهما لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه برحمته وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه عليه السلام ان يدعو الى الفلك او يدعو ربه لانجائه واعتزاله عنه عليه السلام وقصده الالتجاء الى الجبل ليس بنص في الاصرار على الكفر لظهور جواز ان يكون ذلك لجهله بانحصار النجاة في الفلك وزعمه ان الجبل ايضا يجري مجراه او لكراهة الاحتباس في الفلك بل قوله ساوي الى جبل يعصمني من الماء بعد ما قال له نوح عليه السلام ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه عليه السلام في ايمانه حيث لم يقل اكون معهم او ساوي او يعصمنا فان افراده نفسه بنسبة الفعلين المذكورين ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله عنهم وانى له بحسن الظن به نوح عليه السلام الا انه عليه السلام لو تامل في شانه حق التامل وتفحص عن احواله في كل

صدره
ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت

ما ياتي

ما ياتي ويذر لما اشتبه عليه انه ليس بمؤمن وانه المستثنى من اهله ولذلك قيل اني اعظك ان تكون من الجاهلين فعبر عن ترك الاولى بذلك وقرئ فلا تسالني بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء قال رب اني اعوذ بك ان اسالك ان اطلب منك من بعد ما ليس لي به علم اي مطلوبا لا اعلم ان حصوله مقتضى الحكمة او طلبا لا اعلم انه صواب سواء كان معلوم الفساد او مشتبه الحال او لا اعلم انه صواب على ما مر وهذه توبة منه عليه السلام مما وقع منه وانما لم يقل اعوذ بك منه او من ذلك مبالغة في التوبة واظهارا للرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما لقنه الله تعالى وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسالك لما فيه من الدلالة على كون ذلك امرا هائلا محذورا لا محيص منه الا بالعوذ بالله تعالى وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك والا تغفر لي ما صدر عني من السؤال المذكور وترحمني بقبول توبتي اكن من الخاسرين اعمالا بسبب ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول هذه النعمة الجليلة التي هي النجاة وهلاك الاعداء والاشتغال بما لا يعني خصوصا بمبادي خلاص من قيل في شانه انه عمل غير صالح والتضرع الى الله تعالى في امره معاملة غير رابحة وخسران مبين وتاخير ذكر هذا النداء عن حكاية الامر الوارد على الارض والسماء وما يتلوه من زوال الطوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجودي والدعاء بالهلاك على الظالمين مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تعالى وكان من المغرقين حسبما وقع في الخارج اذ حينئذ يتصور الدعاء بالانجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلال بغرض منهم هو جعل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان لا يقدم في الامور الدينية الاصولية الا بعد اليقين قياسا على ما وقع في قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر القتيل الذي هو اول القصة وكان حقها ان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها كما قرر في موضعه فان تغيير الترتيب هناك للدلالة على كمال سوء حال اليهود بتعديد جناياتهم المتنوعة وتثنية التقريع عليهم بكل نوع على حدته فقوله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة الخ لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله واذ قتلتم الخ للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الامور العظيمة ولو قصت القصة على ترتيبها لفات الغرض الذي هو تثنية التقريع ولظن ان المجموع تقريع واحد واما ما نحن فيه فليس مما يمكن ان يراعى فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر من جعل القرابة الدينية غامرة للقرابة النسبية الى آخره لا يفوت على تقدير سوق الكلام على ترتيب الوقوع ايضا لان ذكر هذا النداء كما ترى مستدع لذكر

لما مر من الجواب المستدعي لذكر ما مر من ترتبه عليه السلام المودي ذكرها
الى ذكر قبولها في ضمن الامر الوارد بنزوله عليه السلام من الفلك بالسلام
والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما يجيء مفصلا ولا ريب في ان هذه
المعاني اخذ بعضها بحجزة بعض حيث لا يكاد يفرق الآيات الكريمة المنطوية على
بعضها من بعض واذ ذلك انما يتم بتمام القصة ولا ريب ان ذلك انما يكون
بتمام الطوفان فلاجرم اقتضى الحال ذكر تمامها مثل هذا القدر وذلك انما يكون
عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد حسن موقع الايجاز
البليغ وفيه فائدة اخرى هي التصريح بهلاكه من اول الامر ولو ذكر الندا
الثاني عقيب قوله وكان من المغرقين لربما توهم من اول الامر الى ورود قوله
انه ليس من اهلك الخ انه ينجو بدعائه عليه السلام فتنصص في اهلاكه من اول الامر
ثم ذكر الامر الوارد في الارض والسماء الذي هو عبارة عن تعلق الارادة
الربانية الازلية بما ذكر من الغيض والاقلاع وبين بلوغ امر الله محله وجريان
قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان واستواء
الفلك على الجودي فقضت القصة الى هذه المرتبة وبين ذلك اي بيان ثم تعرض
لما وقع في تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح وبين رب العزة جلت حكمته فذكر بعد
توبته عليه السلام بقبولها بقوله قيل يا نوح اهبط اي انزل من الفلك
وقرئ بضم الباء بسلام ملتبسا بسلامة من المكاره كائنة منا او بسلام
وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح في العالمين وبركات عليك اي خيرات نامية
في نسلك وما يقوم به معاشك ومعاشهم من انواع الارزاق وقرئ بركة
وهذا اعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان
انواع الخيرات عليه في كل ما ياتي وما يذر وعلى امم ناشئة ممن معك
متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد الامم المؤمنة المتناسلة ممن معه الى يوم القيمة
وامم سنمتعهم اي ومنهم في انه خبر حذف لدلالة ما سبق عليه فان المراد
الامم المبارك عليهم المتشعبة منهم فكيف يدل على ان بعض من يتشعب منهم ليسوا على
صفتهم يعني ليس جميع من تشعب منهم مسلما ومباركا عليه بل منهم امم ممتعون في الدنيا
معذبون في الآخرة وعلى هذا لا يكون الكائنون مع نوح عليه السلام مسلما عليهم
ومباركا صريحا وانما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عليه السلام ومن كون ذرياتهم
كذلك بدلالة النص ويجوز ان يكون من بيانية اي وعلى امم هم الذين معك
وانما سموا امما لانهم امم متفرقة (متحزبة وجماعات) او لان جميع الامم انما يتشعب منهم الخ فيكون المراد
الامم المشار اليهم في قوله تع وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة منهم وهي الامم الكافرة
المتناسلة منهم الى يوم القيمة وفي الامم المؤمنة الناشئة منهم تبعهما غير متعرض له

ولامدلول

ولا مدلول عليه ومع ذلك ففي دلالة المذكور على خبر المحذوف خفاء لان من
المذكورة بيانية والمحذوفة تبعيضية او ابتدائية فتامل ثم يمسهم منا في الآخرة
او في الدنيا ايضا منا عذاب اليم عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل
مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد
هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل
المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل
بهم تلك اشارة الى ما قص من قصة نوح عليه السلام اما لكونها بتقضيها في حكم البعيد
او للدلالة على بعد منزلتها وهي مبتدا خبره من انباء الغيب اي من جنسها اي ليست
من قبيل سائر الانباء بل في نسيج وحدها متميزة عما عداها او بعضها نوحيها
اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او هو الخبر ومن انباء متعلق به فالتعبير
بصيغة المضارع لاستحضار الصورة او حال من انباء الغيب او موحاة اليك ما كنت
تعلمها انت ولا قومك خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا اي من قبل
ايحائنا اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت
او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكر جهلهم
تنبيه على انه عليه السلام لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يعلموه فكيف
يوخذ منهم فاصبر متفرع على الايحاء او العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا واذ قد اوحيناها اليك او علمتها بذلك فاصبر
على مشاق تبليغ الرسالة واذية قومك كما صبر نوح على ما سمعته من انواع البلايا في
هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تع فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك الخ ان العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز في الآخرة للمتقين كما شاهدته في
نوح عليه السلام وقومه ولك فيه اسوة حسنة وهي تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتعليل للامر بالصبر فان كون العاقبة الحميدة للمتقين وهو في اقصى درجات
التقوى والمؤمنون كلهم متقون بما يسليه عليه السلام ويهون عليه الخطب
ويذهب ما عسى يعتريه من ضيق صدور وهذا في تقدير ان يراد بالتقوى الدرجة
الاولى منه اعني التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تع والزمهم
كلمة التقوى ويجوز ان يراد بالتقوى الدرجة الاولى منه اعني التوقي من العذاب
المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تع والزمهم كلمة التقوى ويجوز ان يراد الدرجة
الثالثة منه وهي ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو
التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تع اتقوا الله حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى ينطوي
على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر فان العاقبة للصابرين والى عاد متعلق بمضمر
معطوف على قوله ارسلنا في قصة نوح وهو الناصب لقوله تع اخاهم اي وارسلنا الى

عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا العرب وتقديم المجرور على
المنصوب ههنا للحذار عن الاضمار قبل الذكر وقيل متعلق بالفعل المذكور
فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف وقوله تعالى هودا عطف
بيان لاخاهم وكان عليه السلام من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود
بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد
بن سام بن نوح بن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف
بحاله وارغب في اقتفايه قال لما كان ذكر ارساله عليه السلام اليهم مظنة للسؤال
عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب عنه بطريق الاستيناف فقيل قال يا قوم اعبدوا الله
اي وحده كما ينبي عنه قوله تعالى ما لكم من اله غيره فانه استيناف يجري مجرى البيان
للعبادة المامور بها والتعليل للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به
شيئا اذ ليس لكم من اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ
بالجر حملا له على لفظه ان انتم ما انتم باتخاذكم الاصنام شركاء له او بقولكم ان الله
امرنا بعبادتها الا مفترون عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا يا قوم لا اسالكم عليه اجرا
ان اجري الا على الذي فطرني خاطب به كل نبي قومه ازاحة لما عسى يتوهمونه وامحاضا
للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التاثير وايراد الموصول للتفخيم
وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفايضة من جناب الله تعالى المستوجبة
للشكر الذي لا يتاتى الا بالجريان على موجب امره الغالب معرضا عن المطالب الدنيوية
التي من جملتها الاجر افلا تعقلون اي اتغفلون عن هذه القضية او الا تتفكرون
فيها فلا تعقلونها او اتجهلون كل شيء فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما لا ينبغي
ان يخفى على احد من العقلاء ويا قوم استغفروا ربكم اي اطلبوا مغفرته لما سلف منكم
من الذنوب بالايمان والطاعة ثم توبوا اليه اي توسلوا بالتوبة وايضا التبري
لغيره انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السماء اي المطر
عليكم مدرارا اي كثير الدرور ويزدكم قوة مضاعفة ومنضمة الى قوتكم اي يضاعفها
لكم وانما رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله
تعالى عنهم المطر القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم عليه السلام كثرة
الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة ولا تتولوا اي لا تعرضوا
عما دعوتكم اليه مجرمين مصرين على ما انتم عليه من الاجرام قالوا يا هود ما جيتنا ببينة
اي بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم
من البينات الفاتية للحصر وما نحن بتاركي الهتنا اي بتاركي عبادتها عن قولك
اي صادرين عنه اي صادرا تركنا عن ذلك باسناد حال الوصف الى الموصوف
ومعناه التعليل في ابلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام

وهذا

وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الاعراف اجيتنا لنعبد الله وحده ونذر
ما كان يعبد اباؤنا وما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين في شيء مما تاتي وتذر
فيندرج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الالهة وفيه من الدلالة
على شدة الشكيمة وتجاوز الحد في العتو ما لا يخفى ان نقول الا اعتريك اي ما نقول
الا قولنا اعتريك اي اصابك بعض الهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك
عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما مر من قولك
ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير في سوء للتقليل كانهم لم يبالغوا
في العتو كما ينبي عنه نسبة ذلك الى بعض الهتكم دون كلها والجملة مقول
القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام مقرر لما مر من قولهم وما نحن
بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه عليه السلام
كما قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل
الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد كلامك
الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب والهذيانات الصادرة عن المجانين
فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا في طريقة المخالفة والعناد
الى سبيل الترقي من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا اولا عن عدم مجيئه بالبينة
مع احتمال كون ما جاء به عليه السلام حجة في نفسه وان لم يكن واضحة الدلالة
على المراد وثانيا عن ترك الامتثال بقوله عليه السلام بقولهم وما نحن بتاركي
الهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه السلام في كلامه
ثم نفوا تصديقهم له عليه السلام بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه
السلام مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث قالوا ما قالوا قاتلهم
الله انى يوفكون قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه
اي من اشراككم من دون الله اي من غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة
الاعراف اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان
او مما تشركونه من الهة غير الله اجاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية على اعتقاد
كون الهتهم مما يضر وينفع وانها بمعزل من ذلك ولما كان ما وقع اولا منه
عليه السلام في حق الهتهم من كونها بمعزل عن الالوهية انما وقع في ضمن الامر
بعبادة الله تعالى واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شينا
حتى زعموا انها تصيبه عليه السلام بسوء مجازاة لصنيعه معها صرح عليه السلام
بالحق وصدع به حيث اخبر ببرايته القديمة عنها بالجملة الاسمية المصدرة بان واشهد
الله تعالى على ذلك وامرهم بان يسمعوا ذلك ويشهدوا به استهانة بهم ثم امرهم بالاجتماع
والاحتشاد مع الهتهم جميعا دون بعض منها حسبما يشعر به قولهم بعض الهتنا

والتعاون في ايصال الكيد اليه عليه السلام ونهاهم عن الانكار والامهال في
ذلك فقال فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اي ان صح ما لوحتم به من كون آلهتكم
مما يقدر على اضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فاني
بري منها فكونوا انتم معها جميعا وباشروا كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في
ذلك فالفا لتفريع الامر على زعمهم في قدرة آلهتهم على ما قالوا وعلى البراءة
كليهما وهذا من اعظم المعجزات فانه عليه السلام كان رجلا مفردا بين الجم الغفير والجمع
الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم وحقرهم وآلهتهم وهيجهم
على مباشرة مبادي المضادة والمضارة وحثهم على التصدي لاسباب المعاداة
والمعازة فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا
بينا كيف لا وقد التجأ الى ركن منيع رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال
اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انكم وان بذلتم في مضارتي مجهودكم لا تقدرون
على شيء مما تريدون بي فاني متوكل على الله تعالى وانما جيء بلفظ الماضي لكونه ادل
على الانشاء المناسب للمقام وواثق بكلائته وحفظه عن غوائلكم وهو مالكي ومالككم
لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني امر الا بارادته ومشيئته ثم برهن عليه بقوله ما من
دابة الا هو آخذ بناصيتها اي الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء غير
مستعصية عليه فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم تعليل
لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره اي هو على الحق والعدل فلا يكاد
يسلطكم علي اذ لا يضيع عنده معتصم ولا يفتات عليه ظالم والاقتصار على اضافة
الرب الى نفسه اما بطريق الاكتفاء لظهور المراد واما لان ما في قوله تعالى
مالكها هو ايضا راجعة اليه عليه السلام فان تولوا اي تتولوا بحذف احدى التائين
اي ان تستمروا على ما كنتم عليه من التولي والاعراض فقد ابلغتكم ما ارسلت به
اليكم اي لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم
الا التكذيب والجحود ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله تعالى
يهلكهم ويستخلف في ديارهم واموالهم قوما آخرين او عطف على الجواب بالفا
ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله عنه بالجزم عطفا على الموضع كانه قيل وان
تولوا يعذرني ويهلككم ويستخلف مكانكم آخرين وفي اقتصار اضافة الرب اليه
عليه السلام رمز الى اللطف به والتدمير للمخاطبين ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر
ومحال ذلك عليه ومن جزم ويستخلف اسقط منه النون ان ربي على كل شيء حفيظ
اي رقيب مهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم فيجازيكم بحسبها او حافظ مستول على كل شيء
فكيف يضره شيء وهو الحافظ للكل ولما جاء امرنا اي نزل عذابنا وفي التعبير
عنه بالامر مضافا الى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم والتهويل

اورده

او ورود امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين آمنوا معه وكانوا اربعة آلاف برحمة عظيمة
كائنة منا وهي الايمان الذي انعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه ونجيناهم من
عذاب غليظ اي كانت تلك التنجية تنجية من عذاب غليظ وهي السموم التي كانت
تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل اريد
بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وهذه التنجية
وان لم تكن مقيدة بمجيء الامر لكن جيء بها تكملة للنعمة عليهم وتعريضا بان المهلكين
كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب وتلك عاد انث
الاسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات
ربهم كفروا بها بعد ما استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع انه لم يرسل اليهم
غير هود عليه السلام تفظيعا لحالهم واظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم
له عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد
لا نفرق بين احد من رسله فيجوز ان يراد بالآيات ما اتى به هود وغيره من الانبياء
عليهم السلام وفيه زيادة ملاءمة لما تقدم من جميع الآيات وما تأخر من قوله
واتبعوا امر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى الضلال والى تكذيب
الرسل فكانه قيل عصوا كل رسول واتبعوا امر كل جبار وهذا الوصف
ليس كما سبق من جحود الآيات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد منهم فان الاتباع
للامر من اوصاف الاسافل دون الرؤساء والعنيد فعيل من عند عندا وعنودا
اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى واطاعوا من دعاهم الى الردى



واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ابعادا عن الرحمة وعن كل خير اي جعلت اللعنة
لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية للمبالغة فكانها لا تفارقهم وان ذهبوا
كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه في صحبة اتباعهم رؤساءهم
يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا ويوم القيامة
اي اتبعوا يوم القيامة ايضا وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الاول
عليها وللايذان بكون كل من اللعنتين نوعا برأسه لم يجتمعا في قرن واحد بان يقال
واتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيامة لعنة كما في قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا
حسنة وفي الآخرة ايذانا باختلاف نوعي الحسنتين فان المراد بالحسنة الدنيوية
نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الاخروية الثواب والرحمة
الا ان عادا كفروا ربهم اي بربهم او نعمة ربهم او جحدوه على تضمينه الذي بمعنى
الشكر او جحدوه الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين اي هلاكا
تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة
عاد للمبالغة في تفظيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم قوم هود عطف بيان

لعاد وفايدته التمييز عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد
بسبب ماجري بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه والى ثمود اخاهم صالحا عطف
على ماسبق من قوله تع والى عاد اخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم
الاكبر ثمود بن عامر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد
وهو الماء القليل وصالح عليه السلام هو ابن عبيد بن اسف بن ماشج بن عبيد بن حاذر
بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله اليهم مظنة لان يسأل ويقال ماذا قال لهم
قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده وعلل ذلك بقوله هو
انشاكم من الارض اي هو كونكم وخلقكم منها لا غيره قصر قلب او قصر افراد فان خلق ادم
عليه السلام منها خلق لجميع افراد البشر لما مر مرارا من ان خلقته عليه السلام لم تكن مقصورة
على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على خلق جميع ذرياته التي ستوجد الى يوم القيمة
انطواء اجماليا وقيل ان خلق ادم عليه السلام وانشا مواد النطف التي
خلق نسله من التراب انشا لجميع الخلق من الارض فتدبر واستعمركم من العمر اي عمركم
واستبقاكم فيها او من العمارة اي اقدركم على عمارتها او امركم بها وقيل هو من
العمري بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين
دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه فان ما فصل من
فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة عما كانوا ياتونه
من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل ان ربي قريب اي قريب الرحمة
كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين مجيب لمن دعاه وساله وقد روعي في
النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار
والتوبة واخر عنه ذكر الغاية المتاخرة عنهما في الوجود اعني الاجابة قالوا يا صالح قد
كنت فينا مرجوا اي كنا نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخايل الرشد
ان تكون لنا سيدا ومستشارا في الامور وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاضلا خيرا نقدمك
على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه قبل هذا الذي
باشرته من الدعوة الى التوحيد وترك عبادة الالهة او قبل هذا الوقت وكانهم
لم يكونوا الى الان على ياس من ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق فالان قد انصرم عنك
رجاؤنا وقرء طلحة مرجوءا بالمد والهمز اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا اي يعبدون
والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا
اليه من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار والتوبة مريب
اي موقع في الريبة من اربته اي اوقعته في الريبة اي قلق النفس وانتفاء الطمانينة
او من اراب اذا كان ذا ريبة وايهما كان فالاسناد مجازي والتنوين فيه وفي
شك للتفخيم قال يا قوم ارايتم اي اخبروني ان كنت في الحقيقة على بينة

اي

اي حجة ظاهرة وبرهان وبصيرة من ربي مالكي ومتولي امري واتاني منه من جهته
رحمة نبوة وهذه الامور وان كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا
لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة فمن ينصرني من الله اي
ينجيني من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والفاء لترتيب انكار النصرة
على ماسبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب
عنه قوله تع ان عصيته اي بالمساهلة في تبليغ الرسالة والمجاراة معكم فيما تاتون
وتذرون فان العصيان ممن ذلك شانه ابعد والمؤاخذة عليه الزم وانكار نصرته
ادخل فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوا
قبل هذا اي لا تفيدونني اذ لم يكن فيه اصل الخسران حتى يزيدوا غير تخسير اي غير
ان تجعلوني خاسرا بابطال اعمالي وتعريضي لسخط الله تعالى او فما تزيدونني بما
تقولون غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على انتفاء
الناصر المفهوم في انكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما ينفيه من كونه عليه السلام
على بينة من ربه وايتائه النبوة ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتشريف والتنبيه على
انها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق لكم اية معجزة دالة
على صدق نبوتي وهي حال من ناقة الله والعامل ما في هذه من معنى الفعل ولكم حال
من اية متقدمة عليها لكونها نكرة ولو تاخرت لكانت صفة لها ويجوز ان يكون
ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا وعاملا في اية فذروها خلوها وشانها
تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عز وجل لتربية
استحقاقها لذلك وتعليل الامر بتركها وشانها ولا تمسوها بسوء بولغ في النهي
عن التعرض لها بما يضرها حيث نهي عن المس الذي هو من مبادي الاصابة ونكر السوء
اي لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من السوء فضلا عن عقرها وقتلها
فياخذكم عذاب قريب اي قريب النزول روي انهم طلبوا منه ان يخرج من صخرة
تسمى الكاتبة ناقة عشراء مخترجة وبراء وقالوا ان فعلت ذلك صدقناك فاخذ صالح
عليهم مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة
تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم
انتجت ولدا مثلها في العظم فآمن جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقين من الايمان
ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها
ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون
ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي
فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق عليهم
ذلك فعقروها قيل زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها

واقتسموا لحمها فرتع في سنعها جبلا اسمه قاره فرغا ثلثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل
عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغايه فدخلها فقال
لهم صالح تمتعوا اي عيشوا في داركم اي في منازلكم او في الدنيا ثلثة ايام قيل قال لهم
تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب
ذلك اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلثة ايام من نزول العذاب عقيبها والمراد
بما فيه من معنى البعد تفخيمه وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع
المشهور كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا وغير مكذوب كان الواعد قال له افي
بك فان وفي به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول
فلما جاء امرنا اي وقت عذابنا وموعده وهو الصبح جعلنا عاليها اي عالي قرى قوم لوط
التي عبر عنها بالمؤتفكات وهي خمس مداين اي عذابنا او امرنا بنزوله وفيه ما
من التهويل نجينا صالحا والذين امنوا معه متعلق بنجينا او بامنوا برحمة بسبب رحمة عظيمة
منا وهي النبوة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كما مر او ملتبسين برحمة ورافة
منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ اي من ذلة ومهانته او ذلهم وفضيحتهم
يوم القيمة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيمة
بعد تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف
اليه هنا وفي المعارج في قوله تع من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب
يومئذ ان ربك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو القوي العزيز القادر على كل
شيء والغالب عليه لا غيره ولكون الانجاء من تنجية الاولياء لا سيما عند الانبا بحلول
العذاب اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال واخذ الذين ظلموا عدل عن المضمر
الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعليته لنزول العذاب بهم الصيحة اي صيحة جبريل
عليه السلام وقيل اتتهم صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم
في صدورهم وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها وقعت عقيب الصيحة المستتبعة
لتموج الهوا فاصبحوا اي صاروا في ديارهم اي بلادهم او مساكنهم جاثمين هامدين موتى
لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتدا نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة
كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته
اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك قيل لما راوا العلامات التي بينها صالح من اصفرار
وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين
ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم السبت تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة
فتقطعت قلوبهم فهلكوا كان لم يغنوا اي كانهم لم يقيموا فيها في بلادهم او في مساكنهم
وهو في موقع الحال اي اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم في مقام الا ان
ثمود وضع موضع المضمر لزيادة البيان ونونه ابو بكر هنا وفي النجم وحفص هنا وجدهم

الفرقان

وفي الفرقان والعنكبوت بغير تنوين كفروا ربهم اي صرح بكفرهم مع كونه
معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد
والهلاك في قوله تع الا بعدا لثمود وقرا الكسائي بالتنوين ولقد جاءت رسلنا ابرهيم
وهم الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم جبريل عليه السلام وملكان وقيل
هم جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام وعن الضحاك كانوا تسعة وعن محمد
بن كعب جبريل ومعه سبعة وعن السدي احد عشر على صورة الغلمان الوضاء
الوجوه وجوههم وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا كلهم عليهم السلام وانما اسند
اليهم مطلق المجي بالبشرى دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه عليه السلام
بل الى قوم لوط لقوله تع انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاوه لداعية البشرى
ولما كان المقصود في السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الامم السالفة مع الرسل
المرسلة اليهم ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابرهيم عليه السلام
ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما
سبق من قوله تع والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا ثم رجع اليه حيث
قيل والى مدين اخاهم شعيبا بالبشرى اي ملتبسين بها قيل مطلق البشرى المنتظم
للبشارة بالولد من سارة لقوله تع فبشرناها باسحق الاية وقوله وبشرناه بغلام
حليم وقوله وبشروه بغلام عليم وللبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى
فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة على مجيئها
كما سياتي بهلاك قوم لوط ويأباه مجادلته عليه السلام والاظهر انها البشارة بالولد
ويعرف سر تفرع المجادلة على ذلك ولما كان الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة
لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم قالوا سلاما اي سلمنا او نسلم عليك
سلاما ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اي قالوا قولا ذا سلام او ذكروا سلاما
قال سلام اي عليكم سلام او سلام عليكم حياهم باحسن من تحيتهم وقرئ
سلم كحرم في حرام وقرا ابن ابي عبلة قال سلاما وعنه انه قرا بالرفع فيهما
فما لبث اي ابراهيم ان جاء بعجل اي في المجي به او ما لبث مجيئه بعجل اي
مشوي بالرضف في الاخدود وقيل سمين يقطر ودكه لقوله بعجل [illegible]
سمين من حنذ الفرس اذا عرقته بالجلال فلما راى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه
ايديهم للاكل نكرهم اي انكرهم يقال نكره وانكره واستنكره بمعنى وانما انكرهم لانهم
كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يجي بخير وقد روي انهم
ينكتون بقداح كانت في ايديهم في اللحم ولا تصل اليه ايديهم وهذا الانكار منه
عليه السلام راجع الى فعلهم المذكور واما انكاره المتعلق بانفسهم فلا تعلق له
برؤيته عدم اكلهم وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده

من الناس لا يري لما قوله تع في سورة الذاريات سلام قوم منكرون واوجس
منهم اي احس واضمر من جهتهم خيفة لما ظن ان نزولهم لامر انكره الله تعالى
عليه او لتعذيب قومه وانما اخر المفعول الصريح عن الظرف لان المراد
الاخبار بانه عليه السلام اوجس من جهتهم شيا هو الخيفة لا انه اوجس الخيفة
من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه ان تاخير ما حقه التقديم يوجب
ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف ما قالوه
لمجرد ما راوا امنه من مخايل الخوف ازالة له منه بل بعد اظهاره عليه السلام
قال تعالى في سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء
بذلك انا ارسلنا ظاهره انه استيناف في معنى التعليل للنهي المذكور كما
ان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم الى قوم اخرين يوجب امنهم
من الخوف اي ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة الا انه ليس كذلك فان
قوله تع قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح
في انهم قالوه جوابا عن سواله عليهم السلام وقد وصل الكلام اكتفا بذلك
وامراته قائمة وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم او على رؤوسهم للخدمة حسبما
هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اي قالوه وهي قائمة تسمع مقالتهم
فضحكت سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعا وقيل
بوقوع الامر حسبما كانت تقول فيما سلف فانها كانت تقول لابراهيم
اضمم اليك لوطا فاني ارى ان العذاب نازل بهولاء القوم وقيل
ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ
بفتح الحاء فبشرناها باسحق اي عقبنا سرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا
ومن وراء اسحق يعقوب بالنصب على انه مفعول لما دل عليه قوله فبشرناها
اي وهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء وخبره الظرف
اي من بعد اسحق يعقوب مولود او موجود وكلا الاسمين داخل في البشارة كيحيى
او واقع في الحكاية بعد ان ولدا فسميا بذلك وتوجيه البشارة هنا اليها مع
ان الاصل في ذلك ابراهيم عليه السلام وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه
بغلام عليم للايذان بان ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد
قالت استيناف وقع جوابا على سوال من سال وقال فما فعلت اذ بشرت بذلك
فقيل قالت يا ويلتا اصل الويل الخزي ثم شاع في كل امر فظيع والالف مبدلة
من ياء الاضافة كما في يا لهفا ويا عجبا وقرا الحسن على الاصل واما لها ابو عمرو وعاصم
في رواية ومعناه يا ويلتي احضري فهذا اوان حضورك وقيل الالف الف الندبة
ويوقف عليها بهاء السكت ءالد وانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين سنة وهذا

الذي

الذي تشاهدونه بعلي اي زوجي واصل البعل القائم بالامر شيخا وكان ابن مائة
وعشرين سنة ونصبه على الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على
انه خبر مبتدا محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل من اسم
الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير في ءالد لتقرير ما فيه
من الاستبعاد وتعليله اي الد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان
حالها على بيان حاله عليه السلام لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر
اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز داؤهن عقام ولان البشارة متوجهة
اليها صريحا ولان العكس في البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع عن
الولادة الى جانب ابراهيم عليه السلام وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها في
الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض لحال النافلة لانها المستبعد واما ولادة
ولدها فلا يتعلق بها استبعاد ان هذا اي ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا
لشيء عجيب بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد
بطريق الاستيناف التحقيقي ومقصدها استعظام نعمة الله تع عز وجل عليها في ضمن
الاستعجاب العادي لا الاستبعاد وذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى قالوا اتعجبين
من امر الله اي قدرته وحكمته او تكوينه او شانه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت
ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي والايات ومظهر الايات المعجزات والامور
الخارقة للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء من
امثال هذه الخوارق من الطاف الله تعالى الخفية ولطائف صنعه الفائضة على كل
احد ممن يتعلق بذلك مشيئته الازلية لاسيما على اهل بيت النبوة التي ليست مرتبتهم
عند الله سبحانه كمراتب سائر الناس وان تسبح الله تعالى وتحمده وتمجده والى ذلك
اشاروا بقوله تع رحمة الله التي وسعت كل شيء واستتبعت كل خير وانما وضع المظهر
موضع المضمر لزيادة تشريفها وبركاته اي خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي
من جملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل
لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم عليهم السلام عليكم اهل البيت نصبه
على المدح والاختصاص لانهم اهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة
الواحدة الى جميع المذكر لتعميم حكمه لابراهيم عليه السلام ايضا ليكون جوابهم لها
جوابا له ايضا ان خطر بباله مثل ما خطر ببالها والجملة كلام مستانف علل به انكار
تعجبها كانه قيل ليس المقام مقام التعجب فان الله تعالى على كل شيء قدير وليستم
يا اهل بيت النبوة والكرامة والزلفى كسائر الطوائف بل رحمته المستتبعة لكل خير
الواسعة لكل شيء وبركاته اي خيراته النامية الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة
الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد كثير الخير

والاحسان الى عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله رحمة الله وبركاته عليكم
فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي ما اوجس منهم من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم
وعرفان سبب مجيئهم والفا لربط بعض احوال ابراهيم عليه السلام ببعض عند
انفصالها بما ليس باجنبي من كل وجه بل له مدخل تام في السباق والسياق وتاخير
الفاعل عن الظرف لانه مصب الفايدة فان بتاخير ما حقه التقديم تبقى النفس
متشوقة الى وروده فيتمكن فيها عند وروده اليها فضل تمكن وجاءته البشرى
اي سرت البشرى بقولهم لا تخف فسببية ذهاب الخوف ومجيء السرور للمجادلة
المدلول عليها بقوله تعالى يجادلنا في قوم لوط اي جادل رسلنا في شانهم وعدل
الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او طفق يجادلنا ظاهرة واما ان
سرت بشارة الولد او بما يعمها فلعل سببيتها لها من حيث انها تفيد زيادة اطمينان
قلبه بسلامته وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم انه قال لهم حين قالوا انا مهلكوا
هذه القرية ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال
فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا قال فعشرون حتى بلغ العشرة قالوا لا
قال ارايتم لو كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها
لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ان قيل المتبادر من هذا الكلام ان
يكون ابراهيم عليه السلام قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروع
عن نفسه ولكن لم يقدر على المجادلة لهم في شانهم لاشتغاله بشان نفسه فلما ذهب
عنه الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا لا تخف
انا ارسلنا الى قوم لوط قلنا كان لوط عليه السلام على شريعة ابراهيم عليه السلام
وقومه مكلفين بها فلما راى من الملائكة ما راى خاف على نفسه وعلى كافة امته التي
من جملتهم قوم لوط ولا ريب في تقديم هذا الخوف على قولهم لا تخف واما الذي
علمه عليه السلام بعد النهي عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم
تحت العموم فتامل والله الموفق ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه
اواه كثير التاوه على الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع الى الله تعالى والمقصود
بتعداد صفاته الجليلة المذكورة بيان ما حمله عليه السلام على ما صدر عنه من المجادلة
يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه اي الشان قد جاء امر ربك اي قدره الجاري على
وفق قضائه الازلي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية
لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسب تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر
عنه بالقدر وانهم اتيهم عذاب غير مردود لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما ولما
جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس رضي الله عنهما انطلقوا من عند ابراهيم
عليه السلام الى لوط عليه السلام وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه في صورة

غلمان

غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك سيء بهم اي ساءه مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف
ان يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم وقرا نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو
سيء وسيئت باشمام السين الضم روي ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى
يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم ما بلغكم
امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول
ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت
به قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط وضاق بهم
ذرعا اي ضاق بمكانهم صدره او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة
الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه وللاحتيال فيه ضاقت نفسه
عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهو المساحة وكانه قدر البدن مجازا اي
ان بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع الذراع اسم للخارجة من المرفق
الى الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بهم ذرعا قصرها
كما ان معنى سعتها وبسطتها طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع اذا مدها
لا يتناول ما يتناوله الطويل الذرع
ليتناول ما بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه
اي لوطا وهو في بيته مع اضيافه قومه يهرعون اليه اي يسرعون كانما يدفعون
دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه والجملة حال من قومه ومن قبل اي من قبل
هذا الوقت كانوا يعملون السيئات اي جاءوا مسرعين والحال انهم منهمكين في عمل
السيات فضروا بها وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا
مما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فتزوجوهن
وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فان
تزوج المسلمات من الكفار كان جايزا وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه
من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم
سيدان مطاوعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه واياما كان فقد اراد به وقاية ضيفه
وذلك غاية الكرام ما كان ذلك القول منه يجري على الحقيقة من ارادة
النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم واظهارا لشدة استعاضته مما اوردوا
عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا عما هموا عليه مع ظهور
الامر واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب بقولهم
لقد علمت ما لنا في بناتك من حق كما ستقف عليه فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثار
عليهم ولا تخزون في ضيفي اي لا تفضحوني في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل وجاره
اخزاء له ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق
الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح قالوا معرضين عما نصحهم به من الامر بتقوى

الله تعالى والنهي عن اخزايه بخجلين عن اول كلامه لقد علمت ما لنا في بناتك من حق
مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة بيننا وبينك
وما عرضك الا عرض سابري ولا مطمع لنا في ذلك وانك لتعلم ما نريد من اتيان
الذكران ولما ييئس عليه السلام من ارعوائهم عما هم عليه من الغي قال لو ان لي بكم
قوة اي لفعلت بكم ما فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو ان قرانا سيرت
به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى او آوي الى ركن شديد عطف على
ان لي بكم لما فيه من معنى الفعل اي لو قويت على دفعكم بنفسي او اويت الى ناصر
عزيز قوي امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد روي انه عليه السلام
اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة
ما على لوط من الكرب قالوا اي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه يا لوط
انا رسل ربك لن يصلوا اليك بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح
الباب فدخلوا فاستاذن جبريل عليه السلام رب العزة جل جلاله في عقوبتهم
فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه
وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم
كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون
النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ
ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القرآن من السرى والفاء لترتيب الامر
بالاسراء على الاخبار برسالتهم المؤذنة بورود الامر والنهي من جنابه عز
وجل اليه عليه السلام بقطع من الليل بطائفة من الليل ولا يلتفت منكم اي لا يتخلف
بورود الامر والنهي من جنابه عز وجل هـ او لا ينظر الى ورائه احد منك ومن اهلك
وانما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة
او لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم الا امراتك استثناء من قوله تعالى
فاسر باهلك ويؤيده انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك وقرئ
بالرفع على البدل من احد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى النظر الى الخلف كيلا يلزم
التناقض بين القراءتين المتواترتين فان النصب يقتضي كونه عليه السلام غير مامور
بالاسراء بها والرفع كونه مامورا بذلك والاعتذار بان مقتضى الرفع انما هو مجرد كونها
معهم وذلك لا يستدعي الامر بالاسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز ان تسري هي
بنفسها كما يروى انه عليه السلام لما اسرى باهله تبعتهم فلما سمعت هدة العذاب
التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وان يسري بها عليه السلام من غير
امر بذلك اذ موجب النصب انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء

تحقق بكون عليه السلام بالاسراء بها مخالفا للنهي لا يجدي نفعا لان انصراف الاستثناء
الى الالتفات يستدعي بقاء الاهلية الدينية وفي الاخرى على النسبية مع ان فيه
ما لا يخفى من الحكم والاعتساف كر على ما فر منه من المناقضة فالاولى جعل الاستثناء
على القراءتين من قوله لا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن
عامر قراه بالنصب وان كان الافصح الرفع على البدل ولا بعد في كون اكثر القراءة
على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه بطريق
الاستصلاح ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم
من العذاب وهو امطار الحجارة وان لم يصبها الخسف والضمير في انه للشان وقوله
مصيبها خبر وقوله ما اصابهم مبتدأ والجملة خبر لان الذي اسمه ضمير الشان
وفيه ما لا يخفى من تفخيم شان ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة
الرفع ان موعدهم الصبح اي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهي
من الالتفات المشعر بالحث على الاسراع اليس الصبح بقريب تاكيد للتعليل فان قرب
الصبح داع الى الاسراع في الاسراء للتباعد عن مواقع العذاب وروي انه قال
للملائكة عليهم السلام متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك
فقالوا ذلك وانما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة والراحة
فيكون حلول العذاب حينئذ افظع ولانه انسب بكون ذلك عبرة للناظرين فلما
جاء امرنا اي وقت عذابنا وموعده وهو الصبح جعلنا عاليها اي عالي قرى قوم
لوط التي عبر عنها بالمؤتفكات وهي خمس مداين فيها اربعمائة الف الف سافلها
اي قلبناها على تلك الهيئات وجعل عاليها مفعولا اول لجعل وسافلها مفعولا ثانيا
وان تحقق القلب بالعكس ايضا للتهويل وتفظيع الخطب لان جعل عاليها الذي
هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد عليهم واشق من جعل سافلها عاليها وان
كان مستلزما له روي انه جعل جبريل عليه السلام جناحه في اسفلها ثم رفعها الى
السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد
الجعل والامطار الى ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب لتفخيم الامر وتهويل
الخطب وامطرنا عليها على اهل المداين او شذاذهم حجارة من سجيل من طين متحجر
كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل هو من اسجله اذا ارسله
او ادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او مثل العطية في الادرار او من السجل
اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت
لامه نونا منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه اثر
بعض كقطار الامطار مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او
بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك في خزاينه التي

لايتصرف فيها عنه عز وجل وما هي اي الحجارة الموصوفة من الظالمين من كل ظالم
ببعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون فيه وعيد شديد لاهل
الظلم كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبريل عليه السلام فقال
يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة
وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم
واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجارة بالحجر او اجرائه على موصوف
مذكر اي بشيء بعيد او بمكان بعيد فانها وان كانت في السماء وهي في غاية البعد
من الارض الا انها حين هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بهم فكانها بمكان قريب
منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف
بها المذكر والمؤنث والى مدين اي اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او جعل
اسما للقبيلة بالغلبة او اهل مدين وهو بلد بناه مدين فسمي باسمه اخاهم اي
نسيبهم شعيبا وهو ابن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء
لحسن مراجعة قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى والى ثمود اخاهم صالحا اي
وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن صدر
الكلام فكانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام
يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ما لكم من اله غيره تحقيق
للتوحيد وتعليل للامر به وبعد ما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول
ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادي ما اعتادوه من البخس
والتطفيف عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان اي لا تتوسلوا بذلك
الى بخس حقوق الناس اني اريكم بخير اي ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن
ذلك او بنعمة من الله تعالى حقها ان يقابل بغير ما تاتونه من المسامحة والتفضل
على الناس شكرا عليها او اوريكم بخير فلا تزيلوه بما انتم عليه من الشر وهو على كل
حال علة للنهي عقبت بعلة اخرى اعني قوله عز وجل واني اخاف عليكم ان لم
تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم
مهلك من قوله تعالى واحيط بثمره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب يوم
القيامة او عذاب الاستيصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي حال العذاب
على الاسناد المجازي وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع
فيه من الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا
احاط بنعيمه ويجوز ان يكون هذا تعليلا للامر والنهي جميعا ويا قوم اوفوا المكيال
والميزان بالقسط اي بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فان الزيادة في الكيل
والوزن وان كان تفضلا مندوبا اليه لكنها في الآلة محظورة كالنقص

فلعل

فلعل الزائد للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر
بتسويتهما وتعديلهما صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة في الحمل على الايفاء والمنع
من البخس وتنبيها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس بل يجب عليهم اصلاح ح
ما افسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم وقانونا لعدوانهم ولا تبخسوا الناس بسبب
نقصهما وعدم اعتدالهما اشياءهم التي يشترونها بهما وقد صرح بالنهي عن البخس بعد ما
علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار والامر بايفائه اهتماما بشأنه وترغيبا في ايفاء
المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره تعميما
بعد التخصيص كما في قوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثي يعم نقص الحقوق
وغيره من انواع الفساد وقيل البخس المكس كالاخذ العشر في المعاملات قال
زهير بن ابي سلمى • افي كل اسواق العراق اتاوة • وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم •
والعثي في الارض السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد
به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل الغلام وقيل معناه
ولا تعثوا في الارض مفسدين امر آخرتكم ومصالح دينكم بقية الله اي ما ابقاه
لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات خير لكم مما تجمعون بالبخس والتطفيف
فان ذلك هباء منثور بل شر محض وان زعمتم ان فيه خيرا لقوله تع يمحق الله الربوا ويربي
الصدقات ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة
وذلك مشروط بالايمان لا محالة وان كنتم مصدقين في مقالتي لكم وقيل البقية
الطاعة كقوله عز وعلا والباقيات الصالحات خير عند ربك وقرئ تقية الله
بالفوقانية وهي تقواه عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم من القبائح واحفظ
عليكم اعمالكم فاجازيكم وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت ولم آل في ذلك
جهدا وما انا بحفيظ ومستبق عليكم نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع
قالوا يا شعيب اصلوتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا من الاوثان اجابوا بذلك
امره عليه السلام اياهم بعبادة الله تعالى وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام
ولقد بالغوا في ذلك وبلغوا اقصى مراتب الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا
بانكار الوحي الآمر بذلك حتى ادعوا ان الامر به من العقل واللب اصلا وانه من
احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء اصلوتك
التي هي من نتائج الوسوسة وافاعيل المجانين تأمرك بان نترك عبادة الاوثان التي
توارثناها ابا عن جد وانما جعلوه عليه السلام مأمورا مع ان الصادر عنه انما هو الامر
بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرائع لانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يأمرهم بذلك
من تلقاء نفسه بل من جهة الوحي وانه كان يعلمهم بانه مأمور بتبليغه اليهم وتخصيصهم
باسناد الامر الى الصلاة من بين سائر الاحكام الشرعية لانه عليه الصلوة والسلام كان كثير

الصلوة محزوفا بذلك وكانوا اذا راؤه يصلي يتغامزون ويتضاحكون فكان في
من بين سائر شعائر الدين مضحكة لهم وقرئ اصلوتك او ان نفعل في
اموالنا ما نشاء جواب عن امره عليه السلام بايفاء الحقوق ونهيه عن البخس
والنقص معطوف على ما اي او ان نترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء من الاخذ
والاعطاء والزيادة والنقص معطوف وقرئ بالتاء في الفعلين عطفا
على مفعول تامرك اي اصلوتك تامرك ان تفعل انت في اموالنا ما تشاء وبجوز
العطف على على ما قيل يستدعي ان يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد بفعله
عليه السلام ايجاب الايفاء والعدل في معاملاتهم لا نفس الايفاء فان ذلك ليس
من افعاله عليه السلام ايجاب الايفاء والعدل في بل من افعالهم وانما لم نعطفه
على ان نترك ما يعبد اباؤنا وحمله على معنى اصلوتك تامرك بما ليس في وسعك وعهدك
من افاعيل غيرك ليكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رأيه عليه السلام واستهزاء به
من تلك الجهة يأباه دخول الهمزة على الصلوة دون الامر ويستدعي ان يصدر
عنه عليه السلام في اثناء الدعوة ما يدل على ذلك ويوهمه واني ذلك فتامل وقرئ
بالنون في الاول والتاء في الثاني عطفا على ان نترك اي وان لم نفعل نحن في
اموالنا عند المعاملة ما تشاء انت من التسوية والايفاء انك لانت الحليم الرشيد
وصفوه عليه السلام بالوصفين على طريقة التهكم وانما ارادوا بذلك وصفه بضدهما
كقوله الخزنة ذق انك انت العزيز الكريم ويجوز ان يكون تعليلا لما سبق من
استبعاد ما ذكروه على معنى انك لانت الحليم الرشيد على زعمك وانما وصفه بضدهما
على الحقيقة فياباه مقام الاستهزاء اللهم الا ان يراد بالصلوة الدين كما قيل
قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بها عما آتاه
الله تعالى من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء في جعلهم امره ونهيه غير
مستند الى سند من ربي ومالك امري وايراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام
بكونه على ما عليه من البينات والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة
معهم كما ذكرناه في نظائره ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا هو النبوة
والحكمة ردا على مقالتهم ايضا عبر عنهما بذلك تنبيها على انهما مع كونهما بينة رزق
حسن كيف لا وذلك مناط الحيوة الابدية له ولامته وجواب الشرط محذوف يدل
عليه فحوى الكلام اي اتقولون في شاني ما تقولون والمعنى انكم نظمتموني في
سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عني من الاوامر والنواهي من قبيل ما لا
يصح ان ينفوه به عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة والجنون واستهزأتم بي
وبافعالي حتى قلتم ان ما امرتكم به من التوحيد وترك عبادة الاصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف ليس مما يامر به امر العقل ويقضي به قاضي الفطنة

وانما

وانما يامر به صلوتك التي هي من احكام الوسوسة والجنون فاخبروني ان كنت
على حجة من ربي ومالك امور يا تاتا على النبوة والحكمة التي ليس وراءها غاية للكمال ولا
مطمح لطامح ورزقني بذلك عز رزقا حسنا اتقولون في شاني وشان افعالي ما تقولون
مما لا خير فيه ولا شر ومن ههنا ظهر ان هذا هو الجواب الذي يستدعيه السياق ويساعده النظم
الكريم واما ما قيل من ان المحذوف ايصح لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف
عن المعاصي او هل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية
ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه فمعزل من ذلك وانما يناسب تقديره
ان حمل كلامهم على الحقيقة واريد بالصلوة الدين على معنى اديتك يامرك ان تكلفنا
بترك عبادة الهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في اموالنا وتخالفنا في ذلك
وتشق عصانا وهذا مما لا ينبغي ان يصدر عنك فانك انت المشهور بالحلم الفاضل
والرشد الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسرورا
على ذلك النمط فاجيبوا بما اجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن
الحلال الذي آتاه الله تعالى والمعنى حينئذ اخبروني ان كنت نبيا من عند الله تعالى
ورزقني مالا حلالا استغني به عن العالمين ايصح ان اخالف امره واوافقكم فيما تأتون
وما تذرون وما اريد بنهيي اياكم بما انهاكم عنه من البخس والتطفيف ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه اي اقصد بعدما وليتم عنه واستبد به دونكم يقال خالفت
زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عن كذا اذا كان الامر على
العكس ان اريد اي ما اريد بما اباشر من الامر والنهي الا الاصلاح الا ان اصلحكم
بالنصيحة والموعظة ما استطعت اي مقدار ما استطعته من الاصلاح والتقييد
به للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح في الجملة لا عن ارادة ما ليس في وسعه منه
وما توفيقي اي كوني موفقا لتحقيق ما انتحيه من اصلاحكم الا بالله اي بتاييده ومعونته
بل الاصلاح من حيث الخلق مستند اليه سبحانه وانما انا من مباديه الظاهرة قاله
عليه السلام تحقيقا للحق وازاحة لما عسى يوهمه اسناد الاستطاعة اليه بارادته من
استبداده بذلك عليه توكلت في ذلك معرضا عما عداه فانه القادر على كل مقدور
وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل من رتبة
الاستمداد به والاستظهار واليه انيب اي ارجع فيما انا بصدده ويجوز ان يكون
المراد وما كوني موفقا لاصابة الحق والصواب في كل ما آتي واذر الا بهدايته ومعونته
عليه توكلت وهذا اشارة الى محض التوحيد الذاتي والفعلي واليه انيب اي عليه
اقبل بشراشر نفسي في مجامع اموري وايثار صيغة الاستقبال على الماضي الانسب للتقرير
والتحقق كما في التوكل لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه
عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن

الجارات والمحاورة وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من جناب الله عز وجل والانقياد
به في أموره وحسم أطماع الكفار وإظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وأما
تهديدهم بالرجوع إلى الله تعالى للجزاء كما قيل فلا لأن الإنابة إنما هي الرجوع الا
ختياري بالفعل إلى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء أو ما يعمه ويا قوم
لا يجرمنكم أي لا يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا شقاقي معاداتي وأصلهما
أن أحد المتعادين يكون في عدوة وشق والآخر في أخرى أن يصيبكم مفعول ثان
ليجرمنكم أي لا يكسبنكم معاداتكم لي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق
أو قوم هود من الريح أو قوم صالح من الصيحة والرجفة وقرأ ابن كثير بضم الياء من
أجرمته ذنبا إذا جعلته جارما له أي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول
واحد كما نقل أكسبه المال من كسب المال فكما لا فرق بين كسبته مالا وأكسبته إياه
لا فرق بين جرمته ذنبا وأجرمته إياه في المعنى إلا أن الأول أصح وأدور على ألسنة
الفصحاء وقرأ أبو حيوة مثل ما أصاب بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله لم
يمنع الشرب منها غير أن نطقت ٭ حمامة في غصون ذات أوقال ٭
وهذا بحسب الظاهر نهي للشقاق عن كسب إصابة العذاب لكنه في الحقيقة
نهي للكفرة عن شاقته عليه السلام على ألطف أسلوب وأبدعه كما مر في سورة
المائدة عند قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وما قوم لوط منكم ببعيد
زمانا أو مكانا فإن لم تعتبروا بمن قبلهم من الأمم المعدودة فاعتبروا بهم فكأنهم
إنما غير أسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما أصابهم بل اكتفى بذكر قربهم إيذانا بأن
ذلك مغن عن ذكره لشهرة كونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الأمم المرقومة
أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد أن يصيبكم مثل ما أصابهم
وإفراد البعيد مع تذكيره لأن المراد وما إهلاكهم على نية المضاف أو وما هم
بشيء بعيد لأن المقصود إفادة عدم بعدهم على الإطلاق لا من حيث خصوصيته
كونهم قوما أو ما هم في زمان بعيد أو مكان بعيد ولا يبعد أن يكون ذلك
لكونه على زنة المصادر كالنهيق والشهيق ولما أنذرهم عليه السلام بسوء عاقبة
صنيعهم عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم بالحمل على الاستغفار
والتوبة فقال واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه مر تفسيره في أول السورة
إن ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة
بمن يوده من اللطف والإحسان وهذا تعليل للأمر بالاستغفار والتوبة وحث
عليهما قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه
أي ما نفهم مرادك وإنما قالوه بعد ما سمعوا منه دلائل الحق المبين على أحسن
وجه وأبلغه وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا إلى محاورته

سبيلا

سبيلا سوى الصدود عن منهاج الحق العقل والسلوك إلى سبيل الشقاء كما هو ديدن
المفحم المحجوج يقابل البينات بالسب والإبراق والإرعاد فجعلوا كلامه المشتمل على
فنون الحكم والمواعظ وأنواع العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا
يدرك فحواه وأدمجوا في ضمن ذلك أن في تضاعيفه ما يستوجب أقصى ما يكون
من المؤاخذة والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير من عواقب الأمم السالفة ولذلك
قالوا وإنا لنراك فينا فيما بيننا ضعيفا لا قوة لك ولا قدرة على شيء من الضر والنفع
والإيقاع والدفع ولولا رهطك لولا مراعاة جانبهم لا لولا خوفهم مما نعونا وبدا بعونا
لرجمناك فإن ممانعة الرهط هو اسم للثلاثة إلى السبعة أو إلى العشرة لهم وهم ألوف
مؤلفة مما لا يكاد يتوهم وقد أيد ذلك بقوله عز وجل وما أنت علينا بعزيز مكرم
محترم حتى نمتنع من رجمك وإنما نكف عنه للمحافظة على حرمة رهطك الذين
ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وإيلاء الضمير حرف النفي وإن
لم يكن الخبر فعليا غير خال عن الدلالة على رجوع النفي إلى الفاعل دون الفعل لا سيما
مع قرينة قوله ولولا رهطك كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة
علينا وحيث كان غرضهم من عظيمتهم هذه عائدا إلى نفي ما فيه عليه السلام من القوة
والعزة الربانيتين حسبما يوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده وتعقيبه
قضية طلب التوفيق منه والتوكل عليه والإنابة إليه وإلى إسقاط ذلك كله
عن درجة الاعتداد به والاعتبار قال عليه السلام في جوابهم يا قوم أرهطي
أعز عليكم من الله فإن الاستهانة بمن لا يتعزز إلا به عز وجل استهانة بجنابه
العزيز وإنما أنكر عليهم أعزية رهطه منه تعالى مع أن ما أثبتوه إنما هو مطلق
عزة رهطه لا أعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في أصل العزة لتثنية
التقريع وتكرير التوبيخ حيث أنكر عليهم أولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة
الله تعالى وثانيا نفي العزة بالمرة والمعنى أرهطي أعز عليكم من الله فإنه مما لا
يكاد يصح والحال أنكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة أصلا واتخذتموه بسبب
عدم اعتدادكم بمن لا يرد ولا يصدر إلا بأمره وراءكم ظهريا شيئا منبوذا وراء
الظهر منسيا لا يبالى به منسوب إلى الظهر والكسر لتغيير النسب كالإمسي
في النسبة إلى الأمس إن ربي بما تعملون من الأعمال السيئة التي من جملتها عدم
مراعاتكم لجانبه محيط لا يخفى عليه منها خافية وإن جعلتموه منسيا فيجازيكم
عليها ويحتمل أن يكون الإنكار للرد والتكذيب فإنهم لما ادعوا أنهم لا يكفون
عن رجمه عليه السلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب رهطه رد عليهم ذلك
بأنكم ما قدرتم الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي فكيف تراعون
جانب رهطي الأذلة ويا قوم اعملوا لما رأى عليه السلام إصرارهم على الكفر وأنهم

لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي حتى اجترؤوا على العظيمة التي هي الاستهانة به والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد اعملوا على مكانتكم اي غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وانما قاله عليه السلام ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرون على رجمه وانه ضعيف فيما بينهم لا عزة له او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على ما انتم عليه من الكفر والمشاقة لي وسائر ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضارتي وايقاع ما في نيتكم واخراج ما في اسنتكم من القوة الى الفعل اني عامل في مكانتي حسبما يؤيدني الله ويوفقني بانواع التأييد والتوفيق سوف تعلمون لما عدد منهم عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم اني عامل كان مظنة ان يسأل منهم سائل فيقول فماذا يكون بعد ذلك فقيل من يأتيه عذاب يخزيه وصف العذاب بالاخزاء تعريضا بما اوعدوه عليه السلام به من الرجم فانه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون الا بجناية عظيمة توجبه ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا على انه قسيمه بل حيث اوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب والكاذب وفيه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عليه السلام وفي نسبته الى الضعف والهوان وفي ادعائهم الابقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالعلية والاسمية لان كذب الكاذب ليس مترتبا كاتيان العذاب بل انما المترتب ظهور الكذب السابق المستمر ومن اما استفهامية معلقة للعلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا كاذب واما موصولة اي سوف تعرفون الذي يأتيه عذاب والذي هو كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل ما اقول اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع وفي زيادة معكم اظهار منه عليه السلام لكمال الوثوق بامره ولما جاء امرنا اي عذابنا كما ينبئ عنه قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه او وقته فان الارتقاب يؤذن بذلك نجينا شعيبا والذين معه برحمة منا وهي الايمان وفقناهم له او برحمة كائنة منا لهم وانما ذكر بالواو كما في قصة عاد لما انه لم يسبقه فيها ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي لدخول الفاء في معلوله كما في قصتي صالح ولوط فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح واخذت الذين ظلموا عدل اليه عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذهم انما اخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق فنونه الصيحة قيل صاح بهم جبريل عليه السلام

فهلكوا

فهلكوا وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة وفي سورة العنكبوت فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضي اليها كما مر فيما مر فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم في قوله تعالى سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه الآية نفس مجيء العذاب بل من يجيئه ذلك جعل مجيئه بعد ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار به حيث جعل شرطا وجعل تنجية شعيب عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له ومقصود الافادة وانما قدم تنجيته اهتماما بشأنها وايذانا بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر اثره بموجب جرائرهم وجرائمهم كان لم يغنوا اي لم يقيموا فيها متصرفين في اطرافها متقلبين في اكنافها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول عن الاضمار الى الاظهار ليكون ادل على طغيانهم الذي اداهم الى هذه المرتبة وليكون انسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم لانهما اهلكا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم من فوقهم واولئك من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر للمكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي الايات التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما اية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول احكام التورية حين اباه بنو اسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول ارسلنا او نعتا للمصدر المؤكد اي ارسلناه حال كونه ملتبسا باياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها وسلطان مبين هو المعجزات الباهرة منها او هو العصا والافراد بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهرها او المراد بالايات ما عداها او هما عبارتان عن شيء واحد اي ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها من ابان لازما ومتعديا وهو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا ويجوز ان يكون المراد ما بينه عليه السلام في تضاعيف دعوته حين قال له فرعون من ربكما فما بال القرون الاولى من الحقائق والدقائق اللائقة وجعله عبارة عن التورية وادراجها في جملة الايات يرده قوله تعالى الى فرعون وملائه فان نزولها انما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنو اسرائيل فيما يأتون وما يذرون واما فرعون وقومه فانما كانوا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بني اسرائيل من الاسر والقسر وتخصيص ملائه بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة لاصالتهم في الراي وتدبير الامور واتباع غيرهم لهم في الورود والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بايات الله تعالى وانهماكه

هكذا اورده صاحب اللباب
وذكر ... الاعراف
... الثمرات ...
نقص الانفس
الطاعون

فيما كان عليه من الضلال والاضلال بل اقتصر على ذكر شأن ملائه فقيل فاتبعوا امر
فرعون اي امره بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام من الحق المبين للايذان بوضوح
حاله فكان كفره وامره ملاه بذلك امر محقق الوجود غير محتاج الى الذكر صريحا وانما
المحتاج الى ذلك شأن ملائه بذلك امر محقق الوجود غير محتاج المترددين بين هاد
الى الحق وداع الى الضلال فنعي عليهم سوء اختيارهم وايراد الفاء في اتباعهم المنبئة
على امر فرعون المبني على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للاشعار بمفاجأتهم في الاتباع
ومسارعة فرعون وامرهم به فكأن ذلك كله لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع
جميع ذلك في وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم ويجوز ان يراد بامر فرعون
شأنه المشهور وطريقته الزائغة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفاء
مثل ما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء بعد ورود
ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع
حادث فتأمل وترك الاضمار لدفع توهم الرجوع الى موسى عليه السلام من اول الامر
ولزيادة توبيخ حال المتبعين فان فرعون علم في الفساد والافساد والضلال
والاضلال فاتباعه لفرط الجهالة وعدم الاستبصار وكذا الحال في قوله تعالى
وما امر فرعون برشيد الرشد ضد الغي وقد يراد به محمودية العاقبة فهو على الاول
بمعنى الرشد او ذي الرشد حقيقة لغوية والاسناد مجازي وعلى الثاني مجاز والاسناد
حقيقي يقدم قومه جميعا من الاشراف وغيرهم يوم القيمة اي يتقدمهم
من قدمه بمعنى تقدمه وهو استئناف لبيان حاله في الآخرة اي كما كان
قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم يوم القيمة الى النار وهم يتبعونه
او لتوضيح عدم صلاح مآل امره وسوء عاقبته فاوردهم النار اي يوردهم
وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة شبه فرعون بالفارط
الذي يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذي يرد
ثم قيل وبئس الورد المورود اي بئس الورد الذي يردونه النار لان
الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك
واتبعوا اي الملأ الذين اتبعوا امر فرعون في هذه اي في الدنيا لعنة عظيمة
حيث يلعنهم من بعدهم من الامم ويوم القيمة ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف
قاطبة فهي تابعة لهم حيثما ساروا دائرة معهم اينما داروا في الموقف كما
اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة في الدارين جزاء وفاقا واكتفي ببيان حالهم
الفظيع وشأنهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك
بحال من اغواهم والقاهم في هذه الضلال البعيد وحيث كان شأن الاتباع
ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل

بئس

بئس الرفد المرفود اي بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا يلائمه
المقام واصله ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم
وهي اللعنة في الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منها معينة
وممدة لصاحبتها مؤيدة لها ذلك اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده
باعتبار تقضيه في الذكر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
مبتدأ خبره من انباء القرى المهلكة بما جنته ايدي اهلها نقصه عليك
خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص عليك منها اي من
تلك القرى قائم وحصيد ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما بقي
منها بالزرع القائم على ساقه وما عفا وبطل بالحصيد والجملة مستأنفة لا محل لها
من الاعراب وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها
عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا دفعت
بأس الله تعالى عنهم آلهتهم التي يدعون اي يعبدونها من دون الله اوثر
صيغة المضارع حكاية للحال الماضية او دلالة على استمرار عبادتهم لها
من شيء في موضع المصدر اي شيئا من الاغناء لما جاء امر ربك اي حين
مجيء عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ آلهتهم اللاتي ويدعون على البناء
للمجهول وما زادوهم غير تتبيب اي اهلاك وتخسير فانهم انما هلكوا وخسروا
بسبب عبادتهم لها وكذلك اي ومثل ذلك الاخذ الذي مر بيانه وهو رفع
على الابتداء وخبره قوله اخذ ربك وقرئ اخذ ربك فمحل الكاف
النصب على انه مصدر مؤكد اذا اخذ القرى اي اهلها وانما اسند اليها
للاشعار بسريان اثره اليها حسبما ذكر وقرئ واذ اخذ وهي ظالمة
حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم في الاخذ
اجريت الحال عليها وفائدتها الاشعار بانهم انما اخذوا بظلمهم ليكون ذلك
عبرة لكل ظالم ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ لا يرجى منه الخلاص
وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير ان في ذلك اي في اخذه تعالى للامم المهلكة
او في قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة فانه المعتبر به حيث يستدل
بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على احوال عذاب الآخرة
واما من انكر الآخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شيء من احواله مستندا
الى الفاعل المختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه
من اوضاع فلكية تتفق في بعض الاوقات لا لما ذكر من المعاصي التي يقترفها
الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الانكار ذلك
اشارة الى يوم القيمة المدلول عليه بذكر الآخرة يوم مجموع له الناس اي يجمع

له الناس للمحاسبة والجزاء والتعبير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه
لا محالة وعدم الانفكاك الناس عنه فهو ابلغ من قوله تع يوم يجمعكم ليوم الجمع
وذلك اي يوم القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس له يوم مشهود اي مشهود
فيه حيث يشهد فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول
به كما في قوله في محفل من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل نفس اليوم
مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان سائر
الايام ايضا كذلك وما نؤخره اي ذلك اليوم الملحوظ بعنواني الجمع والشهود الا لاجل
معدود الا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه الحكمة يوم يأت اي حين
يأتي ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله تعالى ان تأتيهم الساعة وقيل
يوم يأتي الجزاء الواقع فيه اي الله عز وجل فان المقام مقام تفخيم شان
اليوم بإثبات الياء على الاصل لا تكلم نفس اي لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب
او شفاعة وهو العامل في الظرف او الانتهاء المحذوف في قوله تعالى الا لاجل معدود
اي ينتهي الاجل يوم يأتي او المضمر المعهود اعني اذكر الا باذنه عز سلطانه في
التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موطن من ذلك اليوم
وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر منه
كما ان قوله سبحانه يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها في آخر منها او المأذون فيه الجوابات
الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما في
قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظائره فمنهم شقي وجبت له النار بموجب
الوعيد وسعيد اي ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه وهو من وجبت
له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس
او للناس وتقديم الشقي على السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار فاما
الذين شقوا اي سبقت لهم الشقاوة ففي النار اي مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق
الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره قال
الشماخ يصف حمار الوحش • بعيد مدى التطريب اول صوته •
• زفير ويتلوه شهيق محشرج •
والمراد بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم بحال من استولت على قلبه الحرارة
وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم
والجملة مستانفة كان سائلا قال ما شانهم فيها فقيل لهم كذا وكذا او منصوبة المحل
على الحالية من النار او من الضمير في الجار والمجرور كقوله عز اسمه خالدين فيها خلا ان
ان اريد حدوث كونهم في النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والارض اي
مدة دوامهما وهذا التوقيت عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع بناء على منهاج

المرز

العرب • ما دام تعار واقام ثبير • وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار •
وما طما البحر وغير ذلك من كلمات العرب التأبيد لا تعليق قرارهم فيها بدوام هذه
السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة على تابيد قرارهم فيها وانقطاع
دوامهما وان اريد التعليق فالمراد سموات الآخرة وارضها كما يدل على ذلك
النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله تع واورثنا
الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وجزم كل واحد بان اهل الآخرة لا بد لهم من مظلة
ومقلة دائمتين يكفي في تعليق مقامهم فيها بدوامهما والى حاجة الى الوقوف على تفاصيل
احوالهما وكيفياتهما الا ما شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة قوله تع لا يذوقون
فيها الموت الا الموتة الاولى وقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف
وقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط غير ان استحالة الامور المذكورة معلومة بحكم العقل
واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة بحكم النقل يعني انهم مستقرون في النار
في جميع الازمنة الا في زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم فيها واذ لا امكان لتلك
المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا امكان لانتهاء مدة
قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق مشيئة الله تعالى بعدم الخلود
بطريق الوجوب على الله تعالى ان ربك فعال لما يريد يعني انه في تخليد الاشقياء
في النار بحيث يستحيل وقوع خلافه فعال بموجب ارادته قاضي بمقتضى مشيئته الجارية
على سنن حكمته الداعية الى ترتيب الاجزية على افعال العباد والعدول من الاضمار الى
الاظهار لتربية المهابة وزيادة التقرير وقيل هو استثناء من الخلود في عذاب
النار فانهم لا يخلدون فيه بل يعذبون بالزمهرير وبانواع اخر من العذاب وبما
هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وانت تدري
انا وان سلمنا ان المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على انواع العذاب بل نفس
النار فلا عذاب الزمهرير من تلك الانواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق في ذلك
للاستثناء وذلك ان نقول انهم ليسوا بمخلدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار
بل لهم من افانين العذاب ما لا يعلمه الا الله سبحانه وهي العقوبات والآلام الروحانية التي لا
يقف عليها في هذه الحيوة الدنيا المنغمسون في احكام الطبيعة المقصور ادراكهم على ما الفوه
من الاحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي ما وراء ذلك من الاحوال اذا القي اليهم
ولذلك لم يتعرض لبيانه واكتفي بهذه المرتبة الاجمالية المنبئة عن التهويل وهذه
العقوبات وان كانت تعتريهم وهم في النار ولكنهم ينسون عذاب النار ولا يحسون
بها وهذه المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا وقد قيل الا بمعنى سوى وهو اوفق
بما ذكر وقيل ما بمعنى من على ارادة معنى الوصفية فالمعنى ان الذين شقوا في النار دون
الخلود فيها الا الذين شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين واما الذين سعدوا

فني الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا انه
لم يذكر هاهنا ان لهم فيها بهجة وسرورا كما ذكر في اهل النار من ان لهم فيها زفير وشهيق
لان المقام مقام التحذير والانذار الا ما شاء ربك ان حمل على طريقة التعليق بالمحال
فقوله سبحانه عطاء غير مجذوذ نصب على المصدرية من معنى الجملة لان قوله ففي الجنة خالدين
فيها تقتضي اعطاء وانعاما فكانه قيل يعطيهم عطاء وهو اما اسم مصدر وهو الاعطاء
او مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا وان حمل على ما اعد الله
تعالى لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشية او
تمييز فان نسبة مشيئة الخروج الى الله تعالى يحتمل ان يكون على جهة عطاء مجذوذ
فهو رافع للابهام عن النسبة قال ابن زيد اخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لاهل الجنة فقال
عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار ويجوز ان يتعلق بكلا النعيمين
او بالاول دفعا لما يتوهم من ظاهر الاستثناء من انقطاعه فلا تك في مرية اي في
شك والفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين في تضاعيفها من العواقب الدنيوية
والاخروية مما يعبد هؤلاء من جهة عبادة هؤلاء المشركين وسوء عاقبتها او من حال
ما يعبدونه من الاوثان في عدم نفعه لهم ولما ساق النظم الكريم قبيل الشروع في
القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين وقد ضرب لهم مثل
فقيل مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون
وقد قص عقيب ذلك من انباء الامم السالفة مع رسلهم المبعوثة اليهم ما يتذكر به
المتذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير امر هؤلاء المشركين
في العاجل والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستيناف فقيل ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم
الذين قصت عليك قصصهم من قبل اي هم وآباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون
عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول
الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها او مثل ما كانوا يعبدونه
فحذف كان للدلالة قوله من قبل عليه ولقد بلغك ما لحق بآبائهم فيلحقهم مثل ذلك
فان تماثل المسببات وانا لموفوهم اي هؤلاء الكفرة نصيبهم اي حظهم المعين لهم
حسب جزائهم وجرائرهم من العذاب عاجلا وآجلا كما وفينا آباءهم انصباءهم المقدرة
لهم او من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تأخر العذاب عنهم مع تحقق ما يوجبه
غير منقوص حال مؤكدة من النصيب كقوله تع ثم وليتم مدبرين وفائدته دفع توهم
التجوز وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبني على الذهول
عن كون العامل هو التوفية فتامل ولقد آتينا موسى الكتاب اي التورية فاختلف فيه
اي في شأنه وكونه من عند الله تعالى فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف

قومك

قومك فيما آتيناك من القرآن وقولهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وزعمهم
انك افتريته ولولا كلمة سبقت من ربك وهي كلمة القضاء بانظارهم الى يوم القيمة
على حسب الحكمة الداعية الى ذلك لقضي بينهم اي لاوقع القضاء بين المختلفين من
قومك بانزال العذاب الذي يستحقه المبطلون ليتميزوا به عن المحقين وقيل
بين قوم موسى وليس بذلك وانهم اي وان كفار قومك اريد به بعض من رجع
اليهم ضمير بينهم للامن من الالباس لفي شك عظيم منه اي من القرآن وان لم يجر
له ذكر فان ذكر ايتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية ينادي به
نداء غير خفي مريب موقع في الريبة وان كلا التنوين عوض عن المضاف اليه
اي وان كل المختلفين فيه المؤمنين منهم والكافرين وقرء ابن كثير ونافع
وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اي اجزية
اعمالهم واللام الاولى موطئة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف ولما من قرء
من الجارة وما الموصولة او الموصوفة واصلها لمن ما قلبت النون ميما للادغام
فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين او لمن خلق او لمن فريق
والله ليوفينهم ربك وقرئ لما بالتخفيف على ان ما مزيدة للفصل بين اللامين
والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم الآية وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله
سبحانه اكلا لما وقرء ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا
وقد قرئ به انه بما يعملون اي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر
خبير بحيث لا يخفى عليه شيء من جلائله ودقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية اجزية
اعمالهم فان الاحاطة بتفاصيل اعمال الفريقين وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة
من الجزاء المخصوص يوجب توفية كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر
فاستقم كما امرت لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية سوء عاقبة
الكفر وعصيان الرسل واشير الى ان حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال
واستحقاق العذاب مثل اولئك المعذبين وان نصيبهم من العذاب واصل
اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عم للتوراة وانه
لو لم تسبق كلمة القضاء بتاخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة الى يوم القيمة لفعل
بهم ما فعل بآبائهم من قبل وانهم يوفون نصيبهم غير منقوص وان كل واحد من
المؤمنين والكافرين يوفى جزاء عمله امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة
كما امر به في العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولا سيما الاعمال
الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل اعباء الرسالة
بحيث يدخل تحته ما امر به فيما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى
اليك وضائق به صدرك الآية وبالجملة فهذا الامر منتظم لجميع محاسن الاحكام

الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج عن عهدته في غاية
ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة
هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الايمان وهو المعني
بالمعية وهو معطوف على المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تاكيد لمكان
الفاصل القائم مقامه وفي الحقيقة هو من عطف الجملة على الجملة اذ المعنى وليستقم
من تاب معك وقيل هو منصوب على انه مفعول معه كما قاله ابو البقا والمعنى
استقم مصاحبا لمن تاب معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم بافراط او تفريط
فان كلا طرفي قصد الامور ذميم وانما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز الحد تغليظا
او تغليبا لحال ساير المومنين على حاله عليه السلام انه بما تعملون بصير
فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للامر والنهي وفي الاية دلالة على وجوب اتباع
المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الراي فانه طغيان وضلال واما العمل
بمقتضى الاجتهاد التابع لعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة كما امر على موجب
النصوص الامرة بالاجتهاد ولا تركنوا اي لا تميلوا ادنى ميل الى الذين ظلموا
اي الى الذين وجد منهم الظلم والجمع باعتبار جمعية المخاطبين وما قيل ان ذلك
للمبالغة في النهي من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة في مداهنتهم انما يتم ان
لو كان المراد النهي عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك فتمسكم بسبب
ذلك النار واذا كان حال الميل في الجملة الى ما وجد منه ظلم ما في الافضاء الى
مساس النار هكذا فما ظنك بمن يميل الى الراسخين في الظلم والعدوان ميلا
عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم ويلقي نفسه على مؤانستهم ومعاشرتهم
ويبتهج بالتزيي بزيهم ويمد عينه الى زهرتهم الفانية ويغبطهم بما اوتوا من
القطوف الدانية وهو في الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح البعوض خفيف
بمعزل من ان يميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب والاية ابلغ ما يتصور
في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه
من المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الميل الى احد طرفي الافراط
والتفريط ظلم على نفسه او على غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم وتُركنوا على
صيغة البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء اي من انصار ينقذونكم
من النار والجملة نصب على الحالية من قوله فتمسكم النار ونفي الاولياء ليس بطريق
نفي ان يكون لكل واحد منهم اولياء حتى يصدق مع ان يكون له ولي بل لكان لكم
بطريق انقسام الاحاد على الاحاد لكن لا على معنى نفي استقلال كل منهم اولياء بنصير
بل على معنى نفي ان يكون لواحد منهم نصير لعزيمة المقام ثم لا تنصرون من
جهة الله سبحانه اذ قد سبق في حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا يبقي عليكم وثم للتراخي

رتبة كونهم غير منصورين من جهته تعالى بعد ما اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز
ان يكون منزلا منزلة الفا بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان غيره
لا ينقذهم انتج انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار اي غدوة وعشية وانتصابه
على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت وزلفا من الليل اي ساعات منه قريبة من النهار
فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة عطف على طرفي النهار والمراد بصلوتهما صلوة الغداة
والعصر وقيل الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال عشي وبصلوة الزلف المغرب
والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كيسر ويسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى
وقربة ان الحسنات التي من جملتها بل عمدتها ما امرت به من الصلوة يذهبن السيئات
التي قلما يخلو منها البشر اي يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة
لما بينهما ما اجتنبت الكباير وقيل نزلت في ابي اليسر الانصاري اذ قبل امراة ثم ندم
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم انتظر امر ربي
فلما صلى صلوة العصر نزلت قال عليه الصلوة والسلام نعم اذهب فانها كفارة لما عملت
او يمنعن من اقترافها كقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة
الى قوله تعالى فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين اي عظة للمتعظين
واصبر على مشاق ما امرت به في تضاعيف الامور السابقة واما ما نهي عنه من الطغيان
والركون الى الذين ظلموا فليس في الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له
اللهم الا ان يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة
المامور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية الى من وجد منه ظلم ما فان في الاحتراز عن
امثاله ما لا يخفى فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي يوفيهم اجور اعمالهم من غير بخس اصلا
وانما عبر عن ذلك بنفي الاضاعة مع ان عدم اعطاء الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف لا
والاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى
عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبائح وابراز الاثابة في معرض
الامور الواجبة عليه وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع افادة
فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر على
ما ذكر من باب الاحسان فلولا كان فهلا كان من القرون الكائنة من قبلكم على راي
من جوز حذف الموصول مع بعض صلته او كائنة من قبلكم اولو بقية من الراي
والعقل واولو فضل وخير وسميا بها لان الرجل انما يستبقي مما يخرجه عادة اجوده
وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم
ومنه ما قيل في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى
البقوى اي فهلا كان منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه
ويؤيده انه قرئ اولو بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره اي

اولوا مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم ينتظرون نزوله لاشتغالهم ينهون عن الفساد
في الارض الواقع بينهم حسبما حكي عنهم الا قليلا ممن انجينا استثناء منقطع اي
لكن قليلا منهم انجيناهم لكونهم في تلك الصفة على ان من للبيان لا للتبعيض على ان من
للبيان لان جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال في ظاهر الكلام لانه يكون
تحضيضا لاولي البقية على النهي المذكور الا للقليل من الناجين منهم كما مر اذا قلت
هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد الاستثناء فالصلحاء من المحضضين
على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان
من القرون اولو بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح على البدلية واتبع الذين
ظلموا بمباشرة الفساد وترك النهي عنه ما اترفوا فيه اي انعموا من الشهوات
واهتموا بتحصيلها اما المباشرون فظاهر واما المساهلون فلما لهم في ذلك من نيل
حظوظهم الفاسدة وقيل المراد بهم تاركوا النهي وانت خبير بانه يلزم منه
عدم دخول مباشري الفساد في الظلم والاجرام عبارة وكانوا مجرمين اي
كافرين فهو بيان لسبب استئصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم واتباع الهوى
فيهم وشيوع ترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر
دل عليه الكلام اي لم ينهوا واتبع الخ فيكون العدول الى المظهر لادراج المباشرين
معهم في الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب
او على استئناف يترتب عليه قوله الا قليلا اي الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد
واتبع الذين ظلموا من مباشري الفساد وتاركي النهي عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر
وقوله وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان
تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبع اي اتبعوا
شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم
بانهم قوم مجرمون وقرئ واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال
ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقديم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى
اي ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة ان يهلك القرى التي اهلكها حسبما
بلغك انباؤها ويعلم من ذلك حال باقيها من القرى الظالمة واللام لتأكيد النفي
وقوله بظلم اي ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل اي ظالما لها والتنكير للتفخيم والايذان
ببيان اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة
ما يستحيل صدوره عنه تع والا فلا ظلم فيما فعل الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر
من قاعدة اهل السنة وقد مر تفصيله في سورة آل عمران عند قوله وان الله ليس بظلام
للعبيد وقوله تع واهلها مصلحون حال من المفعول والعامل عامله ولكن لا باعتبار تعلقه
بما وقع حالا من فاعله اعني بظلم لدلالته على تقيد نفي الاهلاك ظلما بحال كون اهلها مصلحين

ولا يريد

ولا يريد فساده بل بطلا عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك والباء للسببية اي لا
يهلك القرى بسبب اشراك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون
الى شركهم فسادا آخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه تعالى ومن ذلك قدم
الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد الفقراء على حقوق الله الغني الحميد وقيل
الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وانت تدري ان مقام النهي عن المنكرات
التي اقبحها الاشراك بالله لا يلائمه فان الشرك داخل في الفساد في الارض دخولا
اوليا ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت انباؤهم امته اولا عن الاشراك
ثم عن سائر المعاصي التي كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل
للشرك وغيره من اصناف المعاصي وحمل الاصلاح على اصلاحه والاقلاع عنه بكون
بعضهم متصدين للنهي عنه وبعضهم متوجهين الى الاتعاظ غير مصرين على ما هم
عليه من الشرك وغيره من انواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مجتمعة
على الحق ودين الاسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشأ ذلك فلم يكونوا متفقين
على الحق ولا يزالون مختلفين في الحق اي مخالفين كقوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين
اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم الا من رحم ربك الا قوما قد هداهم الله تع
بفضله الى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اي لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف
الشامل لما يصدر من المحق والمبطل يأباه الاستثناء المذكور ولذلك اي لما ذكر من
الاختلاف خلقهم اي الذين بقوا بعد الثنيا وهم المختلفون فاللام للعاقبة او
للرحمة فالضمير لمن واللام في معناها او لهما معا فالضمير للناس كافة واللام بمعنى
مجازي عام لكلا المعنيين وتمت كلمة ربك اي وعيده او قوله
للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين
لا من احدهما وكلا اي وكل نبأ فالتنوين عوض من المضاف اليه نقص عليك
نخبرك به وقوله تع من انباء الرسل بيان لكلا وقوله تع ما نثبت به فؤادك بدل
منه والاظهر ان يكون المضاف اليه المحذوف في كلا المفعول المطلق لنقص اي
كل اقتصاص اي كل اسلوب من اساليبه نقص عليك من انباء الرسل وقوله سبحانه
ما نثبت به فؤادك مفعول نقص وفائدته التنبيه على ان المقصود بالاقتصاص
زيادة يقينه عليه السلام وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال
اذية الكفار بالوقوف على تفاصيل احوال الامم السالفة في تماديهم في الضلال
وما لقي الرسل من جهتهم من مكابدة المشاق وجاءك في هذه السورة او الانباء
المقصوصة عليك الحق الذي لا محيد عنه وموعظة وذكرى للمؤمنين اي الجامع بين
كونه حقا في نفسه في اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف وكونه موعظة
وذكرى للمؤمنين ولكون الوصف الاول حالا له في نفسه حلي باللام دون ما هو

وصف له بالقياس الى غيره وتقديم الظرف اعني فيه على الفاعل لان المقصود
بيان منافع السورة او الانباء المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة
لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها ولان عند تاخير ما حقه التقديم تبقى النفس
مترقبة اليه فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول يخل
تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون
به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي هي عدم الايمان
انا عاملون على حالنا وهو الايمان به والاتعاظ والتذكر به وانتظروا
بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل بامثالكم من الكفرة ولله
غيب السموات والارض والیه یرجع الامر کله فيرجع لا محالة امركم وامرهم اليه
على البناء للفاعل من رجع رجوعا فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك والفاء
لترتيب الامر بالعبادة اشعارا بانه والتوكل على كون مرجع الامور كلها الى الله
عز وجل وفي تاخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها
وما ربك بغافل عما يعملون فيجازيهم بموجبه تعملون على تغليب المخاطب
اي انت وهم فيجازي كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة هود اعطي عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الانبياء المعدودين
فيها عليهم السلام وبعدد من كذبهم وكان يوم القيامة من السعداء بفضل الله سبحانه وتعالى

سورة يوسف عليه السلام مائة واحدى عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم • وبه الاعانة •

الر الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة والايات والكتاب في قوله تعالى
تلك ايات الكتاب عين ما سلف في مطلع سورة يونس المبين من ابان بمعنى
بان اي الظاهر امره في كونه من عند الله تعالى وفي اعجازه بنوعيه لا سيما الاخبار
عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقائقه • ولا يلتبس لديهم
دقائقه • لنزوله على لغتهم او بمعنى بين اي المبين لما فيه من الاحكام والشرائع وخفايا
الملك والملكوت واسرار النشاتين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف
والقصص وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فبابانته انباه عن قصة
يوسف عليه السلام فانه قد روي ٥ ان احبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين
سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب عليه السلام من الشام الى مصر
وعن قصة يوسف عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من براعة
الاستهلال لما سياتي ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الذاتي عقب ذلك
بما يدل على الشرف الاضافي فقيل انا انزلناه اي الكتاب المنعوت بما ذكر من النعوت

الجليلة فان كان عبارة عن الكل وهو الاظهر الانسب بقوله تعالى قرانا عربيا اذ هو المشهور
بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتسارع الى الفهم عند اطلاقهما فالامر ظاهر وان جعل
عبارة عن السورة فتسميتها قرانا لما عرفته فيما سلف والسر في ذلك ان اسم جنس في الاصل يقع
على الكل والبعض كالكتاب او لانه مصدر بمعنى المفعول اي انزلناه حال كونه مقروا
بلغتكم لعلكم تعقلون اي لكي تفهموا معانيه او تحيطوا بما فيه من البدائع خبرا وتطلعوا
على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر نحن نقص عليك اي نخبرك
ونحدثك واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه لان من قص الحديث يتبع ما حفظه منه شيئا
فشيئا كما يقال تلا القران لانه يتبع ما حفظه منه اية بعد اية احسن القصص اي احسن الاقتصاص
فنصبه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع ايهام لما في اقتصاص اهل الكتاب من القبح والخلل
وترك المفعول اما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل بما اوحينا اي بايحائنا اليك هذا
القرآن اي هذه السورة فان كونها موحاة مبني عن كون ما في ضمنها مقصوصا والتعرض
لعنوان قرآنيتها لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق الالهام او الوحي غير المتلو واما لظهوره
من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود واجنبيته لانه قد اقتص على ابدع الطرائق
الرائقة واعجب الاساليب الفائقة اللائقة كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب
الاولين والاخرين وان كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال واليمين وفي
كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا القران لما في قوله تعالى قرانا عربيا بان يكون المراد
به الكل المجموع فتامل او نقص عليك احسن ما يقص من الانبا وهو قصة آل يعقوب عليه
السلام على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالنبا والخبر او مصدر سمي به المفعول كالخلق
والصيد ونصب احسن على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى
كمال حسنه وان كنت ان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الواقع اسما لها محذوف
واللام فارقة والجملة خبرها والمعنى وان الشان كنت من قبله من قبل ايحائنا اليك هذه السورة
لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه
موحى والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شان النبي صلى الله عليه وسلم وان غفل عنه
بعض الغافلين اذ قال يوسف نصب باضمار اذكر وشروع في القصة انجازا للوعد باحسن
الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال فان اقتصاص الوقت
المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصوص ويوسف اسم عبري لا عربي
لخلوه عن سبب اخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القراءات بناء على التلعب
لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من اسف لشهادة المشهور بعجمته لابيه يعقوب
بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام وقد روي عنه عليه السلام انا الكريم بن الكريم بن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابرهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما
في الزيادة ولذلك قلبت هاء في الوقف على قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وكسرتها لانها

عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة اصلها او لان الاصل يا ابتا
فحذف الالف وبقي الفتحة وانما لم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم
اجراء لها مجرى الالفاظ المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها حرف
صحيح منزلة منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية
لقوله لا تقصص رؤياك هذا تاويل رؤياي ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعة
في عالم الشهادة لا يختص برؤية راء دون راء فتكون طامة كبرى لا تخفى على احد من الناس
احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن جابر رضي الله عنه ان يهوديا جاء الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني عن النجوم التي راهن يوسف عليه السلام فسكت النبي صلى الله
عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال عليه السلام اذا اخبرتك بذلك
هل تسلم قال نعم قال عليه الصلاة والسلام جربان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق
والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من
السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل
ابوه وخالته والكواكب اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما وشرفهما
على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما في عطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وقد
جوز ان تكون الواو بمعنى مع اي رايت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد ان يكون ذلك
اشارة الى تاخر ملاقاته عليه السلام لهما عن ملاقاته لاخوته وعن وهب ان يوسف
عليه السلام راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض
كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال
اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب
تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا
يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون رايتهم لي ساجدين استئناف
لبيان حالهم التي راهم عليها كان سائلا سال فقال كيف رايتهم فاجاب بذلك وانما اجريت
مجرى العقلاء في الضمير لوصفها بوصف العقلاء اعني السجود وتقديم الجار والمجرور
لاظهار العناية والاهتمام بما هو الاهم مع ما في ضمنه من رعاية الفاصلة قال يا بني
صغره للشفقة او لها ولصغر السن وهو ايضا استئناف مبني على سؤال من قال فماذا
قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عليه السلام من هذه الرؤيا
ان يوسف يبلغه تعالى مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف
الدارين كما فعل بآبائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال صيانة لهم
من ذلك وله من معاناة المشاق ومقاساة الاحزان وان كان واثقا باذن الله تعالى
سيتحقق ذلك لا محالة وطمعا في حصوله بلا مشقة لا تقصص رؤياك هي ما في المنام كما ان
الرؤية ما في اليقظة فرق بينهما بحرفي التانيث كما في القربى والقربة وحقيقتها ارتسام

الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس
بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني
الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة
ثم اذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية
استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه على اخوتك فيكيدوا لك نصب باضمار ان اي فيفعلوا
لك اي لاجلك ولاهلاكك كيدا متينا راسخا لا تقدر على التفصي عنه او خفيا عن فهمك
لا تتصدى لمدافعته وهذا اوفق بمقام التحذير وان كان يعقوب عليه السلام يعلم انهم
ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه وهذا الاسلوب آكد من ان يقال فيكيدوك
كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصود الايقاع وقد قيل انما جيء باللام
لتضمينه معنى الاحتيال المتعدي باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتاكيد اي فيحتالوا لك
ولاهلاكك حيلة وكيدا والمراد باخوته الذين يخشى غوائلهم ومكايدهم من بني علاته الاحد
عشر وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وريالون ويشجر ودينه بنو يعقوب من ليا بنت
خالته ودان ونفتالي وجاد واشر بنوه من سريتين زلفة وبلهة وهؤلاء هم المشار اليهم بالكواكب
الاحد عشر واما بنيامين الذي هو شقيق يوسف عليه السلام وامهما راحيل التي تزوجها
يعقوب عليه السلام بعد وفاة اختها ليا او في حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك
محرما فليس بداخل تحت هذا النهي اذ لا يتوهم مضرته ولا يخشى معرته ولم يكن معدودا معهم
في الرؤيا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف والمراد نهيه عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا او بعضا
ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة فلا يالو جهدا في اغواء اخوتك
واضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه وهو استئناف كان يوسف عليه السلام قال
كيف يصدر ذلك من اخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل ان الشيطان يحملهم
على ذلك ولما نبهه عليهما السلام على ان للرؤيا شانا عظيما يستتبع منافع وحذره اشاعتها
المؤدية الى ان يحول اخوته بينها وبين ظهور آثارها وحصولها او توعره واسبل لها
شرع في تعبيرها وتاويلها على وجه اجمالي فقال وكذلك اي ومثل ذلك الاجتباء
البديع الذي شاهدت آثاره في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك
وبحسبه وعلى وفقه يجتبيك ربك يختارك لجناب كبريائه ويجتبيك
افتعال من جباه اذا جمعه ويصطفيك على اشراف الخلائق وسراة الناس قاطبة
ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسبما عاينته من غير قصور والمراد
بالتشبيه بيان المضاهاة المحققة بين الصور المرئية في عالم المثال وبين ما وقعت
هي صورا واشباحا له من الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة اي كما سخر
لك تلك الاجرام العظام يسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك
خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراده بيان طاعة ابويه واخوته له لكنه

انما لم يصرح به حذرا من اذاعته **ويعلمك** كلام مبتدا غير داخل تحت التشبيه اراد به
عليه السلام تحقيقه مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عليه السلام عما اخبر به على طريقة التعبير
والتاويل كانه قال وهو يعلمك **من تاويل الاحاديث** اي ذلك الجنس من العلوم او
طرفا صالحا منه فتطلع على حقيقة ما اقول ولا يخفى ما فيه من تاكيد ما سبق والبعث
على تلقي ما سيأتي بالقبول والمراد بتاويل الاحاديث تعبير الرؤيا اذ هي احاديث الملك
ان كانت صادقة او احاديث النفس او الشيطان ان لم يكن كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث
كالاباطيل اسم جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل انه جمع حديث على احدثة ثم جمعوا الجمع
على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع وقيل هو تاويل غوامض كتاب الله تعالى
وسنن الانبياء عليهم السلام والاول هو الاظهر وتسمية التعبير تاويلا لانه جعل المرئي ايلا
الى ما يذكره المعبر بصدد التعبير ورجعه اليه ولعله عليه السلام اشار بذلك الى ما
سيقع من يوسف عليه السلام من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك وكون ذلك
ذريعة الى ما يبلغه الله تعالى اليه من الرياسة العظمى التي عبر عنها باتمام النعمة وانما عرف
يعقوب ذلك منه عليهما السلام من جهة الوحي او اراد كون هذه الخصلة سببا لظهور امره
عليه السلام على الاطلاق فيجوز حينئذ ان يكون معرفته عليه السلام بذلك بطريق
الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلائل والامارات والمخايل بان من وفقه الله تعالى
لمثل هذه الرؤيا لابد من توفيقه لتعبيرها وتاويل امثالها وتمييز ما هو آفاقي منها مما هو
انفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عليه السلام في عالم المثال وقوة تصرفاتها
فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة
بحسبها في عالم الشهادة واقوى وقوفا على النسب الواقعة بين الصور المعاينة في احدى
دينك العالمين وبين الكاينات الظاهرة على وفقها في العالم الاخر وان هذا الشان البديع
لابد ان يكون انموذجا لظهور امر من اتصف به ومدار الجريان احكامه فان لكل نبي من
الانبيا عليهم الصلاة والسلام معجزة بها تظهر اثاره وتجري احكامه **ويتم نعمته عليك**
بان يضم الى النبوة المستفادة من الاجتبا الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط ذكر التعليم المذكور
بينهما لكونه من لوازم النبوة والاجتبا ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي ولما اشرنا
اليه من كونه اثرا وسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان تعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه
فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النعمة **وعلى ال يعقوب**
وهم اهله من بنيه وغيرهم فان رؤية يوسف عليه السلام اخوته كواكب
يهتدى بانوارها من نعم الله تعالى عليهم لدلالتها على مصير امرهم الى النبوة فيقع كل
ما يخرج من القوة الى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك تماما لتلك النعمة لا محالة واما اذا
اريد بتمام النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم يغتنمون اثاره من
العز والجاه والمال **كما اتمها على ابويك** نصب على المصدرية اي ويتم نعمته عليك

اتماما كاتمامه نعمته على ابويك وهي نعمة الرسالة والنبوة واتمامها على ابرهيم
عليه السلام باتخاذه خليلا وانجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحاق بانجائه من
الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك نعمة جليلة
وقعت تتمة لنعمة النبوة ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه به من
كل وجه **من قبل** اي من قبل هذا الوقت او من قبلك **ابرهيم واسحاق** عطف بيان
لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما اباجده وابا ابيه للاشعار بكمال ارتباطه بالانبيا
الكرام عليهم السلام وتذكير معنى الولد سر ابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به في ضمن
التعبير الاجمالي لرؤياه والاقتصار في المشبه به على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض
للاجتبا من باب الاكتفا فان اتمام النعمة يقتضي سابقة النعمة المستدعية للاجتبا لا محالة
ان ربك استيناف لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اي يفعل ما ذكر لانه **عليم** بكل شي فيعلم
من يستحق الاجتبا وما يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة العامة على الوجه المذكور
حكيم فاعل لكل شي حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل جريا على
سنن علمه وحكمته والتعرض لعنوان الربوبية في الموضعين لتربية تحقق وقوع ما ذكر
من الافاعيل هذا وقد قيل في تفسير الاية الكريمة اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا
الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام
ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة حيث جعلهم في الدنيا
انبيا وملوكا وينقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة كما اتمها على ابويك بالرسالة فتامل
والله الهادي **لقد كان في يوسف واخوته** اي في قصتهم والمراد بهم ههنا اما جميعهم
فان لبنيامين ايضا حصة من القصة او بنو علاته المعدودون فيما سلف اذ عليهم يدور
رحاها **ايات** علامات عظيمة الشان دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة
للسائلين لكل من سال عن قصتهم وعرفها او الطالبين للايات المعتبرين بها
فانهم الواقفون عليها والمنتفعون بها دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى
وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصة
نفس المقصوص او على نبوته صلى الله عليه وسلم لمن ساله من المشركين او اليهود عن قصتهم
فاخبرهم بذلك على ما هي عليه من غير سماع من احد ولا ممارسة شي من الكتب فالمراد
بها اقتصاصها وجمع الايات حينئذ للاشعار بان اقتصاص كل طايفة من القصة
اية بينة كافية في الدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم على نحو ما ذكر في قوله تعالى
مقام ابرهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى ايات بينات لا لما قيل
من انه لتعدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى وقرى ابن كثير اية وفي بعض المصاحف
عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي اخوته عليه
لما راى من بغي قومه عليه ليتاسى به **اذ قالوا ليوسف واخوه** اي شقيقه بنيامين

وانما لم يذكر باسمه تلويحا بان مدار المحبة اخوته ليوسف من الطرفين الا ترى انهم كيف كنوا باخراج يوسف من البين تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف **احب الى ابينا منا** وحد الخبر مع تعدد المبتدا لان افعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمونث نعم اذا عرف وجب الفرق واذا اضيف جاز الامران وفايدة لام الابتدا في ليوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده **ونحن عصبة** اي والحال انا جماعة قادرون على الحل والعقد احقا بالمحبة والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم **ان ابانا** في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة **لفي ضلال مبين** اي ذهاب عن طريق التعديل اللايق وتنزيل كل منا منزلته مبين ظاهر الحال روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من مخايل الخير وكانت اخوته يحسدونه فلما راى الرويا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم **اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا** من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطبا للباقين بقضية القصة فكانهم رضوا بذلك كما يروى ان القايل شمعون او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا الى اخره فجعلوا كانهم القايلون او درجوا تحت القول المسند الى الجميع او قاله كل واحد منهم مخاطبا للبقية ومواد على مسارعتهم الى ذلك القول وتنكير ارضا واخلاؤها من الوصف للابهام اي ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة **يخل** بالجزم جوابا للامر اي يخلص **لكم وجه ابيكم** فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا يساهمكم في محبته احد فذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم **وتكونوا** بالجزم عطفا على يخل او بالنصب على اضمار ان او الواو بمعنى مع مثل قوله وتكتموا الحق وايثار الخطاب في لكم وما بعده للمبالغة في حملهم على القبول فان اعتنا المرء بشان نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه اتم واكمل **من بعده** من بعد يوسف او من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه **قوما صالحين** تايبين الى الله عز وجل عما جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امور دنياكم بانتظامها بعده بخلو وجه ابيكم **قال قايل منهم** هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض الى اخره وقيل روبيل وهو استيناف مبني على سوال كانهم اتفقوا على ما عرض عليهم من خصلتي الصنيع امرا لهم في ذلك احد فقيل قال قايل منهم **لا تقتلوا يوسف** اظهره في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه او استعظاما لقتله وهو هو فانه يروى انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على اولوية ما عرضه عليهم بقوله **والقوه في غيابة الجب** اي في قعره وغوره سمي به لغيبته عن عين الناظر

والجب

والجب البير التي لم تطو بعد لانها ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شي وقرا نافع في غيابات الجب في الموضعين كان لتلك الجب غيابات او اراد بالجب الجنس اي في بعض غيابات الجب وقري غيابات وغيبة **يلتقطه** ياخذه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شي مشرف على الضياع **بعض السيارة** اي بعض طايفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في الجب وما فيهما وفي البعض من الابهام لتحقيق ما يتوخاه من ترويج كلامه لموافقته لغرضهم الذي هو تنايي يوسف عنهم بحيث لا يدري اثره ولا يروى خبره وقري تلتقطه على التانيث لان بعض السيارة سيارة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه قطعت بعض اصابعه **ان كنتم فاعلين** مشورتي لم يثبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تاليفا لقلبهم وتوجيها لهم الى رايهم وحذرا من نسبتهم له الى التحكم والافتيات او ان كنتم فاعلين بما ازمعتم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة ولما كان هذا مظنة لسوال سايل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه اولا فاجيبت بطريق الاستيناف على وجه ادرج في تضاعيفه قبولهم له بما سيجي من قوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب فقيل **قالوا يا ابانا** خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا لرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف ليتسببوا بذلك الى استنزاله عليه السلام عن رايه في حفظه منهم لما احس بامارات الحسد والبغي فكانهم قالوا **ما لك** اي اي شي لك **لا تامنا** اي لا تجعلنا امنا على يوسف مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا **وانا له لناصحون** مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقة قط والقراة المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام **ارسله معنا غدا** الى الصحرا **يرتع** اي يتسع في اكل الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ **ويلعب** بالاستباق والتناضل ونظايرهما مما يعد من باب التاهب للغزو وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه من استصحاب يوسف عليه السلام بتصويرهم له بصورة ما يلايم حاله عليه السلام وقري نرتع ونلعب بالنون وقرا ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقري يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتدا **وانا له لحافظون** من ان يناله مكروه اكدوا مقالهم باصناف التاكيد من ايراد الجملة اسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ الى كلهم وتقديم له على الخبر احتيالا في تحصيل مقصدهم **قال** استيناف مبني على سوال من يقول فماذا قال يعقوب عليه السلام فقيل قال **اني ليحزنني** اللام للابتدا كما في قوله عز وجل ان ربك ليحكم بينهم **ان تذهبوا به** لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه ومع ذلك **واخاف ان ياكله الذيب**

لان الارض كانت مذابة والحزن الم القلب بفوت المحبوب والخوف انزعاج النفس
لنزول المكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب به المفوت لاستمرار مصاحبته ومواصلته
ليوسف والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذيب وقيل راى في المنام ان قد
شد عليه عليه السلام ذيب وكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة ان البلا
موكل بالمنطق وقرا ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي بالهمز على الاصل وابو عمرو
وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هاجت
من كل جانب وقال الاصمعي الامر بالعكس وهو الاظهر لفظا ومعنى **وانتم عنه**
غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه **قالوا لئن اكله**
الذيب ونحن عصبة اي والحال انا جماعة كثيرة جديرة بان يعصب بنا الامور
العظام وتكفى الخطوب بارائنا وتدبيرنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم
وقوله **انا اذا لخاسرون** جواب مجزي عن الجزا لهالكون ضعفا وخورا وعجزا
ومستحقون للهلاك اذ لا غناء عندنا ولا جدوى في حياتنا او مستحقون لان
يدعى علينا بالخسار والدمار ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذيب بعضهم
وهم حضور وقيل ان لم نقدر على حفظه وهو اعز شي عندنا فقد هلكت
مواشينا اذن وخسرناها وانما اقتصروا على جواب خوف يعقوب عليه السلام
من اكل الذيب لانه السبب القوي في النفس دون الحزن لقصر مدته بناء على انهم
ياتون به عن قريب **فلما ذهبوا به واجمعوا** اي ازمعوا **ان يجعلوه** مفعول اجمعوا يقال
اجمع الامر ومنه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا في الافعال التي قويت الدواعي
اليها **في غيابة الجب** قيل هي بير بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على
ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام بكنعان التي هي من نواحي الاردن كما
ان مدين كذلك واما ما يقال من انها بير بيت المقدس فيرده التعليل بالتقاط
السيارة ومجيئهم اباهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب وبين بيت
المقدس مراحل وجواب لما محذوف ايذانا بظهوره واشعارا بان تفصيله مما لا يحويه
نطاق العبارة ومحله فعلوا به من الاذى ما فعلوا يروى انهم لما برزوا الى الصحرا
اخذوا يوذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال
يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به البير فتعلق بشفيرها فنزعوها من يده
فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا القميص لما عزموا عليه من تلطيخه
بالدم احتيالا لابيه فقال لهم يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا
ادعوا الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تونسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه
ليموت وكان في البير ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي
فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه فمنعهم يهوذا وكان

يابنه بالطعام كل يوم ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن
ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم
الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف عليه
السلام فجاءه جبريل عليه السلام فاخرجه من التميمة فالبسه اياه **واوحينا**
اليه عند ذلك تبشيرا له بما يؤول اليه امره وازالة لوحشته وايناسا
له قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا
قال الحسن كان له سبع عشرة سنة **لتنبئنهم بامرهم هذا** اي لتتخلصن مما انت
فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك **وهم لا يشعرون**
انك يوسف لتباين حاليك حالك هذا وحالك يومئذ لعلو شانك وكبريا
سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات المغير
للاشكال والاول ادخل في التسلية روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم
وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني
هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم
انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذيب وبعتموه
بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بالايحا على معنى انا آنسناه بالوحي
وازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه
مرهق ومستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله
تعالى وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير **وجاؤا اباهم عشا** اخر النهار
وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم جمع اعشى اي عشوا من البكا
متباكين روي انه لما سمع يعقوب عليه السلام بكاهم فزع وقال ما لكم يا بني
قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق في العدو او الرمي وقد يشترك
الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل ونظايرهما **وتركنا يوسف عند**
متاعنا اي ما نتمتع به من الثياب والازواد وغيرهما **فاكله الذيب** عقيب
ذلك من غير مضي زمن يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد يطرح المتاع
عادة الا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عليه السلام من عنده من باب
الغفلة وترك الحفظ الملتزم لا سيما اذا لم يبرحوه ولم يغيبوا عنه فكانهم قالوا
انا لم نقصر في محافظته ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مامننا ومجمعنا غير
منا لان ميدان السباق لا يكون عادة الا بحيث يتراءى غاياته وما فارقناه الا
ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان **وما انت بمؤمن لنا**
بمصدق لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره **ولو كنا عندك** في
اعتقادك **صادقين** موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف

وانت بسيّ الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه المواقع لبيان تحقق
ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال
المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته
او انتفائه معه ثبوته وانتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء
متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من
سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة
لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله
اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله تعالى
اولو كنا كارهين **وجاؤا على قميصه** محله النصب على الظرفية في قوله **بدم**
اي جاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال او على الحالية منه والخلاف
في تقدم الحال على المجرور فيما اذا لم يكن الحال ظرفا **كذب** مصدر وصف به
الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب فيه او بمعنى ذي كذب اي
ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه من الضمير اي جاؤا كاذبين او مفعول له وقرأت
عائشة رضي الله عنها بغير المعجمة اي كدر وقيل طري قال ابن جني اصله من الكدب
الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر في قميصه روي انهم ذبحوا
سخلة ولطخوه بدمها وزل عليهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب بخبر يوسف عليهما السلام
صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه
بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه
وقيل كان في قميص يوسف عليه السلام ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه
على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر **قال** استئناف
مبني على سؤال كانه قيل فما قال يعقوب هل صدقهم فيما قالوا ام لا فقيل قال لم يكن
ذلك **بل سولت لكم انفسكم** اي زينت وسهلت قال ابن عباس رضي الله عنهما والتسويل
تقدير شيء في النفس مع الطمع في اتمامه قال الازهري كان التسويل تفعيل من سؤال
الانسان وهو امنيته التي يطلبها فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من
السول وهو الاسترخاء **امرا** من الامور منكرا لا يوصف ولا يعرف **فصبر جميل** اي فامري
صبر جميل اي فصبر جميل اجمل او امثل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي
الى الخلق والا فقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل سقط حاجباه
على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا قال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى
الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي وقرئ ابي فصبر
جميلا **والله المستعان** اي المطلوب منه العون وهو انشاء منه عليه السلام للاستعانة
المستمرة **على ما تصفون** على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا واظهار سلامته

فانه

فانه علم في الكذب قال سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهذا الايق بما سيجيء من
قوله تعالى فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا وتفسير المستعان عليه باحتمال
ما يصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزية يأباه تكذيبه عليه السلام لهم في
ذلك ولا يساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما ليس فيه كما اشير اليه •
شروع في بيان ما جرى على يوسف في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين
ابيه والتعبير بالمجيء بالنسبة الى مكانهم فان كنعان ليس بالجانب المصري من مدين بل
الى مكان يوسف وفي ايثاره على المرور او الاتيان او نحوهما ايماء الى كونه عليه السلام
في الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر والظاهر ان الجب كان في [illegible] فان
المتبادر من اسناد المجيء الى السيارة مطلقا في قوله المعتاد عز وجل وجاءت • سيارة
اي رفقة تسير من جهة مدين الى مصر وقوعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي
يقتضيه قوله تعالى فيما سلف يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان في قفرة
بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه
ملحا فعذب حين القي فيه عليه السلام **فارسلوا واردهم** الذي يرد الماء ويستقي
لهم وكان ذلك مالك بن ذعر الخزاعي وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر منتهى المجيء
اعني الجب للايذان بان ذلك معهود لا يضرب عنه الذكر صفحا **فادلى دلوه** اي ارسلها
الى الجب والحذف للاعرفة فتدلى بها يوسف فخرج **قال** استئناف مبني على سؤال
يقتضيه الحال **يا بشرى** اي **هذا غلام** كانه نادى البشرى وقال تعالى فهذا اوانك حيث
فاز بنعمة باردة واي نعمة مكان يوجد مباحا من الماء وقيل هو اسم صاحب له ناداه
ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي واما فتحه الى حمزة والكسائي وقرأ
ورش بين اللفظين وقرئ يا بشري بالادغام وهي لغة ويا بشراي على قصد الوقف **واسروه**
اي اخفاه الوارد واصحابه عن بقية الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا
لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان
يأتيه كل يوم فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا
فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد **بضاعة**
نصب على الحالية اي اخفوه حال كونه بضاعة اي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال
بضعت عنه اي قطعت للتجارة **والله عليم بما يعملون** وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم
مثل يوسف وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشراء وما دبروا في ذلك من الحيل وشروه
اي باعوه والضمير للوارد واصحابه **بثمن بخس** زيف ناقص العيار **دراهم** بدل
من ثمن اي لا دنانير **معدودة** اي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه
مقدارا بعد بيان لقلته ونقصانه في نفسه اذ المعتاد فيما لا يبلغ اربعين العد
دون الوزن فعن ابن عباس رضي الله عنهما انها كانت عشرين درهما وعن السدي

انها كانت عشرين درهما وعن السدي انها كانت اثنين وعشرين درهما وكانوا
اي البايعون منه فيه في يوسف من الزاهدين من الذين لا يرغبون فيما بايديهم
فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشي
متهاون به او غير واثق بامره يخاف ان يظهر له مستحق فينتزعه منه فيبيعه
من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على
ما حكي وهم غير راغبين في شراه خشية ذهاب مالهم لما ظن في اذهانهم من الاباق
والعدول عن صيغة الانفعال المنبية عن الاتخاذ لما مر من ان اخذهم اياه كان
بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام
للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كانه قيل في اي شي زهدوا
فقيل زهدوا فيه لا بما يتعلق بالصلة لانه لا يتقدم على الموصول وقال الذي
اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائنه واسمه قطفير او اطفير
وبيان كونه من مصر لترتيب ما يتفرع عليه من الامور مع الاشعار بكونه
غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان الملك يومئذ الريان
بن الوليد العملقي ومات في حياة يوسف عليه السلام بعد ان امن به فملك بعده
قابوس بن مصعب فدعاه الى الاسلام فابى وقيل كان الملك في ايامه فرعون
موسى عليه السلام عاش اربعمائة سنة لقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل
بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف عليه السلام والاية من
قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز
فقيل بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه في السوق
يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه
حريرا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة سنة واقام
في منزله مع ما مر عليه من مدة لبثه في السجن ثلاث سنة واستوزره الريان وهو
ابن ثلاثين سنة واتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلث وثلاثين سنة وتوفي وهو
ابن مائة وعشرين سنة لامراته راعيل او زليخا وقيل اسمها الاول والثاني
لقبها واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اجعلي محل اقامته
كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر
به في مصالحنا او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه من
مخايل الرشد والنجابة ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة
شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما
وكذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة الى ما يفهم من كلام العزيز
وما فيه من معنى البعد لتفخيمه اي مثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف في

الارض

الارض اي جعلنا له فيها مكانا يقال مكنه فيه اي اثبته فيه ومكن له فيه اي
جعل له فيه مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الاخر قال عز
وجل وكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي ما لم نمكنكم
فيها او مكنا لهم في الارض الخ والمعنى كما جعلنا له مثوى كريما في منزل العزيز
او مكانا عليا في قلبه حتى امر امراته دون سائر جواريه باكرام مثواه جعلنا له
مكانة رفيعة في ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها فيما بين اهلها ومحببا
في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لان الذي يؤدي الى الغاية المذكورة في قوله تعالى
ولنعلمه من تاويل الاحاديث اي نوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رؤيا
الملك وصاحبي السجن لقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي سواء جعلناه معطوفا على
غاية مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيها النظام كانه قيل ومثل ذلك
التمكين مكنا ليوسف في الارض وجعلنا قلوب اهلها كافة محال محبته ليترتب
عليها ما يترتب مما جرى بينه وبين امراة العزيز ولنعلمه بعض تاويل الاحاديث
وهو تاويل الرؤيا المذكورة فيؤدي ذلك الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف
عليه للاشعار بعدم كونه مرادا بالذات او جعلناه علة لمعلل محذوف كانه قيل ولهذه
الحكمة البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيرها مما ليس له عاقبة حميدة هذا ولا يخفى
عليك ان الذي يدور عليه هذه الامور انما هو التمكين في جانب العزيز واما التمكين في
جانب الناس كافة فتاديته الى ذلك انما هي باعتبار اشتماله على ذلك التمكين فاذن
الحق ان يكون ذلك اشارة الى المصدر قوله تعالى مكنا ليوسف على ان يكون هو عبارة عن
التمكين في قلب العزيز او في منزله وكون ذلك في الارض بملابسة انه عزيز فيها لا عن تمكين
اخر يشبه به كما مر في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا من ان ذلك اشارة الى
مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل اخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحم
للدلالة على فخامة شان المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها
ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل وهكذا ينبغي ان يحقق المقام واما التمكين بمعنى جعله
ملكا يتصرف في ارض مصر بالامر والنهي فمن اثار ذلك التعليم ونتايجه المتفرعة عليه
كما عرفته لا من مباديه المودية اليه فلا سبيل الى جعله غاية له ولم يعهد منه عليه السلام
في تضاعيف قضاياه العمل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها عمدا مصححا
لجعله غاية لولايته وما وقع من التدارك في امر السنين فانما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة
المعهودة اللهم الا ان يراد بتعليم تاويل الاحاديث ما سبق من تفهيم غوامض اسرار
الكتب الالهية ودقايق سنن الانبيا عليهم السلام فيكون المعنى حينئذ مكنا له في
ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله تعالى واحكامها ودقايق
سنن الانبيا فيقضي بها فيما بين اهلها والتعليم الاجمالي لتلك المعاني والاحكام وان كان

غير متاخر عن تمكينه بذلك المعنى لان تعليم كل شي معنى يحصل شيئا فشيئا في ضمن الحوادث والاثار
الى الحق في كل نازلة من النوازل متاخر عن ذلك ضرورة لان يكون غاية له **والله غالب**
على امره لا يستعصي عليه امر ولا يمانعه شي بل انما امره لشي اذا اردناه ان نقول له
كن فيكون فيدخل في ذلك شؤونه المتعلقة بيوسف دخولا اوليا او يتولى على امر يوسف
لا يكله الى غيره وقد اريد به من الفتنة ما اريد مرة غب مرة فلم يكن الا ما اراد الله
له من العاقبة الحميدة **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ان الامر كذلك فياتون
ويذرون زعما منهم ان من الامر شيئا وانى لهم ذلك وان الامر كله لله عز وجل او لا يعلمون
لطائف صنعه وخفايا فضله **ولما بلغ اشده** اي منتهى اشتداد جسمه وقوته
وهو سن الوقوف ما بين الثلثين الى الاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم
والاول هو الاظهر لقوله **آتيناه حكما** حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس
وفقها او نبوة **وعلما** اي تفقها في الدين وتنكيرهما للتفخيم اي حكما وعلما لا يكتنه
كنههما ولا يقادر قدرهما فهما ما آتاه الله تعالى عند تكامل قواه سواء كانا عبارة
عن النبوة والحكم بين الناس وغيرهما كيف لا وقد جعل ايتاؤهما جزاء لعمله عليه
السلام بحيث قيل **وكذلك** اي مثل ذلك الجزاء العجيب **نجزي المحسنين** اي كل
من يحسن في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد انقضاء اعماله الحسنة التي من جملتها
معاناة الاحزان والشدائد وقد فسر العلم بعلم تاويل الحديث ولا صحة له الا
ان يخص بعلم تاويل رؤيا الملك فان ذلك حيث كان عند تناهي ايام البلاء صح ان
يعد ايتاؤه من جملة الجزاء واما رؤيا صاحبي السجن فقد لبث عليه السلام بعد
تعبيرها في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين اشعار بعلية الاحسان
له وتنبيه على انه سبحانه انما آتاه ما آتاه لكونه محسنا في اعماله متقيا في عنفوان امره
جزاء الاحسان الا الاحسان **وراودته التي هو في بيتها** رجوع الى شرح ما جرى عليه
في منزل العزيز بعدما امر امراته باكرام مثواه وقوله تعالى وكذلك مكنا الى هنا اعتراض
جيء به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر ان ما لقيه عليه السلام من الفتن
التي ستحكى بتفاصيلها له غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه السلام محسن في جميع
اعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن
التخلص الى هذا الاعتراض قبل مجيء الآية الكريمة انما هو التمكين البالغ المفهوم من
كلام العزيز فادراج الانجاء السابق تحت الاشارة بذلك في قوله تعالى وكذلك مكنا
كما فعله الجمهور بمعزل من التقريب فتامل والمراودة المطالبة من راد يرود اذا جاء
وذهب لطلب شي ومنه الرائد لطالب الماء والكلا وهي مفاعلة من واحد نحو
مطالبة الدائن ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من احد
الجانبين الفعل ومن الآخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة عن الجانبين

لكن

لكن لما كانت اسبابها صادرة عن الجانب الآخر جعلت كانها صادرة عنهما وهذا باب
لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشي يقوم مقامه ويطلق
عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي تجزى فان فعل البادي وان
لم يكن جزاء لكنه لكونه سببا للجزاء اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام الى
الصلاة وارادة قراءة القرآن حيث كانتا سببا للقيام والقراءة عبر عنهما بهما فقيل
اذا قمتم الى الصلاة فاذا قرات القرآن وهذه قاعدة مطردة مستمرة ولما كانت
اسباب الافعال المذكورة فيما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فان
مطالبة الدائن للمماطلة التي من جانب الغريم وهي منه للمطالبة التي هي من جانب
الدائن وكذا مداواة الطبيب للمرض الذي هو من جانب المريض وكذلك مراودتها
فيما نحن فيه لجمال يوسف عليه السلام صدورها عن محالها بمنزلة صدور مسبباتها
التي هي تلك الافعال فبني الصيغة على ذلك وروعي جانب الحقيقة بان اسند
الفعل الى الفاعل واوقع على صاحب السبب فتامل ويجوز ان يراد بصيغة المغالبة
مجرد المبالغة وقيل على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو منها الترك ويجوز
ان يكون من الرويد وهو الرفق والتمحل وتعديتها بعن لتضمينها معنى المخادعة
فالمعنى خادعته **عن نفسه** اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شي
لا يريد اخراجه عن يده وهو يحتال ان ياخذه منه وهي عبارة عن التمحل في
مواقعته اياها والعدول عن التصريح باسمها للمحافظة على الستر او للاستهجان بذكره
وايراد الموصول لتقرير المراودة فان كونه في بيتها مما يدعو الى ذلك قيل لواحدة
ما حملك على ما انت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد وطول السواد ولاظهار
كمال نزاهته عليه السلام فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصاءه عليها مع
كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عليه السلام في اعلى معارج العفة والنزاهة **وغلقت**
الابواب قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون الافعال
وقيل للمبالغة في الايثاق والاحكام **وقالت هيت لك** قيل بفتح الهاء وكسرها مع
فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث اسم فعل معناه اقبل وبادر
واللام لبيان اي لك اقول هذا كما في هلم لك وقرئ هئت على صيغة الفعل بمعنى
تهيات يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيا وهيئت لك واللام صلة الفعل **قال معاذ الله**
اي اعوذ بالله معاذا مما تدعونني اليه وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة
الى التعليل بانه منكر هائل يجب ان يعاذ بالله تعالى للخلاص منه وما ذاك الا لانه
عليه السلام قد شاهده بما اراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو عليه في حد
ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل **انه ربي احسن مثواي**
تعليل للامتناع ببعض الاسباب الخارجية مما عسى يكون مؤثرا عندها وداعيا لها

الي اعتباره التنبيه على سببه الذاتي لا يفعله لما سولته لها نفسها والضمير للشان
ومدار وضعه موضعه ادعا شهرته المغنية عن ذكره وفايدته تصدير الجملة
به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيها من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير
لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه
فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير هذا وهو ربي
اي سيدي العزيز احسن مثواي اي احسن تعهدي حيث امرك باكرامي فكيف
يمكن ان اسي عليه بالخيانة في حرمه وفي ارشادها الى رعاية الحق العزيز بالطف
وجه وقيل الضمير لله عز وجل وربي خبر ان واحسن مثواي خبر ثان او هو الخبر
والاول بدل من الضمير والمعنى ان الحال هذا فكيف اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة
الكبيرة وفيه تحذير لها من عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين يقتضي الاقتصار
على ذكر هذه الحالة من غير تعرض لاقتضايها الامتناع عما دعته اليه ايذانا
بان هذه المرتبة من البيان كافية في الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت
الوقوع اصلا وقوله تعالى انه لا يفلح الظالمون تعليل للامتناع المذكور غب
تعليل والفلاح الظفر وقيل البقا في الخير ومعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته
والمراد بالظالمين كل من ظلم كاينا من كان فيدخل فيه ذلك المجاوزون للاحسان
بالاساة والعصاة لامر الله تعالى دخولا اوليا وقيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم
وللمزني باهله ولقد همت به بمخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اي قصدتها
وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعد ما باشرت مباديها وفعلت
ما فعلت من المراودة وتغليق الابواب ودعوته الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها
تصدرت هنالك لافعال اخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك
مما يضطره عليه السلام الى الهرب نحو الباب والتاكيد لدفع ما عسى يتوهم
من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما في مقالته عليه السلام من الزواجر
وهم بها بمخالطتها اي مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب
وقربه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا
الا يرى الى ما سبق من استعصامه المبني على كمال كراهته له ونفرته عنه
وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه
السلام تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه في صحبة همها في الذكر
بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد اشير الى تباينهما حيث لم يلزما في قرن
واحد من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة او هم كل واحد منهما بالاخر
وصدر الاول بما يقرر وجوده من التوكيد القسمي وعقب الثاني بما يعفو
اثره من قوله عز وجل لولا ان راى برهان ربه اي حجته الباهرة

الدالة على قبح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال ايقانه بها ومشاهدته
لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين الذي يتجلى هناك حقايق الاشيا بصورها
الحقيقية وتخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في هذه النشاة على ما نطق
به في قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وكان عليه
السلام قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته
اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام
والحكم بعدم افلاح من يرتكبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام اي
لولا مشاهدته برهان ربه في شان الزنا يجري على موجب ميله الجبلي ولكنه
حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو عليه من قضية البرهان وفايدة
هذه الشرطية بيان ان امتناعه عليه السلام لم يكن لعدم مساعدة من جهة
الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعي الداخلة وترتب المقدمات
الخارجية الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص ايمة الصناعة على
ان لولا في مثل هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصنيعة مجرى
التقييد للحكم المطلق كما في مثل قوله تعالى ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان
صبرنا عليها لا يتحقق هناك هم اصلا وقد جوز ان يكون وهم بها جواب لولا
جريا على قاعدة الكوفيين في جواز التقديم فالهم حينئذ على معناه الحقيقي فالمعنى
لولا انه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همت به ولكن حيث انتفى عدم المشاهد
بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم راسا هذا وقد فسر همه عليه
السلام بانه عليه السلام حل الهميان وجلس مجلس الختان وبانه حل تكة سراويله
وقعد بين شعبها وبرؤيته للبرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث ثم وثم
الى ان تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على انملته وقيل ضرب على صدره فخرجت
شهوته من انامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة وسا سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع
فقال الله عز وجل لجبريل عليه السلام ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط
جبريل عليه السلام وهو يقول يا يوسف تعمل عمل السفها وانت مكتوب في ديوان
الانبيا وقيل راى تمثال العزيز وقيل ان كل ذلك الا خرافات واباطيل تمجها الاذان
وتردها العقول والاذهان ويل لمن لاكها ولفقها او سمعها وصدقها كذلك الكاف
منصوب المحل وذلك اشارة الى التبصير والتعريف عرفناه برهاننا اشارة الى الارادة المدلول
عليها بقوله تعالى لولا ان راى برهان ربه اي مثل ذلك التبصير والتعريف عرفنا
برهاننا فيما قبل او الى التثبيت اللازم له اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه لنصرف عنه السو

على الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا اوليا **والفحشاء** والزنى لانه مفرط
القبح وفيه آية بينة وحجة قاطعة على انه صلى الله عليه وسلم لم يقع منه هم بالمعصية
ولا توجه اليها قط والا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه ذلك من خارج
فصرفه تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتأمل وقرئ ليصرف على
اسناد الصرف الى ضمير الرب **انه من عبادنا المخلصين** تعليل لما سبق من مضمون الجملة
بطريق التحقيق والمخلصون هم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته بان عصمهم عما هو قادح
فيها وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين اخلصوا دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين
فهو منتظم في سلكهم داخل في زمرتهم من اول مرة بقضية الجملة الاسمية لا ان ذلك
حدث له بعد ان لم يكن كذلك فانحسم مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام
بالكلية **واستبقا الباب** متصل بقوله ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى
برهان ربه وقوله كذلك الى آخره اعتراض جيء به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته
عليه السلام كقوله تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والمعنى لقد
همت به وأبى هو واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب البراني الذي هو المخلص ولذلك
وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر واوصل الفعل الى المجرور نحو واذا كالوهم او ضمن
الاستباق معنى الابتدار واسناد السبق في ضمن الاستباق اليهما مع ان مرادها مجرد منع
يوسف وذا لا يوجب الانتهاء الى الباب لانها لما رأته يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت
هي ايضا لتسبقه اليه وتمنعه عن الفتح والخروج او عبر عن اسراعها اثره بذلك مبالغة
وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانشق طولا وهو القد كما ان الشق
عرضا هو القط وقد قيل في وصف علي كرم الله وجهه انه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض
قط واسناد القد اليها خاصة مع ان لقوة يوسف ايضا دخلا فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة
التامة واما للايذان بمبالغتها في منعه عن الخروج وبذل مجهودها في ذلك لفوت
المحبوب او لخوف الافتضاح **والفيا سيدها** اي صادفا زوجها واذ لم يكن ملكه ليوسف
عليه السلام صحيحا لم يقل سيدهما قيل الفيا مقبلا وقيل كان جالسا مع ابن عم المراة
لدى الباب اي البراني كما سر روي كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل
يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب **قالت** استئناف مبني على سؤال سائل يقول
فماذا كان حين الفيا العزيز عند الباب فقيل قالت **ما جزاء من اراد باهلك سوءا**
من الزنا ونحوه **الا ان يسجن او عذاب اليم** ما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن او العذاب
الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط او استفهامية اي اي شيء جزاؤه غير ذلك او
ذلك ولقد اتت في تلك الحالة التي تدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك
الهيئة المريبة بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تنزيه ساحتها مما يلوح من ظاهر
الحال واستنزال يوسف عن رأيه في استعصائه عليها وعدم مواتاته على مرادها بالقاء

الرغب

الرعب في قلبه من مكرها طمعا في مواقعته لها كرها عند يأسها عن ذلك اختيارا كما قالت
ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة
عن يوسف عليه السلام امرا محققا مفروغا عنه غنيا عن الاخبار بوقوعه وان
ما هي عليه من الافاعيل لاجل تحقيق جزائها فهي تريد ايقاعه حسبما يقتضيه
قانون الايالة وفي ابهام المريد تهويل لشان الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا
في حق كل احد كائنا من كان وفي ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز اعظام للخطب
واغراء له على تحقيق ما يتوخاه بحكم الغضب والحمية **قال** استئناف وجواب
عما يقال فماذا قال يوسف فقيل قال **هي راودتني عن نفسي** اي طالبتني
للمواتاة لا اني اردت بها سوءا كما قالت وانما قاله عليه السلام لتنزيه نفسه عما
اسندته اليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ودفع ما عرضته له من الامرين
وفي التعبير عنها بضمير الغيبة دون الخطاب او اسم الاشارة مراعاة لحسن الادب
مع الايماء الى الاعراض عنها **وشهد شاهد من اهلها** قيل هو ابن عمها وقيل هو الذي
كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره
وقد جوز ان يكون بعض اهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه الله تعالى
ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق وانما القى الله سبحانه الشهادة الى
من هو من اهلها ليكون ادل على نزاهته عليه السلام وانفى للتهمة وقيل كان ابن
خال لها صبيا في المهد انطقه الله تعالى ببراءته وهو الاظهر فانه روي انه
النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم اربعة ابن ماشطة بنت
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم
عن ابي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها لبيان الواقع
اذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من اهلها او من غيرهم **ان
كان قميصه قد من قبل** اي ان علم انه قد من قبل ونظيره ان احسنت الي فقد
احسنت اليك فيما قبل فان معناه ان تعتد باحسانك الي فاعتد باحساني السابق
اليك **فصدقت** بتقدير قد لانها تقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت وكذا
الحال في قوله فكذبت وهي وان لم تصرح بانه عليه السلام اراد بها سوءا الا ان كلامها
حيث كان واضح الدلالة عليه اسند اليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار فانهما
كما يعرضان للكلام باعتبار منطوقه يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك
الاعتبار يعتريان للانشاءات **وهو من الكاذبين** وهذه الشرطية حيث
لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء وانما ذكرت
توسعا للدائرة وارخاء للعنان الى جانب المراة باجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة بان
يقع القد من قبل بدافعها له عليه السلام عن نفسها عند ارادته المخالطة ه

والكشف بجري الظاهر الغالب الوقوع تقريبا لما هو المقصود باقامة الشهادة
اعني مضمون الشرطية الثانية التي هي قوله عز وجل **وان كان قميصه قد من**
دبر فكذبت وهو من الصادقين الى التسليم والقبول عند السامع لكونه اقرب
الى الوقوع وادل على المطلوب وان لم يكن بين طرفيها ايضا ملازمة وحكاية الشرطية
بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال او بتقدير القول اي شهد قايلا ان الخ
وتسميتها شهادة مع انه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب لتاديتها مؤداها
بل لانها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد هو
الصبي فظاهر اذ هو اخبار بهما من قبل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية
للايذان بان ذلك ظاهر من العلايم ايضا واما على تقدير كونه غيره فلان الظاهر
ان صورة الحال معلومة له على ما هي عليه اما مشاهدة او اخبارا فهو متيقن بعدم
مقدم الشرطية الثانية ومن ضرورته الجزم بانتفاء تالي الاولى وبوقوع تالي
الثانية فاذن هو اخبار بكذبها وصدقه عليه السلام لكنه ساق شهادته مساق
ما هو من الجرح والطعن حيث صورها بصورة الشرطية المترددة ظاهرا بين
نفعها ونفعه واما حقيقته فلا تردد فيها قطعا لان الشرطية الاولى تعليق لصدقها
بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالا لا محالة من ضرورته تقرر
كذبها والثانية تعليق لصدقه عليه السلام بامر محقق الوجود وهو القد من دبر
فيكون محققا البتة وهذا كما قيل فيمن قال لامراة زوجيني نفسك فقالت لي زوج
فكذبها في ذلك فقالت ان لم يكن لي زوج فقد زوجتك نفسي فقبل الرجل فاذا لا زوج
لها فهو نكاح اذ تعليق الشيء بامر متحقق تنجيز له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما
قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتانيث
والعلمية وقرئ بسكون العين **فلما راى قميصه قد من دبر** كانه لم يكن راى ذلك
بعد او لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال **قال انه** اي الامر الذي وقع فيه
التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء التي اسندت الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها
ما جزاء من اراد باهلك سوءا الى اخره لكن لا من حيث صدور تلك الارادة والاسناد
عنها بل مع قطع النظر عن ذلك لئلا يخلو قوله تعالى **من كيدكن** اي من جنس
حيلتكن ومكركن ايتها النسا لا من غيركن عن الافادة وتدبير العقوبة وان لم يكن بمجرده
عن الاضافة اليها الا انها ما صورته بصورة الحق فافادة الحكم بكونه من كيدهن
افادة ظاهرة فتامل وتعميم الخطاب للتنبيه على ان ذلك خلق لهن عريق

ولا تحسبا هندا لها الغدر وحدها ... سجية نفس كل غانية هند

ورجع الضمير الى قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا فقط عدول عن البحث عن اصل ما وقع
فيه النزاع عن ارادة السوء وممن هي الى البحث عن شعبة من شعبه وجعله للسوء او للاسا

المعبر به

المعبر به عن طرفها في يوسف عليه السلام وبابا الخبر فان الكيد يستدعي
ان يعتبر مع ذلك هنات اخر من قبلها كما اشرنا اليه **ان كيدكن عظيم** فانه
الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس وعن بعض العلما انا اخاف
من النسا ما لا اخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا
وقال للنسا ان كيدكن عظيم ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن
به الرجال **يوسف** حذف منه حرف الندا لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب
له وتلطيف لمحله **اعرض عن هذا** اي عن هذا الامر وعن التحديث به واكتمه
فانه قد ظهر صدقك ونزاهتك **واستغفري** انت يا هذه **لذنبك** الذي صدر
عنك وثبت عليك **انك كنت** بسبب ذلك **من الخاطئين** اي من جملة القوم
المتعمدين للذنب او من جنسهم يقال خطئ اذا اذنب عمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار
والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر
من مؤاخذتها وقيل كان قليل الغيرة **وقال نسوة** اي جماعة من النسا وكن خمسا
امراة الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن
وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة
وهو اسم لجماعة النسا كما هو اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله
تا التانيث **في المدينة** ظرف لقال اي اشعن الامر في مصر او صفة للنسوة **امراة**
العزيز اي الملك يريدن قطفير واضافتهن لها اليه بذلك العنوان دون ان يصرحن
باسمها او اسمه ليس لقصد المبالغة في اشاعة الخبر بحكم ان النفوس الى سماع اخبار
ذوي الاخطار اميل كما قيل اذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هي لقصد الاشباع
في لومها بقولهن **تراود فتاها** اي تطالبه بمواقعته لها وتتمحل في ذلك
وتخادعه **عن نفسه** وقيل تطلب منه الفاحشة وايثارهن لصيغة المضارع
للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب واصله فتي لقولهم فتيان
والفتوة شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد ههنا وفي
الحديث لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي وفتاتي وتعبيرهن عن يوسف
عليه السلام بذلك مضافا اليها لا الى العزيز الذي لا يستلزم الاضافة اليه
الهوان بل ربما يشعر بنوع عزة لابانة ما بينهما من التباين البين الناشي عن المالكية
والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مر من المبالغة والاشباع في اللوم فان من لا زوج
لها من النسا او لها زوج دني قد تعذر في مراودة الاخدان لا سيما اذا كان فيهم
علو الجناب واما التي لها زوج واي زوج عزيز مصر فمراودتها لغيره لا سيما لعبدها
الذي لا كفاءة بينها وبينه اصلا وتماديها في ذلك غاية الغي ونهاية الضلال
قد شغفها حبا اي شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه او جلدة رقيقة يقال لها

لسان القلب منه ووصل الى فؤادها وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران وعن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما الشغف الحب القاتل والشعف دون ذلك وكان الشعبي يقول الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان او حال من فاعل تراود او من مفعوله وايا ما كان فهو تكرير للوم وتاكيد للعذل ببيان اختلال احوالها القلبية كاحوالها القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث لا ينبئ مصيرا الى الاستدلال على الاجلى بالاخفى ومن حيث المسية ميل الى تمهيد العذر من قبلها وليس بذاك المقام واستصواب حمله على التمييز لنقله عن الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشير اليه **انا لنراها** اي لنعلمها علما متاخما للمشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة ٥ المفرطة مستقرة **في ضلال** عن طريق الرشد والصواب او سنن العقل **مبين** واضح لا يخفى كونه ضلالا على احد او مظهر لامرها بين الناس فالجملة مقررة لمضمون الجملتين السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بانها في امرها على خطا عظيم وانما لم يقلن انها لفي ضلال مبين اشعارا بان ذلك الحكم غير صادر عنهن مجازفة بل عن علم ورأي مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال ما هي عليه ٥ **فلما سمعت بمكرهن** باغتيابهن وسوء قالتهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني وهو مقتها وتسميته مكرا لكونه خفية منهن كمكر الماكر وان كان ظاهرا لغيرها وقيل استكتمتهن سرها فافشينه عليها وقيل انما قلن ذلك لتريهن يوسف عليه السلام **ارسلت اليهن** تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات **واعتدت** اي احضرت وهيأت **لهن متكأ** اي ما يتكئن عليه من ٥ النمارق والوسائد او زينت لهن مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام ٥ والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي ان يأكل الرجل متكئا وقيل متكأ طعاما من قولهم اتكأنا عند فلان اي طعمنا ٥ قال جميل ٥

٥ فظللنا بنعمة واتكأنا ٥ وشربنا الحلال من قلله ٥

وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين ٥ وقرئ بغير همز وقرئ بالمد باشباع حركة الكاف كمنتزاح في منتزح وينباع في ينبع وقرئ متكا وهو الاترج **وانشد** واهدت متكة لبني ابيها ٥ تخب بها العثمثمة الوقاح ٥ او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكي من تكي اذا انكي **وآتت كل واحدة منهن سكينا** لتستعمله في قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن من اللحوم والفواكه ونحوها وهن متكئات وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ٥ ايديهن **وقالت** ليوسف وهن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها فيما ٥ بايديهن من الفواكه واضرابها والعطف بالواو ربما يشير الى ان قولها **اخرج عليهن**

اي ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها من اشتغالهن **فلما رأينه** عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام اي فخرج عليهن فرأينه وانما حذف تحقيقا لمفاجأة رؤيتهن كانها تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة في قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وفيه ايذان بسرعة امتثاله عليه السلام بامرها فيما لا يشاهد مضرته من الافاعيل **اكبرنه** عظمنه وهبن حسنه الفائق وجماله الرائع الرائق فان فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ٥ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر ٥ وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدر كما يرى نور الشمس على الماء ٥ وقيل معنى اكبرن اي حضن له من شدة الشبق ٥ كما قال المتنبي

٥ خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ٥ فان لحت حاضت في الخدور العواتق ٥

وقطعن ايديهن اي جرحنها بما في ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتبار حتى لم يعلمن ما عملن وفي التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك ولم يشعرن به **وقلن حاش لله** تنزيها له سبحانه عن صفات النقص ٥ والعجز وتعجبا من قدرته على مثل ذلك الصنع البديع واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف جر يفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء فلا يستثنى به الا ما كان موجبا للتنزيه فوضع موضعه فمعنى حاشا لله تنزيه الله وبراءة الله وهي قراءة ابن مسعود واللام لبيان المنزه والمبرأ كما في سقيا لك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة ابي السمال حاشا بالتنوين وقراءة ابي عمرو بحذف الالف الاخيرة وقراءة الاعمش بحذف الاولى فان التصرف من خصائص الاسم فيدل على تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة اصله كما في قولك جلست من عن يمينه وقوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين اتباعا للفتحة للالف في الاسقاط وحاش الاله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية من ان يقارف ما رمته به اي لطاعته او لمكانه او جانب المعصية لاجل الله **ما هذا بشرا** على اعمال ما بمعنى ليس وهي لغة اهل الحجاز لمشاركتهما في نفي الحال وقرئ بشر على لغة تميم وبشري اي بعبد مشترى لئيم نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقري الذي لم يعهد مثاله في البشر وقصرنه على الملكية بقولهن **ان هذا الا ملك كريم** بناء على ما ذكر في العقول من ان لا احسن من الملك كما ركب فيها من ان لا اقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه في

الحسن او الفتح وغرضهن وصفه باقصى مراتب الحسن والجمال قالت فذلكن
الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذي وصفنه به
الآن من الخروج في الحسن والجمال عن مراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم
الاشارة مبتدأ او الموصول خبره والمعنى ان كان الامر كما قلتن فذلك الملك العظيم
الشأن عن المراتب البشرية هو الذي لمتنني فيه اي عيرتنني في الافتتان به ۝
حيث وصفتنني بحبي بفتاي العزيز ووصفتنه قد رمتن بكونه من المماليك او بالعنوان
الذي وصفتنه به فيما سبق بقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني فهو
خبر لمبتدأ محذوف اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن وقلتن
فيه وفيّ ما قلتن فالآن قد علمتن من هو وما قولكن فينا واما ما نفى الحقيقي انكن لم
تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به فلا
يلائم المقام فان مرادها بدعوتهن وتمهيد ما مهدته لهن تبكيتهن وتنديمهن على ما
صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك بما لا مزيد عليه وما ذكر من المقال حق المعتذر
قبل ظهور معذرته وقد قيل في تعليل الملكية ان الجمع بين الجمال الرائق والكمال
الفائق والعصمة البالغة من خواص الملكية ويأباه ايضا لا يلائم قولها فذلكن
الذي لمتنني فيه فان عنوان العصمة مما يأبى تمشية مرامها ثم بعدما اقامت ۝
عليهن الحجة واوضحت لديهن عذرها وقد اصابهن من قبله عليه السلام ما اصابها
باحت لهن ببقية سرها فقالت ولقد راودته عن نفسه حسبما قلتن
وسمعتن فاستعصم استعصم طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ
والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها كما في استمسك ۝
واستجمع الرأي وفيه برهان نير على انه لم يصدر عنه عليه السلام شيء مخل ۝
باستعصامه بقوله معاذ الله من الهم وغيره اعترفت لهن ولما كن يسمعنه من
مراودتها له واكدته اظهارا لابتهاجها بذلك ثم زادت عليه ايضا انها مستمرة ۝
على ما كانت عليه غير مرعوية عنه لا يلومها العواذل ولا باعراض الحبيب فقالت
وائن لم يفعل ما آمره اي امره به فيما سيأتي كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار واوصل
الفعل الى الضمير كما في امرتك الخير فالضمير للموصول او امري اياه اي موجب امري ومقتضاه
فما مصدرية والضمير ليوسف وعبرت عن مراودتها بالامر اظهارا لجريان حكومتها
عليه واقتضاء للامتثال بامرها ليسجنن بالنون المثقلة آثرت بناء الفعل
للمفعول جريا على رسم الملوك او ايهاما لسرعة ترتب ذلك على عدم امتثاله لامرها
كأنه لا بد منه من غير فاعل يفعل وليكونا بالخفيفة من الصاغرين اي الاذلاء في
السجن وقد قرئ ليكونن بالتثقيل والمشهورة اولى لان النون كتبت في المصحف الفا
على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجواب

ولقد

ولقد اتت بهذا الوعيد المنطوي على فنون التأكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف عليه
السلام انها ليست في امرها على خفية ولا خيفة من احد فتضيق عليه الحيل ويعيي به
العلل وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها ولما كان هذا الابراق والارعاد منها مظنة
لسؤال سائل يقول فما صنع يوسف حينئذ قيل قال مناجيا لربه عز سلطانه
رب السجن اي اوعدتني بالالقاء فيه وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي اي
آثر عندي لانه مشقة قليلة نافذة اثرها راحات جليلة ابدية مما يدعونني اليه
من مواتاتها التي تؤدي الى الشقاء والعذاب الاليم وهذا الكلام منه عليه السلام
مبني على ما مر من انكشاف الحقائق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة بها فصيغة
التفضيل ليست على بابها اذ ليس له شائبة محبة لما دعته اليه وانما هو والسجن
شران اهونهما واقربهما الى الايثار السجن والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة
طمعها عن المساعدة خوفا من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث ان الصغار من
فروعه ومستتبعاته واسناد الدعوة اليهن جميعا لان النسوة رغبنه في مطاوعتها
وخوفنه من مخالفتها وقيل دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي عليه السلام بالسجن ۝
لقوله هذا وكان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه
وسلم على من كان يسأل الصبر والا تصرف اي ان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب
ذلك الي وتحسينه لدي بان تثبتني على ما انا عليه من العصمة والعفة اصب
اليهن اي امل الى اجابتهن او الى انفسهن على قضية الطبيعة وحكم القوة ۝
الشهوية وهذا فزع منه عليه السلام الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبيا
والصالحين في قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب
القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة في استدعاء لطفه في صرف كيدهن باظهار
ان لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث ادركني والا هلكت لا انه يطلب
الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفي نفسه داعية تدعوه الى هواهن والصبوة
الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها ۝
وقرئ اصب اليهن من الصبابة وهي رقة الشوق واكن من الجاهلين اي الذين يعملون
بما لا يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء ومن الجاهلين سواه او من السفهاء
بارتكاب ما يدعونني اليه من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له
ربه دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف عني كيدهن الخ فان فيه استدعاء لصرف
كيدهن على ابلغ وجه والطفه كما مر وفي اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه
عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف فصرف عنه كيدهن حسب دعائه ۝
وثبته على العصمة والعفة انه هو السميع لدعاء المتضرعين اليه
العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اي ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل

والعقد ربما اكتفوا بامر يوسف بالكتمان والاعراض عن ذلك من بعد ما راوا
الايات الصارفة لهم عن ذلك البداء وهي الشواهد الدالة على برائته عليه السلام
وفاعل بدا اما مصدره او الراي المفهوم من السياق او المصدر المدلول عليه بقوله
ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء او راي او بجد المحذور قائلين والله ليسجننه ه
فالقسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء
الا باستنزال المراة لزوجها وكان مطاوعا وعنده لها لعوة
حيث شاءت قال السدي انها قالت للعزيز ان هذا العبد العبراني قد فضحني
في الناس يخبرهم باني قد راودته عن نفسه فاما ان تاذن لي فاخرج فاعتذر الى
الناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد اراد الله بذلك تحقيق وعيدها لتبلى به
عن يكتمه وتشفا لها فزنه لما انصرمت حبال رجائها عن استتباعه
لعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب
بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز فقط على وجه التعظيم او خاطب
به العزيز ومن عنده من اصحاب الراي المباشرين للسجن والحبس حتى حين اي
حين انقطاع قالة الناس وهذا بادي الراي عند العزيز وذويه واما عندها
فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس انه المجرم وقرئ عتى حين بلغة
هذيل ودخل معه اي في صحبته السجن فتيان من فتيان الملك ومماليكه احدهما
شرابيه والاخر خبازه روي ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسما الملك في طعامه
وشرابه فاجابا ثم ان الساقي نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز
فلما احضر الطعام قال الساقي لا تاكل ايها الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا
تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشربه فشربه فلم يضره
وقال للخباز كله فابى فجرب بدابة فهلكت فامر بحبسهما فاتفق ان ادخلا معه وتاخير
الفاعل عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن
عند النفس حين وروده فضل تمكن ونظيره تقديم الظرف على المفعول الصريح
في قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة وتاخير السجن عن الظرف لايهام العكس ان
يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدا ويكون الجملة حالا من فاعل دخل فتامل
قال احدهما استئناف مبني على سؤال من يقول ما صنعا بعد ما دخلا معه السجن
فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابي اني اراني اي رايتني والتعبير بالمضارع
لاستحضار الصورة الماضية اعصر خمرا اي عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود
من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود اعصر عنبا وقال
الاخر وهو الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاخير المفعول عن الظرف لما مر
انفا وقوله تاكل الطير منه اي تنهش منه صفة للخبز او استئناف مبني على

السؤال نبئنا بتاويله بتاويل ما ذكر من الرؤيين او ما روي باجراء الضمير مجرى ذلك
بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى متعدد كما في قوله
فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق
اي كان ذلك والسر في قوله الصير الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا حاجة
اليه بعد تاويل المرجع بما ذكر او بما رئي ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو
من غير تعرض لحال من احواله فلا يتسنى تاويله باحد الاعتبارين الا باجرائه مجرى اسم
الاشارة الذي يدل على المشار اليه بالاعتبار الذي يجري عليه في الكلام فتامل هذا
اذا قالاه معا او قاله احدهما من جهتهما معا واما اذا قاله كل منهما اثر ما قص
ما راه فالخطاب في المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة احدهما من جهتهما ليتعدد المرجع
بل عبارة كل منهما نبئني بتاويله مستقلا لما راه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة
في الحكاية دون المحكي على طريقة قوله عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات فانهم
لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كل منهم في زمانه بصيغة مفردة خاصة به
انا نراك تعليل لعرضهم رؤياهم عليه واستفتائهم منه عليه السلام من المحسنين
من الذين يجيدون عبارة الرؤيا لما راياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها
له تاويلا حسنا او من العلماء لما سمعاه يذكر للناس ما يدل على علمه وفضله
او من المحسنين الى اهل السجن اي فاحسن الينا بكشف غمتنا ان كنت قادرا على ذلك
روي انه عليه السلام كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع له واذا
احتاج جمع له • وعن قتادة كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم ه
فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فقالا بارك الله عليك ما احسن وجهك
وما احسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله
يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت
خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت • وعن الشعبي انهما
تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي اني اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد
من عنب فقطفتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني وفوق
راسي ثلاث سلال فيها انواع الاطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها قال لا ياتيكما
طعام ترزقانه في منامكما هذا حسب عادتكما المطردة الا نباتكما بتاويله
استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا ياتيكما طعام في حال من الاحوال الا حال ما نباتكما به
بان بينت لكما ماهيته وكيفيته وسائر احواله قبل ان ياتيكما واطلاق التاويل
عليه اما بطريق الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة ه
التاويل بالنظر الى ما روي في المنام وشبيه له واما بطريق المشاكلة حسبما وقع
في عبارتهما من قولهما نبئنا بتاويله ولا يبعد ان يراد بالتاويل الشيء الايل لا المال

فانه في الاصل لحمل شيء الى شيء آخر فكما يجوز ان يراد به الثاني يجوز ان يراد به الاول
فالمعنى الا انبأتكما بما يؤول اليه من الكلام والخبر المطابق للواقع وكان عليه السلام
يقول لهما اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك ومراده عليه السلام
بذلك بيان كل ما يهمهما من الامور المترقبة قبل وقوعها وانما تخصيص الطعام
بالذكر لكونه عريقا في ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة حسن التخلص اليه
مما استعبراه من الرؤيين المتعلقتين بالطعام والشراب وقد جعل الضمير
لما قصا من الرؤيين على معنى لا يأتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا
اخبرتكما بتأويل ما قصصتما علي قبل ان يأتيكما ذلك الطعام الموقت مرادا به
الاخبار بالاستعجال في التنبئة وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر في تعدد
اتيان الطعام والاخبار بالتأويل وتجددهما وان المقام مقام اظهار فضله في
فنون العلوم بحيث يدخل في ذلك تأويل رؤياهما دخولا اوليا وانما لم يكتف
عليه السلام بمجرد تأويل رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله لانهما لما نعتاه
عليه السلام بالانتظام في سمط المحسنين وانهما قد علما ذلك بحيث قالا انا نراك
من المحسنين فوسم عليه السلام فيهما خيرا وتوجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج
اثر ذي اثير عما في عهدته من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض في ذلك مقدمة
تزيدهما علما بعظم شأنه وثقة بامره توقفا على علو طبقته في بدائع العلوم
توسلا بذلك الى تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص اليها من كلامهما كانه قال تأويل ما
قصصتماه علي في طرف الثمام حيث رأيتما مثالا له في المنام والى ابين لكما كل جليل
ودقيق من الامور المستقبلة وان لم يكن هناك مقدمة المنام حتى ان الطعام
الموظف الذي يأتيكما كل يوم ابينه لكما قبل اتيانه ثم اخبرهما بان علمه ذلك ليس
من قبيل الكهانة والعرافة بل هو فضل الهي يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة
فقال **ذلكما** أي ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد في ذلك للاشارة
الى علو درجته وبعد منزلته **مما علمني ربي** بالوحي والالهام أي بعض منه
او من ذلك الجنس الذي لا يحوم حوله ادراك العقول ولقد دلهما بذلك الى ان له
علوما جمة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل تلك
الكرامة بسبب اتباعه ملة آبائه الانبياء العظام وامتناعه عن الشرك فقال
اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله
ذلكما مما علمني ربي وتعليل له أي لان التعليم الواقع صلة للموصول لتأديته الى معنى
انه مما علمني ربي لهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجملة الخبرية لان ما ذكر بعضه
التعليل ليس بعلة لكونه تأويلا للمذكور بعضا مما علمه ربه او لكونه من جنسه بل
لنفس تعليم ما علمه فكأنه قيل لماذا اعطاك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لاني

علوم

تركت

تركت ملة الكفرة أي دينهم الذي اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان
والمراد بتركها الامتناع عنها رأسا كما ينبئ عنه قوله ما كان لنا ان نشرك بالله من
شيء لا تركها بعد ملابستها وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر في
اقتدائهما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الايمان به للتنصيص
على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليس بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل
كما في قوله تعالى انه عمل غير صالح **وهم بالآخرة** وما فيها من الجزاء **هم كافرون** على
الخصوص دون غيرهم لافراطهم في الكفر **واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب**
يعني انه انما حاز تلك الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب انه اتبع ملة آبائه
الكرام ولم يتبع ملة قوم كفروا بالمبدأ والمعاد وانما قاله عليه السلام ترغيبا لصاحبيه
في الايمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه
لملتهم على ذكر اتباعه لملة آبائه لان التخلية متقدمة على التحلية **ما كان** أي ما صح وما
استقام فضلا عن الوقوع **لنا** معاشر الانبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا **ان نشرك
بالله من شيء** أي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا عن الجماد البحت **ذلك** أي التوحيد المدلول
عليه بقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء **من فضل الله علينا** أي ناشئ من تأييده
لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لقيادة الامة وهدايتهم الى الحق وذلك مع كونه من موجبات
التوحيد ودواعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات **وعلى الناس** كافة
بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن التوحيد بوجه بالشكر فقيل
ولكن اكثر الناس لا يشكرون أي لا يوحدون فان التوحيد مع كونه من آثار ما ذكر من
التأييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى الناس
لزيادة توضيح وبيان والقطع بتوهم رجوعه الى المجموع الموهم لعدم اختصاص غير الشاكر
بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها
ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس ايضا ولكن اكثرهم
لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ولك
ان تقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها
في دلائل التوحيد التي مهدها في الانفس والآفاق وقد اعطى سائر الناس ايضا
مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون أي لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت
هي له ولا ينتفعون بها فيما ذكر من ادلة التوحيد الآفاقية والانفسية والعقلية
والنقلية **يا صاحبي السجن** أي يا صاحبي في السجن كما تقول يا سارق الليلة ناداهما
بعنوان الصحبة في مدار الاشجان ودار الاحزان التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة
ليقبلا عليه ويقبلا مقالته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق الاتضاح
فقال **أأرباب متفرقون** لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبدكما كل منهم حسبما

ارباب غير مرتبة للاخرين مع عدم استقلاله خير لكما ام الله المعبود بالحق الواحد
المتفرد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يغالبه احد وبعدما بينهما على نسق
تعدد الارباب بين لهما سقوط آلهتهما عن درجة الاعتبار راسا فضلا عن الالوهية
فقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه اي من دون الله
شيئا الا اسما فارغة لا مطابق لها في الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق
الاسم عليه لا وجود له اصلا فكانت عبادتهم لتلك الاسماء فقط سميتموها
جعلتموها اسما وانما لم يذكر المسميات تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها
عن مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم في البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم
حيث كانت بلا معبود انتم وآباؤكم بمحض جهلكم وضلالتكم ما انزل الله بها
اي بتلك التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان من حجة تدل على صحتها
ان الحكم في امر العبادة المتفرعة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه
المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات الموجد للكل والمالك لامره امر استئناف
مبني على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم الا لله فكانه قيل فماذا حكم الله تعالى
في هذا الشان فقيل امر على السنة الانبياء عليهم السلام ان لا تعبدوا اي بان
لا تعبدوا الا اياه حسبما تقتضيه قضية العقل ايضا ذلك اي تخصيصه
تعالى بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذي تظاهرت عليه البراهين
عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين القيم لجهلهم
بتلك البراهين او لا يعلمون شيئا اصلا فيعبرون شيئا اصلا فيعبدون اسما
سموها من تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان العقلي والسلطان النقلي وبعد
تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيانه لهما مقداره الرفيع ومرتبته الواسع
شرع في تعبير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير
الخطاب فقال يا صاحبي السجن اما احدكما وهو الشرابي وانما لم يعينه ثقة
بدلالة التعبير وتوسلا بذلك الى ابهام امر صاحبه حذارا مساءته بما يسوءه
فيسقي ربه اي سيده خمرا روي انه عليه السلام قال له ما رايت من الكرمة
وحسنها الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فثلاثة ايام تمضي
في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقرا عكرمة فيسقى ربه على البناء للمفعول
اي يسقى ما يروى به واما الآخر وهو الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه روي انه عليه
السلام قال له ما رايت من السلال الثلاث ثلاثة ايام تمر ثم تخرج فتقتل قضي
اي تم واحكم الامر الذي فيه تستفتيان وهو ما رأياه من الرؤيين قطعا
الذي هو عبارة عن نجاة احدهما وهلاك الآخر كما يوهمه اسناد القضاء اليه
اذ الاستفتاء انما يكون في الحادثة لا في حكمها يقال استفتى الفقيه في الحادثة

اي طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه في حكمها وكذا الافتاء فانه يقال
افتى فلان في الواقعة الفلانية بكذا ولا يقال افتى في حكمها او جوابها بكذا ومما
هو الحكم في ذلك قوله تعالى يا ايها الملا افتوني في رؤياي ومعنى استفتائهما فيه
طلبهما لتاويله بقولهما نبئنا بتاويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن طلب تاويله بالاستفتاء
تهويلا لامره وتفخيما لشانه اذ الاستفتاء انما يكون في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب
وايثار صيغة الاستقبال مع سبق استفتائهما في ذلك لما انهما بصدده الى ان يقضي
عليه السلام من الجواب وطره واسناد القضاء اليه مع انه من احوال ماله لانه في
الحقيقة عين ذلك المال وقد ظهر في عالم المثال بتلك الصورة واما توحيده مع تعدد
رؤياهما فوارد على حسب ما وحداه في قولهما نبئنا بتاويله لا لان الامر ما اتهما به
وسجنا لاجله من سم الملك فانهما لم يستفتيا فيه ولا فيما هو صورته بل فيما هو صورة
لماله وعاقبته فتامل وانما اخبرهما عليه السلام بذلك تحقيقا لتعبيره وتاكيدا
له وقيل لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما راينا شيئا فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما
او كذبتما ولعل الجحود من الخباز اذ لا داعي الى جحود الشرابي الا ان يكون ذلك لمراعاة
جانبه وقال اي يوسف عليه السلام للذي ظن انه ناج اوثر على صيغة المضارع
مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده قوله تعالى قضي الامر الذي فيه
تستفتيان وهو السر في ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال للذي يظنه ناجيا
منهما من صاحبيه وانما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند
الملك وعنوان التقرب المفهوم من التعبير المذكور وان كان ذا دخل في ذلك وادعى
الى تحقيق ما وصاه به لكنه ليس بوصف فارق يدور عليه الامتياز بينه وبين
صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف عليه السلام لصاحبه لان
التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي بل على ظن يوسف عليه السلام وهو بمعنى
اليقين كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه فالتعبير بالوحي كما ينبئ عنه قوله
تعالى قضي الامر وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الامر ايضا
اجتهادي اذكرني بما انا فيه من الحال والصفة عند ربك سيدك وصفني
له بصفتي التي شاهدتها فانساه الشيطان اي انسى الشرابي بوسوسته والقائه
في قلبه اشغالا تعوقه عن الذكر والا فالانساء في الحقيقة لله عز وجل والفاء
للسببية فان توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه كانت
باعثة لما ذكر من الانساء ذكر ربه اي ذكر الشرابي له عليه السلام عند الملك والاضافة
لادنى ملابسة او ذكر اخبار ربه فلبث اي يوسف بسبب ذلك الانساء او القول في
السجن بضع سنين البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل
انه لبث فيه سبع سنين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم

يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد وان
كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء عليهم السلام الاخذ بالعزائم وقال
الملك اي الريان اني ارى اي رايت فايثار صيغة المضارع لحكاية سبع بقرات سمان
جمع سمين وسمينة ككرام في جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرايم ياكلهن
اي الكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات
او صفة لها سبع عجاف اي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفا والقياس عجف لان فعلا
وافعل لا يجمع على فعال ولكن عدل به عن القياس حملا لاحد النقيضين على الاخر وانما
لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة
لذلك فلا يقال ثلاثة ضخام واربعة غلاظ واما قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان
فلجريان الفارس والراكب مجرى الاسماء روي انه راى سبع بقرات سمان خرجن من نهر
يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف السمان وسبع
سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات اي وسبعا اخر يابسات قد ادركت
والتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روي ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر
من حال البقرات يا ايها الملا خطاب للاشراف من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي
هذه اي عبروها وبينوا حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير بالافتاء لتشريفهم
وتفخيم امر رؤياه ان كنتم للرؤيا تعبرون اي تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما
مستمرا وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام الى ما هي صور وامثلة
لها من الامور الافاقية والانفسية الواقعة في الخارج من العبور وهي المجاوزة
تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحوه اولتها اي ذكرت مالها وعبرت
الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على
الاستمرار كما اشير اليه واللام للبيان او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل
او لتضمين تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارتها
ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه
وتعبرون خبرا اخر قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الملا
للملك فقيل قالوا هي اضغاث احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو في الاصل ما جمع من
اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوة المتخيلة من احاديث النفس
ووساوس الشيطان وتريها في المنام والاحلام جمع حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي
لا حقيقة لها والاضافة بمعنى من اي هي اضغاث من احلام اخرجوها من جنس الرؤيا
التي لها عاقبة تؤول اليها ويعتنى بامرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغة
في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك الا فرسا
واحدا وعمامة فردة او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع

العجاف

العجاف والسنابل السبع الخضر والاخر اليابسات فتامل حسن موقع الاضغاث
مع السنابل فلله در شان التنزيل وما نحن بتاويل الاحلام اي المنامات الباطلة
التي لا اصل لها بعالمين لا لان لها تاويلا ولكن لا نعلمه بل لانه لا تاويل لها وانما
التاويل للمنامات الصادقة ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم وانهم
ليسوا بنحارير في تاويل الاحلام مع ان لها تاويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع في كلام
الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير
الاحلام او عبارتها الى التاويل المنبي عن التصرف والتكلف في ذلك لما بين الايل والمال
من البعد ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتاويله وقال الذي نجا منهما اي من صاحبي
يوسف وهو الشرابي وادكر بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اي تذكر يوسف
عليه السلام وشؤونه التي شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال تاويلها
على الملا بعد امة اي مدة طويلة وقرئ امة بالكسر وهي النعمة اي بعدما انعم عليه
بالنجاة وامه اي نسيان والجملة حال من الموصول او من ضميره في الصلة وقيل معطوفة
على نجا وليس بذاك لان حق كل من الصفة والصلة ان تكون معلومة الانتساب الى
الموصوف والموصول عند المخاطب كما عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم
بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات وانت تدري ان تذكره بعد امه انما علم
بهذه الجملة فلا مجال لنظمه مع نجاته المعلومة قبل في سلك الصلة انا انبئكم
بتاويله اي اخبركم به بالتلقي ممن عنده علمه لا من تلقاء نفسي ولذلك لم يقل انا انبيكم
فيها وعقبه بقوله فارسلون اي الى يوسف وانما لم يذكره ثقة بما سبق من التذكر
وما لحق من قوله يوسف ايها الصديق اي فارسلوه اليه فاتاه فقال يا يوسف ووصفه
بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام
اثاره واقتباس انواره فهو من باب براعة الاستهلال افتنا في سبع بقرات سمان
ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك وانما
لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملتهما وللدلالة على مضمون الحادثة
عليه حيث لا امكان لوقوعه في عالم الشهادة اي بين لنا ما لها وحكمها وحيث عاين
علو رتبته في الفضل عبر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه اولا نبئنا
بتاويله وفي قوله افتنا مع انه المستفتي وحده اشعار بان الرؤيا ليست له بل
لغيره ممن له ملابسة بامور العامة وانه في ذلك معتبر كما اذن به لكن
حيث قال لعلي ارجع الى الناس اي الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد ان كان
السجن في الخارج كما قيل فانبئهم بذلك لعلهم يعلمون ذلك ويعملون بمقتضاه او
يعلمون فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال فتتخلص منه وانما لم يبت القول
في ذلك مجاراة معه على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على يقين

عليه السلام

من الرجوع فربما اخترم دونه • لعل المنايا دون ما تعداني • ولا من علمهم بذلك فربما
لم يعلموه قال استئناف مبني على سؤال كانه قيل فماذا قال يوسف عليه
السلام في التاويل فقيل قال تزرعون سبع سنين دأبا قرئ بفتح الهمزة
وسكونها وكلاهما مصدر داب في العمل اذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية
من فاعل تزرعون اي دائبين او ذا داب على انه مصدر مؤكد لفعل هو الحال
اول عليه السلام البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف اليابسات
بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها
اذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق البقرات السمان وتاويلها ودلهم
في تضاعيف ذلك على امر نافع لهم فقال فما حصدتم اي في كل سنة فذروه
في سنبله ولا تذروه كيلا ياكله السوس كما هو شان غلال مصر ونواحيها ولعله
عليه السلام استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا
فيما بينهم وحيث كانوا معتادين للزراعة لم يامرهم بها وجعلها امرا محقق الوقوع
وتاويلا للرؤيا مصداقا لما فيها من البقرات السمان الا قليلا مما تاكلون في
تلك السنين وفيه ارشاد منه عليه السلام الى التقليل في الاكل والاقتصار
على استثناء الماكول دون البذر لكون ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين
وبعد اتمام ما امرهم به شرع في بيان بقية التاويل الذي يظهر منه حكمة الامر
المذكور فقال ثم ياتي وهو عطف على تزرعون فلا وجه لحمله بمعنى الامر حثا لهم على
الجد والمبالغة في الزراعة على انه يحصل بالاخبار بذلك ايضا من بعد ذلك اي
من بعد السنين السبع المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى
وصفهن فان الضمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلية سبع شداد اي سبع سنين
صعاب على الناس ياكلن ما قدمتم لهن من الحبوب المتروكة في سنابلها وفيه
تنبيه على ان امره عليه السلام بذلك كان لوقت الضرورة واسناد الاكل اليهن مع
انه حال الناس فيهن مجازي كما في نهاره صائم وفيه تلويح بانه تاويل لاكل العجاف
السمان واللام في لهن ترشيح لذلك فكان ما ادخر في السنابل من الحبوب شيء قد هيئ
وقدم لهن كالذي يقدم للنازل وان هو في الحقيقة مقدم للناس فيهن الا قليلا
مما تحصنون تحرزون للبذور للزراعة ثم ياتي من بعد ذلك اي من بعد السنين
الموصوفة بما ذكر من الشدة واكل الغلال المدخرة عام لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا
عن المدلول الاصلي لها من عام القحط وتنبيها من اول الامر على اختلاف الحال بينه وبين
السوابق فيه يغاث الناس من الغيث اي يمطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت
في وقت الحاجة او من الغوث يقال اغاثنا الله تعالى اي امدنا برفع المكاره حين
اظلتنا وفيه يعصرون اي ما من شانه ان يعصر من العنب والقصب والزيتون

والسم

والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها وانما التعرض لذكر العصر مع جواز الاكتفاء
عنه بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفي به عن ذكر تصرفهم في الحبوب اما لان
استلزام الغيث له ليس كاستلزامه للحبوب اذ المذكورات يتوقف صلاحها على
مبادي اخرى غير المطر واما لمراعاة جانب المستفتي باعتبار حالته الخاصة به بشارة
له وهي التي يدور عليها حسن موقع تغليبه على الناس في القراءة بالفوقانية وقيل
معنى يعصرون يحلبون الضروع وتكرير فيه اما للاشعار باختلاف اوقات ما
يقع فيه من الغيث والعصر زمانا وهو ظاهر وعنوانا فان الغيث والغوث من الله
تعالى والعصر من فعل الناس واما لان المقام مقام تعداد منافع ذلك العام
ولاجله قدم في الموضعين على الفعلين فان المقصود الاصلي بيان انه يقع في
ذلك العام هذا النفع وذاك النفع لا بيان انهما يقعان في ذلك العام كما يفيده
التاخير ويجوز ان يكون التقديم للقصر على معنى ان غيثهم وعصرهم في سائر
السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى عامهم ذلك وان يكون ذلك في الاخير لمراعاة
الفواصل وفي الاول لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا
انجاه وهو المناسب للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل منه ايضا كانه قيل
فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل
يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة اما بتضمين اعصرت معنى مطرت وتعديته
واما بحذف الجار وايصال الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام
هذا العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما تلقاها عليه
السلام من جهة الوحي فبشرهم بها بعدما اول الرؤيا بما اول وامرهم بالتدبير
اللائق في شانه ابانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه في الفضل وانه محيط بما لم يخطر
ببال احد فضلا عما يرى صورته في المنام على نحو قوله لصاحبيه عند استفتائهما
في منامهما لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله وتتميما للنعمة عليهم حيث
لم يشاركه عليه السلام في العلم بوقوعها احد ولو برؤية ما يدل عليها في المنام
وقال الملك بعد ما جاءه السفير بالتعبير وسمع منه ما سمع من نقير وقطمير
ائتوني به لما علم من علمه وفضله فلما جاءه اي يوسف الرسول واستدعاه الى الملك
قال ارجع الى ربك اي سيدك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن
اي فتشه عن شانهن وانما لم يقل فاساله ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد
في التفتيش لتتبين براءته وتتضح نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام
في البحث للتفصي عما توجه اليه واما الطلب فمما قد يتسامح ويتساهل فيه ولا
يبالى به وانما لم يتعرض لامراة العزيز مع ما لقي منها ما لقي من مقاساة الاحزان
ومعاناة الاشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها حيث اعتقدته

مقيمة في عدوة العداوة وأما النسوة فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن
بإقرارها بأنها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع
الأيدي ولم يصرح بمراودتهن له وقولهن أطع مولاتك واكتفى بالإيماء إلى ذلك بقوله
إن ربي بكيدهن عليم مجاملة معهن واحترازا عن سوء مقالتهن عند الملك
وانتصابهن للخصومة مدافعة عن أنفسهن متى سمعن بنسبته لهن إلى الفساد قال
استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال الملك إثر
ما بلغه الرسول الخبر وأحضرهن ما خطبكن أي شأنكن وهو الأمر الذي يحق لعظمه
أن يخاطب المرء فيه صاحبه إذ راودتن يوسف وخادعتنه عن نفسه ورغبتنه
في طاعة مولاته هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة قلن حاش لله تنزيها له
وتعجيبا من نزاهته وعفته ما علمنا عليه من سوء بالغن في نفي جنس السوء عنه
بالتنكير وزيادة من قالت امرأة العزيز وكانت حاضرة في المجلس وقيل أقبلت
النساء عليها تقررنها وقيل خافت أن يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فأقرت
قائلة الآن حصحص الحق ثبت واستقر أو تبين وظهر بعد خفاء قاله الخليل
وقيل هو مأخوذ من الحصة وهي القطعة من الجملة أي تبين حصة الحق من حصة الباطل
كما تبين حصص الأراضي وغيرها وقيل بأن ظهر من حص شعره إذا استأصله بحيث
ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص البعير مباركه في الأرض
للإناخة قال • فحصحص في صم الصفا ثفناته • وناء بسلمى نوأة ثم صمما •
والمعنى أن الحق في مقره ووضع في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن
من نزاهته عليه السلام فيما أحاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته في سائر
المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر بمحضر العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت
في ذلك بل أرادت ظهور ما هو متحقق في نفس الأمر وثبوته من نزاهته عليه السلام
في محل النزاع وخيانتها فقالت أنا راودته عن نفسه لا أنه راودني عن نفسي
وإنه لمن الصادقين أي في قوله حين افترت عليه هي راودتني عن نفسي وأرادت
بالآن زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فتأمل أيها المنصف فهل ترى فوق
هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة بها والفضل ما شهدت به
الخصماء وإنما تصدى عليه السلام لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة
ساحته عما قرف به لا سيما عند العزيز قبل أن يحل ما عقده كما يعرب به قوله عليه
السلام لما رجع إليه الرسول وأخبره بكلامهن ذلك أي ذلك التثبت المؤدي إلى ظهور
حقيقة الحال ليعلم أي العزيز أني لم أخنه في حرمته كما زعمه لا ليعلم مطلقا
فإن ذلك لا يستدعي تقديم التفتيش على الخروج من السجن بل قبل ما ذكر من نقض ما

أبرمه ولعله لمراعاة حقوق السيادة لأن المباشرة للخروج من حبسه قبل ظهور
بطلان ما جعله سببا وإن كان ذلك بأمر الملك مما يوهم الافتيات على رأيه وأما أن يكون
ذلك لئلا يتمكن من تقبيح أمره عند الملك تمحلا رضاه فلا يليق بشأنه عليه
السلام في الوثوق بأمره والتوكل على ربه جل جلاله بالغيب أي بظهر الغيب وهو
حال من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وأنا غائب عنه أو وهو غائب عني أو ظرف أي
بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة وأيا ما كان فالمقصود بيان كمال
نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد أسبابها وأن الله
أي وليعلم أنه تعالى لا يهدي كيد الخائنين أي لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله
ويزهقه أو لا يهديهم في كيدهم إيقاعا للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله
تعالى يضاهئون قول الذين كفروا أي يضاهي قولهم وفيه تعريض بامرأته في
خيانتها أمانته وبه في خيانته أمانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه
بعدما رأوا آيات نزاهته عليه السلام ويجوز أن يكون ذلك لتأكيد أمانته وأنه
لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل أمره وأحسن عاقبته وما أبرئ نفسي أي لا أنزهها
عن السوء قاله عليه السلام هضما لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء وربأ لمكانها عن التزكية
والإعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على أسلوب قوله صلى الله عليه وسلم
أنا سيد ولد آدم ولا فخر وتحديثا بنعمة الله عز وجل عليه وإبرازا للسر المكنون في شأن
أفعال العباد أي لا أنزهها عن السوء من حيث هي هي ولا أسند هذه الفضيلة إليها
بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله عز وعلا إن النفس البشرية التي من جملتها نفسي
في حد ذاتها لأمارة بالسوء مائلة إلى الشهوات مستعملة للقوى والآلات في
تحصيلها بل إنما ذلك بتوفيق الله وعصمته ورحمته كما يفيده قوله إلا ما رحم
ربي من النفوس التي يعصمها من الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي أو هي أمارة بالسوء
في كل وقت إلا وقت رحمة ربي وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع أي لكن رحمة
ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون إلا رحمة إن ربي
غفور رحيم عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها
بعصمتها من الجريان بمقتضى ذلك وإيثار الإظهار في مقام الإضمار مع التعرض لعنوان
الربوبية لتربية مبادي المغفرة والرحمة وقيل إنه من كلام امرأة العزيز والمعنى
ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت
بما هو الحق الواقع وما أبرئ نفسي مع ذلك من الخيانة حيث قلت في حقه ما قلت
وفعلت به ما فعلت إن كل نفس لأمارة بالسوء إلا من رحم ربي أي إلا نفسا رحمها الله تعالى
بالعصمة كنفس يوسف إن ربي غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى
هذا يكون تأنيه عليه السلام في الخروج عن السجن لعدم رضاه عليه السلام بملاقا

الملك وامره بين يدي فيفعل ما فعل حتى يتبين نزاهته وانه انما سجن بظلم عظيم
مع ما له من الفضل ونباهة الشأن ليتلقاه الملك بما يليق به من الاعظام والاجلال
وقد وقع وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي وخاصا بي
فلما كلمه اي فأتوا به فحذف للايذان بسرعة الاتيان به فكأنه لم يكن بين الامر باحضاره
والخطاب معه زمان اصلا والضمير المستكن في كلمه ليوسف والبارز للملك اي فلما
كلمه يوسف اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال انك اليوم لدينا
مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة امين مؤتمن على كل شيء واليوم ليس بمعيار لمدة
المكانة والامانة بل هو آن التكلم والمراد تحديد مبدئهما احترازا عن احتمال كونهما
بعد حين روي انه عليه السلام لما جاءه الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل
ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ
بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان
قال لسان ابائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب
منه فقال احب ان اسمع منك رؤياي فحكاها ونعت له البقرات والسنابل
واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في
تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له افرائيم
ومنشا ولعل ذلك انما كان بعد تعيينه عليه السلام لما عين له من امر الخزائن
كما يعرب عنه قوله عز وجل قال اجعلني على خزائن الارض اي ارض مصر اي ولني
امرها من الايراد والصرف اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها
وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب يقدر على اقامة العدل واجراء
احكام الشريعة وان كان من يد الجائر او الكافر وعن مجاهد انه اسلم الكافر على يده عليه
السلام ولعل ايثاره عليه السلام لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم امور
السلطنة اذ ذاك من تدبير امر السنين جملة وتفصيلا لتأويل الرؤيا لكونه من فروع
تلك الولاية لا لمجرد عموم الفائدة وحصول المنافع كما قيل وانما لم يذكر اجابة الملك الى
ما سأله عليه السلام من جعله على خزائن الارض ايذانا بان ذلك امر لا مرد له غني عن
التصريح به لا سيما بعد تقديم ما يندرج تحته من احكام السلطنة بحذافيرها من قوله
انك اليوم لدينا مكين امين وللتنبيه على ان ذلك من الله عز وجل وانما الملك آلة في
ذلك قيل وكذلك اي ومثل ذلك التمكين العجيب البديع مكنا ليوسف اي جعلنا له
مكانا في الارض اي ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين وفي التعبير عن
الجعل المذكور بالتمكين في الارض مسندا الى ضمير العظمة من تشريفه عليه
السلام والمبالغة في كمال ولايته والاشارة الى حصول ذلك من اول الامر لا انه حصل
بعد السؤال ما لا يخفى يتبوأ منها ينزل من بلادها حيث يشاء ويتخذه مباءة وهو

عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه فكأنها
منزله يتصرف فيها تصرف الرجل في منزله وقرأ ابن كثير بالنون روي ان الملك توجه
وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت
فقال عليه السلام اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج
فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس
على السرير ودانت له الملوك وفوض اليه الملك امره واقام العدل بمصر واحبته
الرجال والنساء وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام في السنة الاولى بالدنانير
والدراهم وفي الثانية بالحلي والجواهر وفي الثالثة بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم
برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا ما رأينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه ثم اعتقهم
ورد اليهم املاكهم وكان لا يبيع لاحد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس
نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء بمقتضى
الحكمة الداعية الى المشيئة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفيه بكماله وفيه اشعار
بان مدار المشيئة المذكورة احسان من يصيبه الرحمة المرقومة وانها اجره ولدفع
توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل التوكيد ولأجر
الآخرة اي اجرهم في الآخرة والاضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له
خير لهم اي المحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل للذين آمنوا
وكانوا يتقون تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات على التقوى
المستفاد من جمع صيغتي الماضي والمستقبل وجاء اخوة يوسف ممتارين لما اصاب
ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم يعقوب عليه السلام جميعا
غير بنيامين فدخلوا عليه اي على يوسف وهو في مجلس ولايته فعرفهم لقوة فهمه
وعدم مباينة احوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه
هيآتهم وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لا سيما في
زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له وهم له منكرون اي والحال انهم
منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عليه السلام في نفسه ومنزلته
وزيه ولاعتقادهم انه هلك وحيث كان انكارهم له امرا مستمرا في حالتي المحضر
والمغيب اخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام اياهم ولما جهزهم
بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافر واوقر ركائبهم بما
جاؤوا له من الميرة وقرئ بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لم يقل باخيكم مبالغة
في اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السلام انما قال لما قيل من انهم سألوه
عليه السلام حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطهم ان يأتوا به
لا لما قيل من انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا

نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجينا نمتار فقال لهم لعلكم جيتم عيونا قالوا
معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبيا اسمه يعقوب
قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال كم انتم ههنا قالوا عشرة
قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم
انكم لستم عيونا وان ما تقولونه حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد
لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وايتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة
من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصاب القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لا يساعده
ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز ولا الحث عليه بايفا الكيل ولا الاحسان
بما في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل في تقدير عدم الاتيان به ولا جعلهم
بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم
عند ابيهم ارسالهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقا شمعون
لو وقع لكان ذلك طامة ينبغي عند مثلها قيل وقال الا ترون اني اوفي الكيل
امد لكم وايثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على
ان ذلك عادة له مستمرة وانا خير المنزلين جملة حالية اي الا ترون اني اوفي الكيل
لكم ايفا مستمرا والحال اني في غاية الاحسان في انزالكم وضيافتكم وقد كانوا ضيوفه
الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايفا لوقوع الخطاب في اثنائه واما الاحسان
في الانزال فقد كان مستمرا فيما سبق ولحق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية
ولم يقل عليه السلام بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصار
في الكيل على ذكر الايفا لان معاملته عليه السلام معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم
في مراعاة مواجب العدل واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شا
فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي اي فيما بعد فضلا عن ايفايه ولا تقربون بدخول
بلادي فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو اما نهي او نفي معطوف على
محل الجزا وفيه دليل على انهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد اخرى وان ذلك
كان معلوما له عليه السلام قالوا سنراود عنه اباه اي سنخادعه عنه
ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب
وصعوبة مناله وانا لفاعلون ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين او لقادرون
عليه لا نتعايا به وقال يوسف لفتيانه غلمانه الكيالين جمع فتى وقرئ لفتيته
وهي جمع قلة اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل رجلا
يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله
عليه السلام تفضلا عليهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى
وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من رجوعهم باخيه كما يوذن به قوله لعلهم يعرفونها

اي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك او لكي يعرفوها ويلوح الظاهر التعلق بقوله اذا
انقلبوا الى اهلهم فان معرفتهم لها مقيدة بالرجوع وتفريغ الاوعية قطعا واما
معرفة حق التكرم في ردها وهي وان كانت في ذاتها غير مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها
حينئذ قيدت به لعلهم يرجعون حسبما امرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء
البدلين ولا سيما عند عوز البضاعة من اقوى الدواعي الى الرجوع من حيث ان ديانتهم
تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها فمدار حسبانهم انها بقيت
في رحالهم نسيانا وظاهر ان ذلك لا يخطر ببالهم اصلا فان هيئة التعبية تنادي بان
ذلك بطريق التفضل الا ترى انهم كيف جزموا بذلك حين راوها وجعلوا ذلك
دليلا على التفضلات السابقة كما سيحيط به خبرا فلما رجعوا الى ابيهم قالوا قبل
ان يشتغلوا بفتح المتاع يا ابانا منع منا الكيل اي فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة
على كون الامتيار مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه عليه السلام فارسل معنا
اخانا بنيامين الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم نكتل بسببه من
الطعام ما نشا وقرا حمزة والكسائي باليا على اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل
لنفسه مع اكتيالنا وانا له لحافظون من ان يصيبه مكروه قال هل امنكم عليه الا كما
امنتكم على اخيه يوسف من قبل وقد قلتم في حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم به ما
فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض الامر الى الله فالله خير حافظا وقرئ
حفظا وانتصابهما على التمييز والحالية على القراة الاولى توهم تقييد الخيرية بتلك الحالة
وهو ارحم الراحمين فارجوا ان يرحمني بحفظه ولا يجمع بين مصيبتين وهذا كما ترى
ميل منه عليه السلام الى الاذن والارسال لما راى فيه من المصلحة ولما فتحوا متاعهم
وجدوا بضاعتهم ردت اليهم تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال وقرئ
بنقل حركة الدال المدغمة الى الرا كما في قيل وكيل قالوا استيناف مبني على السوال
كانه قيل ماذا قالوا حينيذ فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح
يا ابانا ما نبغي اذا فسر البغي بالطلب فما اما استفهامية منصوبة به فالمعنى ماذا
نبغي وراء ما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الداعي الى امتثال امره والمراجعة
اليه في الحوايج وقد كانوا اخبروه بذلك وقالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا
كرامة لو كان رجلا من ال يعقوب ما اكرمنا كرامته وقوله تعالى هذه بضاعتنا
ردت الينا جملة مستانفة موضحة لما دل عليه الانكار من بلوغ اللطف غايته
كانهم قالوا كيف وهذه بضاعتنا ردها الينا تفضلا من حيث لا ندري بعد ما من
علينا من المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلب ولم يريدوا به الاكتفا بذلك
مطلقا والتقاعد عن طلب نظايره بل ارادوا الاكتفا به في استجلاب الامتثال
لامره والالتجا اليه في استجلاب المزيد كما اشرنا اليه وقوله تعالى ردت الينا

حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة وايثار صيغة البناء للمفعول للايذان بكمال
الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا
بفاعله وقوله عز وجل ونمير اهلنا اي نجلب لهم الطعام من عند الملك معطوف
على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة اي نستظهر بها ونحفظ اخانا من المكاره حسبما
وعدنا فما يصيبه من مكروه ونزداد اي بواسطته ولذلك وسط الاخبار بحفظه
بين الامل والمزيد كيل بعير اي وسق بعير زايد على اوساق اباعرنا على قضية
التقسيط ذلك اي ما يحمله اباعرنا كيل يسير اي مكيل قليل لا يقوم باودنا فهو استيناف
وقع تعليلا لما سبق كانه قيل اي حاجة الى الازدياد فقيل ما قيل او ذلك الكيل
الزائد شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك او سهل عليه لا يتعاظمه او اي مطلب نطلب
من مهماتنا والجملة الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به الانكار من كونهم فايزين
ببعض المطالب ومتمكنين من تحصيله فكانهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها
ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتاله
لانفسنا كيل بعير فاي شيء نبتغي وراء هذه المبالغة وقرئ ما تبغي على خطاب يعقوب
عليه السلام اي اي شيء تبتغي وراء هذه المباغي المشتملة على سلامة اخينا وسعة
ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا الى التوجه اليه والجملة
الاستينافية موضحة لذلك او اي شيء تبتغي شاهدا على صدقنا فيما وصفنا لك
من احسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الكلام الانكاري
واما نافية فالمعنى ما نبتغي شيئا غير ما رأينا من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه او
ما نبتغي غير هذه المباغي وقيل ما نطلب منك بضاعة اخرى والجملة المستانفة تعليل
له واما اذا فسر البغي بمجاوزة الحد فما نافية فقط والمعنى ما نبغي في القول وما
نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك الينا واكرامه الموجب لما ذكر والجملة المستانفة
لبيان ما ادعوا من عدم البغي وقوله ونمير اهلنا عطف على ما نبغي فيما ذكرنا من احسانه
ونحصل امثاله من مير اهلنا ونحفظ اخينا فان ذلك اهون شيء بواسطة احسانه
وقد يجوز ان يكون كلاما مبتدا اي جملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغي ان
نمير اهلنا ونشتد ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان ويجب ان اسعى وانت خبير
بان التذييلية ان تكون موكدة لمضمون الصدر ومتفرعة له كما في المثال المذكور
وقولك فلان ينطق بالحق فالحق ابلج واذ قوله ونمير الى اخره فان ساعدنا في حمله على
معنى ينبغي ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك او ما نبغي في الراي وما نعدل عن الصواب
فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا والجمل الى اخرها تفصيل وبيان
لعدم بغيهم واصابة رايهم اي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا
ونصنع كيف وكيت فنامل قال لن ارسله معكم بعد ما عاينت منكم ما

عاينت

عاينت حتى تؤتون موثقا من الله اي ما اتوثق به من جهته عز وجل وانما
جعله موثقا منه تعالى لان توكيد العهود به مأذون فيه من جهته تعالى فهو
اذن منه عز وجل لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به
الا ان يحاط بكم اي الا ان تغلبوا فلا تطيقوا اتيانه او الا ان تهلكوا واصله من احاطة
العدو فان من احاط به العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم
العلل على ان الكلام بالنفي الذي ينساق اليه اي لتأتنني به ولا تمتنعون منه
في حال من الاحوال او لعلة من العلل الا حال الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم
ونظيره قولهم اقسمت عليك لما فعلت والا فعلت اي ما اريد منك الا فعلك وقد
جوز الاول بلا تأويل نفيا اي لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم وانت
تدري انه حيث لم يكن الاتيان به من الافعال الممتدة الشاملة للاحوال على
سبيل المعية كما في قولك لالزمنك الا ان تعطيني حقي وان لم يكن مراده عليه
السلام مقارنته على سبيل البدل لما عدا الحال المستثناة كما في قولك صل الا ان تكون
محدثا بل مجرد تحققه ووقوعه من غير اخلال به كما في قولك لاحجن العام الا ان
احصر فان مرادك انما هو الاخبار بعدم منع ما سوى حال الاحصار عن الحج لا الاخبار
بمقارنته لتلك الاحوال على سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصلاة كان اعتبار
الاحوال معه من حيث عدم منعها منه فال المعنى الى ما قيل المذكور فلما اتوه موثقهم
عهدهم من الله حسبما اراد يعقوب عليه السلام قال الله على ما نقول اي على ما قلنا
في اثناء طلب الموثق واتيانه من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال لاستحضار
صورته المؤدية الى تثبتهم ومحافظتهم على تذكره ومراقبته وكيل مطلع رقيب
يريد عرض ثقته بالله تعالى وحثهم على مراعاة ميثاقهم وقال ناصحا لهم لما
ازمع على ارسالهم جميعا يا بني لا تدخلوا مصر من باب واحد نهاهم عن ذلك
حذارا من اصابة العين فانهم كانوا ذوي جمال وشارة حسنة وقد كانوا تجملوا في
هذه الكرة اكثر مما في الكرة الاولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك
بخلاف النوبة الاولى فكانوا مئنة لدنو كل ناظر وطموح كل طامح واصابة العين
بتقدير العزيز الحكيم ليست مما ينكر وقد ورد عنه عليه السلام ان العين حق
وعنه عليه السلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان
النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما بقوله عليه
السلام اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان
يقول كان ابوكما يعوذ بهما اسماعيل واسحق رواه البخاري في صحيحه وقد شهدت
بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدخول من ابواب
متفرقة وكان في دخولهم من بابين او ثلاثة بعض ما في الدخول من باب واحد

من نوع واجتماع مصحح لوقوع المحذور قال وادخلوا من ابواب متفرقة بيانا لما هو المراد
بالنهي وانما لم يكتف بهذا الامر مع كونه مستلزما له اظهارا لكمال العناية به وايذانا
بان المراد بالامر المذكور لا تحقيق شيء اخر وما اغني عنكم اي لا انفعكم ولا ادفع عنكم
بتدبيري من الله من شيء اي شيئا مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد
به عليه السلام الغاء الحذر بالمرة كيف وقد قال عز قائلا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
وقال خذوا حذركم بل اراد بيان ان ما وصاكم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة بل
هو تدبير في الجملة وانما التاثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير وان ذلك
ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه ان الحكم مطلقا
الا لله لا يشاركه احد ولا يمانعه شيء عليه لا على احد سواه توكلت في كل ما اتي
واذر وفيه دلالة على ان ترتيب الاسباب غير مخل بالتوكل وعليه دون غيره
فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصلة
للاختصاص مفيدا بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله عز وجل على فعل
نفسه وبالفاء سببية فعله لكونه نبيا لفعل غيره من المقتدين به فيدخل فيه
بنوه دخولا اوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم الى التوكل فيما هم
بصدده على الله عز وجل غير مغترين بما وصاهم به من التدبير ولما دخلوا من حيث
امرهم ابوهم من الابواب المتفرقة من البلد قيل كانت له اربعة ابواب فدخلوا منها
وانما اكتفى بذكره لاستلزامه الانتهاء عما نهوا عنه ما كان ذلك الدخول يغني فيما
سياتي ووقوع ما وقع عنهم من الداخلين لان المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع
بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لما ومدخله
فان عدم الاغناء بالفعل انما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وانما المتحقق
حينئذ ما افادة الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور مغنيا فيما سياتي فتامل
من الله من جهته من شيء اي شيئا مما قضاه عليهم مع كونه مظنة لذلك في بادي
الراي حيث وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه واثقين بجدواه من فضل
الله تعالى فليس المراد بيان سببية الدخول المذكور لعدم الاغناء كما في قوله تعالى فلما جاءهم
نذير ما زادهم الا نفورا فان مجيء النذير هناك سبب لزيادة نفورهم بل بيان عدم
سببيته للاغناء مع كونه متوقعا في بادي الراي كما في قولك حلف ان يعطيني حقي عند
حلول الاجل للاعطاء مع كونها مرجوة بموجب الحلف لا بيان سببيته لعدم الاعطاء فالمال
بيان عدم ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجو الوجود لا بيان ترتب
عدمه عليه ويجوز ان يراد بذلك ايضا تاكيد ما ذكره عليه السلام في تضاعيف وصيته
من انه لا يغني عنهم من الله شيئا فكانه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك
شيئا ووقع الامر حسبما قال عليه السلام فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقع

فتامل الا حاجة استثناء منقطع اي ولكن حاجة وحزازة كائنة في نفس يعقوب
قضاها اي اظهرها ووصاهم بها دفعا للخاطر غير معتقد ان للتدبير تاثيرا في تغيير
التقدير وقد جعل ضمير الفاعل في قضاها للدخول على معنى ان ذلك الدخول قضى
حاجة في نفس يعقوب وهي ارادته ان يكون دخولهم من ابواب متفرقة فالمعنى
ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس
يعقوب بوقوعه حسب ارادته فالاستثناء منقطع ايضا وعلى التقديرين لم يكن
للتدبير فائدة سوى دفع الخاطرة واما اصابة العين فانما لم تقع لكونها غير مقدرة
عليهم لا انها اندفعت بذلك مع كونها مقضية عليهم وانه لذو علم جليل لما علمناه
لتعليمنا اياه بالوحي وفي نصب الادلة حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع القدر وان
التدبير له حظ من التاثير حيث يتبين الخلل في رايه عند تخلف الاثر وحيث بت
القول بانه لا يغني عنهم من الله شيئا فكان الحال كما قال وفي تاكيد الجملة بان واللام
وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه من الدلالة على جلالة
شان يعقوب عليه السلام وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى ولكن اكثر الناس
لا يعلمون اسرار القدر ويزعمون انه يغني عنه الحذر واما ما يقال من ان المعنى
لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيئا من الحذر فبمعزل من مقام بيان تخلف
المطلوب عن المبادي ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه بنيامين اي ضمه
اليه في الطعام او في المنزل وفيه دلالة على انهم لما دخلوا عليه قالوا له هذا اخونا
قد جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون ذلك عندي فاكرمهم ثم اضافهم
واجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا
لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم فريدا فاجلسه معه على مائدته وجعل
يواكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا فقال هذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف
يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت
اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك فقال من
يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه
وتعرف اليه وعند ذلك قال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس اي فلا تحزن بما كانوا
يعملون بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما اعلمتك
قال ابن عباس رضي الله عنهما وعن وهب انه لم يتعرف اليه بل قال له انا اخوك
بدل اخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقاه منهم من الحسد والاذى
فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت باغتمام والدي
فاذا احتبستك يزداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي
فافعل ما بدا لك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيا

ابه وكن لعبد لشريكه منهم قال فعل فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية ۝
اي المشربة قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى بها الدواب
ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بالذهب
وقيل كانت اناء مستطيلة تشبه المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يستعمله
الاعاجم وقيل كانت مرصعة بالجواهر في رحل اخيه بنيامين وقرئ وجعل
على حذف جواب لما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها
العير وهي الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة
الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل مثل سقف وسقف
فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحابها كما في قوله صلى الله عليه وسلم
يا خيل الله اركبي روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا منزلا وقيل
خرجوا من العمارة ثم امر بهم فادركوا ونودوا انكم لسارقون هذا الخطاب ان
كان بامر يوسف فلعله اريد بالسرقة اخذهم له من ابيه ودخول بنيامين فيه
بطريق التغليب والا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر الاوفق
للسباق وقرئ انكم سارقون بلا لام قالوا اي الاخوة واقبلوا عليهم جملة
حالية من ضمير قالوا جيء بها للدلالة على انزعاجهم مما سمعوه لمباينته لحالهم
ماذا تفقدون اي تعدمون تقول فقدت الشيء اذا عدمته بان ضل عنك
لا بفعلك والمال ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ ذام
تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا او على التعدية فالعدول عما يقتضيه
الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم باظهار انه لم يسرق منهم شيء
فضلا ان يكونوا هم السارقين له وانما الممكن ان يضيع منهم شيء فيسالوهم انه ماذا وفيه
ارشاد لهم الى مراعاة حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البراء الى ما لا خير
فيه لا سيما بطريق التوكيد ولذلك غيروا كلامهم حيث قالوا في جوابهم نفقد
صواع الملك ولم يقولوا سرقتموه او سرق وقرئ صاع وصوع بفتح الصاد وضمها
وباهمال العين واعجامها من الصياغة ثم قالوا ترتيبا لما تلقوه من قبلهم واراءة
لاعتقادهم انه انما بقي في رحلهم اتفاقا ولمن جاء به من عند نفسه مظهرا له قبل
التفتيش حمل بعير من الطعام جعلا له على نية تحقيق لوعد جزمهم بامتناع
وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من اخذ من وجد في رحله وانا به زعيم كفيل
اوديه اليه وهو قول المؤذن قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الواو ولذلك لا
تدخل الا على الجلالة المعظمة او الرب المضاف الى الكعبة او الرحمن في ضعيف
ولو قلت تالرحيم لم يجز وقيل من الباء وقيل اصل بنفسها وايا ما كان ففيه تعجب
لقد علمتم علما جازما مطابقا للواقع ما جئنا لنفسد في الارض اي لنسرق فا

فانه من اعظم انواع الافساد او لنفسد فيها اي افساد كان فضلا عما ۝
تنسبونا اليه من السرقة ونفي المجيء للافساد وان لم يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام
من نفي الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجيء الذي يترتب عليه ذلك ولو بطريق ۝
الاتفاق مجيئا لغرض الافساد مفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال قبحه عندهم
وتربية لاستحالة صدوره عنهم كما قيل في قوله تعالى وما يبدل القول لدي ۝
وما انا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفي المبالغة في الظلم دون نفي الظلم
في الجملة الذي هو مقتضى المقام من ان المعنى اذا عذب من لا يستحق العذاب لعذب
كنت ظلاما مفرطا في الظلم فكانهم قالوا ان صدر عنا افساد كان مجيئنا لذلك ۝
مريدين به تقبيح حاله واظهار كمال نزاهتهم عنه يعنون انه قد شاع بينكم
في كرتي مجيئنا ما نحن عليه وقد كانوا على غاية ما يكون من الديانة والصيانة
فيما ياتون ويذرون حتى روي انهم دخلوا ابصر وافواه رواحلهم مكمومة لئلا
تتناول زرعا او طعاما لاحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم بذلك
انه لا يصدر عنا افساد وما كنا سارقين اي ما كنا نوصف بالسرقة قط وانما حكموا
بعلمهم ذلك لان العلم باحوالهم المشاهدة تستلزم العلم باحوالهم الغائبة وانما
لم يكتفوا بنفي الامرين المذكورين بل استشهدوا بعلمهم لذلك الزاما للحجة عليهم وتحقيقا
للتعجب المفهوم من تا القسم قالوا اي اصحاب يوسف عليه السلام فما جزاؤه الضمير
للصواع على حذف المضاف اي فما جزاء سرقته عندكم وفي شريعتكم ان كنتم كاذبين
لا في دعوى البراءة عن السرقة فانهم صادقون فيها بل فيما يستلزمه ذلك من نفي كون ۝
الصواع فيهم كما يؤذن به قوله عز وجل قالوا جزاؤه من وجد اي اخذ من وجد الصواع
في رحله حيث ذكر بعنوان الوجدان في الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك
مستلزما لها في اعتقادهم المبني على قواعد العادة ولذلك اجابوا بما اجابوا فان الاخذ
والاسترقاق انما هو جزاء السارق دون من وجد في يده مال الغير كيف ما كان فتامل
واحمل كلام كل فريق على ما يزاحم رايه فانه اقرب الى معنى الكيد وابعد من الافتراء
وقوله فهو جزاؤه تقرير لذلك الحكم اي فاخذه جزاؤه كقولك حق الضيف ان يكرم
فهو حقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدا والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة
الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو على ان الاول للمبتدا والثاني
للظاهر الذي وضع موضعه كذلك اي مثل ذلك الجزاء الاوفى نجزي الظالمين بالسرقة
تاكيد للحكم المذكور غب تاكيد وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال
براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون فبدا يوسف بعد ما رجعوا اليه للتفتيش
باوعيتهم باوعية الاخوة العشرة اي بتفتيشها قبل تفتيش وعاء اخيه
بنيامين لنفي التهمة روي انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظن هذا اخذ شيئا

فقالوا والله لا نتركه حتى ننظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها
اي السقاية او الصواع فانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه لم يقل منه على رجع الضمير الى الوعاء
او من وعاء اخيه قصدا الى زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو
وبقلبها همزة كما في اشاح في وشاح كذلك نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة
على فخامة المشار اليه وكذا ما في ذلك من معنى البعد اي مثل ذلك الكيد العجيب
وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم وحملهم عليه
بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا فمعنى قوله عز وجل كدنا ليوسف
صنعنا له ودبرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما
يتلوه فاللام ليست كما في قوله فيكيدوا لك كيدا فانها داخلة على المتضرر ٥
على ما هو الاستعمال الشايع وقوله تعالى ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ٥
استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كما قيل كأنه
قيل لما فعل ذلك فقيل لانه لم يكن ليأخذ اخاه بما فعله في دين الملك في امر
السارق اي في سلطانه قاله ابن عباس او في حكمه وقضائه قاله قتادة
لان جزاء السارق في دينه انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق
والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عليه السلام فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ
اخيه بالسرقة التي نسبها اليه في حال من الاحوال الا ان يشاء الله اي الا حال
مشيئته التي هي عبارة عن ارادته لذلك الكيد او الا حال مشيئته للاخذ
بذلك الوجه ويجوز ان يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية اليه جميعا
من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر عنهم من الافعال والاقوال حسبما شرح
مرتبا لكن لا على ان يكون القصر المستفاد من تقديم المجرور ماخوذا بالنسبة
الى غيره مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا آخر اذ لا معنى لتعليله
بعجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه في دين الملك في شان السارق قطعا
اذ لا علاقة بين مطلق الكيد وبين الملك في امر السارق اصلا بل بالنسبة
الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا له ولم نكتف
ببعض من ذلك لانه لم يكن ياخذ اخاه في دين الملك به الا حال مشيئتنا له بايجاد
ما يجري مجرى الجزء الصوري من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور
وعلى هذا ينبغي ان يحمل القصر في تفسير من فسر قوله تعالى كدنا ليوسف بقوله
علمناه اياه واوحينا به اليه اي مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبا
علمناه دون بعض من ذلك فقط لخ وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال
كما اشير اليه ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب اي لم يكن لياخذ اخاه لعلة
من العلل ولسبب من الاسباب الا لعلة مشيئته تعالى او لا سبب ٥

مشيئته

مشيئته تعالى واياما كان فهو متصل لان اخذ السارق اذا كان ممن يرى ذلك ٥
ويعتقده دينا لا سيما عند رضاه وافتائه ليس مخالفا لدين الملك وقد قيل معنى
الاستثناء الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك وانت تدري ان المراد
بدينه ما عليه حينئذ فتغييره مخل بالانفصال وارادة مطلق ما يتدين به اعم
منه ومما يحدث يفضي الى كون الاستثناء من قبيل التعليق بالمحال اذ المقصود بيان
عجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه حينئذ ولم يتعلق المشيئة بالجعل المذكور
اذ ذاك وارادة عجزه مطلقا تودي الى خلاف المراد فان استثناء حال المشيئة
المذكورة من احوال عجزه عليه السلام مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد المذكور
فتدبر وقد جوزوا الانقطاع اي لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه في دين غير دين
الملك نرفع درجات اي رتبا عالية كثيرة من العلم وانتصابها على المصدرية
او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات والمفعول قوله تعالى من نشاء
اي نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف
وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه
المادة والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وفوق كل ذي علم من اولئك
المرفوعين عليم لا ينالون شأوه واعلم انه ان جعل الكيد عبارة عن المعنيين
الاولين فالمراد برفع يوسف عليه السلام ما اعتبر فيه بالشرطية او الشطرية
من ارشاده عليه السلام الى دس الصواع في رحل اخيه وما يتفرع عليه من ٥
المقدمات المترتبة لاستبقاء اخيه وتمهما يتم من قبله والمعني بارشاد اخوته
الى الافتاء المذكور لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بدونه وارشاد كل منهم ومن
يوسف واصحابه الى ما صدر عنهم ولم نكتف بما تم من قبل يوسف فقط لانه لم
يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك فقوله نرفع درجات الى قوله تعالى عليم توضيح
لذلك على معنى ان الرفع المذكور لا يوجب تمام مرامه اذ ليس ذلك بحيث لا يعزب
عن علمه شيء بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم عليم لا يقادر قدر علمه
ولا يكتنه كنهه نرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف
الى ما يليق به من الدرجات العالية وعلم ان ما حواه دائرة علمه لا يفي بمرامه فارشد
اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكانه عليه السلام لم يكن على يقين من صدور الافتاء
المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله عز وجل وجودا وعدما والتعرض
لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي صيغة المبالغة من التنكير والالتفات الى
الغيبة من الدلالة على فخامة شانه عز وعلا وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى
واما ان جعل عبارة عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم
والافتاء ان لم يكن داخلا تحت قدرته عليه السلام لكنه داخل تحت علمه بواسطة

الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتا الذي سيصدر عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله نرفع درجات من نشا توضيح لقوله كذلك وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات العالية من العلم ومدح ليوسف برفعه اليها وقوله وفوق كل ذي علم عليم تذييل له اي نرفع درجات عالية من العلم من نشا رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى درجة قال ابن عباس رضي الله عنهما فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علما الا ان يوسف فضل عليهم وقرئ درجات من نشا بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع الى من نسب اليه الفوقية لا الى درجته ويجوز كون العليم في هذا التفسير عبارة عن الله عز وجل اي وفوق كل من اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجته اللائقة والله تعالى اعلم **قالوا ان يسرق** يعنون بنيامين **فقد سرق اخ له من قبل** يريدون به يوسف عليه السلام وما جرى عليه من جهة عمته ما قيل من انها كانت تحضنه فلما شب اراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من ابيها اسحق عليه السلام فاحتالت لاستبقا يوسف عليه السلام فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف ه عليه السلام فقالت انه لي سلم افعل به ما اشا فخلاه يعقوب عليه السلام عندها حتى ماتت وقيل كان اخذ في صباه صنما لابي امه فكسره والقاه في الجيف ه وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه **فاسرها يوسف** اي الحزازة الحاصلة مما قالوا **في نفسه** لا انه اسرها لبعض اصحابه كما في قوله تعالى واسررت لهم اسرارا **ولم يبدها لهم** لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تاكيد لما سبق **قال** اي في نفسه وهو استيناف مبني على سؤال نشا من الاخبار بالاسرار المذكورة كانه قيل فماذا قال في نفسه في تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال **انتم شر مكانا** اي منزلا حيث سرقتم اخاكم من ابيكم ثم طفقتم تفترون على البري فقيل بدل من اسرها والضمير للمقالة المفسرة بقوله انتم شر مكانا **والله اعلم بما تصفون** اي عالم علما بالغا الى اقصى المراتب بان الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة منا بل انما هو افترا علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل في علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم قالوا اعندما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين ه مستعطفين **يا ايها العزيز ان له ابا** لم يريدوا بذلك الاخبار بان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له ابا **شيخا كبيرا** في السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالته يتعلل به من شقيقه الهالك **فخذ احدنا مكانه** فليس عندنا بمنزلته من المحبة والشفقة **انا نراك من المحسنين** الينا فاتمم احسانك

بحفظ النعمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك **قال معاذ الله** اي نعوذ بالله معاذا من **ان ناخذ** فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه مضافا الى المفعول به بعد حذف الجار **الا من وجدنا متاعنا عنده** لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها وايثار صيغة المتكلم مع الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد من باب السلوك الى سنن الملوك او للاشعار بان الاخذ والاعطا ليس مما يستبد به بل هو منوط بآرا اولي الحل والعقد وايثار من وجدنا متاعنا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب في الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحملون وجدان الصواع في الرحل على محمل غير السرقة **انا اذا** اي اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضانا ه **لظالمون** في مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى هو الذي اريد بالكلام وان لم يجاوز له معنى باطن هو ان الله عز وجل انما امرني بالوحي اذ اخذ بنيامين لمصالح علمها الله في ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحي **فلما استياسوا منه** اي يئسوا من يوسف واجابته لهم استيئاسا بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من الياس لما شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه الدال ذلك على كون ذلك عنده في اقصى مراتب الكراهة وانه مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن تسميته ظلما بقوله انا اذا لظالمون **خلصوا** اعتزلوا وانفردوا عن الناس **نجيا** اي ذوي نجوى ه على ان يكون بمعنى النجوى والتناجي او فوجا نجيا على ان يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا ويجوز ان يقال هم نجي كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير والزئير **قال كبيرهم** في السن وهو روبيل او في العقل وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون **الم تعلموا** كانهم اجمعوا عند التناجي على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرا عليهم الم تعلموا **ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله** عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لاذنه فيه وكون الحلف باسمه الكريم **ومن قبل** اي من قبل هذا **ما فرطتم في يوسف** فصرتم في شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون وانا له لحافظون وما مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا من الله تعالى وتفريطكم السابق في شان يوسف ولا ضير في الفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف وقد جوز النصب عطفا على اسم ان والخبر في يوسف او من قبل على معنى الم تعلموا ان تفريطكم ه السابق وقع في شان يوسف او ان تفريطكم الكائن او كائنا في شان يوسف وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق واقعا في شان يوسف كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكائن في شانه واقعا من قبل كما هو مفاد الثاني على ان الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع

خبرا ولا صلة ولا صفة ولانها لا تعمد البعض كما تقرر في موضعه وقيل محله
الرفع على الابتدا والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصوفة او موصولة
ومحلها النصب والرفع ولحق هو النصب عطفا على مفعول تعلموا اي الم تعلموا ما فرطتم
بمعنى قد منعوه في حقه من الخيانة واما النصب عطفا على اسم ان او الرفع على
الابتدا انتقد عرفتم حاله فلن ابرح الارض متفرع على ما ذكره وذكرهم اياه
من ميثاق ابيه وقوله لنا تنتهي به الا ان يحاط بكم اي فلن افارق ارض مصر جريا
على قضية الميثاق حتى يأذن لي ابي في البراح بالانصراف اليه وكان ايمانهم كانت
معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عليه السلام او يحكم الله لي بالخروج
منها على وجه لا يؤدي الى نقض الميثاق او بخلاص اخي بسبب من الاسباب روي
انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتردن الينا اخانا
او لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر حامل الا القت ولدها ووقفت كل شعرة في
جسده فخرجت من ثيابه وكانت بنو يعقوب اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه
اذا مس من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه
فمسه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد بذرا من بذر يعقوب وهو خير
الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق والعدل ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك
سرق على ظاهر الحال وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا
بان راينا الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب اي باطن الحال حافظين فما
ندري ان حقيقة الامر كما شاهدنا ام بخلافه وما كنا عالمين حين اعطيناك الموثق
انه سيسرق او انا نبتلى بهذا الامر او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل
القرية التي كنا فيها اي مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي عندها اي ارسل الى اهلها
واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها اي اصحابها فان القصة معروفة
فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من صنعا وانا لصادقون
تاكيد في محل القسم قال اي يعقوب عليه السلام وهو استيناف مبني على
سؤال نشأ مما سبق فكانه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل
قال يعقوب عندما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا وانما حذف للايذان بان
مسارعتهم الى قبوله ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلم غني عن البيان وانما المحتاج اليه
جواب ابيهم بل سولت اي زينت وسهلت وهو اضراب لا عن صريح كلامهم فانهم صادقون
في ذلك بل عما يتضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب فيما نزل به وانه لم يصدر منهم ما
يؤدي الى ذلك من قول او فعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت لكم انفسكم
امرا من الامور فاتيتموه يريد بذلك فتياهم باخذ السارق في سرقته فصبر جميل
اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف واخيه

والمتوقف

والمتوقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم الذي لم يبتلني الا لحكمة بالغة
وتولى اي اعرض عنهم كراهية لما سمع منهم وقال يا اسفى على يوسف الاسف اشد
الحزن والحسرة اضافه الى نفسه والالف بدل من اليا فناداه اي يا اسفي تعالى فهذا
اوانك وانما تاسف على يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه لان رزاه كان على قاعدة
الارزا غضا عنده وان تقادم عهده اخذ بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان
واثقا بحياتهما عالما بمكانهما طامعا في ايابهما واما يوسف فلم يكن في شانه ما يحرك
سلسلة رجائه سوى رحمة الله تعالى وفضله وفي الخبر لم تعط امة من الامم
انا لله وانا اليه راجعون الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين
اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف
مما يزيد النظم الكريم بهجة كما في قوله عز وجل وهم ينهون عنه وينأون عنه
وقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله وكلي من كل الثمرات وجئتك من سبأ
بنبأ يقين ونظائرها وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكا فان العبرة
اذا كثرت محقت سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل
كان يدرك ادراكا قليلا ضعيفا قيل انه ما جفت عينا يعقوب من يوم فراق
يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله عز وجل من
يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه السلام
ما بلغ من وجد يعقوب عليه السلام على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان
له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله تعالى ساعة قط وفيه دليل
على جواز التاسف والبكا عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت التكليف
فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ولده ابرهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب
وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانما الذي لا يجوز مما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة
ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله تبكي وقد
نهيتنا عن البكا فقال ما نهيتكم عن البكا وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت
عند الفرح وصوت عند الترح فهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده ممسك له في
قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقا
اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه
واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ اي لا تفتؤ ولا تزال
تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف حرف النفي كما في قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا
لعدم الالتباس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات يكون على النفي

البتة حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض من اذابه هم او مرض
وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يثنى ولا يجمع والنعت منه بالكسر كدنف
وقد قرئ به وبضمتين كجنب وغرب او تكون من الهالكين اي الميتين قال انما
اشكو بثي البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي
ينشره فكانهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء فقال لهم اني لا اشكو
ما بي اليكم او الى غيركم حتى تتصدوا للتسلية وانما اشكو همي وحزني الى الله تعالى
ملتجئا الى جنابه متضرعا لدى بابه في دفعه وقرئ بفتحتين وضمتين ٥
واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجو ان يرحمني ويلطف بي ولا يخيب
رجائي او اعلم وحيا او الهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى
ملك الموت عليه السلام في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا
يوسف عليه السلام انه سيخر له ابواه واخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا
اي تعرفوا وهو تفعل من الحس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب اي فتطلبوا من
يوسف واخيه اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية لا يعسر ازالتها
ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اي من رحمته
التي يحيي بها العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون
ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب تنبيهه بقوله انه لا ييأس من روح الله الا
القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في حال
من الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف بعدما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم
وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم الى ما امروا به واشعارا بان ذلك امر محقق
لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر الممتنع مسنا
واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها
كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطرحته والريح تزجي
السحاب قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة
الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة ٥
وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة
وتحريك سلسلة المرحمة ثم قالوا فأوف لنا الكيل اي اتممه لنا وتصدق ٥
علينا برد اخينا قاله الضحاك وابن جريج وهو الانسب بحالهم نظرا الى امر ابيهم او
بالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها تفضلا واحسانا
وسموه تصدقا تواضعا او ارادوا التصدق فوق ما تعطيهم بالثمن بناء على اختصاص
حرمة الصدقة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانما ابتدءوا به استجلابا
للرأفة والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو على ان ما

ما ساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين ٥
يحتمل الحمل على المعنيين فلعله عليه السلام حمله على المحمل الاول ولذلك قال مجيبا
عما عرضوا به وضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما
في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف واذلاله بذلك حتى كان
لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن ذلك بعدما علمتم بقبحه فهو سؤال
عن الملزوم وارادة اللازم اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك او انتم
جاهلون عاقبته وانما قال ذلك نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى
عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة ويجوز ان يكون هذا الكلام منه عليه السلام منقطعا
عن كلامهم وتنبيها لهم على ما يرخصهم وتوطيفهم من الاعراض عن جميع المطالب ٥
والتمحض في طلب بنيامين بل يجوز ان يقف عليه السلام بطريق الوحي والالهام
على وصية ابيه وارساله اياهم للتحسس منه ومن اخيه فلما رآهم قد اشتغلوا
عن ذلك قال ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وقد كتب فيه
يعقوب عليه السلام من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل
الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت
يداه ورجلاه ورمي في النار فنجاه الله تعالى وجعلت له النار بردا وسلاما واما
ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب ٥
اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد
اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى
به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه قد سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق
ولا نلد سارقا فان رددته علي والا لادعون عليك دعوة تدرك السابع من ولدك
والسلام فلما قرأه لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى
وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا ائنك لانت يوسف استفهام
تقرير ولذلك اكدوه بان واللام قالوه استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل
عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل عرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه
فرأوا علامة بقرنه تشبه العلامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرئ ائنك
او انت يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف جوابا عن سؤالهم وقد زاد عليه
قوله وهذا اخي اي من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشان اخيه وتكملة له
لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حتى صار تفسيره قوله قد من الله
علينا فكانه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال فانا يوسف وهذا اخي

قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعزة بعد الذلة
والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين
بانه اخي لا اخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستيناف التعليلي بقوله
انه من يتق اي يتق الله في جميع احواله او يتق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى
وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات او عن المعاصي التي تستلذها النفس
فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها
على ان المحسنين بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا
اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا وان الشان كنا لخاطئين
لمتعمدين للذنب او فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة
والاستغفار ولذلك قال لا تثريب اي لا عتب ولا تانيب عليكم وهو تفعيل
من الثرب وهو الشحم الغاشي للكرش ومعناه ازالته كما ان التجليد ازالة الجلد ۝
والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرب مثلا للتقريع
الذي يذهب بماء الوجوه وقوله عز وعلا اليوم منصوب بالتثريب او بالمقدر
خبر للا اي لا اثربكم او لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له فما ظنكم
بساير الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه حينئذ صفح عن جريمتهم وعفا عن جريرتهم
بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين يغفر الصغاير والكباير ويتفضل على ۝
التايب بالقبول ومن كرمه عليه السلام ان اخوته ارسلوا اليه انك تدعونا الى
طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك بما فرط منا فيك فقال عليه السلام ان
اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا
بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم الان وعظمت في العيون حيث علم الناس
انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم عليه السلام اذهبوا بقميصي هذا قيل هو الذي
كان عليه حينئذ وقيل هو القميص المتوارث الذي كان في التعويذ امره جبريل عليه
السلام بارساله اليه واوحى اليه ان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفي فالقوه على
وجه ابي يات بصيرا يصر بصيرا او يات الي بصيرا ويشهد له قوله واتوني باهلكم ۝
اجمعين اي بابي وغيره مما ينتظمه لفظ الاهل جميعا من النساء والذراري قيل
انما حمل القميص يهوذا وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه
كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما ثمانين فرسخا
ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل
منه وجاوز حيطانه وقرا ابن عباس رضي الله عنهما انفصل العير قال ابوهم ۝
يعقوب عليه السلام لمن عنده اني لاجد ريح يوسف اوجده الله سبحانه ما عبق
بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهوذا لولا ان تفندون

اي تنسبوني الى الفند وهو الخرف وانكار العقل وفساد الراي من هرم يقال شيخ
مفند ولا يقال عجوز مفندة اذ لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها
وجواب لولا محذوف اي لصدقتموني قالوا اي الحاضرون عنده تالله انك لفي ۝
ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ولهجك بذكره ۝
ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير وهو يهوذا القاه
اي القى البشير القميص على وجهه اي وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجه نفسه
فارتد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد
ريح يوسف فالخطاب لمن كان عنده بكنعان او قوله ولا تياسوا من روح الله فالخطاب
لبنيه وهو الانسب بقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون فان مدار النهي المذكور
انما هو العلم الذي في يعقوب من جهة الله سبحانه وعلى هذا يجوز ان يكون هذا
مقول القول اي الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم بالتجسس ونهيتكم عن
الياس من روح الله تعالى واعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف روي انه سال
البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال
على دين الاسلام قال الان تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا
خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له فكانهم كانوا على ثقة
من عفوه عليه السلام ولذلك اقتصروا على استدعا الاستغفار وادرجوا
ذلك في الاستغفار قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم بعفوه
قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت
الاجابة وقيل الحرم اي الى ان يستحل لهم من يوسف عليه السلام او يعلم انه قد عفى
عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روي انه استقبل القبلة
قايما يدعو وقام يوسف خلفه يومن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة
حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد
اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح ثبت نبوتهم
وان ما صدر عنهم انما صدر قبل استنبائهم وقيل المراد الاستمرار على الدعا فقد
روي انه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلاة
في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري
عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين
فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز
اليه بمن معه فاستقبله يوسف والملك في اربعة الاف من الجند والعظما
واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب عليه السلام وهو يمشي متوكيا على يهوذا
فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل ولدك فلما

لبنيه قال السلام عليك يا مذهب الأحزان وقيل قال له يوسف يا أبت بكيت علي حتى
ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى ولكني خشيت أن يذهب دينك فيحال
بيني وبينك وقيل إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل
وامرأة وكان حين خرجوا مع موسى عليه السلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون
رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف **آوى إليه أبويه**
أي أباه وخالته وتنزيلها منزلة الأم كتنزيل العم منزلة الأب في قوله عز وجل
وإله آبائك إبراهيم وإسمعيل وإسحق أو لأن يعقوب عليه السلام تزوجها بعد أمه وقا
للحسن وابن إسحق كانت أمه في الحيوة فلا حاجة إلى التأويل ومعنى أوى إليه ضمهما
إليه واعتنقهما وكان عليه السلام ضرب في الملتقى مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه
فآواهما إليه **وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين** من الشدائد والمكاره قاطبة
والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالأمن **ورفع أبويه** عند نزولهم بمصر **على العرش**
على السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لإخوته **وخروا له** أي أبواه وإخوته **سجدا** تحية
له فإنه كان السجود عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل
اليد ونحوها من عادات الناس الفاشية في التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك إلا انحناء
دون تعفير الجباه وإباؤه يأباه الخرور وقيل خروا لأجله سجدا لله شكرا وبرده قوله تعالى
وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي التي رأيتها وقصصتها عليك **من قبل** في
زمن الصبا **قد جعلها ربي حقا** صدقا واقعا بعينه والاعتذار بجعل يوسف
بمنزلة القبلة وقيل اللام في قوله أليس أول من صلى لقبلتكم تعسف لا يخفى
وتأخيره عن الرفع على العرش ليس بنص في ذلك لأن الترتيب الذكري لا يجب كونه
على وفق الترتيب الوقوعي فلعل تأخيره عنه ليتصل به ذكر كونه تعبير الرؤيا وما
يتصل به من قوله **وقد أحسن بي** المشهور استعمال الإحسان بإلى وقد يستعمل بالبا
أيضا كما في قوله عز اسمه وبالوالدين إحسانا وقيل هذا بتضمين لطف وهو الإحسان
الخفي كما يؤذن به قوله تعالى إن ربي لطيف لما يشاء وفيه فائدة لا تخفى أي لطف بي
محسنا إلي في غير هذا الإحسان **إذ أخرجني من السجن** بعدما ابتليت به ولم يصرح ۵
بقصة الجب حذارا من تثريب إخوته لأن الظاهر حضورهم ثم لوقوع الكلام عقيب
خرورهم سجدا واكتفاء بما يتضمنه قوله تعالى **وجاء بكم من البدو** أي البادية **من**
بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي أي أفسد بيننا بالإغواء وأصله من نخس
الراكض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه إذا نخسه ولقد بالغ عليه ۵
السلام في الإحسان حيث أسند ذلك إلى الشيطان **إن ربي لطيف لما يشاء** أي
لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يتحقق على وجه الحكمة والصواب ما من صعب إلا وهو
بالنسبة إلى تدبيره سهل **إنه هو العليم** بوجوه المصالح **الحكيم** الذي يفعل

كل شي

كل شيء في قضية الحكمة روي أن يوسف عليه السلام أخذ بيد يعقوب عليهما السلام
فطاف به في خزائنه فأدخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب
وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزائن القراطيس قال يا بني ما أعقك
عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثماني مراحل قال أمرني جبريل قال أوما
تسأله قال أنت أبسط إليه مني فسأله قال جبريل الله تعالى أمرني بذلك لقولك أخاف
أن يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي أن يعقوب أقام معه أربعا وعشرين
سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحق فمضى بنفسه ودفنه
ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم
أمره تاقت نفسه إلى الملك الدائم الخالد فتمنى الموت فقال **رب قد آتيتني من**
الملك أي بعضا منه عظيما وهو ملك مصر **وعلمتني من تأويل الأحاديث** أي ۵
بعضا من ذلك كذلك أريد بتعبيرها وتأويل الأحاديث تفهيم غوامض أسرار الكتب ۵
الإلهية ودقائق سنن الأنبياء عليهم السلام فالترتيب ظاهر وأما إذا أريد به
تفهيم تعبير الرؤيا كما هو الظاهر فلعل تقديم إيتاء الملك عليه في الذكر لأنه بصدد
تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك أعرف في كونه نعمة من التعليم ۵
المذكور وإن كان أيضا نعمة جليلة في نفسه ولكن لا يمكن تمشية هذا الاعتذار
فيما سبق لأن التعليم هنالك وارد على نهج العلة الغائية للتمكين فإن حمل على
معنى التمليك لزم تأخره عنه وأما الواقع ههنا فمجرد التأخير في الذكر والعطف
بحرف الواو لا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود **فاطر السموات والأرض** مبدعهما
وخالقهما نصب على أنه صفة للمنادى أو منادى آخر وصفه تعالى بعد وصفه بالربوبية
مبالغة في ترتيب مبادي ما يعقبه من قوله **أنت وليي** مالك أموري **في الدنيا والآخرة**
أو الذي يتولاني بالنعمة فيهما وإذ قد أتممت علي نعمة الدنيا **توفني** اقبضني **مسلما**
وألحقني بالصالحين من آبائي أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة فإنما تتم
النعمة بذلك قيل لما دعا توفاه الله عز وجل طاهرا فتخاصم أهل مصر في دفنه وتشاحوا
في ذلك حتى هموا بالقتال فرأوا أن يصنعوا له تابوتا من زبرجد فجعلوه فيه ودفنوه
في النيل ليمر عليه ثم يصل إلى مصر ليكونوا شرعا واحدا في التبرك به وولد له افرائيم وميشا
ولافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة
بعده مصر ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه إلى أن بعث
الله تعالى موسى عليه السلام **ذلك** إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف وما فيه من معنى
البعد لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته أو كونه بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ خبره **من أنباء الغيب** الذي لا يحوم حوله أحد
وقوله **نوحيه إليك** خبر بعد خبر أو حال من الضمير في الخبر ويجوز أن يكون ذلك اسما

طيباء

موصولا و من انبا الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه اليك **وما كنت لديهم** يريد اخوة
يوسف **اذ اجمعوا امرهم** وهو جعلهم اياه في غيابة الجب **وهم يمكرون** به ويبغون له
الغوائل حتي تقف علي ظواهر اسرارهم وبواطنها وتطلع علي سرائرهم طرا وتحيط بما
لديهم خبرا وليس المراد مجرد نفي حضوره عليه السلام في مشهد اجماعهم ومكرهم
فقط بل نفيه في سائر المشاهد ايضا وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة واخفي
احوالها كما ينبي عنه قوله وهم يمكرون والخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لكن المراد الزام المكذبين والمعني ان ذلك من انبا الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل الي
معرفتك اياه سوي ذلك اذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب امر ۵
لا يشك فيه المكذبون ايضا ولم تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الامر حتي تعرفه
كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار وكانهم يشكون في ذلك فيدفع شكهم وفيه
ايضا ايذان بان ما ذكر من النبا هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل الكتاب ليس علي
ما هو عليه يعني ان مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور الا بالحضور في المشاهدة ۵
واذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحي ومثله قوله تعالي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم
ايهم يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الي موسي الامر **وما اكثر الناس**
يريد به العموم او اهل مكة **ولو حرصت** اي علي ايمانهم وبالغت في اظهار الايات القاطعة
الدالة علي صدقك **بمؤمنين** لتصميمهم علي الكفر واصرارهم علي العناد روي ان اليهود
وقريشا لما سالوا عن قصة يوسف وعدوا ان يسلموا فلما اخبرهم بها علي موافقة التوراة
فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك **وما تسالهم عليه** اي علي
الانبيا او علي القران **من اجر** من جعل كما يفعله حملة الاخبار **ان هو الا ذكر** عظة من
الله تعالي **للعالمين** كافة لا ان ذلك مختص بهم **وكاين من اية** اي كاي عدد شئت من الايات
والعلامات الدالة علي وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه
الاية التي جئت بها **في السموات والارض** اي كائنة فيهما من الاجرام الفلكية وما فيها
من النجوم وتغير احوالها ومن الجبال والبحار وسائر ما في الارض من العجائب الفائتة للحصر
يمرون عليها اي يشاهدونها ولا يعبؤون بها وقري برفع الارض علي الابتدا ويمرون
خبره وقري بنصبها علي يطؤون الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض
يمشون عليها والمراد ما يرون فيها من اثار الامم الهالكة وغير ذلك من الايات
والعبر **وهم عنها معرضون** غير ناظرين اليها ولا متفكرين فيها **وما يؤمن اكثرهم**
بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته **الا وهم مشركون** بعبادتهم لغيره او باتخاذهم
الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم باتخاذه تعالي ولدا سبحانه وتعالي عن ذلك
علوا كبيرا او بالنور والظلمة وهي جملة حالية اي لا يؤمن اكثرهم الا حال شركهم
قيل نزلت الاية في اهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب

افامنوا



افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله اي عقوبة تغشاهم وتشملهم **او تاتيهم الساعة**
بغتة فجاة من غير سابقة علامة **وهم لا يشعرون** باتيانها غير مستعدين لها
قل هذه سبيلي وهي الدعوة الي التوحيد والايمان بالاخلاص وفسرها بقوله **ادعو الي**
الله علي بصيرة بيان وحجة واضحة غير عميا وهي حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها
معني الاشارة **انا** تاكيد للمستكن في ادعو وعلي بصيرة لانه حال منه او مبتدا خبره
علي بصيرة **ومن اتبعني** عطف عليه **وسبحان الله وما انا من المشركين** مؤكد لما سبق
من الدعوة الي الله **وما ارسلنا من قبلك الا رجالا** رد لقولهم لو شا الله لانزل
ملائكة **يوحي اليهم** كما اوحينا اليك وقري بالياء **من اهل القري** لانهم اعلم واحلم
واهل البوادي فيهم الجهل والجفا والقسوة **افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف**
كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك **ولدار**
الاخرة خير اي الساعة او الحياة الاخرة **خير للذين اتقوا** الشرك والمعاصي **افلا**
تعقلون فتستعملوا عقولكم لتعرفوا خيرية دار الاخرة وقري بالياء علي انه داخل
تحت قل **حتي اذا استياس الرسل** غاية لمحذوف دل عليه السياق اي لا يغرنهم
تماديهم فيما هم فيه من الدعة والرخا فان من قبلهم قد امهلوا حتي ايس الرسل عن النصر
عليهم في الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم في الكفر وتماديهم في الطغيان من غير وازع ۵
وظنوا انهم قد كذبوا كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم او
كذبهم رجاؤهم فانه يوصف بالصدق والكذب والمعني ان مدة التكذيب والعداوة
من الكفار وانتظار النصر من الله تعالي قد تطاولت وتمادت حتي استشعروا
القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا **جاءهم نصرنا** فجاة وعن ابن عباس رضي الله
عنهما وظنوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر فان صح ذلك عنه فلعله اراد
بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس وانما عبر عنه بالظن ۵
تهويلا للخطب واما الظن الذي هو ترجح احد الجانبين علي الاخر فلا يتصور ذلك
من احاد الامة فما ظنك بالانبيا عليهم السلام وهم هم ومنزلتهم في معرفة شؤون
الله سبحانه منزلتهم وقيل الضميران للمرسل اليهم وقيل الاول لهم والثاني للرسل
وقري بالتشديد اي ظن الرسل ان القوم كذبوهم فيما وعدوهم وقري بالتخفيف علي
بنا الفاعل علي ان الضمير للرسل اي ظنوا انهم كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به لما تراخي
عنهم ولم يروا له اثرا او علي ان الاول للقوم **فنجي من نشا** هم الرسل والمؤمنون
بهم وقري فننجي علي لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقري فنجا **ولا يرد**
باسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان لمن تعلق بهم المشيئة **لقد كان**
في قصصهم اي قصص الانبيا واممهم ويؤيده قراءة من قرا بكسر القاف او قصص يوسف
واخوته **عبرة لاولي الالباب** لذوي العقول المبراة عن شوائب احكام الحس **ما كان**

٥٤١

اي القران المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة حديثا يفترى ولكن تصديق
الذي بين يديه من الكتب السماوية وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي
ولكن هو تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء مما يحتاج اليه في الدين اذ ما
من امر ديني الا وهو يستند الى القران بالذات او بوسط وهدى من الضلالة
ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون اي يصدقونه لانهم المنتفعون به
واما من عداهم فلا يهتدون بهداه ولا ينتفعون بجدواه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله
وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما ٥

والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
اله وصحبه وسلم
تسليما كثيرا الى يوم
الدين ٥
امين



